

كتاب تفسير ابو السعود
تعلق ٢٩

١٢٩

سورة الفاتحة مكية
وعدد آياتها ٧
٥

سورة البقرة مكية
وعدد آياتها ٢٨٦
٩

سورة آل عمران مدنية
وعدد آياتها ٢٠٠
١١٠

سورة النساء مدنية
وعدد آياتها ١٧٥
١٦٢

سورة المائدة مدنية
وعدد آياتها ١٢٠
٢٠٦

سورة الانعام مكية
وعدد آياتها ١٦٥
٢٤٧

سورة الاعراف مكية
وعدد آياتها ٢٠٥
٢٩٠

سورة الانفال مدنية
وعدد آياتها ٧٦
٣٢٧

سورة التوبة مدنية
وعدد آياتها ١٢٩
٣٤٠

سورة يونس مكية
وعدد آياتها ١٠٩
٣٦٦

سورة الهود مكية
وعدد آياتها ١٢٣
٣٩٣

سورة يوسف مكية
وعدد آياتها ١١١
٤٢٠

سورة الرعد مكية وعدد آياتها ٤٣
٤٤٦
سورة ابرهيم مكية وعدد آياتها ٥٢
٤٥٦
سورة الحجر مكية وعدد آياتها ٩٩
٤٦٨
سورة النحل مكية وعدد آياتها ١٢٨
٤٧٨

سورة الاسرى مكية وعدد آياتها ١١١
٥٠١
سورة الكهف مكية وعدد آياتها ١١٠
٥٢٠
سورة مريم مكية وعدد آياتها ٩٨
٥٤١
سورة طه مكية وعدد آياتها ١٣٥
٥٥٣

سورة الانبياء مكية وعدد آياتها ١١٢
٥٧١
سورة الحج مكية وعدد آياتها ٧٨
٥٨٤
سورة المؤمنين مكية وعدد آياتها ١١٩
٥٩٧
سورة النور مدنية وعدد آياتها ٦٤
٦٠٦

سورة الفرقان مكية وعدد آياتها ٧٧
٦٢٣
سورة الشعرا مكية وعدد آياتها ٢٢٧
٦٣٥
سورة النمل مكية وعدد آياتها ٩٣
٦٤٧
سورة القصص مكية وعدد آياتها ٨٨
٦٥٨

سورة العنكبوت مكية وعدد آياتها ٦٩
٦٦٨
سورة الروم مكية وعدد آياتها ٦٠
٦٧٤
سورة لقمان مكية وعدد آياتها ٣٤
٦٨١
سورة السجدة مكية وعدد آياتها ٣٠
٦٨٥

سورة الاحزاب مدنية وعدد آياتها ٧٣
٦٨٨
سورة السبأ مكية وعدد آياتها ٥٤
٦٩٩
سورة الفاطر (الملائكة) مكية وعدد آياتها ٤٥
٧٠٧
سورة يس مكية وعدد آياتها ٨٣
٧١٣

سورة الصفات مكية وعدد آياتها ١٨٠
٧٢٣
سورة ص مكية وعدد آياتها ٨٦
٧٣١
سورة الزمر مكية وعدد آياتها ٧٥
٧٤١
سورة المؤمن مكية وعدد آياتها ٨٥
٧٥٠

سورة فصلت مكية وعدد آياتها ٥٤
٧٥٨
سورة الشورى مكية وعدد آياتها ٥٣
٧٦٤
سورة الزخرف مكية وعدد آياتها ٨٩
٧٧١
سورة الدخان مكية وعدد آياتها ٥٩
٧٧٦

سورة الجاثية مكية وعدد آياتها ٣٦
٧٧٩
سورة الاحقاف مكية وعدد آياتها ٣٥
٧٨٢
سورة محمد مدنية وعدد آياتها ٣٨
٧٨٧
سورة الفتح مدنية وعدد آياتها ٢٩
٧٩١

سورة الحجرات مدنية وعدد آياتها ١٨
٧٩٥
سورة ق مكية وعدد آياتها ٤٥
٧٩٩
سورة الذاريات مكية وعدد آياتها ٦٠
٨٠٢
سورة الطور مكية وعدد آياتها ٤٨
٨٠٥

سورة النجم مكية وعدد آياتها ٦٢
٨٠٧
سورة القمر مكية وعدد آياتها ٥٥
٨١١
سورة الرحمن مكية وعدد آياتها ٧٨
٨١٤
سورة الواقعة مكية وعدد آياتها ٩٧
٨١٧

سورة الحديد مدنية وعدد آياتها ٢٩
٨٢٢
سورة المجادلة مدنية وعدد آياتها ٢٢
٨٢٦
سورة الحشر مدنية وعدد آياتها ٢٤
٨٢٩
سورة الممتحنة مدنية وعدد آياتها ١٣
٨٣٢

سورة الصف مدنية وعدد آياتها ١٤
٨٣٤
سورة الجمعة مدنية وعدد آياتها ١١
٨٣٦
سورة المنافقون مدنية وعدد آياتها ١١
٨٣٧
سورة التغابن مدنية وعدد آياتها ١٨
٨٣٨

سورة الطلاق مدنية وعدد آياتها ١٢
٨٣٩
سورة التحريم مدنية وعدد آياتها ١٢
٨٤١
سورة الملك مدنية وعدد آياتها ٣٠
٨٤٢
سورة القلم مكية وعدد آياتها ٥٢
٨٤٦

سورة الحاقة مكية وعدد آياتها ٥٢
٨٤٨
سورة المعارج مكية وعدد آياتها ٤٤
٨٥١
سورة النوح مكية وعدد آياتها ٢٨
٨٥٣
سورة الجن مكية وعدد آياتها ٢٨
٨٥٥

سورة المزمل مكية وعدد آياتها ٢٠
٨٥٧
سورة المدثر مكية وعدد آياتها ٥٦
٨٥٨
سورة القيمة مكية وعدد آياتها ٤٠
٨٦١
سورة الدهر مدنية وعدد آياتها ٣١
٨٦٢

سورة المرسلات مكية وعدد آياتها ٥٠
٨٦٤
سورة النبأ مكية وعدد آياتها ٤٠
٨٦٥
سورة النازعات مكية وعدد آياتها ٤٦
٨٦٩
سورة عبس مكية وعدد آياتها ٤٢
٨٧٣

سورة التكوير مكية وعدد آياتها ٢٩
٨٧٥
سورة الانفطار مكية وعدد آياتها ١٩
٨٧٧
سورة التطفيف مكية وعدد آياتها ٣٦
٨٧٨
سورة الانشقاق مكية وعدد آياتها ٢٥
٨٨٠

سورة البروج مكية وعدد آياتها ٢٢
٨٨١
سورة الطارق مكية وعدد آياتها ١٧
٨٨٢
سورة الاعلى مكية وعدد آياتها ١٩
٨٨٣
سورة الغاشية مكية وعدد آياتها ٢٦
٨٨٤

سورة الفجر مكية وعدد آياتها ٣٠
٨٨٥
سورة البلد مكية وعدد آياتها ٢٠
٨٨٧
سورة الشمس مكية وعدد آياتها ١٥
٨٨٨
سورة الليل مكية وعدد آياتها ٢١
٨٨٨

مدر... افندينك هديه سيدر

١٧٩

١٢٥

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان
وقفاً صحيحاً شرعياً على من طالع وأنا أكرمه الله
تعالى بالزلفى والحسنى
حرره العبد الفقير أحمد شيخ زاده
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

سورة الضحى مكية وعدد آياتها ١١ ٨٨٩	سورة الانشراح مكية وعدد آياتها ٨ ٨٩٠	سورة التين مكية وعدد آياتها ٨ ٨٩٠	سورة العلق مكية وعدد آياتها ١٩ ٨٩١
سورة القدر مكية وعدد آياتها ٥ ٨٩٣	سورة البينة مدنية وعدد آياتها ٨ ٨٩٣	سورة الزلزلة مكية وعدد آياتها ٩ ٨٩٤	سورة العاديات مكية وعدد آياتها ١١ ٨٩٥
سورة القارعة مدنية وعدد آياتها ١١ ٨٩٦	سورة التكاثر مكية وعدد آياتها ٨ ٨٩٦	سورة العصر مكية وعدد آياتها ٣ ٨٩٧	سورة الهمزة مكية وعدد آياتها ٩ ٨٩٧
سورة الفيل مكية وعدد آياتها ٥ ٨٩٧	سورة القريش مكية وعدد آياتها ٤ ٨٩٨	سورة الماعون مكية وعدد آياتها ٧ ٨٩٨	
سورة الكوثر مكية وعدد آياتها ٣ ٨٩٩	سورة الكافرون مكية وعدد آياتها ٦ ٨٩٩	سورة النصر مدنية وعدد آياتها ٣ ٨٩٩	
سورة تبت مكية وعدد آياتها ٥ ٩٠٠	سورة الإخلاص مكية وعدد آياتها ٤ ٩٠١		

سورة الفلق مكية
وعدد آياتها ٦
٩٠١

سورة الناس مكية
وعدد آياتها ٥
٩٠٢

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وبيّن له من شعائر الشرائع كل جليل ودقيق أنزل عليه
أظهر بينات وأبهر حجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب
ناطقا بكل أمر رشيد هاديا إلى صراط العزيز الحميد آمرا لعباده بعبادة المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد
الرواسي لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع الصخور حقيقا بأن تسيّر به الجبال وتيسّر به كل صعب المنال معجزا أفحم كل
مصقع من مهرة قحطان وبكّت كل مفلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا
عن الإتيان بمثل آية من آياته نزّله على فترة من الرسل ليرشد الأمة إلى أقوم السبل فهداهم إلى الحق وهم في ضلال
مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فاز بمناه وأما من عانده وعصاه واتخذ إلهه هواه
فقد هام في مهامه الردى وتردّى في مهاوي الزور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه
وعلى آله الأخيار وصحبه الأبرار ما تناوبت الأنوار وتعاقبت الظلم والأضواء وعلى من تبعهم بإحسان مدى
الدهور والأزمان أما بعد فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادي أبو السعود بن محمد العمادي إن
الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان فيها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن
شيئا مذكورا ليست إلا معرفة الصانع المجيد وعبادته إن ربك المبدئ المعيد ولا سبيل إلى ذلك
المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل فإنه عز سلطانه وجهر برهانه وإن سطر آيات قدرته
في صحائف الأكوان ونشر آيات وحدته في صفائح الأعراض والأعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم
وكل قطرة من قطرات العيلم وكل نقطة جرى عليها قلم الإبداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع مرآة
لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا
ريب فيه ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو آيات ربه فهل من سامع واع مجيبا هاديا داعيا
فهل من مجيب يكلم الناس على قدر عقولهم ويزيح عنهم بحسب عقولهم تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى
بألطف إشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتلك الأمارات و
المخايل والتنبه لتلك الإشارات السرية والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها
من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر مما لا تطيق به عقول البشر إلا بتوفيق خلاق
القوى والقدر فإذن مدار المراد ليس إلا كلام رب العباد إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات

الآيات

الآيات التكوينية والكاشف عن خفايا حظائر القدس والمطلع على خبايا سرائر الأنس وبه تكتسب الملكة
الفاخرة وبه يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة خلا أنه لعلو الشأن وسمو المكان ونهاية
الغموض والإعضال وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية أعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج إلى معارجه الرفيعة
ولا يتأتى الرقي إلى مدارجه المنيعة كيف لا وإنه مع كونه منبعا لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطويا
على دقائق الفنون الخفية والجلية حاويا لتفاصيل الأحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلائل الأصلية
والفرعية منبئا عن أسرار الحقائق والنعوت مخبرا بأطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الأوامر
والنواهي وإليه يستند معرفة الأشياء كما هي قد نسج على أغرب منوال وأبدع طراز واحتجبت
حقيقته بسبحات الإعجاز طويت حقائقه الأنيقة عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن أذهان الفحول
يرتد عيون العقول حسيرة بسبحاته وتختطف أبصار البصائر ببريقه ولمعاته ولقد تصدى لتفسير مشكلاته
أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين أسرة التحرير والتقرير
في كل قطر من الأقطار فغاصوا في لججه وخاضوا في ثبجه فنظموا فرائده في سلك التحرير وأبرزوا فوائده
في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة الأقدار وألفوا زبرا جميلة الآثار أما المتقدمون المحققون فقصروا
على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام
عليه شرائف التحية والسلام وأما المتأخرون فقد قصدوا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة وإبداء خباياه
الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه ويشاهدوا فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية
والزبر العظيمة السبحانية فدونوا أسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائقة يتضمن كل منها
فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان وعوائد لطيفة تتشنف بها آذان الأذهان لاسيما الكشاف
وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز
كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز وصحائفهما مرايا لترائي الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد
العقيان ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما
وممارستهما وزمان انقضائي بمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناء الليل وأطراف النهار
أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف
الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق وأسلك
خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه
جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف
معارف يمتد إليها أعناق الهمم من كل ماجد لبيب وغرائب رغائب ترنو إليها أحداق الأمم من كل حبر
أريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الأفهام في مداحض الأقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الأوهام
من خواطر الأنام في معارك أفكار يشتبه فيها الشئون ومدارك أنظار يختلط فيها الظنون وأبرز من وراء أستار الكمون

من ودائع السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن إليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا
الكنوز وأهديها إلى الخزانة العامرة للسلطان القاهر الباهر الزاهر الجناب من خصه الله تعالى بخلافة الأرض واصطفاه لسلطنتها
في الطول والعرض ألا وهو السلطان الأعظم والخاقان الأعظم الأفخم مالك الإمامة العظمى والسلطنة الكبرى
وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الأزهر موضح آيات الشرع الأنور مرغم أنوف الفراعنة و
الجبابرة معفر جباه القياصرة والأكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي
شرق عزمه المنير فانتهى إلى المشرق الأقصى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس أو أدنى جمع شمل مشارع الأفواج
وعلا خصمه متلاطم الأمواج فأصبح ما بين خافقي الطلوع والغروب وما بين منطقي الشمال والجنوب منتظما
في سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت ظلال رايته الرائعة فأصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون
فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه البحر المحيط وكأنه فضاء ضرب خيامه أو نصبت عليه البونية
وأعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الأمم فاتح القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم
والروم سلطان المشرقين وخاقان الخافقين الإمام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية
المفتخر بخدمة الحرمين المحترمين المعظمين وحماية المقامين المحترمين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخواقين
العثمانية السلطان بن السلطان سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور
صاحب المغازي المشهورة في أقطار الأمصار والفتوحات المذكورة في صحائف الأسفار السلطان سليم خان بن
السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة إلى انتهاء سلسلة
الزمان وأرواح أسلافه العظام متنزهة في روضة الرضوان وكنت أتردد في ذلك بين إقدام وإحجام لقصور
شأني وعزة المرام أين الحضيض من الذرى شتان ما بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقاء بالأشباك
واقتياد الجوزاء من بروج الأفلاك فمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الأطوار وتبدلت الشؤون فانثنيت
بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد وأخرى في قضاء العساكر والأجناد فحال بيني وبين ما كنت أحاول تراكم
المهمات وتزاحم الأشغال وهجوم العوارض والعلائق وهجوم العوارف والعوائق والتردد إلى المغازي و
الأسفار والتنقل من دار إلى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الأمور أقدر في نفسي أن أنتهز فرصة من الدهور
ويتسنى لي القرار وتطمئن بي الدار وأظفر حينئذ بوقت خال أتبتل فيه إلى جناب ذي العظمة والجلال وأوجه إليه وجهي
وأسلم إليه سري وعلانيتي وأنظر إلى كل شيء بعين الشهود وأتعرف سر الحق في كل موجود تلافيا لما قد فات واستعدادا
لما هو آت وأتصدى لتحصيل ما عزمت عليه وأتولى لتكميل ما توجهت إليه برفاهة واطمئنان وحضور قلب وفراغ
جنان فبينما أنا في هذا الخيال إذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحركت الأحوال والدهر حول فوقعت في أمر أشق من الأول
أمرت بحل مشكلات الأنام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت كما
هارب من المطر إلى السيول فبلغ السيل الزبى وعزني أي عمر عوارب بأجري بين زيد وعمرو فانحبست في ضيق
المجال وسعة الأشغال مقبول الشهرة ممن يضرب بها الأمثال فجعلت أتمثل بقول من قال لقد كنت أشكو الحوادث
برهة واستمرض الأيام وهي صحائح إلى أن تغشتني وقيت حوادث تحققت أن الساعات منايح فلما انصرم

تحقق أن

عرى الآمال عن القعود بفراغ البال ورأيت أن الفرصة على جناح الفوات وشمل الأسباب في شرف الشتات
وقد مسني الكبر وتفانت القوى والقدر ودنا الأجل من الحلول وأشرقت شمس الحياة على الأفول عزمت
على إنشاء ما كنت أنويه وتوجهت إلى إملاء ما طالما أبتغيه وبان أن أسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وإنعامه
إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم المكاره علي وتراكم المشاق بين يدي
متضرعا إلى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت في أن يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع
السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل ما أرومه وأرجوه ويهديني إلى تكميله على أحسن الوجوه ويجعله ذخرا وعدة
وعتادا أنتفع به يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت أيدي الضراعة والسؤال
إلى جنابه الرفيع أفض علينا شوارق أنوار التوفيق وأطلعنا على دقائق أسرار التحقيق وثبت أقدامنا على مناهج
هداك وأنطقنا بما فيه أمرك ورضاك ولا تكلنا إلى أنفسنا في لحظة ولا آن وخذ بنا صيتها إلى الخير حيثما كان
وجئناك على جناح الاستكانة ضارعين ولأبواب فيضك قارعين أنت الملاذ في كل أمر مهم وأنت المعاذ
في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير إلا خيرك بيدك مقاليد الأمور لك الخلق والأمر وإليك النشور

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الفاتحة مكية ومدنية وهي سبع آيات وتسمى السبع المثاني

الفاتحة في الأصل أول ما من شأنه أن يفتتح كالكتاب والثوب أطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم أطلقت على أول
كل شيء فيه تدرج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والأوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء
للنقل من الوصفية إلى الاسمية أو هي مصدر بمعنى الفتح أطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر إشعارا بأصالته كأنه نفس الفتح
فإن تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى أنه واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد أنه لا يتسنى في الخاتمة
لما أن ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك إنما يحصل بعد انقطاع الملابسة عن أجزائه الأول بل على معنى أن الفتح المتعلق
بالأول فتح له أولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فإن بلوغ
آخر الشيء يعرض للآخر أولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي حققته والمراد بالأول ما يعم الإضافي فلا حاجة إلى
الاعتذار بأن إطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الأول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي
لا القدر المشترك بينه وبين أجزائه على ما عليه اصطلاح أهل الأصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في أوائل
عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما أن التسمية من جهة الله عز اسمه أو من جهة الرسول صلعم بالإذن فيكفي فيها تحققه
باعتبار تحققه في علمه عز وجل أو في اللوح أو باعتبار أنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل عم على السفرة ثم كان ينزله
على النبي عم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والإضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة
لما عرفت أن المضاف جزء من المضاف إليه لا جزئي له ومدار التسمية كونها مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوة
ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل فإن الأول يستلزم أن يراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلوة حتى
بعض التسمية مبدئيتها له وأما الأخيران فلأن اعتبار المبدئية من حيث التعليم أو من حيث النزول يستدعي مراعاة
الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب في أن الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على سنن الترتيب

المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل
والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط
المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب
ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بينة يحمل عليها المتشابهات
ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدأ بقراءتها في الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية
كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في تسميتها
الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة لوجوب
قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلوة
او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية
لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلف الائمة في شأن التسمية في اوائل
السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك رحمه الله والمشهور
من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل
والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وقد
نسب الى ابن عمر ايضا رضي الله عنه وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر انها انزلت
مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وهو
هو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبق
اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها او لا ولكونها
آية تامة او لا وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم
وقيل انها آية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وانها تامة في البواقي وقيل انها بعض آية
في الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها
وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه الى احد
وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا كونها آية تامة لكان ذلك احد محلي تردد الشافعي
فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان تكون قرآنا او لا وقيل بين
ان تكون آية تامة او لا قال الامام الغزالي والصحيح من مذهب الشافعي هو التردد الثاني وعن احمد بن حنبل في
كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها
ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلاثة الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف
مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقتضي نفي القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين
من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما
لا يستدعي كونها آية منفردة منه واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية

من كتاب

من كتاب الله تعالى وما روي عن ام سلمة من انه عليه السلام قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
آية وان دل كل واحد منهما على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل
الا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة
من كل واحدة منها الا ان يلتجئ الى ان يقال ان كونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون
جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور واما الثالث فمطروح لجلاء قدح مشاركته للثاني
في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند الحلول
والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي بسم الله اقرأ او اتلو
وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير ابدأ لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو
المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقدير اقرأ
من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال
لم يقل فيه ابدأ بسم الله وهذا الى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى
كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم
المسألة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر
ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة
الاعجاز المبنية الاوائل على السكون قد ادخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دأبهم البدء بالمتحرك والوقف
على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي وسمية وسمي وسمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك
الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة
واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة
على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال بسم الله الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله
للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع
الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة و
ميسرة وهي المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما
لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم
والا لاحتمل ان يفهم من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فليحمل الباء
على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذلك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر
الا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية او التبرك وانما لم تكتب الالف لكثرة
الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله الاله حذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام
وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف
القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون

الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت
الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما
لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه
من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه
صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء
كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فمدلولها مركب من
ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك
المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور
هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك
لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه تحار في شأنه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى
فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا ما قيل تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة
والحجر وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله
اذا فزع من امر نزل وآلهه غيره اذا اجاره اذ العابد يفزع اليه تعالى وهو يجيره حقيقة او في زعمه وقيل اصله لاه على انه
مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار
امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا
كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف في
الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر
في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية
فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه
لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله
بارك في الرجال والرحمن والرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو
المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا والرحمة
في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل والاحسان او ارادتهما
بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات
التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع
صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتباره
يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل
يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما تحقق فيها وجود
فعلى فتمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون

القياس

القياس يقتضي عكسه رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به
عز وعلا صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلائل النعم وعظائمها واصولها
احق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة
الحمد لله الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجهه الى المنعوت
وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية
التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها
واما الاول فتعلقه بمفعوله مبني على معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له
ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني على المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في
الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما
المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات
الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال
وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة
مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو الا انه اعتبر في النحوين الاخيرين فنظم القسم الاول
من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين
من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته
بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالآخر على الثانية كما في قولك
حدثني الحديث وسألني المال فان الحدث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث
على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالمال على الاولى ولا ريب في
ان اختلاف هذه الكيفيات الثلث وتباينها واختصاص كل من انحاء الافعال المذكورة بما يناسبه منها مما لا
يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف
ليس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية
التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه
ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام كما في النصر و
التأييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما
يرادف النصر الاعانة ويرادف التأييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق
بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا او في قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل
عن الارادة ههنا استقلالا او استتباعا فالحمل على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة
يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعوت الكمال كما قال من قال

اما وتكلم الثناء فمنى بلسانه يدي وكسائر والضمير المجبا فادن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه
الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعم والاعتداد بشانها وادل على مكانها
لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا لامر في قوله صلعم الحمد
راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر
المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق
ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى
كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون
بحيث يقتضيه الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعدما ساق حمده تعالى
على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر بباله احد ان يسال عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه
مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية حمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك
بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل بالمقدر بعد تبديله وانى ان فرض السؤال
من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير تخلل النظام
لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا اتضح فساد ما قيل انه استئناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات
العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه
فان ترتب جانب السائل بالكلية وبناء جوابه على خطابه عز وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله
والحق الذي لا محيد عنه انه استئناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت
الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شيء اخر كما ستحيط به خبرا وانما بنى الرفع على
النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر
دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية
والسلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة
الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع
افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الا
فراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد
ووجودها في المقام الخطابي منزلة العدم كما وكيفا وقد قيل للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة
من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام
وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيلهما لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل
المغيرة ومنحدر الجبل رب العالمين بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف في كل حال
ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب
العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب

في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل
صفة مشبهة من ربه يربه مثل نم ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما
يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله
تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلعم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي
ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يكن اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق و
التقييد كما في قوله تعالى ارباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من
المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك
وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث
وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما عداهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس
فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم
بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق وقيل في قوله تعالى افلا تبصرون والاول هو
الاحق الاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها
باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على
الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على احاد مدلوله
منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق عليها
كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها
كانها احاد مفرده التقديري ومن قضيته هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد
من احاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه
انه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاصهما بصفات العقلاء
وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم
على كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا
لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من
اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما ظهر
في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد
واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من
العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع
اثار التربية عنه انا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض
عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل ان يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته
ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات

عليها

بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء انما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم
يستند عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم يستند عليه جميع انحاء عدمه الطارئ
لما ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي
علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في
وجوده وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون للشيء الواحد موانع غير متناهية
يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في نفسها فابقاء تلك الموانع
التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته الفائضة على كل فرد من افراد
الموجودات في كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها
ولا تطالعه العقول بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره
قاصرون نسألك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا
انت نستغفرك ونتوب اليك الرحمن الرحيم صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين
او ما يفيض على الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا
تقتضي المقارنة للرحمة فايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب
عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك
المستعين باسمه الجليل والادخل لمقاصده مالك يوم الدين صفة رابعة له تعالى وتأخيرها من الصفات الاول
مما لا حاجة الى بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر و
الاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام
الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك
بلفظ الماضي ومالكا بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا
بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر
الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الاول في المثل
السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول في الاول
والثاني في الثاني فليس بحقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة القيام
والقراءة باسميهما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
وبناؤه على المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره
فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب وهي العقوبة فصار كانها قامت
بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى
ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه
من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها

من مبادي

من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى يوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني
على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين
كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال
او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة
حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع
الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار
كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من
حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك في مالك عبده مثلا مضاف الى المفعول به على معنى انه
كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما للتعظيم والتهويل او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع
العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هذه الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق
من اختصاص الحمد به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من قصر العبادة والاستعانة
عليه تعالى فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه اما الاول و
الرابع فظاهر لانهما متوضحان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة
فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان
كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه
على الاطلاق وهو المعني بالاختصاص اياك نعبد واياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم
من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام لما ان
التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد
من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل
لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكات الرائقة الدالة
على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز
واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان
بان حق التالي بعدما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب للمعبودية وامتيازه
بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع افراد العالمين
وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة ان يترقى
من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى عالم الشهود ويلاحظ نفسه في حظائر
القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات و
يقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة

فان ما سواه كائنا ما كان بمعزل عن استحقاق الوجود فضلا من استحقاق ان يعبد ويستعان به ولعل هذا
هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلوة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومنية للتبتل
اليه بالكلية وايا ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا
محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض
العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضماير وايا دعامة لها لتصير
منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء و
العبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضى به
الله والعبودية الرضى بما فعل الله والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما
ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله واياي فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام قال ابن عباس رضي الله عنه معناه نعبدك
ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة والابراز الاستلذاذ
بالمناجات والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل واي ساعده الصفات الجارية عليه
اشعارا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة
من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل
لان تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول
فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسئول هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة
مراسمها على ما ينبغي وهو الانسب بشان التنزيل والانسب بحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة
فعل من افعاله المستعينة تعالى وابداعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شئونه تعالى واشتغاله باداء ما
يوجب تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام
اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص عبادته تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه آخرا فكيف يتصور
ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل واياك نستعين في ذلك
فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منك ووجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته
تعالى وعزة منالها وبكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه
ومن الملائمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك نعبد مستعينا بك وايثار صيغة المتكلم
مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة
واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم
كما هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك ساير الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة
الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم اهدنا الصراط المستقيم افراد لمعظم افراد
المعونة المسئولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية
دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على

على نهج التهكم والاصل تعديتها باللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق
فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع
لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء افاعيله
الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية
والمعادية ومنها افاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد العالم
حسبما نوه به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية ببيان المقال بارسال
الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسلك الاستدلال
بتلك الادلة التكوينية الافاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا من قوله تعالى وفي الارض
آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وجل ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله
في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي
بالوحي او الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما
في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا و
لفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه
كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة
الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا
لمكان الطاء المستعلي من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت
لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاء تحريا للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن وفصحاهن اخلاص
الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير و
التأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث ان المقصود بالنسبة
وفائدته التأكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له
بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام
عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد فاز بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم
المذكورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عم قبل النسخ و
التحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان
من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها
ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح
فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها و

وهي الثابتة في الامام وجمعه صرط

... ان المراد بهم

وجسماني كتخلص البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي
تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات
المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع
المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك
العظيم ورحمتك الواسعة • غير المغضوب عليهم ولا الضالين • صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة
المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير
من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسب بذلك تعرفا
مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة
مما ابتلى به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعم المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة
من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذا
اللام اذا اريد به الجنس في ضمن الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين
اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير
بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة يخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط
المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان
ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب
عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد وتقرير وفضل
ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعرف مصحح لوقوعه
صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب
على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب هيجان
النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة
الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام منهم
ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم
لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع
بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الاداب
التنزيلية في نسبة النعم والخير اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين
والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا
الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب
والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد

في الهرب

فوائد

٩

في الهرب عن التقاء الساكنين • امين • اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله
صلعم عن معنى آمين فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم
الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي عم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة
فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة
الكريمة بها والمشهور عن ابي حنيفة رح ان المصلي ياتي بها مخافتة وعنه انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي
وعن الحسن رح مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلعم وعند الشافعي
يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلعم كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن
رسول الله صلعم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت
بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان
ان النبي عم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد
لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مائتان وثمانون وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم • الم • الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها
المقطعات المرقومة في اوائل السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف
والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في
عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من انه صلى
الله عليه وسلم قال من قرا حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف
حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن
الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق
الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه
الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا واريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة
تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها
المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس هذا من تسمية الشيء
باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة
في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير
ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا على اسمائها المؤلفة كما اذا قلت الالف مؤلف من ثلاثة احرف
فكما ان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك في قراءة
قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفات
الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مسلم ثم الحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة
في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات

القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة
لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق
بينهما الا بان ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والدال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك
باسمهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ
صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعير مكانها
الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبنى الاصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف
كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل
معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما اخره الف عند التهجي لابتغاء الخفة
لا لان وزانه وزان لا يتغير تارة فيكون حرفا وتمد اخرى فيكون اسما لها كما في قول حسان رضي الله عنه ما قال
لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم تسمع له لاء هذا وقد تكلموا في شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل
انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة روي عن الصديق رضي الله عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل
السور وعن علي رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله عنه
قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله تعالى فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى
وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف
آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من
الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى
بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة
الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل وقيل ولكن الذي عليه التعويل اما كونها اسماء للسور المصدرة
بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة
التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انه وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله
الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب
اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو
المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غايته الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور
في عكسه حسبما تحققته آنفا وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها
وهي ان يكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لاسيما في الفواتح الخماسية على
ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما
وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه
خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان
حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم

في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعارضة والمغارة اذ لا يكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب
من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام و
ان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما
يتاتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق
لاسيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج عبقري بحيث تحار في فهمه ارباب
العقول وتعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف
المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند التفحص والتنقير حسبما
فصله بعض افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من ان تطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان تنالها
ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جرى على عادة الافتنان مع مراعاة
ابنية الكلم وتفريقها على السور دون ايراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة وتخصيص
كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فآية
حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست باية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست باية في شيء من سورها الخمس
وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان
وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأي الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها
بلا فرق بينها واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم انه على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشم رائحة
الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء
او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه
المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان
ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس
وطس الموازنة لهابيل وقابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرأ
بعضهم ياسين والقرآن وقاف فكانه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي ايضا عن
بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار
فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد
قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق
الذكر والانثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول
مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين
ويجوز في طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدا
ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن
الله عز سلطانه اما هذه الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر

و تارة فيها الاعراب النصب باضمار فعل لائق او اذكر او اقرأ بالنصب وقد قرأ صاد وقاف ونون صح

لمبتدا محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به واما صحة الاشارة الى القران بعضا او كلا مع عدم ذكره فلانه
باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدا اي المسمى
والاول هو الاظهر لانا نجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب و
اذ لا علم بالتسمية قبل صحتها الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد في ان المسمى هي السورة او كل القران
• ذلك • ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى
فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في
الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من
المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا للايراد لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة الى
القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث
هو مسمى بالسورة ولئن ادعى اعتبار الحيثية الثانية في الاول بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك
لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدا على حدة وعلى الوجه الثاني مبتدا ثان وقوله عز وعلا • الكتاب •
اما خبر له او صفة له اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستانفة مؤكدة لما افادته الجملة الاولى من نباهة
شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير
الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس
من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور المادية للحس البصري ومنه الكتيبة
للعسكر كما ان الاصل في القراءة الجمع والضم في الاشياء التي فيه عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة
لما ان ماله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القران الكريم وان لم يتم تنزيله عند
نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح المحفوظ او باعتبار نزوله جملة
الى السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة
المقصود منه كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود والغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على
طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القران فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة و
المعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات
الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لمراضي
الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس لا
فرد المعهود هو مجموع القران المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية لا بعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب
باعتبار كونه جزءا لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان
سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا
كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدا محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او
مبتدا مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدا اما خبر له او مبتدا ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدا الاول

والمشار اليه

والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هي السورة او القران ومعنى البعد ما ذكر من
الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو
الكتاب الموعود وهو مع التصحيح ظاهر خلا انه ان كان المسمى هي السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى
انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القران فهو ما في التورية والانجيل هذا على تقدير كون
الم اسما للسورة او للقران واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدا والكتاب
اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدا اي المؤلف من هذه الحروف ذلك او قوى
الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى • لا ريب فيه • اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلث المذكورة
او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبرا او للمبتدا المقدر اخرا على راي من يجوز كون
الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب
والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس
مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على
الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف
التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب
خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب موجود او نحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله
والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وقد جعل خبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا
لما بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق
وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرا[بها]
ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما
يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس
فيه مظنة ان يرتاب في حقيقته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى
كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الآية الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض
كونهم في الريب لكون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته
العالية ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضي المقام تقديم
الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول • هدى • مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما
يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في
قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه
اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر ومحصله ان
الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال التوجه

واعتبار وجود اللازم

غير موصل قطعاً وهذا كما ترى مبني على امرين اعتبار الوصول وجوباً في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم
وجوباً في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى
والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهومهما على وجه مخصوص به يتحقق التقابل
بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال
لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعاً هل هو كاف في تحقق مفهوم الهدى
او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر في مفهوم الضلال قطعاً
اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى اعتباره مقارناً له في الوجود زماناً
حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي قطعاً لاستحالة
التوجه الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى الزيادة ولان التوجه الى
المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول حيث كان امراً مستمراً
مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لفارقه
في ذلك الآن مقابله الذي هو الوصول فانه ضلال ضلالاً لا يكون ضلالاً وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له
واجبة الترتب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي
كاخترام المنية مثلاً من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا ذلك من جهة المسلك ضلالاً اذ لا واسطة بينهما مع انه
لا جور فيه عن القصد اصلاً فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعاً وتبين منه عدم اعتباره
في مفهوم المتعدي حتماً واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوباً وهو الامر الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان
فعل الفاعل على حقيقته هو الذي يتجدد عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في الحقيقة في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر
ذلك في مدلول اسمه قطعاً ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى
مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة عرض له بالقياس الى اثر
من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك
الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلاً اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متماته واعتبرت الاضافة العارضة
له بحسبها داخلة في مدلوله كالايجاد المتعلق بالجسم مثلاً وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار
ذلك الجسم الذي هو اثر خاص لذلك الايجاد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر
آخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافة العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في
في آثاره الطبيعية واما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه اخرى
بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعياً
اليها فحيث كانت مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد
من متماته ولم يعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال
المامور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة

باعتبار

باعتبار ترتبهما عليهما غالباً لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما
غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من متماتهما ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة
في مدلول اسميهما بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة
اولا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الامتثال والاجابة فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن
المامور والمدعو باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم آثار الطبيعة التابعة للافعال الموجبة لها
وان كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك تهدي المهدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل صادر عنه
باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتباً عليها في الجملة
فكما لا يعدان من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم
انه لم يعد الهدى من متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها ان
قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر و
الدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكونهما ماموراً ومدعواً وليس من ضرورته اتصافهما بالامتثال
والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلاً بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي
يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني
للمفعول قطعاً وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدي
حتماً قلت كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال
والاجابة ايجاباً وسلباً كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي
الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة عن المصدر المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة كما
هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء عين الاجابة
فكيف يؤخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم
مطلقاً انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية
فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم
قطعاً فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلت ليس ذلك لكونه فعلاً اختيارياً على الاطلاق ولا لكون التعليم
عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس بمستقل في ذلك ففي اسناده اليه حرج بل
لان كلاً منهما مفتقر في تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها
الى ذهنه شيئاً فشيئاً على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يسبق اليه البعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما
متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل
للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متماتها ولا معتبراً في مدلولها ان قيل
التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتباراً
للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستبداد المتعلم

ففيه حرج

بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه فقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل الثقلين
الهدى على الهداية كتخلف التعلم عن التعليم في ذلك لكن ذلك تعليما في الحقيقة فلكن الهداية انما كذلك وليحمل التسمية
بها لا تستتبع الاهتداء بها على التجوز فلتا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان
تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الاهتداء عن الهداية فليس لقصور من جهتها بل انما
هو لقصور الموجب له من جهة المهدي بعدم تكامل ما يتم من قبل الاهتداء وبهذا التحرير يتضح طريق الهداية وتبين
انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان
يشترط في مدلولها الوصول او القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك
مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان نحو قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى
ولو شاء لهديكم اجمعين ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالات التكوينية المنصوبة
في الانفس والآفاق والبينات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة الى كافة
البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله سبحانه بلا اشتباه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله • للمتقين • اي المتصفين بالتقوى حالا او مآلا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون
من انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا للكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى
هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع
عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من ترك ما لا بأس
به حذرا من الوقوع فيما فيه بأس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن
محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرأ عن حوله وقدرته وقيل
التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل
تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين يدي
التقوى خمس عقبات لا ينالها من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة و
ايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحياة وعن بعض الحكماء انه لا
يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي
ممن ينظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلث
مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى و
الثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع
وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن
الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله

حق

حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات
استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الالهية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم
الانبياء عليهم السلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح
عن العروج الى معالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق
لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب
اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا
لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم
شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخريين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت
الحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخريين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية المرتبة
وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عني بالمتقين اصحاب
المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور
واما ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه وارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل
فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه
ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدأ خبره الظرف المتقدم
كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل
في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى
الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي
يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم
تتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر مبتدأ مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على
ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بما دلت عليه من
كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم تسجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا فضل اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما
يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها
اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن
معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة من مظنة الريب اذ لا انقص
مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى شانه
حسبما تحققته • الذين يؤمنون بالغيب • اما موصول بالمتقين ومحل الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى
بترك المعاصي فقط مرتبة عليه ترتب التحلية على التخلية او موضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من
فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ يكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصول اجمالا وذلك لانها مشتملة
على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية

والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عم الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام ادا دخلة بالموصوفين
بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها
عن سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات والنصب على المدح بتقدير اعني والرفع عليه بتقدير هم واما مفعول عنه
مرفوع بالابتداء وخبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف
على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به
وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع
مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا
ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع ردا لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله
وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد
خولف للافتنان اي التفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه في الحد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى
من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب اقول
لا ريب في ان حال الموصول عند كونه خبر المبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره اولئك على هدى في انه ينفك به
جملة اسمية معقودة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين
وان كلا من اتصافهم بالايمان وفرعه واحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل
ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعند الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعند الوقف تاما قلنا
السر في ذلك ان المبتدأ في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه
المبتدأ اجمالا حسبما تحققه معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم
ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان
الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى
المخبر عنه حقه ان يكون وصفا له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا
ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها اوصاف واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان
مشتملا على ما ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة بما يستحق به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا
عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل
تعدى الى اثنين يقال آمنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا من
التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق بالشيء صار ذا
امن وطمأنينة ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون اي ما وثقت
وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلعم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء
ونظائرها هل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول رأي الشيخ الاشعري ومن تابعه

فان

فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين
له خلا ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به
والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل
بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في
الكفر عند المعتزلة وقرئ يؤمنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم
الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره
واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو
قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه
دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الاخر واحواله من
البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما لتضمنه معنى الاعتراف او لجعله
مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من
الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون متلبسين بالغيبة اما
عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلعم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود
رضي الله عنه ذكروا اصحاب رسول الله صلعم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره
ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم تلا هذه الآية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين
لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد
بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذ للآلة
وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلثة اما للتقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي
يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به • ويقيمون الصلوة •
اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرائضها وسننها وادابها زيغ من
اقام العود اذا قومه وعدله وقيل من المواظبة عليها مأخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها
نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان
من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر
بالقنوت الذي هو القيام بالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على
الدعاء وقيل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده
واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه
بالراكع والساجد • ومما رزقناهم ينفقون • الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي
للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى

من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند
الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الطلق فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم
المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا
جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال
للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه عم في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله كتب علي
الشقوة فلا ارى ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي بالغناء من غير فاحشة من انه قال صلعم لا اذن لك و
لا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه
مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب
بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة
ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة و
تقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز
ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عم ان علما
لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون • والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك • معطوف على الموصول الاول على تقدير وصله بما قبله وفصله
عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط على تقدير الفصل اندراج خاص تحت
عام اذ المراد بالاولين الذين امنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن
بالغيب وبالاخرين الذين امنوا بالقران بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على
المتقين على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى و
بالكلية فيها من كمال القباحة والمنافية للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الاخرين فانهم غير تاركين
لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين
عبارة عن الكل مندرجا تحت الكل ولا توسط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما
في قوله الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح • فالغانم
فالآيب • للايذان بان كل واحد من الايمان بما اخبر الله من الامور الغائبة والايمان بما تشهد بثبوتها
من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل
ولا يجعل احدهما تتمة للاخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت
تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاول
تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء با
الايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين

مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الناطقة بتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها
مقرونا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون
بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين
الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين فليتأمل و
وان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول نوع خاص منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب بان
خصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم
واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط
تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان
يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم
السلام والمراد بما انزل اليك هو القران باسره والشريعة عن اخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه
مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك
التورية والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع
عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الاية
والايمان بالكل جملة فرض وبالقران تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل
عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد
قرئا على البناء للفاعل • وبالاخرة هم يوقنون • الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك
لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم
ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في
ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض
بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الاخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والاخرة
تانيث الاخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمها مجرى ضمة ما قبلها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله
لحب المؤقدان الى مؤسى • وجعدة اذ اضاءهما الوقود • وقوله تعالى • اولئك • اشارة الى الذين حكيت
خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك
الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز وعلا
• على هدى • خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه
ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي
عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء

ادراك واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه
وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى • من ربهم • متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته
الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره
ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغيرها والجملة على تقدير كون الموصول موصولا بالمتقين
مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب
هدى لهم فن من فنون ما انتظموا واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لا سيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز
والفلاح وقيل هو واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كانه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من
النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم
بذلك مالكون لزمام اصل الهدى الجامع لنعوته المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه و
لقد حاد عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون
الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونه مفصولا عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدا
الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه
الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين بذلك فاجيب
بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شؤونهم احقاء
بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلعم وبذلوا مهجهم في سبيل
الله تعالى اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من
استؤنف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك
احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب
للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها
وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون
الموصول الاول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدا واولئك خبره ويجعل اختصاصهم
بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون
في نيل الفلاح • واولئك هم المفلحون • تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم
وللتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف
في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم
اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة
الثانية مقررة للاولى واما الفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان
كل منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد

النسبة

النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك
وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الاخرة او الاشارة
الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة
على فنون الاعتبارات الرائقة اللائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الاية الكريمة من الترغيب في اقتفاء
اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرتهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق • ان الذين كفروا • كلام
مستانف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت
الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان
الاولى مسوقة لبيان رفعة شان الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما
هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستئناف مبني على
سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة
وتمادي بهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه
الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما اوثرت
هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير مجد للاخرين لان العنوان الاخير
ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على
الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في الدخول
على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل له
في الخبر بل هو باق على حاله يقتضيه الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انعقدت وكان
وقد زال بدخولها فلا بد من اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها
الاجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده • قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله
قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به
ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين
بما اسند اليه من قوله تعالى سواء الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع ولليل
كافر قال تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وقال لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي
غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار
بغير اضطرار ونظائرهما كفرا للدلالة على التكذيب فان من صدق النبي صلعم لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي
اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القران بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقية
المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم
لا يستدعي حدوث العلم • سواء • هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى • عليهم • متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان • أأنذرتهم ام لم تنذرهم • مرتفع

على الغاء عليه لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الامر والنهي عن معنييهما
في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب
لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدأ
وسواء عليهم خبره قدم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد
اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى
هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه
قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها
عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدأ وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى
المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف
للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله وعقابه على المعاصي والاقتصار
عليه لانهم ليسوا اهلا للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار
اهم من جلب المنافع وحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما
وبتوسيطها والثانية بين بين وتخفيف الثانية بين بين بلا توسيطه وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء
حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن • لا يؤمنون • جملة مستقلة
مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان
وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على راي من يجوزه عند كونه جملة والاية الكريمة مما استدل به على جواز
التكليف بما لا يطاق فانه تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم
اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم
ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي
اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة
عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى
يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان
الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه
لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن
حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلعم اجمالا على ان كون الموصول
عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول عم فضل الابلاغ
ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة • ختم الله
على قلوبهم • استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه وتاكيد له والمراد بالختم على القلوب العاقلة

ان صح

او بيان وتاكيد

من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له ولما فيه من التعرض لما في البيت الفارغ
والكيس المختوم الاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم
في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا
اما على طريق الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه
معقول بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة
الماضي واما على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها
ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما لاجلها حلولا مستتبعا
لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها
فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما يدور الامر في تصوير تلك الهيئة و
انتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل
في تحقق وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعدت له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء
منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز في المجموع
وحيث كان مجموع معاني تلك الالفاظ التي ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها من معانيها مدلولا
وضعيا لها لم يكن ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت
الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له ذهب قدماء المحققين كالشيخ
عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسما براسه ومن رام تقليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات
الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة
وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث
الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب
مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله
تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها
ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها
ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية من الفطن او بقلوب قدر ختم الله تعالى عليها كما في
سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطالت غيبته ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده
اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل
ايمانهم طريق سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم
بالكلية وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة
يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الاخرة
وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وتيقنه كقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم

بسمتهم يعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم • وعلى سمعهم • عطف على ما قبله داخل في حكم
الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك
من جميع الجوانب واعادة الجار للتأكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم
الايمان والاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل
هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم
الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو
الحامل لها وهو المراد ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم
في تلك الحال ولان جنايتهم من حيث السمع الذي به تتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث
البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من
البصر لانه عز وجل حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا اصم ولان السمع وسيلة
الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل وتقدير المضاف اي
على حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل • وعلى ابصارهم غشاوة • الابصار جمع بصر والكلام
فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها
للتفخيم والتهويل وهي على رأي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان
بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان
تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك واما الآيات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليهم حينا فحينا اوثر في بيان الختم
عليها وعلى ما هو طريق معرفتها اعني القلب الجملة الفعلية وعلى رأي الاخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ
بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم
على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة
ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع • ولهم عذاب عظيم • وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال
بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمي نقاخا
فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق على كل ألم فادح وان لم يكن عقابا
يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم
نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث
تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ووصف العذاب به لتأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في
ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من
الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من كله يا ارحم الراحمين • ومن الناس •
شروع في بيان من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون
اليه فنونا اخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة للاحوال الهائلة عاجلة وآجلة واصل ناس اناس

كما

كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف
ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم
وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها وبعضهم الى انه مأخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا
بذلك لنسيانهم وتروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام فيه اما للعهد
او للجنس المقصور على المعرضين حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او من اولئك والعدول الى الناس للايذان
بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او صفة لمقدر هو المبتدأ كما في قوله
عز وجل ومنا دون ذلك اي وجمع منا او ومن دون قوله تعالى • من يقول • موصولة او موصوفة ومحلها الرفع على
الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي او فريق
يقولون كقوله تعالى من المؤمنين رجال على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز
الصلة او الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع
في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفائدة كما قيل فان
مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا مدار الجواب عنه بان الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة
تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيتعجب منه وان جعل الناس عبارة عن
المعهودين او عن الجنس المقصور على المعرضين واياما كان فلا فائدة ظاهرة بل لا خيرة الظرف تستدعي ان يكون اتصافهم
مقولا بتلك الصفات الشنيعة المفصلة في حيز الصلة عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة
كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب في انه يحمل النظم الجليل على اخزل المعاني واركها وتوحيد الضمير في يقول
باعتبار لفظ من وجمعه في قوله تعالى • آمنا بالله وباليوم الآخر • وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت
الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما
بالذكر مع تاركيهما للادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل
منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما
ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوه لو صدر عنهم لا على
وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم • وما هم
بمؤمنين • رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي اتفاقي بخلاف
التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية لموافقة دعواهم المردودة للمبالغة في الرد بما افادته من انتفاء الايمان عنهم في
جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهم ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول
النفي عليها تفيد الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع
يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في

يجمع بينهما

يقولون

كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لا لاستمرار
عدم التعجيل حتى اطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان
بما ذكروا وقد يجوز ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الاية الكريمة ان من اظهر الايمان
واعتقد بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان التفوه بكلمة الشهادة فارغ
القلب عما يوافقه او ينافيه مؤمن • يخادعون الله والذين امنوا • بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما
يقولون او استئناف فوقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم
غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية
فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع
والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر
فيتخلص منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه ثم يخرج
من بابه الاخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها
الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يتقيه سائر الكفرة واياما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على
طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريق المجاز
العقلي بان نسب الى الله تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول عم ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر
واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين امنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى
والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على
معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم
وعلى جعلها استعارة تبعية او تمثيلا اما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام
الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال
الرسول عم والمؤمنين باجراء الله تعالى ذلك مجازاة لهم تمثيل صنعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل
مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المعنى لو لا عند وان الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له
لم يتصور منهم التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصور
المستهجنة وبيان ان غائلتها آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وجل • وما يخدعون الا انفسهم
فالتعرض لحال الجانب الاخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال
انهم لا يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغترونها
بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل
قال وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم
الاماني الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدّعون اي يتخدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول

وبعض

وبعض انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه
محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول
لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم • وقوله تعالى • وما يشعرون • حال
من ضمير يخدعون اي يقتصرون على خداع انفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اي ما يحسون بذلك لتمادي بهم في الغواية
وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي وما يشعرون بشيء اصلا لعدم لحوق وبال خدعهم بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس
الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس مختل المشاعر • في قلوبهم مرض • عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب
الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة
لما يفيده قوله تعالى • فزادهم الله مرضا • بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها
والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم
كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا
لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء
الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلعم بانزال الملائكة وتاييده بفنون النصر والتمكين
فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ حينئذ استئناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله الخ كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا
يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا • ولهم في الاخرة • عذاب اليم • اي مؤلم
يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف العذاب به للمبالغة في قوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده
فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت
كما سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض • بما كانوا يكذبون • الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في
الحقيقة على يكذبون وكلمة كان مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدده اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو
قولهم آمنا بالله وباليوم الاخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ولو سلم فهو متضمن
للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي المعتبر في الايمان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر بناء
على رأي من يجوز الكون لكان ان فيه مصدر كما صرح في قول الشاعر • ببذل وحلم ساد في قومه الفتى • وكونك اياه عليك يسير
اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية اما لان المراد بيان
العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حيث اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على
الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف حتى لم يكن
لكمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات
شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه وعن الصديق رض ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلعم اياكم والكذب
فانه مجانب للايمان وما روي ان ابرهيم عم كذب ثلث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة

والعائد محذوف أي بالذي يكذبونه وقرئ يكذّبون والمفعول محذوف ويحتمل أن يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في بيّن في بان
وقلّص في قلص أو للتكثير كما في موّتت البهائم وبرّكت الإبل أو من كذّب الوحشي إذا جرى شوطاً ثم وقف
لينظر ما وراءه فإن المنافق متوقف في أمره متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب • وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض
شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق وإذا ظرف زمان مستقبل ويلزمها معنى الشرط غالباً
ولا يدخل إلا في الأمر المحقق أو المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الإنهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة
لا تفسدوا على أن المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح
مقابله والفساد في الأرض تهييج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن أحوال العباد واختلال
أمر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي إلى ذلك من إفشاء أسرار المؤمنين إلى الكفار وإغرائهم عليهم وغير
ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما تلك عاقبته
وهو إما معطوف على يقول فإن جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الإعراب ولا بأس بتخلل
البيان والاستئناف وما يتعلق بهما بين أجزاء الصلة فإن ذلك ليس بتوسيط بالأجنبي وإن
جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من إذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الإفساد
في الأرض قالوا إراءة للناصحين أن ذلك غير صادر عنهم مع أن مقصودهم الأصلي إنكار كون
ذلك إفساداً وادعاء كونه إصلاحاً محضاً كما سيأتي توضيحه إنما نحن مصلحون أي مقصورون
على الإصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الإفساد والفساد مشيرين بكلمة إنما إلى أن ذلك من الوضوح
بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه وإما كلام مستأنف سيق لتعديد شنائعهم وإما عطف على يكذبون
يعني ولهم عذاب بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الإفساد إنما نحن مصلحون كما قيل فيأباه أن هذا
النحو من التعليل حقه أن يكون بأوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان
لشهرة الاتصاف بها عند السامع وسبق ذكرها صريحاً كما في قوله تعالى كانوا يكذبون فإن مضمونه عبارة
عما حكي عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر أو لذكر ما يستلزمه استلزاماً ظاهراً كما في قوله عز وجل
إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فإن ما ذكر من الضلال عن سبيل الله
مما يوجب نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه أن يخبر بعليته قصداً
كما في قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله تعالى ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق الآية إلى
غير ذلك ولا ريب في أن هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم
الانتساب إليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى تستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فإذن حقها
أن تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على أحد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الأوصاف
قصداً واستقلالاً وقوله عز وجل • ألا إنهم هم المفسدون • ينادي بذلك نداء جلياً فإنه رد
من جهته تعالى لدعواهم المحكية أبلغ رد وأدله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدي إلى زيادة

تمكن

تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقق ما بعدها فإن الهمزة الإنكارية
الداخلة على النفي تفيد تحقيق الإثبات قطعاً كما في قوله تعالى أليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع
ما بعدها من الجملة إلا مصدرة بما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان
موضوعان للتنبيه والاستفتاح وإن المقررة للنسبة وعرّف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصر
أنفسهم على الإصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى • ولكن لا يشعرون • للإيذان بأن كونهم مفسدين
من الأمور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما
ولولا أن المراد تفصيل جناياتهم وتعديد خباياهم وخفاياهم ثم إظهار فسادها وإبانة بطلانها لما فتح
هذا الباب والله أعلم بالصواب • وإذا قيل لهم • من قبل المؤمنين بطريق الأمر بالمعروف إثر نهيهم عن المنكر
إتماماً للنصح وإكمالاً للإرشاد • آمنوا • حذف المؤمن به لظهوره أو أريد افعلوا الإيمان • كما آمن الناس •
الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف أي آمنوا إيماناً مماثلاً لإيمانهم فما مصدرية أو كافة
كما في ربما فإنها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين أي حققوا
إيمانكم كما تحقق إيمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل
فإن اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعاً للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك
فيقال هو ليس بإنسان وقد جمعهما من قال إذ الناس ناس والزمان زمان أو للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم
ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأضرابه والمعنى آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص متمحضاً من شوائب
النفاق مماثلاً لإيمانهم • قالوا • مقابلين للأمر بالمعروف بالإنكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد أوصافهم الحسان
• أنؤمن كما آمن السفهاء • مشيرين باللام إلى من أشير إليهم في الناس من الكاملين أو المعهودين أو إلى الجنس بأسره وهم
مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والأناة وإنما نسبوهم
إليه مع أنهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية
وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالاً أو لتحقير شأنهم فإن
كثيراً من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد
بالناس عبد الله بن سلام وأمثاله وأياً ما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل أن
يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين جواباً عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه أولئك المشاهير
الأعلام والقدح في إيمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا
قالوا ينبغي أن يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الإمام الواحدي إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم
لا عند المؤمنين فأخبر الله تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم وأنت خبير بأن إبراز ما صدر عن أحد المتحاورين في الخلاء
في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلاً عما هو في منصب الإعجاز فالحق الذي لا محيد
عنه أن قولهم هذا وإن صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فإنه ضرب من الكفر أنيق وفن من النفاق عريق
مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما أنه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاماً ترضاه

ونحوه وللتعبير بأن يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلعم استهزاء به مظهرين ارادة
المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر
في تفسيره وللخير بأن يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما آمن السفهاء
والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تأمرونا بذلك فقد خاطبوا به الناصحين استهزاء
بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا • الا انهم هم السفهاء ولكن لا
يعلمون • ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التأكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة
مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر في قوله تعالى انما نحن مصلحون فان
حمله على المعنى الاخير كما هو رأي الجمهور مناف لما اهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كونهم ما نهوا عنه من الافساد
واصلاحا كما تر اظهار منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم
للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى الا انهم
هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجئ
الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى
ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين
للاصلاح ويأتيهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا يعاشرونهم الا مضادة للدين
وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب
وانكار صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الافساد وقد خاطبوا به
الناصحين استهزاء بهم وارائة لارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون
لانه والله سبحانه اعلم بما اودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية الى
سواء الطريق وتفصيل هذا ان الآية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو جهل وابلغ في ذلك مما لا
يتأتى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون المتصف به مفسدا
فامر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون • واذا لقوا الذين آمنوا
قالوا آمنا • بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين وما سيق
صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض هناك لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير
روي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضه فقال ابن ابي انظروا كيف
ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله صلعم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله عم ثم اخذ بيد عمر رضه فقال مرحبا بسيد بني عدي
الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلعم ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه مرحبا يا بن عم رسول
الله عم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلعم فنزلت وقيل قال له علي رضه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق
فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال مهلا يا ابا الحسن اني اتقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم

ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما
عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلعم فاخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته
وقرئ اذا لاقوا • واذا خلوا • من خلوت بفلان اي انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم
خلاك ذم اي جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى • الى شياطينهم •
لتضمنه معنى الانهاء اي واذا انهوا اليهم السخرية اه وانت خبير بان تقييد قولهم المحكي بذلك لا نهاية مما لا وجه له والمراد بشياطينهم
المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين
والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان اصلية تارة فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من
الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل
وقيل معناه هاج واحترق • قالوا انا معكم • اي في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة
الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للانباء عن صدق رغبتهم
ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج
ادعاء الكمال فيه والثبات عليه • انما نحن • اي في اظهار الايمان عند المؤمنين • مستهزءون • بهم من غير ان يخطر ببالنا
الايمان حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال ناش من ادعاء المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين
في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزءون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم انهم يهينون
المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تأكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام
فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزئت واستهزأت بمعنى واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع
وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع به وتخف • الله يستهزئ بهم • اي يجازيهم على استهزائهم سمى جزاءه
باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمشاكلة اللفظ او لمقارنته في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ
بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام
المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبما يروى انه يفتح لهم باب
الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما
استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم
عليهم ذلك حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم الى
المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من
النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف به وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب
عنه قوله عز قائلا او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين في اكثر الاوقات من تهتك
استار وتكشف اسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما اعرب عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج ما تحذرون • ويمدهم • اي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش
وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما بالحبر والزيت وايثاره على يزيدهم للاشعار على ان ذلك

رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء المتمكن في صورة المعروف واظهار الوحشي في هيئات
المألوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر
الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالتعويل فيما
بين كل حاضر وباد واستعير لكل حال او صفة او قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شيء
آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة
التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشأن ● كمثل الذي ● اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد
الضمير في قوله تعالى استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم وضع العام مقام القائمين لان المقصود
بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة الى وصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته
ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه
فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شأن اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة
على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد و
النار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاستيقاد طلب وقودها
اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم ● فلما اضاءت ما حوله ● الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول
المستوقد او فعل الاستضاءة ما حوله والتأنيث لكونها عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما
حوله على ان ذلك ظرف لا انه اوقع ان النار المنزل منزلتها لا تنفعها او ما زائدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل
للعام حول لانه يدور ● ذهب الله بنورهم ● النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار
المعنى اي اطفأ الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد
لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شبت ضرامها ونحو ذلك وهو جواب لما او
استئناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة
التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز
والامن من الالتباس كأنه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين
بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او
امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك
يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء
الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم
الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى ● وتركهم في ظلمات لا يبصرون ● فان الظلمة التي هي عدم النور
وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت مضاعفة متراكمة تراكب بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من
قوله تعالى لا يبصرون اذ لا يتحقق الابصار ان لا يبقى من النور ولا اثر واما ان كان المراد بالنار ما لا يرضى به الله من النار المجازية

ظلمات صح

الى

التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من
باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها الى طرق العبث والفساد
فاطفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب
قال ● فتركته جزر السباع ينشنه ● يقضمن حسن بنانه والمعصم ● والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا
اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وفي ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون
من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمة الكفر والنفاق
المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم و
ظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه
من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة
لا يتسنى فيها الابصار ● صم بكم عمي ● اخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين وخبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم
هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء
وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه بحيث
لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه ان يبصر وصفوا
بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات
والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات
الظاهرة على يدي رسول الله عم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين التدبر
واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كالفاقدين لتلك المشاعر بالكلية وهذا عند محققي
سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال ● ويصعد حتى
يظن الجهول ● بان له حاجة في السماء ● لا ان المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى
ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير ● لدى اسد شاكي السلاح مقذف
له لبد اظفاره لم تقلم ● فهم لا يرجعون ● الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة
لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل و
تفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق ولا لاختلال مشعر الابصار
وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس
مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا
بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم لا يرجعون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون
وكيف يرجعون الى ما ابتدءوا منه والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على
الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم
او المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضمير للمستوقدين ● او كصيب ● تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها

كل ذي فنون وحليل وتوفيه حقها من التقطيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق بان
يضرب في شأنه الامثال ويرخى في حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان
كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما
ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف
المضاف لما سيأتي من الضمائر المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه
التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق
على المطر وعلى السحاب قال الشماخ • عفا آية نسج الجنوب مع الصبا • واسحم دان صادق الرعد صيب • ولعل الاول هو المراد
ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الاول واقتدحه ما فيه من المبالغات من جهة
مادته الاصلية التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية اعني الصوب المنبئ عن شدة
الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب • من السماء • متعلق بصيب او بمحذوف وقع
صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع
بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها اي
كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال فاوه لذكراها اذا ما ذكرتها • ومن بعد ارض بيننا وسماء • قال تعالى واوحى
في كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام
لتعريف الماهية • فيه ظلمات • اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم
المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته
مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل
الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الخ لما افاد ان للصيب ظلمة
خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها • ورعد • وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام
السحاب بعضها ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياها سوقا عنيفا • وبرق • وهو
ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار كونهما في
اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الطبقة الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات
شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على القاعدة المحققة من شرط العمل بالاتفاق
وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في
الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في قوله عز وجل • يجعلون اصابعهم في آذانهم • للمضاف
الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما في قوله عز وجل وكم من قرية
اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير للاهل المدلول عليه بما اقيم مقامه من القرية قال حسان
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فان تذكير الضمير المستكن في يصفق
لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانث حتما وايثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار

على الادخال

على الادخال المعتاد لمجرد الاسناد الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما ان ايراد
الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سد باعتبار الذات كانهم يسدونها بجملتها لا بانامل فحسب كما هو المعتاد ويجوز
ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يقدرون على ما لا يهتدون الى استعمال
الجوارح على الوجه المعهود وكذا الحال في عدم تعيين الاصبع المعتاد اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب
والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال ناش من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا
يصنعون في تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله عز وعلا • من الصواعق • متعلق بيجعلون اي
من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من الغيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها شقة نار لا تمر
بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة
كما في الراوية او مصدر كالعافية وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته
بالاحراق او بشدة الصوت وسد الآذان انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقرئ من الصواقع
وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر
بخطبته • حذر الموت • منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله • واغفر عوراء الكريم ادخاره
واعرض عن شتم اللئيم تكرما • ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اي
يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال
الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة
• والله محيط بالكافرين • اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم
باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط
مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة
والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة
والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل • وفائدة وضع الكافرين
موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى
كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ من السخط اشد وقيل
هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب
الله تعالى في الدنيا والآخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تأخيره لاظهار كمال العناية
وفرط الاهتمام بشأن المشبه • يكاد البرق • استئناف آخر وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع
ذلك البرق فقيل يكاد ذلك • يخطف ابصارهم • اي يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت
لمقاربة الخبر من الوجود لتأخذ اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او وجود مانع فلا يكون
خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله • فأبت الى فهم وما كدت آيبا • وكذا
مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في مثل قول رؤبة • قد كاد من طول البلى ان يمصحا • كما تحمل هي عليها بالحذف لاشتراكهما

من المقارنة في اصل المقاربة وليس فيها شائبة الاستثنائية كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء و
يخطّف ويخطّف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة الطاء الى الخاء وادغامها في الطاء ويخطّف بكسرهما على
اتباع الياء الخاء ويخطّف من صيغة التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم • كلما اضاء لهم
كلما ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اي كل زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت و
العائد محذوف اي كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في كلما جوابها وهو استيناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون
في اثناء ذلك الهول أيفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلما نوّر البرق لهم ممشى ومسلكا
على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة كلما ضاء • مشوا فيه
اي في ذلك المسلك او مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي
والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم • واذا اظلم عليهم • اي خفي البرق واستتر والاظلام وان كان [illegible]
لما كان مع الاظلام واثرا على الاستتار اسند اليه مجازا الحقيقة لما اريد من المبالغة في موجبات تخبطهم وقد جوز
ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وقد جاء في قول ابي تمام • هما اظلما حاليّ ثمت اجليا • ظلاميهما عن وجه
امرد اشيب • ويعضده قراءة اُظلم على البناء للمفعول • قاموا • اي وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من
الهيبة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجأ يعصمهم وايراد كلما
مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصحح كلما وجدوا فرصة انتهزوها
ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف • ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
• كلمة لو لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء
ومن قضيته مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل و
قيل والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة
عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران
الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين • ولو شئنا لهدينكم اجمعين • وقولك لو جئتني لاكرمتك
فظاهر لان وجود المشيئة علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا
بحكم المفروضية فانتفى معلولاهما حتما ثم انه يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في الايتين
المذكورتين وهو الاستعمال الشايع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق للاستدلال
بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة
وعدم سبقهم الى الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فتعين انتفاء الملزومين
حقيقة في الاول وادعاء باطلاقي الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق
السببية الخارجية كما في المادة الاولى بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء
الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي

كما

كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي
ضوء كان كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الخاص الناشي من الطلوع ولا ريب في
انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق
مدار اخر له اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة
كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة متعلق بسبب اخر له
ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو ليس مدار الوجود الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا عن
تحقق مدار اخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب اخر كالقمر مثلا ولا شبهة في ان هذا الجزاء منتف
عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما في
قوله صلعم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر
في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته بل مجامع
له ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشئة من كونها ربيبته والحرمة الناشئة من كونها
ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار اخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على
ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند
وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذن لامسكتم وقوله عم
لو كان الايمان في الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا
فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث تجب ثبوتها
مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية
في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار [illegible] في تفسير قوله تعالى
او لو كنا كارهين • وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على عدم تعليق العصيان
في ضمن عدم الخوف بمدار اخر كالحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة
وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والاية الكريمة واردة على الاستعمال الشايع
مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من الطوارق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت
مشيئة الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها
مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشيئة محذوف جريا على القاعدة
المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما
في قوله • فلو شئت ان ابكي دما لبكيته • عليه ولكن ساحة الصبر اوسع • اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم
وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما
في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية
في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والافراد في المشهورة لان السمع مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة

زائد منه الى هنا

معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستئنافية وقيل على كلما أضاء الخ وقوله عز وجل ● إن الله على كل
شيء قدير ● تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على إزالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء
بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على أنه في الأصل مصدر شاء أطلق على المفعول
واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والإخبار عنه فقط وقد خص ههنا بالممكن موجودا كان
أو معدوما بقرينة اختصاص تعلق القدرة به لما أنها عبارة عن التمكن من الإيجاد والإعدام الخاصين
وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء
كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده أنه إن شاء إبقاءه
على الوجود أبقاه عليه فإن علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وإن شاء إعدامه أعدمه
ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه أنه إن شاء إيجاده أوجده وإن لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الإنسان
هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه واشتقاق القدرة من القدر لأن
القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه إرادته أو بقدر قوته وفيه دليل على أن مقدور العبد مقدور الله تعالى حقيقة
لأنه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم أن كل واحد من التمثيلين وإن احتمل أن يكون من قبيل التمثيل المفرق
كما في قوله كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بأن يشبه المنافقون
في التمثيل الأول بالمستوقدين وهداهم الفطري بالنار وما بيدهم أيامئذ مما يشاهدونه من الدلائل باستيقادها
وتمكنهم التام من الانتفاع به بإضاءتها ما حولهم وإزالته بذهاب النور أي وإخلادهم الضلالة بمقابلته
بملابستهم الظلمات الكثيفة وبقاؤهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقرآن وما فيه من العلوم
والمعارف التي هي مدار الحياة الأبدية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والأحزان وانكساف البال بالظلمات
وما فيه من الوعد والوعيد بالحمل من بهول الرعد والبرق فيما فيه صواعقه فيسترون آذانهم منها والإخلاص منها
واحترازهم بما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم في أمرهم
حين عن لهم مصيبة بوقوفهم إذا أظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات
الواقعة في أحد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات
الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة أخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بأن ينتزع من
المنافقين وأحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيل هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين وأصحاب الصيب
وأحوالهم المحكية هيئة تحاذيها فتشبه كل واحدة من الأوليين بما يحاذيها من الأخريين هو الذي يقتضيه
جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل لاشتماله على التشبيه الأول إجمالا مع مزية زائدة هي أمر زائد
هو تشبيه الهيئة بالهيئة وإيذانه بأن اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بأن تكون مثلا في الغرابة
● يا أيها الناس اعبدوا ربكم ● إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق
مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق وأخرى
مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال وبين ما لهم من المصير والمآل أقبل

عليهم

عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم إلى الإصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة
بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به
القريب تنزيلا منزلة البعيد إما إجلالا كما في قول الداعي يا الله ويا رب وهو أقرب إليه من حبل الوريد
استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين وإما تنبيها على غفلته وسوء
فهمه وقد يقصد به التنبيه على أن ما يعقبه أمر خطير يعتنى بشأنه وأي اسم مبهم جعل وصلة إلى نداء المعرف
باللام لا على أنه المنادى أصالة بل على أنه صفة موضحة له مزيلة لإبهامه والتزم رفعه مع انتصاب محله
إشعارا بأنه المقصود بالنداء وأقحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيدا لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه أي من المضاف
إليه وما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من أسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل
المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الأحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة
بأن تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الأبية ويتلقوها بآذان واعية وأكثرهم عنها غافلون فاقتضى
الحال المبالغة والتأكيد في الإيقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما أن
الجموع المعرفة باللام وأسماءها المحلاة بها للعموم بدلالة صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في
قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة رضي الله عنهم بعمومها شائعا ذائعا وأما من عداهم
ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وإنما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة
أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم إلى قيام الساعة ولا يقدح
في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من أن كل ما نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي إذ ليس من ضرورة
نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه بأهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار إذ لم يكن
كل أهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الأمر لما أن المأمور به القدر
المشترك الشامل لإنشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع أنها متكررة حسب تكرر أسبابها و
لا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم أعني الإيمان لأن الأمر بها منتظم للأمر بما لا تتم إلا به وقد علم من الدين
ضرورة اشتراطها به فإن أمر المحدث مستتبع للأمر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم
أفعال القلوب أيضا لما أنها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن كل ما
ورد في القرآن من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا وأطيعوا ولا في كون بعض الفريقين
الآخرين ممن لا يجدي فيهم الإنذار بموجب النص القاطع لما أن الأمر لقطع الأعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس
في وسعهم من الإيمان بعدم إيمانهم أصلا إذ لا قطع لأحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك
لكونهم في أنفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا أن كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر أصلا نعم تخصيص
الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وأنتم تعلمون وإيراده تعالى بعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الأمر بالإشعار بعليتها للعبادة ● الذي خلقكم ● صفة أجريت عليه سبحانه للتبجيل
إثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو أعم من الرب الحقيقي

والالهة التي تسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل
اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب
وهو يتمم ما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة
بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد
بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بان يتناول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمتمكنين
يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عدا من عاصرهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول
عندهم اتفاقا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا به كما نطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله
للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ وخلقكم من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام
الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم اللام بين المضافين في لا ابا لك او بجعله موصوفا بالظرف خبرا
لمبتدأ محذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوضعي لكلمة لعل انشاء توقع امر متردد
بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل
اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل لان معاني الانشاءات قائمة به
واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة
للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الاية الكريمة
جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان
يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه
امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل
استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بان
يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك
هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل في الهيئة الاولى
ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة
المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا وان جعل
المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فالامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد
عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب
المخاطبين على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان
خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى
باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب
الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان يكون هي علة

غائية

غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال والعلة لتكميل عليته للمأمور به
وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد
ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعي جهة المخاطب فلعل في معناها
الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى و
الفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته
وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام للعدد المنتسبين لسر انتسابه والثبات
عليه ليترجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب الخالد المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل
او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقدم من فوات الاشعار بكون
الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا على
تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل واما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة
المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما براهم مستعدين
للتقوى جامعين لمباديها الافاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة
مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الاية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته
على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقتضي
بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى
شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذي جعل لكم الارض فراشا وهو في حيز النصب على انه
صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في حيز الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ قالوا في
ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وحذف المبتدأ في المرفوع
اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدأ خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي في خبر تعلقه
فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شأنا وجعل بمعنى صير
والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين و
تقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نعمة من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخر ما
حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه
من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع ما في طبعها
الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة
ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصحح لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا والسماء بناء عطف
على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم
والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة او سماوة كما قيل والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان

وانزل

او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا • وانزل
من السماء ماء • عطف على جعل اى انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روى عنه عم والمراد
بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار فى موضع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة
بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اى كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديمه على الوجه الاول مع
ان حقه التأخير عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبدؤه واما لما مر من التشويق مع ما فيه من مزيد انتظام بينه
وبين قوله تعالى • فاخرج به • اى بسبب الماء • من الثمرات رزقا لكم • وذلك بان اودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة
منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة
منهما وان كان المؤثر فى الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مبادى ومواد
كما ابدع نفوس المبادى والاسباب لكن له عز وعلا فى انشائها متقلبة فى الاحوال ومتبدلة فى الاطوار من بدائع
حكم باهرة تجدد لاولى الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس فى ابداعها بغتة ومن للتبعيض
لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعنى ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فا
خرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل
الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه
كقولك انفقت من الدراهم الفا وجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق
وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة فى قولك ادركت ثمرة
بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون
وقوله تعالى ثلثة قروء او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه
بمعنى المرزوق اى رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم • فلا تجعلوا لله
اندادا • وانما قيل اندادا باعتبار الوقوع لا لان مدار النهى هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين
المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التى عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة
والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما فى قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء
للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهى او الانتهاء او لان مآل النهى هو الامر بتخصيص العبادة به
تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوه بها والاظهار فى موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفى منصوب باضمار ان
جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثانى ولا ريب فى ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذى
هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل فاطلع فى قوله تعالى لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى اى خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل فى
بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذى
جعل الخ على تقدير رفعه على المدح اى هو الذى حفظكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه
ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهى مع عراقتهما فيها وقيل خبر للموصول بتأويل مقول فى

حقه

حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى مذهب الاخفش من تنزيل الاسم الظاهر منزلة المضمر كما فى قولك زيد قام ابو عبد الله
اذا كان ذلك كنيته والند المثل المنادى من ند ندودا اذا نفر وناداه خالفه خص بالمخالف المماثل بالذات
كما خص المساوى بالمماثل فى المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى فى
صفاته ولا انها تخالفه فى افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها
ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع
عليهم بان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفى ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا
واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله
• وانتم تعلمون • حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهى من قبح المنهى عنه ووجوب الاجتناب عنه والمعنى
انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الراى او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان
ذلك او تعلمون انه لا يماثله شىء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما فى قوله هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا
هو الذى يستدعيه عموم الخطاب فى النهى وجعل المنهى عنه القدر المشترك المنتظم للانشاء والانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة
والثبات عليه كما هو شأن المؤمنين حسبما مر مثله فى الامر واما صرف التقييد الى نفس النهى فيستدعى تخصيص
الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهى على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن
من العلم بل انما يتأتى بطريق المبالغة فى التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطى القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك
انما يتصور فى حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهى مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت
اليس فى تخصيصه بالكفرة فى الامر والنهى خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السباق والسياق
اذ لا محيد فى آية التحدى من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة مع ما فيه من رباء محل المؤمنين ورفع شأنهم عن حيز الانتظام
فى سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر فى صدر السورة الكريمة مستغنون فى ذلك
عن الامر والنهى قلت بلى انه وجه سرى ونهج سوى لا يضل من ذهب اليه ولا يذل من ثبت قدمه عليه فتامل
• وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا • شروع فى تحقيق ان الكتاب الكريم الذى من جملته ما تلى من الآيتين الكريمتين
الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد نزل من عند الله عز وجل على رسوله عم وان ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية
الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر فى مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التى من جملتها تنزهه
عن ان يعتريه ريب وانما التعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى
ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا فى غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو
الارتياب فى شأنه واما الجزم المذكور فخارج عن دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه
ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها
وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة فى تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب
فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم

فيه واحاطته بهم لا بنائه على اعتبار ضعفه وقلته كما ان ما في المتعينة من معنى ذلك مسود وام ملكا به تشعر بقوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة
بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه عن ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة
عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه
بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء
التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى الانكار فجعل ذلك من مبادي الاعتراف
كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه
فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون من التبكيت وازاحة العلل
وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به تعالى
وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان
الارتياب فيما انزل عليه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله
للتعجيز والقاء الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر او الاتيان
بالمأمور به لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للامر ولو مطلقا ولكن على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر
كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم
المترجمة واقلها ثلاث آيات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها
او محتوية على فنون رائعة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حرار
قد تسور في المجد ليس غرابها بمطار فان سور القرآن مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من
حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القارئ شيئا فشيئا وقيل واوها
مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشيء والقطعة منه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة
لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة
سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو
مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار العجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم
حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم به يأباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التسليم على تقدير
تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير رد وقيل هي زائدة كما هو راي الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله وعشر سور مثله
وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزي بالاتيان بشيء منه وقد
عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية يهون الخطب في الجملة خلا ان تخصيص
التحدي بفرد من افراد البشر عري عما ذكر من المبالغات المنافية للاتيان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم
بل ربما يوهم قدرته على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يستدعي عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة
وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى
وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما اتى به واحد من ابناء

جنسهم

جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر ودون ادنى مكان من الشيء يقال
هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف و
الرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الآخر فجرى مجرى اداة الاستثناء
وكلمة من متعلقة بادعوا فيكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم كائنا
من كان او الى حاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون في الملمات وتعولون عليهم في
المهمات او القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من امنائكم المتوكلين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة
او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه من حكم الدعاء في الاول مع اندراجه في الحضور
لتاكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى
لاجابهم اليه واما في سائر الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له فاخرى
استظهارهم على سواهم والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون اولياء الله
شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة من قبله ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم يأبون ان
يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي لاولئك الرؤساء
وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فيصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان ذلك
ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعون حقيته ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثلية ما
اتوا به للمتحدى به فمع عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشيء مشتبه الحال متردد بين المثلية
وعدمها وانهم ادعوا مماثلته له مستشهدين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس
والنهي عن الاستشهاد به تعالى واني لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا نبسوا ببنت شفة واما متعلقة بشهداءكم و
المراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم
اي ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز
والتعبير عن الاصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها فانهم كانوا يزعمون انها بمكان من الله تعالى وانها تنفعهم بشهادتها
لهم انهم على الحق فان ما هذا شانه يجب ان يكون لهم في كل امر مهم وملجأ يأوون اليه في كل خطب ملم كانه قيل وتلك عدتكم
فادعوهم لهذه الملمة التي دهمتكم وفي الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الالوهية
الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان من الشيء
لمعنى امام كما في قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفا لغوا
معمولا لشهداءكم لكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة الى الاعتماد ولا الى تقدير يشهدون اي ادعوا شهداءكم الذين يشهدون
لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات
تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان القيام بهذا الامر في ذلك المقام الخطر حقه ان يستعان به في كل مرام وفي امرهم على الوجهين
بان يستظهروا في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من مبهما تبعيضية
لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل ابتداء من بعض تينك

بالجهتين كما تقول حيته من الليل تريد بعض الليل وقد تعالى كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر
الظروف التي لا تتصرف فيكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تنجر الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء
القوم ووجوه المحافل والمحاضر دون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به
مثله متجاوزين في ذلك اولياء الله تعالى ومحصله شهداء مغايرين لهم ابتداء بانهم ايضا لا يشهدون بذلك وانما قدر
المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام
والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء الامين لهم
الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذارا من اللائمة
وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا
وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لاولئك الشهداء او ايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء
واحتاجوا في اثبات مثليته للتحدي به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك • ان كنتم صادقين • اي في زعمكم
انه من كلام عم وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله والاستلزام
المقدم للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عم في البشرية
والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ
الوقائع والايام لا سيما عند المعارضة والتعاون ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به
ودواعي الامر به • فان لم تفعلوا • اي ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعدما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل
حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهوره لكن على ذلك
وانما اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المامور به مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل والتكرير مع سر سري يستقل
به المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول فان مدلول لفظ
الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل
خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل وانما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج
عن مدلول الفعل المطلوب وانما يستفاد ذلك من الفعل الذي صرح به ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد
الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء
والمنع يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني باخ لكم من ابيكم
فانه لما كان مقصوده عم بالامر وغرضه بالتكليف منه الاستحضار بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية
لهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول
فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا لمطلبه واعرابا عن مقصده هذا وقد قيل اطلق الفعل واريد به
الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها حذرا عن التكرار
واما على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر وايثار كلمة ان
المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكما بهم • ولن تفعلوا • كلمة لن

لنفي

لنفي المستقبل كلا خلا ان في لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها
نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهي احدى النواصب على المضارع والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية مقررة لمضمون مقدمها ومؤكدة
لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء
يداينه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف • فاتقوا النار • جواب للشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد اذ
بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله تعالى
فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة
بها للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكنى
عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم
الايمان به سببا لاستحقاقكم للعقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار • التي وقودها الناس والحجارة • صفة للنار موزونة
لها زيادة تهويل وفظاعة اعاذنا الله تعالى من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر
سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب ويابس
الا احرقته لا كنار الدنيا تفتقر في الالتهاب الى وقود من حطب وحشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول
معتقبة لكون انتسابها اليها معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوا من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول عم او سمعوا
قبل هذه الاية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير ههنا الى ما سمعوا اولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم
كون جميع اياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصلة يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب
فالخطب فيه هين لما ان المخاطب معاك المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلعم والمراد بالحجارة الاصنام
وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية • اعدت للكافرين • اي هيئت للذين
كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة و
وضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة
موجودة الان والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به ومبينة لمن اريد
بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة
او عطف على الصلة بترك العاطف • وبشر الذين آمنوا • اي بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لا على
ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين
به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين
حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار
بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا
ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث
المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلعم وقيل لكل من يتاتى منه التبشير
كما في قوله صلعم بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فانه صلعم لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد

يأتي منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شأنه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة
الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه • وعملوا الصالحات • الصالحة كالحسنة
في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها
جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين
في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين
فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه • ان لهم جنات • منصوب بنزع الخافض
وافضاء الفعل اليه او مجرور باضمار مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل
والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا • اي نخلا طويلا
كانها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس الستر وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس
ما فيه الكرم فحق المصدر حينئذ ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يكاد يوصف
من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما
جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب
درجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها • تجري من تحتها الانهار • في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها
الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وان
اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة
تجري من غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في
قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وعلا فيها انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها
المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي
او المجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب • كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل • صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار احوال المتنعمين بها او خبر
مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا
او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل
حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ
من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا قدم على المبين كما في قولك رأيت
منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت
الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه من قبل عندنا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه
بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غير المعروف
ولتبين لهم مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لانه
طعامها متشابه الصور كما يحكى الحسن رح ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول

للملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عم قال والذي نفسي بيده ان الرجل
من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب
لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك
التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون
كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه المرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث
اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا
هذا وقد فسرت الآية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة
الحال فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما
فيها من فنون الكرامات من قبيل ثواب الطاعات • واتوا به متشابها • اعتراض مقرر لما قبله والضمير على الاول
راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغنى
والفقر وعلى الثاني الى الرزق • ولهم فيها ازواج مطهرة • اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة على
الحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهر يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال • واذا العذارى بالدخان تقنعت •
واستعجلت نصب القدور فملت • فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد وكسر الهاء
بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه والتطهير
فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له
قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار البقاء النوعي حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة
لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارية للبقاء الغذاء ليست معتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى
يمتنع ذلك اطلاقه على ثمار الجنة • وهم فيها خالدون • اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم
ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد
في قوله تعالى خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يقتضيه من الآيات
والسنن وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك
مداره قياس ذلك العالم الكامل بما نشاهده في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق بحيث لا يعتورها
الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متعادلة في الكيفيات متساوية في القوى بحيث لا يقوى شيء منها
عند التفاعل على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينهما
ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على
المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقتضيه الاستقراء وكان ملاك الامر جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان
جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها

وبدوا امها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من العقد والعمل • ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة • شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه
من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والعام الحجر وافحام
كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رض ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار
والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطا عنه ان هذا الطعن كان من المشركين و
روى عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من
دون الله اولياء الاية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة
الى كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن التكبير بل من هو اوضح
ذلك لكونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا والتمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود
في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن
معارضته للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما يرتضيه
ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضيته
وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة
ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد
واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل
وهو حي واشتقاقه من الحيوة واشتقاق شظي ونسي وحشي من الشظا والنسا والحشا يقال شظي الفرس و
نسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه
وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد يحذف منه احدى اليائين ومنه قوله الا تستحيي
منا الملوك وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم • وقوله اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء
من الورد • ولما انه اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله صلعم ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم
من ان يعذبه وقوله عم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا يراد به الترك
الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك حياء
كذلك اذا نفي عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الاية الشريفة وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك
الترك الخاص المعتاد بين ترك المستحيى عنه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى راسا كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان
تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شأنه تعالى في الجملة فالمراد بها عدم ترك ضرب المثل المماثل ترك
من يستحيي من ضربه وقيل رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتأخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المعقولة
للنفس اي حسنه عندها ويجوز ان يكون وروده على طريق المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا
بالاشياء المحقرة كما في قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها • اني بنيت الجار قبل المنزل • وضرب المثل استعماله في مضربه
وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه ومع ذلك فلا يكاد انشاء الامثال السائرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد

ذلك

بعد ذلك في مضاربها لتعذر الانشاء هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها
عين انشائها في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب
الخاتم لجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها بها كما كان المضار في قالب
ضرب الامثال على شأن كلها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انها مورد ومنطبقة عليها
سواء كان انشاؤها حينئذ كعامة الامثال التنزيلية او قبل ذلك كسائر الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة
من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به
بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب
على تقدير تعديته يستحيي بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب
بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما ابهامية تزيده ما يقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا
كما في قولك اعطني كتابا ما كانه قيل مثلا ما من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرف مزيد لتقوية النسبة وتوكيدها
كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال
تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولان لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة والجملة
على تقدير كونها موصولة صلة لها بحذف الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع صفة لمثلا كما اما على تقدير
كونها موصوفة صفة لها كذلك في محل ما على الوجهين النصب على انه بدل من مثلا او على انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية
صفة لمثلا كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كانه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي شيء
فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله عم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح
بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة
هذيل من الخمش وهو الخدش • فما فوقها • عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة
صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير كونها
استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا عليها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب بها
المثل وكذا على تقدير كونها صفة او زائدة وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل
دون التعيين والتخصيص فلا تخل بالشيوع المقرر ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي
اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى تقدير
الاول يجوز ان يكون ما ارتفع منه خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي
شيء فوقها في الصغر والحقارة فانه له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب
فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلعم ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور لقوله صلعم اصاب المؤمن من مكروه فهو
كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في القلة كنخبة النملة كما مثل به من الخرور • فاما الذين امنوا • شروع في تفصيل ما
يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته وصدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها كانه قيل

فيه ٭ فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكي من الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير
الجملتين باما من احماد امر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما
يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا
وقد تقتصر على واحد منها كما في قوله عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه
مهما يكن من شيء فهو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا
ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول اما نوع المؤمنين المعهودين
كما ان المراد بالموصول الآتي نوع الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون
فيعلمون انه الحق من ربهم ٭ كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل
الى انكاره والثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية
وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم
الى ما يليق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش
اي فيعلمون حقيته ثابتة فلعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون
في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره المغني عن الذكر ٭ واما
الذين كفروا ٭ ممن حكيت في قولهم وهو اهلهم ٭ فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ٭ اوثر يقولون على يعلمون حسبما
يقتضيه ظاهر قرينه دلالة على كمال غلوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة
انكارها والاستهزاء به صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعي عليهم في تضاعيف الجواب من الفسوق والضلال ونقض
العهد وغير ذلك من شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلم
بها وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول الذي يعم الجهل والعناد تعسف
ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم
هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه [illegible] على الحق المبين وماذا اما مؤلفة
من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجيء جوابه مرفوعا
واما بمنزلة اسم واحد بمعنى اي شيء فالاحسن في جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه
والقوة التي هي مبدؤه والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين مما يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل
فقيل ارادته لافعاله كونه غير ساه فيها ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي بارادته تعالى وقيل هي علمه باشتمال
الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور
على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمثل
واسترذال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام
الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من لدنه

والحقارة

والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على ان يكون ضرب المثل
به من عنده سبحانه ٭ قوله عز من قائل ٭ يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ٭ جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه
مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية ووضع
الفعلين موضع الفعل الواقع في الاستفهام للمبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل و
لتجافي عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد
بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره
واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل
وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم
حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوؤهم ويفت في
اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه
حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر
الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك قلة اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق
قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز ذلك باعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية فيه تكميل فائدة ضرب
المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في
قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ٭ واسناد الاضلال اي خلق الضلال
اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم
وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه بالتجوز بالسبب وفي قراءة يضل به كثير ويهدي به كثير على البناء للمفعول وتكرير
له مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها ٭ وما يضل به ٭ اي بالمثل او بضربه ٭ الا الفاسقين ٭
عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وتعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى
ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به
الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها
اي خرجت قال رؤبة ٭ يذهبن في نجد وغورا غائرا ٭ فواسقا عن قصدها جوائرا ٭ وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله
عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا مستقبحا
لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق
لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي يدور عليه الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال
الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين
ههنا العاتون المارقون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي من انكار كلام الله والاستهزاء به وتخصيص
الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو الذي اعد لهم الاضلال وادى بهم الى

الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل
الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا • الذين ينقضون عهد الله
• صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل و
نحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ارتباط احدهما في المتعاقدين بالآخر فان شفع
بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور
قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته
والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد بهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو
الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عم وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست
بربكم قالوا بلى او المأخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات
صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه والمشار اليه بقوله عز وجل واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلثة الاول ما اخذه على جميع ذرية
ادم عم بان يقروا على ربوبيته والثاني ما اخذه على الانبياء عم بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على
العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه • من بعد ميثاقه • الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام واما مصدر بمعنى
التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام
وان رجع الى لفظة الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسله عم والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق
ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام
او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى بعد كونه موثقا
اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار الرسل • ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
• يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عم والكتب
في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من
الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل مع الاستعلاء
وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له شأن وهو القصد والطلب
لما انه اثر للشأن وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشيئة ومحل ان يوصل الخفض على انه بدل من
الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى • ويفسدون في الارض • بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق
وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه • اولئك • اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم
بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة
وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد • هم الخاسرون • الذين خسروا باهمال العقل عن النظر
واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والا
الاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب • كيف تكفرون

بالله

بالله • التفات الى الخطاب بالمذكورين مبني على ايراد ما عدد من قبائحهم السابقة لتراكم السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ
والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون
لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهاني وقوله عز وجل • وكنتم امواتا • الى آخر الآية حال من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد
فيها من الشؤون الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرته تعالى
تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على
اي حال تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة
والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله
تعالى وآية لهم الارض الميتة • فاحياكم • بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم
امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه آنفا • ثم يميتكم • اي عند تقضي آجالكم وكون
الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي
المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه • ثم يحييكم • بالنشور
يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور واياما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر •
ثم اليه ترجعون • بعد الحشر اي الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر والى الله تحشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال
وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا يتسنى مقارنة شيء منها لما هو حال منه في الزمان بل الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق
بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه وما له التعجيب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم
ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع في سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من
الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة هي القوة الحاسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان
حيوانا مجاز في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها و
والموت بازائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض
بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم
والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته تعالى مقتض لذلك في حق ترجعون والاول هو اللائق بالمقام •
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا • تقرير للانكار وتاكيد له من حيثية المذكورين غير سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما
في المقصود ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر دخل في الحث على الايمان والكف
عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف
على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق الى المؤخر اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات
لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه وفي
والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة

السفل كما يراد بالسماء جهة العلو تعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال
من الموصول الثاني مؤكد لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استقراره على ما هو
عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في
العالم شيء مما يتعلق به النظر وما يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين مع ان لم
يستدل به احد بالفعل • ثم استوى الى السماء • اي قصد اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه
من ارادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك مأخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا
اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله عنه خلق الله تعالى
الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر
في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات واستوى
وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما بينهما من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه
عليها في خلق الارض المتأخر عن دحوها لا المرتب فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رضي الله عنه
والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو فسواهن
اي تممهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك وفي التعبير
بما في مقارنة التسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات
والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل جمع سماءة او سماوة وعلى الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى •
سبع سموات • كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر ما في خلق الارض
مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس
بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا ما قالوا وسيأتي في حم السجدة
مزيد تحقيق وتفصيل ان شاء الله تعالى • وهو بكل شيء عليم • اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيهما
على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها
وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له
بعضد • واذ قال ربك • بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المذكورة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عم و
ما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان
وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف في الانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه
الى النبي صلعم خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة
بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عم وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضميره عم من الانباء عن تشريفه عم ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة اخرى مثلها كما ان
اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله
عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت

دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب
لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها
مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل بتأويل ذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه و
ايا ما كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عم غب ما اوحي اليه ما خوطب الكفرة من الوحي
الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما
هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو شكر النعمة في خلق السموات والارض او تدبر ذلك فغير سديد
ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بمواجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه وان ذلك من مقام الجليل صلى الله تعالى عليه
وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه ان المقتضى ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق
من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الخ
ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل اذ
زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد والمعنى في قوله عز وجل • للملائكة • للتبليغ وتقديم
الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما
مر مرارا والملائكة جمع ملأك باعتبار اصله الذي هو ملأك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل جمع شمأل
والتاء لتأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مألك
من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط بين الله
تع وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها
ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال
مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة
للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة
الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله تعالى بقوله يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم
القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة
البشرية المفارقة للابدان ونقل في كثرتهم انه عم قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا و
فيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات
البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الارض الموكلين بها وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء
الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق
واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض
وما فيها لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس
ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام

والملائكة الذين هم جنود جبرئيل عليه السلام لا يحصى اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا بارئهم العزيز العليم الخبير
على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم
تجاه بعض فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرئيل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبرئيل لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا
منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سأل احدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة الف سنة كوكبا وسبحانه
من اله ما اعظم قدره وما اوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الارض و
روي الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة الجن حيث كانوا سكان
الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم من الارض والحقوا بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا
الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تارة
في الارض وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضي
انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى • اني جاعل في الارض خليفة • في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة
الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهو من الجعل
بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم عليه وهو مقتضى الصناعة فان معمولي التصيير في الحقيقة
اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير
في الارض خليفة فمعناه انى جاعل خليفة من الخلائف او خليفة الارض بعينه كائنا في الارض فان خبر صار هو
الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يعتني به المقام اصلا وانما الذي يعتنى به الاخبار بجعل آدم خليفة
فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول
الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا لكونه نكرة واما المفعول الاول وهو ضمير الاول لدلالة الحال
عليه وكذا في قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف منه المفعول الاول لدلالة
يبخلون عليه اي لا تحسبن البخل هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة هاهنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي
واضحة لوقوعه في اثناء ذكره عليه السلام على ما فصله كانه قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية
فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال للملائكة اني
خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان
يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى حيث جاز الاكتفاء
عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بالحذف فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان
يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقدم كما مر وحينئذ لا يكون
ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض
خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند
ذلك قالوا ما قالوا والله اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به
اما آدم وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة

كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعمائة الف كوكب صح

في قرن

في قرن واما من خلف او خلف يخلف فيعم عليه السلام وغيره من خلفائه وذريته والمراد بالخلافة اما
الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور
استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض
قبل ذلك فيعم حينئذ الجميع • قالوا • استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال الملائكة حينئذ
فقيل • اتجعل فيها من يفسد فيها • وهو بعينه من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان الاول
كلمة من حذف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكرها قال فايلهم التحدد على غرائك انما
طالما قد وشى بنا الاعداء بحذف المفعول الثاني اي لا تجدن حار عيسى على غزائك وفي المعنى الجعل فيها من يفسد فيها خليفة
والظرف الاول متعلق بتجعل قدم لما مر مرارا والثاني بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد
في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من
وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقضي
ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء
احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطيعين على الطاعة من من شأنه ان يتوقع الافساد وسفك الدماء وهو
عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا
تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بدت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى
معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على الله سبحانه و
لا تشككا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان
يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا باخبار
من الله تعالى حسبما نقل من قبل او تلقوه من اللوح او باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس
لاحد الثقلين على الآخر • ويسفك الدماء • السفح والسفك والسكب انواع من الصب فالاولان مختصان بالدم
بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي يقتل النفس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل وافظعه
وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من اسفك وسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع
الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدماء فيهم • ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك • جملة حالية مقررة للتعجب
السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر بها غيرا اتستخدم العصاة وانا
مجتهد فيها كانه قيل اتستخلف من من شأنه ذلك اصلا والمقصود اظهار احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم
عليهم مع ما هو متوقع من الموانع لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها
الافراطية الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا
عما اذا استخدمتهما القوة العقلية ومرنتهما على الخير يحصل لكل منهما من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها
في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من
القوة الى الفعل وغير ذلك مما يناط به امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه

من سبح في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أي واسع الجري وكذلك يقدسه تعالى من قدس في
الأرض إذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدسه أي طهره فإن مطهر الشيء مبعده عن الأقذار والباء في بحمدك
متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير أي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بحمدك على ما أنعمت به علينا من فنون
النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لإظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الإنعام واللام في لك إما
مزيدة والمعنى نقدسك وإما صلة للفعل كما في سجدت لله وإما للبيان كما في سقيا لك فتكون متعلقة بمحذوف أي
نقدس تقديسا لك أي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا
عن الذنوب لأجلك كأنهم قابلوا الفساد الذي أعظمه الإشراك بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو تلويث النفس
بأقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا إظهارا للمنة بل بيانا للواقع • قال • استئناف كما سبق
• إني أعلم ما لا تعلمون • ليس المراد بيان أنه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الأشياء كائنا ما كان فإن ذلك مما لا شبهة لهم
فيه حتى يفتقروا إلى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان أن فيه عزما على ما قيل مثلا أن فيه ما يقتضيه من غير تعرض
لإحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما لشأنه وإيذانا بابتنائه على علم العليم الرصين والحكم المتقنة وصدوره عن العلة
وقيل معناه إني أعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وإن هذا إرشاد للملائكة إلى العلم بأن أفعاله تعالى
كلها حسنة وحكمة وإن خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وأنت خبير بأنه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل و
بكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشأنهم فإنهم عالمون بأن ذلك متضمن
لحكمة ما ولكنهم مترددون في أنها ماذا هل هو أمر راجع إلى محض حكم الله عز وجل أو إلى فضيلة من جهة المستخلف
فبين سبحانه وتعالى لهم أولا وجه الإجمال والإبهام أن فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا إليها ثم أبرز لهم طرفا منها
ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية • وعلم آدم الأسماء كلها • شروع
في تفصيل ما جرى بعد الجواب الإجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لإبهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل ظاهرا
على أن ما مر من المقاولة المحكية إنما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الأنسب بوقوف الملائكة على أحواله عليهم
بأن قيل إثر نفخ الروح فيه إني جاعل إياه خليفة فقيل ما قيل كما أشير إليه وإيراده عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد
بالخليفة ولأن ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم أعجمي والأقرب أن وزنه فاعل كشالخ و
عاذر وعابر وفالغ لا أفعل والتصدي لاشتقاقه من الأدمة أو الأدم بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض
بناء على ما روي عنه صلعم من أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ع م ولذلك اختلفت ألوان
ذريته أو من الأدم والأدمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس وإبليس من الإبلاس والاسم
باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفا
في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان أو مركبا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه
غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة والمراد ههنا إما الأول أو الثاني وهو مستلزم للأول لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق
بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد إفاضة المعلم بل يتوقف على استعداد
المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما في تفسير الهدى وهو السر في إيثاره على الإعلام والإنباء فإنهما إنما يتوقفان على

على سماع الخبر الذي يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر أحقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما أن جبلتهم غير مستعدة
للإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى إياه أن يخلق فيه إذ ذاك بموجب استعداده علما
ضروريا تفصيليا بأسماء جميع المسميات وأحوالها وخواصها اللائقة بكل منها أو يلقي في روعه تفصيلا أن هذا فرس
وشأنه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت إلى غير ذلك من أحوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما
يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتنوعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن
عباس رضي الله عنه وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رحمهم الله تعالى علمه أسماء جميع الأشياء حتى القصعة والقصيعة
وحتى الجفنة والمحلب وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه وقيل أسماء ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى
وعلم آدم الأسماء خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول العلم وقوانين الصناعات
وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه ع م وقيل التعليم على ظاهره ولكن ههنا جملة
مطوية عطف عليها المذكور أي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه إلخ ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها
بالأسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها أي عرض مسمياتهن
أو مسمياتها في الحديث أنه تعالى عرضهم أمثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من أفراد كل نوع ما يصلح أن يكون أنموذجا
يتعرف منه أحوال البقية وأحكامها فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء تبكيتا لهم وإظهارا لعجزهم عن إقامة ما علقوا به رجاءهم
من أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير وإقامة المعدلة من غير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن
والإنباء إخبار فيه إعلام ولذلك يجري كل منهما مجرى الآخر والمراد ههنا ما خلا عنه والإيثار على الإخبار للإيذان برفعة شأن
الأسماء وعظم خطرها فإن النبأ إنما يطلق على الخبر الخطير والأمر العظيم إن كنتم صادقين أي في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة
ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والصدق كما يتطرق إليه باعتبار ما يلزمه من الأخبار فإن أدنى مراتب الاستحقاق هو
الوقوف على أسماء ما في الأرض وأما ما قيل من أن المعنى في زعمكم أني أستخلف في الأرض مفسدين سفاكين للدماء فليس
مما يقتضيه المقام وإن أول بأن يقال في زعمكم أني أستخلف من غالب أمره الإفساد وسفك الدماء من غير أن يكون له مزية
من جهة أخرى إذ لا تعلق له بأمرهم بالإنباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا استئناف واقع موقع الجواب
كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه أو لا فقيل قالوا سبحانك قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد
يستعمل إلا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والألف والنون المزيدتين كما في قوله سبحان
من علقمة الفاخر وأما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ به فقيل صرفه للضرورة وقيل لأنه مصدر منكر كغفران لا اسم
مصدر ومعناه على الأول تسبيحك مما لا يليق بشأنك الأقدس من الأمور التي من جملتها خلو أفعالك من الحكم و
المصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشئا عن كمال طمأنينة النفس والإيقان باشتمال استخلاف آدم ع م على الحكم البالغة
وعلى الثاني تنزهت عن ذلك تنزها ناشئا عن ذلك فما أرادوا أنهم قالوه عن إذعان لما علموا إجمالا بأنه عليه السلام
يكلف بما كلفوه وأنه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا لا علم لنا إلا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز
عما كلفوه إذ معناه لا علم لنا إلا ما علمتنا حسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا

حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية ولقد نفوا عنهم
العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدم بان قالوا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا
يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان ﴿انك انت العليم﴾ الذي لا يخفى عليه خافية وهذا
اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون ﴿الحكيم﴾ اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مشارك لما قبله كما
قاله الفراء او لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده
والجملة خبر ان وتلك الجملة تذييل لما سبق من قصر علمهم على ما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم ادم عليه السلام بما خفي عليهم
فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد ادم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية
المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل
له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها ﴿قال﴾ استئناف كما
سلف ﴿يا ادم انبئهم﴾ اي اعلمهم اوثر على انبئني كما وقع في امر الملائكة عليهم السلام مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور
فضل آدم عليه السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام
حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما ﴿باسمائهم﴾ التي عجزوا عن علمها
واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها ﴿فلما انبأهم باسمائهم﴾ الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام
ويستدعيه النظام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما رآه
مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال
العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انبأهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانبأهم باسمائهم مفصلة وبين
لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما رأوا انه عليه السلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل
التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والملابسات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام
فلما انبأهم بذلك ﴿قال﴾ عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له ﴿الم اقل لكم اني
اعلم غيب السموات والارض﴾ لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما
يفيده من تحقق دواعي الخلافة في ادم عليه السلام لظهور مصداقه وايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض
للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام من الامور المتعلقة
باهل السموات والارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم
اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيما هو الذي عاينتموه ﴿وقوله تعالى﴾ ﴿واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾
عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها اي اعلم ما
تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم فقيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الخ وبما تكتمون
استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق ادم عليه السلام رأت
الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل ما اسره ابليس في

نفسه

في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان حينئذ الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من
بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم
يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل
على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله
وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك
في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان ادم عليه السلام افضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لانه اعلم منهم وانه
تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها ﴿واذ قلنا للملائكة﴾ عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل
معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا الخ
وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتعلقة بالايذان
بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكر على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد
الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار واللام في الكلام للتبليغ وتعديتها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة
اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى ﴿اسجدوا لآدم﴾ كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة
الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة
تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة
منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول
حسان رضي الله عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس
والاول هو الاظهر وقوله عز وجل ﴿فسجدوا﴾ عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في
ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله
تعالى ﴿الا ابليس﴾ استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا
ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم
او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم يصرف
ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو الاياس قال انه شبيه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي
يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود الملائكة
انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتناع ابليس بعبارة السجود دون
الوقوع الذي ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال
من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص
من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي
من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما ينفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روي عن وهب
انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير وتأويل الآيات السابقة بحمل ما فيها من الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه حينئذ في حكم

التنجيزي ما مر في سورة الأعراف من كلمة ثم المنبئة بتأخر ورود الأمر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الأمر التعليقي
والاعتذار بحمل التراخي على الرتبي أو التراخي في الإخبار أو بأن الأمر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم إيجاب المأمور
به لم يعدم جعل كأنه إنما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز تؤدي بعد اللتيا والتي إلى أن ما جرى بينه وبينهم عليهم السلام
في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا إنما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج إبليس من البين
باللعين المؤبد والطرد وبعد مشاهدتهم لذلك عيانا وهل هو إلا خرق لقضية العقل والنقل والإجماع في التفصي عنه إلى تأويل
نفخ الروح بحمله على ما يعم إفاضة ما به حياة النفوس التي من جملتها تعليم الأسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق
ويستدعيه النظر الأنيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون أن سجودهم له عليه السلام إنما ترتب
على الأمر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالإخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط
به الأمر التعليقي من التسوية ونفخ الروح إذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فإن الفاء الجزائية
ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء في قوله تعالى
إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب إقامة الصلاة عقيب الاطمئنان في قوله تعالى فإذا اطمأننتم فأقيموا
الصلاة بل إنما الوجوب عند دخول الوقت كذلك والحكمة الداعية إلى ورود ما نحن فيه من الأمر التعليقي إثر ذي أثير إنما هي
حمل الملائكة عليهم السلام على التأمل في شأنه عليه السلام ليتدبروا في أحواله نظرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويستنهضوا ما عسى ينبئهم عليهم السلام
لابتنائه على حكم أبية وأسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الأمر التنجيزي وتحتم الامتثال وقد فعلوا
بحسب ذلك قالوا أو عاينوا ما عاينوا وعدم نظم الأمر التنجيزي في سلك الأمور المذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم
عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما أن عدم ذكر الأمر التعليقي عند حكاية الأمر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب
عدم مسبوقيته به فإن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست
بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم شيوع معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك وحيث عبر به
مع أنه لم يرد نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد ألقي إليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الأمر التنجيزي إجمالا
بأن قيل مثلا إني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل إياه خليفة في الأرض فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فقالوا عند ذلك ما قالوا
وألقي إليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بأن قيل إثر نفخ الروح فيه إني جاعل هذا خليفة في الأرض فهناك
ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فأيده الله عز وجل بتعليم الأسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الأمر التنجيزي
اعتناء بشأن المأمور به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الأمور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن
عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه أن ما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة إلخ بدل من
قوله تعالى إذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون أي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملإ
الأعلى الملائكة وآدم عليه السلام وإبليس حسبما أطبق عليه جمهور الأمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه السلام
من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه من الإنباء بالأسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما
شرح فيه تفصيلا من الأمر التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام
وعناد إبليس وما تبعه من لعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأفعال والأقوال وإذ ليس تمام الاختصام

بعد

بعد سجود الملائكة ومكابرة إبليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من أنه أحد المختصمين كما أنه ليس قبل الخلق
ضرورة استحالة الإنباء بالأسماء حينئذ فهو إذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما بأحد الطريقين والله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر
﴿أبى واستكبر﴾ استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وأنه لم يكن للتردد والتأمل بل على وجه الإباء
والامتناع بالاختيار والتكبر أن يرى نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع أي امتنع عما أمر به واستكبر من
أن يعظمه ويتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الإباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح أثره واقتصر
في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الإباء حيث قيل أبى أن يكون مع الساجدين
﴿وكان من الكافرين﴾ أي في علم الله تعالى أو كان أصله من كفرة الجن ولذلك ارتكب ما ارتكبه على ما أفصح عنه قوله تعالى
كان من الجن ففسق عن أمر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الإباء والاستكبار أو صار منهم باستقباحه
أمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام زعما منه أنه أفضل منه والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالخضوع للمفضول كما أفصح عنه
قوله أنا خير منه حين قيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين لا بترك الواجب وحده
فالجملة معطوفة على ما قبلها وإيثار الواو على الفاء للدلالة على أن مجمل الإباء والاستكبار كفر لا أنهما سبب له
كما يفيده الفاء ﴿وقلنا﴾ شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة
وإبليس من الأقوال والأفعال وقد ترك حكاية توبيخ إبليس وجوابه ولعنه واستنظاره وإنظاره اجتزاء
بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فإن المراد
بالزمان المدلول عليه بكلمة إذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على إذ قلنا بإضمار إذ وهذا تذكير لنعمة
أخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة﴾
للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للإيذان بأصالته في مباشرة المأمور به والسكن
من السكنى وهو اللبث والإقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وأنت ضمير أكد به المستكن ليصح
العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وناس
من الصحابة رضي الله عنهم أن الله تعالى لما أخرج إبليس من الجنة وأسكنها آدم عليه السلام بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس
به فألقى الله تعالى عليه النوم ثم أخذ ضلعا من جانبه الأيسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها
عند رأسه قاعدة فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن إلي فقالت الملائكة تجربة لعلمه
عليه السلام من هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لأنها من المرء أخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لأنها
خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء عليهما السلام على سرير
من ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور حتى أدخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد
بها دار الثواب لأنها المعهودة وقيل هي جنة بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا
لآدم عليه السلام وحمل الإهباط على النقل منها إلى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما أن خلقه كان في الأرض
بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه إلى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من أعظم
النعم ولأنها لو كانت دار الخلد لما دخلها إبليس وقيل إنها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم إن الإهباط

الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل محكي والادلة النقلية متعارضة فوجب
التوقف وترك القطع وكلا منها اي من ثمارها وارادة وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفية ومبالغة في ازالة العلل
والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عم في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه رغدا
صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها حيث شئتما اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل
منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر
في تناول ما منعا منه ولا تقربا بفتح الراء من قرب الشيء بالكسر قربا بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب
بالضم يقرب قربا اي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له
بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب
الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل هي شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير
قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء فتكونا من الظالمين مجزوم
على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين
اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى
فازلهما الشيطان عنها اي اصدر زلتهما اي زلقتهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى
وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما
وهما متقاربان في المعنى فان الازلال اي الازلاق يقتضي زوال الزال عن موضعه وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن
الناصحين وهذه الايات مشعرة بانه عم لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما
قلد من خلافة الارض الى حين البعث اليها واختلف في كيفية توسله اليهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه
انما منع من الدخول على التكرمة كما يدخلها الملائكة عم ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء
وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل فلم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخلت معها و
قيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه فاخرجهما مما كانا فيه اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة و
التعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستهما له اي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة
والنعيم ان كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا الخطاب لآدم وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما
اصلا الجنس فكانهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها
مسارقة او اهبط من السماء وقرئ بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير
اي متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله او استئناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض
واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني
لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين هو حين الموت على
ان المغيا تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين

للاستقرار

للاستقرار والتمتع او استئنافا فتلقى ادم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها وقرئ بنصب ادم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية
وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فيّ من روحك قال
بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي
الى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة اليه عم للتشريف والايذان بعلية لالقاء الكلمات المدلول عليه بتلقيها فتاب
عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي
عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفي بذكر شان ادم عم لما ان حواء
تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اي الرجاع
على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا
عن المعصية واذا وصف به الباري عز وجل اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في
الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب
عليه قلنا استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد قبول التوبة فقيل
قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى
يقع في امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهار النوع رافة به عم لما بين الامرين
من النوع اليسير كيفا فالاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون
فيها والثاني مقرون بوعد ايتاء الهدى المؤدي الى النجاة والفلاح واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود
من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الروع
عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول
من الجنة الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وياباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول
ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون و
لذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف قولك جاؤوا معا
فاما ياتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر واما مركبة من ان الشرطية
وما المزيدة المؤكدة لمعنى الفعل في محل الجزم بالشرط لا مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا
وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على
الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله
فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع
تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي

فمن تبعه اى خشية العقل ومقتضى دلائل الآفاقية والانفسية وتمكين من النظر والاستدلال والمجري على
سنن العقلاء في ايراد صيغة في موضع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم
في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم
ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط
كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة
حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد
الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة للتعظيم وتاكيد وجوب اتباعه
او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من اضافة العقل ومقتضى دلائل الآفاقية
والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح • والذين كفروا وكذبوا باياتنا •
عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه بل ادبر عليه ذكر تعظيما لحال الضلالة واظهارا
لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان
بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروع واضافة الآيات
اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم
وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبياء او اظهرها بايديهم من المعجزات وقيل
كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والآية في الاصل
العلامة الظاهرة قال النابغة توهمت آيات لها فعرفتها • لستة اعوام وذا العام سابع • ويقال
للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها جماعة كلمات فيكون من قولهم خرج بنو فلان باياتهم اي
بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا • باياتنا نزجي اللقاح المطافلا • واشتقاقها من اي لانها تبين
ايا من اي او من اوى اليه اي رجع واصلها اوية او اية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية
كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا • اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل • اصحاب النار • اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها
خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى
• هم فيها خالدون • في حيز النصب على انه حال مؤكدة لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه
حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر آخر لاولئك
على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على
ان المراد به الدوام • يا بني اسرائيل • تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي عم لتذكيرهم

بفنون

بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلعم وامره بتذكير كلهم النعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى
واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملائكة الخ لان المعنى كما اشير اليه بلغهم كلامي واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض
ومسجودا للملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى
صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية صفوة الله تعالى وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف
الياء واسرال بحذفهما واسرائين بقلب اللام نونا واسرال بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هؤلاء
الطائفة بالذكر لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرانا بها • اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • بالتفكر فيها والقيام بشكرها
وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها
وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على
الرضا والشكر وقيل اريد بها ما انعم به على آبائهم من النعم التي تسمى تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك
عصر النبي عم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان الياء واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور
ما قبلها • واوفوا بعهدي • بالايمان والطاعة • اوف بعهدكم • بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل
الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال
الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى
حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا من غيرنا ومن الله تعالى الفوز
باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس رض اوفوا بعهدي في اتباع محمد عم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره
اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم
المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف
بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله تعالى ولادخلنكم جنات الخ وقرئ
اوف بالتشديد للمبالغة • واياي فارهبون • فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص
من اياك نعبد لما فيه من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني
والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان
لا يخاف الا الله تعالى • وآمنوا بما انزلت • افراد للايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهد
• مصدقا لما معكم • من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف
على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه
موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من
مخالفته لها في بعض الجزئيات لاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها
من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي يدور عليها فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها
المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ
تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف

العمر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك
قال عليه السلام لو كان موسى حياً لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقاً لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر
فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعاً • ولا تكونوا اول كافر به • اي لا تسارعوا الى الكفر فان وظيفتكم
ان تكونوا اول من آمن به لانكم تعرفون شأنه وحقيته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم
تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوقع صدوره عنكم من كونكم اول
كافر به ووقوع اول كافر خبراً عن ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك
كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر
كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن
فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت
الهمزة تخفيفاً غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واواً وادغمت • ولا تشتروا بآياتي • اي لا تأخذوا لانفسكم بدلاً
منها • ثمناً قليلاً • هي الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك
الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلعم فاختاروها على الايمان
وانما عبر عن المشترى الذي هو المقصود في عقود المعاوضة والمعقود فيها بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة فيها وقرنت
الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل اشعاراً بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصود الاصلي
وسيلة والوسيلة مقصوداً • واياي فاتقون • بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة
مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم و
المقلد امر فيها بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى • ولا تلبسوا
الحق بالباطل • عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل
الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه
في تأويله • وتكتموا الحق • مجزوم داخل تحت حكم النهي كأنهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على
من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه و
يعضده انه في مصحف ابن مسعود رضه وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق
وتكرير الحق اما لان المراد بالآخر ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلعم الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله
تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح النهي اذ في التصريح باسم الحق [illegible] • وانتم تعلمون • اي حال
كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله
تعالى ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر • واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة • اي
صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل عن كونه صلوة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله • واركعوا
مع الراكعين • اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة
وعبر عن الصلوة بالركوع احترازاً عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي لا

تحقرن

تحقرن الضعيف علك ان • تركع يوماً والدهر قد رفعه • اتأمرون الناس بالبر • تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى
الكل والهمزة فيها للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع الخيرات ولذلك قيل البر ثلثة
بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب • وتنسون انفسكم • اي تتركونها من البر كا
لمنسيات عن ابن عباس رضه انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سراً من نصحوه باتباع الرسول عم ولا يتبعونه طمعاً
في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا
يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا
يأمرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه • وانتم
تتلون الكتاب • تبكيت لهم وتقريع لهم كقوله وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلعم الآمرة بالايمان به
او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل • افلا تعقلون • اي تتلونه فلا تعقلون ما فيه
او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من الكيف او الا تتأملون فلا تعقلون
فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة حينئذ من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به
وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به يدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه
عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل واعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل
الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق
فيقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيراً ما
يموت من اهل مجلسه واحد واثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت
تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضر يوماً على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوماً
في الطريق فقالت • لتهدي الانام ولا تهتدي • الا ان ذلك لا ينفع • فيا حجر الشحذ حتى متى • تسن الحديد ولا تقطع • فلما
سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشياً عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله تعالى • واستعينوا بالصبر والصلوة
• متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم
بانتظار النجح والفرج توكلاً على الله تعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل
بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف
المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصائب روي انه عم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء • وانها • اي الاستعانة بهما او
الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واشتمالها على ضروب الصبر كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او
لهواً انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها • لكبيرة • لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه • الا على الخاشعين
والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما

الخشوع

يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلوة والسلام وقرة عيني في الصلوة والجملة حالية او اعتراض
تذييلي • الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون • اي يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده من المثوبات و
التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بسببيته لرجائهم ويتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون بحسب
ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل
عليهم كالمنافقين والمرائين وفي التعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن
مسعود رضي الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال • فارسلته مستيقن الظن انه
مخالط ما بين الشراسيف جائف • وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم • كرر التذكير للتأكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به • واني فضلتكم • عطف
على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت اباءكم • على العالمين • اي عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم والايمان
والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عم وبعده قبل ان تغيروا
واتقوا يوما • اي حساب يوم او عذاب يوم • لا تجزي نفس عن نفس شيئا • اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق فانتصاب
شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اي لا تغني عنها فيتعين النصب
على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اي
لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول ثم حذف كما حذف في
قول من قال • فما ادري أغيرهم تناء • وطول العهد ام مال اصابوا • ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ
منها عدل • اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله
الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي الفدية لانها تساوي المفدي و
تجري مجراه • ولا هم ينصرون • اي يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة
الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة ههنا اخص
من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما
ان يكون قهرا اولا والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء
عين ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على
نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة في الشفاعات والاحاديث
المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم •
واذ نجيناكم من آل فرعون • تذكير لتفصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف
الالاء اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي اباءكم فان تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره
أهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك
الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان
فرعون موسى عم مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا ركبته

الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام فدخل مصر فرأى في ظاهره حملا
من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخة بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى
حملا بدرهم فتوجه الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذوا منه بطيخة فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها
بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بها وباء عظيم فتوجه نحو
المقابر فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم
فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مدة ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت
فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك بهذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت
ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال
حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني
امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث
فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان
فرعون يوسف عم ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة • يسومونكم • اي يبغونكم من سامه خسفا اذا
اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء • سوء العذاب • اي افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء
مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا
لاشتمالها على ضميريهما • يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم • بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما
وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد
منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا فقيل قتلوا بتلك الطريقة تسعين الف
مولود وتسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل موسى عم من القوة الى التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا
احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة • وفي ذلكم • اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه
وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء • محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على الحياة
محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار
ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما
وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما • من ربكم • من جهته تعالى بتسليطهم
عليكم او ببعث موسى عم وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا • عظيم • صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الاية الكريمة
تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار • واذ
فرقنا بكم البحر • بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها ببيان عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف
ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي اذكروا اذ فلقنا بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت
بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك
كانت اثني عشر بعدد الاسباط • فانجيناكم • اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة

الافعال بعد ايراد التخلص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه
واقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على محمد اي شخصه واستغنى
بذكره عن ذكر قومه • وانتم تنظرون • ذلك اي غرقهم واطباق البحر عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او
جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر موسى عم ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم
فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر
فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر
لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلعم معجزة جليلة
تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت
اوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها
• واذ واعدنا موسى اربعين ليلة • لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى عم ان يعطيه التوراة وضرب
له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل عم بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله تع عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله تع فيه بيان
ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى عم ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو ذو القعدة ثم زاده عشرا
من ذي الحجة وعبر بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عم منزلة الوعد
واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا • ثم اتخذتم العجل • بتسويل السامري الها
ومعبودا وثم للتراخي الرتبي • من بعده • اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف • وانتم ظالمون • باشراككم ووضعكم في غير موضعه
وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض بمعنى اي وانتم قوم عادتكم الظلم • ثم عفونا عنكم • حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه
وقد يجيء لازما قال عرفت المنزل الخالي عفا من بعد احوال عفاه كل حنان كثير الوبل هطال وقوله تعالى • من بعد ذلك • اي
من بعد الاتخاذ الذي هو متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم • لعلكم تشكرون • لكي تشكروا نعمة العفو
وتستمروا بعد ذلك على الطاعة • واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان • اي التوراة الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق
بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق
بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر • لعلكم تهتدون • لكي تهتدوا
بالتدبر فيه والعمل بما يحويه • واذ قال موسى لقومه • بيان لكيفية وقوع العفو المذكور • يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل • اي معبودا
فتوبوا • اي فاعزموا على التوبة • الى بارئكم • اي الى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من
بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما بطريق التفصي كما في برئ المريض وبطريق الانشاء كما في برأ الله
آدم من الطين والتعرض بعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم
الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق
منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب • فاقتلوا انفسكم • تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات
وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل من عبده وروي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله

تعالى

تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون عم
فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب • ذلكم • اشارة
الى ما ذكر من التوبة والقتل • خير لكم عند بارئكم • لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية • فتاب عليكم •
عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه فانه مبني
على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول
التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم واما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم
لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام
موسى عم لقومه تعليقا لتوبتهم بقبول التوبة منوطا بالقبول ترجيحا وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية قبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير
المخاطبين بتلك النعمة • انه هو التواب الرحيم • تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام
عليهم • واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك • تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي
لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك ولن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله تعالى اياك التوراة او تكليمه اياك او انه نبي او انه تع جعل
توبتهم بقتلهم انفسهم • حتى نرى الله جهرة • اي عيانا وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة
لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع
من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير
والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا
ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله تع موسى عم ان يجمع سبعين رجلا ويخرج معهم الى الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا
الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله تعالى موسى عم يأمره وينهاه وكان كلما كلمه الله تعالى اوقع على جبهته نورا
ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى عم افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما
سيأتي في سورة الاعراف انشاء الله تعالى وقيل عشرة الاف من قومه • فاخذتكم الصاعقة • لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل
فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام وتعلق الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب
في استحالته انما الممكن في شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء الذين
بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كأنهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا
قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا
بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين منها مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك
بكى موسى عم ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة موسى عم موتا بل غشية
بقوله تعالى فلما افاق • وانتم تنظرون • اي ما اصابكم بنفسه او باثاره • ثم بعثناكم من بعد موتكم • بتلك الصاعقة وقيد البعث به لما انه قد
يكون من الاغماء او قد يكون من النوم كما في قوله تع ثم بعثناهم الى آخره • لعلكم تشكرون • اي نعمة البعث او ما كفرتموه بما رأيتم من بأس الله
تع • وظللنا عليكم الغمام • اي جعلناه بحيث يلقي عليكم ظله وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه تظلهم من الشمس
وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى • وانزلنا عليكم المن والسلوى • اي الترنجبين والسماني وقيل ان

ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث عليهم الجنوب السمانى فيذبح الرجل ما يكفيه كلوا على ارادة
القول اى قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن و
السلوى وما ظلمونا كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم
عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غنى عن التصريح به اى فظلموا بان كفروا
تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر
الذى يقتضيه النفى السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على تماديهم فى الظلم واستمرارهم
فى الكفر واذ قلنا لتذكير نعمة اخرى من جنايتهم وكفر اخر لاسلافهم اى واذكروا وقت قولنا لابائكم اثر ما انقذنا
هم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوب على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهى بيت المقدس وقيل اريحا
فكلوا منها حيث شئتم رغدا اى واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان الامر
الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما فى سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب
اى باب القرية على ما روى من انهم دخلوا اريحا فى زمن موسى عم كما سيجىء فى سورة المائدة او باب القبة التى كانوا يصلون
اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حيوة موسى عم سجدا اى متطامنين مخبتين او ساجدين لله تعالى شكرا على
اخراجهم من التيه وقولوا حطة اى مسئلتنا او امرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل
بمعنى حط عنا ذنوبنا او على انها مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط رحالنا فى هذه
القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا
خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم
قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين
ثوابا جعل الامتثال توبة للمسىء وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان
المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة والاستغفار
بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا اخر مما لا خير فيه روى انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا
سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل غير الذى قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل
بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اى عقيب ذلك على الذين ظلموا بما
ذكر من التبديل وانما وضع الموصول مع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة فى الذم والتقريع و
للتصريح بانهم بما فعلوا فقد ظلموا انفسهم بتعريضها بسخط الله تعالى رجزا من السماء اى عذابا مقدرا منها و
التنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل
وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو فى الظلم
وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز فى الاصل
ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة واحدة اربعة و
عشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك فى التيه حين استولى عليهم العطش الشديد

وتغيير

وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة فى معرض امر مستقل واجب التذكير
والتذكر ولو روعى الترتيب الوقوعى لفهم ان الكل امر واحد امر بتذكره واللام متعلقة بالفعل اى استسقى لاجل قومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين يسيل كل عين
فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنى عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع ادم عم من الجنة ووقع
الى شعيب عم فاعطاه موسى عم مع العصا او كان هو الحجر الذى فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة
فاشار اليه جبرئيل عم ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر فى الحجة قيل لم يؤمر عم بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف
بنا لو افضينا الى الارض لا حجارة بها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا
ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام
حجمه ذراع فى ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عم من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة فانفجرت عطف على
مقدر يستدعيه عليه السلام وقد حذف للدلالة على كمال تحقق سرعة الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اى فضرب فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اى فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى
على احد وقرئ بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس اى كل سبط مشربهم عينهم الخاصة
بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو
الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه ان المأمور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه
واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه تعالى خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادى وانما لم يقل من
رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عم
ولا تعثوا فى الارض العثى اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد حال كونكم مفسدين وقيل انما
قيد به لان العثى فى الاصل مطلق التعدى وان غلب فى الفساد وقد يكون فى غير الفساد كما فى مقابلة الظالم المعتدى
بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عم للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث فلما انه غالب فيما يدرك
حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة
والخساسة واسناد القول المحكى الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد
لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض
للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روى انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجتمعوا ما كانوا فيه من النعمة
العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء فادع لنا ربك اى سله لاجلنا بدعائك اياه
والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادى الاجابة يخرج لنا اى يظهر لنا ويوجد
والجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازى باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتى فى قوله
تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اى كائنا من بقلها الخ وقيل بدل
باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطائبه التى تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها
والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اى الله تعالى او موسى عم انكارا عليهم وهو [illegible]

جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال لهم • أتستبدلون • اي أتأخذون لأنفسكم وتختارون • الذي هو أدنى
اي اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه مما لا فيه مزية ولا قليل القيمة و
أصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادناء
من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة • بالذي هو خير • اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب
الزائل دون الآتي الى ما حصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله فبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
أكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه ليتحقق الاستبدال
فيما مر من صعوبة المداومة • اهبطوا مصرا • امروا به بيانا لدناءة مطلبهم واسعافا لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون
وسطه او لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرايم فعرب
• فان لكم ما سألتم • تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سألتموه ولعل التعبير عن الاشياء المسؤولة بما للاستهجان
بذكرها كأنه قيل فانه كثير فيه مبتذل ينال كل احد بغير مشقة • وضربت عليهم الذلة والمسكنة • اي جعلتا محيطتين بهم
احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب
الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان
تضاعف جزيتهم • وباؤوا • اي رجعوا • بغضب • عظيم وقوله تعالى • من الله • متعلق بمحذوف هو صفة لغضب
مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء
من قولهم باء فلان بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل
البوء المساواة • ذلك • اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم • بانهم • بسبب انهم
كانوا يكفرون • على الاستمرار • بآيات الله • الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يد موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد
• ويقتلون النبيين بغير الحق • كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل ان
يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا حقية قتل احد منهم عليهم السلام وانما حملهم
على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى • ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
• اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب
اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحري كبارها وقيل كررت الاشارة
للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة
الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج • فيها
خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق • اي كأن ما ذكر والذي حسن ذلك في المعرفات والمبهمات ان تثنيتها
وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين • ان الذين آمنوا • اي بألسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة
انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان
لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا • والذين هادوا • اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية

ويهود

ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة
هائلة واما معرب يهوذا كأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام • والنصارى • جمع نصران كندامى جمع ندمان
يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا
معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهارى
• والصابئين • هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل صنف بينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الملائكة
فنقول كان عربيا فمن صبأ اذا خرج من دين الى دين وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا
من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل • من آمن بالله واليوم الآخر • اي من احدث من هذه الطوائف
ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق • وعمل عملا صالحا • حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر • فلهم • بمقابلة ذلك
اجرهم الموعود • عند ربهم • اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتداء خبره فلهم اجرهم
والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما
ان الافراد في آمن وعمل باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم الخ واما في محل النصب على البدلية
من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف
الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مأمون عن الفوات • ولا خوف عليهم • عطف على جملة فلهم
اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب • ولا هم يحزنون • حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب
والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان
دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الاسلام
المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء
كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين
وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخيرهم في الاتصاف
به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في تفسيره من كان
منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه قطعا لان مقتضى المقام هو الترغيب
في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام اصلا بل ربما يخل بمقتضاه قطعا
من حيث انه على حقيقته في زمانه في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر اما المنافقون
فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما
الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا
عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط
بينهم او جريانهم الى المنافقين والتكلف بارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها
قصدا الى درج الفريق المذكور فيهم ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم
اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين

مع اندراجهم في جزئيهم ان لبس لهم في حرز حريا عبس ولا اشرف امل وكن على الحوع العبس ۞ واذ اخذنا ميثاقكم ۞ تذكير
لجناية اخرى لاسلافهم اي اذكر وا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التورية ۞ ورفعنا فوقكم الطور ۞ عطف على اخذنا
او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة روى ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت
عليهم فابوا قبولها فامر جبرئيل عم فقطع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا ۞ خذوا ۞ على ارادة القول ۞ ما آتيناكم ۞ من الكتاب
بقوة ۞ بجد وعزيمة ۞ واذكروا ما فيه ۞ اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به ۞ لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي او تنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك في قدم تحقيقه
۞ ثم توليتم ۞ اي اعرضتم عن الوفاء بالميثاق ۞ من بعد ذلك ۞ من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد ۞ فلولا فضل الله عليكم
ورحمته ۞ بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلعم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه ۞ لكنتم من الخاسرين ۞ اي من المغبونين
بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتأخير العذاب
لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو ولا الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع
الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف
وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف
اي لولا ثبت فضل الله عليكم ۞ ولقد علمتم ۞ اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روى انهم امروا بان
يتمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا اليها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عم فاشتغلوا
بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر
الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها
يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جنايتكم ما فعلوا فلم تنههم ولم
تزجرهم عقوبتهم بل تجلدنا ۞ فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ۞ بين صورة القردة والخسو وهو الطرد والصغار
على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عنده من جوز عمل كان في الظرف والحال او قيل من الضمير المستكن
في قردة لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل
الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد عز وجل وقرئ بفتح القاف
وكسر الراء وخاسين بغير همزة ۞ فجعلناها ۞ اي المسخة والعقوبة ۞ نكالا ۞ عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه
ومنه النكل للقيد ۞ لما بين يديها وما خلفها ۞ لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين
واشتهرت قصصهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك
القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها ۞ وموعظة للمتقين ۞ من قومهم او لكل متق سمعها
۞ واذ قال موسى لقومه ۞ توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بالتذكير ومنه به ومنتابهة ومنتبهه وفيه دلالة على
انهم مرد على بعض ما عداها من الجملة وان بقي الاشتباه بشرف الزوال لا ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا
بوجوه من التاكيد لمهتدون بما شاء من البيان الى المامور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما تبينت لهم آخر
الابد ۞ قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث ۞ اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا

ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث لا ان نفسه لما كد الا كد لا والعقلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ
لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى ۞ مسلمة ۞ اي سلمها الله تعالى
من العيوب واهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا اخلص له ويؤيده قوله تعالى ۞ لا شية فيها ۞ اي لا
لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر
۞ قالوا الآن جئت بالحق ۞ اي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها ولم يبق
لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل
ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في
المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والآن
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ۞ فذبحوها ۞ الفاء فصيحة كما في فانفجرت ۞ اي فحصلوا البقرة فذبحوها ۞ وما كادوا
يفعلون ۞ كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل
ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلي وفائدة استثقال استقصائهم واستبطالهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم
ما كاد ينتهي خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك
لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر
وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ ونشأت العجل فكانت من احسن البقر واسمنها فساوموا اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا
لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف
في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في اول الامر انما وقع بذبح بقرة معينة
حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد اي بقرة اهل المعينة وقد اخر
البيان عن وقت البيان او المبهم ثم لحقها التغير الى المعينة بسبب تعنتهم في الامتثال وتمادیهم في التعمق
والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضمائر في الاجوبة الى انها بقرة الى آخره للمعينة
ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو عن البقرة المأمور بذبحها
فيكون هي المعينة ومنعوه بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة
عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عن نعتها فرجعت الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها
الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اي بقرة كانت لحصل الامتثال
بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال صلعم لو اعترضوا
ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضه ثم رجح الحكم الاول منسوخا
بالكلية والثاني تشديدا عليهم لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده
وتخصيصه شيئا فشيئا كنسخ الكل لم يكن كذلك لما عد شيء من احوالهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل عبادة
فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على المأمور به مما لا يكاد يتأتى فيكون سؤالهم من باب الاعتنام بالامتثال
۞ واذ قتلتم نفسا ۞ خطاب لجمعهم كما مر نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلعم واسناد

التقتل والتدارؤ اليهم لما مرّت نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخاً وتقريعاً وتخصيصها بالاسناد
دون ما مر من جناياتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اى اذكروا وقت قتلكم نفساً محرمة • فادّارأتم فيها • اى
تخاصمتم في شأنها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر ويدافعهم بان يطرح كل واحد قتلها الى آخر واصله تدارأتم
فادغمت التاء واجتلبت لها همزة الوصل • والله مخرج ما كنتم تكتمون • اى مظهره لا محالة واعمال
صيغة الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار واما اعمل مخرج لانه حكاية حال ماضية • فقلنا اضربوه • عطف
على فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل
او بتأويل الشخص او القتيل • ببعضها • اى ببعض البقرة اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل
بعجب الذنب وقيل باذنها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه
قيل واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ
وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلعم والافتيات على امره وترك
المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان ينعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال
كل منها بما يخصها من التوبيخ واما حكى الامر بالذبح عن موسى عم مع انه من الله عز وجل كالامر بالضرب لما ان
جنايتهم كانت بمراجعتهم اليه عم والافتيات على رأيه • كذلك يحيي الله الموتى • على ارادة القول المعطوف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فضربوه فحيي وقلنا كذلك الخ فحذف الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف
بها وما عطف عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في ذلك للحاضرين عند حياة القتيل ويجوز ان يكون ذلك
للحاضرين عند نزول الاية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله ببعضها مع ما قدر بعده
فالجملة معترضة اى مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيامة • ويريكم آياته • والدلائل الدالة على انه تعالى
على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحياة على
عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات • لعلكم تعقلون • اى لكي تكمل عقولكم
ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احياء ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله
على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع
بر الوالدين وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويبالي بنجابته كما يروى عن عمر
رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تأثير
لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوته
الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا
مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث يتصل اثره الى نفسه التي هي قوته الشهوية ويعرب عما ينكشف
الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال • ثم قست قلوبكم • الخطاب لمعاصري النبي صلعم والقسوة
عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي
تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة حادثة واما لان الاستمرار

على شي

على شيء بعد ورود ما يحب الاقلاع منه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها
كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون • من بعد ذلك • اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من
الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اى من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته و
علو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو
المشهور • فهي كالحجارة • في القساوة • او اشد • منها • قسوة • اى هي في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها
عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا
على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشبهها لها
على ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك
فالعبادة حق له واو اما للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها او من
عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس • وان من
الحجارة لما يتفجر منه الانهار • بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور
الخير منها يعني ان الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة • وان منها لما يشقق • اى يتشقق
• فيخرج منه الماء • اى العيون • وان منها لما يهبط من خشية الله • اى يتردى من الاعلى الى الاسفل
بمقتضى ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس
منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا ان ما خلقه له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فيكون اشد منها
قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من المثقلة واللام
فارقة وقرئ يهبط بالضم • وما الله بغافل عما تعملون • عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية
وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات
قوله تعالى • افتطمعون • تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود الى ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي عم
ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله
اأضرب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين
كما في افلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا لا تنظرون فلا تبصرون فان المنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني على
الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اى اتستمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون وحاصل المعنى ابعد ان علمتم
تفاصيل شئونهم المؤيسة عنهم تطمعون • ان يؤمنوا • فانهم متماثلون في شدة الشكيمة والاخلاق
الذميمة لا تأتي من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا ومحلها
في جر او في محل النصب والجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط
اى في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اى في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به
معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى • وقد كان فريق منهم • الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه

كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ
كلم الله والجملة حالية مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم
لكم عدو وبعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس هم قوم من
السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلام الله تعالى حين كلم موسى عم بالطور وما امر به ونهى عنه • ثم يحرفونه
عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام
الكبرياء بل من بعد ما عقلوه • اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة
فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوه وقال طائفة منهم سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم
ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال
سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فأولوه تأويلا فاسدا او قيل هم الذين غيروا نعت النبي صلعم
في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف
فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلعم هذا والاول
هو الانسب بالكلام اذ التورية وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه
اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لاستمرار وسائدهم والمباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة
دون السماع فكان الانسب حينئذ ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون في ان يؤمنوا لكم
ويستجيبوا والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه
من بعد ما عقلوه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن ههنا ظهر ما في ايثار يسمعون على يتلون من النكتة والجزالة وقوله
تعالى • وهم يعلمون • جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن
بناء على نسيان ما عقلوه او على الخطأ في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له او وهم
يعلمون انهم كاذبون ومفترون • واذا لقوا • جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم
لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤدية الى ما بهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة
على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما سيق على سنن ما قبله فيهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا و
القاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين او للعالمين بما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف
احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير العطف قالوا امنا فقوله • آمنا • لم يعبروا على ذلك
بل علموا بانهم وجدوا النعت النبي صلعم في التورية وعلموا انه النبي المنتظر وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي
• واذا خلا بعضهم • اي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين
الى بعض آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما
اشير اليه لان الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لما وجب
ان يحمل سماعهم لها من تمام الشهرة ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب • قالوا • اي الساكتون
موبخين لما فقيهم على ما صنعوا • اتحدثونهم • يعنون المؤمنين • بما فتح الله عليكم • ما موصولة والعائد محذوف اي بما بينه لكم خاصة

في التورية من نعت النبي عم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا
التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في
قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا
في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون
به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال
سخافة عقولهم وركاكة آرائهم • عند ربكم • اي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم
يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام
المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا عقيب نبينا وصدق بينة الخشن فيجوز ان يكون
المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده
الآية الكريمة الآتية كما ستعرفه باذن الله عز وجل • افلا تعقلون • من تمام التوبيخ والعتاب والفاء
للعطف على مقدر يستدعيه سياق الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون بطلان هذا الخطأ ان الخشن او شيئا من الاشياء
التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التدبر او تعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه
فالمنكر حينئذ عدم التعقل بعد التعقل هذا وما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى
افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى • او لا يعلمون • فانه الخ قيل
لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون توسيط ايراد خطاب المؤمنين في اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف في تعميمه للنبي ايضا صلعم كما في تطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة
للانكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على التحديث
المذكور في اقامة الحجة ولا يعلمون • ان الله يعلم ما يسرون • اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين في قلوبهم فثبت
الحكم في ذلك بالطريق الاولى • وما يعلنون • اي يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم فيما سبق فيظهر الله تعالى للمؤمنين
ما ارادوا اخفاءه بواسطة الوحي الى النبي صلعم فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض
المحرمات عليهم فاي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم و
هي حاصلة في الدارين حدثوا به ام لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين
او لآبائهم المحرفين اي افلا يعقلون ما يعقلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرار
الكفر واظهار الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار ما اظهروا افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم
ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه بما يسرونه اقدم منه بما
يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه
علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وجل ان تخفوا
ما في انفسكم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة به هو الامور البادية دون الخافية ويجوز

ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء الا وهو يخفى فيه او بادئه قبل ذلك مضمر
في القلب فتعلق علمه تعالى بالحالة الاولى متقدم على تعلقه بالحالة الثانية ● ومنهم اميون ● وقرئ بتخفيف الياء اي وسو
من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل الى الام بمعنى شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة
فانهما ليستا من شئون النساء بل من خلال الرجال وبقيانه على الحالة الاولى ولدته امه في الخلوص والكتابة وقيل
الى الامة بمعنى انه باق على ما جبلها حالها من معرفة الاشياء لكونهم عامي اي على عادة العامة روي عن عكرمة والضحاك
ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن
علي رضي الله عنه هم المجوس والجمهور الكثر لا يحيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان
شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فان مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان
لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن ايمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس
بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين او النفاق والنهي عن اظهار ما في التورية
كما وقع من الفريق الاخير اي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة ● لا يعلمون الكتاب ●
اي لا يعرفون التورية ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة
يأباه سياق النظم الكريم وسياقه ● الا اماني ● بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة
من منى بمعنى قدر اتلا كتمنى في قوله كتاب الله اول ليله فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها على الاول
ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما
يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان
الله تعالى يعفو عنهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب
على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه ما تتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما
حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان تكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم
الكريم ● وان هم الا يظنون ● ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم
فانى يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الاماني واتباع الظن عقيب
بيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة ويكشف كيفية اضلالهم لهم ويتعين مرجع الكل بالاخرة فقيل
على وجه الدعاء عليهم ● فويل ● هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر
المنصوبة بافعالها من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل
عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال
سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وقيل ويح وويب
وويس بمنزلة الويل وبينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال
ابن عباس رضي الله عنهما الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد
الخدري عن النبي صلعم انه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال

سعيد بن مسيب انه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة
جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ
خبره قوله عز وعلا ● للذين يكتبون الكتاب ● اي المحرف وما كتبوه من التأويلات الزائغة ● بايديهم
تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبت بيميني ● ثم يقولون هذا ● اي جميعا على الاول وبخصوصه على الثاني
● من عند الله ● روي ان احبار اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي عم المدينة فاحتالوا
في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي عم في التورية وكانت فيها حسن الوجه حسن الشعر
اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا
فيجدونه مخالفا لصفته عم فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فان نسبة المحرف والتأويل الزائغ الى الله سبحانه صريحا اشد
شناعة من نفس التحريف والتأويل ● ليشتروا به ● اي يأخذوا لانفسهم بمقابلته ● ثمنا ● هو ما اخذوه من الرشى بمقابلة ما
فعلوا من التحريف والتأويل وانما عبر عن المشتري الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه
ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات ~~في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو~~ وسيلة فيه والوسيلة مقصودة بالذات
● قليلا ● لا يعبأ به فان ذلك وان جل في نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوه من العذاب الخلد ● فويل لهم ● تكرير لما
سبق للتأكيد وتصريح بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد بعضه في حيز الصلة وبعضه في
معرض الغرض فان ذلك يؤذن بترتبه عليه ● ومن ● في قوله عز وجل ● مما كتبت ايديهم ● تعليلية متعلقة بويل او
بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اي كتبته او مصدرية والاول ادخل في الزجر
عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف ● وويل لهم مما يكسبون ● الكلام فيه كالذي فيما قبله و
التكرير لما مر من التأكيد والتشديد والتنصيص على التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا
من عند الله لما انه من مبادي ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل في التعليل به ● وقالوا ● بيان لبعض اخر من جناياتهم
وفصله عما قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوا في الكتاب ● لن تمسنا النار ●
في الاخرة ● الا اياما معدودة ● قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى
عم عنهم وحكى الاصم عن بعض اليهود ان عدد ايام عبادتهم العجل سبعة وروي عن ابن عباس رض
ومجاهد ان اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما واحدا
وروى الضحاك عن ابن عباس رض ان اليهود زعمت انهم وجدوا في التورية ان ما بين طرفي جهنم
مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة
فيكملونها ● قل ● تبكيتا لهم وتوبيخا ● اتخذتم ● باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج وباظهار الذال
وقرئ بادغامها في التاء ● عند الله عهدا ● خبرا ووعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يكون الا
بناء على وعد قوي ولذلك عبر عنه بالعهد ● فلن يخلف الله عهده ● الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف
كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا اي ان كان الامر كذلك فلن

فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلية الحكم فان عدم الاخلاف من قضية الالوهية
واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد
المعهود دخولا اوليا وفيه ايذان بان عدم التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود
قطعا اعني اتخاذ العهد • ام تقولون • معترضين • على الله ما لا تعلمون • وقوعه وانما وقع التوبيخ باسنادهم
اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والتنكير
فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى بطريق الاولى وفيهم المحكي وان لم يكن مفتريا بالافتراء [?]
سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه تعالى وام اما متصلة
والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاول كانه قيل ام لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى
واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار
على اتخاذ العهد الى ما تفيدهم بها من التوبيخ بالتقول على الله سبحانه كما في قوله عز وجل قال الله اذن لكم ام على
الله تفترون • بلى • الى آخره جواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال في ضمن تشريع
كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبي عم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه
عم مع ما فيه من الاشعار بانه امر غني لا يتوقف ولا يحتاج الى الجواب المختص بجواب النفي خبرا او استفهاما • من كسب
سيئة • فاحشة من السيئات اي كبيرة من الكبائر كداب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة
فبشرهم بعذاب اليم • واحاطت به • من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت
واستولت عليه • خطيئته • التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق
في الكافر ولذلك فسرها السلف بالكفر اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم وابن جرير
عن ابي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق
بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ
خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم • فاولئك
مبتدأ • اصحاب النار • خبره والجملة خبر للمبتدأ وانما دخلته الفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار
المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصحبة النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر
والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر
الثلاثة لما ان ذكرهم بالمعنى سبب لاسناد اليهم في تبكيتهم [?] فان كسب السيئات واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد
وصاحبته النار في حالة الاجتماع اي اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم
اصحاب النار ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه
من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب
النار لما في التعميم من التهويل مع بيان حالهم بالبرهان على الدليل مع ما فيه من قصد الاشعار بالتعليل • هم فيها خالدون

وايا ما ابدا فانى لهم التقصي عنها بعد سبعة ايام واربعين كما زعموا فلا حاجة في الآية الكريمة على خلود صاحب
الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على المكث الطويل على ان فيه تهوين
الخطب في مقام التهويل • والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون • جرت
السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة
والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى • واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل • شروع في بيان
بعض آخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب
به النبي عم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في احوالهم الى قطع الطمع في ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد
النبوة توبيخا لهم بسوء صنع اسلافهم اي اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم • لا تعبدون الا الله • على ارادة
القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب
ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كذا وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام
ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة
لا تعبدوا او عطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ وهو اخبار في معنى النهي كقوله تعالى
ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كذا وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من
ابهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا
تعبدوا او عطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف ان ورفع الفعل كما في
قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي ويعضده قراءة ان لا تعبدوا
فيكون بدلا من الميثاق او معمولا لحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قيل وحلفناهم
لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب • وبالوالدين احسانا • متعلق بمضمر اي وتحسنون او
احسنوا • وذي القربى واليتامى والمساكين • عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل
ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن التقلب • وقولوا للناس حسنا • اي
قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بفتحتين وهي لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد
به ما فيه تخلق وارشاد • واقيموا الصلوة واتوا الزكوة • يعني ما فرض عليهم في شريعتهم • ثم توليتم • ان جعل ناصب
اذ خطابا للنبي صلعم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم
لجريان ذكرهم كلهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطاب السابق لاسلافهم محكي داخل في حيز القول قيل لا تعبدون كانهم
استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلعم فهذا
التعميم للخطاب بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق
ورفضتموه • الا قليلا منكم • وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف
من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه • وانتم معرضون • جملة اسمية اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة
ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال الى جانب العرض •

ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بموجب الميثاق المأخوذ
منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها
على سبيل الامر فان المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا
وقت اخذنا ميثاقكم في التورية وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار في
معنى النهي غير السبك اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل لبعض بالقتل
والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى انفسهم لما بينهم
من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس
وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ المحذور
انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سياتي من قوله تعالى من ديارهم
واما الخطاب فيها باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغة وتشديد
التشنيع واما ضمير دماءكم فيحتمل للمخرجين فمعناه الاول كون المسفوك دماء ادعائية للمخاطبين حقيقة ومعناه الثاني
كونها دماء حقيقية للمخاطبين ادعاء وهما متعاريان في افادة المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي
الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية
فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا يساعده سياق
النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون
توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم
بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ قوي واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعدما كان من
الميثاق والاقرار والشهادة عليه فانتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف
الذات والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتصفون بما سيحكى عنكم بالجمل الاتية فان قوله
عز وجل تقتلون انفسكم الى اخره بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف
نحن وقيل تقتلون انفسكم اي الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتّلون بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقا منكم
الضمير اما للمخاطبين والمفعول محذوف اي من انفسكم واما للمقتولين والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين فلا
يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه يدور رونق المبالغة في تاكيد الميثاق حسبما نص
عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم
لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملة في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون عليهم
بحذف احدى التائين وقرئ باثباتها وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التائين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون
وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج
بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله اي ملتبسين
بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب والعدوان وهو

التجاوز

التجاوز في الظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر اي الشد او جمع اسرى
وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقرئ اسرى ومحله النصب على الحالية تفادوهم اي تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء
وقرئ تفدوهم قال السدي ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا
من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير
حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا
ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم
عليكم اخراجهم هو ضمير الشأن وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل ووقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان
وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما
يدل عليه تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه
قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للتساهل في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام
لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى
بشيء من دية او قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر فيما سبق واما تاخيره عن الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم
لما ذكره الواحدي فلان نظم الآي عليهم المناقضة في نمط واحد من الذكر اي جعل الميثاق المذكور والهمزة للانكار
التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي اتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة
وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله
داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان
التقديم يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار
الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون
ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا مدخل لكونهم بالبعض في ايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون بين
الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما نافية ومن ان جعلت موصولة
فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب
مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم حال من فاعل يفعل الا خزي
استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني
قريظة واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا في حيز
الرفع على انه صفة خزي اي خزي كائن في الحيوة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي وتعليق
جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر
له اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالتاء اوثر صيغة الجمع نظرا الى معنى من بعدما اوثر الافراد
نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل اشد

العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا
واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين جزائي النشأتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما
يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر • وما الله بغافل عما تعملون • من القبائح التي من جملتها هذا
المنكر وقرئ بالياء على ان يرجع يردون وهو تاكيد للوعيد • اولئك • الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو
مبتدأ قوله تعالى • الذين اشتروا • اي آثروا • الحيوة الدنيا • واستبدلوها • بالاخرة • واعرضوا عنها مع تمكنهم
من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض
المنافع الدنيوية الدنيئة • فلا يخفف عنهم العذاب • دنيويا كان او اخرويا • ولا هم ينصرون • بدفعه عنهم بشفاعة
او جبر والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر بمحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية
على مثلها • ولقد آتينا موسى الكتاب • شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء
به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عم بحملها فلم
يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عم فحملها • وقفينا من بعده بالرسل •
يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون
وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عم • وآتينا عيسى
ابن مريم البينات • المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل
وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول
رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه • ضليل اهواء الصبا تندمه • ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل • وايدناه • اي قويناه
وقرئ آيدناه • بروح القدس • بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عم كقولك حاتم الجود و
رجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عم لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث وقيل بجبريل عم
وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين
الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتأييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ
احكام التورية وتقريرها واما عيسى عم فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه
عم ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام • افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم • بما لا يحبه من الحق الذي
لا محيد عنه اي لا تحبه من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء
انفسهم والموافقة لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على
تعقيبهم ذلك بهذا وتعجيب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما
جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم • استكبرتم • عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى • ففريقا منهم
كذبتم • من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب • وفريقا منهم كذبتم • من غير ان تتعرضوا
لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او للتعقيب • وفريقا • آخر • منهم • تقتلون • غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا
ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة

الاستقبال

الاستقبال في تقتلون لاستحضار صورته الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بقتل النبي
عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة وقال صلعم ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري
• وقالوا • بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل
من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها للكل من بعضهم بطلانها وقد حرفها من اهل الحق والذين يكونون منهم الموجودون
في عصر النبي عم • قلوبنا غلف • جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية
لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف
ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره
قاله ابن عباس رض وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا تحل لما حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير
لوعته ايضا • بل لعنهم الله بكفرهم • رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته
بان خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث
لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فلذلك
لا يقبلون الحق المؤدي اليها • فقليلا ما يؤمنون • ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض
الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره
وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والاول انسب بالنص لعدم الايمان • ولما جاءهم كتاب • هو القرآن
وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل • من عند الله • اي كائن من عنده تعالى للتشريف • مصدق لما معهم • من التورية
عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ
مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف • وكانوا من قبل • اي من قبل مجيئه • يستفتحون على الذين كفروا •
اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته
في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال
ابن عباس رض وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله
صلعم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة
كما في استعجب اي يسألون انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية
مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا • فلما جاءهم • تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية
وقوله تعالى • ما عرفوا • عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به وايراد
الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان به ودواعيه
لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى • كفروا به •
جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد او جوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور
عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا
النبي عم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق للكتاب الذي معهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه

يستفتحون بمن أنزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به • فلعنة الله على الكافرين • اللام للعهد
أي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما أن الفاء للإيذان بترتبها
أو للجنس وهم داخلون في الحكم دخولاً أولياً إذ الكلام فيهم وأياً ما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم
الله بكفرهم • بئسما اشتروا به أنفسهم • ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفتها أي بئس شيئاً
باعوا به أنفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون أنهم بما فعلوا خلصوها من العقاب ويأباه أنه لا إيذان
بكون المذموم ما كان حاصلاً لهم لا ما كان زائلاً عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى • أن يكفروا بما أنزل الله • أي بالكتاب
المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الإنزال بالمجيء للإيذان بعلو شأنه الموجب للإيمان به • بغياً
حسداً وطلباً لما ليس لهم وهو علة لأن يكفروا حتماً دون اشتروا للفصل بين الفعل بما هو أجنبي بالنسبة إليه وإن لم
يكن أجنبياً بالنسبة إلى فعل الذم وفاعله ولأن البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعاً لا سيما وهو معلل بما سيأتي
من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وإنما الذي بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما أنزل الله والمعنى بئس شيئاً باعوا به
أنفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لأجل • أن ينزل الله من فضله • الذي هو الوحي • على من يشاء • أي يشاؤه
ويصطفيه • من عباده • المستأهلين لتحمل أعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل لحسدهم للمنزل وإيثار صيغة
التفعيل مهملاً للإيذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الإنزال وتكثره حسب تكثره • فباءوا بغضب على غضب
أي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فإنهم كفروا بنبي الحق
وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم
• وللكافرين • أي لهم والإظهار في موقع الإضمار للإشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم • عذاب مهين • يراد به
إهانتهم وإذلالهم لما أن كفرهم بما أنزل الله تعالى مبنياً على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس
والاستهانة بمن أنزل عليه عليه الصلاة والسلام • وإذا قيل لهم • من جانب المؤمنين • لهم • أي لليهود وتقديم
الجار والمجرور قد مر وجهه لاستيفاء في لام التبليغ • آمنوا بما أنزل الله • من الكتب الإلهية جميعاً والمراد به الأمر
بالإيمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم إيذاناً بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة
وموافقته له في المضمون وتنبيهاً على أن الإيمان بما عداه من غير إيمان به ليس بإيمان بما أنزل الله • قالوا نؤمن
أي نستمر على الإيمان • بما أنزل علينا • يعنون به التوراة وما أنزل على أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام لتقرير
حكمها ويدسون فيه أن ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم إما أنفسهم فمعنى الإنزال عليهم تكليفهم
بما في المنزل من الأحكام وإما أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام وهو الظاهر لاشتماله على مزية الإيذان بأن عدم
إيمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولأن مرادهم بالموصول وإن كان هو التوراة
وما في حكمها خاصة لكن إيرادها بعنوان الإنزال عليهم مبني على ادعاء أن ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما أشير إليه
فلو أريد بالإنزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما أنزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل • و
يكفرون بما وراءه • عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلاً على واحد من بني إسرائيل على الوجه الأخير ويريد
الموصول عند الإضمار رعاية لما عرضوا به تعسف لا يخفى والوراء في الأصل مصدر جعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى

به وهو خلفه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو ما أمامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ أي قالوا ما قالوا
وهم يكفرون بما عداه وليس المراد به مجرد بيان أن إفرادهم بما أنزل عليهم بالذكر لنفي إيمانهم بما وراءه بل بيان أن ما
يدعون من الإيمان ليس بإيمان بما أنزل عليهم حقيقة فإن قوله عز اسمه • وهو الحق • أي المعروف بالحقية
الحقيق بأن يخص باسم الحق على الإطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى • مصدقاً • حال مؤكدة لمضمون
الجملة صاحبها إما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله أبو البقاء وإما ضمير دل عليه الكلام وعاملها
فعل مضمر أي أحقه مصدقاً • لما معهم • من التوراة فالمعنى قالوا نؤمن بما أنزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال
أنه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به ومآله أنهم ادعوا الإيمان بالتوراة والحال أنهم يكفرون
بما يلزم من الكفر به الكفر بها • قل • تبكيتاً لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم
بعد بيان التناقض في أقوالهم • فلم • أصله لما حذفت عنه الألف فرقاً بين الاستفهامية والخبرية • تقتلون
أنبياء الله من قبل • الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد
والعمل كان الاعتراض على أسلافهم اعتراضاً على أخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو
جواب شرط محذوف أي قل لهم إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلأي شيء كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل
وهو فيها حرام وقرئ أنبئاء الله مهموزاً وقوله تعالى • إن كنتم مؤمنين • تكرير للاعتراض لتأكيد الإلزام
وتشديد التهديد أي إن كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة
بما أثبت في الأخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى إلا على رأي الكوفيين وأبي
زيد وقيل إن نافية أي ما كنتم مؤمنين وإلا لما قتلتموهم • ولقد جاءكم موسى بالبينات • من تمام التبكيت
والتوبيخ داخل تحت الأمر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام
للقسم أي وبالله لقد جاءكم موسى ملتبساً بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون ونقص الثمرات
والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التوراة وليس بواضح فإن المجيء بها
بعد قصة العجل • ثم اتخذتم العجل • أي إلهاً • من بعده • أي من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه إلى الطور فيكون
التوراة حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا • وأنتم ظالمون • حال
من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها أو بالإخلال بحقوق آيات الله تعالى
أو اعتراض أي وأنتم قوم عادتكم الظلم • وإذ أخذنا ميثاقكم • توبيخ من جهته تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم
الإيمان بما أنزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بتكذيبهم أي اذكروا حين أخذنا ميثاقكم • ورفعنا فوقكم الطور
قائلين • خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا • أي خذوا بما أمرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سماع طاعة وقبول
• قالوا • استئناف مبني على سؤال سائل كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا • سمعنا • قولك • وعصينا
أمرك فإذا قابل أسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة
الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوراة فكيف يتصور من أخلافهم الإيمان بما فيها • وأشربوا في قلوبهم العجل
على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للمبالغة أي تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم

به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كما في قوله تعالى
إنما يأكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا
مجسمة أو حلولية ولم يروا جسما أعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سوّل لهم السامري قل توبيخ لحاضري اليهود إثر ما
تبين أحوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به إيمانكم بما أنزل عليكم من التوراة حسبما
تدعون والمخصوص بالذم محذوف أي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي إسناد الأمر إلى الإيمان
تهكم بهم وإضافة الإيمان إليهم للإيذان بأنه ليس بإيمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى إن كنتم مؤمنين فإنه قدح في دعواهم
الإيمان بما أنزل عليهم من التوراة وإبطال لها وتقريره إن كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئس ما
يأمركم به إيمانكم بها وإذ لا يسوغ الإيمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف
لدلالة ما سبق عليه قل كرر الأمر مع قرب العهد بالأمر السابق لما أنه أمر بتبكيتهم وإظهار كذبهم في فن آخر من أباطيلهم
لم يحك عنهم قبل الأمر بإبطاله بل اكتفي بالإشارة إليه في تضاعيف الكلام حيث قيل إن كانت لكم الدار الآخرة
أي الجنة أو نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة أي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا
ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر أعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة
تعالى خلص كذا من كذا واللام للجنس أي الناس كافة أو للعهد أي المسلمين فتمنوا الموت فإن من أيقن بدخول
الجنة اشتاق إليه وأحب التخلص إليها من دار البوار وقرارة الأكدار لا سيما إذا كانت خالصة له كما قال علي كرم الله
تعالى وجهه لا أبالي أسقطت على الموت أو سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن ألاقي الأحبة محمدا
وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم أي على التمني وقوله
تعالى إن كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الإلزام وللتنبيه على أن ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الأمر فقط
بل في اعتقادهم أيضا وأنهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أي إن كنتم صادقين فتمنوه وقوله
تعالى ولن يتمنوه أبدا كلام مستأنف غير داخل تحت الكلام سيق من جهته تعالى لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا إليه الدال
على كذبهم في دعواهم بما قدمت أيديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عم والقرآن وتحريف
التوراة ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة صنائعه ومدار أكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة وأخرى عن
القدرة والله عليم بالظالمين وإيثار الإظهار على الإضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في جميع الأمور التي
من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم
والمعاصي المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم أحد
إذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلعم لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه
الأرض ولتجدنهم أحرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا أنه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها و
مفعولاه الضمير وأحرص والتنكير في قوله تعالى على حياة للإيذان بأن مرادهم نوع خاص منها وهي الحياة المتطاولة وقرئ
بالتعريف ومن الذين أشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر
مع دخولهم في الناس للإيذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فإن حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما

كان

كان أشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على علمهم بمصيرهم إلى النار ويجوز أن يحمل على حذف المعطوف ثقة بإنباء
المعطوف عليه عنه أي وأحرص من الذين أشركوا فقوله تعالى يود أحدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف
ويجوز أن يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف المتقدم على أن يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن
الله أي ومنهم طائفة يود أحدهم أيهم كان أي كل واحد منهم لو يعمر ألف سنة وهو حكاية لودادتهم كأنه قيل ليتني أعمر
وإنما أجري على الغيبة لقوله يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على أنه مفعول يود إجراء له مجرى القول لأنه
فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد إلى أحدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة
وأن يعمر فاعل مزحزحه أي وما أحدهم بمن يزحزحه أي يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر
وأن يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وأن يعمر مفسره والجملة حال من أحدهم والعامل يود لا يعمر على أنها حال من ضميره لفساد
المعنى أو اعتراض وأصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة
وتسنهت النخلة إذا أتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام الله العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم
فلان بصير بالفقه أي عليم بخفيات أعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد
قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلعم وسأله عمن ينزل عليه بالوحي
فقال عم جبريل عم فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي
يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله
فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عم وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإلا فبأي حق تقتلونه
وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره
على مدراس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما أجيئكم
لحبكم ولا أسألكم لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلعم وأرى آثاره في كتابكم ثم سألهم
عن جبريل عم فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجيء بالخصب و
السلام فقال وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان
فقال عمر رضي الله إن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما فهو عدو للآخر
ومن كان عدوا له كان عدوا لله سبحانه تعالى ثم رجع عمر فوجد جبريل عم قد سبقه بالوحي فقال النبي صلعم لقد وافقك
ربك يا عمر قال عمر رضه لقد رأيتني في دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وجبريل كسلسبيل وجبرئيل كجحمرش وجبرئل وجبرال
وجبرائيل كجبراعيل وجبرئيل كجبرعيل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فإنه نزله تعليل لجواب
الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل عم والثاني للقرآن أضمر من غير ذكر إيذانا بفخامة شأنه واستغنائه
عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شيء من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل
الوحي فإنه القابل الأول له ومدار الفهم والحفظ وإيثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه
كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة
بإذن الله بأمره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عم إلى تنزيله وصدق
عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه أي من الكتب الإلهية التي معظمها التوراة

حال من مفعوله وكذا قوله تعالى • وهدى وبشرى للمؤمنين • والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه
لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم
موافق له وهم له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك
يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب
او فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له • من كان عدوا لله • اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن
طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكر الجليل تفخيما لشانهم وايذانا بان عداوتهم
عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل • وملائكته ورسله وجبريل وميكال •
وانما افرد بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملكية والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس آخر
اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للآخر
مادة لاعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء
في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله تعالى • فان الله
عدو للكافرين • اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة
على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج
الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ
ميكائيل كميكاعل وميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعيل • ولقد انزلنا اليك آيات بينات • واضحات الدلالة
على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل • وما يكفر بها الا الفاسقون • اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده
فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع
من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ابن صوريا لرسول
الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون
وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا • اوكلما عاهدوا
عهدا • الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا
ومن جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي
يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان التقدير وما يكفر بها الا الذين فسقوا
او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول
على انه بمعنى اعطوا العهد • نبذه فريق منهم • اي رموا بالزمام ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم
لما ان منهم من لم ينبذه • بل اكثرهم لا يؤمنون • اي بالتورية وضرب عما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا
فهم يؤمنون بها سرا • ولما جاءهم رسول • هو النبي صلعم والتنوين للتفخيم • من عند الله • متعلق بجاء او
بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتاكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
مصدق لما معهم • من التورية من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر صحتها وحقق حقيقة نبوة موسى عم بما انزل عليه
او من حيث انه عم جاء على وفق ما نعت فيها • نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب • اي التورية وهم اليهود

الذين

الذين كانوا في عهد النبي صلعم ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عم كما قيل لان النبذ
عند مجيء النبي عم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر اتباعهم ما تتلوا الشياطين وايثارهم له عليه والمراد
بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها
عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت لهم في حيز الصلة
وبين ما صدر عنهم من النبذ • كتاب الله • اي الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلعم عارضوه بالتورية فاتفقت
التورية والقرآن فنبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى
ولما جاءهم رسول من عند الله الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤوا عليه
من الكفر وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعدما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك
قبول له وتمسك فان الكفر به عند مجيئه نبذ له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب
• وراء ظهورهم • مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى وراء الظهور استغناء عنه وقلة التفات اليه
• كانهم لا يعلمون • جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه
على وجه الاتقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلعم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كانهم لا
يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين مبالغة في اعراضهم عما في التورية من
دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو
العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون مكابرة وعنادا قيل
ان جميع اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم
بقوله عز وجل • بل اكثرهم لا يؤمنون • وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون
بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها
ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون • واتبعوا ما تتلوا الشياطين • عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله
واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال ماضية والمراد
بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجيء الرسول
صلعم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا • على ملك سليمان •
اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب
يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد
سليمان عم حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له
ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان
كان دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل
اليه قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء
المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه السلام وانه ما بلغ

الاهم

المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان
عم وانه ما بلغ هذا الملك الا بسبب هذه الاشياء • وما كفر سليمان • تنزيه لسليمان عم عن
السحر وتكذيب لمن قرى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته
عم وكذب باهتيه بذلك • ولكن الشياطين • وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين وفي الواو
عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون
ما بعدها مفردا • كفروا • باستعمال السحر وتدوينه • يعلمون الناس السحر • اغواء واضلالا
والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل
كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال
للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما
على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما استئنافية فحسب • واعلم ان السحر
انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون
انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون
الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تع ابراهيم
عم لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود
لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا
ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك وللكواكب فاعلا مختارا
لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب
الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان يبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على
الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى
بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف في ان من اعتقد الاول فقد كفر
وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية
وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة
اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق
ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما ياتي ويذر ومن كان من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزائمه
ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل
السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة
لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما
الشعوذة وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية
الشعوذة وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد واستعانة الادوية والاحجار
مكرر

والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي
سببه ومن الصرف عن جهته لمعان دقيقة لانه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس •
وما انزل على الملكين • عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو
نوع اقوى منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل الخ وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله
للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس ولان السحرة كثرت في
ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة وبين المعجزة فبعث الله تع هذين الملكين
ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان
الملائكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد من ذنوب بني ادم عيروهم وقالوا الله سبحانه ما ينبغي لهم ان يعصوك قال
تع فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض
بعد ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء
وقد نهي عن الاشراك والقتل بغير حق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله
الاعظم وصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النساء وتسمى زهرة وكانت من لخم وقيل
كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها
فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد التاباء والتي ثم
سالاها ما شئت فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به و
صعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما و
كان في عهد ادريس عم فالتجيا اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا الاول
لانقطاعه فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الى قيام الساعة فمما لا
لا يعول عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز
التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين
بالكسر • ببابل • الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق
وقال ابن مسعود رض بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة العلمية او للتانيث والعلمية • هاروت
وماروت • عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا
واما من قرا بكسر اللام الملكين قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن فهما
المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هو هاروت وماروت • وما يعلمان من احد • من مزيدة في المفعول به لافادة
تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من
الاعلام • حتى يقولا انما نحن فتنة • الفتنة الاختبار والامتحان وافراد مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها
عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس
عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا انما نحن له فتنة وابتلاء

من الله عز وجل فمن علم ما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار
بمثله بقي على الايمان • فلا تكفر • باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النهي ليست المقالة فقط بل من جملتها
الزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشأن النصح والارشاد
والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمان لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
ما انزل على الملكين مع تحميلهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر
بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الى اخره نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان
جيء بها لتكذيب اليهود في هذه القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين
على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المنوع ما يعلمان احدا
حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون مثلنا فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر وبضلال الناس مما لا يلائمه
وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه
• فيتعلمون منهما • عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد
حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين • ما يفرقون به • اي بسببه وباستعماله بين المرء وقرئ
بضم الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة • وزوجه • بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والنشوز
والنشوز عند ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب
العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس ويعتقدون انه حق
فيكفرون فتبين ازواجهم • وما هم بضارين به • اي بما تعلموه واستعملوه من السحر • من احد • اي احدا
ومن مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول فعل منفي الا انه حملت
الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد • الا باذن الله • لانه وغيره من الاسباب
بمعزل من التأثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمال اهل السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد
لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها
على النفي او الضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا
من المجرور والفصل بين المضافين بالظرف • ويتعلمون ما يضرهم • لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل
غالبا • ولا ينفعهم • صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض
لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون
فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان
قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه • ولقد علموا • اي اليهود الذين
حكيت جناياتهم • لمن اشتراه • اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف
والثانية لام الابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى •
ما له في الاخرة من خلاق • اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الاخرة متعلق بمحذوف وقع

حالا

حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الاخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة
في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد
وجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الى اخره هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه
ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الاخرة
من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم
يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما • ولبئس ما شروا به انفسهم • اي باعوها واللام جواب
قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي وبالله لبئسما باعوا به انفسهم السحر والكفر وفيه ايذان بانهم حيث
نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيد عليهم الا تبارا وتجويز كون الشراء
بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشترى متعين وهو ما تتلو الشياطين ولان متعلق الذم هو
الاخذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله سبحانه بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله
• لو كانوا يعلمون • اي يعملون بعلمهم غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون
قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او
العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا • ولو
انهم امنوا • اي بالرسول الموحى اليه في قوله ولما جاءهم رسول من الله الى اخره او بما انزل اليه
من الايات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون او
بالتوراة التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم فان الكفر بالقران
والرسول عين كفر بها • واتقوا • المعاصي المحكية • لمثوبة من عند الله خير • جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة
من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم
والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقه
بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو
محذوف اي لاثيبوا وما بعده جملة مستأنفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام
العرب وقيل لو للتمني ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف بحالهم ايمانهم واتقاءهم تلهفا
عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه • لو كانوا يعلمون • ان
اي ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم • يا ايها الذين امنوا • خطاب للمؤمنين
فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض اخر من جنايات اليهود • لا تقولوا راعنا • المراعاة المبالغة
في الرعي وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلعم
شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه
وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا وقيل معناها اسمع لا سمعت
فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبي صلعم يعنون به

تلك المسبة او نسبته عليه الصلوة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة رضي الله عنه
سمعها منهم فقال يا اعداء الله لعنة الله عليكم والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلعم
لاضربن عنقه او قال ستم تقولونها فنزلت الاية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن
التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل • وقولوا انظرنا • اي انظر الينا بالحذف والايصال
او ننتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة
الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان
سببا للسب بالرعن اتصف به • واسمعوا • واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلعم ويلقي عليكم من المسائل
باذن واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه
من النهي والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم
مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا • وللكافرين • اي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى
كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلعم وقالوا له ما قالوا • عذاب اليم • لما اجترؤوا عليه
من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه • ما يود الذين كفروا •
الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير
للاشعار بما في حيز الصلة بالعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان
يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الاية بالخير فكأنه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه
في اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبتهم ويزعمون
انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك ومن في قوله تعالى • من اهل الكتاب ولا المشركين •
للتبيين كما في قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لتاكيد النفي • ان ينزل عليكم • في حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح
الاتي وقوله تعالى • من خير • هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والخير الوحي وان لم يباشره
ظاهر النفي مسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعم وغيره من ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال
العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى • من ربكم • ابتدائية والتعرض لعنوان
الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم
لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعريضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من
تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي صلعم وصيغة الجمع
للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي صلعم بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن الدراسة
عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم
ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء
الناشئون فيما بين الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال

زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة قالوا لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر والاسماء
في اثناء ذكر ابتلائهم بما يلزم من نفي وداد هم لما ذكر نفي وداد المشركين له قرنت بكلمة لا
لتاكيد النفي • والله يختص برحمته • جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه
على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك
عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته الى الله تعالى بالرحمة قال علي رضي الله عنه نبوته
خص بها محمدا صلعم فالفعل بها متعد وصيغة الافتعال للانباء عن الاصطفاء والاثار
على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه
صلعم واقناط طمعهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته •
من يشاء من عباده • ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتي الفائض عليه بحسب ارادته عز
وعلا تفضلا لا يتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن فاعله والضمير العائد اليه من محذوف
على التقدير وقوله تعالى • والله ذو الفضل العظيم • تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان
بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك
ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل
للايذان بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فان الاضمار في الثانية ينبئ عن
توقفها على الاولى • ما ننسخ من اية او ننسها • كلام مستأنف مسوق لبيان سر النسخ الذي هو
فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين
له رأسا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه
ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته
ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها
من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اي نأمرك
او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها اي نؤخرها وننسها بالتشديد وننسها على خطاب
الرسول صلعم مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من اية او ننسكها وقرئ ما ننسك من اية
او ننسخها والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او
كليهما معا الى بدل او الى غير بدل • نأت بخير منها • اي نوع اخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع
والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا • او مثلها • اي فيما ذكر من النفع والثواب
وهذا الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار
الغالب والتنصيص على ان ذلك دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الايات التي عليها يدور فلك الاحكام
الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب تبدل

الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال اخرى نقيضه
فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما في قوله
سبحانه اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح لك والخطاب للنبي صلعم وقوله تعالى ان الله على كل شيء
قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد
بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما
هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء
من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض
مبتدا والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان الله ملك السموات والارض لقصد الى تقوي الحكم
تكرير الاسناد وما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما في حيزها
على ما سبق من مثلها روما لزيادة التاكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف
على ما هو المقصود واما لتنوير مستقل على قدرته تعالى على جميع الاشياء اي الم تعلم ان الله له السلطان
القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا
ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته
شيء من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة
خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب للنبي صلعم للامة ايضا
وانما افرد عم بما لما ان علومهم مستندة الى علمه عم ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع
الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد
بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ
او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك
وليا ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له
فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير
ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم
ومن ولي مبتدا موخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه
واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل
صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلثة
هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه
من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر الى الله من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي
من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد للخطاب عن النبي صلعم وتخصيص له بال

بالمومنين

بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور
بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة
انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة
دون متعلقها للمبالغة في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدور
نفسه والمعنى بل اتريدون ان تسالوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة
من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم
بشئونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عم بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل لعله
عم قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون
عليها الماكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر موكد محذوف
وما مصدرية اي سؤالا مشبها بسؤال موسى عم حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك
ومقتضى الظاهر ان يقال كما سال موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين
لا من المبني للمفعول اعني مسئولية الرسول عم حتى تشبه بمسئولية موسى عم فلعله اريد التشبيه فيهما معا
ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسئولية واكتفى بما ذكر في كل موضع
عما ترك في الموضع الاخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد
لفضله وقد جوز ان يكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي كالسؤال الذي سئله موسى وقوله تعالى من قبل
متعلق بسئل جيء به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر
اي يختره وياخذه لنفسه بالايمان بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال
ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور وارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالايات البينة المنزلة بحسب المصالح
التي من جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل
وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في
مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك
امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية
روما للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة
في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين
سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل الخطاب لليهود حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء
وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول اليهم على القولين
باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم
من ذلك وايثارهم للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازورا
وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على

على الحق ما ظهر منهم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد
فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا فقال
حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين
اخوانا ثم اتيا رسول الله فاخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فذلك • **لو يردونكم** • حكاية لودادتهم ولو في معنى
التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي مصدرية الا انها حينئذ فلا يكون لها جواب وتنسبك
منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره
لو يردونكم كفارا لسروا بذلك • **من بعد ايمانكم** • متعلق بيردونكم وقوله تعالى • **كفارا** • مفعول ثان له على
تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من
الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر واراد الطرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين
مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما
ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل
من بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى • **حسدا** • علة لود وحال اريد به نفس الجمع اي
حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير بخير • **من عند انفسهم** • متعلق بود اي ودوا ذلك من
اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بالحسد اي منبعثا من
اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه • **من بعد ما تبين لهم الحق** • بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التوراة
من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل • **فاعفوا واصفحوا** • العفو ترك المؤاخذة
والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب • **حتى يأتي الله بامره** • الذي هو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما منسوخ بآية
السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد بذلك من ان يكون ناسخا
كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ • **ان الله على كل شيء قدير** • فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه
فهو تعليل لما دل عليه ما قبله • **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** • عطف على فاعفوا امروا بالصبر والمداراة
واللجأ الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية • **وما تقدموا لانفسكم من خير** • كصلوة او صدقة او غير
ذلك اي اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم • **تجدوه عند الله** • اي تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من
اقدم • **ان الله بما تعملون بصير** • فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين
• **وقالوا** • عطف على ود والضمير لاهل الكتابين جميعا • **لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى** •
اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين
القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس المراد بهم
باولئك من ايام اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجههما بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه

لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل والافراد في كان
باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا • **تلك امانيهم** • الاماني
جمع امنية وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار
صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله
من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى • **قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين** •
فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ومما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي
احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم هذا ما تقتضيه المقام بحسب النظر الجليل و
الذي يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي تتضمنه دعوى الا
الاختصاص فان قوله تعالى • **بلى** • الى اخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لما اثبتوه واذ ليس اثبات
مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم يكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص
غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا
اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه
وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم
لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول حيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم
عن اثباته فهم من الاختصاص ابعد وعن اثباته اعجز واما العامل في من فما ينتظمه قوله سبحانه • **من اسلم**
وجهه لله • اي اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر
وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته
الى شيء غيره • **وهو محسن** • حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور
وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره
صلعم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك • **فله اجره** • الذي وعد له على عمله وهو
عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل فيه دخولا اوليا وايا ما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه
بالعمل واستحالة نيله • **عند ربه** • حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف
ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اي
فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت
موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر
اي بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر وايا ما كان فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر
من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل
ومن الاختصاص به بالف منزل • **ولا خوف عليهم** • في الدارين من لحوق مكروه • **ولا هم يحزنون** •
من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في

ضمائر الصلة باعتبار معنى من كان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ • وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء • بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه
العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلعم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم
فقالوا لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او على شيء ما منه اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء
وكفروا بعيسى والانجيل • وقالت النصارى ليست اليهود على شيء • على الوجه المذكور وكفروا بموسى
والتورية لا انهم قالوا ذلك بناء للامر على منسوخية التورية • وهم يتلون الكتاب • الواو للحال
واللام للجنس اي قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اي كان حق كل منهم
ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة • كذلك • اي مثل
ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر
اي قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له • قال الذين لا يعلمون • من عبدة الاصنام والمعطلة
ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل الكتاب ليسوا على شيء واما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال
عليه قال اي قال الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذي سمعت به • مثل قولهم • اما بدل من
محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود و
النصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا • فالله يحكم بينهم
اي بين اليهود والنصارى فان مساق النظم لبيان حالهم واما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال
بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم • يوم القيمة • متعلق بيحكم وكذا ما قبله و
ما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى • فيما كانوا فيه يختلفون • بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب
وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤس
الآي لا بكانوا • ومن اظلم ممن منع مساجد الله • انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن
فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف
الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما
انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في اي مسجد كان وان
وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون
في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه و
احرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان طيطوس الرومي ملك النصارى
واصحابه غزوا بني اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت
المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله
واما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب
ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى

النصارى

النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل منع المشركين رسول الله صلعم ان يدخل المسجد
الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل
من عداهم ليسوا على شيء • ان يذكر فيها اسمه • ثاني مفعولي منع لانه يقال منعه كذا ومنه منع
الناس ان يؤمنوا ولسرعة وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون
ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار اي من ان وان يكون ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه •
وسعى في خرابها • بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر • اولئك • المانعون الظالمون
الساعون في خرابها • ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين • اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها
الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا
على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها
ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين
بالنصر واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد • ولله الحمد • روي انه لا يدخل
بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
في المسجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رحمه الله مطلقا ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره • لهم • اي لاولئك المذكورين • في الدنيا خزي • اي خزي فظيع لا يوصف
بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم • ولهم في الآخرة عذاب عظيم • وهو عذاب
النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق
الى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر من ان التاخير عما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه
فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج الى غير ذلك • ولله المشرق والمغرب • اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي
المشرق والمغرب لا يختص من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان
منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى او المسجد الحرام • فاينما تولوا • اي ففي اي مكان فعلتم تولية
وجوهكم شطر القبلة • فثم وجه الله • ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف
سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدا والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي فهناك جهته
التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او بمكان دون آخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمي
اي فهو عالم بما يفعل فيه ومثيبكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة • ان الله
واسع • باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده • عليم • بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها
والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهوا وقيل
في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له

الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في جهة • وقالوا اتخذ الله
ولدا • حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ
لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين
لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا
العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف
اي صيّر بعض مخلوقاته ولدا • سبحانه • تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل و
انتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من
حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول
من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام
المصدر مع الفعل بالكلية وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقيا به فيفيد مبالغة من حيث
اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد تنزاهته تعالى عما لا يليق به لا اثباتها له تعالى وقوله
تعالى • بل له ما في السموات والارض • رد لما زعموه وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يستنبط من مقالتهم
الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان
مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالآخرة مستغنية
بدوامها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات
التي من جملتها عزير والمسيح والملائكة • كل • التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي
العلم وغيرهم • له قانتون • منقادون لا يستعصي شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا
شانه لم يتصور مجانسته لشيء ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانما جيء بما المختصة بغير اولي
العلم تحقيرا لشأنهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون للتغليب
او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون له مقرون بربوبيته تعالى كقوله اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة • بديع السموات والارض • اي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه
ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه [illegible] اهل اللغة وقد جاء بدعه
كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع
وقيل من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع
سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان
الولد عنصر الوالد المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال
فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو بديع الى آخره وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على انه خبر لمبتدأ
محذوف اي هو بديع الى آخره بدل من الضمير في له على رأي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما في قوله على جوده لضن
بالماء حاتم • واذا قضى امرا • اي اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة

الالهية

الالهية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ • فانما يقول
له كن فيكون • كلاهما من الكون التام اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل
لسهولة تأتي المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة المأمور
المطيع للآمر القوي المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح لحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شأن من يفتقر
في تحصيل مراده الى مبادي يستدعي ترتبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك • وقال الذين لا
يعلمون • حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد
اليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن عباس رضي الله عنه هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى
ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغي او لعدم علمهم ولما ان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم
اصلا وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا • لولا يكلمنا الله • اي هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملائكة او هلا يكلمنا تنصيصا
على نبوتك • او تأتينا آية • حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة
الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما آتاهم من البينات الباهرة
التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله انى يؤفكون • كذلك • مثل ذلك القول الشنيع الصادر
عن العناد والفساد • قال الذين من قبلهم • من الامم الماضية • مثل قولهم • هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا الله
جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها • تشابهت
قلوبهم • اي قلوب هؤلاء واولئك في العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة • قد بينا الآيات
اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا انا بيناها
بعد ان لم تكن بينة • لقوم يوقنون • اي يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة
وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي
طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا آية فذة ونحن قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين
وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة الى الرد والجواب • انا
ارسلناك بالحق • اي ملتبسا بالقرآن كما في قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله تعالى احق هو
وقوله تعالى • بشيرا ونذيرا • حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اي ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال كونك
بشيرا لمن آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب
ونذيرا لمن كذبك بالعذاب لتنجو والاسهام فما اجبروا لا قاسر لهم على الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا •
ولا تسأل عن اصحاب الجحيم • ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرئ لن تسأل وما تسأل وقرئ لا
تسأل على صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها
على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع خبرها وحمله على نهي النبي صلعم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده
النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم

وإيذان بأنهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الإيمان قطعاً وقوله تعالى • ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم • بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة إثر بيان ما يعمهما والمشركين من الأحبار على ما
مر [illegible] وإيراد لا فيه بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر من أن تعنت اليهود في أمثال هذه العظائم أشد
من النصارى وللإشعار بأن رضى كل منهما مباين لرضى الأخرى أي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم
حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فأوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في إقناطه
صلعم من إسلامهم ما لا غاية وراءه فإنهم حيث لم يرضوا عنه عم ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل أملوا منه صلعم
ما لا يكاد يدخل تحت الإمكان من اتباعه عم ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عم و
هذه حالتهم في أنفسهم ومقالتهم فيما بينهم وأما أنهم أظهروها للنبي صلعم وشافهوه بذلك وقالوا لن ترضى عنك وإن
بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فإن قوله عز وجل
• قل إن هدى الله هو الهدى • صريح في أن ما وقع منهم جواباً عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها أو
يلزمه من الدعوة إلى اليهودية والنصرانية وادعاء أن الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا هوداً
أو نصارى تهتدوا أي قل رداً عليهم إن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي يصح أن يسمى هدى و
هو الذي كله ليس وراءه هدى وما تدعون إليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى • ولئن اتبعت أهواءهم
• أي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات أنفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم إذ هي التي ينتمون إليها
وأما ما شرعه الله لهم من الشريعة على لسان الأنبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييراً • بعد الذي جاءك من العلم
• أي الوحي أو الدين المعلوم صحته • ما لك من الله • من جهته العزيزة • من ولي • أمرك عموماً • ولا نصير • يدفع
عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط لا بين المعطوفين لتأكيد النفي وهذا من باب التهييج والإلهاب
وإلا فأنى يتوهم إمكان اتباعه عم لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطأته اللام والكسر عن جواب الشرط • الذين
آتيناهم الكتاب • هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه • يتلونه حق تلاوته • بمراعاة لفظه عن
التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده • أولئك • إشارة إلى الموصوفين
بإيتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الفضل • يؤمنون به • أي بكتابهم
دون المحرفين فإنهم بمعزل من الإيمان به فإنه لا يجامع الكفر ببعض منه • ومن يكفر به • بالتحريف والكفر بما يصدقه
• فأولئك هم الخاسرون • حيث اشتروا الكفر بالإيمان • يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم • ومن جملتها التوراة
وذكر النعمة إنما يكون بشكرها وشكرها الإيمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي ومن ضرورته الإيمان به عم
• وأني فضلتكم على العالمين • أفردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السابقة لأنها فيما بين فنون النعم
• واتقوا إن لم تؤمنوا يوماً لا تجزي • في ذلك اليوم • نفس • من النفوس • عن نفس • أخرى • شيئاً من الأشياء
أو شيئاً من الجزاء • ولا يقبل منها عدل • أي فدية • ولا تنفعها شفاعة • ولا هم ينصرون • وتخصيصهم بتكرير التذكير
وإعادة التحذير للمبالغة في النصح وللإيذان بأن ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما أن نعم الله عز وجل عليهم
أعظم وكفرهم بها أشد وأقبح • وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات • شروع في تحقيق أن هدى الله هو ما عليه النبي صلعم
من

من التوحيد والإسلام الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام وأن ما عليه أهل الكتاب أهواء زائغة وأن ما يدعونه
من أنهم على ملته عم فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن إبراهيم وأبنائه عم من الأقاويل والأفاعيل الناطقة
بحقية التوحيد والإسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلعم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه إبراهيم
وإسماعيل عم بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم الآية وإذ منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به
النبي صلعم بطريق التلوين أي واذكر لهم وقت ابتلائه عم ليتذكروا ما وقع فيه من الأمور الداعية إلى التوحيد
الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من
الحوادث مع أنها المقصودة بالذات قد مر وجهه في أثناء تفسير قوله عز وجل وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في
الأرض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر أي إذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى الخ والأول هو
اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد أن ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو إسرائيل ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون إلى ملته
من أبنائه عم من الأفعال والأقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الأصل الاختبار أي تطلب الخبرة بحال المختبر
بتعريضه لأمر يشق عليه غالباً فعله أو تركه وذلك إنما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الأمور وأما العليم الخبير
فلا يكون منه إلا مجازاً من تمكينه للعبد من اختيار أحد الأمرين قبل أن يرتب عليه شيئاً هو من مبادئه العادية كمن يختبر
عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيأمره بما يليق بحاله من مصالحه وإبراهيم اسم أعجمي قال السهيلي كثيراً ما يقع الاتفاق و
التقارب بين السريانية والعربية ألا يرى أن إبراهيم تفسيره أب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لأطفال المؤمنين
يموتون صغاراً إلى يوم القيامة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا أن النبي صلعم رأى في الروضة إبراهيم عم وحوله أولاد
الناس وهو مفعول مقدم لإضافة فاعله إلى ضميره والتعرض بعنوان الربوبية تشريف له عم وإيذان بأن ذلك
الابتلاء تربية له وترشيح لأمر خطير والمعنى عامله الله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه أوامر ونواهي ليظهر قيامه بحقوقها
قدرته على الخروج عن عهدة الإمامة العظمى وتحمل أعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لإرشادهم إلى طريق
إتقان الأمور ببنائها على التجربة وللإيذان بأن بعثة النبي صلعم مبنية على تلك المعاملة الرصينة واقعة بعد ظهور
استحقاقه عم للنبوة العامة كيف لا وهي التي أجيب بها دعوة إبراهيم عم كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد
هي المذكورة بعدها ورد بأنه يأباه الفاء في فأتمهن ثم الاستئناف وقال طاوس عن ابن عباس رضه هي عشر خصال
كانت فرضاً في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك
وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضه لم يبتل أحد بهذا الدين
فأقامه كله إلا إبراهيم ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر
في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل
ابتلاه الله سبحانه بسبعة أشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هي
محاجة قومه والصلاة والزكاة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف
وغيرهن وقيل هي قوله عم الذي خلقني فهو يهدين إلى الآيات ثم قيل إنما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لأنه
يقتضي سابقة الوحي وأجيب بأن مطلق الوحي لا يستلزم البعثة إلى الخلق وقرئ برفع إبراهيم ونصب ربه أي دعاه بكلمات من

الاعا، فعل المختبر مهل بحسبه البهان اولا • فاتمهن • اي قام بهن حق القيام واداهن حق ادائه من غير تفريط وتوان
كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه
فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل • قال • على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستأنفة
وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه
فبعد حكايتهما ترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال • اني جاعلك للناس اماما • او بيان
لقوله تعالى ابتلى على راي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير
انتصاب اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ
ابتلاه والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع دال وكذا منه للدلالة على انه جاعل
له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه • وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما
اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده
نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته • قال • استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم
عليه السلام عنده فقيل قال • ومن ذريتي • عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي
كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة
امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت او ذريت
والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية فصارت ذروية او فعيلة منهما
والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احديهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية
فادغمت الياء في مثلها فصارت ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء
كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة او فعيلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة فقلبت الراء
الاخيرة ياء لتوالي الامثال كما في تسرى وتقضى وتظنى فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة
فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها
• قال • استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق • لا ينال عهدي الظالمين • ليس هذا
ردا للدعوة بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع
في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل
من ذلك التمييز اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه الطريقة
على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين لئلا ينتظم المقتدون بالائمة
في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة
وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسمعيل
واسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد
صلعم ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابراهيم عليه السلام تنال بينهم مع ان الكلام فيها او نوه لا استلزام

عهد

عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب بعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع
لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل
المال بين الناس ومنه ما في قوله صلعم ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما
مبدلة من الواو فهي بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف
لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة • فما كان بين الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلائل
اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما
ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في امنا وقوله عز وجل • ونحن له مسلمون • اي مخلصون
له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على امنا • فان امنوا • الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان تقدم
من الايمان على الوجه المقرر مظنة لايمان اهل الكتاب بما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم • بمثل ما امنتم به • اي
بما امنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويعضده
قراءة ابن مسعود بما امنتم به وقراءة ابي بالذي امنتم به ويجوز ان تكون الباء للاستعانة اي المؤمن به محذوف لظهوره
بمرور ايمانا دائما على ان الفعل مجرى مجرى اللازم اي فان امنوا بما تم مفصلا اي فان فعلوا الايمان بشهادة
مثل شهادتكم وان تكون الاولى زائدة والثانية صلة لامنتم وما مصدرية اي فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر
مفصلا وان تكونا للملابسة اي فان امنوا ملتبسين بمثل ما امنتم ملتبسين به او
فان امنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما امنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء
عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه لخلاف المتعلق
فانه لا يتصور فيه التعدد • فقد اهتدوا • الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما
قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد
الطريق فبمعزل من مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لايهامه تجويز ان يكون له طريق اخر وراءه
• وان تولوا • اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كان امنوا ببعض وكفروا ببعض
كما هو دينهم وديدنهم • فانما هم في شقاق • اي المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف
والمعاداة والعداء من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الاخر صورة او معنى ويوليه خلفه
ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا
لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما امن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد مشاقتهم
الحادثة بعد توليهم عن الايمان كجواب الشرطية الاولى واما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستمرارهم
في ذلك واما بتأويل فاعلموا انما هم في شقاق وهذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله
تعالى فان امنوا الى اخره من التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا
اخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب في انه مما لا يليق
بحمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى القتال والجدال لا محالة عقب

ذلك تسلية لرسول الله صلعم وتفريح للمؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على
تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال
وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبي صلعم مع ان
ذلك منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والكلف
ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه اتم واكمل
وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتاكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين
فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم
عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة
من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين
من اوضار الكفر وحلية تزينهم باثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك
وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم
وبه يحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع اسناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها
عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب
عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمنزلة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغته وقيل منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا
صبغة الله واياما كان فتوسيطها بين المتعاطفين وما بعدهما اعتناء ببيان انه الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى تسلية
قوم ومن احسن من الله مبتدا وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من احسن
منقول من المبتدا والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي
لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ وحيث
كان مدار التفضيل على تعميم الحسن للحقيقي والفرضي على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى حسن في
الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ونحن له اي لله الذي اولانا تلك
النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا
داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا
صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة حينئذ يجري مجرى التعليل للاغراء
قل اتحاجوننا تجريد للخطاب للنبي صلعم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به
من الوظائف الخاصة به عم وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي
في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون
تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم
جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك
امرنا وامركم ولنا اعمالنا اي الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له

مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه
والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوى ان من انبيائه وكلمة ام في قوله تعالى ام تقولون اما معادلة
للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي الامرين تاتون اقامة الحجة وتنوير البرهان
على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد
انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال
من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء صلعم وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة
فهي منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عم على
نهج الالتفات كما قيل مثلا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه نبيا من العرب
دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله
تعالى وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء
من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا
فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستحقين
لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا
ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملاءمته لسياق النظم الكريم وسباقه لا سيما
على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من
الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان مدار الصلاح والسوء هو موافقة الدين المبني
على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم
على البعثة بمراتب قل أانتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار
عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما
يعقبه قد حذف عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما ذكروا عليه من الافتراء على الانبياء عم
كما في قوله عز وجل ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله
عز قائلا قال ااسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين
وتوسيطه بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني بالتبعية
والاستتباع كما حرر في محله اي كذبهم في ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم تعلمون وقد نفى عن ابراهيم
عم كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليه السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون
ما تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم وهي شهادته تعالى لابراهيم عليه السلام بالحنيفية والبراءة
من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار و

وتأكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها
واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متأخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى
الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من
الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايذان بان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة
عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمهم عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية
اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم
شهادة الله عز وجل للنبي صلعم في التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم
لشهادته سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تأتون وتذرون فيعاقبكم
بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى
ومن اظلم الى آخر الآية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم
وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام و
بالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض
عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم
وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود وعليه ما روي عن ابن عباس رض ومجاهد رضي الله عنه قالوا انكارا
للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته عم لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز
وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه بمجرد الاستهزاء والطعن لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ
ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون
رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم المعاندون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى
من الناس اي الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلث بل عن
اشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان
كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يستدعي تسليم الباقين للتحويل وارتضائهم اياه
بل عدم التفوه بالتصريح مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولاهم اي اي شيء صرفهم والاستفهام للانكار
والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كا
لجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره غلبت على الجهة التي يستقبلها
الانسان في الصلوة والمراد بها هيهنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى
التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتأكيد الانكار فان
الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافي الانصراف عنه فان اريد بهم اليهود فمدار الانكار
كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن في الدين والقدح في احكامه

والاظهار

والاظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بمقتضى الاراء الكلية الا انهم الانصراف عنها او التوجه الى مكة وتعليق
الانكار بتوليهم عنها لا بما توجههم الى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما ان ترك القديم ابعد عند العقول واظهار
سببه ادخل في الانذار بان المنكر من اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي
هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه الى خصوصية قبلة اخرى او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة
على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانهم بمعزل من ذلك كيف لا وانما فعلوه من احد
المؤمنين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم
فان مفاجاة المكروه على النفس اشق والجواب العتيد لشغب الخصم الالد ارد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب
استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل له اي لله تعالى نواحي الارض اي الجهات كلها
ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيته
يهدي من يشاء ان يهديه مشيته تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين
وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما تقتضيه مشيته المقارنة للحكم
البالغة والمصالح الخفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلعم لتأكيد ما في مضمون
الكلام من التشريف وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى
المؤمنين لما ان المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه
وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا
مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له
اي ذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب
اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية
محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا
فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل
المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها
الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية
متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوى
فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا
نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم
الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة
واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورته كونه واقعا وسطا
بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال

الحميدة خيارًا ولا فرس بالعلم والعمل ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ بأن الله عز وجل قد أوضح السبل وأرسل الرسل فبلّغوا
ونصحوا وذكّروا فلم يُهمل من مذكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فإن العدالة كما أشير إليه حيث كانت هي الكيفية
المتشابهة المتألفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية
والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار إلى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا
كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على أحكام الدين وأحوال الأمم أجمعين حاويا
لشرائط الشهادة عليهم روي أن الأمم يوم القيمة يجحدون تبليغ الأنبياء عليهم السلام فيطالبهم الله بالبينة وهو أعلم
إقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بأن كذبهم من بعدهم من الأمم فيؤتى بأمة محمد صلعم فيشهدون فيقول الأمم من أين
فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلعم ويسأل عن حال أمته
فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز قائلا ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى
الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة إلا من العدول الأخيار وتقديم
الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عم ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ تجريد الخطاب للنبي صلعم رمزا إلى أن مفهوم الكلام
من الأسرار الخفية بأن يختص معرفته به عم وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من أن الجعل تحويل الشيء
من حالة إلى أخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي أن يكون المفعول الأول
هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي ينساق إليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدي إلى
العكس فإن المقصود إفادة ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها
والمراد بالموصول هي الكعبة فإنه عم كان يصلي إليها أولا ثم لما هاجر أمر بالصلوة إلى الصخرة تألفا لليهود أو هي
الصخرة لما روي عن ابن عباس رض من أن قبلته عم بمكة كان بيت المقدس إلا أنه يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه
الرواية لا يمكن أن يراد بالقبلة الأولى الكعبة وأما الصخرة فيجيء إرادتها على الروايتين والمعنى على الأول وما جعلنا
القبلة الجهة التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة ﴿إلا لنعلم﴾ استثناء مفرغ من أعم العلل أي وما جعلنا ذلك
لشيء من الأشياء إلا لنمتحن الناس أي لنعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ ﴿من يتبع الرسول﴾ في التوجه إلى ما
أمر به من الدين أو القبلة والالتفات إلى الغيبة مع إيراده عم بعنوان الرسالة للإشعار بعلية الاتباع ﴿ممن ينقلب
على عقبيه﴾ يرتد عن دين الإسلام أو لا يتوجه إلى القبلة الجديدة أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما
كان لعارض يزول بزواله وعلى الأول ما رددناك إلى ما كنت عليه إلا لنعلم الثابت على الإسلام والنكص على عقبيه
لقلقه وضعف إيمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي أي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل
المراد علم الرسول والمؤمنين وإسناده إليه سبحانه لما أنهم خواصه أو ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليُعلم على بناء المجهول من صيغة
الغيبة والعلم إما بمعنى المعرفة أو معلّق بما في من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني ممن ينقلب أي لنعلم من يتبع
الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه ﴿وإن كانت لكبيرة﴾ أي شاقة وإن هي المخففة من المثقلة وحلت على ما سخ
المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى إن كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون أنها

نافية

نافية واللام بمعنى إلا أي ما كانت إلا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع إلى ما دل عليه قوله تعالى
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة أو التولية أو التحويلة أو الردة أو القبلة وقرئ
لكبيرةٌ بالرفع على أن كان مزيدة كما في قوله ﴿وإخوان لنا كانوا كرام﴾ فكيف إذا مررت بدار قوم
وأصله وإن هي لكبيرة كقولك إن زيد لمنطلق ﴿إلا على الذين هدى الله﴾ أي إلى سر الأحكام
الأحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح إجمالا أو تفصيلا وهم المهديون إلى الصراط المستقيم
الثابتون على الإيمان واتباع الرسول عم ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي ما صح وما استقام
له أن يضيع ثباتكم على الإيمان بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم وقيل إيمانكم بالقبلة المنسوخة
وصلوتكم إليها لما روي أنه عم لما توجه إلى الكعبة قالوا كيف حال إخواننا الذين مضوا وهم
يصلون إلى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع إما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية
وانتصاب الفعل بعدها بأن المقدرة أي كان الله مريدا أو متصديا لأن يضيع إلى آخره ففي توجيه
النفي إلى إرادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس في توجيهه إلى نفسه وإما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها
كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى
﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ تقرير وتحقيق للحكم وتعليل له فإن اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة
أن لا يضيع أجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برءوف وتقديمه على رحيم مع كونه أبلغ منه
لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة أكثر من الرأفة في الكمية والرأفة أقوى
منها في الكيفية لأنها عبارة عن إيصال النعم الصافية عن الألم والرحمة إيصال النعم مطلقا
وقد يكون مع الألم كقطع العضو المتآكل وقرئ رؤف بغير مد كندس ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾
أي تردد وجهك وتصرف نظرك في جهتها تطلعا وذلك أن رسول الله صلعم كان يقع في روعه ويتوقع
من ربه عز وجل أن يحوله إلى الكعبة لأنه قبلة إبراهيم عم وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرهم ومزارهم و
مطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل بالوحي بالتحويل ﴿فلنولينك قبلة﴾ الفاء للدلالة على
سببية ما بعدها لما قبلها وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام أي فوالله لنولينك
أي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا إذا صيرته واليا له أو لنجعلنك تلي جهتها
أو لنحولنك على أن نصب قبلة بحذف الجار أي إلى قبلة وقيل هو متعد إلى مفعولين ﴿ترضاها﴾ تحبها وتشتاق
إليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته ﴿فول وجهك﴾ الفاء لتفريع الأمر بالتولية على الوعد
الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما أنه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن أي اصرفه ﴿شطر
المسجد الحرام﴾ أي نحوه وهو نصب على الظرفية من ولّ أو على نزع الخافض أو على أنه مفعول ثان له
وقيل الشطر في الأصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور إذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وإن لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم أي محرم فيه القتال وممنوع من الظلمة أن يتعرضوا له وفي ذكر المسجد
الحرام دون الكعبة إيذان بكفاية مراعاة الجهة لأن في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن

البراء بن عازب ان النبي صلعم قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة
وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلعم في مسجد بني سلمة وقد صلى
باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء
مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين ● وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ● خص الرسول صلعم بالخطاب
تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تأكيدا للحكم وتصريحا
بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى
فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ● وان الذين
اوتوا الكتاب ● من فريقي اليهود والنصارى ● ليعلمون انه ● اي التحول او التوجه المفهوم من التولية
● الحق ● لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة وما بينهم لما هو مسطور في كتبهم من
انه عم يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد
مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى ● من ربهم ● متعلق بمحذوف
وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن
من ربهم ● وما الله بغافل عما تعملون ● وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة
فهو وعيد لاهل الكتاب ● ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب ● وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال
سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يرغمهم من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله ● بكل آية ● اي
حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ● ما تبعوا قبلتك ● جواب للقسم المضمر ساد
مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب
للنبي عم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالآية من الوظائف الخاصة به عم وقوله تعالى ● وما انت
بتابع قبلتهم ● جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود
لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له عم وطمعا في رجوعه وايثار
الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في
البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة ● وما
بعضهم بتابع قبلة بعض ● فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم
كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ● ولئن اتبعت اهواءهم ● الزائغة المتغيرة
● من بعد ما جاءك من العلم ● ببطلانها وحقية ما انت عليه والشرطية الفرضية واردة على منهاج
التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا ● انك اذا لمن الظالمين ● وفيه
لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شأنه ذلك اذا نهي عنه ورتب على فرض
وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظنك بمن ليس كذلك واذن حرف جواب
وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حدها ان تتقدم او تتأخر فلم تتقدم

لتقرير

٤٧ م ٤

لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتأخر لرعاية الفواصل وللمبالغة
في التأكيد من وجوه تفظيعا للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لما
لصدور الذنب من الانبياء عم ● الذين آتيناهم الكتاب ● اي علماؤهم اذ هم العمدة في اتيانه ووضع الموصول
موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول عم
والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عم من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه
مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه تعالى كلامهم في وقت تقدره الله عز وجل وقرئ الظالمون
على ان عهدي مفعول قدم على الفاعل اعتناء ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبياء عم من الكبائر على
الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى ● واذ جعلنا البيت ● اي الكعبة المعظمة غلبت عليها كما غلب
النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل
بمعنى التصيير فقوله عز وجل ● مثابة ● اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعدما تفرقوا عنه او امثالهم او موضع ثواب
يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى ● للناس ● متعلق بمحذوف
وقع صفة لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد الثائبين
● وامنا ● اي امنا كما في قوله تعالى حرما آمنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن
او على الاسناد المجازي اي امنا من حجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له
بالعقوبة وان كان جانيا كما هو رأي ابي حنيفة ره ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء كائنا ما كان ويدخل
فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتبر فيه امن الصيد حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا
دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب ● واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ● على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال
من فاعله اي وقلنا او قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذي تضمنه قوله عز وجل مثابة
للناس كانه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل في اذ وقيل هي جملة مستأنفة والخطاب على الوجوه
الاخيرة له عم وللامة والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر لما كان مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية و
المقام اسم مكان والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم وهو الحجر الذي اثر قدمه عم والموضع الذي كان عليه حين قام
ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلوة او موضع الدعاء
روي انه صلعم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم عم فقال عمر ره افلا نتخذه مصلى فقال لم اؤمر بذلك فلم تغب الشمس
حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه انه عم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم
فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي ره في وجوبها قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله
وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي
عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها
● وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ● اي امرناهما امرا مؤكدا ● ان طهرا بيتي ● بان طهرا على ان ان مصدرية حذف الجار حذفا
مطردا لجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته

على المصدر ومن مخففة فيهما ووجه كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما يتوسل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف بها
الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك لما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع
الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال اولى طهراه على ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول و
اضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير مع انا ليهما عليهما السلام لان في ما في سورة الحج من تخصيصه
بابراهيم عم فان ذلك وقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تع واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل عم حينئذ
بمنزلة من مثابة للحجاج وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية
جعله مثابة للناس الحج والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به
للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلوة كما في قوله عز وعلا للطائفين
والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي
ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلاصه لهؤلاء لئلا يغشاهم غيرهم وفيه ايماء الى ان
ملابسة غيرهم به وان كانت مع مقارنة امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه ٥ واذ قال ابراهيم ٥ عطف على ما قبله
من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر ٥ رب اجعل هذا بلدا آمنا ٥ ذا امن كعيشة راضية او آمنا
اهله كليلة نائم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة وكان ذلك اول ما قدم عم مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس
رضي الله عنهم انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول
الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت
ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية وتعريف البلد مع جعله صفة في
سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال فلانه عم سأل اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما و
تاخر الاخر الى وقته المقدر له لما تقتضيه الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال
او كان المسئول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود
او كان هو المسئول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤال الامن مع جعل البلد
صفة لهذا لانه المقصد الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة
السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسئول كلا الامرين وقد حكي في ذلك هنا واقتصر هناك
على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سياتي
تفصيله هناك باذن الله عز وجل ٥ وارزق اهله من الثمرات ٥ من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل
فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية و
الخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رض ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم
بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام
فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عم ٥ من آمن منهم بالله واليوم الآخر ٥ بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء
اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان و

وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب ٥ قال ٥ استئناف مبني على السؤال
كما مر مرارا وقوله تعالى ٥ ومن كفر ٥ عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تع ٥ فامتعه ٥ معطوف على
ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر
وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن
عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا مما عنيته كانه عم قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة
دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ٥ قليلا ٥ تمتيعا او زمانا
قليلا ٥ ثم اضطره الى عذاب النار ٥ اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على
وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابراهيم عم وفي قال ضميره
وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما
رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره
بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس ٥ وبئس المصير ٥ المخصوص
بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها ٥ واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ٥ عطف على ما قبله من قوله عز
وعلا واذ قال ابراهيم على احد التفسيرين المذكورين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة بمعنى القعود بمعنى
الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى
هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا فكانها نمت وارتفعت
وقيل المراد بها ساقات البناء فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه وبرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد
برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شأنها ما لا
يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني يجعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية
بالبناء روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم
اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا
بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على
ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عم
فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عم في ظلها الى ان
وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا
وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق
عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود
وقال الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت
عشر مرات منها بناء الملائكة ثم ذكر النووي في تهذيب اللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم

ومنها بناء آدم عم ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلعم قال
بعث الله عز وجل الى آدم عم فقال له ولحواء ابنيا لي بيتا فخط جبريل وجعل آدم عم يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب
الماء نودي من تحته حسبك آدم فلما بناه اوحى الله اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت ومثله
ذكر الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عندما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عم وكانت
ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بناء من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان نسفه الغرق في
عهد نوح عم ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عم وهو منصوص عليه في القرآن مشهور
فيما بين خاص وعام ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير رضي الله ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من
جدرانها وقال الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عم انتهى والله سبحانه
اعلم واسمعيل عطف على ابراهيم ولعل تأخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل
تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اي يقولان
وقد قرئ به على انه حال منهما عم وقيل على انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا
تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف هو العامل في ربنا تقبل منا فيكون
ابراهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال
ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب
مع الاضافة الى ضميرهما عم لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء
ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية
حالية انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا
في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح
للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتأكيد
الجملة لعرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع
رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه من دعاء
البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب
الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عنه عز جنابه في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة
ابراهيم واسمعيل عم من الافعال والاقوال في سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف
الاحوال المتعلقة بابراهيم عم لاقتضاء المقام واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه
اصلا كما ان وقوع قوله عم ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك
او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد ما كان في المطلوب الزيادة والثبات على ما كانا عليه
من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب

الجمع

الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليهما داخل في
حيز التقسيم مؤكد لمضمونها متعرض لتقرره ولا حاجة الى جعله اعتراضا آخر وحالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في
الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل
نفسه بالجهل والاعراض عن النظر والتأمل وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر
في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتأكيد واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد
اشد من الامور التي تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليس بموصول حتى يلزم تقديم
بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا
او بمحذوف من لفظها اي اعني في الآخرة لمن الصالحين وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتأخيرا
تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس
باجنبي بل هو مقرر له لان الاصطفاء في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له اذ الانقياد
لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر
على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى اخطر باله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس
وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك الى
الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عم لاظهار مزيد اللطف به و
الاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عم الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عم حيث ايقن حين النظر
بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المأمور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عم
والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح [illegible] من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله
وفصاه كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة لا عبر بها عن
قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ
ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول
عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا
رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الآخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان
يا بني وبنو ابراهيم عم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنو
يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودوانا ونفتونا وكودا واوشير
وبنيامين ويوسف عم ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده
تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات
على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة
للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره
مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلعم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات

عزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين
عن ملة ابراهيم عم وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه
وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال
عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عم الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عم باليهودية حسبما حكي عنهم واما
تعميم الافتراء لسائر الانبياء عم كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عم بالذكر وما سياتي من قوله عز وجل ام
تقولون ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة الانكار وقوع الشهود عند احتضاره عم وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه
بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عم وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه بعد
موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم
بين ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وانه عم اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ
ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسال به عن كل شيء
ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه
ام طبيب وقوله تعالى قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا عن حكاية يعقوب عم كانه قيل فماذا
قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراده عم بسؤالهم عم با
بالسؤال اي نعبد الاله الدال على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب
والجد ولقوله عم عم الرجل صنو ابيه وقوله عم في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه
جمع بالواو والنون كما في قوله فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا وقد سقطت النون
بالاضافة الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح
بالتوحيد ودفع التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن
له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق
تلك امة مبتدا وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي
تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت
عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة لا محل لها
من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف
اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه
كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتداة على الوجهين الاخيرين
اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتم لا ما كسبه
غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني
لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام
ولا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم

فبين

فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم
اليهم وانما ينفعهم اتباعهم في الاعمال كما قال عم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم
ولا تسألون عما كانوا يعملون ان اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين
تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب
المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق
البرهاني في صورة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اي لا
تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزهون عن
كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفائه وقالوا شروع في بيان فن آخر من
فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات
باستيجاب حالهم للابعاد وهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين كونوا هودا
او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم او لاي طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص
يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى فقيل
بالنظم الكريم كما في قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام
تهتدوا جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلعم اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما
هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عم وقيل
بل نتبع ملته عم وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عم او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملته
او امرنا ملته او نحن ملته اي اهل ملته حنيفا اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه
كما في رايت وجه هند قائمة وكما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين
تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عم مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب
للمؤمنين بعد خطابه عم برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشاد لهم الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من
التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا للحق وارشادا ضمنيا لهم اليه آمنا بالله وما انزل الينا يعني
القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخرها عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها
وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عم
لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل
القرآن منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عم وابناؤه الاثنا عشر
وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات
الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما
بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتي النبيون اي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم
من الايات البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض

انه عم يعتلي الى القبلتين كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم
الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شان النبي عم وانه علم معلوم بغير اعلام فتأمل وقيل الضمير للعلم
او سببه الذي هو الوحي والقرآن او التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه
عم باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناءهم وتخصيصهم بالذكر دون البنات
لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضي انه سأل عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله
فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر
راسه رضي الله وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والا فقوله هم الذين
امنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فما هم
بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتداء وقوله تعالى من ربك
خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي عم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله
تعالى كالذي انت عليه لا غير كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتداء محذوف اي هو الحق وقوله تعالى من ربك
اما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عم من اظهار اللطف به عم ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين فيما كتمناهم الحق عالمين به وقيل في انه
من ربك وليس المراد به نهي الرسول عم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عم وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر
وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من
الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من
جوانب القبلة هو موليها احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه والله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة
والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد
وليها فاستبقوا الخيرات اي سابقوا اليها بنزع الخافض كما في قوله ثنائي عليكم ال حرب ومن يمل سواكم فاني مهتد
غير مايل وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من
امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت
بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او
اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها
صلوة الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن
حيث خرجت تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول
او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه للسفر فول وجهك عند صلوتك شطر المسجد الحرام او فعل
ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول اه وانه اي هذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة
وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين
ومن حيث خرجت اليه في اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام

فيكا تكرارا لها وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه اينما كنتم على خ حيثما فان الخطاب عام
لكافة المؤمنين المنتشرين في الافاق من الحاضرين والذين ولو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن
المختلفة من حيثما فانهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لتاكيد العلة بها شأن خطير والنسخ
من مظان الشبهة والفتنة فهي حرى ان يؤكد امرها غب اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس
عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا او قيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية
عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة
ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين
يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم و
تسميته هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش الاباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل
الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كالذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استيناف فلا تخشوهم
فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم
اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي اهتداءكم لما انه صراط مستقيم مؤدي الى سعادة الدارين
كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي
على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اي واخشوني
لاحفظكم عنهم ولاتم الخ او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ لاخراجه منهما لما بينهما التسلية
والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم متصل بما قبله والطرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والطرف الثاني
متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الاخرة اتماما كائنا كاتمامي لها
بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة فقط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم
بالارسال فاذكروني الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلو
عليكم اياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء
ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن
تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة
للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى
وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى
الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وسر التكرير في التعبير عن القرآن تارة بالايات واخرى
بالكتاب والحكمة رمز الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث
الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة

قطعا قد عطف تعليمه على تعليمها وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام تقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ
عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شأنهم ان يعلموه بالفكر والنظر
وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي ● فاذكروني ● الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اي
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه ● واشكروا لي ● ما انعمت به عليكم من النعم
● ولا تكفرون ● بجحد النعم وعصيان الامر ● يا ايها الذين آمنوا ● وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا
لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر ● استعينوا ● في كل ما تأتون وما تذرون ● بالصبر ● على الامور الشاقة على النفس
التي من جملتها معاداة الكفرة ومعاناة المؤدية الى مقاتلتهم ● والصلوة ● التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين
ومناجاة رب العالمين ● ان الله مع الصابرين ● تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلوة
فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عم وجعلت قرة عيني في الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها
الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لما انهم المباشرون
للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ● ولا تقولوا ● عطف على استعينوا الى آخره مسوق لبيان ان لا غائلة
للمأمور به وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر حيوة ابدية ● لمن يقتل في سبيل الله اموات ● اي هم اموات
● بل احياء ● اي بل هم احياء ● ولكن لا تشعرون ● بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة
من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رح ان الشهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع
قلت رأيتني في المنام سنة تسع وثلثين وتسعمائة اني ازور قبور شهداء احد رض وانا اتلو هذه الاية وما في سورة
آل عمران واردد هما متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رأيت شابا
منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا
منه ما فوق السرة والباقي في القبر خلا اني اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه
وانه ينظر الي متبسما كأنه ينبهني على ان الامر بخلاف ما احسب فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الاية نزلت
في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى
بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا
فتخصيص الشهداء بذلك لاستدعاء مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله
عز وعلا ● ولنبلونكم ● لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء ● بشيء من الخوف
والجوع ● اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم
وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له
عاقبة حميدة ● ونقص من الاموال والثمرات ● عطف على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعي رح الخوف
خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال المذكورة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن
الثمرات موت الاولاد وعن النبي عم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل

اقبضتم

اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول عز وجل ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا
لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد ● وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
● الخطاب للرسول صلعم ولكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عم كل شيء يؤذي
المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر
نعم الله عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه
ما بعده ● اولئك ● اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم
● عليهم صلوات من ربهم ورحمة ● الصلوة من الله سبحانه المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها
وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الا
الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرأفة
الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلعم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه ● واولئك ● اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال
العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في
قوله عز وجل ● هم المهتدون ● هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا والاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام
خاصة لما انه متقدم عليها فلا بد لها من حيزه عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها
كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله وعلى الثاني هو
الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رأفة الله تعالى
ورحمته لم يفته مطلب ● ان الصفا والمروة ● علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم ● من شعائر الله
من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة ● فمن حج البيت او اعتمر ● الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلب
في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث ظهر البيت وجب
تجريده عن التعلق به ● فلا جناح عليه ان يطوف بهما ● اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف فقلبت التاء طاء
فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف في الطواف ويبذل
فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي رح انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه
كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوهما
فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده
قراءة ابن مسعود رضي الله فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ● ومن تطوع خيرا ● اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا
او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او
على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ
ومن يتطوع بخير ● فان الله شاكر ● اي مجاز عن الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان الى
العباد ● عليم ● مبالغ في العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة

وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كأنه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم
ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التورية من نعوت النبي صلعم وغير ذلك
من الاحكام وعن ابن عباس رض ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والاصم انها نزلت في اهل
الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئا من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب
هو الاول فان عموم الحكم لا ينافي خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا مع مساس
الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه وقد يكون بازالته ووضع
شيء اخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات من الايات الواضحة الدالة على امر
محمد صلعم والهدى اي والايات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة
ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وعلا هدى
للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس
متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى
في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه او بالاضمر متعلق بمحذوف
وقع حالا من مفعوله اي كائنا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون
له فيه شبهة وهذا عنوان لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكدا لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عم والاول
انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عم وكتبوا مكانه ما يخالفه
كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الخ اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا
به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي امرهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله
اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة
وادخال الروعة والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال و
التبيين من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتأتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن
من الملائكة ومؤمني الثقلين والمراد دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل بقوله تعالى الا الذين
تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا وابان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه
عند التحريف وبينوا للناس معانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا واخرا فانه ادخل
في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه
وليقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية
عليها لم يصرح بالايمان قوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار
بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك اتوب عليهم بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله وانا التواب
الرحيم اي المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان
في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدأ في فعليه تعالى السابق واللاحق ان الذين

كفروا جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره على غير التائبين
حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على الاشعار
اليه فان وجود تلك الامور الثلثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا
اي ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الاولى اولئك
الكلام فيه كما في قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ممن يعتد بلعنتهم وهذا بيان لدوامها
الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا
على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو وكأنه قيل اولئك عليهم ان لعنهم
الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل بفعل مقدر اي ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار على انها اضمرت
من غير ذكر تفخيما لشأنها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث
الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل او من الضمير في عليهم على طريقة الترادف
ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي لا
يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس
اي المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدأ او
صفة اخرى للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة
الرحمن الرحيم خبران اخران للمبتدأ او لمبتدأ محذوف وهو مقرر للتوحيد فانه تعالى حيث كان مولى لجميع النعم اصولها و
فروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا اليه في وجوده وما يتفرع من كمالاته تحقق في كون ذلك بلا
ريب واختص العبادة به تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا
وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما
هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من انها
طبقات متخالفة الحقائق دون الارض واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما وكون كل منهما خلفا للاخر كقوله تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة او اختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك
التي تجري في البحر عطف على ما قبله وتأنيثه اما باعتبار معنى السفينة او بانه جمع فان ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير
اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها
من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتأخيره عن ذكرها مع كونه اعم
منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض
فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية
بيانية او تبعيضية وايا ما كان فتأخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو
فاحيى به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار وبث فيها اي فرق ونشر من
كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيى الخ متصل بالمعطوف

علیه بحیث کانا فی حکم شیء واحد کانه قیل وما انزل من السماء من ماء فاحیا به الارض وبث فیها الخ او علی احیی بحذف الجار والمجرور العائد الی الموصول وان لم یتحقق الشرط المعهود کما فی قوله وان لسانی شهدة یشتفی بها ولکن علی من صبه الله علقم وقوله یعلّ الذی اصعدتنی ان یردنی الی الارض ان لم یقدر الخیر قادره ای اصعدتنی به علی معنی فاحیی بالماء الارض وبث فیها من کل دابة فانهم ینمون بالخصب ویعیشون بالحیاء وتصریف الریاح عطف علی ما انزل ای تقلیبها من مهب الی آخر او حال الی اخری وقرئ علی الافراد والسحاب عطف علی تصریف الریاح وهو اسم جنس واحده سحابة سمی به لانسحابه فی الجو المسخر بین السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد یعتبر معناه فیوصف بالجمع کما فی قوله سحابا ثقالا وتسخیره تقلیبه فی الجو بواسطة الریاح حسبما تقتضیه مشیئة الله تعالی ولعل تأخیر تصریف الریاح وتسخیر السحاب فی الذکر عن جریان الفلک وانزال الماء مع انعکاس الترتیب الخارجی للایماء الی کون کل منها آیة مستقلة ولو روعی الترتیب الخارجی لربما توهم کون المجموع آیة واحدة الآیات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنکیر للتفخیم کما وکیفا ای آیات عظیمة کثیرة دالة علی القدرة القاهرة والحکمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضیة لاختصاص الالوهیة به سبحانه لقوم یعقلون ای یتفکرون فیها وینظرون الیها بعیون العقول وفیه تعریض بجهل المشرکین الذین اقترحوا علی النبی صلعم آیة تصدقه فی قوله تعالی والهکم اله واحد وتسجیل علیهم بسخافة العقول والا فمن تأمل فی تلک الآیات وجد کلا منها ناطقة بوجوده تعالی ووحدانیته وسائر صفاته الکمالیة الموجبة لتخصیص العبادة به تعالی واستغنی بها عن سائرها فان کل واحد من الامور المعدودة قد وجد علی وجه خاص من الوجوه الممکنة دون ما عداه مستتبعة لآثار معینة واحکام مخصوصة من غیر ان یقتضی ذاته وجوده فضلا عن وجوده علی نمط معین مستتبع لحکم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حکیم یوجده حسبما تقتضیه حکمته وتستدعیه مشیئته متعال عن معارضة الغیر اذ لو کان معه اله یقدر علی ما یقدر علیه لزم اما اجتماع المؤثرین علی واحد او التمانع المؤدی الی فساد العالم ومن الناس من یتخذ من دون الله بیان لکمال رکاکة آراء المشرکین اثر تقریر وحدانیته سبحانه وتحریر الآیات الباهرة الملجئة للعقلاء الی الاعتراف بها الناطقة باستحالة ان یشارکه شیء من الموجودات فی صفة من صفات الکمال فضلا عن الشرکة فی صفة الالوهیة والکلام فی اعرابه کما فی قوله ومن الناس من یقول آمنا بالله وبالیوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق بیتخذ ای من الناس من یتخذ من دون الله ذلک الاله الواحد الذی ذکرت شؤونه الجلیلة وایثار الاسم الجلیل لتعیینه بالذات غب تعیینه بالصفات اندادا ای امثالا وهی رؤساؤهم الذین یتبعونهم فیما یأتون وما یذرون لا سیما فی الاوامر والنواهی کما یفصح عنه ما سیأتی من وصفهم بالتبری من المتبعین وقیل هی الاصنام وارجاع ضمیر العقلاء الیها فی قوله عز وعلا یحبونهم مبنی علی آرائهم الباطلة فی شأنها من وصفهم بما لا یوصف به الا العقلاء والمحبة میل القلب من الحب استعیر لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فیها والفعل منهما حب علی حد مد لکن الاستعمال المستفیض علی احب حبا ومحبة فهو محب وذاک محبوب ومحب قلیل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته فی اوامره ونواهیه والاعتناء بتحصیل مراضیه فمعنی یحبونهم یطیعونهم ویعظمونهم والجملة فی حیز النصب اما صفة لاندادا او حالا من فاعل یتخذ وجمع الضمیر باعتبار معنی من کما ان

کما ان افراده باعتبار لفظها کحب الله مصدر تشبیهی ای نعت لمصدر مؤکد للفعل السابق ومن قضیته کونه مبنیا للفاعل کونه ایضا کذلک والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم کانوا یقرون بالله تعالی ایضا ویتقربون الیه فالمعنی یحبونهم حبا کائنا کحبهم الله ای یسوون بینه تعالی وبینهم فی الطاعة والتعظیم وقیل فاعل الحب المذکور هم المؤمنون والمعنی حبا کائنا کحب المؤمنین له تعالی فلا بد من اعتبار المماثلة بینهما فی اصل الحب لا فی وصفه کما وکیفا لما سیأتی من التفاوت البین وقیل هو مصدر من المبنی للمفعول ای کما یحب الله تعالی ویعظم وانما استغنی عن ذکر من یحبه لانه غیر ملتبس وانت خبیر بانه لا مشابهة بین محبتهم لانداهم وبین محبوبیته تعالی فالمصیر حینئذ ما اسلفناه فی تفسیر قوله عز وعلا کما سئل موسی من قبل والذین آمنوا اشد حبا لله اظهار الاسم الجلیل فی مقام الاضمار لتربیة المهابة وتفخیم المضاف وابانة کمال قبح ما ارتکبوه والذین آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة جیء بها توطئة لما یعقبها من بیان رجوع حبهم وکونه حسرة علیهم والمفضل علیه محذوف ای المؤمنون اشد حبا له تعالی منهم لاندادهم ومآله ان حبهم ذلک لیس اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفیه من الدلالة علی کون الحب مصدرا من المبنی للفاعل ما لا یخفی وانما لم یجعل المفضل علیه حبهم لله تعالی لما ان المقصود بیان انقطاعه وانقلابه بغضا وذلک انما یتصور فی حبهم لاندادهم لکونه منوطا باغراض فاسدة ومباد موهومة یزول بزوالها قیل ولذلک کانوا یعدلون عنها عند الشدائد الی الله سبحانه وکانوا یعبدون صنما زمانا فاذا وجدوا آخر رفضوه الیه وقد اکلت باهلة الهها عام المجاعة وکان من حیس وانت خبیر بان مدار ذلک اعتبار اختلال حبهم لها فی الدنیا ولیس الکلام فیه بل فی انقطاعه فی الآخرة عند ظهور حقیقة الحال ومعاینة الاهوال کما سیأتی باعتبار ما تحمل ما تقتضیه مقام المبالغة فی بیان کمال قبح ما ارتکبوه وغایة عظم ما اقترفوه وایثار الاظهار فی موضع الاضمار لتفخیم الحب والاشعار بعلة ولو یری الذین ظلموا ای باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ یرون العذاب المعد لهم یوم القیمة ای لو علموا اذ عاینوه وانما اوثر صیغة المستقبل لجریانها مجری الماضی فی الدلالة علی التحقق فی اخبار علام الغیوب ان القوة لله جمیعا ساد مسد مفعولی یری وان الله شدید العذاب عطف علیه وفائدته المبالغة فی تهویل الخطب وتفظیع الامر فان اختصاص القوة به تعالی لا یوجب شدة العذاب لجواز ترکه عفوا مع القدرة علیه وجواب لو محذوف للایذان بخروجه عن دائرة البیان اما لعدم الاحاطة بکنهه واما لضیق العبارة عنه واما لایجاب ذکره ما لا یستطیعه المعبر او المستمع من الضجر والتفجع علیه ای لو علموا اذ رأوا العذاب فحل بهم فلم ینقذهم منه احد من اندادهم ان القوة لله جمیعا ولا دخل لاحد فی شیء اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فیما لا یکاد یوصف وقرئ ولو تری بالتاء الفوقانیة علی ان الخطاب للرسول صلعم او لکل احد ممن یصلح للخطاب فالجواب حینئذ لرأیت امرا لا یوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ یُرون علی البناء للمفعول وان الله شدید العذاب علی الاستیناف واضمار القول اذ تبرأ الذین اتبعوا بدل من اذ یرون ای اذ تبرأ الرؤساء من الذین اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما کانوا یدعونهم فی الدنیا ویدعونهم الیه من فنون الکفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن کقول ابلیس انی کفرت بما اشرکتمونی من قبل وقرئ بالعکس ای تبرأ الاتباع من الرؤساء او الواو فی رأوا للموصولین جمیعا ورأوا العذاب حالیة وقد مضمرة وقیل عاطفة علی تبرأ والضمیر فی رأوا للموصولین جمیعا وتقطعت بهم الاسباب ای الوصل التی کانت بینهم من التبعیة والمتبوعیة والاتفاق علی الملة الزائغة والاغراض الداعیة الی ذلک واصل السبب الحبل الذی یرتقی به الشجر

وكذا والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية • و
قال الذين اتبعوا • حين عاينوا تبرؤ الرؤساء وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا • لو ان لنا كرة • اي ليت
لنا رجعة الى الدنيا • فنتبرأ منهم • جواب للتمني • كما تبرؤوا منا • اليوم • كذلك • اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده لا الى شيء آخر
مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه
في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية اي ذلك
الاراء الفظيع • يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم • اي ندامات شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهي الم القلب
والحسرة عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسير اي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية
القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا الحسرات مكان اعمالهم • وما هم بخارجين
من النار • كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة
دوام نفي الخروج او الضمير للدلالة على قوة امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة واجرد
سباق يبذ المغاليا • يا ايها الناس كلوا مما في الارض • اي بعض ما فيها من اصناف الماكولات التي من
جملتها ما حرموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني
عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى • حلالا
حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد اي
اكلا حلالا ويؤيد الاول قوله تعالى • طيبا • فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين
حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل • ولا تتبعوا خطوات الشيطان • اي لا تقتدوا بها
في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات
الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تعالى واما الذي نزل فيهم فما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي
الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو • انه لكم عدو مبين
تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى
اولياؤهم الطاغوت • انما يامركم بالسوء والفحشاء • استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون كيده و
افساده واحضار معاملته معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا حزنه يطلق على جميع
المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح وافعال القلوب لاشتراكها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها
مساءة • وان تقولوا على الله ما لا تعلمون • عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله بانه حرم هذا وذاك
ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم
عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة
دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللايذان بان العاقل يجب ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى
مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه تعالى قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع

المجتهد

المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه • واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه
الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم لهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي
انزله • قالوا لا نتبع بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا • اي وجدناهم عليه اما على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع
حالا من اباءنا والفى متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القران
وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ
الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يراد بما انزل
الله تعالى التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام • وقوله عز وجل • اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون •
استئناف مسوق من جهته تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان ارائهم والهمزة للانكار الواقع والتعجب
منه لا للانكار الوقوع كالتي في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء
في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده
الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له
على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من
الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر
الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى
قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في
قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن الى فلان ولو اساء اليك ولا تهنه
ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل
واحد الا ان كلمة لو في الصورة المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على
كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد
غالبا بخلاف ما نحن فيه فان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله
لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان
المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما على تقدير مقارنته لغيرها فليس من الدائرة
وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة
مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة اباءهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد النمر فيركبوا
متن العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لاباءهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون اباءهم كما ذكر
احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن اباؤهم لا يعقلون شيئا
من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من اباءهم على طريقة قوله تعالى

ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل اتتبعون ذين اباؤهم غافلين وجاهلين حائرين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع
على اي حالة كان من الحالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر
وتعويلا على اقتضائها بمحاله الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع كون اباهم
جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين مهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة
النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي لا الى الاولى بالتحقق فيما نحن فيه
عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون اباهم عاقلين مهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه
ايتبعونهم الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال
وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني
قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه
كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي
تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق ان الكلمة يدور على معنى العطف في سائر
اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد
حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمهم بما في حيز الصلة
وللاشعار بعلة ما اثبت لهم من الحكم والتعبير بمثل في ذلك الكفار وحالة الحقيقة لغرابتها بان تسمى مثلا وتسير في الافاق
فيما ذكر من دعوته اباهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه رأسا شبه بحجة الداعي الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم لما
يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع الا الاصوات الراعي وحقيقة بها من
غير فهم الكلام اصلا وقيل هو ما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عنه مشروع مع
ما في حيز الصلة ما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي
اليهم من الايات كمثل البهائم التي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة وذوي الصوت وقيل
المراد تمثيلهم في اتباع اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته و
قيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا غني عن الاضمار لكن لا يساعده
قوله الا دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان احسن التمثيل ما تشابه افراد الطرفين
صم بكم عمي بالرفع على الذم اي هم صم فهم لا يعقلون شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور
المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع ايات الله ومشاهدة الحجج الواضحة والمعاونة ممن اخذ
منه العلوم فاذا كانوا فاقدين للكل فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة
ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلعم يقول الله عز وجل اني والانس
والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها او الانتفاع
بها وهي التي ماتت على غير ذكاة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او استثناء الشرع خروج الطحال من

الدم

الدم والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم مع ان سائر اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه
بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما
جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت بالتكبير عندما سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع
الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل
غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول
احمد ره فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم
من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم
عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام
التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا وقال ابن عباس رض نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت
النبي عم ويشترون به اي يأخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة
في عقود المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين
المميزين لهم عمن عداهم اكمل تميز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان
او اسم الاشارة مبتدأ ثان او بدل من الاول والخبر ما يأكلون والجملة [illegible]
بغيره بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او يأكلون في الحال يوم القيامة عين النار عقوبة على اكلهم الرشى في الدنيا
وفي بطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما
في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعلقه بمحذوف
وقع حالا مقدرة من النار مع تقدمه على حرف الاستثناء والا فتعلقه بيأكلون يؤدي الى قصر ما يأكلون الى
الشيء على النار والمقصود قصر ما يأكلون مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه العظيم
عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم
ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظيره باعتبار المذكور خاصة لانهما ليسوا
من احوالهم العظيمة ولا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته ههنا فان المقصود تصويرها باشرده من المعاملة
بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه و
ابداء فظاعة تبعاته وهو مبتدأ خبره الموصول اي اولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا المشترين
بثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى
الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان جل والعذاب اي اشتروا بالنظر الى الاخرة العذاب الذي
لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون فما اصبرهم على النار تعجيب من حالهم الهائلة
التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء
وتخصيصها كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب خبرها بعدها اي شيء ما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية

وما بعدها خبرها اى اى شئ اصبرهم على النار وقيل هى موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اى الذى اصبرهم على النار او شئ اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك بان الله نزل الكتاب اى جنس الكتاب بالحق اى ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب او الكتمان ويرتكب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا فى الكتاب اى فى جنس الكتاب الالهى بان امنوا ببعض كتب الله تع وكفروا ببعضها او فى التورية بان امنوا ببعض اياتها وكفروا ببعض كالايات المشتملة على امر بعثة النبى صلعم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق والاختلاف فى تاويلها او فى القران بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير كما حكى عن المشركين لفى شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجبين لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضى الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعى خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقدم المشرق على المغرب مع تاخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا فى جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها كما فى قوله سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة وليس علينا فى الخطوب معول وانما اخر ذلك لان المصدر المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان فى الاسم طولا فلو روعى الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعى ان البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه فى الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اى ولكن البر المعهود الذى يحق ان يهتم بشانه ويجد فى تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله واليوم الآخر اى على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفى تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدا والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب فى الحقيقة والملئكة اى وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تع وبين انبيائه بالقاء الوحى وانزال الكتب والكتاب اى جنس الكتاب الذى من افراده الفرقان الذى نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبى صلعم واشترائهم بما انزل الله تع ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين وفى وجه توسيط الكتاب بين الملئكة والنبيين ما مر وسياتى فى قوله تعالى كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله وآتى المال على حبه حال من الضمير فى آتى والضمير المجرور للمال اى آتاه كائنا على حب المال كما فى قوله صلعم حين سئل اى الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رض ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت

لفلان

لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اى آتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والف وفيه نوع تعريض باخذى الرشى وآخذيها بالتغيير التورية وقيل للمصدر اى كائنا على حب الايتاء ذوى القربى مفعول اول لآتى قدم عليه مفعوله الثانى اعنى المال للاهتمام به او لان فيه مع ما عطف عليه طولا لو روعى الترتيب لفات تجاوب الاطراف وهو الذى اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثانى واليتامى والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون كان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس وابن السبيل اى المسافر سمى به لملازمته اياه كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجاتهم الحاجة والضرورة الى السؤال قال عم اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفى الرقاب اى وضعه فى فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى فك الاسارى وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وايا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اداه كما فى الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما فى الوجه الاخير واما للاشعار برسوخهم فى الاستحقاق والحاجة لان فى للظرفية المنبئة عن محليتهم لما يؤتى واقام الصلوة اى المفروضة منها وآتى الزكوة اى المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم على الفريضة فى الحث عليه ادبها المفروضة والاول لبيان المصارف والثانى لوجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فانه فى قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تع اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو فى الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو على اذا ذكرت صفات للمدح او الذم وخولف فى بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المالوف يدل على زيادة تاثر عنه فى استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما فى صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين فى البأساء اى فى الفقر والشدة والضراء اى المرض والزمانة وحين البأس اى وقت مجاهدة العدو فى مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجليلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا اى فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والاية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة فى خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بما فصل والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقامة الصلوة الى اخرها ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلعم من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا شروع فى بيان بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافى لما فرط من المخلين بها وذكر من اصول الدين وقواعده التى هى اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اى فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولى على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او القاتلين القصاص فى القتلى اى بسبب قتلهم كما فى قوله صلعم ان امراة دخلت النار فى هرة ربطتها اى بسبب ربطها

ابانا • الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى • كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما
طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلعم فنزلت فامرهم
ان يتباوءوا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي رح ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر
وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رايت الوجه هنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رح بما روى علي رض
ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلعم ونفاه سنة ولم يقده وبما روي عنه رض انه قال من السنة ان لا يقتل
مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رض كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس
على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تع ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على
نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص • فمن عفي له من اخيه شيء • اي شيء من العفو لان
عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما
يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه
بمعنى تركه بل اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال دبار عفاها جور كل معاند • وقول عفاه كل حنان كثير الودق هطال
ليكون المعنى فمن محي له من جنايته شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود
فيهما وفي استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفا يتعدى بعن الى الجاني و
الى الذنب قال تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن
عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما لحكم كونهما من بني آدم
لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه • فاتباع بالمعروف • فالامر اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي
بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعسف وقوله عز وجل • واداء اليه باحسان • حث للمعفو عنه على ان يؤديها
باحسان من غير مماطلة وبخس • ذلك • اي ما ذكر من الحكم • تخفيف من ربكم ورحمة • لما فيه من التسهيل والنفع وكتب
على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص
والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث تيسيرا عليهم في تنزيل الحكم على حسب المنازل • فمن اعتدى بعد ذلك •
بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو او اخذ الدية • فله • باعتدائه • عذاب اليم •
اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الآخرة فبالنار • ولكم في القصاص حيوة • بيان لمحاسن الحكم
المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محلا لضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس
نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا
يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا
لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في
الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما خبر والآخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ
في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب • يا اولي الالباب • اي ذوي العقول
الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التأمل في حكمة القصاص

لعلكم

لعلكم تتقون • اي تعملون عمل من يتقي في امره من المساهلة والاهمال في المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او عن القصاص
فتكفوا عن القتل المؤدي • كتب عليكم • بيان لحكم آخر من الاحكام المذكورة • اذا حضر احدكم الموت • اي حضر اسبابه
وظهر اماراته او دنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها
ان ترك خيرا • اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رض ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال
الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس هذا الشيء بكثير فاتركه لعيالك وعن عائشة رض ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار
فقالت ما ارى فيه فضلا واخر اراد ان يوصي فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف درهم قالت كم عيالك قال
اربعة قالت انما قال الله تع ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك • الوصية للوالدين والاقربين •
مرفوع بكتب اخر عنها لما مر مرارا او ايثار تذكير الفعل مع جواز تأنيثه ايضا للفصل او على تأويل ان يوصي
او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله فمن بدله بعد ما سمعه واذ ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث
تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول او كلمة الايجاب والاستتباع
بل بعض العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء
كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في
بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث
فانه وان كان من اخبار الآحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ عند ائمتنا
على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي آية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان قد كتب عليكم
ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم ولا تعيين مقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى آرائكم حيث
قال بالمعروف • اي بالعدل فالآن قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى بنفسه تبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير
حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثم شيئا فيه مدخل
لآرائكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا التي لنفي الجنس مع تصديرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما
قيل من ان آية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد
وتلقي الامة اياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين
والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان
الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء
فهم منها تنبيه النبي صلعم ان المراد منه هذه الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تع اوصى بنفسه تلك الوصية
ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول
آية الوصية حيث كان تفويض الامر الى آراء المكلفين على الاطلاق وتسني الخروج عن عهدة التكليف باداء ما
ادى اليه آراؤهم بالمعروف فيكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق الناطقة بامتناع
الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد وقوله تعالى • حقا على المتقين •
مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا • فمن بدله • اي غيره من الاوصياء والشهود • بعد ما سمعه • اي بعد ما وصل اليه وتحقق لديه

فاثمه اي اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع
الموصول في موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الايذان بعليته بالاشعار في ضمير الصلة الاول واتى بالجمع للاشعار بتعدد المبدلين
انواعا او كثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص
جنفا اي ميلا بالخطا في الوصية او اثما اي تعمدا للجنف فاصلح بينهم اي بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة
الشريفة فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر
المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم اخر من الا
الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس
ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم الاية وقيل هو الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صامت الريح اي
امسكت عن الهبوب والفرس اي امسكت عن العدو قال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك اللجما
وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب
في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتبا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام
الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب
على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء والامم
وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة في اصل
الوجوب واما في الوقت والمقدار كما روي ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته
وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا
رمضان حتى صادفوا حرا شديدا فاجتمعت اراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في الربيع و
زادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع موتان فزادوا عشرة ايام فصار
خمسين لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له
وجاء او تتقون الاخلال باداية لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد
معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب بدو
الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما
باجنبي بل بمضمر دل هو عليه اعني صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا فمن كان منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم
او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه تلويح بان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة اي فعليه عدة
صوم ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم به وقرئ بالنصب اي فليصم
عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى الذين يطيقونه
اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطاء فدية وهي طعام مسكين وهي نصف صاع من بر او صاع من غيره
عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له
فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويتطوقونه ويطوقونه بادغام

التاء

التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت
الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه على
جهدهم وعسرهم وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى
يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي التطوع او الخير الذي تطوعه
خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار
من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او التطوع او الخير منهما او من التأخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للتهييج
والتنشيط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره
اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان
مبتدأ وما بعده خبره او خبر لمبتدأ محذوف اي ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر
رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول لتصوموا وبدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض
اي احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب
فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه
من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب الصيام فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة
الذي انزل فيه القران خبر للمبتدأ على الوجه الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزل له
فيه انه ابتدئ انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشية
الربانية او انزل في شانه القران وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان حالان من القران اي انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وايات واضحة
مرشدة الى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم يكن مسافرا
ووضع الظاهر موضع المضمر للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتب او لتضمن المبتدأ معنى الشرط او زائدة
على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبره وقيل هي جزائية كانه قيل لما كتب عليكم الصيام
في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اي فليصم فيه فحذف واوصل الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر
فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا
وان كان مقيما او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر اي فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن
شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
لغاية رأفته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه
ما سبق اي ولهذه الامور شرع ما مر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص
في اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان يكون

معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا او لتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ ولعلكم
يريد بعض ليطفئوا نور الله والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال
وما يحتمل المصدرية والموصولة اي على هدايته اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا العدة بالتشديد واذا سألك عبادي
عني في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلعم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل
لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلعم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا
لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون
راجين اصابة الرشد الى الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام
بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الكريمة الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم
تأكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين
كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء
فندم واتى النبي صلعم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي
يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى
لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره هنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم
الظرف على العامل مقام العامل للامر مرارا من التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر بقي النفس مترقبة اليه فيتمكن
عندها وقت وروده فضل تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف يبين سبب الاحلال وهو صعوبة الصبر
عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على
الاخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من
الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استئناف يبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب
ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم
لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم اي محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة كني به
عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اي اطلبوا ما قدره الله
لكم وقرره في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح
لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا
حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس
الليل بخيطين ابيض واسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض
فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون يأكلون
ويشربون حتى يتبين لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او
اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير

الغسل

الغسل اليه وصحة صوم رمضان لمن اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لآخر وقته ولا تباشروهن
وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى
امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض
وان الوطء فيه حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة
حدود وضعها الله تعالى لعباده فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة
في النهي عن تخطيها كما قال صلعم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز
ان يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله آياته الدالة على الا
الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي
عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي
لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها
الى الحكام عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا
بالتحاكم اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين
بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على
امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلعم بان يحلف امرؤ القيس فهم به
فقرأ عليه ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان
فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عم انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من
بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال
كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسألونك عن الاهلة
سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص
حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج كانوا قد سألوه عليه السلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر
وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما
الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها
والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان
تأتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما
يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من
اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها
مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة
فانه عم مبعوث لبيان الشرائع لا الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكر ما هو جوابا

سالوا عنه تنبيهاً على ان اللائق بهم ان يسألوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم
في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى
ذلك ولم تجرى على مثله • وأتوا البيوت من ابوابها • اذ ليس في العدول برّ او باشروا الامور من وجوهها
• واتقوا الله • في تغيير احكامه او في جميع اموركم امر بذلك حر... بعد بيان ان البر هو من اتقى اظهاراً لزيادة اعتناء
بشأن التقوى وتمهيداً لقوله تعالى • لعلكم تفلحون • اي لكي تظفروا بالبر والهدى • وقاتلوا في سبيل الله • اي جاهدوا
لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشأن المقدم • الذين يقاتلونكم •
قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبانية
والنساء والنفرة جميعاً فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول
الله صلعم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء
فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولعقده ايراده
في اثناء بيان احكام الحج • ولا تعتدوا • بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة او
بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم • ان الله لا يحب المعتدين • لا يريد بهم الخير
وهو تعليل للنهي • واقتلوهم حيث ثقفتموهم • اي حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك
الشيء علماً او عملاً فهو متضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى
خلود • واخرجوهم من حيث اخرجوكم • اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها • والفتنة
اشد من القتل • اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء
تألم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه • ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم • فاقتلوهم • ولا تبالوا بقتالهم ثمه لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا
اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا
تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين
يفعل بهم ما فعلوا بغيرهم • فان انتهوا • عن القتال والكفر بعدما رأوا قتالكم • فان الله غفور رحيم • يغفر لهم
ما قد سلف • وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة • اي شرك • ويكون الدين لله • خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب
• فان انتهوا • بعد مقاتلتكم عن الشرك • فلا عدوان الا على الظالمين • اي فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم
الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل • فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه • او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
• الشهر الحرام بالشهر الحرام • قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
في ذي القعدة ايضاً وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به
• والحرمات قصاص • اي كل حرمة وهي ما يجب ان يحافظ عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد
فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى • فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما

اعتدى

ما اعتدى عليكم • وهو فذلكة مقررة لما قبلها • واتقوا الله • في شأن الانتقام واحذروا ان تعتدوا
الى ما لم يرخص لكم • واعلموا ان الله مع المتقين • فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين • وانفقوا في سبيل الله •
امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اي لا تمسكوا كل الامساك • ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة • بالاسراف
وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده
ما روي عن ابي ايوب الانصاري رض انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم
فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكاً وهو في
الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد با
بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك
وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا انفسكم اليها فحذف المفعول • واحسنوا • اي اعمالكم واخلاقكم او
تفضلوا على الفقراء • ان الله يحب المحسنين • اي يريد بهم الخير • وقوله • واتموا الحج والعمرة لله • بيان لوجوب اتمام
افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تداركهما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك
من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام
الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام
الاية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الاية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امراً
باصله ولا مستلزماً له اصلاً فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعاً وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما
تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة
ان ليس الشأن مقصوراً على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضاً محمولة على المشهورة
ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما
المعروفة شرعاً لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منها هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك
روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفراً كما قال محمد
حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تجعل نفقتهما حلالاً وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من
الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في الاية الكريمة لوجوب العمرة اصلاً واما ما روي من ان ابن عباس رض
قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رض هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت
بهما جميعاً فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضاً بما روي عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال
لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عم الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر • فان احصرتم • اي منعتم من الحج يقال حصره
العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رح
لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من
عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رح لما روي عن النبي صلعم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل • فما استيسر من الهدي •
اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي

تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم
امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ● ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ● اى لا تحلوا حتى تعلموا
ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذى يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه فيه حلا كان او
حرما ومرجعهم في ذلك ان رسول الله صلعم ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل فلما كان محصرة عم طرف الحديبية الذى الى
اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى ان رسول الله صلعم نحر هديه في الحرم وقال الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على تسعة اميال
من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى و
مطية ● فمن كان منكم مريضا ● مرضا يحوجه الى الحلق ● او به اذى من رأسه ● كجراحة او قمل ● ففدية ● ان حلق ● من صيام او صدقة
او نسك ● بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى ان النبى صلعم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال
احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع ● فاذا امنتم ● الاحصار
او كنتم في حال امن وسعة ● فمن تمتع بالعمرة الى الحج ● اى فمن استمتع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع تقربه بالحج في
اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج ● فما استيسر من الهدى
اى فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند الشافعى ره وعندنا هو
كالاضحية ● فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج ● اى في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعى ره في ايام الاشتغال
باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه ولا يصح يوم النحر وايام التشريق
● وسبعة اذا رجعتم ● اى نفرتم وفرغتم من اعماله وفى احد قولى الشافعى اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب
عطفا على محل ثلثة ايام ● تلك عشرة ● فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن
وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد
المخصوص دون الكثرة فانه يراد بها ذلك ايضا ● كاملة ● صفة مؤكدة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة
كمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به تنتهى الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى ● ذلك ● اشارة
الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعى ● لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام ● وهو من كان من الحرم على مسافة
القصر عند الشافعى ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة عند مالك
● واتقوا الله ● في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج ● واعلموا ان الله شديد العقاب ● لمن لم يتقه كى يصدكم
العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة ● الحج ● اى وقته
● اشهر معلومات ● معروفات بين الناس هى شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند
الشافعى ره وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره
من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذى الحجة وابو حنيفة ره وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه
وانما سمى شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع
المذكر في غير العقلاء يجىء بالالف والتاء ● فمن فرض فيهن الحج ● اى اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية
او بسوق الهدى ● فلا رفث ولا فسوق ● اى لا جماع ولا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع

بارتكاب

بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ● ولا جدال ● اى لا مراء مع الخدم والرفقة ● في الحج ● اى في
ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلية الحكم فان زيارة البيت المعظم و
التقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفى للمبالغة في النهى والدلالة على ان ذلك حقيق
بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففى تضاعيف الحج افحش كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القرآن
لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ الاولون بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف
بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفات ● وما تفعلوا من خير يعلمه الله ● تحريض على الخير اثر النهى عن الشر
● وتزودوا فان خير الزاد التقوى ● اى تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا
يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل
على الناس ● واتقون يا اولى الالباب ● فان قضية اللب خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان
يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرؤا عن كل شىء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص
بهذا الخطاب اولوا الالباب ● ليس عليكم جناح ان تبتغوا ● اى في ان تبتغوا اى تطلبوا ● فضلا من ربكم ● عطاء ورزقا منه
اى الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم
منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت ● فاذا افضتم من عرفات ● اى دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته
بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول حذفه من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمى به كاذرعات وانما نون و
كسر وفيه العلمية والتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب
التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهى ليست تاء التأنيث
وانما هى مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تابى تقديرها
لانها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عم فلما ابصره عرفه
او لان جبريل عم كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او
لان الناس يتعارفون فيه وهى من الاسماء المرتجلة الا ان تجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها
لان الافاضة لا تكون الا بعده وهى مامور بها بقوله ثم افيضوا وقد قال النبى صلعم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك
الحج او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق ● فاذكروا الله ● بالتلبية والتهليل والدعاء
وقيل بصلوة العشائين ● عند المشعر الحرام ● هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمى عرفة ووادى
محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عم لما صلى الفجر يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا
وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مايليه
ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر ● واذكروه كما هديكم ● اى كما علمكم او اذكروه ذكرا
حسنا كما هديكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة ● وان كنتم من قبله ● من قبل ما ذكر من هدايته
اياكم ● لمن الضالين ● غير العالمين بالايمان والطاعة وان هى المخففة واللام هى الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله [illegible]

وعلا وان نظنك لمن الكاذبين ● ثم افيضوا من حيث افاض الناس ● اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب
لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت
ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة
من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اي الناسي على ان يراد به ادم من قوله تعالى فنسي والمعنى
ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه ● واستغفروا الله ● من جاهليتكم في تغيير المناسك ● ان الله غفور
رحيم ● يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به ● واذا قضيتم مناسككم ● عباداتكم المتعلقة
بالحج وفرغتم منها ● فاذكروا الله كذكركم اباءكم ● اي فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم و
مفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم
● او اشد ذكرا ● اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اباءكم
او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوبا بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل
المجهول بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكر الله الا الدنيا والى من يطلب خير
الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الاخرين ● من يقول ● اي في ذكره ● ربنا اتنا في الدنيا ● اي
اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة ● وما له في الاخرة من خلاق ● اي من حظ ونصيب لاقتصار همته على الدنيا فهو بيان
لحاله في الاخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ● ومنهم من يقول
ربنا اتنا في الدنيا حسنة ● يعني الصحة والكفاف والتوفيق للخير ● وفي الاخرة حسنة ● يعني الثواب والرحمة ● وقنا
عذاب النار ● بالعفو والمغفرة وروي عن علي رضي الله ان الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب
النار المرأة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من
الشهوات والذنوب المؤدية الى النار ● اولئك ● اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت
الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في
قوله تعالى ● لهم نصيب مما كسبوا ● على الاول للتفخيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من
اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لما انه من الاعمال ● والله
سريع الحساب ● يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا
شان قدرته او يوشك ان يقيم القيامة فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات ● في ايام معدودات
هي ايام التشريق ● فمن تعجل ● اي استعجل النفر او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال
تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر كما في قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته
وقد يكون من المستعجل الزلل ● في يومين ● اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده
ينفر اذا فرغ من رمي الجمار ● فلا اثم عليه ● بتعجيله ● ومن تاخر ● في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده
وعند الشافعي بعده فقط ● فلا اثم عليه ● بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني
وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتاخر ● لمن

اتقى

اتقى ● خبر لمبتدأ محذوف اي الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج
على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما ● واتقوا الله ● في مجامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات
ليعبأ بكم وتنتظموا في سلك المعتنين بالاحكام المذكورة والاظهر الاحذر والاخلال بما ذكر من الاحكام وهو
الانسب بقوله عز وجل ● واعلموا انكم اليه تحشرون ● اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم
المتفرق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة
التقوى ● ومن الناس من يعجبك قوله ● تجريد للخطاب وتوجيه له الى عام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس
في شان التقوى الى حزبين وتعيين مال كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس من
يقول امنا بالله وباليوم الاخر اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ملائمة النحوي ولطف
الاداء والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه ● في الحيوة الدنيا ● متعلق بقوله اي ما يقوله
في حق الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلعم وفيه اشارة الى ان له قولا اخر
ليس بهذه الصفة او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته وفصاحته لا في الاخرة لما انه يظهر هناك كذبه وقبحه
وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله فان ماله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه
في الاخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اي لا يصدر منه فيها الا القول الحسن ● ويشهد الله على ما في قلبه
● اي يحلف قائلا الله يشهد ويعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد
بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رض والله يشهد على ما في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به
مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله ● وهو الد الخصام ● اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام
مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او اشد الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب
قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلعم ويدعي الاسلام و
المحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين
المتوسطتين ● واذا تولى ● اي من مجلسك وقيل اذا صار واليا ● سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك
الحرث والنسل ● كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة
السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث
والنسل على اسناد الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك
● والله لا يحب الفساد ● اي لا يرتضيه ويبغضه فيغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي ● واذا قيل له
على نهج العظة والنصيحة ● اتق الله ● واترك ما تباشره من الفساد والنفاق واحذر سوء مغبته ● اخذته
العزة بالاثم ● اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه ● فحسبه جهنم ● مبتداء وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد
خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي
كفته جهنم ● ولبئس المهاد ● جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش

وقيل نزلت في الاخنس والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في
الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان ترتب عليه
القتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده فيما الاول من حيث ان
ذلك نائف من الامر بالتقوى وهذا ايماء بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان
الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم
فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فيشتري حينئذ بمعنى يشتري لجريان الحال على صورة
الشرى والله رؤف بالعباد ولذلك كلفهم التقوى وعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين
امنوا ادخلوا في السلم اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه
وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما كما في قوله خرجت بها
نمشي تجر وراءنا على اثرينا ذيل مرط مرحل وهي في الاصل اسم لجماعة تكف مخالفيها ثم استعملت في معنى
جميعا وتاؤها للتانيث لانه يجب ان يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح
لها وفي قوله السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع واما من يستعمل كافة في عامة
وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا
في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم
القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم
ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا
تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان
الا بما كلفوه الان ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق
او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان
زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات الايات
والحجج القطعية الدالة على حقيته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام
منكم حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام
انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما
نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اي امره او باسه او ياتيهم الله بامره وبأسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه
والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من
اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة
كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال جمع
قلة من الغمام اي السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب
كان افظع وقطع للطمع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملئكة

عطف

عطف على الاسم الجليل اي ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الاتون ببأسه
على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الاتي اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة
واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا
على ظلل او الغمام وقضي الامر اي اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار
وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستأنفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ
وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتأنيث على البناء للمفعول من الرجع
وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتأنيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلعم او لكل احد
من اهل الكتاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم اتيناهم من اية بينة
معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء او اية ناطقة بحقية الاسلام المأمور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية
مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وانه مميزها ومن يبدل نعمة
الله التي هي الاية الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد
الرجس او تحريفها وتأويلها الزائغ من بعد ما جاءته اي وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك
مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعدما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم
يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل بعد يدره فيبدلوها ومن يبدل واما حذف للايذان بعدم الحاجة الى
التصريح بظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد
عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا
الحيوة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين
عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل
اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء
الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا عطف على زين وايثار الاستقبال للدلالة
على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزئون بهم
على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا
هم الذين امنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها
مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل
سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم في الاخرة فيسخرون
منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء
اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس
امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين ادم وادريس او نوح او بعد
الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضي وقد حذف تعويلا على ما

بذكر عقبة مبشرين ومنذرين عن كعب الذي علمته عن عداد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة
وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان
الناس امة واحدة متفقة على الكفر في فترة ادريس او نوح عليهما السلام فبعث الله النبيين فاختلفوا
عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد
منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون
بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب
اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب
او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس اي المذكورين والاظهار في موقع الاضمار
لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه
اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل
لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من
الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا
ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم
ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا او وما اختلف فيه وقيل بالملفوظ بناء على عدم
منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به من اي اختلفوا بغيا
وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف
فيه من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او
بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر
لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلعم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات
على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم السلام و
وقد بين فيه اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم
وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد اي بل حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن معهم من المؤمنين اي والحال انه لم يأتكم مثلهم بعد
ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم
استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة
من الخوف والفاقة والضراء اي الآلام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم
من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث
اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره
المستضيئون بانواره متى اي متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ

بالرفع

حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية
كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم
ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا
لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه
وان كذ من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول
الله صلعم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف و
يجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض وردا عند وقوع المحكي فيه رمز الى ان الوصول
الى جناب القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله صلعم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة
حذف العائد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال
الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط والصلة وابرز في معرض البيان المعرفي حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان
بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت
واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع
الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف كان فان
الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال
بناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ بنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ
كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره
مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف
او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية
دالة على ان القتال خير لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو
معطوف على ما قبله لا محل لهما من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم وما هو شر لكم وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه
ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتثلوا امره تعالى يسألونك
عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلعم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين
ليترصدوا عير قريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة
الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد صلعم الشهر الحرام
شهرا يأمن فيه الخائف ويتبذع فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلعم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية
وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلعم العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلعم الغنيمة

والمعنى يسألك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل • قتال فيه • بدل الاشتمال
من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم
يقل يسئلونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا
لمن آمن وقرئ قتل فيه • قل • في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال
مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق
به واي اوثر التنكير حذرا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان عن عطا
انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان
يقاتلوا فيه وما نسخت والاكثر على انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم • وصد
عن سبيل الله • مبتدأ قد تخصص بعمل فيما بعده اي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى • وكفر به • عطف
على صد عامل فيما بعده مثله اي وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح
العطف المذكور في حسن قوله تعالى • والمسجد الحرام • على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على
صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام • واخراج اهله • وهو النبي صلعم والمؤمنون • منه • اي من المسجد
الحرام وهو عطف على كفر به • اكبر عند الله • خبر للاشياء المعدودة اي كبائر السائلين اكبر عند الله مما عيروا به بالسؤال
وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث • والفتنة •
اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء • اكبر من القتل • اي قتل
ابن الحضرمي • ولا يزالون يقاتلونكم • بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين
حتى يردوكم عن دينكم • الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع
الافتراق • ان استطاعوا • اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل وانى لهم ذلك • ومن يرتدد
منكم عن دينه • تحذير من الارتداد اي ومن يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم • فيمت وهو كافر • بان لم يرجع الى الاسلام و
فيه ترغيب في الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من
الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع باعتبار المعنى اي اولئك
المصرون على الارتداد الى حين الموت • حبطت اعمالهم • الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي
له قطعا • في الدنيا والآخرة • بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية • واولئك • الموصوفون بما ذكر
سابقا ولاحقا من القبائح • اصحاب النار • اي ملابسوها وملازموها • هم فيها خالدون • كدأب سائر الكفرة •
ان الذين آمنوا • نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم • والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله • كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء
اولئك • المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة • يرجون • بما لهم من مبادي الفوز • رحمة الله • اي ثوابه اثبت لهم
الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه
لا لان في فوزهم اشتباها • والله غفور • مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ • رحيم • يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض
يحقق

يحقق مضمون ما قبلها • يسئلونك عن الخمر والميسر • تواردت في شأن الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله عنه ومعاذا ونفرا من الصحابة رضي الله عنهم قالوا
افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا فسكروا فأم احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا
فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلعم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا
فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه
لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم
ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنه لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر في الاصل مصدر
من خمره اي ستره سمي بها من عصير العنب ما غلي واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت
سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه
اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام
الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من
جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان
وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي
عدل ثم يجلجلونها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين
له ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها و
يفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي
صلعم انه قال اياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر
وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما • قل فيهما اثم كبير • اي في تعاطيهما
ذلك لان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال • ومنافع للناس • من
كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان
اثمهما ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعهما مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله عز و
• واثمهما اكبر من نفعهما • اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقد قرئ اقرب من نفعهما
• ويسئلونك ماذا ينفقون • عطف على يسئلونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة اي اي شيء ينفقونه قيل هو عمرو
بن الجموح ايضا سأل اولا عن اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس
سأل ثانيا من اي اصنافها ينفق امن خيارها ام غيرها او سأل عن مقدار ما ينفقه فقيل • قل العفو • بالنصب
اي ينفقون العفو او انفقوا العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل و

وتبقيه مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكان الصحابة رض يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة
ويتصدقون بالفضل وروي أن رجلا أتى النبي صلعم ببيضة من الذهب أصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة
فأعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عم مغضبا هاتها فأخذها فحذفها عليه حذفا لو أصابته لشجته ثم قال يأتي
أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة على ظهر غنى • كذلك • إلى مصدر الفعل الآتي وما فيه من
معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة
والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل أو
الفريق أو لعدم القصد إلى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك البيان
الواضح الذي هو عبارة عما مضى في أجوبة الأسولة المارة • يبين الله لكم الآيات • الدالة على الأحكام الشرعية المذكورة
لا بيانا أدنى منه وقد مر تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها مبينة المحتوى واضحة المدلول
لا أنه تعالى يبينها بعدما كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة • لعلكم تتفكرون • كي تتفكروا فيها
وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تع • في الدنيا والآخرة • متعلق إما بتبين أي يبين لكم فيما يتعلق
بالدنيا والآخرة وإما بمحذوف وقع حالا من الآيات أي يبينها لكم كائنة فيهما أي مبينة لأحوالكم المتعلقة بهما وإنما
قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشأن التفكر وإما بقوله تع تتفكرون أي تتفكرون في الأمور المتعلقة بالدنيا و
والآخرة في الأحكام الواردة في أجوبة الأسولة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص
هو اللائق بمقام تعداد الأحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ إشارة إلى ما مر
من البيانات كلا أو بعضا لا إلى مصدر ما بعده فإنه حينئذ كلي مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالآيات
غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الأجوبة المذكورة يبين لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في أموركم المتعلقة
بالدنيا والآخرة وتأخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما يقتضيه تلك الآيات المبينة • ويسئلونك
عن اليتامى • عطف على ما قبله من نظيره روي أنها لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس
عن مخالطة اليتامى وتعهد أموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلعم فنزلت • قل إصلاح لهم خير • أي التعرض لأحوالهم
وأموالهم على طريقة الإصلاح خير من مجانبتهم اتقاء • وإن تخالطوهم • وتعاشروهم على وجه ينفعهم • فإخوانكم • أي فهم
إخوانكم أي في الدين الذي هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الأخوة ومواجبها المخالطة بالإصلاح والنفع
وقد حمل المخالطة على المصاهرة • والله يعلم المفسد من المصلح • العلم بمعنى المعرفة المتعدية إلى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز أي
يعلم من يفسد في أمورهم عند المخالطة ومن يقصد بالمخالطة الخيانة والإفساد ممن يصلح فيها أو يقصد الإصلاح
فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا أن في تقديم المفسد مزيد تهديد وتأكيد للوعيد • ولو شاء الله
لأعنتكم • أي لو شاء أن يعنتكم أي يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم
إن الله عزيز • غالب على أمره لا يعز عليه أمر من الأمور التي من جملتها إعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله
عز وجل • حكيم • أي فاعل لأفعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية إلى بناء التكليف على أساس الطاقة دليل على ما

يفيده

يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها • ولا تنكحوا المشركات • أي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الإنكاح أي لا تزوجوهن
من المسلمين • حتى يؤمن • والمراد بهن إما ما يعم الكتابيات أيضا حسبما يقتضيه عموم التعليل الآتي بقوله
تع وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله
تع والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإما غير الكتابيات فهي ثابتة روي أن رسول الله صلعم بعث
مرثد ابن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق
فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا فقالت هل لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع
إلى النبي صلعم فأستأمره فنزلت • ولأمة مؤمنة • تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات
صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في إفادة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار وأصل أمة أمو حذف لامها
على غير قياس وعوض عنها تاء التأنيث ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي أما الإماء فلا يدعونني
ولدا إذا تداعى بنو الأموات بالعار وظهورها في المصدر يقال هي أمة بينة الأموة وأقرت لها بالأموة وقد
وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف أي ولأمة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر • خير • بحسب الدين
والدنيا • من مشركة • أي امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشأن • ولو أعجبتكم • قد مر أن كلمة لو في أمثال
هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها
عليه مع انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال
المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الأحوال
بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر
الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها وهذا
معنى قولهم إنها لاستقصاء الأحوال على وجه الإجمال كأنه قيل لو لم تعجبكم ولو أعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة
إذ المآل ولأمة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم إعجابها وحال إعجابها إياكم بجمالها ومالها ونسبها وغير
ذلك من مبادي الإعجاب وموجبات الرغبة فيها أي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو أشد منافاة للخيرية تنبيها
على أنها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره أولى وجعل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس
بسديد والحق أنها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز أن يكون الجملة الأولى مع ما عطف عليها مستأنفة
مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر • ولا تنكحوا المشركين • من الإنكاح والمراد بهم الكفار على الإطلاق لما مر أي لا تزوجوا منهم
المؤمنات سواء كن حرائر أو إماء • حتى يؤمنوا • ويتركوا ما هم فيه من الكفر • ولعبد مؤمن • مع ما به من ذل
المملوكية • خير من مشرك • مع ما له من عز المالكية • ولو أعجبكم • بما فيه من دواعي الرغبة الراجعة إلى ذاته وصفاته
• أولئك • استئناف مقرر لمضمون التعليلين الآتيين أي أولئك المذكورون من المشركات والمشركين • يدعون •
من يقارنهم ويعاشرهم • إلى النار • أي إلى ما يؤدي إليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم
ومقاربتهم • والله يدعو • بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم • إلى الجنة والمغفرة • أي إلى الاعتقاد الحق والعمل
الصالح الموصلين إليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع أن حق التخلية أن تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء

باذنه • متعلق بيدعوا اي يدعوا ملتبساً بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم
فهم احقاء بالمواصلة • ويبين آياته • المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة • للناس لعلهم يتذكرون •
اي لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو اولياء الله
يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الخبر في المعطوف
على الخبر اعني قوله تعالى ويبين الله تعالى ضمير الفلك وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانها
موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لارجاع ضمير الغيرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين الى واحد ليس
خبرا للمبتدأ لكن يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اوضحناه
اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة • ويسئلونك عن المحيض •
عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما
عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجئ والمبيت روي ان
اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلونهن كدأب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ابو الدحداح
في نفر من الصحابة رضي فنزلت • قل هو اذى • اي شئ يستقذر منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له • فاعتزلوا
النساء في المحيض • اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة المحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم
فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان
استأثرنا بها هلكت الحيض فقال صلعم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت
كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر
المسلمون بالاقتصاد بين الامرين • ولا تقربوهن حتى يطهرن • تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم
القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رح فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا
من الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي رح ان يغتسل بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد وينبئ
عنه قوله عز وجل • فاذا تطهرن • فان التطهر هو الاغتسال • فأتوهن من حيث امركم الله • من المأتى الذي حلله لكم
وهو القبل • ان الله يحب التوابين • مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب • ويحب المتطهرين
المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا
عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر • نساؤكم حرث لكم • اي مواضع حرث لكم شبهن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن
وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه • فأتوا حرثكم • لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن
بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث امركم الله • انى شئتم • اي من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا
يزعمون ان من اتى امرأته في قبلها من دبرها يأتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلعم فنزلت • وقدموا لانفسكم •
اي ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند المباشرة • واتقوا الله • بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها
ما عد من الامور • واعلموا انكم ملاقوه • فتعرضوا لتحصيل ما تنتفعون به حينئذ واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به • وبشر المؤمنين •
الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم

بكل ما يبشر به من الامور التي تشرح بها الصدور وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلعم
من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى • ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم • قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه
في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشئ فيصير حاجزا عنه كما يقال فلان
عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله فلا تجعلوني عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور
الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله صلعم لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين
فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى • ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس • عطف
بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلق بالفعل او بعرضة
لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا حاجزا بان تحلفوا
به على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بان اكثر من الحلف به على تركها وقد جوز
ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الى آخره بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يؤدي الى الفصل
بين العامل ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل
حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلف مقدمتها وان تبروا حينئذ علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف
مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط في اصلاح ذات
البين • والله سميع • لايمانكم • عليم • بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه • لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم •
اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه
قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل • ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم •
وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شئ يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب وعند
الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤ
اخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد
الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت
قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط • والله غفور • حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا
مع عدم التثبت وقلة المبالاة • حليم • حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ
وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي تتعلق بها المغفرة والحلم دونه • للذين
يؤلون من نسائهم • الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى وتعديته بمن لتضمين معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين
من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم • تربص اربعة اشهر • كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم
وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر
او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها في المدة بالوطئ ان امكن او بالقول ان
عجز عنه صح الفئ وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة

والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اى لهم ان ينتظروا فى هذه المدة من غير مطالبة بفىء
او طلاق فان فاءوا اى رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان
احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولى بفيئته التى هى كتوبته
اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع
بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التى لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم
وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات اى ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن
لما قد بين ان لا عدة للامة قرآن او شهران يتربصن خبر فى معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور مما يجب
ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكانهن امتثلن بالامر بالتربص فتخبر به موجودا محققا وبناؤه على المبتدا مفيد
لزيادة تاكيد بانفسهن الباء للتعدية اى يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه مزيد
حث لهن على ذلك لما فيه من الانباء عن الاتفاق بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح الى الرجال
فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير مضاف
اى يتربصن مدة ثلثة قروء او تربص مضى ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عم دعى الصلوة
ايام اقرائك وقوله عم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائى يئسن من المحيض
من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلى من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض
دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات
لعدتهن وهى الحيض الثلث وايراد جمع الكثرة فى مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان
الآخر شائع ذائع وقرئ ثلثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن من الحيض والولد
استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن فى ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن
بالله واليوم الآخر جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة اى فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان
بالله واليوم الآخر الذى يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو فى
الاصل السيد المالك والهاء لتانيث الجمع كما فى الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اى اهل
بعولتهن اى ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة والضمير لبعض افراد المطلقات
احق بردهن الى نكاحهم بالرجعة اليهن فى ذلك اى فى زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان
الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تاباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا فى الرجعة ان ارادوا
اى الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به
شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذى
لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التى يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اى
زيادة فى الحق لان حقوقهم فى انفسهن وحقوقهن فى المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية فى الفضل
لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما فى ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض من الازواج ويستبدون بفضيلة

الرعاية

الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف احكامه حكيم تنطوى شرائعه على الحكم
والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعى لما ان السابق اقرب حكمه
ولما روى انه عم سئل عن الثالثة فقال عم او تسريح باحسان وهو مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده
اى عدد الطلاق الذى يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين مرتان اى اثنان وايثار ما ورد به النظم
الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا
فامساك اى فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اى بحسن عشرة ولطف معاملة او
تسريح باحسان بالطلقة الثالثة لما روى عنه عم او بعدم الرجعة الى ان تنقضى العدة فتبين وقيل المراد بالطلاق
الشرعى وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة والمعنى ان
التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلث فان كان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى
فامساك الخ مبتدأ وخبر مستانف والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين
ولا يحل لكم ان تاخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اى من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان
شاركها فى الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما آتيتموهن بمقابلة
البضع اولى واحرى شيئا نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ
والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم
الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما
حدود الله اى ان لا يراعيا مواجب احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل
الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اى الزوجان حدود الله
بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اى على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج فى اخذ
ما افتدت به ولا عليها فى اعطائه اياه روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس
فاتت رسول الله صلعم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شىء والله ما اعيب عليه فى دين ولا خلق ولكن اكره
الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اى الاحكام المذكورة حدود الله
فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون
اى لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل فى المواقع الثلثة الآخرة موضع الضمير لتربية المهابة وادخال
الروعة وتعقيب النهى بالوعيد للمبالغة فى التهديد فان طلقها اى بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد
اى من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اى حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره
من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلعم ان رفاعة
طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلعم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة
قالت نعم قال عم لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك فتلك بجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء و

والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة
ثلثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد
عند الاكثرين لقوله صلعم لعن الله المحلل والمحلل له • فان طلقها • اي الزوج الثاني • فلا جناح عليهما • اي على الزوج
الاول والمرأة • ان يتراجعا • ان يرجع كل منهما الى الاخر بالعقد • ان ظنا ان يقيما حدود الله • التي اوجب
مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لان العواقب غير معلومة ولان ان صيغة
للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد • وتلك • اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا
• حدود الله • اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة • يبينها • بهذا البيان اللائق او سيبينها
فيما سيأتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة
كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى الاشارة • لقوم يعلمون • اي يفهمون
وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لانهم المنتفعون بالبيان او لان ما سيلحق بعض النصوص من البيان
لا يقف عليه الا الراسخون في العلم • واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن • اي اخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة
يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا والمراد هنا لقوله عز وجل
• فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف • اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن بغير ضرار
او خلوهن حتى تنقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره اهتماما بشانه و
مبالغة في ايجاب المحافظة عليه • ولا تمسكوهن ضرارا • تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما
كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل
يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهى عنه بعد ما امر بضده لما ذكر وضرارا نصب على العلية او الحالية
اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء
• ومن يفعل ذلك • اي ما ذكر من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته
في الشرف والفساد • فقد ظلم نفسه • في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب • ولا تتخذوا ايات الله • المنطوية على
الاحكام المذكورة او جميع اياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا • هزوا • اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا
في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد في الامر انت هازئ كانه نهي عن الهزء
بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها
هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب ايات الله بحسب الظاهر دون
الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلعم
ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق • واذكروا نعمة الله عليكم • حيث هداكم الى ما فيه
سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا
من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائنة عليكم
ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا يقدح في عمله التاء

لانه مبني عليها كما في قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد • وما انزل عليكم
عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائد من الصلة ومن في قوله عز وجل • من الكتاب والحكمة • بيانية اي
من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله الى الملك القرم
وابن الهمام • وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل في النعم المامور بذكرها
ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام • يعظكم به • اي بما انزل حال من فاعل انزل
او من مفعوله او منهما معا • واتقوا الله • في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة • واعلموا ان الله بكل
شيء عليم • فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العذاب • واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
• فلا تعضلوهن • بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي
انها نزلت في معقل بن يسار عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله
حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج
بالزوج الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لما احتيج
الى نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة
اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية
واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم
عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه واذان
بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة • ان ينكحن
اي من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الحذف المشهور وقيل هو بدل الاشتمال من الضمير
المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن • ازواجهن • ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان
واما باعتبار ما يكون والا فالاعتبار الاخير • اذا تراضوا • ظرف للا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء
والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى • بينهم • ظرف للتراضي مفيد لرسوخه و
استحكامه • بالمعروف • الجميل عند الشرع او نعت لمصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف واما تراضوا بما يحسن في
الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل • ذلك • اشارة الى
ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما في ما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد
منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين
او للرسول صلعم كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد
• يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر • فيسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا وخوفا من عقابه
وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عمله في الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن
اي كائنا منكم • ذلكم • اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه • ازكى لكم • اي انمى وانفع • واطهر • من ادناس الاثام واوضار

الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام
والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمون فدعوا رأيكم وامتثلوا امره تعالى ونهيه في كل ما تأتون وما
تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع في بيان الاحكام المتعلقة بالاولاد من خصوصا واشتراكا وهو
امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيقه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير
او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام
للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التأكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقي
لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة
وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال
ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اي الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى
المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام
وهو غير جائز عندنا ما دامت في النكاح او العدة جائز عند الشافعي ره بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي
وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى
لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير
اي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على
القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر
والباء من صلته اي لا تضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما
اليه وللتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل
ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي
ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي هو وارث الاب وهو الصبي اي تمان المرضعة من ماله
عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال وقيل عصباته وقيل الباقي من الابوين من
قوله واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اي الوالدان
فصالا اي فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد عن تراض
متعلق بمحذوف وقع صفة لفصالا اي فصالا كائنا عن تراض منهما اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال
اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور في شان الولد وتفحص
عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهي استخراج الرأي من شرت العسل اذا
استخرجته وتنكيره للتفخيم فلا جناح عليهما في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رأيهما واجتهادهما
على ان صلاح الولد في الفطام وقلما يتفقان على الخطأ وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام
والالتفات الى خطاب الآباء لهزهم من الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول

استغناء

استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها اياه وقيل انما
يتعدى الى الثاني بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي اي ان تسترضعوا المراضع لاولادكم فحذف حرف الجر اكتفاء كما في
قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع للولد و
يمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله وقرئ ما أتيتم من أتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اي ما آتاكم الله عز وجل كما في قوله تعالى
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن
شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الأليق و
الأولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون الاسم الجليل في موقع
الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم
اي يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه اي اخذته وقبضته والخطاب
لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العائد الى المبتدأ في الخبر
اي يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث
العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير فيه اصلا حتى انهم يقولون
صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا
يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس
بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف
في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال الخ خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رض انه تعتد بابعد الاجلين احتياطا
فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين
والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره
الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما امرتم به ولا جناح عليكم
للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ابهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم
عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه
كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب
من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي مأخوذة من الخطب اي الشأن الذي له خطر لما انها شأن من
الشؤون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء
المعتدات للوفاة والتعريض لخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك
مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم
فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة
فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن

أي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لأن مسببه الذي
هو الوطء مما يسر به وإيثاره على اسمه للإيذان بأنه مما ينبغي أن يسر به على أن المراد بذلك المواعدة بما يستهجن [illegible]
فيه • إلا أن تقولوا قولا معروفا • استثناء مما يدل عليه النهي أي لا تواعدوهن مواعدة إلا مواعدة
معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح أو إلا مواعدة بقول معروف أو لا تواعدوهن
بشيء من الأشياء إلا بأن تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لأدائه
إلى جعل التعريض موعودا وليس كذلك • ولا تعزموا عقدة النكاح • من عزم الأمر إذا قصده قصدا جازما
وحقيقته القطع بدليل قوله عم لا صيام لمن لا يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام والنهي عنه
للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح أي لا تعزموا عقد عقدة النكاح • حتى يبلغ الكتاب أجله • أي العدة
المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح أي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تعقدوها فنهى
نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده • واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم • من ذوات الصدور التي من جملتها العزم
على ما نهيتم عنه • فاحذروه • بالاجتناب عن العزم ابتداء أو إقلاعا عنه بعد تحققه • واعلموا أن الله غفور • لمن
يقلع عن عزمه خشية منه تعالى • حليم • لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على أن ما نهيتم عنه من العزم ليس مما
يستتبع المؤاخذة وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإدخال الروعة • لا جناح عليكم • أي لا تبعة من مهر
وهو الأظهر وقيل من وزر إذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلعم يكثر النهي عن الطلاق فظن أن فيه
جناحا فنفي ذلك • إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن • أي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواضع أي
مدة عدم مسيسكم إياهن على أن ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل أبو البقاء أنها شرطية بمعنى إن فيكون من
باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للأول كما في قولك إن تأتني إن تحسن إلي أكرمك أي إن تأتني
محسنا إلي والمعنى إن طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى أقعد من الأول لما أن ما الظرفية إنما يحسن موقعها
فيما إذا كان المظروف أمرا ممتدا منطبقا على ما أضيف إليها من المدة أو الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت
السموات والأرض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى أن التطليق ليس كذلك وتعليق
الظرف بنفي الجناح ربما يوهم إمكان المسيس بعد الطلاق فالوجه أن يقدر الحال مكان الزمان والمدة
أو تفرضوا لهن فريضة • أي إلا أن تفرضوا لهن أو حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على أن فريضة فعيلة بمعنى
مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز أن تكون مصدرا
صيغة وإعرابا والمعنى أنه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر أصلا إذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال
إلا في حال تسمية المهر فإن عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل وأما إذا كان
بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة أو عاطفة لمدخولها
على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر • ومتعوهن • عطف على مقدر ينسحب عليه
الكلام أي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في إيجاب المتعة جبر إيحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب
الحال كما يفصح عنه قوله تعالى • على الموسع قدره وعلى المقتر قدره • أي ما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي

جملة

جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر إلى حال المطلق إيسارا وإقتارا أو حال من فاعل
متعوهن بحذف الرابط أي على الموسع منكم الخ وهذا إذا لم يكن مهر مثلها أقل من ذلك فإن كان فلها الأقل من نصف
مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم • متاعا • أي تمتيعا • بالمعروف • أي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة
• حقا • صفة لمتاعا أو مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا • على المحسنين • أي الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى
الامتثال أو إلى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وإنما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا • وإن طلقتموهن
قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق عند النكاح مهرا على أن الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز أن يكون
حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة إليهما ونفس الفرض من المبني للفاعل أو للمفعول وإن لم يقارن حالة التطليق
لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها مفروضا
لها فيما سبق • فنصف ما فرضتم • أي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر أو فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في أن المنفي
في الصورة السابقة إنما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب أي فأدوا نصف ما فرضتم ولعل تأخير حكم التسمية مع أنها الأصل
في العقد والأكثر في الوقوع لما أن الآية الكريمة نزلت في أنصاري تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة
فطلقها قبل الدخول بها فخاصمته إلى رسول الله صلعم فقال له عم عند ما ظهر أن لا شيء له متعها بقلنسوتك
• إلا أن يعفون • استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال إلا حال عفوهن فإنه
يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتأنيث وإنما الفرق في الاعتبار والتحقيق
فإن الواو في الأول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر
فيه أن ناصبة وهنا عطف على محله من قوله تعالى • أو يعفو • بالنصب وقرئ بسكون الواو • الذي بيده عقدة
النكاح • أي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود إليه من نصف المهر الذي ساقه إليها كاملا على ما
هو المعتاد تكرما فإن حق المطالبة ترك حقه عليها عفو بلا شبهة أو سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق
مشاكلة أو تغليبا لحال السوق على حال عدمه فرجع الاستثناء حينئذ إلى منع الزيادة في المستثنى منه
كما أنه في الصورة الأولى إلى منع النقصان فيه أي فلهن هذا المقدار بلا نقصان ولا زيادة في جميع الأحوال
إلا في حال عفوهن فإنه حينئذ لا يكون لهن المقدار المذكور بل ينتفي ذلك وينحط أو في حال عفو الزوج
فإنه حينئذ يكون لهن الزيادة على ذلك المقدار هذا على التفسير الأول وأما على التفسير الثاني فلا بد من المصير
إلى جعل الاستثناء منقطعا لأن في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا أخذنا وفي القول
القديم للش فعنه أن المراد عفو الولي الذي بيده عقد نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا
أن الأول أنسب بقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى إلى آخره فإن إسقاط حق الصغيرة ليس في شيء
من التقوى وعن جابر بن عبد الله رضه أنه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فأكمل لها الصداق وقال
أنا أحق بالعفو وقرئ بأن لا • ولا تنسوا الفضل بينكم • أي لا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض كالشيء
المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب في التفضل للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب • إن الله بما تعملون
بصير • فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والإحسان • حافظوا على الصلوات • أي داوموا على أدائها

لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها لما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان
احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من
غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال
بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الآخذ بعضها بحجز بعض. والصلوة الوسطى. اي
المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلعم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة سليمان
بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة
الليل وملائكة النهار حينئذ وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم
لما ان رسول الله صلعم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلعم افضل العبادات احمزها وقيل
هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وكصلوة المغرب لانها
متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلوتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي
صلوة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي انه عم يقراء والصلوة
الوسطى وصلوة العصر فتكون حينئذ احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوة
الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوسطى. وقوموا لله. اي في الصلوة. قانتين. ذاكرين له تعالى في القيام
لان القنوت هو الذكر فيه وقيل اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن
المسيب رضي المراد به القنوت في الصبح. فان خفتم. اي من عدو او غيره. فرجالا. جمع راجل كقيام وقائم
او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي راجلا. او ركبانا.
جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي
اداءها حال المسايفة ايضا. فاذا امنتم. بزوال الخوف. فاذكروا الله. اي فصلوا صلوة الامن عبر عنها
بالذكر لانه معظم اركانها. كما علمكم. متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم اي كتعليمه
اياكم. ما لم تكونوا تعلمون. من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمكم الله تعالى
وايراد ما بذلك العنوان لتذكير النعمة او لشكر الله تعالى كما يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام التي
من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المنبئة عن مشكوكية
وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب
الاولى والاطناب في جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المأمور به فيهما منزلة مقام وقوع الغرض تنزيلا
مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي
الابصار. والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا. عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر
بيان احكام وسطت بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك. وصية لازواجهم. اي يوصون او ليوصوا
او كتب الله عليهم وصية ويؤيده هذا قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدأ
والخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم

او كتب

او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية. متاعا الى الحول. منصوب بيوصون
ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة. غير اخراج. بدل منه او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول
غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان
يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما
في التلاوة متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي باقية. فان
خرجن. عن منزل الازواج باختيارهن. فلا جناح عليكم. ايها الائمة. فيما فعلن في انفسهن من معروف. لا ينكره الشرع كالتزين
والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد
من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها. والله عزيز. غالب على امره يعاقب
من خالفه. حكيم. يراعي في احكامه مصالح عباده. وللمطلقات. سواء كن مدخولا بهن اولا. متاع. اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة
والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول
بهن والتكرير للتاكيد. بالمعروف. شرعا وعادة. حقا على المتقين. اي مما لا ينبغي لهم تركه. كذلك. اي مثل ذلك البيان الواضح. يبين
الله لكم آياته. الدالة على احكامه التي شرعها لعباده. لعلكم تعقلون. لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها. الم تر. تقرير لمن سمع بقصتهم
من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فالاستفهام لها بمنزلة الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن
له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم
ويتعجب بها وان لم يكن ممن راهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام التعجيب لما انه شبه حال غير
الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم
اجري الكلام معه كما يجرى مع الرائي قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى
الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا
بتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم. وهم الوف. اي الوف كثيرة قيل عشرة آلاف وقيل
ثلاثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل. حذر الموت. مفعول له روي ان
اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى من امرهم فاوحى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن
الله فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم
ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله تع ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال الله موتوا
اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت
وادناه واسرع زمان واوحاه بامر آمر مطاع لمامور مطيع كما في قوله تع انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن
فيكون. ثم احياهم. عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم واما حذف لدلالة على الاستغناء عن
ذكره لاستحالة تخلف مراده تع عن ارادته تعالى واما على قال لما انه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد

على الخمس الاول من

ثم الخمس الثامن

والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فاولى ان يكون في سبيل الله
ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة
العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن اكثر الناس لا يشكرون
اي لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام الاضمار لمزيد
التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كأنه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم و
قاتلوا في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل
الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين فاحذروا المحاولة
والمساهلة من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل
منه واقراض الله سبحانه مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد ههنا اما الجهاد الذي هو عبارة
عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا
قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب
على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى أيقرض الله احد وقرئ بالرفع اي فهو يضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك
مضاعفا له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المفاعلة للمبالغة وقرئ فيضعفه
بالرفع والنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان بتضمين المضاعفة معنى
التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم المصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة
والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم والمصالح فلا تبخلوا بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى
انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ ويبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم
على ما قدمتم من الاعمال خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجيب مع انه له
مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال الى الملأ من بني اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم
وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لما انهم يملؤون العيون مهابة والمجالس بهاء
او لانهم مليئون بما ينبغي منهم ومن تبعيضية وما في قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من
الملأ اي كائنين من بعض بني اسرائيل من بعد وفاة موسى عم والاضمار في ايجاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى
اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن
افرائيم بن يوسف عم وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب عم وقيل اشمويل
بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عم وقال مجاهد اشمويل بن
مقلايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير امر الحرب عن
رأيه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف مبني على السؤال و
قرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر والوصف لملكا قال استئناف وقع جوابا عن

سؤال

سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال لهم النبي صلعم حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم
القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا اي اتوقعه منكم والمراد
تقرير ان المتوقع كائن وانما لم نذكر في معرض الشرط ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعثت لكم ملكا مع انه اظهر
تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم لتمشية بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب
الله تعالى فلأن لا يقاتلوا عند عدم فرضيته ادنى ولأن ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث
لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استئناف كما سبق وما لنا الا نقاتل اي اي سبب
لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال
ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر
لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن
معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل واخذوا ديارهم
وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب
عليهم القتال بعد سؤال النبي عم ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد
مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم
من التنافي والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلاثة عشر
بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم
والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عم وبينهم من الاقوال والافعال اثر
الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعدما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روي انه عم لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استئناف كما مر انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون
او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة
جامعة للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه
من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط
لاوي بن يعقوب عم وسبط المملكة بسبط يهودا ومنه داود وسليمان عم ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين
بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا
تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو
اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم
خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله
عز وعلا والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال
رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه

من يشاء من عباده والله واسع يوسع الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار اسم
الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عم للاشعار بعدم اتصال
احدهما بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه عم آية تدل على انه
تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير
التأنيث كالملكوت والرهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد
به صندوق التورية وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عم سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم
من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم
كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رض وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى
انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عم من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين
فكان عند آدم عم الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه
نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه
فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة
تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله
عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت
سلط عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك
بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة
من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما رأوا بنيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان
آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون
لكم وطمانينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة اليه فيه بناء على
ما روي ان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد
او ياقوت لها راس وذنب كراس الهر وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه
فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رض كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة
وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية
وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عم وآلهما ابناؤهما او انفسهما وآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء
بني اسرائيل تحمله الملائكة حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية
ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن توفيقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة
الى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي عم لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام
من جهة الله تعالى جيء به قبل تمام القصة لاظهار كمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين على التأويل

الزرق او غيرها كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام حيث اخبر
بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات
وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت
المقدس واصل فصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر
كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا برأسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وصد
صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا ومصاحبا
لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن
عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا
مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فقال ذلك اظهارا لما تعلقت به مشيته تعالى من جهة النبي عم او بطريق الوحي
عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتداء شربه من النهر
بان كرع لانه الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي واشياعي المؤمنين وجعل ليس متصلا به ومتحدا معي من قولهم فلان مني
كانه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا وغيرهما
قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف
غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر من الجملة الثانية لابراز كمال العناية
بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والغرفة ما يغترف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء
متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده يروى ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته
ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر
يستدعيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من التولي وقرئ
الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى وخروجا عن عهدة اللفظ جانبيا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان
يقال فلم يطيعوه وحق ان يراد المستثنى مرفوعا كما في قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم تدع
من المال الا مسحت او مجلف فان قوله لم تدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين
آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف
متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كائنون معه وهم اولئك
القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون غلبة عليهم لما شاهدوا
منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال استيناف مبني على السؤال
كانه قيل فما قال المخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف
لا لنفي في ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمخبرين عنهم كانهم قالوه تحذيرا

اناء صغير من جلد يعني مطهرة

عن التخلف والتهرب منها ﴿كم من فئة﴾ اي فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من
فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة ﴿قليلة غلبت فئة كثيرة﴾ وكم خبرية كانت او استفهامية
مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة ﴿باذن الله﴾
اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله
وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل اطاقت بفئة كثيرة حسبما وقع
في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه
ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة
والاستقرار مع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان يكون مدار الحكم الوارد على الموصول لا اقل من
ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى نصره وتأييده عبر عنه بذلك مقارنته بنصره تعالى كما عبر عنه
مبالغة بمقارنته سبحانه ﴿والله مع الصابرين﴾ فان المراد به معيته بنصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة
كما نقل ما بأنه انهم انما قالوا تثبيتا لجوابهم وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم
لهم على المؤدي الى الغلبة مما لا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء
كلام من جهته الله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون اي يعلمون من جهة النبي او من جهة
التابوت والنكتة انهم ملاقوا نصر الله المؤزر كم من فئة كثيرة باذن الله تعالى فيحتمل ابقاء تعلق جالوت وجنوده
وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ﴿ولما برزوا﴾ اي ظهر طالوت ومن معه
من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب ﴿لجالوت وجنوده﴾ وشاهدوا ما هم عليه من
العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة ﴿قالوا﴾ اي جميعا عند تقوي قلوب الوثوق الا انهم
بقول الوثوق الماثر متضرعين الى الله تعالى مستغيثين ﴿ربنا افرغ علينا صبرا﴾ على مقاساة شدائد الحرب
واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار
الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى ﴿وثبت اقدامنا﴾ في مداحض
القتال ومزال النزال وتثبيت القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل
وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد ﴿وانصرنا على القوم الكافرين﴾ بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين
في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا
حيث قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر
الذي هو الغاية القصوى ﴿فهزموهم﴾ اي كسروهم بغتة وقتلوهم ﴿باذن الله﴾ بنصره وتأييده اجابة لدعائهم
وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ الى آخره للمحافظة على مضمون قولهم
غلبت فئة كثيرة باذن الله ﴿وقتل داود جالوت﴾ كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت معه ستة
من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه
من ابيه فجاءه وقد مر في طريقه بثلاثة احجار قال له كل منها احملني فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها

احملنا

على ابيه

على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فأتاهم وهم في المصاف وقد برز جالوت يطلب البراز
ولا يكاد يبارزه احد وكان ظله ميلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فجاء الى ناحية اخرى
ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف
قال طالوت انكحه ابنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه في صدره فنفذت الاحجار
منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل ما كلمه الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده
واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنع فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله عز و
جل ﴿وآتاه الله الملك﴾ اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها ﴿والحكمة﴾ اي النبوة
ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط
﴿وعلمه مما يشاء﴾ اي مما يشاء تعليمه اياه مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال
احد ولا يقع في امنيته بشر ليتمكن من طلبه في مشيئته كالسرد بالانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك
من الامور الخفية ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم﴾ الذين يباشرون الشر والفساد ﴿ببعض﴾ آخر منهم يردهم
عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع الله على ان صيغة المبالغة للمبالغة
﴿لفسدت الارض﴾ وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها
وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم المسلمين او لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر
ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة ﴿ولكن الله ذو فضل﴾ عظيم لا يقادر قدره ﴿على العالمين﴾
كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه
ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه
ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد
الارض وتنتظم به مصالح العالم وتنصلح احوال الامم ﴿تلك﴾ اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت
على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه ﴿آيات الله﴾ المنزلة من عنده تعالى
والجملة مستأنفة وقوله تعالى ﴿نتلوها عليك﴾ اي بواسطة جبريل عليه السلام اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة
واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب ﴿بالحق﴾ في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين
الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها
عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق ﴿وانك لمن المرسلين﴾ اي
من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا
وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الجاحدين
بها ﴿تلك الرسل﴾ استئناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام اثر
بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في الرسل للاستغراق وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم

فضلنا

بعضهم على بعض في مراتب الكمال بأن خصصناه حسبما تقتضيه مشيئتنا بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من
كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور إجمالاً أي فضله بأن كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عم حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة و
في الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فإنه كلم الله تعالى كما أنه تعالى كلمه ويؤيده كليم الله
بمعنى مكالمه وإيراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز إلى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق
من مطلق التفضيل وما لحق من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات
أي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير
الأسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر أنه رسول الله صلعم كما ينبئ عنه الإخبار بكونه عم
منهم فإن ذلك في قوة تعظيمهم فإنه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة
بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والإبهام لتفخيم شأنه وللإشعار بأنه العلم الفرد الغني
عن التعيين وقيل إنه إبراهيم عم حيث خصه بمقام الخلة وقيل إدريس عم حيث رفعه مكاناً وآتينا عيسى ابن مريم
البينات الآيات الباهرات والمعجزات الظاهرة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات
أو الإنجيل وأيدناه أي قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها أي بالروح المقدسة كقولك رجل
صدق وهي روح عيسى عم وإنما وصفت بالقدس للكرامة أو لأنه عم لم تضمه الأصلاب ولا أرحام الطوامث و
قيل لجبريل عم وقيل بالإنجيل كما مر وإفراده عم بما ذكر لرد ما بين أهل الكتابين في شأنه عم من التفريط والإفراط و
الآية ناطقة بأن الأنبياء عليهم السلام متفاوتة الأقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله
ما اقتتل الذين من بعدهم أي جاءوا من بعد الرسل من الأمم المختلفة أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن
جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة
وقيل تقديره لو شاء هدى الناس جميعاً ما اقتتل إلخ وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة أولئك الرسل
البينات المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الإعراض
عن سننهم المؤدي إلى الاقتتال وهي متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية أشير به إلى قياس
استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها إلا أنه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم
المترتب عليه للإيذان بأن الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم
اختلفوا اختلافاً فاحشاً فمنهم من آمن أي بما جاءت به أولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر
بذلك كفراً لا إيمان له عنه فلم تقتض الحكمة مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم
ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة أيضاً من الاختلاف والشقاق المستتبعين للقتال بحسب
العادة ما اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما أن الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما
ظن بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجباً لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه بل سبحانه
مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد
أي من الأمور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فإن الترك أيضاً من جملة الأفعال أي يفعل ما

يريد حسبما يريد من غير أن يوجبه عليه موجب أو يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على أن الحوادث تابعة
لمشيئته سبحانه خيراً كان أو شراً إيماناً كان أو كفراً يا أيها الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم
أي بعض ما رزقناكم على أن ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الإنفاق كما
في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الإنفاق الواجب لدلالة ما بعده من الوعيد من قبل أن
يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به أختها ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فإن الأولى تبعيضية
وهذه لابتداء الغاية أي أنفقوا بعض ما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه إذ لا بيع فيه
حتى تبتاعوا ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به أخلاؤكم أو يعينوكم عليه ولا شفاعة إلا لمن أذن
له الرحمن ورضي له قولاً حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذممكم وإنما رفعت الثلاث مع قصد التعميم لأنها في التقدير
جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون أي والتاركون للزكوة وإيثاره عليه للتغليظ والتهديد
كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللإيذان بأن ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون
الزكوة هم الظالمون أي الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه إلى غير وجهه الله لا إله
إلا هو مبتدأ وخبر أي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي ضمير خبر لا مثل في الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة موقوف الحي الباقي
الذي لا سبيل عليه للموت والفناء وهو إما خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من لا إله إلا هو أو بدل من الله أو صفة له و
يعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالأمر إذا حفظه أي دائم القيام بتدبير الخلق
وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع
العاملي وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض الحيوان من استرخاء
أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الإحساس رأساً والمراد
بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا أنهما جاريان بالنسبة إلى القوة الإلهية فإنه بمعزل
من مقام التنزيه فلا سبيل إلى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على أن القادر على دفع السنة قد لا يقدر
على دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وإنما تأخير النوم لمحافظة على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط
كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية وأما التعبير عن عدم
الاعتراء والعروض بعدم الأخذ فلمراعاة الواقع إذ عروض السنة والنوم لمعروضهما إنما يكون بطريق الأخذ والاستيلاء
وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حياً قيوماً فإن من يعتريه أحدهما يكون مؤوف الحيوة قاصراً في الحفظ
والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات وما في الأرض تقرير
لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة
فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يدانيه أحد ليقدر على تغيير ما يريده
شفاعة وضراعة فضلاً عن أن يدافعه عناداً أو مناصبة يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم أي ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك
مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي أو أمور الدنيا وأمور الآخرة أو بالعكس أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والأرض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم أو لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والأنبياء عليهم السلام

ولا يحيطون بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم
الذاتي الدائم الدال على وحدانيته. وسع كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وكأنه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه
واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي
كلما كان اعظم يكون عظمة القاعد اكثر واوفر فعبر عن شمول علمه وعن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته
بالاقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع لقوله عم ما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن
وعن الحسن البصري انه العرش. ولا يؤده اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض وانما لم
يتعرض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه. وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشباه والانداد. العظيم الذي
يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه وما ترى من انطواء هذه الآية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات
العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره
لما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح
ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد
لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة
لكل ما من شأنه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما ينال الاوهام عظيم
لا يحدق به الافهام تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها اخواتها قال عم ان اعظم آية في القرآن
آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال عم ما قرئت
هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك و
اهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وقال عم من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار
جاره والابيات حوله وقال عم سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب
وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة
وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته عم بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفيها دلت عليه
الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عم لجميع افراد البشر. لا اكراه في الدين جملة مستأنفة جيء بها اثر
بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى
التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل
منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية
روي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلعم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال

والله

والله لا ادعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلعم فنزلت فخلاهما. قد تبين الرشد من الغي استئناف
تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اذ قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي
يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي
الى الشقاوة السرمدية. فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت والجبروت قلب عينه ولامه
فعيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتانيث لارادة الالهة وهو رأي سيبويه
وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتأنيث اي فمن يكفر بما يزيغ الحق من الباطل
بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى
لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة. ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية
به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية مقدمة
على التحلية. لا انفصام لها. الفصم الكسر بغير ابانة لما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني
بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من
الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة
الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل
المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي
هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعارا لما ذكر من
الملازمة وترشيحا للاستعارة الاولى. والله سميع بالاقوال عليم بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على
الايمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد. الله ولي الذين آمنوا اي معينهم او متولي امورهم
والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مآلا او حالا. يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوز كونه جملة او حالا
من الضمير في ولي. من الظلمات التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الا
الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان
كما ستعرفه. الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل
واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون
الضلال. والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم. اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين وسائر المضلين
عن طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة
على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد
مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا. يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال
والاغواء. من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلعم بتنزيل
تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها. الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن
الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح

في اسناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا
الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة
قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا
لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز
وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث تقديمه انتشار النظم
على انه قد اشير في تضاعيفه الى هدايته تعالى ايضا بواسطة ابراهيم عم فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض
حجة الكافر من آثار ولايته تعالى والهمزة للاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى
هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت
بناء على ان المراد بها الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت و
في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتأييده في المحاجة ان آتاه
الله الملك اي لان آتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع
ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على منع ايتاء الله الملك للكافر
اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه عم لما
كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعو اليه قال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحيوة والموت في
الاجساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي واميت
روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الآخر فقال ذلك قال ابراهيم استئناف كما سلف كانه قيل فماذا قال
ابراهيم لمن بلغ هذه المرتبة من الحماقة وبادر الحجة فقيل قال فان الله يأتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته
فأت بها من المغرب ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تع لم يلتفت عم الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها
من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال
لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول
مفعوله اي فغلب ابراهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة
كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب
المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال والى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة
او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار
او الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اسمية كما اختاره قوم
جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر او زائدة كما ارتضاه آخرون
والمعنى او لم تر الى مثل الذي مر على قرية كيف هداه الله تع واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رأيت
ذلك وشاهدته فانه لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الخ هذا واما جعل الهمزة لحمل التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم

تنظر

الم تنظر الى الذي حاج الخ اي انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني او ارأيت مثل الذي مر على قرية ايذانا بان حاله
وما جرى عليه من الغرائب بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شأنه الجليل
فتدبر والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي
وقيل هو ارميا ابن حلقيا من سبط هرون عم قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد
كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على
شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر اباد وقال السدي هي دير سلما باد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان
بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله تعالى بخت نصر
البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم
وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين
كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تع منهم بعد حين مر بحماره على بيت
المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها اي ساقطة
على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض اي
تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اي تلهفا عليها وتشوقا
الى عمارتها مع استشعار الياس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة
وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على
الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واياما كان فالمراد استبعاد
عمارتها بالبناء والسكان من جهة اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء الذي
هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتأكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث
قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير منبئا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه وآكده
اراه الله عز وجل اشد الامرين في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما
عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احياء اهلها فيأباه التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على
ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد وشدة مباينته للحيوة وغاية بعده عن قبولها
على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبرا فاماته الله
والبثه على الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها احدا فقال ما قال
وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تع في منامه وهو شاب
واماتت حماره وبقيت تينه وعنبه وعصيره عنده ثم اعمى الله تع عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من موته
سبعون سنة وجه الله عز وعلا ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان
مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله تع بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من
بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا

كأحسن ما كانوا عليه فلما تمت له مائة من موت عزير أحياه الله وذلك قوله تعالى ثم بعثه وإنما رتب على
إحيائه للدلالة على عزته وسهولته ثابتة على الباري تعالى كأنه بعثه من النوم وللإيذان بأنه أعاده كهيئته يوم موته
عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال له بعد بعثه
فقيل كم لبثت ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشؤونه تعالى وأن إحياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين
في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على أمر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى
وهو إبقاء الغذاء المسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير وكم نصب على الظرف مميزها
محذوف أي كم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزير كم
لبثت بعد الموت قال لبثت يوما أو بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين أو استقصارا للمدة فلبثته وإنما
يقال إنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس يوما فالتفت إليها فرأى منها بقية
فقال أو بعض يوم على وجه الإضراب فهو عدول من التحقيق أولا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب
يتحقق النقصان من أوله قال استئناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر أي ما لبثت ذلك
القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين أمرا آخر من دلائل قدرتنا إلى طعامك وشرابك لم يتسنه أي لم يتغير في هذه
المدة المتطاولة مع تداعيه إلى الفساد روي أنه وجد تينة أو عنبة كما جني وعصيرا كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو
كقوله تعالى لم يمسسهم سوء إما من الطعام والشراب وإفراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء وإما من الأخير
اكتفاء بدلالة حاله على حال الأول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسنه والهاء أصلية أو هاء سكت
واشتقاقه من السنة لما أن لامها هاء أو واو وقيل أصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف
علة كما في تقضى البازي وقد جوز على أن يكون المعنى لم تمر عليه السنون التي مرت عليه بل هو
على حاله كأنه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بإدغام التاء في السين وانظر إلى حمارك كيف نخرت عظامه وتفرقت
وتقطعت أوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف
على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق أي فعلنا ما فعلنا من إحيائك بعد ما ذكر لتعاين ما
استبعدته من الإحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بأن يشاهدوك وأنت من أهل
القرون الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ أحقاب من علم التوراة كما سيأتي أو متعلق بفعل مقدر بعده أي ولنجعلك
آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على الأول دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين الأمر
بالنظر إلى حماره وتكرير الأمر في قوله تعالى وانظر إلى العظام مع أن المراد عظام الحمار لما أن المأمور به أولا هو النظر إليها
من حيث تغيرها الجيفي ومباديها أي وانظر إلى عظام الحمار لتشاهد كيفية الإحياء في غيرك بعد ما شاهدته في نفسك
كيف ننشزها بالزاي المعجمة أي نرفع بعضها إلى بعض ونردها إلى أماكنها من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي
نلينها ونعظمها ولعل من فسر ننشزها بنحييها أراد بالإحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من أنشر الله تعالى الموتى أي
أحياها لا معناه الحقيقي لعدم الوقوع ثم نكسوها لحما أي نسترها به كما يستر الجسد باللباس وأما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين
فلعله أراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة إما حال من العظام أي وانظر إليها مركبة مكسوة لحما

أو بدل

بدل اشتمال أي وانظر إلى العظام كيفية إنشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما أنها لا
يقتضي الحكمة بيانه روي أنه نودي أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع كل جزء من أجزائها التي ذهب بها الطير
والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها إلى بعض والتصق كل بما يليق به الضلع بالضلع والذراع
بمحلها والرأس بموضعها ثم الأعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح
فإذا هو قائم ينهق فلما تبين له أي ما دل عليه الأمر بالنظر إليه من كيفية الإحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه
الأمر المذكور وإنما حذف للإيذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللإشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا
عنده بعد قوله أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك كأنه قيل فأنشزها الله تعالى وكساها لحما فنظر إليها فتبين له كيفيته فلما
تبين له ذلك أي اتضح اتضاحا تاما قال أعلم أن الله على كل شيء من الأشياء التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره
من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه أمر من الأمور وإيثار صيغة المضارع للدلالة على أن علمه بذلك مستمر نظرا إلى أن أصله
لم يتغير ولم يتبدل بل إنما تبدل بالعيان وصفه وفيه إشعار بأنه إنما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للأمر
وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول أعلم أي فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم الخ وقرئ تبين له على صيغة المجهول وقرئ
قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الأمر روي أنه ركب حماره وأتى محلته وأنكره الناس وأنكرهم فانطلق على وهم منه حتى
أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير فقال لها يا هذه أهذا منزل عزير قالت نعم وأين ذكر
عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فإني عزير قالت سبحان الله أنى يكون ذلك قال قد أماتني الله مائة
عام ثم بعثني قالت إن عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى أراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا
فأخذ بيدها فقال لها قومي بإذن الله تعالى فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت
إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت
هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فإني بدعائه رجعت إلى هذه الحالة فنهض الناس فأقبلوا إليه فقال ابنه كان
لأبي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فإذا هو كذلك وقد كان بخت نصر قتل ببيت المقدس من قرأ التوراة
أربعين ألف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخرم
منها حرفا فقال رجل من أولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بخت نصر حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة
يوم سبينا في خابية في كرم فإن أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم فذهبوا إلى كرم جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها
بما أملى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإذ
قال إبراهيم دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور وإنما لم يسلك به مسلك الاستشهاد
كما قبله بأن يقال أو كالذي قال رب أرني لجريان ذكره عليه السلام في أثناء المحاجة ولأنه لا دخل لنفسه عليه السلام في أصل الدليل كذا الحكم
فإن ما جرى عليه من إحيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته وهدايته تعالى والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو
قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء أي واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما مر
من ولايته تعالى وهدايته وإنما توجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع أنها
المقصود بالذكر لما ذكر مرارا من المبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني

ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية او لم
يذكر كأنها مشاهدة عيانا • رب • كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الاجابة • ارني • من الرؤية
البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما تعلق
النظر البصري اي اجعلني مبصرا • كيف تحيي الموتى • بان تحييها وانا انظر اليها وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه
وبالحال عند الاخفش والعامل فيها تحيي اي في اي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود
عند السائل والمسؤول فالاستفهام ههنا عن هيئة الاحياء المتقرر عند السائل اي بصرني كيفية احيائك للموتى وانما
سأله عم ليتأيد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان واما ما قيل من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال
ابراهيم عم ان احياء الله تعالى برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى
تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان • قال • استيناف كأنه قيل فماذا قال له ربه • اولم تؤمن •
عطف على مقدر اي الم تعلم ولم تؤمن باني قادر على الاحياء كيف اشاء حتى تسألني اراءته قال عز وعلا وهو عالم بانه عم
اثبت الناس ايمانا وانما قاله ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين • قال بلى • علمت وآمنت بانك قادر
على الاحياء على اي كيفية شئت • ولكن • سألت ما سألت • ليطمئن قلبي • بمضامة العيان الى الايمان والايقان و
وازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة • قال فخذ • الفاء لجواب شرط محذوف اي ان اردت ذلك فخذ • اربعة من الطير •
قيل هو اسم لجمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين و
هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اي اربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس ونسر وديك وغراب وحمامة
وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من
التجزية والتفريق وغير ذلك • فصرهن • من صاره يصوره اي اماله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره اي املهن واضممهن
وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وقرئ فصرهن من التصرية بمعنى الجمع اي
اجمعهن • اليك • لتتأملها وتعرف شأنها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء ان جزءا من اجزائها لم ينتقل من موضعه
الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها
ويمسك رؤوسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى • ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا • اي جزء منهن و
فرق اجزاءهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا او سبعا من كل
طائر وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده عند الوقف ثم اجراء الوصل مجرى الوقف
ثم ادعهن • يأتينك • في حيز الجزم على انه جواب الامر ولكنه بني لاتصاله بنون جمع المؤنث • سعيا • اي ساعيات
مسرعات او ذوات سعي طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عم ولا لما
ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روي انه عم نادى فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه
حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤوسهن فانضمت كل جثة الى رأسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه
من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء بحيث لا حاجة له الى
الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال حيث اراه

الله

الله تعالى ما سأله في الحال على ايسر ما يكون من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عم • واعلم ان الله عزيز •
غالب على امره ولا يعجزه شيء عما يريده • حكيم • ذو حكمة بالغة في افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها
بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح • مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله • اي في وجوه
الخيرات من الواجب والنفل • كمثل حبة • لا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر
حبة • انبتت سبع سنابل • اي اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة • في كل سنبلة مائة حبة •
كما يشاهد ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازي كاسناده الى
الارض والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر • والله يضاعف • تلك المضاعفة او فوقها
الى ما شاء الله تعالى • لمن يشاء • ان يضاعف له بتفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب
الاعمال في مقادير الثواب • والله واسع • لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة • عليم • بنية المنفق ومقدار نفقته وكيفية
تحصيل النفقة • الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله • جملة مبتدأة جيء بها لبيان كيفية الانفاق الذي بين فضله بالتمثيل
المذكور • ثم لا يتبعون ما انفقوا • اي ما انفقوه او انفاقهم • منا ولا اذى • المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب
بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على شمول
النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت في عثمان رض حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها
واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رض حين اتى النبي صلعم باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكن يخطر ببالهما شيء من المن والاذى
• لهم اجرهم • اي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفي تكرير الاسناد وتقييد
الاجر بقوله • عند ربهم • من التأكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان
بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل
لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه • ولا خوف عليهم • في الدارين من
لحوق مكروه من المكاره • ولا هم يحزنون • لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اي لا يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال
الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما
دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام • قول معروف • اي كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شيء • ومغفرة • اي ستر لما وقع
من السائل من الالحاف في المسألة وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة في الاول لاختصاصها
بالوصف وفي الثاني بالعطف او بالصفة المقدرة اي ومغفرة كائنة من المسؤول • خير • اي للسائل • من صدقة يتبعها
اذى • لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والاذى
وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل او بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة الى المسؤول يؤدي
الى ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة • والله غني • لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة
المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى • حليم • لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها والجملة تذييل لما قبلها

مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا • يا ايها الذين آمنوا • اقبل عليهم بالخطاب اثر
بيان ما بين بطريق الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي • لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى • اي لا تحبطوا اجرها
بواحد منهما • كالذي • في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها ابطالا كابطال الذي • ينفق ماله رئاء
الناس • واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اي لا تبطلوها مشابهين الذي ينفق الخ اي الذي يبطل انفاقه بالرياء
وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو راي سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اي لاجل رئائهم او على انه حال
من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى • ولا يؤمن بالله واليوم الآخر • حتى لا يرجو ثوابا او يخشى عقابا
فمثله • الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي في الانفاق وحالته العجيبة • كمثل صفوان • اي حجر املس عليه
تراب • اي شيء يسير منه • فاصابه وابل • اي مطر عظيم القطر • فتركه صلدا • املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا • لا يقدرون
على شيء مما كسبوا • لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون ومن ضرورته كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم
وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضمير الراجع للموصول باعتبار المعنى كما في قوله عز وجل وخضتم كالذي خاضوا كما ان
المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ • والله لا يهدي القوم الكافرين •
اي الى طريق الرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد
للمؤمنين ان يجتنبوها • ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله • اي لطلب رضاه • وتثبيتا من انفسهم
اي ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح
فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء
من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين
انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرأ وتثبيتا لانفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق
تزكية النفس عن البخل وحب المال الذي هو راس كل خطيئة • كمثل جنة بربوة • اي بستان كائن بربوة بالحركات الثلث وقد قرئ
بها المكان المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مامون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب
الرياح المطلقة له فان اشجار الربى يكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة
هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة • اصابها وابل • مطر عظيم القطر • فآتت اكلها • ثمرتها وقرئ بسكون الكاف
تخفيفا • ضعفين • اي مثلي ما كانت تثمر في سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل و
قيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اي مضاعفا • فان لم يصبها وابل فطل • اي فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها
ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطرة وقيل فالذي يصيبها طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية
عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما
صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير فكما ان كل
واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم
وحسن حالهم عند الله تعالى • والله بما تعملون بصير • لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه

• ايود احدكم • الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع كما في قولك اتضرب
ابي لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو
اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق • ان تكون له جنة • وقرئ جنات • من نخيل واعناب • اي كائنة منهما
على ان يكونا الاصل والركن فيها من هذين الجنسين الشريفين الى معين لعنوان المنافع والباقي من المستتبعات لا على ان لا يكون
فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة • من النواضح
تسقي جنة سحقا • وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب لقوله عز وجل • تجري من تحتها الانهار • اذ على
الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سيأتي مجازيا والجملة
في محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها لانها موصوفة
• له فيها من كل الثمرات • الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ اي صفة للمبتدأ قائمة مقامه اي له رزق
من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اي وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم
بل انما هو التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شيء • واصابه الكبر • اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى منافعها
ومظنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اي وقد اصابه الكبر • وله ذرية ضعفاء • حال من الضمير
في اصابه اي اصابه الكبر والحال انه له ذرية صغار لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف
• فاصابها اعصار • اي ريح عاصفة تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود • فيه نار
شديدة • فاحترقت • عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات ويحبطها من القوادح
ثم يجدها يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا في التحسر والتأسف عليها • كذلك • توحيد الكاف مع كون
المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اي مثل ذلك البيان الواضح الجاري في الظهور مجرى الامور المحسوسة • يبين الله لكم الآيات
لعلكم تتفكرون • كي تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها • يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون • ومما اخرجنا لكم من الارض • اي ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف
لدلالة ما قبله عليه • ولا تيمموا • بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تأمموا والكل بمعنى القصد اي لا تقصدوا
• الخبيث • اي الردي الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها • منه تنفقون • الجار متعلق
بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه
او من الخبيث اي مختصا به الانفاق واياما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة
لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق
بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة قوله كانه في الجلد
توليع البهق او للكسب وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اي ولا
تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم او مما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى
• ولستم بآخذيه • حال على كل حال من واو تنفقون اي تنفقون والحال انكم لا تأخذونه في معاملاتكم في وقت

من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم
وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول
على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم و
كسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه
تنفقون الى آخره واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك
مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه
تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى ان الاخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه
حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر
الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شئ من زمان او غيره يستعمل فى الشر استعماله
فى الخير قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اى يعدكم فى الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم
ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يضف مجئ الفقر الى جهته للايذان بمبالغته
فى الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزله فى تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه فى مقابلة وعده تعالى
على طريق المشاكلة وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحتين ويامركم بالفحشاء اى بالخصلة الفحشاء
اى ويغريكم على البخل او منع الصدقات اغراء الآمر للمامور على فعل المامور به والعرب تسمى البخيل فاحشا
قال طرفة بن العبد ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصى والسيئات
والله يعدكم اى فى الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار فى قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة
مؤكدة لفخامتها التى افادها تنكيرها اى مغفرة اى مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفته محذوفة
لدلالة المذكور عليها كما فى قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اى وفضلا كائنا منه تعالى فانقلبوا بنعمة
من الله وفضل ونظائره اى وفضلا كائنا منه تعالى اى خلفا مما انفقتم زائدا عليه فى الدنيا وفيه تكذيب للشيطان
وقيل ثوابا فى الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه
عليم مبالغ فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا
احتمال للخلف فى الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتى الحكمة قال مجاهد الحكمة القرآن و
العلم والفقه وروى عن ابن ابى نجيح انها الاصابة فى القول والعمل وعن ابراهيم النخعى انها معرفة
معانى الاشياء وفهمها وقيل هى معرفة حقائق الاشياء وقيل هى الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة
وعن مقاتل انها تفسير القرآن باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار
ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبينة فى تضاعيف الآيات
الكريمة من الحدائق الوجهين الادلين ومغانيها بتبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها اى يبينها ويوفق للعلم
والعمل بها من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما اتاكم ما بينه
فى ضمن الآى من الحكم البالغة التى عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والوصول

مفعول

مفعول اول ليؤتى قدم عليه الثانى للعناية به والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء
المفعول وقرئ على البناء للفاعل اى ومن يؤته الله الحكمة والاظهار فى مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشانها
وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر اى وما يتعظ بما
اوتى من الحكمة او وما يتفكر الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة
الهوى وفيه من الترغيب فى المحافظة على الاحكام الواردة فى شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض
تذييلى وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلى شامل لجميع افراد النفقات اثر بيان حكم ما كان منها فى سبيل
الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اى وما انفقتموه من نفقة اى نفقة كانت فى حق او باطل
فى سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم النذر عقد العزم على شئ والتزامه وفعله نذر ينذر من نذر اى نذر كان
فى طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلاة ونحوهما فان الله يعلمه
الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثانى مزيدة فى الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لما ان المرجع على كون العطف
بكلمة او كما فى قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يكاد يقال اكرمتهما ولهذا احتيج الى التاويل فى قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما فى قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما فى هذه الآية الكريمة وفى قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل الظلم
على تاويلهما بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثانى عليه كما فى قوله تعالى والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف ونحوهما مما
عطف فيه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد
مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اى فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد
ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر فى المعاصى او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق
الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه الذى
يحق ان يوضع فيه من انصار اى اعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد
صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استئناف مقرر لما قبله
من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل ما تفعل من الظالمين بتحصيل الاعوان ورعاية الخلان ان تبدوا الصدقات
فنعما هى نوع تفصيل لبعض ما اجمل فى الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اى ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا
ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ
بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا فى الصدقات المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهى التى اريد بقوله
تعالى وان تخفوها اى تعطوها خفية وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائهم مع انه واجب فى الابداء ايضا لما
ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك
عند الناس فهو خير لكم اى فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال واما فى الواجب فالامر
بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها

وفضل من سترها بجملة وعشر ضعفا • ويكفر عنكم من سيئاتكم • اي والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي
شيئا من سيئاتكم كما يستر بهما وقيل مزيدة على راي الاخفش وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل
للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على
انها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط • والله بما تعملون • من
الاسرار والاعلان • خبير • فهو ترغيب في الاسرار • ليس عليك هداهم • اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان
بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث
عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الآيات والذكر الحكيم • ولكن الله يهدي • هداية خاصة
موصلة الى المطلوب حتما • من يشاء • هدايته اي ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها
على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلعم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين
مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلعم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق
به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلعم المسلمين عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة
على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام
فنزلت اي ليس عليك فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط
دون التفات • وما تنفقوا من خير • على الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال
وعلى الثاني تلوين الخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي عم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائن من مال • فلانفسكم • اي فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث اي فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى
تمنعوه ممن لا تنتفعون به من حيث الدين من فقراء المشركين • وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله • استثناء من اعم العلل
او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست في حال من الاحوال
الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي في
معنى النهي • وما تنفقوا من خير يوف اليكم • اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في
ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه
وهو من نتائج دعائه عم بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر
فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم
من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام
فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان
ذميا • وانتم لا تظلمون • لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف • للفقراء • متعلق
بمحذوف ينبئ عنه السلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه
للفقراء او صدقاتكم للفقراء • الذين احصروا في سبيل الله • بالغزو والجهاد • لا يستطيعون • لاشتغالهم به

ضربا

ضربا في الارض • اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة
من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها
رسول الله صلعم • يحسبهم الجاهل بحالهم • اغنياء من التعفف • اي من اجل تعففهم عن المسألة • تعرفهم بسيماهم
اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلعم او لكل احد ممن له
حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم • لا يسألون الناس الحافا • وهو ان يلازم السائل المسؤول حتى
يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم
اليه لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين جميعا على طريقة قوله • على لا حب لا يهتدى بمناره • اي لا منار ولا اهتداء
• وما تنفقوا من خير فان الله به عليم • فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لاسيما على هؤلاء • الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية • اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت
في شان الصديق رض حيث تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا
وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه
من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار
وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها • فلهم اجرهم عند ربهم • خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها
وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الى آخره ولذلك جوزوا الوقف على علانية • ولا خوف عليهم ولا
هم يحزنون • تقدم تفسيره • الذين يأكلون الربوا • اي يأخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولـ
شيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب
الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع • لا يقومون •
من قبورهم اذا بعثوا • الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان • اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على
ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء • من المس •
اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجن يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله
من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم
كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون و
يسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف • ذلك • اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في اسم الا
شارة من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه • بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا • اي ذلك العقاب
بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين
كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين
في الاول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها • واحل الله البيع وحرم الربوا • انكار
من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة
ابتدائية لا محل لها من الاعراب • فمن جاءه موعظة • اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته

من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجيء
الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم اخذه التحريم
ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماد الظرف
على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض
لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار
اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون
ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات
يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة وروي عنه صلعم ان الله يقبل الصدقة ويربيها
كما يربي احدكم فلوه وعنه صلعم ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل
كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات
واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة
على طريقة ذكر جبريل وميكال عقيب الملائكة عم لهم اجرهم جملة من مبتدا وخبر واقعة خبرا لان اي اجرهم الموعود لهم وقوله
تعالى عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا
خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه
وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان
ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروه روي
انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتقاء
وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن
بالشيء اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم قيل هو من
الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلقة
بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روي
انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعدما سمعتموه من الوعيد
فلكم رؤس اموالكم تاخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او
حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اي لا تظلمون انتم من قبلهم
بالمطل والنقص ويفهم من ذلك بالضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون
وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند ابي حنيفة رح وكذا سائر اموالهم عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم ولا
شيء لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤسهم فكيف
برؤس اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رض فانه يقول من عامل الربوا يستتاب فان تاب والا ضرب عنقه واما عند
غيره فهم محبوسون الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من اموالهم بل انما يسلم

بموتهم

بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على
انها ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ فناظره
اي فالمستحق ناظره اي منتظره او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اي فسامحه
بالنظرة الى ميسرة اي الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف
التاء عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد
اي وان تصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه
ودوامه فهو ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا
اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم
صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما يوم القيمة وتنكيره للتفخيم
والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول
من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ
تردون وقرئ تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم
اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين
وان كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما
ان الافراد ادخل في حال الكسب عن ابن عباس رض انها اخر اية نزل بها جبريل عم وقال ضعها في راس المائتين و
الثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام
وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة الواقعة
في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا
وعامله نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه
الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتابة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر الى اجل متعلق بتداينتم
او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد
والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن
ابن عباس رض ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان
لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما للتعميم او للقصد الى ايقاع
نفس الفعل اي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب
كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل اي وليكن المتصدي للكتابة من شأنه ان يكتب بالسوية
من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا
بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق ولا يأب كاتب
اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتب الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما

كما بينه بقوله بالعدل ولا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن
الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر
على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال والاملاء
اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل
والنعت الجميل مبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اي من الحق
الذي عليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما
يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهى عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امره بالعدل وانما شدد في تكليف المملي حيث
جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر
عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف
والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع
ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي
امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف من عليه
الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على
ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا
ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين
الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان معاملات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه و
اما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا
اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب اخر من الاسباب
فرجل وامرأتان اي فليشهد رجل وامرأتان او فرجل وامرأتان يشهدون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص
عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي رح ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان
اي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به
وقيل نعت لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير
العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين
وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى
الموصول اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء
بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة
هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه
قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على
ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتأكيد الابهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال

باحديهما

باحديهما والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع
كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وتسميتهم
شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم
فيه القوم فلا يتبعه احد منهم فنزلت ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه اي الدين او الحق
او الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
وقد قال النبي صلعم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او
كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت
حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله
اي في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي
عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب الى انتفاء
ريبكم في جنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء
منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم
بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اي فلا باس ان لا تكتبوها لبعده عن التنازع
والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة
واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الاية الكريمة للندب عند
الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة محتمل
لبنائهما للفاعل والمفعول ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير و
التحريف في الكتبة والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج
عما حد لهما او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار
فانه اي فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة امره و
نواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم
فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية
المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان الاول حث على التقوى والثاني وعد بالانعام
والثالث تعظيم لشانه تعالى وان كنتم على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في
المداينة وقرئ كتابا وكتابا فرهان مقبوضة اي فالذي يستوثق به او فعليكم او فليؤخذ
رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك
لانه صلعم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثيق
بالارتهان مقام التوثيق بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في
حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف

[margin] ... بالرفع صح
[margin] ع

وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض
المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته قيل فيكون انتصاب بعضا حينئذ على نزع الخافض اي فضل اي على متاع بعض
فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا لحمله على الاعلام وحمله على
الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء
وقرئ بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه
في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا
يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديون او المديون اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة
ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء
وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى
العين والاذن للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم في نفسه
وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى
فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ
اثم قلبه اي جعله آثما والله بما تعملون عليم فيجزيكم به ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض
من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا
وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه
للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر
من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله
يوم القيمة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر
واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه
الله فلما ان المتعلق بما في انفسهم هنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه
بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصورة
بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة الى الله تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة
والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو او مباديه قبل
ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى او
لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر بفضله لمن يشاء اي
يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم
المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير
فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن والله على كل شيء قدير

تذييل

تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة
وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول
صلعم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان
به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم
ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ ليس فيما ذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به
من المجاهرين والمنافقين ثم شرع في تفاصيلها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار
سوالف الامم وغير ذلك مما يقتضيه الحكمة شرع عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها على طريق
الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلعم بطريق الغيبة مع ذكره هناك
بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض هنا
لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية ايذانا بانه امر محقق غني عن
التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب
كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه ومزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن
بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلعم وتعيين لعنوانه
اي آمن عليه السلام بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والا
الاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية
احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به على التفصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى
عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
تشريف له وتنبيه له على ان انزاله اليه تربية وتكميل له عليه السلام والمؤمنون اي الفريق المعروفون بهذا الاسم
فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل كل مبتدأ
ثان آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير
في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر
ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير النظم الكريم عما قبله لتأكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة
والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما مختلفان
من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على
الوجه الآتي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتأكيد اي كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له
في الالوهية والمعبودية وملائكته اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شانهم التوسط بينه
تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم
بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث مجيئهما
من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد

من تلك الكتب منزل منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسل بل على ان الايمان
بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلعم ومستند الى ما لاتى من الآية الكريمة ولا على ان احكام
الكتب السالفة وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد
منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان لم ينسخ منها الى الآن من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث
انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر
في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان
بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك
قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه واقتصر عليه ايذانا
بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم
وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال
في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عم بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل
والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم
الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى
فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق
بمقداره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض
عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه خلا انه قدم المؤمن به
على المعطوف اعتناء بشانه وايذانا باصالته عم في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من
كمال الاجلال لشانه عم وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشانه صلعم
من حيث الذات ومن حيث التعلق باتفاقه قبل اتحاد اسنادهما الى غيره عم وضاع التكرير وان حملا على ما
يليق بشأن آحاد الامة كان ذلك حطا لرتبته العلية عم واما حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه
من الآحاد ذاتا وتعلقا بان يحملا بالنسبة الى الرسول عم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة
الى آحاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عم اللائق بما لهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين يجب تنزيه
ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى • لا نفرق بين احد من رسله • في حيز النصب بقول مقدر على صيغة
الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق
بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم وقيدوا ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة
لاهل الكتاب حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلعم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عم ايضا على ان مقصودهم

الاصلي

الاصلي ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عم لا اظهار ما هو فيه بهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان
المراد بما جاء المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عم ان يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو
يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه و
انما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم
بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فا
لجملة بعينها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل وقيل هي القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي
دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في مثل احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند
قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان
ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم
لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملئكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان
المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة • وقالوا • عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب
المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم • سمعنا • اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته • واطعنا •
ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك • غفرانك ربنا • اي اغفر لنا غفرانك او نسألك
غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران
لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة
في التضرع والجؤار • واليك المصير • اي الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان
الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى • لا يكلف الله نفسا الا وسعها • جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى
بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال
كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على اصحاب
رسول الله صلعم فاتوه عم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والحج و
والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلعم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فسئولهم الغفران المعلق بمشية عز
وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم
ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة
والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى ان لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها و
يتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه • لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت • للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس
مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاة منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به

معرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واختصاص مضرته عليه
من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او ضرورة
شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت
من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها
في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اي لا تؤاخذنا
بما صدر عنا من الامور المؤدية الى النسيان او الخطاء من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما
من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا
او خطاء مؤد الى الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدم
لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عم رفع عن امتي الخطاء والنسيان
وقد روي ان اليهود كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد
بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط
النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف
الشاقة وقيل الاصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا مثل حملك اياه على من قبلنا او على
انه صفة لاصرا اي اصرا مثل الاصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من قتل النفس في التوبة
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا
اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شأنهم ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم وقال عم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون
من المسخ والخسف وغير ذلك كما قال عم رفع عن امتي الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف
على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها التفريط فيه من التكاليف
الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في
المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر
بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه
والا لما سأل التخلص منه والتشديد هٰهنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا اي امح ذنوبنا واغفر لنا
واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على
طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولينا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا
فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه
اشارة الى ان اعلاء كلمة الله تعالى والجهاد في سبيله تعالى حسبما امر في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه

عليه

صلعم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عم انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن
بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عم من قرأ الآيتين
من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها
البقرة كما قال عم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها
البطلة قيل وما البطلة قال عم السحرة

سورة آل عمران مدنية بسم الله الرحمن الرحيم مائتان آيات

الم الله لا اله الا هو
قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة
لقابيل وهابيل وطاسين ميم الموازنة لدارابجرد ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز
على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر في الوقف قطعا فحق
هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي
حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حركتها في حكم الثابت
المبتدأ به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل
هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على وقوعها
في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها كما في الحروف
والاسماء المبنية على السكون فان حقها الوقف على ما بعدها وصلا واسما لا تسقط بها همزة الوصل وتحريك اعجازها
لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما
للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر واقرأ ونحوهما واما الرفع
بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام
عليه فان الاسم الجليل مبتدأ وما بعده خبره والجملة مستأنفة اي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم
خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتدأ او بدل منه او من الخبر الاول او الخبر وما قبله
اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه واياما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق
المعبودية به سبحانه وتعالى لما تقرر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدائم
القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به لاستحالة
تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلعم قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي
القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل
سألوا موسى عم عن اسم الله الاعظم فقال الحي القيوم ويروى ان عيسى عم كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حي يا قيوم
ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عم
كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلعم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلثة
منهم اكابر اليهم يؤول امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد
واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدراسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم

شرفوه ومولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة
بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلعم
فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت
تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره
الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلعم بعد صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب
واردية فاخرة يقول بعض من راهم من اصحاب النبي صلعم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا يصلوا في المسجد
فقال عم دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم اولئك الثلثة مع رسول الله صلعم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي الموتى
ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم تكن له اب يعلم
وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تع فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلعم اسلموا قالوا
اسلمنا قبلك قال عم كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تع ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه قال عم الستم
تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفناء قالوا
بلى قال عم الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عم فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا
لا فقال عم الستم تعلمون ان الله تع لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا بلى قال عم فهل يعلم عيسى من ذلك الا
ما علم قالوا لا قال عم الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء وان ربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا
بلى قال عم الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ووضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم
الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عم فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فقالوا الا جحودا فانزل
الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي
فيه يمترون ● نزل عليك الكتاب ● اي القران عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات
الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التورية والانجيل وصيغة
التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستانفة
او خبر اخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل
كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر حينئذ ان يكون مستانفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد
اي نزل الكتاب من عنده ● بالحق ● حال من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل
في احكامه او بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده او بما يحقق انه من عند الله
من الحجج البينة ● مصدقا ● حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير
حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقيل انه
حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضمير القائم مقام عامله فيتحمل له
فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل
وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما ● لما بين يديه ● مفعول لمصدقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه

ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل
عما لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبياء والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت
المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما الشرائع المختلفة باختلافهما فمن حيث
ان احكام كل واحد منها واردة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح
اللائقة بشانهم ● وانزل التورية والانجيل ● تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك
يترقى شان ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في العلو قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع
ما سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عم وانما لم يذكر لان الكلام في الكتابين
لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني سرياني وتعضده القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس
من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف ● من قبل ● متعلق بانزل اي انزلهما من قبل
تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان ● هدى للناس ● في حيز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما
لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة
او حذف المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين
نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما
بما عدا الشرائع المنسوخة من الامور التي يصدقها القران فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلعم
شامل للناس قاطبة ● وانزل الفرقان ● الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد
به هنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص
بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تع وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة
اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير
الذاتي كما في قوله سبحانه فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
واما الزبور لانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد والزاجرة عن الشر
والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتورية في الاشتمال على الاحكام والشرائع
وشيوع اقترانهما في الذكر واما القران نفسه ذكر بنعت مادح له بعدما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا
لمكانه وقد بين اولا تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بالانزال
القدر المشترك العاري عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل
● ان الذين كفروا بايات الله ● وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة وغيرها ومن المعجزات الايات
مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانا بان
ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي ببعض منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب
بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من ايات الله
الناطقة بالحق لا سيما بتوحيده تع وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان

بها من كذبوا بالقرآن أصالة وبسائر الكتب الإلهية تبعاً لما أن تكذيب المصدِّق موجب لتكذيب ما يصدّقه
حتماً وأصالة أيضاً بأن كذبوا بآياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن ومبعث النبي صلعم
وغيّروها لهم بسبب كفرهم بها عذاب أليم مرتفع إما على الفاعلية من الجار والمجرور وإما على الابتداء والجملة خبر لإن
والتنوين للتفخيم أي عذاب شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به إثر تقرير أمر التوحيد الذاتي والوصفي
والإشارة إلى ما ينطق بذلك من الكتب الإلهية حملاً على القبول والإذعان وزجراً عن الكفر والعصيان والله عزيز
لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ذو انتقام عظيم خارج عن أفراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي السطوة
والتسلط يقال انتقم منه إذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له إن الله لا يخفى عليه
شيء في الأرض ولا في السماء استئناف كلام سيق لبيان سعة علمه وإحاطته بجميع ما في العالم من الأشياء
التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سراً وجهراً إثر بيان كمال قدرته وعزته ترتيباً لما قبله من الوعيد وتنبيهاً
على أن الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عم بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الإلهية وإنما عبر عن علمه عز
وجل بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء إيذاناً بأن علمه تعالى
بمعلوماته وإن كانت في أقصى الغايات الخفية ليس من شأنه أن يكون على وجه يمكن أن يقارنه شائبة خفاء بوجه من
الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لإن وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وكلمة
في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي أي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الأرض
ولا في السماء أعم من أن يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما أو الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وإنما عبر بهما عن كل العالم
لأنهما قطراه وتقديم الأرض على السماء لإظهار الاعتناء بشأن أحوال أهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي
من الأدنى إلى الأعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة إلى علومنا وقوله عز وجل هو الذي
يصوركم في الأرحام كيف يشاء جملة مستأنفة ناطقة ببعض أحكام قيوميته تعالى وجريان أحوال الخلق في أطوار الوجود
حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالأشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة
وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم أو
بمحذوف وقع حالاً من ضمير المفعول أي يصوركم وأنتم في الأرحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على
الحالية إما من فاعل يصوركم كائناً على مشيئته تعالى أي مريداً أو من مفعوله أي يصوركم كائنين على مشيئته تعالى
تابعين لها في قبول الأحوال المتغايرة من كونكم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف بالصفات
المختلفة من الذكورة والأنوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من الدلالة على بطلان زعم من زعم
ربوبية عيسى عم وتوسمه من أبناء النواسيت المتقلبين في هذه الأطوار على مشيئة الباري عز وعلا وكمال ركاكة
عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل أي صوركم لنفسه وعبادته لا إله إلا هو إذ لا يتصف
بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالألوهية أحد ليتوهم ألوهيته العزيز الحكيم المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك
يخلقكم على ذلك النمط البديع هو الذي أنزل عليك الكتاب شروع في إبطال شبههم الناشئة عما نطق به القرآن في نعت عيسى عم بطريق
الاستئناف إثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد أخرى وكون كل من عداه مقهوراً تحت ملكوته تابعاً

نصرانية

نصرانية قيل إن وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم ألست تزعم يا محمد أن عيسى كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا
فأنزل الله تعالى... فتنتهم وبين أن الكتاب مؤسس على أصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان
ما هم عليه والمراد من الإنزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه واللام في الكتاب
للعهد وتقديم الظرف عليه لما أشير إليه فيما قبل من الاعتناء بشأن بشارته عم بتشريف الإنزال عليه ومن التشويق
إلى ما أنزل فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند الإشعار برفعة شأنه أو بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها
عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه إلى قسميه منه آيات الظرف خبر وآيات مبتدأ أو بالعكس بناء على ما مر
في قوله تعالى ومن الناس من يقول الآية والأول أوفق بقواعد الصناعة والثاني أدخل في جزالة المعنى إذ المقصود
تقسيم الكتاب إلى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتدبر والجملة مستأنفة أو في حيز النصب
على الحالية من الكتاب أي هو الذي أنزل الكتاب كائناً على هذه الحالة أي منقسماً إلى محكم ومتشابه أو الظرف هو الحال وحده
وآيات مرتفع به على الفاعلية محكمات أي قطعية الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه
هن أم الكتاب أي أصل فيه وعمدة يرد إليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والإضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى
اللام فإن ذلك يؤدي إلى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة إما صفة لما قبلها أو مستأنفة وإنما أفرد الأم
مع تعدد الآيات لما أن المراد بيان أصلية كل واحدة منها أو بيان أن الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية
وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب
أي وأما جلودها وأخر نعت لمحذوف معطوف على آيات أي وآيات أخر وهي جمع أخرى وإنما لم ينصرف لأنه وصف
معدول عن الآخر أو عن آخر من متشابهات صفة لأخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف أي محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها
من بعض في استحقاق الإرادة بها ولا يتضح الأمر إلا بالنظر الدقيق والتأمل الأنيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك
المعاني وصفت به الآيات على طريقة وصف الدال بما للمدلول وقيل لما كان من شأن الأمور المتشابهة أن يعجز العقل عن
التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي إليه العقل متشابهاً وإن لم يكن ذلك بسبب التشابه كما أن المشكل في الأصل ما دخل في
أشكاله وأمثاله ولم يعلم بعينه ثم أطلق على كل غامض وإن لم يكن غموضه من جهته وإنما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء
ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما أريد بها من الأحكام الحقة فينالوا بها وبإتعاب
القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين
المحكمات من اليقين والاطمئنان إلى المعارج القاصية وأما قوله عز وجل كتاب أحكمت آياته فمعناه أنها حفظت من عروض
الخلل أو أيدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها أو جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها
وقوله تعالى كتاباً متشابهاً معناه متشابه الأجزاء أي يشبه بعضها بعضاً في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فأما الذين في
قلوبهم زيغ أي ميل عن الحق إلى الأهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين وفي
جعل قلوبهم مقراً للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد وإصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه معرضين
عن المحكمات أي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب أو بتأويل باطل لا تحرياً للحق بعد الإيمان بكونه من عند الله تعالى بل

ابتغاء الفتنة أي طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد
وابتغاء تأويله أي وطلب أن يأولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال أنهم بمعزل عن تلك الرتبة
وذلك قوله عز وجل وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم فإنه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الأخيرة
أي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال أنه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم أي الذين
ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الأقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله وتجريد التأويل
عن الوصف بالصحة أو الحقية إيذان بأنهم ليسوا من التأويل في شيء وأن ما يبتغونه ليس بتأويل أصلا لا أنه تأويل غير [أصلا صح]
صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على إلا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام
الساعة وخواص الأعداد كعدد الزبانية أو بما دل القاطع على عدم إرادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يقولون
آمنا به أي بالمتشابه وعدم التعرض لإيمانهم بالمحكم لظهوره أو بالكتاب والجملة على الأول استئناف موضح لحال الراسخين
أو حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له
أي كل واحد منه ومن المحكم أو كل متشابهه ومحكمه نزل من عنده ولا مخالفة بينهما أو آمنا به وبحقيته على مراده تعالى
وما يذكر حق التذكر إلا أولوا الألباب أي العقول الخالصة عن الركون إلى الأهواء الزائغة وهو تذييل
سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر وإشارة إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله
من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث إنها جواب عما تشبث به النصارى من
قوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه على وجه الإجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى إن مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام الراسخين أي لا تزغ قلوبنا عن
نهج الحق إلى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال صلعم قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء
أقامه على الحق وإن شاء أزاغه عنه وقيل معناه لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد إذ هديتنا أي إلى الحق
والتأويل الصحيح أو إلى الإيمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرفية وإذ في محل الجر بإضافته إليه خارج من الظرفية
أي بعد وقت هدايتك إيانا وقيل إنه بمعنى أن وهب لنا من لدنك كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الأول
لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال من المفعول أي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية
ولدن في الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند
إذ قد تكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف إلى صريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة
في ظهيري من لدن الظهر إلى العصيري ولا تقطع عن الإضافة بحال وأكثر ما تضاف إلى المفردات وقد تضاف
إلى أن وصلتها كما في قوله ولم تقطع رحما من لدن أن وليتنا قرابة ذي رحم ولا حق مسلم أي من لدن
ولايتك إيانا وقد تضاف إلى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر نعماه لدن أنت يافع وإلى الجملة الفعلية أيضا
كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم فلا يك منكم للخلاف جنوح وقلما تخلو عن من كما في البيتين الأخيرين
رحمة واسعة تزلفنا إليك ونفوز بها عندك أو توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول الصريح عن الجارين

لما

لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقدم إذا أخر تبقى النفس مترقبة
لوروده لا سيما عند الإشعار بكونه من المنافع باللام فإذا ورد يتمكن عندها فضل تمكن إنك أنت الوهاب
تعليل للسؤال أو لإعطاء المسؤول وأنت إما مبتدأ أو فصل أو تأكيد لاسم إن وإطلاق الوهاب ليتناول
كل موهوب وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قبله تعالى وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من غير أن يجب
عليه شيء ربنا إنك جامع الناس ليوم أي لحساب يوم أو لجزاء يوم حذف المضاف وأقيم مقامه
المضاف إليه تهويلا وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه أي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب
والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة وأنها المقصد الأسنى عندهم والتأكيد لإظهار ما هم عليه
من كمال الطمأنينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة إن الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتفاء
الريب وتأكيد لما مر وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات لإبراز كمال التعظيم والإجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب
الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فإنه مقام طلب الإنعام كما سيأتي وللإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية
منافية للإخلاف وقد جوز أن تكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات و
استدل به الوعيدية وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم
التوبة وفاقا إن الذين كفروا إثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر أحوال الكتب الناطقة به وشرح شأن
القرآن العظيم وكيفية إيمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل
لجميع الأصناف وقيل وفد نجران أو اليهود من قريظة والنضير أو مشركوا العرب لن تغني عنهم أي لن تنفعهم
وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين أموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع
المضار ولا أولادهم الذين بهم يتناصرون في الأمور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب الملمة وتأخير الأولاد عن
الأموال مع توسيط حرف النفي بينهما إما لعراقة الأولاد في كشف الكروب أو لأن الأموال أول عدة يفزع إليها عند نزول
الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا أي شيئا من الإغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل
طاعته كما في قوله تعالى إن الظن لا يغني من الحق شيئا أي بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده
بدلك أي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وأنت خبير بأن احتمال سد أموالهم و
أولادهم مسد رحمة الله تعالى أو طاعته مما لا يخطر ببال أحد حتى يتصدى لنفيه والأول هو الأليق بتفظيع حال الكفرة و
تهويل أمرهم والأنسب بما بعده من قوله وأولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فأخذهم الله أي أولئك المتصفون
بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فإن أريد بيان حالهم عند التسعير فاختيار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الأمر و
تقرره وإلا فهو للإيذان بأن حقيقة حالهم ذلك وأن أحوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار بأعيانهم
وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وأن يكون ضمير الفصل والجملة إما مستأنفة مقررة لعدم
الإغناء أو معطوفة على خبر إن وإيا ما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم منه شيئا و
قرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر أي أهل وقودها كدأب آل فرعون الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه وتعب

غلب استعماله في معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او
بالوقود اي لن تغني عنهم كما لم تغني عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الداب انما هو
التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء لاسيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو راي المجوز ولا الايقاد وان يحمل
على التعليل وهو خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى
واولئك هم وقود النار الا ان يجعل استينافا لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اي كداب هؤلاء في الكفر و
عدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كداب آل فرعون • والذين من قبلهم • اي من قبل آل فرعون من الامم الكافرة فالموصول
في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى • كذبوا باياتنا • بيان وتفسير لدابهم الذي فعلوا على طريقة الاستيناف المبني على السؤال
كانه قيل كيف كان دابهم فقيل كذبوا باياتنا وقوله تعالى • فاخذهم الله • تفسير لدابهم الذي فعل بهم اي فاخذهم الله وعاقبهم
ولم يجدوا من باس الله تعالى محيصا فداب هؤلاء الكفرة ايضا كدابهم وقيل كذبوا الى اخره حال من آل فرعون والذين من قبلهم
على اضمار قد اي داب هؤلاء كداب اولئك وقد كذبوا الخ واما كونه خبرا من الموصول كما قيل فمما ينبغي تنزيه ساحة التنزيل الكريم و
الالتفات الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة • بذنوبهم
• ان اريد بها تكذيبهم بالايات فالباء للسببية جيء بها تاكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد
بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخر اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها
كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي تتبع عقابا عليها
• والله شديد العقاب • تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له • قل للذين كفروا • المراد بهم اليهود لما روي عن ابن
عباس رض ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلعم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي
بشرنا به موسى عم وفي التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا
وقد كان بينهم وبين رسول الله صلعم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم
على قتال رسول الله صلعم وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رض ان النبي صلعم لما اصاب قريشا ببدر ورجع
الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم
بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم • ستغلبون • البتة عن قريب في الدنيا
وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد
النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدي الى انقطاع الاية
الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر • وتحشرون • اي في الاخرة • الى جهنم • وقرئ الفعلان بالياء على ان الامر بان يحكي لهم
الله تعالى من وعيدهم بعبارته كانه قيل اد اليهم هذا القول • وبئس المهاد • اما من تمام ما يقال لهم او استيناف لتهويل جهنم وتفظيع
حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم • قد كان لكم • جواب قسم محذوف وهو من
تمام القول المامور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة والتوسط بينها و
بين اسمها ترك التانيث كما في قوله ان امرأ غرة منكم واحدة بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور على ان التانيث فيهما غير حقيقي

او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي والله
قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم • آية • عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون • في فئتين • اي
فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف
الرفع على انه صفة لاية وقيل النصب على حالية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من اية • التقتا • في
حيز الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر • فئة • بالرفع خبر مبتدا محذوف اي احديهما فئة كما في
قوله اذا مت كان الناس صنفين شامت • واخر مثن بالذي كنت اصنع • اي احدهما شامت واخر مثن وقوله
حتى اذا ما استقل النجم في غلس • وغودر البقل ملوي ومحصود • والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما في الفئتين من
الاية وقوله تعالى • تقاتل في سبيل الله • في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من
احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الاية وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ
يقاتل على ان ضمير الفئة بتاويل القوم او الفريق • واخرى • نعت لمبتدا محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي فئة
اخرى وانما نكرت لما ان المقصود تعريفها بنعتها لوضوح ان التعريف لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف
وقوله تعالى • كافرة • خبر المبتدا المحذوف وانما لم يوصف هذه الفئة بما يقابل الصفة الاولى اسقاطا لهم
عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من المتعاطفين بدل من الضمير
في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عائد الى البدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضمير اي فئة منهما تقاتل
الى اخره وفئة اخرى كافرة وجوز ان يكون كل منهما مبتدا وما بعدهما خبرا اي فئة منهما تقاتل الى اخره فئة اخرى كافرة وقيل
كل منهما مبتدا محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الى اخره وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل البعض من الكل وقد مر انه لا بد
من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة • وكنت كذي رجلين رجل صحيحة • ورجل رمى فيها الزمان فشلت
وقرئ الى اخره بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة
لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا • يرونهم • اي يرى الفئة الاخرة الفئة
وايراد صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من احاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخرة او
مستانفة لتكملة الاية • مثليهم • اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا
راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف
الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعيد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم
قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المرئيين اي ستمائة ونيفا وعشرين حيث
كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون من الانصار رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين وكان راية رسول الله صلعم والمهاجرين علي بن ابي طالب رض وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجي
رض وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والاخر لمرثد بن ابي مرثد وست ادرع وثمنية
سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضي
اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجتنبوا عن قتالهم مددا منه سبحانه كما في امدهم بالملائكة عم وكان ذلك

عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند ترائيهما ليتجرؤا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين ينجيهم المهرب وقيل يرى الفئة
الاولى الفئة الاخرى مثلي انفسهم مع كونهم ثلثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تعالى ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين
والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا فانه روي ان ابن
مسعود رضه قال قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم
الله تعالى ايضا في اعينهم حتى رأيناهم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود رضه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي
تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين المشركين اقل من انفسهم احق
بالذكر في كونها اية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة اثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة باراءتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء
الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها اية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين
لهم وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعل
[illegible] العكس هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل اما
ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما هو الصواب فظاهر لانها ليست مرئية لهم وان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهد
تلك الاية الهائلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليها مع كون اسنادها
الى المخاطبين ادخل في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا يخفى الا انه بهذا التبيين حال جعل الخطاب لليهود الى المشركين لكنه ليس بنص
في ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق
في الكلمة لاسيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا
لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة
اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك • رأي العين • مصدر مؤكد ليرونهم اي رؤية ظاهرة او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة
مكشوفة جارية مجرى رؤيته • والله يؤيد • اي يقوي • بنصره من يشاء • اي يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة
المقاتلة في سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المأمور به • ان في ذلك • اشارة الى ما ذكر من النصر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة
القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته المشار اليه في الفضل • لعبرة • العبرة فعلة
من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة • لاولي الابصار
• لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما
وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته صلعم • زين للناس • كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها و
تزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس • حب
الشهوات • الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا
فيها كانها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم في حبها بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالا
لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة
في ذلك ابتلاؤهم قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الاية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها
على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل

المزين الشيطان لظهور مساق الاية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين المباحات واسند تزيينها الى الله تعالى وبين
المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان • من النساء والبنين • في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى
وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات
لعدم الاطراد في حبهن • والقناطير المقنطرة • جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملؤ مسك ثور وقيل سبعون
الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل مائة مثقال وقيل مائة درهم وقيل دية النفس واختلف في ان وزنه
فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها
على بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة • من الذهب والفضة • بيان للقناطير او حال • والخيل • عطف على القناطير قيل
هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتق من الخيلاء • المسومة • اي المعلمة من السومة
وهي العلامة او المرعية من اسامي الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي او المطهمة التامة الخلق • والانعام • والحرث •
اي الزرع مصدر بمعنى المفعول • ذلك • اي ما ذكر من الاشياء المعهودة • متاع الحيوة الدنيا • اي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا اياما
قلائل فتفنى سريعا • والله عنده حسن المآب • حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد وجعل الجلالة
مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في
ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية • قل اؤنبئكم بخير من ذلكم • اثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن
المآب اجمالا امر النبي صلعم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما فصل من
تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق اليه وقوله تعالى • للذين اتقوا عند ربهم جنات • استيناف
مبين لذلك المبهم على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد بالتقوى
هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الاتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون
الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار
مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف
بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية
من خير ولا يخفى ان تعلق الاخبار والبيان بما هو خير لطائفة ربما يوهم ان هناك طائفة لا خيرية لها • تجري • في محل الرفع او
الجر صفة لجنات على حسب القراءتين • من تحتها الانهار • متعلق بتجري فان اريد بها نفس الاشجار كما هو
الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا
• خالدين فيها • حال مقدرة من الضمير في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار • وازواج مطهرة • عطف على جنات اي مبرأة
مما يستقذر من النساء من الاحوال البدنية • ورضوان • التنوين للتفخيم وقوله تعالى • من الله • متعلق بمحذوف
وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان واي رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل وقرئ
بضم الراء • والله بصير بالعباد • وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر
وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد • الذين يقولون ربنا اننا امنا • في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الى اخره او النصب على المدح او الجر

اي الابل والبقر والغنم

على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك والاول اظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد حينئذ معترضة وتاكيد للجملة اظهار
ان ايمانهم ناش من وفور الرغبة وكمال النشاط وفي ترتيب الدعاء بقبولهم ● فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
● على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار ● الصابرين ● هو على تقدير
كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر
هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس ● والصادقين ● في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم
والقانتين ● المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات ● والمنفقين ● اموالهم في سبيل الله تعالى ● والمستغفرين
بالاسحار ● قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة
وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنه يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا
فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل
حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة
لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة
على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها ● شهد الله انه ● بفتح الهمزة اي بانه او على انه ● لا اله
الا هو ● اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية في الافاق والانفس وانزال الايات التشريعية الناطقة بذلك
عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة
اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سياتي
وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح وبالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وما له الرفع على المدح اي
هم شهداء لله وهو اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر ● والملائكة ● عطف على الاسم
الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك ● واولوا العلم ● اي امنوا
به واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار
وقيل علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين علموا وحدانيته تعالى بالدلائل
القاطعة وارتفاعهما على الفاعلية الاخيرتين وقيل بالعطف على الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك
على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة واولي العلم وليس فيه كثير فائدة
فالوجه حينئذ كون الابتداء خبره محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملائكة واولوا العلم شهداء بذلك ولكن الاولى حمل القراءتين
على المدح نصبا ورفعا فيحسن العطف على المستتر على كل حال وقوله تعالى ● قائما بالقسط ● اي مقيما للعدل في جميع اموره
بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده
مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وسبل تاخيره عن المعطوفين
للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشانه ورفعا لمحله والسر في تقديمه
على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من
ربه او من هو وهو الاوجه والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة

للمنفي

للمنفي اي لا اله قائما الخ والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير
او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية من هو وفيه ما مر من الفصل بينهما كما في الصفة او على انه خبر
لمبتدأ محذوف وقرئ قيما بالقسط ● لا اله الا هو ● تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به
بعد اقامة الحجة عليه وليجري عليه قوله تعالى ● العزيز الحكيم ● فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على
العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبرية لمبتدأ مضمر وقد روي في فضلها
انه عم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد
ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول
البيت ثلاثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الاية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم
على النبي صلعم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي عم
الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا عليه عم عرفاه بالصفة فقالا له عم انت محمد قال عم نعم قالا وانت احمد
قال عم نعم انا محمد واحمد قالا فانا نسئلك عن شيء فان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك قال عم سلا فقالا اخبرنا عن
اعظم شهادة في كتاب الله تع فانزل الله تع هذه الاية فاسلم الرجلان ● ان الدين عند الله الاسلام ● جملة مؤكدة
مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تع سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة وعن
قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان الدين عند الله الاسلام وقرئ
ان الدين الخ على انه بدل منه انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر
بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على قراءة انه بالكسر كما اشير اليه ● وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
● نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلعم وانكروا نبوته والتعبير عنهم
بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته
على غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل ● الا من بعد ما جاءهم العلم ● استثناء مفرغ من اعم الاحوال
او في وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من
من العلم بها بالحجج النيرة والايات الباهرة وفيه من الدلالة على حالهم في الضلالة ما لا يصدر عن العاقل وقوله
تعالى ● بغيا بينهم ● اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع
● ومن يكفر بايات الله ● اي باياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله تع هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها
او باية اية كانت مما انزل الله تع على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا ● فان الله سريع الحساب ● قائم مقام جواب
الشرط علة له اي ومن يكفر باياته تعالى فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اي ياتي حسابه
عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر
باياته تعالى من غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون
ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم ● فان حاجوك ● اي في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك
فيه بعد ما اقمت عليهم الحجج ● فقل اسلمت وجهي ● اي اخلصت نفسي وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف

الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما تقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى
كل شيء • لله • لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم
السلام • ومن اتبعن • عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي
واسلم من اتبعني او مفعول معه • وقل للذين اوتوا الكتاب • اي من اليهود والنصارى ووضع الموصول موضع
الضمير لرعاية التقابل بين وصفي المتعاطفين • والاميين • اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب • ااسلمتم • متبعين
لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم
بعد كما يقول المخلص لصاحبه المشكلة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى
فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة
الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى • فان اسلموا • اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تعالى فان امنوا
بمثل ما امنتم به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية • فقد اهتدوا • اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا من
مهاوي الضلال • وان تولوا • اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام • فانما عليك البلاغ • قائم مقام الجواب
اي لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روي ان رسول الله صلعم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا
اسلمنا فقال صلعم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى ا
اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا • والله
بصير بالعباد • عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد • ان الذين يكفرون بآيات الله • اي آية كانت
فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا • ويقتلون النبيين
بغير حق • هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عم وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى
حائمين حول قتل النبي صلعم لولا ان عصم الله عز وجل ساحته المنيفة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد
للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق • ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس • اي بالعدل
ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول
الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة
قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل
فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين • فبشرهم بعذاب اليم • خبر ان
والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا حال النسخ بان المفتوحة كما في
قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله فوالله ما فارقكم عن ملالة ولكن ما يقضى
فسوف يكون وانما تغير معنى الابتداء في النسخ بليت ولعل وعند ذهب سيبويه والاخفش بمنع دخول الفاء عند النسخ
مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى • اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة • كما في قولك ان الشيطان فاحذره عدو
مبين وعلى الاول هو استئناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال
وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول مع صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون باسوء

الحال

اعلم

الحال الذي بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي
في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة • وما لهم من ناصرين • ينصرونهم من باس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع
لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار • الم تر • تعجيب لرسول
الله صلعم او لكل من يتاتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام
انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيقته اي الم تنظر • الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب • اي التورية على ان اللام للعهد
وحمله على جنس الكتب الالهية يخلو عن لطف اذ تمام التقريب حينئذ بكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع و
التعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من
العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي عم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال
اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده
مقام المبالغة في تقبيح حالهم • يدعون الى كتاب الله • الذي اوتوا نصيبا منه وهو التورية وايرادها في مقام الاحضار
لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استئناف مبين لمحل التعجب مبني على سؤال
نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول
• ليحكم بينهم • وذلك ان رسول الله صلعم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد
على اي دين انت قال صلعم على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال صلعم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها
فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم
على البناء للمجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون • ثم يتولى فريق
منهم • استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه • وهم معرضون • اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون
من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على الباطل • ذلك • اشارة
الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • بانهم • اي حاصل بسبب انهم • قالوا لن تمسنا النار • باقتراف الذنوب
وركوب المعاصي • الا اياما معدودات • وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب و
• غرهم في دينهم ما كانوا يفترون • من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء عليهم السلام يشفعون لنا او ان
الله تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا من القبائح • فكيف • رد لقولهم المذكور وابطال
لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم • اذا جمعناهم ليوم • اي لجزاء يوم
• لا ريب فيه • اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على
رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار • ووفيت كل نفس ما كسبت • اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما
وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط و
ان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها
• وهم • اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس • لا يظلمون • بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كل منهم مقدار ما
كسبه • قل اللهم • الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله

على مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول يا عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل
وهمزته • مالك الملك • تبيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به وكون مالكيته غيره
بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة • من تشاء
اي ايتاءه اياه • وتنزع الملك ممن تشاء • اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والاخران
مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبيهما مجازية وقيل الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتأمل وقيل المراد بالملك
النبوة ونزعها نقلها من قوم الى اخرين • وتعز من تشاء • ان تعزه في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر والتوفيق
• وتذل من تشاء • ان تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة • بيدك الخير • تعريف الخير للتعميم
وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا يقدر احد من غيرك يتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيئتك وتخصيص
الخير بالذكر لما انه مقتضى بالذات واما الشر فمقتضى بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه
في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلعم لما
خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون وانه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلعم يخبره فجاء عليه السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق
منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور
الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر في ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت
لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل عم ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل
ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون
ان تبرزوا فنزلت • انك على كل شيء قدير • تعليل لما سبق وتحقيق له • تولج الليل في النهار • اي تدخله بتعقيبه اياه او
بنقص الاول وزيادة الثاني • وتولج النهار في الليل • على احد الوجهين • وتخرج الحي من الميت • اي تنشئ الحيوانات من موادها
او من النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر • وتخرج الميت من الحي • اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر
من المؤمن • وترزق من تشاء بغير حساب • قال ابو العباس المقرئ ورد لفظ الحساب في القران على ثلاثة وجوه
بمعنى التعب قال الله تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة
قال الله تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على
ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم
ويؤتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلعم ان فاتحة الكتاب و
اية الكرسي والايتين من ال عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم
الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل
اني حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت
اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم
وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني

جعلتهم

جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عم كما تكونوا يولى عليكم
• لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء • نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة و
المعاشرة كما في قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى
اولياء حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور الدينية • من دون
المؤمنين • في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة
وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة • ومن يفعل ذلك • اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنهم بالفعل للاختصار
او لايهام الاستهجان بذكره • فليس من الله • اي من ولايته تعالى • في شيء • يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة
المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب و
الجملة اعتراضية وقوله تعالى • الا ان تتقوا • على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال
والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم
منهم • اي من جهتهم • تقاة • اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة
حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عم
كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية • ويحذركم
الله نفسه • اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين
وقد صرح بعض محققي المتاخرين بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان
بان له عقابا هائلا لا يؤبه بما يحذر من الكفرة • والى الله المصير • تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما • قل ان
تخفوا ما في صدوركم • من الضماير التي من جملتها ولاية الكفرة • او تبدوه • فيما بينكم • يعلمه الله • فيؤاخذكم بذلك
عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما
يسرون وما يعلنون • ويعلم ما في السموات وما في الارض • كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من
باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا • والله على كل شيء قدير • فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا
عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى
ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن ساير الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي
المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط • يوم تجد
كل نفس • اي من النفوس المكلفة • ما عملت من خير محضرا • عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا • وما
عملت من سوء • عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات
وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية • تود • عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد صحايف اعمالها
من الخير والشر او اجزيتها محضرة • لو ان بينها وبينه • اي بين ذلك اليوم • امدا بعيدا • لغاية هوله وفي اسناد الودادة
الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه
ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود اما حال من

من كل نفس او استيناف مبني على السؤال اي اذكر ويوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وودّت ان بينها
وبينه امدا بعيدا وكان سائلا قال حين امروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تودّ لو ان بينها الخ او
تجد متعلق بما عملت من خير وتودّ خبر لما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع تودّ وقرئ ودّت فحينئذ يجوز كونها
شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة • ويحذركم الله نفسه • تكرير لما
سبق واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل • والله رؤف بالعباد • من ان تحذيره تعالى من
رأفته بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقق ما حذرتموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة
بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال
وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة • قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني • المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها
على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله
تعالى وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة
بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول عم في عبادته والحرص على مطاوعته • يحببكم الله • اي يرضى عنكم و
يغفر لكم ذنوبكم • اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب قدسه ويبوئكم في جوار عزه عبّر عنه بالمحبة
بطريق الاستعارة او المشاكلة • والله غفور رحيم • اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلعم فهو
تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة
والرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله تعالى
وقيل في اقوام زعموا على عهده عم انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رض
ان النبي صلعم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها
الشنوف فقال رسول الله صلعم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل عم فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى
ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى لنبيه صلعم قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام ليقربوكم اليه فاتبعوني اي شريعتي و
سنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم • قل اطيعوا الله والرسول • اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل
في ذلك الطاعة في اتباعه عم دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة و
دواعيها • فان تولوا • اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا واما
كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا
تلويح الى انه غير محتمل منهم • فان الله لا يحب الكافرين • نفي المحبة كناية عن بغضه تعالى وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار
الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن
الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوص بالمؤمنين • ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين • لما بيّن الله
عز وجل ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه
ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول عم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة
فبدأ ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم السلام كافة واتبعه ذكر امر عيسى عم وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد

والاسلام

والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شأنهما من الافراط والتفريط ثم ابطال محاجتهم في ابراهيم عم و
ادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام
دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين
وان اممهم قاطبة مأمورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلعم وكونه المصدق
لما بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما سيأتي تفصيله وتخصيص آدم عم بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة
وكذا حال نوح عم فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم بالايمان بنبوة النبي صلعم واستمالتهم
نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه على كونه عم عريقا في النبوة من زمرة المصطفين
الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عم لكمال رسوخ الخلاف في
شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو السر في اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح
وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثّل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق
بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عم او فيمن يلابسه و
ينشأ منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عم بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه و
اسكان الجنة واصطفى نوحا عم بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزوج المحارم حراما وباطالة عمره
وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بآل ابراهيم اسمعيل واسحق
والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلعم واما اصطفاء نفسه عم فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية
وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام
وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولذلك قال عم انا دعوة ابي ابراهيم وبآل عمران
عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العازار بن ابي يهوذ بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشيا بن اموذر
بن منشكيل بن حارقا بن احاز بن يوثام بن عزاريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود عم
ابن ايشى بن عوبيد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حصروم بن فارص بن يهوذا بن يعقوب عم
وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عم حينئذ بالاندراج في آل ابراهيم عم والاول هو الاظهر بدليل
تعقيبه بقصة مريم واصطفاء موسى وهرون عم بالانتظام في سلك آل ابراهيم عم انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين
اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه • ذرية • نصب على البدلية من الآلين او على الحالية
منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى • بعضها من بعض • في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى
الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها
من بعض في الدين فلا مساغ له على الوجه الاول لتعريبه وعلى الثاني برهانه • والله سميع • لاقوال العباد • عليم • باعمالهم
البادية والخافية فيصطفي من يشاء منهم لخدمته ممن يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث
يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها • اذ قالت امرأة عمران • في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر
على طريقة الاستيناف تقرير لاصطفاء آل عمران وبيان لكيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر اوجه توجيه

التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكيرها وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اى سميع لقولها
المحكي عليهم بضميرها المنوى وقيل هو ظرف بمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كأنه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت
فكان من عطف الجمل على الجمل دون المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل فى ذلك الوقت وامرأة عمران هى حنة
بنت فاقوذ جدة عيسى عم وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عم فظن ان المراد زوجته ويأباه
كفالة زكريا عم فانه كان معاصرا لابن ماثان وقد تزوج ايشاع اخت حنة
ام يحيى عم واما قوله صلعم فى شأن يحيى وعيسى ابنا خالة فقيل تأويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت
وبهذا الاعتبار جعلا ابنى خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم على ان عمران نكح اولا ام حنة
فولدت له ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب فى شريعتهم فولدت مريم فكان ايشاع اخت مريم من الاب
وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روى انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هى ذات يوم فى ظل شجرة اذ رأت
طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون
من سدنته وكان النذر مشروعا عندهم فى الغلمان ثم هلك عمران وهى حامل وحينئذ فقولها • رب انى نذرت لك ما فى بطنى
لا بد من حمله على التكرير لتأكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة
ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله
بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتأكيد الجملة لابراز وفور الرغبة فى مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد
بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء • محررا • اى معتقا لخدمة بيت المقدس لا اشغله بشأن آخر او مخلصا للعبادة
ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره فى الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها فى قوة ما
استقر فى بطنى ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب الى الله تعالى لا تقييد ما فيه من الاستقرار فى بطنها • فتقبل
منى • اى ما نذرته والتقبل اخذ الشىء على وجه الرضى وهذا فى الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق المقبول
بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى • انك انت السميع • لجميع المسموعات التى من جملتها تضرعى ودعائى • العليم • بكل المعلومات
التى من زمرتها ما فى ضميرى لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما فى ضميرها
مصحح للتقبل فى الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتأكيد الجملة لعرض اختصاص
دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة فى الضراعة والابتهال • فلما وضعتها • اى ما فى بطنها وتأنيث
الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعى ظهور انوثته واعتباره فى حيز الشرط اذ عليه يترتب جوابها اعنى قوله تعالى
قالت رب انى وضعتها انثى لا على وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تأنيثه لان ما فى
بطنها كان انثى فى علم الله تعالى او لانه مؤول بالجملة او بالنفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شىء مما ذكر فى حيز الشرط
لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال مؤكدة من الضمير او بدل منه وتأنيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها
من خيبة الرجاء وانعكاس التقدير بما كان منه تحسرا وتحزنا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها الباطل
• والله اعلم بما وضعت • تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشأنه وتجهيل لها بقدره اى والله اعلم بالشىء الذى وضعته
وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين وهى غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب

الله تعالى لها اى انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشأن وسمو المقدار وقرئ
وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك
منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى
فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى • وليس الذكر كالانثى
اعتراض آخر مبين لما فى الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام فى الذكر والانثى للعهد اى ليس الذكر الذى
كانت تطلبه وتتمنى كالانثى التى وهبت لها فان دائرة
علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين فاما على التفسير الاخير
للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى فى الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه
تأكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى فى الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن
بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى • وانى سميتها مريم • عطف على انى وضعتها انثى وغرضها من عرضها
على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبى
معناه خادم الرب وكأنها رأت انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة
بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه • وانى اعيذها بك • عطف على انى سميتها وصيغة
المضارع للدلالة على الاستمرار اى اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم فى المواضع التى بعدها همزة مضمومة
الا فى موضعين بعهدى اوفى وآتونى افرغ • وذريتها • عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال
العناية به • من الشيطان الرجيم • اى المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة عن النبى صلعم ما من مولود
يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان
يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها ورضى بها فى النذر مكان الذكر • ربها • مالكها
ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى • بقبول حسن • قيل الباء زائدة والقبول
مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اى تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان
بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع
بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها فى حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة
الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشىء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه
تعالى اياها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم يقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة
قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روى ان حنة حين ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها
عند الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل و
ملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عم فى الكتب الالهية فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها
فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فتكفلها وقيل صعد

وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وتقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى
استقضى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن • وانبتها • مجاز عن
تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها • نباتا حسنا • مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل
بفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا • وكفلها زكريا • اي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا
لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل في انه رغب عليه السلام في كفالتها وطفقوا [illegible]
اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم من آثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكريا بالنصب والمد
وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكريا ممدودا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر من التفعل و
نصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تغيير لجهة
النسبة قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها
كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي انه كان
لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب • كلما دخل عليها زكريا المحراب • تقديم الظرف
على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها والمحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان
محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل زمان دخوله عليها او كل
وقت دخل عليها فيه • وجد عندها رزقا • اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد
عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط • قال • استئناف مبني على
السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآيات فقيل قال • يا مريم انى لك هذا • اي من
اين لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء
ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتأسيسا لرسالة عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام فيأباه اشتباه الامر عليه
وانى خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بنت هذه الامور انها مؤيدة من عند الله
تعالى بالعلم والقدرة • قالت • استئناف كما قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على
فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت • هو من عند الله • فلا تعجب ولا تستبعد • ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب • اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام
كلامها فيكون في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روي ان فاطمة الزهراء رضي الله عنها اهدت
الى رسول الله صلعم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا
ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك
شبيهة بسيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله عليهم اجمعين واهل بيته فاكلوا وشبعوا
وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها • هنالك • كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف
حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها
من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الآخرين ومعنا ظرف مكان واللام

لدلالة

للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت
اذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان • دعا زكريا ربه • لما رأى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب
في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت
حنة كذلك وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها تنبه لجواز ولادة العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعاء من غير
تأخر كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا اخيرا
من العلة التامة التي هي من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم •
رب هب لي من لدنك • كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اي
اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد • ذرية طيبة • كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع
حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد
فالتأنيث في الصفة لتأنيث لفظ الموصوف كما في قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت خليفة ذاك
الكمال وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان
يقال جاءت طلحة وذهبت حمزة • انك سميع الدعاء • اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة • فنادته
الملائكة • كان المنادي جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب
الخيل ويلبس الثياب وما له الا فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة و
قيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له من اتباع فاسند النداء الى
الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة • وهو قائم • جملة حالية من مفعول النداء مقررة
لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى • يصلي • اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى
تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه على القول بتعددها بلا عطف
ولا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله • في المحراب • اي في المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي او
بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبي
كما يلزم على التقادير الباقية • ان الله يبشرك بيحيى • اي بان الله وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي
واياما كان ينبغي ان يكون هذا الكلام اما محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه تعالى بالذات
لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء
كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا فللايذان بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما ترتب عليه من
المحاورة كان كل بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا اتضح اتحاد المعنى
في السورتين الكريمتين فتأمل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انما سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبي كان اسمه
في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان

مصدقا حال مقدرة من يحيى • بكلمة من الله • اى بعيسى عم وانما سمى كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه
البديعيات التى هى عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة للكلمة اى بكلمة كائنة منه
تع قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدى لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم
اشعرت بانى حبلى فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا
بكلمة الله وقال ابن عباس رضه ان يحيى كان اكبر من عيسى عم بستة اشهر وقيل بثلث سنين وقتل قبل رفع عيسى عم
بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لان مريم ولدت وهى بنت ثلث
عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اى بكتاب الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته • وسيدا
عطف على مصدقا اى رئيسا يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم
يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما اسناها • وحصورا • عطف على ما قبله اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن
الشهوات مع القدرة روى انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت • ونبيا • عطف على ما
قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة • من الصالحين • اى ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عم
او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح كما فى قوله تع وانه فى الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح
الذى لا بد منه فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عم وادخلنى برحمتك فى عبادك
الصالحين • قال • استئناف مبنى على السؤال كانه قيل فاذا قال زكريا عم حينئذ فقيل قال • رب • لم يخاطب الملك
المنادى له بمثابة انه لم يباشر الخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تع بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة فى التضرع
والمناجاة وجدا فى التبتل اليه تع واحترازا عما عسى يتوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف
على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر سبحانه على توسطه فى عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه فى بعضها
• انى يكون لى غلام • فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما فى قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى
كيف او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم و
التشويق الى ما اخر اى كيف او من اين يحدث لى غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر
لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية
• وقد بلغنى الكبر • حال من ياء المتكلم اى ادركنى كبر السن واثر فى كقولهم ادركته السن وفيه دلالة على ان كبر السن
من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان و
ستون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وثمانون والامرأة
ثمان وتسعون • وامرأتى عاقر • اى ذات عقر وهو ايضا حال من ياء لى عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغنى
اى كيف يكون لى ذلك والحال ان امرأتى على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عم مع سبق دعائه وقوة يقينه
بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته عم للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله سبحانه وتعجيبا منها
واعتدادا بنعمته عز وجل عليه فى ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء و
البشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه • قال •

استئناف

استئناف كما سلف • كذلك • اشارة الى مصدر يفعل فى قوله عز وجل • الله يفعل ما يشاء • اى ما يشاء ان
يفعله من عجائب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبر والكاف فى محل النصب على انها فى
الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى
هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه
واعتبرت الكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تع وكذلك
جعلناكم امة وسطا او منها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة اى يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او فى محل
الرفع على انها خبر والجلالة مبتدأ اى على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تع ويفعل ما يشاء بيان لذلك
الشأن المبهم وكذلك خبر لمبتدأ محذوف اى الامر كذلك وقوله تع الله يفعل ما يشاء بيان له • قال رب اجعل
لى آية • اى علامة تدلنى على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد
ان يطلعه الله تع عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره عم الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا
السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سنى يحيى وعيسى عم بستة
اشهر او بثلث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تع فى سورة مريم فخرج على قومه من المحراب
فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان يكون المحاورة بين زكريا ومريم فى حالة كبرها وقد عدت من جملة من يتكلم فى
الصغر بموجب قولها المحكى والجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق
الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين اولهما آية وثانيهما لى والتقديم
لانه لا مسوغ لكونه آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ
• قال آيتك ان لا تكلم الناس • اى ان لا تقدر على تكليمهم • ثلثة ايام • اى متوالية لقوله تع فى سورة مريم
ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تع وشكره قضاء
لحق النعمة كانه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحتبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما
اشتق من السؤال • الا رمزا • اى اشارة بيد او رأس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز اى تحرك ومنه
قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام
ولا ريب فى كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه
ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله • متى ما تلقنى فردين ترجف • روانف اليتيك وتستطارا • واذكر ربك
اى فى ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية • كثيرا • اى ذكرا كثيرا او
زمانا كثيرا • وسبح • اى سبحه تعالى او فعل التسبيح • بالعشى • من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر
الليل • والابكار • من طلوع الفجر الى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما فى قوله تعالى فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللسانى كما ان المراد بالذكر الذكر القلبى وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر
كسحر واسحار • واذ قالت الملائكة • شروع فى شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة
الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعنى زكريا ويحيى عم وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على

على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران منصوب باضمار اذكر اي واذكر ايضا من شواهد اصطفائهم
وقت قول الملائكة يا مريم وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها
والانفراد بها عن الاحكام السابقة فانها من احكام الاصطفاء الرتبية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم عم
وهذه من باب الرتبة الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها وارهاصا
لنبوة عيسى عم فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها ان الله اصطفاك اولا حيث
تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى ورباك في حجر زكريا عم ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات
السنية وطهرك اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قرفك به اليهود وهب لك عيسى عم من غير اب ولم يكن
ذلك لاحد من النساء وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقالة على حكاية بشارتها بعيسى
عم لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل
شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفاء الاول والثاني واحد والثاني تأكيد للاول وتبيين لمن اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال في
ترتيب النظم الكريم اذ تحمل حينئذ الاصطفاء على ما ذكر ولا تحمل هذه المقالة قبل بشارتها بعيسى عم ايذانا بكونها
قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة فيها [illegible] منبتلة اليه تعالى منسلخة
عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد
بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا لذكره وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك اي قومي في الصلاة او
اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان الربوبية لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدي
واركعي مع الراكعين امرت بالصلاة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها و
اصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلاة
واقصى مراتب الخشوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي من الادنى الى الاعلى
واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين وقيل ان الواو لا يوجب
الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلاة بذلك
وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما في قوله تعالى امن هو قانت
آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة لما مر من افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت
بذلك قامت في الصلاة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك الى ما سلف من الامور البديعة
وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شأن المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى
نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه
او حال من ضميره اي نوحيه حال كونه من انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم
اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله
تعالى وما كنت بجانب الغربي الآية وما كنت ثاويا في اهل مدين الآية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث

والواقعات

والواقعات اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما
بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها او اقلامهم التي كانوا
يكتبون بها التوراة تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت
لديهم اذ يختصمون اي في شأنها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود
بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى
للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره صلعم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة
على نبوته عم لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له اذ قالت
الملائكة شروع في قصة عيسى عم وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض
جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك
العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وايذانا بتقارن الخطابين وتقاربهما في الزمان وقيل منصوب
بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كأنه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان المديد الذي وقع في طرف منه
الاختصام وفي طرف آخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عم بتفاصيل احوال مريم عم من اولها الى آخرها والقائل
جبريل عم وايراد صيغة الجمع للتعظيم يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة
لكلمة اي بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدأ خبره المسيح
وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدأ محذوف وقيل منصوب باضمار اعني مدحا وقوله
تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما به يتميز المسمى عمن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة اذ هو المميز له عم تمييزا
عن جميع ما عداه والمسيح لقبه عم وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك
وعيسى معرب من ايشوع واشتقاقهما من المسح والعيس وتعليلهما بانه عم مسح بالبركة او بما يطهره
من الذنوب او مسحه جبريل عم او مسح الارض ولم يقم في موضع او كان عم يمسح ذا العاهة فيبرأ وبانه كان في
لونه عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انها تلده من
غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها في الدنيا والآخرة الوجاهة الجاه وهو
القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها
باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن
المقربين اي من الله عز وجل وقيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبته الملائكة وهو عطف على الحال الاولى
وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت
والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه قيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية
اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السابقة او من الضمير في
يكلم قالت استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت
متضرعة الى ربها رب انى يكون اي كيف يكون او من اين يكون لي ولد على وجه الاستبعاد العادي والتعجب

واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره ويكون
انا تامة وانّى واللام متعلقتان بها وتاخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولدا ولو تاخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها
اما انّى واللام متعلقة بمظهر وقع حالا كما مر او خبر وانّى بمعنى على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة
حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة قال استيناف كما سلف والقائل
هو الله تع او جبريل عم كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا ان يراد يخلق ههنا
مكان يفعل هناك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فانٍ
فكان الخلق المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى
امرا من الامور اي اراد شيئا كما في قوله تع انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة
الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول
له كن لا غير فيكون من غير ريث فهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تع وسهولة تأتّي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته
وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع وبيان لانه تع كما يقدر على خلق
الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب
والمواد ويعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب المنزلة لمزيد فضلهما وانافتهما على غيرهما و
الجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها
من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر
يقوى الية المعنى معطوف على يعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا
الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف عم
واخرهم عيسى عم وقيل اولهم موسى واخرهم عيسى عم وقوله تع اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من
معنى النطق اي رسولا ناطقا باني الى اخره وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه اي ويقول
ارسلت رسولا باني قد جئتكم الى آخره وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون
هذا في حكم التكلم لما عرفت من ان فيه معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا باني الخ وقرئ ورسول
بالجر عطفا على كلمة وانما في قوله تع بآية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين
للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرئ بآيات او لجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم
لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم او
آتيتكم آية عظيمة كائنة منه تع والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال
بما سياتي من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تع اني قد جئتكم
ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفراء والجر على راي الخليل والكسائي او بدل من آية وقيل منصوب
بفعل مقدر اي اعني اني الى اخره وقيل مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اني اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على

الاستيناف

الاستيناف اي اقدر لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ
فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا كسائر
الطيور باذن الله بامره تع اشار عليه السلام بذلك الى ان احياءه من الله تع لا منه قيل لم يخلق غير
الخفاش روي انه عم لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو
يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غابوا عن اعينهم سقط ميتا ليتميز
من خلق الله تع قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا
وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان وتطير بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة
الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه
اي الذي ولد اعمى او الممسوح والابرص اي المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه وتعالى له
الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما مما اعيى الاطباء وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عم فاراهم الله تعالى
المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه عم الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عم و
ما يداويه الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله تع كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه الالهوهية قال الكلبي
كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيى عازر وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا
الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من
كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحيي لنا سام بن نوح فقال عم كيف شئت
ولم يكن في زمانكم شيب قال روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت
فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبين موته اكثر
من اربعة الاف سنة وقال للقوم صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فارنا آية
فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله تعالى وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في
بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة الى
ما ذكر من الامور العظام لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين
جواب الشرط محذوف اي لانتفعتم بها او دلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم ممن يتأتى منهم
الايمان دلتكم على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى بآية
اي قد جئتكم ملتبسا بآية الى آخره ومصدقا لما بين يدي الى اخرها او على رسولا على الاوجه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى النطق
كما في رسولا اي ويجعله مصدقا ناطقا باني اصدق الى اخره او ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الى اخره
ومصدقا الى اخره او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي
وجئتكم مصدقا الخ وقوله من التوراة اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضمير المستتر في الظرف
الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر دل عليه قبله اي وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم
جئته معتذرا ولاحسن ظاهر كانه قيل قد جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في

احتيج الى العطف على اخرها ... ومن ربكم

شريعة موسى عم من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وقيل احل لكم من
السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ حرّم على تسمية الفاعل وهو ما بين
او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل
ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وتاخير المفعول من
الجار والمجرور لما تقرر مرارا من الابتداء الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر • وجئتكم باية
من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بايات • فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها
واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله وتلك الاية هي قوله • ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم • فانه الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل فاطبة فيكون اية بينة على انه
من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من اية او وجئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا
الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم باية بعد اية مما ذكرت لكم من خلق الطير
والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد
ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله فاتقوا
الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم و
معنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش الى اخره ثم شرع في الدعوة
واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد
الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة
الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين
الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عم قل امنت ثم استقم • فلما احس عيسى منهم الكفر
• شروع في بيان احوال عيسى عم اثر ما يشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة واثناء فصيحة كفصيح
عن تحقق جميع ما قاله الملائكة عم وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرحته كما في قوله تعالى فلما راه
مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت
وقال وثبت وذلك فيما لم نذكره الكلام لحكاية الملائكة وانباؤها بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما
عدم نظم بقية احواله عم في سلك النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها
من ذكر مقاساته عليه السلام للشدائد ومعاناته للمكايد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري
مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزم على قتله عم كما ينبئ عنه الاحساس
فانه انما يستعمل في امثال هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا
باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتداء الاحساس
من جهتهم وتقديم الجار على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة
بمحذوف وقع حالا من الكفر • قال • اي لخلّص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين

الاية

الاية وقوله تعالى فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجيه الخطاب الى الكل لكفى في تبليغ
الدعوة اليهم • من انصاري • الانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف • الى الله • متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء
اي من انصاري متوجها الى الله تعالى او ملتجئا اليه او بانصاري متضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون
انفسهم الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع • قال
استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عم فقيل قال • الحواريون • جمع حواري
يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن
ونقائهن سمي به اصحاب عيسى عم لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل عليهم من اثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا
يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عم على قصعة لا يزال ياكل منها
ولا تنقص فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عيسى عم فقال من انت قال عم عيسى بن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك
هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم
عيسى عم فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت
قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامره عيسى عم
بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملؤوا
السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى عم وقيل كانوا اثني عشر رجلا امنوا به عم واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا
يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج
الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عم افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة
فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عم ههنا ثياب
مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عم كلها في حب واحد وقال
كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا
احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وامنوا به
عم وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي
السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عم واعوانه
والمخلصين في طاعته ومحبته • نحن انصار الله • اي انصار دينه ورسوله • امنا بالله • استئناف جار مجرى العلة لما قبله
فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه • واشهد بانا مسلمون • مخلصون
في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عم الشهادة بذلك يوم القيامة يوم يشهد الرسل عليهم السلام
لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية • ربنا امنا بما انزلت • تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم
عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في اظهار امرهم • واتبعنا الرسول • اي في كل ما ياتي ويذر من
امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا • فاكتبنا مع الشاهدين • اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك
او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال

اي دل على عيسى عم

من مفعول اكتبنا • ومكروا • اي الذين علم عيسى عم والتعي شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده الى الله سبحانه الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس رضي ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عم امر جبرئيل عم ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبرئيل عم من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقي الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عم جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان ادلكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى عم ورفعه الى السماء واخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امرأة ابرأها الله تع من الجنون بدعاء عيسى عم فجعلتا تبكيان فاتاهما عيسى عم فقال علام تبكيان فالتا عليك فقال ان الله رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عم ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسالهم عن عيسى عم فاخبروه فتابعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم بني اسرائيل قتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك اخر يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عم بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عم وهي بنت ثلث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين • والله خير الماكرين • اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موضع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك • يا عيسى اني متوفيك • اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الان او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تع سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تع رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عم اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبرهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف

وناوله عكازة والقى عليه شبه عيسى عم فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عم فكساه الله تعالى الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله تع محمدا صلعم • ورافعك الي • اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي • ومطهرك من الذين كفروا • اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم • وجاعل الذين اتبعوك • قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلعم دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من النصارى • فوق الذين كفروا • وهم الذين مكروا به عم ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان تحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عم • الى يوم القيمة • غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل والفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله بهم ما يريد • ثم الي مرجعكم • اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عم وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير والانذار • فاحكم بينكم • يومئذ اثر رجوعكم الي • فيما كنتم فيه تختلفون • من امور الدين وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل • فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا • تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل للكيفية والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى • في الدنيا والاخرة • متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا والتعذيب في الاخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود لا عن الفوقية المحدودة على نهج قولك سأعيرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزم تاخر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر • وما لهم من ناصرين • يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد • واما الذين امنوا • بما ارسلت به • وعملوا الصالحات • كما هو ديدن المؤمنين • فيوفيهم اجورهم • اي يعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء • والله لا يحب الظالمين • اي يبغضهم فان هذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم معتدون متجاوزون عن الحدود واضعون للكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر لمضمونه • ذلك • اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عم وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المعاين

وهو مبتدأ وقوله عز وعلا نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من الآيات حال
من الضمير المنصوب أو خبر بعد الخبر أو هو الخبر وما بينهما حال من اسم الإشارة أو ذلك خبر لمبتدأ مضمر أي الأمر
ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال إما لاستحضار الصورة أو على معنى ما زال التلاوة لم تتم بعد
والذكر الحكيم أي المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع من تطرق الخلل إليه والمراد به القرآن ومن تبعيضية
أو بعض مخصوص منه من آياته وقيل هو اللوح المحفوظ ومن ابتدائية إن مثل عيسى أي شأنه
البديع المنتظم لغرابته في سلك الأمثال عند الله أي في تقديره وحكمه كمثل آدم أي كحاله العجيبة التي
لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما أبهم في المثل وتفصيل لما أجمل فيه
وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبهة الخصوم فإن إنكار خلق عيسى عم بلا أب
ممن اعترف بخلق آدم عم بغير أب وأم لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن أي
أنشئ بشراً كما في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر أو قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز أن تكون ثم لتراخي المخبر به
فيكون حكاية حال ماضية روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم ما لك تشتم صاحبنا قال وما أقول قالوا تقول
إنه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت إنساناً من غير
فحل فإذا سلمت أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله فقال عليه السلام إن آدم ما كان له أب ولا
أم ولا يلزم من ذلك كونه ابن الله تعالى فكذا حال عيسى عم الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف
أي هو الحق أي ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عم وأمه والظرف إما حال أي كائناً من ربك أو
خبر ثان أي كائن منه تعالى وقيل الحق مبتدأ وخبر أي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضمير المخاطب لتشريفه عم والإيذان بأن تنزيل هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه
الأمر تربية له صلعم ولطف به فلا تكن من الممترين والخطاب إما للنبي صلعم على طريق الإلهاب والتهييج
لزيادة التثبيت والإشعار بأن الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يكاد يصدر
عنه فكيف ممن هو بصدد الامتراء وإما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك أي من النصارى
إذ هم المتصدون للمحاجة فيه أي في شأن عيسى عم وأمه زعماً منهم أنه ليس على الشأن المحكي من
بعد ما جاءك من العلم أي ما يوجبه إيجاباً قطعياً من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا
عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم تعالوا أي هلموا بالرأي والعزيمة ندع أبناءنا و
أبناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم أعز منهن وأما النساء فتعلقهن من جهة أخرى
ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أي ليدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه
إلى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في أثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان
التلف مع أن الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للإيذان بكمال أمنه عم وتمام ثقته بأمره
وقوة يقينه بأنه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه أصلاً وهو السر في تقديم جانبه عم على جانب
المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الأصل في الصيغة فإن غير المتكلم تبع له في الإسناد ثم

نبتهل

نبتهل أي نتباهل بأن نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصلها الترك من قولهم
بهلت الناقة أي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي
أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح
ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما
باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة
على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله صلعم وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً
بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم أجمعين وهو يقول إذا أنا دعوت فأمنوا فقال
أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها
فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك
وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلعم فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم
ما عليهم فأبوا قال فإني أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا و
لا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب وثلاثين درعاً
عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران و
لو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله
حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا إن هذا أي ما قص من نبأ
عيسى عم وأمه لهو القصص الحق دون ما عداه من أكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته
اللام لكونه أقرب إلى المبتدأ من الخبر وأصلها أن تدخل المبتدأ وقرئ لهو بسكون الهاء والقصص
خبر إن والحق صفته أو هو مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن وما من إله إلا الله صرح فيه بمن
الاستغراقية تأكيداً للرد على النصارى في تثليثهم وإن الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات
الحكيم المحيط بالمعلومات لا أحد يشاركه في القدرة والحكمة ليشاركه في الألوهية فإن تولوا
عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعدما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فإن الله
عليم بالمفسدين أي بهم وإنما وضع موضعه ما وضع للإيذان بأن الإعراض عن التوحيد والحق
الذي لا محيد عنه بعدما قامت به الحجج إفساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا أهل الكتاب أمر
بخطاب أهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و
بينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي أن لا نعبد إلا الله أي نوحده بالعبادة ونخلص فيها و
لا نشرك به شيئاً ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن يعبد ولا يتخذ بعضنا
بعضاً أرباباً من دون الله بأن نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من
التحريم والتحليل لأن كلاً منهم بعضنا بشر مثلنا روي أنه لما نزلت اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله
قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عم أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال

نعم قال عم هو ذاك • فان تولوا • عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك • فقولوا
اى قل انت والمؤمنون • اشهدوا بانا مسلمون • اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم
كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام فى الارشاد وحسن التدرج فى المحاجة حيث بين
اولا احوال عيسى عم وما تواردت عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يلزمهم دعوته لهم الى التوحيد
والاسلام فلما ظهر عنادهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
دعاهم الى ما اتفق عليه عيسى عم والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم اجدائه ايضا امر بان يقال لهم
اشهدوا بانا مسلمون • يا اهل الكتاب • من اليهود والنصارى فى ابراهيم عم وزعم كل منهم انه عم منهم
وترافعوا الى رسول الله صلعم فنزلت والمعنى تدعون انه عم كان منكم • وما انزلت التورية • على موسى عم • و
الانجيل • على عيسى عم • الا من بعده • حيث كان بينه وبين موسى عم الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما
السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يكون عليه • افلا تعقلون • اى الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان
مذهبكم او العقلون ذلك فلا تعقلونه بطلانه • ها انتم هؤلاء • جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم
بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث • حاججتم فيما لكم به علم • فى الجملة حيث
وجدتموه فى التورية والانجيل • فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم • اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم فى احد الكتابين
قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله آانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء
• والله يعلم • ما حاججتم فيه او كل شئ فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا • وانتم لا تعلمون • اى محل النزاع او شيئا من
الاشياء التى من جملتها ذلك • ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا • تصريح بما نطق به البرهان المقرر • ولكن كان
حنيفا • اى مائلا عن العقائد الزائغة كلها • مسلما • اى منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام
والا لاشترك الالزام • وما كان من المشركين • تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد
لادعاء المشركين انهم على ملته عم • ان اولى الناس بابراهيم • اى اقربهم اليه واخصهم به • للذين اتبعوه • اى فى
زمانه • وهذا النبى والذين آمنوا • بموافقتهم له فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبى بالنصب عطفا على الضمير فى
اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم • والله ولى المؤمنين • ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر
ليثبت الحكم فى النبى عم بدلالة النص • ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم • نزلت فى اليهود حين دعوا
حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان • وما يضلون الا انفسهم • جملة حالية جئ بها للدلالة على كمال
رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اى ما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله وجزاؤه بهم •
يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله • اى بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عم • وانتم تشهدون •
نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق • يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل • بتحريفكم وابرازكم الباطل فى
صورته او بالتقصير فى التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كما فى
قوله عم كلابس ثوبى زور • وتكتمون الحق • اى نبوة محمد عم ونعته • وانتم تعلمون • اى حقيته • وقالت
طائفة من اهل الكتاب • وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم • آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا • اى اظهروا

الايمان

الايمان وليس المراد انه كان بالقرآن المنزل عليهم • وجه النهار • اى اوله • واكفروا • اى اظهروا
ما انتم عليه من الكفر به • آخره • مرائين لهم انكم آمنتم به بادى الرأى من غير تأمل ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم
الاول فرجعتم عنه • لعلهم • اى المؤمنين • يرجعون • عما هم عليه من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطائفة كعب
بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة
وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر
رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم
نجد محمدا صلعم بالنعت الذى ورد فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه • ولا تؤمنوا • اى ولا تقروا بتصديق قلبى
الا لمن تبع دينكم • اى لاهل دينكم او ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم
• قل ان الهدى هدى الله • يهدى به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه • ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم • متعلق بمحذوف
اى دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اى بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى
الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرئ ان يؤتى على الاستفهام
التقريعى وهو مؤيد للوجه الاول اى الان يؤتى احد الخ دبرتم وقرئ ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة
اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم • او يحاجوكم عند ربكم • عطف على ان يؤتى على الوجهين
الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه فى معنى الجمع اذ المراد به غير
اتباعهم • قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم • رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة
• يختص برحمته من يشاء • اى يجعل رحمته مقصورة على من يشاء • والله ذو الفضل العظيم • كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه
• ومن اهل الكتاب • شروع فى بيان خيانتهم فى المال بعد بيان خيانتهم فى الدين والجار والمجرور فى محل
الرفع على الابتداء اسما مر تحقيقه فى تفسير قوله ومن الناس من يقول آمنا الى آخره وقوله • من ان تأمنه
بقنطار يؤده اليك • على ان المقصود بيان انقسامهم قسمين الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كانه
قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اى بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشى آخر
فجحده وقيل المأمونون كثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة
• الا ما دمت عليه قائما • استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اى لا يؤده اليك فى حال من الاحوال
او فى وقت من الاوقات الا فى حال دوام قيامك او فى وقت دوام قيامك على رأسه مبالغا فى مطالبته بالتقاضى
التقاضى واقامة البينة • ذلك • اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده وما فيه من معنى البعد
للايذان بكمال غلوهم فى الشر والفساد • بانهم • اى بسبب انهم • قالوا ليس علينا فى الاميين • اى فى شأن
من ليس من اهل الكتاب • سبيل • اى عتاب ومؤاخذة • ويقولون على الله الكذب • بادعائهم ذلك • وهم
يعلمون • انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل فى التورية فى
حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه

٦٧

كذلك وكتبهم وعن النبي صلعم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده واتقى فان
الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين نائب مناب الراجع
من الجزاء الى من ومشعر بان التقوى ملاك الامر عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي
ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول ع م
والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا
اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله
اي بما يسرهم او بشيء اصلا واما نحو ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام
او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى
ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر
لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن
ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة
متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم
على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت
رسول الله صلعم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع
في بئر فاختصما الى رسول الله صلعم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالي فقال صلعم
من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعة في السوق
فحلف لقد اشتراها بما لم يكن يشتريها به وان منهم اي من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف و
مالك بن الصيف واضرابهما يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف
او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوّون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها
والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الى اخره وقرئ
بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اي من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المفعول
اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من اللي والتحريف على طريقة التعريض
لا بالتورية والتفسير هو اي المحرف من عند الله حال من ضمير المبتدأ في الخبر اي والحال انه ليس من عنده تعالى
في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جرأتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب
في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون
ومفترون على الله تعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رض هم اليهود الذين
قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلعم ثم اخذت قريظة
ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عم حيث قالت النصارى ان

ان

ان عيسى عم امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عم وابطال له اي ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم
فان البشرية منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليهم ان يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الامر بالتوحيد
الناهي عن الاشراك والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر شرفه الله
عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي حال متعلق
بمحذوف هو صفة عبادا اي عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل وصفة
ثانية ويحتمل الحالية لتخصيص النكرة بالوصف اي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان
التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلعم اتريد ان نعبدك و
نتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله تعالى وان نأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت و
قيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عم لا ينبغي ان
يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا
ربانيين الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل
الشديد التمسك بطاعة الله ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم على
تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان جعل خبر كان مضارعا لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان
باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة
لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من
التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرّم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى
على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطفا على ثم يقول ولا مزيدة
لتأكيد النفي في قوله تعالى ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة
والنبيين اربابا وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشأنه ويحق
صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق بشأنه ويمتنع صدوره واما ما قيل من انها غير مزيدة على معنى ليس له ان يأمر
بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيقتضي بناءه على ما ذكر من
توسيط الاستدراك بين توسيط بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة انها حينئذ في حكم جملة واحدة وكذا في قوله
تعالى أيأمركم بالكفر فانه صريح في ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين قصدا لا بيان انتفاء الاول لانتفاء الثاني
ويعضده قراءة الرفع على الاستيناف ويجوز الحالية بتقدير المبتدأ اي وهو لا يأمركم الخ بين الفساد لما
عرفت آنفا بعد اذ انتم مسلمون وهذا دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له صلعم و
اذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلعم اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما
اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان
هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم استغنى بذكرهم
عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه

الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا
يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلعم لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان
اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل
الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق
لتؤمنن به او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن
اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا • قال • اي الله تعالى بعدما اخذ
الميثاق • ءاقررتم • بما ذكر • واخذتم على ذلكم اصري • اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما
لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به • قالوا • استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك
فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك • قال • فاشهدوا • اي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار
وقيل الخطاب فيه للملائكة • وانا معكم من الشاهدين • اي وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد
وادخال مع على المخاطبين لانهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى • فمن تولى • اي
اعرض عما ذكر • بعد ذلك • الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة ومعنى البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق •
فاولئك • اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة
على ترامي امرهم من السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اي فاولئك المتولون المتصفون بالصفات
القبيحة • هم الفاسقون • المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة
من كان متجاوزا عن الحد • افغير دين الله يبغون • عطف على مقدر اي يتولون فيبغون غير دين الله وتقديم
المفعول لانه المقصود بالانكار او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير
وقل لهم • وله اسلم من في السموات والارض • جملة حالية مفيدة لتوكيد الانكار • طوعا وكرها • اي
طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق و
والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون على
الامتناع عما قضي عليهم • واليه يرجعون • اي من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة
على ما قبلها منصوبة على الحالية او مستانفة سيقت للتهديد والوعيد • قل امنا بالله • امر للرسول صلعم
بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى • وما انزل علينا • وهو القران
لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه صلعم اليهم لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى
الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب بما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عم ورفعة محله بامره بان يتكلم عن
نفسه على ديدن الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه عم والايذان بانه عم اصل في ذلك
كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء • وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط •
من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام التفريق بان على
لكون الخطاب للنبي صلعم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف الا ترى الى قوله تعالى بما انزل اليك وقوله امنوا

بالذي

بالذي انزل على الذين امنوا الخ وانما قدم المنزل على الرسول صلعم على ما انزل على ساير الرسل عليهم السلام مع تقدمه
عليه نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عم وابناؤه
الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم عم • وما اوتي موسى وعيسى • من التورية والانجيل وساير المعجزات
الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام
مع اليهود والنصارى • والنبيون • عطف على موسى وعيسى عليهما السلام اي وما اوتي النبيون من المذكورين
وغيرهم من الكتب والمعجزات • لا نفرق بين احد منهم • كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض
بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام
المذكور اياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع
لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل
المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه
باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير اذ جاء
سالما ابو حجر الا ليال قلائل اي بين الخير وبيني • ونحن له مسلمون • اي منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا
لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك • ومن يبتغ غير الاسلام • اي
غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين • دينا •
ينتحله وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه
انتصبت حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام • فلن يقبل منه • ذلك
ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى • وهو في الاخرة من الخاسرين • اما حال من الضمير المجرور او استيناف لا محل له من
الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع
في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال
من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره
لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره • كيف يهدي الله • الى الحق • قوما كفروا بعد
ايمانهم • قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم
كفروا بالنبي صلعم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه • وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات •
استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل
نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية
كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان امنوا وحال من ضمير كفروا
باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان • والله لا يهدي القوم الظالمين • اي
الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة
اعتراضية او حالية • اولئك • اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه

من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى أن عليهم لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين خبره والجملة خبر أولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق
بينهم وبين غيرهم أنهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد
بالناس المؤمنون أو الكل فإن الكافر أيضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في
اللعنة أو العقوبة أو النار وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون أي يمهلون
إلا الذين تابوا من بعد ذلك أي من بعد الارتداد وأصلحوا أي ما أفسدوا أو دخلوا في الصلاح فإن الله غفور رحيم
فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في حارث بن سويد حين ندم على ردته
فأرسل إلى قومه أن يسألوا هل لي من توبة فأرسل إليه أخوه الجلاس الآية فرجع إلى المدينة فتاب إن الذين كفروا
بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والإنجيل بعد الإيمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلعم والقرآن
أو كفروا به صلعم بعدما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالإصرار عليه والطعن فيه والصد عن الإيمان ونقض
الميثاق أو كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص به ريب المنون أو نرجع إليه فننافقه
بإظهار الإيمان لن تقبل توبتهم لأنهم لا يتوبون إلا عند إشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم
قبولها تغليظا في شأنهم وإبرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقا لارتدادهم
وازديادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء وأولئك هم الضالون الثابتون على الضلال إن الذين كفروا وماتوا
وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية
دخلت الفاء هاهنا للإشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على أنه بدل من ملء أو خبر لمحذوف ولو
افتدى محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا أو معطوف على مضمر تقديره فلن
يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة والمراد ولو افتدى
بمثله كقوله تعالى ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا إذ المثلان في حكم
شيء واحد أولئك إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب أليم مؤلم
اسم الإشارة مبتدأ والظرف خبره ولاعتماده على المبتدأ ارتفع به عذاب أليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين
في دفع العذاب عنهم أو في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعاة الضمير أي ليس لواحد منهم ناصر واحد
لن تنالوا البر من نال إذا أصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستأنف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل
منهم إثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم أي لن تبلغوا حقيقة البر الذي تتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه
ولن تلحقوا بزمرة الأبرار ولن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا أي في
سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون
وقيل بيانية وما موصولة أو موصوفة أي مما تهوون ويعجبكم من كرائم أموالكم وأحبها إليكم كما في قوله تعالى أنفقوا
من طيبات ما كسبتم أو مما يعمها وغيرها من الأعمال والمهجة على أن المراد بالإنفاق مطلق البذل وفيه من الإيذان
بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف إذا أحبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي أنها لما نزلت جاء أبو طلحة فقال

يا رسول

يا رسول الله إن أحب أموالي إلي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث أراك الله فقال صلعم بخ بخ ذاك مال
رابح أو رائج فإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقسمها في أقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال
هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلعم أسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه وقال إنما أردت أن
أتصدق به فقال رسول الله صلعم أما إن الله تعالى قد قبلها منك وفيه دلالة على أن إنفاق أحب الأموال
على أقرب الأقارب أفضل وكتب عمر رضه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم
فتح مدائن كسرى فلما جاءت أعجبته فقال إن الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها وروي
أن عمر بن عبد العزيز كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها إياه
ثم لما ولي الخلافة زينتها وأرسلتها إليه فقالت قد وهبتكها يا أمير المؤمنين فلتخدمك قال من أين ملكتها قالت
جئت بها من بيت أبي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه إياها فقيل إنه كان على فلان العامل ديون فلما توفي
أخذت من تركته ففتش عن حال العامل وأحضر ورثته وأرضاهم جميعا بإعطاء المال ثم توجه إلى الجارية وكان
يهواها هوى شديدا فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا أمير المؤمنين وقد أزحت عن أمرها كل شبهة
قال لست إذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية
ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط أي أي شيء تنفقوا كائن من الأشياء فإن المفرد في مثل
هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز أي أي شيء تنفقوا طيب تحبونه أو خبيث
تكرهونه فإن الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه أي فيجازيكم بحسبه جيدا كان أو رديئا فإنه تعالى عليم بكل شيء
تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب
في إنفاق الجيد والتحذير عن إنفاق الرديء ما لا يخفى كل الطعام أي كل أفراد المطعوم أو كل أنواعه كان حلا لبني
إسرائيل أي حلالا لهم فإن الحل مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن
حل لهم إلا ما حرم إسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان أي كان كل المطعومات حلالا لبني إسرائيل
إلا ما حرم إسرائيل أي يعقوب عم على نفسه وهو لحوم الإبل وألبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا يأكل
أحب الطعام إليه وكان ذلك أحبه إليه وقيل فعل ذلك للتداوي بإشارة الأطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد و
للمانع أن يقول كان ذلك بإذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء من قبل أن تنزل التوراة متعلق بقوله تعالى كان حلا و
لا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه أن التقييد بتحريمه بقبلية تنزيل التوراة مشتملة على
تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بأن قالوا لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح و
إبراهيم ومن بعده حتى انتهى الأمر إلينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى
الرسول صلعم موافقته لإبراهيم عم بتحليله لحوم الإبل وألبانها قل فأتوا بالتوراة فاتلوها أمر صلعم بأن يحاجهم بكتابهم
الناطق بأن تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم
نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم إخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم وإظهار اسم التوراة لكون الجملة

كلام مع اليهود منقطع عما قبله وقوله تعالى إن كنتم صادقين أي في دعواكم أنه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا بالتوراة فاتلوها فإن صدقكم بما يدعوكم إلى ذلك الكتبة روي لم يجسروا على إخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلعم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب أي اختلقه عليه سبحانه بزعمه أنه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بني إسرائيل ومن تقدمهم من الأمم من بعد ذلك من بعد ما ذكر من أمرهم بإحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والإلزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار كون الأفراد في الصلة باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان أي فأولئك المصرون على الافتراء بعدما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخلة تحت القول عطفا على قوله تعالى فأتوا بالتوراة قل صدق الله أي ظهر وثبت صدقه في ما أنزل في شأن التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا الخ أو صدق في كل شيء من الشؤون وهو داخل في ذلك أوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا أي ملة الإسلام التي هي في الأصل ملة إبراهيم عم فإنكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون أو فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم إلى التحريف والمكابرة وتلفيق الأكاذيب لتسوية الأغراض الدنية الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات محللة لإبراهيم عم ومن تبعه والفاء للدلالة على أن ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه حنيفا أي مائلا عن الأديان الزائغة كلها وما كان من المشركين أي في أمر من أمور دينهم أصلا وفرعا وفيه تعريض بإشراك اليهود وتصريح بأنه عم ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان أن النبي صلعم على دين إبراهيم عم في الأصول لأنه لا يدعو إلا إلى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبله إن أول بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عم إثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلا له عم روي أنهم قالوا بيت المقدس أعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة أعظم فبلغ ذلك رسول الله صلعم فنزلت أي إن أول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذي ببكة خبر إن وإنما أخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصيصها بسببين الإضافة والوصف بالجملة بعدها أي للبيت الذي ببكة أي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فإن العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم أمر راتب وراتم وسمد رأسه وسبده إذا استأصله وأغبطت الحمى وأغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه إذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا أو لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار إلا قصمه الله عز وجل وقيل بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وأيد هذا بأن التباك هو الازدحام إنما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي أنه عم سئل عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت

المقدس

المقدس وسئل كم بينهما فقال أربعون سنة وقيل أول من بناه إبراهيم عم وقيل آدم عم وقد استوفينا ما فيه من الأقاويل في سورة البقرة وقيل أول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لأن التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم ولأن فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه آيات بينات واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كأصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى مقام إبراهيم أي أثر قدميه عم في الصخرة التي كان عم يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه أو عند غسل رأسه على ما روي أنه عم جاء زائرا من الشام إلى مكة فقالت له امرأة إسمعيل عليهما السلام انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته إلى شقه الأيسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه وهو إما مبتدأ حذف خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل أو عطف بيان إما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة إبراهيم عم كقوله تعالى إن إبراهيم كان أمة قانتا أو باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فإن كل واحد من أثر قدمه في صخرة صماء وغوصه فيها إلى الكعبين وإلانة بعض الصخور دون بعض وإبقائه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الأعداء ألوف سنة آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد وإما بما بعده من قوله عز وجل ومن دخله كان آمنا فإنه وإن كان جملة مستأنفة ابتدائية أو شرطية لكنها في قوة أن يقال وأمن من دخله فيكون بحسب المعنى والمآل معطوفا على مقام إبراهيم ولا يخفى أن الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك أو يحمل على أنه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى أمن داخله أمنه من التعرض له كما في قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة إبراهيم عم رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يطلب وعن عمر رض لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال أبو حنيفة رح من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنى فالتجأ إلى الحرم لم يتعرض له إلا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر إلى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلعم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عم الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تع من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلعم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدأ هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار أو بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز أن يكون على الناس هو الخبر ولله متعلقا بما تعلق به الخبر ولا سبيل إلى أن يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزام تقدم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك إذا كانت هي ظرفا أو حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فإنهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحجه قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع إليه سبيلا في

محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل
بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هم من استطاع
الخ وقيل في حيز النصب بتقدير اعني وقيل من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العائد الى الناس اي
من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى
البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشأنه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل
الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال وغيره فانه قد روى
انس بن مالك رض عن رسول الله صلعم انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رض ان رجلا قال يا
رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه عم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روي
عن ابن عباس وابن عمر رض وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رح اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن العاجز
على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عم لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل
لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير رض انه قال على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل
اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من
لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من
لم يحج تأكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروي
علي بن ابي طالب رض انه عم قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على
اي حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من
جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفي بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الاية الكريمة من فنون
الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت صيغة الخبر
الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى
في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين و
الاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناءه
تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار و
استهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقد قال ابن عباس رض
والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى
مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تع ولله على الناس حج البيت الخ جمع رسول الله صلعم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال
ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه
فنزل ومن كفر وعن النبي صلعم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل
ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رض حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت و
عن عمر رض لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية

الكتاب

الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل لم تكفرون بايات
الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد باياته
تعالى ما يعم الايات الشرعية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج وغيره وما في التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلعم
وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتأكيد الانكار واظهار الجلالة
في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن
كفرهم او على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون باياته عز وجل والحال انه تع مبالغ في
الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك مما يسد باب الكفر ويقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل
الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عم على تقريعهم وتوبيخهم وترك
عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تع لم تكفرون للاشعار
بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان
اهلية الكتاب لتأكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما
معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب
والكفر بالايات الدالة على نبوته عم وقرئ تُصِدون من اصده عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة
الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من آمن مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور للاهتمام به كانوا
يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عم ليست
في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية
من العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله فتولى
غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل عوجا
اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول عم عن وجهها و
نحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون وقيل
من سبيل باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا
يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس رض اي شهداء ان في التوراة ان دين الله الذي لا يقبل
غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم تثقون باقوالكم وتستشهدون في القضايا وعظائم الامور
وما الله بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد وقيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية
ختمت الاية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تع باعمالهم كما ان كفرهم بايات الله تع لما كان بطريق العلانية
ختمت الاية السابقة بشهادته تعالى على ما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب
والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة
في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا منهم كما

كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر او للايماء على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا
جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمؤمنين فغاظه ما رأى منهم من تألف القلوب
واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس
اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه
من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم
فعند ذلك جاءهم النبي عم واصحابه رض فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع
به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق
بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلعم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الاية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون
فجاء النبي صلعم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلعم انصتوا له وجعلوا يستمعون له
فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين معنى التصيير
كما في قوله رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا
او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق
القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون
سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف
للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كأنه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى ● وكيف تكفرون
استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الخ لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه
الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال
وجوده فقد انتفي وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله عز وجل ● وانتم تتلى عليكم آيات الله ● جملة وقعت حالا
من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة
عن الكفر وقوله تعالى ● وفيكم رسوله ● معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله عم
بين اظهرهم يعظهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد
التلاوة الى رسول الله صلعم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ● ومن يعتصم بالله ● اي ومن يتمسك بدينه
الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلعم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله ●
فقد هدي ● جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر
فان المعتصم بالله تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى ● الى صراط مستقيم ● موصل الى المطلوب والتنوين
للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان هو وبينه الحق في الحقيقة و
الاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون
ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز ● يا ايها الذين

امنوا

امنوا ● تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر تشريف ● اتقوا الله ● الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط
الصيانة ● حق تقاته ● اي حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن
المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رض هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر
وقد روي مرفوعا اليه عم وقيل هو ان لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل
هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين
والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد واصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا
● ولا تموتن الا وانتم مسلمون ● اي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تعالى ●
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله ● وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال
تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما تنبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها في الحال والعامل ما قبل الا بعد
النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام حينئذ وحيث
كان الخطاب للمؤمنين كان المراد هو الامر بالثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي
عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس
القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلوة ما لا يفيده قولك لا تترك
الخشوع في الصلوة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة في
الصلوة وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا ● واعتصموا بحبل الله ●
اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال
به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم
بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات
واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه ●
جميعا ● حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام ● ولا تفرقوا ● اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل
الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها
● واذكروا نعمة الله ● مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى ● عليكم ● متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى
● اذ كنتم ● ظرف له او للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم ● اعداء ● في
الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت
بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة ● فالف بين قلوبكم ● بتوفيقكم
للاسلام ● فاصبحتم ● اي فصرتم ● بنعمته ● التي هي ذلك التأليف ● اخوانا ● خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على
الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء حينئذ متعلقة
بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم متلبسين بنعمته حال كونكم اخوانا ● وكنتم على شفا حفرة
من النار ● شفا الحفرة وشفتها حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك

الحالة لوقعتم فيها • **فأنقذكم** • بأن هداكم للإسلام • **منها** • الضمير للحفرة أو للنار أو للشفا و
التأنيث لمضاف إليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم أو لأنه بمعنى الشفة فإن شفا البئر
وشفتها جانبها كالجانب والجانبة وأصله شفو قلبت الواو ألفا في المذكر وحذفت في المؤنث
• **كذلك** • إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجة المشار إليه
وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف
مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أي مثل
ذلك التبيين الواضح • **يبين الله لكم آياته** • أي دلائله • **لعلكم تهتدون** • طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم
فيه • **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير** • أمرهم الله سبحانه بتكميل الغير وإرشاده إثر أمرهم بتكميل النفس
وتهذيبها بما قبله من الأوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الأحكام بأن يقوم بعضهم
بمواجبها ويحافظوا على حقوقها وحدودها ويذكروها الناس كافة ويزجروهم عن الإخلال بها والجمهور على إسكان
لام الأمر وقد قرئ بكسرها على الأصل ومن تبعيضية متعلقة بالأمر أو بمحذوف
وقع حالا من الفاعل وهو أمة ويدعون صفتها أي لتوجد منكم أمة داعية إلى الخير والأمة هي الجماعة
التي تؤمها فرق الناس أي يقصدونها ويقتدون بها أو من المتعين وأمة اسمها ويدعون
خبرها أي لتكن منكم أمة داعية إلى الخير وأيا ما كان فتوجيه الخطاب إلى الكل مع إسناد الدعوة إلى
البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وأنها واجبة على الكل لكن بحيث إن أقامها البعض
سقطت عن الباقين ولو أخل بها الكل أثموا جميعا لا بحيث يحتم على الكل إقامتها كما ينبئ عنه قوله تعالى
وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولأنها من عظائم الأمور وعزائمها التي لا يتولاها إلا العلماء
بأحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية إقامتها فإن من لا يعلمها يوشك أن يأمر بمنكر وينهى
عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا التمادي
والإصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية و
الأمر من كان الناقصة والمعنى كونوا أمة يدعون الآية كقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية
ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة
والدعاء إلى الخير عبارة عن الدعاء إلى ما فيه صلاح ديني أو دنيوي فعطف الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر عليه في قوله تعالى • **ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** • مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص
على العام للإيذان بفضلهما وإنافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام و
حذف المفعول الصريح من الأفعال الثلاثة إما للإيذان بظهوره أي يدعون الناس ويأمرونهم
وينهونهم وإما للقصد إلى إيجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع أي يفعلون الدعاء إلى الخير
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر • **وأولئك** • إشارة إلى الأمة المذكورة باعتبار اتصافهم بما
ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الأمور المشاهدة

ما فيه

ما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والإفراد في كاف الخطاب إما لأن
المخاطب كل من يصلح للخطاب وإما لأن التعيين غير مقصود أي أولئك الموصوفون بتلك الصفات
الكاملة • **هم المفلحون** • أي هم الأخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة
ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحين إما للعهد أو للإشارة
إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلعم أنه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وأنهاهم
عن المنكر وأتقاهم لله وأوصلهم أي للرحم وعنه عم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة
رسوله وخليفة كتابه وعنه عم والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث
عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له والأمر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به وأما
النهي عن المنكر فواجب كله لأن جميع ما أنكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه إذ يجب عليه تركه وإنكاره فلا يسقط
بترك أحدهما وجوب الآخر منهما والتوبيخ في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم إنما هو على نسيان
أنفسهم لا على أمرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وإن لم تفعلوا • **ولا تكونوا كالذين تفرقوا** • هم أهل الكتاب حيث
تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا • **واختلفوا** • باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريفها بما
أخلدوا إليه من حطام الدنيا الدنية • **من بعد ما جاءهم البينات** • أي الآيات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق
عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه إلى المتصدين للدعوة أصالة وإلى أعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الأمم
السالفة الذين بعث إليهم رسله عز وجل وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من
هذه الأمة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه إنما هو الاختلاف في الأصول دون الفروع إلا أن يكون مخالفا
للنصوص البينة أو الإجماع لقوله عم اختلاف أمتي رحمة وقوله عم من اجتهد فأصاب فله أجران ومن
أخطأ فله أجر واحد • **وأولئك** • إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله
تعالى • **لهم** • خبره وقوله تعالى • **عذاب عظيم** • مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ أو مبتدأ والظرف خبره
والجملة خبر للمبتدأ الأول وفيه من التأكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم
ما لا يخفى • **يوم تبيض وجوه** • أي وجوه كثيرة وقرئ تبياض • **وتسود وجوه** • كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء
تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على أنه ظرف للاستقرار في لهم
أي بثبوت العذاب العظيم لهم أو على أنه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء
البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين أي اذكروا يوم وبياض الوجه وسواده كنايتان عن
ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم أهل الحق ببياض الوجه والصحيفة وإشراق البشرة وسعي النور بين
يديه وبيمينه وأهل الباطل بأضداد ذلك • **فأما الذين اسودت وجوههم** • تفصيل لأحوال الفريقين بعد
الإشارة إليها إجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما أن المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين
الإجمال والتفصيل والإفضاء إلى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الإجمال • **أكفرتم بعد**

ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب
وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلعم بعد ايمان اسلافهم وايمان انفسهم به قبل مبعثه عم او جميع الكفرة
حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات
البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء في قوله عز وعلا فذوقوا العذاب اى العذاب
المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله
تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان مس العذاب معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار
كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اعني الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة
تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تع فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت
هم فيها خالدون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون
لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي تلك اشارة الى الآيات
المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ
وقوله تعالى آيات الله خبره وقوله تعالى نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة
او هي الخبر وآيات بدل من اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان
جبريل عم لابراز كمال العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق
بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اى ملتبسين او ملتبسة بالحق
والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيئ او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك
موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما
قبله على ابلغ وجه وآكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم
بآحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلية الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد
عليه اى ما يريد اى فرد من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان
يظلمهم فان المضارع كما لا يفيد الاستمرار في الاثبات يفيده في النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة
المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك
الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم
الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اى له تعالى وحده من غير شركة
اصلا ما فيهما من المخلوقات الشاملة لهم ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما لتغليب
غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في بيان عظمته تعالى والى الله اى الى حكمه
وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا ترجع الامور اى امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له او اوعده من غير
دخل في ذلك لاحد قط والجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون
العالمين عبيده تع ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين

على ما هم

على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة
في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تع وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم كذلك في علم
الله تع او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة
باخرجت اى اظهرت لهم وقيل بخير امة اى انتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان
فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اى اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة رضه معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم
في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم امة محمد صلعم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار
فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف مبين لكونهم خير امة
كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب
المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضه يريد امة محمد صلعم وقال الزجاج
اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله عم وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلعم
يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهره ان المراد الكل امته
اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك
بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لنفر من اصحاب النبي صلعم فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى
حذيفة رضه فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضه هم الذين هاجروا مع
رسول الله صلعم الى المدينة وروى الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلعم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم
وتؤمنون بالله اى ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول الله وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا
لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تع حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب
ليس من الايمان به تع في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم
الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس
اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تع ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اى لو آمنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا
لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه
على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض
للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذي يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الى غيره ولو فصل المؤمن به هنا او
فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك منهم المؤمنون
جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كأنه قيل هل منهم
من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه
واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم الا اذى استثناء مفرغ من المصدر
العام اى لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اى
ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل او اسر ثم لا ينصرون عطف على الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اى لا ينصرون

من جهة احد ولا يبغون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم
وتهديدهم وبشارتهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم
والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف على منصوبتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفي النصر
مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وثم من الوعيدين كانه قيل ثم شانهم الذي اخبركم عنه و
ابشركم انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر و
كان كذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ اي هدر النفس والمال
والاهل او ذل التمسك بالباطل ﴿اينما ثقفوا﴾ اي وجدوا ﴿الا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ استثناء
من اعم الاحوال اي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هي عليه في جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او
كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين ﴿وباءوا بغضب من الله﴾ اي رجعوا به
مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة و
والهول اي كائن من الله عز وجل ﴿وضربت عليهم المسكنة﴾ فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك في غالب الحال
مساكين تحت ايدي المسلمين والنصارى ﴿ذلك﴾ اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم
﴿بانهم كانوا يكفرون بايات الله﴾ اي ذلك الذي ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بايات الله الناطقة بنبوة محمد صلعم
وتحريفهم لها وسائر الايات القرآنية ﴿ويقتلون الانبياء بغير حق﴾ اي في اعتقادهم ايضا واسناده الى الكل
مع ان قتله اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى الكل من يسير بسيرتهم ﴿ذلك﴾
اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل ﴿بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضي الى مباشرة الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه
ان ضرب الذلة والمسكنة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم
واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع من حيث المؤاخذة ﴿ليسوا سواء﴾ جملة مستأنفة سيقت تمهيدا
لتعداد محاسن مؤمني اهل الكتاب وتذكير لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا
للفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد بنفي المساواة نفي
المشاركة في اصل الاتصاف بالقبائح المذكورة لا نفي المساواة في مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة
في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما
يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى ﴿من اهل الكتاب امة قائمة﴾ استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم
ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من الابهام من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير
امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان
تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود
فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم
وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى عم

وصدقوا

وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلعم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن
معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع
الحنيفية حتى بعث الله النبي صلعم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى ﴿يتلون ايات الله﴾ في محل الرفع على انه صفة اخرى
لامة وقيل في محل النصب على انه حال منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي تضمنه الجار ومن
ضميرها في قائمة او من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد بايات الله القرآن وقوله تعالى ﴿اناء الليل﴾ ظرف
ليتلون وهي ساعاته جمع اني بزنة عصا او اني بزنة معى او اني بزنة ظبي او اني بزنة نحي او انو بزنة جرو ﴿وهم يسجدون﴾
اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلعم الا اني نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من
بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم ايات الله في الصلوة مع انها مشتملة عليها
قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا انفا بالكفر بها وهو السر في تقديم الحدث
على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام
واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر
الصلوة المكتوبة وبالتعبير عن وقتها بالاناء المبهمة وقيل صلوة العتمة لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان
رسول الله صلعم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله
هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الاية وايراد الجملة الاسمية للدلالة على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده
وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون
اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض ﴿يؤمنون بالله واليوم
الاخر﴾ صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق
للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذي يطلق عليه الايمان بهما لا انذهاب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود
بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الاخر بخلاف صفته ليس من الايمان
بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنفي عنهم هو الايمان المقيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم
بالاصل وهيهات ﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا
لمخالفتهم اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا
بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي
عن المعروف ﴿ويسارعون في الخيرات﴾ صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير
والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به واثر الفور على التراخي
اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود
فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون
في اصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها ﴿واولئك﴾

اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم
وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اي اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة
بسبب اتصافهم بها «من الصالحين» اي ممن صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه
وثناءه «وما يفعلوا من خير» كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر «فلن يكفروه» اي لن يعدموا ثوابه البتة عبر بذلك
عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه
تعالى من القبائح وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء
وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب «والله عليم بالمتقين» تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم
يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع الظاهر موضع الضمير العائد اليهم مدحا لهم
وتعيينا بعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى المنطوي على الخصائص السالفة
واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا «ان الذين كفروا» اي بما يجب ان
يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو قريش
فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد و
قيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين
فرد الله عز وجل عليهم وقال «لن تغني عنهم» اي لن تدفع عنهم «اموالهم ولا اولادهم من الله» اي من
عذابه تعالى «شيئا» اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء «واولئك اصحاب النار» اي مصاحبوها
على الدوام وملازموها «هم فيها خالدون» ابدا «مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا» بيان لكيفية
عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة
وما موصولة اسمية حذف عائدها اي حال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء و
خوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة «كمثل ريح فيها صر» اي برد شديد فانه في الاصل مصدر
شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة «اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم» بالكفر والمعاصي فباءوا بغضب من الله عز وجل وانما وصفوا
بذلك لان الاهلاك عن سخط اشد وافظع «فاهلكته» عقوبة لهم ولم يدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد
تشبيه ما انفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق
لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد
نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك
ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون «وما ظلمهم الله» بما بين من ضياع ما
انفقوا من الاموال «ولكن انفسهم يظلمون» لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية
الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول اي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد والاستمرار ويجوز ان يكون الضمير وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به

العقوبة وما يانه قدم التعرض لتعرضها واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها
والعائد محذوف للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها واما بتقدير ضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة
كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق «يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة» بطانة الرجل من يعرفه اسراره
ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما
كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الآية و
قال مجاهد رضي نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله
تعالى واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وايا ما كان فالحكم عام للكفرة
كافة «من دونكم» اي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اي كائنة من غيركم
دونكم مجاوزة لكم «لا يألونكم خبالا» جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقال الا
في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع
والنقص والخبال الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد «ودوا ما عنتم» اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم و
شدة ضرركم وهو ايضا استئناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه «قد بدت البغضاء
من افواههم» استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا
يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ
قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه
فوهي «وما تخفي صدورهم اكبر» مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار «قد بينا لكم الآيات» الدالة على
وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين «ان كنتم تعقلون» اي ان كنتم من اهل
العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه «ها انتم اولاء» جملة
من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية بمضمونها اي انتم اولئك المخطئون في موالاتهم وقوله
تعالى «تحبونهم ولا يحبونكم» بيان لخطئهم في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت
زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب لا بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا
«وتؤمنون بالكتاب كله» اي بجنس الكتاب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال
انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم «واذا
لقوكم قالوا امنا» نفاقا «واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ» اي من اجله تأسفا وتحسرا حيث
لم يجدوا الى التشفي سبيلا «قل موتوا بغيظكم» دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام
واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم «ان الله عليم بذات الصدور» فيعلم ما في صدوركم من العداوة و
البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل
غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات الصدور وقيل هو امر لرسول
الله عم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم

من غير أن يكون ثمة قول كأنه قيل حدث نفسك بذلك ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن
تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالكم من خير ومنفعة و
شمتوا بما أصابكم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة إما للإيذان
بأن مدار مساءتهم أدنى مراتب الحسنة ومناط فرحهم تمام إصابة السيئة وإما لأن المس مستعار
بمعنى الإصابة ﴿وإن تصبروا﴾ أي على عداوتهم أو على مشاق التكاليف ﴿وتتقوا﴾ ما حرم الله
عليكم ونهاكم عنه ﴿لا يضركم كيدهم﴾ مكرهم وحيلتهم التي دبروها لأجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد
وجزم الراء على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة
للاتباع كضمة مُدُّ ﴿شيئا﴾ نصب على المصدرية أي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه
الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم
﴿إن الله بما يعملون﴾ في عداوتكم من الكيد ﴿محيط﴾ علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية
أي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما أنتم أهله ﴿وإذ غدوت﴾ كلام مستأنف سيق للاستشهاد
بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على أن وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة
كيد الأعداء وإذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلعم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله
وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عم أي واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع
من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا أنهم إن لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه
الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في
الإيجاب بذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة
الخ والمراد به خروجه عم إلى أحد وكان ذلك من منزل عائشة رضـ وهو المراد بقوله تعالى ﴿من
أهلك﴾ أي من أهل عندك أهلك ﴿تبوئ المؤمنين﴾ أي تنزلهم وتهيئ وتسوي ﴿مقاعد﴾ و
يؤيده قراءة من قرأ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لا على أنها حال مقدرة أي ناويا
وقاصدا للتبوئة وما يترتب عليها إذ هو المذكر للقصة وإنما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع كون
خروجه عم بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه إذ وقت التبوئة التي هي العمدة في الباب إذ المقصود بتذكر الوقت
تذكر ما نشأ لهم لأمر النبي عم وتراءيهم عن أحيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا تبين خلل رأي
من احتج به على جواز أداء الصلاة قبل الزوال واللام في قوله تعالى ﴿للقتال﴾ إما متعلقة بتبوئ أي لأجل القتال
وإما بمحذوف وقع صفة لمقاعد أي كائنة ومعدة للقتال أماكنه ومواقفه فإن استعمال المقعد و
المقام بمعنى المكان اتساعا شائع ذائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم
من مقامك روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلعم أصحابه ودعا عبد الله
بن أبي بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله
أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه

فكيف

فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله صلعم اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا
عنهم وقال عم إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت
كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فتدعوهم فقال رجال ممن
فاتتهم بدر وأكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا إلى أعدائنا وقال النعمان بن مالك الأنصاري
رضي يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ثم قال بقولي أشهد أن لا إله إلا الله وإني لا أفر
من الزحف فلم يزالوا به عم حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على
رسول الله عم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها
حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلث
من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان
نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل
لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم ﴿والله سميع﴾ لأقوالكم ﴿عليم﴾ بضمائركم
والجملة اعتراض للإيذان بأنه قد صدر عنهم هناك من الأقوال والأفعال ما لا ينبغي صدوره عنهم ﴿إذ همت﴾
بدل من إذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير أو ظرف لسميع عليم على معنى أنه جامع بين سماع الأقوال والعلم
بالضمائر في ذلك الوقت إذ لا وجه لتقييد قوله تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء مثله قولك ضربت وأكرمت زيدا
أن زيدا منصوب بهما وأنهما تسلطا عليه معا ﴿طائفتان منكم أن تفشلا﴾ متعلق بهمت والباء محذوفة أي
بأن تفشلا أي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان
من عسكر رسول الله صلعم وكانوا ألف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول الله صلعم الفتح إن صبروا فلما قاربوا
عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف انخذل عبد الله بن أبي بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا
فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان
باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلعم وعن ابن عباس رضي أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا
والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس فلا تخلو النفس عنه عند الشدائد ﴿والله وليهما﴾ أي عاصمهما عن اتباع
تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز أن تكون حالا من فاعل همت أو من ضمير في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما أو همهما
به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ ﴿وعلى
الله﴾ وحده دون ما عداه استقلالا أو اشتراكا ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ في جميع أمورهم فإنه حسبهم وإظهار الاسم
الجليل للتبرك به وللتعليل فإن الألوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه
الطائفتان دخولا أوليا وفيه إشعار بأن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته ﴿ولقد نصركم الله ببدر﴾
جملة مستأنفة سيقت لإيجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر و
قيل لإيجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة

فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع او الوادي وكانت وقعة
بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلة حال من نصركم واذلة جمع ذليل
وانما جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان باتصافهم حينئذ بوصفي القلة والذلة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس
واحد وقيل فرسان للمقداد ومرثد وسبعون بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء
الف ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق
وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر
بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما
اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون اي راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم
فيما قبل ووضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلعم
والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته عم واذ ظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به
به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال مما يتعلق به و
وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك للمؤمنين
حين ظهر والعجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق
ذلك على المؤمنين فنزل حينئذ ثم حكى بعينها الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف الكفاية سد الخلة
والقيام بالامر والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية و
الاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه والبحر يمده
من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله ونمد له من العذاب مدا
والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية مضافا وفيما سيأتي
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد وفي النفي انكار عدم كفاية الامداد
بذلك المقدار وتقريره وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا حينئذ كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم من الملائكة بيان او صفة لالاف وما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلثة
الاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا
ثلثة الاف ثم خمسة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن و
تحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا
على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه ويأتوكم اي المشركون من فورهم
هذا اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم
اطلق على كل حالة لا ريث فيها اصلا ووصفه بهذا لتاكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم
بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما اعني الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لتحقيق اصله

او لبيان

او لبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التقادير لتحققه على سائرها بالطريق الاولى
فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق
مع ما فيه عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وادركك
بها الاعداء فضربوك بايد شداد وسيوف حداد لم تتاثر منها قطعا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين
من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل عم
فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق وقال عروة بن الزبير كانت الملائكة
على خيل بلق وقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام
بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك رضي الله عنهما كانوا قد اعلموا بالعهن في نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلعم
قال لاصحابه رضي الله عنهم تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول بمعنى معلمين من جهته سبحانه
تعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وما جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جهته تعالى
لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا
منه عند فقدان اسبابه واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع
النصر على الاطلاق وبذكر وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى و
بتعيين وقته فيما مضى يقتضي بوقوعه حينئذ قطعا لكن لم يصرح به تعويلا على بداهة الدلائل ووضوح الامارات
والمخايل وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرار وعن ايهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب
قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين فامدكم به وما جعله الله الخ والجعل متعد الى واحد هو الضمير
العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور في قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه
بقوله تعالى يمددكم فمثل غير حقيق بجزالة التنزيل لان الهلية البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود
الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين
غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث
الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله
قوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون
الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلعم لغني عنها بما له من التأييد
الروحاني اي وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن
قلوبكم به اي بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب
الاول لاجتماع شرائطه لاتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها
وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عم لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان
امدادهم بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه كما هو رأي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى

وتبشير وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اى وما جعله الله شيئا من الاشياء
الا بشارة فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك • وما النصر • اى حقيقة
النصر على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا • الا من عند الله • اى الا كائن من عنده تعالى
من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هى مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما
النصر المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير وانما قصاراهم ما ذكر من
البشارة وتقوية القلوب • العزيز • اى الذى لا يغالب في حكمه واقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى
للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله • الحكيم • اى الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع
متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من
البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف
عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير
الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصورى لا ما في ضمنه من النصر المعنوى الذى هو ملاك
الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل ففيه ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا و
معناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر
المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا ثابت من عند الله
ليقطع اى يهلك طرفا من الذين كفروا • اى طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم
وصناديدهم سبعون واسر سبعون • او يكبتهم • اى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة الغيظ او
وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل
صرع الوجه واليدين وأو للتنويع دون الترديد • فينقلبوا خائبين • اى فينهزموا منقطعى الآمال
غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا • ليس لك من الامر شيء •
اعتراض وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للمنصورين
اثر بيان ان لا تأثير للناصرين وتخصيص النفى برسول الله صلعم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء
من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه
لرسول الله صلعم ولسائر مباشرى القتال مدخل في الجملة • او يتوب عليهم او يعذبهم • عطف على يكبتهم والمعنى ان
مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا
وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مأمور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروى المخصوص
باشد الكفرة والا فمطلق التعذيب الاخروى متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور
في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم
بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم العذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبين

الحق

الحق على الوجه المذكور هذا وقد قيل ان عتبة بن ابى وقاص شج رسول الله صلعم يوم احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام
يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابى حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم
وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شيء الاية كانه نوع معاتبة على انكاره عدم فلاحهم وقيل اراد ان
يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر او على شيء
باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح به او يعذبهم فتتشفى
منهم وايا ما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة
بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومبنى على سلبه عمن سواه واما
تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكى عن رسول الله صلعم قد و
قع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا
يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الاف لا بثلاثة الاف مع
انه لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي حينئذ ان ينعى عليهم جنايتهم وحرمانهم
بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه
مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله وما جعله الله اى الامداد الموعود لانه لم يتحقق
فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد بشارة لكم واطمئنانا لقلوبكم فلم تفعلوا ما
شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع
الامداد الموعود لكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى
وجعله استئنافا مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا نصر من جانب امر بترك
الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الاية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى
من عند الله تعالى من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الاية مع كون ما بينهما من التفصيل
متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام
المترتبة على وجود شيء بعد بيان انتفائه مما لا يصح في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذى لا محيد
عنه ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكى في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده
محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى • فانهم ظالمون • تعليل على كل حال لقوله تعالى او يعذبهم مبين لكونه من جهتهم وجزاء
لظلمهم • ولله ما في السموات وما في الارض • كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات
به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة
للعقلاء ايضا تغليبا اى له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله • يغفر لمن يشاء •
ان يغفر له مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب
للايذان بسبق رحمته تعالى على غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا
صريح في نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له • والله غفور رحيم • تذييل مقرر لمضمون قوله تعالى

يتعزز لمن تاب ومع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينة من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة ما
لا يخفى • يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا • كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لا سيما
في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب
جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب
المحافظة عليه وبيانا لما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين
على الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا
على التقوى وطاعة الرسول صلعم لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها
لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن
للزجر عنه وتحصيل المال وكان مظنة مبادرة الناس الى طريق الاكتساب ومن جملتها الربوا
فنهوا عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه
في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وعلا • اضعافا مضاعفة • ليس لتقييد النهي به بل لما كان
ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمديون زدني
في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية و
محله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعّفة • واتقوا الله • فيما نهيتم عنه من الامور التي من
جملتها الربوا • لعلكم تفلحون • راجين الفلاح • واتقوا النار التي اعدت للكافرين • بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رح يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار
المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه • واطيعوا الله • في كل امركم به ونهاكم عنه • والرسول •
الذي يبلغكم اوامره ونواهيه • لعلكم ترحمون • راجين الرحمة عقب الوعيد ترهيبا عن المخالفة وفي ايراد
وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة
للذين عصوا رسول الله صلعم حين امرهم بما امرهم يوم احد • وسارعوا • عطف على اطيعوا وقرئ بغير
واو على وجه الاستيناف اي بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا • الى مغفرة من ربكم • وسببه اي
الى ما يؤدي اليها وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى
اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات فيدخل فيها ما امر من الامور المأمور بها والمنهي عنها دخولا
اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع
صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار
مزيد اللطف بهم وقوله تع • وجنة عرضها السموات والارض • اي كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض
بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة ادنى من
الطول وعن ابن عباس رض كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض • اعدت
للمتقين • في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة

اي

اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم • الذين
ينفقون • في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع
على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق ويترك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع
• في السراء والضراء • في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير • والكاظمين
الغيظ • عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث
كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد
تأويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين عليه
الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي عم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله
قلبه امنا وايمانا • والعافين عن الناس • اي التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته روي انه
ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن النبي صلعم ان هؤلاء
في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال
حسن موقع عفوه عم وتذنيب له عم اكج ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رض حيث
قال حين رآه قد مثل به لأمثلن بسبعين مكانك • والله يحب المحسنين • اللام اما للجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي
هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلعم
بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها • والذين •
مرفوع على الابتداء وما بعده معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تع والله يحب المحسنين اعتراض
بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم
اوفى من حظهم او على نعت المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر • اذا فعلوا فاحشة • اي فعلة
بالغة في القبح كالزنا • او ظلموا انفسهم • بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك وقيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو
اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة داره افعل كذا
فانزل الله هذه الآية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر
ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها
وندم على ذلك واتى النبي صلعم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامرأة ثقفي كان بينهما
مواخاة فندم الانصاري وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي
صلعم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ يتناول ما فعله الرماة انتظاما اوليا • ذكروا الله • تذكروا
حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه • فاستغفروا لذنوبهم • بالتوبة والندم

والقاء، للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار لا محالة • ومن يغفر الذنوب • استفهام انكاري
والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يرد ما هو المقصود من استحالة
صدوره مغفرة فرد منها من غيره تعالى وقوله تعالى • الا الله • بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر جنس الذنوب
احد الا الله خلافه ودلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد ممن له حظ من الخطاب يعرف
ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة
بين المتعاطفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار بالوعد بالقبول • ولم يصروا • عطف على فاستغفروا و
وتاخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار واستحقاقه للمسارعة
الله عقيب ذكره تعالى او حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين • على ما فعلوا • اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة
كانت او ظلما او على فعلهم روي عن النبي عم انه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع
الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار • وهم يعلمون • حال من فاعل لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه
والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به • اولئك •
اشارة الى المذكورين اخرا باعتبار اتصافهم بما مر من النعوت الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى • جزاؤهم • بدل اشتمال منه وقوله تعالى • مغفرة • خبر له او جزاؤهم
مبتدا ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الخ على الوجه الاول
هو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك الجزاء او على الوجهين الاخرين يكون قوله
تعالى اولئك الخ جملة مستانفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم نذكر من اوصاف
الاولين ما فيه شائبة للذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخرين مع اشتراكهما في
حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر • من ربهم • متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالاضافة اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة
الحكم والتشريف • وجنات تجري من تحتها الانهار • عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة
مما يؤيد رجحان الوجه الاول • خالدين فيها • حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لان المعنى
يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها والا لوجب ابراز الضمير اذ لو
كان كذلك لبرز الضمير • ونعم اجر العاملين • المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر
من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب
في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين
ولما بينك مضمونيهما دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين شتان بين المحسنين الفائزين
بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرتهم وعمالتهم • قد خلت من قبلكم سنن • رجوع الى تفصيل بقية
القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقائع
وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم

وقائع

وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين الخ والفاء في قوله تعالى
فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل
المعنى على الشرط اي ان شككتم فسيروا وفي الارض وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع
الخافض لان الاصل استعماله بالجار • هذا • اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الى اخره • بيان للناس •
اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم
المكذبون اي هذا ايضاحا لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين
لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب
ويعتبروا بما يعاينون من اثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم • وهدى وموعظة • اي وزيادة بصيرة
وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد
بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لمال الناس وسوء منقلبه وهدى الى الدين
التي منهم فرجهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة
ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين
مع انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة اثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة
الهدى او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان
العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد
الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اي هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة
هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله قد خلت الخ اعتراض للبعث على الايمان وما
يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان الاعتراض لا بد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة
اثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن
التكذيب وقيل اشارة الى القران ولا يخفى بعده • ولا تهنوا ولا تحزنوا • تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية
عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضه ومصعب بن عمير
رافع راية رسول الله عم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبي صلعم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضهم ومن الانصار
رضهم سبعون رجلا اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم • وانتم الاعلون •
جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار
حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق او وانتم
المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم
للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم اليوم • ان كنتم مؤمنين • متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم
مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة باعدائه او

إن كنتم مؤمنين فإنكم الأعلون وأياً ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقيق المعلق به كما في قول الأجير
إن كنت عملت لك فأعطني أجري ولذلك قيل معناه إذ كنتم مؤمنين وقيل معناه إن بقيتم على الإيمان إن يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح
وبالضم ألمها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم
قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم على معاودتكم بالقتال فأنتم أحق بأن لا تضعفوا فإنكم ترجون من الله
ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم أحد فإن المسلمين نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلعم فقتلوا
منهم نيفاً وعشرين رجلاً منهم صاحب لوائهم وجرحوا عدداً كثيراً وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الأيام إشارة
إلى الأيام الجارية فيما بين الأمم الماضية والآتية كافة لا إلى الأيام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم أحد
بل هي داخلة فيها دخولاً أولياً والمراد بها أوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم
نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء أخرى كقول من قال فيوماً علينا ويوماً لنا ويوماً نساء ويوماً نسر والمداولة
كالمعاورة يقال داولته فتداوله أي عاورته فتعاوره واسم الإشارة مبتدأ والأيام إما صفة له أو بدل منه
أو عطف بيان له ونداولها خبره أو خبر ونداولها حال من الأيام والعامل معنى اسم الإشارة أو خبر بعد خبر وصيغة المضارع
للدلالة على التجدد والاستمرار للإيذان بأن تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الأمم قاطبة سابقتها ولاحقتها و
فيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله الذين آمنوا إما من باب التمثيل أي ليعاملكم معاملة من يريد أن يعلم
المخلصين الثابتين على الإيمان من غيرهم أو العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب أي ليميز الثابتين
على الإيمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أو هو على حقيقته معتبر من
حيث تعلقه بالمعلوم من حيث إنه موجود بالفعل إذ هو الذي يدور عليه فلك الجزاء [illegible] والالتفات
إلى الغيبة بإسناده إلى الاسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والإشعار بأن صدور كل واحد مما ذكر بصدد
التعليل من أفعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر والجملة علة لما هو فرد من أفراد مطلق المداولة
الذي تعلق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما
دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين أو بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما
والجملة معطوفة على علة أخرى لها معتبرة إما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من
مباديها كأنه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر أمركم وليعلم الخ فإن ظهور أعمالهم وخروجها من القوة إلى
الفعل من مبادي تميزهم عن غيرهم وموجب تعلق العلم الأزلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فإن
وإما على العموم والإبهام للتنبيه على أن العلل غير منحصرة فيما عدد من الأمور وأن العبد يسوؤه ما يجري عليه من النوائب
ولا يشعر بأن لله تعالى في ذلك من اللطائف الخفية ما لا يخطر بالبال كأنه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت
وليعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون
سائر أفرادها الجارية فيما بين بقية الأمم تعييناً أو إبهاماً لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها ولذلك لم يجعل المحذوف
المبهم عبارة عن علل سائر أفرادها بالإشارة إجمالاً إلى أن كل فرد من أفرادها له علة داعية إليه كأنه قيل نداولها بين الناس

كافة

كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية إلى تلك الأفراد وليعلم إلى آخره فاللام الأولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار
تقيده بتلك الأفراد والثانية به باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين
آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد أي ويكرم ناساً منكم بالشهادة وهم شهداء أحد ومن ابتدائية
أو تبعيضية متعلقة بيتخذ أو بمحذوف وقع حالاً من شهداء أو جمع شاهد أي ويتخذ منكم شهوداً معدلين بما ظهر
منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الأمم يوم القيامة ومن
بيانية لأن تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط وأياً ما كان ففي لفظ الاتخاذ إنباء عن الاصطفاء
والتقريب من تشريفهم وتفخيم شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي
المحبة كناية عن البغض وفي إيقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم إما غير الثابتين على
الإيمان فالتعريض من حيث إن بغضه تعالى لهم من دواعي إخراج المخلصين المتصفين بالشهادة من بينهم وإما الكفرة
الذين أديل لهم فالتعريض من حيث إن ذلك ليس بطريق النصرة لهم فإنها مختصة بأوليائه بل لما ذكر من الفوائد التي
المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا أي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل
لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص وهذه
الأمور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لأنها المحتاجة إلى البيان ولعل تأخير
العلة الأخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين أو ليقترن بقوله عز وعلا ويمحق الكافرين فإن
التمحيص فيه محو الآثار وإزالة الأوضار كما أن المحق عبارة عن النقص والإذهاب قال المفضل هو أن يذهب
الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا أي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين
والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلعم يوم أحد وأصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعاً أم حسبتم كلام
مستأنف مسوق لبيان ما هو الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء
وإظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم أحد وأم منقطعة وما فيها من كلمة بل للإضراب عن التسلية ببيان العلل
فيما لقوا من الشدة إلى تحقيق أنها من مبادي الفوز بالمطلب الأسنى والهمزة للإنكار والاستبعاد أي بل حسبتم
أن تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة
للإنكار فإن رجاء الأجر بغير عمل ممن يعلم أنه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عما بينهما من اللزوم
المبني على لزوم تحقق الأول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وإيثارها على التصريح للمبالغة
في تحقيق المعنى المراد فإنها إثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللإيذان بأن مدار ترتب الجزاء على الأعمال إنما هو علمه
تعالى بها كأنه قيل والحال أنه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وإنما وجه النفي إلى الموصوفين مع أن المنفي هو الوصف فقط
وكان يكفي أن يقال ولما يعلم الله جهادكم كما أنه عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه
أصلاً وفي كلمة لما إيذان بأن الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل إلا أنه غير معتبر في تأكيد الإنكار وقرئ يعلم بفتح الميم على أن أصله
يعلمن بحذف النون أو على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لإبقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين
ويعلم الصابرين منصوب بإضمار أن على أن الواو للجمع كما في قولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن أي لا [illegible]

منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع
بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر ويعلم جزم على العطف وقيل
مجزوم معطوف على المجزوم قبله وحرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما ويؤيده القراءة بالكسر على انه
هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ ويعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف اي وهو يعلم الصابرين
كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ● ولقد كنتم تمنون الموت ● اي تتمنون الحرب فانها من مبادي الموت
او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلعم في الخروج ثم ظهر
منهم خلاف ذلك ● من قبل ان تلقوه ● متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه
وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه ● فقد رأيتموه ● اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بشاهدة
اسبابه وقولهم ● وانتم تنظرون ● حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد
مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين
ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها
ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لان مطلب من تمنى نيل كرامة الشهداء
من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب في ذلك التمني ● وما محمد الا رسول ● مبتدأ وخبر ولا عمل لما
لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى ● قد خلت من قبله الرسل ● صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه
في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا محالة كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما انقلبوا
على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول لا كسائر الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك
بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر الرسل فيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك بدينهم وقيل
هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين
الرسالة والبعد من الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل
قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم
السلام واياما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر ● افان مات ● او قتل انقلبتم على اعقابكم ● انكار
لارتدادهم وانقلابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء
للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة
لثباتهم على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم
اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع
او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر اخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي
ثار منه الفتنة وعظم فيه الخطب لما انه ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى
الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رض قتالا عظيما حتى التوى
سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم ورأوا انهم قد هزموا

اقبلوا

اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا اقل من عشرة نفر فلما راهم خالد بن الوليد
قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من
الرماة ودخلوا خلف فئة المسلمين ففرقوهم فهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلعم وقاتلوهم حتى اصيب [illegible]
نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء وعليك سلام الله غير
مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلعم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب
بن عمير رض وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يزعم انه قتل النبي صلعم فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل
انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول صلعم يدعو الي عباد الله قال كعب بن مالك كنت
اول من عرف رسول الله صلعم فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلعم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه
وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان و
قال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد رض فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا
كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد
بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويز قتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لان كل آية ليس يسمعها كل احد
ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لاستيلاء مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رض عن هذه الاية
الكريمة عنده فانه زعم انه ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع
والله ليرجعن رسول الله ولتقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلعم مات ولم يزل يكرر ذلك
الى ان قام ابو بكر رض فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول الاية قال الراوي والله لكان الناس لم يعلموا ان هذه
الاية نزلت على رسول الله صلعم حتى تلاها ابو بكر وقال عمر رض والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضي الله يتلوها فعقرت
حتى ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله مات صلعم ● ومن ينقلب على عقبيه ● بادباره عما كان يقبل عليه
رسول الله صلعم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من
المنافقين ● فلن يضر الله ● بما فعل من الانقلاب ● شيئا ● اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط
والعذاب ● وسيجزي الله الشاكرين ● اي الثابتين على دين الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا
بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايماء الى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس ان المراد بهم الطائعون
من المهاجرين والانصار وعن علي رض ابو بكر واصحابه وعنه رض انه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله
تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان جزائهم ● وما كان لنفس ان تموت ● كلام مستانف
مسوق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلعم ببيان ان موت كل نفس منوط بمشية
الله تعالى لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هائل مخوف وقد اشير بذلك
الى انها لم تكن بموتهم في الموت الذي حذروه فيه ولذلك لم يقتلوا حينئذ الا لاحجامهم عن مباشرة القتال وكلمة كان فعلية

اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم الاسباب
اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من
لوازمه او الا باذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى
النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا تتسنى للعباد الا باذنه تعالى او بتنزيل اقدامها
على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها
عليه او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا
يخفى كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتبه الله كتابا مؤجلا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة
وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحيوة محض مشيئة الله عز و
جل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم بصرفها عن الاعراض
الدنية الى المطالب السنية فقيل ومن يرد ثواب الدنيا اي بعمله نؤته منها بنون العظمة على طريق الالتفات
اي من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد وقرئ يؤته بالياء ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها اي
من ثوابها من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين
لما انعم الله تعالى من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا
والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا اوليا و
الجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة
على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء وكاين كلام مبتدا
ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدورهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل
الخالية عليهم السلم وكاين لفظة مركبة من كاف التشبيه واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما في حدث كذا و
كذا والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي احديهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة
كاين ككعين والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كن و
قد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا
كما في قوله اطرد الياس بالرجا فكاين الما حم يسره بعد عسر وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير خبر لها على
ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة
ومشددة والربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها ايضا على الاصل
وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه
علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين
الاخريين اذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل اي قتلوا او قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير
رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العلماء لم يقتل نبي في الحرب قط وقيل الفعل

مسند

مسند الى ضمير النبي صلعم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور والراجع
اليه وهذا وضح على القراءة المشهورة بلا خلاف اي من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثير واما على القراءتين
الاخريين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وقد جوز بعضهم وايده بان مدار التوبيخ انخذالهم للارجاف بقتله
صلعم اي كم نبي قتل كائنا معه في القتل او في القتال ربيون الى اخره وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على
ان المراد عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء
المرتبة له على ما قبله اي فما فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي نعم يشعر بعلته
قوله تعالى في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة
فان جعل الضمير لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعل للبعض الباقين
بعد ما قتل الاخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنهزمين بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع اعتراهم من
قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على القراءتين الاخريين فان اسند الفعل
الى الربيين فالضمير للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبي عم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخذال بسبب الارجاف
بقتله عم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي عم في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما ضعفوا
عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون
لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي
صلعم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي
المنافق في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين اي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره
في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار في موضع الاضمار للثناء
عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها
وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية ومن
قولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء
اي ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال
شيء من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغائرنا واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في
ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى هضما
لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من
الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا اي في مواطن الحرب بالتقوية والتاييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق
وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء
وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة

الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير
وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها اي ما كان قولهم حينئذ شيئا من الاشياء الا
هذا القول المنبئ عن اخلاص المحاسن وهذا كما ترى افيد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار يكون
خصوصيته قولهم المذكور فقولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الجزء الاخير فالاحق بالجزئية ما هو اكثر افادة
واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى
ان ذلك مما في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت سهلة
الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات
في باب البيان واما اختيار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية
ولا ريب في اعرفيته ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف
ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتأمل ● فآتاهم الله ● بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا
اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل ● وحسن ثواب الآخرة ● اي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد
وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى ● والله يحب المحسنين ● تذييل مقرر لما قبله فان محبة
الله تعالى للعبد عبارة عن رضائه عنه وارادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع
ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا وهذا استعطاف ترغيب للمؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة ● يا ايها الذين آمنوا ● شروع
في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء
عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء
بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين
بالكفر في قوله تعالى ● ان تطيعوا الذين كفروا ● لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال
علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فقوله
تعالى ● يردوكم على اعقابكم ● جوابا للشرط مع كونه في قوة ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا
في دينهم باعتبار كونه ممهدا للعقوبة ● فتنقلبوا خاسرين ● اي للدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين
في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل [illegible]
اليهود والنصارى حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب
ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان
واصحابه والمراد بطاعتهم استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم
في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان ● بل الله
مولاكم ● اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره
فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب على انه صفة له
وهو

وهو خير الناصرين ● فخصوه بالطاعة والاستعانة ● سنلقي ● بنون العظمة على طريقة الالتفات
جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالقاء ● في قلوب الذين كفروا الرعب ●
بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال و
رجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا
قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا
فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف الحرب او عقيب انقضائه وقيل هو ما القي في قلوبهم الرعب يوم الاحزاب
● بما اشركوا بالله ● متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم
ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ● ما لم ينزل به ● اي باشراكه ● سلطانا ● اي حجة سميت به لوضوحها
وانارتها او لقوتها او لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله
ولا ترى الضب بها ينجحر وفيه ايذان بان المتبع في الباب هو البرهان السماوي دون
الآراء والاهواء الباطلة ● ومأواهم ● بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب اي
ما يأوون اليه في الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها ● وبئس مثوى الظالمين ● اي مثواهم وانما وضع موضعه
المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص
بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان
المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي يأوي اليه الانسان ● ولقد صدقكم الله
وعده ● نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين
عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلعم
من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا
المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة
يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا و
ذلك قوله تعالى ● اذ تحسونهم ● اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه ومنوط بصدقكم
وقوله تعالى ● باذنه ● اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله
تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد مر ان التحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود ثمة ذكر امداده
عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييده بصدق وعده بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود
هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى حتى اذا فشلتم بقوله سنلقي وانت
خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك في الطريق على اختلاف
الروايتين فاذا ما كان فلا سبيل الى كونه منفيا بقوله تعالى ● حتى اذا فشلتم ● اي جبنتم وضعف رأيكم او
ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب ● وتنازعتم في الامر ● فقال بعض الرماة حين انهزم
المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله

بن جبير رضى لا تخالف امر رسول الله صلعم فثبت مكانه فى نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون
للنهب وذلك قوله تع وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون اى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما
راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل فى
تفسير قوله تع واذ غدوت الايات او قيل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم
نصره وبيرقه جعل الابتلاء غاية للصرف المرتب على منع النصر وقيل معناه انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى
منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الاخرة وهم الذين
ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية
وقيل اذا اسم كما فى قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تع صدقكم باعتبار
تضمنه بمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الى اخره وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم
عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف وكما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين
اى كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من التلطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اى ليعاملكم معاملة من يمتحنكم
بالمصائب ليظهر ثباتكم عندها على الايمان ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على
المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب
عليه اى شأنه ان يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم فى جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا
رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار فى موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم
واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله تع ليبتليكم او بمقدر كاذكروا و
الاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض وقرئ تصعدون من الصعود اى فى الجبل من التفعل بطرح احدى التائين
وقرئ يصعدون بالياء على الالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اى لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم
لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون والرسول
يدعوكم كان صلعم يدعوهم الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة والتعبير عنه بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته
كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشباعا فى توبيخ المنهزمين فى اخراكم فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى
فاثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر
المشركين والارجاف بقتل الرسول صلعم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه رسول الله صلعم
بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اى لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا على نفع فائت
او ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة
عقوبة لكم وقيل الضمير فى اثابكم للرسول صلعم اى واساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه
ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك
والله خبير بما تعملون اى عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم عطف على قوله تع فاثابكم والخطاب للمؤمنين
حقا من بعد الغم اى الغم المذكور والتصريح بتأخر الانزال عنه مع دلالة ثم دلالة عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة

البيان

البيان وتذكير عظم النعمة كما فى قوله تع ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية امنة اى امنا نفث على المنعوت
وقوله تع نعاسا بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول
له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اى ذوى امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها
مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى
المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون
المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متأهبين للقتال فانزل الله تع عليهم الامنة فاخذهم النعاس
قال ابن عباس رض امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخائف لا ينام
وقال الزبير رض كنت مع النبى صلعم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب
ابن قشير والنعاس يغشانى ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقال
ابو طلحة رض رفعت راسى يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من
النعاس قال وكنت ممن القى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدى فآخذه وفيه دلالة على
ان المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه عز وجل يغشى طائفة منكم قال ابن عباس رض هم المهاجرون
وعامة الانصار ولا يقدح ذلك فى عموم الانزال للكل والجملة فى محل النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ
بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان يتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينها و
بين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم
اى اوقعتهم فى الهموم والاحزان او ما يهمهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم همنى الشئ اى كان من
همى وقصدى والنصب مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتداء وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها
نكرة لاعتمادها على واو الحال كما فى قوله سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا محياك اخفى ضوءه كل شارق او لوقوعها
فى موقع التفصيل كما فى قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول واما صفتها
والخبر محذوف اى ومعكم طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضى دخول
المنافقين فى الخطاب بانزال الامنة واياما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لتعظيم النعمة
فى الخلاص عنه كما فى قوله تع اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستأنفة مسوقة
لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصيصها بالصفة او صفة
اخرى لها او خبر بعد خبر او استيناف مبين لما قبله وقوله تع غير الحق فى حكم المصدر اى يظنون به تع غير الظن
الحق الذى يحق ان يظن به سبحانه وقوله تع ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة
كما فى حاتم الجود ورجل صدق وقوله تع يقولون بدل من يظنون لما ان مسألتهم كانت صادرة عن الظن
اى يقولون لرسول الله صلعم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اى من امر الله تعالى ووعده من النصر
والظفر من شئ اى من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شئ وقوله تع قل ان الامر كله لله اى الغلبة بالاخرة
لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تع فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى فى سابق قضائه

فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون في انفسهم اي يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم
بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف او حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اعتراض بين
الحال وصاحبها اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب وقوله
تعالى يقولون استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل اي شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم او
يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد صلعم من ان الغلبة لنا ولاوليائه
وان الامر كله لله او لو كان لنا من التدبير والرأي شيء ما قتلنا ههنا اي ما غلبنا او ما قتل من قتل منا
في هذه المعركة على ان النفي راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما برحنا من منازلنا كما رآه ابن ابي
ويؤيده تعيين مكان القتل وكذا قوله قل لو كنتم في بيوتكم اي لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون
لبرز الذين كتب عليهم القتل اي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم الى مصارعهم
التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى
لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تعيين نفس القتل كما في قوله تعالى اينما
تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون روي ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك
الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى
ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على
البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرّز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في
صدوركم اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل
مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الى آخره وجعلها
علة لبرز يأباه الذوق السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا حكمة البروز
المفروض او لفعل مقدر بعدها اي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل
مقدما خال عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس
والله عليم بذات الصدور اي السرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة
اما اعتراض للتنبيه على ان الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين
او حال من متعلق الفعلين اي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما محيط بخفيات الامور وفيه وعد
ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما مرت حكايتهم انما
استزلهم الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب
والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي صلعم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فحرموا التأييد وقوة القلب وقيل
استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل
استزلهم بذكر ذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم

لتوبتهم

٧٠٥

لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على
سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتأكيد للتعليل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة
حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذي اثير وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم لتعيين الوجه الذي فيه المماثلة التي نهوا
عنها اي قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا
للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر
المنتظم للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني
انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع فيها بل التحقيق انها ظرف لما لا لقولهم
حينئذ انما هي باعتبار ما وقع فيها كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا او كانوا اي اخوانهم غزى جمع غاز كعفى
جمع عاف قال ومغبر الآفاق خاشعة الضحى لها قلب عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء
من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في
الارض توطئة له وتقديمه لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم
يقل او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى وقوله
تعالى لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي
اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد
بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر على قائليه الا يرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه
الذي جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير بما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا
وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة
كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل
المذكور بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول
واعتقاده ليجعل الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما ترى اشارة الى ما دل عليه قولهم
من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في
قلوبهم فان مخالفتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان
غائلته اي هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة والسفر مدخل في ذلك فانه تعالى
قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة
والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون
عام متناول للقول المذكور ولمنشئه الذي هو اعتقادهم ولما يترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر
لا لعنوان السمع واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بالروعة والمبالغة في التهديد
والتشديد في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتب على الغزو

على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله تعالى مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون
اثر ابطال ترتبه عليهما اللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين
في الموضعين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة
جواب للقسم سادة مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن
وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة
من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء
اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتها من ذلك بلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم
الحاجة اليه بناء على استحالة التخلف مع تعذر الاطماع وقيل لا بد من حذف اي لمغفرة لكم من الله الخ وحينئذ
ينبغي ان يكون اخراج المغفرة مخرج الصفة دون الخبر لنحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار به وفي تغيير الترتيب
الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقلته تنبيه لطيف في الترغيب في الجهاد ببيان زيادة مزية
القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه دلالة واضحة على ان المقصود بالنهي انما
هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به واضلال الناس به ولئن متم او
قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى
الله تحشرون اي الى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي
اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام في لامي الجملة كما مر في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلعم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة
والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر
وما مزيدة للتوكيد او نكرة ورحمة بدل منها او بيان لها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اي فبرحمة عظيمة
لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق
والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو كنت لم تكن كذلك
بل كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ
الجانب السيئ الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا
من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا في مهاوي الردى والفاء في قوله عز وجل
فاعف عنهم لترتب العفو او الامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا
الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم
في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بارائهم
وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة
على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه
مختص به سبحانه وتعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي

ولا تشاور

ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل او الامر به فان عنوان الالوهية الجامعة
لجميع صفات الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم
الله فلا غالب لكم جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجاء
اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد
الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان
نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فهما قطعيا هو نفي المساواة
واثبات الغالبية لهم كما في قولك ليس من فلان اكرم من فلان او لا افضل منه فان المفهوم منه حتما انه اكرم من
كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما
ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما
هو نص في الباب ما وقع في سورة هود حيث قيل بعد ما قيل في حقهم لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون فان كونهم
اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا
جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي
بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل
لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المؤمنين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم
على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس
والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه تشريف لهم
بعنوان الايمان اشتراكا او استقلالا وتعليل لحكم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا
وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عم ولا استقام له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه
منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة
رسول الله صلعم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول
رسول الله عم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلعم الم اعهد اليكم
ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم
واما المبالغة في النهي لرسول الله عم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي عم بعدهم غنائم فقسمها بين الحاضر
ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع اخرين بل
عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه
عم عما تفوه به بعض المنافقين من ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول
الله صلعم اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول
ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث
الشريف وروي انه عم قال الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي

فدى يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك اذ يأت بما احتمل من اثمه و
ثم توفى كل نفس ما كسبت اى تعطى وافيا جزاء خيرا او شرا كثيرا او يسيرا وضع المكسوب موضع
جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا كانهما شئ واحد وفي اسناد التوفية
الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غل يوم القيمة
من الدلالة على فخامة شان اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه
حين وفى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينتقص منه شئ وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان
لا ينتقص من جزاء الغال شئ وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى وهم اى كل الناس المدلول عليهم
بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اى سعى في تحصيله
وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي عم ومن يسير بسيرته كمن باء اى رجع
بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد
تاكيد نفي الغلول عن النبي عم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما
بنقيض ما وصف به الآخر فقوبل رضوانه بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه
الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله
يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لادخال الروعة وتربية المهابة وماواه جهنم اما كلام مستانف مسوق لبيان مآل امر من باء
بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة الاسمية على الفعلية واياما كان فلا محل
له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المصير جهنم والفرق
بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى
الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اى طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت
الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذووا درجات
والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف
اى والله لقد من الله اى انعم على المؤمنين اى من قومه عم اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
اى من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اى اشرفهم فانه
عم كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الخ على انه
خبر لمبتدا محذوف اى منه اذ بعث الخ او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين
وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله
تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اى كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلو عليهم
اياته صفة اخرى اى يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحي ويزكيهم

عطف

عطف على يتلو اى يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة
اى القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية
التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم
المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر
فلو روعي ترتب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة
وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي
الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل اى من قبل بعثته عم
وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين اى بين لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من ان المثقلة وضمير الشان
محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف لغو متعلق بكان ولكن خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة
التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اى وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما
كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها اولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدا مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من
الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة اثر ابطال بعض آخر منها والهمزة للتقريع
والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم
في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما
اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط
الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع انه المقصود بالانكار والمعطوف بالواو حقيقة لتاكيد
التنكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار عليه ادخل والمعنى احين اصابكم من
المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر
على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة
له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب
ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غائلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى
استبعادهم الحادث مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة
ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو
من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل
قل هو من عند انفسكم امر لرسول الله صلعم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده
بالانكار والتقريع ويبكتهم ببيان ان ما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم
الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله ولقد صدقكم الله وعده

آلايه وان عمل النبي صلعم بموجبه قد رفع الحظر عنه وخفف جنايتهم فيه على ان اختيار الخروج والاصرار عليه
كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ واين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة وقيل باخذهم الفداء
يوم بدر قبل ان يوذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وربما يعضده توسيط خطاب الرسول
صلعم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتعويض التبكيت اليه عم فان توبيخ العامل على الفعل اذا
كان ممن اخذ عنه كان اشد تاثيرا ان الله على كل شيء قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان
عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل
تحت الامر وما اصابكم رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عم لتبشير بتعقيبه وارشاد لهم الى حقيقة الحوادث التي
سالوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم من
استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير ببيان وقته بقوله تعالى
يوم التقى الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اي فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمي ذلك اذنا لكونها
من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على المسبب والمراد بالعلم التمييز
والاظهار فيما بين الناس وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين
وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق
بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم
الفاعل المنبئة عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ
فهو كائن ليتميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه
في حيز الصلة او كلام مبتدا قال ابن عباس رض هم عبد الله بن ابي واصحابه حين انصرفوا يوم احد عن رسول
الله صلعم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك
قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي اي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا
معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا
وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر
والتعاون قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا
بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نحسن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا
واستهزاء وانما عبروا عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم
بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى
التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث
لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا لمقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان الضمير واقرب خبره واللام
في للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل لاتحاد حيثية عملهما
واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان

وقيل

وقيل يتعلق الجاران به لشبههما بالظرفين اي هم للكفر يوم اذ قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل
ذلك يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا
تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب منهم نصرة لاهل الايمان
لان تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستانفة
مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن
القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا
وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر
به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له ولا لمنشائه في قلوبهم اصلا من الاباطيل
التي من جملتها ما حكي عنهم انفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال
والاخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين
مع ذلك على الانخزال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل والله اعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم
ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها
وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من احكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة ارائهم والشماتة بهم وغير ذلك
وكيفياته مختصة بالعلم الذين قالوا مرفوع على انه بدل من واو يكتمون او خبر لمبتدا محذوف وقيل مبتدا
خبره قل فادرؤوا بحذف العائد تقديره قل لهم الى اخره او منصوب على الذم او على انه نعت للذين نافقوا او
بدل منه وقيل مجرور على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد
بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج
فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال
لو اطاعونا اي فيما امرنا ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخزال
حين انخزلوا واغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استقصوه ابن ابي يبس من القاعدين فيها بذلك المعنى
على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم يبادي بخلافه ص الامر بفيهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النبي عم
عند المشاورة قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرؤوا عن انفسكم الموت جواب للشرط قد حذف تعويلا
على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين كما ان الشرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم
صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي
كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل و
امتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب
انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال
سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل ان كنتم
صادقين في مضمون الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرؤوا عن

انفسكم الموت حينئذ استهزاء بهم اى ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى
لا تموتوا كما درأتم فى زعمكم هذا السبب الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا كلام مستأنف
مسوق لبيان ان القتل الذى يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب
التى يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغنى ولا يجدى وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم
شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله
بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء
على الاسناد الى ضميره عم او ضمير من يحسب وقيل الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز
الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اى لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد
من توجيه النهى اليهم تنبيه السامعين على انهم احياء بان يتسلوا بذلك ويستبشروا بالحيوة الابدية والكرامة السنية والنعيم
المقيم لكن لا فى جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة
ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اى بل هم احياء وقرئ
منصوبا اى بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين كما فى قوله حسبت التقى والجود خير تجارة رباحا اذا ما المرء اصبح
ثاقلا او على انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم فى محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر او صفة لاحياء او فى محل النصب
على انه حال من الضمير فى احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفى التعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اى من الجنة وفيه تأكيد
لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حيوتهم قال الامام الواحدى الاصح فى حيوة الشهداء ما روى عن النبى صلعم من ان ارواحهم
فى اجواف طير خضر وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروى عنه عم انه قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم
فى اجواف طير خضر تدور فى انهار الجنة وروى ترد انهار الجنة الى اخره وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث
شاءت وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش وفيه دلالة على ان ارواح الانسان جسم لطيف لا يفنى
بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد ان نفوس الشهداء تتمثل
طيرا خضرا او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال
فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع
بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد
فى سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا
من فاعل يلحقوا بهم اى لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين فى الدنيا الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل
اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هى المخففة من ان واسمها ضمير الشأن المحذوف
وخبرها الجملة المنفية اى يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون
بحيوة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات او لا خوف عليهم فى الدنيا من القتل فانه عين الحيوة التى يجب
ان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون

والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا
فان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان
الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهى ثواب اعمالهم وقد
جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل فى قوله تعالى فرحين بما اتاهم الله
من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اى كائنة من الله سبحانه وفضل اى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
بفتح ان عطف على فضل منتظم معه فى سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان
بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية
اجورهم على ايمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة فى الدين وقرئ بكسرها على انه استئناف معترض
دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب فى
الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما
اصابهم القرح صفة للمؤمنين مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم و
اتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون
ومتقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك الى رسول الله
صلعم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج فى طلب ابى سفيان وقال لا يخرجن معنا
الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح
فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله تعالى الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس
يعنى الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلاق الناس لما انه من جنسهم وكلامه
كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس فرد وغير ثوب واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روى ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا
موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران
فالقى الله تعالى فى قلبه الرعب وبدا له ان يرجع فمر به ركب من بنى عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان
ثبطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل وضمنها سهيل بن عمرو فخرج
نعيم فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم فى دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد جمعوا
لكم ففتروا فقال عم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله ونعم
الوكيل فى الكلمة التى قالها ابراهيم عم حين القى فى النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله
ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام
واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة
التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضى قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل

يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخله النار «وقالوا حسبنا الله» أي محسبنا الله وكافينا من احسبه إذا كفاه و
الدليل على أنه بمعنى المحسب أنه لا يستفيد بالإضافة تعريفاً في قولك هذا رجل حسبك «ونعم الوكيل» أي نعم الموكول إليه
والمخصوص بالمدح محذوف أي الله عز وجل «فانقلبوا» عطف على مقدر يستدعيه السياق أي فخرجوا إليهم ووافوا
الموعد روي أنه عليه السلام وافى بجيشه بدراً وأقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيراً كثيراً والباء
في قوله تعالى «بنعمة» متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم أي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين
بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل «من الله» متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها
التنكير بالفخامة الإضافية أي كائنة من الله تعالى وهي العافية والثبات على الإيمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم
«وفضل» أي ربح في التجارة وتنكيره أيضاً للتفخيم «لم يمسسهم سوء» حال أخرى من الضمير في فانقلبوا أو من المستكن
في الحال كأنه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال إذا كان مضارعاً منفياً بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول
الواو كما في قوله تعالى أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وعدمه كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيراً «واتبعوا» في كل ما أتوا من قول وفعل «رضوان الله» الذي هو مناط الفوز بخير الدارين
«والله ذو فضل عظيم» حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الإيمان والتوفيق للمبادرة إلى الجهاد والتصلب في الدين
وإظهار الجرأة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع إصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار
لخطأ رأيهم حيث حرموا أنفسهم ما فاز به هؤلاء وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزواً فأعطاهم الله تعالى ثواب
الغزو ورضي عنهم «إنما ذلكم» إشارة إلى المثبط أو إلى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى
«الشيطان» إما خبره وقوله تعالى «يخوف أولياءه» جملة مستأنفة مبينة لشيطنته أو حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم
خاوية إلى آخره وإما صفة والجملة خبره ويجوز أن تكون الإشارة إلى قوله على تقدير مضاف أي إنما ذلكم قول الشيطان
أي إبليس والمستكن في يخوف إما للمقدر وإما للشيطان بحذف الراجع إلى المقدر أي يخوف به والمراد بأوليائه
إما أبو سفيان وأصحابه فالمفعول الأول محذوف أي يخوفكم أولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم
ويؤيده قوله تعالى «فلا تخافوهم» أي أولياءه «وخافون» في مخالفة أمري وإما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف
أي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس الثاني أي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا
وخافوني فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به والخطاب للفريقين الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي أو الانتهاء
على ما قبلها فإن كون المخوف شيطاناً مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه «إن كنتم مؤمنين» فإن الإيمان يقتضي
إيثار خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الأمن من شر الشيطان وأوليائه «ولا يحزنك» تلوين للخطاب
وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والإيذان بأصالته في تدبير أمور الدين والاهتمام بشؤونه
«الذين يسارعون في الكفر» أي يقعون فيه سريعاً لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وإيثار كلمة في على ما وقع في قوله
تعالى وسارعوا إلى مغفرة الآية للإشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبتدأ المسارعة ومنتهاها كما في
قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات فإن ذلك مشعر بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها
وإما إيثار كلمة إلى في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلأن الجنة والمغفرة منتهى المسارعة وغايتها و

والمراد

والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك الذين
يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا
عن الإسلام والتعبير عنهم بذلك للإشعار بما في حيز الصلة إلى مظنة وجود النهي عنه وعزائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أي لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم إلى تمشية أحكامه ومظاهرتهم لأهله وتوجيه النهي إلى جهتهم مع أن المقصود
نهيه عليه السلام عن التأثر منهم للمبالغة في ذلك كما أن النهي عن التأثر بأصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي إلى اللازم
والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا أرينك هاهنا وقرئ لا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاي ومعنى
واحد وقيل معنى حزنه أحدث له الحزن ومعنى أحزنه عرضه للحزن «إنهم لن يضروا الله» تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق
نفي ضررهم أبداً أي لن يضروا بذلك أولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والإيذان بأن مضارتهم بمنزلة مضارته
سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى «شيئاً» في حيز النصب على المصدرية أي شيئاً من الضرر و
التنكير لتأكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار أي بشيء ما أصلاً وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك
من ملكه تعالى وسلطانه شيئاً كما روى أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا
على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملك الله شيئاً ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما
نقص من ملك الله جناح بعوضة والأول هو المناسب لمقام التسلية والتعليل «يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً
في الآخرة» استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الإرادة من الإيذان بكمال
خلوص الداعي إلى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بها إرادة أرحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال
للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها أي يريد الله بذلك أن لا يجعل بذلك لهم في الآخرة حظاً ما من الثواب و
لذلك تركهم في طغيانهم يعمهون إلى أن يهلكوا على الكفر «ولهم» مع ذلك الحرمان الكلي «عذاب عظيم» لا يقادر
قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية
للمناسبة وتنبيهاً على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة إما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب
إثر بيان أن لا شيء لهم من الثواب وإما حال من الضمير في لهم أي يريد الله حرمانهم من الثواب معداً لهم عذاب
عظيم «إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان» أي أخذوه بدلاً منه رغبة فيما أخذوه وإعراضاً عما تركوه و
قد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
مستوفى «لن يضروا الله شيئاً» تفسيره كما مر غير أن فيه تعريضاً ظاهراً باقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وإنما يضرون
أنفسهم فإن جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بأن يراد باشتراء الكفر بالإيمان إيثاره عليه
إما بأخذه بدلاً من الإيمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين أو بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله
في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتأكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع
فإن ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بأنفسهم وعدم تعديه إلى غيرهم أصلاً كيف لا
وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الأبدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على
قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهو أعز من الأبلق الفرد وأمنع من عقاب الجو

وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للمعنيين المذكورين ولأخذ الكفر
بدلا من الايمان منزلته نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل
المنصوبة في الآفاق والانفس هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج
تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين و
انت خبير بان فيه مع خلوه عن التكلف المذكور مما لا يليق بشأن التنزيل لان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى
المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلعم الداعية الى النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها
واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من
مبادي حزنه عم مما لا وجه له • ولهم عذاب اليم • جملة مبتداة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه
بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه
عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك • ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم • عطف
على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه
لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر ومسد احدهما والآخر محذوف عند الا
خفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها وكان حقها في الكتابة الانفصال لكنها وصلت اتباعا للامام اي لا يحسبن الكافرون
ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة
او واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت
وضرر محض كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلعم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر منهم
وتسليته عم ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين
اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المعاونة الداعية بين الصلة وبين الاملاء
الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشأنهم دهرا طويلا فان المعاون له داعيا انما هو الكفر المستمر لا المسارعة
المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ لا تحسبن بالتاء
والخطاب لرسول الله صلعم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتأتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة
حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم الخ بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما
في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت متاعك بعضه فوق بعض واما مفعول
ثان بتقدير مضاف اما فيه اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن
حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم • انما نملي لهم ليزدادوا اثما • استئناف
مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل
عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورد على معنى لا يحسبن
الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان
ولهم في الآخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر

وصف

[illegible]

وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتداة مبينة لحالهم في الدنيا واما حال من الواو
اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة • ما كان الله ليذر المؤمنين على ما
انتم عليه • كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي
اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل
الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم
في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن
عباس رضي الله عنه والضحاك ومقاتل والكلبي رحمهم الله واكثر المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف
تفسيري للكفار والا فلا شركة بين المؤمنين وبين المجاهرين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما مر من القدر المشترك
فانما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا
مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والتفات
والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب واليه
جنح المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث
هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق
ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما وليس فهم ذلك فيهما منهما من حيث الانتساب
الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة
بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان
يذر المؤمنين الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة
للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حرف الجر في عملها
وقوله تعالى • حتى يميز الخبيث من الطيب • غاية لما يفيده النفي المذكور كأنه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر
الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما
بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب بعد تعددهما اريد بكل منهما وتكثره لا سيما بعد ذكر ما
اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفيهما
لا خصوصية ذاتهما وتعدد احادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة
عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق
الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وافرازهم
عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال آخر مغاير
للاول مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من
حال الى حال مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تأكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله
تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب اليه فان

فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملتبسة كما يشهد به الذوق السليم وفرق خفي يميز من التمييز وفوت سعة
وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان التمييز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله
عز وجل ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى كيفيته ووقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم
الجليل في الموضعين لتربية المهابة والمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى
يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عم
فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد و
يخلصكم من خبثهم وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية
لا يتأتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واضمحلت على الظاهر لارشادهم وتعميم
الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شأنه عم في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على
سنة الله المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عم وتعميم الامر في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسله مع ان سوق النظم
الكريم للايمان بالنبي عم لايجاب الايمان به عم بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق
لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عم والمأمور به الايمان بكل ما جاء به عم فيدخل فيه تصديقه
عم فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون
المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين
امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم
وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور
فان ذلك مما استأثر الله تعالى به والتعرض للاستدراك باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مرتبتهم وفضل معرفتهم
على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السر صريح في ان المراد اظهار تلك السرائر بطريق
الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على
ان تكون مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين
على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك لسر الى الآن بمقتضيه بل يعزز عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ حيث
خلى الكفرة وشأنهم فابرز لهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا
على رؤوس الاشهاد وقيل قال الكفرة ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت
وان تؤمنوا اي بما ذكر حق الايمان وتتقوا اي عدم مراعاة حقوقه او النفاق
فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل وخامة عاقبته وتخطئة لاهله في حسبانه
خيرا حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به بعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان
سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وهو ضمير الفصل

راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق له
هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلعم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول
هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته
للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفية
شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما وروي عن النبي صلعم انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله
الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه من قرنه الى
قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك ولله وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا ميراث
السموات والارض اي ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات
فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى
عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار
باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالت اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
وروي انه عم كتب مع ابي بكر رض الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء
الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر رض
في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلعم وجحد ما
قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون القائل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف على الله تعالى واعد
له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله
بان يسمعه سامع والتأكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد سنكتب ما قالوا اي
سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما
يثبت المكتوب والسين للتأكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا
وهو كفر واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء ايذانا
بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترأ على
الانبياء لم يستبعد امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى
بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر
وقرئ سيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم
بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا

بحيى وقرئ ويقول بالياء على البناء للمفعول ● ذلك اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد
للدلالة على عظم شأنه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ● بما قدمت ايديكم
اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرها من المعاصي والتعبير عن الانفس
بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله عز وجل ● وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده
من غير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه
عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم
وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقيل
محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة
المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا
للتعذيب حسبما ذكر القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام ظلمه تعالى اليها اذ لولاه
لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء
الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان لو كان المدعى ان جميع تعذيباته تعالى
بسبب ذنوب المعذبين ● الذين قالوا ● نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن
اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا ● ان الله عهد الينا ● اي امرنا في التوراة واوصانا ● ان لا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بقربان تأكله النار ● كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو
فتنزل نار من السماء فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان
لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله
صلعم لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى ● قل ● اي تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم ● قد جاءكم
رسل ● كثيرة العدد كبيرة المقدار ● من قبلي بالبينات ● اي المعجزات الواضحة ● وبالذي قلتم ● بعينه من القربان الذي تأكله
النار ● فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ● اي فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا
ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم
● فان كذبوك ● شروع في تسلية رسول الله اثر ما اوحي اليه ما تجرؤوا من مقالات الكفرة من المشركين واليهود
وقوله تعالى ● فقد كذب رسل من قبلك ● تعليل لجواب الشرط اي فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف
هو صفة لرسل اي كائنة من قبلك ● جاؤا بالبينات ● اي المعجزات الواضحات صفة لرسل ● والزبر ● هو جمع زبور
وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته ● والكتاب المنير
قيل اي التوراة والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين في عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات ● كل نفس ذائقة الموت ●

وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا ● وانما توفون اجوركم
● اي تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال ● يوم القيمة ● اي يوم قيامكم من القبور وفي لفظة التوفية اشارة الى ان
بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ● فمن زحزح عن النار
اي بعد عنها يومئذ والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة ● وادخل الجنة فقد فاز ● بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر
بالبغية وعن النبي صلعم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الى الناس
ما يحب ان يؤتى اليه ● وما الحيوة الدنيا ● اي لذاتها وزخارفها ● الا متاع الغرور ● شبهت بالمتاع الذي يدلس به
على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او
جمع غار ● لتبلون ● شروع في تسلية رسول الله صلعم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر
تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان
هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اي تطلب الخبرة
بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما
من جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا من مبادي العاقبة
مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة
التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد
● في اموالكم ● بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء
لما انه من باب الاضعاف ● وانفسكم ● بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد
ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ● ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ● اي من قبل ايتاء القرآن
وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب
كما في قوله تعالى ان الله عهد الينا الخ والتصريح بالقبلية لتأكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به
● ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ● من الطعن في الدين الحنيف والقدح في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن
وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلعم
ونحو ذلك مما لا خير فيه ● وان تصبروا ● اي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل ● وتتقوا
اي تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تستوي عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه ● فان ذلك
اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد
من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين ● من عزم الامور ● من معزوماتها
التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه لا بد ان
تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فقد فعلتم او فقد
احسنتم او فقد اصبتم فان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط وفي
ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى ● واذ اخذ الله ● كلام مستأنف مسوق

الميثاق فان قدم نزول كتابهم يستدعي سبق البيان ببعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلعم واذ منصوب
على الظرفية بمضمر امر به النبي صلعم خاصة بطريق تجريد الخطاب اثر حكاية ما له عم وللمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة به
عم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها
على ما مر بيانه في قوله واذ قال ربك للملائكة اني جاعل الخ اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاق ● الذين اوتوا الكتاب ●
وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم ● لتبيننه ● حكاية لما خوطبوا والضمير للكتاب
وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل لهم بالله لتبيننه للناس ولتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها
امر نبوته عم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ● ولا تكتمونه ● عطف على الجواب وانما لم يؤكد بالنون لكونه
منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفي بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار
مبتدا بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على راي من جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه
غير كاتمين وفي النهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما المبالغة في ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الايات
الناطقة بنبوته عم وبالكتمان المنهي عنه القاء التاويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء اي قيل
● فنبذوه ● النبذ الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التاكيد والقوة ● وراء ظهورهم ●
ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة والاعراض عنه بالكلية كما ان جعله
نصب العين علم في كمال العناية وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين واظهار ما علموه من العلم
للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او في طمع في عرض من الاعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى
وعن النبي صلعم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك
بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد
من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل عن اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا ● واشتروا به ● اي
بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الاشتراء
على الكل مع ان المراد به كتم بعضه كدلائل نبوته عم ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ نبذ الكتاب كما ان رفض بعض اركان
الصلوة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث انهما سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل
فما بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به واخذوا بدله ● ثمنا قليلا ●
اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واغراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن
بالرغبة في الماخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شانه
ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الالات و
الوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنيء الحقير على الشريف الخطير و
تعكيسهم بجعل المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه ● فبئس ما يشترون ● ما نكرة
منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن ● لا
تحسبن ● الخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد ممن يصلح له ● الذين يفرحون بما اتوا ● اي بما فعلوا كما في قوله تعالى

انه كان

انه كان وعده ماتيا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما اتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوا من علم
التوراة قال ابن عباس رض هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة والفضل وروي انه
رسول الله صلعم سال اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه عليه السلام بخلافه واروه انهم صدقوه
واستحمدوا اليه ● وفرحوا بما فعلوا ● وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عم واحبوا ان يحمدوا بانهم
متبعون ملة ابراهيم عم فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما
يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وقد ادمج فيه بيان بعض اخر من شنائعهم وهو
اصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم في سلك
الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا
عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى
● ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ● الشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر و
يستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف معزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية
من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود و
لعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يمدحه الناس بما هو
عار منه من الفضائل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واما ما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد له والفاء
زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى ● بمفازة من العذاب ● اي متلبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي وايثار
ما ينبئ بالنجاة لما انها مبنية عليها وسبب لها للدلالة على الوحدة كما في قوله ● فلولا رجاء النصر منك ورهبة
عقابك قد كانوا لنا بالموارد ● ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي
بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص صح به المعنى اي بمفازة منجية من العذاب
مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب للمؤمنين ايضا وقرئ بالياء
التحتانية وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول عم او لكل احد ممن يتاتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء
في الثاني فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن
الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تاكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول
على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس قوله بأي كتاب او باية سنة ترى حبهم عارا
علي وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلعم او لكل
حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول و
الفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عم ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتقدير
الوعد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان ارائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون
انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الاخرة كما نجوا به من المؤاخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه عم
فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته عم ● ولهم عذاب اليم ● بعدما اشير الى عدم نجاتهم من

مطلق العذاب حقق ان لهم فرداً منه لا غاية له في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف
ولله اي خاصة ملك السموات والارض اي السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء
ويريد ايجاداً واعداماً واحياء واماتة تعذيباً واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من
الوجوه والجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى والله على كل شيء قدير تقرير لاختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه
به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما
كان مقدورا له ومن ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من
الاشياء فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر
تقرير واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام
الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات جملة مستأنفة سيقت
لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة مصدرة بكلمة التحقيق اعتناء بتحقيق مضمونها اي
في انشائهما على ما هما عليه في ذواتهما وصفاتهما من الامور التي تحار في فهم اجلاها العقول والارض على ما هي
عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس
وغروبها التابعين لبعض حركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه
بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في
الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام
البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض يقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا
وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وظهرا او عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحده
بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع الجمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما
في كيكة وكياكي جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما و
تقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي ولان الظلمة سابقة على الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم
كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم
والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود
ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فكفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد قصد
في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك
دلائل التوحيد فان ما فصل هناك من آيات رحمته كما انه من آيات الوهيته ووحدته لاولي الالباب اي لذوي
العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق
الظلمانية التي ليس في احوال الحقائق واحكام الشؤون المرتقين في اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين في
بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار

والشهود

والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكره غير ملتفتين الى شيء مما سواه الا
من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كلا مما ظهر في مظاهر الابداع وحضر في مجالي التكوين
والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع واع
ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم تارة باوضح عبارة
ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا في الحوار رتبة افهامهم وتفاوت طبقاتهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فائل
في هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلعم قال لي يا عائشة
ائذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء
في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد
الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه
يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال
ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الى آخره ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر
فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلعم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء
ثم يقول ان في خلق السموات والارض الى آخره الذين يذكرون الله الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت
كاشف له مبين لما في حيز الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع
على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا الخ وفيه من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى واياً ما كان ففيه اشعار
بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم
في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم والآفاق
الا يشير بما بعده الا وهم يقولون له عز وجل قياما وقعودا وعلى جنوبهم وكلا الآفاق واليه اشير بما بعده الا وهم يعاينون
في ذلك شأنا من شؤونه تعالى فالمراد بذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال
وسواء قارنه الذكر اللساني اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضوان الله عليهم انهم خرجوا يوم العيد
الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله قياما وقعودا
فقاموا على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن
الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلوة في هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال عم لعمران بن
الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده سباق النظم الجليل
ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نائم وراقد وانتصابهما على الحالية من
ضمير يذكرون اي يذكرونه قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكائنين على
جنوبهم اي مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال
المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا ويتفكرون في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم
معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو

بيان لتفكرهم في أفعاله سبحانه إثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الإطلاق وإشارة إلى نتيجته التي تؤدي إليها من معرفة
أحوال المعاد حسبما نطقت به ألسنة الرسل وآيات الكتب فكما أنها آيات تشريعية هادية للخلق إلى معرفته تعالى
ووجوب طاعته كذلك المخلوقات آيات تكوينية مرشدة لهم إلى ذلك فالأولى منبهات لهم على الفطنة ودواع
إلى الاستشهاد بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للأولى
شواهد دالة على مضمونها وحقية مكنونها فإن من تأمل في تعاجيب خلق العالم على هذا النمط البديع قضى بأن صانعه
جل شأنه متصف بجميع ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة
والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بأن من قدر على إنشائه بلا مثال يحتذيه أو قانون
ينتحيه فهو على إعادته بالبعث أقدر وحكم بأن ذلك ليس إلا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم أي
علومهم واعتقاداتهم التابعة لأنظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والأمارات والمخايل وسائر أعمالهم
المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح بل منه ما هو عمل القلب بل هو أشرف أفراده كما أن القلب أشرف من القلب
والتي ليست عملا خاصا به ومن قضية كون الأول أشرف من الثاني كون عمله أيضا أشرف من عمله كيف لا ولا عمل يعدل
معرفته تعالى التي هي أول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل • وما خلقت الإنس
والجن إلا ليعبدون • أي ليعرفون كما أعرب عنه قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق
لأعرف وإنما طريقها النظر والتفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روي عنه عليه السلام أنه قال لا تفضلوني على يونس
بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله تعالى ولذلك قال عليه السلام لا
عبادة مثل التفكر وقد عرفت أنه منبع التحقيق بما جاءت به الشريعة الحقة ولذلك فسر النبي عليه السلام قوله تعالى وهو الذي
خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا بقوله عليه السلام أيكم أحسن عقلا
وأورع عن محارم الله تعالى فإن التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب
والسنة فتتصادق الآيات التكوينية وتتوافق الأدلة العقلية والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين
من الأمور المستدعية للإيمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه وإظهار خلق السموات
والأرض مع كفاية الإضمار لإبراز كمال العناية ببيان حالهم والإيذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق وعدم التعرض
لإدراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف وإما للإيذان بظهور اندراجه فيه لما أن ذلك من
الأحوال التابعة لأحوال السموات والأرض كما أشير إليه وإما للإشعار بمسارعتهم إلى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض
الآيات من غير حاجة إلى بعض آخر منها في إثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله أي يتفكرون في إنشائهما وإبداعهما
بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على أن الإضافة بمعنى في أي يتفكرون فيما خلق فيهما أعم من أن يكون بطريق
الجزئية منهما أو بطريق الحلول فيهما أو على أنها بيانية • ربنا ما خلقت هذا باطلا • كلمة هذا إشارة إلى السموات
والأرض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والتذكير لما أنهما باعتبار تعلق
الخلق بهما في معنى المخلوق أو إلى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا إما صفة لمصدر مؤكد محذوف أو حال من
المفعول أي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشأن عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه أوضاع الغافلين

عن

عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها أن يكون مدارا لمعايش العباد
ومنارا يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب الإلهية كما تحققته مفصلا و
الجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لأولي الألباب استئناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول
الآيات ناشئ مما سبق فإن النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة في خلق العالم بأولي الألباب ثم وصفهم بذكر الله
تعالى والتفكر في محال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من آثارها وأحكامها كأنه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك
وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي إلى معرفة صدق الرسل
وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الأحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هنا وأما جعله حالا من المستكن في الفعل
كما اتفق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما أن ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه أن يكون من مبادي
الحكم الذي أجري على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم الله عز وجل في عامة أوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات و
الأرض فإنهما مما يؤدي إلى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في أن قولهم ذلك ليس
من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتائجه المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل
نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا أو منصوبا على المدح لكن مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف إذ لا اشتباه
في أن قولهم من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي إبراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر إشعار بمقارنته لتفكرهم
من غير تلعثم وتردد في ذلك وهو قوله تعالى • سبحانك • أي تنزيها لك عما لا يليق من الأمور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه
اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى • فقنا عذاب النار • فإن معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة
البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الأعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة
مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين أحدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني
الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر وإلى الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب
المدعو أعني الوقاية على ذلك كأنه قيل وإذ قد عرفنا سرك وأطعنا أمرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو
جزاء الذين لا يعرفون ذلك • ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته • مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه
وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيذان بشدة الخوف
وإظهار النار في موضع الإضمار لتهويل أمرها وذكر الإدخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته
قال الواحدي للإخزاء معان متقاربة يقال أخزاه الله أي أبعده وقيل أهانه وقيل أهلكه وقيل فضحه قال ابن
الأنباري الخزي لغة الهلاك بتلف أو بانقطاع حجة أو بوقوع في بلاء والمعنى فقد أخزيته خزيا لا غاية وراءه
كقولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك أي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الإشعار بفظاعة العذاب الروحاني
ما لا يخفى وهو أشد • وما للظالمين من أنصار • تذييل لإظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من
ينصرهم ويقوم بتخليصهم وتأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والإشعار بتعليل دخولهم
النار بظلمهم ووضعهم الأشياء في غير مواضعها وجمع الأنصار بالنظر إلى جمع الظالمين أي ما لظالم من الظالمين
نصير من الأنصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على أن المراد بالظالمين

عنهم الكفار ﴿ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان﴾ حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تاملهم في الدليل السمعي
بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الادلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال
الضراعة والابتهال والتاكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء
الدعاء وتعديته باللام لتضمنها معنى الانتهاء وباللام لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلعم و
تنوينه للتفخيم وايثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشان الدعوة وتبليغها الى الداني والقاصي لما فيه من
الايذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كذا وكذا ولو كان معرفة
لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الى آخره ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي واتباعه وهذا اسلوب
بديع يصار اليه للمبالغة في تحقيق السماع والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل
الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف
بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع
عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادي القرآن العظيم ﴿ان آمنوا﴾ اي آمنوا على ان ان تفسيرية او بان آمنوا
على انها مصدرية ﴿بربكم﴾ بمالككم ومتولي اموركم ومبلغكم الى الكمال وفي اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه
﴿فآمنا﴾ اي فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ﴿ربنا﴾ تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته
مع الايمان به والفاء في قوله تعالى ﴿فاغفر لنا﴾ لترتيب المغفرة والدعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيته
فان ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها ﴿ذنوبنا﴾ اي كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ اي
صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر ﴿وتوفنا مع الابرار﴾ اي مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من
زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بار او بر
كاصحاب وارباب ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه
لتاخر التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما
في قولك وعد الله الجنة على الطاعة اي وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد
محذوف اي وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك
ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع ان المنادي هو الرسول عم
وحده لما ان دعوته عم لا سيما في باب التوحيد وما اجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه
تصديق لهم عليهم السلام كقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على
لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة
الشهود ﴿ولا تخزنا يوم القيمة﴾ قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا
معه مظهرين انهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى ﴿انك لا تخلف الميعاد﴾
تذييل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال
ليست من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة وآل الى

فرضها

فرضها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما البعث
بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال ربنا ربنا خمس مرات انجاه الله تعالى مما يخاف
واعطاه ما اراد وقرا هذه الآية ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة
عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤول ويتعدى باللام وبنفسه كما في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب
وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف مترتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله تعالى فقيل
للذين ظلموا الى آخره عطف على قيل المقدر قبل الآن اي قيل لهم الآن آمنتم به من قبل الآية وكما ان قوله
تعالى في سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد الى آخره كانه قيل يغفلون
عن الهداية ونطبع الى آخره ولا ضير في اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب
لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى
اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سياتي ويجوز ان يكون معطوفا على
مضمر ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالا
فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الخ فان الاستجابة
مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت
الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب
فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حقها في حيز الصلة ان يكون من مبادي جريان الحكم على
الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة المتاخرة عنها وفي التعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف
بهم ما لا يخفى ﴿اني لا اضيع عمل عامل منكم﴾ اي باني وهكذا قرا ابي رضه والباء للسببية كانه قيل فاستجاب
لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته السنية مستمرة على ذلك في الالتفات الى التكلم والخطاب
والمراد تاكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء
وتعميم الوعد لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتاكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير
عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها
ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز
الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الخ خلا ان الالتفات حينئذ
وقرئ لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم وقوله تعالى ﴿من ذكر او
انثى﴾ بيان لعامل وتاكيد لعمومه وقوله تعالى ﴿بعضكم من بعض﴾ جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النساء
في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في
الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضها قالت لرسول الله صلعم اني اسمع
الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى ﴿فالذين هاجروا﴾ الخ تفصيل لما اجمل

في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا الشرك او
الاوطان والعشائر للدين وقوله تع واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة و
وعلى الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي اي بسبب ايمانهم بالله
ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله
تع وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب او لان المراد
قتل بعضهم وقاتل آخرون اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما
ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد
من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات
من البين كما هو راي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قد اضيع عمل من استشهد
بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية
خبر للمبتدا الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم وآتنا ما وعدتنا
على رسلك وتعظيم له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله
تعالى من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كائنة او تثويبا كائنا من
عنده تع بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تع والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدا خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده
على المبتدا او هو مبتدا ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى
مثل كونه بقدرته تع وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شيء يكون بحضرة احد لا يد عليه لغيره فالاختصاص
مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب او لا وفيه تقدير الوعد الكريم بعدم اضاعة
العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف المسلك المنبئ عن عظم شان المحسن
ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة
شانها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما ادخر للمؤمنين من الثواب والخطاب للنبي صلعم على ان المراد تثبيته على ما
هو عليه كقوله تع ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مداره القوم ورؤسائهم
والمراد افناؤهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة اي لا تنظر الى
ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر و
المزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى
فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدا
محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تع قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل
ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذن لا يجدي وجوده لواجده ولا يضر فقدانه لفاقده ثم ماواهم
اي

اي مصيرهم الذي يأوون اليه لا يبرحون جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم
لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم اي بئسما مهدوا لانفسهم
جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين
غب بيان وبال الكفرة وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تحسرهم وتكامل به سوء حال
الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء
من الشرك والمعاصي فالموصول مبتدا والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف
خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف
والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل
من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر
مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله خير مبتدا وخبر وقوله تع للابرار متعلق بمحذوف هو
صفة لخير اي ما عنده تع من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل
والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم
من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم
اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل اراد به
اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي صلعم فقال عم اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى
البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على
علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على الاسم لفصل الظرف بينهما كما في قوله
تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن
ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم انما يعتبر بتبعية ايمانهم
به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منهما انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد
بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من
فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله و
نظمها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد
نبوته صلعم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على
علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدا خبره قوله تع لهم وقوله اجرهم اي المختص بهم الموعود
لهم بقوله تع اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تع يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او

على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كما
لا يعقبه ● ان الله سريع الحساب ● لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى
تامل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم ● يا ايها الذين آمنوا ● اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة
فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل ● اصبروا ● على مشاق الطاعات وغير ذلك من
المكاره والشدائد ● وصابروا ● اي غالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحروب واعدى عدوكم بالصبر
على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ● ورابطوا ●
اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم وعن النبي صلعم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان
وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة ● واتقوا الله ● في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر
في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا ● لعلكم تفلحون ● كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب
الناجين عن كل مكروه عن النبي صلعم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عم
من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وسلم وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة وخمس وسبعون آية

يا ايها الناس ● خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين حينئذ و
الحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول
القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخرين واما بطريق
تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عم
الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم
الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما
ادراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تاكيد التكليف وتقوية الايجاب فمسرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور
والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله عز وجل ● اتقوا ربكم ● فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها
حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة
جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما
يؤثم من فعل او ترك واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوا ربكم في مخالفة اوامره ونواهيه
على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا
وصف الرب بقوله تعالى ● الذي خلقكم من نفس واحدة ● فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن قدرة
شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من اقوى الدواعي

الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم صنوانا مفرعة عن ارومة
واحدة هي نفس آدم عم من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب
في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاص ما قبل بالمامورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى
وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه
لان خلقه تعالى للمامورين من نفس آدم عم حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عم من الاباء والامهات
كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته
تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله عز وجل ● وخلق منها زوجها ● فانه مع ما عطف عليه صريح في
ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك
الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها الى آخره وهو استيناف مسوق
لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل
معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الى آخره لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول
واقع بطريق الانشاء من المادة والثاني بطريق خلق حواء من ضلع آدم عم روي انه عز وجل لما خلقه عم واسكنه الجنة
القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده
وتاخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من
تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته عم لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا
وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل ● وبث منهما ● اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق
التوالد والتناسل ● رجالا كثيرا ● نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت
لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ● ونساء ● اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما على ذكور
واناث لتاكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف
المبتدا اي وهو خالق وباث ● واتقوا الله الذي تساءلون به ● تكرير للامر وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال
به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا اسألك بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي
الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة
في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون
اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون
من الثلاثي اي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك
رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر تساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين ● والارحام ●
بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او بنصب قراءة تسألون به وبالارحام فانهم كانوا
يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله

وصلوها ولا تقطعوها فإن قطيعتها مما يجب أن يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج
وقد جوّز الواحدي نصبه على الإغراء أي والزموا الأرحام وصلوها وقرئ بالجر عطفاً على الضمير المجرور وبالرفع على
أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى أو يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه
الجليل على أن صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة
بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله • إن الله كان عليكم رقيباً • أي مراقباً وهي صيغة مبالغة
من رقب يرقب رقباً ورقوباً ورقاباً إذا أحدّ النظر لأمر يريد تحقيقه أي حافظاً مطلعاً على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال و
الأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريداً لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للأمر ووجوب الامتثال به وإظهار الاسم الجليل لتأكيد
وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل • وآتوا اليتامى أموالهم • شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها
أمراً ونهياً عقيب الأمر بنفسه مرة بعد أخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لإظهار كمال العناية بأمرهم ولملابستهم بالأرحام
إذ الخطاب للأولياء والأوصياء وقلما تفوّض الوصاية إلى الأجانب واليتيم من مات أبوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى إما لأنه لما جرى مجرى الأسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو لأنه لما كان من وادي
الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة إطلاقه على الكبار أيضاً واختصاصه بالصغار
مبني على العرف وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ أي لا يجري على اليتيم بعده حكم الأيتام
والمراد بإيتاء هؤلاء أموالهم قطع المخاطبين أطماعهم الفارغة عنها وكف أكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها
على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل إليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والأكل لا الإعطاء
بالفعل فإنه مشروط بالبلوغ وإيناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى إذا بلغوا النكاح الآية وإنما عبر عما ذكر بالإيتاء مجازاً
للإيذان بأنه ينبغي أن يكون مرادهم بذلك إيصالها إليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم إما الصغار على ما هو المتبادر
والأمر خاص بمن يتولى أمرهم من الأولياء والأوصياء وشمول حكمه لأولياء من كان بالغاً عند نزول الآية بطريق الدلالة
دون العبارة وأما من جرى عليه اليتم في الجملة مجازاً أعم من أن يكون كذلك عند النزول أو بالغاً فالأمر شامل للأولياء وللأجانب
وصيغته موجبة عليهم ما ذكر من حفظ أموالهم والتحفظ عن إضاعتها مطلقاً وأما وجوب الدفع إلى الكبار فمستفاد مما
سيأتي من الأمر به وقيل المراد بهم الصغار وبالإيتاء الإعطاء في الزمان المستقبل وقيل أطلق اسمهم على الكبار
بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثاً للأولياء على المسارعة إلى دفع أموالهم إليهم أول ما بلغوا قبل أن يزول
عنهم اسمهم المعهود فالإيتاء بمعنى الإعطاء بالفعل ويأباه ما سيأتي من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فإن ما فيه
من الأمر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقت ما أمر به أو بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين
وأما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازاً بطريق التغليب مع تعميم الإيتاء للإيتاء حالاً وللإيتاء مآلاً وتعميم الخطاب
للأولياء فكلام يتفق على أن من بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع إليه وأن من لم يبلغ بعد فوليه مأمور بالدفع إليه
عند بلوغه رشيداً فمع ما سبق تكلف لا يخفى مع أنه لا يناسب ما تقدم من حمل إيتاء أموالهم إليهم على ما يؤدي إليه من
ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الإعطاء بالفعل بالدفع سواء أريد باليتامى الصغار أو ما يعم الصغار و
الكبار حسبما ذكر آنفاً وأما ما روي من أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له فلما بلغ طلب منه ماله

فمنعه

فمنعه فنزلت فلما سمعها قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما أن العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب • ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب • نهي عن أخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي
الضمني عن أخذه على الإطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به أخذ الأول بدل الثاني بعد أن كان حاصلاً له
أو في شرف الحصول يستعملان أبداً بإفضائهما إلى الحاصل بأنفسهما وإلى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل
الكفر بالإيمان الخ وقوله تعالى أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وأما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله
تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين إلى آخره وأخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم إذا أذبتها وجعلتها خاتماً نص
عليه الأزهري وتارة أخرى بإفضائه إلى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبيث
والطيب إن كان هو الحلال والحرام فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال أنفسهم مطلقاً كما قاله الفراء والزجاج وقيل
معناه لا تذروا أموالكم الحلال وتأكلوا الحرام من أموالهم فالمنهي عنه أكل ماله مكان مالهم المحقق أو المقدر وقيل هو اختزاله
مكان حفظه وإنما ما كان فإنما عبر عنهما بهما تنفيراً عما أخذوه وترغيباً فيما أعطوه وتصويراً للمعاملة بصورة ما لا يصدر
عن العاقل وإن كان هو الردي والجيد فمورد النهي ما كان عليه من أخذ الجيد من مال اليتيم وإعطاء الردي من مال أنفسهم وبه
قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لإباحة ما عداها
وأما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع أنها تبديله به أو تبدل الطيب بالخبيث فللإيذان بأن الأولياء حقهم أن يكونوا
في المعاوضات عاملين لليتيم لا لأنفسهم مراعين لجانبه قاصدين طلب المجلوب إليه مشترى كان أو ثمناً لا لسلب المسلوب عنه
ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه أي لا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم ولا تسووا بينهما وهذا
حلال وذاك حرام وقد رخص من ذلك مقدار أجر المثل عند كون الولي فقيراً • إنه • أي الأكل المفهوم من النهي • كان حوباً •
أي ذنباً عظيماً وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوباً وقرئ حاباً وهو أيضاً مصدر كالقول والقال • كبيراً • مبالغة
في بيان عظم ذنب الأكل المذكور كأنه قيل من كبائر الذنوب العظيمة لا من أفنائها • وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى
• الإقساط العدل أي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل بمعنى أقسط فإن الزجاج حكى أن قسط يستعمل
استعمال أقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفاً عبر عنه بذلك إيذاناً بكون المعلوم مخوفاً
محذوراً لا معناه الحقيقي لأن الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه وإلا لم يكن الأمر شاملاً لمن
يصر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة وبأموالهم
تبعاً عقيب النهي عما يتعلق بأموالهم خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة إلى الأول ونزوله منه منزلة
المركب من المفرد وذلك أنهم كانوا يتزوجون من تحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن
ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن أن يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في
حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في
إكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها و
أما ما عليه إجماع عدد كثير منهم كما أطبق عليه أكثر أهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو
يكون وليها فيتزوجها ضناً بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن إلى آخره فلا يساعده الأمر بنكاح غيرهن فإن

المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اي وان خفتم ان لا تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة
او بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة او موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها اوثرت على من ذهابا
الى الوصف ايذانا بانه المقصود بالذات والغالب في الاعتبار لا الذات على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء
لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرا ابن ابي عبلة من طاب ومن في قوله عز وجل من النساء بيانية وقيل
تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة المقام اي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار
الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس
مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه فيه مبالغة في الاستمالة
اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني الى النكاح
المترقب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع
والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق
الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحلال اي ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له من
عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين
الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا
ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الى آخره دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليحمل دالا على التخصيص
مثنى وثلث وربع معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن
تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كان اصولها لم تبن لذلك وقرئ وثلث وربع على
القصر من ثلث وربع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من
الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن اي فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد
ثنتين ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اي عدد شاء من
الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة
درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون
التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت
الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب
بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر
منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء
فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه
وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما
جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها
من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا فان خفتم ان لا تعدلوا اي فيما بينهن ولو في

اقل

اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه
الاعداد فواحدة اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اي فالمقنع واحدة او
فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم اي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة
على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك
اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما سياتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
فمما ملكت ايمانكم فان المامور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوي في السهولة واليسر بين الحرة
الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم موجب القسم فيهن وقرئ
او من ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء ذلك اشارة
الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال في
الحكم اي جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري اقرب بالنسبة
الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه راسا بانتفاء محله في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف
اختيار العدد في المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو
عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اي مانهم فعبر عن كثرة
العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون
التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر
والجملة مستانفة جارية مما قبلها مجرى التعليل وآتوا النساء اي اللاتي امر بنكاحهن صدقاتهن
جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة
كظلمة في ظلمة نحلة قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله تعالى
في النحلة اي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اي اعطوهن مهورهن حال كونها
فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اي اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي
نحلة اي هبة وعطية من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا وقيل عطية من
جهة الازواج من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء
المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر وانتصابها
على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن
عن طيبة انفسكم او على الحالية من فاعل آتوا اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات
او منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا
يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه فان طبن لكم عن شيء
منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله تعالى قل أؤنبئكم
بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه قيل له في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في

في الجلد نوع البهق • ان اردت الخطوط ينبغي ان يقول كانها وان اردت السواد والبلق ينبغي ان يقول
كانهما فقال لكني اردت كان ذلك وللصداق الواقع موقع صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء صدقاتهن
كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل ان صدق واكن
واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكنه لتضمنه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء
اي كائن من الصداق وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب • نفسا • تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اي
ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة
اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما
هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة • فكلوه • اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا
فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية • هنيئا مريئا • صفتان من هنؤ الطعام
ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء الذي يلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه الذي هو المري
وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمي بذلك لمرور الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما حال من الضمير المنصوب
اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدر
كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون
ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها فنزلت • ولا تؤتوا السفهاء اموالكم • رجوع الى بيان
بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر
بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من حيث
النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة
ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا بالنظر الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف
الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد
الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا
حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكأن قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا
لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل • التي جعل الله لكم قياما • اي جعلها الله شيئا تقومون به
وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكانها
في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس به معايشهم
حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التي هي معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر
لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة
المذكورة كيف والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هي
متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما
كما جاء عوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقوم به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها • وارزقوهم

فيها

فيها واكسوهم • اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم من
الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امره
الى ما لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم • وقولوا
لهم قولا معروفا • اي كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة
بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول
او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر • وابتلوا اليتامى • شروع في تعيين وقت
تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء
اي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط
المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال
ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم
وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى تتبين لكم كيفية احوالهم • حتى اذا بلغوا النكاح • بان يحتلموا لانهم
يصلحون عنده للنكاح • فان آنستم • اي شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما في قول من قال
خلا ان العتاق من المطايا • حسين به فهن اليه شوس • منهم رشدا • اي اهتداء الى وجوه التصرفات
من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وللاعتداد
بمداينته له والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما • فادفعوا اليهم
اموالهم • من غير تأخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما
بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله
فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل • وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية
للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير
او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف رح ومحمد رح وقال ابو حنيفة رح ينتظر الى خمس وعشرين
سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في
تغير الانسان لما قال عم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد او لم يؤنس • ولا
تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا • اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون
في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع و
تقرير له وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى • ومن كان غنيا فليستعفف • الى آخره اي من كان من الاولياء و
الاوصياء غنيا فليتنزه عن اكلها وليقنع بما آتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم و
ابقاء على ماله • ومن كان • من الاولياء والاوصياء • فقيرا فليأكل بالمعروف • بقدر حاجته الضرورية
واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه

عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق
مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن إبله قال إن كنت تبغي ضالتها
وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد
بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الأجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر
ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فإذا أيسر أدى وعن سعيد بن
جبير إن شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب وأخذ القوت ولا يجاوزه فإن أيسر
قضاه وإن أعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إني أنزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم إن استغنيت
استعففت وإن افتقرت أكلت بالمعروف وإذا أيسرت قضيت واستعفف أبلغ من عف كأنه يطلب زيادة
العفة • فإذا دفعتم إليهم أموالهم • بعدما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
للاهتمام به • فأشهدوا عليهم • بأنهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما أن ذلك أبعد من التهمة وأنفى
للخصومة وأدخل في الأمانة وبراءة الساحة وإن لم يكن ذلك واجبا عند أصحابنا فإن الوصي مصدق في
الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله • وكفى بالله حسيبا • أي محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم به و
لا تجاوزوا ما حد لكم • للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون • شروع في بيان أحكام المواريث
بعد بيان أحكام أموال اليتامى المنتقلة إليهم بالإرث والمراد بالأقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة
بمحذوف وقع صفة لنصيب أي لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقه بنصيب • وللنساء نصيب
مما ترك الوالدان والأقربون • إيراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف أحكامهم بأن
يقال للرجال والنساء إلخ للاعتناء بأمرهن والإيذان بأصالتهن في استحقاق الإرث والإشارة
من أول الأمر إلى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في إبطال حكم الجاهلية فإنهم كانوا لا يورثون النساء
والأطفال ويقولون إنما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي أن أوس بن ثابت الأنصاري
خلف زوجته أم كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة وقتادة وعرفجة ميراثه عنهن على
سنة الجاهلية فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت إليه فقال ارجعي حتى أنظر ما يحدث الله تعالى
فنزلت فأرسل إليهما إن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال أوس شيئا حتى نزل
يوصيكم الله إلخ فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن
الخطاب وقوله تعالى • مما قل منه أو كثر • بدل من ما الأخيرة بإعادة الجار وإليها يعود الضمير المجرور وهذا
البدل مراد في الجملة الأولى أيضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الأموال
ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق أن لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق • نصيبا
مفروضا • نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة أو على الحالية إذ المعنى
ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والأقربون حال كونه مفروضا أو على الاختصاص أعني نصيبا مقطوعا
مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن نصيبه لم يسقط حقه • وإذا حضر القسمة • أي قسمة

التركة

التركة وإنما قدمت مع كونها مفعولا لأنها المبحوث عنها ولأن في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت
تجاذب أطراف الكلام • أولو القربى • ممن لا يرث • واليتامى والمساكين • من الأجانب • فارزقوهم
منه • أي أعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما والأمر ندب كلف به البالغون
من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل أمر وجوب ثم اختلف في نسخه • و
قولوا لهم قولا معروفا • وهو أن يدعوا لهم ويستقلوا ما أعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم
• وليخش الذين • لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم • أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه
في أمر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم أو لمن حضر المريض من العواد عند
الإيصاء بأن يخشوا ربهم أو يخشوا أولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على أولادهم فلا يتركوه أن يضر بهم
بصرف المال عنهم أو للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الأقارب واليتامى والمساكين متصورين
أنهم لو كانوا أولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم أو للموصين بأن ينظروا للورثة فلا
يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم أنهم لو شارفوا أن يخلفوا
ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الأمر عليه إشارة إلى المقصود منه والعلة فيه وبعث
على الترحم وأن يحب لأولاد غيره ما يحب لأولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال أولاده وقرئ ضعفاء وضعافى
وضعفى • فليتقوا الله • في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها • وليقولوا قولا سديدا • أمرهم
بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما أمرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى إذ لا نفع للأول بدون الثاني ثم أمرهم بأن
يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لأولادهم بالشفقة وحسن الأدب أو للمريض ما يصده عن الإسراف في الوصية وتضييع
الورثة وبتذكير التوبة وكلمة الشهادة أو لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا أو يقولوا في الوصية ما لا
يؤدي إلى تجاوز الثلث في قوله تعالى • إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما • أي على وجه الظلم أو ظالمين
جرى التقرير مضمون الفعل مما فصل الله من الأوامر والنواهي • إنما يأكلون في بطونهم • أي ملء بطونهم • نارا •
أي ما يجر إلى النار ويؤدي إليها وعن أبي بردة أنه قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج أفواههم نارا
فقيل من هم فقال ألم تر أن الله تعالى يقول إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا
• وسيصلون سعيرا • أي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الإصلاء
والتصلية يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته وأصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول
من سعرت النار إذا ألهبتها روي أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه
وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل أموال اليتيم في الدنيا وروي أنه لما نزلت هذه الآية ثقل على الناس فتحرجوا
عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الأمر على اليتامى فنزل قوله تعالى وإن تخالطوهم الآية • يوصيكم الله • شروع في تفصيل
أحكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب إلخ وأقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم
الآباء والأولاد والأزواج فهؤلاء أقسام والثالث الكلالة أي يأمركم ويعهد إليكم • في أولادكم • أي في أولاد كل
واحد منكم أي في شأن ميراثهم بدئ بهم لأنهم أقرب الورثة إلى الميت وأكثرهم بقاء بعد المورث • للذكر مثل حظ الأنثيين •

جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم
هذا الحكم وهذا اقرب مما رآه الفراء فانه اجرى ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله
تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الآية وقوله تعالى للذكر لا بد من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة
بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكورهم ومثل
صفة لموصوف محذوف اي للذكر منهم مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها
المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار
والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا
لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اي الاولاد والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله نساء اي خلّصا ليس
معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول
عليه بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم
التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في البنتين فقال
ابن عباس رض حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بيّن
ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك
ان يزداد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت
الثلث مع اختها الاقوى منها في الاستحقاق فلأن تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من
الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي لابوي الميت غير
النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتدأ
الذي هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبر اليه تنصيصا على استحقاق كل
منهما السدس وتأكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع
والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك
المتوفى ان كان له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر
لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام
بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها اخصر واستحقاقها اتم
واوفر اولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما
ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رض فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب
مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة و
ذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة
الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او محجوبين بالاب
فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعن ابن

عباس رض انه لهم على كل حال خلافا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه
بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدأ محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده
اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل
مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد بما
قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة والاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو
للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تأخرها
عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين آباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فآباؤكم مبتدأ وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدأ
واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كأنه قيل ايهم قرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب
بلا تدرون والجملة الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون
ايهم انفع لكم أمن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا
وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم
من غير رجحان احدهما على الآخر كما في قوله صلعم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام آخره فان ذلك بمعزل من افادة
التأكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني
مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية بالاقربية في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني
مبنيا على عدم الدراية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور
بتصوير الثواب الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كأنه قيل لا تدرون ايهم انفع
لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحقق وصوله
الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده
وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا
وآجلا فتحروا فيهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين
اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته فالجملة الاعتراضية حينئذ مؤكدة لامر
القسمة وانت خبير بان ليس مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية فريضة
نصب من الله نصب نصب المصدر المؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله
فانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر
فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم شروع في بيان احكام
القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد
وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان
لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او لغيرهم ولبيت

الى ان لم يكن لهن وارث آخر اصلاً فان كان لهن ولد على نحو ما فصّل والى ترتيب ما بعدها
على ما قبلها فانه ذكر بتقدير الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من
المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر
على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية
سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم
على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن
لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت
المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصّل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي
للباقين من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصّل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما
فرض للمرأة كما في النسب لمزيته وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا
في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوي الواحدة والعدد منهن في الربع
والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تأخيره عن الاولين
بيّن والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث
منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة
الوالد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين بمعنى
كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على المفعول له اي
يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث
صفة لرجل اي ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب
كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به
اي يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي
او امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته في الاحكام وله اي للرجل وتخصيصه
تاكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من
الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب
على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقق
جريان الحكم المذكور وان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان
قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر مثل
حظ الانثيين لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ او الاخت
المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال العدد فهم شركاء في الثلث
يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة

مبنيا للمفعول من ورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير
الولد والوالد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان
كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء
فيمنعون من السدس دائما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته
لا ما بين الميت وبين مورثه من الاخوة التي ترتب عليها حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وان المعتبر بينهما الوراثة
بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه ما ذكر بعينه ومن ادعى
اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رأيه
من حيث لا يحتسب كيف لا ومدار الاجماع انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة
لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والاية الاتية في آخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة
عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلالة كما بينت
عليه (؟) مبنية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والا لاقتصر البيان
على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير
بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث من ورث لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر
في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق
على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى حينئذ
غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من
الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا
له في ذلك مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد له من بعد وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي
مر في نظائره خلا ان الدين هنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف
عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كأنه قيل
او دين يوصى به غير مضار حال من فاعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال
في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل للفعل ينبئ عنه المذكور او
من فاعل الفعل المذكور والمحذوف المعبر به على قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه
غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او تكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض
بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم وصية من الله مصدر
مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي
يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام
المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفرضية والوصية
وان كانتا كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي

يبغي فيه في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شأن الاولاد فقط
كما قيل اذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شأن الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى
يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث
والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا وايقاعها على الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة
في قوله يا سارق الليلة اهل الدار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارة الله امر الله تعالى ومضارته وجعل
الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونها يقتضي ان تكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط و
ذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا يحسم مادة المضارة في الايصاء
الاقرار بالدين على اطلاقه • والله عليم • بالمضار وغيره • حليم • لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وابراز
الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة • تلك • اشارة الى الاحكام التي تقدمت في شئون
اليتامى والمواريث وغير ذلك • حدود الله • اي شرايعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها • ومن يطع الله ورسوله • في جميع
الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا • يدخله جنات • نصب على الظرفية عند الجمهور
وعلى المفعولية عند الاخفش • تجري من تحتها الانهار • صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها • خالدين فيها •
حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى جمعية من بحسب المعنى كما ان افراد الضمير بالنظر الى افراده لفظا • وذلك •
اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته
• الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز
بالعظيم عظيم والجملة اعتراض • ومن يعص الله ورسوله • ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما قص من
المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبي ومن يعصهم في قسمة المواريث
• ويتعد حدوده • شرايعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا • يدخله • وقرئ بنون
العظمة في الموضعين • نارا • اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها • خالدا فيها • حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا
نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس
كما ان الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشد في استجلاب الوحشة • وله عذاب مهين • اي وله مع عذاب الحريق
الجسماني عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية • واللاتي يأتين الفاحشة
من نسائكم • شروع في بعض آخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى
دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال
اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن
متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين اي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي
• فاستشهدوا عليهن اربعة منكم • خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا
ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم • فان شهدوا • عليهن بذلك • فامسكوهن في البيوت •
اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن • حتى يتوفاهن • الى ان يستوفي ارواحهن • الموت • وفيه تهويل للموت

وابرازه

وابرازه في صورة من يتوفى ويقبض الارواح وتوفيها • او يتوفاهن ملك الموت • او يجعل الله لهن سبيلا • اي يعين
حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قال ابو مسلم
• واللذان يأتيانها منكم • هما الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما
اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار فلا ينافي حكم الزاني المحصن منهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم
ظهور لحاقه باحد الحكمين لدلالة لحاق الشركة في المآخذ • فآذوهما • اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال ايضا وظاهر
اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا • فان تابا • عما فعلا من الفاحشة بسبب ما
لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء • واصلحا • اي اعمالهما • فاعرضوا عنهما • بقطع الاذية والتوبيخ
فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد
بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الزناة
المذكورين في اوائل الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي صلعم قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب
ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلق الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم
وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت
بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم
الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في الزناة و
الزواني متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب
على انه لا امكان له في الاولى ويأباه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا • ان الله كان توابا •
مبالغا في قبول التوبة • رحيما • واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض • انما التوبة على الله • استيناف مسوق
لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق
به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى • للذين يعملون السوء • خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر
من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع
حالا من الضمير المستكن فيما تعلق به الخبر على رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا
او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى ولله على الناس حج البيت واياما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور
القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه
سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله
تعالى وقيل اي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله صفة للتوبة
بتقدير متعلقه معرفة على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي انما التوبة الكائنة على الله تعالى
للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه
الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لان
ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة به تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي

بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبر الكلام الى قوله عز و
جل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة
متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون السوء متلبسين بها اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية
اي يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة
كما يفعله الجاهل قال قتادة اجمع اصحاب الرسول صلعم فرأوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطاء
وعن مجاهد رح من عصى الله تع فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة
الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما سيأتي
من قوله تع حتى اذا حضر احدهم الموت فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز
القبول وعن ابن عباس رض قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم
النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي صلعم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء
ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن رح ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه
في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين
وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فاولئك اشارة الى
المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب
للرسول صلعم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدا خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية
الحكم وعدا بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما حكيما
مبالغا في العلم والحكمة فبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال وليست
التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين لبيان
ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد بها جميع
انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية
بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم اني تبت وذكر الآن لمزيد
تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين
يموتون وهم كفار عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه
لا توبة لهم راسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف
النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على
الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ
كما في قوله تع ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية حينئذ للتغليب ويجوز ان يراد
بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة وفيه مبالغة اخرى اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان

بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدا خبره اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما تكرير الاسناد
لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بكون العذاب معتدا لهم وتنكير العذاب
ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات
قريبه يلقي ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها
بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي
بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل
لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات
عليه وقيل كانوا يمسكونهن حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم
وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف
وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن له حاجة حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه
بمالها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطف على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس و
التضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض
لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب
به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب
منهن لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به الا ان يأتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من بين
بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة
الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة
الزنا وهو استثناء من اعم الاحوال او من اعم الاوقات او من اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن في
حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او
الا في وقت اتيانهن بها او الا لاتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون في
طلب الخلع وعاشروهن بالمعروف خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة
والمراد ههنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن
بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة
النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان
بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا
ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه
خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم
الى ما فيه خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في

الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية تقديره وهو اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر وتنوين خيرا لتفخيمه الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة • وان اردتم استبدال زوج • اي تزوج امرأة ترغبون فيها • مكان زوج • ترغبون عنها بان تطلقوها • وآتيتم احداهن • اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها • قنطارا • اي مالا كثيرا • فلا تأخذوا منه • اي من ذلك القنطار • شيئا • يسيرا فضلا عن الكثير • أتأخذونه بهتانا واثما مبينا • استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي أتأخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل • وكيف تأخذونه • انكار لأخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل الى تحققه ووقوعه اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل • وقد افضى بعضكم الى بعض • حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تأخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك • واخذن منكم ميثاقا غليظا • عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلعم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله • ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم • شروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا فتثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من

المصدر

المصدر • من النساء • بيان لما نكح على الوجهين • الا ما قد سلف • استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى فانه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر وما في قوله تعالى • انه كان فاحشة ومقتا • فاتعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح ممقوتا اشد المقت وانه لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يوسط بينهما ما يهون امره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه • وساء سبيلا • في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح كقولهم بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه وسبيلا تمييز والجملة اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو صفة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار وقيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله تعالى وساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح • حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت • ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له رأسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محليتهن للملك لا بعبارته لشهادة سياق النظم الكريم وسباقه وان لم يوجد المدار المذكور امتنع ورود ملك اليمين عليهن رأسا ولا حرمة بسببه الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح حتى يبعث نعوت محلية له لملك النكاح فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا واما مورد الرقية الموجودة في كل رقيق فيتحقق محله حتما ثم تزول بوقوع العتق في الموارد التي يستحق فيها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطء فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات تنتظم الاخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى • وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة • نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمرضعة اختا وكذا زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم

وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح صح

اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته لامه ومن قوله صلعم يحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام
ام عمه لاب وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تخل بعمومه ضرورة حلهن في صورة الرضاع
بل من جهة المصاهرة الا يرى ان الاولى موطوءة لابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام
موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد • وامهات نسائكم • شروع
في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنساء
المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن اولا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلعم انه
قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج
امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله
وعن ابن عباس رض ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرؤوا
وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت
عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في
الدخول مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق
ونظائرهن في الامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر • وربائبكم اللاتي في حجوركم • الربائب جمع
ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده
وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى بكونهن في الحجور فان شأنهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن
تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة
في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في
حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم
لا تقييد حرمتهن بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رض وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا
في قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن • فانه للتقييد بعادة قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم
او ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم
الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو ظاهر ولا من الكل
لما لا فرق ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها يقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات
يستدعي كونها بيانية ولا عالم كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان لو جعل صلة النساء
مع اختلاف عامليها مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثاله مع انه ليس في المسكات تعلق به
الجمهور حسبما ذكرنا قبل واما ما نقل من العراقية فضعيف الرواية على بعد النحو
ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وفي حكمه اللمس ونظائره كامر
تكونوا • اي من قبل • دخلتم بهن • اصلا • فلا جناح عليكم • اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به

ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه • وحلائل
ابنائكم • اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه
وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى • الذين من اصلابكم • لا
لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية
• وان تجمعوا بين الاختين • في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين
واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عم من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى
الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئها لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم
عليه وطء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطء احداهما حتى
يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطئا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية
منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة
على حرمة الجمع بينهما على سبيل المتعة ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين
افضاؤه الى قطع ما امر الله به ان يوصل وذلك يتحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلعم لا تنكح
المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل
هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب • الا ما قد سلف • استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به
ولا سبيل الى جعله متصلا للقصد الى التاكيد بالمبالغة كما مر في ما سلف لان قوله تعالى • ان الله كان غفورا رحيما • تعليل
لما افاده الاستثناء فيحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه الا ما كان من يعقوب عم ولا يساعده
التعليل لما ان فعله يعقوب عم كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رض كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم
الله تعالى الا امرأة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبيد الله عن محمد بن الحسن رح انه قال كان اهل
الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امرأة الاب والجمع بين الاختين الا ترى انه قد عقب النهي
عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد وياباه اختلاف
التعليلين • والمحصنات • بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء
اي اعففهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او
احصنهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما في نظيريه ملقح ومسهب
من القح واسهب وقيل قد ورد الاحصان في القرآن بازاء اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني
العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع
الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من
النساء وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم • الا ما ملكت ايمانكم •
استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي مملوكة واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه

الغالب من الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لا سيما في اماتهم وهن المرادة هنا رعاية للمقابلة
بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة
العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء حينئذ ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم
بطريق شمول النفي المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن
فانهن ليست من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن
او معهن حسب اختلاف الرأيين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين فان
نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما ملاكهن فلهم حكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا
بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت
حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من فروعات
الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرأيين فمبني على اعتقاد الناس
حيث كانوا حينئذ في لبس عن الفرقة الا ترى ان ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال اصبنا يوم اوطاس
سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلعم وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على
نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية
اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلعم الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطأهن بعد الاستبراء
وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الآية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها
له بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة ونحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه قال
انها نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلعم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن
مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام و
المهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل
من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع
اتحادهما في الدين فلان تنقطع ما بين المهاجرة وزوجها احق واولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن
مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الآية • كتاب الله • مصدر مؤكد اي كتب الله
عليكم تحريم هؤلاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما
بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه
او بنفس عليكم على رأي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله • يا ايها المائح دلوي دونكا •
اني رأيت الناس يحمدونكا • وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل
واحل لكم عطف على حرمت عليكم الى آخره وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة
على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل على حرمت الى
آخره فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه

بحسب

بحسب الظاهر لا سيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى • ما وراء ذلكم • اشارة الى ما ذكر
من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثارها على اسم الاشارة المتعرض لوصف
المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكر ما في كل واحدة منهن من العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة
فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق
العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه
يلزم منه حل الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في
حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق الجمع الا ترى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا
والجمع منه ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا يقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة
وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل انما يتعلق هنا بما تعلق
به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل هنا به ايضا • ان تبتغوا • متعلق بالفعلين
المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتيهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة
واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الا
الابتغاء • باموالكم • بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول • محصنين • حال
من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب • غير مسافحين •
حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه
ومفعول محصنين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن
غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل • فما استمتعتم به منهن • اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال
وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدأ خبرها على
تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى • فآتوهن
اجورهن • والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعائد الى المبتدأ هو الضمير
المنصوب في فآتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية
من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن
فآتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على
تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم
به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن
لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن • فريضة • حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت
لمصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة اي لهن عليكم • ولا جناح عليكم فيما
تراضيتم به • اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى
• من بعد الفريضة • اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي

النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة او تمتعها بما تعطى وقد
ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله ثم نسخت لما روى انه صلعم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس
انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم
مرتين وروى عن ابن عباس رضه انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم انى اتوب اليك من
قولى بالمتعة وفى الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام اللائقة بحالكم
ومن لم يستطع منكم من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع
حالا من فاعل يستطيع اى حال كونه منكم وقوله تعالى طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح لطولا
فان اعمال المصدر المنون شايع ذائع كما فى قوله او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن
لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن فالجار فى محل النصب صفة لطولا اى طولا موصلا اليه او كائنا له او على نكاحهن
على ان الطول بمعنى القدرة وفى القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل
ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائى والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل
والنكاح قدرة واما مفعول ليستطيع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تمييز اى
ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى اى لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة
من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن
عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وجل فمما ملكت ايمانكم
اما جواب للشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة
اى فلينكح امرأة او امة من النوع الذى ملكته ايمانكم وهو فى الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف
ومن تبعيضية اى فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اى
فلينكح ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات فى محل النصب على الحالية من العائد المحذوف فى ملكت
الراجع الى ما وقيل هو مفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية
او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اى فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم
على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم انفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم
الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعى رضه وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا
كما هو رأى اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رضه متمسكا بالعمومات محمل الشرط والوصف على الافضلية ولا نزاع
فيه لاحد وقد روى عن ابن عباس رضه انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية
وان كان موسرا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جىء بها لتأنيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف
منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز قائلا
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم والمعنى انه تعالى
اعلم منكم بمراتبكم فى الايمان الذى به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح فى المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص

الحرية

الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث
الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم فى ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض
اخر مؤكد للتأنيس من جهة اخرى والخطاب اما موجه الى من كما فى الخطاب الذى يعقبه فوروده فيما سبق على لفظ
الجمع باعتبار جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب والتأنيس واما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب
بخطابهم ايضا فايا ما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه الخطاب فى قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى فمما
ملكت ايمانكم تحسينا ذكر لزيادة الترغيب فى نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتقديره بالفاء للايذان بترتبه
على ما قبله اى واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفى اشتراط اذن الموالى
دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له وآتوهن اجورهن اى مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن
اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته
ان يكون الاداء اليهن باذن الموالى فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل اصله فآتوا
اموالهن بحذف المضاف وايصال الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفائف
عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اى غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا لتأكيد
ما فى غير من معنى النفى والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن
وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اى
غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا فى الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اى بالتزويج
وقرئ على البناء للفاعل اى احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اى فعلن فاحشة
وهى الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اى الحرائر الابكار من العذاب من الحد
الذى هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان
كتفاوت حد الحرائر فالفاء فى فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان والشرط الثانى مع جوابه مترتب
على وجود الاول كما فى قولك ان اتيتنى فان لم اكرمك فعبدى حر ذلك اى نكاح الاماء لمن خشى العنت
منكم اى لمن خاف وقوعه فى الاثم الذى يؤدى اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم
بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر يعترى الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم بارتكاب افحش
القبائح وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثانى
لابائها عنه لان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه
من المعاصى خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضه ايما حر تزوج
بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج
خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد فى السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادى وفيه من اختلال
حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى
الناكح والعزة هى اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل

وقد قال عمر الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت ﴿والله غفور﴾ مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر
عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين ﴿رحيم﴾ مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم
في نكاحهن ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ استئناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وبيان كونها جارية على
مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين وقيل اصل الكلام الكريم ﴿يريد الله ان يبين لكم﴾ فزيدت اللام
لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف تقديره بينها دل السابق والسياق اي
يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عليكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد
محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين وينسب الى سيبويه
وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام
ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون
ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا وقال الله وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي اخر
وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب
فيما قالوا باضمار ان اي لعريا ما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر
مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع وينسب هذا الرأي الى
بعض البصريين ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم ﴿ويتوب عليكم﴾
اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي
ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته
فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة ﴿والله عليم﴾ مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها
ما شرع لكم من الاحكام ﴿حكيم﴾ مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة ﴿والله يريد ان يتوب عليكم﴾ جملة مبتدأة
مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من
باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية ولانه على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في التبيين
وقرينيه ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال المباينة بين مضموني
الجملتين كما مر في قوله الله ولي الذين امنوا الاية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها
واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم
المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون
بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ﴿ان تميلوا﴾
عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية
والضمير للذين يتبعون الشهوات ﴿ميلا عظيما﴾ اي بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال
﴿يريد الله ان يخفف عنكم﴾ بما يسر من الرخص فيما عهد لكم من المشاق التكاليف والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
﴿وخلق الانسان ضعيفا﴾ عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات

ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رضي الله ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان
الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل
في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النساء خاصة حيث لا يصبر
عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي
ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخوف علي فتنة النساء وقرئ
ابن عباس رضي وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رحمه الله ثماني ايات في
سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب
عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم و
امنتم ﴿يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل﴾ شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال
والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه
والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم تبحه الشرع
اي لا يأكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي ﴿الا ان تكون تجارة﴾ ﴿عن تراض منكم﴾ استثناء منقطع وعن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اي الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما
ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم يوما ذا كواكب اشنعا او الا ان يكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع
على ان كان تامة اي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اي وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض
غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروات
والمراد بالتراضي مرضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي
حالة الافتراق عن مجلس العقد ﴿ولا تقتلوا انفسكم﴾ اي من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة
وعن الحسن رح لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد
يفعله عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فان القتل الحقيقي لها كما تشير به ايراده
عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقرر النهي وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي
الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة واليه ما روي عن عمرو بن العاص انه تاوله بالتيمم لخوف
البرد فلم ينكر عليه النبي صلعم وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ
المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن
التعرض له لكثرة وقوعه ﴿ان الله كان بكم رحيما﴾ تعليل للنهي بطريق الاستئناف اي مبالغا في الرحمة
والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي والذين هم في معرض التعرض لهم
بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون
توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ﴿ومن يفعل ذلك﴾ اشارة الى القتل خاصة

او بما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما في الفساد عدوانا و
ظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم
الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحال او على العلة اي متعديا وظالما او للعدوان والظلم
وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب الشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلّى وبفتح النون من صلاه
يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي نارا اي نارا مخصوصة
هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف و
اظهار الاجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم
بنون العظمة على طريق الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب
بثواب ازيد او بتوبة اي يغفر لكم سيئاتكم صغائركم ويمحها عنكم قال المفسرون الصلوة الى الصلوة والجمعة الى
الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنبت الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب
رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي عم انها سبع الاشراك بالله و
قتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين
وعن علي رض التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام
وعن ابن عباس رض ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة اقرب منها الى السبع وروي عنه الى السبعين
اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وتحسب ما عليها بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا فا
لكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منهما
ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب وندخلكم
مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم
وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا
او دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف اي لم يدع
فلم يبق الا مسحت الى آخره ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثاره للابهام
عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله عن اكل اموال الناس بالباطل
وقتل النفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض للاموال
بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا
ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك
قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل احد
من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم القدر المؤسس

على الحكم

على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان بخلافه لكان مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي
من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا و
قد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال
سهم وانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهي بقوله عز و
جل للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء
ولعل صيغة المذكر في النهي للتغليب او لان عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب
استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه
باكتسابه اياه تاكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب
الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسألوا الله من فضله عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء
مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى
من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول للتعميم اي واسألوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من
السياق اي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال
اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله ان رسول الله صلعم قال سلوا الله من فضله
فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على
حقيقته بجعل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رض قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا
من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما
يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا
تتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سباق النظم الكريم
المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على
بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية ولكل جعلنا موالي
مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتاكيد الشمول
ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة
في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان
لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته
بالعامل فيما اضيف اليه اعني غير او ولكل قوم جعلناهم موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلناهم موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة
قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اي
وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله الوالدان والاقربون
استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام

المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد
من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدين • والذين عقدت ايمانكم • هم موالي الموالاة كان الحليف
يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة رح اذا اسلم
رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد
الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه
مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وماسحتموهم وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط
ولذلك صدر الخبر اعني قوله تعالى • فآتوهم نصيبهم • بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او
مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الخ جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي
• ان الله كان على كل شيء • من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع • شهيدا • ففيه وعد ووعيد • الرجال
قوامون على النساء • كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر
بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة الاسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف
بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شأنهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين
موهبي وكسبي فقيل • بما فضل الله بعضهم على بعض • الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره
وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او
ملتبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح
بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات الكمال التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي
ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع
القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك • وبما انفقوا من اموالهم • الباء متعلقة بما تعلقت به الاولى وما مصدرية
او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف
اي وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب الذي انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوه في مهورهن ونفقتهن
روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق
بها ابوها الى رسول الله عم فشكى فقال عم لتقتص منه فنزلت فقال عم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد
الله خير • فالصالحات • شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات
منهن • قانتات • اي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لمواجب الغيب اي لما يجب عليهن
حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي صلعم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها
للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية • بما حفظ الله •
ما مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي
حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف

اي

اي بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال • واللاتي تخافون نشوزهن •
خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن
او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض
• فعظوهن • فانصحوهن بالترغيب والترهيب • واهجروهن • بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة • في
المضاجع • اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتات
اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع • واضربوهن • ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح
ولا شائن • فان اطعنكم • بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا • فلا تبغوا عليهن سبيلا • بالتوبيخ والاذية
اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له • ان الله كان عليا
كبيرا • فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب
عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه و
عدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يتعرض لتحققه وان الذي يتوقع منهن ويليق
بشأنهن لا سيما بعد ما كان من الازواج هو الطاعة ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها
• وان خفتم شقاق بينهما • تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعني عدم
الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا
منهما في جانب شق اي جانب غير شق الآخر والخوف هاهنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رض والجزم بوجود الشقاق
لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم
يجر لهما ذكر لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق الليلة
او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها • فابعثوا •
اي الى الزوجين لاصلاح ذات البين • حكما • رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح • من اهله • من اهل الزوج
• وحكما • آخر على صفة الاول • من اهلها • فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه
الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف في انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رأيا ذلك فقيل لهما ذلك وهو
المروي عن علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه • ان
يريدا • اي الحكمان • اصلاحا • اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى • يوفق الله
بينهما • يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة والقى في نفوسهما المودة والرأفة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما
الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشأنهما ويتوقع صدوره عنهما
هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما
فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا
الضميرين للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين
اي ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته

فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ● إن الله كان عليما خبيرا ● بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع
الوفاق ● واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ● كلام مبتدأ مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والأقارب
ونحوهم إثر بيان الأحكام المتعلقة بحقوق الأزواج وصدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي آكد الحقوق وأعظمها
تنبيها على جلالة شأن حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع وشيئا نصب على أنه مفعول أي لا تشركوا به
شيئا من الأشياء صنما أو غيره أو على أنه مصدر أي لا تشركوا به شيئا من الإشراك جليا أو خفيا ● وبالوالدين إحسانا
أي أحسنوا بهما إحسانا ● وبذي القربى ● أي بصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك ● واليتامى والمساكين من
الأجانب ● والجار ذي القربى ● أي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب أو دين وقرئ بالنصب على
الاختصاص تعظيما لحق الجار ذي القربى ● والجار الجنب ● أي البعيد أو الذي لا قرابة له وعنه صلعم الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق
حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو المشرك
من أهل الكتاب وقرئ والجار الجنب ● والصاحب بالجنب ● أي الرفيق في أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة و
سفر فإنه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد أو مجلس أو غير ذلك من أدنى صحبة التأمت بينك
وبينه وقيل هي المرأة ● وابن السبيل ● هو المسافر المنقطع به أو الضيف ● وما ملكت أيمانكم ● من العبيد والإماء
إن الله لا يحب من كان مختالا ● أي متكبرا يأنف عن أقاربه وجيرانه وأصحابه ولا يلتفت إليهم ● فخورا ● يتفاخر عليهم والجملة
تعليل للأمر السابق ● الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ● بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الأول و
بفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان أو نصب على الذم أو رفع عليه أي هم الذين أو مبتدأ
خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويفعلون أحقاء بكل ملامة ● ويكتمون ما آتاهم الله من
فضله ● أي من المال والغنى أو نعوته صلعم التي بينها لهم في التوراة وهو أنسب بأمرهم للناس بالبخل فإن
أحبارهم كانوا يكتمونها ويأمرون أعقابهم بكتمها ● وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ● وضع الظاهر موضع المضمر
إشعارا بأن من هذا شأنه فهو كافر بنعمة الله تعالى ومن كان كافرا بنعمه تعالى فله عذاب يهينه كما أهان النعم بالبخل والإ
خفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للأنصار بطريق النصيحة لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم
الفقر وقيل في الذين كتموا نعوت رسول الله صلعم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها ● والذين ينفقون أموالهم
رئاء الناس ● أي للفخار وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا ابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون
أو على الكافرين وإنما شاركوهم في الذم والوعيد لأن البخل والسرف الذي هو الإنفاق فيما لا ينبغي من حيث إنهما
طرفا تفريط وإفراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز أن يكون العطف بناء على إجراء التغاير
الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام ● وليث الكتيبة في المزدحم ● أو مبتدأ
خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن إلى آخره كأنه قيل والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ● ولا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر ● ليتحروا بالإنفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون أموالهم في عداوة رسول الله صلعم
وقيل المنافقون ● ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا ● أي فقرينهم الشيطان وإنما حذف للإيذان بظهوره
واستغنى عنه بالتصريح به والمراد به إبليس وأعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله

تعالى

تعالى إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ويجوز أن يكون وعيدا لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار ● وماذا عليهم
أي على أي تبعة ووبال عليهم ● لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله ● أي ابتغاء لوجه الله وإنما
لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فإنه يقتضي أن يكون الإنفاق
لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة أي وما الذي عليهم أو أي تبعة ووبال عليهم في الإيمان بالله والإنفاق
في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب
لعله يؤدي بهم إلى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على أن المدعو إلى أمر لا ضرر فيه ينبغي
أن يجيب إليه احتياطا فكيف إذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الإيمان بهما لأهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالإنفاق
بدونه وأما تقديم إنفاقهم رئاء الناس على عدم إيمانهم بهما مع كون المؤخر أقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين إنفاقهم
ذلك وبين ما قبله من بخلهم وأمرهم للناس ● وكان الله بهم ● وبأحوالهم المحققة ● عليما ● فهو وعيد لهم بالعقاب
المعروضة وهو بيان لإثابته تعالى إياهم لو قد آمنوا وأنفقوا لما ينبئ عنه قوله تعالى ● إن الله لا يظلم مثقال ذرة ●
المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على أنه نعت لمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص
أو بمعنى وضع الشيء في غير موضعه أي لا ينقص من الأجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة أو كل
جزء من أجزاء الهباء في الكوة وهو للاستعظام المبالغة فإن قلته في الثقل أظهر من قلة النملة فيه وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه أدخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة ● وإن تك حسنة ● أي وإن
يك مثقال ذرة حسنة أنث لتأنيث الخبر أو لإضافته إلى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف
العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على أن كان تامة ● يضاعفها ● أي يضاعف ثوابها لجعل
ذلك صفة للنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كأنهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ
نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي أنه قال لأبي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك أنك تقول سمعت
رسول الله صلعم يقول إن الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة قال أبو هريرة لا بل سمعته يقول
يعطيه ألفي ألف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ● ويؤت من لدنه ● ويعط صاحبها من عنده
على نهج التفضل زائدا على ما وعده في مقابلة العمل ● أجرا عظيما ● عطاء جزيلا وإنما سماه أجرا لكونه تابعا للأجر مزيدا عليه
● فكيف ● محلها إما الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وإما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي
سيبويه أو على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الأخفش أي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى
وغيرهم أو كيف يصنعون ● إذا جئنا ● يوم القيامة ● من كل أمة ● من الأمم ● بشهيد ● يشهد عليهم بما كانوا عليه
من فساد العقائد وقبائح الأعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون
المبتدأ والخبر من هول الأمر وعظم الشأن أو الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا ● وجئنا بك ● يا محمد ● على هؤلاء ● إشارة
إلى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر ● شهيدا ● تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل إلى الكفرة
المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الأنبياء على أممهم وقيل إلى المؤمنين كما في قوله تعالى
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ● يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول ● استئناف لبيان

حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلعم فالتعبير عنهم
بالموصول لا سيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة
والامر الهائل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول
ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول
حينئذ الجنس المنتظم للنبي صلعم انتظاما اوليا وايا ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله
تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد بمعاصيهم المغايرة للكفر وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين
الكفر وعصيان الرسول والذين كفروا وقد عصوا الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول وقوله
تعالى لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول يود اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض
كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها
وان جعلت حرفية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض بهم وجواب لو
محذوف ايذانا بغاية ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال
سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف
عن الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضي الله عنهم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم
ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي
وتوجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وغاية قوله تعالى حتى تعلموا ما
تقولون فالمعنى لا تقيموها في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤون
في الصلوة وحمل ما تقولون على ما في الصلوة يستدعي تقدم الشروع فيها على غاية النهي وحمل العلم على ما يقوى على معنى
حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤونه في الصلوة تطويل بلا طائل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان اثبات
ما تقولون على ما تقرؤون حينئذ يكون عاريا عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم وايا ما كان
فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلوة كانت
على المؤمنين كتابا موقوتا كأنه قيل يا ايها الذين آمنوا لا تسكروا في اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعدما نزلت
الآية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر
وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كأنه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى
ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابري
سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون

الاولى والعامل فيه فعل النهي اي لا تقربوا الصلوة جنبا في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى
ان في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء
خصوصية البعض المنتفي ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضيهما لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء
لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا
في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر في ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل صفة
لجنبا على ان الا بمعنى غير اي لا جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز
للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وعندنا لا يجوز ذلك الا ان يكون فيه الماء او الطريق فيه وقيل ان
رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك حتى
تغتسلوا غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر
بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره في
الاذهان وفي الآية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها و
يشغل قلبه وان كنتم مرضى شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار
والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى
الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبني على الضرورة التي يدور عليها امر الرخصة كأنه قيل ولا جنبا الا مضطرين
واليه مرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء
كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله او على سفر عطف على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال او
قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فان الاستثناء
كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان باصالته واستقلاله
باحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه او جاء احد منكم من الغائط هو المكان الغائر المطمئن
والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليتوارى بشخصه عن اعين الناس واسناد المجيء
منه الى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذلك
ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل او لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط
الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى
فلم تجدوا ماء بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب
الطهارة الصغرى والكبرى كأنه قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب
مع تحقق ما يوجب وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه فيهما واستغنائهما
عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا
الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او كنتم مرضى الى آخره واما لما قيل من ان عموم
اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظا

وما قيل من ان هذا التقييد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في الكل
مما لا يساعده النظم الكريم ﴿فتيمموا صعيدا طيبا﴾ فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض
ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رح
وعند الشافعي رح لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب ﴿فامسحوا بوجوهكم وايديكم﴾ اي الى المرفقين لما
روي انه صلعم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ﴿ان الله كان عفوا غفورا﴾ تعليل
للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون
ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فان الترخيص والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران ﴿
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب﴾ كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن
موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه الى هنا مع توجيهه فيما بعد الى
الكل للايذان بكمال اشتهار شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها
والرؤية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم احقاء بان يشاهدهم ويتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية
على ان الى لتضمينها معنى الانتهاء كما فعلوه يأباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المعدودة
والمراد بهم احبار اليهود روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا يأتيان رأس
المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطونهم عن الاسلام وعنه رضي الله عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد
ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التوراة وحمله
على جنس الكتب المنتظم لها انتظاما اوليا تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام و
العلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلعم وحقية الاسلام والتنوين للتفخيم المبني على
كونه حظا وافرا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها لا للتحقير كما قيل انه للتقليل
لكونه نصيبا من حقوقهم التي يجب ... للتحقير موافقا لتنكيرها والتوبيخ للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة
على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين
وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر فخامته الذاتية
اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل ﴿يشترون الضلالة﴾ قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب
في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال
اشترائهم الى اخره وانت خبير بانه خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه وان الذي
يقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه
الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ننظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة
ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك
بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض
عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون

وفيه

وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد
يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة حسبما قيل ما كانوا عليه من قبل حتى يخل بمعنى الاشتراء المنبئ
عن تأخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا شأن النبي صلعم وتيقنوا بحقيته
دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة ولا يبعد ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك قد مر في اوائل
سورة البقرة ﴿ويريدون﴾ عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع
فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجددهما حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدده وتكرره
اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلعم ﴿ان تضلوا﴾ انتم ايضا ايها المؤمنون
﴿السبيل﴾ المستقيم الموصل الى الحق ﴿والله اعلم﴾ اي منكم ﴿باعدائكم﴾ جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم
بعداوتهم لكم وما يريدون بكم ليكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير
ارادتهم المذكورة ﴿وكفى بالله وليا﴾ في جميع اموركم ومصالحكم ﴿وكفى بالله نصيرا﴾ في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته
ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد
والباء مزيدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع اظهار
الجلالة في مقام الاضمار لا سيما في الثانية لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتأكيد كفايته عز وجل في كل من
الولاية والنصرة والاشعار بعليتهما فان الالوهية من موجباتهما لا محالة ﴿من الذين هادوا﴾ قيل هو
بيان للاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم لا سيما في معرض الا
الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل
صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرنا من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع
انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما في حيز الصلة ليس وصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ
محذوف وقع قوله تعالى ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ
وفيه انه يقتضي كون النوع السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق
بشأن التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين وقد وسط بينهما ما وسط
لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام
بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم
المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر
الاجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده الكلمة كتمر وتمرة وتذكير ضميره للفظ وجمعية مواضعه
باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به هنا اما ما في
التوراة خاصة واما ما هو اعم منه ومما يحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع
رسول الله صلعم ولا مساغ لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف ﴿ويقولون سمعنا وعصينا﴾
الى اخره على ما قبله عطفا تفسيريا لما يستقف على سره فان اريد به الاول كما هو رأي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه

التي وضعها الله تعالى فيه من التوراة كتحريفهم في نعت النبي صلعم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بان وضعوا
مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزله الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بان اولوه بالتأويلات
الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد من ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك
بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التوراة او بتعيين العقل والدين كمواضع غيره واما ما كان فقولهم سمعنا
وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة وان يحمل على
ما طلقه هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف
التوراة فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية واما حمله على ما قالوه في مجلس النبي صلعم من
القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الاتية وما بعدها بهن من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم
جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة
سواء كان بمحضر النبي صلعم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا للمخالفة **واسمع غير
مسمع** عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبته صلعم خاصة وهو كلام
ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت او مدعوا عليك بلا سمعت
او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا
يخاطبون به النبي صلعم استهزاء به مظهرين له ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول
مطمئنون به **وراعنا** عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له صلعم هذا ايضا يوردون كلام
العظائم الثلث في موافقتها وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا او انتظرنا نكلمك وللشر
بحملها على السب بالرعونة اي الحمق واجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها
وهي راعينا كانوا يخاطبون به عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام ومعبرهم
الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه
بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا
ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به **ليا بالسنتهم** اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى
نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا سمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها
وضما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير **وطعنا في الدين** اي قدحا فيه بالاستهزاء و
السخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك ليصرفوا الكلام عن
وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين **ولو انهم** عندما سمعوا شيئا من
اوامر الله تعالى ونواهيه **قالوا** بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا **سمعنا واطعنا** انما اعيد سمعنا
مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا للتنبيه على عدم اعتباره كيف لا وسماعهم سماع
الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم ليس بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع
القبول مقامه **واسمع** اي لو قالوا عند مخاطبة النبي صلعم بدل قولهم اسمع غير مسمع **وانظرنا** اي ولو قالوا

ذلك

ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من
الاقوال **لكان** قولهم ذلك **خيرا لهم** مما قالوه **واقوم** اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على
بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم
في البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لان هممهم مقصورة على ما ينفعهم **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي ولكن
لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك **فلا يؤمنون**
بعد ذلك **الا قليلا** اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل او الا زمانا قليلا وهو
زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما
ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة [illegible] فيها الا المئونة الا اداي
ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل
يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقران الناطق بهذا الانتفاء حينئذ الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم
بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل
تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل
القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع الايمان ممن
لعنه الله وخذله مع ما فيه من نسبة القراء الى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن
لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد امن بعد ذلك فريق من الاحبار
كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي **يا ايها الذين اوتوا الكتاب** تلوين للخطاب وتوجيه له
الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التوراة
واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالة
ما اوتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل بعضها فوصفوا بايتائه
واما ههنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق
موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم
الكفر بالتوراة بنفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القران مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق
بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق الكل المتضمن له حتما واما اليهم فالى غيرهم قاطبة والاول اظهر
واما ما كان فتفصيلها فصل لما كان من مطالع اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقيب ذلك
بالامر بما يدر الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل **امنوا بما نزلنا** من
القران عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل **مصدقا لما معكم** من
التوراة عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها و
المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القران مصدقا لها ومعنى
تصديقه اياها نزوله حسبما نعتت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد

والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما ترائى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب
تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره
متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تاخر نزول المتقدم نزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول
المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس
وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد
على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق
غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي ابهامها
لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة الاعلام اي آمنوا من
قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رض نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة
والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها
على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء
والاقفاء الى موضعها وقد اكتفي بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى
مطلق التغيير اي من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او
نردهم من حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد
الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه من الوجوه هو الصحيح وقد اختلف في ان الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا والاخرة فقيل
كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى
رسول الله صلعم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي
وفي رواية جاء الى النبي عم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رض قرأها على كعب
الاحبار فقال يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر بعد ولا بد من في اليهود
مسخ وسوء ولعل فيه ان انصراف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات
حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلعم فكذبوها وفي التوراة فحرفوها واصروا على الكفر والعناد
وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعدما مات من السنين اي من اعقابهم الغابين اخلافهم
العاملين لهم بمواقف من خواص الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان
وقد آمن من احبارهم المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتاكد نزول العذاب
على الباقين لتشديدهم الكفر والعناد وبعدا عن الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا
يكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت
فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ
ليس بمعتبر البتة وانت خبير بان اللعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على
الطمس والرد على الادبار دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد

ان

لابد ان يكون امرا حادثا مرتبا على الوعيد محذورا عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد انه وقع عليهم لعن
بهذا الوصف اي الواقع عليهم ما تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذي الفوه وهو بمعزل من صلاحية ان
يكون حكما لهذا الوعيد او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة
احد الامرين وكلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رض فمبني على الاحتياط اللائق
بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل الذي يرمز اليه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل في
الزجر وعليه مبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الثاني والله تعالى اعلم واياما كان فلعل
السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جنايتهم التي
هي التغيير والتحريف والله هو العليم الخبير وكان امر الله اي ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شيء ما من الاشياء مفعولا
نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ووضع الاسم الجليل
موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر
ان يشرك به كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة
المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى اي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر
اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة في النار
ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه بكفرهم
بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه جواز مغفرة ما دون كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي
لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي
الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون
ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالذكر للايذان ببعد درجته وكونه
في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من
غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتهما لمن اتصف
بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة باهل
الايمان من متممات الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة
عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان ما في النظم الكريم لاظهار ركاكة جريمة
الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر
البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر
قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية
لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود والذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من

اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلعم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما
عملنا بالنهار نكفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اى انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه
من الكفر والاثم العظيم ومن ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر الله شيئا من كفره او معصية منه تحذير من اعجاب
المرء بنفسه وبعمله بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم و
بطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم بما ينطوي
عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول
ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اى يعاقبون بتلك
الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا اى ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به
المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف
يفترون على الله الكذب كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش
والعامل يفترون وبه يتعلق على اى في اى حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة تلك الحال و
كمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر معلق بها وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه
متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم
الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول
جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر
وسائر معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتأكيدا للتعجيب والتعرض لعنوان الكذب مع ان الافتراء لا يكون
الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اى بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته
لتزكيتهم انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم اشد
اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره وجعل المعنى لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر
الافتراء فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب
لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح وقوله عز وجل يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين
لمادة التعجب مبني على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الى آخره والجبت
الاصنام وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة
والطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
اليهوديين خرجا الى مكة شرفها الله في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلعم وينقضوا
العهد الذي كان بينهم وبينه عم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا
لآلهتنا حتى نطمئن لكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا
وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا
يقول محمد ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد

محمد قال يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك
العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا اى لاجلهم وفي حقهم
هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اى اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس
من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تشنيعا لهم بالتوصيف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين بالقبيح اولئك
اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
الذين لعنهم الله اى ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستأنفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله
اى يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص
على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل واحد يتأتى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير
عن عدمه بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي
بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل
للاضراب والانتقال من ذمهم بتزكية انفسهم وغيرها مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط
وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذن لا يؤتون
الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا
شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية
الجزائية لشرط محذوف اى ان جعل لهم نصيب منه فاذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة
من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شأنهم
كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان يكون الهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع
والتوبيخ عليه اى بعده منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين
على معنى الهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا
يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه الك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة
اذن تأكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب علة للمنع ام يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة
للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه
واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلعم والمؤمنين وحمله على الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات
البشرية قاطبة فكأنهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حال آل ابراهيم فان ذلك لتذكير ما بين الفريقين من
العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه فانهم كانوا يطمعون ان يكون
النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اى بل ايحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني
النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو
مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان
استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال

العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابراهيم الذين هم
اسلاف محمد عم وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف
يستبعدون نبوته عم ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك
من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياء ذريته عليهم السلام خاصة والضمير المنصوب في
الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضه الملك في آل
ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عم وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق
لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك
تشريف للكل لاغتنامهم بآثاره واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي
من تأكيد الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر حينئذ ان
يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير ان يكون له دخل
في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما اوتي آل ابراهيم عم ومنهم من اعرض عنه
واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث آل ابراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث
المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله
وكذا جعلهما لرسول الله صلعم اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء
المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان يكون المراد هو ما يستمر حسدهم ونصبهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا اه
تعليلا له بدلالة على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل بل أيحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل ابراهيم فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم
ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلعم وكفى بجهنم سعيرا
نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول
الله صلعم فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله او بعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس
المتناول لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عم سوف
نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد فتفيدان
التأكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم
جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا لا من قبيل بدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد محترق
عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للجلد المحترق والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها
صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع
كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال ابن عباس رضه
يبدلون جلودا بيضاء كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ اعدها
فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضه هكذا سمعت رسول الله عم

وقال

وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلعم ان ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضه انه قال رسول الله
ضرس الكافر وناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته
بل لبيان ان احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان
بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تأثيره من حيث ان القوة الذائقة
اشد الحواس تأثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك
العذاب وذوقه بحالها مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم
زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التألم والعذاب صيانة بدنها
عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا ينازعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة
تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل
الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات الكمال والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال
الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا
بمقتضاها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا
على الاسم الجليل وفي السين تأكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وفيه
عز وعلا لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس
الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة
او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فنانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس اللهم ارزقنا ذلك
بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيده كما في ليل اليل ويوم اليوم وقرئ
يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا
نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتأكيد وجوب
الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشأنه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم
جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في
عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلعم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب
الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله صلعم لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضه يده و
اخذه منه وفتح ودخل النبي صلعم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضه اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق
فقال لقد انزل الله في شأنك قرآنا فقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فهبط جبريل عم وان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو

امر الولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كان قوله تعالى ● واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل ● امرا لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المامور به هنا
مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا وقوله
تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين وبمقدر
بدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الى اخره وقوله تعالى
بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف ● ان الله نعما يعظكم به ● ما اما
منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات
والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن
استدعاء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ● ان الله كان سميعا ● باقوالكم ● بصيرا
بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر انفا وفيه تاكيد الكل من الوعد والوعيد ● يا ايها الذين
امنوا ● بعد ما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر
الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلعم حيث قيل ● اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم ● وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين
ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله سبحانه وتعالى والرسول
عم في وجوب الطاعة لهم وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم ● فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله ● اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه
الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتبها على ما قبلها فان بيان
حكم طاعة اولي الامر منكم في امر من امور الدين فارجعوا فيه الى كتاب الله ● والرسول ● اي الى سنته و
قد استدل به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون
بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله
فانه يدل على ان الاحكام ثلثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ● ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ● متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من
المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم
الاخر فردوه الى اخره فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الاخر فلما فيه
من العقاب على المخالفة ● ذلك ● اي الرد المامور به ● خير لكم ● واصلح ● واحسن ● في نفسه ● تاويلا ● اي عاقبة
ومالا وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه
بالخيرية الكاملة في الحسن في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه
التحذير السابق ● الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك ● تلوين للخطاب
وتوجيه له الى رسول الله صلعم تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله

باليوم هو

ووصفهم

ووصفهم بادعاء الايمان بالقران وبما انزل من قبله اعني التوراة لتاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ
والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل
وقوله عز وجل ● يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت ● استيناف سيق لبيان محل التعجيب مبني على
سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الى اخره روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلعم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما
الى رسول الله صلعم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضه فقال اليهودي قضى لي
رسول الله صلعم فلم يرض بقضائه فقال عمر رضه للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر رضه مكانكما حتى اخرج اليكما
فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله
ورسوله فهبط جبريل وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلعم انت الفاروق فالطاغوت
كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلعم او على التشبيه بالشيطان والتسمية
باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلعم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت
كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي
ان الحادثة وقعت في قتيل بين بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلعم وابى المنافقون منهما
الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار حينئذ في معرض التعجيب والاستقباح على ذكر
ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضي منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت
الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتورية فان ذلك مما يقتضي كونهم من منافقي
اليهود ويقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتورية وليس التحاكم الى كعب بن
الاشرف بهذه المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى ● وقد امروا ان يكفروا به ● كونهم مامورين بكفره
في الكتاب بعينه وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته كالكهنة ونظرائهم لا من عداهم ممن لم يشتهر
بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير
يريدون مفيدة لتاكيد التعجيب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا ● ويريد الشيطان ان
يضلهم ضلالا بعيدا ● عطف على يريدون داخل في حكم التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم
اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله تعالى فانبتها الله نباتا حسنا
اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا واياما كان فوصفه بالبعد الذي
هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى ● تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول ● تكملة لمادة التعجيب ببيان اعراضهم
صريحا عن التحاكم الى كتاب الله ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت و
قرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا
في اية ان اصلها ايية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصارت تعالوا ومنه
قول اهل مكة للمراة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك

الهموم تعالى يخاطب بها عمامة تعزّز فوق الاعصان وهو مسجون وقبله ا يضحك ما سور ويبكي طليقة
ويغرح مخزون ويندب سالي رأيت المنافقين اظهارا سما فقيل في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم
والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة
مفعول ثان لها والاول هو الاسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون عنك
اعراضا واي اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر للصد اللازم والصد مصدر للصد اللازم
والصد مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى فكيف
شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية وحاله عاقبتها اي كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة
المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى
الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤوك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع
حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله
حال من فاعل جاؤوك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد على ما فعلوا وانهم سيندمون
عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله تعالى
فقالوا اردنا باحتجاج المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة
الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم
اي من فنون الشرور والفسادات المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف
اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة استتابتهم ولا تظهر لهم علمك بما في
بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم
اي في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا
بالنصيحة لانها في السر انجع قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على
التقدير متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على رأي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا
في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل
والاستئصال والايذان بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب
لاشد العقوبات وانما هذه المكافة والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق
وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق لينالنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن
الله كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها
بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل
اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه فطاعته طاعة الله ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول فقد
اطاع الله او بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها على عذاب النفاق

ترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤوك من غير تاخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم
السابقة والى ربه ولم يزدادوا جناية على جناية بالتصدي الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة فاستغفروا
الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله واستغفرت لهم وانما قيل
واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان
شفاعته في حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر
الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه اياما كان ففيه فضل ترغيب
وتحريض في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لاولئك المنافقين على ما صنعوا الا ان ظهور تباشير
قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلهما وتمام
الحسرة على فواتها فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم لا لتاكيد النفي في جوابه اعني قوله تعالى لا
يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اي
يتحاكموا اليك ويرافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه عليه السلام حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام
حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما شجر بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور
واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من اجله اذا الشاك
في ضيق من امره ويسلموا اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم
وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي
ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل في شأن الزبير
ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير
ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري فقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير
ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه سعة له ولخصمه
فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري
قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه
في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى عليه السلام فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم
ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم
مني الصدق لو امرني محمد صلى الله عليه وسلم ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزل في شأن
هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على
بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان
كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين الا قليل منهم اي الا
اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي

الذي لم يفعل من ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب
على الاستثناء او الا قتيلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عم وطاعته والانقياد لما يراه
ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تع ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اي فعلهم ذلك
خيرا لهم عاجلا واجلا واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم
واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو تثبتوا
لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم
ابواب الغيب قال صلعم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستانف فيه فضل
ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما تمتد اليه اعين
عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما
اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي فاولئك اشارة
الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر
للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب الشرط و
ترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر
الانبياء عليهم السلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلعم متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم
التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلعم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات
النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلعم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا
رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي
فياخذني مثل الجنون حتى اراك فذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة
ادنى من منزلتك فلم يرد النبي عم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلعم كان شديد الحب له عم
قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله صلعم عن حاله فقال
يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت
الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك
وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلعم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه
من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رض وروي ان انسا قال يا رسول
الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال صلعم المرء مع من احب والصديقين اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين
في صدقهم واخلاصهم في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم السلام واماثل خواصهم
المقربين كابي بكر الصديق والشهداء الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله واعلاء كلمته والصالحين
الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في
دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الاخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة وحسن

اولئك

من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم الحديث

وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا
فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر انفا فرفيقا اما تمييز او حال على
معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق
والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى
المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفق من النبيين ومن بعدهم لا بالحسن في انفسهم ولا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه
الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله
بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء
المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدا وقوله
تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تع لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق
بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تع لا ان اعمال المكلفين
توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم
الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال
اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما من السلاح والحزم اي استعدوا
للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال
فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض عنها هاء التانيث وهل هي واو او ياء فيه قولان
قيل انها مشتقة من ثبا يثبو كحلا يحلو اي اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه
ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا
جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اي ليتثاقلن و
ليتخلفن عن الجهاد من بطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلعم كلهم المؤمنون منهم والمنافقون
والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا من الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطا منقولا من بطؤ كثقل من ثقل
كابن ابي يوم احد واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب
قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه قد انعم الله علي اي بالقعود اذ لم اكن
معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر الشرطية
مستتبع لذكر ما يترتب عليها كان التثبيط مستتبع لشيئ ينتظر المبطئ وقوعه ولئن اصابكم فضل كفتح
وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اي فضل كائن من الله تع ونسبة اصابة الفضل
الى جناب الله تع دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه واذا مرضت فهو يشفين
وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثرهم فيها اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده
وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من كان لم

تكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما
لسلامتهم من مطلع كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص
على المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية
حال من ضمير ليقولن اي ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اي ليقولن المثبط لمن ثبطه من المنافقين
وضعفة المؤمنين كان لم تكن بينكم وبين محمد صلعم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم
وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلعم وتاكيدها وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف
وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله فافوز نصب
على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت
داخل معه تحت التمني فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة
اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب لشرط مقدر اي ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون
انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا
عليه من التثبيط والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف
نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال بالامرين للاشعار بان المجاهد حقه
ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر
روى ابو هريرة رضه ان رسول الله صلعم تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيله وتصديق
كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة وما لكم خطاب للمامورين
بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتاكيد الوجوب وهو مبتدا وخبر وقوله عز وجل
لا تقاتلون في سبيل الله حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شيء لكم غير
مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم
عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان
سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء و
الولدان بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة
مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب الرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان ارغاما لآبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص لسياقه
تشركهم في الضرع الى الله تعالى كل ذلك مبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال
لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا الذين محله الجر
على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم
اهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم
الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من

لدنك

من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز
الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده
ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤول
نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام
في قوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيرا قال ابن عباس رضه اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا
ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة
وجعل لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه صلعم فتولاهم اي تول ونصرهم اي نصر ثم استعمل عليهم
عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن
انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقه للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
كلام مبتدا سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي
المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا
اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان
والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية
عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف
كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا
اي في حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فائدة
ادخال كان في امثال هذه المواقع التاكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا
بالضعف ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلعم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل
ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر
بكونهم بصدد بسطها الى العدو وبحيث يكادون يبسطونها قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي صلعم منهم
عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري
رضه كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي صلعم ويقولون ائذن لنا في
قتالهم ويقول لهم النبي صلعم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه ولان المقصود بالذات والمعتبر في التعجيب
انما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي
لتحققه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين
على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلعم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك
عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة
البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال الى آخره وهو عطف على قوله قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائي

أو حسبة بتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور التعجيب كأنه قيل ألم تر إلى الذين كانوا حراصًا
على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى ● إذا فريق منهم يخشون الناس ● جواب لما على أن فريق
مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديرها بإذا المفاجأة لبيان مسارعتهم إلى الخشية
آثر ذي أثير من غير تلعثم وتردد أي فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أن يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب إلى
الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للإيذان بأنه ما كان ينبغي أن يصدر عن أحدهم ما ينافي حالتهم الأولى وقوله
تعالى ● كخشية الله ● مصدر مضاف إلى المفعول محله النصب على أنه حال من فاعل يخشون أي يخشونهم مشبهين لأهل خشية
الله تعالى وقوله تعالى ● أو أشد خشية ● عطف عليه بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله أو على أنه مصدر مؤكد
على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد جده أي يخشونهم مثل خشية الله أو خشية أشد من خشية الله وأيًا ما كان
فكلمة أو إما للتنويع على معنى أن خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم أشد منها وإما للإبهام على السامع وهو
قريب مما في قوله تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون يعني أن من يبصرهم يقول إنهم مائة ألف أو يزيدون ● وقالوا ●
عطف على جواب لما أي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس ● وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال ●
في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والإنكار لإيجابه بل على طريقة تمني التخفيف ● لولا أخرتنا إلى
أجل قريب ● استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر حذرًا عن الموت وقد جوز أن يكون هذا مما نطقت
به ألسنة حالهم من غير أن يتفوهوا به صريحًا ● قل ● أي تزهيدًا فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبًا فيما ينالونه
بالقتال من النعيم الباقي ● متاع الدنيا ● أي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا ● قليل ● سريع التقضي وشيك الانصرام وإن أخرتم
إلى ذلك الأجل ● والآخرة ● أي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال ● خير ● أي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته
وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وإنما قيل ● لمن اتقى ● حثًا لهم على اتقاء العصيان والإخلال بمواجب التكليف
● ولا تظلمون فتيلًا ● عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي تجزون فيها ولا تنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جملتها
مساعيكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة
وقرئ يظلمون بالياء إعادة للضمير إلى الظاهر من ● أينما تكونوا يدرككم الموت ● كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى
بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلعم إلى المخاطبين اعتناء بإلزامهم إثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن
الآخرة بواسطته عم فلا محل له من الإعراب أو في محل النصب داخل تحت القول المأمور به أي أينما تكونوا
في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لأجله تكرهون القتال زعمًا منكم أنه مظانه وتحبون القعود عنه على زعم أنه منجاة
منه وفي لفظ الإدراك إشعار بأنهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله
من يفعل الحسنات الله يشكرها أو على اعتبار وقوع أينما كنتم في موقع أينما تكونوا أو على أنه كلام مبتدأ وأينما تكونوا متصل بلا
تظلمون أي لا تنقصون شيئًا من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ● ولو كنتم في بروج مشيدة ●
في حصون رفيعة أو قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء وأشاده وشيده رفعه
وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفًا لها بفعل فاعلها مجازًا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو
طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادًا على دلالة ما قبله عليه أي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت

والجملة معطوفة على أخرى مثلها أي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم إلى آخره وقد اطرد حذفها لدلالة
المذكورة عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة
يدور ما في لو الوصلية وإن الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى أولو كان آباؤهم
لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون [illegible] شدة الكفرة ومكرهم فإن ما صدر بعسى مقرر الوقوع
من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي أن رسول الله صلعم واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي
القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج فكرهه بعضهم فخرج رسول الله صلعم في سبعين راكبًا ووافوا الموعد
وألقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران وروي أن رسول الله صلعم وافى بجيشه بدرًا وأقام بها
ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها وأصابوا خيرًا كثيرًا وقد مر في سورة آل عمران ● والله أشد بأسًا ● أي من قريش
● وأشد تنكيلًا ● أي تعذيبًا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي إليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها
وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد التشديد وقوله تعالى
● من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ● أي من ثوابها جملة مستأنفة سيقت لبيان أن له عم فيما أمر به من تحريض
المؤمنين حظًا موفورًا فإن الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص إلى منفعة من المنافع الدنيوية والأخروية
أو خلاصه عن مضرة كذلك من الشفع كأن المشفوع له كان فردًا فجعله الشفيع شفعًا والحسنة منها ما كانت في
أمر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير أن يتضمن غرضًا من الأغراض الدنيوية وأي
منفعة أجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه عم على الجهاد من المنافع الدنيوية والأخروية وأي مضرة أعظم مما تخلصوا
منه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيه الدعاء للمسلم فإنه شفاعة إلى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روي أنه
عم من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود
● ومن يشفع شفاعة سيئة ● وهي ما كانت بخلاف الحسنة ● يكن له كفل منها ● أي نصيب من وزرها مساوٍ لها في
المقدار من غير أن ينقص منه شيء ● وكان الله على كل شيء مقيتًا ● أي مقتدرًا من أقات على الشيء إذا قدر عليه أو شهيدًا
حفيظًا واشتقاقه من القوت فإنه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين ● وإذا حييتم بتحية ● ترغيب
في فرد شائع من أفراد الشفاعة الحسنة إثر ما رغب فيها على الإطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة السيئة
وأرشد إلى توفية حق الشفيع وكيفية أدائه فإن تحية الإسلام من المسلم شفاعة منه لأخيه إلى الله عز وجل والتحية
مصدر حيّى أصلها تحيية كتسمية من سمّى وأصل الأصل تحيي بثلاث ياءات فحذفت الأخيرة وعوض عنها تاء التأنيث
وأدغمت الأولى في الثانية بعد نقل حركتها إلى الحاء قال الراغب أصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت
في كل دعاء وكانت العرب إذا لقي بعضهم بعضًا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الإسلام
قال تعالى ● تحيتهم فيها سلام ● وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على
التحية لما أنه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء بطول
الحياة ذلك ولأن السلام من أسمائه تعالى فالبداءة بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته أي إذا سلم عليكم من جهة المؤمنين
● فحيوا بأحسن منها ● أي بتحية أحسن منها بأن تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله إن اقتصر المسلم على الأول وبأن

تزيدوا وبركاته ان جمعها المسلّم وهي النهاية لاستجماعها جميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع
ودوامها ونماؤها ﴿او ردوها﴾ اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال وعليك
فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عم انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب
التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس
رض الرد واجب وما من رجل مر على قوم مسلمين فسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه
الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم
على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل
على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب
الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رح لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلعم
اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي
بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية
بالاحسن عند كون المسلّم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا ﴿ان الله كان على كل شيء حسيبا﴾ فيحاسبكم على كل
شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به ﴿الله لا اله الا هو﴾
مبتدأ وخبر وقوله تع ﴿ليجمعنكم الى يوم القيامة﴾ وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب
او خبر ثان للمبتدأ او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ اي في يوم القيامة او في الجمع حال من اليوم
او صفة من المصدر اي جمعا لا ريب فيه ﴿ومن اصدق من الله حديثا﴾ انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى
في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره ﴿فما لكم﴾ مبتدأ وخبر والاستفهام
للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تع ﴿في المنافقين﴾ متعلق
اما بما تعلق به الخبر اي شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم وشأنهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل
عليه قوله تع ﴿فئتين﴾ من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنتين
في المنافقين فانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شأن صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في
تفترقون وانتصاب فئتين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز وجل فما لكم عن
التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرا اي ما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح
لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم
بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله صلعم في الخروج الى البدو
معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم
هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلعم يوم احد ثم رجعوا وبايعوا ما ... من جعل الهجرة
غاية للنهي عن موالاتهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلعم ويرده ما سيأتي من

انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة ...

الآيات

الآيات الآتية طائفة مستمرة المعاملة بينهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل
ولم يتفق في امرهم اختلاف المسلمين ﴿والله اركسهم﴾ حال من المنافقين مفيدة لتأكيد الانكار السابق واستبعاد
وقوع المنكر ببيان وجود المنافي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم الى
الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تع قد ردهم في الكفر ﴿بما كانوا﴾ اي بسبب ما ﴿كسبوا﴾
كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلعم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية
اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسهم مخففا
مخففا ﴿اتريدون ان تهدوا من اضل الله﴾ تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم
ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم
وهو بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة
الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكاره
ببيان انه محال لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله عز وجل
﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ اي سبيلا من السبل فضلا ان يهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله
تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره وحمل اضلاله تع على حكمه وقضائه بضلاله مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء
وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال
من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو او اعتراض تذييلي مقرر لانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية ويجوز
ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين وغيرهم ﴿ودوا لو تكفرون﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان
غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب
وهي مع ما بعدها نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تع ﴿كما كفروا﴾ نصب على انه نعت لمصدر محذوف
اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى ﴿فتكونون سواء﴾ عطف على تكفرون
داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف
وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر
من وداد كفركم فلا توالوهم ﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى
ورسوله عم لا لغرض من اغراض الدنيا ﴿فان تولوا﴾ اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة
﴿فخذوهم﴾ اذا قدرتم عليهم ﴿واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا
﴿ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا﴾ اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا ﴿الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ استثناء من قوله تع فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى
قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلعم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر
الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم بنو
بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة ﴿او جاؤكم﴾ عطف على الصلة اي والذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال

وقتالكم وبينهم استثنى من المأمور بأخذهم وقتلهم فريقان أحدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين أو أتى قوم
كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والأول مستفاد بما سيأتي من قوله تع فإن اعتزلوكم إلى آخره فإنه صريح في أن
كفهم عن القتال أحد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاؤوكم بغير عاطف على أنه صفة بعد صفة أو بيان ليصلون
أو استئناف ● حصرت صدورهم ● حال بإضمار قد بدليل أنه قرئ حصرةً صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم
وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاؤوا أي جاؤوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤوكم
وهو بدل جاؤوا رسول الله غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ● أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ● أي عن أن
يقاتلوا أو لأن يقاتلوكم أو كراهة أن يقاتلوكم إلى آخره ● ولو شاء الله لسلطهم عليكم ● جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل
لاستثناء الطائفة الأخيرة من حكم الأخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الأولى الجارية مجرى المعاهدين
مع عدم تعلقهم بهم وللأمن عنهم كالطائفة الأولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد ● فإن اعتزلوكم ● ولم
يتعرضوا لكم ● فلم يقاتلوكم ● مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله عز وجل ● وألقوا إليكم السلم ● أي الانقياد والاستسلام
وقرئ بسكون اللام ● فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ● طريقا بالأسر أو بالقتل فإن مكافتهم عن قتالكم وإن لم يقاتلوا
قومهم أيضا وإلقاءهم إليكم السلم وإن لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ● ستجدون
آخرين ● يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم ● هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا المدينة أسلموا و
عاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار و
كان ديدنهم ما ذكر ● كلما ردوا إلى الفتنة ● أي دعوا إلى الكفر وقتال المسلمين ● أركسوا فيها ● قلبوا فيها أقبح قلب
وأشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير ● فإن لم يعتزلوكم ● بالكف عن التعرض لكم بوجه ● ويلقوا إليكم السلم
أي لم يلقوا إليكم الصلح والعهد بل نبذوه إليكم ● ويكفوا أيديهم ● أي لم يكفوها عن قتالكم ● فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم ● أي تمكنتم منهم ● وأولئكم ● الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة ● جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا
حجة واضحة في الإيقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وجلاء حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام
أو تسلطا ظاهرا حيث أذن لكم في أخذهم وقتلهم ● وما كان لمؤمن ● أي وما صح له ولا لاق بحاله ● أن يقتل
مؤمنا ● بغير حق فإن الإيمان زاجر عن ذلك ● إلا خطأ ● فإنه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت
الطاقة البشرية وانتصابه إما على أنه حال أي ما كان له أن يقتله في حال من الأحوال إلا حال الخطأ أو على أنه صفة لمصدر
أي إلا قتلا خطأ وقيل إلا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى
النهي والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد إلى الفعل أو إلى الشخص
أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه وقرئ خطاء بالمد
وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر إلى المدينة
خوفا من أهله وذلك قبل هجرة النبي صلعم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل
ومعه الحارث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس
محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه

وجلده

وجلداه كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن
أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث و
هاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله صلعم فقال قتلته ولم
أشعر بإسلامه فنزلت ● ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة ● أي فعليه أو فموجبه تحرير رقبة ● أي إعتاق
نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالرأس ● مؤمنة ● محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة ● ودية مسلمة إلى
أهله ● مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ابن سفيان الكلابي كتب إلي رسول الله صلعم
يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها ● إلا أن يصدقوا ● أي يتصدق أهله عليه سمي العفو عنها
صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي عم كل معروف صدقة وقرئ إلا أن يتصدقوا وهو متعلق بدية
أو مسلمة أي تجب الدية أو يسلمها إلى أهله إلا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرف أو الحال
كونهم متصدقين عليه فهو حال من الأهل أو القاتل ● فإن كان ● أي المقتول ● من قوم عدو لكم ● كفار محاربين ● وهو
مؤمن ● ولم يعلم به القاتل لكونه بين أظهر قومه بأن أسلم فيما بينهم ولم يفارقهم أو بأن أتاهم بعدما فارقهم لمهم من
المهمات ● فتحرير رقبة مؤمنة ● أي فعلى قاتله الكفارة دون الدية إذ لا وراثة بينه وبين أهله لأنهم محاربون
وإن كان ● أي المقتول المؤمن ● من قوم ● كفرة ● بينكم وبينهم ميثاق ● أي عهد موقت أو مؤبد ● فدية ● أي فعلى
قاتله دية ● مسلمة إلى أهله ● من أهل الإسلام إن وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للإشعار
بالمسارعة إلى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق ● وتحرير رقبة مؤمنة ● كما هو حكم سائر المسلمين ولعل إفراده بالذكر
مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله ومن قتل مؤمنا خطأ إلى آخره لبيان أن كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب
الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي أو المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث
بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما ● فمن لم يجد ● أي رقبة ليحررها بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها من الثمن
● فصيام ● أي فعليه صيام ● شهرين متتابعين ● لم يتخلل بين يومين من أيامهما إفطار ● توبة ● نصب على
أنه مفعول له أي شرع لكم ذلك توبة أي قبولا لها من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو مصدر مؤكد لفعل محذوف أي تاب
عليكم توبة وقيل على أنه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى ● من الله
متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة أي كائنة منه تعالى ● وكان الله عليما ● بجميع الأشياء التي من جملتها حاله ● حكيما
في كل ما شرع وقضى من الشرائع والأحكام التي من جملتها ما شرع في شأنه ● ومن يقتل مؤمنا متعمدا ● لما بين حكم
القتل خطأ وفصل أقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا خلا أن حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة
اقتصر ههنا على حكمه الأخروي روي أن مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه قتيلا
في بني النجار فأتى رسول الله صلعم وذكر له القصة فأرسل عم معه زهير بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر
إلى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل إلى مقيس ليقتص منه إن علموه وبأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تع ولرسوله
صلعم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فأتوه بمائة من الإبل فانصرفا راجعين إلى المدينة حتى إذا كانا ببعض
الطريق أتى الشيطان مقيسا فوسوس إليه فقال أتقبل دية أخيك فتكون مسبة عليك اقتل الذي معك فتكون

نفسا بنفس وفضل الديه فتقعد الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى
مكة شاكرا وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار اصحاب فارع وادركت ثاري واضطجعت موسدا
وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلعم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق
باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي بسكون التاء كانه فر من توالي الحركات
فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام
كانه قيل فجزاؤه ان يدخله جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه يناسب
عطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر لتحال ولتعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام
اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان يكون جزاؤه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما يستفاد
عليه حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر
يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاؤه ذلك وغضب عليه
اي انتقم منه ولعنه اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على
المعنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظايره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الى اخره واعد له في
جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره ولما ترى في الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد
تأيدت بما روي من الاخبار الشداد كقوله صلعم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن
وقوله عم لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشترك في دمه وقوله عم من اعان على قتل مؤمن
بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة
بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها والا لما قيل من انها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة
واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم
عذابهم وما روي عن ابن عباس رض انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا
قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن انس رض قال النبي صلى الله
ان يجعل لقاتل المؤمن من توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس رض ان رجلا سأله القاتل المؤمن توبة قال
لا وسأله اخر القاتل توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت
كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال
في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي عم انه قال هو جزاؤه
ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب
ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وبهذا وردت
السنة عن رسول الله صلعم في حديث انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه له
ومن اوعده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه تعالى بان

جزاؤه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزي كل
سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين امنوا اثر ما بين حكم القتل بقسميه وان ما يتصور
صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل
الله اي سافرتم للغزو ولما في اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء اي فاطلبوا بيان الامر في كل
ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثباته وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن
القى اليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف
وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا لمن حياكم بتحية الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام
والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ
مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا السبب بنزول الاية كما سيأتي والاقتصار على ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولى
مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان
ان تحية الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون
عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على ان يكون النهي راجعا الى القيد
فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع
النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا
ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل
للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من
مراعاة المقارنة بين التعليل وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت
وجوههم الى اخره وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم
لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم
واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر
كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال
من غير وقوف على تواطئ الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ومن
حسب ان المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير
انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه
وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة
ولا تقولوا الى اخره فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم ترتب على ما
المانع نفسه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة الشهادة وان ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما
لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتأتى بتعييره منه تعالى انه ترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم جميعا

ذكرت حتى تظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله أيضاً لحكم المنزّه فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسّر بما فسّر
لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب معانيهم وأموالهم على ما ذكر فمن أين له أن يقول فحقنت دماؤكم وأموالكم حتى
يتأتى البيان وارتكاب تقديره بناءً على اقتضاء ما ذكر في تفسير الآية بناءٌ على أساس واهٍ كيف وإن ما ذكره
بصدد التفسير وإن كان أمراً متفرعاً على فيئه المحاكم مبنياً عليه في حقهم لكنه ليس بحكم لزم إثباته في حقه بناءً على ثبوته
في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق أن يتعرض له ولا بأمر له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الإسلام من المداخلين حتى
يصح نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم أن تفعلوا إلى آخره وحمل الكلام على معنى أنكم في أول الأمر كنتم مثله
في قصور الرتبة في الإسلام فمنّ الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حالته نظراً إلى حالكم
هذه بل اعتبروها بطرفي حالكم السابقة [illegible] يرده أن قتله لم يكن للاستقصار إسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه
هذا وإن الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من أهل فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم
سرية لرسول الله صلعم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه
إلى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبّروا كبّر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله
أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلعم فوجد وجداً شديداً وقال قتلتموه إرادة ما معه فقال أسامة
إنه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية إنما قالها خوفاً من السلاح فقال عم هلا شققت عن قلبه وفي رواية
أفلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا إله إلا الله قال أسامة
فما زال صلعم يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي وقال أعتق رقبة وقيل نزلت في رجل
قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلاً فلما أحسّ بالسيف قال إني مسلم فقتلته فقال رسول
الله صلعم أقتلت مسلماً قال إنه كان متعوذاً فقال عم أفلا شققت عن قلبه • إن الله كان بما تعملون • من الأعمال
الظاهرة والخفية وبكيفياتها • خبيراً • فيجازيكم بحسبها • إن خيراً فخير وإن شراً فشر • فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا
فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح أن على أنها معمولة لتبينوا أو على حذف لام التعليل
• لا يستوي القاعدون • بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما
مر من الأمر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع
طبقته والمراد بهم الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاءً بغيرهم قال ابن عباس رضي هم القاعدون عن
بدر والخارجون إليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من أنهم الخارجون إلى تبوك فإنه
مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال إذ لم يكن هناك تخلف يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى • من المؤمنين • متعلق بمحذوف
وقع حالاً من القاعدين أي كائنين من المؤمنين وفائدتها الإيذان من أول الأمر بعدم إخلال وصف القعود
بإيمانهم والإشعار بعلة استحقاقهم لما سيأتي من الحسنى • غير أولي الضرر • بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة
حيث لم يقصد به قوم بأعيانهم أو بدل منه وقرئ بالنصب على أنه حال منه أو استثناء وبالجر على أنه صفة
للمؤمنين والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وفي معناه العجز عن الأهبة عن زيد بن ثابت
أنه قال كنت إلى جنب رسول الله صلعم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن ترضها ثم

ثم

ثم سُرّي عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان
أعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون أي بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف
المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي وكذا تقييد المجاهدة بكونها • في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم •
لمدحهم بذلك والإشعار بعلة استحقاقهم لعلو المرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود
وتقديم القاعدين في الذكر للإيذان من أول الأمر بأن القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم
لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصاناً وإن جاز اعتباره
بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الأعمى والبصير أم هل
تستوي الظلمات والنور إلى غير ذلك وأما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم
الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول وقوله عز وجل • فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين
درجة • استئناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما إجمالاً
ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق إليه المقال كأنه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله إلى آخره وأما
تقدير ما لهم لا يستوون فمما لا يليق بجعل الاستئناف تعليلاً لعدم الاستواء مسوقاً للإثبات وفيه تعكيس ظاهر
فإن الذي يحق أن يكون مقصوداً بالذات إنما يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد
فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الأول كما أن قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدر
لوقوعها موقع المرة من التفضيل أي فضل الله تفضيلة أو على نزع الخافض أي بدرجة وقيل على التمييز
وقيل على الحالية من المجاهدين أي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم • وقوله تعالى • وكلا • مفعول أول لما يعقبه
قدم عليه لإفادة القصر تأكيداً للوعد أي كل واحد من المجاهدين والقاعدين • وعد الله الحسنى •
أي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا أحدهما فقط كما في قوله تعالى وأرسلناك للناس رسولاً على أن اللام متعلقة برسولاً
والجملة اعتراض جيء به تداركاً لما عسى يوهمه تفضيل أحد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله
عز وجل • وفضل الله المجاهدين على القاعدين • عطف على قوله فضل الله إلخ واللام في الفريقين
مغنية لهما عن ذكر القيود التي تركت على سبيل التصريح وقوله تعالى • أجراً عظيماً • مصدر مؤكد لفضل
على أنه بمعنى أجر وإيثاره على ما هو مصدر من فعله للإشعار بكون ذلك التفضيل أجراً لأعمالهم أو
مفعول ثان له بتضمينه معنى الإعطاء أي أعطاهم زيادة على القاعدين أجراً عظيماً وقيل هو منصوب على نزع
الخافض أي فضلهم بأجر عظيم وقوله تعالى • درجات • بدل من أجراً بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى
• منه • متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها أي درجات كائنة منه
تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفاً وقال
السدي هي سبعمائة درجة وقد جاء أعد الله تعالى للمجاهدين في سبيله مائة درجة ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض
ويجوز أن يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربته أسواطاً أي ضربات كأنه قيل فضلهم

تفضيلاً ودرجاتٍ منه ومغفرةً بدل من أجرا بدل البعض لأن بعض الأجر ليس من باب المغفرة أي مغفرة لما
يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي يأتي بها القاعدون أيضاً حتى تعد من خصائصهم
ورحمةً بدل الكل من أجرا مثل درجات ويجوز أن يكون انتصابهما بإضمار فعلهما أي
غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة
بدرجة وأخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام
إما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيداً
لسلوك طريقة الإبهام ثم التفسير روماً لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هوداً و
الذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كأنه قيل وفضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا
يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهماً لحرمان القاعدين قيل وكلا
وعد الله الحسنى ثم أريد تفسير ما أفاده التنكير بطريق الإبهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل
ولله در شأن التنزيل وإما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على أن
المراد بالتفضيل الأول ما خولهم الله تعالى عاجلاً في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة
واحدة وبالتفضيل الثاني ما أنعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم
الأول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما كأنه قيل وفضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة
درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود أعني الوعد بالجنة توضيحاً
لحالهما ومسارعة إلى تسلية المفضول والله سبحانه أعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير أولي
الضرر وأما أولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبأن الاستثناء من النفي
إثبات وأما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلعم لقد خلفتم
في المدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت
أفئدتهم تهوى إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو غيره وبعبارة أخرى إن في المدينة لأقواماً ما سرتم
من مسير ولا قطعتم من واد إلا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم
العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة أخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على
المرضى إلى قوله إذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الأول هم الأضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم
الكريم ما لا يخفى ولا ريب في أن الأضراء أفضل من غيرهم درجة كما لا ريب في أنهم دون المجاهدين بحسب الدرجة
الدنيوية وكان الله غفوراً رحيماً تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة إن الذين توفاهم الملائكة بيان
لحال القاعدين عن الهجرة إثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل أن يكون ماضياً ويؤيده قراءة من
قرأ توفتهم وأن يكون مضارعاً قد حذف إحدى التاءين وأصله تتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله تعالى يوفي
الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي أنفسهم حال من ضمير توفاهم فإنه وإن كان
مضافاً إلى المعرفة إلا أنه نكرة في الحقيقة لأن المعنى على الانفصال وإن كان موصولاً لفظاً كما في قوله تعالى غير محلي الصيد

وهدياً

وهدياً بالغ الكعبة وثاني عطفه أي محلين الصيد وبالغاً الكعبة وثانياً عطفه كأنه قيل ظالمين أنفسهم وذلك بترك الهجرة
واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للإخلال بأمور الدين فإنها نزلت في ناس من مكة قد أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة
فريضة قالوا أي الملائكة للمتوفين تقريراً لهم بتقصيرهم في إظهار إسلامهم وإقامة أحكامه من الصلاة ونحوها
وتوبيخاً لهم بذلك فيم كنتم أي في أي شيء كنتم من أمور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ
من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الإقرار الصريح بما هم فيه من التقصير
متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين في الأرض أي في أرض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين
فيما بين أهلها قالوا إبطالاً لتعللهم وتبكيتاً لهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها إلى قطر آخر منها
تقدرون فيه على إقامة أمور الدين كما فعله من هاجر إلى المدينة وإلى الحبشة وأما حمل تعللهم على إظهار العجز عن الهجرة و
جعل جواب الملائكة تكذيباً في ذلك فيرده أن سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة
للخروج بسبب الفقر أو بعدم تمكين الكفرة فلا يكون بيان سعة الأرض تكذيباً لهم ورداً عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم
أيضاً حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين إلى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة
وقيس بن الوليد بن المغيرة وأشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم وقالوا ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعاً
وتوبيخاً لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون اعتذارهم بالاستضعاف تعليلاً بأنهم كانوا مقهورين
تحت أيديهم وأنهم أخرجوهم كارهين فرد عليهم بأنهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة
فأولئك الذين حكيت أحوالهم الفظيعة مأواهم أي في الآخرة جهنم كما أن مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم
الفريضة المحتومة فمأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لأولئك وهذه الجملة خبر إن والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط
وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة بإضمار قد عند من يشترطه أو هو الخبر والعائد منه محذوف أي قالوا لهم و
الجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في حيزه وساءت مصيراً أي مصيرهم أو جهنم وفي الآية الكريمة
إرشاد إلى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة أمور دينه بأي سبب كان وعن النبي صلعم
من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم
ونبيه محمد عليه السلام إلا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة إليه
ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلقة بمحذوف وقع حالاً من المستضعفين أي كائنين
منهم وذكر الولدان إن أريد بهم المماليك أو المراهقون ظاهر وأما إن أريد بهم الأطفال فللمبالغة في أمر الهجرة وإيهام
أنها لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والإشعار بأنه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم إذا بلغوا
حتى كأنها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت وقوله تعالى لا
يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً صفة للمستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز فأولئك
عسى الله أن يعفو عنهم جيء بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيذاناً بأن الهجرة من تأكد الوجوب بحيث ينبغي أن
يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنباً يجب طلب العفو رجاءً وطمعاً لا جزماً وقطعاً وكان الله عفواً
غفوراً تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً ترغيب في المهاجرة وتأنيس

مهاجرا اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث
يحصل فيه للمهاجر من الخير والنعمة ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله
لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طرقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم
وسعة اي من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان
يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على
فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في
قوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله ولحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره
على الله اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلعم لما بعث بالآيات المتقدمة الى
مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا
ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله
صلعم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد
او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسوله صلعم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه
من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته
واذا ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض
وفيه تأكيد لعزيمة المهاجر وترغيب له فيها لما فيها من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد
بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح اي حرج ومأثم ان تقصروا اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال
قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه
فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلوة ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على
زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه
اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء
اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل ليكون المقصود بعضا منها
وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من اقصر
وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رح مسيرة ثلثة
ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعي رح مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير
وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي رح وبما روي عن النبي صلعم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها
اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رض انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا
سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو
قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو

قول

قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه وعن انس رض
خرجنا مع النبي صلعم من المدينة وعن عمران بن حصين رض ما رأيت النبي صلعم يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ثمان
ركعتين ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رض بمنى ركعتين وصليت مع عمر رض
بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد تعذر عثمان رض عن اتمامه بانه تأهل بمكة
وعن الزهري انه انما اتم لانه اجمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة ركعتين ركعتين فاقرت
في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر
فاقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث
حللت فهي داري وانما ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا
في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه
ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا وركن عند الشافعي رح وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس
عليكم جناح الى آخره وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر
فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح
الآثار مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رض انه قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من
الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رض عجبت مما عجبت منه فسألت رسول
الله صلعم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وهذا دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا
يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط
عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عند عدمه فساكت عنه فان وجد له دليل يثبت
عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه دونك ما سمعت من الادلة الواضحة
واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا
مخرج الاغلب كما في قوله تعالى وان تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الآية الكريمة مجملة في حق مقدار
القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي يتعلق به القصر فكل ما ورد منه
صلى الله عليه من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة
بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن
ابي ايوب الانصاري رض انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
ثم رسول الله صلعم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الى آخره
وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك
كراهة ان يفتنكم الى آخره فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلقه بما ذكر او لما فهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة

منوقعة فإن كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى وإذا كنت فيهم
بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص
البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها إليه لما فيها من كثرة التغيير
عن الهيئة الأصلية ومع ما فيها من ظهور كمال مورد النص الشريف في المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها و
الخطاب لرسول الله صلعم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى
أن الأئمة بعده نوابه قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى خذ من
أموالهم صدقة وقد روي أن سعيد بن العاص لما أراد أن يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد
منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلعم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك
بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره أحد فحل محل الإجماع وروي في السنن أنهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل
فصلى بهم صلوة الخوف فأقمت لهم الصلوة أي أردت أن تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك
بعد أن جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الأخرى بإزاء العدو ليحرسوكم منهم وإنما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا
أي الطائفة القائمة معك أسلحتهم أي لا يضعوها ولا يلقوها وإنما عبر عن ذلك بالأخذ للإيذان بالاعتناء
باستصحابها كأنهم يأخذونها ابتداء فإذا سجدوا أي القائمون معك وأتموا الركعة فليكونوا
من ورائكم أي فلينصرفوا إلى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا بعد وهي الطائفة
الواقفة تجاه العدو للحراسة وإنما لم تعرف لما أنها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين
في الآية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر و
وابن مسعود رضي الله عنهم أن النبي صلعم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الأولى ركعة كما في الآية ثم جاءت
الطائفة الأخرى وقضوا الركعة الأولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا أي هذه الطائفة
حذرهم وأسلحتهم لعل زيادة الأمر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة
مع النبي صلعم في شغل شاغل وأما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر
لما أن الاشتغال بالصلوة مظنة لإلقاء السلاح والإعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به
قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فإنه استئناف
مسوق لتعليل الأمر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات أي تمنوا أن ينالوا منكم غرة وينتهزوا
فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالأمتعة ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الأمر للوجوب لقوله تعالى
ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم حيث رخص في وضعها إذا ثقل عليهم
استصحابها بسبب مطر أو مرض وأمروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو
عليهم غيلة روى الكلبي عن أبي صالح أن رسول الله صلعم غزا محاربا وبني أنمار فنزلوا ولا يرون من العدو
أحدا فوضع الناس أسلحتهم وخرج رسول الله صلعم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش
فحال الوادي بينه عليه السلام وبين أصحابه فجلس رسول الله صلعم فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني

الله

الله إن لم أقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر رسول الله صلعم إلا وهو قائم على رأسه وقد سل
سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلعم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث
بن الحارث بما شئت ثم أهوى بالسيف إلى رسول الله صلعم فأكب لوجهه من زلخة زلخها من كتفيه فندر سيفه
فقام رسول الله صلعم فأخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا أحد قال عليه السلام تشهد أن
لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأعطيك سيفك قال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك
عدوا فأعطاه رسول الله صلعم سيفه فقال غورث والله لأنت خير مني فقال رسول الله صلعم أنا أحق بذلك
منك فرجع غورث إلى أصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع إليه رسول الله صلعم
إلى أصحابه وأخبرهم بالخبر وقوله تعالى إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للأمر بأخذ الحذر من العدو
موهما لتوقع غلبته واعتزازه بنفي ذلك الإيهام بأن الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم فإذا
قضيتم الصلوة صلوة الخوف أي أديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا و
على جنوبكم أي فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الأحوال حتى في
حال المسايفة والقتال كما في قوله تعالى إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فإذا اطمأننتم سكنت
قلوبكم من الخوف وأمنتم بعد ما وضعت الحرب أوزارها فأقيموا الصلوة أي الصلوة التي دخل وقتها
حينئذ أي أدوها بتعديل أركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الأحوال الثلاثة الصلوة فيها أي فإذا
أردتم أداء الصلوة فصلوها قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح
فإذا اطمأننتم فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج وهو مذهب الشافعي ره
وفيه من البعد ما لا يخفى إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا أي فرضا موقتا قال مجاهد
وقته الله تعالى عليهم فلا بد من إقامتها في حالة الخوف أيضا على الوجه المشروح وقيل مفروضا مقدرا
في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد أن تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء
القوم أي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى إن تكونوا تألمون
فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع لهم أي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا
بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم إنهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع أنكم أولى به منهم حيث ترجون من الله من
إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب في الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ أن تكونوا بفتح الهمزة أي لا تهنوا
لأن تكونوا تألمون وقوله تعالى فإنهم تعليل للنهي عن الوهن لأجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما
مبالغا في العلم فيعلم أعمالكم وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فإن فيه عواقب حميدة
إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق روي أن رجلا من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعا
من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما أخذها فقال دفعها إلى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا
إلى رسول الله صلعم فسألوه أن يجادل عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلعم أن يفعل

وروي أن طعمة هرب إلى مكة وارتد ونقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل من بني
سليم من أهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول والخروج فأخذ ليقتل
فقيل دعوه فإنه قد لجأ إليك فتركوه وأخرجوه من مكة فلحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلاً فسرق بعض
متاعهم وهرب فأخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل إنه ركب سفينة إلى جدة فسرق فيها كيساً فيه دنانير فأخذ
وألقي في البحر لتحكم بين الناس بما أراك الله أي بما عرفك وأوحى به إليك ولا تكن للخائنين أي لأجلهم والذب عنهم و
هم طعمة ومن يعينه من قومه وهو من بني ظفر خصيماً مخاصماً للبرآء أي لا تخاصم اليهود لأجلهم والنهي معطوف
على أمر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فاحكم به ولا تكن إلخ واستغفر الله مما هممت به تعويلاً على شهادتهم إن الله
كان غفوراً رحيماً مبالغاً في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم أي يخونونها
بالمعصية كقوله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لأنفسهم كما جعلت ظلماً لها
لرجوع ضررها إليهم والمراد بالموصول طعمة وأمثاله وأما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فإنهم شركاء له في الإثم
والخيانة إن الله لا يحب من كان خواناً مفرطاً في الخيانة مصراً عليها أثيماً منهمكاً فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو
كناية عن البغض والسخط بالمبالغ في الخيانة والإثم ليس لتخصيصه بل لبيان إفراط طعمة وقومه فيهما يستخفون
من الناس يستترون منهم حياءً وخوفاً من ضررهم ولا يستخفون من الله أي لا يستحيون منه
سبحانه وهو أحق بأن يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وبأحوالهم فلا طريق إلى الاستخفاء منه
سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه إذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي
البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الأعمال الظاهرة والخافية
محيطاً لا يعزب عنه شيء منها ولا يفوت ها أنتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له إليهم بطريق الالتفات إيذاناً
بأن تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله جادلتم عنهم في الحياة الدنيا
جملة مبينة لوقوع أولاء خبراً ويجوز أن يكون أولاء اسماً موصولاً بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة
أشد المخاصمة والمعنى هبوا أنكم خاصمتم عن طعمة وأمثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة فمن يخاصم عنهم
يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم أم من يكون عليهم وكيلاً وحافظاً ومحامياً من بأس الله تعالى وانتقامه ومن
يعمل سوءاً قبيحاً يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل
السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفوراً
لذنوبه كائنة ما كانت رحيماً متفضلاً عليه وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما أن مشاهدة التائب
لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب إثماً من الآثام فإنما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى
ضرره ووباله إلى غيره فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلاً وآجلاً وكان الله عليماً مبالغاً في العلم حكيماً
مراعياً للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر أخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة أو ما لا عمد فيه من
الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين وأصله يكتسب أو إثماً كبيرة أو ما كان عن عمد
ثم يرم به أي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان أو وتذكيره لتغليب الإثم على الخطيئة كأنه

قيل

قيل ثم يرم بأحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئاً
أي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل أي بما فعل من تحميل جريرته على البريء بهتاناً
وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه
وإثماً مبيناً أي بيناً فاحشاً وهو صفة لإثماً وقد اكتفى في بيان عظم البهتان بتنكيره لأنهما عبارة عن أمر واحد هو
رمي البريء بجناية نفسه قد عبر عنه بهتاناً تهويلاً للأمر وتفظيعاً لحاله فمدار العظم والشناعة كون المرمي به للرامي فإن
رمي البريء بجناية ما خطيئة كانت أو إثماً بهتان وإثم في نفسه أما كونه بهتاناً فظاهر وأما كونه إثماً فلأن كون الذنب
بالنسبة إلى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة إلى من ينسبه إلى البريء منه أيضاً كذلك بل لا يجوز ذلك قطعاً كيف
لا وهو كذب محرم في جميع الأديان فهو في نفسه بهتان وإثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك
شدة ويزداد قبحاً لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة إلى رمي البريء وإلا لكان الرمي بغير جنايته مثله في العظم ولا لمجرد
اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة وإلا لكان الرمي بغير جنايته مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على
قصد تحميل جنايته على البريء وإجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه إيثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه
من الإيذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الإشعار بثقل الوزر وصعوبة الأمر نعم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة
نفسه إلى رمي البريء يزداد الجناية قبحاً لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للإثم ولولا فضل الله عليك ورحمته
بإعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم أي من بني ظفر وهم
الذابون عن طعمة وقد جوز أن يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعاً إلى الناس وقيل هم وفد بني
ثقيف قدموا رسول الله صلعم وقالوا جئناك لنبايعك على أن لا نكسر أصنامنا ولا نعشر فردهم صلعم أن يضلوك
أي بأن يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بحقيقة الأمر والجملة جواب لولا وإنما نفي همهم مع أن المنفي إنما هو
تأثيره فقط إيذاناً بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف
أي لأضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة أي لقد همت طائفة إلى آخره وما يضلون إلا أنفسهم
لاقتصار وبال مكرهم عليهم من غير أن يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف
عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية أي وما يضرونك شيئاً من الضرر لما أنه تعالى عاصمك وأما ما خطر
ببالك فكان عملاً منك بظاهر الحال ثقة بأقوال القائلين من غير أن يخطر ببالك أن الحقيقة على خلاف ذلك
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة أي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة وعلمك
بالوحي من خفيات الأمور التي من جملتها وجوه إبطال كيدهم أو من أمور الدين وأحكام الشرع ما لم تكن
تعلم ذلك إلى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيماً إذ لا فضل أعظم من النبوة العامة والرياسة التامة
لا خير في كثير من نجواهم أي في كثير من تناجي الناس إلا من أمر أي إلا في نجوى من أمر بصدقة أو معروف
وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني وأيا ما كان فالاستثناء متصل
ويجوز الانقطاع أيضاً على معنى لكن من أمر بصدقة إلى آخره ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا
ينكره العقل فينتظم أصناف الجميل وفنون أعمال البر وقد فسر هنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع

الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع
الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او بمحذوف هو صفة له اي كائن بين الناس
عن ابي ايوب الانصاري رضي ان رسول الله صلعم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله
قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلثة
بالذكر ان عمل الخير المتعدي الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه
الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر
فقد اشير اليه بقوله تع او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة
والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها و
رفعة شأنها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان
خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المأمور به وقبحه حيث
نشأت خيرية الامر بالامور المذكورة من خيرية فعلها اثبت وفيه تحريض للآمر بها على فعلها او اشارة الى الامر
بها كانه قيل ومن يأمر بها والكلام في ترتب الوعد على فعله كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر بها
للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباع كل واحد ابتغاء مرضات الله علة للفعل والتقييد
به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات
وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار
كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر
له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد
وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما
اختاره ونصله جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة
على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما
سبق وهو مكرر للتاكيد والتشديد او لتتمة قصة طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي ان شيخا من
العرب جاء الى رسول الله صلعم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته
وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة على الله وما توهمت طرفة عين اني اعجز
الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم
عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه
سياق النظم الكريم وسباقه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه تعالى الا اناثا هي اللات
والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن حي من احياء العرب الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني
فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها

على

على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتأنيث اسمائها او لانها في
الاصل جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعل ايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط
حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب جمع ربي وقرئ على التوحيد وانثا ايضا على انه جمع انيث
كقليب وقلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد
واسد على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا
مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا
يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة
ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا
مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام
غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة
ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلثة الاول انه منهمك
في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثاني انه ملعون لضلاله
فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع
اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة
وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اي فليقطعنها بموجب امري
ويشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولآمرنهم فليغيرن
ممتثلين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر
ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية
عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمأمور به في الموضعين محذوف
ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعو اليه على ما امر الله تعالى
به ومجاوزته عن طاعته تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل
بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اي ما لا يكاد ينجزه ويمنيهم اي الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية
على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها
وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة
او بلسان اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور
او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها
باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
في الخسران وهو مبتدأ وقوله تع مأواهم مبتدأ ثان وقوله تع جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا
يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل المحيص هو الروغان

بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان
اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله • والذين آمنوا وعملوا الصالحات • مبتدأ
خبره قوله تعالى • سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا • قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين
زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك • وعد الله حقا • اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد
لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده
وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على انه حال من المصدر
• ومن اصدق من الله قيلا • جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة
لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه وفيه تأكيد ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال
وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد
ساكنة بعدها دال • ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب • اي ليس ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم
ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك
اماني المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين اصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون و
هم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني
المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا
العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله
منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب
للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان
الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى
• من يعمل سوءا يجز به • عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله
فقال رسول الله صلعم اما تحزن او تمرض اما يصيبك اللاواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك • ولا يجد له
من دون الله • اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته • وليا • يواليه • ولا نصيرا • ينصره في دفع العذاب عنه • ومن
يعمل من الصالحات • اي بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا به • من ذكر
او انثى • في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات ومن للابتداء اي كائنة من
ذكر الخ • وهو مؤمن • حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به
دونه • فاولئك • اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان
الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد
منزلته في الشرف • يدخلون الجنة • وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال • ولا يظلمون نقيرا •
اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع

فلان

فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب
• ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله • اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في
السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره الى الله تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن
دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف
المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم
من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز
من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين
الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية • وهو محسن • اي آت بالحسنات
تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي
وقد فسره صلعم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم • واتبع ملة
ابراهيم • الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها • حنيفا • مائلا عن الاديان الزائغة وهو حال من
فاعل اتبع او من ابراهيم • واتخذ الله ابراهيم خليلا • اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله و
اظهاره عم في موقع الاضمار لتفخيم شأنه عم والتنصيص على انه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية
والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر
او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما متوافقان في
الخصال وفائدة الاعتراض تأكيد وجوب اتباع ملته عم فان من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا
مصححا لتسميته خليلا حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرنو نحوه احداق الامم
قيل انه عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة
لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عم فاجتازوا ببطحاء
لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤا بها الى منزل ابراهيم عم والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم
بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى
الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحواري واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستيقظ ابراهيم فاشتم
رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى
خليلا • ولله ما في السموات وما في الارض • جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات
والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب
اعماله خيرا وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه تعالى لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك في شأن من شؤونه كما هو
دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان
الخلة لا تخرجه عم عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى
ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء وقوله تعالى • وكان الله بكل شيء محيطا • تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه

المذكورة فان احاطته تعالى علماً وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك
ذلك اكمل تقرير ● ويستفتونك في النساء ● اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في
حق ميراثهن خاصة فانه صلعم قد سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما
ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى ● قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب
باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل الموضح الى ما يتلى من الكتاب فيما سبق مجازاً
على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه ويعطف ما على المستتر في يفتيكم لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور
وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع حالاً من
المستكن فيه اي يتلى كائناً فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة
معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب
مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى حينئذ متناول للمتلو وما سيتلى ويجوز ان يكون مجروراً على القسم المنبئ عن
تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم
بيانه السابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظاً ومعنى وقوله تعالى ● في يتامى النساء ●
على الوجه الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شأنهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهذه الاضافة
بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء ● اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن ●
اي ما فرض لهن من الميراث وغيره ● وترغبون ● عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من
فاعل تؤتونهن متناول وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما
كتب لهن صداقهن ● ان تنكحوهن ● اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل ما لهن او في ان
تنكحوهن بغير اكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها انها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها
وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن
ان تنكحوهن وذلك ما روي عنها رضي الله عنها انها يتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعاً في ميراثها وفي رواية عنها
رضي الله عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها
رجلاً فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الاول والاخير ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى
اموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صدقاتهن وبما يتلى فيهن
قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الآية ● والمستضعفين من الولدان ● عطف على يتامى النساء وما يتلى
في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور
روي ان عيينة بن حصن الفزاري جاء الى رسول الله صلعم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف
وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلعم كذلك امرت ● وان تقوموا لليتامى بالقسط ● بالجر
عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصى
هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقاً بيتلى واما على تقدير كونه بدلاً من فيهن فالوجه نصبه عطفاً على موضع فيهن

اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويأمركم وهو خطاب للولاة او للاولياء والاوصياء ● وما تفعلوا
في حقوق المذكورين ● من خير ● حسبما امرتم به او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجاً
اولياً ● فان الله كان به عليماً ● فيجازيكم بحسبه ● وان امرأة خافت ● شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام
اي ان توقعت امرأة ● من بعلها نشوزاً ● اي تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها ● او
اعراضاً ● بان يقل مجادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب ● فلا جناح عليهما ● حينئذ
● ان يصلحا بينهما صلحاً ● اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت
زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلعم فوهبت يومها لعائشة رضي الله عنها او بان تهب له شيئاً تستميله
وقرئ يصالحا من تصالحا ويصلحا من اصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحاً اما منصوب بالفعل المذكور على كل
تقدير على انه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحاً او تصالحاً او اصطلاحاً حسبما
قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحاً وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحاً والتعرض لنفي الجناح
عنهما مع انه ليس من جانبها الا الاخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة
للمعطي والآخذ ● والصلح خير ● اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور
فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى ● واحضرت الانفس الشح ● اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه
لا تنفك عنه ابداً فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقاً
للصلح وتقريراً له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر
الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالته الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على ان تقنع من قبلها
بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح ● وان تحسنوا ● في العشرة ● وتتقوا ● النشوز والاعراض
وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم يضطروهن الى بذل شيء
من حقوقهن ● فان الله كان بما تعملون ● اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعاً فيدخل فيه ذلك دخولاً
اولياً ● خبيراً ● فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات
والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم
عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها
سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة واثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلعم
وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امرأة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج
غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي
فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلعم فذكر له ذلك فنزلت ● ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء ● اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شأن من
الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلعم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تؤاخذني
فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ● ولو حرصتم ● اي على اقامة العدل

وبالغنيمة في ذلك فلا تميلوا كل الميل اي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم
عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب التي داخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي
ملتم عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احديهما
جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله
كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اي وان
يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما اي يجعله مستغنيا
عن الاخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله
واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات
كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستانفة مسوقة للتنبيه على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب
للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اي بان اتقوا الله على ان ان مصدرية بحذف
عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض حينئذ من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى اخره وعلى تقدير كون ان
مصدرية مبني على الكلام ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الاية وقيل هي
جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة واياما كان فالمراد على التقديرين ليس مضمونه فقط فان لله الاية بل هو
اللازم بعلمه كانه قيل ان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه
في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ولا يتقى عقابه و
يرجى ثوابه ومن فر ذلك يعول شرع وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه اولم
يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله
ما في السموات وما في الارض كلام مبتدا مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت
القول المحكي اي له سبحانه ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة
وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشا يذهبكم
ايها الناس اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويات باخرين اي ويوجد دفعة مكانكم قوما اخرين من البشر او
خلقا اخرين مكان الانس ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشا افناءكم وايجاد اخرين
يذهبكم الى اخره يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيته المبنية
على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك اي افنائكم بالمرة وايجاد
اخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد
التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلعم من العرب اي ان يشا يذهبكم ويات باناس اخرين
يوالونه فمعناه هو المعنى فان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلعم

بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده
الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن
يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او يطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله
لم يخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده لقوله
من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات
فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم انذارا كان او تبشيرا يا ايها الذين امنوا كونوا
قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه
لما كلفهم اخراج التورية لم يجترئ احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا
صاغرين وبصدهم عن سبيل الله اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
فان الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه
واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اي للمصرين على
الكفر لا لمن تاب وامن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه في الاخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم
لكن الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم
عاجلا واجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة
والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم وصفوا بالايمان بعدما وصفوا بما يوجبه
من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة الاختلاف
الذاتي وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنون مبينة لكيفية ايمانهم
وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله عز وعلا والمقيمين الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين
الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدا والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء
اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء او الملئكة قال مكي اي يؤمنون بالملئكة الذين صفتهم اقامة الصلوة
لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء
وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون
بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سياتي من المعطوفين فان قوله
تعالى والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم
الاخر فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان
حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء
عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرايع والاحكام واكتفى من بينها بذكر اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم
الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد

منها حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى ﴿اولئك﴾ اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى ﴿سنؤتيهم
اجرا عظيما﴾ خبره والجملة خبر للمبتدأ الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الاجر
للتفخيم وهذا الاعراب انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر
العظيم كأنه قيل اثر قوله تعالى ﴿واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما﴾ لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما
واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدأ ففيه كمال السداد خلا انه غير
متعرض لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله ﴿انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده﴾ جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلعم ان ينزل عليهم كتابا
من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شأنه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشأن
سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي
ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال
كونه مشبها بايحائنا الى آخره ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح عم لانه ابو البشر واول نبي شرع
الله تعالى على لسانه الشرايع والاحكام واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض ﴿واوحينا
الى ابرهيم﴾ عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابرهيم ﴿واسماعيل واسحق
ويعقوب والاسباط﴾ وهم اولاد يعقوب عليهم السلام ﴿وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان﴾ خصهم
بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل
وميكال وتعريضا بمن ينتمي اليهم من اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة
مستقلة بنوع مخصوص من الوحي ﴿وآتينا داود زبورا﴾ قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس
فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاء وهو
جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اي وكما آتينا
داود زبورا وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في
مطلق الايحاء ثم اشير الى تحققها في الامر اللازم لهما لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى ﴿ورسلا﴾ نصب
بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله
تعالى ﴿قد قصصناهم عليك﴾ اي وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه
الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا سبيل اليه كما ستقف
عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى ﴿من قبل﴾ متعلق بقصصنا اي قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم
﴿ورسلا لم نقصصهم عليك﴾ عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير
كما اوحينا الى نوح والى رسل الى آخره والحق ان المراد انتظامهما بها بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شأنه صلعم

وبين

في ايتاء الكتاب

وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم
في الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك مثل
ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابرهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك
ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت
بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل عليهم
السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان نصبه يحتاج الى كونه معطوفا على اوحينا داخلا معه
في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء
حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا
الاول يستدعي تقديره في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا ﴿وكلم الله موسى﴾ برفع الجلالة ونصب
موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى ﴿تكليما﴾ مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان
كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا
اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات
والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى عم من بينهم ثم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر
الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عم جملة قادحا في نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع
ظهور ان نزولها كذلك لحكمة مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث
لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلعم بان
اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلعم تسليما كثيرا ﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾ نصب على المدح او باضمار ارسلنا
او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة
ومنذرين للعصاة بالنار ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾ اي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت
الينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات المصالح
وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان
يفعل ما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي
لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلعم ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم
الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من
الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان
وللناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله تعالى وهو الخبر ولا يجوز التعلق بحجة لان
معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى ﴿بعد الرسل﴾ اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم
متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان الظروف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة و

[illegible]

وكان الله عزيزا لا يغالب في أمر من أموره ومن قضيته الامتناع عن الإجابة إلى مسألة المتعنتين حكيما
في جميع أفعاله التي من جملتها إرسال الرسل وإنزال الكتب فإن تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية
النزول وتغايرها في بعض الشرائع والأحكام إنما هو لتفاوت طبقات الأمم في الأحوال التي عليها يدور فلك
التكليف فكما أنه سبحانه وتعالى برأهم على أنحاء شتى وأطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم
بما يليق بشأنهم ويقتضيه أحوالهم المختلفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والأحكام حسبما تستدعيه
الحكمة التشريعية وراعى في إرسال الرسل وإنزال الكتب وغير ذلك من الأمور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه
مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد إذ حينئذ تتفاقم التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج
عن عهدتها وأما التنزيل المنجم الوارد حسب الأمور الداعية إليه فهو أيسر قبولا وأسهل امتثالا لكن الله
يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله
كأنه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى إنا أوحينا إليك الخ قيل إنهم لا يشهدون
بذلك لكن الله يشهد بما أنزل إليك على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وإن أصله الشهادة أي
يشهد بحقيقة ما أنزل إليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد
لك بهذا فنزل لكن الله يشهد أنزله بعلمه أي متلبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم
يعجز عنه كل بليغ أو بعلمه بحال من أنزله عليه واستعداده لاقتباس الأنوار القدسية أو بعلمه الذي يحتاج
إليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الأولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع
التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملائكة يشهدون أي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل
حال من مفعول أنزله أي أنزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب
لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها إن الذين كفروا أي بما أنزله الله تعالى وشهد به
وبكل ما يجب الإيمان به وهو داخل فيه دخولا أوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله
وهو دين الإسلام من أراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا
بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون
أعرق في الضلال وأبعد من الإقلاع عنه إن الذين كفروا أي بما ذكر آنفا وظلموا أي محمدا رسول الله
صلعم بإنكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله
ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية إلى الحق والأعمال
الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الإشارة خلقه تعالى لأعمالهم
السيئة المؤدية إلى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم إلى اكتسابها أو سوقهم إليها يوم القيامة بواسطة
الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين
فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين
فيها الخ وقوله أبدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك أي جعلهم

خالدين في جهنم على الله يسيرا لاستحالة أن يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا أيها الناس بعدما حكى لرسول الله
صلعم تعللهم بالأباطيل وقدحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عم وتقرير رسالته ببيان أن شأنه
عم في أمر الوحي والإرسال كشؤون من يعترفون بنبوته من مشاهير الأنبياء عم في أمر الوحي والإرسال وأكد
ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة أمر المكلفين كافة على طريق تلوين الخطاب بالإيمان بذلك أمرا مشفوعا بالوعد
بالإجابة والوعيد على الرد تنبيها على أن الحجة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لأحد عذر في عدم القبول وقوله عز وجل
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الأمر بالإيمان وإيراده صلعم
بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد بالحق ومن ربكم متعلقة إما بالفعل وإما بمحذوف هو حال من الحق أي جاءكم
به من عنده تعالى أو جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم للإيذان
بأن ذلك لتربيتهم وتبليغهم إلى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الأمر وقوله عز وجل فآمنوا للدلالة على
إيجاب ما قبلها لما بعدها أي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على أنه مفعول لفعل واجب الإضمار كما
هو رأي الخليل وسيبويه أي اقصدوا وأتوا أمرا خيرا لكم مما أنتم فيه من الكفر أو على أنه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء
أي آمنوا إيمانا خيرا لكم أو على أنه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للأمر لا جزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي وأبي عبيدة أي
يكن الإيمان خيرا لكم وإن تكفروا أي إن تصروا وتستمروا على الكفر به فإن لله ما في السموات والأرض من الموجودات سواء
كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال أنفسهما على أبلغ وجه وآكده أو خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء
وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا أوليا أي كلها له عز وجل خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها
فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة أو فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع
بإيمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لأمره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم بأحوال
الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا أوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع أفعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى بكفرهم
يا أهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في دينكم بالإفراط
في رفع شأن عيسى عم وادعاء ألوهيته وأما غلو اليهود في حط رتبته عم ورميهم إياه بأنه ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك
فيما سبق ولا تقولوا على الله إلا الحق أي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد
بل نزهوه عن جميع ذلك إنما المسيح قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على
صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله تعالى عيسى بدل منه أو عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه
عم من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم
لتعين الحق أي إنه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله أي مكون بكلمته وأمره الذي
هو كن من غير واسطة أب ولا نطفة ألقاها إلى مريم أي أوصلها إليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عم وقيل أعلمها إياها
وأخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال من ضمير عم
المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل
عم في درع مريم فحملت بإذن الله تعالى سمي النفخ روحا لأنه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية

كما زعمت النصارى يحكى ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم
فقال له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني
فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة من
جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل لما يكون النفخ بامره سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات و
قيل لاحيائه القلوب كما سمي به القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحي
الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا
انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله في الذكر مع تأخره
عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه عليه السلام لا يحتمل تأويلا وتعيين مآل ما يحتمله
وسد باب التأويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا
بعضهم من سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم
اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم
وبالثالث الحيوة انتهوا اي عن التثليث خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه
عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الهيته سبحانه ان يكون له ولد
اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء و
الله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض
جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته
شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل كل الخلق امورهم
وهو غني عن العالمين فانى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم
مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت
الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن يأنف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا
على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه
عليه السلام عنه مع ان شأنه عليه السلام المباهاة به كما يدل عليه احواله وتفصح عنه اقواله الا يرى ان اول مقالة قالها للناس
قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه موقع الجواب عما قاله الكفرة روي ان وفد نجران قالوا لرسول
الله صلعم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس
بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا له تعالى دون ان يقال عن عبادة الله
ونحو ذلك مع افادته فائدة جليلة هي كمال نزاهته دون ان يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي
كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعا فعدم

الاستنكاف

الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي و
لا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله وقيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج
بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية
وذلك يقتضي ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه
عليه السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه
عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته
تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر
من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث
كثرة الثواب على الطاعات وبان الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا اتجاه لما قالوا
حينئذ وان سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير
والتفضيل في الكمال والدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة
من الملائكة عليهم السلام على المسيح عليه السلام من الانبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا
وهل النزاع الا فيه ومن يستنكف عن عبادته اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى
وانما جعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى لا ما سبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم
طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان
ذلك منهم كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن
طاعة رسول الله صلعم فيما امر به تعالى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان
يؤنف عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله بل بمعنى عد نفسه
كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان ذلك لمحض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن
مثل ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم كانوا يطلبون ثبوت العوج
لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب
لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المبني على توهم لحوق العار
والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف
المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين من المفصل تعويلا على انباء التفصيل عنه وثقة بظهور
اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما
الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء
للكل وقيل الضمير للمستنكفين وفيه كلام مقدر معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم الله يوم
يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل والاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم
بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال

الموعود المطوي في ذكر الاجمال قسم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشرهم ايضا معتبرا في
الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه
المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم من غير ان ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها
اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا
اي عن عبادته عز وجل واستكبروا فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط
به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم
من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون
الكفر والضلال والزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهنة بالبينات الواضحة
وبيان ان لهم الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر
في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن الكريم
على صحة النبي صلعم لما ثبت فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه مما اثبته الايات الكريمة
من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي انه النبي صلعم عبر عنه به لما معه من المعجزات التي تشهد
بصدقه وقيل المراد به المعجزات التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي اتى به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاءكم
او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن منه
تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف اي كائن من براهين ربكم
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم
وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا مبينا اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى
بالنور المنير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله عز وجل باعجازه
غير محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشعارا بهدايته للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور
الايمان وقد سلك مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر
عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن كمال قوته في البرهانية كأنه يجيء بنفسه فيثبت احكامه
من غير ان يجيء به احد ويجيء على شبه الكفرة بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له
بما يلائمه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على
تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلعم او عن المعجزات
او عن الدين الحق فالامر بين وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان
الى النبي صلعم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عم وانما عبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى
انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في
الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام والتشويق الى المؤخر وللمحافظة
على فواصل الاي الكريمة فاما الذين آمنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم واعتصموا به اي عصموا انفسهم

عما يرديها

عما يرديها من نزغ الشيطان وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل قال ابن عباس هي الجنة وما يتفضل
عليهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن افاضة الفضل بالادخال على طريقة قوله
وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه
اي الى الله عز وجل وقيل الى الموعود وقيل الى عبادته صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق
الجنة في الاخرة وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين
للمسارعة الى التبشير بما هو المقصد الاصلي قيل انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي يعرفهم صراطا
مستقيما يستفتونك اي في الكلالة استغنى عن ذكرها بورودها في قوله تعالى قل الله يفتيكم في
الكلالة وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي يروى انه اتى رسول الله صلعم
في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلعم
فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي وروي عنه رضي انه قال عادني رسول الله صلعم وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب
من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى ان امرؤ هلك استئناف
مبين للفتيا وارتفاع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل حال من المضمر في هلك ورد
بانه مفسر بمحذوف غير معمول في الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد
مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى
وله اخت عطف على قوله ليس له ولد او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس
وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها نصف ما ترك اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له
عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها
ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها
في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الاية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم
وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين الضمير لمن يرث بالاخوة وتأنيثه
وتثنيته باعتبار المعنى وقيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة التثنية على الاثنينية على ان المعتبر
في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة
اي مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كان اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث
فللذكر اي فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتاب
الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي قال في خطبته ان الاية التي انزل الله تعالى في سورة النساء في
الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية التي ختم بها
السورة في الاخوة والاخوات لابوين او لاب والاية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام
يبين الله لكم اي حكم الكلالة او احكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا
في ذلك وهذا رأي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في

طرفا ان اى لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل قوله تعالى ان يمسك السموات والارض ان تزولا اى لئلا تزولا
وقال ابو عبيد رويت للكسائى حديث ابن عمر رضه وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة
اى لئلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الاية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائى واضرابه فان التقدير
فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الى آخره وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو
مفعول يبين اى يبين لكم ضلالكم الذى هو من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وانت خبير بان
ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب
وليس كذلك والله بكل شئ من الاشياء التى من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ فى العلم فيبين
لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلعم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث
ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهى مائة وعشرون اية

يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد الموثق المشبه
بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية
وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى
يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع فى تفصيل الاحكام التى امر بالايفاء بها وبدئ بما
يتعلق بضروريات معايشهم فقيل احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها للبيان كثوب
خز وافرادها لارادة الجنس اى احل لكم اكل البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية المعدودة فى سورة
الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هى المراد بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام
والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة فى الاجترار وعدم الانياب وفائدتها الاشعار بعلة الحكم المشترك
بين المضاف فكانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التى بين احلالها فيما سبق المماثلة لها فى مناط الحكم و
تقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء
من بهيمة الانعام اى الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه
غير محلى الصيد اى الاصطياد فى البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته
عملا واعتقادا وهو شائع فى الكتاب والسنة وقوله تعالى وانتم حرم اى محرمون حال من الضمير فى محلى وفائدة
تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظائرها
ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير
الاول فهى اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد فى حالة الاحرام
من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانه قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم
عنها فى بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفى اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان

يقال

يقال غير محلين لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها
التربية فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع
ما فى ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم البالغة فيندرج فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما
عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التى سيأتى بيانها
يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذى هو من شعائر الحج عقب ذلك
ببيان حرمة احلال سائر الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب فى احلالها وهى جمع شعيرة
وهى اسم لما اشعر اى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال
التى هى علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها
وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدث فى اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى
ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل حرمات الله وقيل فرائضه حدها لعباده واحلالها الاخلال بها و
الاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اى لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسىء والاول هو الاولى بحال المؤمنين
والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس ولا الهدى بان يتعرض له بالغصب و
بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدى الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدى وجدية ولا القلائد جمع قلادة و
هى ما يقلد به الهدى من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له والمراد النهى عن التعرض لذوات القلائد من الهدى
وهى البدن وعطفها على الهدى مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كانه قيل عطف جبريل وميكال على الملئكة
عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا او النهى عن التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن
ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها ولا آمين
البيت الحرام اى لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باى وجه كان وقيل هناك مضاف محذوف
اى قتال قوم او اذى قوم آمين الى آخره وقرئ ولا آمى البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا
من ربهم ورضوانا حال من المستكن فى آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اى قاصدين
زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف
وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اى فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حينئذ حال من ضمير
المؤمنين فى لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهى عنه لا تقييد النهى بها واضافة الرب
الى ضمير الآمين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه عن نيل المبتغى وفى ذلك من تعليل النهى
وتأكيده والمبالغة فى استنكار المنهى عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك
من ذهب الى ان الاية محكمة وقد روى ان النبى صلعم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابى ميسرة فيها ثمانى عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد

قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهي المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم قد نسخت
بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله
خارجها ودخل على النبي صلعم وحده ووعده ان يأتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده فمر بسرح المدينة
فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي
فقال المسلمون للنبي صلعم ان تخلي بيننا وبينه فاباه النبي صلعم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعائر الله الآية وفسر ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم
على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من
استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا
سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا
يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون
جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا
المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله
تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآمين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا كما في
من هو اليه ولا يجرمنكم شنآن قوم الى آخره فيتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد في الوجه الاخير من تفسير الفضل
والرضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين
خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم
فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها والامر للاباحة
بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء بالقاء
حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهي عن احلال قوم من الآمين خصوصا مع اندراجهم
في النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى كسب في
لا خيرية وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا
واكسبته اياه وعليه قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما
مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنآن
باضمار لام العلة اي لان صدوكم عام عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف للعمرة وهذه آية بينة
في عموم آمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم وقد ابرز الصد المحقق فيما سبق
في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا
اي عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين
محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة
بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا

للشنآن

للشنآن عن كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب
الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي
عن السبب كما في قولك لا ارينك ههنا تريد به نهي مخاطبك عن الحضور لديك ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى واذا حللتم
فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد
بل هي باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر الآمين بالطريق الاولى
وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا
على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو
والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي بقوله ولا تعاونوا
على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا
لا تتعاونوا فحذف منه احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة
الى ايجاب ما هو المقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو
تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور التي
من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهاني
ثم علل بقوله تعالى ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه و
اظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة
حرمت عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة
ما فارقه الروح من غير ذبح والدم اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل
الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له ولحم الخنزير
وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى والمنخنقة
اي التي ماتت بالخنق والموقوذة اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته والمتردية
اي التي تردت من علو الى سفل فماتت والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل
وقرئ والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل
السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته
وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في
الشرع قطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ
بسكون الصاد واياما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها
ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم وهو القدح اي وحرم
عليكم الاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها
امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه

وان خرج القفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام
الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام والبعد فيه للاشارة
الى بعد منزلته في الشر فسق تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه و
افتراء على الله سبحانه ان كان المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان من الصنم وقيل ذلكم اشارة الى
تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر
وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع
والنبي صلعم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واما ما كان فهو
منصوب على انه ظرف لقوله يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه
الخبائث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على
الدين كله فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون اي واخلصوا الى الخشية
اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف
على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم
ومصلحتهم كما في قوله الم نشرح لك صدرك واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت
لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر اي اتممتها بفتح مكة
ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف
العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق وقيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي
بقولي ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله
لا غير عن عمر بن الخطاب رضه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤونها لو
علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي الاية قال عمر رضه قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي انزلت على النبي صلعم وهو قائم
بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى
عمر رضي الله عنه فقال له النبي صلعم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذ كمل فانه لم يكمل
شيء الا نقص فقال عم صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلعم فما لبث بعد ذلك الا احدا
وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول
شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم
غير مائل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر اخر كقوله غير
باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات
التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها وتضمين

السؤال

السؤال معنى القول اوقع على الجملة وماذا مبتدأ واحل خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة كما يعتبر
حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لا فعلن يعتبر حال الحاكي فيقال زيد ليفعلن والمسؤول ما احل لهم من
المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف
على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب
فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر فكلوا وانما دخلت الفاء تشبيها
للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب
من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا مكلبين اي معلمين الصيد والمكلب
مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد من الكلب لان التاديب يكثر فيه او لان كل سبع يسمى كلبا من كلاب
فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم لما ان المكلب لا يقع
الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين
او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتاديب كان التعليم به الهام من الله او
مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره و
انصرافه بدعائه وامساك الصيد وعدم الاكل منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه الجملة
على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة على الابتداء خبرها واما على تقدير كونها
عطفا على الطيبات فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف
وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعلم واثره داخلة تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك
وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم
ياكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل
انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع الطير لما ان تأديبها
الى هذه الدرجة متعذر وقال اخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة
رضي الله عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل واذكروا اسم الله عليه
الضمير لما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في شأن
محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون
من الزمان والمعنى على التقدير انه يؤاخذكم سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام الثلثة وقت واحد وانما كرر
للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا
الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم

يأخذ ولعلها الا الشرب الخمر وبه اخذ الشافعي والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم اي حلال
وعن ابن عباس رض انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة
واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون
الملائكة وصنف لا يقرؤون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة
اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله صلعم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم
ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات
من المؤمنات رفع على انه مبتدأ حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر و
العفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات عند ابي حنيفة
صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة ره خلافا للشافعي
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رض
لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتأكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل
المراد بايتائها التزامها واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا آتيتموهن اجورهن حللن
لكم محصنين حال من فاعل آتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير
محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اي الا مسرين به والخدن الصديق يقع
على الذكر والانثى وهو اما مجرور معطوف على مسافحين وزيدت لا لتأكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على
غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلثة ومن يكفر بالايمان اي من ينكر شرائع الاسلام التي من جملتها ما بين هنا
من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في
الآخرة من الخاسرين هو مبتدأ ومن الخاسرين خبره وفي متعلقة بما يتعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف
دل عليه المذكور اي خاسرين في الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما
قبلها وقيل يتعلق في الظرف ما لا يتعلق في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا
يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة
اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب
عنها مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها او اذا قصدتم
الصلوة لاطلاق اسم احد لازميها على الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم يكن محدثا
لكن الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي صلعم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال
عمر رض صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على
الندب مما لا مساغ له فالاوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله
وما نقل عن النبي عم والخلفاء من انهم يتوضؤون لكل صلوة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب
اصلا كيف لا وما روي عنه صلعم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق

الندب

الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ فمردود لقوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق
الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية
مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في
حفظت القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن
بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا
وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية هنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا
وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية هنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا
وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه
انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب
كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب
الشافعي ره اقل ما يطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ره ببيان رسول الله صلعم حيث مسح على ناصيته
وقدرها ربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم
ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة رض وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر
على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم بالجر ونكتة في ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه
على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته
ايماء الى فضيلة الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا
وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر
بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا تخافون به الهلاك او زيادته باستعمال الماء
او على سفر مسترين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا
وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في سورة النساء فليرجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع
الطهارة ما يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق
في الامتثال به ولكن يريد ليطهركم اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى يريد الله ان
يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء
وليتم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصته انعامه عليكم بعزائمه لعلكم
تشكرون نعمته ومن لطائف الآية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل
اثنان مستوعب وغير مستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد

ومبوجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة ● واذكروا نعمة الله عليكم ● بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره ● وميثاقه الذي واثقكم به ●
اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى ● اذ قلتم سمعنا واطعنا ● ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور
في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم
بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلعم على السمع والطاعة في حال العسر
واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عن النبي عليه السلام لكون المرجع اليه
بايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عم
● واتقوا الله ● اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه اي في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل ما ذكر دخولا اوليا ما
ذكر فيه ● ان الله عليم بذات الصدور ● اي بمخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم
عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر باتقائه واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة ● يا ايها الذين آمنوا ● شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما
يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم ● كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ● اي بالعدل ● ولا يجرمنكم
اي لا يحملنكم ● شنآن قوم ● اي شدة بغضكم لهم ● على ان لا تعدلوا ● فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا
عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك ● اعدلوا
هو ● اي العدل ● اقرب للتقوى ● الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم
عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه المثابة فما ظنك بوجوبه في
حق المسلمين ● واتقوا الله ● امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشأنه وتنبيها على انه ملاك
الامر ● ان الله خبير بما تعملون ● من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى
نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ والجملة تعليل
لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرارا وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على
طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل ● وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ● التي من جملتها العدل
والتقوى ● لهم مغفرة واجر عظيم ● حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استئناف
مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قيل وعدهم هذا القول ● والذين
كفروا وكذبوا بآياتنا ● التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى ● اولئك
الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات ● اصحاب الجحيم ● ملابسوها ملابسة مؤبدة وفيه من السنة
السنية القرآنية تشفيع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار
● يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ● تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة
الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم ظرف
على الاول لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا

انعامه تعالى عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم في وقت همهم ● ان يبسطوا اليكم ايديهم ● اي بان يبطشوا بكم
بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا من المسارعة الى بيان رجوع الضرر البسط ونكايته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان
تقديم لكم في قوله عز وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا للمسارعة الى بيان كون المخلوق من منافعهم
تعجيلا للمسرة ● فكف ايديهم عنكم ● عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد
الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم
ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعدما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث
انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي
ان المشركين رأوا رسول الله صلعم واصحابه رضي الله عنهم بعسفان في غزوة ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة
من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا
ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى
كيدهم بان انزل صلوة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلعم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم
لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك
ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله
تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل هو ما روي انه صلعم نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاه
يستظلون بها فعلق رسول الله صلعم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال
عم الله تعالى فاسقطه جبريل عم من يده فاخذه الرسول صلعم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله ● واتقوا الله ● عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها
او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ● وعلى الله ● اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا
واشتراكا ● فليتوكل المؤمنون ● فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة
امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب
من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ● ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل ● كلام مستأنف
مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين
على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه
على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها
من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق
الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل ● وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا ● للجري
على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عم كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر

مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل من فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى
فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع
روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان
يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم
وامر موسى عم ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار
النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة
فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط
يهوذا ويوشع بن نون نقيب سبط افرائيم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس
لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلثة الاف وثلثمائة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلثة الاف سنة
وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون
انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل
فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم
لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما
السلام فيكونان هما يريان رايهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عم وكان معهم
حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا كالبا ويوشع
وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر
ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه فانثقبت فوقعت
في عنق عوج وطوقته وصرعته واقبل موسى عم وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء
عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه
وقال الله اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات
مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة لا
بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد
في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم
فاجازيكم بذلك هذا وقيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل
الذين ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة
وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم تكذيب بعض
الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب
وقيل التعظيم والتوقير والثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير

او بالتصدق

او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في
قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض
وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول ضرورة تقدم
التخلية على التحلية فمن كفر اي برسلي او بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم
من آمن تقوية للترغيب والترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم
متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم تخلفا عن الشرطية السابقة لاخراج
كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما
يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان
ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب
العنوان فعل جديد وصنع حادث فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا لا شبهة فيه و
اخطأه خطاء فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له
معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم
المؤكد لا بشيء آخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم
قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان
تحقق نفس النقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشيء البسيطة
على هليته المركبة للايذان بان تحققه امر جلي غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية و
المسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتأثر عن الآيات والنذر وقيل املينا لهم ولم
نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي
اما مبالغة قاسية واما بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا فيه يبس وخشونة
وقرئ بكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان مرتبة قساوة
قلوبهم فانه لا مرتبة اعظم مما يصحح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع
للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا اي تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به
من التوراة او من اتباع محمد صلعم وقيل حرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي
قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة على
انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائنة
على ان التاء للمبالغة او نفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين
الاولين ابتدائية اي على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية
والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى

ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على
الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه
الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح
اي ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين
تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم ومن متعلقة
باخذنا والتقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال
احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا
اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف قامت صفته او صلته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من
اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى بني اسرائيل اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اولئك اي مثل ميثاقهم
من الايمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون
ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن انصار الله بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا
من نصرة الله تعالى في شيء او اظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم
لنصرته تع يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا
وافرا مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك خصائص انبياء وقيل هو ما كتب عليهم
في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلعم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية
ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق
واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي
اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى
الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون الى يوم القيمة حسبما
تقتضيه اهواؤهم المختلفة واراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلث فضمير بينهم لهم خاصة
وقيل لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبئهم الله بما كانوا
يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت اي لنجازيهم بما عملوا
على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتاكيد الوعيد والالتفات
الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم
في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها
للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في افادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب
التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة و
غيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلعم والقران وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب

لانطواء

لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل
بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا
الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية
على غيرها للدلالة على تجدد البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي التورية والانجيل كنعت محمد عليه السلام واية الرجم في التورية
وبشارة عيسى عم في الانجيل وتاخير كثيرا من الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من
تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب
تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما يتعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد
اليها محذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا
من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير اي
ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما ينبئ عنه التعبير عن
عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية
داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تع قد جاءكم من الله نور جملة مستانفة مسوقة
لبيان ان فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله
متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور واياما كان فهو صريح بما يشعر به اضافة
الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء من جهته
العالية والتشويق الى الجائي ولان فيه نوع طول يخل تقدمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى
وجاءك في هذه الحق وموعظة للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وكتاب مبين القران فانه
من لكشف ظلمات الشرك والشك وابانة ما خفي على الناس من الحق او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة
بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلعم وبالثاني القران يهدي به الله
توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام
واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب
على الحالية منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة
سبل السلام اي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبيل الله تع وهو شريعته
التي شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الجار على طريقة قوله تع واختار
موسى قومه وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تع ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم
الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر
والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الى

الى الله تعالى ومؤدية اليه لا محالة وهذه الآية عين الهداية الى سبل السلام واما تحصنت عليها تنزيلاً
للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم﴾ اي لا غيره كما يقال الكرم هو
التقوى وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد حل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به
احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه
المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتاً وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم
لازم قولهم توضيحاً لجهلهم وتفضيحاً لمعتقدهم ﴿قل﴾ اي تبكيتاً لهم واظهاراً لبطلان قولهم الفاسد و
الفاء في قوله تعالى ﴿فمن يملك من الله شيئاً﴾ فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك
الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف اي ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته
تعالى وارادته شيئاً وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك شيئاً منها ﴿ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الا
الارض جميعاً﴾ ومن حق من يكون الهاً ان لا يتعلق به ولا بشأن من شؤونه بل بشيء من الموجودات
قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلاً عن ان يعجز عن دفع شيء منها عن تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بيناً لا ريب
فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقاً لا بطريق السخط و
الغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص
على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري
عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئاً من الله ان اراد
الى آخره لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني
فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح
على ابلغ وجه وآكده فيظهر استحالة الوهيته قطعاً وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من
التحقيق بقصرها بان يقال فمن يملك من الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال
العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلاً عن دفع ما اريد بغيره وللايذان
بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية
وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك
من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام
بجعل حالها انموذجاً لحال بقية من عداها من الموجودين وقوله ﴿ولله ملك السموات والارض وما بينهما﴾
اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة
وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة
الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها
ايجاداً واعداماً واحياءً واماتة لا لاحد سواه استقلالاً ولا اشتراكاً فهو تحقيق لاختصاص الالوهية

به تعالى

به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى ﴿يخلق ما يشاء﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض
احكام الملك والالوهية على نهج ما اغراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير و
واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة
محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق
السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات
ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق سائر الناس و
يخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على
يد عيسى عليه السلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من
اجرى ذلك على يده ﴿والله على كل شيء قدير﴾ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل
وتقوية استقلال الجملة ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه﴾ حكاية لما صدر عن الفريقين
من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه اي قالت اليهود نحن اشياع
ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون
وكما يقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلعم دعا جماعة من اليهود
الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى
يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو
والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلاً ومزية عند الله تعالى
على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلعم ﴿قل﴾ اي الزاماً وتبكيتاً ﴿فلم يعذبكم بذنوبكم﴾
اي ان صح ما زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الآخرة
بالنار اياماً بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى
﴿بل انتم بشر﴾ عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر ﴿ممن خلق﴾ اي من جنس من خلقه
الله تعالى من غير مزية لكم عليهم ﴿يغفر لمن يشاء﴾ ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى
وبرسله ﴿ويعذب من يشاء﴾ ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ﴿ولله ملك السموات والارض
وما بينهما﴾ من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية تحت ملكوته يتصرف
فيهم كيف يشاء ايجاداً واعداماً احياء واماتة واثابة وتعذيباً فاني لهم ادعاء ما زعموا ﴿واليه المصير﴾ في الآخرة
خاصة لا الى غيره استقلالاً او اشتراكاً فيجازي كلاً من المحسن والمسيء بما يستدعيه علمه من غير صارف يثنيه
ولا عاطف يلويه ﴿يا اهل الكتاب﴾ تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف في الدعوة ﴿قد جاءكم
رسولنا يبين لكم﴾ حال من رسولنا وايثاره على مبنياً لما مر فيما سبق اي يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية
المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان ارجاء دينكم الشفعاء وما سيأتي
من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلاً على ظهور ان مجيء الرسل انما هو لبيان ذلك او ينفعل لكم البيان وبذله

لكم في كل ما تحتاجون فيه إلى البيان من أمور الدين وأما تقدير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب فيأباه كونه تكريرا من غير فائدة يعتد بها وقوله عز وجل ● على فترة من الرسل ● فإن فتور الإرسال
وانقطاع الوحي إنما يحوج إلى بيان الشرائع والأحكام لا إلى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية
كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان أي جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع
من الوحي ومزيد احتياج إلى بيان الشرائع والأحكام الدينية أو بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين أو من ضمير
لكم أي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل أو حال كونكم عليها أحوج ما كنتم إلى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف
وقع صفة لفترة أي كائنة من الرسل مبتدئة من جهتهم وقوله تعالى ● أن تقولوا ● تعليل لمجيء الرسول
بالبيان على حذف المضاف أي كراهة أن تقولوا معتذرين عن تفريطكم في مراعاة أحكام الدين ● ما جاءنا من بشير
ولا نذير ● وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وانقطعت أخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء
وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي أن المقدر والمنوي فيما سبق هو الشرائع والأحكام لا كما كانت
بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى ● فقد جاءكم بشير ونذير ● متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء
الفصيحة ويبين أنه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير أي بشير ونذير أي نذير
● والله على كل شيء قدير ● فيقدر على الإرسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عم حيث كان بينهما ألف وسبعمائة
سنة وألف نبي وعلى الإرسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عم حيث كان بينهما ستمائة سنة أو خمسمائة
وتسع وستون سنة أو خمسمائة وست وأربعون سنة وأربعة أنبياء على ما روى الكلبي ثلاثة من بني
إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى إلا رسول الله صلعم وهو الأنسب
بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بأن الرسول قد بعث إليهم عند كمال حاجتهم إليه بسبب
مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا
غدا بأنه لم يرسل إليهم من ينبههم عن غفلتهم ● وإذ قال موسى لقومه ● جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت
بنو إسرائيل بعد أخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث إن ما ذكر فيه من الأمور
التي وصف النبي صلعم ببيانها ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم وإذ نصب على أنه مفعول لفعل
مقدر خوطب به النبي صلعم بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن أهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من
الجنايات أي واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم بإضافتهم إليه ● يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم ● وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات
للمبالغة أي في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت
مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فإذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كأنه مشاهد عيانا وعليكم متعلق
بنفس النعمة إذا جعلت مصدرا أو بمحذوف وقع حالا منها إذا جعلت اسما أي اذكروا إنعامه عليكم أو اذكروا
نعمته كائنة عليكم وكذا إذ في قوله تعالى ● إذ جعل فيكم أنبياء ● أي اذكروا إنعامه عليكم في وقت جعله أو اذكروا
نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من أقربائكم أنبياء ذوي عدد كثير وأولي شأن خطير حيث لم يبعث من

أمة

أمة من الأمم ما بعث من بني إسرائيل من الأنبياء ● وجعلكم ملوكا ● عطف على جعل فيكم داخل في حكمه أي جعل
فيكم أو منكم ملوكا كثيرة فإنه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء وإنما حذف الظرف تعويلا على ظهور الأمر أو
جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما أن أقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وإنما لم
يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما أن منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال بحيث ليس أن ينسب
إليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله تعالى فسمى إنقاذهم
ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف
الأعمال وتحمل المشاق ● وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ● من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام
وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الأمور العظام والمراد بالعالمين الأمم الخالية إلى زمانهم وقيل
من عالمي زمانهم ● يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ● كرر النداء بالإضافة التشريفية اهتماما بشأن الأمر
ومبالغة في حثهم على الامتثال به والأرض هي أرض بيت المقدس سميت بذلك لأنها كانت قرار الأنبياء و
مسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقيل هي الشام
● التي كتب الله لكم ● أي كتب في اللوح أنها تكون مسكنا لكم إن آمنتم وأطعتم لقوله تعالى لهم بعدما عصوا فإنها
محرمة عليهم وقوله تعالى ● ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ● فإن ترتب الخيبة والخسران على الارتداد
يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الإيمان والطاعة قطعا أي لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة
والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز أن يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا أحوالهم
من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا رأسا ينصرف بنا إلى مصر أو لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان
وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا إما مجزوم عطفا على ترتدوا أو منصوب على جواب النهي والخسران خسران
الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم ● قالوا ● استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كأنه
قيل فماذا قالوا بمقابلة أمره عم ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك ● يا موسى إن فيها قوما جبارين ● متغلبين
لا تتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار فعال الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما
يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الأمر أي أجبره عليه ● وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ● من
غير صنع من قبلنا فإنه لا طاقة لنا بإخراجهم منها ● فإن يخرجوا منها ● بسبب من الأسباب التي لا تعلق لنا بها
● فإنا داخلون ● حينئذ أتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول
بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على أن امتناعهم من دخولها ليس إلا لمكانهم فيها وأتوا في الجزاء
بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة وإظهارا لكمال
الرغبة فيه وفي الامتثال بالأمر ● قال رجلان ● استئناف كما سبق كأنه قيل هل اتفقوا على ذلك أو خالفهم
البعض فقيل قال رجلان ● من الذين يخافون ● أي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة أمره
ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رضه وفيه تعريض بأن من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين
يخافون العدو أي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل

بهما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة
عن الجبابرة والضمير في لهم يعود الى العائد المحذوف اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من يخافون
على صيغة المبني للمفعول اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى
بالتذكير او يخوفهم الوعيد (انعم الله عليهما) اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شؤونه والثقة
بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان
لتخصيصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين (ادخلوا عليهم الباب) اي باب بلدهم وتقديم الجار
والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق
وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا (فاذا دخلتموه) اي باب بلدهم وهم فيه (فانكم
غالبون) من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدناهم ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة
فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علما
من جهة موسى عليه السلام ومن قوله كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى
لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول (وعلى الله) خاصة (فتوكلوا)
بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عند الله العزيز القدير
(ان كنتم مؤمنين) اي مؤمنين حق مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما (قالوا)
استيناف كما سبق اي قالوا مبالغين بها وبما قالا مخاطبين لموسى عليه السلام واظهارا لاصرارهم على القول
الاول وتعريجا على نقضهم له عليه السلام (يا موسى انا لن ندخلها) اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول
بابهم في بلدهم (ابدا) اي دهرا طويلا (ما داموا فيها) اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف
بيان (فاذهب) الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب (انت وربك فقاتلا) اي فقاتلاهم
انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما
ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما يقول تكلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا
فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تع فقاتلا ولم
يذكروا هرون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤوا بقتالهم وقوله تع (انا ههنا قاعدون)
يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر (قال) عليه السلام لما رأى منهم ما رأى
من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تع مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة و
تستنزل النصرة (رب اني لا املك الا نفسي واخي) عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني على معنى اني
لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل (فافرق بيننا) يريد نفسه
واخاه والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله (وبين القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعتك
المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من
صحبتهم (قال فانها) اي الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء (محرمة عليهم)
تحرم

تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث
نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تع (اربعين سنة) ان جعل ظرفا لمحرمة
يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها
احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حيا روي ان موسى عم
سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام بها ما شاء الله
تعالى ثم قبضه عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى عم
النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريما عليهم لما بينهما
من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله تع (يتيهون في الارض) اي يتحيرون في البرية استيناف
لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا
قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكانوا يطوفون طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ في اثني عشر
فرسخا روي انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم
من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم
مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان
بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى عم وهرون معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار
لابراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة
ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعدما قبل دعوته على اسرائيل
وعذبهم بالتيه بعيد ان يبقي بعض المدعو عليهم او ذراريهم ويقدر وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك
لهما نزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال
بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق (فلا تأس) فلا تحزن (على القوم
الفاسقين) روي انه عم ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم
(واتل عليهم) عطف على مقدر تعلق بعلوم به قوله تع واذ قال موسى الخ تعلقه به من حيث انه تمهيد
لما سيأتي من جنايات بني اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات
(نبأ ابني آدم) هما قابيل وهابيل وتقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة
آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج كل منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل
واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عم فقال
لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم
تتعرض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل (بالحق) متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر
محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او حالا من فاعل اتل او مفعوله وهو نبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه
على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما في ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان

وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم لما يحلى اى يعطى وتوحيده لما انه في
الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب ضرع
وقرب حملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع و
قرب اردأ ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا قال استيناف مبني على سؤال نشأ من سوق
الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله
عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اى والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال استيناف
كما قبله اى قال الذى يتقبل قربانه لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم
قبول قربان نفسه انما يتقبل الله اى القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك
لما فيّ من التقوى وعدمه اى انما اتيت من قبل نفسك لا من قبلي فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل
سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى
الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال
بطريق التوكيد لئن بسطت الىّ يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام
الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه
ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة بما الحجازية
المفيدة لتاكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في اظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي
البسط كما في قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية
كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء
الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع
قيده اى والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت
من الاوقات ثم علل ذلك بقوله اني اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى
خشية الله تعالى على ابلغ وجه وآكده ما لا يخفى كانه قال انى اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك
ان يعاقبني وان كان ذلك مني لدفع عدوانك عني فما ظنك بحالك وانت البادئ العادي وفي وصفه تعالى
بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا من الله
تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلعم كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية
في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل آخر لامتناعه
عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على كفاية كل
منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك ان ترجع باثمي اى بمثل اثمي لو
بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الىّ كما في قوله صلعم المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد

المظلوم اى على البادئ عين اثم سبه ومثل اثم صاحبه لكونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي وباثمك
اثمك الذى لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا
لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد بالاثم
عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية اصلا و
يأباه قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين
لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله
وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير
بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد
فطوعت له نفسه قتل اخيه اى وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب
التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء
الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعي القوية وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة
امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ او لان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة
قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على
استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت
على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله للزيادة
الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل له ابليس واخذ
طائرا ووضع راسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم
لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في
موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل نود ولما قتله
تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة
حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتاكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في ليريه لله تعالى او للغراب واللام
على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري
والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت قال استيناف مبني على سؤال نشأ
من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى هي كلمة جزع
وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة
اعجزت ان اكون اى عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي تعجب من عدم اهتدائه

الى ما اكتسبه الى الموت وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اي فانا اواري فاصبح من
النادمين اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده
وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث
آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال
انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار
فعبدها وهو اول من عبد النار • من اجل ذلك • شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبا من بيان بعض آخر
من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شأن القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في
تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن
نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل
بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة
القلب • والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من اجلك
جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه
وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل
وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبينا • انه من
قتل نفسا • واحدة من النفوس • بغير نفس • اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص • او فساد في الارض •
اي فساد يوجب هدر دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى
من غير وضوء او تيمم بطلت صلوته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار
الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من التردد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة
واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم
بتحقق احدهما او اشتراطه بتحققهما معا ففي الاول يرد النفي على التردد الواقع بين الامرين قبل وروده
فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد التردد على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور
عكسه وتوضيحه ان كل حكم مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول
هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض
الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت
صلوته مشروطا بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض
الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم
بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او
الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما
فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بغير وضوء او ثوب صحت صلوته بحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين

كان

كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما
فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل و
الفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل
نفسا بغير احدهما • فكانما قتل الناس جميعا • من قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم
الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك
الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب
غضب الله تعالى وعذابه العظيم • ومن احياها • اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل
او الفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه •
فكانما احيى الناس جميعا • وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شأن الاحياء بتصوير كل منهما
بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته و
تبادره الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان
مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا • ولقد
جاءتهم رسلنا بالبينات • جملة مستأنفة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف
التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الى آخره للتصريح بوصول
الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات
الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأييدا لتحتم المحافظة عليه • ثم ان كثيرا منهم
بعد ذلك • اي بعد ما ذكر من الكتب وتأكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع
اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد
في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون • وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينها
لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدا وانما دخولها في الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما و
الاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان
اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان ضوء قبح الامرين وافظعهما الكنى
بذكره في مقام التشنيع • انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله • كلام مستأنف سيق لبيان حكم
نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر
بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل اي يحاربون
رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته
من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس
لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر

وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيماً لهم والمعنى يحاربون أولياءهما وأصل الحرب السلب والمراد
ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وإن كانت في مصر ﴿ويسعون في الأرض﴾ عطف
على يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى ﴿فساداً﴾ إما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون أي
مفسدين أو مفعول له أي للفساد أو مصدر مؤكد ليسعون لأنه في معنى يفسدون على أنه مصدر من أفسد
بحذف الزوائد أو اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الأسلمي وكان وادع رسول الله
صلعم على أن لا يعينه ولا يعين عليه ومن أتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال إلى رسول الله صلعم
فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهداً فقطعوا
عليهم وقتلوهم وأخذوا أموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من أهل الكتاب
بينهم وبين رسول الله صلعم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض ولما كانت المحاربة
والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون أخذ المال ومن القتل مع أخذه ومن أخذه بدون
قتل ومن الإخافة بدون قتل وأخذ شرعت لكل مرتبة من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل
﴿أن يقتلوا﴾ أي حداً من غير صلب إن أفردوا القتل ولو عفا الأولياء لا يلتفت إلى ذلك لأنه حق الشرع
ولا فرق بين أن يكون القتل بآلة جارحة أو لا ﴿أو يصلبوا﴾ أي مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ
بأن يصلبوا أحياء وتبعج بطونهم برمح إلى أن يموتوا وفي ظاهر الرواية أن الإمام مخير إن شاء اكتفى بذلك
وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف
فيهما ﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف﴾ أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن اقتصروا على أخذ المال
من مسلم أو ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم أصاب كلاً منهم عشرة دراهم أو ما يساويها قيمة
أما قطع أيديهم فلأخذ المال وأما قطع أرجلهم فلإخافة الطريق بتفويت أمنه ﴿أو ينفوا من الأرض﴾
إن لم يفعلوا غير الإخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فإنه نفي عن وجه الأرض بدفع
شرهم عن أهلها ويعزرون أيضاً لمباشرتهم منكر الإخافة وإزالة الأمن وعند الشافعي ره النفي من بلد
إلى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعاً وقيل هو النفي من بلده فقط وكانوا ينفونهم إلى دهلك وهو بلد
في أقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ﴿ذلك﴾ أي ما فصل من الأحكام والأجزية وقيل
هو مبتدأ وقوله ﴿لهم خزي﴾ جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله تعالى ﴿في الدنيا﴾ متعلق بمحذوف وقع صفة
لخزي أو متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على أنها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف
وقع حالاً من خزي لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالاً وفي الدنيا إما صفة لخزي أو متعلق به على ما مر والخزي
الذل والفضيحة ﴿ولهم في الآخرة﴾ غير هذا ﴿عذاب عظيم﴾ لا يقادر قدره لغاية عظم جنايتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم
وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالاً من عذاب لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب
حالاً أي كائناً في الآخرة ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله
عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ أما ما هو من حقوق الأولياء من القصاص ونحوه فإليهم ذلك

إن شاؤوا

إن شاؤوا عفوا وإن أحبوا استوفوا وإنما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه أن الحارث بن
بدر جاءه تائباً بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ لما ذكر
عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما وأشير في تضاعيف ذلك إلى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته أمر المؤمنين
بأن يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل
الطاعات التي من زمرتها السعي في إحياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة إلى التوبة والاستغفار ﴿وابتغوا﴾
أي اطلبوا لأنفسكم ﴿إليه﴾ أي إلى ثوابه والزلفى منه ﴿الوسيلة﴾ هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب إلى الله عز
وجل من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل إلى كذا أي تقرب إليه بشيء وإليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام وليست
بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فإنه ملاك الأمر كله كما أشير إليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من
كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد أو مطلق الوسيلة وهي داخلة فيها دخولاً أولياً وقيل
الجملة الأولى أمر بترك المعاصي والثانية أمر بفعل الطاعات وحيث كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل
الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الأمر بهما بقوله تعالى ﴿وجاهدوا في سبيله﴾ بمحاربة أعدائه البارزة و
الكامنة ﴿لعلكم تفلحون﴾ بنيل مرضاته والفوز بكرامته ﴿إن الذين كفروا﴾ كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال
بالأوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة إلى تحقيق التوسل إليه عز وجل قبل انقضاء أوانه ببيان استحالة
توسل الكفار يوم القيامة بأقوى الوسائل إلى النجاة من العذاب فضلاً عن نيل الثواب ﴿لو أن لهم﴾ أي لكل واحد
منهم كما في قوله تعالى ولو أن لكل نفس ظلمت إلى آخره لا لجميعهم إذ ليس في ذلك مزيد المرتبة من تهويل الأمر وتفظيع الحال
﴿ما في الأرض﴾ أي من أصناف أموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم أن ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف
خلا أن عند البعض رفع على الابتداء لا حاجة فيه إلى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه وقد اختصت من
بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدماً أي لو ثابت كون ما في الأرض لهم وقيل يقدر
مؤخراً أي لو كون ما في الأرض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو أي
لو ثبت أن لهم ما في الأرض وقوله تعالى ﴿جميعاً﴾ تأكيد للموصول أو حال منه ﴿ومثله﴾ بالنصب عطف عليه وقوله
تعالى ﴿معه﴾ ظرف وقع حالاً من المعطوف والضمير راجع إلى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق
المعية لا بطريق التعاقب تحقيقاً لكمال فظاعة الأمر مع ما فيه من نوع إشعار بكونهما شيئاً واحداً وتمهيد
لإفراد الضمير الراجع إليهما واللام في قوله تعالى ﴿ليفتدوا به﴾ متعلقة بما تعلق به خبر أن أعني الاستقرار المقدر في
لهم أو بالخبر المقدر عند من يرى تقديره مقدماً أو مؤخراً أو بالفعل المقدر بعد لو على رأي المبرد ومن نحا نحوه ولا
ريب في أن مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وإن كان مستلزماً له والباء في به متعلقة بالافتداء
والضمير راجع إلى الموصول ومثله معاً وتوحيده إما لما أشير إليه وإما لإجرائه مجرى اسم الإشارة كأنه قيل
بذلك كما في قوله كأنه في الجلد توليع البهق أي كأن ذاك وقيل هو راجع إلى الموصول والعائد إلى المعطوف
أعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قول من قال فإني وقيار بها لغريب أي وقيار أيضاً غريب ويجوز أن
يكون نصب ومثله على أنه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعاً على مذهب المبرد ومن رأى رأيه وأنت

خبر بأنه يؤدي إلى كون الرفع للعاطف على غير الناصب للمفعول معه لأن المعنى على اعتبار المعية بين ما في الأرض
ومثله في الكينونة لهم لا ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما أن سيبويه
قد نص على أن اسم الإشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وأن قوله هذا لك وأباك
قبيح وإن جوز بعض النحاة في الظروف وحروف الجر وقوله تعالى ﴿من عذاب يوم القيامة﴾ متعلق بالافتداء أيضاً
أي لو أن ما في الأرض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لأنفسهم من العذاب الواقع يومئذ ﴿ما تقبل منهم﴾ ذلك
وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لأجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بأن يقال وافتدوا به مع أن
الرد والقبول إنما يترتب عليه لا على مباديه للإيذان بأنه أمر محقق الوقوع غني عن الذكر وإنما المحتاج إلى
الفرض قدرتهم على ما ذكر أو للمبالغة في تحقق الرد وتخييل أنه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى ﴿أنا آتيك به
قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده﴾ حيث لم يقل فأتى به فرآه فلما الخ وما في قوله تعالى ﴿وقالت اخرج
عليهن فلما رأينه أكبرنه﴾ من غير ذكر خروجه عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية خبر إن الذين كفروا والمراد
تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلعم يقال للكافر
أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك وهو كلمة
الشهادة وقوله تعالى ﴿ولهم عذاب أليم﴾ تصريح بما أشير إليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته
قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفاً على خبر إن وقيل عطف على إن الذين فلا محل له كما للمعطوف عليه
﴿يريدون أن يخرجوا من النار﴾ استئناف مسوق لبيان حالهم في أثناء مكابدة العذاب مبني على السؤال
نشأ مما قبله كأنه قيل فكيف يكون حالهم أو ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيفه أن عذابهم
عذاب النار وقيل إنهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم إلى فوق فهنالك يريدون
الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها إياهم وقيل يتمنونه ويريدونه
بقلوبهم وقوله عز وجل ﴿وما هم بخارجين منها﴾ إما حال من فاعل يريدون أو اعتراض وأياً ما كان فإيثار
الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم
باستمرار عدم خروجهم منها فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية أيضاً
بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى ﴿ما أنا بباسط﴾ الخ وقرئ أن يخرجوا على بناء المفعول من الإخراج
﴿ولهم عذاب مقيم﴾ تصريح بما أشير إليه إشعاراً من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته ﴿والسارق والسارقة﴾ شروع
في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان أحكام الكبرى وقد عرفت فيما قبل أن إيراد ما توسط بينهما من المقال
ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة اعتناء مع أن المعهود في الكتاب والسنة
إدراج النساء في الأحكام الواردة في شأن الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر
وهو مبتدأ وخبر عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم أو وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما
وعند المبرد قوله تعالى ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط إذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ
بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لأن الإنشاء لا يقع خبراً إلا بتأويل وإضمار والسرقة أخذ مال الغير خفية وإنما

توجب

توجب القطع إذا كان الأخذ من حرز والمأخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موقعها
والمراد بأيديهما أيمانهما كما ينفصح عنه قراءة ابن مسعود رضه والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم
ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ اكتفاء بتثنية المضاف إليه واليد اسم
لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج إلى أن المقطع هو المنكب والجمهور على أنه الرسغ لأنه عم أتي بسارق فأمر بقطع
يمينه منه ﴿جزاء﴾ نصب على أنه مفعول له أي فاقطعوا للجزاء أو مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا أي
فجازوهما جزاء وقوله تعالى ﴿بما كسبا﴾ على الأول متعلق بجزاء وعلى الثاني بفاقطعوا وما مصدرية أي بسبب كسبهما
أو موصولة أي بسبب الذي كسباه من السرقة التي تباشر بالأيدي وقوله تعالى ﴿نكالاً﴾ مفعول له أيضاً على البدلية من
جزاء لأنهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة
الأحوال المتداخلة فإنه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما إذا قلت ضربته تأديباً له إحساناً إليه فإن الضرب
معلل بالتأديب والتأديب معلل بالإحسان وقد أجازوا في قوله عز وجل ﴿أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن
ينزل الله﴾ مفعول له ناصبه بغياً على أن التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى ﴿من الله﴾ متعلق بمحذوف
وقع صفة لنكالاً أي نكالاً كائناً منه تعالى ﴿والله عزيز﴾ غالب على أمره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه و
لا ضد يمانعه ﴿حكيم﴾ في شرائعه لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على
فنون الحكم والمصالح ﴿فمن تاب﴾ من السراق إلى الله تعالى ﴿من بعد ظلمه﴾ الذي هو سرقته والتصريح به مع أن
التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته ﴿وأصلح﴾ أي أمره بالتفصي عن تبعات ما باشره و
العزم على ترك المعاودة إليها ﴿فإن الله يتوب عليه﴾ أي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة وأما القطع فلا تسقطه
التوبة عندنا لأن فيه حق المسروق منه ويسقطه عند الشافعي في أحد قوليه ﴿إن الله غفور رحيم﴾ مبالغ في المغفرة
والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله وإظهار الاسم الجليل للإشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال
الجملة وكذا في قوله عز وجل ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ فإن عنوان الألوهية مدار أحكام
ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ والجملة خبر أن وهي مع ما في حيزها ساد مسد
مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الإسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول الله صلعم بطريق التلوين وقيل لكل
أحد صالح للخطاب والاستفهام الإنكاري لتقرير العلم والمراد الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي
من التعذيب والمغفرة على أبلغ وجه وأتمه أي ألم تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان
للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما إيجاداً وإعداماً وإحياءً وإماتة إلى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته
﴿يعذب من يشاء﴾ أن يعذبه ﴿ويغفر لمن يشاء﴾ أن يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب
على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة إما مقررة لكون ملكوت السموات والأرض له سبحانه
أو خبر آخر لأن ﴿والله على كل شيء قدير﴾ فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والإظهار في موقع الإضمار
لما مر مراراً والجملة تذييل مقرر لما قبلها ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ خوطب صلعم
بعنوان الرسالة للتشريف والإشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة

وإيثار كلمة في على كلمة إلى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة الخ للإيماء إلى أنهم مستقرون في الكفر
لا يبرحونه وإنما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه وأحكامه إلى بعض آخر منها كإظهار موالاة المشركين وإبراز
آثار الكيد للإسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات فإنهم مستقرون على الخير مسارعون
في أنواعه وأفراده والتعبير عنهم بالموصول للإشارة بما في حيز صلته إلى مدار الحزن وهذا وإن كان
بحسب الظاهر نهياً للكفرة عن أن يحزنوه عم بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عم عن التأثر من
ذلك والمبالاة به على أبلغ وجه وآكده فإن النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق
البرهاني وقلع له من أصله وقد يوجه النهي إلى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا
يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يُحزِنك من أحزنه منقولاً من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون
يقال أسرع فيه الشيب أي وقع فيه سريعاً أي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين
قالوا آمنا بأفواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل يسارعون
وقيل من الموصول أي كائنين من الذين الى آخره والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن
قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين
قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم إلى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون
للكذب خبر لمبتدأ محذوف أي راجع إلى الفريقين أو إلى المسارعين وأما رجوعه إلى الذين هادوا
فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبراً على أن قوله
سماعون الخ صفة لمبتدأ محذوف أي ومنهم قوم سماعون إلى آخره لأدائه إلى اختصاص ما عدد من القبائح
وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والأخروية بهم فالوجه ما ذكر أولاً أي هم سماعون واللام لتقوية
العمل إما لتضمين السماع معنى القبول وإما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب
أو في قبوله باعتبار إخبار أحبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه أو سماعون أخباركم وأحاديثكم
ليكذبوا عليكم بأن يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير أو أخبار الناس وأقاويلهم الدائرة
فيما بينهم ليكذبوا فيها بأن يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم وأياً ما
كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فإن كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء
أمورهم على ما لا أصل له من الأباطيل والأراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون
وما يذرون لتقطع بظهور بطلان أكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الأفاعيل الفاسدة المؤدية
إلى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين
خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للأول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الأولين واللام مثلها في سمع الله
لمن حمده أي الرجوع إلى معنى من أي قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين وأما كونها لام
التعليل بمعنى سماعون منك عم لأجل قوم آخرين وجهوهم عيوناً ليبلغوهم ما سمعوا منك عم أو كونها متعلقة
بالكذب على أن سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم

أصلاً

أصلاً وقوله تعالى لم يأتوك صفة أخرى لقوم أي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبراً
وإفراطاً في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة يحرفون الكلم من مواضعه صفة أخرى
لقوم وصفوا أولاً بمغايرتهم للسماعين تنبيهاً على استقلالهم وأصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم
مجلس الرسول عم إيذاناً بكمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بياناً لإفراطهم في العتو
والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعييناً للكذب الذي سمعه السماعون أي يميلونه و
يزيلونه عن مواضعه بعد أن وضعه الله تعالى فيها إما لفظاً بإهماله أو تغيير وضعه وإما معنى بحمله على غير المراد وإجرائه
في غير مورده وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف
راجع إلى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ويجوز أن يكون حالاً
من ضمير يحرفون وأما تجويز كونها صفة لسماعون أو حالاً من الضمير فيه فمما لا سبيل إليه أصلاً كيف لا وأن
مقول القول ناطق بأن قائله ممن لم يحضر مجلس الرسول صلعم والمخاطب ممن يحضره فكيف يمكن أن يقوله السماعون
المترددون إليه عم لمن لا يحوم حوله عم قطعاً وادعاء قول السماعين لأعقابهم المجالسين للمسلمين تعسف
ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه أن المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون أي
يقولون لأتباعهم السماعين لهم عند إلقائهم إليهم أقاويلهم الباطلة مشيرين إلى كلامهم الباطل إن
أوتيتم من جهة الرسول عم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فإنه الحق وإن لم تؤتوه بل أوتيتم
غيره فاحذروا قبوله وإياكم وإياه وفي ترتيب الأمر بالحذر على مجرد عدم إيتاء المحرف من المبالغة في التحذير
ما لا يخفى روي أن شريفاً من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما
فبعثوا رهطاً منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلعم عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا
وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل عم
اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عم هل تعرفون شاباً أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن
صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى بن عمران في التوراة قال فأرسلوا
إليه ففعلوا فأتاهم فقال له النبي صلعم أنت ابن صوريا قال نعم قال عم وأنت أعلم اليهود قال كذلك يزعمون
قال لهم أترضون به حكماً قالوا نعم فقال له رسول الله أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر و
أنجاكم وأغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وأنزل
عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من أحصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا
خشيت أن يحرقني التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عم إذا شهد
أربعة رهط عدول أنه أدخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي أنزل التوراة
على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل
علينا العذاب ثم سأل صلعم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول
الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلعم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله

فتنته اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح
بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من الله شيئا
في دفعها والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك
اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في
الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة
لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم
بما ذكر من المسارعة في الكفر اولا وشرح فنون ضلالاتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم
منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما خزي المنافقين
فهتك سترهم وظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور
كذبهم في كتمان نص الكتاب وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من
الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم وهو الخلود في النار
وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير
والتأكيد والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب
كأنه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية سماعون للكذب خبر آخر للمبتدأ المقدر كرر تأكيدا
لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم اي وبناء
على ان المراد بالكذب ما يفتعله الرؤساء عند الاكل والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل
كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به هنا
الرشى التي كانوا يأخذونها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كانوا يأخذونه
فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا و
قرئ السحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي
صلعم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلفة
الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافاعيلهم حسبما امر به عم خوطب عم ببعض ما ينبغي عليه من الاحكام بطريق
التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات
فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلعم بين الامرين
فقيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنى المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا
الى رسول الله صلعم فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد واذا قتلوا منا قتيلا
لم يقيدونا بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف
مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد
منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عم الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه

ثابت

ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم ره ومن قائل انه منسوخ وهو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس رض لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا
شعائر الله نسخها قوله تعالى فاقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها وان احكم بينهم
بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم
حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه
عليه السلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد
عداوتهم له عم فآمنه الله عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من
الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين
فيحفظهم عن كل مكروه ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم
لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه
على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك
حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من
التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فهو حال من ضميرها المستكن في الخبر وقيل استئناف
مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة و
دوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد
ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم يعرضون عن حكمك
الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله
ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح
ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر
بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او بها وقيل وما اولئك
بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا التوراة كلام مستأنف سيق لبيان علو شأن التوراة
ووجوب مراعاة احكامها واتمامه بتنزل مرتبة فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر
مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون
من عدم ايمانهم بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التوراة فان ما فيها
من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها
وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى
يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل وفصل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستأنفة مبينة لرفعة
رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونها حالا من التوراة فتكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون

ان يس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على
العامل لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول
ربما يخل تقديمه بتجاذب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح
دون التخصيص والتوضيح لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون
وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف في معرض
مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملئكة بالايمان عليهم
السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود
وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عم لاسيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى للذين
هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم
كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال
رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لهم الا انه نص فيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم
فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كائنان للذين هادوا
والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين
اليهود وعن ابن عباس رضي الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره
والاحبار هم الفقهاء واحده حبر بالفتح والكسر والثاني افصح وهو راي الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين
فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط
المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها النبيون اي انهم انما
يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس
على ما فيها النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا
اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سألهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على
الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال
بشيء منها وفي ابهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة
وتاكيد ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها
صلة له كالتي في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفي جر متحدي المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي ويحكم
الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسألوهم ان يحفظوه
وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم بالموصول
مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر
معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله
الذي سألهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اي رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير

والتبديل

والتبديل بوجه من الوجوه فتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة
العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ
من جانب الله عز وجل اي كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس
خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة
دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معتنى بشانها فيما بين الانبياء ومن
يقتدي بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظائف
مراعاتها والمحافظة عليها باي وجه كان فضلا عن التغيير والتحريف ولما كان مدار جرأتهم على ذلك خشية ذي
سلطان او رغبة في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اي اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس
كائنا من كان واقتدوا في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء عم واشياعهم واخشون
في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا باياتي الاشتراء استبدال السلعة
بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شيء بدلا مما كان له عينا كان او
معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطي ونبذه كما فصل في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى والمعنى لا تستبدلوا باياتي التي فيها بان تخرجوا منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم
بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة
في نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود
المعاوضة والمقصود الاصلي بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الايات التي حقها
ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض الالات والوسائط حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل
ايذانا بما لفقههم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا ومن
لم يحكم بما انزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا
اي من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف ايات الله تعالى اقتضاء بينا
فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم
الكافرون لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدا ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك
وقد مر تفصيله في سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن
الاخلال به اشد تحذير حيث علق الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم
اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من
عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التوراة عليهم اي على الذين هادوا
وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل فيها اي في التوراة ان النفس بالنفس اي تقاد بها اذا
قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين اذا فقئت بغير حق والانف يجدع بالانف
المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن

المقلوعة بغير حق ﴿والجروح قصاص﴾ اي ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة
وعن ابن عباس رضه انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص
وقرئ والعين الى آخره بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء
كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة
تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها ﴿فمن تصدق﴾ اي من المستحقين ﴿به﴾ اي بالقصاص اي
فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه ﴿فهو﴾ اي التصدق ﴿كفارة له﴾
اي للمتصدق يكفر الله تعالى ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي
فهو كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله
﴿ومن لم يحكم﴾ كائنا من كان فيدخل فيه من لا يرى قتل الرجال بالمرأة من اليهود تناولا اوليا ﴿بما انزل الله﴾
من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا ﴿فاولئك هم الظالمون﴾
البالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل
بالاحكام المذكورة ﴿وقفينا على آثارهم﴾ شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التوراة وهو
عطف على انزلنا التوراة اي آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف
المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم ﴿بعيسى ابن مريم﴾ اي ارسلناه عقيبهم ﴿مصدقا لما بين يديه
من التوراة﴾ حال من عيسى عم ﴿وآتيناه الانجيل﴾ عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة ﴿فيه هدى ونور﴾
كما في التوراة وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى
ونور وتنوينهما للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلعم ﴿ومصدقا لما بين يديه من التوراة﴾
عطف عليه وداخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التوراة لزيادة التقرير ﴿وهدى وموعظة
للمتقين﴾ عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعدما جعل مشتملا عليه
حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه
﴿وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه﴾ امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها
دلائل رسالته صلعم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة من احكامه واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها
حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان
شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهد بصحتها
كما سيأتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل الآية وقيل هو حكاية للامر
الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان
موصولة بالامر كما في قولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان ليحكم اهل الانجيل الى آخره
وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه
اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله

فيه

فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه
وللحكم بما انزل الله فيه ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله﴾ منكرا له مستهينا به ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾ المتمردون
الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه
دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عم كان مستقلا بالشرع مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام
قلت او كثرت لا بما في التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف
الظاهر ﴿وانزلنا اليك الكتاب﴾ اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع
الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد و
الجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى ﴿بالحق﴾ متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب
اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله تعالى ﴿مصدقا لما بين
يديه﴾ حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او من
حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي
والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار
فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى
عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى تخالفه
الناسخ المتأخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها
لما ان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى ﴿من الكتاب﴾ بيان لما واللام للجنس اذ المراد
هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس براسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول
لفظ الكتاب ومن هنا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا ينتهي الى خصوصية الفردية بل الى خصوصية
النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي ايضا حيث خص بما عدا
القرآن ﴿ومهيمنا عليه﴾ اي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة
والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء
مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز احكامها
الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليها و
قرئ مهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هومن عليه وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من جهته تعالى كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون والحفاظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله ﴿فاحكم بينهم﴾ لترتيب ما بعدها على ما
قبلها فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات
الحكم المأمور به اي اذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتاب عند تحاكمهم اليك ﴿بما
انزل الله﴾ اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم

بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم
والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة
عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل ولا تعدل
عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان
ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما وكذا وضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى
يوجب كمال الاجتناب على اتباع الاهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستانف جيء به لحمل
اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل اليه من القران الكريم ببيان انه هو الذي
كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذي كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب
بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة
بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة
لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات
والارض والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين
بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام
شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى عليه السلام الى مبعث النبي صلعم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها
الموجودون فشرعتكم الفرقان ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى
الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحيوة الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية
والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على
انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام
شرعنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في
جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ و
لا تحويل ومفعول المشية محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة
لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف
يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية
فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها
هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى المشية الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة
والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة
بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشية المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل
العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا
فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة

والاعمال

والاعمال الصالحة المندرجة في القران الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة
الفضل والتقدم ففيه من تاكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله
تعالى الى الله مرجعكم جميعا استيناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد
وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل
او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء
الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك
بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم
عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد وجوب
الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح
بذلك تاكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك
عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتاكيد الامر بتهويل
الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك
واعادة ما انزل الله لتاكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا
نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلعم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فابى ذلك رسول الله صلعم فنزلت فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا
غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر
عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي
كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس
وان كثيرا من الناس لفاسقون اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود
المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم
وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية
وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتاكيد الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه صلعم وطلب حكم آخر منكر
عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة
للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي
هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من
التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلعم في خصومة قتل وقعت
بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال
عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون

سواء

خبره والراجع محذوف حذفه في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير
الشعر وقرئ تبغون بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ
افحكم الجاهلية اي افحكما كحكام الجاهلية يبغون • ومن احسن من الله حكما • انكار لان يكون احد
حكمه احسن من حكمه تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير
قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله • لقوم يوقنون • اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام
لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها
• يا ايها الذين آمنوا • خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا
منهم كما سيأتي ووصفهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل • لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء • فان تذكير اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي
لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم
اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي • بعضهم اولياء بعض • اي بعض كل فريق من ذينك
الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح
انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى رأسا والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي وتأكيد لايجاب
الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما يأتون وما يذرون ومن
ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم
موالاة وقوله تعالى • ومن يتولهم منكم فانه منهم • حكم مستنتج منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم
يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن
بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن
اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله تعالى • ان الله لا يهدي القوم الظالمين • تعليل
لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع
المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع الشيء في غير موضعه
وقوله تعالى • فترى الذين في قلوبهم مرض • بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان
بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلعم بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع
للتشنيع اي لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار بما في حيز الصلة
الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى • يسارعون فيهم •
حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي
تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل • فيهم • مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة في على كلمة الى
للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها كما في قوله تعالى
اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم

وجنة

وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول
والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا
فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى والمراد
بهم عبد الله بن ابي واضرابه الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى
المؤمنين بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى • يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة •
وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي تدور علينا دائرة
من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر
كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض روي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلعم
ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال
عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد
بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل • فعسى الله ان يأتي بالفتح • رد من جهة الله
تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما
ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو رأي الاخفش
او على انه مفعول به وهو رأي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث كما في قولك عسى زيد ان يقوم والمراد
بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة ومقاتل هو القضاء
الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين • او امر من عنده • يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء
• فيصبحوا • اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير
يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة • على ما اسروا في انفسهم
نادمين • وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك في امره صلعم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه
من موالاة الكفرة لما انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها
وسببها • ويقول الذين آمنوا • كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ
بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب
عطفا على فيصبحوا وقيل على يأتي باعتبار المعنى كانه قيل فعسى ان يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا مخاطبين
لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة
عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه و
يتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم • اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم •
اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والمعنى
انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك وقيل يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين اهؤلاء
الذين اقسموا للكفار انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود على التقدير الاول وعلى الثاني من جهة المؤمنين وعلى

وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم
والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون
جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على
المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين وقوله تعالى ● حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين ● اما جملة مستأنفة
مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة
الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو
الخبر والموصول مع ما في حيزه صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط
اعمالهم ● فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شأن موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا
حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء
بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين
واغتباطا بما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان
انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين واثبت
جريان ذلك الكلام من المؤمنين على طبق ما لو ظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون
عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤوس الاشهاد وبطلت
اعمالهم التي كانوا يتكلفون رياءها في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر
اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس
ذلك علامة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ليس ندامتهم الا على ما اظهروه من
موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة ● يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ● وقرئ من يرتدد
بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم
مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين
على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى
عشرة فرقة ثلث في عهد رسول الله صلعم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن
واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلعم فكتب عم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن
فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلعم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون
وقبض عليه السلام من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب
تنبأ وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض
نصفها لي ونصفها لك فاجاب رسول الله صلعم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه
بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس

من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب صلى الله
عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه رسول الله ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة
رضي الله عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم
طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام
فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة
القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت
المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر
واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة ● كذابة في بني الدنيا وكذاب ● وكندة قوم الاشعث بن
قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر
رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله
عز وجل ● فسوف يأتي الله ● جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم
بعد اهلاكهم ● بقوم يحبهم ● اي يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى
● ويحبونه ● اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي
ان النبي صلعم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار رضي الله عنهم وقيل
هم الفرس لما روي انه عم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان
الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وثلاثة الاف
من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية ● اذلة على المؤمنين ● جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي
ارقاء ورحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم
مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى ● اعزة على
الكافرين ● اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم
وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير
الصفة الصريحة عن غير الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم
من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى
يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مباركا خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان
من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة ● يجاهدون في
سبيل الله ● صفة اخرى لقوم مرتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ● و
ولا يخافون لومة لائم ● عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في
الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا

يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون يعني انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض
عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال له واللومة المرة من اللوم
وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان لا تخفى • ذلك • اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتها في الفضل • فضل الله • اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف بها • يؤتيه من
يشاء • اي يعطيه اياه ويوفقه لكسبه وتحصيله حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة • والله واسع • كثير الفواضل
والالطاف • عليم • مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتاكيد استقلال الجملة الاعتراضية • انما وليكم الله ورسوله و
الذين آمنوا • لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين
ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء
لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا
تتخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة
والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت في علي رضي الله عنه
حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي
الى فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى
زكوة • ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا • اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة
بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى • فان حزب الله هم الغالبون • حيث اضيف الحزب
اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم
جعلوا حزب الله تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب
الله هم الغالبون • يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا • روي ان رفاعة بن
زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما
ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شانه جدير بالمعاداة
فكيف بالموالاة • من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم • بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب
لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس
على الكتاب المصدق لكتابهم • والكفار • اي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول
وفيه اشعار بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل
تنقمون منا الاية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن
الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين • اولياء • وجانبوهم كل المجانبة • واتقوا الله • في ذلك بترك
موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا • ان كنتم مؤمنين • اي حقا فان قضية
الايمان توجب الاتقاء لا محالة • واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها • اي الصلوة او المناداة وفيه دلالة على شرعية

الاذان

الاذان • هزوا ولعبا • بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق
اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق
الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق هو و
اهله جميعا • ذلك • اي الاستهزاء المذكور • بانهم • بسبب انهم • قوم لا يعقلون • فان السفه يؤدي
الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة • قل • امر لرسول الله صلعم
بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور
ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة • يا اهل الكتاب • وصفوا
باهلية الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم • هل تنقمون منا • من نقم منه كذا
اذا عابه وانكره وكرهه ينقم من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي لغة اي تعيبون وما تنكرون
منا • الا ان آمنا بالله وما انزل الينا • من القرآن المجيد • وما انزل من قبل • اي من قبل انزاله من التورية
والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية • وان اكثركم فاسقون • اي متمردون خارجون عن الايمان
بما ذكر فان الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون و
المفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه
وانكاره والايمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة
والتعكيس حيث جعلوه نقمة مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي ما تنقمون
منا دينا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبلكم ولان اكثركم متمردون غير
مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم
لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف على علة محذوفة لتنقمون لكن لا على ان المستثنى
مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون
وقيل على حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما اي ما تنقمون منا الا الايمان بالله
وما انزل الينا وبانكم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اي لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو
بمعنى مع اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه المذكور اي ولا تنقمون
ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية
او معترضة وقرئ بان المكسورة والجملة مستأنفة مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين • قل هل انبئكم بشر
من ذلك • لما امر صلعم بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه
عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم
عليه من الدين المحرف وينعى عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض
لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد وخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شأن
المبين ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى الخبر والتنبئة المشعرة بكونه امرا خطيرا لما ان

البناء هو الخبر الذي له شأن وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة او اعتقادا وكان مجرد النقم غير
مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا لشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها
وقيل انما قيل ذلك لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلعم عن دينه فقال
عم اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عم قالوا لا نعلم شرا من دينكم
وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل
المنعقد على كمال شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اي هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا
وان كان في نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله اي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة
وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع و
نصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدا محذوف بتقدير مضاف قبله
مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين من لعنه الله او بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن اي بشر من اهل ذلك
والجملة على التقديرين استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الجملة الاستفهامية اما على حالها ومن الظاهر
المناسب لسياق النظم الكريم واما باعتبار التقدير فيها فكانه قيل الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين
من لعنه الله الخ او قيل من الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل
موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين
حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات وسنوح البينات
وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة
عيسى عم وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وضمير الراجع الى الموصول
في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب لما مر من تبكيتهم
للقصد الى اثبات الشرية وما عدد في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على طريقة البرهان مع ما فيه من الاحتراز
عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول
ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اي
عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة بصدد اثبات شريتهم على وصفهم بهذا مع انه الاصل المستتبع
لها في الوجود وان دلالته على شريتها بوجبها من الاعتقاد والعمل انما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم
بما لا سبيل لهم الى الجحود لاشتريته ووقع عنه ولا يتاتى تعافيه واما للايذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر
بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه
مجرور بتقدير المضاف وقد قيل انه مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف وانت
خبير بان ذلك مع استغنائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود
الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية منه بل هو كما تم معرفة سيقت لبيان المقصود لهز المخاطبين وتوجيه اذهانهم
نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشي منها وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك

الالزام

الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول مما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية تعين الذي
يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشا منها من السؤال يحصل به الالزام والتبكيت واما الجملة الاتية فبمعزل
من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية للسؤال الناشي من الجملة الاستفهامية تنبه وقدر
ان السؤال الناشي منها يستدعي وقوع الشر من تتمة المخبر عنه لا جزءا كما في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد اتضاح
باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله عز وجل فيعم الحكم
دين النصارى ايضا ويتضح وجه تاخير ذكره عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك
الفريقين في تلك العقوبات ولما كان ما ذكر بصدد التبكيت ان ما هو شر مما تنقمونه دينهم او ان من هو
شر من اهل ما تنقمونه انفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع
غير مقصودة الاثبات لدينهم او لانفسهم عقب ذلك بانبائها على وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح
لثبوتها لهم بجملة سائغة مسوقة من جهته سبحانه نصا وشتا عليهم بكمال الشرارة والضلال وداخلة تحت الامر
تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم
الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح
شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا واضل عن سواء
السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا
بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا لا غاية وراءه
وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال
واذا جاؤكم قالوا امنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلعم ويظهرون له الايمان
نفاقا فالخطاب للرسول صلعم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام
وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا
منك بل جملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعلي دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب
الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة
وكان الرسول صلعم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر
وفيه وعيد شديد لهم وترى خطاب لرسول الله صلعم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا
منهم اي من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية
قلبية والاول انسب لما اليهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمبادرة للشيء بالسرعة وايثار كلمة في على
كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم
الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الاثام
والعدوان اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه
في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي

والمستقبل للدلالة على الاستمرار • لولا ينهاهم الربانيون والأحبار • قال الحسن الربانيون
علماء الإنجيل والأحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين يقتدي بهم أفناؤهم ويعلمون قبح
ما هم فيه وسوء مغبته على الله فلهم عن ذلك مع توبيخهم على تركه • عن قولهم الإثم وأكلهم السحت • مع علمهم بقبحهما
ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما • لبئس ما كانوا يصنعون • وهذا أبلغ مما قيل في حق عامتهم لما أن
العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم
ولأن ترك الحسبة أقبح من مواقعة المعصية لأن النفس تلتذ بها وتميل إليها ولا كذلك ترك الإنكار عليها
فكان جديرا بأبلغ ذم وفيه مما ينعي على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنه أنها
أشد آية في القرآن أنه أخوف عندي منها • وقالت اليهود • قال ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة و
الضحاك إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد
صلعم وكفروا برسول الله صلعم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء • يد الله مغلولة • ولم ينكر عليه الآخرون ورضوا به فلذلك نسبت تلك العظيمة إلى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وإنما القاتل واحد منهم
وأرادوا بذلك لعنهم الله تعالى أنه سبحانه ممسك يقتر بالرزق فإن كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود
من غير قصد في ذلك إلى إثبات يد وغل وبسط ألا يرى أنهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله جاد
الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده • ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال وغداة
ريح قد شهدت وقرة • إذ أصبحت بيد الشمال زمامها • فإنه أراد إثبات القدرة التامة للشمال على التصرف
في القرة كيفما تشاء على طريقة المجاز من غير أن يخطر بباله أن يثبت لها يدا أو للقرة زماما وأصله كناية فيمن يجوز عليه
إرادة المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة في سورة آل عمران وقيل أرادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد
سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء • غلت أيديهم • دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة أو بالفقر و
النكد أو بغل الأيدي حقيقة بأن يكونوا أسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا إلى النار بأغلالها في الآخرة فتكون المطابقة
حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة المعنى الأصلي كما في سبني سب الله دابره • ولعنوا • عطف على الدعاء الأول أي أبعدوا
من رحمة الله تعالى • بما قالوا • أي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر • بل يداه مبسوطتان • عطف على مقدر
يقتضيه المقام أي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود وإليه أشير بتثنية اليد فإن أقصى ما ينتهي إليه همم
الأسخياء أن يعطوا ما يعطون بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على
إعطائه إكراما وعلى إعطائه استدراجا • ينفق كيف يشاء • جملة مستأنفة واردة لتأكيد كمال جوده والتنبيه على أن ما
ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة إلى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى أن ذلك ليس
لقصور في فيضه بل لأن إنفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور أمر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما
فيهم من شؤم المعاصي أن يضيق عليهم كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله عز وعلا ولو أنهم أقاموا التوراة والإ
نجيل الآية وكيف ظرف يشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق أي ينفق كائنا على مشيئة أي مريدا وترك
ذكر ما ينفقه لقصد التعميم • وليزيدن كثيرا منهم • وهم علماؤهم ورؤساؤهم • ما أنزل إليك • من القرآن المشتمل

على

على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به • وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما أن بعضهم ليس كذلك • من ربك •
متعلق بأنزل لما أن الكاف كذلك وتأخيره عنه مع أن حق المبدأ أن يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام
ببيان المنتهى لأن مدار الزيادة هو النزول إليه عليه السلام كما في قوله تعالى وأنزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان
الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام • طغيانا وكفرا • مفعول ثان لليزيدن أي ليزيدنهم
طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين إما من حيث الشدة والغلو وإما من حيث الكم والكثرة إذ كلما
نزلت آية كفروا بها فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما أن الطعام الصالح للأصحاء يزيد المرضى مرضا • وألقينا بينهم •
أي بين اليهود فإن بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة • العداوة والبغضاء • فلا
يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق أقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لإزاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع
على وجه يؤدي إلى الإضرار بالمسلمين قيل العداوة أخص من البغضاء لأن كل عدو مبغض بلا عكس كلي • إلى يوم
القيامة • متعلق بألقينا وقيل بالبغضاء • كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله • تصريح بما أشير إليه من عدم وصول
غائلة ما هم فيه إلى المسلمين أي كلما أرادوا محاربة الرسول صلعم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب و
ذلول رد الله تعالى وقهرهم أو كلما أرادوا حرب أحد غلبوا فإنهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر
ثم أفسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط عليهم المجوس ثم المسلمين وللحرب إما صلة لأوقدوا أو
متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا أي كائنة للحرب • ويسعون في الأرض فسادا • أي يجتهدون في الكيد للإسلام
وأهله وإثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بإيقاد نار الحرب وفسادا إما مفعول له أو في موقع
المصدر أي يسعون للفساد أو يسعون سعي فساد • والله لا يحب المفسدين • ولذلك أطفأ نائرة فسادهم
واللام إما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا وإما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان
كونهم راسخين في الإفساد • ولو أن أهل الكتاب • أي اليهود والنصارى على أن المراد بالكتاب الجنس المنتظم
للتوراة والإنجيل وإنما ذكروا بذلك العنوان تأكيدا للتشنيع فإن أهلية الكتاب توجب إيمانهم به وإقامتهم له
لا محالة فكفرهم به وعدم إقامتهم له وهم أهله أقبح من كل قبيح وأشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى • آمنوا •
محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل و
أن أكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة الخ أي لو أنهم مع ما صدر عنهم من فنون
الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نعي عليهم الإيمان به فيندرج فيه فرض إيمانهم برسول الله صلعم وأما إرادة إيمانهم به خاصة
فيأباه المقام لأن ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به إنما ذكر مشفوعا بكفرهم بكتابهم أيضا قصدا
إلى الإلزام والتبكيت ببيان أن الكفر به مستلزم للكفر بكتابهم فحمل الإيمان ههنا على الإيمان به خاصة
مخل بتجاذب أطراف النظم الكريم • واتقوا • ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم • لكفرنا عنهم
سيئاتهم • التي اقترفوها وإن كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها • ولأدخلناهم • مع
ذلك • جنات النعيم • وتكرير اللام لتأكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وأن الإسلام
يجب ما قبله من السيئات وإن جلت وجاوزت كل حد معهود • ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل • بمراعاة ما فيهما من

الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلعم ومبشرات بعثته فان اقامتها انما تكون بذلك لا بمراعاة
جميع ما فيها من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتهما في شيء • وما انزل
اليهم من ربهم • من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم
وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم
مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق
وكتاب دانيال فانها مملوة بالبشارة ببعثته صلعم • لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم • اي لوسع عليهم ارزاقهم
بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة
الثمار فيجتنون ما تهدل منها من رؤوس الاشجار ويلتقطون ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح
السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس
الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية وفي ما بين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر
من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به ببيان افضائه الى الحرمان
عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى
• منهم امة مقتصدة • جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع
الدال على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون
على عدم الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ باعتبار مضمونه اي بعضهم امة وما بعده الموصوف
اي بعض كائن كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الاية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله
بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلعم • وكثير منهم •
مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره • ساء ما يعملون • اي مقول في حقهم هذا القول اي بئس ما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ
عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون
ككعب بن الاشرف واشباهه والروم • يا ايها الرسول • نودي عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة
تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه • بلغ ما انزل اليك • اي جميع ما
انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى • من ربك • اي مالك امورك ومبلغك الى
كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه
ابدا • وان لم تفعل • اي ما امرت به من تبليغ الجميع المدلول عليه بقوله تعالى • فما بلغت رسالته • فان ما لا
يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى الناس اي فما بلغت شيئا من رسالته و
اتضحت ما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها
فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدلي به غيرها
وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان
بعضها اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت
شيئا

شيئا منها كموسى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة
واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاته وعن ابن عباس رضي الله عنه ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي
وروي عن رسول الله صلعم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك
وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى • والله يعصمك من الناس • فانه تعالى عدة كريمة بعصمته من
لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عم على الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم
وعن انس رضي الله عنه انه عم كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد
عصمني الله من الناس وقوله تعالى • ان الله لا يهدي القوم الكافرين • تعليل لعصمته تعالى له عم اي لا يمكنهم
مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة في تضاعيف الايات الواردة في حق اهل الكتاب
لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول صلعم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها
من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل • قل يا اهل الكتاب • مخاطبا للفريقين
لستم على شيء • اي دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير
من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه • حتى تقيموا التورية والانجيل • اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور
التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلعم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما
المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء
وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من احكامهما وان احكامهما
ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما بيان شواهد النبوة و
والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى • وما انزل اليكم من ربكم • اي القرآن المجيد
بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انه المقصود
بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال
اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب
وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل
كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها عاملة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روي عن
ابن عباس رضي الله عنه ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله عم الست تقر ان التورية حق من عند الله
فقال عم بلى فقالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى • وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا • جملة مستأنفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة
التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم
ونسبة الانزال الى رسول الله عم مع نسبته فيما مر اليهم للاشعار بانسلاخهم عن تلك النسبة • فلا تاس
على القوم الكافرين • اي لا تتاسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان
غائلته راجعة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع

المعصم ليستجل عليهم بالرسوخ في الكفر • ان الذين امنوا • كلام مستانف مسوق للترغيب من عدا
المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين امنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل عم من امن
بمواطاة قلوبهم السنتهم اولا • والذين هادوا • اي دخلوا في اليهودية • والصابئون والنصارى • جمع نصران
وقد مر تفصيله في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير
عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله
فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق خلا انه وسط بين اسم ان و
خبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم
الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل جملة الاية خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف • وقيل ان النصارى مرفوع على الابتداء والصابئون عطف
عليه ولا مساغ لعطفه وحده على محل اسم ان لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والا لزم تنازع الجزائين والابتداء
معا والاعتذار عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا
على العطف في هادوا لعدم المشاركة في الاسناد مع كون الصابئين هودا او قرئ والصابيون بابدال
حركة بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى • من امن
منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا • اما في محل الرفع على انه مبتدا خبره • فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • والفا
لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمع الضماير الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر
ان والعايد الى اسمها محذوف اي من امن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله
تعالى فلا خوف الخ كما في قوله عز وجل ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الاية فالمعنى
على تقدير كون المراد بالذين امنوا المنافقين ما ذكر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد
على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا
حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر
وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا
لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير كون المراد بالذين
امنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن امن من اتصف منهم بالايمان الخالص
بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق
احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب
الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في الاعلام واما ما
قيل في بعض من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا
لما مر تفصيله في سورة البقرة • لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل • كلام مبتدا مسوق لبيان بعض اخر

من

من جنايات اسلافهم المؤذنة باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع
والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة • وارسلنا اليهم رسلا • ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليقرروهم على مراعاة
حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى • كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم • جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار باخذ الميثاق وارسال
الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم
المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى • فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون • جواب مستانف عن استفسار كيفية ما اظهروه من اثار المخالفة المفهومة من الشرطية
على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار
وفريقا اخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية
لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها والتنبيه على ان ذلك من ديدنهم المستمر ولمحافظة على رؤوس الاي
الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا وانما جعل
الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او
صلة ينسلخ عنها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر اخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم
الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله صفة له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار و
الاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله
تعالى عرضة للقتل او التكذيب حسبما يفيده جعلها استئنافا على ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالى ارسل
اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة • وحسبوا ان لا تكون فتنة • اي
حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب
وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق
فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه • فعموا • عطف
على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا باس الله فتمادوا في فنون الغي والفساد
وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة • وصموا • عن استماع الحق الذي القوه
عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التوراة
وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية
عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عهد موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤوهم بعده عليه السلام
باعصار • ثم تاب الله عليهم • حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت
نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس فعمره ونجى بقايا
بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة
فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف الهمه الله عز وجل

ثم قلت شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عم فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تع ثم رددنا لكم الكرة
عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام علم سند
التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها
في ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تع ثم عموا وصموا وهو اشارة الى الكرة
الاخيرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عم لا الى طلبهم الرؤية كما قيل
لما عرفته فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان الحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين
وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا
وضموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم فضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته
اذا ضربته بركبتك وقوله تع كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير
منهم والله بصير بما يعملون اي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة
ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة
اجمالية اكتفى بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب فعلوا
ما فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن
لهم ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب على
بابل وقيل جالوت الجوزي وقيل سنجاريب من اهل نينوى والاول هو الاظهر فاستولى على بيت المقدس
فقتل من اهله اربعين الفا ممن يقرأ التورية وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون
من الذل والنكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة
الاخرة من الافساد فبعث الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز
وقيل خردوس فقيل لهم ما فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا
دم قربان لم يتقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا
انه دم يحيى عم فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ
باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ • لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم • شروع في تفصيل
قبائح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها
قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى ان الله تعالى تحل في ذات
عيسى عم واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • وقال المسيح • حال من فاعل قالوا بتقدير قد لزيد تقبيح
حالهم ببيان تكذيبهم المسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح
مخاطبا لهم • يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم • فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم • انه
اي الشان • من يشرك بالله شيئا • في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية • فقد حرم الله

عليه

عليه الجنة فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة • ومأواه النار • فانها هي المعدة للمشركين وفي
هذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب • وما للظالمين من انصار • اي ما لهم من احد
ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين
واللام اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها واما للجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا
عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام الكلام عيسى عم واما وارد من جهته تعالى
تاكيدا لمقالته عم وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل
الحق فيما تقولوا على عيسى عم فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين
له بذلك ورافعين مقداره او من قول عيسى عم على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم
عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعرض لما حكي عنه عليه السلام من مقابلته لقولهم الباطل بصريح
الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن الفائدة
تصوير للقوي بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق به عم
من توهم المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الا ان يحمل الكلام على
التهكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام كلامه عم فان زجره اياهم عن قولهم الشنيع بما ذكر من عدم النصر
والمساعدة بعد زجره اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتأثير ولا سبيل ههنا
الى الاعتذار بالتهكم • لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة • شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم
ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور
ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع
ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله و
يؤكده قوله تع للمسيح ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فمعنى قولهم ثالث ثلثة اي احد ثلثة
آلهة وهو المتبادر من قوله تع • وما من اله الا اله واحد • اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب مستحق
للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة
للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح
القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تع وما من اله
الا اله واحد لا اله الا واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه • وان لم ينتهوا عما يقولون
من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى • ليمسن الذين كفروا • جواب قسم محذوف ساد مسد جواب
الشرط اي والله ان لم ينتهوا ليمسن وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر ومن في قوله تعالى
منهم بيانية اي ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر او تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها

تنبيها

على ان الاصرار عليه بعد ورود ما ينحي عليه بالقلع من نص عيسى عم وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا
عليه من اصل الكفر عذاب اليم اى نوع شديد الالم من العذاب والهمزة للاستفهام في قوله تعالى
افلا يتوبون ويستغفرونه للانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجب من اصرارهم و
الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون
الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب
عدم الانتهاء وعدم التوبة او يسمعون هذه الشهادات المكررة وكل التشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب
ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور
رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار
اى والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول
استيناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عم وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف
ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع
افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى
التوبة والاستغفار اى هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل
صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذر بخلوه المقتضي
لاستحالة الالوهية اى ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من الآيات كما خص كلا منهم
ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا في يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلقه من
غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر
لشؤونه وافعاله وامه صديقة اى وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او التصديق
ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء
وخواصهم كانا يأكلان الطعام استيناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه
كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الآيات تعجيب من حال الذين يدعون
لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعدما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة
في حيز النصب معلقة لانظر اى انظر كيف نبين لهم الآيات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه
صم الجبال ثم انظر انى يؤفكون اى كيف يصرفون عن استماعها والتأمل فيها والكلام فيه كما في قبله وتكرير
الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجيبين من التفاوت اى ان بياننا للآيات امر بديع في بابه بالغ لاقصى
الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب
وابدع قل امر له صلعم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله اى متجاوزين اياه
وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول
عبارة عن عيسى عم وايثاره على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية رأسا ببيان انتظامه عم في
سلك

في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عم وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته
ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من
تحري النفع ولان ادنى درجات التأثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل تعبدون
مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اى اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من
ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال
الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم و
منافعكم في الدنيا والآخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب بعد ابطال مسلك
كل منهما على لسان النبي عم للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل وارشادهم الى الامم البينة لا تغلوا
في دينكم اى لا تتجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عم عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظمة و
لليهود عن وضعهم له عم عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمات الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء
فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكير ان الانجيل ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على انه نعت
لمصدر محذوف اى لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اى غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اى لا تغلوا مجاوزين الحق
او من دينكم اى لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا
اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم ائمتهم واسلافهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين
قبل مبعث النبي صلعم في شريعتهم واضلوا كثيرا اى قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول
محذوف وضلوا عند بعثة النبي صلعم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل
حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم
عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اى لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء من
بني اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى ابن
مريم متعلق بلعن اى لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت دعا
عليهم داود عم وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى
عم اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت
فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على
الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى
البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون
والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كأنه قيل بأي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن
الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله
تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد لاستمرار عدم التناهي عن المنكر
ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من

المنكر كما هو معنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون
كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى
عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى
الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته
استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يتوجه وصفه
بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر
باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المضي المعتبر في الصيغة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى
زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة
على ان المعاودة كالنهي لا يتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل
او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم
وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسببه بذلك دلالة على خروجهم
عن السببية مع الاشارة الى سببيته لما فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول
مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لما ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اي من اهل
الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي عم والرؤية بصرية وقوله
تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلعم والمؤمنين
وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن رحمهم الله وقيل يوالون المشركين
ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شيء واحد ومبالغة
في الذم اي موجب سخطه ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة
اليه لان الجملة عين المبتداء او على انه خبر لمبتداء محذوف فينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اي شيء هو فقيل
هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل الرفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت
لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمت
لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شيء المحذوف في هذا مذهب سيبويه وفي العذاب
اي عذاب جهنم هم خالدون ابد الآبدين ولو كانوا اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون
بالله والنبي اي نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبيه ايمانا
صحيحا ما اتخذوهم اي المشركين او اليهود اولياء فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن
كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم او متمردون في النفاق مفرطون
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها
من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد

القسمي

القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلعم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى
على احد من الناس وفي الوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس
لانهما في الاصل مبتداء وخبر ومقتضى الفائدة هو الجزء الذي هو المبتداء والاخير في التقديم والتأخير اذ ادل على الترتيب دليل وههنا
دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم
عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وان جعل بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا وان ادنى الصورة
الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير المعنى انك ان قصدت اي تعرف من اشد الناس
عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت باحوالهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة
وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك الطائفتين لا غيرهما واللام
الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة
عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف
كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء
على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان
في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص
ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى
عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية
الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثاني في تغيير قوله ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام
في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا قد تفاوتا
بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال اخرا ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال اولا لتجدن
ابعد الناس مودة الخ للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب
احد النقيضين والاخرى في اقرب مراتب النقيض الآخر ذلك اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اي
بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس
الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء
ومنه سمي عالم النصارى لتتبعه في العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس
والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل فما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم
يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا هو جمع راهب كركبان وراكب وفرسان وفارس و
قيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير في قلل لانحدر الرهبان
يعدو ونزل والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير
لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف
افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله بن سلام

واضرابه حال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون الى اخره
لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود • وانهم لا يستكبرون •
عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه
الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فنسبتها لا قربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال
على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر • واذا سمعوا ما انزل الى الرسول •
عطف على لا يستكبرون اي وذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القران وهو
بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه • ترى اعينهم تفيض من الدمع
• اي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء
كانها تفيض بانفسها • مما عرفوا من الحق • من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء
الفيض ونشاؤه من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية للتبعيض لانهم عرفوا بعض
الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقراوا القران واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم
على صيغة المبني للمفعول • يقولون • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القران كانه قيل
ماذا يقولون فقيل يقولون • ربنا امنا • بهذا او بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا ومن
الضمير المجرور في اعينهم لان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا • فاكتبنا مع الشاهدين •
اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وانما قالوا ذلك
لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك • وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق • كلام مستأنف قالوه تحقيقا
لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل
ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في
قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله فما لهم لا يؤمنون
وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع
كما في أأضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الاية الثانية وقوله
تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء
امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الاية
الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قوله تعالى ونطمع
ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين • حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدا والعامل فيها هو
العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في
لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف
على لا نؤمن على معنى وما لنا لا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور • فاثابهم الله بما قالوا • اي
عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فاتاهم الله • جنات تجري من تحتها الانهار خالدين

فيها

فيها وذلك جزاء المحسنين • اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور
والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلعم بكتابه فقراه ثم دعا
جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرا عليهم فقرا
سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على
رسول الله صلعم فقرا عليهم سورة مريم فبكوا وامنوا • والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم •
عطف التكذيب بايات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم بمقابلة
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب • يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم • اي
ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين في كسر النفس و
رفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في ذلك اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا
حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلعم
وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن
مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول
الله صلعم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم
وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت • ولا تعتدوا •
اي لا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او لا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما
فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك • ان الله
لا يحب المعتدين • تعليل لما قبله • وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا • اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا
ومما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن للابتداء او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من العائد
المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال
فائدة زائدة • واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون • تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب
المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه • لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم • اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق
به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد وقيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات
على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا كيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا
والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه • ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان • اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم
او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم • فكفارته • اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي
من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عم
من حلف على يمين وراى غيرها خيرا فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه • اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون

اهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة
مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من
اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات
الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كارضون جمع ارض والليالي جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على
اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع
قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة او كاسوتهم على ان الكاف
في محل الرفع تقديره او اطعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا وتقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم
الاوسط او تحرير رقبة اي او اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعي رحمه الله فيه الايمان قياسا
على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور
المذكورة فصيام اي فكفارته صيام ثلثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلثة ايام متتابعات والشافعي
لا يرى الشواذ حجة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها
ولا تبذلوها كما اشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها
اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى المصدر الفعل الآتي لا الى
تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على
انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر
واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم
لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين آمنوا انما الخمر
والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة
رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او لمضاف
محذوف اي شأن الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان في محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه مسبب
من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اي راجين فلاحكم وقيل لكي
تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية الكريمة بفنون
التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما
شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك
ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة
الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما
وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلها في الحرمة والشرارة لقوله عم شارب الخمر كعابد الوثن و

تخصيص

وتخصيص الصلوة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها
عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل
فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية
وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما
في جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر
دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة
الله وطاعة رسوله صلعم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد فعل ذلك
بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل
وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم
لم تضروا بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم
عما كلفتموه فلا يناسب عدة المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلعم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عم
وانما يضرون انفسهم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم وحرج فيما طعموا اي
تناولوا اكلا او شربا فانه يستعمل في الشرب ايضا كما يستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما انزل
الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلعم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد
وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول
الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول
الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في فيما طعموا عبارة عن المباحات
خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة
بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطاري عليها والمعنى ليس عليهم
جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم
يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد
اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول وآمنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا
على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا
ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وآمنوا اي بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به
او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن به او واستمروا على الايمان ثم اتقوا اي ما
حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك
الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ واحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة
المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها
بل لبيان التعدد والتكرار بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان و

والاعمال الصالحة وكانوا في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات
اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شيء محرم عند
طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء الحرام من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما
ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير
الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان مساق
النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سياتي بقضية
كلمة اذا لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه
البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه
اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء تلقوه بالامتثال وانما كانوا
يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير
باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه
وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة
الى ما قاله صلعم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي
ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا
للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى كلا
سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر
وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل
والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله جواب
قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم بشيء من الصيد اي من صيد البر
ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية
ابتلاهم الله تعالى بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها
اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروي انه
عن لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول
الله صلعم وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية فاللام كما ذكر في ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع
من عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء
وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء
بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه
على ان من لم يثبت في مثل هذا كيف يثبت عند شدائد المحن ومن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اي
بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم

البلايا

البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اي ليتميز الخائف من عقابه
الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم
عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل في حملهم على
الخوف وقيل ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا قبل خوفه لكن تعلقه
بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك
مضاف محذوف والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم
الله عباده الخ والعلم على القرائتين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة و
ادخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد
تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا مرتبا على الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء
كما اختاره الاخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا لتخفيفه
وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى
وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعد ما بينا ان ما وقع من كثرة الصيد
وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد الى تميز المطيع من العاصي فله عذاب اليم لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من
لا يملك جاش نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب
الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس فهو يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه يا ايها الذين امنوا شروع
في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهي في قوله تعالى لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم مع كونه معلوما لا سيما من قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام
في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كرداح
جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اي الصيد المعهود وذكر
القتل في الموضعين دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله
اي كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات
الاحرام يستوي فيها العمد والخطا لما ان الاية نزلت في المتعمد كما مر من قصة ابي اليسر ولان الاصل فعل المتعمد
والخطا لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد بن جبير
لا ارى في الخطا شيئا اخذا باشتراط التعمد في الاية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد
القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له
كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر و
قرئ بجر الثاني على اضافته الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او
فعليه ان يجزي جزاء مثل ما قتل والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب
الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي يخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان يشتري بها

طعاماً فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعاً من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوماً فان
فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوماً كاملاً اذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى
من النعم بياناً للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم
وعند مالك والشافعي ومن يرى رأيهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيداً
بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي
حمار الوحش بقرة وفي الارنب عناقاً وعن النبي صلعم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص
اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل
معنى واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا واذا لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة
الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد الا ترى ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور
لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا
بقيمته مع ان المنصوص عليه في امثاله انما هو المثل قال الله تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة
القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا تعتبر ما بين افراد نوع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة
مأخذها وتعسر الوقوف عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مراداً اذ
لا عموم للمشترك في مواضع الاثبات والمراد بما روي ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب
الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لكن لا باعتبار ان يعد الجاني اليها فيصرفها الى المصارف
ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معياراً فيقدر بها احدى الخصال الثلث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما
قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر في ثاني الحال بناء على
وصف الاول الذي هو المعيار للاول بعد من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف المفارق
لا على الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سيأتي باذن الله تعالى ومما يرشدك الى ان المراد
بالمثل هو القيمة قوله عز وجل يحكم به اي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان من المسلمين لكن
لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء الخ مما يستوي في معرفتها كل
احد من الناس فان ذلك ناش من الغفلة عما اراد ابابه المماثلة بل لانهم جعلوا مدار المماثلة بين الصيد وبين
النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في عامة الاحوال
مما لا يهتدي اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والارشاد الا المؤيدون بالقوى القدسية
الا ترى ان الامام الشافعي اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما ثبت بينهما من سائر الجنايات كما بين العب
والشرب فكيف يفوض معرفة امثال هذه الدقائق العويصة الى رأي عدلين من احاد الناس على ان الحكم بهذا
المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعدما عين بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم تم الحكم ولا
يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى الحكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة و
وقيل بل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هدياً حال مقدرة

من النعم

من النعم فيه او من جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جره او نصب
على المصدر اي يهديه هدياً والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ الكعبة صفة لهدياً لان الاضافة غير حقيقية او كفارة
عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله تعالى طعام مساكين
عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام مساكين مع قوله
تعالى او عدل ذلك صياماً عطف على طعام الخ كأنه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام مساكين
او صيام ايام بعددهم فحينئذ يكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي والطعام والصيام اما الاولان
فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منها بدلا من الاخرين مهدرا وقد قيل ان قوله تعالى
او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى حينئذ في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء الى القياس على الهدي
تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى سائر القراءات فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدأ محذوف
والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ
طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان
عدل الشيء ما عادله من جنسه وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى
المفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياماً تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف
وللحكمين عند محمد ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل
يدل عليه الكلام كأنه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال
في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا
ومنه الطعام الوبيل لما لا يستمرؤه المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان سألوا رسول
الله صلعم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد
الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه و
لذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر
فامتعه اي فانا امتعه المراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن
انها واجبة على العائد وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب
لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن اصر على المعصية والاعتداء احل لكم ايها المحرمون صيد البحر
اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء مأكولا او غير مأكول وطعامه
اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما
يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر
وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذف او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص
بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب ع م اي احل لكم طعامه
تمتيعا للمقيمين منكم يأكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر

اي تمتعكم به متاعا وقيل مفعول له احل لكم اي تمتيعا لكم به كتابا كقوله تعالى كتاب الله عليكم ● وحرم عليكم صيد البر ●
وقرئ على بنا الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الما في بعض الاوقات
كطير الما ● ما دمتم حرما ● اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده
الحلال على المحرم وان لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم وعن ابي هريرة وعطا
ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه
وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم
في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله لا يباح ما صيد له ● واتقوا
الله ● فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك ● الذي اليه تحشرون ● لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص
من اخذه تعالى بالالتجاء الى الله ● جعل الله الكعبة ● قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها
من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله تعالى ● البيت الحرام ● عطف بيان على جهة
المدح دون التوضيح كما تجي الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى ● قياما للناس ● نصب
على الحال ويرده عطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجي بل هذا هو المفعول الثاني وقيل
الجعل بمعنى الانشا والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ
هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه
التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل عينه كما اعل في فعله و
● الشهر الحرام ● اي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف
على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر ● والهدي والقلائد ● ايضا قياما
لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبها الحج بها
اظهر ● ذلك ● اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله
النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي شرع ذلك ● لتعلموا ان
الله يعلم ما في السموات وما في الارض ● فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية و
والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم
خروج شي عن علمه المحيط وقوله تعالى ● وان الله بكل شي عليم ● تعميم بعد تخصيص للتاكيد ويجوز ان
يراد بما في السموات وما في الارض الاعيان الموجودة وبكل شي الامور المتعلقة بتلك الموجودات
من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني ● اعلموا ان الله شديد العقاب ● وعيد لمن انتهك
محارمه او اصر على ذلك وقوله تعالى ● وان الله غفور رحيم ● وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى
او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقدم الوعيد ظاهر ● ما على الرسول الا البلاغ ● تشديد في
ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة
ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط ● والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ● فيؤاخذكم بذلك نقيرا

وقطميرا

وقطميرا ● قل لا يستوي الخبيث والطيب ● حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي
من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديها
وان كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
تحلوا شعائر الله الآية وقيل نزل في رجل سال رسول الله صلعم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت من
بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي صلعم ان انفقته في
حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وقال عطا والحسن رح
الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذي
ينبي عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا
وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى
والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما
ان صلته ملكة فضلة المفضول ● ولو اعجبك كثرة الخبيث ● اي وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد
من الذين امر النبي صلعم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال وقد مر اي لو لم يعجبك
كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما في موضع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين على كل
حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي
كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشي اذا تحقق
مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد
وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسياتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله
عز وجل ● فاتقوا الله يا اولي الالباب ● اي في تحري الخبيث وان كثر واثروا عليه الطيب وان قل
فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما
كثر الخبيث كان اخبث ● لعلكم تفلحون ● راجين ان تنالوا الفلاح ● يا ايها الذين امنوا لا تسالوا
عن اشياء ● هو اسم جمع عند الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء
بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التانيث
الممدودة كما هو بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتانيث وقيل انما حذفت من اشياء
الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الالف ثم حذفت فوزنها افعاء وقوله تعالى
● ان تبد لكم تسؤكم ● صفة للاشياء داعية الى الانتهاء عن السوال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية
متعلقة بابدائها لا بالسوال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السوال عنها لابدائها الموجب للمحذور
قطعا فقيل ● وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم ● اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي
كما ينبي عنه تقييد السوال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقونها
والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السوال عن الامور الواقعة

مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب
واظهارهم على المسألة والمراجعة بما قد يهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من غير
بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اى لا تكثروا مسألة رسول الله صلعم عما تعيكم من نحو تكاليف
شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحى اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض امور مستورة تكرهون
بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطب رسول الله صلعم فحمد الله واثنى عليه ثم
قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو
سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلاث مرات فقال
رسول الله ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم
لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم
بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة رضي الله
انه سأل رسول الله صلعم عن اشياء حتى احفوه في المسألة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى
واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب
النبي صلعم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا احد
رجلا الا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان
اذا لاحى الرجال يدعى الى غير ابيه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس
الزهري وقام آخر فقال اين ابي فقال في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا
وبالاسلام دينا وبمحمد صلعم نبيا نعوذ بالله تعالى من الغضب انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف
عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلعم • عفا الله عنها • استئناف مسوق لبيان ان نهيهم
عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد
عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا
اى عن الاشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها لما انه لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد
فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف
ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا
على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها مما نسخ وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق
للنهي عن السؤال عن الاشياء التي يسوءهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف
الموجبة لها بانشائها وايجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا عفوه تعالى
عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كمسألة من قال اين ابي ان
قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها كالاكوان
من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل واما

اغم

غرضه من السؤال ظهورها كيف بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم عبر عنها بحيثية ايجابها للمساءة
قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار
لا حيثية ايجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال
عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في
مسألة الحج حيث لم تفرض كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال
الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكر انما يتمشى فيما اذا كان السؤال
عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد
يتسنى لان ما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون
الواقع ما يوجب المسرة كما في مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غيره فيتعين التخلف حتما
قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين لان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة
في نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين
حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي
عن السؤال عن الاشياء التي توجب ابداؤها المساءة البتة اما بان تكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع
فتبدى عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان
تكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فتبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا
ومنشأ توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود او بعرضية الوجود
من تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة
هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذارا عن ابداء المكروه • والله غفور
حليم • اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم
ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم • قد سألها قوم • اي سأل هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها
محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير • من قبلكم • متعلق بسألها • ثم اصبحوا بها
اي بسببها او بمرجوعها • كافرين • فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم في اشياء فاذا امروا بها
تركوها فهلكوا • ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام • رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث
كانوا اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد
عن ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث
واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا او انثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم
واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى
ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي

فان الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا
الى مفعولين كما فيما نحن فيه وفي جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الاية الكريمة ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي
فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة وهذا شأن رؤسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين
يتبعونهم من معاصري رسول الله صلعم كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون انه افتراء باطل حتى يخالفوهم
ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم
وقوله عز وجل واذا قيل لهم اي للذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد تعالوا الى
ما انزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل عليه لتقفوا على حقيقة الحال و
تميزوا الحلال من الحرام قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي
الى الحق وانقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال
دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على
شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك اي ايقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم
لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم
ما وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في قولك احسن الى
فلان وان اساء اليك اي احسن اليه وان لم يسئ اليك اي احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه
اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما
سبق عليه اي لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في
لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة في الانكار
والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب اذا كان كون ابائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد
فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها
وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق
في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
اي الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله عز وجل
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة
الضاد المنتقلة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة
من قرأ لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره واما مرفوع على انه كلام مستأنف في موقع التعليل
لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه

رخصة

رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر
حسبما تفي به الطاقة قال صلعم من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وقد روي ان الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤون
هذه الاية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلعم يقول ان الناس
اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا الخ فيقول احدكم علي نفسي والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم
شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلعم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن
فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والاية نزلت لما كان
المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي
وقيل كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت اباءك وضللتهم اي نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت
تسلية له ببيان ضلال ابائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلف
عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد
للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين امنوا استئناف مسوق لبيان الاحكام
المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرفي النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية
بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها
بما جرى بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها
وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله
تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية
من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ بتقدير
المضاف اي شهادة بينكم ح شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب
والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اي من
اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان
او اخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية اي او شهادة اخرين او ان يشهد بينكم
اخران او ليقم شهادة بينكم اخران وقوله من غيركم صفة لاخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل
من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه
نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف
الفعل انفصل الضمير وهذا رأي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ بناء على جواز وقوع
المبتدأ بعد ان الشرطية كجواز وقوعه بعد اذا وقوله تعالى ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب

عند الاولين لكونه مفسرا او مرفوع على الخبرية عند البعض قوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على
الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب احد من اهل
الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد اخران او فاستشهدوا اخرين
او فالشاهدان اخران كذا قيل والانسب ان يقدر بعين ما سبق اي فاخران على معنى شهادة بينكم شهادة
اخرين او فان يشهد اخران على الوجوه المذكورة ثم قوله تعالى تحبسونهما استيناف وقع جوابا عما نشأ
من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما اي تقفونهما وتصبرونهما
للتحليف من بعد الصلوة وقيل هو صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة
على ان اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام واما اشهاد الاخرين فعند الضرورة المحوجة الى ذلك وانت
خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس بالاخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك يأبى
مقام الامر باشهادهما اذ مآله فاخران شانهما الحبس والتحليف ان امكن اتمام الغرض بلا ريب قيد الارتياب
بهما كما سيعيد الاعتراض الاتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها
لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون
فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي عم وقت حلف من حلف كما سياتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها
داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان عطف
على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه
سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب
بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب
القسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفى بذكر جواب سابقهما عن جواب اللاحق كما هو الواقع
غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان
اتيتني لاكرمتك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد وقعا في الشرط من جهته عز
وجل والاشتراء ههنا الاستبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما
له فان المعتبر في عقد الشرى ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده
عينا كان او معنى على وجه الرغبة في الماخوذ والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر
تفصيله في تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا ناخذ
لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله
كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا ناخذ بدلا
منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكر والا فلا
سداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يقوض حسبما

فهو المعتبر

ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق
في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا مكان
له ههنا حتى يصح التبرؤ منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب فليس استعماله من لوازم ترك استعمال
الصادق ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعله ماخوذا باستعماله ماخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة
تعدد المتصف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له
البتة فتأمل وقوله تعالى ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا
تأكيد لتبرئهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا ناخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى
مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة النفس وان كانت اهم من رعاية
الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري به
ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبكم وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة
الله اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم
وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما
حسبما اعترفا بقولهما انا اذا لمن الاثمين اي فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء
من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سياتي فاخران
اي رجلان اخران وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين
وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما
مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار
الحق وابراز كذبهما فيما ادعياه من استحقاقهما لما في ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل على قراءة
علي وابن عباس رضي الله عنهم اي من اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم الاقربان الى
الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا
عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الاخران القائمان مقام
الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم
اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان
او هو بدل من الضمير في يقومان او من اخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم
انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى
الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على
المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين

كما هو شأن فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق
مع كونها حقة صادقة في نفسها **احق بالقبول** **من شهادتهما** اي من يمينهما مع كونها كاذبة
في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع
انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما
وما اعتدينا عطف على جواب القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما
انا اذا لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها
لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم
الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر
فآخران من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا
بالتغليظ في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت
حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس الداري
وعدي بن بداء خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص
وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما
بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة
مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا لا
ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا
شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم
وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا
ألم تقولا ان صاحبنا هل باع من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا
بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل
فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ **ذلك** كلام مستأنف سيق لبيان
ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله **ادنى ان يأتوا بالشهادة**
على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا
من العذاب الاخروي وهذا كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى **او يخافوا ان ترد ايمان**
بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كأنه قيل ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة
على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل
بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فأي الخوفين وقع حصل المقصود الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل

هو

هو عطف على يأتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد
اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان
المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع
عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب
فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه
الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانما يتأتى ذلك في شهود لم يتهموا بجناية على ان اضافة الامتناع عن الشهادة
الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما يقتضي
الآخر لا محالة تحكم بحت فتأمل **واتقوا الله** في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم **واسمعوا** ما تؤمرون
به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول **والله لا يهدي القوم الفاسقين** الخارجين عن الطاعة اي فان لم
تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم
يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس
ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما يصحح لانتقال الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي
كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الانتقال مع ان الامر بتقوى الله تعالى
مما يتبادر منه الى الذهن ان المتقى اي شأن من شؤونه واي فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف
يتحقق الاشتمال اي اتقوا عقاب الله حينئذ كما ينتصب به منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر معطوف
على اتقوا وما عطف عليه اي واحذروا او واذكروا يوم الخ فان تذكر ذلك اليوم الهائل مما يضطرهم الى
تقوى الله عز وعلا وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ
الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اي اسمعوا خبر
ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة
ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم يجمع الله الرسل فيقول الخ يكون من الاحوال
والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتشديد
التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل للايذان بتشرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة
الى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك
جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال فيقول
لهم مشير الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا
والا لتصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل **ماذا اجبتم** عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب
على المصدرية اي اي اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل
النصب بعد حذف الجار عنه اي بأي جواب اجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهم شهود

الى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بمحضر من الوائد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاكدار وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اي فتعلم ما اجابوا واظهروا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم وفيه اظهار الشكاة ورد الامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف تخفى عليهم امورهم واجيب بان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا الى الكفر بعدهم وعن ابن عباس ومجاهد والسدي انهم يفزعون من هول ذلك اليوم ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص على ان الكلام قد تم عند قوله انك انت اي انك انت الموصوف بصفاتك المعروف بذلك اذ قال الله يا عيسى بن مريم شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شان عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وادخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الرسل وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اي اذكر انعامي عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدته في اوانه اي خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما نطق به النظم الكريم سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤوس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين في شانه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتي اي اذكر انعامي عليكما وقت تاييدي لك او حال منها اي اذكرها كائنة وقت تاييدي لك وقرئ ايدتك اي قويتك بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبت الحجة او بالكلام الذي يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حياة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها ذكية ومنها بليدة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما تكلم الناس في المهد وكهلا استئناف مبين لتأييده عليه السلام

او حال

او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادر عن كمال العقل مقارن لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لما انه عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بما نصبه اي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اي جنسهما والتوراة والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب واما الخلق حقيقة فلله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها اي في الهيئة المصورة فتكون اي تلك الهيئة طيرا باذني فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا تكرارا من جهة الهيئة وتكرير قوله باذني في الطير لكونه شانا منبئا على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء الا باذنه تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على تخلق واذ تخرج الموتى باذني عطف على اذ تخلق واذ تخرج الموتى باذني عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لاحيائهم بعدما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عليه السلام بل من جنابه سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصه بها واما ذكرها في سورة آل عمران فلما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم واذ كففت بني اسرائيل عنك عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما ياكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات ووضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم الى ما رأوه من نفس الشيء من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر مبين فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواته الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة ما يفيده الجمل التي اضيفت اليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لما عبر عنها بعنوان مبني عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين

واقعتين فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا له
فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد يكون المغايرة بين النسبتين
بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذ احسنت الي تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك اليه وقت
وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد يكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني
اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان اخر واقع حينئذ ومن
هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
الاية وقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم
عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى الجائي اليهم امرهم بالايمان بي وبرسولي على لسانه عليه السلام وقيل الهامه
تعالى اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى ان امنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء
من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه قيل امنوا
بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا
استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل
قالوا امنا اي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد باننا مسلمون اي
مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم
النعم الفائضة عليه عليه السلام وكذلك نعمة على الوالدة ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكر هاتيك النعم العظام
جعل يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا
ولد فيموت اينما امسى بات اذ قال الحواريون كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى
بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي عليه السلام
بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب
بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الاية فتأمل كانه قيل للنبي عليه السلام عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين
من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الى اخره وقيل هو ظرف
لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده
النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في انهم
هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكر وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين
في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك
وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة
والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب
بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه
وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله تعالى عنهم وسعيد بن جبير في اخرين والمائدة الخوان الذي

عليه

اكل عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة
وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال
ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من
امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء
الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم
بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق نريد ان
ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته
سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها اي اكل
تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام
علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين ونعلم اي
علما يقينا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي
المخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا و
ان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني
اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين
للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه
ان جعلت موصولة كانه قيل على اي شيء تشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول
او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين قال عيسى ابن مريم لما راى عم
ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة
بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ راسه وغض بصره ثم قال اللهم ربنا
ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية المنبئة
عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف على قوله تعالى مائدة لما
مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو
صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة
لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال
واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها
عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد
ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان
قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا

لمتقدمينا ومتاخرينا روى انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا و
والاتباع وقيل يأكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة وآية عطف على
عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا اي المائدة
او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق و
معطيها بلا عوض وفي اقباله عم على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته
ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين
وان سؤالهم كان لتحصيل الطمأنينة كما في قول ابراهيم عم رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل
اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله استئناف كما
سلف اني منزلها عليكم وورود الاجابة منه عز وجل بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء
منه عم بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى لئن انجانا من هذه الى اخره
مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائل عم وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق
للوعد وايذان بانه عز وجل منجز له لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي
اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد
اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة
هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على
المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب
على انه صفة لعذابا والضمير له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين
اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم
فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن رح والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير
الائمة انها قد نزلت روى انه عم لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا سفرة حمراء نزلت بين
غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال اللهم
اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى و
بكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما و
عند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد
منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون
رأس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه
الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال يا روح الله لو
اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت
فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع

عليها

عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في
ظلها ولم يأكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عم ان
اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس فاضطرب الناس لذلك
فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون الحشوش فلما رأى الناس
ذلك فزعوا الى عيسى عم وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطيف بعيسى عم وجعل يدعوهم
باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة
ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رض ان عيسى عم قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله تعالى ما شئتم
يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة
بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما
اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال
قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال
الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما
رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد
الله به الخير ثبته على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا كذلك ثلاثة ايام
ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي عم او بمضمر مستقل
معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة
وتبكيتا لهم باقراره عم على رؤوس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر
من الدلالة على التحقق والوقوع أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله الاتخاذ
اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل
الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على
الاستعمال الشائع وعليه قوله عم أأنت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو
الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عم ام من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى أأنتم اضللتم
عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب
على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من دونه تعالى
واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم
ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يدي عيسى

عم ومريم عم ثم نحلتهما الالهية بل مجرد ما حكاه فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين
ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من توهم فقال اعادته
بنعم مع عبادته غيره فكلا عبادة فمن عبدهما مع عبادته كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما حدثه
واشتغل بما لا يعنيه كذاب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه
بضرب من التأويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عم ● قال
استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا يقول عيسى عم فقيل يقول
وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا ● سبحانك ● سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد
يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد
في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم
الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى
اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك واما تقدير من ان يكون
ذلك تنزيهك الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ● ما يكون لي ان اقول ولا
لا يحق لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء
الحقية وافادة التأكيد بما في خبره من الباء فان اسمها ضمير العائد الى ما وخبره لحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين
كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ● ان كنت قلته فقد علمته ● استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عم
بالطريق البرهاني فان صدوره مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان
عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم ● تعلم ما في نفسي ● استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك
تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنته وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا
اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هي الذات ونسبة المعلومات اليها
لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن نسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى ● انك
انت علام الغيوب ● تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به
استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور على ابلغ وجه واكده حيث
حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتني
الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى
ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل
جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني
وكنت عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او
مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان ● ما دمت فيهم ● ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان
ودمت صلتها اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم ● فلما توفيتني ● بالرفع الى السماء كما في قوله

تعالى

تعالى اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ● كنت انت الرقيب عليهم ● لا غيرك فانت ضمير الفصل
او تأكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ
لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال
الرسول وانزال الايات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا ● وانت على كل شيء شهيد
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عم فيما بينهم وعلى متعلقة
بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ● ان تعذبهم فانهم عبادك ● وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز ● اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب
الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان
غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد بالنسبة
الى فريقين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من امن منهم ● قال الله ● كلام مستأنف
ختم به حكاية ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته ومآله اي يقول الله يومئذ
عقيب جواب عيسى عم مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة
الماضي لما مر في نظائره مرارا وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده اي هذا اليوم
الذي حكي بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا ● يوم ينفع الصادقين ● بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين
ما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد
الذي نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق والداعين الى
ذلك وبه يتحصل الشهادة بصدق عيسى عم ومن الامم المصدقين المقتدين بهم اعتقادا وعملا وبه يتحقق
المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلعم لا كل من صدق في اي شيء كان
ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه ● صدقهم ● اي صدقهم
فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع
انه لا حاجة اليه لما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع جزاء اصلا وهذه القراءة هي التي اطبق
عليها الجمهور وهي الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب على انه ظرف
لقال وهذا حينئذ اشارة الى قوله تعالى أأنت قلت الخ واما على انه خبر لهذا فهو حينئذ اشارة الى جواب
عيسى عم اي هذا الجواب منه عم واقع يوم ينفع الخ او الى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بني
على الفتح وليس بصحيح لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع والتنوين نعتا لينفع والعائد محذوف اي لا تجزي الاية
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ● استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل
ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى ● رضي الله عنهم ● استئناف اخر لبيان انه عز وجل

اماض عليهم غير ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه كما
ينبئ عنه قوله تعالى ورضوانه اذ لا شيء اعز منه حتى يمتد اعناق الهمم • ذلك • اشارة
الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل • الفوز العظيم • لما ان عظم شان الفوز تابع
لعظم شان المطلوب الذي يتعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا
وقوله تعالى • لله ملك السموات والارض وما فيهن • تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى
وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اي له تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما
من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من
غير ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك وفي ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها
للكل اعادة للاصل واشارة الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسبما وهما في تحقق العبودية
وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية وايانة لهم بتغليب غيرهم
عليهم • وهو على كل شيء • من الاشياء • قدير • مبالغ في القدرة • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد
كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة وستون وخمس آيات

الحمد لله • تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولاً باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات
الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له لذاته لما مر من اقتضاء
اختصاص الحقيقة به سبحانه لاختصاص جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني ثم وصفه تعالى بما ينبئ عن
تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قوله عز وجل
الذي خلق السموات والارض • للتنبيه على استحقاقه تعالى واستقلاله به باعتبار افعاله العظام
والآئه الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء
الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من
فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد اي انشأهما على ما هما
عليه من النمط الفائق والطراز الرائق منطويتين على انواع البدائع واصناف الروائع على ما تحار فيه
العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولي الابصار وجمع السموات لظهور تعدد
طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها على الارض كما هي
وجعل الظلمات والنور • عطف على خلق مرتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشئهما ومحلهما واجمل معه في حكم
الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب

فكذا

لاختصاص الحمد بجانبه جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتضي
لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكويني
وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من
بحيرة الآية وايا ما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة
مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام
بل قيدا فيه كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى • وجعل فيها رواسي • وقوله واجعل لنا من
لدنك وليا الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله
تقدمت عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون
الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن
انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بان حد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان الظرف
مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك الى ان الذي يقتضيه الذوق السليم ويستدعيه جزالة النظم الكريم انه متعلق
بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثاني هو خليفة وانما الحذف عليه لما مر مفصله وجمع
الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم
الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين • وقوله تعالى • ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون • معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار
العبادة عليه الكفرة واستبعاد من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول و
المعنى انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به الموجبة
لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اي يسوون به غيره في العبادة
التي هي اقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشيء من
مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا
بعد بيانه بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل
كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الا
الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم
لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول
لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانه المدار في الاستبعاد والاستنكار
لا خصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأنه الجليل واما جعل الباء صلة
لكفروا ويعدلون من العدول فيكون ثم لتقرير ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة
واعظم جناية من عدولهم عن حمده عز وجل بحقيقة مع اغفاله انحط فجعل اهون الشرين عمدة في الكلام
مقصودا بالافادة واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم

الكريم بمزاوده وقيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر
عليه احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة
ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كأنه قيل
الحمد لله الذي كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة
عن موجبات حمده عز وجل حقه ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو بوجه ما ولا ريب في ان كفرهم بمعزل
منه وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كأنه قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا
يحمده تعسف لا يساعده النظام وتعكيس باب الانعام كيف لا ومساق النظم الكريم كما نطق به الآيات
الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا بيان نهاية احسانه تعالى
اليهم مع غاية اساءتهم في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من
روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها
وقد عرفت ان المعطوف هو الذي يساق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين ● هو الذي خلقكم من طين
استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان
اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان
ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون
انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدأ خلقكم منه
فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ آدم الذي هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى آدم
عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه في ايجاب
الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس وللمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس
مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام منه حيث
لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس
انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا لكل احد من فروعه منه
ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه
كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته و
كان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل ولله در شأن التنزيل وعلى هذا السر
مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتي وقيل
المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة
من الارض واياما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما
لم يشم رائحة الحياة قط كان على احياء ما قارنها مدة اظهر قدرة ● ثم قضى ● اي كتب لموت كل واحد منكم

اجلا

اجلا ● خاصا به اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين
خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة ● واجل مسمى ● اي حد معين لبعثكم جميعا وهو
مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن ولوقوعه في موقع التفصيل كما في قول من قال اذا ما بكى
من خلفها انصرفت له بشق وشق عندنا لم يحول ● وتنوينه لتفخيم شأنه وتهويل امره ولذلك
اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع ان الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي كتاب جيد
ولي كتاب نفيس كأنه قيل واي اجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد
لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد
في اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة
لما ان مدار التسمية في الاجل الاول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل
في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت
والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان
برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد
في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير الاجل حينئذ عدم
تغير آخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله
لما انه علم على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شيء من الدواهي
كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روي تأخير الاجل الاول وتقديمه ● ثم
انتم تمترون ● استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اي تمترون
في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر
على افاضة الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء
منها اصلا كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين
ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثاني اجل الباقين
او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا لما رأيت من ان مساق
النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى بحيث اريد به احد ما ذكر من
الامور الثلثة فاي شيء يتنزل وصفهم بالامتراء الذي هو الشك في توجيه الاستبعاد اليه مع انهم
جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار ● وقوله تعالى
وهو الله جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع
المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد

في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى
الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كأنه قيل
وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها
ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق به
الظرف من تلك الحيثية فصار كأنه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما في قوله تعالى وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي
او على معنى المالك او المتصرف ونحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم
الاسد في هو الاسد علي الخ ما اشتهر به من وصف الجراءة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جرئ علي
وبهذا اتضح ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف
المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو
نفس الوصف الذي اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين آنفا لا الاشتهار به الا يرى ان كلمة علي
في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري
من التوحد والتفرد كأنه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق من
اعتبار معنى التوحد او التوحيد في مجرى الكلام بطريق الاستتباع على حمل الاسم الجليل على معنى المتوحد بالالهية
او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه
تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصور والاشباح بكونه حضوريا منزلة
كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم
اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم
وجهركم اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال
والاعمال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما
حسبما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني
فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة
لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الاوجه الثلاثة السابقة فلا
سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من
المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد
بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انهما مما لا يتصور فيمن ليس له كمال العلم
بالبديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا

بيانا له بل هو تنبيه على انه ليس بيانا على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر في مفهومه
العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل
هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل
بدل من هو ويتعلق الظرف بيعلم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد
في الحرم اذا كنت خارجه وانت خارجه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير انه لا
يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان كان لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها
تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب
او بالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار
كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم وما تأتيهم من آية من آيات
ربهم كلام مستأنف وارد لبيان كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعدما بين في الآية الاولى
اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث و
اعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يعرض عنهم الخطاب صفحا و
تعدد جناياتهم لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة
على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية و
اضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترأوا عليه في حقها والمراد
بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك
الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات
واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين
اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما سيقف عليه واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب
المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل
شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان
بمكونها وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه رعاية
للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل
منهما وايا ما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح
عنه كلمة لما في قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا

عن كل آية اية منه تجريعه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوه فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء
للترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول
هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد تخصص ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤوا ظلما و
زورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما
جاؤوه اي فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء
ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا للامر كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض
المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه بلا
تامل ليدل على كمال شناعته وتمهيد البيان ان ما كذبوا به آثر ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى
انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كما ينبئ عنه قوله تعالى
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا للامر بابهامه
وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد
وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات
الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اي
فسيأتيهم البتة وان تأخر اي انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل
يستهزئون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه آنفا على ان يراد بالآيات الآيات القرآنية
وهو الاظهر واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض
على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب فقد فعلوا ما هو اعظم منها مما هو اعظم من
الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل
من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله • الم يروا
كم اهلكنا من قبلهم من قرن • استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سيأتيهم وتقرير
اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم
استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة
باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار
سموا بذلك لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله عليه السلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل
هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او على الظرفية
على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي الم يعرفوا
بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من قبل زمانهم على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى • مكناهم في الارض • استئناف لبيان كيفية الاهلاك
وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل صفة

لقرن

لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى مخصص فاذا وليها ما يصلح مخصصا لها تعين وصفيتها لها وانت خبير
بان تنوين التفخيم مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما
عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه غير مقصود بسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا
والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلكنا اياهم بذنوبهم وانشائنا بعدهم
ومكناهم في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه
قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجرى كل منهما مجرى
الآخر ومنه قوله تعالى • ما لم نمكن لكم • بعد قوله تعالى مكناهم في الارض وقوله تعالى انا مكنا له في الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم
وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف ومحلها النصب على المصدرية اي مكناهم
تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف من مزيد بيان لشأن الفريقين ولدفع الاشتباه من اول
الامر عن مرجعي الضميرين • وارسلنا السماء • اي المطر او السحاب او المظلة لانها مبدأ المطر • عليهم • متعلق بارسلنا
• مدرارا • اي مغزارا حال من السماء • وجعلنا الانهار • اي صيرناها بقوله تعالى • تجري من تحتهم • مفعولا ثانيا
لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على
الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد هاتيك النعم
العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جنايتهم في كفرانها واستحقاقهم بذلك لاعظم العقوبات
بل بيان حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك
عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار
باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا • فاهلكناهم
• بذنوبهم • اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد و
الاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما
قوله سبحانه • وانشأنا من بعدهم • اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن • قرنا آخرين • بدلا من
الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه
شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى • ولو نزلنا عليك • جملة مستأنفة سيقت بطريق
تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما تفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان
اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا اليه
عليه السلام مع نسبة اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام
في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية
ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلعم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة
من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله • كتابا • ان جعل اسما كالامام فقوله تعالى • في
قرطاس • متعلق بمحذوف وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو

متعلق بنفسه فلمسوه اي الكتاب في قبل القرطاس وقوله تعالى بايديهم مع ظهور ان اللمس لا
يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء
اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعدما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شأنه اشتباه ولم يقدروا على
الاعتذار بسكر الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص
على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا ان هذا
اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب الا سحر مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما
هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك شروع في قدحهم في نبوته
عليه السلام صريحا بعدما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لان تلك المقالة
الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم
الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه صلعم ملك بحيث
نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل في نظيره قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك على صورته وجعله معه عليه السلام نذيرا اجيب
عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال
الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول
بقوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي لو انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول
المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوى الاحاد البشرية الا ترى ان الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين كانوا
يشاهدونه الملك ويفاوضونه على الصورة البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك
وحيث كان شأنهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه
كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم
عما عليه يدور نظام الدنيا والاخرة من ارسال الرسل وتأسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان
عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في
السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة
ثم في قوله تعالى ثم لا ينظرون اي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود
بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجأة العذاب اشد من نفس
العذاب واشق وقيل ان سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلعم في صورته
وهي آية لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوه يزول الاختيار الذي
هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثاني بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول
للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام والثاني لما لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين

وقال

ويقال لو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا لتحقق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير
ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاول
مبتدأ والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة
ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية اريد بها بيان انتفاء
الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولكن
جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك ابانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لما رجع اليه
الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة
الاحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا على بشرا ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق
قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول
وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بها في المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته و
جعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا
ما يلبسون على انفسهم حينئذ بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن
المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عم ولو اظهر لهم صورته الاصلية
لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في
صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا
من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة
في كفرهم بآيات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم عما يلقاه من قومه
وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين
من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اي احاط او نزل
او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل
على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي استهزأوا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام
متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزئون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما
موصولة مفيدة للتهويل اي فاحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل
بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الارض بعد بيان ما
فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلعم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة
تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق بالاولين
وقد انجز ذلك يوم بدر اي انجاز اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم ثم انظروا اي تفكروا
كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما لان النظر في آثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم

باخبارهم

واما الاباحة فلما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو لا ظهر لها ان وجوب السير ليس الا لكونه
وسيلة الى النظر كما ينبئ عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية واما ان الامر الاول
لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب
المقام وكيف متعلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب
الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهو منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين
لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء
التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار في ذلك قل لمن ما في السموات والارض
من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وهو سؤال تبكيت قل لله تقريرا لهم
وتنبيها على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله
عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة
داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى
رؤوف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام
الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة
وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب
المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا
واعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين
ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها و
اوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلعم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده
فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعنه في رواية انه عم قال لما قضى الله تع الخلق كتب كتابا
فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتداه الله تعالى
من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابه الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا
الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر
وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس
لا يطلق على الله تع وان اريد به الذات الا مشاكلة لما تراه من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله
ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر
اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم
بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل اللام في ليجمعنكم بمعنى ان اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس

ليوم

ليوم لا ريب فيه وقيل بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيمة لا ريب فيه اي في اليوم او في الجمع وقوله تعالى
الذين خسروا انفسهم اي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد
القريب الحاصل من مشاهدة الرسول عم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب
او الرفع على الذم اي اعني الذين او هم الذين او هو مبتدأ والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون
والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع
الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان
والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اي لله عز وجل خاصة
ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى
فيهما وتعديته بفي كما في قوله تع وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والسكون مقابل الحركة والمراد ما
سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ في سماع كل مسموع العليم المبالغ
في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعدما تبينهم بما سبق من الحقائق اغير الله اتخذ
وليا اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا
بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تع اغير الله ابغي ربا وقوله تعالى افغير الله تأمروني اعبد ايها
فاطر السموات والارض اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ
فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه و
بين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرار العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم
ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه ولانه معظم ما يصل
الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا و
وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله والمعنى اشركتم من هو فاطر السموات
والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الضمير لله على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم
اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت
من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا له لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك
امرت وانا اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اي وقيل لي لا تكونن
من المشركين اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر
قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه
بيان لكمال اجتنابه عم من المعاصي على الاطلاق وقوله تعالى عذاب يوم عظيم اي عذاب يوم القيمة مفعول
اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم
عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل

والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله يومئذ ظرف للصرف اي في
ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل على حذف المضاف اي عذاب
يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز والجملة مستانفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي وذلك
اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
درجته وبعد مكانه في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الفوز المبين اي الظاهر لكونه فوزا وهو الظفر
بالبغية والالف واللام للقصر على ذلك وان يمسسك الله بضر اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك
فهو على كل شيء قدير ● ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من ان يقدر على دفعه
او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تأكيد الجواب بابا [؟] الثناء تذكره روي عن ابن عباس
رضي الله عنه انه قال اهدي للنبي عليه السلام بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي
مليا ثم التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في
الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو
كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم
يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان
في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا ● وهو القاهر
فوق عباده ● تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة ● وهو الحكيم ● في كل ما يفعله ويأمر به ● الخبير ● باحوال
عباده وخفايا امورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر ● قل اي شيء اكبر شهادة ● روي ان قريشا قالوا
لرسول الله صلعم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة
فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتدأ واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله
تعالى قل الله امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان
يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لترددهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشان
وقوله تعالى شهيد خبر مبتدأ محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه
اذا كان هو الشهيد بيني وبينكم كان اكبر شيء شهادة شهيدا الخ وتكرير البين لتحقيق المقابلة ● واوحي
الي ● اي من جهته تعالى ● هذا القرآن ● الشاهد بصحة رسالتي ● لانذركم به ● بما فيه من الوعيد والاقتصار على
ذكر الانذار لان الكلام مع الكفرة ● ومن بلغ ● عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم يا اهل مكة وسائر
من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيامة
وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعده الى يوم القيامة خلا ان
ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما تر

في

في سورة النساء ● ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى ● تقرير لهم مع انكار واستبعاد ● قل لا اشهد
بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل تكرير للامر للتأكيد انما هو اله واحد اي بل انما اشهد انه
تعالى لا اله الا هو ● وانني بريء مما تشركون ● من الاصنام او من اشراككم ● الذين آتيناهم الكتاب
جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة
والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليهم بقوله تعالى يعرفونه اي
يعرفون رسول الله صلعم من جهة الكتاب بحليته ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون ابناءهم بحلاهم
بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روي ان رسول الله صلعم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن
سلام انزل الله تعالى على نبيه هذه الآية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته
كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني لا ادري ما صنع النساء واشهد انه حق من الله
تعالى ● الذين خسروا انفسهم ● من اهل الكتاب ومن المشركين بان ضيعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها
واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية ● فهم لا يؤمنون ● لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول
الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لتضمن الموصول معنى الشرط وقيل على انه خبر مبتدأ محذوف
اي هم الذين خسروا الخ وقيل انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون
على الوجه الاخير عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ ● ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ●
بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه ونعتهم الملائكة بنات
الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن
ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساوي ونفيه يشهد به العرف الفاشي
والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل
كريم وافضل من كل فاضل الا ترى الى قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون بعد قوله
تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما
في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة ●
او كذب بآياته ● كأن كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم
وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة او للايذان
بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا
ما نفاه الله تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون ● انه ● الضمير للشان ومدار وضعه موضعه
شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير
في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن
عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ● لا يفلح الظالمون ● اي لا ينجون من مكروه ولا

ولا يفوزون بمطلوب وإذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم
﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾ منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف إيذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه
وإيماء إلى عدم استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كأنه قيل
ويوم نحشرهم جميعا ﴿ثم نقول لهم﴾ ما نقول كان من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتغيير
صيغة الماضي للدلالة على التحقق وحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية
بمضمر مقدم أي واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل واتقوا أو ليحذروا يوم نحشرهم
الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما ﴿للذين أشركوا﴾ أي نقول لهم
للتوبيخ والتقريع على رؤوس الأشهاد ﴿أين شركاؤكم﴾ أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه و
إضافتها إليهم لما أن شركتها ليست إلا تسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿الذين
كنتم تزعمون﴾ أي تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال ينبئ عن غيبة الشركاء مع
عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من
النصوص فإنما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وتقطع ما بينهم من الأسباب والعلائق
حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم إلى آخره ونحو ذلك من الآيات الكريمة إما لعدم حضورها في الحقيقة
بإبعادها من ذلك الموقف وإما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها
في الحقيقة إذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل إنما هو من حيث إنها شركاء كما يعرب عنه الوصف
بالموصول ولا ريب في أن عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهي من حيث
هي شركاء غائبة لا محالة وإن كانت حاضرة من حيث ذواتها أصناما كانت أو غيرها وأما ما يقال من
أنها يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم
وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت
أنهم شاهدوها قبل ذلك وانصرفت عروة أطماعهم عنها بالكلية على أنها معلومة لهم من حين
الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وإنما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين
القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على أنه اسمه
والخبر إلا أن قالوا وقرئ بنصب فتنتهم على أنها الخبر والاسم إلا أن قالوا والتأنيث
للخبر كما في قوله من كانت أمك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها أنسب بحسب
المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما أشير إليه فيما سلف والاستثناء مفرغ
من أعم الأشياء وفتنتهم إما كفرهم مرادا به عاقبته أي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة أعمارهم
وافتخروا به شيئا من الأشياء إلا جحوده والتبرؤ عنه بأن يقولوا ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ وإما
جوابهم عبر عنه بالفتنة لأنه كذب ووصفهم تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبرؤ من الإشراك وقرئ ربنا

على النداء

على النداء فهو لإظهار الضراعة والابتهال في استدعاء قبول المعذرة وإنما يقولون ذلك مع علمهم
بأنه بمعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا
في الدنيا أنا على خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي أن يتوهم أصلا فإنه مما يوهم أن لهم عذرا ما وأن لهم قدرة
على الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على أنه قد قضى ببطلانه قوله تعالى ﴿انظر كيف كذبوا
على أنفسهم﴾ فإنه تعجيب من كذبهم الصريح بإنكار صدور الإشراك عنهم في الدنيا أي انظر كيف كذبوا على أنفسهم
في قولهم ذلك فإنه أمر عجيب في الغاية وأما حمله على كذبهم في الدنيا فتمحل يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى
وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية أو موصولة قد حذف
عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على أنفسهم بإنكار صدور ما صدر عنهم ﴿وكيف ضل عنهم﴾
أي زال وذهب افتراؤهم أو ﴿ما كانوا يفترون﴾ من الإشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا عنه
بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وإيقاع الافتراء عليها مع أنه في الحقيقة واقع على أحوالها من الإلهية
والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في أمرها كأنها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في
حيز التعجيب ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين
من أحكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر بعد ما بين ما صدر عنهم قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين
أشركوا ومحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون
ذلك أي ومنا جمع دون ذلك ومن موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم أو وبعض
منهم الذي يستمع إليك أو فريق يستمع إليك على أن مناط الإفادة اتصافهم بما في حيز الصلة أو
الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ
روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول
الله صلعم فقالوا للنضر وكان صاحب أخبار يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما أدري
ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان
إني لأراه حقا فقال أبو جهل كلا ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ من الجعل بمعنى الإنشاء و
على متعلقة به وضمير قلوبهم راجع إلى من وجمعيته بالنظر إلى معناها كما أن إفراد ضمير يستمع بالنظر إلى لفظها
وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون إليك الخ والأكنة جمع كنان وهو ما يستر
به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة إما مستأنفة للإخبار بما تضمنته من الختم أو حال من فاعل يستمع
بإضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي الواقع حالا أي يستمعون إليك وقد ألقينا على قلوبهم أغطية
كثيرة لا يقادر قدرها خارجة مما يتعارفه الناس ﴿أن يفقهوه﴾ أي كراهة أن يفقهوا ما يستمعونه
من القرآن المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز أن يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام أي
منعناهم أن يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ أي صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في

قوله تعالى على قلوبهم أكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشئون النبي عم وفرط نبو قلوبهم
عن فهم القرآن الكريم ومج أسماعهم له وقد قدم تحقيقه في أول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا
في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر الآية وأنت خبير بأن مرادهم بذلك الإخبار بما اعتقدوه
في حق القرآن والنبي صلعم جهلا وكفرا من اتصافهما بأوصاف مانعة من التصديق نوع الإيمان
لكون القرآن شعرا وأساطير الأولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي عم لا الإخبار بأن هناك
أمرا وراء ذلك قد حال بينهم وبين إدراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وإن
يروا كل آية من الآيات المنزلة أي يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي
لا على نفي العموم أي كفروا بكل واحدة لعدم اجتلائهم إياها كما هي لما من حالهم حتى إذا جاءوك يجادلونك
هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى إذا جاءوك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من
فاعل جاءوا وإنما وضع الموصول موضع الضمير ذمًا لهم بما في حيز الصلة وإشعارا بعلة الحكم أي بلغوا
من التكذيب والمكابرة إلى أنهم جاءوك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الإيمان بما سمعوا من الآيات
الكريمة بل يقولون إن هذا أي ما هذا إلا أساطير الأولين فإن هذا أحسن الحديث وأصدقه
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الأباطيل والخرافات رتبة من الكفر
لا غاية وراءها ويجوز أن تكون حتى جارة وإذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله
تعالى يقول الذين كفروا إلى آخره تفسير للمجادلة والأساطير جمع أسطورة أو إسطارة أو
جمع أسطار وهو جمع سطر بالتحريك وأصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه أي
يتباعدون عنه بأنفسهم إظهارا لغاية نفورهم عنه وتأكيدا لنهيهم عنه فإن اجتناب الناهي عن
المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تأخيره أي عن النهي وقيل الضمير للرسول
عليه السلام وقيل المرفوع لأبي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لأتباعه فإنه كان ينهى قريشا
عن التعرض لرسول الله صلعم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي أنهم اجتمعوا إليه وأرادوا برسول الله عم
سوءا فقال والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا فاصدع بأمرك ما عليك
غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتني وزعمت أنك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني
سمحا بذاك مبينا فنزلت وإن يهلكون أي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي إلا أنفسهم بتعريضها
لأشد العذاب وأفظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والإضلال وقوله تعالى وما يشعرون
حال من ضمير يهلكون أي يقصرون الإهلاك على أنفسهم والحال أنهم ما يشعرون أي لا بإهلاكهم
أنفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير أن يضروا بذلك شيئا من القرآن والرسول عم والمؤمنين
وإنما عبر بالإهلاك مع أن المنفي عنهم مطلق الضرر لغايته ما يؤدي إليه ما فعلوا من القدح في
القرآن الكريم للمانعة في تمشي أحكامه وظهور أمر الدين للإيذان بأن ما يحيق بهم هو الهلاك

لا الضرر

لا الضرر المطلق على أن مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلعم
للمؤمنين ويجوز أن الإهلاك معتبر بالنسبة إلى الذين يضلونهم بالنهي فقصره على أنفسهم حينئذ مع شموله
للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الإضلال منزلة العدم ولو ترى إذ وقفوا
على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح
المحكية مع كونه كذبا في نفسه والخطاب إما لرسول الله صلعم أو لكل أحد من أهل المشاهدة والعيان
قصدا إلى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها
براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من سوء حالها
ووقفوا عليها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وإيذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول
ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه أي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرأيت ما
لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حين يطلعون عليها اطلاعا وهي
تحتهم أو يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرئ
وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد أي إلى الدنيا تمنيا للرجوع
والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا أي بآياته الناطقة
بأحوال النار وأهوالها الآمرة باتقائها إذ هي التي تخطر ببالهم ويتحسرون على ما فرطوا في
حقها أو بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما أوليا ونكون من المؤمنين بها العاملين
بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل أو نكون من فريق المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين
بجزيل الثواب ونصب الفعلين على جواب التمني بإضمار أن بعد الواو وإجرائها مجرى الفاء و
يؤيده قراءة ابن مسعود رضي وابن أبي إسحق فلا نكذب والمعنى إن رددنا لم نكذب ونكن من
المؤمنين وقيل ينسبك من أن المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر وبعد رد فله مصدر متوهم
فيعطف هذا عليه كأنه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما
على أنه كلام مستأنف كقوله دعني ولا أعود أي وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني أو عطف
على نرد أو حال من ضمير نرد فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه الأخير للنصب وتعلق التكذيب
الآتي به لما تضمنه من العدة بالإيمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني رزقت مالا فأكافئك
على صنيعك فإنه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون كذبا لا محالة وقرئ
برفع الأول ونصب الثاني وعدم توجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل إضراب عما ينبئ
عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والإيمان بها أي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن
رغبة في الإيمان وشوق إلى تحصيله والاتصاف به بل لأنه ظهر لهم من موقعهم ذلك ما كانوا يخفونه
في الدنيا من الداعية الدهياء وظنوا أنهم مواقعوها فلخوفهم وهو مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها
النار التي وقفوا عليها إذ هي التي سيق الكلام لتهويل أمرها والتعجب من فظاعة حال الموقوفين

عليها وما خفاؤها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب
الوارد في قوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه
انسب لما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدو وهذا هو الذي يستدعيه
جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا
يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون به في بعض مواقف
القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء
الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتاب من صحة نبوة النبي صلعم ونعوته
الشريفة عن عوامهم على ان الضمير للعوام والمرفوع للخواص او كونهم الذي اخفوه من الكفر من منافقين
والضمير للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبمعزل الاخفاء عما يقتضيه كل منها من الاعتساف والاخلال لا
سبيل الى شيء من ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال
اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة
ما لا يحيط به الوصف ورتب عليهم التمني المذكور بالفاء العاطفة بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط
النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسنادها الى
شيء من الامور المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يجب تنزيه ساحة
التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها
وابوابها مفتوحة فتأمل ● ولو ردوا ● اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب
عنهم ما شاهدوه من الاهوال ● لعادوا لما نهوا عنه ● من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب
المذكور ونسوه ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب ● وانهم لكاذبون
اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون ● وقالوا ● عطف على عادوا داخل في حيز الجواب
وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افاده الشرطية من كذبهم
المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا
عنه ● وقالوا ان هي ● اي ما الحيوة ● الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ● بعد ما فارقنا هذه الحيوة كان
لم يروا ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور ● ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ● الكلام
فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف هيهنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني
بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى ● قال ●
استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك
فقيل قال ● اليس هذا ● مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام ● بالحق ●
تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل ● قالوا ● استيناف
كما سبق ● بلى وربنا ● اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم

بالرغبة

بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه ● قال ● استيناف كما مر ● فذوقوا العذاب ● الذي عاينتموه و
الفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم
بذلك في الدنيا بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله تعالى ● بما كنتم تكفرون ● اي
بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ
والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب
● قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ● هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير
للايذان بتسبب خسرانهم عما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه
من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى ● حتى اذا
جاءتهم الساعة ● غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له ● بغتة ● اي فجأة وانتصابها اما
على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما
على انه مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم انتقه ركضا او مصدر مؤكد لفعل
محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة ● قالوا ● جواب اذا
● يا حسرتنا ● تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من
مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال عم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع
بغير فترة لسرعته ● على ما فرطنا فيها ● اي على تفريطنا في شأن الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد
لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة
الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع
وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير
وقوله تعالى ● وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ● حال من فاعل قالوا فائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا
على ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايذان بان تلك الحسرة من الشدة
بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني
نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقلها على صاحبه وذكر الظهور
كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدي والمعنى
انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات ● الا ساء ما يزرون ●
تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم ● وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو ● لما حقق فيما سبق ان
وراء الحيوة الدنيا حياة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في انفسهما وعبر
عما يشغل النفس ويغرها عما تنتفع به باللهو فرقا عن الجد الى الهزل وتربيها على حذف المضاف وجعل الحيوة الدنيا
نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها
من حيث هي هي اودنا ما هي من حيث انها مكمل للسب لتلك الا كالاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم عما فيه من منفعة

الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال مع ما يعقبهم من منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح
وللدار الآخرة التي هي محل الحيوة الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار و
لذاتها غير منغصة بالالام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان
والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة
قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلعم عن الحزن الذي يعتريه مما يحكى
من الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عم بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه
فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد
كما في قوله تع قد يعلم ما انتم عليه وقوله تع قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل
قوله وان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في
التكثير يقول لبعض قواد الالف كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعنده مقانب
جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابرازه انه ممن يقلل كثير ما
عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله تع ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون
الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الايات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في
البيت وقوله فقد اترك القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بتكثير علمه تعالى
كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول
فاعل يحزنك وعائده محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك
وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام
السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا الكلي بطريق التسلي على ... وعده حقيقيا والاقبال التام على ما
سواهم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما قيل في نوع كونه بمعزل من التسلية بالكلية
لما يوهم كون حزنه عم لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يعقبه من بلوغه عم في جلالة القدر ورفعة المحل
والزلفى من الله عز وعلا حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عم تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة
قوله تع من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عم واثبت لاياته تع على طريقة قوله تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شئونه عم في شان الله عز وجل ثم
فيه استعظام لجناياتهم منبئ عن عظم عقوباتهم كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تع فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك
في الحقيقة ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي ولكنهم بايات الله تع يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم
بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام
ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى وايراد الجحود في موقع التكذيب للايذان بان ما اسند من الوضوح بحيث
يشهد بصدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه
كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى يقول من قال انه نفي ما في القلب ثباته او اثبات ما في القلب

نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل لتضمين الجحود معنى التكذيب واياما كان
فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روي من ان
الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له
والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش
فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي ان رسول الله عم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون
وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله لما روي ان ابا جهل كان
يقول لرسول الله صلعم ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عند الخبيث
بمطابقة خبره لاعتقاده في الاول سواء كان يستدعيه الحالة الشرعية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى
واحد كما كثر واكثر وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول
كذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه واكذبته اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت
رسل من قبلك الخ تسلية اثر تسلية عم فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عم
الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام بما يؤول اليه امره من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد
التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت
من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك فصبروا على ما
كذبوا ما مصدرية وقوله تع واوذوا عطف على كذبوا داخل في حكمه فان ما ينسبك منهما مصدران من المبني
للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين
تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون الاذية لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا وايا ما كان ففيه تاكيد
للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبوا وقيل هو استيناف وقوله تع حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر
وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوقع لهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون
العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تع ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره
اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تع ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان
جندنا لهم الغالبون وقوله تع كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصر
رسول الله عم ايضا لا نفس الايات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة
الى رسول الله صلعم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عم ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك
المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عم دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان
الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه خلف في قول من الاقوال
وقوله تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد
لرسول الله صلعم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل
اما باعتبار مضمونه اي بعض نبا المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبا المرسلين كما في قوله تعالى ومن

الناس من يقول آمنا بالله الآية واياما كان فالمراد تسليته عليه السلام على الاول بنصره تعالى اياهم بعد التكذيب وعلى
جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم مستهم البأساء والضراء الآية وفي محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك العائد
الى ما يفهم من الجملة السابقة اى ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم
عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم ونهيهم
الناس عنه وقيل ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلعم في محضر من قريش فقالوا
يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله تعالى ان يأتيهم بما اقترحوا فاعرضوا
عن رسول الله صلعم فشق ذلك عليه لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه آية يود ان ينزلها
الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت وصيغة الماضي للدلالة على ان اعراضهم مع تقدمه مستمر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشأن
ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه
فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الى آخره محذوف الجواب
وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم
لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا اى سربا ومنفذا
في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اى مصعدا في السماء تعرج به فيها فتأتيهم منها بآية مما اقترحوه
فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالآية فالفاء في فتأتيهم حينئذ تفسيرية لا تعقيبية ان اريد بالتفسير اى
فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان متعلقان بمحذوف هما نعتان لنفقا
وسلما والاول لمجرد التأكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا
من فاعل تبتغي اى ان تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ
حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر على ان يأتي بآية من تحت الارض او من فوق السماء
لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم
مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى لو شاء الله تعالى ان يجمعهم على ما انتم
عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى
مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو
شاء الله لجمعهم عليه بان يأتيهم بآية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من
الجاهلين نهي لرسول الله صلعم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه
من الآيات طمعا في ايمانهم مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه
تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم
من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم

توجههم

توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين
على الوجه الاول المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل
دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون
تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم
بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول اى انما يقبل دعوتك الى
الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى
وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة
على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة
بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اى وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون
واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهورة اوفق بالمقام
لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية
لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء
قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم
يقنعوا بما شاهدوا من الآيات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعاء انها ليست من قبيل الآيات
وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي
وما يفيده التعرض لعنوان الربوبية له عليه السلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم
من جهتهم واطلاق الآية في قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل آية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق
المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كا
نزال الملائكة بالعذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها
ليست في حيز الانكار للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم
عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك ولكن اكثرهم لا يعلمون اى ليسوا من اهل العلم على ان
المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر
على ان ينزل آية من ذلك او آية وآية ولكن اكثرهم لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته
عليه لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استئصالا لهم بالكلية فيقترحون
اياها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون
على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض الى آخره
كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى

قادر على تنزيل الآية وإنما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقه المحذوف
فهو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل وما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض
وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر
من الطيور يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل
الجار والمجرور كأنه قيل وما دابة ولا طائر إلا أمم أي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دواب
ولا طير إلا أمم أمثالكم أي كل أمة منها مثلكم في أن أحوالها محفوظة وأمورها مقننة ومصالحها مرعية
جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقدير الإلهي والتدبير الرباني ما فرطنا في الكتاب من شيء
يقال فرط الشيء أي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله أي لا يتركه ولا يفارقه ويقال
فرط في الشيء أي أهمل ما ينبغي أن يكون وأغفله فقوله تعالى في الكتاب أي القرآن على الأول ظرف لغو وقوله
تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق أي ما تركنا في القرآن شيئا من الأشياء المهمة
التي من جملتها بيان أنه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن شيء في موضع
المصدر أي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وأياما كان
فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الإشارة إلى أن أحوال الأمم
مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ ما فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى ثم إلى ربهم يحشرون
يوم القيامة كذلكم لا إلى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من
القرناء وقيل حشرها موتها وفي إيراده مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا
متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك
الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي أوردنا في القرآن جميع الأمور المهمة وأزحنا به العلل
والأعذار والذين كذبوا بآياتنا التي هي منه صم لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير
الأولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون
دعوتك بها وقوله تعالى في الظلمات أي في ظلمات الكفر وظلمات الجهل والعناد والتقليد إما خبر ثان للمبتدأ
على أنه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي وإما متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن في الخبر كأنه قيل
ضالون كائنين في الظلمات أو صفة لبكم أي بكم كائنون في الظلمات والمراد بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء
الحال فإن الأصم الأبكم إذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا بإشارة غيره وإن لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره
بما في ضميره بالإشارة وإن كان معزولا عن العبارة وأما إذا كان مع ذلك أعمى أو كان في الظلمات فينسد
عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشأ الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم
ببيان أنهم من أهل الطبع لا يتأتى منهم الإيمان أصلا فمن مبتدأ خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف
على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به أي
من يشأ الله إضلاله أي أن يخلق فيه الضلال يضلله أي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير أن يكون

له دخل

له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره إلى كسبه وتحصيله فيما فيه عليه قوله تعالى ومن يشأ يجعله على صراط
مستقيم أي لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه قل أرأيتكم أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بأن يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم إلى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب
ومبنى التركيب وإن كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت أو بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها أي
أخبروني إن أتاكم عذاب الله حسبما أتى الأمم السالفة من أنواع العذاب الدنيوي أو أتتكم
الساعة التي لا محيص عنها البتة أغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى
إن كنتم صادقين متعلق بأرأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور
عليه أي إن كنتم صادقين في أن أصنامكم آلهة كما أنها دعواكم المعروفة أو إن كنتم قوما صادقين فأخبروني أغير الله
تدعون إن أتاكم عذاب الله فإن صدقهم بأي معنى كان من موجبات إخبارهم بدعائهم غيره سبحانه وأما جعل الجواب
ما يدل عليه قوله تعالى أغير الله تدعون أعني فادعوه على أن الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب
منهم إنما هو الإخبار بدعائهم غيره تعالى عند إتيان ما يأتي لا نفس دعائهم إياه وقوله تعالى بل إياه تدعون عطف
على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار إنباء جليا كأنه قيل لا غيره تعالى تدعون بل إياه تدعون وقوله
تعالى فيكشف ما تدعون إليه أي إلى كشفه عطف على تدعون أي فيكشفه إثر دعائكم وقوله تعالى إن شاء
أي إن شاء كشفه لبيان أن قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية وقد استأثر الله تعالى بعلمها
فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق
بكشف العذاب الأخروي الذي من جملته الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون أي تتركون ما
تشركونه به تعالى من الأصنام تركا كليا عطف على تدعون أيضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما
وتأخر الكشف عنهما لإظهار كمال العناية بشأن الكشف والإيذان بترتبه على الدعاء خاصة
ولقد أرسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان أن منهم من لا يدعون الله تعالى عند إتيان العذاب أيضا
لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصدير
الجملة بالقسم لإظهار مزيد الاهتمام بمضمونها ومفعول أرسلنا محذوف لما أن مقتضى المقام بيان حال
المرسل إليهم لا حال المرسلين أي وبالله لقد أرسلنا رسلا إلى أمم كثيرة من قبلك أي كائنة من
زمان قبل زمانك فأخذناهم أي فكذبوا رسلهم فأخذناهم بالبأساء أي بالشدة والفقر
والضراء أي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون حينئذ مع تحقق ما
يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله أي فلم يتضرعوا إلى الله تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما
يدعوهم إليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم أي استمرت على ما هي عليه من القساوة أو ازدادت
قساوة كقولك لم يكرمني إذ جئته ولكن أهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر
والمعاصي فلم يخطروا ببالهم أن ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم إلا لأجله وقيل الاستدراك
لبيان أنه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قساوة قلوبهم والإعجاب بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى

فلما نسوا ما ذكروا به • عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من
البأساء والضراء فلما نسوه • فتحنا عليهم ابواب كل شيء • من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عم قال مكر
بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير
في الجملة لم يخل عن النفع وحتى في قوله تعالى • حتى اذا فرحوا بما اوتوا • هي التي يبتدأ بها الكلام وحلت في محله
الشرطية كهي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل ففعلوا
ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا • اخذناهم بغتة • اي نزل بهم عذابنا فجاءة ليكون
اشد عليهم وقعا وافظع هولا • فاذا هم مبلسون • متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير واجمون وفي
الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة • فقطع دابر القوم الذين ظلموا • اي آخرهم بحيث لم
يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم
الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات • والحمد لله رب العالمين • على ما جرى عليهم
من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم الفاسدة واعمالهم
الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت بها رسلهم عم • قل ارايتم • امر لرسول
الله عم بتكرار التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم
وهذا ارتقاء استخبار من متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية • ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم • بان اصمكم واعماكم بالكلية • وختم على قلوبكم • بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا
وتصيروا مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما
يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على
الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية وافرادها لان اصله مصدر وقوله تعالى • من اله • مبتدأ وخبر وقعا مفعولا به
وقوله تعالى • غير الله • صفة للخبر وقوله تعالى • يأتيكم به • اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او
بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم
من اله غيره تعالى يأتيكم به وقوله تعالى • انظر كيف نصرف الآيات • تعجيب لرسول الله صلعم من عدم تأثرهم
بما عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب
المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير • ثم هم يصدفون • عطف على
نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجب وثم للاستبعاد وصدوفهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على
هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها • قل ارايتكم • تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم
ان اتاكم عذاب الله • اي عذابه العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم • بغتة • اي فجاءة من غير ان يظهر
منه وقيل ليلا او نهارا كما في قوله تعالى بياتا او نهارا لان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة
وجهرة • وهما في موضع المصدر اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى
هل يهلك • متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم

عذابه

عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع
موضعه • الا القوم الظالمون • تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر
موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا
انتم ومن اشبهكم وبالجملة تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف
كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم
الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر
باخراج غير الظالمين لانه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واشتغل
بما لا يعنيه واخل بما اليه النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي • وما نرسل المرسلين • كلام مستأنف
مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار
ان ما يقترحه الكفرة عليه عم ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر
جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى • الا مبشرين ومنذرين • حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم
الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم فيهما معنى العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم
بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دينيا كان او اخرويا من غير ان يكون بيان الشرائع
والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى • فمن آمن واصلح • لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء
في قوله تعالى • فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من العذاب الذي انذروه
دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل او الآجل وتقديم نفي الخوف على
نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين
باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه من ان
النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا يرى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة
المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار
كذلك المضارع الخالي عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء
لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت يفيد اختصاص النفي لا نفي الاختصاص كما بين في محله
وقوله عز وجل • والذين كذبوا • عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى بآياتنا اشارة الى ان ما
ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار ويبلغونه الى الامم آياته تعالى وان من آمن به فقد آمن
بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى وايضا
ما نرسل المرسلين الا ليخبروا اممهم من جهتنا بما سيقع بهم من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا
من تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن آمن بما اخبروا
به من قبلنا تبشيرا او انذارا في ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل في الصلاح فلا خوف

ولا هم يحزنون «والذين كذبوا بآياتنا» التي بلغوها عند التبشير والإنذار «يمسهم العذاب» أي العذاب
الذي أنذروه عاجلا أو آجلا أو حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما أوليا «بما كانوا يفسقون»
أي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الإصرار على الخروج عن التصديق والطاعة «قل لا أقول لكم عندي خزائن
الله» استئناف مبني على ما أسس من السنة الإلهية في شأن إرسال الرسل وإنزال الكتب مسوق لإظهار
تبريه عما يدور عليه مقترحاتهم أي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات وأخرى غير ذلك لا أدعي
أن خزائن مقدوراته تعالى مفوضة إلي أتصرف فيها كيفما أشاء استقلالا أو استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات
أو إنزال العذاب أو قلب الجبال ذهبا أو غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبريا عن دعوى الإلهية مما لا وجه له أصلا
«ولا أعلم الغيب» عطف على محل عندي خزائن الله أي ولا أدعي أيضا أني أعلم الغيب من أفعاله تعالى حتى تسألوني
عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب أو نحوهما «ولا أقول لكم إني ملك» حتى تكلفوني من الأفاعيل الخارقة للعادات
ما لا يطيقه البشر من الرقي في السماء ونحوه أو تعدوا عدم اتصافي بصفاته قادحا في أمري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشي في الأسواق والمعنى إني لا أدعي شيئا من هذه الأشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها وأحكامها وتجعلوا
عدم إجابتي إلى ذلك دليلا على عدم صحة ما أدعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل إنما هي عبارة عن تلقي الوحي
من جهة الله عز وجل والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى «إن أتبع إلا ما يوحى إلي» لا على معنى تخصيص
اتباعه بما يوحى إليه دون غيره بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد
على توجيه القصر إلى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الأصل والإثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع
ما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يغايره من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والإثبات معا في خصوصه
فإن ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والإثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فإن
كل فعل من الأفعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معنى خاص يقومه
فإن معناه فعل النصر يرشدك إلى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الإعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة
ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي إلى الأصل والإثبات إلى القيد كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي من غير أن يكون لي مدخل ما
في الوحي أو في الموحى بطريق الاستدعاء أو بوجه آخر من الوجوه أصلا «قل هل يستوي الأعمى والبصير»
مثل للضال والمهتدي على الإطلاق والاستفهام إنكاري والمراد إنكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن
يعلمها وفيه من الإشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الأمر لتثبيت
التبكيت وتأكيد الإلزام وقوله تعالى «أفلا تتفكرون» تقريع وتوبيخ داخل تحت الأمر والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام أي ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه أو أتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط
التوبيخ في الأول عدم الأمرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه «وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا
إلى ربهم» بعدما حكى لرسول الله صلعم أن من الكفرة قوما لا يتعظون بتعريف الآيات الباهرة ولا
يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة فذلك شاعرهم بالكلية ولحقوا بالأموات وقرر ذلك بأن كرر
عليهم من فنون التبكيت والإلزام ما يلقمهم الحجر فأبوا إلا الإباء والتكبر وما نجع فيهم عظة ولا تذكير

وما أفاده

وما أفاده الإنذار إلا الإصرار على الإنكار أمر عليه السلام بتوجيه الإنذار إلى من يتوقع منهم التأثر
في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين بأصله كأهل الكتاب وبعض
المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الأنبياء كالأولين أو في شفاعة الأصنام كالآخرين
أو مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم أنهم إذا سمعوا بحديث البعث يخافون أن يكون
حقا وأما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون
عمن أمر بإنذارهم وقد قيل هم المفرطون في الأعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا
سياقه بل فيه ما يقتضي استحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور راجع إلى ما يوحى أو ما دل عليه من القرآن
المفعول الثاني للإنذار إما العذاب الأخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة وإما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى
«ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع» في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف
وقع حالا من اسم ليس لأنه في الأصل صفة له فلما قدم عليه انتصب خلا أن الحال الأولى لإخراج الحشر
الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق أن ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان ضرورة
أن المعترفين به الجازمين بنصرة أوليائهم بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور أمر الإنذار
وأما الحال الثانية فليست لإخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت
ولاية غيره تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم
وذلك هو ولاية غيره سبحانه كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء والمعنى
أنذر به الذين يخافون أن يحشروا غير منصورين من جهة أنصارهم على زعمهم ومن ههنا اتضح أنه لا سبيل إلى كون
المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين إذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته عز وجل وإنما الذي يخافونه
الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى «لعلهم يتقون» تعليل للأمر أي أنذرهم لكي يتقوا الكفر والمعاصي وحال من ضمير الأمر
أي أنذرهم راجيا تقواهم أو من الموصول أي أنذرهم مرجوا منهم التقوى «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي»
لما أمر عليه السلام بإنذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم
روي أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلعم لو طردت هؤلاء الأعبد وأرواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار و
صهيب وخباب وسلمان وأضرابهم جلسنا إليك وحادثناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين فقالوا فأقمهم عنا إذا
جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت قال نعم طمعا في إيمانهم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له عليه السلام لو
فعلت حتى ننظر إلى ماذا يصيرون وقيل إن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث
بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل وأشراف بني عبد مناف من أهل الكفر أتوا أبا طالب فقالوا يا أبا طالب
لو أن ابن أخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان أعظم في صدورنا وأدنى لاتباعنا إياه
فأتى أبو طالب إلى النبي صلعم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي
يريدون وإلى ما يصيرون فقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة

بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي عم جالساً مع
ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله عم حقروهم فأتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست
في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم فجالسناك وحادثناك وأخذنا عنك فقال عم ما أنا
بطارد المؤمنين قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب تأتيك
فنستحيي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال عم نعم
قالوا فاكتب لنا كتاباً فدعا بالصحيفة ودعا علياً رض ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عم بالآية فرمى عم
بالصحيفة ودعانا فأتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام
فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا إلى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني
حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلوة
الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى يريدون وجهه حال من ضمير يدعون أي يدعونه تعالى مخلصين
له فيه وتقييده به لتأكيد عليته للنهي فإن الإخلاص من أقوى موجبات الإكرام المضاد للطرد وقوله تعالى
ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريراً له ودفعاً لما عسى يتوهم كونه مسوغاً
لطردهم من أقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي
ما عليك شيء ما من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة حتى يتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك
حسبما هو شأن منصب النبوة اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام على موجبها وأما بواطن الأمور فحسابها على العليم بذات
الصدور وذكر قوله تعالى وما من حسابك عليهم من شيء مع أن الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في
بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه أصلاً وهو انتفاء كون حسابه عم
عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وأما ما قيل من أن ذلك لتنزيل الجملتين منزلة
جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى فغير حقيق بجلالة شأن التنزيل وتقديم
عليك في الجملة الأولى للقصد إلى إيراد النفي على اختصاص حسابهم به عم إذ هو الداعي إلى تصديه عم لحسابهم
وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك إيمانهم ويدعوك الحرص عليهم إلى أن تطرد المؤمنين و
وقوله تعالى فتطردهم جواب النفي وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم
على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي
وذلك إشارة إلى مصدر ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في أمر الدين
بتوفيقهم للإيمان مع ما هم عليه في أمر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجته
وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في
الأصل النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتوناً كائناً مثل ذلك الفتون
ثم قدم على الفعل لإفادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتاً
له أي ذلك الفتون الكامل البديع فتنا أي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتوناً غيره حيث قدمنا الآخرين

في امر

في أمر الدين على الأولين المتقدمين عليهم في أمر الدنيا تقدماً كلياً واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة
أي ليقول البعض الأولون مشيرين إلى الآخرين محقرين لهم نظراً إلى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي
وتعامياً عما هو مناط التفضيل حقيقة أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بأن وفقهم لإصابة الحق ولما يسعدهم
عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك إنكار وقوع المن رأساً على طريقة
قولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى
وقوله تعالى أليس الله بأعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وإبطال له وإشارة إلى أن مدار استحقاق
الإنعام معرفة شأن النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير علمه البالغ بذلك أي أليس الله بأعلم
بالشاكرين لنعمه حتى يستبعدوا إنعامه عليهم وفيه من الإشارة إلى أن أولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله
تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للإيمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بأن القائلين بمعزل من ذلك
كله ما لا يخفى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالإيمان بآيات الله عز
وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالإخلاص تنبيهاً على إحرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف
مع تقدمه على الوصف الأول لما أن مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الإيمان بها كما أن مناط النهي عن الطرد فيما
سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم أمر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد إنذار مقابليهم
وقيل بتبليغ سلامه تعالى إليهم وقيل بأن يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي قضاها و
أوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والإحسان بالذات لا بتوسط شيء أصلاً تبشير لهم بسعة
رحمته تعالى ونيل المطالب إثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبول التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضميرهم إظهار اللطف بهم والإشعار بعلة الحكم وقيل إن قوماً جاؤوا إلى النبي عم فقالوا إنا أصبنا
ذنوباً عظاماً فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى أنه من عمل منكم سوءاً بدل من الرحمة وقرئ بكسر
إنه على أنه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل أي عمله وهو جاهل بحقيقة ما
يتبعه من المضار والتقييد بذلك للإيذان بأن المؤمن لا يباشر ما يعلم أنه يؤدي إلى الضرر أو عمله ملتبساً بجهالة
ثم تاب من بعده أي من بعد عمله أو من بعد سفهه وأصلح أي ما أفسده تداركاً وعزماً على أن لا يعود إليه
أبداً فأنه غفور رحيم أي فأمره أنه غفور رحيم وقرئ بالكسر على أنه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة خبراً لمن على أنها
موصولة أو جواباً لها على أنها شرطية وكذلك نفصل الآيات قد مر تحقيقه من الكلام أي
مثل هذا التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة أهل الطاعة وأهل الإجرام المصرين منهم والأوابين ولتستبين
سبيل المجرمين بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فإن السبيل مما يذكر
ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وإنما قصد الإشعار بأن له فوائد جمة
من جملتها ما ذكر أو علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستأنفاً أي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من
التفصيل وقرئ بنصب السبيل على أن الفعل متعد والتاء للخطاب أي ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم
بما يليق بهم قل إني نهيت أمر عليه السلام بالرجوع إلى مخاطبة المصرين على الشرك إثر ما أمر بمقابلة من عداهم من

اى من الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اى قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا
لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا انى صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل علىّ من
الآيات فى امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اى عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر
مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور به وايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهى
والثانى حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا
لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شئ مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهى
والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذا استئناف مؤكد لانتهائه عما نهى عنه مقرر لكونهم فى غاية الضلال والغواية
اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة
على الدوام والاستمرار اى دوام النفى واستمراره لا لنفى الدوام والاستمرار كما مر مرارا اى وما انا فى شئ من الهدى حتى اكون
فى عدادهم وقوله تعالى قل انى على بينة تحقيق للحق الذى عليه رسول الله صلعم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل
الذى عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التى تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحى
وقيل هى الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربى متعلق بمحذوف هو صفة
لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او الاضافة وفى التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به اى بربى حال باضمار قد
او بدونه جئ به لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضى عدمه من غاية وضوح البينة والضمير
للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى انى على بينة عظيمة كائنة من ربى وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التى من
جملتها الوعيد بمجئ العذاب وقوله تعالى ما عندى ما تستعجلون به استئناف مبين لخطائهم فى شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم
بها وهو عدم مجئ ما وعد فيها من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او
بطريق الالزام على زعمهم اى ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود فى القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه فى
حكمى وقدرتى حتى اجئ به واظهر لكم صدقه او ليس امره بمفوض الىّ ان الحكم فى ذلك تعجيلا او تأخيرا او ما الحكم فى جميع
الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله
تعالى يقص الحق اى يتبعه بيان لشؤونه تعالى فى الحكم المعهود او فى جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اى لا يحكم
الا بما هو حق فيثبت حقيقة التأخير وقرئ يقضى فانتصاب الحق حينئذ على المصدرية اى يقضى القضاء الحق او على المفعول به
اى يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع
الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدى على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله
مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذى يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل
ان المعنى انى من معرفة ربى وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت
خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم مجئ العذاب الموعود
فيها فتكذيبهم به سبحانه فى امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندى اى فى قدرتى ومكنتى ما تستعجلون به

من العذاب

من العذاب الذى ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الىّ من جهته تعالى لقضى الامر بينى وبينكم اى بان ينزل ذلك
عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفى بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعيين الفاعل الذى هو الله سبحانه
وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل فى تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وتخلصت منكم سريعا بمعزل من
توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر
العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون
للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الىّ فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم
وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها
به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كانها مخازن خزنت
فيها الامور الغيبية يغلق عليها ويفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح
الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اى عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه او
ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تأكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث
العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلون به من العذاب ليس مقدورا لى حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدىّ
لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
وقوله تعالى ويعلم ما فى البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على
ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء فى الجلاء اى يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها
وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان
تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان
ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار
انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى فى ظلمات الارض
متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اى ولا حبة كائنة فى بطون الارض الا يعلمها و
وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان فى حكمها وقوله تعالى الا فى كتاب مبين بدل
من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة
عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيرات بالرفع عطفا على محل ورقة او رفعها بالابتداء والخبر الا فى كتاب مبين وهو الانسب
بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شأنه السقوط وقد نقل قراءة الرفع فى ولا حبة ايضا وهو الذى
يتوفاكم بالليل اى ينيمكم فيه على استعارة التوفى من الاماتة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة فى زوال
الاحساس والتمييز واصله قبض الشئ بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اى ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار
الجنس المتحقق فى كل فرد من افرادهما اذ بالتوفى والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب
عليهما لا فى بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اى يعلم ما تجرحون بالنهار
مع تحقق كل منهما فيما حضر ما لا يجرى على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اى يوقظكم فى النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط

قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما فى بعثكم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها
موجبة لابقائهم على التوفى بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحيوة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخى كانه قيل هو الذى يتوفاكم
فى جنس الليالى ثم يبعثكم فى جنس النهر مع علمه بما ستجرحون فيها • ليقضى اجل مسمى • معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى
احد ما عين له طرفة عين • ثم اليه مرجعكم • اى رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا • ثم ينبئكم بما كنتم تعملون • بالمجازاة با
باعمالكم التى كنتم تعملونها فى تلك الليالى والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون
للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور فى شأن ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام
بالنهار ليقضى الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لافضائه الى كون
البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له • وهو القاهر فوق عباده • اى هو المتصرف فى امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء
ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك • ويرسل عليكم • خاصة ايها المكلفون • حفظة • من
الملئكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من
الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بحفظة والظرف محذوف على كل حال اى يرسل عليكم ملئكة يحفظون
اعمالكم كائنا ما كان وفى ذلك حكمة جليلة ونعمة جليلة لان المكلف اذا علم ان اعماله يحفظ عليه ويعرض على رؤس الاشهاد
كان ذلك ازجر له عن تعاطى المعاصى والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم
احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى فى قوله تعالى • حتى اذا جاء احدكم الموت • هى التى يبتدأ بها الكلام
وهى مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم
حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه • توفته رسلنا • الاخرون المفوض
اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى
التائين • وهم • اى الرسل • لا يفرطون • اى بالتوانى والتأخير وقرئ مخففا من الافراط اى لا يجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى • ثم ردوا •
عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر فى مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا و
الجمع اخرا لوقوع التوفى على الانفراد والرد على الاجتماع ثم ردوا بعد البعث بالحشر • الى الله • اى الى حكمه وجزائه فى موقف
الحساب • مولاهم • اى مالكهم الذى يلى امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما فى قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم
• الحق • الذى لا يقضى الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح • الا له الحكم • يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من
الوجوه • وهو اسرع الحاسبين • يحاسب جميع الخلائق فى اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب
ولا شأن عن شأن وفى الحديث انه تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة • قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر •
اى قل تقريرا لهم بانحطاط شأنهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التى تبطل الحواس وتدهش
العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب من الخسف
فى البر والغرق فى البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى • تدعونه • نصب على الحالية من مفعول ينجيكم
والضمير له اى من ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من فاعله اى من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى

تضرعا

تضرعا وخفية • اما حالان من فاعل تدعون او مصدر مؤكد له اى تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء
اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى • لئن انجيتنا • حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اى قائلين
لئن انجيتنا • من هذه • الشدة والورطة التى عبر عنها بالظلمات • لنكونن من الشاكرين • اى الراسخين فى الشكر
المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التى من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى
تدعونه • قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب • امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه
متعين • عليه اى الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم
والكرب ثم انتم بعدما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله تعالى
• قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا • استيناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القائهم فى المهالك
اثر بيان انه هو المنجى لهم منها وفيه وعيد ضمنى بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة قوله عز وجل افأمنتم ان يخسف بكم جانب
البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى الاية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء
به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر المؤخر وقوله تعالى • من فوقكم • متعلق به ايضا او بمحذوف
وقع صفة لعذابا اى عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم • او من تحت ارجلكم •
اى من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤساؤكم او من تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم
وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح • او يلبسكم شيعا • اى يخلطكم فرقا
متحزبين على اهواء شتى كل فرقة متابعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا فى الملاحم كقول الحماسى وكتيبة لبستها
بكتيبة • حتى اذا التبست نفضت لها يدى • ويذيق بعضكم باس بعض • عطف على يبعث وقرئ
نذيق بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة فى التحذير والبعض الاول الكفار والاخر المؤمنون
ففيه وعد ووعيد عن رسول الله صلعم انه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او من
تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا اهون او هذا
ايسر وعنه عليه السلام انه قال سألت ربى ان لا يبعث على امتى عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطانى
ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنى ذلك • انظر كيف نصرف الايات • من حال الى حال • لعلهم يفقهون •
كى يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد • وكذب به • اى بالعذاب الموعود او القرآن
المجيد الناطق بمجيئه • قومك • اى المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم
بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضى بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا
من اظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى • وهو الحق • حال من الضمير المجرور اى كذبوا به
والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق فى كل ما نطق به وقيل هو استيناف وايا ما كان ففيه دلالة
على عظم جنايتهم ونهاية قبحها • قل • لهم منبها على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة
• لست عليكم بوكيل • بحفيظ وكل الى امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن
العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه • لكل نبإ • اى لكل شئ ينبأ به من الانباء من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار

التي من جملتها خبر مجيئه «مستقر» اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله
«وسوف تعلمون» اي حال نبائكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه
بعد حين «واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا» اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش و
ديدنهم «فاعرض عنهم» بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى «حتى يخوضوا في حديث غيره» غاية للاعراض اي استمر على
الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونه حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى
اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا «واما ينسينك الشيطان» بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء
وبقاء وقرئ ينسّينك من التنسية «فلا تقعد بعد الذكرى» اي بعد تذكر النهي «مع القوم الظالمين» اي معهم فوضع
المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق و
التعظيم راسخون في ذلك «وما على الذين يتقون» روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم
عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزءوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت
فنزلت اي ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم «من حسابهم» اي مما يحاسبون عليه من الجرائر
«من شيء» اي شيء ما على انه في محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن
حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على خبر المبتدأ او لما الحجازية على رأي من لا يجيز اعمالها في الخبر
المقدم مطلقا او في محل النصب على رأي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر «ولكن ذكرى» استدراك
من النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة والتذكير
ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا
او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي ولكن عليهم ذكرى «لعلهم يتقون» اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم
وقد جوز كون الضمير للموصول اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها «وذر الذين اتخذوا دينهم»
الذي كلفوه وامروا باقامته «لعبا ولهوا» حيث سخروا به واستهزءوا وبنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه
العاقل بطريق الجد واما يقصد عنه لو قصد بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو
ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية
«وغرتهم الحيوة الدنيا» واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حياة بعدها ابدا «وذكر به» اي بالقرآن من يصلح للتذكير
«ان تبسل نفس بما كسبت» اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس شريرة
كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان
فريسته لا تفلت منه لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد جوز ان
يكون الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له لما في
الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على انه بدل
من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى «ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع»
استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف

لنفس

لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت
ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي كما بين في تفسير قوله تعالى وانذر به الآية وقيل هو خبر لليس ولها
حينئذ متعلقا بمحذوف على البيان «وان تعدل» اي ان تفد تلك النفس «كل عدل» اي كل فداء على
انه مصدر مؤكد «لا يؤخذ منها» على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ
منها عدل فانه المفدي به لا المصدر كما نحن فيه «اولئك» اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيزه و
ما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى «الذين ابسلوا بما كسبوا»
والجملة مستأنفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اي اولئك المتخذون دينهم
لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين اسلموا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى «لهم شراب من حميم»
استئناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل ماذا
لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم «وعذاب اليم» بنار
تشتعل بابدانهم «بما كانوا يكفرون» اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب
الى آخره حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذاب على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا
حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما
هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي والسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس
المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة
مسوقة لبيان تبعة الابسال «قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا» قيل نزلت في ابي بكر رضي
الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى الرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان
بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشأن الصديق رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات
الالوهية التي من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه
وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى «ونرد على اعقابنا» عطف على ندعو داخل في حكم الانكار
والنفي اي ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بما هو علم في القبح مع ما فيه
من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى
الارتداد من غير ارادة بسبب حيز الاحتمال المحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى «بعد اذ هدانا الله» اي الى الاسلام
وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتأكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال
بعد اذ اهتدينا كأنه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذي لا هادي سواه وقوله تعالى «كالذي
استهوته الشياطين» في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي انرد على اعقابنا مشبهين بالذي استهوته
مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اي انرد ردا مثل رد الذي استهوته
الى آخره والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأنها طلبت هويه وحرصت عليه و
وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله تعالى «في الارض» اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي كائنا

في الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجيزها او من الذي او من
المستكن في الظرف اي تائهاً ضالاً عن الجادة لا يدري ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها
صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستأنفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب
اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم سمّوه هدى تسميةً له بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى ائتنا على
ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون
على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعي
ومورد النعيق فقط قل ان هدى الله الذي هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده
وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشان المامور به
ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى به داخل
تحت القول وامرنا لنسلم لرب العالمين تعليل للامر المحكي وتعيين لما اريد به من الاولى الثانية كما في
قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الاية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم و
قيل هي بمعنى الباء اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلوة
واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره عطف على نسلم على الوجوه الثلثة على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر
تجرد عن معنى الامر نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال والمعنى على الاول امرنا اي قيل لنا اسلموا
واقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل
الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذي اليه تحشرون جملة مستانفة موجبة للامتثال بما
امر به من الامور الثلثة وهو الذي خلق السموات والارض اي بخلقهما خلق ما فيهما وعدم التصريح بذلك
لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل
خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اي قائماً بالحق او ملتبسة بالحق او خلقاً ملتبساً به وقوله تعالى
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استيناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما
يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق
بكل فرد فرد من افراد المخلوقات في حين معين من افراد الاحيان حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف
لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية
وترك ذكر المقول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقاً او تمثيلاً كما هو المشهور والمعنى وامره
المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اي المشهود له
بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدماً عليه كقولك يوم الجمعة القتال
والانتصاب بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك
الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق
مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء

ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها وفيه ما لا يخفى من التأمل وله الملك يوم
ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور
ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية و
الخفية واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلعم معطوف على قل اندعوا لا
على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان
الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخاً لابيه
آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون
ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها وآزر اسم ابيه آدم وعابر وعازر و
وفالغ وكذلك تارح ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة وهو ممنوع للعجمة
والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب به للزومه عبادته فهو عطف بيان
لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج
فهو نعت له او جعل مشتقاً من الازر او الوزر واريد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعد الى
مفعولين هما اصناما آلهة اي اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما
ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ ءأزراً بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منونة
منصوبة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازراً ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتاً لذلك وتقريراً وهو داخل تحت
الانكار لكونه بياناً له وقيل الازر القوة والمعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكاراً لتعززه
بها على طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها
في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالاً لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف
مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نري ابراهيم
هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اي عرّفناه وبصّرناه وصيغة الاستقبال
حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى
اني اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك
وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها
في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نري ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة
فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا
نعتاً له اي ذلك التبصير البديع نبصّره عليه السلام ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى ومالكيته
لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوباً ومملوكاً له تعالى لا تبصيراً آخر ادنى منه والملكوت مصدر على

زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر ثم هل مختص بملك الله عز سلطانه
اولا فقد قيل وقيل والاول هو الظاهر وبه قال الراغب قيل ملكوتهما عجايبهما وبدايعهما روى انه كشف له
عليه السلام عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس
والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان يكون الاراءة بصرية اذ
ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه
عليه السلام على حقايقها وتعريفها من حيث دلالتها على شئونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك ليس مما يدرك
حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة
بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اى تبصره عليه السلام دلائل الربوبية
واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اى وليكون
من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع
المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كما ترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان
انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان
انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى
محذوفة ليستدل عليه السلام اى ليستدل بها وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدايعهما وآياتهما لان
الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل
على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل تحت الامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر
لما سبق وما لحق فان تعرضه عليه السلام لربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما بينهما وكون الكل مقهورا
تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وساير ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شئونه تعالى
الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقتضي ان يحكم عليه السلام باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام
والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام
ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى رأى كوكبا جواب فان
رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته
عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك
الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استيناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية
السابقة المتفرعة على بيان اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما
ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال
على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب
فان المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة
ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من

اول الامر

من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله
عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير
الملكوت باياتهما وعطف قوله تعالى وليكون على العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الى آخره تفصيلا
لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما لا يليق بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب
الخليل عليه السلام فلما افل اى غرب قال لا احب الآفلين اى الارباب المنتقلين من مكان الى
مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر
بازغا اى مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل
كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين
فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك
في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت المغرب وافقه الشرقي مكشوف والا
فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة
اى مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اى على النهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث
لما ان الخبر والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى
باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التأنيث
وقوله تعالى هذا اكبر تاكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى
ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال
مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اى من الذي تشركونه من
الاجرام المحدثة المتغيرة من حالة الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيريه على
الافول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان
كان في نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار
والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني
حالة مقتضية لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد
يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات
ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هي الاجرام التي تعبدونها من اجزائها و
الارض التي تعبد [illegible] فيها حنيفا اى مائلا عن الاديان الباطلة والعقايد الزائغة كلها وما انا
من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه قومه اى شرعوا في مغالبته في امر التوحيد
قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه
فقيل قال منكرا لما اجترؤوا عليه من محاجته عليه السلام مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني
في الله بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكد

اى الكوكب والقمر

لا للانكار فان كونه عم مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عم اي اتجادلونني في
شأنه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعدما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيانا تاما
كما شاهدتموه وقوله تع **ولا اخاف ما تشركون به** جواب عما خوفوه عم في اثناء المحاجة من اصابة مكروه
من جهة اصنامهم كما قال لهود عم قومه ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عم
بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تع **الا ان يشاء ربي شيئا** استثناء مفرغ من اعم
الاوقات اي لا اخاف ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيئته تعالى
شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعتراف
بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله تعالى **وسع ربي كل شيء علما** كانه تعليل للاستثناء اي احاط بكل
شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار
في موقع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى **افلا تتذكرون** اي اتعرضون عن التأمل في
ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر
دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تع **و
كيف اخاف ما اشركتم** استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عم بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي بعد بيان
انتفائه عنه بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تع كيف يكون
للمشركين عهد عند الله الاية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ
وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال أأخاف لما ان كل موجود يجب
ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى
وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل **ولا تخافون انكم اشركتم بالله** حال من ضمير اخاف
بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه
عنه عم ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم لما خافوا في محل الخوف فلان لا يخاف في محل الامن اولى واحرى اي وكيف
اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم
بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه بقوله تعالى **ما لم ينزل
به** اي باشراكه **عليكم سلطانا** على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة
المنزلة من عند الله تع وفي تعليق الخوف الثاني بما تركهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل
من ان قوله تع ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجيب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه
الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى الى نفي الخوف عنه عم ونفي
نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا
مساغ له على ان قوله تعالى **فاي الفريقين احق بالامن** ناطق ببطلانه حتما فان ذلك كلام مرتب على انكار

خوفه

خوفه عم في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عم لما هو
عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه او لما يجيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لا
لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق
الآمن في محل الامن والفريق الآمن في محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن
انا ام انتم لتأكيد الالجاء الى الجواب بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية
النفس **ان كنتم تعلمون** المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك
او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف
اي فاخبروني **الذين آمنوا** استئناف من جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريق
الذين آمنوا **ولم يلبسوا ايمانهم** ذلك اي لم يخلطوه **بظلم** اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث
يزعمون انهم يؤمنون بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقرب
والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط **اولئك** اشارة الى الموصول
من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفيه من الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم
وانتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف
وهو مبتدأ وقوله تعالى **لهم الامن** جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره
خبر للمبتدأ الاول الذي هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبر الموصول
والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدأ والجملة خبر الموصول
ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة خبر الموصول اي اولئك الموصوفون
بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط **وهم مهتدون** الى الحق ومن عداهم في ضلال
مبين روي انه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة رض وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلعم ليس ما
تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان به ان يصدق
بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضية الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة
وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين
وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عم من قوله تع فلما جن وقيل من قوله تعالى اتحاجوني الى قوله تعالى مهتدون
وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل و
هو مبتدأ وقوله تع **حجتنا** خبره وفي اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تع **آتيناها
ابراهيم** اي ارشدناه اليها وعلمناه اياها في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة
كما في قوله تع فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ و
ابراهيم مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى **على قومه** متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك
او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتينا **نرفع** بنون العظمة وقرئ

بالبيان على طريق الالتفات وكذلك الفعل الاتي • درجات • اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها
على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تع • من نشاء • وتاخيره على الوجوه
الثلثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشية محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه
الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار
غير مختصة بابرهيم عم وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستانفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي محل النصب
على انها حال من فاعل اتينا اي حال كوننا رافعين لخ • ان ربك حكيم • في كل ما فعل من رفع وخفض • عليم • بحال من
يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عم موضع نون العظمة
بطريق الالتفات في تضاعيف بيان احوال ابرهيم عم اظهار لمزيد لطف وعناية به عليه السلام • ووهبنا له
اسحق ويعقوب • عطف على قوله تع وتلك حجتنا الى اخرها فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع
في جوازه ولا مساغ لعطفه على اتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان
في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط ولا سبيل اليه ههنا • كلا • مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن
لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما اي كل واحد منهما • هدينا • لا احدهما دون الاخر وترك ذكر المهدي اليه
لظهور انه الذي اوتي ابرهيم عم وانهما مقتديان به • ونوحا • منصوب بمضمر يفسره • هدينا من قبل • اي من قبل
ابرهيم عم عد هدايته نعمة على ابرهيم عم لان شرف الوالد سار الى الولد • ومن ذريته • الضمير لابرهيم عم لان مساق
النظم الكريم لبيان شئونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى
يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته عم من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا
ليسا من ذرية ابرهيم عم فلو كان الضمير له لاختص بالمعدودين في هذه الاية والتي بعدها واما المذكورون في الاية الثالثة
فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس رض ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابرهيم عم وان كان منهم
من لم يلحقه بولادة من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابرهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تع عن ابناء يعقوب
انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم عم يعقوب • داود وسليمان •
منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول للاهتمام بشانه
مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود وسليمان • وايوب •
هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق • ويوسف وموسى وهرون • او بالمحذوف وقع حالا من المذكورين
اي وهديناهم حال كونهم من ذريته • وكذلك • اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابرهيم ومحل الكاف
النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير • نجزي المحسنين • جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد
مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس ومماثلة جزائهم لجزائه عم مطلق المشابهة في مطلق الاحسان بالاحسان
والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان ايتاء الاولاد الانبياء مما اختص به ابرهيم
عم والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من
فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها

في الاصل نصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزي المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك
الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصارت نفس المصدر
المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين لا جزاء ادنى منه والاظهار في موضع
الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها
الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها • وزكريا • هو ابن اذن • ويحيى • ابنه • وعيسى • هو ابن مريم وفيه
دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات • والياس • قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا
بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليه السلام • كل • اي كل واحد من اولئك المذكورين
• من الصالحين • اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة
اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح • واسمعيل واليسع • هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو
على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع
وسع واللام كما في يزيد في قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله • ويونس •
هو ابن متى • ولوطا • هو ابن هاران ابن اخي ابرهيم عليهم السلام • وكلا • اي كل واحد من اولئك المذكورين
• فضلنا • بالنبوة لا بعضهم دون بعض • على العالمين • اي على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختيها وقوله تعالى
• ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم • اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي
وهدينا من ابائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي فضلنا بعض ابائهم الى اخره
• واجتبيناهم • عطف على فضلنا اي اصطفيناهم • وهديناهم الى صراط مستقيم • تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا
اليه • ذلك • اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من
معنى البعد لما مر مرارا • هدى الله • الاضافة للتشريف • يهدي به من يشاء من عباده • وهم المستعدون للهداية
والارشاد وفيه اشارة الى انه تع متفضل بالهداية • ولو اشركوا • اي هؤلاء المذكورون • لحبط عنهم • مع
فضلهم وعلو طبقاتهم • ما كانوا يعملون • من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم
اعمالهم • اولئك • اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار
اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الايذان
بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدا خبره قوله تع • الذين اتيناهم الكتاب • اي جنس الكتاب
المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين
من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم
ينزل على كل واحد منهم كتاب معين • والحكم • اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب • والنبوة •
اي الرسالة • فان يكفر بها • اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقين • هؤلاء • اي كفار قريش فانهم
بكفرهم برسول الله صلعم وما انزل اليه من القران كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا

من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ﴿فقد وكلنا بها﴾ اى امرنا برعايتها ووفقنا للايمان بها والقيام
بحقوقها ﴿قوما ليسوا بها بكافرين﴾ فى وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية
الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفى بمعونة المقام لا نفى الدوام كما حقق فى مقامه
قال ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبى عم وقيل كل مؤمن من بنى
آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان بالانبياء والكتب المنزلة اليهم عاملون بما
فيها من اصول الشرائع وفروعها الباقية فى شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة
منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر فى تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون
فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم فى حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شانهم
فى حق سائر الكتب التى من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتقاد
حقيتها وتقديم صلته وكلنا على مفعوله الصريح لما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول
ربما يؤدى تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم اداء الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل
عليه المذكور اى فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما فى ما ليسوا بكافرين بها قطعا
بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففى ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا اتضح ان الوجه
ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه يتحقق الغنية عن ايمان
الكفرة به والعمل باحكامه ولا الانبياء والملائكة عليهم السلام فان ايمانهم به ليس قبيل ايمان احاد الامة كما
اشير اليه ﴿اولئك﴾ اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى ﴿الذين هدى الله﴾ اى الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية
﴿فبهداهم اقتده﴾ اى فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله تعالى و
توحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء فى اقتده للوقف حقها
ان تسقط فى الدرج واستحسن اثباتها فيه اجراء له مجرى الوقف واقتداء بالامام وقرئ باشباعها على انها
كناية المصدر ﴿قل لا اسئلكم عليه﴾ اى على القرآن او على التبليغ فان مساق الكلام يدل عليهما وان
لم يجر ذكرهما ﴿اجرا﴾ من جهتكم كما لم يسأله من قبلى من الانبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما امر بالاقتداء
بهم فيه ﴿ان هو﴾ اى ما القرآن ﴿الا ذكرى للعالمين﴾ اى عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم
دون آخرين ﴿وما قدروا الله﴾ لما بين شأن القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الانام حسبما
ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم اباطيلهم وكفرهم بها على وجه يسرى ذلك
الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشئ بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف
مقداره ثم استعمل فى معرفة الشئ فى مقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى ﴿حق قدره﴾ نصب على المصدرية وهو
فى الاصل صفة للمصدر اى قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه اى ما عرفوه تعالى
حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك بل اخلوا بها اخلالا ﴿اذ قالوا﴾

منكرين

منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة فيهما ﴿ما انزل الله على بشر من شئ﴾ فنفى معرفتهم بقدره
سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجليل كما ان نفى المحبة فى مثل ان الله لا
يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط والاقتصار على معرفة قدره تع تحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعى
فى تحصيل المعرفة كما فى قوله من ناجى مستقصر المعرفة وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك
حق عبادتك انما عرفوا حق معرفته فى السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن
حين اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفى بعبارة الحقيقى والقائلون هم اليهود وقد قالوه
مبالغة فى انكار انزال القرآن على رسول الله صلعم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث
قيل ﴿قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى﴾ اى قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والالقام الحجر
وروى ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلعم انشدك الله الذى
انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك
الذى تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضى الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شئ
فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لما انه كان عندهم
من المعلوم الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول
اليهم لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى ﴿نورا وهدى﴾ فان كونه بينا بنفسه
ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اى تأكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من
الضمير فى به والعامل جاء واللام فى قوله تعالى ﴿للناس﴾ اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له
اى هدى كائنا للناس وليس المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط بل بانزال القرآن
ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به
وقد نعى عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل ﴿تجعلونه قراطيس﴾ اى تضعونه فى قراطيس
مقطعة وورقات متفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس
القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة
القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى ﴿تبدونها﴾ صفة لقراطيس وقوله
﴿وتخفون كثيرا﴾ معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اى كثيرا منها وقيل كلام مبتدأ لا محل لها
من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبى صلعم وسائر ما كتموه من احكام التورية وقرئ الافعال
الثلثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى ﴿وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم﴾ قيل هو حال
من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين فلكن فينبغى ان يجعل ما عبارة عما اخذوه
من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتأكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه
بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شناعة عظيمة فى نفسها ومع ملاحظة
كونه ماخذ العلوم ومعارفهم اشنع واعظم لا انما تلقوه من جهة النبى صلعم زيادة على ما فى التورية وبيانا

لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني
اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما
صنعوا بالتوراة اما ما ورد فيه زيادة تعليم فيها فلا تعلق له بها كشفا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان
فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس وقع فيها من التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا
عن ذلك بايضاحه وبيانه فتكون الجملة حينئذ خالية عن تاكيد التوبيخ فلا يحسن ان تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ
ان يكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء
القرآن ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التوراة كما تفصح عنه قوله تع قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع
الحال لكن فيما لم يعلمه الكاتمون حتما هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تع لتنذر قوما ما انذر اباؤهم
وقوله تع • قل الله • امر لرسول الله صلعم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا
ولم يقدروا على التكلم اصلا • ثم ذرهم في خوضهم • في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة
والقام الحجر • يلعبون • حال من الضمير الاول والظرف صلة ذرهم او للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو
حال من مفعول الاول او من فاعل الثاني او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف متصل بالاول • وهذا
كتاب انزلناه • تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما بشر به من التوراة وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء
اثر تكذيب • مبارك • اي كثير الفوائد وجم المنافع • مصدق الذي بين يديه • من التوراة لنزوله
حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه
وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ • ولتنذر ام القرى • عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شأنا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا
بان انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب • ومن حولها
من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب • والذين يؤمنون بالآخرة • ويصدقون بما فيها من اصناف العذاب
يؤمنون به • اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به
وهم على صلاتهم يحافظون • تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين سائر العبادات
من ادائها للايذان بانافتها من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان • ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا • فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل
والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره
من غير تعرض لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من افضل من زيد او لا اكرم منه
على انه افضل من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه • او قال اوحي الي • من جهته تعالى
ولم يوح اليه • اي والحال انه لم يوح اليه شيء • اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلعم
فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن

الخالقين

الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عم اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا
فقد اوحي الي ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال • ومن قال سانزل مثل ما انزل الله • كالذين قالوا لو نشاء
لقلنا مثل هذا • ولو ترى اذ الظالمون • حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين
اذ هم • في غمرات الموت • اي شدائده من غمره الماء اذا غشيه • والملائكة باسطوا ايديهم
بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير
امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين • اخرجوا انفسكم • اي اخرجوها الينا من اجسادكم
او خلصوا انفسكم من العذاب • اليوم • اي وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له • تجزون
عذاب الهون • اي العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون لعراقته فيه • بما
كنتم تقولون على الله غير الحق • كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا • وكنتم
عن آياته تستكبرون • فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها • ولقد جئتمونا • للحساب • فرادى • منفردين
عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي زعمتم انها
شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى
كسكرى • كما خلقناكم اول مرة • بدل من فرادى اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية
عند من يجوز تعددها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر
جئتمونا اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة • وتركتم ما خولناكم • ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة
وراء ظهوركم • ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا • وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
شركاء • اي شركاء لله في الربوبية واستحقاق العبادة • لقد تقطع بينكم • اي وقع التقطع
بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف
كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم
• وضل عنكم • اي ضاع وغاب • ما كنتم تزعمون • انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء • ان الله
فالق الحب والنوى • شروع في تقرير بعض افاعيله تع الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته
اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به
الشق الذي في الحبوب والنوى اي خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل
الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر • يخرج الحي من الميت • اي يخرج ما ينمو من
الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان
وقوله تع • ومخرج الميت • كالنطفة والحب • من الحي • كالحيوان والنبات عطف على فالق الحب لا على
يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من جنس فلق الحب والنوى • ذلكم • القادر العظيم
الشأن هو • الله • المستحق للعبادة وحده • فانى تؤفكون • فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا
سبيل اليه اصلا • فالق الاصباح • خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح

وقرئ بفتح الهمزة على أنه جمع صبح أي فالق عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره أو فالق ظلمة الإصباح وهي الغبش
الذي يلي الصبح وقرئ بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من
سكن إليه إذا اطمأن إليه استئناسا به أو يسكن إليه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل
فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على أن المراد به الجعل المستمر في الأزمنة المتجددة حسب تجددها
لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي إلى اثنين يعمل في الثاني وإن كان بمعنى الماضي لأنه لما أضيف
إلى الأول تعين نصبه للثاني لتعذر الإضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة الأخيرة
قيل هما معطوفان على محله والأحسن نصبهما حينئذ بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع أيضا على الابتداء والخبر محذوف أي
مجعولان حسبانا أي على أدوار مختلفة يحسب بها الأوقات التي نيط بها العبادات والمعاملات أو محسوبان
حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب ذلك إشارة إلى جعلهما كذلك
وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبته أي ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي
لا يستعصي عليه شيء من الأشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي من جملتها
ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في
بيان نعمته تعالى في النجوم والجعل متعد إلى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما مر غير مرة
من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي أنشأها وأبدعها لأجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور
بإعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم
لكن لا على أن غاية خلقها اهتداؤكم فقط بل على طريقة إفراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام
وقد جوز أن يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير أي جعلها كائنة لاهتدائكم في أسفاركم عند دخولكم المفاوز
أو البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر أي في ظلمات الليل في البر والبحر وإضافتها إليهما للملابسة
فإن الحاجة إلى الاهتداء بها إنما يتحقق عند ذلك أو في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة
قد فصلنا الآيات أي بينا الآيات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها أو الآيات التكوينية
الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون أي معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها أو يتفكرون في الآيات
التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لأنهم هم المنتفعون به وهو الذي أنشأكم
من نفس واحدة تذكير لنعمة أخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته أي أنشأكم مع كثرتكم
من نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع أي فلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع
في الأرحام أو تحت الأرض أو موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الأصلاب أو فوق الأرض
بالاستقرار لأنهما مقرهم الطبيعي كما أن التعبير عن كونهم في الأرحام أو تحت الأرض بالاستيداع لما أن كلا منهما ليس
بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الأصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف أي فمنكم مستقر
ومنكم مستودع فإن الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق
البشر ومن هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فإن لطائف

صنع الله

صنع الله عز وجل في أطوار تخليق بني آدم مما يحار في فهمه الألباب وهو السر في إيثار يفقهون على يعلمون كما في
شأن النجوم وهو الذي أنزل من السماء ماء تذكير لنعمة أخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى
وسعة رحمته أي أنزل من السحاب أو من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على
المفعول الصريح لما مر مرارا فأخرجنا به التفت إلى التكلم إظهارا لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله
أي فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الأشياء التي من شأنها النمو
من أصناف النجم والشجر وأنواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب
الزيادة والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وقوله
تعالى فأخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما أجمل من الإخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم أي فأخرجنا
من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا أخضر يقال شيء أخضر وخضر كأعور وعور وأكثر ما يستعمل الخضر
فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج منه صفة لخضرا
حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب
متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر إثر بيان حال النجم فهو قوله تعالى من النخل خبر مقدم
وقوله تعالى من طلعها بدل منه بإعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن
كان يرجو الله الآية والطلع شيء يخرج من النخل كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان
مبتدأ أي وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز أن يكون الخبر محذوفا لدلالة أخرجنا عليه أي ومخرجة من طلع
النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى وأخرجنا من النخل
نخلا من طلعها قنوان أو ومن النخل شيء من طلعها قنوان أو ومن النخل شيء من طلعها قنوان وهو
جمع قنو واسم لعذق والنخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها أيضا على أنه
اسم جمع لأن فعلان ليس من أبنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فإنها وإن
كانت صغيرة ينالها القاعد تأتي بالثمر لا ينتظر الطول أو ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها
لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من أعناب وقرئ
جنات بالرفع على الابتداء أي ولكم أو ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كأنه قيل وحاصلة أو مخرجة
من النخل قنوان وجنات من نبات أعناب ولعل زيادة الجنات هاهنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس
كما فيما تقدم وما تأخر لما أن الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا إلا عند اجتماع طائفة من أفراده
والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم أو على العطف على نبات
وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف
عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وتقديره والزيتون مشتبها وغير
متشابه والرمان كذلك وقد جوز أن يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الأول والمعنى
بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الأوصاف الدالة على

علی کمال قدرة صانعها وحکمة منشئها ومبدعها • انظروا الی ثمره • اذا اثمر • ای انظروا الیه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره کیف یخرجه ضئیلا لا یکاد ینتفع به وقری الی ثمره • وینعه • ای والی حال نضجه کیف یصیر الی کمال اللائق به ویکون شیئا جامعا لمنافع جمة والینع فی الاصل مصدر ینعت الثمرة اذا ادرکت وقیل جمع یانع کتاجر وتجر وقری بالضم وهی لغة فیه وقری یانعه • ان فی ذلکم • اشارة الی ما امر بالنظر الیه وما فی اسم الاشارة من معنی البعد للایذان بعلو رتبة المشار الیه وبعد منزلته • لایات لقوم یؤمنون • ای لایات عظیمة او کثیرة دالة علی وجود القادر الحکیم ووحدته فان حدوث هاتیک الاجناس المختلفة والانواع المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الی حال علی نمط بدیع لا یکاد یهتدی الی فهمه الالباب لا یکاد یکون الا باحداث صانع یعلم تفاصیلها ویرجح ما تقتضیه حکمته من الوجوه الممکنة علی غیرها ولا یعوقه عن ذلک ضد یناویه او ند یقاویه ولذلک عقب بتوبیخ من اشرک به والرد علیه حیث قیل • وجعلوا لله شرکاء • ای جعلوا فی اعتقادهم لله الذی شانه ما فصل فی تضاعیف هذه الایات الجلیلة شرکاء • الجن • ای الملائکة حیث عبدوهم وقالوا الملائکة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقیرا لشانهم بالنسبة الی مقام الالوهیة او الشیاطین حیث اطاعوهم کما اطاعوا الله تعالی او عبدوا الاوثان بتسویلهم وتحریضهم او قالوا الله خالق الخیر وکل نافع والشیطان خالق الشر وکل ضار کما هو رای الثنویة ومفعولا جعلوا قوله تعالی شرکاء الجن قدم ثانیهما علی الاول لاستعظام ان یتخذ لله سبحانه شریک ما کائنا ما کان ولله متعلق بشرکاء قدم علیه للنکتة المذکورة وقیل هما لله شرکاء والجن بدل من شرکاء مفسر له نص علیه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشا من قوله تعالی وجعلوا لله شرکاء کانه قیل من جعلوه شرکاء لله تعالی فقیل الجن ویؤیده قراءة ابی حیوة ویزید بن قطیب الجن بالرفع علی تقدیر هم الجن فی جواب من قال من الذین جعلوهم شرکاء لله تع وقد قری بالجر علی ان الاضافة للتبیین • وخلقهم • حال من فاعل جعلوا بتقدیر قد او بدونه علی اختلاف الرایین مؤکدة لما فی جعلهم ذلک من کمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها ای وقد علموا انه تعالی خالقهم خاصة وقیل الضمیر للشرکاء ای والحال انه تعالی خلق الجن فکیف یجعلون مخلوقه شریکا له تع وقری خلقهم عطفا علی الجن ای وما یخلقونه من الاصنام او علی شرکاء ای وجعلوا له اختلاقهم الافک حیث نسبوه الیه تع • وخرقوا له • ای افتعلوا وافتروا له تعالی یقال خلق الافک واختلقه وخرقه واخترقه بمعنی وقری خرّقوا بالتشدید للتکثیر وقری وحرّفوا له ای زوّروا • بنین وبنات • فقالت الیهود عزیر ابن الله وقالت النصاری المسیح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائکة بنات الله • بغیر علم • ای بحقیقة ما قالوه من خطا او صواب بل رمیا بقول عن عمی وجهالة من غیر فکر ورویة او بغیر علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحیث لا یقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤکد له ای خرقوا ملتبسین بغیر علم او خرقا کائنا بغیر علم • سبحانه • استیناف مسوق لتنزیهه عز وجل عما نسبوه الیه وسبحان علم للتسبیح الذی هو التبعید عن السوء اعتقادا وقولا ای اعتقاد البعد عنه والحکم به من سبح فی الارض والماء اذا ابعد فیهما وامعن ومنه فرس سبوح ای واسع الجری وانتصابه علی المصدریة ولا یکاد یذکر ناصبه ای اسبح سبحانه ای انزهه

عما لا یلیق به عقدا وعملا تنزیها خاصا به حقیقا بشانه وفیه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الی التفعیل ومن جهة العدول عن المصدر الدال علی الجنس الی الاسم الموضوع له خاصة لا سیما العلم المشیر الی الحقیقة الحاضرة فی الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقیل هو مصدر کغفران لانه سمع له فعل من الثلاثی کما ذکر فی القاموس ارید به التنزه التام والتباعد الکلی ففیه مبالغة من حیث اسناد التنزه الی الذات المقدسة ای تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه • وتعالی • فانه معطوف علی الفعل المضمر لا محالة وما فی السبحان والتعالی من معنی التباعد قیل • عما یصفون • ای متباعد عما یصفونه من ان له شریکا او ولدا • بدیع السموات والارض • ای مبدعهما ومخترعهما بلا مثال یحتذیه ولا قانون ینتحیه فان البدیع کما یطلق علی المبتدع یطلق علی المبتدع نص علیه ائمة اللغة کالصریح بمعنی المصرح وقد جاء بدعه کمنعه بمعنی انشاه کابتدعه علی ما ذکر فی القاموس وغیره ونظیره السمیع بمعنی المسمع فی قوله امن ریحانة الداعی السمیع وقیل هو من اضافة الصفة المشبهة الی الفاعل للتخفیف بعد نصبه تشبیها لها باسم الفاعل کما هو المشهور ای بدیع سمواته وارضه من بدع اذا کان علی نمط عجیب وشکل فائق وحسن رائق او الی الظرف کما فی قولهم ثبت الغدر بمعنی انه عدیم النظیر فیهما والاول هو الوجه والمعنی انه تعالی مبدع لقطری العالم العلوی والسفلی بلا مادة فاعل علی الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانفصال مادته عنه فکیف یمکن ان یکون له ولد وقری بدیع بالنصب علی المدح وبالجر علی انه بدل من الاسم الجلیل او من الضمیر المجرور فی سبحانه علی رای من یجیزه وارتفاعه فی القراءة المشهورة علی انه خبر مبتدا محذوف او فاعل تعالی والاظهار فی موقع الاضمار لتعلیل الحکم وتوسیط الظرف بینه وبین الفعل للاهتمام ببیانه او مبتدا خبره قوله تعالی • انی یکون له ولد • وهو علی الاولین جملة مستقلة مسوقة لما قبلها لبیان استحالة ما نسبوه الیه تعالی وتقریر تنزهه عنه وقوله تع • ولم تکن له صاحبة • حال مؤکدة للاستحالة المذکورة فان انتفاء ان یکون له تع صاحبة مستلزم لانتفاء ان یکون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امکن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ریب فیه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثانی ای من این او کیف یکون له ولد کما زعموا والحال انه لیس له علی زعمهم ایضا صاحبة یکون الولد منها وقری لم یکن بتذکیر الفعل للفصل او لان الاسم ضمیر الله تع والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به علی الفاعلیة لاعتماده علی المبتدا او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا مؤخر والجملة خبر للکون وعلی هذا الوجه یجوز ان یکون الاسم ضمیر الشان لصلاحیة الجملة حینئذ لان یکون مفسرا لضمیر الشان لا علی الوجه الاول لما بین فی موضعه ان ضمیر الشان لا یفسر الا بجملة صریحة وقوله تع • وخلق کل شیء • اما جملة مستانفة اخری سیقت لتحقیق ما ذکر من الاستحالة او حال اخری مقررة لها ای انی یکون له ولد والحال انه خلق کل شیء انتظمه التکوین والایجاد من الموجودات التی من جملتها ما سموه ولدا له تعالی فکیف یتصور ان یکون المخلوق ولدا لخالقه • وهو بکل شیء • من شانه ان یعلم کائنا ما کان مخلوقا او غیر مخلوق کما ینبئ عنه ترک الاضمار الی الاظهار • علیم • مبالغ فی العلم ازلا وابدا حسبما یعرب عنه العدول الی الجملة الاسمیة فلا یخفی علیه خافیة مما کان وما سیکون من الذوات والصفات والاحوال التی من جملتها ما یجوز علیه تعالی وما لا یجوز من المحالات التی ما زعموه فرد من افرادها والجملة

استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل الناطقة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤا عليها بغير علم
ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته
في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق
كل شيء اخبار اربعة مترادفة اي ذلكم الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم
لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة
الماضي وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقي اخبار وقيل يقدر لكل من الاخبار
الثلثة مبتدأ وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه
الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي وهو مع ما فصل
من الصفات الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم
الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء
عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء
كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية وقد روي عن ابن عباس ومقاتل رضي الله عنهم
لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علمه اذ لا تخفى عليه خافية وهو
اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع
فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استيناف وارد على لسان النبي صلعم والبصائر جمع بصيرة وهي
النور الذي به تستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الايات الواردة ههنا او جميع الايات المنتظمة
فيها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم
اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم
فمن ابصر اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص
بها ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمي
تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعليها عمي او فعماه عليها اي وبال عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر
والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الايات اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف
الايات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى و
ليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السباق عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل
من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف
اي مثل ذلك التصريف نصرف الايات لتلزمهم الحجة وليقولوا ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه
الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بانه بعد يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست

العلماء

العلماء ودرست اي قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست
اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت وعفيت ودارست وفسر بما دارست اليهود
محمدا صلعم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الايات وهو في الحقيقة لاهلها اي
دارس اهل الايات وحملتها محمدا صلعم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد عم ودارسات على هي دارسات
اي قديمات او ذات دروس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان
التبيين غاية التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام
في قوله لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد اولياءه
الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما
اوحي اليك من ربك لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الايات عقب ذلك بامره عم بالثبات على ما هو عليه و
بعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي
عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله
تعالى لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان
يكون حالا من ربك اي منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي
من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله
اي عدم اشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشية من وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه
بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض
وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما
انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام
به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لالهتهم
كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم
لهم بغير علم اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعداء وعدوانا
روي انهم قالوا لرسول الله صلعم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب
آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى
وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك اي مثل ذلك التزيين
القوي زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد
بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم
مرجعهم اي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون في الدنيا على الاستمرار
من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية

مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما تظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما تظهر بصورة مستعارة
مخالفة لصورتها الحقيقية التي بها تظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها
نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد
ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال
الكفرة قد برزت في هذه النشأة بصورة مزينة تستحسنها الغواة ويستحسنها الطغاة وستظهر في النشأة
الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها
الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى • واقسموا بالله • روي ان
قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلعم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا
لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله صلعم ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهمّ عليه السلام بالدعاء فنزلت
وقوله تعالى • جهد ايمانهم • مصدر في موقع الحال اي اقسموا بالله جاهدين في ايمانهم • لئن جاءتهم آية • من
مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد
حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات الباهرة من جنس الآيات • ليؤمنن بها • وما كان
مرمى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلعم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات
الحقيقية بان تنقطع بها الارض وتسير بها الجبال • قل انما الآيات • اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا
اوليا • عند الله • اي امرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق
بها ولا بشأن من شؤونها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني
ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان
علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من ان تكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل
من ان المعنى انما الآيات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها او هو القادر عليها لا
انا حتى آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى يجابوا
بذلك وقوله تعالى • وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون • كلام مستأنف غير داخل تحت الامر
مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات
خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم و
اما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من الهم بالدعاء وفيه ان ايمانهم فاجرة وايمانهم مما لا
يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سألوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو
وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي يقترحونها
اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا
في ايمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فتوجه الانكار الى الاشعار
والمشعر به جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فكأنها مخاطبة لراي

المسلمين

لراي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى
ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف
كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم حالهم
وما سيكون منهم عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق
بما اذا كان ايمانهم بها محقق الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسبما
سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين
وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم
بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن • ونقلب افئدتهم وابصارهم • عطف
على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك
الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله
بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر
وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ عن تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار • كما لم يؤمنوا به • اي
بما جاء من الآيات • اول مرة • اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه
نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم
اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم • ونذرهم •
عطف على يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب
الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان نقلب الله تعالى مشاعرهم عن
الحق مع توجههم اليه واستعدادهم له بطريق الاجبار بل بان نخليهم وشأنهم بعد ما علم فساد استعدادهم
وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلا ونطبع على قلوبهم حسبما تقتضيه استعدادهم
كما اشير اليه في قوله تعالى • يعمهون • حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي نذرهم في طغيانهم متحيرين لا
نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذر بالياء على اسنادهما
الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم • ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة •
تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة
الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها
بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه واكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه
ههنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة
وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة • وكلمهم الموتى • وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه
بقولهم فأتوا بآبائنا • وحشرنا • اي جمعنا • عليهم كل شيء قبلا • بضمتين وقرئ بسكون الباء اي كفلاء
بصحة الامر وصدق النبي عليه السلام على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو

[illegible] او تأتي بالله والملائكة قبيلا اي لو لم نقتصر على ما اقترحوا بل زدنا على ذلك بان حشرنا عليهم
كل شيء يتأتى منه الكفالة والشهادة لا مجرد الافراد بل بطريق المعية او جماعات على انه
جمع قبيل وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا
وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي
او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبيلا وقرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع
الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق و
ان انتصابه على الظرفية ● ما كانوا ليؤمنوا ● اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان
وغلوهم في التمرد والطغيان واما ما سبق القضاء عليهم بالكفر من الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ
عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى ● الا ان يشاء الله ● استثناء مفرغ من اعم
الاحوال والاوقات والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروع اي ما كانوا ليؤمنوا
بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في
حال مشيئته تعالى لايمانهم او من اعم العلل اي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته
تعالى له وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى
ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء
الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب افئدتهم الاية كيف لا وقوله عز وجل
● ولكن اكثرهم يجهلون ● استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب
في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشيئته الله تعالى
كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون
بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن
اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا
فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الى آخره على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين
يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد
يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان لمبدأ الخطأ في مقسمهم ومناط اقسامهم وتقرير له على قراءة
لا يؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون ● وكذلك جعلنا لكل
نبي عدوا ● كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل
ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك من الانبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب على
انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اي جعلنا لكل نبي عدوا جعلا مثل جعلنا لك عدوا
والتقديم على الفعل للقصر المفيد للمبالغة والمعنى مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك
ويضارونك ولا يؤمنون ولا يتبعونك بل يغوونك ويدبرون في ابطال امرك مكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا

فعلوا

فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه
تعالى للابتلاء ● شياطين الانس والجن ● اي مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل
هي بمعنى اللام اي الشياطين التي للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين
وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف
هو حال من عدوا قدمت عليه لتنكيره ● يوحي بعضهم الى بعض ● كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم
وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار
المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله اذا انا لم انفع صديقي بوده فان عدوي لم يضرهم بغضي
والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض
كل من الفريقين الى بعض آخر ● زخرف القول ● اي المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه
اذا زينه ● غرورا ● مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل
مقدر هو حال مما على يوحي اي يغرون غرورا ● ولو شاء ربك ● رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه
عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه
الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف في التسلية
اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة
انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى ● ما فعلوه ● اي ما فعلوا
ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض مزخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة
لا بايحاء ما يعمه وامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى ● فذرهم وما يفترون ● صريح في
ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد
بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكائد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك
عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة ● ولتصغى اليه ● اي الى زخرف القول وهو
على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ
الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروهم به
ولتميل اليه ● افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ● انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها
من الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم
فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون
بها وباحوال ما فيها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلاما وانما
ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الراي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات
الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى
عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين

الاخرين فهو لفعل محذوف يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا
اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور ● وليرضوه ● لانفسهم بعد ما
مالت اليه افئدتهم ● وليقترفوا ● اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ● ما هم مقترفون ● له من
القبائح التي لا يليق ذكرها ● افغير الله ابتغي حكما ● كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة
للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم اأميل الى زخارف الشياطين فابتغي
حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلعم اجعل بيننا وبينك
حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء
المنكر الى نفسه عم لا الى المشركين كما في قوله تع افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة
او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه
على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تع حكما لا مطلق
الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا والحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ
لما انه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تع ● وهو الذي انزل اليكم الكتاب ●
جملة حالية مؤكدة لانكار ابتغاء غيره تع حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار
تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي
اغيره تع ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن
الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب ● مفصلا ● اي مبينا فيه الحق والباطل والحلال و
الحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى
الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون
لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى ● والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ●
كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر
الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل ببيان ان الذين وثقوا بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل انفا من
علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي التعبير عن التورية والانجيل باسم الكتاب
ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في الحقية والنزول من عنده تع مع ما فيه من
الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما
نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى
الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء مثل التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون
فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا
اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه
عم والباء في قوله تع بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق ● فلا تكونن ●

من الممترين

من الممترين ● اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي
على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج و
الالهاب كقوله تع ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عم صورة
وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء
على هذه الوجوه لترتيب النهي عن نفس علمهم بحال القرآن ● وتمت كلمة ربك ● شروع في بيان كمال
الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك
بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من
الحكم وقرئ كلمات ربك ● صدقا وعدلا ● مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى
● لا مبدل لكلماته ● اما استئناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من
فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما
هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم غيره تعالى ● وهو السميع ● لكل ما يتعلق به السمع ● العليم ● بكل ما يمكن
ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى
لا احد يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتورية فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تع انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ● وان تطع اكثر من في الارض ● لما تحقق اختصاصه
تع بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال
عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات
عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقائض تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والاضلال و
اتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا
عن الركون اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس وباكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها
اي ان تطعهم بان جعلتهم حكما ● يضلوك عن سبيل الله ● عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده
● ان يتبعون الا الظن ● وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم مهتدون او جهالاتهم وآراؤهم
الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كأنه قيل
كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا
ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى ● وان
هم الا يخرصون ● عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد
وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها او يقدرون انهم على شيء واني لهم ذلك
ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ● ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ●
تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين [illegible]

او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثله والعشور بل بفعل دل عليه
او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان
من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب باذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون
تاكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضله او مجرورة بالاضافة
اعلم ايها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السياق
والسياق والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب على النهي عن اتباع المضلين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام
وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما
ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم باياته التي من
جملتها الايات الواردة في هذا الشان مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب
عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار
لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى
وقد فصل لكم الى اخره جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه او واي غرض يحملكم على ان لا
تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخره
فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى اخره لانها مدنية واما التاخر في التلاوة فلا
يوجب التاخر في النزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا
ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار ليضلون الناس
بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم
مقتبس من الشريعة الشريفة مستند الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى
الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما
يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم
اي يكتسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلابد من اجتنابهما والجملة
تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه
ذهب ابو داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم
يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه الله بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى وانه
لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل
حالية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فانهم يوحون وسوستهم الى المشركين
وقيل مردة المجوس فانهم اوحوا الى اوليائهم مما انهوا الى قريش ما كتاب من محمد واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم

يزعمون

يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اي بالوساوس الشيطانية او بما نقل من
اباطيل المجوس وهو مؤيد لما ذكر وبان بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم
انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشركه به تعالى بل اثره
عليه سبحانه اومن كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين
عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين
خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة
الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي اانتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما
يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة
استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس
اي فيما بينهم آمنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدا وقوله تعالى في الظلمات خبره
على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صفة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها
خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا
كما ترى مثل اريد به من بقي على الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله على فطرة
الاسلام وهداه بالايات البينة اي طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني
بما يليق به من الالفاظ الواردة في التمثيل بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية
في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزع من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي المثل هيئة على حدة
ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي الممثل هيئة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما
فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الاية الى ان التمثيل
في مرتبة لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتاخرين
نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه
كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين
البليغ زين اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند البعض او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة
والتسويل للكافرين الذين بعضهم بوساوس الشيطان لانه الاخذين بالزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا
يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة
لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الاية نزلت في حمزة رضي وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما
وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من سائر
القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو او هما
الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة
ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعوله الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه

المنع لا بد ان يكون مشهورا بالتحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يعرف الاثر عن سياق النظم الكريم
وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظايره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى مانعهم من
قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما
جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ كما ان الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين
باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه
لافادة التخصيص كما في قوله كذلك كنتم من قبل الآية والاول اكابر مجرميها والظرف لغوا اي ومثل اولئك الكفرة
الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابر المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم
اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله عم و
قوله تعالى • وما يمكرون الا بانفسهم • اعتراض على سبيل الوعيد لرسول الله عم والوعيد للكفرة اي وما
يحيق غائلة مكرهم الا بهم • وما يشعرون • حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي
انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى • واذا جاءتهم
آية • رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل
ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن ساير المجرمين اي اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول صلعم • قالوا
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله • قال ابن عباس رض حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل ع م فيخبرنا ان محمدا
صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق باتيان ما اوتي
الرسل عليهم السلام انما هو ايمانهم برسول الله صلعم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق
خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل ع م في الجملة وان يحرف الرسالة في قوله تعالى
• الله اعلم حيث يجعل رسالته • عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبريل ع م بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها
الى المرسل اليه ووضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتاتى كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان معنى الاقتراح
لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله تع الى الرسول صلعم حتى يأتينا جبريل بالذات عيانا كما يأتي الرسل
فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل ع م اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق
ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل رح نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى
اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه وقال
الضحاك رح سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تع عنهم في قوله بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه
يقتضي ان يراد بالايمان المعلق باتيان ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلعم في الجملة من غير شمول لكافة
الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه الى آخره غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع
فانه مقرر على تقديري اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة
مثل ما اوتي رسل الله وايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله

صلعم

صلعم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم
المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة وحيا صادقا لا الايمان
بكونها نازلة اليه عم فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله
تع حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الى آخره
لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحق وانه يتعلق الايمان
بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى ايتاء
مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عم وحيث نصب على المفعولية
توسعا لا بنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي هو اعلم يعلم الموضع الذي
يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما
ينال بفضائل نفسانية يخص بها الله تع من يشاء من خلص عباده وقرئ رسالاته • سيصيب الذين اجرموا
• استئناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم حرمانهم مما املوه والسين للتاكيد و
وضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح
اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة • صغار
• اي ذلة وحقارة بعد كبرهم • عند الله • يوم القيمة وقيل من عند الله • وعذاب شديد • في الآخرة او في الدنيا
• بما كانوا يمكرون • اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته
• فمن يرد الله ان يهديه • اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان • يشرح صدره للاسلام • فيتسع له
وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيئة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلعم
حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال
نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله • ومن يرد ان يضله
• اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه • يجعل صدره ضيقا حرجا • بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد
يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة • كانما
يصعد • ما هذه مهيئة لدخول كان على الجملة الفعلية • في السماء • شبه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان
يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه و
اصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد • كذلك • اي مثل ذلك الجعل الذي
هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور • يجعل الله الرجس • اي العذاب والخذلان قال مجاهد الرجس ما
لا خير فيه وقال الزجاج رح الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة • على الذين لا يؤمنون • اي عليهم
ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان
واصرارهم على الكفر • وهذا • اي البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق و

والخذلان اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية
ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة
كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات بيناها مفصلة
لقوم يذكرون يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث
بقضاء الله تعالى وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر
لانهم المنتفعون بتفصيل الايات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره
وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم ومحبهم
بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا
منصوب بمضمر اما على المفعولية اي واذكر او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل والضمير المنصوب لمن
يحشر منهم من الثقلين اي واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا او ويوم يحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم نحشرهم ونقول
يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن
الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم اي
الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى من الانس اما لبيان الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او
متعلقة بمحذوف هو حال من اوليائهم اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن
بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن
بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوا اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون
بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا وهو يوم القيامة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث
واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين
للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ
من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم اي منزلكم او ذات ثوائكم كما ان
دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا او معنى الاضافة ان جعل
مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضه استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون
النبي صلعم وهذا مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وبعضهم وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها من
النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون و
يطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب
وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا
ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افعاله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء

وكذلك

وكذلك اي مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين من
الانس بعضا اخر منهم اي نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب
كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا
مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ
المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس
واضلالهم وبيان مآل امرهم الم ياتكم اي في الدنيا رسل اي من عند الله عز وجل لكن لا على
ان ياتي كل رسول كل واحد من الامم بل على ان ياتي كل امة رسول خاص بها اي الم يأت
كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اي كائنة من جملتكم لكن لا
على انهم من جنس الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتأكيد وجوب اتباعهم
والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من
اضلال الاخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به
قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى
ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال
الرسل من التبليغ والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها
من القوارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات
الهائلة قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا
عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اي باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم
بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة
النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا
في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم
الحيوة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها و
الجأهم الى الاعتراف في الاخرة بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك اي واغتروا في الدنيا بالحيوة الدنية
واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤوا على ارتكاب ما يجرهم الى
العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا على انفسهم انهم كانوا في الدنيا كافرين اي بالايات والنذر
التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور انفا واضطروا الى الاستسلام باشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم
بقوله تعالى وقالوا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه
ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلعم
بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ان لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان مصدرية
او مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف

او وقع حالا من القرى اي ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها بالظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم واما
كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها ماخوذة في معنى الظلم وحقيقته
لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى ﴿واهلها غافلون﴾ والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك مهلك القرى
بسبب اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به
بديهة العقول وينذروا عاقبة جنايتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال
الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان
الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك
من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار
مع ان المقصود تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما نطق به قوله تعالى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من
غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الاخروي
عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار
فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو علل بما ذكر من نفي التعذيب لانصرف بحسب المقام الى ما
فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة
ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تاثيره في المنذرين
امر معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك
فينزجرون عن الاخلال بموجب الانذار اشد انزجار وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم
واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وجعله خبر المبتدا محذوف كما اطبق
عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه اعلم ﴿ولكل﴾ اي من المكلفين من الثقلين ﴿درجات﴾
متفاوتة وطبقات متباينة ﴿مما عملوا﴾ من اعمالهم صالحة كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها
او من اجل اعمالهم فان لكل جزاء مرتبة معينة لهم او من اجل اعمالهم ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾ فيخفى عليه عمل
من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب وعقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة ﴿وربك الغني﴾
مبتدا وخبر اي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا ما كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن
عباداتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموصفين لا سيما في الثاني لكونه موقع الاضمار مع الاضافة الى ضميره
صلى الله عليه وسلم من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الاتي له ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ﴿ذو الرحمة﴾
خبر آخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف
ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ اي ما به حاجة اليكم
ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ﴿ويستخلف من بعدكم﴾
اي من بعد اذهابكم ﴿ما يشاء﴾ من الخلق واثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء

كما انشاكم

﴿كما انشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام
لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف
في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كما انشأكم الى آخره او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا
كائنا كما انشأكم الخ والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ﴿ان ما توعدون﴾
اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي
﴿لآت﴾ لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة
طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ﴿وما انتم بمعجزين﴾ اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن
كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام
انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام
اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه ﴿قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم﴾ اثر ما بين لهم حالهم ومآلهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم
بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم
المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي
انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم ﴿اني عامل﴾
ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر
مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي
امر به بحيث لا يجد الى التقصي سبيلا ﴿فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم
عرفاني ومن اما استفهامية معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبرها وهي مع خبرها
في محل النصب لسدها مسد مفعولي تعلمون اي فسوف تعلمون اي من تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه
الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه
مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير
حقيقي ﴿انه﴾ اي ان الشأن ﴿لا يفلح الظالمون﴾ وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع
الفلاح يترتب على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده ﴿وجعلوا﴾ شروع
في تقبيح احوالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون اشياء
من حرث ونتاج لله تعالى واشياء منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا
رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكى ما جعلوه لآلهتهم تركوه متعللين بان الله تعالى غني وما ذلك الا لحب آلهتهم
وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى ﴿لله مما ذرأ﴾ متعلقان به ومن في قوله تعالى
﴿من الحرث والانعام﴾ بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر على
شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الذي له اي ما يستحقه تعالى مما خلقه من الحرث والانعام ﴿نصيبا﴾ اي للضيفان و

والمجرور الثاني حال من المجرور قدم عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما مفعوله الاول فهو ما
وراء على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعنى
وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاء وهو لغة فيه وانما قيده به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة
ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه
على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون
ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى
فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له اي فما عينوه
لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين
وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء
على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى
الذي والمخصوص بالذم محذوف اي الذي يحكمون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك
التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم او ومثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين
زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوأدهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا
غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدنة
وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم
ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين كأنه لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه شركاؤهم
ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل
عم او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من
السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل
او الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم
وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كانوا ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك
فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما يملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا
حكاية لنوع اخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتأنيث للخبر انعام وحرث حجر
اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع
صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها
الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم
متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اي قالوا متلبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدأ
محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام الخ اي قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه

انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وانعام اي وهذه انعام كما مر وقوله
تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى
تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير
كأنه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا
يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله
عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه
نصب على المصدر اما على ان قالوا بمعنى افتروا واما على تقدير عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق
بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا
اي مفترين او على العلة اي للافتراء فالجار على التقديرين متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بسببه
او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن اخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه
الانعام يعنون به اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى
الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اي ذو خالصة
او للتأنيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تعالى ومحرم على ازواجنا اي جنس ازواجنا
وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل النظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ اولا
وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الى اخره ونظائره واما العكس فقد قالوا
انه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اي ان
ولدت ميتة فهم اي الذكور والاناث فيه شركاء اي فيما في بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى
فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا
او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوي
ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان سيجزيهم
وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب
انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة
قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم
من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير
علم متعلق بقتلوا على انه علة له اي لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على
الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء
على الله نصب على احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم
قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات او وما كانوا
مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة اعتراض على الاول عطف على ضلوا وهو الذي انشأ جنات معروشات

تمهيد لما سيأتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشأهن من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه
والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها • وغير معروشات • وهي الملقيات على وجه الارض
وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال • والنخل والزرع
عطف على جنات اي انشأهما • مختلفا اكله • وقرئ اكله بسكون الكاف اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة
والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او
كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء • والزيتون والرمان • اي انشأهما
[illegible] • متشابها وغير متشابه • نصب على الحالية اي يتشابه بعض افرادهما في اللون والهيئة والطعم
ولا يتشابه بعضها • كلوا من ثمره • اي من ثمر كل واحد من ذلك • اذا اثمر • وان لم يدرك وقد
ينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله • وآتوا حقه يوم حصاده •
اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكوة المقدرة
فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ
حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرئ يوم حصاده بكسر الحاء وهو
لغة • ولا تسرفوا • اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كلها ولم
يدخل منه شيئا الى منزله لقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية • انه لا يحب المسرفين • اي لا يرتضي اسرافهم
• ومن الانعام حمولة وفرشا • شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها
بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشأ ومن متعلقة به اي وانشأ من الانعام ما يحمل عليه الاثقال
وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية
من الارض كانها فرش مفروش عليها • كلوا مما رزقكم الله • ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن
تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم • ولا تتبعوا خطوات الشيطان • في امر
التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه
فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم • انه لكم عدو مبين • ظاهر العداوة • ثمانية ازواج •
الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان
وهذا العدد تمهيد لما سيق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وما في بطونها وهو
بدل من حمولة وفرشا منصوب بناصبهما وجعله منصوبا مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما
او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها
اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاول الى الابل والبقر وتفصيل الثاني
الى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها
عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة مادة من تلك المواد وتوجيه الانكار
اليها مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتعالى • من الضأن اثنين • بدل من ثمانية منصوب بناصبه و[illegible] العامل

في من

في من اي انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه
ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة • ومن المعز اثنين • عطف على مثله مشارك له في حكمه
اي وانشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس و
قرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخر اصلها في الاجمال لكون
هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تعالى
كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها • قل •
تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلعم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشأها اي قل تبكيتا لهم
واظهارا لانقطاعهم عن الجواب • ءآلذكرين • من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس • حرم • اي
الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم • ام الانثيين • وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر
عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى • ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين • اي ام ما حملت
اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى • نبئوني بعلم • الى آخره تكرير للالزام وتثنية للتبكيت
والافحام اي اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا
مما ذكر او نبئوني في تبيينه ملتبسا بعلم صادر عن علم • ان كنتم صادقين • اي في دعوى التحريم عليه سبحانه
وقوله تعالى • ومن الابل اثنين • عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين اي وانشأ من الابل اثنين هما الجمل
والناقة • ومن البقر اثنين • هما ذينك النوعين والمعنى ان الله سبحانه ما حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة
واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار
على كل مادة من موارد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما
كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي
الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة
بان يقال قل آلذكور حرم ام الاناث ام ما اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة
في التبكيت والالزام وقوله تعالى • ام كنتم شهداء • تكرير لام في قوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة
الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل اكنتم حاضرين مشاهدين • اذ وصاكم
الله بهذا • اي حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما تعقدونه مذهبكم الى معرفة امثال
ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى • فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا • فنسب
اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم
في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي فاي فريق اظلم من فريق افتروا الخ ولا يقدح في اظلمية الكل كون بعضهم
مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم
اي هو اظلم من كل ظالم وان كان المعنى صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة • ليضل الناس • متعلق
بالافتراء • بغير علم • متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم

العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى
عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم
انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه ● ان الله لا يهدي القوم
الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او اجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة
فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته ● قل ● امر لرسول الله صلعم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه
في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرم عليهم وفي قوله تعالى ● لا اجد فيما ● اوحي الي محرما ● ايذان
بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عم قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غيرها ففيه
وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد ريثما تصفحت ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم
التي حرمتموها ● على طاعم ● اي اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تعالى يطعمه
لزيادة التقرير ● الا ان يكون ● اي ذلك الطعام ● ميتة ● وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع
على ان كان تامة وقوله تعالى ● او دما مسفوحا ● اي مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد ● او لحم خنزير
فانه ● اي الخنزير ● رجس ● اي لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث ● او فسقا ● عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض
مقرر لحرمته ● اهل لغير الله به ● صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق
ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون ● فمن اضطر
● اي اصابته الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة ● غير باغ ● في ذلك على مضطر اخر
مثله ● ولا عاد ● قدر الضرورة ● فان ربك غفور رحيم ● مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس
التقييد بالحال الاولى لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام اخر وهو
اخذه حق مضطر اخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر اخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة
بل باعتبار كونه حقا للمضطر الاخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز
عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان
المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والاية محكمة لانها تدل على انه عم لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية
غيرها ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء اخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا
على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب ● وعلى الذين هادوا ● خاصة لا على من عداهم من
الاولين والاخرين ● حرمنا كل ذي ظفر ● اي كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي
مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم
فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل وابطال لما تخالفه من فرية اليهود
وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم
ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا ● ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما ● لا لحومهما فانها باقية على الحل
والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط ● الا ما حملت ظهورهما ● استثناء من الشحوم

مخرج

مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم ● او الحوايا ● عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع
حاوية او حاويا كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن ● او ما اختلط بعظم ● عطف على ما حملت
وهو شحم الالية لاختلاطه بالعظم لاتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع و
غيرها ● ذلك ● اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول
ثان له اي ذلك التحريم ● جزيناهم ببغيهم ● بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربوا وقد نهوا عنه
واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا
كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم
فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى ● وانا لصادقون ● اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم
الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها
ان كنتم صادقين روي انه عم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها جميع ما
يحذرون اوضح بيان ● فان كذبوك ● قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان
الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من
ادعاء قدم التحريم ● فقل ربكم ذو رحمة واسعة ● لا يؤاخذكم بكل ما تأتون من المعاصي ويمهلكم على بعضها
● ولا يرد باسه ● بالكلية ● عن القوم المجرمين ● فلا تغتروا وانما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات
عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني ان كذبك المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم
ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة
للمطيعين وذو باس شديد على المجرمين فيقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد باسه عن القوم الخ لتضمنه التنبيه على
انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا ● سيقول
الذين اشركوا ● حكاية لفن اخر من كفرهم واخبار قبل وقوعه حسبما اخبر به ما يحكيه قوله عند وقوعه و
قال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في انه من عند الله تعالى ● لو شاء الله
ما اشركنا ● اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك نحن ● ولا اباؤنا ولا حرمنا من
شيء ● ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله
تعالى اياها منهم حتى ينتهض في تهمة دليلا للمعتزلة الا يرى الى قوله تعالى ● كذلك كذب الذين من قبلهم ● اي
مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا
وعطف اباؤنا على الضمير للفصل بلا ● حتى ذاقوا باسنا ● الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم ● قل هل عندكم
من علم ● اي فتظهروه لنا ● ان تتبعون الا الظن ● اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل
الذي لا يغني من الحق شيئا ● وان انتم الا تخرصون ● تكذبون على الله عز وجل وليس فيه دلالة على المنع
من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي ● قل فلله الحجة البالغة ● الفاء جواب شرط محذوف
اي واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ

يقصد

بها صاحبها صحة دعواه المراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد
إثبات الحكم وتطلبه ● فلو شاء ● هدايتكم جميعاً ● لهداكم أجمعين ● بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية
هداية الكل بل هداية البعض الصارفين هممهم إلى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم إلى خلاف
ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ● قل هلم شهداءكم ● أي أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف
على لغة أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته وليس بشيء وأصله
عند البصريين ها لم أي اقصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل وعند الكوفيين هل أم حذفت الهمزة
بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا تدخل الأمر ويكون متعدياً كما في الآية ولازماً كما في قوله تعالى هلم إلينا ●
الذين يشهدون أن الله حرم هذا ● وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وإنما أمروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة
ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالإضافة ووصفوا بما يدل على أنهم
شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم ● فإن شهدوا ● بعدما حضروا بأن الله حرم هذا ● فلا تشهد
معهم ● أي فلا تصدقهم فإنه كذب بحت وافتراء صرف وبين لفساده فإن تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة
● ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ● من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله تعالى وعدل عنها
فهو متبع للهوى لا غير وأن من اتبع الحجة لا يكون إلا مصدقاً بها ● والذين لا يؤمنون بالآخرة ● كعبدة الأوثان
عطف على الموصول الأول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله إلى الملك القرم و
ابن الهمام ● وليث الكتيبة في المزدحم ● فإن من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس ● وهم بربهم
يعدلون ● أي يجعلون له عديلاً عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات
الله وبين الكفر بالآخرة وبين الإشراك به سبحانه لكن لا على أن يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على أن أولئك
جامعون لها متصفون بكلها ● قل تعالوا ● لما ظهر بطلان ما ادعوا من إشراكهم وإشراك آبائهم وتحريم ما
حرموه بأمر الله تعالى وثبت بظهور عجزهم عن إخراج شيء يتمسك به في ذلك وعن إحضار شهداء يشهدون بما
ادعوه أمر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد أخرى عجزاً بيناً أمر رسول الله صلعم بأن يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال
بيانه على الأسلوب الحكيم إيذاناً بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الأطعمة المحرمة فقد بينت بقوله
تعالى لا أجد الآية وتعال أمر من التعالي وأصل وضعه أن يقوله من في مكان عال لمن هو في أسفل منه ثم اتسع
فيه بالتعميم كما أن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعاً ثم
في الفوز بكل مطلب من غير مشقة ● أتل ● جواب الأمر وقوله تعالى ● ما حرم ربكم ● منصوب على أن ما موصولة و
العائد محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه
أو حرم على أنها استفهامية والجملة مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أقل أي شيء حرم
ربكم ● عليكم ● متعلق بحرم على كل حال وقيل بأتل والأول أنسب بمقام الاعتناء بإيجاب الانتهاء عن المحرمات
المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكر كونه تعالى رباً لهم ومالكاً لأمرهم
على الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء وأن في قوله تعالى ● أن لا تشركوا به ● مفسرة

لفعل

لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الأوامر والنواهي عليه وليس من
ضرورة كون المعطوف عليه تفسيراً للتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوف أيضاً كذلك حتى يمتنع انتظام
الأوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيراً لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة
بأضداد ما تعلقت هي به فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الأوامر
ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع
بأن المأمور به لا يكون محرماً دليل واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور فكأنه قيل أتل ما
حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهيين
المكتنفين له للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما
ولذلك عقب به النهي عن الإشراك الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواقع وقيل أن ناصبة
ومحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائده المحذوف على أن لا
زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا بزيادة لا وقيل و
قيل والذي عليه التعويل هو الأول لأمور من جملتها أن في إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم
وقوله تعالى ● شيئاً ● نصب على المصدرية أو المفعولية أي لا تشركوا به شيئاً من الإشراك أو شيئاً من
الأشياء ● وبالوالدين ● أي وأحسنوا بهما ● إحساناً ● وقد مر تحقيقه ● ولا تقتلوا أولادكم ● تكليف متعلق
بحقوق الأولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالوأد ● من إملاق ● أي من أجل فقر
كما في قوله خشية إملاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله تعالى ● نحن نرزقكم وإياهم ●
استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه سبباً لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى
لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى و
● ولا تقربوا الفواحش ● كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة الآية إلا أنه جيء ههنا بصيغة الجمع قصداً
إلى النهي عن أنواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى ● ما ظهر منها وما بطن ● أي ما يفعل منها علانية في
الحوانيت كما هو دأب أراذلهم وما يفعل سراً باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم وتعليق النهي بقربانها
إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها وتوسيط النهي عنها
بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مطلقاً كما وقع في سورة بني إسرائيل باعتبار أنها مع كونها
في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد فإن أولاد الزنا في حكم الأموات وقد قال عليه السلام
في حق العزل ذلك الوأد الخفي ومن ههنا تبين أن حمل الفواحش على الكبائر مطلقاً وتفسير ما ظهر منها
وما بطن بما فسر به ظاهر الإثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه ● ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله ● أي حرم قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى ● إلا بالحق ●
استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحق الذي هو أمر
الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنا بعد الإحصان وقتل النفس المعصومة أو من أعم الأسباب

اى لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اى لا تقتلوها قتلا الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما فيه ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدا وقوله تعالى وصاكم به اى امركم ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استيناف جيء به تجديدا للعهد وتاكيدا لايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما تقضي بداهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اى تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء اى لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اى بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كانه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اى المقول له او عليه ذا قربى اى ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا اى ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشانه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رضي الله عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفسي بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الآيات وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عز شانه انه عز من حيث السلوك لا من حيث كونه صنعه كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة بعموم ايضا وانه مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل ان مع ما في حيزها الجر بتقدير اللام على العلة اى ولان هذا صراطي اى مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عز وجل لا بكونه صراط الله تعالى مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عمم فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح كونه عندهم صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف وقرئ ان هذا مخففة من ان على ان اسمها

الذى

الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ سراطي وقرئ هذا صراطي وقرئ هذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التائين والباء للتعدية اى فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اى سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عم عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سبيله وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستيناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما ان قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى او لم يهد للذين الخ كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الى آخره واما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التوراة فان ايتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من الوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اى اتماما لهما على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد على الذي احسن اى على من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا وتماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عم او تماما على ما احسنه موسى عم اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذي هو احسن دين وارضاه وآتينا موسى الكتاب تماما اى تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما اما على العلية او على المصدرية كما اشير اليه او على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وايتاء الكتاب والباء في قوله تعالى بلقاء ربهم متعلقة بقوله تعالى يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعذاب وهذا الذي تليت عليكم اوامره ونواهيه اى القرآن كتاب عظيم الشان لا يقادر قدره وقوله تعالى انزلناه مبارك اى كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام مع منكريه او خبران آخران لاسم الاشارة اى انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شان الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه اى ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة لانزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه للزوم الفصل حينئذ بين العامل والمعمول باجنبي هو مبارك

وصفا كما أو خبرا أي أنزلناه كذلك كراهة أن تقولوا يوم القيامة لو لم ننزله • إنما أنزل الكتاب • الناطق بتلك
الأحكام العامة لكل الأمم • على طائفتين • كائنتين • من قبلنا • وهما اليهود والنصارى وتخصيص الإنزال
بكتابيهما لأنهما الذي اشتهر حينئذ فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الأحكام لا سيما الأحكام المذكورة •
وإن كنا • إن هي المخففة من أنّ واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع
ما يرد عليهم من أن نزوله عليهما لا ينافي عموم أحكامه فلم لم تعملوا بأحكامه العامة أي وإنه كنا • عن دراستهم •
لغافلين • لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها وإن لم يكن منزلا علينا
وبهذا تبين أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما في الكتابين لاشتمالهما على الأحكام المذكورة المتناولة لكافة
الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإنزال القرآن لاشتماله أيضا عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط • أو
تقولوا • عطف على تقولوا وكلاهما قرئ بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا • لو أنا أنزل علينا الكتاب
كما أنزل عليهم • لكنا أهدى منهم • إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام والشرائع
ودقائقها لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأخبار والخطب والأشعار
ونحو ذلك طرا ونحن أميون • وقوله تعالى • فقد جاءكم • متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة إما معلل به
أي لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ وإما شرط له أي إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم من كونكم أهدى
من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم • بينة • أي بينة أي حجة واضحة لا يكتنه
كنهها وقوله تعالى • من ربكم • متعلق بجاءكم أو بمحذوف هو صفة لبينة أي بينة كائنة منه تعالى وأيا ما
كان ففيه دلالة على فضلها الإضافي كما أن في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرض لوصف
الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تأكيد لإيجاب الاتباع • وهدى ورحمة • عطف على بينة
وتنوينهما أيضا تفخيمي عبر عن القرآن بالبينة إيذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة تنبيها
على أنه مشتمل على ما اشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة • فمن أظلم
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن مجيء القرآن المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية أظلمية من
يكذبه أي وإذا كان الأمر كذلك • فمن أظلم ممن كذب بآيات الله • وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق
الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة وإشعارا بعلة الحكم وإسقاطا لهم عن رتبة الخطاب
وعبر عما جاءهم بآيات الله تعالى تهويلا للأمر وتنبيها على أن تكذيب أي آية كانت من آيات الله تعالى كاف في الأظلمية فما
ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى إنكار أن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساويا له وإن لم يكن
سبك التركيب متعرضا لإنكار المساواة ونفيها فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد به
حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل • وصدف
عنها • أي أعرض أو صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال • سنجزي الذين يصدفون • الناس • عن آياتنا •
وعيد لهم ببيان جزاء إضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم أيضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق
مناط الجزاء • سوء العذاب • أي العذاب السيئ الشديد النكاية • بما كانوا يصدفون • أي بسبب ما كانوا

يصدفون

يصدفون الصدق والعرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما أشعر به إجراء الحكم على الموصول من علية ما
في حيز الصلة • هل ينظرون • استئناف مسوق لبيان أنه لا يأتي منهم الإيمان بإنزال ما ذكر من البينات
والهدى وأنهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وأن
الإيمان عند إتيانها مما لا فائدة له أصلا مبالغة في التبليغ والإنذار وإزاحة العلل والأعذار أي ما ينتظرون
• إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك • حسبما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا وبقولهم أو
تأتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا أنزل عليه ملك ونحو ذلك وإلا أن تأتيهم ملائكة العذاب أو يأتي أمر ربك
بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم بالياء لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي • أو يأتي
بعض آيات ربك • أي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم
الآيات التي علقوا بها إيمانهم والتعبير عنها ببعض الآيات للتهويل والتفخيم كما أن إضافة الآيات في الموضعين إلى اسم
الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت
وبإتيانه سبحانه وتعالى إتيان كل آياته بمعنى آيات القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من إتيان بعض آياته على أن
المراد أشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الأرض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب
والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف
المشهور وحيث لم يكن إتيان هذه الأمور مما ينتظرونه كإتيان ما اقترحوه من الآيات فإن تعليق إيمانهم
بإتيانها انتظار منهم لها ظاهرا حمل الانتظار على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الإصرار على الكفر والتمادي في العناد
إلى أن تأتيهم تلك الأمور الهائلة التي لا بد لهم من الإيمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وأنت خبير
بأن النظم الكريم بسياقه المنبئ عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم
نفع الإيمان عند إتيان ما ينتظرونه يستدعي أن يحمل ذلك على أمور هائلة مخصوصة بهم إما بأن يكون عبارة عما
اقترحوه أو عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كإتيان ملائكة الموت وإتيان كل آيات القيامة وظهور أشراط الساعة
مع شمول إتيانها للكل برا وفاجرا واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على أن بعض أشراط الساعة
ليس مما ينسد به باب الإيمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وعلا • يوم يأتي بعض آيات ربك •
على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور فلك التكليف فإنه بمنزلة الكبرى
من الشكل الأول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه في ذلك دخولا أوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع وقال
امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف
أي لا ينفع فيه • نفسا • من النفوس • إيمانها • حينئذ لانكشاف الحال وكون الأمر عيانا ومدار قبول الإيمان
أن يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب
الإيمان ملابسة المضاف إليه تأنيثا وقوله تعالى • لم تكن آمنت من قبل • أي من قبل إتيان بعض الآيات
صفة نفسا وفصل بينهما بالفاعل لاشتمالها على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لأنه غير أجنبي منه لاشتراكهما في العامل
وقوله تعالى • أو كسبت في إيمانها خيرا • عطف على آمنت بإيراد الترديد على النفي المفيد لكفاية أحد النفيين في عدم

الشيء والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفساً لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيراً ومن ضرورة اشتراط
النفع بتحقق الامرين اي الايمان المقدم والخير المكسوب فيه معاً بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر لغو
وتحصيل لنفي حصول الا انه هو النافع وتحققهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم
والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه انهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم
اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه لا
لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معاً وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال
الحقيقي فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفساً لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد والخير المكسوب
فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما ينطق به النصوص الكريمة من الآيات والاحاديث وما قيل من ان عدم الايمان
السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكراراً بلا فائدة على ان الموجب للخلود في النار هو عدم
الاول من غير ان يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعاً فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغواً من الكلام لغو
من الكلام مبني على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم
نفع الايمان الحادث في انجائها عنه وليس كذلك فان الاكتفاء في البيان ان يقال لا ينفع نفساً ايمانها الحادث
بل المقصد الاصلي من وصفها بذينك العدمين في اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع
احدى ملكتيهما اعني الايمان السابق والخير المكسوب فيه لما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما
ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل في ايجاب الخلود في النار فيلغو في ذكر عدم الثاني كذلك وجوده مستقل
في ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغواً لما انه قياس مع الفارق كيف والخلود فيها امر لا يتجزأ ونفيه متعدد [illegible]
واما الخلاص عنها مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كماً وكيفاً
واما لم يقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه هو المقابل لما لا يوجبه اصلاً اعني الايمان الحادث
بل قرن به ما يوجب النفع الزائد ايضاً ارشاداً الى التحري الاعلى وتنبيهاً على كفاية الادنى واقناطاً للكفرة عما علقوا به
اطماعهم الفارغة من اعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة
الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما هو من باب المكارم ببيان ان كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير اساس
حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية ونحو ذلك من النصوص الكريمة
وان الايمان الحادث كما لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة ولكنا نقول المقصود بوصف النفس بما ذكر
من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب
احدهما منوطاً بالآخر كما في قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى تسجيلاً بكمال طغيانهم وايذاناً بتضاعف عقابهم
لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة اذا تحققت هذا وقفت على ان الآية الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم
وقد قيل انها من باب اللف التقديري اي لا ينفع نفساً ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت
فيه وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام فتدبر

ذكره تعويلاً على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعاً فانه قد طوى في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله تعالى فاما الذين
آمنوا الآية ولا ريب في ان ما قدر هيهنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيراً ولا هو من مقتضيات
المقام لانه ليس مما وعدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الآيات كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه اذ
ذاك على ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم بقاء على السلامة وزماناً يتأتى منهم الكسب والعمل وفيه من
الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه اخر [illegible]
اسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة بالنصوص القطعية المتون القوية الدالة على ما ذكر من كفاية الايمان
المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من ان الظني بمعزل من معارضة القطعي
قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلثة لتروا اي
شيء تنتظرون انا منتظرون لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه
اتيان ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب كما انه تعالى وعده صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بمعاينتهم
لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه يوم بدر والله سبحانه وتعالى اعلم ان الذين فرقوا
دينهم استيناف لبيان احوال اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك
كل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له
وكانوا شيعاً اي فرقاً تشيع كل فرقة اماماً لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة
كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق
امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين
انما هو بالنظر الى العصر الماضي قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم ومعنى
قوله لست منهم في شيء لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة
وقيل من قتالهم في شيء سوى تبليغ الرسالة واظهار شعائر الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه
فيكون منسوخاً بآية السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اولهم و
آخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويأمر بقتالهم اذا اراد وقيل
المتفرقون اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مأمور بمؤاخذتهم والاعتذار بان
معنى لست منهم في شيء حينئذ انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه التعليل المذكور ثم ينبئهم
اي يوم القيامة بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان
للعلم تنبيهاً على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤس الاشهاد
ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استيناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية
المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما هي من عمل من المصدقين حسنة

كتبت له عشر حسنات اي من جاء يوم القيمة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر
حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرئ بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص
ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم الوعد واحدة
بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي امر لرسول الله صلعم
بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذين يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف
التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لمزيد تشريفه اي قل
لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والانفس من الآيات التكوينية الى صراط
مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط فان محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما
او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام
وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه
باعتبار الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة
وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عم عما عليه الكفرة لدينه من عقد وعمل اي
ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عم من اهل
مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل ان صلوتي ونسكي
اعيد الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع بينه وبين
الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلوتي حجي ومحياي ومماتي اي وما انا عليه في حياتي و
اكون عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية
والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له
لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته
في الفضل اي بذلك الاخلاص امرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مسارعته عم
الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عم بل الكل مأمورون به ويقتدي به عليه السلام من اسلم
منهم قل اغير الله ابغي ربا اخر فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال
ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها
كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى
لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا تكون جناية نفس من النفوس الا عليها و
محال ان يكون صدورها عن شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى
الثاني اي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل
لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون

ببيان

ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض حيث خلفتم الامم
السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام و
رفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم من المال و
الجاه اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك تجريد الخطاب لرسول
الله صلعم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عم لابراز مزيد اللطف به عم سريع العقاب اي عقابه سريع الاتيان
لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي
والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء
المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات
مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلعم انزلت علي سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد من قرأ الانعام صلى عليه واستغفر
له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس آيات وقيل ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في
فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتداء محذوف والتقدير
هذا المص اي مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تأنيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور
لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحة الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر
صار في حكم الحاضر المشار اليه المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتداء محذوف هو ما
ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مرادا به السورة كتاب الخ او اسم
اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد
خبر جيء به اثر بيان كونه مترجما باسم مبني عن غرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد
الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتداء اي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه
من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل
فحقها الاخبار بها انزل اليك اي من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء
عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدا الانزال كما في قوله عز وجل وذكره بلغ ما انزل اليك
من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليك وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشأن انزل
عليك خلاف الاصل فلا يكن في صدرك حرج اي شك كما في قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك خلا
انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة
في تنزيه ساحته عم عن نسبة الشك اليه ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها
اياه عم وما قد يقع من نسبته اليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهييج والالهاب والمبالغة في التنفير والتحذير
بايهام ان ذلك من القبح والشرارة بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه

والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى ﴿منه﴾ متعلق بحرج يقال حرج منه اي ضاق به صدره او بمحذوف
وقع صفة له اي حرج كائن اي لا يكن فيك شك ما في حقيته او في كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى فالفاء على
الاول لترتيب النهي او الانتهاء على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به
قطعا واما على الثاني فهي لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي الى الحرج مع ان المراد نهيه
عليه السلام عنه اما لما مر من المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان النهي عن الشيء مما يوهم امكان صدور
المنهي عنه عن المنهي واما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره عليه السلام سبب لاتصافه به والنهي عن
السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن اصله بالمرة كما في قوله تعالى ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾
الآية وليس هذا من قبيل لا ارينك ههنا فان هناك واردا على المسبب مرادا به النهي عن السبب فيكون المآل
نهيه عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه
مخافة ان يكذبوك وان تقصر في القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه وكان يضيق
صدره من الاذاء ولا ينبسط له فامنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون
الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني
بواسطة الاول قوله تعالى ﴿لتنذر به﴾ اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما
تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما لتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي
فان انتفاء الشك في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم
بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتأتى على التفسير الاول لان تعليق النهي عن
الشك بما ذكر من الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بان المنهي عنه
ليس محذورا لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير من الايذان بان ذلك معظم غائلته
ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما يتأتى التعليل بالانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه
شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى ﴿وذكرى للمؤمنين﴾ في حيز النصب باضمار فعله معطوفا
على تنذر اي وتذكر للمؤمنين تذكيرا او الجر عطفا على محل ان تنذر اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع
عطفا على كتاب او خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة
اي لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام ﴿اتبعوا ما انزل اليكم﴾
كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبي عليه السلام قبله بتبليغه بطريق
الانذار والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام اثر ذكر ما يصححه من الانذار والتذكير لتأكيد وجوب
اتباعه وقوله تعالى ﴿من ربكم﴾ متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول
او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب
لهم في الامتثال لما امروا به وتأكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة القولية والفعلية لتعميم
نعمهما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل الله تعالى اتباعا له عقب الامر بذلك

بالنهي

بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل ﴿ولا تتبعوا من دونه﴾ اي من دون ربكم الذي انزل
اليكم ما يهديكم الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى
﴿اولياء﴾ من الجن والانس بان تضلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل
ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه
لكان صفة له اي اولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في اولياء اي ولا تتبعوا من دون ما
انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى
﴿ومن يبتغ غير الاسلام دينا﴾ وقوله تعالى ﴿قليلا ما تذكرون﴾ بحذف احدى التائين وتخفيف الذال وقرئ
بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب اما
بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة اي تذكرا
قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره
ويجوز ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى ﴿فقليلا ما يؤمنون﴾ والجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال
المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي
صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية
مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي الى المقيد فقط كما في قوله تعالى ﴿لا تقربوا
الصلاة وانتم سكارى﴾ بل الى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين ﴿وكم
من قرية اهلكناها﴾ شروع في انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم
على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها
ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثير من القرى اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها
كما في قوله تعالى ﴿انا كل شيء خلقناه بقدر﴾ والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى ﴿اذا قمتم الى الصلاة﴾ اي
اردنا اهلاكها ﴿فجاءها﴾ اي فجاء اهلها ﴿باسنا﴾ اي عذابنا ﴿بياتا﴾ مصدر بمعنى الفاعل وقع موقع
الحال اي بائتين كقوم لوط ﴿او هم قائلون﴾ عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب
عليه السلام وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اخرى استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف
قد استعيرت للوصل لا انها اكتفي بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالين بالعذاب لما ان نزول
المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر وادع عن الاغترار باسباب الامن والراحة و
وصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان
بكمال غفلتهم وامنهم ﴿فما كان دعواهم﴾ اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم
وينتحلونه من مذاهبهم ﴿اذ جاءهم باسنا﴾ عذابنا وعاينوا اماراته ﴿الا ان قالوا﴾ جميعا ﴿انا كنا ظالمين﴾ اي
الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وتشهدهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص وهيهات ولات
حين نجاة ﴿فلنسألن الذين ارسل اليهم﴾ بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان عذابهم الدنيوي خلا انه قد عرض

لبيان مبادي احوال المكلفين جميعاً لكونه ادخل في التهويل والغاء ترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكراً حسب
ترتبها عليها وجوداً اي لنسألن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ● ولنسألن المرسلين ● عما اجيبوا اي
تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي نفي بقوله تعالى ولا يسئل
عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب والثاني في موقف العقاب ● فلنقصن عليهم
اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسل اليهم جميعاً ما كان عليه
بعلم اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم ● وما كنا غائبين ● عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء
من اعمالهم واحوالهم والجملة اعتراض مقرر لما قبلها ● والوزن ● اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها
ورديها وهو رفع على الابتداء وقوله تعالى ● يومئذ ● خبره وقوله ● الحق ● صفته اي والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون
السؤال والقصص وقيل خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط واختلف
في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهاراً للمعدلة
وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملئكة والاشهاد
وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤونها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون
سجلاً مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات
وتثقل البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عم انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح
بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من
المتأخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان
انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض فنيت
وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك
حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً و
كذا قوله عم في حق من يشرب من اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا ترى ان العلم
يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس انه
يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان ان قيل ان المكلف
يوم القيمة اما مؤمن بان الله تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا
يسلم حينئذ ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى اظهار الله
تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن اجيب بانه تنكشف الحال يومئذ وتظهر جميع الاشياء بحقائقها
على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها
ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد من شاهدها شبهة في انها هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر
في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم ● فمن ثقلت موازينه

تفصيل

تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر و
وهو الحسنات فان رجحان احدهما مستلزم لرجحان الآخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته او اعماله
التي لها قدر وزنة وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات
ان يخف ● فاولئك ● اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمع باعتبار معناه كما ان
جمع الموازين كذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم
في الفضل والشرف ● هم المفلحون ● الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر اولئك وتعريف المفلحون
للدلالة على انهم الناس الذين بلغك انهم مفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم
● ومن خفت موازينه ● اي موازين اعماله او اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة
● فاولئك ● اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمع وما في البعد لما مر آنفاً في نظيره وهو مبتدأ
خبره ● الذين خسروا انفسهم ● اي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد ايدت بالآيات البينة وقوله
تعالى ● بما كانوا بآياتنا يظلمون ● متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب
قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا اي
فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمين ●
● ولقد مكناكم في الارض ● لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وبين
لهم وخامة عاقبته بالاهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم
الموجبة للشكر ترغيباً في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً او مكناكم فيها
واقدرناكم على التصرف فيها ● وجعلنا لكم فيها معايش ● المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من
المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه في قراءته اخلاص الياء وعن ابن عامر انه همز
تشبيهاً له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشاء والابداع اي انشأناها وابدعناها لمصالحكم ومنافعكم فيها
اسباباً تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن
المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئاً عن منفعة
للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن واما تقديم اللام على في فلما انه المنبئ
عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين
ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الآخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف الواقع
حالاً من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او
حاصلة في الارض ودونه ● قليلاً ما تشكرون ● اي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين
وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى ما تذكرون ● ولقد خلقناكم ثم صورناكم ● تذكير لنعمة
عظيمة فائضة على آدم عم سارية الى ذريته موجبة لشكر الكل كافة وما خر عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض

أما لأنها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة وإما للإيذان بأن كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر
على حيالها فإن رعاية الترتيب الوقوعي ربما يؤدي إلى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين
بالقسم وحرف التحقيق لإظهار كمال العناية بمضمونهما وإنما نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد بهما
خلق آدم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظا من خلقه
عليه السلام وتصويره لما أنهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجود الملائكة له عليه السلام وتصويره لما أنهما
ليسا من الخصائص المقصورة عليه بل من الأمور السارية إلى الذرية جميعا إذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه و
مصنوع على شاكلته فكأنهم الذين تعلق به خلقه وتصويره أي خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه أبدع تصوير
وأحسن تقويم سار إليكم جميعا ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ صريح في أنه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته
ونفخ الروح فيه أمر منجز غير الأمر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وهو المراد بما حكي بقوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل و
سورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا ليست للتراخي عن التصوير من غير تعرض لبيان
ما جرى بينهما من الأمور وقد بينا في سورة البقرة أن ذلك ظهور فضل آدم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالإخبار باستخلافه
عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة إلى قوله وما كنتم تكتمون فإن ذلك أيضا من
جملة ما نيط به الأمر المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند حكاية الأمر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فإن
حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد ألقي إلى الملائكة عليهم السلام
أولا جميع ما يتوقف عليه الأمر المنجز إجمالا بأن قيل مثلا إني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل إياه خليفة في الأرض فإذا
سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك
ما قالوا أو ألقى إليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بأن قيل إثر نفخ الروح إني جاعل هذا خليفة في الأرض
فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فأيده الله تعالى بتعليم الأسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد
الأمر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وإيذانا بوقته وقد حكي بعض الأمور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في
بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة أن ما في
سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله إذ يختصمون أي بكلامهم عند اختصامهم ولا ريب في أن
المراد بالملأ الأعلى الملائكة وآدم عليه السلام وإبليس حسبما أطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة
من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الإنباء بالأسماء ومن قضيته البديهية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما
شرح فيه مفصلا من الأمر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة و
عناد إبليس ولعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأفعال والأقوال وإذ ليس ذلك إلا الاختصام قبل سجود
الملائكة ومكابرة إبليس وطرده من البين لما عرفت من أنه أحد المختصمين تعين أنه ليس قبل الخلق ضرورة فإذن هو بعد نفخ الروح
وقبل السجود بأحد الطريقين المذكورين والله أعلم ﴿فسجدوا﴾ أي الملائكة عليهم السلام بعد الأمر من غير تلعثم وفي تعقيبه فسجدوا
﴿إلا إبليس﴾ استثناء متصل لما أنه كان جنيا مفردا مغمورا بألوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فسجدوا

ثم استثنى

ثم استثني استثناء واحد منهم أو لأن من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى
﴿لم يكن من الساجدين﴾ أي ممن سجد لآدم كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
فإن عدم السجود قد يكون لتأمل ثم يقع السجود وبه علم أنه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون متصلا بما بعده
أي لكن إبليس لم يكن من الساجدين ﴿قال﴾ استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدم سجوده كأنه
قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات إلى الغيبة إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه
فائدة أخرى هي الإشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير ﴿ما منعك ألا تسجد﴾ أي أن
تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب منبهة على أن الموبخ
عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فالمعنى ما اضطرك إلى أن لا تسجد ﴿إذ أمرتك﴾ قيل فيه دلالة
على أن مطلق الأمر للوجوب والفور وفي سورة الحجر ما لك ألا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك أن
تسجد لما خلقت بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدمج في معصيته واحدة ثلاث معاص
مخالفة الأمر ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام وقد
وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر وإشعارا
بأن كل واحدة منها كافية في التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا في سورة
البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه ﴿قال﴾ استئناف كما سبق مبني على سؤال نشأ
من حكاية التوبيخ كأنه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال ﴿أنا خير منه﴾ مجانبا عن تطبيق جوابه على
السؤال بأن يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا يستلزم منعه من السجود على زعمه
ومشعرا بأن من شأنه هذا لا يحسن أن يسجد لمن دونه فكيف يحسن أن يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة
الحجر من قوله لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون فهو أول من أسس بنيان التكبر واخترع
القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ تعليل لما ادعاه من فضله
عليه ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما هو من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما هو من جهة الفاعل كما أنبأ
عنه قوله تعالى ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما هو من جهة الصورة كما نبه
عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما هو من جهة الغاية وهو ملاك الأمر ولذلك أمر الملائكة عليهم السلام حين ظهر لهم أنه أعلم
منهم بما يدور عليه أمر الخلافة ولذلك أمر الملائكة عليهم السلام في الأرض وأن له خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون
والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ولعل إضافة خلق البشر إلى الطين والشياطين إلى النار باعتبار الجزء
الغالب ﴿قال﴾ استئناف كسلفه والفاء في قوله تعالى ﴿فاهبط منها﴾ لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين
من مخالفة الأمر وتعليله بالأباطيل وإصراره على ذلك أي فاهبط من الجنة لما روي عن الحسن البصري
وقوله تعالى ﴿فما يكون لك﴾ أي فما يصح وما يستقيم لك ولا يليق بشأنك ﴿أن تتكبر فيها﴾ أي في الجنة أو في

زمرة الملائكة تعليل للأمر بالهبوط فإن عدم صحة أن تتكبر لا يليق بأهل الجنة وإنه تعالى إنما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه
وهو تعالى فاخرج تأكيد للأمر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى • إنك من الصاغرين • تعليل للأمر بالخروج مشعر بأنه
لتكبره أي من الأذلاء وأهل الهوان على الله تعالى وعلى أوليائه لتكبره كما عن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال
انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض • قال • استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما قبله
كأنه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل • قال أنظرني • أي أمهلني ولا تمتني • إلى يوم يبعثون • أي آدم
وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية وأراد اللعين بذلك أن يجد فسحة من إغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من
الموت لاستحالته بعد البعث • قال • استئناف كما سلف • إنك من المنظرين • وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض
لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بأن السائل تبع لهم في ذلك صريح في أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم أزلا لا إنشاء
لإنظار خاص به إجابة لدعائه وأن استنظاره كان طلبا لتأخير الموت إذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل
أي إنك من جملة الذين أخرت آجالهم أزلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية إلى وقت فناء غير من استثناه الله تعالى من
الخلائق وهو النفخة الأولى لا إلى وقت البعث الذي هو المسؤول وترك التوقيت للإيجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وسورة
ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والإنظار تعويلا على ما ذكر فيهما فإنه عز وجل قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون
قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وفي إنظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب إن قلت لا ريب في أن
الكلام المحكي له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث لو أخل بشيء
من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه شتى إن اقتضى الحال وروده على وجه
معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ إلى رتبة البلاغة دون ما عداه
من الوجوه إذا تمهد هذا فنقول لا يخفى أن استنظار اللعين إنما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه إن اقتضى إظهار الضراعة
وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج استدعاء الجزاء مع ما تلاه من الكسر كما هو المتبادر من قوله رب
فأنظرني حسبما حكي عنه في السورتين فما حكي هاهنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلا عن العروج إلى معارج الإعجاز
قلت مقام استنظاره مقتض لما ذكر من إظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم
وكذا مقام الإنظار مقتض لترتيب الإخبار بإنظاره على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين
وروعي في كل واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعا حقه وأما هاهنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الإخبار بالاستنظار
والإنظار سيقت الحكاية على نهج الإيجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والحوار
إن قلت فإذن لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذي يجب اعتباره في
نقل الكلام إنما هو أصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده وأما كيفية إفادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل
البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في أصل الكلام تجريده عنها بل قد يراعى عند
نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم أصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول أصل المعنى ألا ترى أن الذي حكي من المقالات
المنقولة في القرآن الكريم إنما حكي بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها حتما وإلا لكن

صدور

صدور الكلام المعجز عن البشر فيما إذا كان المحكي كلاما وأما عدم مطابقته لمقتضى الحال فمنشؤه الغفلة عما يجب توفير
مقتضاه من الأحوال فإن ملاك الأمر هو مقام الحكاية وأما مقام وقوع المحكي فإن كان مقتضاه موافقا لمقتضى
مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في سورة الحجر وسورة ص فإن مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا
لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع عليها روعي حق المقامين معا وأما في هذه السورة الكريمة فحيث
اقتضى مقام الحكاية الإيجاز روعي جانبه ألا يرى أن المخاطب المنكر إذا كان ممن لا يفهم إلا أصل المعنى وجب على
المتكلم أن يجرد كلامه عن التأكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه
مع ذلك يجب أن يقصد معنى زائدا يعتبر مع آخر يبلغ هو بتجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم ولئلا
يرتقي كلامه عن رتبة أصوات الحيوانات تحقق في معانيه فإذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع إفضائها إلى تجريد
الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحليته بمزايا أخر يرتقي بها إلى رتبة الإعجاز لا
سيما إذا أوفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا الإيجاز مبنيا عليه وثقة به • قال • استئناف
كما سلف • فبما أغويتني • الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لأغوينهم فإن إغواءه تعالى إياه أثر من آثار قدرته وعزته
وحكم من أحكام سلطانه فمرجعه إلى القسم بهما واحد فلعل اللعين أقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه بأحدهما وأخرى بالآخر
والفاء لترتيب مضمون الجملة على الإنظار وما مصدرية أي فأقسم بإغوائك إياي • لأقعدن لهم • أو سببية والباء
على أنها متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لأقعدن لهم كما في الوجه الأول فإن اللام تصد عن ذلك أي
فبسبب إغوائك إياي لأجلهم أقسم بعزتك لأقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع على السابلة • صراطك
المستقيم • الموصل إلى الجنة وهو دين الإسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل
الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن • ثم لآتينهم من بين أيديهم
ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم • أي من الجهات الأربع التي يعتاد هجوم العدو من جهات الأربع ولذلك
لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن أيمانهم وعن
شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ذلك وإنما عدي الفعل إلى الأولين
بحرف الابتداء لأنه منهما متوجه إليهم وإلى الأخيرين بحرف المجاوزة فإن الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم
ونظيره جلست عن يمينه • ولا تجد أكثرهم شاكرين • أي مطيعين وإنما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه لما
رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام • قال • استئناف كما
سلف مرارا • اخرج منها • أي من الجنة أو من السماء أو من بين الملائكة • مذءوما • أي مذموما من ذأمه
إذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول أو كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما • مدحورا • مطرودا • لمن تبعك
موطئة للقسم وجوابه • لأملأن جهنم منكم أجمعين • وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على أنه
خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد أو علة لاخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم
على تغليب المخاطب • ويا آدم • أي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام

بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للإيذان بأصالته في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به ● اسكن أنت وزوجك
الجنة ● هو من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث في المكان والاستقرار والإقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وأنت
ضمير أكد به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى ● فكلا من حيث شئتما ● لبيان المراد مما في سورة البقرة
من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من أن ذلك كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى ذلك في
معنى منها حيث شئتما ولم يذكر هاهنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب إليهما لتعميم التشريف والإيذان بتساويهما
في مباشرة المأمور به فإن حواء أسوة له عليه السلام في حق الأكل بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيه ولتعليق النهي بهما صريحا
في قوله تعالى ● ولا تقربا هذه الشجرة ● وقرئ هذي وهو الأصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء ● فتكونا من
الظالمين ● أي فعل الوسوسة لأجلهما أو تكلم لهما كلاما خفيا متداركا وهي في الأصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة
ومنه وسوس الحلي وقد مر بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ● ليبدي لهما ● واللام للعاقبة أو
للغرض على أنه أراد بوسوسته أن يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على أن كشف
العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ● ما ووري عنهما من سوآتهما ● ما غطي وستر
عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وإنما لم يقلب الواو المضمومة همزة في المشهور
كما قلبت في أويصل تصغير واصل لأن الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وإدغام الواو الساكنة فيها ● وقال ● عطف على وسوس بطريق البيان ● ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة ● أي عن أكلها ● إلا أن تكونا ملكين ● أي إلا كراهة أن تكونا ملكين ● أو تكونا من الخالدين ● الذين
لا يموتون أو يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على أفضلية الملائكة لما أن من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب
وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الأطعمة والأشربة
وذلك بمعزل من الدلالة على الأفضلية بالمعنى المتنازع فيه ● وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ● أي أقسم لهما
وذلك مقاسمة ● فدلاهما ● فنزلهما إلى الأكل من الشجرة وفيه تنبيه على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية
فإن التدلية والإدلاء إرسال الشيء من الأعلى إلى الأسفل ● بغرور ● بما غرهما به من القسم فإنهما ظنا
أن أحدا لا يقسم بالله كاذبا أو ملتبسين بغرور بما غرهما ● فلما ذاقا الشجرة ● بدت لهما سوآتهما ● أي
فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت
لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وأن اللباس كان نورا أو ظفرا ●
وطفقا يخصفان ● طفق من أفعال الشروع والتلبس كأخذ وجعل وأنشأ وعلق وهب وانبرى أي أخذا
يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة ● عليهما من ورق الجنة ● قيل كان ذلك ورق التين وقرئ يخصفان
من أخصف أي يخصفان أنفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان أصله يختصفان ● وناداهما ربهما ●
مالك أمرهما بطريق العتاب والتوبيخ ● ألم أنهكما ● وهو تفسير للنداء فلا محل له من الإعراب أو معمول لقول
محذوف أي وقال أو قائلا ألم أنهكما ● أي أقل لكما ● إن الشيطان لكما عدو مبين ● وهذا عتاب وتوبيخ على
الاغترار بقول العدو كما أن الأول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو
لما فيه من معنى الفعل أو بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول هاهنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى

ان هذا

إن هذا عدو لك ولزوجك الآية روي أنه تعالى قال لآدم ألم يكن فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة
فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا فقال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض
ثم لا تنال العيش إلا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى و
عجن وخبز ● قالا ربنا ظلمنا أنفسنا ● أي ضررناها بالمعصية والتعرض للإخراج من الجنة ● وإن لم تغفر
لنا ● ذلك ● وترحمنا لنكونن من الخاسرين ● وهو دليل على أن الصغائر يعاقب عليها إن لم تغفر وقالت
المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادة المقربين في استعظام
الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات ● قال ● استئناف كما مر مرارا ● اهبطوا ● خطاب
لآدم وحواء وذريتهما أو لهما ولإبليس كرر الأمر له تبعا ليعلم أنهم قرناء أبدا وأخبر عما قال لهم مفرقا كما في قوله تعالى
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر هاهنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في سائر المواضع ● بعضكم لبعض عدو ●
جملة حالية من فاعل اهبطوا أي متعادين ● ولكم في الأرض مستقر ● أي استقرار أو موضع استقرار ● ومتاع ●
أي تمتع وانتفاع ● إلى حين ● هو حين انقضاء آجالكم ● قال ● أعيد الاستئناف إما للإيذان ببعد ما بين ما
قبله وما بعده كما في قوله تعالى قال فما خطبكم أيها المرسلون إثر قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون
وقوله تعالى قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى أأسجد لمن خلقت طينا وإما للاعتناء بمضمون ما بعده
من قوله ● فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ● أي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة أخرى ● يا بني آدم ● خطاب للناس كافة وإيرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره ● قد أنزلنا عليكم لباسا ● أي
خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة منها ونظيره وأنزل لكم من الأنعام الآية وقوله تعالى وأنزلنا الحديد
يواري سوآتكم ● التي قصد إبليس إبداءها من أبويكم حتى اضطرا إلى خصف الأوراق وأنتم مستغنون عن ذلك
روي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عريانا ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت و
لعل ذكر قصة آدم حينئذ للإيذان بأن انكشاف العورة أول سوء أصاب الإنسان من قبل الشيطان وأنه
أغواهم في ذلك كما أغوى أبويهم ● وريشا ● ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل أي
تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ● ولباس التقوى ● أي خشية الله تعالى وقيل الإيمان و
قيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة ● ذلك خير ● أو خبر وذلك صفته كأنه قيل
ولباس التقوى المشار إليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ● ذلك ● أي إنزال اللباس
من آيات الله ● الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته ● لعلهم يذكرون ● فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون
عن القبائح ● يا بني آدم ● تكرير النداء للإيذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وإيرادهم بهذا العنوان مما
لا يخفى سببه ● لا يفتننكم الشيطان ● أي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بأن يمنعكم من دخول الجنة
كما أخرج أبويكم من الجنة ● نعت لمصدر محذوف أي لا يفتننكم فتنة مثل إخراج أبويكم وقد جوز أن يكون التقدير
لا يخرجنكم بفتنته إخراجا مثل إخراجه لأبويكم والنهي وإن كان متوجها إلى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه إلى المخاطبين
كما في قولك لا أرينك هاهنا وقد مر تحقيقه مرارا ● ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ● حال من أبويكم أو من

أو من فاعل يخرج وإسناد النزع إليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى
إنه يراكم هو وقبيله أي جنوده وذريته استئناف لتعليل النهي وتأكيد التحذير منه من حيث لا ترونهم من
لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر بإضافة الظرف إليه ورؤيتهم إيانا من
حيث لا نراهم لا تقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا إنا جعلنا الشياطين جعلنا قبيله من
جملته في أولياء للذين لا يؤمنون أي جعلناهم بما أوجدنا بينهم من التناسب أو بإرسالهم عليهم و
تمكينهم من إغوائهم وحملهم على ما سولوا أولياء أي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتأكيد للتحذير
إثر تحذير وإذا فعلوا فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الإعراب وقد جوز عطفها على الصلة
والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لأنها مجراة على الموصوف المؤنث أو للنقل من الوصفية
إلى الاسمية والمراد بها عبادة الأصنام وكشف العورة ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا
عليها آباءنا والله أمرنا بها محتجين بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للإيذان
منهم بأن آباءهم إنما كانوا يفعلونها بأمر الله تعالى بها على أن ضمير أمرنا لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الإعراض عن
الأول في رد مقالتهم بقوله تعالى قل إن الله لا يأمر بالفحشاء فإن عادته تعالى جارية على الأمر بمحاسن الأعمال
والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا
عقلي فإن المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين
مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى
الوجهين يمنع التقليد إذا قام الدليل بخلافه لا مطلقا أتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول
أي أتقولون والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وتوجيه الإنكار والتوبيخ إلى قولهم عليه تعالى ما لا تعلمون
صدوره عنه تعالى مع أن بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى مع أن بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه تعالى
مبالغة في إنكار تلك الصورة فإن إسناد ما لم يعلم صدوره عنه إليه تعالى إذا كان منكرا فإسناد ما علم
صدوره عنه إليه عز وجل أشد قبحا وأحق بالإنكار قل أمر ربي بالقسط بيان لما أمر به إثر
نفي ما أسند أمره إليه تعالى من الأمور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شيء المتجافي
عن طرفي الإفراط والتفريط وأقيموا وجوهكم وتوجهوا إلى عبادته مستقيمين غير
عادلين إلى غيرها أو أقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود أو كل مكان سجود
وهو الصلاة أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم و
وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة فإن مصيركم إليه بالآخرة كما بدأكم أي أنشأكم
ابتداء تعودون إليه بإعادته فيجازيكم على أعمالكم وإنما شبه الإعادة بالابتداء تقريرا لإمكانها
والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون إليه و
قيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بأن وفقهم للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة
بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي

وخذل

وخذل فريقا إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله تعليل لخذلانه أو تحقيق لضلالتهم
ويحسبون أنهم مهتدون وفيه دلالة على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق
أن يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد أي
طواف وصلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة
في الصلاة وكلوا واشربوا مما طاب لكم روي أن بني عامر كانوا في أيام حجهم لا يأكلون الطعام
إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم
الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بالإفراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي كل ما شئت
والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في
نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله
من الثياب وما يتجمل به التي أخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف
والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق أي المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل
على أن الأصل في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام في معنى الإنكار قل
هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيامة
لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على أنه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم
يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل إنما حرم ربي الفواحش أي ما تفاحش قبحه من الذنوب
وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش أي جهرها وسرها والإثم
أي ما يوجب الإثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي أي الظلم أو الكبر أفرد بالذكر للمبالغة في الزجر
عنه بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين و
تنبيه على تحريم ما لا يدل عليه برهان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون بالإلحاد في صفاته والافتراء عليه
كقولهم والله أمرنا بها وتوجيه التحريم إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه ما لا يعلمون عدم وقوعه قد مر سره
ولكل أمة من الأمم المهلكة أجل حد معين من الزمان مضروب لمهلكهم فإذا جاء أجلهم إن جعل
الضمير للأمم المدلول عليها بكل أمة فإظهار الأجل المضاف إليه لإفادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل أمة
أجلها الخاص بها ومجيئه إياها بواسطة اكتساب الأجل بالإضافة عموما يعتد معنى الجمعية كأنه قيل إذا جاءهم
آجالهم بأن جاء كل واحدة من تلك الأمم أجلها الخاص بها وإن جعل لكل أمة خاصة كما هو الظاهر فالإظهار
في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإضافة إلى الضمير لإفادة أكمل التمييز أي إذا جاءها أجلها الخاص بها لا
يستأخرون عن ذلك الأجل ساعة أي شيئا قليلا من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه أي
لا يتأخرون أصلا وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون
أي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل
للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة للذين يعملون السيئات

حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فإن من مات كافرا مع ظهور
أن لا توبة له رأسا فقد نص على عدم القبول في سلك من سوّفها إلى حضور الموت إيذانا بتساوي وجود التوبة
حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة منه وليس فيه كبير
ويعدهم ببيان انتفاء الاستئخار لا أن المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من العذاب وأما ما في قوله تعالى وما تسبق
من أمة أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما أن المراد هناك بيان سر تأخير إهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما
ينبئ عنه قوله ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون فالأهم هناك بيان انتفاء السبق • يا بني آدم
تلوين للخطاب وتوجيه له إلى كافة الناس اعتناء بشأن ما في حيزه • إما يأتينكم • هي إن الشرطية ضمت إليها ما لتأكيد
معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة وفيه تنبيه على أن إرسال الرسل أمر جائز لا واجب عقلا
• رسل منكم • الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل أي يبينون لكم أحكامي وشرائعي وقوله تعالى • فمن اتقى وأصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون • جملة شرطية وقعت جوابا للشرط أي فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف الآخرة وكذا
قوله تعالى • والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • أي والذين كذبوا
منكم بآياتنا وإيراد الاتقاء في الأول للإيذان بأن مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب
عنه وإدخال الفاء في الجزاء الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد • فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
أو كذب بآياته • أي تقول عليه تعالى ما لم يقله أو كذب ما قاله أي هو أظلم من كل ظالم والمراد بهم مرادا • أولئك • إشارة
إلى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الإفراد في الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان بتماديهم في سوء الحال
أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب • ينالهم نصيبهم من الكتاب • أي مما كتب لهم من الأرزاق
والأعمار وقيل الكتاب اللوح أي مما أثبت لهم فيه وأيا ما كان فمن للابتداء أي ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم
أي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم من العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى
• حتى إذا جاءتهم رسلنا • أي ملك الموت وأعوانه • يتوفونهم • أي حال كونهم متوفين لأرواحهم لتأكيد الأول فإن
حتى وإن كانت هي التي يبتدأ بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد أن يكون نصيبهم مما يتمتعون به إلى حين وفاتهم
أي ينالهم نصيبهم من الكتاب إلى أن يأتيهم ملائكة الموت فإذا جاءتهم • قالوا • لهم • أين ما كنتم تدعون من دون
الله • أي أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وحقها الفصل
لأنها موصولة • قالوا • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك
فقيل قالوا • ضلوا عنا • أي غابوا عنا لا ندري مكانهم • وشهدوا على أنفسهم • عطف على قالوا أي اعترفوا
على أنفسهم • أنهم كانوا • أي في الدنيا • كافرين • عابدين لما لا يستحق العبادة أصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله
ولعله أريد بوقت مجيء الرسل والتوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي إلى انتهائه يوم الجزاء بناء على تحقق
المجيء والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وإن كان حدوثهما في أوله فقط أو قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء
كأنهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته وإلا فهذا السؤال والجواب

وما ترتب

وما ترتب عليهما من الأمر بدخول النار وما جرى بين أهلها من التلاعن والتقاول مما يكون بعد البعث لا محالة •
قال • أي الله عز وجل بالذات أو بواسطة الملك • ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم • أي كائنين في جملة أمم
مصاحبين لهم • من الجن والإنس • يعني كفار الأمم الماضية من النوعين • في النار • متعلق بقوله ادخلوا • كلما
دخلت أمة • من الأمم السابقة واللاحقة فيها • لعنت أختها • التي ضلت بالاقتداء بها • حتى إذا اداركوا
فيها جميعا • أي تداركوا وتلاحقوا في النار • قالت أخراهم • دخولا أو منزلة وهم الأتباع • لأولاهم • أي لأجلهم
إذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم • ربنا هؤلاء أضلونا • سوّلوا لنا الضلال فاقتدينا بهم • فآتهم عذابا ضعفا • أي
مضاعفا • من النار • لأنهم ضلوا وأضلوا • قال لكل ضعف • أما القادة فبما ذكر من الضلال والإضلال
وأما الأتباع فلكفرهم وتقليدهم • ولكن لا تعلمون • أي ما لكم وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء • وقالت
أولاهم • أي مخاطبين • لأخراهم • حين سمعوا جواب الله تعالى لهم • فما كان لكم علينا من فضل • أي فقد ثبت
أن لا فضل لكم علينا وأنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب • فذوقوا العذاب • المعهود المضاعف
• بما كنتم تكسبون • من قول القادة • إن الذين كذبوا بآياتنا • مع وضوحها • واستكبروا عنها • أي عن
الإيمان بها والعمل بمقتضاها • لا تفتح لهم أبواب السماء • أي لا تقبل أدعيتهم ولا أعمالهم أو لا تعرج إليها
أرواحهم كما هو شأن أدعية المؤمنين وأعمالهم وأرواحهم والتاء في تفتح لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها
وقرئ بالتخفيف وبالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات وبالياء على أنه لله تعالى
• ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط • أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم فيما هو علم في
ضيق المسلك وهو ثقبة الإبرة وفي كون الجمل مما ليس من شأنه الولوج في سم الإبرة مبالغة في الاستبعاد
وقرئ الجمّل كالقمّل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب
وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط أي ما يخاط به كالحزام والمحزم • وكذلك
أي ومثل ذلك الجزاء الفظيع • نجزي المجرمين • أي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا أوليا • لهم من جهنم
مهاد • أي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم • ومن فوقهم غواش • أي أغطية والتنوين بدل
من الإعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على إلغاء المحذوف كما في قوله وله الجوار المنشآت • وكذلك
أي ومثل ذلك الجزاء الشديد • نجزي الظالمين • عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى إشعارا بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا
بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على أنه أعظم
الجرائم والجرائر • والذين آمنوا • أي بآياتنا أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا أوليا وقوله تعالى
• وعملوا الصالحات • أي الأعمال الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها • لا نكلف نفسا إلا وسعها •
اعتراض وسط بين المبتدأ الذي هو الموصول والخبر الذي هو الجملة • أولئك أصحاب الجنة • للترغيب في اكتساب ما يؤدي
إلى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسير تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الإشارة مبتدأ وأصحاب الجنة خبره والجملة خبر
للمبتدأ الأول أو اسم الإشارة بدل من المبتدأ الأول الذي هو الموصول والخبر أصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للإيذان
ببعد منزلتهم في الفضل والشرف • هم فيها خالدون • حال من أصحاب الجنة وجواز كونه حالا من الجنة لاشتماله على

ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبر لاولئك وعلى رأى من جوزه وفيها متعلق بخالدون • ونزعنا
ما في صدورهم من غل • اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادد وصيغة الماضي
للايذان بتحققه وتقرره وعن علي رضي الله عنه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم • تجرى من تحتهم
الانهار • زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير في صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف
او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل هي مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم • وقالوا الحمد لله الذي
هدانا لهذا • اى لما جزاؤه هذا • وما كنا لنهتدي • اى لهذا المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها
لولا ان هدانا الله • واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول
نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد ولارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي
الى آخره بغير واو على انها مبينة ومفسرة للاولى • لقد جاءت رسل ربنا بالحق • جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا
بما نالوه وابتهاجا بان ما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء في بالحق اما للتعدية فهي متعلقة بجاءت
او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اى والله لقد جاؤا بالحق او لقد جاؤا متلبسين بالحق • ونودوا
اى نادتهم الملائكة • ان تلكم الجنة • ان مفسرة لما في النداء من معنى القول ومخففة من انّ والضمير الشان
محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها
واما للاشعار بانها الجنة التي وعدوها في الدنيا • اورثتموها بما كنتم تعملون • في الدنيا من الاعمال الصالحة اى
اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتداء
وخبر او الجنة صفته والخبر اورثتموها • ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار • تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار و
تحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم • ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا • حيث نلنا هذا
المنال الجليل • فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا • حذف المفعول من الفعل الثاني اسقاطا لهم عن رتبة
التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث و
الحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم • قالوا نعم • اى
وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه • فاذن مؤذن • قيل هو صاحب الصور • بينهم • اى بين الفريقين
ان لعنة الله على الظالمين • بان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة
على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال • الذين يصدون عن سبيل الله • صفة مقررة للظالمين
او رفع على الذم او نصب عليه • ويبغونها عوجا • اى يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن
الحق وهو ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان منتصبا كالرمح و
الحائط • وهم بالآخرة كافرون • غير معترفين • وبينهما حجاب • اى بين الفريقين كقوله فضرب بينهم
بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى • وعلى الاعراف • اى على اعراف الحجاب
واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه
يظهر ما عرف من غيره • رجال • طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله

فيهم

فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون
في صور الرجال • يعرفون كلا • من اهل الجنة واهل النار • بسيماهم • بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض
الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون
ذلك بالالهام او تعليم الملائكة • ونادوا • اى رجال الاعراف • اصحاب الجنة • حين رأوهم • ان سلام
عليكم • بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره • لم يدخلوها • حال من فاعل نادوا
وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اى لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون
• واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار • اى الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة
والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه
• قالوا • متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم • ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين • اى في النار وفي وصفهم بالظلم
دون ما هم عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس
العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم • ونادى اصحاب الاعراف • كرر ذكرهم مع كفاية
الاضمار لزيادة التقرير • رجالا • من رؤساء الكفرة حين رأوهم فيما بين اصحاب النار • يعرفونهم بسيماهم
الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا • قالوا • بدل من نادى • ما اغنى عنكم • استفهام
استهزاء تبنية للتوبيخ والتقريع او نافية • جمعكم • اى اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال • وما كنتم تستكبرون
ما مصدرية اى ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده
وقرئ تستكثرون من الكثرة اى من الاموال والجنود • اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة • من تتمة
قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا انهم
لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
• ادخلوا الجنة • تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين على رغم انوفهم • لا خوف عليكم • بعد هذا
ولا انتم تحزنون او قيل لاصحاب الاعراف فقالوا لهم والاظهر ان يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين
في العمل لان هذه المقالات وما يتفرع عليها من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب
النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء الى آخره وقرئ
ادخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا في حقهم لا خوف عليكم • ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
بعد ان استقر كل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار • ان افيضوا علينا من الماء • اى صبوه وفيه
دلالة على ان الجنة فوق النار • او مما رزقكم الله • من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان
الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة • قالوا • استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل
قالوا • ان الله حرمهما على الكافرين • اى منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل لهم الى ذلك قطعا • الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا • كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما
لا يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب • وغرتهم الحيوة الدنيا • بزخارفها العاجلة

فاليوم ننساهم • نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا فالفا
في فاليوم فصيحة وقوله تعالى • كما نسوا لقاء يومهم هذا • في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي
ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تع • وما كانوا
بآياتنا يجحدون • عطف على ما نسوا • اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تع انكارا مستمرا • ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه • اي بينا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ والنظر للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب
الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن • على علم • حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى
جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير معرى فصلناه اي على ساير الكتب عالمين بفضله • هدى
ورحمة • حال من المفعول • لقوم يؤمنون • لانهم المنتفعون بآثاره المقتبسون من انواره • هل ينظرون
الا تأويله • اي ما ينتظروا هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به
من الوعد والوعيد • يوم ياتي تأويله • وهو يوم القيمة • يقول الذين نسوه من قبل • اي تركوه ترك المنسي
من قبل اتيان تأويله • قد جاءت رسل ربنا بالحق • اي قد تبين انهم قد جاؤوا بالحق • فهل لنا من شفعاء
فيشفعوا لنا • اليوم ويدفعوا عنا العذاب • او نرد • اي هل نرد الى الدنيا • وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا
او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني
ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد • فنعمل • بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني
وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل • غير الذي كنا نعمل • اي في الدنيا • قد خسروا انفسهم • بصرف اعمارهم التي هي راس
مالهم الى الكفر والمعاصي • وضل عنهم ما كانوا يفترون • اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء
لله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة • ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام • شروع في بيان مبدأ
الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة
اوقات كقوله تع ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع
الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على
الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور • ثم استوى على العرش • اي استوى امره واستولى
وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تع بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه
الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه
بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك • يغشي الليل النهار • اي يغطيه به ولم يذكر
العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار
يطلبه حثيثا • اي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وموصوفه محذوف
او حال من الفاعل بمعنى حاثا او من المفعول اي محثوثا • والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره • اي
خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر • الا له الخلق والامر
فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق • تبارك الله رب العالمين • اي تعالى بالوحدانية في الالوهية

وتعظم

وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد
هو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها
بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تع فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق
جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الآثار والافعال واشار اليه بقوله
تعالى وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها
اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم عالم الملك عمد
الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام
ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين
متذللين فقال • ادعوا ربكم • الذي قد عرفتم شئونه الجليلة • تضرعا وخفية • اي ذوي تضرع وخفية
فان الاخفاء دليل الاخلاص • انه لا يحب المعتدين • اي لا يحب دعاء المجاوزين لما امروا به في كل شيء فيدخل
فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء و
الصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلعم سيكون قوم يعتدون
في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين • ولا تفسدوا في الارض • بالكفر والمعاصي • بعد
اصلاحها • ببعث الانبياء وشرع الاحكام • وادعوه خوفا وطمعا • اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم و
عدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه • ان رحمة الله قريب من المحسنين • في كل شيء ومن
الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اي
امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب
من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف كما اكتسب المضاف التانيث • وهو الذي يرسل الرياح •
عطف على الجملة السابقة وقرئ • بشرا • تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر
بشره بمعنى بشره او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات ومفعول مطلق فان الارسال
والنشر متقاربان • بين يدي رحمته • قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدره والدبور تفرقه • حتى اذا اقلت • اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله • سحابا
ثقالا • بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب • سقناه • اي السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ • لبلد ميت •
اي لاجله ولمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت • فانزلنا به الماء • اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق
او بالريح والتذكير باول المذكور وكذلك قوله تع • فاخرجنا به • ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر
واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية • من كل الثمرات •
اي من كل انواعها • كذلك نخرج الموتى • الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه

باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس
الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس • لعلكم تذكرون • بطرح احدى التائين اي تتذكرون فتعلمون
ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة • والبلد الطيب • اي الارض الكريمة التربة • يخرج نباته باذن ربه •
بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله • والذي خبث •
من البلاد كالسبخة والحرة • لا يخرج الا نكدا • قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث
لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرج البلد
نباته الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف • كذلك • اي مثل ذلك التصريف البديع
• نصرف الآيات • اي نرددها ونكررها • لقوم يشكرون • نعمة الله تع فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى
مثل لارسال الرسل عم بالشرائع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها و
المحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما حققه وقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستئناف
فقيل • لقد ارسلنا نوحا الى قومه • وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الخ واطراد استعمال
هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتأكيد الجملة المقسم
عليها ونوح هو ابن لملك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عم قال ابن عباس رض بعث عم على
راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين
وخمسين سنة فكان عمره الفا ومائتين واربعين وقال مقاتل رح بعث وهو ابن مائة سنة وقيل هو ابن خمسين
سنة وقيل هو ابن مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة • فقال يا قوم
اعبدوا الله • اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك
فليست من العبادة في شيء وقوله تع • ما لكم من اله غيره • اي من مستحق للعبادة استيناف مسوق
لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او
الفاعلية وقرئ باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي
ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا او غير زيد ومن اله ان جعل مبتدأ فلكم خبره او خبر محذوف
ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله • اني اخاف عليكم • اي ان لم تعبدوه
حسبما امرت به • عذاب يوم عظيم • هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف
عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار • قال
الملأ من قومه • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عم كأنه قيل فماذا قالوا له عليه السلام
في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم
وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم • انا لنراك في ضلال • اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية
ومفعولاها الضمير والظرف • مبين • بين كونه ضلالا • قال • استئناف كما سبق • يا قوم • ناداهم
باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق • ليس بي ضلالة • اي شيء ما من الضلال قصد عليه السلام تحقيق الحق

في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له عم حيث جعلوه مستقرا في الضلال الواضح
كونه ضلالا وقوله تع • ولكني رسول من رب العالمين • استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه
في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كأنه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني
في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب العالمين • ابلغكم رسالات
ربي • استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا
الذي سمتني امي حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان
المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تع به عم بعد بيان عمومها
للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عم من موجبات امتثاله بامره
تع بتبليغ رسالته • وانصح لكم • عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه
للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصالحهم خاصة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما
يعرب عنه قوله تع رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تع • واعلم من الله ما لا تعلمون • عطف على ما قبله وتقرير
لرسالته عم اي اعلم من جهته تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤنه عز وجل وقدرته القاهرة
وبطشه الشديد على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم
العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون ما علمه نوح عم بالوحي • او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم •
جواب ورد لما اكتفى عن ذكره بقولهم انا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله
لانزل ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اي
وحي او موعظة من مالك اموركم ومربيكم • على رجل منكم • اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تع ما وعدتنا على رسلك
وقلتم لاجل ذلك ما قلتم من ان الله تع لو شاء لانزل ملائكة • لينذركم • علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي •
ولتتقوا • عطف على العلة الاولى مرتبة عليها • ولعلكم ترحمون • عطف على العلة الثانية مرتبة عليها اي ولتتعلق
بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هي منوطة بفضل
الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله عز وجل • فكذبوه • فتمادوا على تكذيبه في دعوى
النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة
المتطاولة بعدما كرر عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله تع رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا الآيات اذ هو الذي يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب • فانجيناه والذين معه • من
المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة ابناؤه الثلثة وستة ممن آمن به وقوله
تعالى • في الفلك • متعلق بالاستقرار في الظرف اي استقروا معه في الفلك وصحبوه فيه او بفعل الانجاء اي انجيناهم
في السفينة من الطوفان فيتعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الظرف • واغرقنا الذين كذبوا باياتنا •
اي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اتباعهم

وتقديم ذكر الإنجاء على الإغراق للمسارعة إلى الإخبار به والإيذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات
وتقدمها على الغضب الذي يظهر أثره بمقتضى جرائمهم ﴿إنهم كانوا قوما عمين﴾ عمي القلوب غير
مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ
عامين والأول أدل على الثبات والقرار ﴿وإلى عاد﴾ متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى أرسلنا في قصة
نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله تعالى ﴿أخاهم﴾ أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم أي واحدا منهم في النسب لا في
الدين كقولهم يا أخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق وأخاهم معطوف على نوحا والأول
هو الأولى وأياما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذار عن الإضمار قبل الذكر يرشدك إلى
ذلك ما سيأتي من قوله تعالى ولوطا الخ فإن قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره وبين القصص الثلاث
وقوله تعالى ﴿هودا﴾ عطف بيان لأخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن إرم بن سام
بن نوح عليه السلام وقيل هو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن عم أبي عاد وإنما جعل منهم لأنهم أفهم
لكلامه وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وأقرب إلى اتباعه ﴿قال﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
إرساله إليهم كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال ﴿يا قوم اعبدوا الله﴾ أي وحده كما يعرب عنه قوله
﴿ما لكم من إله غيره﴾ فإنه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها أو للأمر بها كأنه قيل خصوه
بالعبادة ولا تشركوا به شيئا إذ ليس لكم إله سواه وغيره بالرفع صفة لإله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه
﴿أفلا تتقون﴾ إنكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعدما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام أي ألا تتفكرون أو أتغفلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا أو أتعقلون ذلك
فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود أفلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية
كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى إن أنتم إلا مفترون وقس
على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من أجزاء القصة بل حال نظائرها في سائر القصص لا سيما في الآيات
الجارية في الأوقات المتعددة والله أعلم ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ استئناف كما مر وإنما وصف
الملأ بالكفر إذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن به عليه السلام ولكن كان يكتم إيمانه كمرثد بن سعد
وقيل وصفوا به لمجرد الذم ﴿إنا لنراك في سفاهة﴾ أي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين
آبائك إلا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ أي فيما ادعيت من الرسالة
قالوه لعراقتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح ﴿قال﴾ مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم
ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء ﴿يا قوم ليس بي سفاهة﴾ أي شيء منها
ولا شائبة من شوائبها ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه و
يقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والأمانة فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما
كأنه قيل ليس بي شيء مما تنسبونني إليه لكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما
في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما أفاده التنوين من

الفخامة

الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وقوله تعالى ﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ استئناف سيق لتقرير رسالته
وتفصيل أحواله وقيل صفة أخرى لرسول وقرئ أبلغكم من الإبلاغ ﴿وأنا لكم ناصح أمين﴾ معروف بالنصح
والأمانة مشهور بين الناس بذلك وفي المجيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وإيذان بأن من هذا
حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة والكذب ﴿أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ الكلام فيه كالذي مر
في قصة نوح عليه السلام ﴿على رجل منكم﴾ أي من جنسكم ﴿لينذركم﴾ ويحذركم عاقبة ما أنتم عليه من الكفر والمعاصي
حتى تنسبونني إلى السفاهة والكذب وفي إجابة الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه من يشافههم بالأخرقية من
أمثال تلك الأباطيل بما حكي عنهم من المقالات الخفيفة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من
الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الأخلاق ما لا يخفى مكانه ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ شروع
في بيان ترتب أحكام النصح والأمانة والإنذار وتفصيلها وإذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية
وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب
ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضر كانت
هي حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كأنه قيل لا تعجبوا من ذلك أو تدبروا
في أمركم واذكروا وقت جعله تعالى إياكم خلفاء ﴿من بعد قوم نوح﴾ أي في مساكنهم أو في الأرض بأن
جعلكم ملوكا فإن شداد بن عاد ممن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى شحر عمان ﴿وزادكم في الخلق﴾
أي في الإبداع والتصوير أو في الناس ﴿بسطة﴾ قامة وقوة فإنه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم
الأجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير منهم ستين ذراعا ﴿فاذكروا
آلاء الله﴾ التي أنعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير
وتعميم إثر تخصيص ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي يؤديكم ذلك إلى الشكر المؤدي إلى النجاة من الكروب و
الفوز بالمطلوب ﴿قالوا﴾ مجيبين عن تلك النصائح العظيمة ﴿أجئتنا لنعبد الله وحده﴾ أي لتخصيصه
بالعبادة ﴿ونذر ما كان يعبد آباؤنا﴾ أنكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والإعراض
عن عبادة الأوثان لانهماكهم في التقليد وحبهم لما ألفوه وألفوا أسلافهم عليه ومعنى المجيء إما المجيء
من متعبده ومعتزله وإما من السماء على التهكم وإما القصد والتصدي كما يقال مجازا في مقابلة
ذهب يشتمني من غير إرادة معنى الذهاب ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب المدلول عليه بقوله
تعالى ﴿أفلا تتقون﴾ ﴿إن كنت من الصادقين﴾ أي في الإخبار بنزول العذاب وجواب إن محذوف
لدلالة المذكور عليه أي فأتنا به ﴿قال قد وقع عليكم﴾ أي وجب وحق أو نزل بإجرامكم
فهذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى أتى أمر الله ﴿من ربكم﴾ أي من جهته
تعالى وتقديم الظرف الأول على الثاني مع أن مبدأ الشيء مقدم على منتهاه للمسارعة إلى بيان إصابة
المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى ﴿رجس﴾ مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر
ولأن فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى ﴿وغضب﴾ فربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم

والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما
للتفخيم والتهويل • أتجادلونني في أسماء • عارية عن المسمى • سميتموها • انتم وآباؤكم • انكار
واستقباح لانكارهم مجيئه عم داعياً لهم الى عبادة الله تع وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني
في اسماء سميتموها آلهة ليست هي الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية
شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك [illegible]
لتحقق بطلان ما هم عليه • فانتظروا • مترتب على قوله تع قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم
فأتنا بما تعدنا • اني معكم من المنتظرين • لما يحل بكم والفاء في قوله تع • فانجيناه • فصيحة
كما في قوله فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه • والذين معه • اي في الدين • برحمة • اي عظيمة لا يقادر
قدرها وقوله تع • منا • اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهومة
من تنكيرها بالفخامة الاضافية • وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا • اي استأصلناهم بالكلية ودمرناهم
عن آخرهم • وما كانوا مؤمنين • عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب
ولم يرعووا عن ذلك ابداً وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة
هو الايمان بالله تع وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عاداً قوم كانوا باليمن
بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء
وصمود والهباء فبعث الله تع اليهم هوداً نبياً وكان من اوسطهم وافضلهم حسباً فكذبوه وازدادوا
عتواً وتجبراً فامسك الله تع عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا
الى الله تع الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن
سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلاً منهم قيل بن عنز
ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من
الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم قينتا
معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري
وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين
فقالتا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا
غماما • فيسقي ارض عاد ان عاداً • قد امسوا لا يبينون الكلاما • فلما غنتا به قالوا ان قومكم
يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال
لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تع سقيتم واظهر اسلامه
فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثداً لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة
فقال قيل اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى
مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت

على عاد

على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح
عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا • والى ثمود اخاهم
صالحاً • عطف على ما سبق من قوله تع والى عاد اخاهم هوداً موافق له في تقديم المجرور على المنصوب
وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عامر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة
مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف تأويلاً بالحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي
القرى واخوة صالح عم لهم من حيث النسب كهود عم فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد
بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عم اليهم مظنة لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جواباً
عنه بطريق الاستئناف • قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره • وقد مر الكلام في نظائره • قد جاءتكم
بينة • اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق في
الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة افراداً وجمعاً وكذلك الحسنة والسيئة
سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة ولذلك وليت العوامل وقوله تعالى
• من ربكم • متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام
منه عم اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تع فلم يقبلوا كلامه
وكذبوه الا ترى الى ما في سورة هود من قوله تع هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها الى آخر الآيات
روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعماراً طوالاً حتى ان الرجل
كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا
على الله تع وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً وصالح من اوسطهم
نسباً فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية
آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعوا الهك وندعوا آلهتنا فان
استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة
فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا
من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك
فاخذ صالح عم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله
وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولداً مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس
من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غباً فاذا كان يومها
وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون
ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع
البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان

عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا
لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن
يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا و
وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا
العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا
بالصبر وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله
تعالى هذه ناقة الله لكم آية استئناف مسوق لبيان البينة وإضافة الناقة إلى الاسم الجليل
لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا أسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت آية وأي آية و
لكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الإشارة ويجوز أن يكون ناقة الله
بدلا من هذه أو عطف بيان له أو مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية
من آيات الله تعالى فإن ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تأكل في أرض الله جواب الأمر أي
الناقة ناقة الله والأرض أرض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في أرض ربها فليس لكم أن تحولوا بينها وبينها
وقرئ تأكل بالرفع على أنه في موقع الحال أي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب إما للاكتفاء عنه بذكر الأكل
أو لتعميمه له أيضا كما في قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب
يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالشر الشامل لأنواع الأذية
ونكر السوء مبالغة في النهي أي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها أصلا ولا تطردوها ولا تريبوها إكراما
لآية الله تعالى فيأخذكم عذاب أليم جواب للنهي ويروى أن رسول الله صلعم حين مر بالحجر في غزوة تبوك
قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا
باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال عم لعلي رضي الله عنه يا علي أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله
أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك واذكروا إذ
جعلكم خلفاء من بعد عاد أي خلفاء لهم كائنين وبوأكم في الأرض أي جعل لكم مباءة ومنزلا في أرض
الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استئناف مبين لكيفية التبوئة أي
تبنون في سهولها قصورا رفيعة أو تبنون من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن
والآجر وتنحتون الجبال أي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كما في قوله
ينباع من ذفرى أسيل حرة والنحت نجر الشيء الصلب وانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى
بيوتا على أنها حال مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبل على إسقاط الجار
أي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز أن يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية
قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي أنعم بها عليكم
مما ذكر أو جميع الآلاء التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الأرض مفسدين فإن حق الآلاء أن تشكر

ولا تهمل

ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعتو في الأرض بالفساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه
أي عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى يا قوم الخ واللام
في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول بإعادة العامل
بدل الكل إن كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض إن كان للذين استضعفوا على أن المستضعفين من لم
يؤمن والأول هو الوجه إذ لا داعي إلى توجيه الخطاب أولا إلى جميع المستضعفين مع أن المجيب هو المؤمنون
منهم على أن الاستضعاف مختص بالمؤمنين أي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم أتعلمون
أن صالحا مرسل من ربه وإنما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون
عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا نعم أو نعلم أنه مرسل منه تعالى مسارعة إلى تحقيق
الحق وإظهار ما لهم من الإيمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على أن أمر إرساله
من الظهور بحيث لا ينبغي أن يسأل عنه وإنما الحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به قال الذين استكبروا
أعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير إيذانا بأنهم [illegible] وردا لمقالتهم فعقروا الناقة أي نحروها أسند
العقر إلى الكل مع أن المباشر بعضهم للملابسة أو لأن ذلك لما كان برضاهم فكأنه فعله كلهم وفيه من تهويل
الأمر وتفظيعه بحيث أصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن أمر ربهم أي استكبروا عن امتثاله
وهو ما بلغهم صالح عم من الأمر والنهي وقالوا مخاطبين له عم بطريق التعجيز والإفحام على زعمهم
يا صالح ائتنا بما تعدنا أي من العذاب والإطلاق للعلم به قطعا إن كنت من المرسلين
فإن كونك من المرسلين يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فأخذتهم الرجفة
أي الزلزلة لكن لا إثر ما قالوا بل بعدما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الأيام الثلاثة حسبما
مر تفصيله فأصبحوا في دارهم أي صاروا في أرضهم وبلدهم أو في مساكنهم جاثمين خامدين موتى
لا حراك بهم وأصل الجثوم البروك للإبل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب
وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الأخذ وسرعة البطش اللهم إنا نعوذ بك
من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين قيدا ما بعا له غير مقصود بالذات وقيل حيث ذكرت الرجفة وحدت
الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لأن الصيحة كانت من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة فقرن كل منهما
بما هو أليق به فتولى عنهم إثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الإيمان متحزنا
عليهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم
وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين حكاية
حال ماضية أي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه السلام بذلك كما خاطب رسول
الله صلعم أهل قليب بدر حيث قال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل
إنما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عليه السلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم
على ما هم عليه وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزول العذاب بهم يوم السبت وروي أنه خرج

في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة
دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق
وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه في قصة هود عم
وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابراهيم
مهاجرا الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم
وهو بلد بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف لمضمر المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ
ولعل تقييد ارساله عم بذلك ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل
اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عم لقومه اتاتون الفاحشة بطريق الانكار
التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتمادية في القبح والسوء ما سبقكم بها
ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عم سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله
ومن في قوله تعالى من احد مزيدة لتاكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله تعالى من العالمين للتبعيض
والجملة مستانفة مسوقة لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد
انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي
كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين [illegible]
مرارا في نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل من جهتهم لم لا نأتيها
فقيل ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار
ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم
الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس
عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال
الكلبي ان اول من فعل به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه
ثم عبثوا بذلك العمل انكم لتاتون الرجال خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين
الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام مزيد تقبيح و
تقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تاكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما
مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موضع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة
وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز
ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون
النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم قوم
مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي افضت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف
في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم

الاسراف

الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله
تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الاشياء الا
قولهم اي لبعضهم الآخرين المباشرين للامور معرضين عن مخاطبته عم اخرجوهم اي لوطا ومن معه
من اهله المؤمنين من قريتكم اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عم وقرئ برفع جواب
على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها وهو اظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق
بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عم ومواعظه الا هذه المقالة
الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم و
بينه عم الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور
الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج
ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة
كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه واهله اي المؤمنين منهم الا امراته استثناء من اهله فانها
كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين اي الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها
لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الانجاء
كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد
بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا
بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر
عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم
فوقع عليه وروي ان امراته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب
لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف
على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اي
وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عم شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن ثويب
بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عم لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس
للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ عن حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال
لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة اي معجزة وقوله
تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لها مؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من تنكيرها بفخامة
الاضافة اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم تذكر معجزته عم في القرآن العظيم كما لم تذكر اكثر معجزات
النبي صلعم فمنها ما روي من محاربة عصا موسى عم التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد
ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى
عليه السلام وقيل البينة مجيئه عم كما في قوله تعالى يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر

بها عما آتاه الله من النبوة والحكمة • فأوفوا الكيل • أي الكيل كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله والميزان
فإن الميزان ... لا يجوز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الإضمار والعاية ... الأمر على ... البينة
ويجوز أن يكون عاطفة على العبد فإن عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن القبائح والنواهي التي معظمها بعد الكفر البخس
الذي كانوا يباشرونه • ولا تبخسوا الناس أشياءهم • التي تشترونها بها معتمدين على تمامها أي شيء كان وأي مقدار
كان فإنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه وقال زهير أفي
كل أسواق العراق إتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم • ولا تفسدوا في الأرض • أي بالكفر والحيف
بعد إصلاحها • بعد إصلاح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم بإجراء الشرائع وإصلاحها فيها وإضافته إليها كإضافة مكر الليل
والنهار • ذلكم خير لكم • إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية إما الزيادة مطلقا أو في الإنسانية وحسن
الأحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لأن الناس إذا عرفوهم بالأمانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم • إن كنتم
مؤمنين • أي مصدقين بي في قولي هذا • ولا تقعدوا بكل صراط توعدون • أي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان
وصراط الحق وإن كان واحدا لكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام وكانوا إذا رأوا أحدا يشرع في شيء منها منعوه
وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل
يقطعون الطريق • وتصدون عن سبيل الله • أي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل
صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه والإيمان بالله وبكل صراط على أنه عبارة عن طرق الدين وقوله
تعالى • من آمن به • مفعول تصدون على إعمال الأقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من
الضمير في تقعدوا • وتبغونها عوجا • أي وتطلبون لسبيل الله عوجا بإلقاء الشبه أو بوصفها للناس بأنها معوجة
وهي أبعد شيء من شائبة الاعوجاج • واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم • بالبركة في النسل والمال • وانظروا كيف كان
عاقبة المفسدين • من الأمم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واعتبروا بهم • وإن كان
طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به • من الشرائع والأحكام • وطائفة لم يؤمنوا • أي به أو لم يفعلوا الإيمان •
فاصبروا حتى يحكم الله بيننا • أي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين • وهو خير الحاكمين
• إذ لا معقب لحكمه ولا حيف • قال الملأ الذين استكبروا من قومه • استئناف مبني على سؤال ينساق إليه
المقال كأنه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من
الطاعة له بالعتو والاستكبار إلى أن قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه من المؤمنين وأجبروا على الكراهيم
عليه بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي • لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا • نسبة الإخراج
إليه عليه السلام أولا وإلى المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على أصالته عليه السلام في الإخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله
تعالى • معك • فإنه متعلق بالإخراج لا بالإيمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد
الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان أي والله لنخرجنك وأتباعك • من قريتنا • بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على
المساكنة والجوار وقوله تعالى • أو لتعودن في ملتنا • عطف على جواب القسم أي والله ليكونن أحد الأمرين ألبتة
على أن المقصد الأصلي هو العود وإنما ذكر النفي والإجلاء لمحض القسر والإلجاء كما ينفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الإخراج

كأنهم

كأنهم قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وإدخالهم له عليه السلام في خطاب العود مع استحالة كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك
إنما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وإنما لم يقولوا أو لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما أن مرادهم أن يعودوا إليها
بصورة الطلاعية حذرا الإخراج باختيارهم على الشرك لا أعادتهم بسائر وجوه الإكراه والتعذيب • قال •
استئناف كما سبق أي قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في أيمانهم الفاجرة • أولو كنا كارهين • على أن
الهمزة لإنكار الوقوع ونفيه لا لإنكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى أولو جئتك بشيء مبين ويجوز أن يكون إلا
الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر أن كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي
لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية إلا عند القصد إلى
بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات أو بالواسطة
من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة
له ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه من الأحوال على الإجمال بإدخالها بطريق الأولوية لما أن
الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى
عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم
إنها لاستقصاء الأحوال على سبيل الإجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والأمر والنهي كما في قولك فلان
جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك أحسن إليه ولو أساء إليك ولا تهنه ولو أهانك لبقائه على
حاله ساما يغايره وأما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الإنكار عليه لكن الأصل في الكل واحد إلا أن كلمة لو
في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وإن ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وأن
الجملة حال من ضميره أو مما يتعلق به وإن ما في حيزها منزل على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه إن كلمة لو متعلقة
فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وإنما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وأن الجملة حال من ضميره
لا من ضمير المذكور كما سيأتي وأن المقصود الأصلي إنكار مدلوله من حيث مقارنته لما ذكر وأما تقدير مقارنته
لغيرها فلتوسيع الدائرة وأن ما في حيزها لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الإشعار بأنه أمر متقرر إلا أنه أخرج مخرج
الاستبعاد مبالغة في الإنكار من جهة أن العود مما ينكر عند كون الكراهة أمرا مستبعدا فكيف به عند كونها أمرا محققا
ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في
ملة الكفر ابتداء حتى يقال إنها معلومة لهم فكيف يكون مستبعدة عندهم بل إنما هي كراهتهم له بعد وعيد الإخراج الذي
جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو أنا كتبنا الآية الخ فإنهم كانوا يستبعدونها ويطمعون أنهم حينئذ يختارون العود
خشية الإخراج إذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو أشد منه وأفظع والتقدير أنعود فيها لو لم نكن كارهين
غير مبالين بالإكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما أشير إليه أي أنعود فيها حال
عدم الكراهة وحال الكراهة إنكارا لما يعيده كلمتهم الشنعاء بإطلاقها من العود على أي حالة كانت غير أنه اكتفى
بذكر الحالة الثانية التي هي أشد الأحوال منافاة للعود وأكثرها بعدا منه تنبيها على أنها هي الواقعة في نفس الأمر
وثقة بإغنائها عن ذكر الأولى إغناء واضحا لأن العود الذي يتعلق به الإنكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم

فلان يحقق مع عدمها اي ان قلت النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي
ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفي لا الى ما اعتبر الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند
الحالة المسكوت عنها اعني عدم النفي هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند
عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قوله تعالى العود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال بينهما قلت ان
مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي
المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم
لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه
ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الاخر
بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا يستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا ترى انك لو قلت مكان انعود فيها الخ
لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول النظم نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول
الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما همزة
الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى تتعلق
معناها بنفس الفعل الخ بل هما ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام
فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما لتكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار
والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغنيا عن ذكر ما عداه لاستلزام تحققه
معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك اي مغنيا عن ذكر سائر الاحوال
ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه بخلاف ذلك اي غير مغن
عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه في حال الارادة
مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن
عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فاذا اسقطا منهما جميعا عند ذكر المعطوفين
معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو
كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ فما وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه الا ان معنى احدهما عين معنى الاخر وانهما
متلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين
منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود في الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثاني مصحح لنفي العود في الحالتين مع الاقتصار
على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة • قد افترينا على الله
كذبا • اي كذبا عظيما لا يقادر قدره • ان عدنا في ملتكم • التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان
عدنا في ملتكم • بعد اذ نجانا الله منها • فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء
وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه
جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا • وما يكون لنا • اي وما يصح وما يستقيم لنا • ان نعود فيها •

في حال

في حال من الاحوال اي في وقت من الاوقات • الا ان يشاء الله • اي الا حال مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى
لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى • ربنا • فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما
ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى منها من دلائل عدم
مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد
بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها
كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى
• وسع ربنا كل شيء علما • فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم و
نياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما
ينطق به قوله تعالى • على الله توكلنا • اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بالنجاة من الاشرار
بالكلية واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى • ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق • اعراض عن مقاولتهم ومفاوضتهم اثر ما ظهر له عتوهم من العتو والعناد وتيقن انهم لا يتصور منهم الايمان واقبال
على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر
امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه • وانت خير الفاتحين • تذييل مقرر
لمضمون ما قبله على المعنيين • وقال الملأ الذين كفروا من قومه • عطف على قال الملأ الذين الى آخره ولعل
هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام بامورهم حسبما يراه
المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو
الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب ومن معه من المؤمنين
في الايمان وخافوا ان يتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمي والله
• لئن اتبعتم شعيبا • ودخلتم في دينه وتركتم دين آبائكم • انكم اذا لخاسرون • اي في الدين لاشترائكم الضلالة
بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها
والجملة سادة مسد جوابي الشرط والقسم الذي وطأته اللام • فاخذتهم الرجفة • اي الزلزلة وهكذا في سورة
العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند
هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى • فاصبحوا في دارهم • اي مدينتهم وفي سورة هود وفي ديارهم
• جاثمين • اي ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها • الذين كذبوا شعيبا • استئناف لبيان ابتلائهم
بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله
تعالى • كان لم يغنوا فيها • اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك
وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى • الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين •
استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر
في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا

والذين لا المستبد لهم وبهذا القصر الكنى عن التصريح بإنجائهم كما وقع في سورة هود من قوله تعالى • ولما جاء
أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه إلى آخره • فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم • قاله
بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه ذلك فقال • فكيف آسى • أي أحزن حزنا شديدا • على قوم
كافرين • مصرين على الكفر ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذارا من عدم شدة حزنه عليهم والمعنى
لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ إيسى
بإمالتين • وما أرسلنا في قرية من نبي • إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم إثر بيان أحوال الأمم المذكورة
تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد النفي والصفة محذوفة أي من نبي كذب أو كذبه أهلها • إلا أخذنا أهلها • استثناء مفرغ من
أعم الأحوال وأخذنا في محل النصب على أنه حال من فاعل أرسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد إلا إلا بأحد شرطين إما تقدير قد كما في
هذه الآية أو مقارنة قد كما في قولك ما زيد إلا قد قام والتقدير وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الأنبياء في حال
من الأحوال إلا حال كوننا آخذين أهلها • بالبأساء • بالبؤس والفقر • والضراء • بالضر والمرض لكن لا على معنى أن
ابتداء الإرسال مقارن للأخذ المذكور بل على أنه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه
حسبما فعلت الأمم المذكورة • لعلهم يضرعون • كي يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة عن أكتافهم كقوله تعالى
ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون • ثم بدلنا • عطف على أخذنا داخل في حكمه • مكان
السيئة • التي أصابتهم لغاية المذكورة • الحسنة • أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة
كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات • حتى عفوا • أي كثروا عددا وعددا من عفا النبات إذا كثر وتكاثف وأبطرتهم
النعمة • وقالوا • غيرا وأقفين على أن ما أصابهم من الأمرين ابتلاء من الله سبحانه • قد مس آباءنا الضراء والسراء • كما مسنا ذلك
وما هو إلا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير أن يكون هناك داعية تؤدي إليهما أو تبعة تترتب
عليهما ولعل تأخير السراء للإشعار بأنها تعقب الضراء فلا ضير فيها • فأخذناهم • إثر ذلك • بغتة • فجأة أشد
الأخذ وأفظعه • وهم لا يشعرون • بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا
الآية وليس المراد بالأخذ بغتة إهلاكهم طرفة عين كإهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين الأخذ وإتمام الإهلاك
أيام كعذاب ثمود • ولو أن أهل القرى • أي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى
وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها انتظاما أوليا • آمنوا • بما أوحي إلى أنبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء
والسراء • واتقوا • أي الكفر والمعاصي أو واتقوا ما أنذروا به على ألسنة الأنبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم
يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك • لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض • لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما أصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من
السماء وبعضها من الأرض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير • ولكن كذبوا • أي ولكن لم يؤمنوا
ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الأول لاستلزامه للثاني • فأخذناهم بما كانوا يكسبون • من أنواع الكفر والمعاصي التي من جملتها
قولهم قد مس آباءنا إلى آخره وهذا الأخذ عبارة عما في قوله تعالى فأخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فإنهما قد زالا
بتبديل الحسنة مكان السيئة • أفأمن أهل القرى • أي أهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للإيذان بأن

مدار التوبيخ أمن كل طائفة ما أتاهم من البأس لا أمن مجموع الأمم فإن كل طائفة منهم أصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم
إلى غيرهم كما سيأتي والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه لا لإنكار الوقوع ونفيه كما قاله أبو شامة وغيره لقوله
تعالى فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون والفاء للعطف على أخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة
إلى بيان أن الأخذ المذكور مما كسبته والمعنى أبعد ذلك الأخذ أمن أهل القرى • أن يأتيهم بأسنا بياتا • أي
تبييتا أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين وهو في الأصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم
وهم نائمون • حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتا • أو أمن أهل القرى • إنكار بعد إنكار للمبالغة في التوبيخ
والتشديد ولذلك لم يقل أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون وقرئ
أو بسكون الواو على الترديد • أن يأتيهم بأسنا ضحى • أي ضحوة النهار وهو في الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت • و
هم يلعبون • من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم كأنهم يلعبون • أفأمنوا مكر الله • تكرير للتنكير لزيادة التقرير
ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد وأخذه من حيث لا يحتسب والمراد به إتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين
ولذلك عطف الأول والثاني بالفاء فإن الإنكار فيهما متوجه إلى ترتب الأمن على الأخذ المذكور وأما الثالث فمن تتمة
الأول • فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون • أي الذين خسروا أنفسهم وأضاعوا فطرة الله التي فطر الناس
عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات • أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها • أي يخلفون
من خلا قبلهم من الأمم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم أهل مكة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام
إما لتنزيلها منزلة اللازم كأنه قيل أغفلوا ولم يفعلوا الهداية لهم إلخ وإما لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل
على التقديرين هو الجملة الشرطية أي أولم يبين لهم مآل أمرهم • أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم • أي أن الشأن
لو نشاء أصبناهم جزاء ذنوبهم أو بسبب ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة
مفعوله • ونطبع على قلوبهم • عطف على ما يفهم من قوله تعالى أولم يهد كأنه قيل لا يهتدون أو يغفلون عن الهداية
أو عن التفكر والتأمل أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى طبعنا لإفضائه إلى نفي الطبع
عنهم لأنه في سياق جواب لو • فهم لا يسمعون • أي أخبار الأمم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها
والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات • تلك القرى • جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من
القصص منبئة عن غاية غواية الأمم المذكورة وتماديهم فيها بعدما أتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك إشارة إلى قرى
الأمم المحكية على أن اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى • نقص عليك من أنبائها • خبره وصيغة المضارع للإيذان
بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض أي بعض أخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره
وما بعده حال أو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فإذا هي حية تسعى وفي تصدير الكلام بذكر القرى
وإضافة الأنباء إليها مع أن المقصوص أنباء أهلها والمقصود بيان أحوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما أن حكاية إهلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل أماكنهم أيضا
بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية معطلة أهول وأفظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة إما بالفعل المذكور على أنها
للتعدية وإما بمحذوف وقع حالا من فاعله أي ملتبسين بالبينات لكن لا بأن يأتي كل رسول ببينة واحدة بل بينات

كثير فاخصه بمعينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير
الامم والجملة مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص
بهم بالمعجزات البينة الكثيرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى
فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على
مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث كنحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي
اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى
ان لقوا منهم بالقوارعة عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد
بعدم ايمانهم المذكور هاهنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى • بما كذبوا من قبل • تكذيبهم
من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعله صلة للموصول
ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة
التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا
وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال قوم منهم
فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول
المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثرا بعد اثر لاستحالة تبدلها و
تغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة
التوحيد قط بل كانت امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد
مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور
حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل مقصودا بالذات لما ان عليه يدور فلك العذاب
والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع
قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع
الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد فما كانوا
ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ما
وقع في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج
يرجع اليه العائد فيه • كذلك • اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم • يطبع الله على قلوب الكافرين • اي من المذكورين
وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية
المهابة وادخال الروعة • وما وجدنا لأكثرهم • اي لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت
له مالا اي ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله • من عهد • لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت

عليها انتصب حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء
عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين
فتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل
المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب الست
بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود باي معنى كان • وان وجدنا
اكثرهم • اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان
وضمير الشأن محذوف اي ان الشأن وجدنا اكثرهم • لفاسقين • خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين
ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين • ثم بعثنا من بعدهم موسى • اي ارسلناه من بعد انقضاء
وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان
بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر • باياتنا • متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره
اي بعثناه عليه السلام ملتبسا باياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء
والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل • الى فرعون •
هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
ابن الريان • وملائه • اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث
كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية وتقبلها
منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور • فظلموا بها • اي كفروا بها
مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان
عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب
ما لقوا الا ترى الى قوله تعالى • فانظر كيف كان عاقبة المفسدين • فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك
حكاية ظلمهم بها مستتبعة للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائها الصدارة والجملة في حيز النصب
باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم
مستلزم للافساد • وقال موسى • كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية
عاقبة المفسدين • يا فرعون اني رسول • اي اليك • من رب العالمين • على الوجه الآكد تربانه • حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق • جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان
اصله حقيق علي ان لا اقول الى آخره كما هو قراءة نافع فقلب لامن الالتباس كما في قول من قال • وتشقى الرماح
بالضياطرة الحمر • او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون
انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على
القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق على ان لا اقول وقوله تعالى • قد جئتكم ببينة •

من ربكم استيناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول
منه عم وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تع قال فمن ربكما
الآيات وقوله تع وما رب العالمين الآيات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة بجئتكم على انها لابتداء
الغاية مجازا او بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لما استفيد من التنوين التفخيمي واضافة اسم
الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله الى العالمين لتأكيد وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل
اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط
يستعملهم في الاعمال الشاقة فانقذهم الله تع بموسى عم وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم
الذي دخله موسى عم اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته عم ومجيئه بالبينة
قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عم حين قال له ما قال
فقيل قال ان كنت جئت باية اي من عند من ارسلك كما تدعيه فأت بها اي فاحضرها عندي ليثبت بها
رسالتك ان كنت من الصادقين في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الآية لا
محالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة
الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها في الاصل كذلك روي انه لما القاها
صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه
نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى
انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع
يده اي من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا
عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال
يدي ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس
وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها قال
الملأ من قوم فرعون اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اي مبالغ في علم السحر
ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول معزي في سورة الشعراء اليه يريد ان
يخرجكم من ارضكم اي من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون وما في ماذا في محل النصب على انه
مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير بأي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون
كما في قوله تع ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ
عن قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تع قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ
الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان
المشاورة ليست من وظايفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما ينادي به الآيات
الاخر والمعنى اخر امرهما واصدر عنهما حتى ترى رايك فيهما وتدبر شانهما وقرئ ارجئه وارجه من ارجاه

وارجاه وارسل في المدائن حاشرين قيل هي مداين صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم بأقصى
مداين الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين
من اهل نينوى مدينة يونس عم بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء
بعد موسى عم يأتوك بكل ساحر عليم اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر
وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تع فارسل في المدائن حاشرين
للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استيناف
منوط بسؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كانه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم
واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا
لابد لنا من اجر عظيم حينئذ او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا
لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اي ان كنا
نحن الغالبين لا موسى قال نعم وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف
الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة في الترغيب وروي انه قال لهم تكونون
اول من يدخل مجلسي وآخر من يخرج عنه قالوا استيناف كما مر كانه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل
قالوا متصدين لشأنهم مخاطبين لموسى عم يا موسى اما ان تلقي ما تلقي اولا واما ان نكون نحن
الملقين اي لما نلقي اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عم بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا
للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير ولكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف
الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اي القوا ما تلقون فلما القوا
سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في ارهابهم وجاءوا
بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب
بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة اي فالقاها
فصارت حية فاذا هي الخ وانما حذف للايذان بمسارعة موسى عم الى الالقاء وبغاية سرعة الانقلاب
كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك
الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية
وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت ملأ الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا
كما كانت واعدم الله تع بقدرته الباهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اي فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اي ظهر بطلان
ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اي فرعون وقومه هنالك اي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين اي صاروا
اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تع والقي السحرة ساجدين
فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اي خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم

الى ذلك • قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون • ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم
فرعون عن ابن عباس رضه انه قال لما امنت السحرة اتبع موسى من بني اسرائيل ستمائة الف • قال فرعون
منكرا على السحرة وموبخا لهم على ما فعلوا • آمنتم به • بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام
التوبيخي بحذف الهمزة كما قرئ بها ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين
اي بموسى عم • قبل ان آذن لكم • اي بغير ان آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن
منه ممكن في ذلك • ان هذا لمكر مكرتموه • يعني ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة
بل هو حيلة احتلتموها مع مواطاة موسى • في المدينة • يعني مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روى ان موسى عم و
امير السحرة التقيا فقال له موسى عم ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر
والله لئن غلبتني لاؤمنن بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشا عنه هذا القول • لتخرجوا منها اهلها • اي القبط
عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنون
بها ... يصرفهم بهما عن الايمان ويثبتوا موسى بارادة ان ايمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى وان
غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المالوفة والنعمة المعروفة
مما لا يطاق فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عم ثم عقبهما بالوعيد
ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال • فسوف تعلمون • اي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال
للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال • لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف • اي من كل شق طرفا • ثم لاصلبنكم
اجمعين • تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك
سماه الله تعالى محاربة لله ورسوله • قالوا • استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا
قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما
احدثوا من الايمان • انا الى ربنا منقلبون • اي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالي
بوعيدك او انا الى ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او
انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك • وما تنقم منا • اي وما تنكر منا وتعيب علينا • الا ان آمنا بآيات
ربنا لما جاءتنا • وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن
مخاطبته اظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا • ربنا افرغ علينا صبرا
اي افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الاثام وهو
الصبر على وعيد فرعون • وتوفنا مسلمين • ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم
ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون • وقال الملأ من قوم فرعون • مخاطبين له
بعدما شاهدوا ما شاهدوا من امر موسى عم • اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض • اي في ارض مصر بتغيير
الناس عن دينهم او صرفهم عن متابعتك • ويذرك • عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة الم
اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء • اي ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على اتذر

او استيناف

او استئناف او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن • والهتك • و
معبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم
الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك • قال مجيبا لهم • سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم • كما كنا نفعل بهم
ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده وقرئ سنقتل بالتخفيف • وانا فوقهم قاهرون • كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت
ايدينا كذلك • قال موسى لقومه • تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه •
استعينوا بالله واصبروا • على ما سمعتم من اقاويله الباطلة • ان الارض لله • اي ارض مصر او جنس الارض
وهي داخلة فيها دخولا اوليا • يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين • الذين انتم منهم وفيه ايذان بان
الاستعانة بالله تعالى والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان • قالوا • اي بنو اسرائيل
اوذينا • اي من جهة فرعون • من قبل ان تأتينا • اي بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عم وبعده
ومن بعد ما جئتنا • اي رسولا يعنون به اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عم من
فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل
فليس مما يلحقهم بواسطته عم فليس للذكر كثير ملابسة بالمقام • قال • اي موسى عم لما رأى شدة جزعهم
مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله ان الارض لله الخ • عسى ربكم ان يهلك عدوكم • الذي فعل بكم
ما فعل وتوعدكم باعادته • ويستخلفكم في الارض • اي يجعلكم خلفاء في ارض مصر • فينظر كيف تعملون • احسنا
ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه
عليه السلام بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصر انما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يلائمه
قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين
لا استخلاف اولادهم وانما جيء بفعل الطمع للجري على سنن الكبرياء • ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين • شروع في تفصيل
مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتب اسباب هلاكهم
فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستئصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنين
جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر
بالياء ويحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات
تنوينها او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف
وحينئذ لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا
مردا وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف باللغتين • ونقص من الثمرات
باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا تمرة قال ابن عباس رضه اما السنون فكانت
لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم • لعلهم يذكرون • كي يتذكروا ويتعظوا بذلك
وينتبهوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد قال الزجاج ان احوال الشدة ترق القلوب

به ما توعدهم

در نسخه بتقسيم صح

ونرغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى الا ترى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقدم تحقيق
القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة
الى آخره لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه
اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا
بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهكذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم فان الشدائد
ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا
عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان
تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى
الا انما طائرهم عند الله استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره
بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم
والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم
لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يحكى
عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى
او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا
وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات
وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا ما رأوا من شأن العصا والسنين
ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد
كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا واما تذهبن بك خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين
هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب
بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهر لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لما رأى موسى ثم
واستهزائهم بها والاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها الى آخره اظهار لكمال الطغيان
والغلو فيه وتسميته للارشاد الى الحق بالسحر وتسمية للابصار والعقل ان المجرور راجعان الى مهما وتذكير الاول
لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتأنيث الثاني لمراعاة جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا
عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر وسيل
وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد وقيل
بنات الجنة والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته
ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض
الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن

نؤمن

نؤمن لك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلاء ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل
زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عم كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو
المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فاكل ما ابقته
الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا
الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت
تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ
عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان
يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص الماء من فم الاسرائيلي
فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات حال من المنصوبات المذكورة مفصلات
مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم
وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه عم لبث فيهم بعد ما غلب
السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا
قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل
فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات
قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك
ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك
او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت
عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت
الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون اذا هم
ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا
ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول
الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى ونادى
نوح ربه فقال رب الخ في اليم هو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا
كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا
بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة
على يد رسول الله صلعم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل وذكرهم بهذا العنوان
لاظهار كمال لطفه تعالى بهم وعظم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها

أي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في أكنافها الشرقية والغربية
كيف شاءوا وقوله تعالى التي باركنا فيها أي بالخصب وسعة الأرزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للأرض
وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام أم هند وأبوها العاقلة وتمت
كلمة ربك الحسنى وهي وعده تعالى إياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني
إسرائيل بما صبروا أي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا أي خربنا و
أهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور أي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على أن
فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد إلى ما الموصولة
ويصنع مسند إلى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف أيضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون
إلى فرعون الخ وقيل كان زائدة وما مصدرية والتقدير ما يصنع فرعون الى آخره وقيل كان زائدة كما ذكر
وما موصولة اسمية والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي يصنعه فرعون الخ أي صنعه والعدول إلى صيغة المضارع
على حكاية الحال الماضية لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات أو ما كانوا يرفعونه من البنيان
كصرح هامان وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر أفصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل و
جاوزنا ببني إسرائيل البحر شروع في قصة بني إسرائيل وشرح ما أحدثوه من الأمور الشنيعة بعد أن أنقذهم
الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر وأراهم من الآيات الكبار ما تخر له
صم الجبال تسلية لرسول الله صلعم وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم وجاوز
بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو أيضا بمعنى جاز فعدي بالباء أي قطعنا بهم البحر روي أنه عبر بهم موسى عم يوم
عاشوراء بعدما أهلك الله تعالى فرعون فصاموه شكرا لله عز وجل فأتوا أي فمروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل
من العمالقة الكنعانيين الذين أمر موسى عم بقتالهم يعكفون على أصنام لهم أي يواظبون على عبادتها و
يلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت أصنامهم تماثيل بقر وهو أول شأن العجل قالوا عندما شاهدوا
أحوالهم يا موسى اجعل لنا إلها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لإلها وما موصولة ولهم
صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا إلها كائنا كالذي استقر هو لهم قال إنكم قوم تجهلون تعجب من
من قولهم هذا إثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق إذ لا جهل أعظم مما ظهر منهم وأكده بقوله
إن هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر أي مدمر مكسر ما هم فيه أي من الدين الباطل
أي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم أصنامهم ويتركها رضاضا وإنما جيء بالجملة الاسمية للدلالة
على التحقق وباطل أي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وإن كان قصدهم بذلك التقرب إلى الله تعالى
فإنه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فإن المراد به أعمال البر
التي عملوها في الجاهلية فإنها في أنفسها حسنات لو قارنت الإيمان لاستتبعت أجورها وإنما بطلت لمقارنتها
الكفر وفي إيقاع هؤلاء اسما لإن وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام الأوثان بأنهم

هم

هم المعرضون للتبار وأنهم لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا
قال أغير الله أبغيكم إلها شروع في بيان شئون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان أن
ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه أصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى
عم والاستفهام للإنكار والتعجب والتوبيخ وإدخال الهمزة على غير للإيذان بأن المنكر هو كون المبغي غيره تعالى
لا أنه للاختصاص للإنكار بغيره تعالى وانتصاب غير على أنه مفعول أبغي بحذف اللام أي أبغي لكم أي أطلب لكم غير الله
تعالى وإلها تمييز أو حال أو على الحالية من إلها وهو المفعول لأبغي على أن الأصل أبغي لكم إلها غير الله فغير الله
صفة لإلها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا وهو فضلكم على العالمين أي والحال أنه تعالى خصكم بنعم
لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى إياهم من بين أمثالهم بما لم يستحقوه
تفضلا بأن قصدوا أن يشركوا أخس شيء من مخلوقاته تعالى فيجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون وإذ أنجيناكم تذكير
لهم من جهته سبحانه بنعمة الإنجاء من ملكة فرعون وقرئ أنجاكم من التنجية وقرئ أنجاكم فيكون مسوقا من جهة
موسى عم أي واذكروا وقت إنجائنا إياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من أيديهم وهم على
حالهم في المكنة والقدرة بل بإهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا أي
أولاه إياه أو كلفه إياه وهو إما استئناف لبيان ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون
أو منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم
مبين أو مفسر له وفي ذلكم الإنجاء أو سوء العذاب بلاء أي نعمة ومحنة من ربكم من مالك أمركم
فإن النعمة والنقمة كلتاهما منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة روي أن
موسى عم وعد بني إسرائيل وهم بمصر إن أهلك الله تعالى عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون
فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف
فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى إليه
أما علمت أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله تعالى بأن يزيد عليها عشرة أيام
من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى وأتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وقيل أمره
الله تعالى بأن يصوم ثلاثين يوما وأن يعمل فيها ما يقربه من الله تعالى ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقد
أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على
تنزيل قبول موسى عم منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف أي إتمام ثلاثين ليلة فتم ميقات
ربه أربعين ليلة أي بالغا أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون حين توجه إلى المناجاة حسبما أمر
اخلفني أي كن خليفتي في قومي وراقبهم فيما يأتون وما يذرون وأصلح ما يحتاج إلى الإصلاح من أمورهم
أو كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين أي لا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء
موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة
كما يكلم الملائكة عم وفيما روي أنه عم كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع

تنبيه

كلاماً عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين • قال رب أرني أنظر إليك • أي أرني ذاتك بأن تمكنني
من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تع في الجملة جائزة لما أن طلب المستحيل من الأنبياء
لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله تع ولذلك ردّه بقوله تع • لن تراني • دون لن أُرى ولن أريك ولن تنظر إليّ
محال
تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معدّ في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا
أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا إلهاً
كما لهم آلهة
وأن لا تتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل
الإخبار بعدم رؤيته إياه على أنه لا يراه أبداً وأن لا يراه غيره أصلاً فضلاً عن أن تدل على استحالتها ودعوى الضرورة
مكابرة أو جهل بحقيقة الرؤية • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال رب العزة حين
قال موسى عم ما قال فقيل • لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني • استدراك لبيان
أنه لا يطيق بها وفي تعليقها باستقرار الجبل أيضاً دليل على الجواز ضرورة أن المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو
جبل أردن • فلما تجلى ربه للجبل • أي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى الجبل حياة و
رؤية حتى رآه • جعله دكاً • مدكوكاً مفتتاً والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء أي أرضاً
مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكاً جمع دكاء أي قطعاً • وخر موسى صعقاً • مغشياً عليه
من هول ما رآه • فلما أفاق • الإفاقة رجوع العقل والفهم إلى الإنسان بعد ذهابهما بسبب من الأسباب
• قال • [illegible] • سبحانك • أي تنزيهاً لك من أن أسألك شيئاً بغير إذن منك • تبت إليك • أي
من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن • وأنا أول المؤمنين • أي بعظمتك وجلالك وقيل أول من
آمن بأنك لا ترى في الدنيا وقيل بأنه لا يجوز السؤال بغير إذن منك • قال يا موسى • استئناف مسوق
لتسليته عم من عدم الإجابة إلى سؤال الرؤية كأنه قيل إن منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظام
ما لم أعط أحداً من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها • إني اصطفيتك • أي اخترتك واتخذتك و
آثرتك • على الناس • أي المعاصرين لك وهرون وإن كان نبياً كان مأموراً باتباعه وما كان كليماً
ولا صاحب شرع • برسالاتي • أي بأسفار التوراة وقرئ برسالتي • وبكلامي • وبتكليمي إياك بغير واسطة • فخذ
ما آتيتك • أي أعطيتك من شرف النبوة والحكمة • وكن من الشاكرين • على ما أعطيت من جلائل
النعم قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر • وكتبنا له في الألواح من كل شيء • أي
مما يحتاجون إليه من أمور دينهم • موعظة وتفصيلاً لكل شيء • بدل من الجار والمجرور أي كتبنا له كل شيء
من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في عدد الألواح وفي جوهرها ومقدارها فقيل إنها كانت عشرة
ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وإنها كانت من زمردة جاء بها جبرئيل عم وقيل من زبرجدة خضراء
وياقوتة حمراء وقيل أمر الله تع بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن
كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقيل أنزلت التوراة وهي
سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام

وعن مقاتل

وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا
ولا تعقوا الوالدين • فخذها • على إضمار قول معطوف على كتبنا أي فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو
بدل من قوله تع فخذ ما آتيتك والضمير للألواح أو لكل شيء لأنه بمعنى الأشياء أو للرسالة أو للتورية • وأمر
قومك يأخذوا بأحسنها • أي بأحسن ما فيها كالعفو والصبر بالإضافة إلى الاقتصاص والانتصار
على طريقة الندب والحث على اختيار الأفضل كما في قوله تع واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أو بواجباتها
فإنها أحسن من المباح وقيل معناه خذوا بها وأحسن صلة قال قطرب أي بحسنها وكلها حسن كقوله تع ولذكر
الله أكبر وقيل يجوز أن يحمل الكلمة المحتملة لمعنيين أو لمعان على أشبه محتملاتها بالحق وأقربها إلى الصواب • سأريكم
دار الفاسقين • أرض مصر تلوين للخطاب وتوجيه له إلى قومه عم بطريق الالتفات حملاً لهم على الجد في
الامتثال بما أمروا به إما على نهج الوعيد والترتيب على أن المراد بدار الفاسقين أرض مصر وديار عاد و
ثمود وأضرابهم فإن رؤيتها وهي خالية عن أهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار عن
مثل أعمال أهلها كيلا يحل بهم ما حل بأولئك وإما على نهج الوعد والترغيب على أن المراد بدار الفاسقين إما
أرض خاصة أو مع أرض الجبابرة والعمالقة بالشام فإنها أيضاً مما أبيح لبني إسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به
قوله تع يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الإراءة الإدخال بطريق الإيراث
ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الأرض ومغاربها وقرئ سأوريكم ولعله من أوريت الزند أي سأبينها لكم • وقوله تع
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض • استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم
التفكر في الآيات التي هي ما كتب في ألواح التورية من المواعظ والأحكام أو ما يعمها وغيرها من الآيات
التكوينية التي من جملتها ما وعدوا رؤيته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث
لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لإصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تع فلما زاغوا
أزاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر
مع أن المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الجليل أي سأطبع على قلوب الذين يعدون أنفسهم
كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلاً فلا يتفكرون بآياتي التكليفية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها
فلا تسلكوا مسلكهم فتكونوا أمثالهم وقيل معناه سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون في إبطال
ما رآه من الآيات فأبى الله إلا إحقاق الحق وإزهاق الباطل وعلى هذا لا يبعد أن يراد بدار الفاسقين
أرض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسوق والتكبر في الأرض وبآياته ما ينبئ عن إدخالهم الشام و
إسكانهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله
تع سأصرف عن آياتي إلخ جواباً عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بإدخال الشام على أن المراد بالآيات
ما تلي آنفاً ونظائره وبصرفهم عنها إزالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع إخبارها وظهور أحكامها
وآثارها بإهلاكهم على يد موسى عم حسبما يقتضيه بعض من بني إسرائيل أو بذراريهم على خلاف

الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها و
مغاربها كانه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل ساهلككم وانما عدل الى الصرف ليزدادوا انفة بالايات
واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط
او متعلق بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا
بها عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالاية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها
او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان يشاهدوا
كل اية من الايات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها
كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
عطف على ما قبله داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم
ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات كالسقم والسقم والسقام
وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه
لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم
ايمانهم بشيء من الايات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم التام الى سبيل الغي وهو مبتدا خبره قوله
تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا باياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى
حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز
ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار بعليته في حيز الصلة كما لا يخفى وقد مر في ذلك في قوله
تعالى ذلك بما عصوا الاية تجويز كون الاشارة الى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك
معللا بالكفر بايات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على المصدر اي سأصرفهم ذلك الصرف بسبب
تكذيبهم باياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي ولقائهم الدار الاخرة او
لقائهم ما وعده الله تعالى في الاخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت
اعمالهم خبره اي ظهر بطلان اعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او
حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اي لا يجزون الا ما كانوا يعملون
اي الا جزاء ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى
الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف معنييهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض
او للبيان او متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم
مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم
واما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني اسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده
قولهم حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالاتباع
كدلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق

الى المؤخر

الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين
بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها جسدا بدل من عجلا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا
من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح نعت
لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه السلام وقد كان اخذه عند فلق
البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والاسناد
في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه واحد منهم واما لانهم رضوا به فكانهم فعلوه
واما لان المراد باتخاذهم اياه الها الم يروا انه لا يكلمهم استئناف مسوق
لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس
فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله
تعالى اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في غير مواضعها فلم يكن من اتخاذه
منكرا فعلوه والجملة اعتراض تذييلي فتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في
ايديهم اي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير
يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج
معناه سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل وراوا انهم قد ضلوا
باتخاذ العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كانهم راوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية
مع كونه متاخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية قالوا والله
لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة
مع ان التخلية حقها ان تتقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق
ارادة الخير بهم وهو مبدا لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وقوله
تعالى لنكونن من الخاسرين جواب للقسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع
موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الايات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر
عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى
والثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من
بعدي اي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رايتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه
واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم
آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او
بئسما قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه
من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعني افعصيت امري
ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلفية ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل

لها عن شين المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره وبئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
أعجلتم أمر ربكم أي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الأمر إذا تركه غير تام
أو أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد
أنبيائهم وألقى الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي أن التوراة كانت
سبعة أسباع في سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفعت ستة أسباعها التي كان فيها تفصيل
كل شيء وبقي سبع كان فيها المواعظ والأحكام وأخذ برأس أخيه أي بشعر رأسه يجره
إليه حال من ضمير أخذ فعله عم توهما أنه قصر في كفهم وهارون كان أكبر منه عليهما السلام بثلاث
سنين وكان حمولا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال أي هارون مخاطبا لموسى عم ابن أم
بحذف حرف النداء وتخصيص الأم بالذكر مع كونهما شقيقين لما أن حق الأم أعظم وأحق بالمراعاة مع أنها
كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم واسقاط الياء تخفيفا كالمنادى
المضاف إلى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف أو لتشبيهه بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا
يقتلونني إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا
قتلي فلا تشمت بي الأعداء أي فلا تفعل بي ما يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين
أي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة أو النسبة إلى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل ولا تعتقد أني واحد
من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره كأنه
قيل فماذا قال موسى عم عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي أي ما فعلت بأخي من غير ذنب مقرر من قبله
ولأخي أي فرط منه تقصيرا في كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر عم لنفسه ليرضي أخاه ويظهر للشامتين
رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولأخيه للإيذان بأنه محتاج إلى الاستغفار حيث كان يجب عليه أن يقاتلهم وأدخلنا في رحمتك
بمزيد الإنعام بعد غفران ما سلف منا وأنت أرحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة
في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله إن الذين اتخذوا العجل أي ثبتوا على اتخاذه واستمروا
على عبادته كالسامري وأشياعه من الذين أشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين
فإن ذلك صريح في أن الموصول الأول عبارة عن المصرين سينالهم أي في الآخرة غضب أي عظيم لا يقادر
قدره مستتبع لفنون العقوبات لما أن جريمتهم أعظم الجرائم وأقبح الجرائر وقوله تعالى من ربهم أي مالكهم
متعلق بينالهم أو بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية
أي كائن من ربهم وذلة في الحياة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الأمثال والمسكنة المنتظمة لهم
ولأولادهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس يروى
أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحدهم أحد غيرهم حما جميعا في الوقت وإيراد ما نالهم في حيز السين مع
مضيه بطريق تغليب حال الأخلاف على حال الأسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب أمره إياهم بقتل
أنفسهم والاعتذار عن السين بأن ذلك حكاية لما أخبر الله به موسى عم حين أخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بأن سينالهم

غضب

غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وأنت خبير بأن سباق النظم الكريم وسياقه
نابيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه فإنهم
شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وأيضا ليس نجزي التائبين كل المفترين بهذا الجزاء الذي
ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم أبناؤهم المعاصرون لرسول الله صلعم فإن تعيير الأبناء بأفاعيل
الآباء مشهور معروف منه قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا الآية وقوله تعالى وإذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب
الغضب الأخروي وبالذلة ما أصابهم من القتل والإجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة
وبالضمير في ينالهم أخلافهم ولا ريب في أن توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين
الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات أي سيئة كانت ثم تابوا عنها عن تلك السيئات من بعدها
أي من بعد عملها وآمنوا إيمانا صحيحا خالصا واشتغلوا بإقامة ما هو من مقتضياته من الأعمال الصالحة ولم يصروا
على ما فعلوا كالطائفة الأولى إن ربك من بعدها أي من بعد تلك التوبة المقرونة بالإيمان لغفور للذنوب
وإن عظمت وكثرت رحيم مبالغ في إفاضة فنون الرحمة الدنيوية والأخروية والتعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضميره عم للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الأحكام إثر ما بين
تحزب القوم إلى مصر وتائب والإشارة إلى مآل كل منهما إجمالا أي لما سكن عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم وهذا
صريح في أن ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عم وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة
بتنزيل الغضب الحامل له عم على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير
عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت وأسكت على أن فاعله هو الله تعالى أو أخوه أو التائبون
أخذ الألواح التي ألقاها وفي نسختها أي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أي
من الألواح المنكسرة هدى أي بيان للحق ورحمة للخلق بإرشادهم إلى ما فيه الخير والصلاح للذين هم
لربهم يرهبون اللام الأولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة أي كائنة لهم أو هي لام الأجل أي هدى ورحمة لأجلهم
والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى إن كنتم للرؤيا تعبرون أو هي أيضا لام العلة والمفعول محذوف
أي يرهبون المعاصي لأجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء
التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى إلى اثنين ثانيهما مجرور بمن أي من قومه بحذف الجار وإيصال الفعل إلى
المجرور كما في قوله اخترتك الناس إذ رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤل أي اخترتك من
الناس سبعين رجلا مفعول أول لاختار أخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى
المؤخر لميقاتنا أي وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك قيل
قال السدي أمره الله تعالى بأن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا
فاختار عم من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن إسحق اختارهم ليتوبوا إليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة
على من تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف
منكم رجلان فتشاحوا فقال عم إن لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وأمرهم

ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام
وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما شاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة • فلما اخذتهم الرجفة •
مما اجترؤا عليه من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عم وقالوا لن نؤمن لك لن نصدقك
في ان الامر بما سمعنا من الامر بقتل انفسنا هو الله تعالى حتى نراه جهرة حيث قاسوا رؤيته تعالى على سماع كلامه فيما شاهدا
حين شاهد موسى عم تلك الحالة الحائلة • قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل • اى حين فرطوا في النهي عن عبادة
العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم عليها • واياي • ايضا حين طلبت منك الرؤية اى لو شئت
اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا اراد به عم تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب
والشكر على النعمة مما يربط العتيد ويستجلب المزيد يعني انك لم تهلكنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك
اياه حيث لطفت بنا وعفوت تلك الجرائر فلا غرو في ان تعفو عنا هذه الجريرة ايضا وحمل الكلام على التمني
يأباه قوله تعالى • اتهلكنا بما فعل السفهاء منا • اى الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يتثبتون في المداحض
والهمزة اما للانكار ووقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف كما قاله المبرد
اى لا تهلكنا • ان هي الا فتنتك • استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صدر عن السفهاء اى ما الفتنة
التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اى محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم
كلامك فافتتنوا بذلك ولم يثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى • تضل بها من
تشاء وتهدي من تشاء • اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اى حال كونها مضلا بها
الخ اى تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل
في امثالها فيقوى بها ايمانه • انت ولينا • اى القائم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا
لا غير • فاغفر لنا • ما قارفناه من المعاصي الفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كانه قيل من شأن
المولى المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عم على ان يقول ان هي الا فتنتك الخ من باب الجراءة فطلب من
الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها • وارحمنا • بافاضة آثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا • وانت خير
الغافرين • اعتراض تذييلي مقرر لما سبقه من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام
• واكتب لنا • اى اثبت لنا وقيل اوجب وحقق واثبت • في هذه الدنيا حسنة • اى نعمة وعافية او
خصلة حسنة قال ابن عباس رض اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة • وفي الآخرة • اى واكتب لنا
فيها ايضا • حسنة • وهي المثوبة الحسنى والجنة • انا هدنا اليك • اى تبنا وانبنا اليك من هاد يهود
اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامال ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا
او املنا اليك ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها
لغة ضعيفة مما لا يليق بشأن التنزيل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله
بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا وارجعنا
عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع هنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك

ان لا تقبل

ان لا تقبل توبة التائبين وقيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عم يتضرع اليه تعالى حتى احياهم
وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عم فبكى فكشف الله تعالى عنهم •
قال • استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى
عم فقيل قال • عذابي اصيب به من اشاء • تعذيبه عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن
موسى عم دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اى خصلة حسنة عارية
عن المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شأنه ان
اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهو ممن تناوله مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب
الدنيوي • ورحمتي وسعت كل شيء • اى شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل ما يدخل تحت
الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة
الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما
العذاب فبمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور
الا ترى الى قوله تعالى • فساكتبها • اى اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبارها كانه قيل فاذا كان الامر كذلك
اى كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من شاء فساكتبها كتبة خاصة كانه دعوت بقولك فاكتب لنا في هذه
الخ اى سأكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي • للذين يتقون • اى الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها
وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فليفعلهم ما قدر لهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب
الدنيوي • ويؤتون الزكوة • وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم وتعلق الصلوة انها لم
تذكر مع انافتها على سائر العبادات اكتفاء عنها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها
وترك المنكرات عن آخرها وايرادا ايتاء الزكوة لما مر من التعريض • والذين هم باياتنا • جميعا • يؤمنون •
ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالايات العظام التي جاء بها موسى عم وبما يجيء
بعد ذلك من الايات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان
المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف
هو على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع اياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض
• الذين يتبعون الرسول • الذي نوحي اليه كتابا مختصا به • النبي • اى صاحب المعجزة وقيل عنوان
الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة • الامي • بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق
على حالته التي ولد عليها من امه او الى امة العرب كما قال عم انا امة امية لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى
وقرئ بفتح الهمزة اى الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والاخرين و
الموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اى اعني الذين او هم
الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرون او اولئك هم المفلحون فغير سديد • الذي يجدونه مكتوبا •
باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدونه او وصفه مكتوبا • عندهم •

زيد بهذه الزيادة التقرير وان شأنه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التوراة والانجيل اللذين
تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله من
قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عم والقران الكريم قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام
مستأنف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها
اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث و
اسقاط التكاليف الشاقة كلها من اثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من
مفعول يجدونه او من النبي او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات
التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربوا والرشوة
ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي
هي من قبيل ما كتب عليهم حينئذ من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطاء من غير شرع
الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم
السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم
وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ
اصارهم واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه عن الحراك فالذين امنوا به تعليل لكيفية اتباعه
عم وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة
والاشارة الى ارشاده عم اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث
اي فالذين امنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اي عظموه ووقروه واعانوه
بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه في الدين واتبعوا
النور الذي انزل معه اي مع نبوته وهو القران عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا
لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا
القران المنزل مع اتباعه بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه واتبعوا القران مصاحبين له في اتباعه
اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار
بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك
المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن الكروب
لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عم دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه
يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عم وبين الجواب المجد وما قيل من انه لما دعا لنفسه
ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم باياته
العظام التي اجراها على يد موسى عم وعرض بذلك في قوله تع والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون
استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله صلعم وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتاب

لطفا لهم

لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكى ما في
الكتابين من نعوت رسول الله صلعم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام
ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين
مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم وارسال موسى عم الى فرعون وملائه بالايات
التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها
منه الفئة الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التوراة فمختص ببني اسرائيل جميعا حال
من الضمير في اليكم الذي له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة
وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تع لا اله الا هو بيان لما قبله
فان ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تع يحيي ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله تعالى فامنوا
بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عم وايراد نفسه عم بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات
الى الغيبة للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله النبي الامي لمدحه عم بهما ولزيادة
تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تع الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل
اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح
بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تع لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة
الجنس او القران تنبيها على ان المأمور به هو الايمان عم من حيث انزل عليه القران لا من حيثية اخرى
او على ان المراد بها عيسى عم تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به عم لم يعتد بايمانه واتبعوه اي
في كل ما يأتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم
الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل
من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص
كتبة الرحمة والتقوى والايمان بمتبعي رسول الله صلعم من حرمان اسلاف قوم موسى عم من كل خير وبيان ان كلهم
ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون اي الناس بالحق اي ملتبسين به او يهدونهم بكلمة
الحق وبه اي بالحق يعدلون اي في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال
الماضية وقيل هم الذين امنوا بالنبي صلعم ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو
والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء عم تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تع ان يفرق بينهم
وبينهم ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم
هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلعم ان جبريل عم ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم
فقال جبريل عم هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عم
اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ مني عم السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام ثم اقرأهم عشر سور من القران نزلت
بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا

ويتركوا السبت هذا وأنت خبير بأن تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع أن منهم من آمن بجميع الشرائع
لا يخلو عن بعد ● وقطعناهم ● أي قوم موسى لا الأمة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى ● اثنتي عشرة
ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الأمة أو القطعة أي صيرناهم اثنتي عشرة أمة أو قطعة
متميزا بعضها من بعض أو حال من مفعوله أي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله تعالى ● أسباطا ● بدل
منه ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة أسباط لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين
وقوله تعالى ● أمما ● على الأول بدل بعد بدل أو نعت لأسباطا وعلى الثاني بدل من أسباطا ● وأوحينا إلى
موسى إذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقائهم
إياه عليه السلام بل باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تعالى وإذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ● أن اضرب بعصاك الحجر ●
تفسير لفعل الإيحاء وقد مر بيان شأن الحجر في تفسير سورة البقرة ● فانبجست ● عطف على مقدر يستدعيه الكلام
قد حذف تعويلا على كمال الظهور وإيذانا بغاية مسارعته عليه السلام إلى الامتثال وإشعارا بعدم تأثير الضرب حقيقة
وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كأنه حصل إثر الأمر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى اضرب بعصاك
البحر فانفلق أي فضرب فانبجست ● منه اثنتا عشرة عينا ● بعدد الأسباط وأما ما قيل من أن التقدير
فإن ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها ● قد علم كل أناس ● كل سبط
عبر عنهم بذلك إيذانا بكثرة كل واحد من الأسباط ● مشربهم ● أي عينهم الخاصة بهم ● وظللنا عليهم الغمام ●
أي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن بإقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون
بضوئه ● وأنزلنا عليهم المن والسلوى ● أي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من
الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه ● كلوا ● أي وقلنا لهم
كلوا ● من طيبات ما رزقناكم ● أي مستلذاته وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن المن والسلوى
● وما ظلمونا ● رجوع إلى سنن الكلام الأول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للإيجاز والإشعار
بأنه أمر محقق غني عن التصريح أي فظلموا بأن كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ● ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ●
إذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لإفادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر ● وإذ قيل لهم ● منصوب
بمضمر خوطب به النبي صلعم وإيراد الفعل على البناء للمفعول مع إسناده إليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع في
سورة البقرة من قوله تعالى وإذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والإيذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير
النظم بالأمر بالذكر للتشديد في التهديد والتوبيخ أي اذكر لهم وقت قوله تعالى لأسلافهم ● اسكنوا هذه القرية ●
منصوب على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل أريحاء وهي
قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة رأسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا إيذان بأن
المأمور به في سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى والإقامة ولذلك اكتفي عن ذكر رغدا في قوله تعالى ● وكلوا
منها ● أي من مطاعمها وثمارها على أن من تبعيضية أو منها على أنها ابتدائية ● حيث شئتم ● أي من نواحيها

من غير

من غير أن يزاحمكم فيها أحد فإن الأكل المستمر على هذا الوجه لا يكون إلا رغدا واسعا وعطف كلوا
على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فإنه مقدم على الأكل ولذلك قيل هناك ● فكلوا
● وقولوا حطة ● أي مسألتنا أو أمرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة ● وادخلوا الباب ● أي
باب القرية ● سجدا ● متطامنين مخبتين أو ساجدين شكرا على إخراجهم من التيه وتقديم الأمر بالدخول
على الأمر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لأن المأمور به هو الجمع بين الفعلين من
غير اعتبار الترتيب بينهما ثم إن كان المراد بالقرية أريحاء فقد روي أنهم دخلوها حيث سار إليها موسى عليه السلام
بمن بقي من بني إسرائيل أو بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة وأما إن كان بيت المقدس
فقد روي أنهم لم يدخلوها في حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون إليها ● نغفر لكم
خطيئاتكم ● وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول
● سنزيد المحسنين ● شيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب
على تقدير سؤال نشأ من الإخبار بالغفران كأنه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة
منهم زيادة بيان ● فبدل الذين ظلموا منهم ● بما أمروا به من التوبة والاستغفار حيث أعرضوا عنه ووضعوا
موضعه ● قولا ● آخر مما لا خير فيه روي أنهم دخلوه زاحفين على أستاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا
بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استهزاء بأمر الله عز وجل واستهزاء بموسى عليه السلام وقوله تعالى ● غير
الذي قيل لهم ● نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة
من كل وجه ● فأرسلنا عليهم ● إثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى
واحد والإرسال من فوق فيكون كالإنزال ● رجزا من السماء ● عذابا كائنا منها والمراد الطاعون
روي أنه مات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفا ● بما كانوا يظلمون ● بسبب ظلمهم المستمر
السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب
الإرسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما أن الحكم ههنا مرتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة
البقرة وأما التعليل بالفسوق بعد الإشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى أعلم ● واسألهم ● عطف
على المقدر في إذ قيل أي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود
الله تعالى وإعلاما لهم بأن ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها إلا من مارس كتبهم قد أحاط به
النبي صلعم خبرا وإذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لأنه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين أنه من جهة الوحي الصريح
● عن القرية ● أي عن حالها وخبرها وما جرى على أهلها من الداهية الدهياء وهي أيلة قرية بين مدين والطور
وقيل هي مدين والطور وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ● التي كانت حاضرة البحر ● أي قريبة
منه مشرفة على شاطئه ● إذ يعدون في السبت ● أي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت
وإذ ظرف للمضاف المحذوف أو بدل منه وقيل ظرف لكانت أو حاضرة وليس بذاك إذ لا فائدة في تقييد
الكون أو الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون وأصله يعتدون ويعدون من الإعداد حيث كانوا

يعدون الات العيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة • اذ تأتيهم حيتانهم •
ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التوبيخ والحيتان جمع حوت
قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم
لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان
الكائنة في تلك الناحية وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض • يوم السبت
يوم سبتهم • اى يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد
للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم
وقوله تعالى • شرعا • جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف وهو حال من حيتانهم اى تأتيهم يوم
سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة من الساحل • ويوم لا يسبتون • اى لا يراعون امر السبت لكن
لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اى لا سبت ولا مراعاة
كما في قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • وقرئ يسبتون ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون
في السبت • لا تأتيهم • كما كانت تأتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم
يقل ولا تأتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون
لا تأتيهم • كذلك نبلوهم • اى مثل ذلك البلاء العظيم الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم و
نؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجب منها • بما كانوا يفسقون •
اى بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها
لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما يأتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اى لا تأتيهم
يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استئناف مبنى على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة
وعدمه اخرى • واذ قالت • عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان وعدم انزجارهم
عنه بعد العظات والانذارات • امة منهم • اى جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن كل
صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لاخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع وتأثيرا مبالغة
في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار • لم تعظون قوما الله مهلكهم • اى مخترمهم بالكلية ومطهر الارض
منهم • او معذبهم عذابا شديدا • دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم
في الاخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسوق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع
فانهم يهلكون في الدنيا ويعذبون في الاخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب
مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا
للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان
بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة
اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه • قالوا • اى الوعاظ • معذرة •

معذرة الى ربكم • اى نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او
نعتذر على انه مصدر لفعل محذوف اى موعظتنا معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن
المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين • ولعلهم يتقون • عطف على معذرة
اى ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون ليسوا من الفرقة الهالكة
والا لوجب الخطاب • فلما نسوا ما ذكروا به • اى تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا
عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا • انجينا الذين ينهون عن السوء • وهم
الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين
لانجاء الاولين واخذ الاخرين وانما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر مرارا من المسارعة الى بيان نجاتهم
من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول • واخذنا الذين ظلموا • بالاعتداء ومخالفة الامر • بعذاب
بئيس • اى شديد بوزن فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بئس على وزن فعل بفتح الفاء
وكسر العين وبئس كحذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في ذئب
وبيّس كريّس بقلب همزة بئيس ياء وادغام الياء فيها وبيئس على تخفيف بيّس كهيّن في هيّن والتنكير
للتفخيم والتهويل • بما كانوا يفسقون • متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اى
اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا
واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة
هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم
والعدوان والا لما اخر ذكره عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال
فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى • فلما عتوا عما نهوا عنه • اى
تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه • قلنا لهم كونوا قردة خاسئين • صاغرين اذلاء بعداء
عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان
بانه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى والمراد بالعذاب البئيس هو المسخ
والجملة الثانية تقرير للاولى روى ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا
السبت وهو المعنى بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد
فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم
في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت
فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا
تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل
ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم
يره عذاب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا

والكلوا وتلحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على
النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم
ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عم
واصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا فعلوا الجدار
فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب فدخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل
القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد براسه بلى ثم ماتوا عن ثلث
وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد رض مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا
والله وخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت
اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة ادهى وامر و
اذ تاذن ربك منصوب على المفعولية بفعل معطوف على قولهم واسالهم وتاذن بمعنى اذن كما ان
توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله
فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان
يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك
من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عم بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم و
سبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث النبي صلعم ففعل
ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا
وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وضعنا كل فرقة
منهم في قطر من اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى امما مفعول
ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة و
من سار سيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم
وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي
فخلف من بعدهم اي من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد
والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلعم ورثوا
الكتاب اي التورية من اسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى استيناف
مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اي ياخذون حطام هذا الشيء الادنى اي الدنيا وهو
من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشى في الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال
من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتمنى على الله والجملة تحتمل العطف و
الحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من
الضمير في لنا اي يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ

عليهم

عليهم ميثاق الكتاب اي الميثاق الوارد في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق
او متعلق به اي بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها
افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى
فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا يعقلون
فيعلمون ذلك فلا يستبدلون الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ
والذين يمسكون بالكتاب اي يتمسكون به في امور دينهم يقال امسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين
امنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عم فلم يحرفوه ولم يكتموه فلم يتخذوه
ماكلة وقال عطاء هم امة محمد صلعم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى واقاموا
الصلوة ولعل التغيير في المشهورة للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر في جميع الازمنة بخلاف
اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول الجر
نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى
انا لا نضيع اجر المصلحين والرابط اما العائد المحذوف كما هو راي جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم
واما الالف واللام كما هو راي الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي الماوى اي ماواهم وقوله تعالى
مفتحة لهم الابواب اي ابوابها واما العموم في المصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه
وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب ماجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الى اخره
اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة اي
سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو
ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا ما اتيناكم
اي وقلنا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من
الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح الاعمال ورذائل
الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بعم معطوف على ما
انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم
بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث
قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني ادم المراد بهم الذين ولد لهم كائنا من كان نسلا بعد نسل
سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على الاخراج
للايذان بالاعتناء بشان الماخوذ لما فيه من الانباء عن الاصطفاء والاجتباء وهو السبب في اسناده
الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الاتي واضافته الى ضميره عم للتشريف
وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض بتكرير الجار كما في قوله للذين استضعفوا لمن امن منهم

في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل عقب الاجمال وتنبيه على ان
الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الاباء ولم يستودعوا في ارحام الامهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول
اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشئيته ولما مر مرارا من
التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلعم
اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع
صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اي اشهد كل واحد
من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور ابائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من
المعبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اي قائلا الست
بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل في شأن من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية
ويستلزم اختصاصه به تع قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا الى اخره فقيل
قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه
تعالى اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى
التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلعم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة
من تعريضه تع اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها تمكينا كاملا وتعرضهم لها تعرضا تاما بهيئة منتزعة من حمله
تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ
واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى
ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلعم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام
او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تع الست بربكم فانه ليس من الكلام
المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية واياما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة
ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية
الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق الحق
والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من
خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تع او تقولوا انما اشرك اباؤنا عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع
اي هم اخترعوا الاشراك وسنوه من قبل من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل
ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من ابائنا المضلين بعد ظهور انهم مجرمون
ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي اي لا تؤاخذنا فتهلكنا الى اخره فان ما ذكر من استعدادهم الكامل
لسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا
مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضه انه لما خلق الله تع آدم
مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضه انه سئل عن الاية الكريمة فقال سمعت

رسول الله

رسول الله صلعم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت
هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت للنار وبعمل اهل النار يعملون
وليس المعنى انه تع اخرج الكل من ظهره عم بالذات بل اخرج من ظهره عم ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية
وهكذا الى اخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عم وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا
من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الاية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على
الكفرة المعاصرين لرسول الله صلعم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى ابائهم اقتضى الحال نسبة
اخراج كل واحد منهم الى ظهور ابائهم من غير تعرض لاخراج الاباء الصلبية لآدم عم من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق
في حديث عمر رضه ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له واما ما قالوا من ان اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة
حسبما ينطق به قوله تع ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير رافع لغفلتهم في دار التكليف
اذ لا فرد من افراد البشرية يذكر ذلك فمردود لكن لا بما قيل من ان الله تع قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق
رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد
اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تعالى ان تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تع واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا
حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى
فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين
عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له
لنفس الامر المضمر العامل في اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه
او بتقليد الاباء هذا على تقدير كون قوله تع شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر واما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو
العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيامة الى اخره لانا نردكم ونكذبكم
حينئذ وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته
والكاف مقحمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية
اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الايات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون
ولعلهم يرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الاباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدائية ويجوز ان
تكون الثانية عاطفة على مقدرة مترتب على التفصيل اي وكذلك نفصل الايات ليقفوا على ما فيها من المرغبات
والزواجر ولعلهم يرجعوا الى اخره واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمطه في الانباء عن الحور
بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود نبأ الذي اتيناه اياتنا اي خبره الذي له شأن وخطر وهو
احد علماء بني اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تع وقيل هو
امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تع مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول
فلما بعث الله تع النبي صلعم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم فانسلخ منها
اي من تلك الايات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطر ببالها اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها

وراء ظهره واياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا
للايذان بكمال مباينته للايات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال **فاتبعه الشيطان** اي تبعه حتى لحقه وادركه
فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتّبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته
فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين وروي ان قومه طلبوا
اليه ان يدعو على موسى عم فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده ان التيه
كان لموسى عم روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عم عليهم كما مر في سورة المائدة **ولو
شئنا** كلام مستانف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الايات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول
المشية محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه **لرفعناه**
اي الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الايات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيتنا من غير ان يكون
له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع
مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تع **بها** اي بسبب تلك الايات بان عمل
بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تع لكن خلقه تع منوط
بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان اسند ما يؤدي الى نقيض التالي
اليه حيث قيل **ولكنه اخلد الى الارض** مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه
تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته له لرفعناه بسبب تلك الايات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم
نشا لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما ذكر في الاخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان
بان الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تعالى وتفضلاته
وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة
مع الخير والمس مع الضر في الاية الكريمة المذكورة وهو السر في جريان السنة القرانية على اسناد الخير الى الله تع واضافة
الشر الى الخلق كما في قوله تع واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمينان به والمراد
بالارض الدنيا وقيل السفالة والضعة ولكنه اثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة
على الرفعة والجلالة **واتبع هواه** معرضا عن تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين
والى ذلك اشير بقوله تع **فمثله كمثل الكلب** لانه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها
حيث قيل **ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث** اي فحالته التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل احواله وهي حال
دوام اللهث به في حالتي التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة
الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة
وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة
فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد اي هو ضيق الحال مكروب دايم اللهث سواء هيجته وازعجته

بالطرد العنيف وتركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة
لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف ساير الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب
والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح
للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل لها من الاعراب على منهاج قوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله
تع ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم وقيل هي في محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى
معنى التسوية حسب تحول الاستفهام من كل منهما فلنبين اليه في مثل قوله تع ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا
في الحالتين واياما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة عما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطرار القلب
ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب في
قيل لما دعا بلعم على موسى عم خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان اهلك **ذلك** اشارة الى
ما ذكر من الحالة الخسيسة المنسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الخسة والدناءة
اي ذلك المثل السيء **مثل القوم الذين كذبوا باياتنا** وهم اليهود حيث اوتوا في التوراة ما اوتوا من نعوت النبي
صلعم وذكر القران المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة **فاقصص القصص** القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد
والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما
اوحي اليك **لعلهم يتفكرون** فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون
انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له
اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم **ساء مثلا** استيناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان
كونه كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى
القوم الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف
اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الى اخره او الى التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء
مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة وربط قوله تعالى **وانفسهم كانوا يظلمون** به فانه اما معطوف
على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب ايات الله تع بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم
خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها واياما كان ففي يظلمون تلميح الى ان تكذيبهم
بالايات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول **من يهد الله فهو المهتدي**
لما امر النبي صلعم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من
الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة
والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تاثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره
نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تع اياه كساير افعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان
حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل

الى البعث اي ما من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار
بالاهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر بل هو مستلزم مدح المهتدي بالاهتداء والتنويه
بالنظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو
قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهده الله اي يخلق فيه الاهتداء على الوجه
المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف
اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير
والافراد في المهتدي نظرا الى لفظ من والجمع في الخاسرين نظرا الى معناها للايذان بان الحق واحد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال
ولقد ذرأنا كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذيب بها
وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما و
وتأخيرها عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي
كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرف من الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد
بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه
تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الايات
والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم
التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب في
محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها
من كونها غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم
عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الاغراق في القسوة وقد افادها حيث لم يتأت منها الفقه بحال فكأنها
خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا
بها شيئا مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح
عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين
ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة
الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا
ولهم آذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول الايات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر في الجملتين
المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي
اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون
بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك
اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال
اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم

متوجهة

متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها ان تدركه
من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا
كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على
العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه
ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام
والشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق
على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شئون الله عز وجل ولا من شئون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه
وليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصنامهم التي هي اخس مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى
تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق
به من الامور وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تأنيث الاحسن
اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها
اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف
يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شأنها عن الحق الى الباطل
اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض
الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى
وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان
يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد
بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا
اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا
من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه
تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الالحاد
في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور
مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول
العقوبة بهم عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون فانه استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم
ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين
الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانهم سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من
الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده

جزء كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس الى آخره اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة
اي طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة
وبالحق يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلعم انه كان يقول اذا قرأها
هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الآية وعنه عم ان من امتي قوما على
الحق حتى ينزل عيسى وروي لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي
امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان
بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به • والذين كذبوا باياتنا • شروع في تحقيق الحق
الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاقتداء به على وجه الترهيب ومحل
الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الآيات الى نون العظمة
لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق
والعدل • سنستدرجهم • اي سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال
من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط
او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل
الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي
من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه
مع انه في الحقيقة ترد في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم
في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم
في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها
والاول وسيلة اليه وقوله تعالى • من حيث لا يعلمون • متعلق بالفعل ورفع صفة لمصدره المذكور اي
سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل
وتقرب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم • واملي لهم • عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين
لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج
الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه
كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المبني على مزيد الاعتناء بمضمون الكلام
لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة وايراد ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج
بتوسط المدبرات فيما ودلالة نون العظمة على الشركة وان ذلك في الاخر من ايرادها في قوله تعالى
ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الآية بل انما ايرادها في امثال هذه الموارد بطريق
الجريان على سنن الكبرياء • ان كيدي متين • تقرير للوعيد وتأكيد له اي ان اخذي قوي لا يدفع بقوة ولا بحيلة والمراد به
اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه

قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من
غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار
القيد المذكور حتما • اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة • كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم في
شأنه عم وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للانكار
والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه وما اما استفهامية انكارية
في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد
بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب
ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي كذبوا بها ولم يتفكروا في اي شيء من جنون ما كائن بصاحبهم
الذي هو اعظم الهداة بالحق وعليه انزلت تلك الآيات او في انه ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى
يؤديهم التفكر في ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الآيات وقيل قد
تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اي اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اي شيء بصاحبهم
من جنة على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت وقيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلعم بصاحبهم للايذان
بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عم عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له
والتعرض لنفي الجنون عنه صلعم مع وضوح استحالة ثبوته له عم لما ان الكلام بما هو خارق لقضية العقول
والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل في معنى او عمن له تأييد
الهي يخبره عن الامور الغيبية واذ ليس به عم شائبة الاول تعين انه عم مؤيد من عند الله عز وجل وقيل
انه عم علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون
بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنة حينئذ لرد عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عم بصاحبهم
وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى • ان هو الا نذير مبين • جملة مقررة لمضمون ما
قبلها ومبينة لحقيقته صلعم على منهاج قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام
الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى • اولم
ينظروا في ملكوت السموات والارض • استئناف آخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل
في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة اثر ما نعى عليهم
اخلالهم بالتفكر في شأنه عم والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور
او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اي اكذبوا بها او لم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما
يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة • وما خلق الله • اي وفيما خلق فيهما على انه
عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او وفي ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات
والارض والتعميم لاشتراك الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء وقوله تعالى • من شيء • بيان لما خلق مفيد لعموم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون

ودقايقها والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما يطلق عليه
اسم الشيء ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا بها لاتحادهما
في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم
التوحيد وقوله تعالى **وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم** عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها
ضمير الشان وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم
وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تأخرهم
عن النظر والتأمل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما
كذبوه من الآيات التنزيلية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم
لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله تعالى **فبأي حديث بعده يؤمنون** قطع لاحتمال ايمانهم رأسا
ونفي له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون والضمير بعده
للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او بتأويلها بالمذكور واجراء الضمير
مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عم واحوال المصنوعات
فبأي حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية وقيل الضمير للقرآن و
المعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتبكيت
لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة الى التأمل فيما ذكر كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان
بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا و
قيل الضمير للاجل والمعنى فبأي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلعم على حذف مضاف اي
فبأي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى **من يضلل الله فلا هادي له** استيناف
مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى **ويذرهم في طغيانهم** بالياء والرفع على الاستيناف
اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالجزم عطفا على محل فلا
هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روي الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ
وقوله تعالى **يعمهون** اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ
من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل **يسألونك عن الساعة**
استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة
واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها
قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم
مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى **ايان مرساها** بفتح الهمزة وقرئ
بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ او الفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى حيث
يليها كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اويت الى الشيء لان البعض آو الى

الكل

الكل مستند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها
فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها
ومنه مرسى السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض
لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق
السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار
حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن ايضا حيث
اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل **قل انما علمها** اي علمها
بالاعتبار المذكور **عند ربي** ولم يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف
المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لاظهار خاصة التربية فقد استأثر به بحيث لم يخبر به احدا
من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى **لا يجليها لوقتها الا هو** بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها
واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه
ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص بالانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا
يظهر للناس امرها الذي تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في
اظهاره لهم لكن لا بأن يخبرهم بوقتها كما هو المسؤول بل بأن يقيمها بغتة كما يفصح عنه
التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد
ورود الاستثناء عليها لا قبله كأنه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه
من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه و
قوله تعالى **ثقلت في السموات والارض** استيناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت
على اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث
يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء اصلا و
الاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى **لا تأتيكم الا بغتة** فانه ايضا استيناف
مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة على غفلة كما قال صلعم ان
الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل
يخفض ميزانه ويرفعه **يسألونك كأنك حفي عنها** استيناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال
الى رسول الله صلعم بناء على زعمهم انه عم عالم بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان
خطئهم في اصل السؤال باعلام شأن المسؤول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على انها حال من
الكاف وحفي بها بيان لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعار بخطئهم في ذلك اي يسألونك مشبها
حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فان
ذلك في حكم المبالغة في العلم بها لان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب

على المبالغة في العكس واستقصائه ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اي استيصاله والاحفاء في المسئلة
اي الالحاف فيها وقيل عن متعلقة بيسئلونك وقوله تعالى كأنك حفي عنها معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها
وقد قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة
فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها
عن غيرهم وفيه تخطئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال عنها
تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه • قل انما علمها عند الله •
امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تأكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية
بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله
تعالى • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأسا
فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها
فيسئلونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة
الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون
عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم • قل لا
املك لنفسي نفعا ولا ضرا • شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه
وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عالما بها واعادة الامر لاظهار كمال العناية
بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر من النفع
والضر لاثبات عجزه عن علمها بطريق الاولى واللام اما متعلق باملك او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي
لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما • الا ما شاء الله • ان املكه من ذلك بان
يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ
في اظهار العجز • ولو كنت اعلم الغيب • اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات
المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة • لاستكثرت من الخير •
اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه • وما مسني
السوء • اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فان منه ما لا مدفع
له • ان انا الا نذير وبشير • اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم
الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت
من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه
الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان
المقام مقام الانذار وقوله تعالى • لقوم يؤمنون • اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما
ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر

وبشير

وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر
والطغيان • هو الذي خلقكم • استئناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الاشراك
بتذكير مبادي احوالهم المانعة عنه وايراد الموصول لتفخيم شأن المبتدأ اي هو ذلك العظيم الشأن
الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه • من نفس واحدة • هو آدم
عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في
ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته • وجعل • عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه
عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في الوجود • منها • اي من جنسها كما في قوله جعل لكم من
انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب
اذ الجنسية هي المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى • زوجها • مفعوله
الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى
• ليسكن اليها • علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج
كما يلوح به تذكير الضمير وتصحيح عقيبه قوله تعالى • فلما تغشاها • اي جامعها • حملت حملا خفيفا • في مبادي الامر فانه عند
كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة
الى نعمته تعالى عليهم في انشائه اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة
• فمرت به • اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما
وقرئ فمرت بالتخفيف فمارت من المور وهو المجيء والذهاب ومن المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما
قيل من ان المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية
ولم تستثقله كما تستثقله فمرت به اي مضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى
• فلما اثقلت • اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس
مقابلا للخفة بالمعنى المذكور انما مقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا
وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها • دعوا الله • اي آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما
امر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى • ربهما • اي مالك امرهما لتحقيق ان
يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعاء
محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تعالى في ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على
سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين • لئن آتيتنا صالحا • اي ولدا من جنسنا سويا • لنكونن
نحن ومن يتناسل من ذريتنا • من الشاكرين • الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب
هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر افراد الجنس ومعيار لها
ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل

مستتبع لكانهما فالاتين آتيتنا وذريتنا او لاولاد صالحة وقيل ان ضمير آتيتنا لهما ولكل من يتناسل
من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء اصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ما هما بصدده
وان ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاغتنام المذكور بل مؤكد له واما ما كان
ينبغي قوله تع فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا
فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تع شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تع فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما
من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ
مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر
في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة او ذوي شركة
اي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما
بالمضاف اليه بسرايته اليه حقيقة او حكما وتتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في قوله تعالى
واذ انجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود قد نسب الى
اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تع قل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان
القتل حقيقة مع كونه من جناية آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت
ولا ريب في ان ما نحن فيه ليس من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة
قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما
واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة
اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف وجعلهما كانهما باشراه بالذات مجموعة الجناية على النوع
والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من
احكام قدرته تع واثار نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل
وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة
اي عما يشركونه به سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما
اوليا وقرئ تشركون بالتاء الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم
خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تع ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم
عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه
لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك
من اين يخرج من ذلك فذكرته لآدم عم فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله تع بمنزلة فان دعوت ان
يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت
سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عم كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه

وانه

واتباعه اياه في مثل هذا الشان الخطير امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استيناف
مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شأن ما اشركوه به
سبحانه وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا
اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة و
قوله تع وهم يخلقون عطف على لا يخلق وايراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن
الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال
سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه
في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شيء ما بالخالق جميع الاشياء مما لا يمكن
ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره ولا
يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم نصرا اي نصرا ما بجلب منفعة او
دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم حادثة اي لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر لكونه
وعدا ابيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد
بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم
اهلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى
بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق
حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء
بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب و
تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تع سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم
الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله
تع ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل
عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان
الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الى آخره مما لا
يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله
تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين
لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله
تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة
عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره
عاجزة عن النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو

لا أمر فيهم بعجز أنفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما إذ هو أكد بدعوهم إلى عبادتها والاستعانة بها وقوله
تع فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم أي فادعوهم في جلب نفع أو كشف
ضر إن كنتم صادقين في زعمكم أنهم قادرون على ما أنتم عاجزون عنه وقوله تع ألهم أرجل يمشون
بها إلى آخره تبكيت إثر تبكيت مؤكد لما يفيده الأمر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها
بالكلية فإن الاستجابة من الهياكل الجسمانية إنما تتصور إذا كان لها حيوة وقوى محركة ومدركة
وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الأفاعيل بالمرة كأنه قيل ألهم هذه الآلات التي بها تتحقق
الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الإنكار إلى كل واحدة من هذه الآلات الأربع على حدة تكريرا
للتبكيت وتثنية للتقريع وإشعارا بأن انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة
ووصف الأرجل بالمشي بها للإيذان بأن مدار الإنكار هو الوصف وإنما وجه إلى الأرجل لا إلى الوصف بأن يقال
أيمشون بأرجلهم لتحقيق أنها حيث لم يظهر من سائر الأرجل فهي ليست بأرجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعد
من الجوارح الثلث الباقية وكلمة أم في قوله تع أم لهم أيد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة
لما مر من التبكيت والإلزام وبل للإضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه إلى فن آخر منه
لما ذكر من المزايا والبطش الأخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة فيه والمعنى ألهم أيد يأخذون
بها ما يريدون أخذه وتأخير هذا عما قبله لما أن المشي حالهم في أنفسهم والبطش حالهم بالنسبة إلى الغير وأما
تقديمه على قوله تع أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها مع أن الكل سواء في أنها من
أحوالهم بالنسبة إلى الغير فلمراعاة المقابلة بين الأيدي والأرجل ولأن انتفاء المشي والبطش والتبكيت
بذلك أقوى وأما تقديم الأعين فلما أنها أشهر من الآذان وأظهر عينا وأثرا هذا وقد قرئ إن
الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية أي ما الذين تدعون من
دونه تع عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تع ألهم إلى آخره تقرير النفي المماثلة بإثبات القصور و
النقصان قل ادعوا شركاءكم بعدما بين أن شركاءهم لا يقدرون على شيء ما أصلا أمر رسول الله صلعم
بأن يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم بالتبكيت وإلقام الحجر أي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدون
جميعا أنتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر فلا تنظرون أي فلا
تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فإني لا أبالي بكم أصلا إن وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل
لعدم المبالاة المفهوم من السوق انفهاما جليا ووصفه تع بتنزيل الكتاب للإشعار بدليل الولاية والإشارة
إلى علة أخرى لعدم المبالاة كأنه قيل لا أبالي بكم وبشركائكم لأن وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بأنه
وليي وناصري وبأن شركاءكم لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلا عن نصركم وقوله تع وهو يتولى الصالحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي ومن عادته أن يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون
أي تعبدونهم من دونه تع أو تدعونهم للاستعانة بهم علي حسبما أمرتكم به لا يستطيعون نصركم أي
في أمر من الأمور أو في خصوص الأمر المذكور ولا أنفسهم ينصرون إذا أتتهم نائبة وإن تدعوهم إلى

الهدى

إلى الهدى إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم على الإطلاق أو في خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا
أي دعاءكم فضلا عن المساعدة والإمداد وهذا أبلغ من نفي الاتباع وقوله تع وتراهم ينظرون إليك
وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار أصلا والرؤية
بصرية وقوله تع ينظرون إليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون أي وترى الأصنام رأي
العين يشبهون الناظرين إليك ويخيل إليك أنهم يبصرونك لما أنهم صنعوا لها أعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة
وصوروها بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه والحال أنهم غير قادرين على الإبصار وتوحيد الضمير
في تراهم مع رجوعه إلى المشركين لتوجيه الخطاب إلى كل واحد منهم لا إلى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة
تنبيها على أن رؤية الأصنام على الهيئات المذكورة لا تتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل الخطاب في تراهم
لرسول الله صلعم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على أن التعليل قد تم عند قوله تع لا يسمعوا أي
وترى المشركين ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك كما أنت عليه وعن الحسن أن الخطاب في قوله تعالى وإن
تدعوهم للمؤمنين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى يتبعوكم أي وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الإسلام
لا يتبعوكم ثم خوطبوا بطريق التجريد بأنك تراهم ينظرون إليك والحال أنهم لا يبصرونك حق الإبصار تنبيها
على أن ما فيه عم من مخايل النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو
بعدما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله أمر صلعم بمجامع مكارم الأخلاق التي من جملتها
الإغضاء عنهم أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو
ضد الجهد أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالمعروف
بالجميل المستحسن من الأفعال فإنها قريبة من قبول الناس من غير نكير وأعرض عن الجاهلين من غير
مماراة ولا مكافأة قيل لما نزلت سأل رسول الله صلعم جبريل عم فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد
إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق أمر الله تع نبيه
بمكارم الأخلاق وروي أنه لما نزلت الآية الكريمة قال صلعم كيف يا رب والغضب متحقق فنزل قوله تع و
إما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس وإغراؤه
لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه وإسناده إلى النزغ من قبيل جد جده أي وإما يحملنك من جهته وسوسة ما
على خلاف ما أمرت به من اعتراء غضب أو نحوه فاستعذ بالله فالتجئ إليه تع من شره إنه سميع
يسمع استعاذتك به قولا عليم يعلم تضرعك إليه قلبا في ضمن القول أو بدونه فيعصمك من شره وقد جوز
أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي إن لي شيطانا يعتريني
ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الأمر بالاستعاذة بالله تع تهويل لأمره وتنبيه
على أنه من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من معرتها إلا بالالتجاء إلى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح
أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها إن الذين اتقوا استئناف مقرر لما
قبله ببيان أن ما أمر به عم من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والإخلال بها ديدن الغاوين

أي إن الذين اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها إذا مسهم طائف من الشيطان أدنى لمة منه
على أن تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم أو من
طاف به الخيال يطيف طيفا أي ألم وقرئ طيف على أنه مصدر أو تخفيف من طيف من الواوي واليائي كهين
ولين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي تذكروا أي الاستعاذة به تعالى
والتوكل عليه فإذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه وإخوانهم أي إخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية أنفسهم
عن المضار يمدونهم في الغي أي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه
وقرئ يمدونهم من الإمداد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال
ثم لا يقصرون أي لا يمسكون عن إغوائهم حتى يردوهم بالكلية ويجوز أن يكون الضمير للإخوان أي
لا يرعوون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له وإذا لم تأتهم بآية من القرآن عند تراخي الوحي أو بآية مما اقترحوه
قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه أي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يريدون بذلك
أن سائر الآيات أيضا كذلك أو هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل ردا عليهم إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي
من غير أن يكون لي دخل ما في ذلك أصلا على معنى تخصيص حاله عم باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر المستفاد
من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالنسبة إلى مقابله الذي كلفوه إياه عم لا على معنى تخصيص اتباعه عم بما يوحى
إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه
في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي منه تعالى وفي التعرض لوصف
الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ إلى الكمال اللائق مع الإضافة إلى ضميره عم من تشريفه عم
والتنبيه على تأييده ما لا يخفى هذا إشارة إلى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى إلي بصائر
من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة
ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها أي بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم
الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم يؤمنون للإيذان بأن كون القرآن بمنزلة البصائر
للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع وأما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به إذ هم
المقتبسون من أنواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن أي وإذا قرئ القرآن
الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وأنصتوا أي واسكتوا في خلال
القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون أي تفوزون بالرحمة التي هي
أقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها

وقيل

وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رض على أنه في استماع
المؤتم وقد روي أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وعن ابن
عباس رض أن النبي صلعم قرأ في المكتوبة وقرأ أصحابه رض خلفه فنزلت وأما خارج الصلاة فعامة العلماء
على استحبابهما والآية إما من تمام القول المأمور به أو استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى واذكر
ربك في نفسك على الأول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب إلى رسول الله صلعم وهو عام في الأذكار
كافة فإن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب من الإجابة تضرعا وخيفة أي متضرعا وخائفا
ودون الجهر من القول أي ومتكلما كلاما دون الجهر فإنه أقرب إلى حسن التفكر بالغدو والآصال
متعلق باذكر أي اذكر في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل أي دخل
في الأصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى إن الذين عند ربك وهم
الملائكة عم ومعنى كونهم عنده تعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى لا يستكبرون
عن عبادته بل يؤدونها حسبما أمروا به ويسبحونه أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه
وله يسجدون أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر
المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلعم إذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل
الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار
وعنه صلعم من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم عم شفيعا
له يوم القيامة

سورة الأنفال مدنية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ست وسبعون آية

يسألونك عن الأنفال النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو أصل الأجر في
الجهاد من الثواب الأخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم و
قرئ علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام روي أن المسلمين اختلفوا
في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلعم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين أم للأنصار
أم لهم جميعا وقيل إن الشبان قد أبلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين وأسروا سبعين
فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا
ردءا لكم وفئة تنحازون إليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله صلعم ما منعنا أن نطلب ما طلب
هؤلاء زهادة في الأجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا أن نعري مصافك فيعطف عليك خيل من
المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلعم قد شرط لمن كان له بلاء أن ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من
القتل والأسر فسألوه ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت
لهم حرمت أصحابك فنزلت والأول هو الأظهر لأن السؤال استعلام لحكم الأنفال بقضية كلمة عن لا
استعطاء لنفسها كما ينطق به الوجه الأخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة
ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء

يشاركونه لان النفل غير منتهض ان يجعل ما كانوا عليه من الحذف والايصال لكلمة عنه الجواب بقوله
عز وجل ﴿قل الانفال لله والرسول﴾ اي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان يدخل
فيه رأي احد ولو كان السؤال استعطافا لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله عز وجل و
الرسول لا ينافي اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه باذن الله تعالى
لا بحكم سبق ايديهم اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى
المذكور مختصة برسول الله صلعم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل اليه ضرورة ثبوت الاستحقاق
بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما
ذهب اليه مجاهد وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلعم خاصة ليس لاحد فيها شيء
بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول
حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الآية على ان الحق انه لا نسخ حينئذ ايضا حسبما قاله عبد الرحمن
بن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها
وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلعم على الانفال
المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال المشروطة يأباه مقام
بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن السؤال الموعود ببيان كونه له ام
خاصة مما لا يليق بشأن التنزيل الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت
سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به رسول الله صلعم فقلت ان الله تعالى قد شفى صدري من
المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه
الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله
صلعم يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع
التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة
المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام
قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي ضرورة ان يعدم مما لا يقدح في الجواز واعطاؤه عليه السلام بعد النزول
وترتيبه على قوله وقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له عليه السلام قوله تعالى قل الانفال لله والرسول والمفروض
انه المانع من اعطاء المسؤول ومما ينص في الباب قوله عز وجل ﴿فاتقوا الله﴾ اي اذا كان امر الغنائم
لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من التشاجر فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى او فاتقوه
في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه
محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم ﴿واصلحوا ذات بينكم﴾ اي الحال التي بينكم
من الحال الا ... اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر

اصحاب

اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء
وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال
اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا لقد اكلنا وانفقنا ورد بعضكم على بعض ﴿واطيعوا الله ورسوله﴾ بتسليم امره
ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية
بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ متعلق بالاوامر الثلاثة
والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق
المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان
كماله اي ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح
ذات البين بالعدل والاحسان ﴿انما المؤمنون﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم
الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما الكاملون
في الايمان المخلصون فيه ﴿الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك
ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصيته
فيقال له اتق الله فينزع خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي خافت ﴿واذا
تليت عليهم آياته﴾ اي آية كانت ﴿زادتهم ايمانا﴾ اي يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة
وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة
والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق بها المؤمن فزاد ايمانه عددا
واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب ان
نفس التصديق يقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات
ويقين آحاد الامة وعليه مبني ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد
وما قامت عليه ادلة كثيرة ﴿وعلى ربهم﴾ مالكهم ومدبر امورهم خاصة ﴿يتوكلون﴾ يفوضون امورهم
لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾
مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع المنبئ عن المدح ذكر
اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح
من الصلاة والصدقة ﴿اولئك﴾ اشارة الى ما ذكر صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون
بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما
فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف ﴿هم المؤمنون حقا﴾ لانهم حققوا ايمانهم بان
ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون
او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا ﴿لهم درجات﴾ من الكرامة والزلفى وقيل درجات
عالية في الجنة وقوله تعالى جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كأنه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال

فقيل لهم درجات وخبر ثان لأولئك وقوله تعالى • عند ربهم • إما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة
لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة عند ربهم أو بما تعلق به الخبر أعني لهم من
الاستقرار وفي إضافة الظرف إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وإيذان بأن ما وعد لهم متيقن
الثبوت والحصول مأمون الفوات • ومغفرة • لما فرط منهم • ورزق كريم • لا ينقطع مدده ولا ينتهي
عدده وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة • كما أخرجك ربك من بيتك بالحق • الكاف في محل الرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهتهم ما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك
للحرب وهو حق أو في محل النصب على أنه صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الأنفال لله أي الأنفال ثبتت لله والرسول
مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك في المدينة إخراجا ملتبسا بالحق • وإن فريقا من
المؤمنين لكارهون • أي والحال أن فريقا منهم كارهون للخروج إما لنفرة الطبع عن القتال أو لعدم الاستعداد
وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص و
عمرو بن هشام فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلعم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ
أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها
محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت كأن ملكا نزل من السماء
فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس
فقال أبو جهل ما يرضى رجالكم أن يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤكم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير فقيل له إن العير
أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور
ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير وإنا قد أعضضناه فمضى
بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين
إما العير وإما قريشا فاستشار النبي صلعم أصحابه فقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول
فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلعم ثم ردد عليهم
فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند
غضب النبي صلعم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن
أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيثما أحببت
لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عم اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت و
ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلعم ثم قال أشيروا علي أيها الناس
وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا
فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا وكان النبي صلعم يتخوف أن لا يكون الأنصار ترى عليهم نصرته
إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك
وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول

لما أردت

لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره
أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله
ففرح رسول الله صلعم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين
والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم وروي أنه قيل لرسول الله صلعم حين فرغ من بدر عليك بالعير
ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلعم لم قال لأن الله وعدك إحدى
الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك • يجادلونك في الحق • الذي هو تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير و
والجملة استئناف أو حال ثانية أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك ويجوز أن يكون حالا من الضمير في لكارهون
وقوله تعالى • بعدما تبين • منصوب بيجادلونك وما مصدرية أي بعد تبين الحق لهم بإعلامك أنهم ينصرون أينما
توجهوا ويقولون ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال •
كأنما يساقون إلى الموت • الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون أي مشبهين بالذين يساقون
بالعنف والصغار إلى القتل • وهم ينظرون • حال من ضمير يساقون أي والحال أنهم ينظرون إلى أسباب الموت
ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع إلا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة
روي أنه لم يكن فيهم إلا فارسان • وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين • كلام مستأنف مسوق
لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف و
الجزع وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات وإحدى
الطائفتين وتذكير الوقت الجالب لذكر ما وقع فيه حاضرا مفصلا كأنه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم
بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى • أنها
لكم • بدل اشتمال من إحدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك
وتتصرفون فيهم كيف شئتم • وتودون • عطف على يعدكم داخل تحت الأمر بالذكر أي تحبون • أن
غير ذات الشوكة تكون لكم • من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي العير إذ لم يكن فيها إلا أربعون فارسا و
رئيسهم أبو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم
عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وشوك القنا شباها • ويريد
الله • عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم
أي اذكروا وقت وعده تعالى إياكم إحدى الطائفتين ووداكم لأدناهما وإرادته تعالى لأعلاهما وذلك قوله
تعالى • أن يحق الحق • أي يثبته ويعليه • بكلماته • أي بآياته المنزلة في هذا الشأن أو بأوامره للملائكة
بالإمداد وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر • وقرئ بكلمته • ويقطع دابر الكافرين •
أي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى أنتم تريدون سفساف الأمور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع
إلى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى • ليحق الحق ويبطل الباطل •
جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية إلى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع إرادتهم لغيرها واللام

متعلقه بفعل مقدر مؤخر عنها اى لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشئ آخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان
تفاوت ما بين الارادتين وهذا البيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله
حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل • ولو كره المجرمون • اى المشركون ذلك اى احقاق
الحق وابطال الباطل • اذ تستغيثون ربكم • بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم
منه سبحانه والتجائهم اليه حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى حينئذ وقيل متعلق
بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله فى اذ لانه ظرف
لما مضى ليس بشئ لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان
الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما فى وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال
فى تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستانف اى اذكر
وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اى رب انصرنا
على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رض ان رسول الله صلعم نظر الى المشركين وهم الف والى
اصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك
هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه
والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك • فاستجاب لكم • عطف على
تستغيثون داخل معه فى حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة •
انى ممدكم • اى بانى فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على
اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول • بالف من الملائكة مردفين • اى جاعلين
غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان
الاجمالى وبين فى سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين المؤمنين
او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته
اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ
مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلها مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى
الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما فى سورة آل عمران
ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم
واعيانهم او من قاتل منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل على وقوعها • وما جعله الله • كلام مستانف
سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا
من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه
المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم • الا بشرى لكم • وهو
استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشئ من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون

ولتطمئن

ولتطمئن به • اى بالامداد • قلوبكم • وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبنى اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له
للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقى الثانى على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته فى العلية واما
اهميته فى نفسه كما قيل فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفى قصر الامداد عليهما اشعار بعدم
مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راى بعض
السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اى وما جعله الله شيئا
من الاشياء الا بشارة لكم فاللام فى ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشئ
آخر • وما النصر • اى حقيقة النصر على الاطلاق • الا من عند الله • اى الا كائنا من عنده عز وجل من غير
ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هى مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية • ان الله
عزيز • لا يغالب فى حكمه ولا ينازع فى قضيته • حكيم • يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة
تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة • اذ يغشيكم
النعاس • اى يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال
فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما فى تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق
بالنصر وبما فى من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية
والفاعل على الوجهين هو البارى تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس • امنة
منه • على القراءتين الاوليين منصوب على العلة بفعل مترتب على الفعل المذكور اى يغشيكم النعاس فتنعسون
امنا منه تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل آخر كذلك اى فتامنون امنا كائنا منه تعالى وايا ما
كان فحسن على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب
على العلة بيغشاكم باعتبار المعنى فانه فى حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة •
وينزل عليكم من السماء ماء • تقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده تتمكن عندها فضل تمكن وتقديم عليكم
لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال • ليطهركم به • اى
من الحدث الاصغر والاكبر • ويذهب عنكم رجز الشيطان • الكلام فى تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد
برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام
على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم
يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق
ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من
احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا فاشفقوا فانزل الله تعالى المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى
فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذى كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام
وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى • وليربط على قلوبكم • اى يقويها

بتثبيته بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه ويثبت به الاقدام ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول
ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا تقوى وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب
وقوله تع • اذ يوحي ربك الى الملائكة • منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلعم بطريق التجريد
حسبما ينطق به الكاف لان المأمور به مما لا يستطيعه غيره عم فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو
على انه عم ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر النعم السابقة التي امروا بذكرها وقتها
بطريق التذكر وقيل منصوب بيعدكم وبيثبت به الاقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به الى الربط
على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت الايحاء الى الملائكة وامرهم بتثبيتهم اياهم وهو وقت
القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل
ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عم مع ما عرفت من ان المأمور به ليس من الوظائف العامة
للكل كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من التنويه والتشريف ما لا يخفى و
المعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة • اني معكم • اي بالامداد والتوفيق في امر التثبيت فهو مفعول يوحي
وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه واما تنويه دخول كلمة مع متبوعية الملائكة عم انما هي
من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية كما في قوله تع ان الله مع الصابرين
والفاء في قوله تع • فثبتوا الذين آمنوا • لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت
واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تتقوى به قلوبهم
وتصح عزائمهم ونياتهم ويتأكد جدهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات
في موطن الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفونه بوجهه
فيأتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان
الله ناصركم وقال آخرون امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا قوله • سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب • تفسيرا لقوله
تعالى اني معكم وقوله تع • فاضربوا • الى آخره تفسيرا لقوله تع فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني
رض وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقعت راسه بين يدي قبل ان
يصل اليه سيفي وعن سهل بن حنيف رض انه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فتقع
راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بان قتلهم للكفرة مع عدم ملائمته لمعنى التثبيت لكونه مبنيا
على ما لا يتوقف على الامداد والقاء الرعب لانه ترتيب الامر عليه باء لغا وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى
سالقي الى آخره ليس نصا فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك تفسير قوله تع فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم
كانه قيل قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الى آخره فالضاربون هم المؤمنون
واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تع للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فمداره توهم وروده قبل القتال
واني ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تع • فوق الاعناق • اي اعاليها التي هي
المذابح او الهامات • واضربوا منهم كل بنان • وقيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقال

ابو الهيثم

ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اي اطرافهم
في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الاداني وبفوق الاعناق الاعالي والمعنى فاضربوا
النصف دون والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا
مما بعده • ذلك • اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة
والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله تع • بانهم شاقوا
الله ورسوله • اي ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل الى مغالبته اصلا
واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المتشاقين في شق خلاف شق الآخر كما ان اشتقاق المعاداة
والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا من المتعاديين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر
وخصمه • ومن يشاقق الله ورسوله • الاظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما
اجترأوا عليه والاشعار بعلية الحكم وقوله تع • فان الله شديد العقاب • اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد
الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان
فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك العقاب الشديد
بسبب مشاقتهم لله تع ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسببها عقاب شديد
فاذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا
كما قيل فيرده ما بعده من قوله تع • ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار • فانه مع كونه هو المسوق للوعيد
بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب ما اريد او الى ما يعقبه الشرطية من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر
ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تع فذوقوه والواو في قوله تع وان للكافرين الى آخره بمعنى مع فالمعنى
باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع
الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثاني فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
وقوله تع وان للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم الله ذلكم اي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا
وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تع فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على
الاول للنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الآية الكريمة وجوه اخر مدار الكل
على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر ان على الاستئناف • يا ايها الذين آمنوا
خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة اظهارا
للاعتناء بشانه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه • اذا لقيتم الذين كفروا زحفا • الزحف الدبيب
يقال زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته
وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس اليه في غاية البطء
وان كانت في نفس الامر على غاية السرعة قال قائلهم • وارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب
تهملج • ونصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اي زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه

اى يزحفون زحفا واما لكونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى ﴿فلا تولوهم
الادبار﴾ اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو او بكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم
هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث
تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم و
انتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم
في العدد او تساووهم ﴿ومن يولهم يومئذ﴾ اى يوم اللقاء ﴿دبره﴾ فضلا عن الفرار وقرئ
بسكون الباء ﴿الا متحيزا الى فئة﴾ اى منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل
معهم العدو وعن ابن عمر رضي الله عنه ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت
يا رسول الله نحن الفرارون فقال صلعم بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى
المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه انا فئتك ووزن متحيز
متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما على الحالية والا لغو لا عمل لها او
اما على الاستثناء من المولين اى ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا ﴿فقد باء﴾ اى رجع
﴿بغضب﴾ عظيم لا يقادر قدره ومنبئ قوله تعالى ﴿من الله﴾ متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة
لما افاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اى بغضب كائن منه تعالى ﴿وماويهم جهنم﴾
اى بدل ما ارادوا بفرارهم ان يأوي اليه من مأوى ينجيهم من القتل ﴿وبئس المصير﴾ في ايقاع البوء في موقع
جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي
ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف
الله عنكم الاية وقيل مخصوصة باهل بيته والحاضرين معه في الحرب ﴿فلم تقتلوهم﴾ رجوع الى بيان بقية احكام
الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره
بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ﴿ولكن الله قتلهم﴾ بنصركم
وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير ان عقلتموهم اذا علمتم ذلك
فلم تقتلوهم اى فما علموا او ما ضركم انكم لم تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد القائلين
لما روي انهم لما انصرفوا من المعركة اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقد
كان رسول الله صلعم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبونك
رسولك اللهم اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى
الجمعان قال لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم
يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب ﴿وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى﴾ تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عم حينئذ من افعاله عز وجل وتجريد الفعل على المفعول به لما ان المقصود
الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا اذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغيير الرمي به في نفسه وتكثره الى حيث اصاب

عيني كل واحد من اولئك الامة الجمة شيء من ذلك اى وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار
العظيمة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اى خلقها حين
باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التأثير الخارج عن
طوق البشر ودائرة القوى والقدر فقد اثبتها له عم لوقوعها منه ونفيها عنه عم لكون اثرها من افعاله سبحانه لا من
افعاله عم وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في الموضعين واللام في قوله تعالى ﴿وليبلي المؤمنين منه﴾ اى ليعطيهم
من عنده تعالى ﴿بلاء حسنا﴾ اى اعطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متأخر
فالواو اعتراضية اى وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو
للعطف على علة محذوفة اى ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله تعالى ﴿ان الله سميع﴾ اى لدعائهم
واستغاثتهم ﴿عليم﴾ اى بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ﴿ذلكم﴾ اشارة الى البلاء الحسن
ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله ﴿وان الله موهن كيد الكافرين﴾ بالاضافة معطوف عليه
اى المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل اشارة الى القتل او الرمي والمبتدأ الامر
ذلكم اى القتل حق وقوله تعالى وان الله الاية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب
كيد الكافرين ﴿ان تستفتحوا﴾ خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اى ان تستنصروا الاعلى الجندين
﴿فقد جاءكم الفتح﴾ حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس
الفتح حيث وضع موضع ما يقابله ﴿وان تنتهوا﴾ عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلعم
﴿فهو﴾ اى الانتهاء ﴿خير لكم﴾ اى من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى
اعتبار اصل الخيرية في المفضل عليه مسايرتهم ﴿وان تعودوا﴾ اى الى حرابه عم ﴿نعد﴾ لما شاهدتموه من
الفتح ﴿ولن تغني﴾ بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تأنيث الفئة غير حقيقي وللفصل اى لن تدفع
ابدا ﴿عنكم فئتكم﴾ جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم ﴿شيئا﴾ اى من الاغناء او من المضار وقوله تعالى
﴿ولو كثرت﴾ جملة حالية وقد مر التحقيق ﴿وان الله مع المؤمنين﴾ اى ولان الله معين المؤمنين كان ذلك او
والامر ان الله مع المؤمنين ويؤيده بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستيناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى
ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلعم فهو خير لكم
من كل شيء لما انه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني
حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان ﴿يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله
ورسوله ولا تولوا﴾ بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها ﴿عنه﴾ اى لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر
بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تعالى في طاعة رسوله عم من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى ﴿وانتم تسمعون﴾ جملة حالية
واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد

النهي بمنزلة حال السمع كما في قوله تعالى ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن
الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان • ولا تكونوا • تقرير للنهي السابق
وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا كالمدعين
للامر والنهي • كالذين قالوا سمعنا • بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع
• وهم لا يسمعون • حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه
حق فهمه فكانهم لا يسمعونه رأسا • ان شر الدواب • استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة
في التحذير وتقرير للنهي اثر تقرير اي ان شر من يدب على الارض او شر البهائم • عند الله • اي في حكمه وقضائه
• الصم • الذين لا يسمعون الحق • البكم • الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذان والالسنة
سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كانهم فاقدون للجارحتين رأسا وتقديم
الصمم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به
من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل بقوله • الذين لا يعقلون • تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم
الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان
فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون
عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس • ولو علم الله فيهم خيرا • شيئا
من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدى • لاسمعهم • سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على
حقية الرسول صلعم واطاعوه وامنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك
لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى • ولو اسمعهم لتولوا • اي لو اسمعهم سماع تفهم و
هم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قطا او ارتدوا بعدما صدقوا
وصاروا كأن لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى • وهم معرضون • اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على ادبارهم والحال
انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون لرسول
الله صلعم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصي الى اخره و
قيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي
عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون
وعن الحسن رحمه الله انهم اهل الكتاب • يا ايها الذين امنوا • تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى
الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك • استجيبوا لله وللرسول
بحسن الطاعة • اذا دعاكم • اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تعالى • لما يحييكم • من العلوم الدينية التي هي مناط
الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ماء حيوة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم
لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة روي انه عم مر على ابي بن كعب وهو يصلي
فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال عم ما منعك عن اجابتي قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا

لله وللرسول

لله وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائصه عم وقيل لان اجابته عم لا تقطع الصلوة
وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله • واعلموا ان الله يحول بين المرء و
قلبه • تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات
القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية
فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول
بينه وبين الكفر ان اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة
المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل
مجرى الوقف • وانه • اي الله عز وجل والشان • اليه تحشرون • لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب
اعمالكم فسارعوا الى طاعته تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما • واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة • اي لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم و
المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله
لا تصيبن الى اخره اما جواب للامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الى اخره وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق
به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة
ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقول من قال حتى اذا
جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن
وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم
خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم
منكم اقبح منه من غيركم • واعلموا ان الله شديد العقاب • ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه
• واذكروا اذ انتم قليل • اي وقت كونكم قليلا في العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه
من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى • مستضعفون • خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى
• في الارض • اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب
للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى • تخافون ان يتخطفكم الناس • خبر ثالث او صفة
ثانية لقليل وصف بالجملة بعدما وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو
الاظهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم وعلى الثاني فارس والروم اي واذكروا
وقت قلتكم وذلتكم واستضعافكم على الناس وخوفكم من اختطافهم • فاواكم • الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون
به من اعدائكم • وايدكم بنصره • على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة • ورزقكم من الطيبات
من الغنائم • لعلكم تشكرون • هذه النعم الجليلة • يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول • اصل
الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض و
السنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او في الغلول في الغنائم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة

احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا
ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضه فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله كان
في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد فقال والله لا اذوق طعاما
ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك
فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلعم هو الذي يحلني فجاءه عم فحله فقال ان من تمام توبتي
ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عم يجزيك الثلث ان تتصدق به • وتخونوا
اماناتكم • فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو • وانتم تعلمون انكم
تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح • واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة • لانها سبب الوقوع في
الاثم او العقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم فيهما فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة • وان الله عنده
اجر عظيم • لمن اثر رضاه تع عليهما وراعى حدوده فيهما فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه • يا ايها الذين امنوا
تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته
والتيقظ عليه كما في الخطاب السابق • ان تتقوا الله • اي في كل ما تأتون وما تذرون • يجعل لكم
بسبب ذلك • فرقانا • هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل
باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات ونجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا يشتهر
امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح • ويكفر عنكم سيئاتكم • اي يسترها
• ويغفر لكم • ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد
ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تع لهم وقوله تع • والله ذو الفضل العظيم • تذييل قبله
وتنبيه على ان ما وعده الله تع لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد
السيد عبده انعاما على عمل • واذ يمكر بك الذين كفروا • منصوب على المفعولية بمضمر خوطب النبي عم
معطوف على قوله تع واذكروا اذ انتم قليل اخره مسوق لتذكير النعم الخاصة به عم بعد تذكير النعمة العامة للكل اي
واذكر وقت مكرهم بك • ليثبتوك • بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم
ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات • او يقتلوك • اي
بسيوفهم • او يخرجوك • اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم له عم فرقوا و
اجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امره عم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم
فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه وتسدوا منافذه غير كوة
تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال
هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق

دم

دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا
على رأيه فاتى جبريل النبي عم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضه على مضجعه وخرج مع ابي بكر رضه
الى الغار • ويمكرون ويمكر الله • اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك
بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا منهم ما لقوا • والله خير الماكرين • لا يعبأ بمكرهم
عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا مساغ له ابتداء لما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه
• واذا تتلى عليهم اياتنا • التي حقها ان تخر لها صم الجبال • قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا • قائله
النضر بن الحارث واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاصهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه
وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عم في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا
شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشية وقد تحداهم عشر سنين وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامرين
ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بسورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان • ان هذا
الا اساطير الاولين • اي ما يسطرونه من القصص • واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم • هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير
الاولين قال له النبي صلعم ويلك انه كلام الله تع فقال ذلك والمعنى ان القرآن ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا
الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس
كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه
حقا على الوجه الذي يدعيه عم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير
• وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم • جواب لكلمته الشنعاء وبيان لموجب امهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام
لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه
والمراد باستغفارهم في قوله تع • وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون • اما استغفار من بقي فيهم من
المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك
القرى واهلها مصلحون • وما لهم الا يعذبهم الله • بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم
اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون • وهم يصدون عن المسجد الحرام • اي وحالهم ذلك
ومن صدهم عنه الجاء رسول الله عم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية • وما كانوا اولياءه • حال من
ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره في غاية
القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء • ان اولياؤه
الا المتقون • من الشرك الذي لا يعبدون فيه غيره • ولكن اكثرهم لا يعلمون • انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار
بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم • وما كان صلاتهم عند البيت
اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها • الا مكاء • اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر
وقرئ بالقصر كالبكى • وتصدية • اي تصفيقا تفعلة من الصدد او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء

وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم للمسجد
فانها لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلعم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون
ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام تحتمل ان تكون للعهد و
المعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم
عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية
او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا
منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن
انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد و
يحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع
بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة
ثم يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم
يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام
متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوته عما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بتكون
ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض
حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك
اشارة الى الخبيث او هو عبارة عن الموثق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في
الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابو سفيان
واصحابه اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلعم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف
من الذنوب وقرئ يغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة
الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم
عطف على قل وقد تخلل الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين
من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله ويضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك
اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على
انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب اي بما تعملون من الجهاد والاخراج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم
للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا
ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بعداوتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره
واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة

ايام

ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف اي الذي
اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان قوله
تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتناء بشان الغنيمة
وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا
نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي المفتوحة عنوة فان لله خمسه مبتدا
خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وعقد الجملة خبر لان ما الخ وقرئ بالكسر والاول اكد واقوى في الايجاب
لما فيه من تكرر الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه
بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس
على المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام
في ذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلعم لمزيد اتصالهم به صلعم وهم بنو هاشم
وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما قالا لرسول الله صلعم هؤلاء
اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا و
انما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب
شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمته عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلعم على خمسة اسهم سهم له
عليه السلام وسهم للمذكورين من قرابته وثلثة اسهم للاصناف الثلثة الباقية واما بعده عليه السلام فسهمه
ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم
على الاصناف الثلثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم
ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد ابن
علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول صلعم يكون للامام بعده
واما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلعم يصرف الى ما كان يصرفه عم من مصالح المسلمين
كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل
حظ الانثيين والباقي للفرق الثلث وعند مالك رضي الله عنه الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان
راى اعطى بعضا منهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الاية الكريمة
فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه عم كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح
الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عم هذا شان
الخمس واما الاخماس الاربعة فيقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله وثلثة اسهم
عندهما قال القرطبي لما بين الله حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم
امنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم امنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى
الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع

بالعلم والطاعة لامره تعالى • وما انزلنا • عطف على الاسم الجليل اى ان كنتم امنتم بالله وبما انزلنا • على عبدنا
قرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول صلعم والمؤمنون فان بعض ما نزل نزل عليهم بالذات كما ستعرفه
يوم الفرقان • يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بامنتم • يوم التقى الجمعان
اى الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان • والمراد
ما انزل عليه عليه السلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير
فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على
الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من جهة الله تعالى وجب ان يكون ما حصل
بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى • والله على كل شيء قدير • فيقدر على نصر القليل على الكثير و
الذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم • اذ انتم بالعدوة الدنيا • بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة
بضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا • وهم بالعدوة القصوى • اى البعدى من المدينة
وهي تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو ولكنها جاءت على الاصل
كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا • والركب • اى العير وقوادها • اسفل منكم • اى في
مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها
الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين
فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى
وكثرة عددهم • ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد • اى لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم في
الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادات
فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس • ولكن • جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد • ليقضي الله امرا
كان مفعولا • حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى • ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة • بدل منه او متعلق بمفعولا اى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش
عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من
امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك
والحيوة او من حاله في علم الله تعالى الهلاك والحيوة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الادغام حملا على المستقبل
وان الله لسميع عليم • اى بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول و
الاعتقاد • اذ يريكهم الله في منامك قليلا • منصوب باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح
اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم • ولو اريكهم كثيرا لفشلتم
اى لجبنتم وهبتم الاقدام • ولتنازعتم في الامر • اى امر القتال وتفرقت اراؤكم في الثبات والفرار • ولكن الله سلم
اى انعم بالسلامة من الفشل والتنازع • انه عليم بذات الصدور • يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع

ولذلك

ولذلك دبر ما دبر • واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا • منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التغليب والمعطوف
على المضمر السابق والضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود
رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول عم • ويقللكم في اعينهم
حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم
كثرهم حتى رأوهم مثليهم ليفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم ايات تلك الوقعة فان البصر قد يرى
الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض
دون بعض مع التساوي في الشرائط • ليقضي الله امرا كان مفعولا • كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد
بالاول الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه • والى الله ترجع الامور
كلها يصرفها كيف يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم الحميد • يا ايها الذين امنوا • صدر الخطاب في
النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده • اذا لقيتم فئة • اى حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم
يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال • فاثبتوا • اى للقائهم في مواطن
الحرب • واذكروا الله كثيرا • اى في مضايق القتال مستدعين منه مستغيثين به مستظهرين بذكره مترقبين
لنصره • لعلكم تفلحون • اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي
ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك
عنه في حال من الاحوال • واطيعوا الله ورسوله • في كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا
اوليا • ولا تنازعوا • باختلاف الاراء كما فعلتم ببدر او احد • فتفشلوا • جواب للنهي وقيل عطف عليه • وتذهب
ريحكم • بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اى تذهب دولتكم وشوكتكم فانها
مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة
فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور • واصبروا • اى على
شدائد الحرب • ان الله مع الصابرين • بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم
المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة • ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم • بعدما امروا بما امروا به من محاسن الاعمال نهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل
مكة حين خرجوا لحماية العير • بطرا • اى فخرا واشرا • ورئاء الناس • ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك
انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار اثار الجلادة فلقوا
ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى و
الاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده • ويصدون عن سبيل الله • عطف على بطرا ان جعل مصدرا
في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر • والله بما يعملون محيط • فيجازيهم عليه • واذ
زين لهم الشيطان اعمالهم • منصوب بمضمر خوطب به النبي صلعم بطريق التلوين اى واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم
في معاداة المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم • وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم • اى القى في روعهم

وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعُددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها
قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين وانى جار لكم عطف على صفته ويسمى صلته
ولولا انتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا ● فلما تراءت الفئتان ● اي تلاقى الفريقان ● نكص على عقبيه
رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم ● وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون
انى اخاف الله ● اي تبرأ منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما راى امداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل
لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في سراقة بن
مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى مجيركم من كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وكان يده في
يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال انى ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث
وانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم
فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله انى اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة
او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن رح واختاره ابن بحر
● والله شديد العقاب ● يجوز ان يكون من كلامه او مستأنفا من جهة الله عز وجل ● اذ يقول المنافقون ●
منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب ● والذين في قلوبهم مرض ● اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان
بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين
كما في قوله ● يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب ● غرّ هؤلاء ● يعنون المؤمنين ● دينهم ● حتى تعرضوا لما
لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ● ومن يتوكل على الله ● جواب لهم من جهته تعالى ورد
لما قالوا ● فان الله عزيز ● غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل ● حكيم ● يفعل بحكمته البالغة ما يستبعد
العقول ويحار في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ● ولو ترى ● اي ولو رأيت فان
لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما لرسول الله صلعم او لكل احد ممن له حظ
من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تعالى ● اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة ● ظرف لترى والمفعول محذوف ● اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة
ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتداء وقوله تعالى ● يضربون
وجوههم ● خبره والجملة حال من الموصول قد استغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة
او منهما لاشتماله على ضميريهما ● وادبارهم ● اي واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء ● وذوقوا عذاب
الحريق ● على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة
بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه
عن حدود البيان اي لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ● ذلك ● اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه
من معنى البعد للاشعار بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتداء خبره ● بما قدمت ايديكم ●
اي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تعالى ● وان الله ليس بظلام للعبيد ●

الرفع

الرفع على انه خبر مبتداء محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه
في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة
على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لان امكان تعذيبه
تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه
معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك ● كدأب آل فرعون ● في محل
الرفع على انه خبر مبتداء محذوف استيناف مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشئ آخر من
جهته بغيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك
سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كدأب
آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال ● والذين من قبلهم ● اي من قبل آل فرعون
من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر و
العناد وقوله تعالى ● كفروا بآيات الله ● تفسير لدأبهم الذي فعلوه لا لدأب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك
معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تعالى ● فأخذهم الله ● تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم
جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى ● بذنوبهم ● لتأكيد ما افادته الفاء من السببية مع الاشارة الى
ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم
فتكون الباء للملابسة اي فأخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لا فعلوا
فقط كما قيل قال ابن عباس رض ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه فانزل الله تعالى كذلك هؤلاء جاءهم محمد عم
بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل العذاب من جملة دأبهم مع انه ليس مما يقصدونه
مداومتهم عليه بما يوجبه من الكفر والمعاصي بمنزلة مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى ● ان الله
قوي شديد العقاب ● اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ● ذلك ● الخ استيناف مسوق لتعليل
ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو
المشار اليه لا نفس ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور
تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق
النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم
لحالهم وكونهم مما ان السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته
تعالى على تغيير نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان العلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل
وابعاد عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر بآيات الله والمساهلة عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله و
التحذير منه فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان ينعم ابتداء مع قدرته تعالى على ذلك ● بان
الله ● اي بسبب انه تعالى ● لم يك ● في حد ذاته ● مغيرا نعمة انعمها ● اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يغير

بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اى نعمة كانت جلت او هانت • حتى يغيروا ما بانفسهم من
الاعمال والاحوال التى كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السابقة
مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة
عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وساير النعم الدنيوية عليهم فلما بعث النبى صلعم
بالبينات غيروها الى اسوأ منها واسخط حيث كذبوه عم وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم
يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال • واصل يك
يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها بحروف العلة • وان الله سميع عليم • عطف على ان الله الى اخره داخل
معه فى حيز التعليل اى وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما ياتون وما يذرون من الاقوال والافعال والاحوال
السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استئناف
مقرر لمضمون ما قبلها • وقوله تعالى كدأب آل فرعون والذين من قبلهم فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
اى حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اى كتغييرهم على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو
الانسب بجمعهم الدأب هاهنا وقوله تعالى • كذبوا بايات ربهم • تفسير له بتمامه وقوله تعالى • فاهلكناهم • اخبار
بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير فى توسط قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره فى سورة
آل عمران حيث جوزوا انتصاب محل الكاف بلن تغنى مع ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا
على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلا اعتبار فى توسطها قطعا وقيل فى محل الرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة حينئذ استئناف اخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم
بدأب المذكورين لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب فى الجانبين عبارة عما يلازم
معناه الاول من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اى
دأب هؤلاء وشانهم الذى هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته
عليهم فقوله تعالى كذبوا بايات ربهم تفسير لدأبهم الذى فعلوه من تغييرهم حالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير
لدأبهم الذى فعل بهم من تغييره تعالى ما بهم من نعمته واما دأب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن
التنزيل حيث اكتفى فى كل من التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الايات الى الرب المضاف الى ضميرهم
لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة فى اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل
الخطب والكلام فى الباء فى قوله تعالى بذنوبهم كالذى مر وعطف قوله تعالى • واغرقنا آل فرعون • على اهلكنا مع اندراجه
تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عم • وكل • اى كل من الفرق المذكورين وكل
هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش • كانوا ظالمين • اى انفسهم بالكفر والمعاصى حيث عرضوها
للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم • ان شر الدواب
بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع فى بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى
• عند الله • اى فى حكمه وقضائه • الذين كفروا • اى اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب مع ذلك شرا عن جميع

افرادها

افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل • وقوله تعالى • فهم لا يؤمنون •
حكم مترتب على تماديهم فى الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم
عاطف اصلا جئ به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه فى حيز الصلة التى لا حكم فيها بالفعل وقوله تعالى
• الذين عاهدت منهم • بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على الذم اى عاهدتهم ومن
للايذان بان المعاهدة التى هى عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث اخذه عم عهدهم
اذ هو المناط لما نعى عليهم من النقض لا اعطاؤه عم اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم
وقيل هى للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم • ثم ينقضون عهدهم • عطف على عاهدت
داخل معه فى حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته فى كل حال
اى ينقضون عهدهم الذى اخذته منهم • فى كل مرة • اى من مرات المعاهدة اذ هى التى يتوقع فيها
عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا
حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة فى تقييد النقض بالوقوع فى كل مرة من مراتها بل لا صحة له
قطعا لان النقض لا يتحقق الا فى المرة الواردة على المعاهدة لا فى المرات الواقعة اثر المعاهدة ببقى النقض
الوارد بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان وليس عد ذلك من المحاربة فلا محيص من لزوم
خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيئول الامر الى ان يقال ينقضون
العهد فى كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه فى غاية البعد والركاكة مستلزم خروج بعض من النقض
من البيان • وهم لا يتقون • حال من فاعل ينقضون اى يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون
سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى • فاما تثقفنهم • شروع فى بيان
احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم
وتظفرن بهم • فى الحرب • اى فى تضاعيفها • فشرد بهم • اى ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا
موجبا للاضطراب والتخلل عنها بان تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب ان ينكل • من خلفهم • اى
من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ شرذ بالذال المعجمة
ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اى فعل التشريد من وراءهم والمعنى واحد لان ايقاع
التشريد فى الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد فى الوراء لا يتحقق الا
بتشريد من وراءهم • لعلهم يذكرون • يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون
عن النقض او عن الكفر وقوله تعالى • واما تخافن من قوم خيانة • بيان لاحكام المشرفين الى نقض
العهد اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اى واما تعلمن من قوم من المعاهدين
نقض عهد فيما سيأتى بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخائل الشر • فانبذ اليهم • اى فاطرح
اليهم عهدهم • على سواء • على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك
قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة

خيانة اصلا في محل النصب متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على
استواء في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على
الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني من الجانبين «ان الله لا يحب الخائنين» تعليل للامر بالنبذ اما
باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلعم منها واما باعتبار استتباعه
للقتال بالآخرة فيكون حثا له عليه السلام على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كأنه قيل فانبذ اليهم
ثم قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم «ولا يحسبن الذين كفروا» اي انفسهم فحذف
لتكرره وقوله تعالى «سبقوا» اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم
من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم وحسبانهم وانما
الذي يمكن ان يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول
الاول الموصول ثانيا والمهم انفسنا وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة
مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة من قرأ انهم سبقوا و
نظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله افغير الله تأمروني اعبد الا انه قال الزجاج وقرئ
بالتاء على خطاب رسول الله صلعم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسبن الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون
الخفيفة وقوله تعالى «انهم لا يعجزون» اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهي على طريقة
الاستئناف وقرئ بفتح انهم على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا
حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ
لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المعاوقة
والمقابلة على ابلغ وجه وآكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون و
يعجزون بالتشديد «واعدوا لهم» توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المأمور به من وظائف الكل كما
ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلعم لكون ما في حيزه من وظائفه عم اي اعدوا لقتال الذين
نبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق النظم الكريم «ما استطعتم
من قوة» من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر سمعته عم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي
قالها ثلثا ولعل تخصيصه عم اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى «ومن رباط الخيل» الرباط اسم
للخيل التي تربط في سبيل الله تع فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة
ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل عليهم السلام
«ترهبون به» وقرئ ترهّبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل
الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه
مرهبا به «عدو الله وعدوكم» وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية

تلوهم

عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة «وآخرين من دونهم» من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون
وقيل الفرس «لا تعلمونهم» اي لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب
بقوله تع «الله يعلمهم» اي لا غيره فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا «وما تنفقوا من شيء» لاعداد
العتاد قل او جل «في سبيل الله» الذي اوضحه الجهاد «يوف اليكم» اي جزاؤه كاملا «وانتم لا
تظلمون» بترك الاثابة او بتنقيص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون
تركها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تع من القبائح
وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى مبالغة في تفسيره قوله تع فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل
منكم «وان جنحوا» الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا «للسلم» اي للصلح بوقوع الرهبة
في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد «فاجنح لها» اي للسلم وتأنيثها لحملها على نقيضها
قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون «وتوكل
على الله» ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد «انه» تع «هو السميع» فيسمع
ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع «العليم» فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم في نحورهم
والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف «وان يريدوا ان يخدعوك» باظهار السلم وابطال
الحراب «فان حسبك الله» اي فاعلم بان يحسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم «هو الذي ايدك بنصره»
تعليل لكفايته تع اياه عم بطريق الاستئناف فان تأييده تع وما النصر الا من عند الله او بالملائكة مع خرقه
للعادات «وبالمؤمنين» من المهاجرين والانصار «والف بين قلوبهم» مع ما كان بينهم قبل ذلك
من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه
تع كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عم «لو انفقت ما في الارض جميعا» اي لو انفقت ما بينهم «ما الفت
بين قلوبهم» استئناف مقرر لما قبله ومبين لغرابة المطلب وصعوبة المأخذ اي تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو
انفق منفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التأليف والاصلاح
وذكر القلوب للاشعار بان التأليف بينها لا يتسنى وان امكن التأليف ظاهرا «ولكن الله الف
بينهم» قلبا وقالبا بقدرته الباهرة «انه عزيز» كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده
«حكيم» يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع
افنت ساداتهم واغاظتهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا «يا ايها النبي» شروع في بيان كفايته
تع اياه عم في جميع اموره وامور المؤمنين او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تع اياه
عم في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرف التنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عم بعنوان النبوة للاشعار
بعليتها للحكم «حسبك الله» اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب «ومن اتبعك
من المؤمنين» في محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك

صدره اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا

عضب مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو رأي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم
الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلعم ثلثة و
ثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله فنزلت ولذلك قال ابن عباس رض نزلت في اسلام عمر رض • يا ايها
النبي • بعدما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امر صلى الله عليه بترتيب مبادي النصر والامداد وتكرير الخطاب على الوجه
المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المأمور به • حرض المؤمنين على القتال • اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه
بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تع بالنصر وحكمه بكفايته تع او بكفايتهم واصل التحريض
الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به
قلت فلا وجه حينئذ ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهكه المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم
حرضا بان يقال لهم اني اراك في هذا الامر حرضا اي مرضا فيه ليهيجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح
• ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين • وعد كريم منه تع بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق
الاستيناف بعد الامر بتحريضهم وفي قوله تع وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله ليكون كل منهما
عدة بما يبدأ الواحد من العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمينان على انه قد جرى بين الجمعين القليلين ما لم يجر
بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فتبين ان ذلك
لا لتفاوت في العدد وفي قوله تع • من الذين كفروا • بيان للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك
ذكره تعويلا على ذكره هاهنا كما ترك قيد الصبر هاهنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك • بانهم قوم لا يفقهون • متعلق
بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تع وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تع واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه
كما • انما كافة للكاف عن العمل كما في قولهم كن كما انت وقوله كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه واما مصدرية موصولة
بجملة اسمية اي كما المؤمنون يعقلون وانما يقاتلون في الحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة
نائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا
يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام
موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية وانما السعادة
في الحيوة الباقية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد
من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام • الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا • لما كان الوعد السابق
متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة
وقد بعث رسول الله صلعم حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه
بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا انزل التخفيف والمراد بالضعف
ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها لا ضعف الاعتقاد الى النفاق ولا الضعف في الدين كما قيل وقرئ
ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن
وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت

في الازل

في الازل وقوله تع • فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين • تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن
هاهنا وفيما سبق بالتاء • وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله • اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد
معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر هاهنا و
انما ترك ذكره ثقة بما مر تنبيها تع • والله مع الصابرين • فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد
بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض هاهنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار
الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر
وما شعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا • ما كان لنبي
• وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عم اي ما صح
وما استقام لنبي من الانبياء • ان يكون له اسرى • وقرئ بتأنيث الفعل واسارى ايضا • حتى يثخن في
الارض • اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض
والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصل الثخانة الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة
• تريدون عرض الدنيا • استيناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون
بالياء • والله يريد الآخرة • اي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة
من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ الآخرة بالجر على اضمار المضاف كما في قوله • اكل امرئ تحسبين امرأ • ونار توقد بالليل
نارا • والله عزيز • يغلب اولياءه على اعدائه • حكيم • يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ
الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تع فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت
الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله صلعم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار
فيهم فقال ابو بكر رضي الله قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رض
اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفرة وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان
لنسيب لي فلنضرب اعناقهم فقال عم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رض على رسول الله صلعم
فاذا هو وابو بكر رض يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك
في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه صلعم قال لو نزل عذاب من السماء
لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان • لولا كتاب من الله سبق • اي لولا حكم منه تعالى
سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح
لهم بالنهي واما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل
اللاحق لا يرفع الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا ترفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح
في تهويل ما نعي عليهم من اخذ الفداء • لمسكم • اي لاصابكم • فيما اخذتم • اي لاجل ما اخذتم من الفداء

حكمه

عذاب عظيم • لا يقادر قدره • فكلوا مما غنمتم • روى انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت فكلوا الخ والفاء للتسبب ما بعدها
على سبب محذوف اى قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى
دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم وسياقه
حلالا • حال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته الترغيب في اكلها • طيبا • صفة حلالا
مفيدة لتأكيد الترغيب • واتقوا الله • اى في مخالفة امره ونهيه • ان الله غفور رحيم • فيغفر لكم ما فرطتم
من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه • يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
اى في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم • من الاسرى • وقرئ من الاسارى • ان يعلم الله في قلوبكم خيرا
خلوص ايمان وصحة نية • يؤتكم خيرا مما اخذ منكم • من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روى انها نزلت
في العباس كلفه رسول الله صلعم ان يفدى ابنى اخيه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد
تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة
وقلت لها ما ادرى ما يصيبنى في وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل
فقال العباس ما يدريك فقال اخبرنى به ربى قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك
عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما
اذ اخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب
في عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتأول ما في قوله تعالى
ويغفر لكم والله غفور رحيم • فانه وعد بالمغفرة مؤكدا بعد بما الاعتراض التذييلى • وان يريدوا خيانتك • اى
نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عم بطريق الوعد والوعيد لهم
فقد خانوا الله من قبل • بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه • فامكن منهم • اى فاقدرك عليهم
حسبما رأيت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع
ما ضمنوا من الفداء • والله عليم • فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب • حكيم • يفعل كل
فعل حسبما يقتضيه حكمته البالغة • ان الذين امنوا وهاجروا • هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا
لله ولرسوله • وجاهدوا باموالهم • بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج • و
انفسهم • بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك • في سبيل الله • متعلق بجاهدوا
قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا
للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال • والذين آووا ونصروا • هم الانصار آووا المهاجرين
على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم • اولئك • اشارة الى الموصوفين بما ذكر
من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وقوله تعالى
بعضهم • اما بدل منه وقوله تعالى • اولياء بعض • خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر
للمبتدأ الاول اى بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب

حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد
نفي موالاتهم • والذين آمنوا ولم يهاجروا • كسائر المؤمنين • ما لكم من ولايتهم من شيء • اى من توليهم
في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم • حتى يهاجروا • وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة
والامارة • وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر • فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين • الا على
قوم بينكم وبينهم ميثاق • معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم • والله بما تعملون بصير •
فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه • والذين كفروا بعضهم اولياء بعض • آخر منهم اى في الميراث او في الموازرة
وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب
الا تفعلوه • اى ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق
بينكم وبين الكفار • تكن فتنة في الارض • اى تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر •
وفساد كبير • في الدارين وقرئ كثير • والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا • كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح
المعلى من الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالى • لهم مغفرة ورزق كريم • لا تبعة له ولا منة فيه
فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم • والذين آمنوا من بعد وهاجروا • بعد هجرتكم • وجاهدوا معكم
في بعض مغازيكم • فاولئك منكم • اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه
وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى •
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض • آخر منهم في التوارث من الاجانب • في كتاب الله • اى في حكمه او في
اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام • ان الله بكل شيء عليم • ومن جملته ما في
تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلعم من قرأ سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه برئ من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته والله تعالى اعلم واحكم

سورة براءة مدنية

وقيل الا آيتين منها وهي مائة وثلثون بسم الله الرحمن الرحيم عشرون آية ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث
والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب
لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما
يخزيهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا
من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالتبعية بما ليس باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمه ترك
التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يأباه مقام التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى
مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رح لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى عن
ابن عباس رض ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضي من الاختلاف في ذلك على ان ذلك يفضي الى القول بان التسمية ليست

وقيل تسع وعشرون

لست من القرآن وإنما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن محمد بن الحنفية وإن ما طال اثباتها في المصاحف وذكر
إنما هو رأي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في أن الصحيح من المذهب أنها آية فذة من القرآن
أنزلت للفصل والتبرك بها وأن لا مدخل لرأي أحد في الإثبات والترك وإنما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف
ولا مرية في عدم نزولها ههنا وإلا لم يمنع أن يقع في الاستقلال اشتباه ولم تختلف فيه أما الأحاديث السور فيح
روا ما ذكرنا لا سبيل إلى الأول لأن تبيينه صلعم يتحقق بمزيد الحاجة إلى البيان لتعاضد أدلة الاستقلال من كثرة الآيات
وطول المدة فيما بين نزوليهما فحيث لم يبينه صلعم تعين الثاني لأن عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم
﴿براءة﴾ خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب أي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل ﴿من الله ورسوله﴾
ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها لتفيد بها زيادة تفخيم وتهويل أي هذه براءة مبتدئة من جهة الله ورسوله
واصلة ﴿إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ وإنما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى أن الله بريء من
المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فإنه منبئ عنه إنباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدأ لتخصصها بالصفة
وخبره إلى الذين الخ والذي يقتضيه جزالة النظم هو الأول لأن هذه البراءة أمر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها
ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة
في الإخبار شيئا آخر هو وصولها إلى المعاهدين وأما التحقيق بأن يقتضي بإفادته حدوث تلك البراءة من جهته
تع ووصولها إليهم فإن حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها أن تكون أخبارا وحق الأخبار بعد العلم
بثبوتها لما هي له أن تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على أن الأصل في تحريك الساكن الكسر
ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم
للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من أهل مكة وغيرهم بإذن الله تعالى واتفاق الرسول صلعم فنكثوا
إلا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فأمر المسلمون بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهلوا أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا
وإنما نسبت البراءة إلى الله تع ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها و
علقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها بإذن الله تع واتفاق الرسول عم للإنباء عن تنجزها وتحتمها من غير
توقف على رأي المخاطبين لأنها عبارة عن إنهاء حكم الأمان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض
للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل لأنه أمر كسائر الأوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية
تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير توقف على شيء أصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل
بموجبها إنما هو على طريقة الامتثال بالأمر لا على أن يكون لهم مدخل في إتمامها أو في ترتب أحكامها عليها
وأما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود الشرعية لا تتحصل في نفسها ولا تترتب عليها أحكامها
إلا بمباشرة المتعاقدين على وجه مخصوص اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وإنما الصادر
عنه في شأنها هو الإذن فيها وإنما الذي يباشرها ويتولى أمرها المسلمون ولا يخفى أن البراءة إنما تتعلق بالعهد
لا بالإذن فيه فنسبت كل واحدة منهما إلى من هو أصل فيها على أن في ذلك تفخيما لشأن البراءة وتهويلا لأمرها
وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما

يوهم

يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وإدراجه عليه السلام في النسبة الأولى وإخراجه
عن الثانية لتنويه شأنه الرفيع وإجلال قدره المنيع في كلا المقامين صلعم وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية
كأن يقال قد برئ الله ورسوله من الذين الخ ونحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها وللتوسل إلى تهويلها
بالتنوين التفخيمي كما أشير إليه ﴿فسيحوا﴾ السياحة والسيح الذهاب في الأرض والسير فيها بسهولة
على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا
ونظائره وزيادة في قوله عز وجل في الأرض لقصد التعميم لأقطارها من دار الإسلام وغيرها والمراد إباحة ذلك
وتخليتهم وشأنهم مع الاستعداد للحرب أو تحصين الأهل والمال وتحصيل المهرب أو غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها و
تلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه إليهم مع حصول المقصود بصيغة أمر الغائب لما أن المبالغة في الإعلام
بالإمهال حسبما تعاد به تعليلهم بالغفلة وقطع آفة اعتذارهم بعدم الاستعداد وإيثار صيغة الأمر مع
تنشى إفادة ذلك المعنى بطريق الإخبار أيضا للمبالغة في الإعلام كأن يقال مثلا فلكم أن تسيحوا أو نحو ذلك للإظهار
كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث بهم وباستعدادهم فكأن ذلك أمر مطلوب منهم والفاء لترتيب الأمر
بالسياحة وما يتعقبه على ما أذن به البراءة المذكورة من الحراب على أن الأول مرتب على نفسه والثاني بحال
متعلقة على عنوان كونه من الله العزيز لترتيب الأول عليه والثاني على الأول كأنه قيل قل سيروا في الأرض
فانظروا إلى كأنه قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والأسباب وبالغوا في
إعداد القوة ومن كل باب ﴿أربعة أشهر﴾ ﴿واعلموا أنكم﴾ بسياحتكم في أقطار الأرض في العرض والطول
وإن ركبتم متن كل صعب وذلول ﴿غير معجزي الله﴾ أي لا تفوتونه بالهرب والتحصن ﴿وأن الله﴾ وضع
الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل أمر الإخزاء وهو الإذلال بما فيه فضيحة وعار ﴿مخزي
الكافرين﴾ أي مذلكم في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بالعذاب وإيثار الإظهار على الإضمار
لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالإشراك وللإشعار بأن علة الإخزاء هي كفرهم ويجوز أن يكون المراد جنس
الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا أوليا والمراد بالأشهر الأربعة هي الأشهر الحرم التي علق القتال
بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر
ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها أو لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية
وقيل من عشر ذي القعدة إلى عشر من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء
الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله صلعم إن الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والأرض روي أنه صلعم أمر أبا بكر رض على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا رض على
العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له عم لو بعثت بها إلى أبي بكر فقال عم لا يؤدي عني إلا رجل
مني وذلك لأن عادة العرب أن لا يتولى أمر العهد والنقض على القبيلة إلا رجل منها فلما دنا علي سمع أبو بكر
رض الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان
قبل يوم التروية خطب أبو بكر رض وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها

الى رسول الله الكريم فقال لو ابعادوا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت
بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده
• واذان من الله ورسوله • اى اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة
على مثلها واما قيل الى الناس • اى كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون اخرى كالبراءة الخاصة بالناكثين
بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا • يوم الحج الاكبر • هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان
الاعلام كان فيه ولما روى انه وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة
لقوله الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر مما هو باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين
• ان الله • اى بان الله وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول • بريء من المشركين • اى المعاهدين الناكثين
ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او
لان الواو بمعنى مع اى بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم • فان تبتم • من الشرك والغدر التفات
من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذكورة بالوعيد الشديد
المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم • فهو • اى فالتوب • خير لكم • في الدارين • وان توليتم • عن التوبة او ثبتم
على التولي عن الاسلام والوفاء • فاعلموا انكم غير معجزي الله • [illegible] ولا فائتين • وبشر الذين كفروا
تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله صلعم للايذان • بعذاب • وان كان بطريق التهكم انما يليق بمن
يقف على الاسرار الالهية • الا الذين عاهدتم من المشركين • استدراك من النبذ السابق الذي اخر
فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم ثم لم ينكثوا
عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يعتبر في ذلك تخلل الفاصل بقوله
تعالى واذان من الله ورسوله الى اخره لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل فاعلموا وقيل
هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله
استثناء من الثاني ياباه بقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اى فقولوا لهم سيحوا
اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم • ثم لم ينقصوكم شيئا • من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم
يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اى لم ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع
تمادي المدة • ولم يظاهروا • اى لم يعاونوا • عليكم احدا • من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة
رسول الله صلعم فظاهرتهم قريش بالسلاح • فاتموا اليهم عهدهم • اى ادوه اليهم كاملا • الى مدتهم • ولا
تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المعدود وسلبا كالناكثين ولا تكن ملويكم معاملتهم قال ابن عباس رضي الله عنه
بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم • ان الله يحب المتقين • تعليل لوجوب الا
الامتثال وتنبيه على ان مراعاة العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك
وان كان المعاهد مشركا • فاذا انسلخ • اى انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب

اسناده

اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى • الاشهر الحرم • وانفصلت عما كانت مشتملة عليه
ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكر
ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اى دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة
لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد
اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله • كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي • وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات
مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ
عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين
فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة
الى وصفها بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها
او هي مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين خاصة فلا يكون
قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الاول مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط
به من القتال حينئذ شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها
على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم ولما انه يستدعي بقاء حرمة القتال
فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
كما توهم فانه رخيم بالتعقيب لانه ان اريد به ما في سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد
بالذين كفروا في قوله تعالى قل للذين كفروا ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح
سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا
نزل قبل ما يعبر عنه ما قبله من قوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ
به ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا
وقد صح ان النبي صلعم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم • حيث وجدتموهم • من حل وحرم • وخذوهم
اى اسروهم والاخيذ الاسير • واحصروهم • اى قيدوهم او امنعوهم من التقلب في البلاد وقال ابن عباس رضي الله عنهما
حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام • واقعدوا لهم كل مرصد • اى كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم
وانتصابه على الظرفية اى ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفائدته على التفسير الثاني دفع ان يراد بالحصر
المحاصرة المعهودة • فان تابوا • عن الشرك بالايمان بحكم الاضطرار وانما ذكر من القتل والاسر والحصر
• واقاموا الصلوة واتوا الزكوة • تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات
لكونهما رئيسي العبادات البدنية والمالية • فخلوا سبيلهم • فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا لهم بشيء
مما ذكر • ان الله غفور رحيم • يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل
• وان احد • شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع الكلام الشريف والوقوف على شعائر الدين
اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل

الا القتل ● من المشركين استجارك ● بعد انقضاء الاجل المضروب اي سألك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره
اي امنه ● حتى يسمع كلام الله ● ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة
الى شيء آخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عنده لا بقوله
تعالى استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله فلا والله
لا يلقى اناس فتى حتاك يا ابن يزيد وكذا قيل لان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين
يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه من امور الدين وما روي عن علي رضه انه اتاه رجل من المشركين
فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول
وان احد من المشركين استجارك فاجره فالمراد بما فيه من الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات
الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان يأتي محمدا فان من يأتيه عم انما يأتيه للامور المتعلقة بالدين ● ثم ابلغه ● بعد
استماعه له ان لم يؤمن ● مأمنه ● اي مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه ● ذلك ● يعني الامر بالاجارة
وابلاغ المأمن ● بانهم ● بسبب انهم ● قوم لا يعلمون ● ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان
حتى يفهموا الحق ولا تبقى لهم معذرة اصلا ● كيف يكون للمشركين عهد ● شروع في تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة و
احكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هي في شأنهم
والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من
الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال والظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم
على الاسم وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان
صفة له او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه
لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي تعلق به
للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار
الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقدم معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب
على التشبيه بالظرف او بالحال كما في صورة الكون التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه
من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطي فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب
انتفاء الفرع رأسا وفي توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته
لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده على الطريق
البرهاني اي على اي حال وفي اي حال يوجد لهم عهد معتد به ● عند الله وعند رسوله ● يستحق ان يراعى
حقوقه ويحافظ عليه الى اتمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يأمنوا به من عذاب
الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل لعهدهم في ذلك الامن قطعا وان كان مرعيا عند الله
وعند رسوله كسائر العهود غير الناكثة وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة ● الا الذين ●
استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام

وهم

وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب
وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل ● فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ● والفاء لتضمنه
معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية
منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على الابتداء و
العائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل محله النصب
على اصل الاستثناء او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهودون وايا ما كان فحكم الامر بالاستقامة
ينتهي بانتهاء مدة العهد ولا استقامة فضلا عن الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى
مدتهم فلا انه قد صرح فيها بما لم يصرح به فيما سلف مع كونه معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المأمور به ببقائهم على ما
كانوا عليه من الوفاء ● ان الله يحب المتقين ● تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب
العهد من احكام التقوى كما مر ● كيف ● تكرير لاستنكار ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله
سبحانه وعند رسوله صلعم واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما بعد كيف عند التعليل للاستبعاد
عين ثباتهم على العهد لانه شيء يستدعيه وانما هو عند الاستنكار والاستبعاد ثابت لكليهما وتمهيد
لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما ليس بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة
له مترقبة لوروده وما يوجب استنكاره لا الجد كونه معلوما كما في قوله ● وخبرتماني انما الموت في القرى ● فكيف
وهاتا هضبة وقليب ● فانه على حاله صحيحا [illegible] اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله ● وان
يظهروا عليكم ● اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم ● لا يرقبوا فيكم ● اي لم يراعوا في شأنكم واصل الرقوب النظر بطريق
الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من
المبالغة ما ليس في نفيها ● الا ولا ذمة ● اي حلفا وقيل قرابة ولا عهدا او حقا يعاب على اغفاله مع ما
سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط
بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال من قال علام نقتل منهم فدية وهم
لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله تعالى اي لا يراعون الله وقيل الجوار وقيل الحلف لانهم
اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم لتشهيره ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما لرعايته عند عدمه كشف
عن حقيقة شؤونهم الجلية والخفية بطريق الاستئناف وبين ان حالهم في حالة العجز ايضا ليس من الوفاء في شيء وان ما
يظهرونه مداهنة لا مهادنة فقيل ● يرضونكم بافواههم ● حيث يظهرون الوفاء والمصافاة ويعدون لكم بالايمان
والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء
الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان يكون لها مصداق في قلوبهم ● وتأبى قلوبهم ●
ما يتفوه به كلامهم ● واكثرهم فاسقون ● خارجون عن الطاعة فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون
ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة ولا يتشرفون كما يتفق لبعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف
عما يجر احدوثة السوء ● اشتروا بآيات الله ● بآياته الآمرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع آياته

فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها واخذوا بدلها ثمنا قليلا اي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو اهواؤهم
وشهواتهم التي اتبعوها اذ ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اي عدلوا او نكبوا من صد
صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اي الدين الحق
الذي لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار انهم ساء
ما كانوا يعملون اي بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء
على اصلها بمعنى التصرف لازمة بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اي ساءهم الذي يعملونه او عملهم وقوله
وعدا لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة نعى عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا
تكرار وقيل هذا في اليهود او في الاعراب المذكورين وتقدم اخذوهم وانما قيل من انه تفسير لقوله تعالى يعملون
او دليل على ما هو مخصوص بالذم فمشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره واولئك هم الموصوفون
بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان
تابوا اي عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعي عليهم من مساوي
اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اي التزموها وعزموا على اقامتها
فاخوانكم اي فهم اخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اي لهم ما لكم وعليهم
ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف
بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل
ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه
فلا بد من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل الايات اي نبينها والمراد بها اما ما مر من الايات المتعلقة
باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتي الكفر والايمان واما جميع الايات فيندرج فيها تلك الايات
اندراجا اوليا لقوم يعلمون اي ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التامل في الاحكام
المندرجة في تضاعيفها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا اي وان لم يفعلوا ذلك
بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما في ضمائرهم من الشر واخرجوه من القوة الى
الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الاية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم
ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة
الكفر اي فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوي رياسة وتقدم في الكفر احقاء
بالقتل والقتال وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم
لكونهم مظنة لها او للدلالة على استئصالهم فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق الهمزتين على
الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء انهم لا ايمان لهم اي على
الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفي بها كالنكث
فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعقيبه بالنكث

والطعن

والطعن لان حالهم في ان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم
بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل
وان نكثوا وطعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام
كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى
اعطاء الامان اي لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره
بان معاهدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام فمعنى
كونه تعليلا للامر بالقتال الاشكال بل الاستحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل عن العلية
للقتال او للامر به قبل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سياتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال
فيما يجيء فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانهم
لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض ايمانهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله
تعالى فقاتلوا اي قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر و
سائر العظائم التي يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين الا تقاتلون الهمزة الداخلة
على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كانه امر
لا يمكن ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجئون الى ذلك ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة
قوما نكثوا ايمانهم اي حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون
نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلعم وهموا باخراجه من المدينة وهم
بدؤكم بالمعاداة والمقاتلة اول مرة لان رسول الله صلعم اتاهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا
عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلعم لان اعانة بني بكر عليهم قتال
معهم اتخشونهم اي اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم
عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك
مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم
تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله
بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اي يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب
والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون
من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلعم يشكون اليه
فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه
جميع ما وعدهم على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء

كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض أهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة
فكان كذلك حيث أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما
أجيب به الأمر بحسب المعنى فإن القتال كما هو سبب لغل شوكتهم وإهانة شكيمتهم فهو سبب للتدبر في أمرهم
وتوبتهم من الكفر والمعاصي ولا اختلاف في وجه السببية غير ما سبك والله تعالى أعلم • والله • أي
الظاهر الجلالة على الأحوال ... عليم • لا يخفى عليه خافية • حكيم
لا يفعل ولا يأمر إلا ما فيه حكمة ومصلحة • أم حسبتم • أم منقطعة جيء بها للدلالة على الانتقال عن
التوبيخ السابق إلخ وما فيها من همزة الاستفهام الإنكاري توبيخ لهم على الحسبان المذكور أي بل حسبتم
أن تتركوا على ما أنتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب إما لمن شق عليهم
القتال من المؤمنين أو للمنافقين • ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم • الواو حالية ولما للنفي مع
التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني إذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم
لزم عدمه قطعا أي أم حسبتم أن تتركوا والحال أنه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم
وما في لما من التوقع منبه على أن ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبين بعدم علم الله تعالى
أن المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما
أن ذلك بمعزل من الاندراج تحت إرادة أكرم الأكرمين • ولم يتخذوا • عطف على جاهدوا داخل في حيز
الصلة أو حال من فاعله أي جاهدوا حال كونهم غير متخذين • من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
• أي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الأسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن
دون الله متعلق بالاتخاذ إن أبقي على حاله أو مفعول ثان له إن جعل بمعنى التصيير • والله خبير بما تعملون •
أي بجميع أعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم إلخ والحال أنه يعلم جميع
أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها • ما كان للمشركين • أي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا
نفي الجواز كما في قوله تعالى أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أي ما وقع وما تحقق لهم • أن يعمروا
عمارة معتدا بها • مساجد الله • أي المسجد الحرام وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره
كعامرها أو لأن كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد إذ ليس في
نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم أن يعمروا شيئا من المساجد فضلا
عن المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ويأباه أنهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك
على أنه مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود • شاهدين على أنفسهم • أي بإظهار
آثار الشرك من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادة صريحة على أنفسهم بالكفر
وإن أبوا أن يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضمير في يعمروا أي محال أن يكونوا ما
سموه عمارة عمارة بيت الله مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فإنها ليست من العمارة
في شيء وأما ما قيل من أن المعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة

غيره

غيره تعالى فليس مما يعرب عن كنه المرام فإن عدم استقامة الجمع بين المتنافيين إنما يستدعي انتفاء أحدهما
لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود روي أن المهاجرين والأنصار أقبلوا على أسارى بدر يعيرونهم
بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال النبي صلعم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس
تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أولكم محاسن قالوا نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني فنزلت • أولئك • الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من أعمال البر مع ما
بهم من الكفر • حبطت أعمالهم • التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا • وفي النار هم
خالدون • لكفرهم ومعاصيهم وإيراد الجملة الاسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر
قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الأولى من جهة
نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب • إنما يعمر مساجد الله • الكلام في
إيراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا أن إرادة جميع المساجد وإدراج المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال
فإن الإيجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالإفراد أيضا والمراد هنا أيضا قصر تحقق العمارة ووجودها على
المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها أي إنما يصح ويستقيم أن يعمرها عمارة يعتد بها • من آمن بالله • وحده

واليوم الآخر

وأقام الصلاة وآتى الزكاة على ما علم من الدين فيندرج فيه الإيمان بنبوة النبي صلعم حتما وقيل هو مندرج
تحت الإيمان بالله خاصة فإن أحد جزئي كلمة الشهادة علم للكل أي إنما يعمرها من جمع هذه الكمالات
العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها
بالسرج وإدامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث
الدنيا وعن رسول الله صلعم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عم
قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عم من ألف المسجد ألفه الله وقال
عليه السلام إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في
مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه • ولم يخش • في أمور
الدين إلا الله • فعمل بموجب أمره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم
الخشية عند القتال ونحو ذلك وأما الخوف الجبلي من الأمور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت
التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها وأريد نفي تلك الخشية عنهم • فعسى
أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة • أن يكونوا من المهتدين • إلى مباغيهم من الجنة وما فيها من
فنون المطالب العلية وإبراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع أطماع
الكفرة عن الوصول إلى مواقف الاهتداء والانتفاع بأعمالهم التي يحسبون أنهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم
بأنهم مهتدون فإن المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات إذا كان أمرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال
الكفرة وهم هم وأعمالهم أعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء

وفيه الاخبار بالله تعالى ● اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ● اى فى الفضيلة وعلو الدرجة ● كمن
آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله ● السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان
فلا بد من تقدير مضاف فى احد الجانبين اى اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ
سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كالايمان من آمن الى آخره وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على
طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية
والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء فى الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم
عند الله تعالى للفريق الثانى وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وفصل تعقيب
التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدى كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس بمشعر للحرمان ايضا اما
على الاول فهو توبيخ للمشركين ومداره انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر
عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد وعلى انكار تشبيه وصفيهم المذكورين فى
حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد ولا باعتبار مقارنتهما له كما قيل وبيانا للمقام
كيف لا وقد بين انها حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما
بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية مما لا يساعده
النظم التنزيلى ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تعرض انكار التشبيه ويأباه نفى اجزاء لا شئ اظهر بطلانا من تشبيه
المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة فى الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد فى سبيله او جعلتموهما فى ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة
وان انفهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه
اهلهما باهل الايمان والجهاد او تشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل ● لا
يستوون عند الله ● اى لا يساوى الفريق الاول الثانى من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن
ضرورته عدم التساوى بين الوصفين الاولين وبين الآخرين لان المدار فى التفاوت بين الموصوفين و
اسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفى ههنا والانكار فيما سلف
الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين ومع المؤمنين انما هى الافضلية
دون التساوى والتشابه للمبالغة فى الرد عليهم فان نفى التساوى والتشابه نفى للافضلية بطريق الاولى والجملة
استيناف مقرر للانكار المذكور ومؤكد له او حال من مفعولى الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل اسويتم بينهم حال كونهم
متفاوتين عنده تعالى ● والله لا يهدى القوم الظالمين ● حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول عليه السلام
ضالون فى هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر
وفيه زيادة تقرير لعدم التساوى بينهم وقوله تعالى ● الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم ● استيناف
لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعى الجهاد للايذان
بان ذلك من لوازم الجهاد ولانه اعتبر بطريق التدارك امر لم يعتبر فيما سلف اى هم باعتبار اتصافهم

بهذه الاوصاف الجميلة ● اعظم درجة عند الله ● اى اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان
وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التى من جملتها السقاية والعمارة ● واولئك ● اى المنعوتون بتلك
النعوت الفاضلة وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم فى الرفعة ● هم الفائزون ● المختصون
بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثانى فهو توبيخ للمؤثرين
للسقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد وروى ان عليا رضه قال للعباس رضه بعد اسلامه يا عم
الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلعم فقال الست فى افضل من الهجرة اسقى حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام
فلما نزلت قال ما ارانى الا تارك سقايتنا فقال عم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروى النعمان بن بشير
قال كنت عند منبر رسول الله صلعم فقال رجل ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد ان اسقى الحاج وقال آخر ما ابالى ان لا اعمل
عملا بعد ان اسقى الحاج وقال آخر ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله افضل
مما قلتم فزجرهم عمر رضه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلعم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم
استفتيت رسول الله صلعم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية
والعمارة من المؤمنين فى الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيله او جعلتموهما كا
لايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان فى جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار
انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره فى جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار
وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادى الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء
عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا اعظمية درجة الفريق الثانى واما قوله تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين فالمراد به
عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا
الظلم عموما والقصر فى قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثانى او الى الفوز المطلق
ادعاء كما مر والله اعلم ● يبشرهم ● وقرئ بالتخفيف ● ربهم برحمة ● عظيمة ● منه ● ورضوان ● كبير ● وجنات
عالية ● لهم فيها ● فى تلك الجنات ● نعيم مقيم ● نعيم لا نفاد لها وفى التعرض لعنوان الربوبية للمبشر وتربية له ●
خالدين فيها ● اى فى الجنات ● ابدا ● تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به المكث الطويل ● ان الله عنده اجر عظيم
لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التى فى مقابلته والجملة استيناف وقع تعليلا لما سبق ● يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ● نهى لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية
مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما فى قوله عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة
طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان
هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه
ثم رخص لهم فى ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم وعن النبى صلعم لا يطعم احدكم
طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله ابعد الناس ويبغض فى الله اقرب الناس اليه ● ان استحبوا

الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي بحق الموالاة
بذلك لما انها قبل ذلك مما يؤدي بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين ومن يتولهم اي واحدا منهم
كما اشير اليه وافراد الضمير في الفعل مراعاة للفظ الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف
بالظلم لان المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك
المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين
للخطاب وامر له صلعم بان يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الاباء والاخوان
ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ
والترهيب ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان
موالاة الابناء والازواج غير معتادة لخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم ماخوذ من العشرة اي
الصحبة وقيل من العشيرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشائركم واموال
اقترفتموها اي اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة
اي امتعة اشتريتموها للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام
الموسم ومساكن ترضونها اي تحبون الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان
بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها
مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان تؤثر حبها على حب الله تعالى وحب رسوله صلعم كما في قوله عز وجل ما غرك بربك
الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب
الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبه في سلك
حب الله عز وجل وحب رسوله عم تنويها لشأنه وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما
لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اي انتظروا حتى ياتي الله بامره عن ابن
عباس رض انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او اجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة
في موالاة المشركين اي القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو
خير لهم وفي الاية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان
لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها ومقاماتها
والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في
مواطن بحذف المضاف في احدهما اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير
للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رض وقيل
يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في
المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او
منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة الاف

مهم

مهم من شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة
الاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن
سلامة الانصاري لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلعم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم
المشركون وخلوا الذراري فاكبت المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح
فرجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل فلم تغن عنكم شيئا والاغناء
اعطاء ما يدفع به الحاجة اي لم يعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت عليكم
الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون فيها مفرا تطمئن
اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ فلهم مكة
وبقي رسول الله صلعم وحده ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحارث
اخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب روي انه صلعم
كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت
اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه صلعم كان في الشجاعة ورباطة
الجاش سباقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ائتني
بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب
سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله
اي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد
كانت حاصلة له عم قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما
بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلعم او على الكل وهو الانسب ولا ضير
في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل جنودا
لم تروها اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عم البياض على خيول بلق فنظر النبي صلعم الى
قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم
يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل
خمسة الاف وقيل ثمانية الاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم
بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتاييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب
المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم
فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا
اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم
في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله
غفور رحيم يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاؤوا الى رسول

وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت
اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عم ان عندي ما ترون ان خير القول
اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي صلعم فقال ان
هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال
صلعم انا لا ندري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا • يا ايها الذين
امنوا انما المشركون نجس • وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم
الشرك الذي هو بمنزلة النجس او لانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم وعن ابن عباس رضي
ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين
وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء
تابعا لرجس • فلا يقربوا المسجد الحرام • تفريع على نجاستهم وانما نهي عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم
وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه
ويؤيده قوله عز وجل • بعد عامهم هذا • فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام
اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي على الموسم ويدل عليه قول علي رضي
حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد
عنده وعند الشافعي رحمه يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين
ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه
ويعزلوا عن ذلك • وان خفتم عيلة • اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من
الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال عائلة • فسوف يغنيكم الله من
فضله • من عطائه او من تفضله بوجه اخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر
ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة
لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض • ان شاء • اي يغنيكم
مشيته تابعة لحكمه الداعية اليها وانما قيد ذلك بها لتنقطع الامال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس مطردا
بحسب الافراد والاحوال والاوقات • ان الله عليم • بمصالحكم • حكيم • فيما يعطي ويمنع • قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله • امر عز وجل بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين وبمنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا
يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من العاقة المتوهمة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف ذلك على بعض
طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم
بالموصول للايذان بعليتها في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية
والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه • ولا باليوم الاخر • فان علمهم باحوال الاخرة كلا علم فايمانهم

المبني عليه ليس بايمان به • ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله • اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا او غير متلو وقيل المراد
برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا • ولا يدينون دين الحق
الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان ومبطلها وهو دين الاسلام وقيل دين الله • من الذين اوتوا الكتاب
من التوراة والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت • حتى يعطوا اي يقبلوا ان يعطوا
الجزية • اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء
عن القتل • عن يد • حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين
بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز
او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بما بذلوا من
الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء
بل قبوله كما اشير اليه • وهم صاغرون • اي اذلاء وذلك بان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها
وهو قائم والمسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ومن تؤخذ عند ابي حنيفة رح
من اهل الكتابين ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف رح لا تؤخذ من العربي كتابيا او مشركا
وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي رح تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل
الاوثان مطلقا وعند مالك والاوزاعي الا انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ جزية
منهم لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رض انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على
كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة رح اول السنة ويسقط بالموت
والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى
الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امرأة و
عند الشافعي رح تؤخذ في اخر السنة من كل واحد دينارا غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن • وقالت اليهود
جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين
عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم اعجمي كعازر وعيزار وغير منصرف للعجمة والتعريف واما تنوينه تنبيها
الى كونه عربيا او لجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله
تعالى عنهم ذلك ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رضي انه جاء رسول
الله صلعم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف
فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول
ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عم فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح
في الارض فاتاه جبريل عم فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه
لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم
جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ

من تعرا التورية بعث الله عزيرا ليجدد لهم التورية ويكون آية بعد ما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء
فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم قال لهم اني عزير فكذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة
ففعل فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التورية في قلب رجل الا لانه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التورية ونسخها من صدورهم
ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه تعالى فعاد حفظ التورية الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت
فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت
النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل
ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين
وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما تأكيد
لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل
الموجود في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اي في الكفر والشناعة
وقرئ بغير همز قول الذين كفروا اي يشابه قولهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات
الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى يتأتى التشبيه وجعله بين
قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهئ قولهم المسيح ابن الله
قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال
بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله
هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا
اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال
الاصمعي لا ادري اهو حبر ام حبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولون حبر وحبر
للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع
اي اتخذ كل من الفريقين علماءهم لا الكل الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احله الله تعالى
وتحليل ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد الشيطان وقوله تعالى
بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلعم وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك
على دين يسمى الركوسية فرق من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى
الى قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عم اليس يحرمون
ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال فذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت
تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم و
يتركون حكم كتاب الله تعالى والمسيح بن مريم عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالى

عن ذلك

تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له مختص بالنصارى
ونسبته عم الى امه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للايذان بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية
الجهل والحماقة وما امروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم
الشان هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوية
متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عم وسائر
من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة اطاعة لله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار
والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ولا يشبع في ذلك كون
ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى
وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استيناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون عن الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار
عبارة عن ازالة لهبها الموجب لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفائها لا يراد بها
الا النور كالمصباح ازالة نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان
لغير النار والسر في ذلك انحصار امكان الازالة في نور ما والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته
وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القرآن العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القرآن ويكذبوه
فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد ومن الشرائع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم
باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق ينطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي
عنهم وقيل المراد نبوة النبي صلعم هذا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم في الآفاق
بنفخه ويأبى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح
الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من المبالغة
والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في المستثنى
منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره عز وجل زيادة
اعتناء بشأنه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه
والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون
ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة
واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين
من التأكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي
هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل
الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير
لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون كما في نظيره خلا ان وصفهم بالشرك بعد

لان الاباء افصح [illegible] على عدم الارادة من نفي الارادة [illegible]

وصفهم بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله • يا ايها الذين آمنوا • شروع في بيان
حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لارذلهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا ليطيعوهم في الاوامر
والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون • ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل • يأخذونها
بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم
الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم • ويصدون الناس عن سبيل الله • عن دين الاسلام او
عن المسلك المقرر في التورية والانجيل الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال
بالباطل • والذين يكنزون الذهب والفضة • اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر
والموصول عبارة اما عن الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بها بعد وصفهم بما
سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب لقوله عز وجل
ولا ينفقونها في سبيل الله • فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم
في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لا التطيب بها مما بقي من اموالكم و
بقوله عم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه
واما قوله عم من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها كقوله عم ما من ذي ذهب ولا فضة
يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره • فبشرهم بعذاب
اليم • خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم • يوم • منصوب
بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر • يحمى عليها في نار جهنم • اي يوم توقد النار ذات حمي شديد
عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها
على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت
رفع القصة الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضه اربعة
الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز والكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها كما قيل الضمير للاموال والكنوز
فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان
الذهب كذلك بل اولى • فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم • لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة
بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم
او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها
اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه • هذا ما كنزتم • على ارادة القول • لانفسكم • لمنفعتها
فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها • فذوقوا ما كنتم تكنزون • اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون • ان
عدة الشهور • اي عددها • عند الله • اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر • اثنا عشر • خبر لان • شهرا • تمييز
مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية
• في كتاب الله • في اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجب وهو صفة اثنا عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله

وقوله

عز وعلا • يوم خلق السموات والارض • متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر
والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات والازمنة • منها • اي من تلك
الشهور الاثني عشر • اربعة حرم • هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلعم في خطبته في حجة
الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها
اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت
الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه عن محله بالنسيء الذي احدثوه في
الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضه قبلها في ذي القعدة • ذلك • اي تحريم الاشهر
الاربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد للتفخيم اشارة اليه هو • الدين القيم • المستقيم دين ابرهيم
واسمعيل عم وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى
انه لو لقي رجل قاتل ابيه واخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا • فلا تظلموا
فيهن انفسكم • بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول انه عم حاصر الطائف وغزا هوازن
بحنين في شوال وذي القعدة • وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة • اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع
مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال • واعلموا ان الله مع المتقين • اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه
من القتال وانما وضع المظهر موضعه مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل
هي بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم • انما النسيء • هو مصدر نسأه اذا اخره نسأ ونساء نحو
مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء • الاول كانوا اذا جاء شهر
حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا
في عدد الشهور بان جعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة عشر من السنة حرما و
لذلك نص على العدد المعين في الكتاب والسنة اي انما تأخير حرمة شهر الى شهر اخر • زيادة في الكفر • لانه تحليل
ما حرمه الله وتحريم ما حلله فهو كفر اخر مضموم الى كفرهم • يضل به الذين كفروا • ضلالا على ضلالهم القديم
وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفاعل الله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه
واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون حينئذ رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم
وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضل يضل ونضل بنون العظمة • يحلونه • اي الشهر المؤخر • عاما • من
الاعوام ويحرمونه مكانه شهرا اخر مما ليس بحرام • ويحرمونه • اي يحافظون على حرمته كما كانت
والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى آلهتهم كما سيجيء • عاما • اخر اذا
لم يتعلق به بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبي رح اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة
وكان اذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب و
لا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام

فاذا قالوا ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قالوا حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة
واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي
باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم
المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي
اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملة تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل
عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني
او بما يدل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ
على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى
حسبوا قبيح اعمالهم حسنا في سترهم واعلى ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب
البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال
يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتجريد عزائمهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة
لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم اي تثاقلتم
وتباطأتم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي
صلعم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون
فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم
متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ اما هو
الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمنه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية
عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة
بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة و
قحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل
ما خرج رسول الله صلعم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه صلعم بين لهم المقصد فيها ليستعدوا
لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا
اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي ما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة اي في جنب الآخرة الا قليل
اي مستحقر لا يؤبه وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل
ذلك مبالغة في حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا
الى ما استنفركم اليه يعذبكم اي الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع كقحط ونحوه ويستبدل
بكم بعد اهلاككم قوما غيركم ووصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية
والذاتية المستلزمة للاستئصال اي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم
كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم

في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء في كل شيء وقيل الضمير للرسول صلعم فان الله عز وجل وعده بالعصمة
والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين
الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه
المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت
فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين كفروا اي تسببوا لخروجه حيث اذن له في ذلك حين هموا باخراجه
ثاني اثنين حال من ضميره عم وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب اي
احد اثنين من غير اعتبار كونه عم ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد
مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة من سورة المائدة وجعله
عم ثانيهما لمشي الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية الباب كما ذكر في الاخبار تمحل مستغنى
عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو
جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي الصديق
لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء
من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي
ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رض على رسول الله صلعم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال
عم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تع حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت
عليه وقال رسول الله صلعم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم
عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي
بكر رض فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب
عليه على النبي صلعم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه وهو الاظهر واما النبي عم
فكان على طمأنينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون
يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين اياهم
وقوله عز وعلا وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد
الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك وكلمة الله اي التوحيد او دعوة الاسلام هي العليا لا يدانيها
شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها
من الكلام ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم
في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى
خفافا وثقالا حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة
والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان و
القدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا

منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليتخصص الامر المتلبس بالاول
من غير معارضة للثاني وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلعم أعليّ ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج
وعن ابن عباس رضه نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية • وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل
الله • اي بالجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن
ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء، وقيل هو ايجاب للقسم الاول
ذلكم • اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف • خير لكم
اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد • ان كنتم تعلمون • اي
تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه • لو كان • صرف
للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلعم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات فعلا وقولا على طريقة المباثة وبيانا لدناءة
هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه • عرضا قريبا • العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك
غنما سهل المأخذ قريب المنال • وسفرا قاصدا • ذا قصد بين القريب والبعيد • لاتبعوك • في النفير طمعا
في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط • ولكن بعدت عليهم الشقة
اي المسافة الشاطة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين • وسيحلفون • اي المتخلفون عن الغزو
وقوله • بالله • اما متعلق بسيحلفون او من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا
عند قفولك قائلين • لو استطعنا • او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الى آخره اي لو كان لنا استطاعة
من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا عنّ لهم من الكذب والتعلل وعلى التقديرين لخرجنا معكم ساد
مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا في قوة
بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد
وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها بواو الجمع كما في قوله
فتمنوا الموت • يهلكون انفسهم • بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك النفس ولذلك قال
عم اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جيء به على
طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن
• والله يعلم انهم لكاذبون • اي في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث
كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا • عفا الله عنك • صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه عم ما وقع منه
عند استئذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم لظنونها
على المراحم من ترك الاولى والافضل الذي هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل
لم اذنت لهم • اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى
وارشاد له الى انه ينبغي ان يكون اموره عم منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض الاعتذار
الاعتذار مشفوعا بالايمان مما لا يمكن ان يكون سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلام اللام متعلقة بالاذن لاختلافهما

في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله
للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم الاستطاعة في بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه • حتى يتبين لك الذين صدقوا •
اي فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما
عنّ لهم هناك • وتعلم الكاذبين • في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وسوسان للدلالة على الاولوية والافضلية
وتخصيص لكل عم فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا تكاد تعلقها بلم اذنت لاستلزام
ان يكون اذنه عم لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك بين البطلان
بل بما يدل عليه ذلك كأنه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى يتجلى الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة
وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه
الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن
الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في
سلك الصادقين وان ما صدر من الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم
المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور
من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه
بعدما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض
لمدلوله وما يتعلق به علما مستأنفا واسناده الى ضميره عم لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين
الى الاولين لما ان المقصود هاهنا علمه عم بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم
ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق
العلم بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه
لما ان المقصود هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما
لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة
العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عم وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى
على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو
ولقد اخطأ واساء الادب وبئسما قال فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه
اخطأت وبئسما فعلت وهب انه كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف
في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث
يصحح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبيح
الى رتبته بتخبيثها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال
حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم
الآية نعم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع

[illegible]

[illegible]

بالتعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غزوه عم وارضوه بالاكاذيب
على انه لم يهنأ لهم عيش ولا قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمينان بل كانوا على خوف من ظهور
امرهم وقد كان • لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر • تنبيه على انه كان ينبغي ان
يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم • وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على الاذن فضلا
عن ان يستأذنوك في التخلف وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتأني في امرهم
بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف والمعنى ولا يستأذنك في ان يجاهدوا ثم قيل المحذوف هو التخلف و
المعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي الى القيد ويمتاز المؤمن من المنافق
وهو وان كان في نفسه امرا خفيا لا يتوقف عليه بادي الامر لكن عادة احوالهم لما كانت مبنية عن
ذلك جعل امرا ظاهرا مقررا وقيل هو الجهاد اي لا يستأذنك المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا
بناء على ان الاستيذان ربما يكون لكراهة ولا يخفى ان الاستيذان في الشيء لكراهته مما لا يتوقع بل لا يعقل
ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستيذان لعلة الرغبة و
لو سلم فالذي نفي من المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين وظاهر انهم لم يستأذنوا في الجهاد لكراهتهم
له بل انما استأذنوا في التخلف • والله عليم بالمتقين • شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة
لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى
• انما يستأذنك • اي في التخلف مطلقا على الاول ولكراهة الجهاد على الثاني • الذين لا يؤمنون بالله واليوم
الآخر • تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ
به يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة الابدية والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد • وارتابت
قلوبهم • عطف على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره • فهم • حال كونهم
في ريبهم • وشكهم المستقر في قلوبهم • يترددون • اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن
المستبصر والتعبير عنه بما لا يخفى لحسن موقعه • ولو ارادوا الخروج • يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار
كنا نريد الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم • لاعدوا له
اي للخروج في وقته • عدة • اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ
عُدَّه بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال • واخلفوك عد الامر الذي وعدوا • اي عدته وقرئ
عِدَّه بكسر العين وعدة بالاضافة • ولكن كره الله انبعاثهم • اي نهوضهم للخروج وقيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية
فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله انبعاثهم تستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل ما
خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك
ما احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الاية الاستثنائية و
المعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين

فثبطهم • اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له • وقيل اقعدوا مع القاعدين •
تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم
لبعض او هو اذن الرسول عم لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم وايا ما كان
فغير خال عن الذم • لو خرجوا فيكم • بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم • ما زادوكم
• اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء • الا خبالا • اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع
وليس بذاك • ولاوضعوا خلالكم • اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين
من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به
المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولا رقصوا من رقصت الناقة اذا اسرعت
وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا • يبغونكم الفتنة • يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف
فيما بينكم • والقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استيناف • وفيكم
سماعون لهم • اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم
والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او استئنافية ولعلهم لم يكونوا في كمية العدد
وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته
ولذلك لم يقتض الحكمة عدم خروجهم وخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم
مستتبعا لخلل كلي كره الله انبعاثهم فلم يتيسر اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم
مع تيسره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير اذن منه عم لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول
الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم
بقوارع الايات النازلة • والله عليم بالظالمين • علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى
وما يأتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم
ولعله شامل للفريقين السماعين والقاعدين • لقد ابتغوا الفتنة • تشتيت شملك وتفريق اصحابك
عنك • من قبل • اي يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابي بن سلول المنافق بمن معه عن تبوك
ايضا بعدما خرج مع النبي صلعم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلعم
على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عم فردهم الله تعالى خاسئين • وقلبوا
لك الامور • تقليب الامر تصريفه من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل
المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك
وقرئ بالتخفيف • حتى جاء الحق • اي النصر والتأييد الالهي • وظهر امر الله • غلب دينه وعلا شرعه • و
هم كارهون • والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والايتان لتسلية رسول الله عم والمؤمنين
عن تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى
يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب • ومنهم من يقول ائذن لي

[ائذن] لي في القعود ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة وهي المعصية والاثم بان لا تأذن لي فاني متخلف لا محالة اذنت او لم تأذن فأذن لي حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اي في عينها ونفسها او اكمل افرادها الغني عن الوصف بالكمال الحقيقي باختصاص اسم الجنس سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك ما فعلوا من العزيمة على التخلف والجرأة على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين وقوله عز وجل وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الآن تنزيلا للشيء سيقع عن قرب منزلة الواقع او وضعا للاسباب التي موضعه فان مبادي احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيط بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما فروا منه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا تظهر في هذه النشأة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشأة الآخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين وهم داخلون فيهم دخولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة اي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك وان تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم قد اخذنا امرنا اي تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل اي من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم او يعرضوا عن النبي عليه السلام وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه السلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة بان يقال وان تصبك مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا من فيعل لا من فعل لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية او الاخروية من النصر عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون

التوكل

التوكل تفويض الامر الى الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تعالى واياي فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المأمور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امرا للمؤمنين بالتوكل اثر ما صدر عنهم ما ذكر فالامر ظاهر ولذا اعادة الامر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني ان كان امر الغائب واما على الوجه الاول فلابراز كمال العناية بشأن المأمور به والاشعار بما بينه امرا اولا من النوع في السياق والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحد المفعولين محذوف اي ما تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اي العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب الاول لكشف حقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف متعلق بمحذوف صفة لعذاب او بذلك حذف عامله وجوبا او بعذاب او بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوؤكم قل انفقوا اموالكم في سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا في موقع الفاعل اي طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر للمبالغة في بيان تساوي الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يجربوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل ان يكون عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اي الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى اي لا يأتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى طوعا اي من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة او هو فرضي لتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ

اي مكانا حصينا يلجأون اليه من راس جبل او قلعة او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال في الشرط و
ان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم الوجدان فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في
افادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان
معنى قولك لم تحسن الي لتشكرك انتفاء الشكر بسبب استمرار انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار
الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه ● او مغارات
اي غيرانا كهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار
اذا دخل الغور اي امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع
بمعنى مهارب ومغاور ● او مدخلا ● اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ
مدخلا من الدخول ومُدخلا من الادخال اي مكانا يدخلون انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل
والاندخال ● لولوا ● اي لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجؤوا ● اليه ● اي الى احد ما ذكر
● وهم يجمحون ● اي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال
نفورهم واطمئنانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجمازة ● ومنهم من يلمزك ● وقرئ يلمزك
اي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة ● في الصدقات ● اي في شانها وقسمتها ● فان اعطوا منها
بيان لفساد لمزهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون ● رضوا
بما وقع من القسمة واستحسنوها ● وان لم يعطوا منها ● ذلك المقدار ● اذا هم يسخطون ● اي يفاجئون السخط واذا
نائبة مناب فاء الجزاء قيل نزلت الاية في ابي الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم
في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي راس الخوارج كان
رسول الله صلعم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله
فقال عليه السلام ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ● ولو انهم
رضوا ما اتاهم الله ورسوله ● اي ما اعطاهم الرسول عم من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر
الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عم كان بامره سبحانه ● وقالوا حسبنا الله ●
اي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا ● سيؤتينا الله من فضله ورسوله ● بعد هذا حسبما نرجو و
نؤمل ● انا الى الله راغبون ● في ان يخولنا فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء
على ظهوره اي لكان خيرا لهم ● انما الصدقات ● شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلعم من القسمة
ببيان المصارف ورد لمقالتهم الباطلة في ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد
ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق اي جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة ● للفقراء والمساكين
● اي مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الاتية لا تتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فما للذين
لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له ادنى
شيء والمسكين من لا شيء له هو المروي عن ابي حنيفة رحه وقيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه ● والعاملين

فيها

فيها اي الساعين في جمعها وتحصيلها ● والمؤلفة قلوبهم ● هم اصناف فمنهم قوم اسلموا ونياتهم
ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطاء كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم
من يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول عم من خمس الخمس الذي هو
خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع
لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله عز وعلا واعلى كلمته استغنى عن ذلك ● وفي الرقاب ●
اي وللصرف في فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى
وقيل بان يبتاع منها الرقاب فيعتق وايا ما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية
والاختصاص كمن قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا
كما في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق التصدق لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم
محلها ومركزها ● والغارمين ● اي الذين تديّنوا لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن
ديونهم وكذلك عند الشافعي رحه من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء
● وفي سبيل الله ● اي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم ● وابن السبيل ● اي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في
الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق او لما ذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص
فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان اللام
لبيان انهم مصارف لا تخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق عليك وقد روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله عنهم وعند
الشافعي رحه لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من كل الاصناف ● فريضة من الله ● مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الاية
اي فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اي فرض الله ذلك فريضة او
حال من الضمير المستكن في قوله للفقراء اي انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اي مفروضة ● والله عليم ●
باحوال الناس ومراتب استحقاقهم ● حكيم ● لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق
الحقوق الى مستحقيها ● ومنهم الذين يؤذون النبي ● نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه السلام
ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه
فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ● ويقولون هو اذن ● اي
يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به
وانما قالوه لانه صلعم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا
● قل اذن خير لكم ● من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن
نعم الاذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه
قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن ويتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان
ليعذروهم ويرضوا عنهم اي يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبي صلعم وانما التخلف عن الجهاد
بداخل في هذا الاعتذار ● ليرضوكم ● بذلك واقرار رضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عم وقد

قبل عدم ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عم وانه عم انما لم يكذبهم
رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه • والله ورسوله احق ان يرضوه • اى احق بالارضاء
ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عم فى باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما
اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انخدع بطريق علية الاخبار الى ان يجىء الحق ويزهق الباطل والجملة
حال من ضمير يحلفون اى يحلفون لكم لارضائكم والحال انه تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم اى يعرضون عما
يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير فى يرضوه اما للايذان بان رضاه عم مندرج تحت رضاه
سبحانه وتعالى وارضاؤه عم ارضاء له تع لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة
الذى يشار به الى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما فى قول رؤبة • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه فى الجلد توليع
البهق • اى كان ذلك لا يقال اى حاجة الى الاستعارة بعد التأويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسن
التأويل لان الضمير لا يتعرض الا للذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف من اوصافه التى من جملتها المذكورية وانما
المتعرض لها اسم الاشارة ولعل لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما
ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال • نحن بما عندنا وانت بما • عندك راض والرأى مختلف • او الى الله على ان المذكور
خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأى المبرد • ان كانوا مؤمنين • جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق
عليه اى ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء • الم يعلموا • اى اولئك
المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة
التقريع والتوبيخ اى الم يعلموا بما سمعوه من رسول الله صلعم من فنون القوارع والانذارات • انه • اى الشان
• من يحادد الله ورسوله • المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد
من مباشرى كل من الافعال المذكورة فى محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تع • فان له نار جهنم • على ان خبره
محذوف اى فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر لان وهى مع خبرها
سادة مسد مفعولى يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير للاولى تأكيدا لطول العهد لا من باب التأكيد اللفظى المانع
للاولى من العمل ودخول الفاء كما فى قول من قال • لقد علم الحى اليمانون اننى • اذا قلت اما بعد انى خطيبها • و
قد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف والتقدير الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
يهلك فان له الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم • خالدا فيها
حال مقدرة من الضمير المجرور ان اعتبر فى الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر
ظاهر • ذلك • اشير الى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته فى الهول والفظاعة • الخزى العظيم
• الخزى الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهى ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤس الاشهاد
بظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق • يحذر المنافقون ان تنزل عليهم • اى فى شانهم
فان ما نزل فى حقهم نازل عليهم • سورة تنبئهم بما فى قلوبهم • من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم
من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما فى قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين

على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كان يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها
من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة المبالغة فى كون السورة مشتملة على اسرارهم
كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل
الضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكيك عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اى يحذر
المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما فى قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم
كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلعم يذكر كل شىء ويقول انه
بطريق الوحى يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل • قل استهزءوا • اى افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد • ان
الله مخرج • اى من القوة الى الفعل ومن الكمون الى البروز • ما تحذرون • اى ما تحذرونه من انزال السورة و
من مخازيكم ومثالبكم المستكنة فى قلوبكم الفاضحة لكم على ملأ الناس والتأكيد لرد انكارهم بذلك لا لدفع
ترددهم فى وقوع المحذور اذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة • ولئن سألتهم • عما قالوا • ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب • روى انه عم كان يسير فى غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزءون بالقرآن وبالرسول
صلعم ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات
فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله لا والله ما كنا
فى شىء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر • قل
غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم
موقع الاستهزاء • ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون • حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم
ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته • لا تعتذروا • لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب
فانه معلوم الكذب بين البطلان • قد كفرتم • اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عم والطعن فيه • بعد ايمانكم • بعد
اظهاركم له • ان نعف عن طائفة منكم • لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف
على اسناد الفعل الى الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وبتأنيثه
انقيادا لما الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة • نعذب • بنون العظمة وقرئ بالياء على البناء للفاعل وبالتاء
على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده • طائفة بانهم كانوا مجرمين • مصرين على الاجرام وهم غير التائبين او
مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذى عفى عنه رجل واحد هو مخشى بن حمير الاشجعى لما نزلت هذه
الاية تاب عن نفاقه وقال اللهم انى لا ازال اسمع اية تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل
وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين
الا عرف مصرعه غيره • المنافقون والمنافقات • التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم فى
الكفر والنفاق • بعضهم من بعض • اى متشابهون فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشىء الواحد
بالشخص وقيل اريد به نفى ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تع وما هم منكم
وقوله تع • يأمرون بالمنكر • اى بالكفر والمعاصى • وينهون عن المعروف • اى عن الايمان والطاعة استئناف

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها لا محالة ومساكن طيبة اي
وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل يستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش وفي الخبر انها قصور من اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن وهي ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي صلعم
عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله
تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضه ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب
على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعن ابن مسعود رضه هي بطنان الجنة وسرتها فعدن
على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوي اي الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكأنه وصفه
اولا من جنس ما هو ابهى الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل الطباع اليهم اول ما يقرع اسماعهم
ثم وصفها بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك
كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوانه اكبر اذ عليه يدور فوز كل خير وسعادة وبه
يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود
ولانه مستمر في الدارين روي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا
اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في العظم والفخامة
هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها و
تنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوضة قال رسول الله صلعم
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال والله لو كانت الدنيا
باجمعها تبقى علينا وما من رزقها رغدا لما كان من حق حر ان يذل بها فكيف وهي متاع يضمحل غدا
يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم
في ذلك ولا يأخذك بهم رأفة قال عطا نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح ومأواهم جهنم جملة
مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم
محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما امر من الامر بالجهاد و
الغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلعم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن و
يعيب المنافقين فسمعه من كان منهم معه فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا
لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس
اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلعم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع
عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل وايثار صيغة الاستقبال
في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان

بان بغتهم

بان بقيتهم راضون بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف
عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام
وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلعم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن
راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها
يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن
ابي وان لم يرض به رسول الله صلعم وما نقموا اي وما انكروا وما عابوا وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا
ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلعم المدينة في غاية ما
يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله
صلعم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا
شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او وما انكروا لامر من العلل الا لاغناء الله تعالى اياهم
فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلعم
قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته
وان يتولوا اي استمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا
العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات
وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله عز وجل من ولي
ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم من عاهد
الله لئن آتانا الله من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين
قال ابن عباس رضه يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلعم فقال يا رسول
الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عم يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك
بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل
واديا وانقطع من الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلعم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة
واقرآه كتاب رسول الله صلعم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا
حتى ارى رأيي وذلك قوله عز وجل فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا
اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلعم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت
فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال عليه السلام
هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه الصلوة والسلام فجاء بها الى ابي بكر رضه فلم يقبلها وجاء بها
الى عمر رضه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحرث وجد بن

القيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر • وهم معرضون • جملة معترضة اى وهم قوم عادتهم الاعراض
او حالية اى تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم • فاعقبهم • اى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا
راسخا فى قلوبهم • الى يوم يلقونه • اى يوم موتهم الذى يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو
يوم القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم ولا يلايمه قوله عز وجل • بما اخلفوا الله ما وعدوه •
اى بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح • وبما كانوا يكذبون • اى وبكونهم مستمرين على الكذب
فى جميع المقالات التى من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به يؤدى الى تخلية الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل
عن المزية فان تسبيب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب يقتضى اسناده الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين
لاعقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت العبارة الدالة على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب
النفاق المخلد على فعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولى والاعراض وفيها ما لا دخل له
فى الترتب المذكور كالمعاهدة بما ذكر ازيح ما فى ذلك من الابهام بتعيين ما هو المدار فى ذلك والله تعالى اعلم وقرئ يكذبون بالتشديد
• الم يعلموا • اى المنافقون او من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار
والتوبيخ والتهديد اى الم يعلموا • ان الله يعلم سرهم ونجويهم • اى ما اسروه فى انفسهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن
وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وتقديم السر على النجوى [illegible] فى قوله سبحانه [illegible]
الى عالم الغيب والشهادة • وان الله علام الغيوب • فلا يخفى عليه شىء من الاشياء حتى اجترؤا على ما اجترؤا عليه
من العظائم واظهار اسم الجلالة فى الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفى ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم
الحادثين شيئا فشيئا بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة
الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثانى لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى
مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من اعمالهم • الذين يلمزون • نصب او رفع على الذم ويجوز على البدلية من الضمير فى سرهم
ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم وهى لغة اى يعيبون • المطوعين • من المؤمنين • فى الصدقات • متعلق بيلمزون روى ان
رسول الله صلعم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم
قال وكان لى ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله صلعم بارك الله لك فيما اعطيت
وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدى بمائة
وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر فقال بت ليلتى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت
بصاع فامره رسول الله صلعم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء و
ان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت • والذين
لا يجدون الا جهدهم • الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه وقيل بالضم الطاقة وبالفتح المشقة • فيسخرون
منهم • عطف على يلمزون اى يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الاخير • سخر الله منهم • اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من
السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة • ولهم • اى ثابت لهم • عذاب اليم • التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية
للدلالة على الاستمرار • استغفر لهم او لا تستغفر لهم • اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه فى استحالة المغفرة

ونظيره

وتصويره بصورة الامر للمبالغة فى بيان استوائهما كانه عليه السلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى
ليظهر له جلية الامر كما مر فى قوله عز وجل • قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم • ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم • بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة فى الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روى ان عبد الله بن ابى
وكان من المخلصين سأل رسول الله صلعم فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عم فنزلت فقال عم محافظة على ما هو الاصل
من ان ليس للاعداد حدود معينة تخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لى فسازيد على السبعين فنزلت
فعلم عم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة
فى مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هى اكمل الاعداد لجمعها معانيها
ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة
وهى مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها
العشرات والسبعمائة غاية المئات • ذلك • اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة فى الاستغفار اى
ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل • بانهم • اى بسبب انهم • كفروا بالله ورسوله • كفرا متجاوزا
عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق فى قوله عز وعلا • والله لا يهدى القوم الفاسقين • فان الفسق فى كل
شىء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اى لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التى
عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهى متحققة لا محالة ولكنهم بسوء
اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هى بالاقلاع عن
الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبى عم فى استغفاره
لهم قبل تبين حالهم كما يستشعر من قوله عز وجل ما كان للنبى الآية • فرح المخلفون • اى الذين خلفهم النبى صلعم
بالاذن لهم فى القعود عند استيذانهم او خلفهم الله تعالى بتثبيطهم لما علم فى ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم
كسلهم ونفاقهم • بمقعدهم • متعلق بفرح اى بقعودهم وتخلفهم عن الغزو • خلاف رسول الله • اى خلفه
وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحى اى بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ
خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اى فرحوا لاجل مخالفته عم بالقعود
واما مقعدهم اى فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عم او على انه حال والعامل احد المذكورين اى فرحوا مخالفين له
عم • وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله • لا ايثار الدعة والخوض على طاعة الله تعالى فقط
بل مع ما فى قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر
مرتبة الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد
فى سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التى يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه
كما فرحوا باقبح القبائح الذى هو القعود خلاف رسول الله صلعم • وقالوا • اى لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود
وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض
العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود

وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فإنه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم
نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم أشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه
فما لكم لا تحذرونها وتعرضون أنفسكم لها بإيثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من
جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المأمور به مؤكد لمضمونه وجواب لو إما مقدر أي لو كانوا يفقهون أنها كذلك
أو كيف هي أو أن مآلهم إليها لما فعلوا ما فعلوا أو لتأثروا بهذا الإلزام وإما غير منوي على أن لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع
تحقق مدخولها أي لو كانوا من أهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والأرض
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا إخبار عن عاجل أمرهم وآجله من الضحك
القليل والبكاء الطويل المؤدي إليه أعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للأخبار
بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما إذ لا يتصور السببية في الأول أصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية أو
الظرفية أي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا أو زمانا قليلا وزمانا كثيرا وإخراجه في الأمر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فإن
أمر الآمر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المأمور به خلا أن المقصود إفادته في الأول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف
الكثرة مع الموصوف يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم و
يجوز أن يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وأن يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام
جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي
ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني أي ليبكوا جزاء أو مصدر حذف ناصبه أي يجزون مما ذكر من
البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فإن رجعك الله الفاء لتفريع الأمر الآتي على ما بين
من أمرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم أي فإن ردك الله تعالى إلى طائفة منهم أي إلى المنافقين
من المتخلفين في المدينة فإن تخلف بعضهم إنما كان لعذر عائق مع الإسلام أو إلى من بقي من المنافقين
المتخلفين بأن ذهب بعضهم بالموت أو بالغيبة عن البلد أو بأن لم يستأذن البعض عن قتادة أنهم
كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى بعد غزوتك هذه
فقل إخراجا لهم عن ديوان الغزاة وإبعادا لمحلهم عن محفل صحبتك لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا
من الأعداء وهو إخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك إنكم تعليل لما سلف أي لأنكم رضيتم
بالقعود أي عن الغزو وفرحتم بذلك أول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الأمر بالقعود
بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضى بالقعود أي إذ رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا من بعد
مع الخالفين أي المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين على القصر وكان محو أسمائهم
عن دفتر المجاهدين ولزهم في قرن الخالفين عقوبة لهم أي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف
إلى المؤنث هو الأكثر الدائر على الألسنة فإنك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امرأة أو أولى مرة
ولا تصل على أحد منهم مات صفة لأحد وإنما قيل مات بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة أبدا
متعلق بالنهي أي لا تدع ولا تستغفر لهم أبدا ولا تقم على قبره أي لا تقف عليه للدفن أو للزيارة

والدعاء روي أنه صلعم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله
ابن سلول بعث إلى رسول الله صلعم ليأتيه فلما دخل عليه قال أهلكك حب اليهود فقال يا
رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه
فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا جاء به عمر تسلية له ومراعاة لجانبه وأرسل إليه قميصه فكفن
فيه فلما هم بالصلاة أو صلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لما هلك عبد الله بن أبي ودعي
ليصلي عليه قال رسول الله صلعم فقلت أتصلي على عدو الله القائل يوم كذا كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا
كذا وعددت أيامه الخبيثة فتبسم عليه السلام وصلى عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث
إلا يسيرا حتى نزلت ولا تصل إلى آخره فما صلى رسول الله صلعم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وإنما لم ينه
عن التكفين بقميصه لأن الضنة بالقميص كانت مظنة الإخلال بالكرم على أنه كان مكافأة لتقميصه الذي كان
ألبسه العباس رضي حين أسر ببدر والخبر مشهور إنهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى
أن الاستغفار للميت والوقوف على قبره إنما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم لأنهم استمروا على
الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون أي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده
كما هو من معنى الفسق ولا تعجبك أموالهم وأولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالإخبار بوقوعه
ويجوز أن يكون هذا في حق فريق غير الفريق الأول وتقديم الأموال في أمثال هذه المواقع على الأولاد
مع كونهم أعز منها إما لعموم مساس الحاجة إليها بحسب الذات وبحسب الأفراد والأوقات فإنها مما
لا بد منه لكل أحد من الآباء والأمهات والأولاد في كل وقت وحين حتى أن من له أولاد ولا مال له
فهو وأولاده في ضيق ونكال وأما الأولاد فإنما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الأبوة وإما لأن المال مناط
لبقاء النفس والأولاد لبقاء النوع وإما لأنها أقدم في الوجود من الأولاد لأن الأجزاء المنوية
إنما تحصل من الأغذية كما سيأتي في سورة الكهف إنما يريد الله بما متعهم به من الأموال
والأولاد أن يعذبهم في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شأنها و
تزهق أنفسهم وهم كافرون أي فيموتوا كافرين باشتغالهم والتذاذهم بها عن النظر والتدبر في العواقب
وإذا أنزلت سورة من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها أن آمنوا بالله أن مفسرة لما في
الإنزال من معنى القول أو القول الوحي أو مصدرية حذف عنها الجار أي بأن آمنوا وجاهدوا مع رسوله
لإعزاز دينه وإعلاء كلمته استأذنك أولو الطول منهم أي ذوو الفضل والسعة
والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه
يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين أي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا
بأن يكونوا مع الخوالف بيان لسوء صنيعهم وعدم امتثالهم بكلا الأمرين وإن لم ترد الأول صريحا
مع النساء اللاتي شأنهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه و
طبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك لا يفقهون ما في الإيمان بالله وطاعته في أوامره ونواهيه واتباع

رسوله عم والجهاد ذمن السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة • لكن الرسول والذين آمنوا معه
بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه حرجًا اعراضهم عن
الجهاد باستيذانهم في القعود • جاهدوا باموالهم وانفسهم • اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد
نهد الى الله ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا وراح متوالعر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان
يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين • واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة • لهم
بواسطة نعوتهم المزبورة • الخيرات • اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى
وقيل الحور لقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة • واولئك هم المفلحون • اي
الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه
لشأنهم وربأ بمكانهم • اعد الله لهم • استيناف لبيان كونهم مفلحين اي هيأ لهم في الاخرة • جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها • حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد • ذلك اشارة الى ما فهم
من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى • الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم • شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي
اهل المدينة والمعذرون من عذر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له
او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من
الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا
فائذن لنا بالتخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طيء على اهالينا ومواشينا
فقال عليه السلام سيغنيني الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة
اعتذروا بالكذب وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في
العين وقد جاء عام بهاء الطاء والزاء والصاد في المطوعين وازكى واصدقوا وقيل اريد بهم المعذرون بالصحة
وبه فسر المعذرون والمعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر • وقعد الذين كذبوا الله ورسوله • وهم
منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا واظهروا انهم كذبوا الله في ادعاء الايمان والطاعة • سيصيب
الذين كفروا منهم • اي من الاعراب ومن المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره • عذاب اليم • بالقتل
والاسر في الدنيا والنار في الاخرة • ليس على الضعفاء ولا على المرضى • كالهرمى والزمنى • ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون • لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة • حرج • اثم في التخلف • اذا نصحوا لله ورسوله
ونصحهما عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض
عنهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه • ما على المحسنين من سبيل • استيناف مقرر لمضمون ما سبق
اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على
انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين او تعليل
بنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم • والله غفور رحيم • تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر

مشير الى ان

مشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر • ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتي انما السبيل الآية وقيل عطف على
الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلعم
فقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك
فقال عم لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل بنو المقرن معقل وسويد ونعمان وقيل ابو موسى
الاشعري واصحابه • قلت لا اجد ما احملكم عليه • حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عبارة
لما سألوه عم وغيره مما يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب
قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عم يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده • تولوا جواب اذا • واعينهم
تفيض اي تسيل بشدة • من الدمع • اي دمعا فان من للبيانية مع مجرورها في حيز النصب على التمييز
وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل ان العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية و
قوله عز اسمه • حزنا • نصب على العلة او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي يحزن الحزن
فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا الى او حزن او يحزنون حزنا فيكون هذه
الجملة حالا من الضمير في تفيض • الا يجدوا • على حذف لام متعلقة بحزنا او تفيض او لئلا يجدوا
ما ينفقون • في شراء ما يحتاجون اليه اذا لم يجدوه عندك • انما السبيل • بالمعاتبة • على الذين يستأذنونك
في التخلف • وهم اغنياء • واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم • رضوا • استيناف تعليلي لما
سبق كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا • بان يكونوا مع الخوالف • الذين
شأنهم الضعفة والدناءة • وطبع الله على قلوبهم • اي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة
فهم بسبب ذلك • لا يعلمون • ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا لما لم يعلموا لخباثته شأنه
عاجلا • يعتذرون اليكم • استيناف لبيان ما يتصدون له عند القفول اليهم روي انهم كانوا
بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاؤوا يعتذرون بالباطل والخطاب لرسول الله صلعم فقط اي
يعتذرون اليكم في التخلف • اذا رجعتم من الغزو ومنتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينة ليتعلق منهم من بادر الى الاعتذار
قبل الرجوع اليها • قل • تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلعم بعد تعميمه لاصحابه فيما سبق انما هو الخطاب في طيعة عم
واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين سبول الرجوع اليهم • لا تعتذروا • اي لا تفعلوا الاعتذار او لا تستمروا احسانا
فيها ولا تكلفوا ولا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبها فلا باعث له لقوله • لن نؤمن لكم
اي لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استيناف تعليلي للنهي مبني على سؤال من قبلهم منزع على ادعاء الصدق في
الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل
• قد نبأنا الله من اخباركم • تعليل لانتفاء التصديق اي علّمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية للتصديق مما
بالشر ستره من الشر والفساد والضمير ثوه في ضمائركم وهياتوه للابراز في معرض لا تخوض من الا الكاذب وجمع ضمير المتكلم

في الموصفين بالمبالغة في حسم أطماعهم من التصديق رأساً ببيان عدم رواج اعتذارهم عند أحد من
المؤمنين أصلاً فإن تصديق البعض ربما يطمعهم في تصديق الرسول صلعم بواسطة المصدقين و
للإيذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتي أتنيبون إليه تعالى عما أنتم فيه من
النفاق أم تثبتون وكأنه استتابة وإمهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله من قوله تعالى
ورسوله للإيذان باختلاف حال الرؤيتين تعلقاً وتقدماً وللإشعار بأن مدار الوعيد هو علمه عز وجل بأعمالهم
ثم تردون يوم القيامة إلى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الأعمال ووضع المظهر موضع
المضمر لتشديد الوعيد فإن علمه سبحانه وتعالى بجميع أعمالهم الظاهرة والباطنة وإحاطته بأحوالهم البارزة
والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عقيب ردكم إليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون أي
بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الأعمال السيئة السابقة واللاحقة على أن ما موصولة والعائد إليها
محذوف أو بعملكم المستمر على أنها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة وإيثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله
قد نبأنا الله فإن المنبأ به الأخبار المتعلقة بأعمالهم وللإيذان بأنهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة أعمالهم
وإنما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله لكم تأكيد لمعاذيرهم الكاذبة وتقرير لها والسين للتأكيد والمحلوف عليه
محذوف يدل عليه الكلام وما اعتذروا به من الأكاذيب والجملة بدل من يعتذرون أو بيان له إذا
انقلبتم أي انصرفتم من الغزو إليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول
والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الإيذان بأنه ليس لدفع ما خاطبهم النبي صلعم من قوله تعالى لا تعتذروا
إلى آخره بل هو أمر مبتدأ لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم لا صفح رضا كما هو طلبتهم بل إعراض اجتناب ومقت
كما يعرب عنه قوله عز وجل إنهم رجس فإنه صريح في أن المراد بالإعراض عنهم إنما هو الاجتناب عنهم لما فيهم من
الرجس الروحاني وأما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لأن المقصود بها إنما هو التطهير بالحمل على الإنابة
وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم جهنم إما من تمام التعليل
فإن كونهم من أهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم والعتاب
وإما تعليل مستقل أي وكفتهم النار عتاباً وتوبيخاً فلا تتكلفوا أنتم في ذلك جزاء نصب على أنه مصدر
مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالاً أي يجزون جزاء أو لمضمون الجملة السابقة فإنها مفيدة لمعنى المجازاة
قطعاً كأنه قيل مجزيون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات أو على أنه مفعول له يحلفون
لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره أي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم
ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فإن الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين أي فإن رضاكم عنهم لا يجديهم نفعاً لأن الله ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم عند سخطه سبحانه
ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط
وللإيذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة
على أبلغ وجه وآكده فإن الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل إنما قيل ذلك لئلا

يتوهم

يتوهم متوهم أن رضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا
ثمانين منافقاً فقال النبي صلعم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا
يتخلف عنه أبداً الأعراب هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع أخص من
الواحد فإن العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي أم القرى وأما الأعراب فلا يطلق إلا على من
يسكن البوادي ولهذا نسب إلى الأعراب على لفظه فقيل أعرابي وقال أهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما
يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل أعرابي وجمع على الأعراب
والأعاريب أي أصحاب البدو أشد كفراً ونفاقاً من أهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم و
نشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومعاشرتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض أفراده كما
في قوله وكان الإنسان كفوراً إذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبراً وأجدر أن لا يعلموا أي أحق وأخلق
بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلعم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته
ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم بأحوال كل من أهل الوبر
والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الأعراب شروع في بيان
تشعب جنس الأعراب إلى نوعين وعدم انحصارهم في النوع المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح
لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الأعراب على الفريق المذكور
خاصة وإن ساعده كون من يحكي حاله بعضاً منهم وهم الذين يتصدون للإنفاق من أهل النفاق
دون فقرائهم أو أعراب أسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الأعراب
من يؤمن إلى آخره فإن أولئك ليسوا من هؤلاء قطعاً وإنما هم من الجنس أي ومن جنس الأعراب
الذي نعت بنعت بعض أفراده من يتخذ ما ينفق من المال أي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به
صورة مغرماً أي غرامة وخسراناً لازماً إذ لا ينفقه احتساباً ورجاء للثواب ليكون له مغنماً وإنما
ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ إنما هو
باعتبار غرض المنفق أعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر أصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد
بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر أي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه
فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض
كقوله تعالى غلت أيديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشر وأضيفت إليه
الدائرة ذماً كما يقال رجل سوء لأن من دارت عليه يذمها وهي من باب إضافة الموصوف إلى صفته فوصفت
في الأصل بالمصدر مبالغة ثم أضيفت إلى صفتها كقوله عز وجل ما كان أبوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة
يقتضي معنى السوء فإنما هي إضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو
العذاب كما قيل له سيئة والله سميع بما يقولون عند الإنفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من الأمور
الفاسدة التي من جملتها أن يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الأعراب أي من

جنسهم على الاطلاق ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار
ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله تعالى قربات اي ذرائع اليها وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص
جعل كأنه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله
صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اي وسائل اليها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم
ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلعم حين قال
اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله
واليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفقانه
حالا وما لا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم
وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فا
اتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم
من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفقون والتأنيث باعتبار الخبر مع ما فيه من
تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها
بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها غاية العظمى وصلوات
الرسول من ذرائعها وقرئ قربة سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير
للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك
وتقررها البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هذا في
عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة
انه قال رسول الله صلعم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد
بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين
اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا
قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين
رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم باحسان اي ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين
على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع
المهاجرين والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدأ اي رضي عنهم بقبول طاعاتهم وارتضاء
اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا واعد لهم في الآخرة جنات
تجري من تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواقع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك
الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل
وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل

المدينة

اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم منافقون
وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم
عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم
في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدأ المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة
لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدأ خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة
عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه
اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر والتمرد وعلى الوجهين الاولين
شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي
اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم
بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم
الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق
نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها
صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه باعيانهم
على عدم علمه بهم بعد مجيء هذا البيان على انه عم يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر
عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في النفاق اي لا يقف
على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار
الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع المفعول بيان لتعلقه بحالهم ما مر في نفيه بهم وقوله تعالى شأنه سنعذبهم
وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد مرتين عن ابن عباس رضه
ان النبي صلعم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم
فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول
اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب و
لعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق والنفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين
مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب
النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد
ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه
والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال
طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل
المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين
وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما

فيه وابرازنا فيه • من المنافقين الذين اعتذروا اي لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة
حسبما ونيتهم المألوف وهم رهط من المتخلفين وثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في
المتخلفين فقدم رسول الله صلعم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن
شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عم وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت •
خلطوا عملا صالحا • وهو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وبعدها وما لحق من
الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط
لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين لكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في
قوله تع • وآخر سيئا • فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت
الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به
وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا فذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين
على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا وعن الكلبي التوبة و
الاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم • عسى الله ان يتوب عليهم • اي
يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم • ان الله غفور رحيم • يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل
عليه وهو تعليل لما تفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب
• خذ من اموالهم صدقة • روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها
وطهرنا فقال عم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها و
لما روي انه عم اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة
لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل • تطهرهم • اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم
على انه جواب الامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة
والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره • وتزكيهم • باثبات الياء
وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة
حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع
فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين
فان انه معطوف على الاولى حالا او صفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية • وصل
عليهم • اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم • ان صلوتك • وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم
• سكن لهم • تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة
عليهم • والله سميع • يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء • عليم • بما في ضمائرهم من
الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم • عليم • بما تقتضيه الحكمة و
الجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما • ألم يعلموا • وقرئ

بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك
وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسناد الاخذ والتطهير
والتزكية اليه عم اي الم يعلم اولئك التائبون • ان الله هو يقبل التوبة • الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين
فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر
للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا • ويأخذ الصدقات •
اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا
اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر
لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شأن النبي صلعم على نهج قوله تع ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله ما لا يخفى • وان الله هو التواب الرحيم • تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه
اي الم يعلموا انه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له
وشأن دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا بسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه واما لغير التائبين
من المؤمنين فقد روي انهم قالوا اما هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون
ولا يجالسون فما لهم فنزلت اي الم يعلموا ما ذكر ليتبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام
في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله
تعالى • وقل اعملوا • زيادة ترغيب لهم في التوبة اعملوا ما تشاؤن من الاعمال فظاهره ترخيص
وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب فقوله عز وعلا • فسيرى الله عملكم • اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله
وتأكيد للترغيب والسين للتأكيد • ورسوله • عطف على الاسم الجليل والتأخير عن المفعول للاشعار
بما بين الرؤيتين من التفاوت • والمؤمنون • في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج
عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية
معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء
والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاجزية واضدادها • وستردون • اي بعد الموت • الى عالم الغيب
والشهادة • في وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب
في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس
علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم
بالشهادة وعن ابن عباس رض الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم
ما يسرون وما يعلنون كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء
وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما الابتداء
بان مرتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه البعيدة او القريبة مضمر قبل
ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية • فينبئكم • عقيب الرد الذي

هو عبارة عن الامر المعتد فهو وعد ووعيد • وآخرون • عطف على آخرون قبله اى ومن المتخلفين من اهل
المدينة ومن حولها من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين • مرجون • وقرئ مرجئون من ارجيته
وارجاته اى اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة • لامر الله • في شانهم قال ابن عباس رضي الله عنهم
كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة واصحابه
من شد انفسهم على السوارى واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله صلعم ونهى اصحابه
عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فنجروهم والناس في شانهم على خلاف فمن قائل هلكوا
وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى • اما يعذبهم • ان بقوا على ما هم عليه من الحال
وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذلك فان المذكورين ليسوا من المنافقين • واما يتوب عليهم • ان خلصت
نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اى منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون
مبتدا ومرجون صفته وهذه الجملة خبره • والله عليم • باحوالهم • حكيم • فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده و
قرئ والله غفور رحيم • والذين اتخذوا مسجدا • عطف على ما سبق اى ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ
بغير واو لانها قصة على حيالها • ضرارا • اى مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا
او على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اى يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل
وقع حالا من ضمير اتخذوا اى مضارين للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله
صلعم ان ياتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعله عم حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل
الى رسول الله صلعم يصلى فيه ويصلى فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام وهو الذى سماه رسول الله
صلعم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلعم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل ذلك
الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما
استطعتم من قوة وسلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا
الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي عم بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية واذا قدمنا
ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه عم اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن
الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين
• وكفرا • لتقويته للكفر الذى يضمرونه • وتفريقا بين المؤمنين • الذين كانوا يصلون في مسجد قبا مجتمعين
فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا وتختلف كلمتهم • وارصادا • اعدادا وانتظارا وترقبا • لمن حارب الله
ورسوله • وهو الراهب الفاسق اى لاجله حتى يجيء فيصلى فيه ويظهر على رسول الله عم • من قبل • متعلق
باتخذوا اى اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك او بحارب اى حاربهما
قبل اتخاذ هذا المسجد • وليحلفن ان اردنا • اى ما اردنا ببناء هذا المسجد • الا الحسنى • الا الخصلة الحسنى وهى
الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى • والله يشهد انهم لكاذبون • في حلفهم ذلك

لا تقم

لا تقم للصلوة فيه • في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه • لمسجد اسس • اى بنى اصله على التقوى
يعنى مسجد قبا اسسه رسول الله صلعم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء
والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلعم بالمدينة وعن ابى سعيد رضى سالت النبى صلعم عن
المسجد الذى اسس على التقوى • فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة
واللام اما للابتداء او للقسم المحذوف اى والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتدا وما بعده صفته وقوله تعالى
• من اول يوم • اى من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله تعالى • احق ان تقوم فيه • اى بالصلوة وذكر الله
تع خبره وقوله تعالى • فيه رجال • جملة مستانفة مبينة لاحقيته لقيامه عم فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له
من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدا او حال من الضمير فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق
القيام فيه والمراد بكونه احق بنفس كونه حقيقا اذ لا استحقاق في مسجد الضرار راسا وانما عبر عنه بصيغة
التفضيل لفضله وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني
ومن يشايعه في الاعتقاد وسوء الاسباب والاسماء • يحبون ان يتطهروا • من المعاصى والخصال الذميمة
لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها • والله يحب المطهرين • اى لا يرضى عنهم ويدنيهم
من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلعم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء
فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون
وانا معهم فقال عم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عم اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى
عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار
الماء فتلا النبى صلعم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن
النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل
يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم • افمن اسس بنيانه • على بناء الفعل
للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس و
اساس بالفتح جمع اس وقرئ آساس بنيانه جمع اس ايضا واس بنيانه وهى جملة مستانفة
مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اى ابعد ما
علم حالهم من اسس بنيان دينه • على تقوى من الله ورضوان • اى على قاعدة محكمة هى التقوى من الله
وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التى هى التوقى عن كل ما يؤثم من فعل او ترك
وقرئ تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التانيث • خير ام من اسس بنيانه • ترك
الاضمار ايذانا باختلاف البنائين ذاتا اختلافهما وصفا واضافة • على شفا جرف هار • الشفا
الحرف والشفير الجرف ما جرفه السيل اى استاصله واحتفر ما تحته فبقى واهيا يريد الانهدام والهار
الهائر المتصدع المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار وهار يهير فقدمت لامه على عينه فصار كغاز

وارم وقيل حذف عينه اعتباطا اي بغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم
مثل لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع مقابله الرضوان
تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة
وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف
بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اي لانفسهم او الواضعين للاشياء في غير مواضعها
اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا
به فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه
بالموصول الذي صلته فعله للايذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس
وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة
وتشكك في الدين كأنه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم
في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون
في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين فما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال
هدمه فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث
ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم بعد البناء اكثر
اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك من الضعف والتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلعم هل يتركهم
على ما كانوا عليه من قبل او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال
السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف
احدى التائين قلوبهم قطعا وتكون اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو
استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة
في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم حينئذ يسلون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة
باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم
او في القبور او في النار وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي عم
اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ الى ان تقطع
قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو
قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلعم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها
قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع
افعاله التي من زمرتها امره الوارد في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب
للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث
عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة

بالشرى

بالشرى على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم
والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين
بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال
وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة
مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال
من ان ذلك للمدح للمؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تع وان تمام
الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة صالحة لتوصيته بخلاف الوعد
بها فليس بشيء لان مناط دلالة ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك
بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو ان الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك لكون العوض
الجنة الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى
ولا لبيان نفس الشرى لان قتالهم في سبيل الله ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل
لهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم
بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه وتعريض لهما
للهلاك وقوله تع فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل
في سبيل الله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما
ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء
وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجدت المضاربة
ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم توجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد
وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا
للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت
في سبيل الله بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما
وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل في
يقاتلون الى آخره معنى الامر كما في قوله تع وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه
مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت للوعد او الظرف حال منه لانه لو تأخر لكان صفة له
وقوله تع في التوراة والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة للوعد اي وعدا مثبتا في التوراة
والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد
على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بعهده من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام
الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على

انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا
مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم
من كل كريم وافضل من كل فاضل ﴿فاستبشروا﴾ التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم
على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار
او الامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل
﴿ببيعكم﴾ مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في اجرائه والذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر
العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى
﴿الذي بايعتم به﴾ لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع الفاني بالباقي ولان كلا
البدلين له سبحانه وتع عن الحسن رحمه الله انفسا هو خلقها واموالا رزقها روي ان الانصار لما بايعوه عليه
السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحة رض اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عم اشترط لربي
ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال
لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صم اعرابي وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله
عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد ﴿وذلك﴾ اي الجنة التي جعلت
ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذي لا فوز اعظم منه وما في ذلك من معنى
البعد اشارة الى بعد منزلته وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون اشارة الى البيع الذي امروا
بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى
الثاني لقوله تعالى فاستبشروا ﴿التائبون﴾ رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين
كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء
والخبر محذوف اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تع وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان
يكون خبره قوله تع ﴿العابدون﴾ وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه
النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى ﴿الحامدون﴾ لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء ﴿السائحون﴾
الصائمون لقوله عم سياحة امتي الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية
يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم ﴿الراكعون
الساجدون﴾ في الصلوة ﴿الآمرون بالمعروف﴾ بالايمان والطاعة ﴿والناهون عن المنكر﴾ عن الشرك
والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى ﴿والحافظون لحدود الله﴾
اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلعله لتنوعهم اختصاصه باحد الوجهين
﴿وبشر المؤمنين﴾ اي الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر
هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص

الخطاب

الخطاب بالاولين اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا﴾ بالله وحده
اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ﴿ان يستغفروا للمشركين﴾ به سبحانه ﴿ولو كانوا﴾ اي
المشركون ﴿اولي قربى﴾ اي ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف للدلالة على ما قبله والجملة معطوفة على جملة اخرى
قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روي انه عم قال لعمه ابي
طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال عم لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه
فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي
فاذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل على الآيتين ﴿من بعد ما تبين لهم﴾ اي للنبي عم
والمؤمنين ﴿انهم﴾ اي المشركين ﴿اصحاب الجحيم﴾ بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك ﴿وما
كان استغفار ابرهيم لابيه﴾ بقوله واغفر لابي اي بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله
انه كان من الضالين والجملة استئناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وما استغفر
ابرهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى ﴿الا عن موعدة﴾ استثناء
مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عم لابيه آزر ناشئا عن شيء من الاشياء الا عن موعدة ﴿وعدها﴾
ابرهيم عم ﴿اياه﴾ اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله سأستغفر لك ربي بناء على
رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
مبنية على تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿فلما تبين له﴾ اي لابرهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن
ابدا او قيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تع ﴿انه عدو لله﴾ فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة
الموت ﴿تبرأ منه﴾ اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره
﴿ان ابرهيم لاواه﴾ لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب ﴿حليم﴾ صبور على الاذية والمحنة وهو
استئناف لبيان ما كان يدعوه عم الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابرهيم عم كان اواها حليما
فلذلك صدر عنه من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتي به في ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه
بعد التبين بانه عم تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرأ
واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الائتساء به في قوله تع الا قول ابرهيم لابيه
لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تع ﴿وما كان الله ليضل قوما﴾ اي ليس من عادته ان يصفهم
بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه ﴿بعد اذ هديهم﴾ للاسلام ﴿حتى يبين لهم﴾ بالوحي صريحا
او دلالة ﴿ما يتقون﴾ اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك
فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به ففيه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل
على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ﴿ان الله بكل شيء عليم﴾ تعليل لما سبق اي انه تعالى
عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته فبين لهم ذلك كما فعل هنا
﴿ان الله له ملك السموات والارض﴾ من غير شريك له فيه ﴿يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ لما منعهم

من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبري منهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي
اموره والغالب عليه ولا يتاتى لهم نصر ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين
الا اياه ● لقد تاب الله على النبي ● قال ابن عباس رضي الله عنهما هو العفو عن اذنه للمنافقين في التخلف عنه ● والمهاجرين و
الانصار ● قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من
مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلعم لما صدر عنهم في بعض الاحوال من ترك الاولى ● الذين اتبعوه ● ولم يتخلفوا
عنه ولم يخلوا بامر من اوامره ● في ساعة العسرة ● اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة
تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس
والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء
المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط
والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلعم في مثل هاتيك المرات من الشدة
للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها غيرهم اولى واحرى ● من بعد ما كاد
يزيغ قلوب فريق منهم ● بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا
الى التخلف عن النبي صلعم وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بالياء لان تانيث الفعل غير حقيقي وقرئ
من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ● ثم تاب عليهم ● تكرير للتاكيد وتنبيه
على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم ● انه بهم رؤف رحيم ● استيناف
تعليلي فان صفة الرافة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني
عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق ● وعلى الثلثة الذين خلفوا ● اي وتاب الله
على الثلثة الذين اخروا امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع
في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية وقرئ خلفوا
اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول
هو الانسب لقوله تعالى ● حتى اذا ضاقت عليهم الارض ● غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول
اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض ● بما رحبت ● اي برحبها وسعتها لاعراض الناس
عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له الدار ● وضاقت
عليهم انفسهم ● اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة و
الحيرة ● وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ● اي علموا ان لا ملجأ من سخطه تعالى الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم ● اي وفقهم للتوبة ● ليتوبوا ● او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التوابين او رجع
عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ● ان الله هو التواب ● المبالغ في قبول التوبة
كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت ● الرحيم ● المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم لافانين
العذاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلعم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام

عن الحسن

عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك و
انتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا
الضن بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلعم فتابط زاده ولحق به عم قال
الحسن رح كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به
فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلعم ماشيا فقال عم رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده
وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه
الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلعم
في الضح والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلعم طرفه الى الطريق
فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلعم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به
عليه السلام منهم الثلثة قال كعب فلما قفل رسول الله صلعم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني
فقال يا ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه قال عم ما اعلم الا
فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد
فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة
سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت
وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلعم فاذا هو
جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله
عليك فلن انساها لطلحة رضي الله عنه وقال رسول الله صلعم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم
مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان
تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه ● يا ايها
الذين امنوا ● خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة
تبوك خاصة ● اتقوا الله ● في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلعم في
امر المغازي دخولا اوليا ● وكونوا مع الصادقين ● في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا
وعملا او في كل شان من الشؤون فيدخل ما ذكر وتوبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلثة
واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار
وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ● ما كان لاهل المدينة ●
ما صح وما استقام لهم ● ومن حولهم من الاعراب ● كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ● ان
يتخلفوا عن رسول الله ● عند توجهه صلعم الى الغزو ● ولا يرغبوا بانفسهم عن
نفسه ● اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده
من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ● ذلك ● اشارة الى ما دل

على انه عطف على يتخلفوا ولا زائدة اي ليس لهم ان يتخلفوا ولا ان يرغبوا [illegible]

على انه عطف على ما سبق من النفي السابق [illegible] لا تخلفوا [illegible] رحمه الله

عليه الكلام من وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظماء اى عطش يسير ولا نصب
ولا تعب ما ولا مخمصة اى مجاعة ما الا ما استباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظماء والنصب اليسير
حين لم يخلو من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى فلا حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد
بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظماء اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى
المذكور فتوسيط كلمة لا ليس لتاكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالعلية والاخذ به
في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار اى لا يدوسون بارجلهم وحوافر
خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر
والنهب او مفعول اى شيئا ينال من قبلهم الا كتب لهم به اى بكل واحد من الامور
المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة لحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل
الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان
اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما
سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة
عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية
الماخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضى الله عنه والترتيب باعتبار ذكر من
كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتاكيد
النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اى لا يجتازون في مسيرهم واديا وهو
في الاصل كل منفرج من الجبال والاكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال
ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اى اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من
الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء
احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اى ما صح وما استقام لهم ان ينفروا
جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش
فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اى طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة
طائفة اى جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اى ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في
تحصيلها ولينذروا قومهم اى وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشادا
القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه
في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على
العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون
ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة

ينذرون

يقتضي

يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر قومها كي يتذكروا
ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للاية وجه اخر هو ان المؤمنين
لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفر رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا
ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد
الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي
الغزو بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اى ولينذر البواقي من قومهم النافرين اذا رجعوا
والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيرها وليجدوا
فيكم غلظة اى شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان
الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان و
القتال على المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا
اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت
سورة من سور القرآن فمنهم اى من المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام
المؤمنين وضعفائهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم
على تقدير فعل يفسره المذكور اى ايكم زادت زادته هذه الى اخره وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار
اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته
زادتهم ايمانا فاما الذين امنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا واجلا اى
فاما الذين امنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف
على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه
من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اى كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى
رجسهم اى كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم
كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف
على مقدر اى الا ينظرون ولا يرون انهم اى المنافقين يفتنون في كل عام من الاعوام مرة او
مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اى يبتلون بافانين البليات من المرض و
الشدة مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيعاينون ما ينزل عليه من الايات لا سيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية
لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى ولا هم يذكرون والمعنى
او لا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يذكرون بتلك الفتن الموجبة
للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اى الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي
افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تعالى ثم لا يتوبون الخ عطف عليه معطوف على يفتنون واذا ما

انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين ليتعرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فان المرء بشأنه اكثر اهتماما منه بشأن اصحابه كما في قوله وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اي انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اي عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول الله اي رسول عظيم الشأن من انفسكم من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب ويعد من نتائج ما سلف من المجانسة حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبي صلعم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك عليهم لا اله الا هو استيناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلعم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم الصلوة والسلام

سورة يونس مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة وتسع آيات

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للاصلية مجرى المنقلبة وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وكلمة تلك اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الى آخرها واما على تقدير كونه اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله عز وجل آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمعنى

هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبام القرآن في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القرآن النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر الا يرى الى ما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال كان النبي عم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا اشير له الى احدهما قدمه في اللحد فان معناه ايهم اكثر اخذا من القرآن في ذلك الوقت ولم يقفوا على التفاوت في اخذ ما هو المجموع النازل جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او باب الاستعارة المكنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها والامر بذكرها او بقراءتها وينبغي ان يكون المشار اليه حينئذ كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولا في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان احد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار للتعجب كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون الى آخره لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع المشهور في الظروف وقيل بالمصدر اذ كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشأنه لكونه مدارا للانكار والتعجب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا او اوحينا متعلقا بعجب على حذف حرف التعليل اي حدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افنائهم من حيث المال لا من اعظامهم

كقولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما
الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في الارض ملائكة يمشون
مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف
لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع
وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثاني فلما ان مناط الاصطفاء
للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل
العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه عم في ذلك الشان في غاية الغايات
القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية فلا دخل
له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا قال عم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء **ان انذر الناس**
ان مصدرية لجواز صلتها كما في قوله وان اقم وجهك وذلك لان الغرض الانشائية في الدلالة على المصدر
فساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي
والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل المقصور في
دلالة الانشاء على المصدر او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشان
والقول من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول فهو النكتة
في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق **وبشر الذين آمنوا**
بما اوحيناه وصدقوه **ان لهم** اي بان لهم **قدم صدق** اي سابقة ومنزلة رفيعة **عند ربهم** وانما عبر عنها بها
لان بها تحصيل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق والوجه
ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل ما
نالوه من المرادات العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق **قال الكافرون** هم المتعجبون وايرادهم
ههنا بعنوان الكفر مما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار او لكونه
استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد او الاستبعاد او قطعوا فيه بشيء
فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد **ان هذا** يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلعم من القرآن الحكيم المنطوي
على الانذار والتبشير **لسحر مبين** اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلعم وقرئ ما هذا الا
سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق
القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج **ان ربكم** كلام
مستأنف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة اثر الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وتحقيق
فيه حقيقة ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير واحوال التكوين
والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكر لاعترافهم به من غير نكير كقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم

سيقولون

سيقولون الله قل فانى تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله ومن يدبر الامر فسيقولون
الله اي ان ربكم ومالك امركم الذي تعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من
الكتاب الحكيم سحرا هو الله **الذي خلق السموات والارض** وما فيهما من اصول الكائنات **في ستة ايام**
اي في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس
فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها دفعة
دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر
قد استأثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو
المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام **ثم استوى على العرش**
العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير منه تنزل
وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على
العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن
والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك
الاجرام العظام **يدبر الامر** التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير
على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر ملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة
شيئا فشيئا على اطوار شتى وانحاء لا يكاد يحصى من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات
والازمنة والاوقات اي يقدر ما ذكر من امر الكائنات الذي ما تعجبوا منه من امر البعث والوحي فرد من
جملته وشعبة من دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على
الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى
وقد جوز كونها خبرا ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش
المنبئ عن اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره وقوله عز
وجل **ما من شفيع** بيان لاستبداده سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد
الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله
تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى **الا من بعد اذنه** استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما من شفيع
يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين
الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لا يخفى **ذلكم** اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك
العظيم الشأن المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية **الله** وقوله تعالى **ربكم**
بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربهم الذي خلق السموات والارض الى آخره
لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير وتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى **فاعبدوه** اي وحده من غير ان تشركوا به

به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وامنوا بما انزل اليكم • افلا تذكرون
اي تتعلمون ان الامر كما فصل فلا تذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه • اليه
لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا • مرجعكم • اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله • جميعا • فانه حال من الضمير المجرور وكونه
ما علاقي المعنى اي اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة • وعد الله • مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز و
جل مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اي وعد الله وعدا وايا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع
بالبعث لا ما بالموت فانه بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجماع وقرئ بصيغة الفعل • حقا • مصدر اخر مؤكد
لما دل عليه الاول • انه يبدأ الخلق • وقرئ يبدئ • ثم يعيده • وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه تعالى
فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب
وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ومرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق الى اخره • ليجزي
الذين امنوا وعملوا الصالحات • اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي يجزيهم
بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال
الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل • والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون • فان معناه
ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتغيير الاسناد وجعل الجملة استئنافية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل
من الانتظام في سلك العلة الغائية لخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بهم لكفرهم على موجب اختيارهم واما المقصود
الاصلي من ذلك فهو الاثابة • هو الذي جعل الشمس ضياء • تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه و
قدرته وحكمته باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش
وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حيث دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم
هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين
مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال كونها
ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضياء على
احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع
اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ
ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين • والقمر نورا • الكلام فيه كالكلام في الشمس والضياء اقوى
من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس • وقدره • اي قدر له
وهيأه • منازل • اي قدر مسيره في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا
التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد جعل الضمير
لكل منهما وهي ثمان وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت
يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان في اخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او

ليلة

او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم
التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي السرطان • والبطين • والثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة
الذراع • النثرة • الطرف • الجبهة • الزبرة • الصرفة • العواء • السماك • الغفر • الزبانى • الاكليل • القلب • الشولة •
النعائم • البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • فرغ الدلو المقدم • فرغ الدلو المؤخر • الرشا
وهو بطن الحوت • لتعلموا • اما بتفاوت الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول
كل منهما في تلك المنازل • عدد السنين • التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية • والحساب
اي حساب الاوقات على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما
نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة
معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ما له كمية انفصالية بتكرير
امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد
تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير
امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير
اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف
اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام
خاصة واحكام مستقلة علق بها الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب
واما الذي يتعلق بها العد فطائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحد من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني
حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك
وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معها شيء غير ذلك وتقديم العد على
الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي
بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم تتحد الجهة او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر اخر حسبما حقق
نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب • ما خلق الله ذلك • اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما
حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح
في ذلك كون استفادة القمر النور من الشمس امرا حادثا فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يستفيد بالنور عند وجود
شرائطه لا اتصافه به بالفعل • الا بالحق • استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اي ما خلق ذلك
ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى فيه ذلك وهو ما اشير اليه
اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم • يفصل الايات • اي الايات التكوينية
المذكورة او جميع الايات فيدخل فيها الايات المذكورة دخولا اوليا او يفصل الايات التنزيلية المنبهة على ذلك
وقرئ بنون العظمة • لقوم يعلمون • الحكمة في ابداع الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا
او يعلمون ما في تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به • ان في اختلاف

الليل والنهار تنبيه اجمالي على ما ذكر في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها
التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر و
انتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما
بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها
الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها وفي انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض
الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وما خلق الله في السموات والارض من اصناف المصنوعات
لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملة مقتضياتها
ما انكروه من ارسال الرسول وانزال الكتاب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي
الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات ودلائل
بغيرهم وكأي من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا
بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد
بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث
او لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا اني ظننت اني ملاق حسابيه وايا ما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة
من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما
لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى
حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا
فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة ولا يخافون
الثاني واليه يشير قوله تعالى واطمأنوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين من عروض المزعجات
غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابها وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون
حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها ومما فيها من فنون الكرامات السنية
بالحيوة الدنيا الدنية الفانية واطمأنوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها
وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء
للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا
بالحيوة الدنيا فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين
للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم
عن آياتنا المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها او آياتنا المنزلة المنبهة على الاستدلال بها
المتفقة معها في الدلالة على حقية ما لا يرجونه من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه
من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم
فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار

الغفلة

الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي اذ اما لمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله
باستتباع العذاب هذا واما ما قيل من ان العطف لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن
الآيات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الآخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين
من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل فكلام ناء عن السداد
فتأمل اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأواهم اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه
النار لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية المعدودة
وما يستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار
التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى
ان الذين لا يرجون لقاءنا الى آخره ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان او آمنوا بما يشهد به الآيات التي
غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات
اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء يهديهم
ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلية الهداية بايمانهم اي يهديهم
بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم تذكر تعويلا على ظهورها وانسياق النفس اليها لا سيما
بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما اورده في اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح
والتصريح وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد
ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي كاف في دخول النار ثم انه لا نزاع في ان المراد بالايمان
الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو
اعم منها الا ان ذلك بمعزل من الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن
العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الآية الكريمة ان الايمان المقرون
بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها
عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون ناد
بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون ولئن لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره
ايضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او ترك واجب تجري من تحتهم
الانهار اي من بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة
والجملة مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدى اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل
يهديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الانهار جار مجرى
التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعية
بحسب القوة العملية كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى
منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالمهدي اليه ما مر من الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم

اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل فيها متعلق به وقوله سبحانك اللهم اي اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعل تعويلهم
عند ما عاينوها فيها من عجائب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها
التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حياة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله
تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب
رحيم سلام اي سلامة من كل مكروه وآخر دعواهم اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا
ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب
مترقب حتى ينتظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشأن كما في قوله
ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم
وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع
ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه تعالى ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم
الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا
عليه بما هو اهله باضافة الآخر الى دعواهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم
وما تدعون الى آخره ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة وانما
يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء
الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك
وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا
على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم
كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار
الاستعجال بالخير بعنوان تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به
فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادي اليهم الاجل الذي عين لهم عذابهم
واميتوا او اهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء مع الايذان
بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على
المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة
انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة
في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود او
يكون فردا كاملا من افراده ممتازا عن البقية بامر يخصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على

على ربهم وقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها
اي لرأيت امرا هائلا فظيعا او نحو ذلك كما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك
على ظهرها من دابة اذ المراد بالجواب الاستئصال بانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة
قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه في معرض التالي للمؤاخذة
المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل
هو اما نفسه او جزء منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية واذ لم يعتبر في مفهومه ما
ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتبه عليه وجودا وعدما
مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة
للقضاء المذكور وجودا وعدما كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
اي يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزء من جزئياتها غير ممتاز عن
البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا وعدما مزيد فائدة واما الفائدة في بيان ترتبه على
ارادتها حسبما ذكر وايضا في ترتب التالي على ارادة المقدم ما ليس في ترتبه على نفسه من الدلالة
على المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد في الوعيد وهو عطف
على مقدر تنبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا
في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم
السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون اي يترددون ويتحيرون ففي وضع الموصول موضع
المضمر نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان
الضر اي اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته
لجنبه حال من فاعل دعانا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان
اي دعانا كائنا على جنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما اي في جميع الاحوال مما ذكر ومما لم يذكر
وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال مرضه على انه اريد
بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا عاجزا عن النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما
كشفنا عنه ضره الذي مسه غب ما دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء مر اي مضى واستمر على طريقته
التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى
بجانبه كأن لم يدعنا اي كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كما في قوله كأن لم يكن بين
الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مر مشبها بمن لم
يدعنا الى ضر اي الى كشف ضر مسه وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه
الصفات كذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم

والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه فخامة لا تكاد تدرك في لغة العرب ولا غيرها ومن ذلك قولهم مثلك
لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اي للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة والاسراف فهم
لما ان الله تعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال
الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغي وهي راس مالهم فقد اسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة الله تعالى
على طريقة التخلية والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض
عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل منها املاء
للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر في الاولى ومن الضر المقدر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون
اي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن في قوله تعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا اي اهلكناهم
من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعدما ايده بالتوكيد القسمي لما
ظلموا ظرف للاهلاك اي اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير
وقوله تعالى وجاءتهم رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان
الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد
جاءتهم رسلهم بالآيات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون قوله
تعالى وجاءتهم عطفا على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة
الظرف وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب
الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له الى آخره بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب
مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه وآكده فان اللام لتأكيد النفي اي وما صح وما استقام
لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف
على ظلموا لانه اخبار بحدوث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل و
وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك
الجزاء الفظيع اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستئصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة مجرمة وفيه
وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار
عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وجرى بابنا على الالتفات الى
الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم
اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه
ابتداء تعرض لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم
نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امرهم وخطابهم ببت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم
والمعنى ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون آثارها
استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب

على المصدرية

المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية
اي على اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن
عملا وفيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة
واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعدما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا آثار بعضها
فضلا عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اي اي عمل تعملون
اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا تكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها
لا ذواتها كما هو رأي القائل بل تكون حينئذ مستعارة لمعنى اي شيء واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم
الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلعم بتعديد جناياتهم المعتادة لما اريد منهم بالاستخلاف
من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة
على تجدد جوابهم الآتي حسب تجدد التلاوة آياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة للتشريف
المضاف والترغيب في الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك و
ايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الآيات دون رسول الله صلعم لبيان انه لا عمل للتالي للاشعار بعدم الحاجة
الى تعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول
موضع الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترءوا عليها لعدم خوفهم من عقابه
تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما سواه من مباديه من البعث وذما لهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو
رسول الله صلعم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت بقرآن غير هذا اشاروا بهذا الى القرآن المشتمل على
تلك الآيات لا الى انفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده
من البعث والحساب والجزاء او ما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه
بان يجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا الى
الالزام والاستهزاء به قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي
اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم
الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع
كونه ضائعا ربما يعد من قبيل المجارات مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما
يدل على استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما آتي واذر
الا ما يوحى الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى
اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام
وهو تعليل لصدر الكلام فان من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعا وقيل جواب
للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا السؤال من ان القرآن كلامه عليه السلام ولذلك
قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت

ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصاره عليه السلام على اتباع الوحي اي اخاف
ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة
ويوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوه بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه السلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم
لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقرآن آخر من جهة الوحي وتفسير
قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يستقل لي ان ابدله بالاستدعاء من جهة الوحي ما اتبع الا ما يوحى
الي من غير صنع ما مني بالاستدعاء وغيره من قبلي لانه يرده التعليل المذكور لكن لا لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية
اصلا كما توهم فان استدعاء تبديل الآيات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما
بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الافتراء مع انها المقصود فيما ذكر في التعليل
الا يرى الى ما بعده من الآيتين الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء
وان زعمهم في الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن
وكونه من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالته عبارة ودلالة وانما صدر بالامر
المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما و
اسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيئته كما سيأتي مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف
ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فان مفعول المشيئة انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء
ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط الاخير
لان المستلزم للجزاء اعني عدم تلاوته عليه السلام للقرآن عليهم انما هو مشيئته تعالى له لا مشيئته لغير القرآن والمعنى ان
الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بان ينسخ عدم تلاوتي له
من تلقاء نفسي بل بان لم ينزل علي ولم يأمرني بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا
ادراكم به اي ولا اعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادراء منتف فينتفي المقدم اعني مشيئة
عدم التلاوة والادراء لانها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشيئة
التلاوة فثبت ان تلاوته عليه السلام للقرآن بمشيئته تعالى وامره واما قيد الادراء بكونه بواسطته عليه السلام لان عدم
الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه في سلك الجزاء وفي
اسناد عدم الادراء اليه تعالى المنبئ عن اسناد الادراء اليه تعالى ايذان بان لا دخل له عليه السلام في ذلك حسبما يقتضيه
المقام وقرئ ولا ادراتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطأت وارضأت في اعطيت وارضيت
او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤونني بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ
ولادراكم بلام الجواب اي لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولاعلمكم به على لسان غيري على معنى انه الحق الذي لا محيص
عنه لو لم ارسل به انا لارسل غيري البتة او على معنى انه تعالى يمن على من يشاء فخصني بهذه الكرامة فقد لبثت
فيكم عمرا تعليل للملازمة المستفادة لكون تلاوته بمشيئة الله عز وجل وامره حسبما بين آنفا لكن لا بطريق الا

الاستدلال

والاستدلال عليها بعد تلاوته بمشيئة الله تعالى فيما سبق بل بسبب مشيئته تعالى اياها بل بطريق الاستشهاد عليها
بعدم تلاوته عليه السلام بما شاهدوا منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه السلام
بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان وقيل على الظرفية اي فقد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون
تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا من قبله اي من قبل نزول القرآن لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا
من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع افلا تعقلون اي الا تلاحظون ذلك
فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم
والحق الذي لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تأمل في امره صلى الله عليه وسلم وانه نشأ فيما بينهم هذا
الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مجالسة
البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح
فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى محواه بدائع اصناف العلوم كاشف
عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون مصدق لما بين يديه من الكتب
مهيمن عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله تعالى هذا هو
الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن الانسب بناء الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه
عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه السلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض
هناك ولا ههنا لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير قادر على الاتيان بمثله ان
يستشهد ههنا على المطلب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه السلام عما يوهم
شائبة صدور الكذب والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله كذبا والمعنى
قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا
عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه فلا تعقلون ان من هذا شأنه المطرد في هذا العهد البعيد يستحيل ان يفتري على
الله عز وجل ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به
وحي مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام انكاري معناه الجحد
هو اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير
تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان او لا اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل
واعلم من كل عالم وزيادة قوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه عليه السلام ضمنا وحملوه
عليه السلام عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند
ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه السلام في التفادي عما ذكر من الافتراء على الله سبحانه او كذب باياته فكفر بها وهذا
تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم له على انه من جهته عليه السلام والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون
القرآن بمشيئته تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك
فمن افترى على الله تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض آياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شأني وكذلك

من كذب بآيات ربه كما تفعلونه اظلم من كل ظالم • انه • الضمير للشأن ووقع اسما لان والخبر ما يعقبه من الجملة ومدار
وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من
زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه
فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكأنه قيل ان الشأن هذا اي • لا يفلح المجرمون • اي لا ينجون من محذور ولا
يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا اوليا • ويعبدون من دون الله •
حكاية لجناية اخرى لهم نشأت عنها جناياتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية عطف القصة على القصة
ومن دون متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكلية بل بمعنى
عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما يفصح عنه سباق النظم الكريم • ما لا يضرهم ولا ينفعهم •
اي ما ليس من شأنه الضر والنفع من الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او موصوفة وتقديم نفي الضر لان
ادنى احكام العبادة دفع الضر الذي هو اول المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضر
فحيث لم تقدر الاصنام على الضر لم يوجد لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم
ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل واساف ونائلة • ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله • عن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة يشفع لي اللات وقيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل
اقليم روح معين من الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته ومقصودهم
ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون الكواكب
فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا طلسمات معينة
على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم كانوا وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انهم
متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند الله تعالى • قل اتنبئون الله بما لا
يعلم • اي اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تع اذ لو كان لعلمه علام الغيوب
وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف
وقوله تعالى • في السموات ولا في الارض • حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما
فهو منتف عادة • سبحانه وتعالى عما يشركون • عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم
الذين يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المأمور به وعلى الاول
هو اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى • وما كان الناس الا امة واحدة • بيان لان التوحيد والاسلام ملة
قديمة اجتمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا
لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار
فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم
عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما السلام وقيل من حين
الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم الى ان ظهر عمرو بن

لحي

لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الاية الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم من
الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك • فاختلفوا • بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل
من الفريقين الآخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة الآخر فان الكلام ليس في ذلك
الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضي بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد
الزمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق • ولولا
كلمة سبقت من ربك • بتأخير القضاء بينهم او بتأخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل • لقضي
بينهم • عاجلا • فيما فيه يختلفون • بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية
الحال الماضية والدلالة على الاستمرار • ويقولون • حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تع ويعبدون وصيغة
المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة • لولا انزل عليه آية من ربه •
ارادوا آية من الآيات التي اقترحوها لانهم لفرط العتو والعناد ونهاية المكابرة والتمادي في الفساد لم يعتدوا بالبينات
النازلة عليه عم من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة
ما يضطر معه الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول • فقل • لهم في الجواب • انما الغيب لله •
اللام للاختصاص العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه
وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه • فانتظروا •
نزوله • اني معكم من المنتظرين • اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات واقتراح
غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب
به تعالى • واذا اذقنا الناس رحمة • صحة وسعة • من بعد ضراء مستهم • اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم
واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الآداب القرآنية كما في قوله تعالى واذا
مرضت فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تع على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا
فطفقوا يطعنون في آياته تعالى ويعادون رسول الله عم ويكيدونه وذلك قوله تع • اذا لهم مكر في آياتنا • اي
بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كأنه قيل فاجأوا
وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به اللام • قل الله اسرع مكرا • اي اعجل مكرا
اي عذابه اسرع وصولا اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا
• ان رسلنا • الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف • يكتبون ما تمكرون • اي مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق
للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في
الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله
تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه
من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلعم اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة
فيكون حينئذ تعليلا لما ذكر اولا • هو الذي يسيركم • كلام مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر من

من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء أي يمكنكم من السير تمكينا مستمرا عند الملابسة به
وقبلها في البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم ومنه قوله عز وعلا ثم إذا أنتم بشر تنتشرون حتى إذا كنتم في الفلك أي
السفن فإنه جمع فلك على وزن أسد جمع أسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الجملة
بتمامه كما ينبئ عنه إيثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين أي السفن بهم
بالذين فيها والالتفات إلى الغيبة للإيذان بما لهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوئ
أحوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منه الإنكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله حتى إذا كنتم في الفلك إذا كان بعضكم
فيها إذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد إلى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى أو كظلمات في بحر
لجي يغشاه أي أو كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك
الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب إذا والضمير المنصوب للريح الطيبة أي تلقتها واستولت عليها من طرف
مخالف لها فإن الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا لريح أخرى عادة بل هو اشتداد للريح الأولى وقيل للفلك والأول
أظهر لاستلزامه للبيان من غير عكس لأن الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة إلى الفلك دون الريح اللينة
مع أنه لا يستتبع تلاطم الأمواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولأن التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به و
علقوا به حبال رجائهم أكثر ريح عاصف أي ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة إلى الفارق
وقيل الريح قد تذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان أي من أمكنة مجيء الموج عادة ولا يبعد في مجيئه
من جميع الجوانب أيضا إذ لا يجب أن يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب أسباب تتفق و
ظنوا أنهم أحيط بهم أي هلكوا فإن ذلك مثل في الهلاك وأصله إحاطة العدو بالحي أو سدت عليهم مسالك
الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم أو استئناف مبني على سؤال
ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير أن يشركوا به شيئا من آلهتهم لا مخصصين
للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة أيضا فإنهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن أنجيتنا اللام موطئة
للقسم على إرادة القول أي قائلين والله لئن أنجيتنا من هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك أبدا من الشاكرين
لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول دعوا لأن الدعاء من قبيل القول والأول هو الأولى لا
اقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في
الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في أن يقال لنشكرن فلما أنجاهم مما غشيهم
من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الإجابة إذا هم يبغون في الأرض أي فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه
في ذلك مجاوزين عما كانوا عليه من حدود من قولهم بغى الجرح إذا ترامى في الفساد وزيادة في الأرض للدلالة
على شمول بغيهم لأقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي
أو معناه أنه بغير الحق عندهم أيضا بأن يكون ذلك ظاهرا لا يخفى قبحه على أحد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق
وأما ما قيل من أنه للاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم فلا يساعده النظم
الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى إفساد صورة الشيء وإبطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين

يا أيها الناس توجيه للخطاب إلى أولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد إنما بغيكم
الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى على أنفسكم خبره أي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون عليهم وإن
ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحياة الدنيا لكون ما فيه من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم
الوبال وهو نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق الاستئناف أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا وقيل على
أنه مصدر وقع موقع الحال أي متمتعين بالحياة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لأنه يؤدي
إلى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا الخبر عن الموصول إلا بعد تمام صلته وأنت خبير بأنه ليس في تقييد كون بغيهم
على أنفسهم بحال تمتعهم بالحياة الدنيا معنى يعتد به وقيل على أنه ظرف زمان نحو مقدم الحاج أي زمن متاع الحياة الدنيا
وفيه ما مر بعينه وقيل على أنه مفعول لفعل دل عليه المصدر أي تبغون متاع الحياة الدنيا ولا يخفى أنه لا يدل على البغي بمعنى
الطلب وجعل المصدر بغيا بمعنى مما يخل بجزالة النظم الكريم لأن الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي
المفسر بالإفساد المفرط اللائق بحالهم فأي مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الأول أيضا بمعناه
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على أنه مفعول له أي لأجل متاع الحياة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار
ولا يلزم الفصل كما ذكر نفس البغي لا لكونه على أنفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر أي تبغون لأجل
متاع الحياة الدنيا على أن الجملة مستأنفة وقيل على أنه مفعول صريح للمصدر وعلى أنفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد
بالأنفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير إنما بغيكم على أبناء جنسكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ظاهر
الفساد ونحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة
أي إنما بغيكم على أبناء جنسكم لأجل متاع الحياة الدنيا محذور لما اختاره بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي
تستدعيه جزالة التنزيل إنما هو الأول وقرئ متاع بالرفع على أنه الخبر والظرف صلة للمصدر أو خبر ثان أو خبر لمبتدأ
محذوف أي هو متاع إلى آخره كما في قوله إلا ساعة من نهار بلاغ أي هذا بلاغ فالمراد بأنفسهم على الوجه الأول
أبناء جنسهم وإنما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك إيثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال لحمله
على الحقيقة لأن كون بغيهم وبالا عليهم ليس ثابتا عندهم حسبما يقتضيه ما حكي عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة
الكلام ويجعل كونه متاعا معقود الإفادة على أن عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه
من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق وأما كون البغي على أبناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم
ومتضمن لمبادي التمتع من أخذ المال والاستيلاء على الناس وغير ذلك وأما على الوجهين الأخيرين فلا موجب
للعدول عن الحقيقة فإن المبتدأ إما نفس البغي أو الضمير العائد إليه من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالا عليهم كما
في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ متاعا الحياة الدنيا أما نصب متاعا فعلى ما مر وأما نصب الحياة
فعلى أنه بدل من متاع بدل اشتمال وقيل على أنه مفعول به لمتاعا إذا لم يكن انتصابه على المصدرية لأن المصدر المؤكد لا
يعمل عن النبي صلعم أنه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها
وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى إنما بغيكم على أنفسكم وما يمكرون إلا
بأنفسهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه وعنه عليه السلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين

العاجلة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي لو بغى
جبل على جبل لدك الباغي • ثم الينا مرجعكم • عطف على ما مر من الجملة المستأنفة المقدرة كأنه قيل تتمتعون
متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات
والقصر • فننبئكم بما كنتم تعملون • في الدنيا على الاستمرار من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل
لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة
من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الاخرة فان
المعاصي مثلا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن
الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغي
في هذه النشأة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي
من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس تمتعا في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وانما يظهر لهم ذلك
عند ابراز ما كانوا يعملون من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة و
هو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم • انما مثل الحيوة الدنيا • كلام مستأنف سيق لبيان شأن
الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشأن البديعة
المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس
بها بحال ما على الارض من انواع النبات في زوال رونقها ونضارتها فجاءة وذهابها حطاما لم يبق
لها اثر اصلا بعدما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بانوارها و
تقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به
ما دخله الكاف في قوله تعالى • كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض • بل
ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب • مما يأكل الناس والانعام • من البقول
والزروع والحشيش • حتى اذا اخذت الارض زخرفها • جعلت الارض في تزينها
بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذة زخرفها
على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت من الوان الثياب والزين • فتزينت •
وازينت • اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال
والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت • وظن اهلها انهم قادرون عليها •
متمكنون من حصدها ورفع غلتها • اتاها امرنا • جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجتاحه
من الافات والعاهات • ليلا او نهارا فجعلناها • اي زرعها وسائر ما عليها • حصيدا •
اي شبيها بما حصد من اصله • كأن لم تغن • كأن لم يغن زرعها والمضاف محذوف
للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل • بالامس • اي فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل في ذلك
كأنه قيل لم تغن انفا • كذلك • اي مثل ذلك التفصيل البديع • نفصل الايات • اي الايات

الواضحة

القرآنية التي من جملتها هذه الايات المنبهة على احوال الحيوة الدنيا اي نوضحها ونبينها
• لقوم يتفكرون • في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون
بها ويجوز ان يكون المراد من الايات ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات
وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا واعداما فانها ايات وعلامات يستدل بها
من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومالا • والله يدعو الى دار السلام • ترغيب
للناس في الحيوة الاخروية الباقية اثر ترهيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس
جميعا الى دار السلامة عن كل مكروه وافة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله
من كونها معرضا للافات او الى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة للتشريف بهذا الاسم الكريم للتنبيه
على ذلك او الى دار يسلم الله تعالى او الملائكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض • ويهدي من
يشاء • هدايته منهم • الى صراط مستقيم • موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي
تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة
لم يرد الله رشده • للذين احسنوا • اي اعمالهم اي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي
المستلزم الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
• الحسنى • اي المثوبة الحسنى • وزيادة • اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم
من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة
من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء • ولا يرهق وجوههم • اي لا يغشاها • قتر •
غبرة فيها سواد • ولا ذلة • اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار ولا يرهقهم
ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستأنفة لبيان امنهم من
المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب وان المعنى الاول الانه ذكر اذكارا بما ينقذهم الله برحمته وتقديم
المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان
ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها تتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل
ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة
وذكرى للمؤمنين • اولئك • اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون
بالمثوبات الناجون عن المكاره • اصحاب الجنة هم فيها خالدون • بلا زوال فيها ولا انتقال
• والذين كسبوا السيئات • اي الشرك والمعاصي وهو مبتدا بتقدير المضاف خبره قوله تعالى • جزاء سيئة
بمثلها • اي جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في
الحسنة وتغيير السبك لما بين الفريقين من كمال التنافي والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو
لسوء صنيعهم وبسبب جنايتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول كانه قيل وللذين كسبوا

السيئات • اي الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها اي
جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد
عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافي والتباين وايراد الكسب
للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول
الاول كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان
المراد بالزيادة الفضل • وترهقهم ذلة • واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى
انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية •
ما لهم من الله من عاصم • اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون
للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم • كأنما أغشيت
وجوههم قطعا من الليل • لفرط سوادها وظلمتها • مظلما • حال من الليل والعامل فيه أغشيت لانه العامل
في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ
قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال فخلي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم
فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستأنفة
او حال من ضمير ترهقهم • اولئك • اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة • اصحاب النار هم
فيها خالدون • وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السباق والسياق لم يكن فيها تمسك
للوعيدية • ويوم نحشرهم • كلام مستأنف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتأخيره في الذكر مع
تقدمه في الوجود على بعض احكام المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو
روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما قبله ويوم منصوب على المفعولية
بمضمر اي انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه
المتبادر من قوله تعالى • جميعا • ومن افراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى • ثم نقول للذين اشركوا • اي نقول
للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤوس الاشهاد افظع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم
ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ
والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الكافر خاصة فيكون وضع الموصول
موضع الضمير لما ذكر آنفا • مكانكم • نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما
هو رأي الفارسي اي الزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم • انتم • تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده • وشركاؤكم •
عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع • فزيلنا • من زلت الشيء عن مكانه ازلته اي ازلته والتضعيف
للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعنى فزيلنا نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق
المورث لزيادة التوبيخ والتحسر والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال
رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اي ففرقنا بينهم • وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا

لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجيء في اثبات
اعمالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم الياس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت
لهم معلومة من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة و
المشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم
كما في قوله تعالى اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالوا وحينئذ في موقع • وقال شركاؤهم
حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعاء المحاورة المحاضرة
المنافية للمباعدة وليس في ترتيب التنزيل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة
المذكورة لبقاء الاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق
فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما يشعر
اليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لاستماع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تأخر جميع مراتبه من المحاورة
فمراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان يكون حالية على هذا التقدير ايضا والمراد بالشركاء
قبل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم ففيه تأييد لرجوع الضمير الى الكل وقولهم • ما كنتم
ايانا تعبدون • عبارة عن تبرؤهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم
لانها الآمرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام ينطقها الله الذي انطق
كل شيء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها • فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن
عبادتكم لغافلين • اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء
والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وفيه ايضا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم
باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة • هنالك •
اي في ذلك المقام الدهش او في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان • تبلو • اي تختبر وتذوق • كل نفس
مؤمنة كانت وكافرة سعيدة او شقية • ما اسلفت • من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع
او ضر وخير او شر واما ما علمت من حالها حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون
العظمة ونصب كل وابدال ما منه اي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت
من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة
بنزع الخافض وقرئ تتلو اي تتبع لان العمل هو الذي يهديها الى طريق الجنة والى طريق النار او تقرأ في صحيفة اعمالها
ما قدمت من خير او شر • وردوا • الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه وقوله
عز وجل هنالك تبلو الى آخره اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها • الى الله • اي الى جزائه وعقابه • مولاهم
ربهم • الحق • اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم
الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد • وضل عنهم • وضاع اي ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل ذلك
غير ضال وضل في اعتقادهم ايضا • ما كانوا يفترون • من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة

هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلوا وان العدول الى الماضي
للدلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه
التعرض لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه وليس في الاكتفاء به في بعض
بعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب قصور عن ذلك وضل عنهم ما كانوا يفترون من مجال
في التدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس
المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل وبيّن ما يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه
من الاشراك • من يرزقكم من السماء والارض • اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية
ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اي من اهل
السماء والارض • ام من يملك السمع والابصار • ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام
الاول لكن لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته
فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها و
سرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما • ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي • اي ومن يحيي ويميت او من
ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان • ومن يدبر الامر • اي ومن يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد
تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر • فسيقولون • بلا تلعثم ولا تأخير • الله • اذ لا مجال
للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غير • فقل • عند ذلك تبكيتا لهم • افلا تتقون •
والهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في أأضرب ابي والفاء
للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اي اتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما تتعاطونه
من اشراككم به ما لا يشاركه في شيء مما ذكر من خواص الالهية • فذلكم • فذلكم اشارة الى ما تقدم اي ذلكم الذي ثبتت صفتهم
باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره وقوله تعالى • الحق • صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته
والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه • فماذا • يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم
الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي • بعد الحق • اي غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق
اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكاري
بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق • الا الضلال • الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت
بما ذكر من النعوت الجميلة حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا
مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والراي هذا على تقدير كون الحق عبارة
عن التوحيد واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب
الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اي الباطل الضائع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كانه نفس الضلال والضياع
وهذا انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على التفسير الثاني • فانى تصرفون • استفهام انكاري بمعنى
انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان

يكون

يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده على الطريق البرهاني كان منتفيا رأسا والفاء
لترتيب الانكار على ما قبله اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو
الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الذي سمعتم ضلاله وضياعه في
الآخرة وفي ايثار صيغة المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته
وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي • كذلك • اي كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق
الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق • حقت كلمة ربك • وحكمه وقضاؤه • على الذين فسقوا • اي
تمردوا في الكفر وخرجوا من اقصى حدوده • انهم لا يؤمنون • بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة
بالعذاب • قل هل من شركائكم • احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم
بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى
وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله في اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد
جعلت عقلية الاعادة وتحققها لوضوح مكانها وسطوع برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه
حيث قيل • من يبدأ الخلق ثم يعيده • ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما يستلزم الاعتراف بها
وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين انهم من يفعل ذلك
فقيل له • قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده • اي هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان ينوب عنهم في
ذلك كما قيل لان المقول المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستتبعا له اذ ليس المسئول
عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في قوله قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول
المأمور به عين الجواب الذي اريد منهم ويكون عليه السلام نائبا عنهم في ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء
والاعادة من شركائهم فالجواب المطلوب منهم لا لا غير نعم امره صلعم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه و
تحتمه واشعارا بانهم لا يجترؤن على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا للمكابرة واللجاج فقد بر
واعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق لمزيد التأكيد والتحقيق •
فانى تؤفكون • الافك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص بالقلب عن الرأي وهو الانسب بالمقام
اي كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر في تصرفون • قل هل من شركائكم •
احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم عقب الزام وارخاء للعنان وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله
• من يهدي الى الحق • اي بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية هداية المعبود لعبدته الى
ما فيه صلاح امرهم وان تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر
والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص
لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة
على ان المنتهى غاية للهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند الى الله تعالى
حيث قيل • قل الله يهدي للحق • وهو الله عز وجل • احق ان يتبع ام لا يهدي • بكسر الهاء واصله

تعالى حيث قيل قل الله يهدي للحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع ام لا يهدي بكسر الهاء
واصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لحركة الهاء
وقرئ بفتح الهاء بنقل حركة التاء الى الهاء اي لا يهتدي بنفسه فضلا عن هدايته غيره وفيه
من المبالغة ما لا يخفى وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفي الهداية لما ان نفيها
مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه
قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من
تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن
الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما
يقع في بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكاري كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الى اخره
ونحوه والهمزة متاخرة في الاعتبار وانما تقدمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة
كما هو رأي الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت حتما كما في قوله تعالى فاي الفريقين
احق بالامن اثر ما الجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلعم وقرئ
لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه
محذوف كما اختاره مكي والتقدير افمن هو يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من يهدي احق
الى اخره واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان وايا ما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع
في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف اي بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ
من اعم الاحوال اي لا يهتدي او لا يهدي غيره في حال من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او
الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة وعزير والمسيح عليهم السلام و
قيل المعنى ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله
الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة
فما لكم اي اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام للانكار التوبيخي
وفيه تعجيب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اي بما يقتضي صريح العقل بطلانه انكار لحكمهم الباطل
وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي
الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح
فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع دون من يهدي وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك
دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
قلنا من حيث انهم يحسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى
لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والزمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم
لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والزمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادي الى الحق الناعي عليهم
بطلان

بطلان حكمهم وعدم تاثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم
ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة
الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان
ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل لما
يقارن القبول والانقياد ولما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد
من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون
على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم التبكيت من البرهان
المذكور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاول لا يقدح فيما نحن فيه من فحوى الكلام
عرفا من كون اولئك اسوأ حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر و
العذاب او وما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل على المضارع يفيد
استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه
تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من
اتباع الحق والتوبة كما سيأتي هذا وقد قيل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند
الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم للباس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم
اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه
والجملة استئناف لبيان شان الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء
بالتقليد ان الله عليم بما يفعلونه وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض عن البراهين
القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد
وما كان هذا القرآن شروع في بيان رد ما قالوا في حق القرآن الكريم المندرج في تضاعيفه اي ما صح وما
استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها ما تليت من
الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي
مفترى منهم سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود على
صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه خبر كان مقدرا
وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الى اخره وقرئ بالرفع على تقدير المبتدأ اي ولكن
هو تصديق الى اخره وتفصيل الكتاب عطف على تصديقا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من
الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال
من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب من رب
العالمين خبر اخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب
فيه اعتراض كما في قوله تعالى لا شك فيه كرمه او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الاية الكريمة بعد

بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه • ام يقولون افتراه • اي بل أيقولون افتراه محمد عم والهمزة لانكار الواقع واستبعاده • قل • تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم ان كان الامر كما تقولون • فأتوا بسورة مثله • اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله • وادعوا • للمظاهرة والمعاونة • من استطعتم • دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومداركم الذين تلجأون الى آرائهم في كل ما تأتون وما تذرون • من دون الله • متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انه لو دعوه لاجابهم اليه • ان كنتم صادقين • اي في انه افتراه فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه • بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه • اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشأنه الجليل فالعبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في حيز الصلة له • ولما يأتهم تأويله • عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على تأويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شأنه والتعبير عن ذلك باتيان التأويل للاشعار بان تأويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم يأتهم بعد ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق او كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفي اتيان التأويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتأكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا عند ذلك ايضا على ما هم عليه ولا فلا تعرض له هنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او دعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله او ادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في سورة البقرة يرده ان تلك مدنية وهذه مكية واما الذي يدل عليه ما يستملي عليه من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الى آخره وقوله تعالى كذلك الى آخره وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الرأي والمجازفة من غير تدبر وتأمل • كذب

الذين

الذين من قبلهم • اي فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم • فانظر كيف كان عاقبة الظالمين • وهم الذين من قبلهم من المكذبين واما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله عز وجل • ومنهم • الى آخره وصف لحالهم بعد اتيان التأويل المتوقع اذ حكمي تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة ان المتاخ للايمان بشيء من غير علم به وانتشار الحال في التكذيب والكفر به قبل ذلك حسبما اخذ قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تأويله وظهور حقيته بعد ما سعوا في المعارضة وارزوا قواهم فيها فتضاءلت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما بالايمان الحقيقي اي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني الى انهم يستتبعون الحق كما مر • ومنهم من لا يؤمن به • اي لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته لا مغنيه عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وعقد التقدير من الاحاطة واتيان التأويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريدوا فيما تلوناه تعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما سيأتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له • وربك اعلم بالمفسدين • اي بكلا الفريقين على الوجه الاول لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد وبالمصرين الباقين على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين • وان كذبوك • اي ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي • فقل لي عملي ولكم عملكم • اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة • انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون • تأكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ بآية السيف • ومنهم من يستمعون اليك • بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم والجمع بالنظر الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سيأتي محافظة على اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك الشرائع • افانت تسمع الصم • همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتب انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل الانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد ولكن لا بطريق العطف على الفعل

المذكور لأدائه إلى الاختلال المعنى لأنه إما صلة وصفة وأيّاً ما كان فالعطف عليه يستدعي دخول المعطوف في
حيزه وتوجه الإنكار إليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم
كأنه قيل أيستمعون إليك فأنت تسمعهم لا لإنكار الإسماع عنهم فإنه أمر محقق بل لإنكار الوقوع الإسماع عقيب
ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفياً لإمكانه أيضاً كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم
العقل بقوله عز وجل • ولو كانوا لا يعقلون • أي ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل
ربما تفرّس إذا وصل إلى صماخه صوت وأما إذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعاً فقد تم الأمر • ومنهم من ينظر إليك •
ويعاين دلائل نبوتك الواضحة • أفأنت • أي أعقيب ذلك أنت تهديهم وإنما قيل • تهدي العمي • تربية
لإنكار هدايتهم وإبرازاً لوقوعها في معرض الاستحالة وقد أكد ذلك حيث قيل • ولو كانوا لا يبصرون • أي ولو
انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة ولذلك لحدس الأعمى المستبصر وتيقظه لما لا يدركه البصير الأحمق فحيث اجتمع فيهم
الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة ما قبله عليه افأنت تسمع الصم تهدي العمي
عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في التحقق كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق
أي أفأنت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو لا يعقلون أفأنت تهدي العمي لو كانوا يبصرون ولو لا يبصرون أي على كل حال
مفروضة وقد حذفت الأولى في الباب حذفاً مطرداً لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق
عند تحقق المانع أو المانع القوي فلأن يتحقق عند عدمه أو عند تحقق المانع الضعيف أولى وعلى هذه النكتة يدور
ما في لو وإن الوصليتين من التأكيد ومدار الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مراراً • إن
الله لا يظلم الناس • إشارة إلى أن ما حكي عنهم من عدم اهتدائهم للطريق الحق وتعطل مشاعرهم من
الإدراك ليس لأمر مستند إلى الله عز وجل من خلقهم مؤفي المشاعر ونحو ذلك بل إنما هو من قبلهم أي لا ينقصهم
شيئاً مما ينوط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الأولية والأخروية من مبادي إدراكاتهم وأسباب
علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والإرشاد إلى الحق بإرسال الرسل وإنزال الكتب بل يوفيهم ذلك
من غير إخلال بشيء أصلاً • ولكن الناس • وقرئ بالتخفيف ورفع الناس فوضع الظاهر موضع
المضمر لزيادة التعيين والتقرير أي لكنهم بعد استكمال مشاعرهم فيما خلقت له وإعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم
للرسل والكتب • أنفسهم يظلمون • أي ينقصون بما ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرائع اتصالهم
وإنما لم يذكر لأن الغرض إنما هو قصر الظلم على أنفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع
كونه تفويتاً بالكلية وإبطالاً بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل • أنفسهم • إما تأكيد للناس
فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم وإما مفعول ليظلمون
حسبما وقع في سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد إلى قصر المظلومية
عليهم على رأي من لا يرى التقديم موجباً للقصر فيكون كقوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم من غير قصر
للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول وإما على رأي من يراه موجباً له فلعل إيثار قصر دون قصر الظالمية عليهم
للمبالغة في بيان بطلان أفعالهم وسخافة عقولهم لما أن قبح الأمر عند اتحاد الفاعل والمفعول أشد منهما إنكاراً

عند العقل

عند العقل ونفرة لذي الطبع وأوجبها حذراً منه عند كل أحد هو المظلومية لا الظالمية على أن قصر الظالمية عليهم مستلزم
لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر المظلومية عليهم ضرورة أنه إذا لم يظلم أحد من الناس إلا نفسه يلزم أن لا يظلمه إلا نفسه
فاكتفى بالقصر الأول عن الثاني مع رعاية كون ما ذكر من الفائدة في صيغة المضارع للاستمرار نفياً وإثباتاً فإن حرف
النفي إذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي الاستمرار ألا يرى أن قولك ما زيد إلا من يبذل
على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص في سياق الآية الكريمة لإلزام الحجة ويجوز أن يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال
والمثبت للاستمرار والمعنى أن الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيامة شيئاً من الظلم ولكنهم أنفسهم يظلمون ظلماً مستمراً فإن مباشرتهم
المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لأنفسهم وعلى الوجهين فالآية الكريمة تذييل لما سبق • ويوم يحشرهم •
منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات أي اذكر لهم أو أنذرهم يوم نحشرهم • كأن لم يلبثوا • أي كأنهم لم
يلبثوا • إلا ساعة من النهار • أي شيئاً قليلاً منه فإنها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لأن ساعاته أعرف
حالاً من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول أي نحشرهم مشبهين في أحوالهم الظاهرة للناس
بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها إلا ذلك القدر اليسير فإن من أقام بها دهراً وتمتع بمتاعها لا يخلو
عن بعض آثار نعمة وأحكام بهجة منافية لما هم من رثاثة الهيئة وسوء الحال أو بمن لم يلبث في البرزخ إلا ذلك
المقدار وفائدة التشبيه بيان كمال يسر الحشر بالنسبة إلى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل وإظهار بطلان استبعادهم
وإنكارهم بقولهم أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون ونحو ذلك أو بيان تمام الموافقة بين النشأتين
في الأشكال والصور فإن قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وجل
• يتعارفون بينهم • بياناً وتقريراً له لأن التعارف مع طول العهد ينقلب تناكراً وعلى الأول يكون استئنافاً أي
يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتعارفوا إلا قليلاً وذلك أول ما خرجوا من القبور إذ هم حينئذ على ما كانوا عليه
من الهيئة المتعارفة فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال المزعجة واعتراء الأحوال المعضلة المغيرة
للصور والأشكال المبدلة لها من حال إلى حال • قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله • شهادة من
الله تعالى على خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على إرادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام
مقام إضمار لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعليته لما أصابهم والمراد بلقاء الله تعالى إن كان مطلق الحساب والجزاء
أو حسن اللقاء فالمراد بخسرانهم الوضيعة والغبن في تجاراتهم ومعاملاتهم واستبدالهم الكفر بالإيمان
والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى • وما كانوا مهتدين • ما كانوا عارفين بأحوال التجارة مهتدين لطرقها و
إن كان سوء اللقاء فالخسران الهلاك والضلال أي قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين لطريق النجاة
• وإما نرينك • أصله إن نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثم أكد الفعل بالنون أي إن نبصرنك بأن نظهر لك
• بعض الذي نعدهم • أي وعدناهم من العذاب وتعجله في حياتك فتراه والعدول إلى صيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة أو للدلالة على التجدد والاستمرار أي نعدهم وعداً متجدداً حسبما تقتضيه الحكمة من إنذار غب إنذار
وفي تخصيص البعض بالذكر رمز إلى العدة بإراءة بعض الموعود وقد أراه يوم بدر • أو نتوفينك • قبل ذلك
• فإلينا مرجعهم • أي كيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم أو لا فإلينا مرجعهم في الدنيا والآخرة فننجز ما وعدناهم

البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كأنه قيل فإلينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وجواب الاول محذوف لظهوره
اي فذاك **ثم الله شهيد على ما يفعلون** من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها و
نتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة
وتربية المهابة وتأكيد التهديد وقرئ ثمة اي هنالك **ولكل امة** من الامم الخالية **رسول** يبعث اليهم
بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق **فاذا جاء رسولهم** فبلغهم ما ارسل به فكذبوه و
خالفوه **قضي بينهم** اي بين كل امة ورسولها **بالقسط** بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به واهلاك
المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا **وهم لا يظلمون** في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه
من نتائج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف
ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والصديقين والشهداء قضي بينهم **ويقولون متى هذا**
الوعد استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يشعر به الجواب
لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك **ان كنتم صادقين** اي في انه يأتينا و
الخطاب للرسول صلعم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف
اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال
في قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين وما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة
النبي صلعم قيل **قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا** اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما
ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف
من تقديم النفع للاشعار بعمومه والمقام مقامه والمعنى اني لا املك شيئا من شؤوني رد او ابرادا مع
ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود **الا ما شاء الله** استثناء
منقطع اي ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبري
من ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام
وجعله عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى
لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على الاكل
والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر وقوله تعالى **لكل امة اجل** بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في النفي
السابق من الاطلاق المشعر بكون المقتضي امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب
الامة اي لكل امة امة ممن قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مقدر يعذبهم
يحل بهم عند حلوله **اذا جاء اجلهم** ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر
وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل
للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها
الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية

كانه قيل

كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء لكل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة
خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين
اي اذا جاءها اجلها الخاص بها **فلا يستأخرون** عن ذلك الاجل **ساعة** اي شيئا قليلا من
الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع
طلبهم له **ولا يستقدمون** اي لا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون اي لا يتقدمون عليه
وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء
التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا
قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها
بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب
لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار به مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار
على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر واما
ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر
تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون
فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك **قل** تهييجا لهم بما بينت كيفية جريان سنة الله
تعالى فيما بين الامم على الاطلاق ونبههم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا
بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة **ارأيتم** اي اخبروني **ان اتاكم عذابه** الذي تستعجلون به
بياتا اي وقت بيات واشتغال بالنوم **او نهارا** اي عند اشتغالكم بمصالحكم حسبما عين لكم
من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله عز وعلا **ماذا يستعجل منه المجرمون**
جواب للشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع المضمر لتأكيد الانكار
ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة
الشرطية متعلقة بأرأيتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه اي شيء تستعجلون منه سبحانه والشيء لا يمكن استعجاله
بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد
اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر
الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وههنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارأيتك ان
اعطيتك حقك فماذا تطلب مني تريد المبالغة في انكار التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله
عز وعلا **اثم اذا ما وقع آمنتم به** انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من
انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المأمور به اي بعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين
لا ينفعكم الايمان انكار التأخير الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا

نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجلون منه متعلق بأرأيتم وجواب الشرط محذوف أي تندموا على الاستعجال وتعرفوا خطأه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى **أثم إذا ما وقع** إلى آخره والاستفهامية الأولى اعتراض والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ثم جيء بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد ثم زيد إذا دلالة على استقلاله بالاستبعاد على أن الأول كالتمهيد له وجيء بما مؤكدا لما يشير إليه المعنى أي بعد الوقوع وزيادة للتجهيل وأنهم لم يؤمنوا إلا بعد أن لم ينفعهم الإيمان البتة وقوله تعالى **آلآن** استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق للتقرير بما سبق على إرادة القول أي قيل لهم عند إيمانهم بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به إنكارا للتأخير وتوبيخا عليه ببيان أنه لم يكن ذلك لعدم سبق الإنذار به ولا لقلة التأمل والتدبر في شأنه ولا لشيء آخر مما عسى يعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال على وجه الاستهزاء وقرئ آلان بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقوله تعالى **وقد كنتم به تستعجلون** أي تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى **ثم قيل** إلى آخره تأكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل آلآن **للذين ظلموا** أي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الإيمان والتصديق أو ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعليته لإصابة ما أصابهم **ذوقوا عذاب الخلد** المؤلم على الدوام **هل تجزون** **اليوم** **إلا بما كنتم تكسبون** في الدنيا من أصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال **ويستنبئونك** أي يستخبرونك وذلك يقولون على طريقة الاستهزاء والإنكار **أحق هو** أحق خبر قدم على المبتدأ الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى إنه لحق أو مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موضع النصب بيستنبئونك وقرئ آلحق هو تعريضا بأنه باطل كأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق **قل** لهم غير ملتفت إلى استهزائهم معضيا على قصدهم وبانيا للأمر على أساس الحكمة **إي وربي** إي من حروف الإيجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما أن هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه **إنه** أي العذاب الموعود **لحق** لثابت البتة أكد الجواب بأتم وجوه التأكيد حسب شدة إنكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله تعالى **وما أنتم بمعجزين** أي بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو إما معطوف على جواب القسم أو مستأنف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور **ولو أن لكل نفس ظلمت** بالشرك أو التعدي على الغير أو غير ذلك من أصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا **ما في الأرض** أي ما في الدنيا من خزائنها وأموالها ومنافعها قاطبة بما كثرت **لافتدت به** أي جعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه **وأسروا** أي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول إلى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الإفراد أيضا لإفادة تهويل الخطب بكون الإسرار بطريق المعية والاجتماع وإنما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الأرض لكل واحد من النفوس وإيثار

صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص أو لتغليب ذكور مدلوله على إناثه **الندامة** على ما فعلوا من الظلم أي أخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لأنهم بهتوا **لما رأوا العذاب** أي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الأهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على أن ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب بأسروا أو حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل أسرها رؤساؤهم ممن أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الأمر أشد من أن يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل أسروا الندامة أخلصوها لأن إسرارها إخلاصها أو لأن سر الشيء خالصه حيث تخفى ويضن بها ففيه تهكم بهم وقيل أظهروا الندامة من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره حين عيل صبره وفني تجلده **وقضي بينهم** أي حكم ووقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من أصناف أهل الظلم بأن أظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه أو من حقوق العباد من الباطل وعومل أهل كل منهما بما يليق به **بالقسط** بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير أن يتعرض لحال المشركين وهم أظلم الظالمين لا يساعده المقام فإن مقتضاه إما كون الظلم عبارة عن الشرك أو عما يدخل فيه دخولا أوليا **وهم** أي الظالمون **لا يظلمون** فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية **ألا إن لله ما في السموات والأرض** أي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الأشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء إيجادا وإعداما وإثابة وعقابا **ألا إن وعد الله** إظهار الاسم الجليل لتفخيم شأن الوعد والإشعار بعلة الحكم وهو إما بمعنى الموعود أي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه وما ذكر في أثناء بيان حاله اندراجا أوليا أو بمعناه المصدري أي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى **حق** على الأول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرف التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه **ولكن أكثرهم** لقصور عقلهم واستيلاء الغفلة عليهم وألفهم بالأحوال المحسوسة المعتادة **لا يعلمون** ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون **هو يحيي ويميت** في الدنيا من غير دخل لأحد في ذلك **وإليه ترجعون** في الآخرة بالبعث والحشر **يا أيها الناس** التفات ورجوع إلى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم إلى قبوله واتباعه غب تحذيرهم عن غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وإيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم **قد جاءتكم موعظة** هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى **من ربكم** ابتدائية متعلقة بجاءتكم أو تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة أي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى **وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** أي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فإنه كاشف عن أحوال الأعمال حسناتها وسيئاتها مرغب في الأولى ورادع عن الأخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الأدواء القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد

الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال
الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم **قل** تلوين
للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلعم ليأمر الناس بان يغتنموا ما في مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة **بفضل الله و**
برحمته المراد بهما اما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة واما الجنس ويدخل ما فيه دخولا اوليا والباء
متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في برحمته للايذان باستقلالها في استيجاب
الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية ثم حذف الشرط ومعنى
البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا **فبذلك**
فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ
فلتفرحوا وقرأ ابي فافرحوا وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلعم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب والاسلام
وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه **هو** اي ما ذكر من فضل الله ورحمته **خير مما يجمعون**
من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فلتفرحوا ايها المؤمنون هو خير مما تجمعون ايها المخاطبون **قل ارأيتم** اي
اخبروني **ما انزل الله لكم من رزق** ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق
ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر في السماء محصل بسبب ما يتوقف عليه وجوده او بقاؤه باسباب سماوية من المطر
والكواكب في الانضاج والتلوين **فجعلتم منه** اي جعلتم بعضه **حراما** اي حكمتم بانه حرام **وحلالا**
اي وجعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الاية وقولهم ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجعل فيه ودوران
التوبيخ عليه **قل** تكرير لتأكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني **آلله اذن لكم** في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون
بامره **ام على الله تفترون** ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا
كانه قيل ام لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم
وتأكيدا للتبكيت اثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل
فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده همزتها من التوبيخ على الافتراء عليه
سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه قيل بل أعلى الله خاصة تفترون
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت
القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الاضمار لقطع الشق الاول من الترديد وتسجيل عليهم
بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا في
اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل
يوم القيمة ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها
مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم
اليوم من الامور التي ستقع يوم القيمة تنزيلا له وما فيه من الاحوال لكمال وضوح امره في التقرر والتحقق

منزلة

منزلة المسلم عندهم اي اي شيء ظنهم بما سيقع يوم القيمة أيحسبون انهم لا يسألون عن افترائهم او لا يجازون
عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم اشد
المعاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضي اي اي ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة
الماضي لانه كائن فكانه قد كان **ان الله لذو فضل** اي عظيم لا يكتنه كنهه **على الناس** اي جميعا
حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل
وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد
ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون
دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة
فلا يلتفتون اليه فيفعلون فيما يفعلون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه **وما تكون في شأن** اي
في امر من شأنت شأنه اي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول **وما تتلو منه** الضمير للشأن و
الظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشأن اذ هي معظم شؤونه عليه السلام او للتنزيل والاضمار
قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية او تبعيضية على الثاني والثالث **ولا تعملون من عمل** تعميم للخطاب
اثر تخصيصه بمن هو رأس الكل وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة و
جلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير **الا كنا عليكم شهودا** استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين
بالافعال الثلاثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين
اذ تفيضون فيه اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة
وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا اوثر في الاستثناء
صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي **وما يعزب عن ربك** اي لا يبعد و
لا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاء
من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتأكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء
في الارض ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا
ليس في احدهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان
على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى **ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين** كلام برأسه
مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ على الابتداء والخبر ومن عطف على
مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محل مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه
قيل لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان
يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يتبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب
مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ **الا ان اولياء الله** بيان على وجه التبشير والوعد
لما هو نتيجة لاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما يأتون

وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعدما
اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول بشارة اجمالية على
طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة
القريب والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه كما سيفصح عنه
تفسيرهم ﴿لا خوف عليهم﴾ في الدارين من لحوق مكروه ﴿ولا هم يحزنون﴾ من فوات مطلوب
اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن
اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال
الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص
والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية
مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب
المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى
وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور
الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهو بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا
من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل ﴿الذين آمنوا﴾ اي بكل ما جاء من عند
الله تعالى ﴿وكانوا يتقون﴾ اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة
حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف
المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كأنه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك
الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع
على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة
لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك
اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقي المأمور بها في قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم
وهكذا كان حال كل من دخل معهم تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل الى آخره فلان لهم
في شأن التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب
المشيئة المبنية على الحكم الأبية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية
ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن
التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فلذلك امر الولاية هو التقوى المذكور
فاولياء الله هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق
عبوديته تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله تعالى برؤيتهم لما روي عن سعيد بن جبير ان

رسول الله

رسول الله صلعم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكرون برؤيتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم
ولا ما قيل من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت النبي صلعم يقول ان من عباد
الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا
يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال
يتعاطون بها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة بالله عز وجل والتحاب في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية
اللازمة للايمان والتقوى والآثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس
وقد ورد رسول الله صلعم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين وغيرهم في الحرص
فيما خصه بالذكر هناك من احكامهما فلعل الحاضرين كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال
والملابس ونحو ذلك والى فريق ثان مفتقرين الى تأليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة
بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتأكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شأنها ورفعة مكانها و
حسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوالي فيهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء
فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا
هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا
يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله تعالى ﴿لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة﴾ تفسيرا لتوليته تعالى اياهم
ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات
عليها وبشارتهم بآثارها ونتائجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار بالحصول انما
يكون عند علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا معلوم لهم عند حصوله حتى
يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان
الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظم الكلام ان الاول
تفسير للاولياء حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورها
ومكارهها والجملة مستأنفة كما سبق كأنه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم البشرى في
الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين
وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين
بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان بان
انتفاء الخوف والحزن لاتقائهم عما يؤدي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات
العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان والابهام والاجمال للايذان
بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موضع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم
البشرى حال كونها في الحيوة الآخرة ومن البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن

اي كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الآخرة
اي عاجلة وآجلة او من النعيم المحذور اي حال

عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن
هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في
غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلعم هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له وعنه عم ذهبت النبوة
وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا
ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من
بياض وجوههم واعطاء الصحف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات فيكون هذه بشارة بما سيقع
من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد
بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شان التنزيل الكريم • **لا تبديل لكلمات الله** • لا تغيير لاقواله
التي من جملتها مواعيده الواردة ببشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا
ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته
تعالى ليس عدم الخلف بينها وبين نتائجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها
فيما سياتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر • **ذلك** • اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين
• **هو الفوز العظيم** • الذي لا فوز وراءه وهذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله وهذا تذييل وان سبقه اعتراض
• **ولا يحزنك قولهم** • تسلية لرسول الله صلعم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم
الموحشة وتبشير له عم بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل
مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عم عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم
وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم
للمبالغة في نهيه عم عن الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي
عن الملزوم كما في قولك لا اريتك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي لما يوجب الخوف ايضا
لما انه لم يكن فيه عم شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عم في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك
وقوله تعالى • **ان العزة** • تعليل للنهي على طريقة الاستيناف كانه ان الغلبة والقهر • **لله جميعا** • اي في مملكته
وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لاهم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي
من جملة المبشرات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله • **هو السميع** • يسمع ما يقولون
في حقك • **العليم** • يعلم ما يعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك • **الا ان لله من في السموات ومن في الارض** • اي العقلاء
من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه
مقهورين تحت قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة
بالله تعالى الموجب لسلوته عم وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله تعالى • **وما يتبع الذين يدعون من**
دون الله شركاء • وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون

محذوف

محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر
على احدهما لظهور دلالته على الاخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه
من قوله تعالى • **ان يتبعون الا الظن** • اي ما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة
على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم
فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين
مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال
الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا اسماء سميتموها الى آخره وقرئ تدعون بالخطاب فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه
قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا
لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام
عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق
• **وان هم الا يخرصون** • يكذبون فيما ينسبونه الى الله تعالى ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا • **هو الذي**
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا • تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على
توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته و
ملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فمفعول به
الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية
كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما والنهار مبصرا لتتحركوا
فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية
فحذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازي
كالذي في نهاره صائم • **ان في ذلك** • اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته • **لآيات** • اي عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر • **لقوم يسمعون**
اي هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتامل فيها سماع تدبر و
اعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لانهم المنتفعون بها • **قالوا**
شروع في ذكر نوع آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه • **اتخذ الله ولدا** • اي تبناه • **سبحانه** • تنزيه وتقديس له
عما نسبوه اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء • **هو الغني** • على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة تنزهه سبحانه و
ايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وهو قوله عز وجل • **له ما في السموات وما في الارض** • اي من العقلاء
وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى • **ان عندكم من سلطان** • اي حجة بهذا
اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في
من سلطان زائدة لتاكيد النفي وهو مبتدا والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفي
وبهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار

كأنه قيل إن عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات إلى الخطاب لمزيد المبالغة في الإلزام والإفحام وتأكيد في
قوله تعالى • أتقولون على الله ما لا تعلمون • من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على أن كل مقالة
لا دليل فهي جهالة وأن العقائد لا بد لها من برهان قطعي وأن التقليد بمعزل من الاهتداء به • قل • تلوين للخطاب وتوجيه
له إلى رسول الله صلعم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم • إن الذين يفترون على الله الكذب • أي في كل أمر
فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك إليه سبحانه دخولا أوليا • لا يفلحون • أي لا ينجون من
مكروه ولا يفوزون بمطلوب أصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز
بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه • متاع في الدنيا • كلام مستأنف مسوق لبيان أن ما
يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الإطلاق أو في ضمن افترائهم بمعزل
من أن يكون من جنس الفلاح كأنه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز
بالمطلوب ثم أشير إلى انتفاء النجاة عن المكروه أيضا بقوله عز وعلا • ثم إلينا مرجعهم • أي بالموت • ثم نذيقهم
العذاب الشديد بما كانوا يكفرون • فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم في الدنيا فأين هم من الفلاح
وقيل المبتدأ المحذوف حياتهم أو تقلبهم وقد قيل إنه افتراؤهم ولا يخفى أن المتاع إنما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس
ومرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وإنما عدم الاعتداد به لسرعة زواله وبعض الافتراء عليه سبحانه أقبح القبائح
عند النفس فضلا عن أن يكون مطبوعا عندها وعده لذلك أجزاء حكم ما يؤدي إليه من رياستهم عليه مما لا
وجه له فالوجه ما ذكر أولا وليس ببعيد أن قيل إن المحذوف هو الخبر أي لهم متاع والآية إما مسوقة من جهته الله
سبحانه لتحقيق عدم إفلاحهم غير داخلة في الكلام المأمور به كما يقتضيه ظاهر قوله تع ثم إلينا وقوله تعالى
ثم نذيقهم وإما داخلة فيه على أن النبي صلعم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل • واتل عليهم • أي على المشركين
من أهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من أنهم لا يفلحون وأن ما يتمتعون به على جناح الفوات وأنهم مشرفون
على العذاب الخالد • نبأ نوح • أي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم أضراب قومك في الكفر والعناد
ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه
من الكفر أو تنكسر شدة شكيمتهم أو يعترف بعضهم بصحة نبوتك بأن عرفوا أنك تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من
غير مخالفة بينهما أصلا مع علمهم بأنك لم تسمع ذلك من أحد وليس إلا بطريق الوحي وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل
لله سبحانه واختصاص العزة به عز وعلا وانتفاء الخوف والحزن من أوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلعم وحمله على
عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وأفعالهم ما لا يخفى • إذ قال • معمول لنبأ أو بدل منه بدل الاشتمال وأياما كان
فالمراد بعض نبئه عم لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تع • لقومه • للتبليغ • يا قوم إن كان كبر
عليكم • أي عظم وشق عليكم • مقامي • أي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان أي لفلان ومنه قوله تع ولمن خاف مقام
ربه أو قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة طويلة أو قيامي • وتذكيري بآيات الله • فإنهم كانوا إذا وعظوا
الجماعة يقومون على أرجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم • فعلى الله توكلت • جواب للشرط أي
دمت على تخصيص التوكل به تع ويجوز أن يراد به إحداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل • فأجمعوا أمركم • عطف

على الجواب

على الجواب والفاء لترتيب الأمر بالإجماع على التوكل لا لترتب نفس الإجماع عليه أو هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية
والإجماع العزم فيتعدى بنفسه وقيل فيه حذف وإيصال قال السدوسي أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه
وقال أبو الهيثم أجمع أمره جعله مجموعا بعدما كان متفرقا وتفرقه أنه يقول مرة أفعل كذا وأخرى أفعل كذا وإذا عزم على
أمر واحد فقد جمعه أي جعله جميعا • وشركاءكم • بالنصب على أن الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة
بالرفع عطفا على الضمير المتصل للفصل بالمفعول منزلة التأكيد وإسناد الإجماع إلى الشركاء على طريقة التهكم وقيل إنه عطف
على أمركم بحذف المضاف أي أمر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف أي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ
فاجمعوا من الجمع أي فاعزموا على أمركم الذي تريدون بي من السعي في إهلاكي واحتشدوا فيه على أي وجه يمكنكم • ثم لا يكن
أمركم • ذلك • عليكم غمة • أي مستورا من غمه إذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فإن الستر إنما يصار إليه
لسد باب تدارك الخلاص بالهرب ونحوه فحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وإنما خاطبهم بذلك إظهارا
لعدم المبالاة بهم وأنهم لن يجدوا إليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخي
في الرتبة وإظهار الأمر في موقع الإضمار لزيادة تقرير مقتضيها مقام الأمر بالإظهار لأن الكتمان يستلزم النهي عن الستر
والإسرار وقيل المراد بأمرهم ما يعتريهم من جهته عم من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب
وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا بإهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى أنه لا يساعده
قوله عز وجل • ثم اقضوا إلي ولا تنظرون • أي أدوا إلي ذلك الأمر الذي تريدون بي ولا تمهلوني كقوله
تع وقضينا إليه ذلك الأمر أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من إهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فإن توسيط ما لجعل الأمر الهلاك
بين الأمر بالعزم على مباديه وبين الأمر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ أفضوا بالفاء أي انتهوا إلي
بشركم أو ابرزوا إلي من أفضى إذا خرج إلى الفضاء • فإن توليتم • الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به إما
الاستمرار عليه وإما إحداث التولي المخصوص أي إن أعرضتم عن نصيحتي وتذكيري إثر ما شاهدتم مني مخايل صحة ما أقول ودلائلها
التي من جملتها دعوتي إياكم جميعا إلى الحقيق بما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما يأتي منكم وإعراضكم عن الإجابة على
مكذبيكم بأني على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز • فما سألتكم • بمقابلة وعظي وتذكيري • من أجر • تؤديه إلي
حتى يؤدي ذلك إلى توليكم إما لثقلها عليكم وإما لتهمتكم إياي بالطمع والسؤال وإما لثقل دفع المسؤول عليكم أو حتى يضرني توليكم
المؤدي إلى الحرمان فالأول لإظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لإظهار عدم مبالاته عم بوجوده
وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائية لسببية الشرط للإعلام بمضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى إن توليتم
فاعلموا أن ليس فيه مصحح له ولا أتضرر منه وقوله عز وجل • إن أجري إلا على الله • يتعلق بالمعنيين جميعا فإنه
على الأول تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عم عنهم أي ما ثوابي على العظة والتذكير إلا عليه تعالى يثيبني به
آمنتم أو توليتم • وأمرت أن أكون من المسلمين • المنقادين لحكمه لا أخالف أمره ولا أرجو غيره أو المستسلمين
لكل ما يصيب من البلاء في طاعته تع • فكذبوه • فأصروا على ما هم عليه من التكذيب بعدما ألزمهم الحجة و
بين لهم المحجة وحقق أن توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب • فنجيناه ومن
معه في الفلك • من المسلمين وكانوا ثمانين • وجعلناهم خلائف • من الهالكين • وأغرقنا الذين

واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا • اى بالطوفان وتأخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله
عز وعلا • ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من
الآيات الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المقدم وتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات
الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات جرائم المجرمين • فانظر كيف كان عاقبة المنذرين • تهويل لما
جرى عليهم وتحذير لمن كذب بالرسول صلعم وتسلية له عم • ثم بعثنا • اى ارسلنا • من بعده • اى من بعد نوح عم
رسلا • التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اى رسلا كراما ذوى عدد كثير • الى قومهم • اى الى اقوامهم لكن لا بان ارسل كل رسول
منهم الى اقوام الكل اذ الى قومهم اى قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود و
غير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص • فجاؤهم • اى جاء كل رسول قومه المخصوص به • بالبينات • اى بالمعجزات
الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلق بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اى
ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة
فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي بين ضميرى جاؤهم كما اشير اليه • فما كانوا ليؤمنوا • بيان لاستمرار
عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اى فما صح وما استقام لقوم
من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان
كان المحكى آخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا و
التي وبما اشير اليه في قوله تعالى • بما كذبوا من قبل • تكذيبهم من حين مجىء الرسول عم الى زمان الاصرار والعناد
وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان
وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى
القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع
الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكى جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم
المستمر من حين مجىء الرسول صلعم الى آخره وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة
عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة عم ودعوا اممهم اليها اثرا ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها
مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجىء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة
التوحيد قط بل كان لكل قوم من اولئك الاقوام نبى معوث بها من بقاياهم قبلهم كما مر من بقايا عاد وعاد من بقايا
نوح عليه فكذبوها كانت حالهم قبل ذلك كان بعث اليهم اصلا وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول
لظهور حال الباقين بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجتمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم
اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو
التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع
قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع
الى قوم نوح عم والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية

اى بسبب

اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدى الى مخالفة الجمهور من
جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأى الاخفش وابن السراج لرجع الضمير وفي ارجاعه الى الحق بادعاء كونه
مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف • كذلك • اى مثل ذلك الطبع المحكم • نطبع • بنون العظمة وقرئ
بالياء على ان الضمير لله سبحانه • على قلوب المعتدين • المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد والبغي فيمنعهم عن
قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك لخذلانهم وتخليتهم وشانهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذه
دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد • ثم بعثنا • عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا
الى قومهم عطف قصة على قصة • من بعدهم • اى من بعد اولئك الرسل عم • موسى وهرون • خصت بعثتهما عم بالذكر
ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عم مع اقوامهم واوثر في ذلك طرز التفصيل
ايذانا بخطر شأن القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عم • الى فرعون وملائه • اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر
لاصالتهم في اقامة المصالح المهمات ومراجعة الكل اليهم في النوازل الملمات • بآياتنا • اى ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات
في الاعراف • فاستكبروا • الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اى فأتياهم فبلغاهم الرسالة
فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عم الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين
الى آخره • وكانوا قوما مجرمين • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اى كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام
فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم اى الجثة فلذلك اجترؤا عليه من الاستهانة برسالة الله عز
وجل وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا يساعده قوله عز وجل • فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا ان هذا لسحر مبين • فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجىء الحق الذي هو معجزة العصا
واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما ظهر على يده عم من الآيات العظام والفاء فيه ايضا
فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي
ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم
وعنادهم ان هذا لسحر مبين اى ظاهر في كونه سحرا وفائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر • قال موسى
استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام
الانكاري التعجبي التوبيخي • أتقولون للحق • الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت • لما جاءكم • اى حين مجيئه
اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما
قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اى تقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به
انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس
تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الى آخره ويستغنى عن
المفعول اى تعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل • أسحر هذا • انكار مستأنف من جهته
عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما
على الثاني فوجه ايراد كونه سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا فيه عيب حسبما تقتضيه ظاهر الانكار السابق على ان

[...]ائبه عجيبة وما في هذا من معنى القرب زيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه
آية باهرة من آيات الله تعالى المنادية على امتناع كونه سحرا الكون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ
والتجهيل بقوله تع ● ولا يفلح الساحرون ● وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول
من قال جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر و
الحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله
العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله تع اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها
تاكيد للانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عم
هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون
فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلانهم قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما يتعسف فيه
من التوجيه من الوجوه فطرف جوابه عم عن صريح ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي
عن امثاله واما ثانيا فلان التوبيخ بعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق
المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عم ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم
الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على من يأتون به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل ● قالوا اجئتنا
الى آخره مسوق لبيان انه عم الزمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عم فضلا عن الجواب
الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استئناف
وقع جوابا عما قبله من كلامه عم على طريقة قوله تع قال موسى الى آخرها حسبما اشير اليه كأنه قيل فماذا قالوا لموسى عليه
السلام عندما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة ● اجئتنا لتلفتنا ● اي لتصرفنا فان الفتل واللفت
اخوان ● عما وجدنا عليه اباءنا ● اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتأتى بكون ما ذكر من تتمة
كلامه عم على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عم خاليا عن التبكيت الملجئ
لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الى آخره وبين انكاره عم لما حكي
عنهم مصححة لكونه جوابا عنه ● وتكون لكما الكبرياء ● اي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون
بالياء لان تأنيثه غير حقيقي وكلمة في في قوله تع ● في الارض ● اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار
الذي في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه ● وما نحن لكما بمؤمنين ● اي
مصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول
الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للآخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة
اسند الى موسى عليه السلام خاصة ● وقال فرعون ● توحيد الفعل لان الامر من وظائف فرعون اي
قال لملائه يأمرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول ● ائتوني بكل
ساحر عليم ● يعلمون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار ● فلما جاء السحرة ● عطف على مقدر يستدعيه المقام قد
حذف ايذانا بسرعة امتثالهم للامر كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام اي فأتوا به فلما جاءوا ● قال لهم

لاحدهما التصديق م

موسى

موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعدما قالوا له عم ما حكي عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين ونحو ذلك ● القوا ما انتم ملقون ● اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر ● فلما القوا ●
ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم ● قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا
ما جئتم به السحر ● ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبرها اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات
الله سحرا [...] او هي جنس السحر يريهم ان حاله بين لا يعبأ به كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ آلسحر
على الاستفهام فما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له
عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتها على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر ● ان الله
سيبطله ● سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين
للتأكيد ● ان الله لا يصلح عمل المفسدين ● اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحرة دخولا
اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم
وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته ولا يكمله
ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليهم الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل
اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ● ويحق الله الحق ●
عطف على قوله تع سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل في المقامين لالقاء
الروعة وتربية المهابة ● بكلماته ● باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ● ولو كره المجرمون ● ذلك
والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم ● فما آمن لموسى ● معطوف على مقدر قد
فصل في مواقع اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون الى آخره وانما لم يذكر تعويلا على ذلك
دأبا الى الايجاز وايذانا بان قوله تع ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك
بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما في قولك وعظته
فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان
كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له عليه السلام بمشاهدة
تلك الآيات الباهرة ● الا ذرية من قومه ● الا اولاد من اولاد قوم بني اسرائيل حيث دعا
الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية
طائفة من شبانهم آمنوا وهم مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو
بعيد ● على خوف ● اي كائنين على خوف عظيم ● من فرعون وملائهم ● الضمير لفرعون والجمع لما هو
المعتاد في ضمائر العظماء او لانه مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر والتسلط على العباد
او لان المراد آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني
اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ● ان يفتنهم ● اي يعذبهم
وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم ذي مسغبة

بينا او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان
فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك
الدماء او في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وفي الجملتين اعتراض تذييلي مؤكد
لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي صدقتم
به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين
لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه فانه المقتضي له
والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه
فقالوا مجيبين له من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين
ربنا لا تجعلنا فتنة اي موقع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا ويقولوا
لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من
سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الدعاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم وفي
ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعي حقه ان يبني دعاءه على التوكل على الله سبحانه واوحينا الى
موسى واخيه ان تبوءا ان مفسرة لان في الوحي معنى القول اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا
يسكنون فيها ويرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد
متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فان موسى عم كان يصلي اليها واقيموا الصلوة اي فيها امروا بذلك في
اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا اجابة
لدعوتهم والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما لا يتولاه الا رؤساء القوم بتشاور
ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان بشارة الامة وظيفة صاحب
الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان والاشعار بانه المدار في التبشير وقال موسى
ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة اي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا و
انواعا كثيرة من المال في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة
احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت وللعلة لان
ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم
اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة
لقوله ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحو وقرئ بضم اي اهلكها واشدد على قلوبهم اي
اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شانهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء
بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اي يعاينوه ويوقنوا به
بحيث لا ينفعهم ذلك وذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عم لانه كان يؤمن
اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام

الحجة عليه

الحجة عليه ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن في وقته لا محالة روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون اي بعادة الجهلة في تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة في الاستعجال
او عدم الوثوق بوعد الله تع وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا
تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية
اي جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف
لما وزنه لا مما هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول الاعشى كما جوز السكي في الباب فيتق والا لقيل وجوزنا
بني اسرائيل في البحر ولخلا النظم الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز
كما هو المفهوم من النوع بين ذهبه وذهب به فاتبعهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته
اي ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا طلبا
واعتداء اي باغين وعادين او للبغي والعدوان وقرئ عدوا وذلك ان موسى عم خرج ببني اسرائيل على
حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله
يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه والجمه
قال آمنت انه اي بانه والضمير للشان وقرئ انه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله
الا الذي آمنت به بنو اسرائيل لم يقل كما قاله السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر
عنه بالموصول وجعل صلته ايمان بني اسرائيل به تع للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم
طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة وانا من المسلمين اي الذين اسلموا نفوسهم لله اي
جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بني اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والجملة على الاول عطف على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني يحتمل الحالية
من ضمير المتكلم اي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلث
عبارات حرصا على القبول المفضي الى النجاة وهيهات هيهات واني له ذلك هو آت وقوله عز وجل
الآن مقول لقول مقدر معطوف على قال اي فقيل له الآن وسوق قوله تع انه حكاية لما جرى منه سبحانه
من الغضب على المخذول ومع بلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار التوبيخي على تأخيره وتعريضه بالعصيان والافساد
ونحو ذلك وفي حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكي في صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب
ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روي من ان جبريل عم دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه تأكيد للرد القولي بالرد الفعلي
ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبي عم فلو رأيتني يا محمد وانا آخذ من حال البحر
فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة التي هي طلبة المخذول
وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم يونس عم حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شان
جبريل عم من الرضى بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك في حالة البأس
واليأس فحمله عم على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل

العامل في الظرف اي بعد رمؤخرا بتوجه الانكار والتوبيخ الى تأخير الايمان الى احد يمتنع قبوله فيه اي الآن تؤمن
حين يئست من الحيوة وايقنت من الممات وقوله عز وعلا • وقد عصيت قبل • حال من فاعل الفعل
المقدر جيء به لتشديد التوبيخ والتقريع على تأخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن تأخيره لعدم بلوغ الدعوة
اليه ولا للتأمل والتدبر في دلائله واياته ولا للتشهي اخر ما عسى يعد عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد
والاستعصاء والافساد فان قوله تع • وكنت من المفسدين • عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي و
كنت من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تع الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والساري الى
غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص • فاليوم ننجيك
اي نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر
وتهكم به اي ننجيك بناحية الساحل • ببدنك • في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا وكانت له
درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان
مظاهرا بينها • لتكون لمن خلفك اية • اي ولمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من
عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى يروى انهم لم يصدقوا موسى عم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على
ممرهم من الساحل او يكون لمن يأتي بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان
او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشأن وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو
مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف اي ليكون لخالقك
اية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك واماطة
الشبهة في امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا
وفي تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على
رؤوس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده في الاسواق او يدار برأسه في البلاد واللام الاولى
متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من اية اي كائنة لمن خلفك • وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون
• لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي • ولقد
بوأنا بني اسرائيل • كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها
واداء حقوقها اي اسكناهم وانزلناهم بعد ما انجيناهم واهلكنا اعداءهم • مبوأ صدق • اي منزلا صالحا مرضيا
وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها حسبما ينطق به قوله تعالى واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها • ورزقناهم من الطيبات • اي اللذائذ
• فما اختلفوا • في امور دينهم • حتى جاءهم العلم • اي الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التورية وعلمهم باحكامها او في
امر محمد عم الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا في عصر النبي عم • ان ربك
يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون • فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب • فان كنت في شك • اي في شك ما

سبيل على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما
كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك ونظائرهما • مما انزلنا اليك • من القصص التي من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل
• فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك • فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك و
المراد اظهار نبوته عم بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور في كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف
اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة نبوته عم او تهييجه عم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور
الشك منه عم ولذلك قال عم لا اشك ولا اسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله
ابن سلام وتميم الداري وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبي عم والمراد امته او لكل من يسمع
اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة
في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسأل الذين يقرؤون الكتب • لقد جاءك الحق
الذي لا محيد عنه ولا ريب في حقيته • من ربك • وظهر بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها شائبة
الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من التشريف ما لا يخفى • فلا تكونن
من الممترين • بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل • ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله • من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية
بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع اطماع الكفرة • فتكون
بذلك من الخاسرين • انفسا واعمالا • ان الذين حقت عليهم • شروع في بيان سر اصرار الكفرة على ما هم
عليه من الكفر والضلال اي ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة • كلمة ربك
حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تع ولكن حق القول مني لاملأن جهنم
الى آخره • لا يؤمنون • ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اي لا يؤمنون ايمانا نافعا
واقعا في اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون
• حتى يروا العذاب الاليم • كدأب آل فرعون واضرابهم • فلولا كانت • كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة
ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بيانا
لكون قوم يونس عم ممن لم تحق عليه الكلمة لاعتقادهم الى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك
اي فهلا كانت • قرية • من القرى المهلكة • امنت • قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته
كما فعل فرعون وقومه • فنفعها ايمانها • بان يقبله الله تع منها ويكشف بسببه العذاب عنها •
الا قوم يونس • استثناء منقطع اي لكن قوم يونس • لما آمنوا • اول ما رأوا امارة العذاب
ولم يؤخروا الى حلوله • كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا • بعد ما اظلهم وكاد يحل
بهم ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي كما ينفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى
اهاليها كانه قيل ما امنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عم فيكون قوله

لما آمنوا الشيء في البيان نفع إيمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية • ومتعناهم • بمتاع الدنيا
بعد كشف عنهم إلى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه روي أن يونس عم بعث إلى نينوى من أرض الموصل
فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال
لهم يونس عم إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت
السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح و
برزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب
وأولادها فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم
وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم
حتى أن الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده إلى صاحبه وقيل خرجوا إلى الشيخ من بقية
علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت
فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها
وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله • ولو شاء ربك لآمن من في الأرض •
تحقيق لدوران إيمان كافة المكلفين وجوداً وعدماً على قطب مشيئته تعالى مطلقاً إثر بيان تبعيته للكلمة ومفعول
المشيئة محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وأن لا يكون في تعلقها
به غرابة كما هو المشهور أي لو شاء سبحانه إيمان من في الأرض من الثقلين لآمن • كلهم • بحيث لا يشذ
عنهم أحد • جميعاً • مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفاً للحكمة التي عليها يبنى
أساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على أن من شاء الله إيمانه يؤمن لا محالة • أفأنت تكره الناس •
على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه صرف الأسماع في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه
الكلام كأنه قيل ربك لا يشاء ذلك فأنت تكرههم • حتى يكونوا مؤمنين • فيكون الإنكار متوجهاً إلى ترتب
الإكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى بل على العزيمة متأخرة في الاعتبار وإنما قدمت لاقتضائها
الصدارة كما هو رأي الجمهور وأياً ما كان فالمشيئة على إطلاقها إذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم
مشيئة الإلجاء خاصة في إنكار الترتب عليه وترتب الإكراه عليه وفي إيلاء الاسم حرف الاستفهام إيذان
بأن الإكراه أمر ممكن لكن الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه القادر على أن يفعل
في قلوبهم ما يضطرهم إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه إيذان باعتبار الإلجاء في المشيئة كما أشير إليه
• وما كان لنفس • بيان لتبعية إيمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجوداً بعد بيان الدوران الكلي
عليها وجوداً وعدماً أي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى أنها تؤمن
• أن تؤمن إلا بإذن الله • أي بتسهيله ومنحه الألطاف وإنما خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل
قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله لأن الاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما كان لنفس
أن تؤمن في حال من أحوالها إلا حال كونها ملابسة بإذنه تعالى فلا بد من كون الإيمان مما يؤول إليه حالها كما أن

الموت

الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فإن النفوس التي علم الله
أنها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال من غيرها • ويجعل الرجس • أي الكفر
سماه ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علماً في القبح والاستكراه و
قيل هو العذاب والخذلان لأن المؤدي إليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي أي يجعل الكفر وبقيته • على الذين
لا يعقلون • لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات أو لا يعقلون دلائله وأحكامه لما هو على قلوبهم من
الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالإذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال أو مقهورين بالعذاب
والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فيأذن لهم بمنح الألطاف ويجعل الرجز
• قل • مخاطباً لأهل مكة بعثاً لهم على التدبر في ملكوت السموات والأرض وما فيهما من تعاجيب الآيات الأنفسية
والآفاقية ليتضح لك أنهم من الذين لا يعقلون • وحقت عليهم الكلمة • انظروا • أي تفكروا وقرئ بنقل حركة
الهمزة إلى اللام • قل • ماذا في السموات والأرض • أي أي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته
وكمال قدرته على أن ماذا جعل بالتركيب اسماً واحداً مغلباً فيه الاستفهام على اسم الإشارة فهو مبتدأ خبره
الظرف ويجوز أن يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ
والخبر في محل النصب بإسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام • وما تغني • أي ما تنفع
وقرئ بالتذكير • الآيات • وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في الأرض • والنذر • جمع نذير على أنه فاعل
بمعنى منذر أو على أنه مصدر أي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون أو الإنذارات • عن قوم لا يؤمنون •
في علم الله تعالى وحكمه فما نافية والجملة حالية أو اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية إنكارية في موضع
النصب على المصدرية أي أي إغناء تغني إلخ فالجملة حينئذ اعتراضية • فهل ينتظرون • أي مشركوا
مكة وأضرابهم • إلا مثل أيام الذين خلوا • أي إلا يوماً مثل أيام الذين خلوا من قبلهم من مشركي الأمم الماضية
أي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها • قل • تهديداً
لهم • فانتظروا • ما هو عاقبتكم • إني معكم من المنتظرين • لذلك • ثم ننجي رسلنا • بالتشديد وقرئ
بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه مثل أيام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة إلى
التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا المرسلة إليهم • والذين آمنوا •
وصيغة الاستقبال لحكاية الأحوال الماضية لتهويل أمرها باستحضار صورها وبأخرها حكاية التنجية
عن حكاية الإهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك إلى آخره ونظائره الواردة
في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا • كذلك • أي مثل ذلك الإنجاء • حقاً علينا • اعتراض بين العامل
والمعمول أي حق ذلك حقاً وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك أي إنجاء مثل ذلك حقاً والكاف
متعلقة بقوله تعالى • ننج المؤمنين • أي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد
بالمؤمنين إما الجنس المتناول للرسل عم والأتباع وإما الأتباع فقط وإنما لم يذكر إنجاء الرسل إيذاناً بعدم
الحاجة إليه وأياً ما كان ففيه تنبيه على أن مدار النجاة هو الإيمان • قل • للجمهور المشركين • يا أيها الناس

او تنزيل الخطاب باسم الجنس معتذرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشأن ما يبلغ اليهم ● ان
كنتم في شك من ديني ● الذي اعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته ● فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله في وقت من الاوقات ● ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ● ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب
اي فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة
الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر وان كنتم في شك من
صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام
فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص
التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان
اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه وان كنتم
في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا ● وامرت ان اكون من المؤمنين ● بما دل عليه العقل
ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق
الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل
الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ● وان اقم وجهك للدين ● عطف على ان اكون خلا ان صلة
ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا
يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل
وهو لا يوصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه
باداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات الى اليمين و
الشمال ● حنيفا ● حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ● ولا تكونن من المشركين ●
عطف على اقم داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وعلا ● ولا تدع ● عطف على قوله
تعالى ● قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل
الى اخر الايتين متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تأكيد للنهي المذكور
وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من
دون الله ● استقلالا واشتراكا ● ما لا ينفعك ● اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ● ولا يضرك ● اذا
تركته بسلب المحبوب دفعا او رفعا او بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب ● فان
فعلت ● اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها لشانه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه
من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية ● فانك اذا من الظالمين ● جزاء للشرط
وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه ● وان يمسسك الله بضر ● لما ورد في حيز الصلة من سلب
النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه ● فلا كاشف له ● عنك كائنا من كان وما كان ● الا
هو ● وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم

النفع

النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية
● وان يردك بخير ● تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك بخير ● فلا راد لفضله ● الذي
من جملته ما اراد بك من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى
بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا
اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما
جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمسهم
من عيبه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي واريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا راد لما
يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الاخر الارادة ليدل بما ذكر
في كل جانب على ما ترك في الجانب الاخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل ● يصيب به ● اظهارا لكمال العناية بجانب
الخير كما ينبي عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن
ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل ● من
يشاء من عباده ● فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله تعالى ● وهو الغفور الرحيم ● تذييل للموضوع يصيب به
الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها ● قل ● مخاطبا لاولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما اوحي
اليك ● يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ● وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها
ما مر انفا من اصول الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر ● فمن اهتدى ● بالايمان
به والعمل بما في مطاويه ● فانما يهتدي لنفسه ● اي منفعة اهتدائه لها خاصة ● ومن ضل ● بالكفر به والاعراض عنه
● فانما يضل عليها ● اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عليه السلام
من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته ● وما انا عليكم
بوكيل ● بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير ● واتبع ● في كل ما تأتي وتذر ● ما يوحى اليك ● على
نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عليه السلام بالوحي تنبيه على
ما بين المرتبتين من التنائي ● واصبر ● على ما يعتريك من مشاق التبليغ ● حتى يحكم الله ● بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال
● وهو خير الحاكمين ● اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلعم من قرأ سورة
يونس اعطي له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون

سورة هود وهي مائة وثلث وعشرون اية [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

● الر ● الكلام في محله الرفع على انه خبر لمبتدا
محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما هو المشير اليه في سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل يناسب
المقام نحو اذكر او اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر ولا محل له من الاعراب مسرودا
على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى ● كتاب ● خبره على الوجه الثاني وللمبتدأ المحذوف على الوجوه
الباقية ● احكمت اياته ● نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على
جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ابرزت بالحجج القاطعة الدالة على كونها

من عند الله عز وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية
فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع
من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ايهام ما لا يكاد يليق
بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى الآيات الكل
دون نفسه لاسيما على الوجه الثالث لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى
ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش
والمعاد على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها
فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الآيات
محكمة منفصلة لانها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفعلان من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة
وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها
آية آية على معنى تنزيع بعضها عن بعض بلون من هذا القبيل الا انه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه
الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد
جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها
حقيق بان يترتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة المتكلم وعن عكرمة والضحاك ثم
فصلت اي فرقت بين الحق والباطل • من لدن حكيم خبير • صفة للكتاب وصفه بها بعدما وصف باحكام آياته
وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتدأ المذكور
او المحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجليلها
ودقيقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن
الطباق من الجزالة والدلالة على فخامتها وكونها على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه • ان لا تعبدوا الا
الله • مفعول له حذف منه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس
المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كأنه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا عبادة
غير الله عز وجل وتمحضوا فيها عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد و
ما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي قيل لا تعبدوا الا الله • انني لكم منه
من جهته تعالى • نذير • انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى • وبشير • ابشركم بثوابه
ان آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل
الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلك التفصيل او اللام من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني
الاستغفار والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله عز وجل لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات
من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وابتدئ به الخطاب عقب الكتاب مع

تلويح بانهما لا يتحققان في ضمن الامعان في التكلم برسالته صلعم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وقد روعي في
سوق الخطاب تقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية لتتجاوب
اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه السلام اغراء
لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كأنه صلعم قال ترك عبادة غير الله اي الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا
مستمرا انني لكم من جهته تعالى نذير وبشير او نذير انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه
على تقدير تركهم له وتوحيدكم ولما سيق اليهم حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول صلعم على وجه الانذار والتبشير
شرع في ذكر ما هو من تتمته على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف التبشير والنذير فقيل • وان استغفروا ربكم •
وهو عطف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا او نهيا
كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما
ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا
اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع
الامر والنهي صلة حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي لتجرد الصلة الفعلية عن معنى
المضي والاستقبال • ثم توبوا اليه • عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فعل ما فصل
من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه
بالطاعة او استمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او استغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصي
على الثاني ان مفسرة اي قيل لهم اثناء تفصيل الآيات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض
لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع
وايتاء الفضل بقوله • يمتعكم متاعا حسنا • اي تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف عنه
الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال
والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات
• الى اجل مسمى • مقدر عند الله عز وجل وهو آخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتيع
اليها مجرى التأبيد عادة او لا يهلككم بهلاك الاستئصال • ويؤت كل ذي فضل • في الطاعة والعمل
• فضله • جزاء فضله اما في الدنيا او في الآخرة وهذا تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما
عسى يتعسر فهمه من حكمة من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة
وعمل لا يتمتع في الدنيا اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد
واما في الآخرة وذلك محال المرية وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار
فقيل • وان تولوا • اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخره عن البشارة
جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة
وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي • فاني اخاف عليكم • بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع

عذاب يوم كبير • هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم
عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات
والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وايا ما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع
له • الى الله مرجعكم • رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره • جميعا • لا يتخلف منكم احد
• وهو على كل شيء قدير • فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم باشد العذاب
وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي عم وسيق اليهم ما ينبغي
ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال
هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما
يعقبها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه • الا انهم يثنون صدورهم • يزورون عن الحق وينحرفون عنه
اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا
معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله
تعالى لا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله قدر المعنى انه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر
فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدر وبين الاستخفاء
ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما
فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلعم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب
على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايذانا بان ظهوره مغن عن ذكره او
ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي
القي اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رض انها
نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلعم المحبة
ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلعم ثنى صدره وظهره
وطأطأ راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلعم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي عم لم يمكنه التخلف
عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ تثنوني صدورهم
بالتاء والياء من اثنونى افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رض تثنوني
وقرئ تثنون اصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلاء وضعف يريد مطاوعة صدورهم
للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان
افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي • الا حين يستغشون
ثيابهم • اي يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد اي حين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم
فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى
بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي • يعلم ما يسرون • اي يضمرون في قلوبهم • وما يعلنون • اي يستوي بالنسبة

السر

الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا
وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم منه
بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء
على عكس ما وقع في قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة
بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه
اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل
وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون حيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه
مقامهم عن اقتضاء التأكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك
مع انه وقع الغيبة عنه قبله من قوله عز وجل اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان
مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه
سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية • انه عليم بذات الصدور • تعليل لما سبق
وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير
الضمائر بعنوان صاحبتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات
جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرون وما
يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب
واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها • وما من دابة في الارض الا على الله رزقها • غذاؤها اللائق بها
من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي وارادي لتكفله تفضلا ورحمة وانما جيء على طريق
الوجوب اعتبارا لسبق الوعد تحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب
النفس في طلبه • ويعلم مستقرها • محل قرارها في الاصلاب • ومستودعها • موضعها في الارحام
وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب
في حيزها الطبيعي ومنشئها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيهما الى وقت
معين او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض و
المعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة
المندرجة في مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة في الاطوار المختلفة ومقارها المتنوعة ويفيض
عليها وقد فسر المستودع بما كنها في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها • كل • من الدواب ورزقها
ومستقرها ومستودعها • في كتاب مبين • اي مثبت في اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه من الملائكة
او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض من المخلوقات التي

لا يكاد يحصى من مبدإ فطرتها الى منتهاها ما اقتضى الحال التعرض لمبدإ خلق السموات والارض وما في الحكمة الداعية
الى ذلك فقيل ﴿وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام﴾ اي خلق السموات في يومين والارض في يومين
حسبما فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه
تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تعالى
ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون
الشمس فوق الارض ولا يتصور حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها
دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين
فامر استأثر بعلمه ما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الاشارة
الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام ﴿وكان عرشه﴾ قبل خلقهما ﴿على الماء﴾ ليس
تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الآثار فلا دلالة فيه على امكان الخلاء
كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد العرش و
انما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض وما بينهما من المخلوقات التي من جملتها انتم و
رتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع
والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ﴿ليبلوكم﴾ اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم ﴿ايكم احسن عملا﴾ فيجازيكم بالثواب
والعقاب عندما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات
علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم
المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلعم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم
الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني
فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر
والتفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة
بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي عم
انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك
التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض و
تعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا
مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق
التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة
الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من [illegible]
من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه
اللائقة واكمل الاساليب الرائعة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد

الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة
والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان
ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح
له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة
نقائضها والله اعلم ﴿ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت﴾ على ما يوجبه قضية الابتلاء من ترتب الجزاء
المتفرع على ظهور مراتب الاعمال ﴿ليقولن الذين كفروا﴾ ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين
فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم
﴿ان هذا الا سحر مبين﴾ اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان
الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك منه صلى الله عليه وسلم القرآن لانبائه
عنه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك قصدوا بالتكذيب وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتماديا عن
سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفس البعث ولا يلائمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهر
لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الآية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث من شيء
اليه من تتمات الابتلاء المذكور فيما قبل الامر كما ذكر ومع ذلك انهم ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية
فذة من تتماته لا يتلعثمون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق هذه من تتماته
واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكم البالغة ومع ذلك
ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون ﴿فسبحان الله عما يصفون﴾
وقرئ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرئ
بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء
والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على
نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ويتمرق اسماعهم بت القول بخلاف المعتاد والمعتاد عليه اباؤهم
من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التأمل والتدبر وما فعلوه قاتلهم الله انى يؤفكون ﴿ولئن اخرنا عنهم
العذاب﴾ المترتب على بعثهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب
يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قتل جبرائيل المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة
دون ما يخص ببعض منهم على انهم لم يكن موعودا استعجل منها المجرمون ﴿الى امة معدودة﴾ الى طائفة من الايام
قليلة لان ما يحصره العد قليل ﴿ليقولن ما يحبسه﴾ اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريده فيمنعه مانع
وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزئون ومرادهم انكار المجيء والحبس
رأسا لا الاعتراف به ولا الاستفسار عن حابسه ﴿الا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا﴾ محبوسا ﴿عنهم﴾
على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الآخرة او لا يدفعه عنهم دافع بل واقع بهم ان اريد به عذاب
الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول تابع للعامل

فلا يقع إلا حيث يقع متبوعه ورد بأن الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبأنه قد تقدم المعمول حيث لا يتقدم
العامل كما في قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فإن اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين
المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها قال أبو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين
العرب فلم أظفر بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر ● فيأبى فما يزداد
إلا لجاجة وكنت أبيا في الخنا لست أقدم ● وحاق بهم ● أي أحاط بهم ● ما كانوا به يستهزئون ● أي
العذاب الذي كانوا يستعجلونه استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه وإشعار بعلية ما في حيز الصلة
مع استهزائهم به لنزوله وإحاطته والتعبير عنهما بالماضي واردة على عادة الله تعالى في أخباره لتحققها وتنزيلها
بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر وتقرر وقوع المخبر به ما لا يخفى ● و
لئن أذقنا الإنسان منا رحمة ● أي أعطيناه نعمة من صحة أو من وجدة ونحوها وأوصلناها إليه بحيث
يجد لذتها ● ثم نزعناها منه ● أي سلبناه إياها وإيراد النزع للإشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها ●
إنه ليؤوس ● شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود أمثالها عاجلا وآجلا بفضل الله تعالى
لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به ● كفور ● عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان
بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم الله تعالى وتأخيره عن وصف يأسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل
على أن اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن إفاضة أمثاله في العاجل وإيصال أجره في الآجل من
باب الكفران للنعمة السابقة أيضا ● ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ● كصحة بعد سقم ووجدة بعد عدم وفرج
بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة
الضراء بالمس المشعر بكونها في أدنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها وإسناد الأول إلى الله تعالى
دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على أن مراده تعالى إنما هو إيصال الخير المرغوب فيه على أحسن ما يكون وأنه ما
يريد بعباده اليسر دون العسر وإنما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كأنما يلاصقهم من غير أن يؤثر فيهم وأما
نزع الرحمة فإنما صدر عنه بمقتضى الحكمة الداعية إلى ذلك وهي كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق
النزع بها ● ليقولن ذهب السيئات عني ● أي المصائب التي ساءتني ولن يعتريني بعد أمثالها كما هو شأن
أولئك الأشرار فإن الترقب لورود أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش ● إنه لفرح ● بطر بالنعم مغتر بها
● فخور ● على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات الأربع موطئة
للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط ● إلا الذين صبروا ● على ما أصابهم من الضراء سابقا ولاحقا إيمانا بالله
واستسلاما لقضائه ● وعملوا الصالحات ● شكرا على آلائه السابقة واللاحقة واللام في الإنسان إما
للاستغراق الجنسي فالاستثناء متصل أو للعهد فمنقطع ● أولئك ● إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه
في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون بتلك الصفات
الحميدة ● لهم مغفرة ● عظيمة لذنوبهم وإن جلت ● وأجر ● ثواب ● كبير ● لأعمالهم الحسنة ووجه تعلق الآيات
الثلاث بما قبلهن من حيث إن إذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من

الإجمال

من الإجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا والمعنى أن كلا من إذاقة النعماء ونزعها
مع كونه ابتلاء للإنسان أيشكر أم يكفر لا يهتدي إلى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه إلى
مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل إلا من الصابرين الصالحين أو من حيث إن إنكارهم بالبعث
واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كأنه قيل إنما فعلوا ما فعلوا لأن طبيعة الإنسان مجبولة على ذلك
● فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك ● من الآيات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل
لمن له أذن واعية ● وضائق به صدرك ● أي عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه إليهم
في أثناء الدعوة والمحاجة ● أن يقولوا ● لأن يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التي لا تكاد تخفى
صحتها على أحد ممن له أدنى بصيرة وتماديا في العناد على وجه الاقتراح ● لولا أنزل عليه كنز ● مال خطير مخزون
يدل على صدقه ● أو جاء معه ملك ● يصدقه قيل قاله عبد الله بن أمية المخزومي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا إن كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة
يشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزلت فكأنه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه
العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أرباب العقول و
شاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين إلى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها
سحرا أمثل حاله لأن يتوقع منه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها
إليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الإشفاق فقيل ● إنما أنت نذير ● ليس عليك إلا الإنذار بما
أوحي إليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول ● والله على كل شيء وكيل ● يحفظ أحوالك وأحوالهم
فتوكل عليه في جميع أمورك فإنه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في أقصى غاية من إصابة المحز ●
أم يقولون افتراه ● إضراب بأم المنقطعة عن ذكر تركه اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم
بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم
لما هو أشد منه وأعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والإنكار والتعجب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم
والبارز لما يوحى أي بل يقولون افتراه وليس من عند الله ● قل ● إن كان الأمر كما تقولون ● فأتوا
أنتم أيضا ● بعشر سور مثله ● في البلاغة وحسن النظم وتوصيف السور بما هي صفة له وتوحيده إما باعتبار
مماثلة كل واحدة منها أو لأن المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى أنؤمن لبشرين
مثلنا أو للإيماء إلى أن وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية إلى مرتبة الإعجاز
فكأن الجميع واحد ● مفتريات ● صفة أخرى لسور أخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لأنها الصفة المقصودة
بالتكليف إذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة وأما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء
في مقام التحدي وإنما ذكر على نهج المساهلة وإرخاء العنان ولأنه لو عكس الترتيب لربما توهم أن المراد هو
المماثلة في الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند أنفسكم إن صح أني اختلقته
من عندي فإنكم أقدر على ذلك مني لأنكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادي ذلك من الخطب والأشعار وحفظتم

الوقائع والأيام وزاولتم أساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم
دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التي تزعمون أنها ممدة لكم في كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومدارهكم
الذين تلجأون إلى آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق بادعوا أي متجاوزين الله
تعالى إن كنتم صادقين في أني افتريته فإن ذلك يستلزم إمكان الإتيان بمثله وهو أيضا يستلزم قدرتكم
عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فإن لم يستجيبوا لكم أي فإن لم يفعلوا ما كلفتموه من الإتيان بمثله
كقوله تعالى فإن لم تفعلوا وإنما عبر عنه بالاستجابة إيماء إلى أنه صلعم على كمال أمن من أمره كأن أمره لهم بالإتيان بمثله
دعاء لهم إلى أمر يريدون وقوعه والضمير في لكم للرسول عم والجمع للتعظيم كما في قول من قال وإن شئت حرمت النساء
سواكم أو له وللمؤمنين لأنهم أتباع له عم في الأمر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على أن حقهم أن لا ينفكوا عنه عم
في الأمر بالتحدي ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وإرشاد إلى أن ذلك مما يعتد الرسوخ
في الإيمان والطمأنينة في الإيقان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا أي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة
مع تهالكهم عليها علما يقينا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كأنما عداه
من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للإشعار بانحطاط تلك المراتب بل لارتفاع هذه المرتبة وبه يتضح سر إيراد كلمة الشك
مع القطع بعدم الاستجابة كأن تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع تنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك
فيه أو ليثبتوا أو يستمروا على ما كنتم عليه من العلم أنما أنزل ملتبسا بعلم الله أي المخصوص به بحيث لا يحوم
حوله العقول والأفهام مستبدا بخصائص الإعجاز من جهتي النظم الرائق والإخبار بالغيب وأن لا إله
إلا هو أي واعلموا أيضا أن لا شريك له في الألوهية وأحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه أحد فهل أنتم مسلمون
أي مخلصون في الإسلام أو ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقية إلى معارج اليقين
ويجوز أن يكون الخطاب في الكل للمشركين من جهة الرسول صلعم داخلا تحت الأمر بالتحدي والضمير في لم يستجيبوا
لمن استطعتم أي فإن لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من إليهم تجأرون في مهماتكم وملماتكم إلى المعاونة والمظاهرة
فاعلموا أن ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وأنه منزل من خالق القوى والقدر فإيراد كلمة الشك حينئذ
مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم للتهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الأمر بالعلم على مجرد
عدم الاستجابة من حيث إنه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكأنه قيل فإن لم يستجيبوا لكم عند
التجائكم إليهم بعدما اضطررتم إلى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل أو من حيث إن من يستمدون به
بهم أقوى منهم في اعتقادهم فإذا ظهر عجزهم بعد استجابتهم وإن كان ذلك قبل ظهور عجز أنفسهم يكون عجزهم أظهر
وأوضح واعلموا أيضا أن التهكم بمعزل عن رتبة الشركة في الألوهية وأحكامها فهل أنتم داخلون في الإسلام
إذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الإذعان لكون القرآن من عند الله
تعالى دخولا أوليا أو منقادون للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد
وفي هذا الاستفهام إيجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر وإقناط من أن يجيرهم
آلهتهم من بأس الله عز سلطانه هذا والأول أنسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما سيأتي من قوله

تعالى فلعلك في مرية منه وأشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أي زبرجها
وحسنها من الصحة والأمن والسعة في الرزق وكثرة الأولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالإرادة ما يحصل
عند مباشرة الأعمال لا مجرد الإرادة القلبية لقوله تعالى نوف إليهم أعمالهم فيها وإدخال كان عليها للدلالة
على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الآخرة أصلا وليس المراد بأعمالهم أعمال كلهم فإنه لا يجد كل متمن
ما يتمناه ولا كل أحد ينال كل ما يهواه فإن ذلك منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما ينطق به قوله تعالى
من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل أعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الأمور المذكورة
بطريق الأجر والجزاء من أعمال البر وقد أطلقت وأريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل إليهم ثمرات أعمالهم في الحياة الدنيا
كاملة وقرئ يوف على الإسناد إلى الله عز وجل بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع أعمالهم وقرئ توفي
بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
وهم فيها أي في الحياة الدنيا لا يبخسون أي لا ينقصون وإنما عبر عن ذلك بالبخس الذي هو نقص
الحق مع أنه ليس لهم شائبة حق فيما أوتوه كما عبر عن إعطائه بالتوفية التي هي إعطاء الحقوق مع أن أعمالهم
بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للأمر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الأعمال ومبالغة في نفي النقص
كأن ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم أصلا والمعنى أنهم فيها خاصة لا ينقصون
ثمرات أعمالهم وأجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا وأما في الآخرة فهم في الحرمان المطلق واليأس
المحقق كما ينطق به قوله تعالى أولئك فإنه إشارة إلى المذكورين باعتبار إرادتهم الحياة الدنيا أو باعتبار
توفيتهم أجورهم من غير بخس أو باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في سوء
الحال أي أولئك المريدون للحياة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات أعمالهم من غير بخس الذين
ليس لهم في الآخرة إلا النار لأن هممهم كانت مصروفة إلى الدنيا وأعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا
ثمرتها ولم يكونوا يريدوا بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم في الآخرة إلا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا
فيها أي ظهر في الآخرة حبوط ما صنعوه من الأعمال التي كانت تؤدي إلى الثواب لو كانت تؤدي
إلى الثواب لو كانت معمولة للآخرة أو حبط ما صنعوه في الدنيا من أعمال البر إذ شرط الاعتداد بها الإخلاص
وباطل أي في نفسه ما كانوا يعملون في أثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولأجل أن الأول من شأنه
استتباع الثواب والأجر وأن عدمه لعدم مقارنته للإيمان والنية الصحيحة وأن الثاني ليس له جهة صالحة
قط علق بالأول الحبوط المؤذن بسقوط أجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح
عن كونه بحيث لا طائل تحته أصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في
الثاني دون الأول إيماء إلى أن صدور أعمال البر منهم وإن كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور
الأعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنيئة وقرئ وبطل على الفعل أي ظهر بطلانه حيث علم هناك
أن ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته أو انقطع أثره الدنيوي فبطل مطلقا
وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على أن ما إبهامية أو في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن

البخس فيه ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الخ اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك
بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلعم فانه اسهم
لهم في الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم
اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله وعلى هذا لا بد من تقييد قوله
تعالى ليس لهم الا النار بان يقال ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة التنزيل الكريم ان المراد به
مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلعم والمؤمنين
بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن انما انزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام
والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال
ان يتعرض لبعض شئونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية
وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه وتعقيبه بذلك اي بيان كان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن
والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه اي برهان نير عظيم الشان يدل
على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره او بتأويل البرهان ذكر الضمير
الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في
نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض اياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع
له شاهد بكونه من عند الله عز وجل غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام استعارة الى حال رسول
الله صلعم والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي
من القرآن غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير
ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلعم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن
الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله
فاعلموا فهل انتم مسلمون اوليا وقيل هو النبي صلعم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد
بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة
والشاهد جبريل والاول هو الاولى ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه
من عند الله تعالى بحاله بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها
الذي يشهد بامرها الى يوم القيامة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز وجل ومن قبله كتاب موسى
على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكانه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد اخر من
قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق ولعراقته في وصف التلو
والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين ومقتدى به وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان
تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شان المتلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيامة باعتبار
احكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة و

هي

وهي الكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد
لمن سلف من علماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به اي يصدقونه
حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقرآن ولم يصدق
بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلعم فالنار موعده
يرده لا محالة حسبما نطق به قوله تعالى ليس لهم في الاخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له فيها
ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر القرآن وكونه من
عند الله تعالى غب ما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك
الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال
افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فمن في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدا محذوف الخبر
لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين
مصيرهم ومآلهم يعني ان بينهما تفاوتا بعيدا بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار
ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهم وعدم من صفاتهم كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا
والاخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والاجل كما في قوله
تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء و
قوله افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله مفترون عليه كذبا وهذا اعتراض وان كان سبكه على انكار
ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار
المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم
انهم في الاخرة هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم
من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى
وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم والاكتفاء باسناده اليهم حيث
قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل
بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رايهم في اتخاذهم اربابا من
دون الله عز وجل ويقول الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد
او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليهم كان ذلك امر واضح
غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لا يقولون
هؤلاء كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحفظة وهم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة و
مقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول

دون ويشهد لهم وتوطئته لما يعقبه من قوله • ألا لعنة الله على الظالمين • بالافتراء المذكور ويجوز
أن يكون معدا على الوجه الاول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم
اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤس الاشهاد • الذين يصدون • اي كل من يقدرون
على صده او يصدون الصد • عن سبيل الله • عن دينه القويم • ويبغونها عوجا • انحرافا اي يصفونها
بذلك وهو بعيد بمعزل منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا منها يقال بغيتك خيرا او شرا اي طلبته لك وهذا
شامل لتكذيبهم القرآن وقولهم انه ليس من عند الله • وهم بالآخرة هم كافرون • اي يصفونها بالعوج والحال انهم
كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويزعمون ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم
واختصاصهم به كأن كفر غيرهم ليس بشيء عند كفرهم • اولئك • مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير • لم يكونوا
معجزين • الله تعالى مفلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك • في الارض • مع سعتها وان هربوا منها كل
مهرب • وما كان لهم من دون الله • ينصرونهم من بأسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع باعتبار افراد الكفرة
كأنه قيل وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم
من سقوطها عن رتبة الولاية • يضاعف لهم العذاب • استئناف يتضمن حكمة تأخير مؤاخذتهم وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد • ما كانوا يستطيعون السمع • لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كأنهم
لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم
لسائر الآيات المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار
فقال • وما كانوا يبصرون • لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع تعليلا
لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فانها لا تسمع ولا تبصر بمعزل من الولاية وقوله
يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة • اولئك • المنعوتون
بما ذكر من القبائح • الذين خسروا انفسهم • باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز وجل • وضل عنهم ما
كانوا يفترون • من الآلهة وشفاعتها اي خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة
والندامة • لا جرم • فيه ثلاثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله
والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق • انهم في الآخرة هم الاخسرون • وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب
وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور
خسرانهم والثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد انهم في الآخرة هم الاخسرون وايا ما كان فمعناه انهم اخسر من كل
خاسر فتبين انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه
وبين من كان يريد الحياة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة
بينهم وبين احد من الظلمة والاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار
واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب
الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الآية لتبيين ما بينهما من

التباين

التباين البين حالا ومآلا فقيل • ان الذين آمنوا • اي بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده
من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه و
مشاهدة ما يؤدي الى ذلك في الانفس والآفاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع • وعملوا الصالحات
وأخبتوا الى ربهم • اي اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض
المطمئنة ومعنى اخبت دخل في الخبت كأنجد واتهم دخل في تهامة ونجد • اولئك • المنعوتون
بتلك النعوت الجميلة • اصحاب الجنة هم فيها خالدون • دائمون ولما بين التباين بين حاليهما عقلا
اريد تبيينهما حسا فقيل • مثل الفريقين • المذكورين اي حالهما العجيبة لا المثل لا يطلق الا على ما فيه
غرابة من الاحوال والصفات • كالاعمى والاصم والبصير والسميع • اي كحال هؤلاء فيكون ذواتهم
كذواتهم في الكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه
الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الادخل في البلاغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل وان يشبه
ما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول
بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في قوله تعالى
والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام • وليث
الكتيبة في المزدحم • واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور
عليها امر التشبيه بلا تمثيل ثم الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه به من تعامي الفريق الاول من
مشاهدة الآيات المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع آيات القرآن الكريم
وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب
هنا ليكون الاعمى اظهر واشهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم
واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات
حسبما فسرت فيما تم فلا يكون التشبيه تمثيلا لا لجميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر
وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم في الآخر فان
اعتبار ذلك يفضي الى كون التشبيه تمثيلا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تعاميهم وتصامهم
المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة
فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي
الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم
في آيات الله حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع
يستعملهما في مهماته فيهتدي الى سبيله وينال مرامه • هل يستويان • يعني الفريقين المذكورين
والاستفهام انكاري مذكر لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الآية
• مثلا • اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان • افلا تذكرون • اي اتشكون في عدم

الاستواء وما بينهما من التباين او تغفلون عنه فلا تتذكرون ما بالتأمل فيما ضرب لكم من التمثيل فيكون
الانكار واردا على المعطوفين معا او تسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب
وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان المعنى ليس لانكار الانقلاب
بعد تحقق ما يوجب عدمه من خلو الرسل قبل رسول الله صلعم او افلا تعقلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة
انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى ومن
كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة
الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الآيات مفصلها نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه و
ان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر ذلك بفنون التقرير ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من
الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يعارضه من البشر بعد الحجة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية
الرسول عم عما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن
تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عم والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب
شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء صلعم المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة
ليتأكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امروا به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء عم قاطبة والثاني ان
ذلك انما علمه رسول الله صلعم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى بما شاهده من معاناة
الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه • الواو ابتدائية
واللام جواب قسم محذوف وحرفه الباء لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق
هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو
ابن لمك ابن متوشلخ ابن ادريس عليهما السلام على راس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث
وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه
تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين
سنة • اني لكم نذير • بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي
بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح
كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عم نذيرا لا لان دعوته
عم كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عم فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا الى آخره بل لانهم لم يغتنموا مغانم البشارة عم • مبين • ابين لكم موجبات العذاب ووجه
الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور للتخويف والازعاج بل للحذر منه فيتعلق بكلا وصفيه • الا تعبدوا
الا الله • اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم
عن الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عم وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم

يفعل

ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يتفرق بين الكتاب ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة
به او بنذير او مفعول لمبين على قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين
لوجه الخلاص وهو عبادة الله وقوله • اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم • تعليل لموجب النهي وتحقيق
بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيامة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي
للمبالغة كما في نحو نهاره صائم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما عزي اليه
في سائر السور لما لم تصدر عنه عم مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعطف جوابهم
المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عم بعد التثبيت والتأني بالفاء التعقيبية فقيل • فقال الملأ الذين كفروا
من قومه • اي الاشراف منهم من قولهم فلان ملئ بكذا اي مطيق له لانهم ملؤا بكفايات الامور او لانهم ملؤا
القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم
بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم ليسوا بكفرة • ما نراك الا بشرا مثلنا • مرادهم ما انت الا بشر مثلنا
ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة وكذلك تركيبها لا لان ذلك محتمل ولكن لا مراء وكذا
الحال في قولهم • وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي • فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا
مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه على حالة وقد غضب من يشترط
ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني وتعليق الرأي في الاول بالمثلية لا بالبشرية
فقط وانما لم يقولوا ذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ارادة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد
التأمل في الامر والتدبر فيه وكذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سيأتي وتعرضوا من اول الامر برأي المتبعين
فكأن قولهم وما نراك جواب عما يرد عليهم من انه عم ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته واغتنم اتباعه
من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذل اي اخساؤنا وادانينا جمع ارذل فانه
صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل كالكلاب والكلب واكلب يعنون
انه لا عبرة باتباعهم ذلك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي اي ظاهره
من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأ ابو عمرو بها
وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم
مع كونهم اولي الالباب الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها
حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الآخرة
والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك • وما نرى لكم • اي لك وللمتبعين فغلب المخاطب
على الغائبين • علينا من فضل • يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديكم فضيلة تستتبع اتباعنا
لكم واقتصر على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق
ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا • بل نظنكم كاذبين • جميعا

لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك في دعوى النبوة واياهم في تقليدك واقتصارهم على الظن
احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجاراة معهم بطريق الاراءة على نهج الانصاف • قال يا قوم ارايتم
اي اخبروني وفيه ما عا الى ركاكة رايهم المذكور • ان كنت على بينة • برهان ظاهر • من ربي • وشاهد يشهد
بصحة دعواي • وآتاني رحمة من عنده • هي النبوة ويجوز ان تكون هي البينة نفسها جي بها ايذانا بانها
مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله • فعميت عليكم • حينئذ ظاهر و
ان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة و
الاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل اخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت
ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي
قراءة ابي فعماها عليكم على الاسناد الى الله تعالى • انلزمكموها • اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارايتم
وساد مسد جواب الشرط وقرا ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز
في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله • وانتم لها كارهون • لا تختارونها و
لا تتاملون فيها ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي الا انها خافية عليكم
غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر
بصدوره عنه عليه السلام بطريق اظهار الياس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحي الى اخره لكنه
محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها
لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد
البشر بعضها على بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه
وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليها وبالرحمة النبوة التي انكروا اختصاصه
بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه
به دونهم اخبروني ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده فخفيت
عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها الى الان حتى زعمتم اني مثلكم وهي
متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار
وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبهتهم التي ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام
بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشافة ارائهم الركيكة • ويا قوم لا اسالكم
عليه • اي على ما قلت في اثناء دعوتكم • مالا • تؤدونه الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة
اهتدائكم • ان اجري الا على الله • الذي يثيبني في الاخرة وفي التعبير عنه حين نسبه اليهم بالمال وبالاجر من الله مزية
• وما انا بطارد الذين آمنوا • جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه
الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون
فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد • انهم ملاقوا

ربهم

ربهم • تعليل للامتناع عن طردهم اي انهم فائزون في الاخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم
ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم
وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة
فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف
ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف
سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون يابى الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما يستدعيه
ايضا فهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الراي بلا تامل وتفكر وهذا مما لا يكاد يصلح مدارا للطرد
في الدنيا ولا للمؤاخذة في الاخرة غايته انهم لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر
الراي يؤدي الى الرجوع عنه عند التامل بل كانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون
عنه تعسف لا يخفى • ولكني اراكم قوما تجهلون • بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز وعلا وبرتبتهم
عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سياتي وبركاكة رايهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم على ذلك انفة عن الانتظام
معهم في سلك واحد وزعمهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار
[illegible] فتهون على المؤمنين نسبتهم الى الخساسة • ويا قوم من ينصرني من الله • بدفع حلول سخطه عني
ان طردتهم • فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غني
عن البيان لا سيما بعدما قدم ما يلوح به من احوالهم مكانه قيل من يدفع عني غضب الله ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة
والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى • افلا تذكرون • اي اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون
ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما اتوه بمعزل عن الصواب لكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على
وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم • ولا اقول لكم • حين ادعي النبوة
عندي خزائن الله • اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل • بل
نظنكم كاذبين • فان النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه • ولا
اعلم الغيب • اي لا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا
الى الانكار والاستبعاد • ولا اقول اني ملك • حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع
النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي
شيئا من ذلك ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت
مقادير البشر • ولا اقول • مساعدة لكم كما تقولون • للذين تزدري اعينكم • اي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه
اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم • وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا • وللاشعار
بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شانهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شان الذين استرذلتموهم لفقرهم
من المؤمنين • لن يؤتيهم الله خيرا • في الدنيا او في الاخرة فعسى الله ان يؤتيهم خير الدارين ان قلت هذا القول ليس
مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة او استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب و

وحيازة الخزائن مما نفاه عم عن نفسه بطريق التبرؤ والتنزه عنه فمن اي وجه يعطف نفيه على نفيها قلت من جهة
ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها
لا تتسنى ممن ليس على تلك الصفات وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من داب الاراذل فاجاب
عم بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع
الخير «الله اعلم بما في انفسهم» من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عم جازم بان الله تعالى
سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع الاكتفاء بمخالفة كلامهم
وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على الشواهد
الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة «اني اذا لمن الظالمين» اي اذا قلت ذلك لمن الظالمين
لهم بحط مرتبتهم وتنقيص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون
في ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن او
فهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين «قالوا يا نوح
قد جادلتنا» خاصمتنا «فاكثرت جدالنا» اي اطلته او اتيته بانواعه فان الاكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله
فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرت كما في قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله والمراد انهم
وابرزت لهم بينات واضحة الدلول وحججا يلقاها العقول بالقبول والقمهم الحجر برد شبهاتهم الباطلة فضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل «فاتنا بما تعدنا» من العذاب المعجل الذي اشير اليه في قوله اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيامة «ان كنت من الصادقين» فيما تقول «قال
انما ياتيكم به الله ان شاء» يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كفرتم به
وعصيتموه اي يأتيكم عاجلا او آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكانه قيل الاتيان
به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله تعالى «وما انتم بمعجزين» بالهرب ردا بالمدافعة كما تدافعونني
في الكلام «ولا ينفعكم نصحي» النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه الخير من قول او فعل وحقيقته امحاض ارادة الخير
والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى «ان اردت ان انصح لكم»
شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف
من جواب قوله تعالى «ان كان الله يريد ان يغويكم» فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي مبنيا على ما ذهب اليه
سيبويه والبصريون من عدم تقدم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا
ولا ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه
معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز
عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام
بل بطريق التنصيح لهم والشفقة عليهم وبانه لم يال جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين
وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم النفع بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان

القدوم

بان ذلك

بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته
تعالى لاغوائهم وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة
في بيان غلبة جنابه تعالى حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام لا يجديهم عند مجرد ارادة الله تعالى لاغوائهم
فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على
تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله انما ياتيكم به الله ان
شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه
دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده عز وعلا محال وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من
غوى الفصيل غوى اذا بشم وهلك «هو ربكم» خالقكم ومالك امركم «واليه ترجعون» فيجازيكم على اعمالكم لا محالة
«ام يقولون افتراه» قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني نوحا عم ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به
مسندا الى الله عز وجل «قل يا نوح ان افتريته» بالفرض البحت «فعلي اجرامي» اثمي ووبال اجرامي وهو
كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده ان فسر الاول بالآثام «وانا بريء مما تجرمون» من اجرامكم في اسناد
الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلعم ومعناه بل ايقول مشركو مكة
افترى رسول الله صلعم خبر نوح فكانه انما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيقتها وتاكيدا
لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عم وبين
قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم «واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك» المطبوعين
على الكفر واقناط له عم من ايمانهم واعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه «الا من قد آمن» الا من وجد
منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف «فلا تبتئس بما كانوا يفعلون»
اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة
فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم «واصنع الفلك» ملتبسا «باعيننا» اي بحفظنا وكلاءتنا كان معه
من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤنه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة «ووحينا» اليك
كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل
جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان
يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عم انه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء يصنعه بامره تعالى ووحيه شانه
كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب
الساج وجعلت ثلثة بطون حمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب
والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم عم
وقيل جعل في الاول الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير وقيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسين ذراعا وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين
قالوا لعيسى عم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ

كما من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال
فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام
اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثمة شبت فقال حدثنا عن
سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين
ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا
تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم
بالاغراق وقد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة
للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل واخذ
يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع واياما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة
حالا من ضميره اعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة
اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه
كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون و
يقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عم كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم
ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك
فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عم عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي
لا يكاد تطاق واستجهاله عم في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم
اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عم
سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عم ولذلك
تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الى آخره فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عم
اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عم اياهم بذلك لا لان فقده عم اياهم جاهلين
فيما يأتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منه لكنه عم لم يكن يظهره جريا على نهج الاخلاق الحميدة
وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فلان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم منه ولم
يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الى آخره بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن
به الاستئناف فكان سائلا سأل فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي
ان تستجهلونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وسخروا منا لاجله
فانا نستجهلكم فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي
والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل كما
تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرار حسبما صدر عنكم ملأ غب ملأ لا في الكيفيات و

الاحوال

والاحوال التي لا تليق بشأن النبي عم فلا يلزم وقوع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل
سخريتكم اذا وقع عليهم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل المراد به معاملتهم معاملة من يفعل ذلك لان نفس
السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا يسد اذله لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري
مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل
عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي استفهامية في حيز الرفع او موصولة
في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعوليه او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار
سخريتهم استجهالهم اياه عم في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان
ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من يأتيه العذاب
يعني ان ما باشرناه ليس فيه عذاب لاحق بنا في سوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه
ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة وفي التعرض لحلول العذاب
المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا
حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير
فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استئناف على تقدير السؤال كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه
بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عم وتحمله لاذيتهم
لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء و
ارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عم اذا رأيت الماء
يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عم و
كان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع
مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع
بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رض وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع
في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا
من كل اي من كل نوع لا بد منه في الارض زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى
كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين فكل منهما زوج للآخر
وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة
الاعمال منه عم في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روي عم قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين
فحشر الله اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى
فيجعلها في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانه انما يحمل بمباشرة
البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه و
نساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية

والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر
كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن
اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
وقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى • ومن آمن • من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار
صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ من للانذار بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما آمن معه الا قليل •
قيل كانوا ثمانية نوح وامرأته المسلمة وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه
انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث
ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر
الامان والنجاة • وقال • اي نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير
الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج
او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين • اركبوا فيها • كما سيأتي مثله في قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء
متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله هاهنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان الظاهر انه روي
انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية
جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية
كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله تعالى والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه
الآية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها
بسم الله • متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله • مجريها ومرساها •
نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء
بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او اريد القول
ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا
فيها مجراها ومرساها باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او جملة مقتضبة على ان نوحا عليه السلام
امرهم بالركوب فيهم ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكون كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد
ان يجريها يقول بسم الله فجرت واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما في
قوله تعالى الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرساها
على صيغة اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله تعالى وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين
من جرى ورسا • ان ربي لغفور • للذنوب والخطايا • رحيم • لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية
الدهماء ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه
وغفرانه ورحمته على ما عليه رأي اهل السنة • وهي تجري بهم • متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب

اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم • في موج كالجبال • وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة
من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري
في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن صح ذلك
فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى • ونادى نوح ابنه • فان ذلك انما يكون قبل ان تنقطع
العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المقاولة بالاستدعاء الى السفينة والجواب
بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشدة
لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه ارفع من
ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ
حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء الى السفينة فانه صريح في انه لم ييأس من حياته بعد
• وكان في معزل • اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا والاحتياج
الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد انفرد عنهم فظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل
كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال
ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في
كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك • يا بني • بفتح الياء اقتصارا عليه من الالف
المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة او سقطت الياء والالف
لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة • اركب معنا • قرأ ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في
الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث امكن الحذف
دون التعريض مع اغناء المعية عن ذلك • ولا تكن مع الكافرين • اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك
الا في الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة
فلا يلائمه النهي عن الكفر • قال ساوي الى جبل • من الجبال • يعصمني • بارتفاعه • من الماء • زعما منه ان ذلك كسائر
المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد وقع السيل الزبى وجهلا بان ذلك
انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة
الحال فيصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه
عاصما من الماء بان يقول لا يعصمك منه فيفيد النفي وصف العاصمية فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف
اصلا لكنه عليه السلام حيث • قال لا عاصم اليوم من امر الله • سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا
وصفة كما في قولهم ليس فيها داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين
وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء
الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل الاضمار بامر الله اي عذابه الذي يشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما
لشأنه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض

المهار بالمهودة وتعليلاً للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيداً لحصر العصمة في جناب الله عز
جاره بالاستثناء كأنه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيماً لشأنه الجليل بالابهام ثم التفسير
وبالاجمال ثم التفصيل واشعاراً بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقتها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عز وجل بتحقيق
ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شأن الداعية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئاً
وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا مكان من رحمه الله وهو الفلك
وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى • وحال بينهما الموج • اي بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما
من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين
ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصماً وان لم يحل بينه وبين الملتجأ اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر
الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امراً مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم •
وقيل يا ارض ابلعي • اي انشفي استعير له من ازدراد الحيوان ما يأكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف
المعتاد التدريجي • ماءك • اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار
وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل
ويا سماء اقلعي • اي امسكي عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى
اي سكنت • وغيض الماء • اي نقص من السماء والارض من الماء • وقضي الامر • اي انجز ما وعد الله تعالى
نوحاً من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر • واستوت • استقرت الفلك • على الجودي • وهو جبل
بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك
اليوم شكراً فصار سنة • وقيل بعداً للقوم الظالمين • اي هلاكاً لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار
بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة
من مراتب الاعجاز قاصيتها • وملكت من غرر المزايا ناصيتها • ولقد تصدى لتفصيلها • وسعى ان ذلك فوق ما يصفه
الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام في هذا الباب • ونفوض الامر الى تأمل اولي الالباب • والله عنده علم الكتاب
ونادى نوح ربه • اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله • فقال رب ان ابني من اهلي • وقد وعدتني انجاءهم
في ضمن الامر بحملهم في الفلك او النداء على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال • وان وعدك الحق • اي
وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولاً اولياً • وانت احكم الحاكمين
لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام
على طريقة دعاء ايوب عليه السلام ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين • قال يا نوح • لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعده
حتى ذكره مبنياً على كون كنعان من اهله نفى اولاً كونه منهم بقوله تعالى • انه ليس من اهلك • اي ليس منهم
لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم
في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريق
الاستئناف التحقيقي بقوله • انه عمل غير صالح • اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء

فانما هي

فانما هي اقبال وادبار • وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شأنه الصلاح فلا يكون
نصاً فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاته انما هي لصلاحه وقرأ الكسائي
ويعقوب انه عمل غير صالح اي عمل عملاً غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنياً على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله
وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال الانجاء الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج
فيه ذلك اندراجاً اولياً فقيل • فلا تسألن • اذ وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني • ما ليس لك به
علم • اي مطلباً لا تعلم يقيناً ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق
فيكون النهي وارداً بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى
وعلى التقدير الثاني فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس
استفساراً عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم
يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه
حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه
في قلة الجبل وما يأباه تذكير الوعد في الدعاء فانه مخصوص بالانجاء في الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله
الا من رحم ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلاً عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته
وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهراً بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه السلام ان يدعوه الى الفلك او يدعو ربه
لانجائه واعتزاله عنه عليه السلام وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك
لجهله باختصاص النجاة بالفلك وزعمه ان الجبل ايضاً يجري مجراه او لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله
سآوي الى جبل يعصمني من الماء بعدما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في ايمانه حيث لم يقل
اكون معهم او ساوي وبعضهم فان افراد نفسه بالنسبة الى الفعل المذكور ربما يشعر بانفراده من
الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عليه السلام الا انه عليه السلام لو تأمل في شأنه حق التأمل وتفحص
عن احواله في كل ما يأتي ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل • اني
اعظك ان تكون من الجاهلين • فعبر عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسألن بنون التأكيد الخفيفة وبالنون المثقلة
بياء وبغير ياء • قال رب اني اعوذ بك ان اسألك • اي اطلب منك من بعد • ما ليس لي به علم • اي مطلوباً لا
اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلباً لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه
صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في
التوبة واظهاراً للرغبة والنشاط فيها وتبركاً بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك
لما فيه من الدلالة على كون ذلك امراً هائلاً محذوراً لا محيص عنه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره
الا بذلك • والا تغفر لي • ما صدر عني من السؤال المذكور • وترحمني • بقبول توبتي • اكن من الخاسرين
اعمالاً بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله لا سيما عند وصول مثل مبادئ النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك
الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصاً بمبادئ خلاص من قيل في شأنه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في امره

مقابلة غير رابحة وخسران مبين وتأخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال
الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب
قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله
بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة للنسب وان لا يتقدم على الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين وقياسه
على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ
قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة
على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ
قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الآية لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك
وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبع ذلك وهو نوع من الامور العظيمة ولو وقعت
القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس
مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الى آخره
لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى مستتبع لذكر ما مر
من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عم المؤدي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عم من
الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما سيجيء مفصلا ولا ريب في ان ذلك انما
يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من
المغرقين وبهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر
ولو ذكر النداء السابق عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله تعالى انه ليس
من اهلك الى آخره انه ينجو بدعائه عم فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء
الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريان
قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على الجودي
فقطعت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك اي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح
وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عم قبولها بقوله **قيل يا نوح اهبط** اي انزل من الفلك
وقرئ بضم الباء • **بسلام** • **منا** • اي بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال
سلام على نوح في العالمين • **وبركات عليك** • اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم
من انواع الارزاق وقرئ وبركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان
انواع الخيرات عليه في كل باب • **وعلى امم** • **ناشئة** • **ممن معك** • متشعبة منهم فمن ابتدائية و
المراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة • **وامم سنمتعهم** • اي ومنهم امم على انه خبر حذف لدلالة
ما سبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا
على صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليهم وانما يعينهم ذلك من كونهم مع نوح عم ومن الكفر

دنياهم

دنياهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك وانما سموا امما لانهم
امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تتشعب منهم فحينئذ يكون المراد بالامم المذكورة في قوله تعالى
وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة ويبقى امر الامم
المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبر المحذوف
خفاء لان من المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية او ابتدائية فتأمل • **ثم يمسهم** • اما في الآخرة او في
الدنيا ايضا • **منا عذاب اليم** • عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده
من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب
وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم • **تلك** • اشارة
الى ما قص من قصة نوح عم وما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدأ خبرها • **من انباء
الغيب** • اي من جنسها اي ليست من قبيل سائر الانباء بل هي نسيج وحدها منفردة عما عداها او بعضها
نوحيها اليك • خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع
لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة اليك • **ما كنت تعلمها انت ولا قومك** • خبر آخر اي
مجهولة عندك وعند قومك • **من قبل هذا** • اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي
كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك
بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عم لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف بواحد منهم • **فاصبر** •
متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ
قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع
البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك الى آخره • **ان العاقبة** •
بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة • **للمتقين** • كما شاهدته في نوح عم وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي
تسلية لرسول الله صلعم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين مع كونه في اقصى درجات التقوى والمؤمنون
كلهم متقون مما يسليه عم ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد
بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى
ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى
الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر
فان العاقبة للصابرين • **والى عاد** • متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عم وهو الناصب
لقوله تعالى • **اخاهم** • اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور
على المنصوب هنا للحذر عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا
وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى • **هودا** • عطف بيان لاخاهم وكان عم من جملتهم فان هود بن عبد الله بن
رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل

منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة للسؤال عما
قال لهم ودعاهم اليه اخرجه بطريق الاستيناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله
تعالى ما لكم من اله غيره فانه استيناف يجري مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه
بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على
لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه
تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما
عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل الصلة
فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي لا يتأتى الا بالجريان على موجب
امره الغافل معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر افلا تعقلون اي تغفلون عن هذه القضية او لا
تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء
ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه
اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبرؤ عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي
المطر عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة
المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم
عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه
مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه
لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر وما نحن بتاركي آلهتنا اي بتاركي عبادتها
عن قولك اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل
على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تأتي وتذر فيندرج
تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى
ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها
وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون
والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة
مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام منهم تقرير لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن
قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه السلام كما قالوه وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله
وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل
الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد
سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه عليه السلام بالبينة

مع احتما

مع احتمال كونه ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وان لم تكن واضحة الدلالة على المراد ثم ثانيا عن ترك الامتثال
لقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم
له عليه السلام في كلامه بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا
حيث قالوا ما قالوا قاتلهم الله اني يؤفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه
اي من اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء
المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل عن ذلك وانما كان ما وقع لا لانه عليه السلام في حق آلهتهم
من كونها بمعزل من الالوهية انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه
مما يورث شيئا حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به
حيث اخبر ببراءته القطعية عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك
ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به
قولهم بعض آلهتنا والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه السلام ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال
فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد
عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني
في ذلك فالقاء تنويع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى براءته كليهما وهذا من اعظم المعجزات
فانه عليه السلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم
بما خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب
المعارضة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن
منيع واعتصم بحبل متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي
مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء
المناسب للمقام واثق بكلائته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته
ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها
كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم لما دل عليه التوكل
من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته
ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان فائدة كونه تعالى مالكا لهم
راجعة اليه عليه السلام فان تولوا بحذف احدى التاءين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم
الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف
في ديارهم واموالهم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على

على الموضع كأنه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اضافة الرب اليه عم
رمز الى اللطف به والتدمير لمخاطبيه ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن
جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربي على كل شئ حفيظ اى رقيب مهيمن فلا يخفى عليكم فيجازيكم بحسبها
او حافظا مستول على كل شئ فكيف يضره شئ ومستوليا فقط للكل ولما جاء امرنا اى نزل عذابنا وفي التعبير
عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجئ ما لا يخفى من التفخيم والتهويل وبدل عذابنا بالعذاب نجينا
هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف برحمة عظيمة كائنة منا وهي الايمان الذي انعمنا
عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب غليظ اى كانت تلك النجاة تنجية من عذاب غليظ و
هي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب
الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجئ الامر لكن جئ بها تكملة للنعمة عليهم
وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث
اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها ما استيقنوها
وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عم تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان
ان عصيانهم له عم عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله
فيجوز ان يراد بالآيات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة ملائمة لما تقدم من جميع الآيات
وما تأخر من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال واتى بلفظ الرسل
فكأنه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل
في الشمول لكل فرد فرد منهم فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء والعنيد فعيل من عند وعند
اذا طغا والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اى جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وان
ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء
لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيامة اى اتبعوا يوم القيامة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى
عليها وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه لم يجمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا وفي الآخرة
ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالاخروية
الثواب والرحمة الا ان عادا كفروا ربهم اى بربهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او
جحدوه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اى هلاكا تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار
وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد
فائدته التمييز عن عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود وهم قومه
والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح

عليه السلام هو ابن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة
لان يسأل ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله اى وحده وعلل
ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم زيد فيما يبعثهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه
بقوله هو انشأكم من الارض اى هو كونكم وخلقكم منها لا غيره فهو قصر قلب او قصر افراد فان خلق آدم عم
منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقه عم لم تكن مقصورة في نفسه بل كانت انموذجا منطويا على
خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيامة انطواء اجماليا وقيل ان خلق آدم عم وانشاء مواد النطف التي
منها خلق نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم فيها من العمر اى عمركم واستبقاكم
فيها او من العمارة اى اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم
بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه
فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه
من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اى قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب
من المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة
على الامر بالاستغفار والتوبة واخر عنه ذكر العلة الغائية المتأخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجوا اى كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد ان تكون لنا سيدا
ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا
وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الآلهة او قبل هذا الوقت
فكأنهم لم يكونوا الى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقوله
عليك مرجوا ابدا والهمزة في قوله أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا اى عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
وانا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة
مريب اى موقع في الريبة من ارابه اى اوقعه في الريبة اى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة او
من اراب اذا كان ذا ريبة واياما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي شك للتفخيم قال يا قوم
أرأيتم اى اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة اى حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي
ومتولي امري وآتاني منه من جهته رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت
بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ومراعاة لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله اى
ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة
وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله ان عصيته اى بالمساهلة في تبليغ
الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وتذرون فان العصيان ممن ذلك شأنه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار
نصرته ادخل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى
لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى تزيدوه غير تخسير اى غير ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي

سخط الله تعالى او فما تزيدونني بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناها
والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما يقتضيه من كونه
على بينة من ربه وايتائه النبوة • ويا قوم هذه ناقة الله • الاضافة للتشريف والتنبيه على انها مفارقة لسائر
مجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق • لكم آية • معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما
في هذه من معنى الفعل ولكم حال من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون
ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية • فذروها • خلوها وشأنها • تأكل في ارض الله • ترع
نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لترتيب استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشأنها
• ولا تمسوها بسوء • بالغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس الذي هو من مبادي الاصابة
ونكر السوء اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها • فيأخذكم عذاب
قريب • اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمى الكاتبة ناقة عشراء مخترجة جوفاء وبراء
وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا
ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم
ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما
فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب
منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك • فعقروها • حيث زينت
عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا
ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها
• فقال • لهم صالح • تمتعوا • اي عيشوا • في داركم • اي منازلكم او في الدنيا • ثلاثة ايام • قيل قال لهم تصبح وجوهكم
غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب • ذلك • اشارة الى ما يدل عليه
الامر بالتمتع ثلاثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه • وعد غير مكذوب • اي غير
مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله • ويوم شهدناه سليما وعامرا • او غير مكذوب كأن الواعد
قال له أفي بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول • فلما جاء امرنا
اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل • نجينا صالحا والذين آمنوا معه • متعلق بنجينا او
بآمنوا • برحمة • بسبب رحمة عظيمة • منا • وهي بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين
برحمة ورأفة منا • ومن خزي يومئذ • اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كما نجيناهم
من عذاب غليظ على معنى انه كانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته او ذلهم وفضيحتهم
يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيامة بعد تنجيتهم اياهم
من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ههنا وفي المعارج في قوله من

عذاب

عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ • ان ربك • الخطاب لرسول الله صلعم • هو القوي العزيز
القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا سيما عند الانباء بحلول العذاب
اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال • واخذ الذين ظلموا • عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم
بالظلم واشعارا بعلته لنزول العذاب بهم • الصيحة • اي صيحة جبريل عم وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت
كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها
وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء • فاصبحوا • اي صاروا • في ديارهم • اي بلادهم او مساكنهم • جاثمين
هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك
عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول
غضبك قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عم
فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم الاحد تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم
الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا • كأن لم يغنوا • اي كأنهم لم يقيموا • فيها • في بلادهم او مساكنهم ومحله النصب على
الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط • الا ان ثمود • وضع موضع المضمر لزيادة
البيان ونونه ابو بكر ههنا وفي النجم وقرأ حفص ههنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين • كفروا ربهم
صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك
في قوله تعالى • الا بعدا لثمود • وقرأ الكسائي بالتنوين • ولقد جاءت رسلنا ابراهيم • وهم الملائكة عن
ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل عم وملكان وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك
كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم
وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال
لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عم بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤوه لداعية البشرى
ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب
بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عم ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة
غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه
حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا • بالبشرى • اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة
للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق الآية وقوله وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه
بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع
المجادلة على مجيئها كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام في شأنهم
والاظهر انها البشارة بالولد وسيأتي سر توزيع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة
لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم • قالوا سلاما • اي سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون
نصبه بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما • قال سلام • اي عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من

تحية وقرئ سِلْم كحِرْم في حرام وقرأ ابن ابي عبلة قال سلامًا وعنه انه قرأهما بالرفع فيهما فما لبث اي ابراهيم
ان جاء بعجل اي في المجيء به او ما لبث مجيئه بعجل حنيذ اي مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين
يقطر ودكه لقوله بعجل سمين من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه
ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف
ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم
وهذا الانكار منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكار المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤيته عدم اكلهم وانما وقع
ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا ترى الى قوله تعالى في سورة الذاريات سلام
قوم منكرون واوجس منهم اي احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب
قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم لا من جهة غيرهم ولحقيقة ان
تأخيره التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف قالوه لما رأوا منه
مخايل الخوف اذا رأوه لم يقل بعد اظهرها كما قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك هاهنا
اكتفاء بهذا انا ارسلنا ظاهره انه استئناف في معنى التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل
لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا
انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه
جوابًا عن سؤاله عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر
بحيث تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة
تسمع مقالتهم فضحكت سرورًا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعًا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت
تقول فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطًا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل
فضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق اي عقبنا
سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لفعل دل
عليه قوله فبشرناها اي وهبنا لها من وراء اسحق يعقوب مولودًا او موجودًا وكلا الاسمين داخل في البشارة
كيحيى او واقع في الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة هاهنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام
وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على
الولد قالت استئناف ورد جوابًا عن سؤال من شأنه ان يقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت
يا ويلتى اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرئ
بالياء على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي
الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت أألد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا
الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي واصل البعل القائم بالامر شيخًا وكان ابن مائة وعشرين سنة
ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي

بدل

بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في ألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله
اي أألد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة
اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحًا ولان
العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع من الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور
واقتصارها على الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولد الولد فلا يتعلق
بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة
فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل
عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا أتعجبين من امر الله
اي قدرته وحكمته او تكوينه او شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة
ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها
ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد ممن
يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس و
ان تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك اشاروا بقولهم رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء واستتبعت
كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من جملتها
هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليه السلام
عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة
الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضًا ليكون جوابهم لها جوابًا له ايضًا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها و
الجملة كلام مستأنف علل به انكار تعجبها كأنه قيل اياك والتعجب فان الله تعالى على كل شيء قدير وليسم اهل بيت
النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية
الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد
كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم
الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض
احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السباق او السياق
وتأخير الفاعل عن الظرف لما مر مرارًا من التشويق وجاءته البشرى ان فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف
ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شأنهم وعدل الى صيغة
الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمهما فلعل سببيتها
لها من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة وفي السنة انه عليه السلام قال لهم حين قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلًا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال
فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم ان كان فيها رجل مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان

ان فيها لوطا **قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله** ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم عم
قد علم انهم مرسلون للاهلاك فقام لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يتعد على مجادلتهم في شانهم بما شانهم الله
بشارتهم ففيما ذهب عنه الروع وفرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك قلنا سبحانه لما قالوا لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط فلما كان لوط عم على شريعة ابراهيم عم وقومه مكلفين بها فلما راى من الملائكة ما راى خاف
على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما العلم
عم بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله الموفق **ان
ابراهيم لحليم** غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه **اواه** كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس
منيب راجع الى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عم على ما صدر عنه من المجادلة
يا ابراهيم اي قالت الملائكة يا ابراهيم **اعرض عن هذا** الجدال **انه** اي الشان **قد جاء امر ربك** اي
قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام
الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر **وانهم اتيهم عذاب غير
مردود** لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما **ولما جاءت رسلنا لوطا** قال ابن عباس رضي انطلقوا من
عند ابراهيم عم الى لوط عم وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صور غلمان مرد حسان الوجوه
فلذلك **سيء بهم** اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم
وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الى الضم روي ان الله تعالى قال للملائكة
لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه
القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله
ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت به قومها وقالت في بيت لوط رجال ما رايت مثل وجوههم قط
وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض
للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة
وكانه قدر البدن مجازا اي ان بدنه ضاق صدره من احتمال ما وقع وقيل الذرع اسم للجارحة من المرفق الى
الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطتها طولها
ووجه التمثيل ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذراع تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرب
مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر **وقال هذا يوم عصيب** شديد من عصبه اذا شده **وجاءه
قومه يهرعون** اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله
ومن قبل اي من قبل هذا الوقت **كانوا يعملون السيئات** اي جاؤوا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين
في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين
مجاهرين **قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم** فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم و
عدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبي صلعم ابنتيه

عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان
يزوجهما ابنتيه وايا ما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى
على الحقيقة من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهارا لشدة امتعاضه فيما اوردوا
عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار
العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما سيعرف عليه
فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم **ولا تخزون في ضيفي** اي لا تفضحوني في شانهم فان
اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء **اليس منكم رجل رشيد** يهتدي الى الحق
الصحيح ويرعوي عن الباطل القبيح **قالوا** معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله والنهي عن اخزائه
مجيبين عن اول كلامه **لقد علمت ما لنا في بناتك من حق** مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت
ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك وما عرضك لا عرض سابري ومطمع لنا في ذلك **وانك لتعلم ما نريد** من اتيان
الذكران ولما يئس عم من ارعوائهم عما هم عليه من الغي **قال لو ان لي بكم قوة** اي لو قويت بنفسي على دفعكم او فعلت
بكم ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او كلم به الموتى **او آوي الى ركن شديد**
عطف على ان لي بكم قوة الى آخره لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر عزيز
قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلعم رحم الله اخي لوطا كان ياوي
الى ركن شديد روي انه عم اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما
رات الملائكة ما على لوط من الكرب **قالوا** اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه **يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك** بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب ودخلوا فاستاذن
جبريل عم ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان
وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا
فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة
فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى والفاء
لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل اليه عم **بقطع من الليل**
بطائفة منه **ولا يلتفت منكم** اي لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه احد منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك
ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم
الا امراتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وقرئ
بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين
فان النصب يقتضي كونها غير مامورة بالاسراء بها والرفع كونها مامورة بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع
انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان يسري هي بنفسها كما روي
انه عم لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسري بها

عليه السلام من غير تعرض لذلك اذ موجب التشبث انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها فانما
النهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء
بها مأمورا به قطعا وفي حمل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية
مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كسر على ما فر منه من المناقضة فالاولى حينئذ جعل الاستثناء على القراءتين
من قوله ولا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قرأه بالنصب وان كان الافصح الرفع على
البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق
الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله • انه مصيبها ما اصابهم • من العذاب قيل هو
امطار الحجر وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشأن وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم
مبتدأ والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشأن وفيه ما لا يخفى من تفخيم شأن ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء
منقطعا على قراءة الرفع • ان موعدهم الصبح • اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن
الالتفات المشعر بالحث على الاسراع • اليس الصبح بقريب • تأكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع
في الاسراء للتباعد عن موقع العذاب وروي انه قال للملائكة عم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد
اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب
حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين • فلما جاء امرنا • اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح
• جعلنا عاليها • اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مدائن فيها اربعمائة الف
• سافلها • اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق
القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد
عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي انه جعل جبريل عم جناحه في اسفلها
ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار
الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب • وامطرنا عليها • على اهل المدائن او
شذاذهم • حجارة من سجيل • من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل من
اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي
مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا • منضود • نضد في السماء
نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار • مسومة • معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض
او حمرة او بسيما تتميز به من حجارة الارض او باسم من ترمى به • عند ربك • في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل
• وما هي • اي الحجارة الموصوفة • من الظالمين • من كل ظالم • ببعيد • فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون
بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلعم انه سأل جبريل عم فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم
الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم
واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي شيء بعيد او مكان بعيد

فانها وان

فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هويها منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكأنها بمكان
قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث • والى
مدين • اي اولاد مدين بن ابراهيم عم او جعل اسما للقبيلة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه
• اخاهم • اي نسيبهم • شعيبا • وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته
قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا • قال • استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر الكلام فانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام
• يا قوم اعبدوا الله • وحده ولا تشركوا به شيئا • ما لكم من اله غيره • تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به وبعدما
امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب ما اعتادوه من البخس والتطفيف بعادة
مستمرة فقال • ولا تنقصوا المكيال والميزان • كي لا تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس • اني اراكم بخير
• اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تأتون من المساءة
والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت
بعلة اخرى اعني قوله عز وجل • واني اخاف عليكم • ان لم تنتهوا عن ذلك • عذاب يوم محيط • لا يشذ
منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم القيامة والاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب
على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا
احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر و
النهي جميعا • ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط • اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان
فان الزيادة في الكيل والوزن وان كانت تفضلا مندوبا اليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص فلعل الزائد
للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي
عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انهم لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص
والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم • ولا تبخسوا الناس
بسبب نقصها وعدم اعتدالها • اشياءهم • التي يشترونها بها وقد صرح بالنهي عن البخس بعدما علم
ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشأنه وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد
الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء
المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما في
قوله تعالى • ولا تعثوا في الارض مفسدين • فان العثي يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد
وقيل البخس المكس كأخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى • افي كل اسواق العراق
اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم • والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة
الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عم من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه و
لا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم ومصالح دينكم • بقية الله • اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه

عن تعاطي المحرمات ﴿خير لكم﴾ مما تجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم
ان فيه خيرا كما تعبرون ... ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا
والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي ﴿وما انا عليكم
بحفيظ﴾ احفظكم من القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت
ولم آل في ذلك جهدا او وما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع ﴿قالوا
يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا﴾ من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله
وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال
حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الآمر بذلك حتى ادعوا ان لا آمر به من العقل واللب اصلا وانه من احكام
الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلوتك التي هي من
نتائج الوسوسة وافاعيل المجانين تأمرك بان نترك عبادة الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه
عليه السلام مأمورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه عليه السلام لم يكن يأمرهم
بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان يعلمهم بانه مأمور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر
الى الصلوة من بين سائر احكام النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلوة معروفا بذلك وكانوا اذا رأوه يصلي
يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر الدين ضحكة لهم وقرئ اصلوتك ﴿او ان
نفعل في اموالنا ما نشاء﴾ جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اي
او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء في الفعلين
عطفا على مفعول تأمرك اي اصلوتك تأمرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما قبل
يستدعي ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس
الايفاء فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم يجعل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مأمورا به
تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلوتك تأمرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى اصلوتك
تأمرك بما ليس في وسعك وعهدتك غير ... لكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه عليه السلام واستهزاء به من تلك
الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر وتبعيدهم عنه عليه السلام من اكثار الدعوة ما يدل على ذلك او
يوجهه واني ذلك فتأمل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اي وان تفعل انت في اموالنا
عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء ﴿انك لانت الحليم الرشيد﴾ وصفوه عليه السلام بوصفين
على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون
تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة
فيأباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلوة الدين كما قيل ﴿قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي﴾
اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره

ونهيه

ونهيه غير مستند الى سند ﴿من ربي﴾ ومالك اموري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على بينة من البينات
والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ﴿ورزقني منه﴾ اي من لدنه
﴿رزقا حسنا﴾ هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا وذلك
مناط الحيوة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اي تقولون في شأني ما تقولون
والمعنى انكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح ان
ينفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امركم به من التوحيد
وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به آمر العقل ويقضي به قاضي الفطنة
وانما يأمر به صلوتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك اموري
ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في
شأني وشأن افعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق والسباق ويساعده
النظم الكريم واما ما قيل من ان المحذوف ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي
مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فمعزول
من ذلك وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى أدينك تأمرك بترك عبادة الآلهة
العديدة وترك التصرف المطلق في اموالنا وتجالفنا في ذلك وشق عصانا ومعنى ما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك
انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما كان في قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا وانما ورد
على هذا النمط فاجيبوا بما اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى وينبغي
حينئذ اخبروني ان كنت نبيا من عند الله ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين ايصح ان اخالف امره واوافقكم
فيما تأتون وما تذرون ﴿وما اريد﴾ بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ﴿ان اخالفكم الى ما
انهاكم عنه﴾ اي اقصده بعد ما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو
مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ﴿ان اريد﴾ اي ما اريد بما اباشره من الامر والنهي ﴿الا
الاصلاح﴾ الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ﴿ما استطعت﴾ اي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد به
للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه ﴿وما توفيقي﴾ اي كوني
موفقا لتحقيق ما انحيه من اصلاحكم ﴿الا بالله﴾ اي بتأييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق مستند
اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة
اليه بارادته من استبداده بذلك ﴿عليه توكلت﴾ في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور وما
عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من مرتبة الاستمداد به والاستظهار
﴿واليه انيب﴾ اي ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كوني موفقا لاصابة الحق والصواب
في كل ما آتي واذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي
واليه انيب اي عليه اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب

للتنزر والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصعوبة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عم من مراعاة لطف المراجعة
ورفق الاستنزال والملاطفة عملا على قواعد حسن المجاورة والمحاورة وتمهيدا لمعاقد الحق بطلب التوفيق من جناب
الله عز وجل والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ وعدم المبالاة بمعاداتهم و
اما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع الاختياري بالفعل الى الله تعالى
لا الرجوع الاضطراري للجزاء او ما يعمه • ويا قوم لا يجرمنكم • اي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته
مالا • شقاقي • معاداتي واصلها ان احد المتعاديين يكون في عدوة وشق والاخر في اخر • ان يصيبكم
مفعول ثان ليجرمنكم اي لا يكسبنكم معاداتكم لي ان يصيبكم • مثل ما اصاب قوم نوح • من الغرق او قوم
هود • من الريح • او قوم صالح • من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته
جاذما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين
كسبته مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول اصح وادور على
السنة الفصحاء وقرأ ابو حيوة مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله • لم يمنع الشرب منها
غير ان نطقت • حمامة في غصون ذات اوقال • ومفعولا وان كان بحسب الظاهر منهيا للشقاق الموجب
كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عم على الطف اسلوب وابدعه كما مر
في سورة المائدة عند قوله تع ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية • وما قوم لوط منكم ببعيد • زمانا او مكانا فان لم
تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم فكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى
بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او
ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان المراد
وما اهلاكهم على نية المضاف او وما هم بشيء بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من
حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة المصادر
كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون
من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال • واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه • مر تفسيره مثله في اول
السورة • ان ربي رحيم • عظيم الرحمة للتائبين • ودود • مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن
يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما • قالوا يا شعيب
ما نفقه كثيرا مما تقول • الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مرادك وانما قالوه بعدما سمعوا منه
دلائل الحق البين على احسن وجه وابلغه • وضاقت عليهم الحيل • وعيت بهم العلل • فلم يجدوا الى محاورته سبيلا
سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب
والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا
يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المؤاخذة و
العقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير عن عواقب الامم الخالية ولذلك قالوا • وانا لنراك فينا • فيما بيننا •

ضعيفا

ضعيفا • لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والدفع • ولولا رهطك • لولا مراعاة
جانبهم لا لخوفهم يخوفوننا ويدافعوننا • لرجمناك • فان مانعة الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة
لهم وهم الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل • وما انت علينا بعزيز • مكرم محترم
حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنك للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم
يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن الخبر فعليا يخبر خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل
لا سيما مع قرينة قوله • ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث
كان غرضهم من عظمتهم هذه عائدا الى نفي ما فيه عم من القوة والعزة الربانيين حسبما يوجبه كونه على بينة
من ربه مؤيدا من عنده وبمقتضيه طلب التوفيق منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك
كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عم في جوابهم • يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله • فان الاستهانة
بمن لا يتعزز الا به عز وجل استهانة بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما
هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم
اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح و
الحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا • واتخذتموه • بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره
وراءكم ظهريا • شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالي به منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب
كالامسي في النسبة الى الامس • ان ربي بما تعملون • من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه
• محيط • لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون الانكار للرد والتكذيب
فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عم لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم
الله حق قدره العزيز او لم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة • ويا قوم اعملوا •
لما راى عم اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤوا على العظيمة التي هي الاستهانة
به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد • اعملوا على مكانتكم • اي على غاية تمكنكم
واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قال له عم ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون
على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة
والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي
وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل • اني عامل • على مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني
بانواع التأييد والتوفيق • سوف تعلمون • لما هددهم عم بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة
ان يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل سوف تعلمون • من يأتيه عذاب يخزيه • وصف
العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عم به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا
بجناية عظيمة • توجبه • ومن هو كاذب • عطف على من يأتيه لا على انه قسيم له بل حيث اوعدوه بالرجم و

وكذبوا قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه
وفي نسبته إلى الضعف والهوان وفي ادعائهم الإبقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين
بالفعلية والاسمية لأن كذب الكاذب ليس بمترقب كإتيان العذاب بل إنما المترقب ظهوره والكذب السابق
المستمر ومن إما استفهامية معلقة لفعل العلم عن العمل كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا
كاذب وإما موصولة أي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما
أقول إني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع وفي زيادة
معكم إظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بأمره ولما جاء أمرنا أي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه أو وقته فإن الارتقاب مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الإيمان
الذي وفقناهم له أو برحمة كائنة منا لهم وإنما ذكر بالواو كما في قصة هود عليه السلام لأنه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري
مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فإنه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك
وعد غير مكذوب وقوله إن موعدهم الصبح وأخذت الذين ظلموا عدل عنه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم
وإشعارا بأن أخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا وفي سورة
الأعراف فأخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة
المستتبعة لتموج الهواء المفضي إليها كما مر فيما قبل فأصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لأماكنهم لا براح لهم
منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله سوف تعلمون من يأتيه عذاب إلخ نفس مجيء العذاب بل من يجيئه
بعد ذلك كما مر استلزم الوقوع غنيا عن الإخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجيته شعيب عليه السلام وإهلاك الكفرة جوابا له و
مقصودا بالإفادة وإنما قدم تنجيته اهتماما بشأنها وإيذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب
الذي يظهر أثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كأن لم يغنوا أي لم يقيموا فيها متصرفين في أطرافها
متقلبين في أكنافها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الإضمار إلى الإظهار ليكون أدل على
طغيانهم الذي أداهم إلى هذه المرتبة وليكون أنسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم أعني ثمود وإنما شبه هلاكهم
بهلاكهم لأنهما أهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير أن هؤلاء صيح بهم من فوقهم وأولئك من تحتهم وقرئ بعدت
بالضم على الأصل فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والأنفس ومنهم من جعلهما آية واحدة وعد منها إظلال الجبل
وليس كذلك فإنه لقبول أحكام التوراة حين أباه بنو إسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول أرسلنا
أو نعت لمصدر المؤكد أي أرسلناه حال كونه ملتبسا بآياتنا أو أرسلناه إرسالا ملتبسا بها وسلطان
مبين هو المعجزات الباهرة منها أو هو العصا والإفراد بالذكر لإظهار شرفها لكونها أبهرها أو المراد بالآيات
ما عداها أو هما عبارتان عن شيء واحد أي أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا
في نفسه أو موضحا إياها من أبان لازما ومتعديا أو هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز أن يكون

المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون فمن ربكما فما بال القرون الأولى من الحقائق الرائقة والدقائق
اللائقة وجعله عبارة عن التوراة أو إدراجها في جملة الآيات يرده قوله عز وجل إلى فرعون وملائه فإن
نزولها إنما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو إسرائيل فيما يأتون وما يذرون وأما فرعون وقومه
فإنما كانوا مأمورين بعبادة رب العالمين وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية و
يقبلها منه فئته الباغية وبإرسال بني إسرائيل من الأسر والقتل وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام
لقومه كافة لأصالتهم في الرأي وتدبير الأمور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وإنما لم يصرح بكفر فرعون
بآيات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والإضلال بل اقتصر على ذكر شأن ملائه فقيل فاتبعوا أمر
فرعون أي أمره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للإيذان بوضوح حاله فكأن كفره وأمر ملائه بذلك أمر
محقق الوجود غير محتاج إلى الذكر صريحا وإنما المحتاج إلى ذكره شأن ملائه المترددين بين هاد إلى الحق وداع إلى
الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وإيراد الفاء في اتباعهم المترتب على أمر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ
الرسالة للإشعار بمفاجأتهم في الاتباع ومسارعة فرعون إلى الكفر وأمرهم به فكأن ذلك كله لم يتراخ عن
الإرسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك في وقت واحد فوقع إثر ذلك اتباعهم ويجوز أن يراد بأمر فرعون شأنه
المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والمعنى مثل ما في قولك وعظته فلم
يتعظ ونصحته فلم ينزجر فإن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه لكنه
بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتأمل وترك الإضمار لدفع توهم الرجوع إلى موسى عليه السلام من أول الأمر و
لزيادة تقبيح حال المتبعين فإن علم في الفساد والضلال والإضلال فاتباعهم له لفرط الجهالة وعدم الاستبصار
وكذا الحال في قوله تعالى وما أمر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو
على الأول بمعنى المرشد أو ذي الرشد حقيقة لغوية والإسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والإسناد حقيقي
يقدم قومه جميعا من الأشراف وغيرهم يوم القيامة أي يتقدمهم من قدمه بمعنى تقدمه وهو
استئناف لبيان حاله في الآخرة أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه أو لتوضيح
عدم صلاح مآل أمره وسوء عاقبته فأوردهم النار أي يوردهم وإيثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع
لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وأتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يردونه
ثم قيل وبئس الورد المورود أي بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد
الأكباد والنار على ضد ذلك وأتبعوا أي الملأ الذين اتبعوا أمر فرعون في هذه أي في الدنيا
لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الأمم إلى يوم القيامة ويوم القيامة أيضا حيث يلعنهم أهل الموقف قاطبة
فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم أينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين
جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون إذ حيث كان حالهم هكذا
فما ظنك بحال من أغواهم وألقاهم في الضلال البعيد وحيث كان شأن الأتباع أن يكونوا أعوانا للمتبوع جعلت
اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود أي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء

ولا يدليه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين
وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها • **ذلك** • اشارة الى ما قص من
انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلعم وهو مبتدا خبره • **من انباء القرى** • المهلكة بما جنته
ايدي اهلها • **نقصه عليك** • خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك • **منها** • اي من تلك
القرى • **قائم وحصيد** • اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي منها بالزرع القائم على ساقه و
ما عفى وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب • **وما ظلمناهم** • باهلاكنا اياهم • **ولكن**
ظلموا انفسهم • بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه • **فما اغنت عنهم** • فما نفعتهم ولا دفعت
بأس الله تعالى عنهم • **آلهتهم التي يدعون** • اي يعبدونها • **من دون الله** • اوثر صيغة المضارع حكاية للحال الماضية
او للدلالة على استمرار عبادتهم لها • **من شيء** • في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء • **لما جاء امر ربك** •
اي حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول • **وما زادوهم غير**
تتبيب • اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها • **وكذلك** • اي ومثل ذلك الاخذ
الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله • **اخذ ربك** • وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر
مؤكد • **اذا اخذ القرى** • اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ
اخذ • **وهي ظالمة** • حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال
عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم • **ان اخذه اليم شديد** •
وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير • **ان في ذلك** • اي في اخذه تعالى للامم
المهلكة او في قصصهم • **لآية** • لعبرة • **لمن خاف عذاب الآخرة** • فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب
الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم
وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع
لمقتضيات من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي يقترفها الامم الهالكة فهو بمعزل
من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار • **ذلك** • اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه بذكر الآخرة
• **يوم مجموع له الناس** • اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه
لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع • **وذلك** • اي يوم القيامة مع ملاحظة
عنوان جمع الناس له • **يوم مشهود** • اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء
الظرف مجرى المفعول به كما في قوله • في محفل من نواصي الناس مشهود • اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم
مشهودا لفات الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام ايضا كذلك • **وما نؤخره** • اي
ذلك اليوم الملحوظ بعنوان الجمع والشهود • **الا لاجل معدود** • الا لانقضاء مدة قليلة معروفة حسبما تقتضيه
الحكمة • **يوم يأت** • اي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله ان تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتي
الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شأن اليوم وقرئ باثبات الياء على الاصل

لا تكلم

لا تكلم نفس • اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او لانتهاء المحذوف
في قوله تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود اعني اذكر • **الا باذنه** • عز سلطانه
في التكلم كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم تأتي كل
نفس تجادل عن نفسها في آخر منها او المأذون فيه الجوابات الحقة والممنوع الاعذار الباطلة نعم قد
يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره • **فمنهم شقي** • وجبت له
النار بموجب الوعيد • **وسعيد** • اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة
بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على السعيد لان
المقام مقام التحذير والانذار • **فاما الذين شقوا** • اي سبقت لهم الشقاوة • **ففي النار** • اي مستقرون
فيها • **لهم فيها زفير وشهيق** • الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال
الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته • زفير ويتلوه شهيق محشرج • والمراد بهما وصف
شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم
باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا
وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه • **خالدين فيها** •
خلا انه لا يريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة • **ما دامت السموات والارض** • اي مدة دوامهما
وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما
لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه
السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد
التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الآخرة
لا بد لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما وحاجة الى الوقوف على
تفاصيل احوالهما وكيفيتهما • **الا ما شاء ربك** • استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم
الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم
النقل يعني انهم مستقرون في النار في جميع الازمنة الا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك
المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها ولدفع ما عسى
يتوهم من كون تعلق مشيئته تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب على الله تعالى قال • **ان ربك فعال لما يريد** •
يعني انه في تخليد الاشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية
على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول عن الاضمار الى الاظهار لتربية المهابة وزيادة

في هذه الآية الجمع مع التفريق والتقسيم
فقوله لا تكلم نفس الا باذنه جمع وقوله
فمنهم شقي وسعيد تفريق
وقوله فاما الذين الى آخره
تقسيم شرح
م

وزيادة التشريف وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فانهم لا يخلدون فيه بل يخلدون ويعذبون
بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسوئه لهم واهانته
اياهم وانت تدري انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس
النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك للاستثناء ولعل الحق
ان قولهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه
الا الله سبحانه وهي العقوبات والآلام الروحانية التي لا يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون في تلك
من الاحوال الروحانية اذ القي اليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفى بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن
التهويل وهذه العقوبات وان كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها
وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى والمعنى بما ذكر وقيل ان المعنى
على ارادة معنى الوصفية والمعنى ان الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم
خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين ● واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض ● الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر ههنا ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر
في اهل النار من ان لهم فيها زفير وشهيق لان المقام مقام التحذير والانذار ● الا ما شاء ربك
ان حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه ● عطاء غير مجذوذ ● نصب على المصدرية من معنى الجملة لان
قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو
الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله سبحانه انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله لعباده
الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب
على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة مشيئة الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على جهة
عطاء غير مجذوذ فهو رفع لما يتوهم من النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة
فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين او بالاول دفعا لما يتوهم
من ظاهر الاستثناء من الانقطاع ● فلا تك في مرية ● اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص
وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية والاخروية ● مما يعبد هؤلاء ● اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين
وسوء عاقبتها او من حال ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع
في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وحسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى
والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم
ما لقيه مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلعم عن كونه في شك من مصير امر هؤلاء
المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ● ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم
الذين قصت عليك قصصهم ● من قبل ● اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم
او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية

صورتها

لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق
باباءهم فسيلحقهم مثل ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات ● وانا لموفوهم ● اي هؤلاء
الكفرة ● نصيبهم ● اي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا
اباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع
تحقق ما يوجبه ● غير منقوص ● حال مؤكدة من النصيب كقوله سبحانه ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز
وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية
فتأمل ● ولقد آتينا موسى الكتاب ● اي التوراة ● فاختلف فيه ● اي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به
قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه
ملك وزعمهم انك افتريته ● ولولا كلمة سبقت من ربك ● وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة على حسب
الحكمة الداعية الى ذلك ● لقضي بينهم ● اي لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه
المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل بين قوم موسى وليس بذاك ● وانهم ● اي وان كفار قومك اريد به
بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس ● لفي شك منه ● اي من القرآن فان لم يجر له ذكر
فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير ● مريب ● موقع في الريبة
● وان كلا ● التنوين عوض عن المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل ● لما ليوفينهم ربك اعمالهم ● اي اجزية اعمالهم
واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما بالتشديد مركبة من من الجارة وما الموصولة
او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اوليهن والمعنى
لمن الذين او لمن خلق فريق والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله سبحانه
اكلا لما وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به ● انه بما يعملون ●
اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر ● خبير ● بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه
وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه
كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر
● فاستقم كما امرت ● لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان
الرسل واشير الى ان هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين
وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عم للتوراة
وانه لولا سبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة
لفعل بهم ما فعل باباءهم من قبل وانهم موفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من المؤمنين و
الكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول الله صلعم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة
بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف

قوله تعالى غير منقوص نصب حالا عن النصيب مقيدة له
لدفع احتمال ان يكون منقوصا في حد نفسه عما
يستحقون وتوفيته لا يدفع هذا الاحتمال ومثله تنبيه
لهذا قال انه لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه
وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا واما من قال لا يكون
ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الاتراك حقه وحقه
تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه ولو ان
كملا وناقصا فلم يصب في التنويه ان ليس
اوله يغفل عما فيه الكلام واخر ليس
بتمام كما لا يخفى على ذوي الافهام
كمال پاشازاده

النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحيث يدخل تحت ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما
يوحى اليك وضائق به صدرك الاية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية
والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول
الله صلعم شيبتني سورة هود • ومن تاب معك • اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان
وهو المعني بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لمكان الفصل القائم
مقامه وهو في الحقيقة من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل منصوب على انه مفعول معه
كما قاله ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك • ولا تطغوا • ولا تخرجوا عما حد لكم افراطا وتفريطا
فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر المؤمنين
على حاله عم • انه بما تعملون بصير • فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الاية دلالة على وجوب
اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الراي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص
فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الامرة بالاجتهاد • ولا تركنوا • اي لا تميلوا ادنى
ميل • الى الذين ظلموا • اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين
وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان لو كان
المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك • فتمسكم • بسبب ذلك • النار • واذا
كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين
في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم
ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من
الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف بمعزل من ان تميل اليه القلوب • ضعف الطالب والمطلوب • والاية
ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلعم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على
الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه وعلى غيره وقرئ تركنوا
على صيغة البناء للمفعول من اركنه • وما لكم من دون الله من اولياء • اي من انصار ينقذونكم من النار
والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء
حتى يصدق مع ان يكون له ولي بل بطريق انقسام الاحاد على الاحاد لكن لا على معنى استقلال كل
منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بالكلية • ثم لا تنصرون • من جهته الله سبحانه اذ قد سبق
في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير منصورين من جهته تع بعدما اوعدهم بالعذاب
واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما تبين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم
لا ينصرون اصلا • واقم الصلوة طرفي النهار • اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت
وزلفا من الليل • اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار
والمراد بصلوتهما صلوة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف

المغرب

المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة • ان الحسنات •
التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات • يذهبن السيئات • التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها
وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل
امراة ثم ندم فاتى رسول الله صلعم فاخبره بما فعل فقال صلعم انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر قال عم نعم
اذهب فانها كفارة لما عملت او يمنعن من اقترافها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر • ذلك •
اشارة الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القران • ذكرى للذاكرين • اي عظة للمتعظين • واصبر • على
مشاق ما امرت به في تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس
في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل
بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز عن
امثاله من المشقة ما لا يخفى • فان الله لا يضيع اجر المحسنين • اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا
وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف والاعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه
من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود
مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب
الاحسان • فلولا كان • فهلا كان • من القرون الكائنة • من قبلكم • على راي من جوز حذف الموصول
مع بعض صلته او كائنة من قبلكم • اولوا بقية • من الراي والعقل او اولوا فضل وخير وسميا بها لان
الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية
القوم اي من خيارهم ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية
من التقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولوا
بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا رقبه وانتظره اي اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم
ينتظرون نزوله لاشفاقهم • ينهون عن الفساد في الارض • الواقع منهم حسبما حكي عنهم • الا قليلا ممن
انجينا منهم • استثناء منقطع اي لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض
لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا
للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرا قومك القران الا الصلحاء منهم مريدا لاستثناء الصلحاء من المحضضين
على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية
الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية • واتبع الذين ظلموا • بمباشرة الفساد وترك النهي عنه
ما اترفوا فيه • اي انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم
في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشري
الفساد في الظلم والاجرام عبارة • وكانوا مجرمين • اي كافرين فهو بيان لسبب استئصال الامم المهلكة

بيان السبب ثم

ومن فسق الظلم واتباع الشهوات وتشيع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه
الكلام اي لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم
بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب او على استئناف مترتب على قوله الا قليلا اي الا
قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار
مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات
مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين
ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو
للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء • وما كان ربك ليهلك القرى • اي ما صح وما استقام
بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال ما عداها من القرى
الظالمة واللام لتأكيد النفي وقوله • بظلم • اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي ظالما
لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما
يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر
تفصيله في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى • واهلها مصلحون • حال من
المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالته على تقييد نفي الاهلاك
ظلما بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية
اي لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر
وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء
على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام النهي عن المنكرات
التي هي اقبحها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى
كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه
حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع
بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من الشرك
وغيره من انواع الفساد • ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة • مجتمعة على الحق ودين الاسلام بحيث
لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق • ولا يزالون مختلفين • في الحق
اي مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم • الا من رحم ربك •
الا قوما هداهم الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف
الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور • ولذلك • اي لما ذكر من الاختلاف • خلقهم •
اي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للرحمة فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معا
فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين • وتمت كلمة ربك • اي وعيده او قوله للملائكة

لاملأن

لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين • اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما • وكلا
اي وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف اليه • نقص عليك • نخبرك به وقوله • ما نثبت به فؤادك •
بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص اي كل اقتصاص اي كل اسلوب
من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود
بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على
تفاصيل احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق • وجاءك في
هذه • السورة او الانباء المقصوصة عليك • الحق • الذي لا محيد عنه • وموعظة وذكرى للمؤمنين • اي الجامع
بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في نفسه حلي باللام دون ما هو وصف
له باعتبار الغير وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة
فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تأخير ما حقه التقديم تبقى
النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم
الكريم • وقل للذين لا يؤمنون • بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون • اعملوا على مكانتكم •
على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان • انا عاملون • على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به
• وانتظروا • بنا الدوائر • انا منتظرون • ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة • ولله غيب السموات
والارض • واليه يرجع الامر كله • فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا
فاعبده وتوكل عليه • فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى
الله عز وجل وفي تأخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها • وما ربك بغافل عما تعملون •
فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اي انت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين
فيها عليهم الصلوة والسلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء

سورة يوسف مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة واحدى عشرة آية

الر • الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة
والآيات والكتاب • في قوله تعالى تلك آيات الكتاب • عين ما سلف في سورة يونس عليه السلام • المبين • من ابان بمعنى
بان اي الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه
للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام
والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشأتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص
وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فالمبين انه انبأه عنه قصة يوسف عليه السلام فانه قد روي ان احبار
اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة
يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب
بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل • انا انزلناه • اي الكتاب المنعوت بما ذكر

من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل فمعناه ظاهر والا فالانسب بعنوان سوح • قرآنا عربيا • اذ هو المشهور بهذا
الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقه فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها
قرآنا لما عرفته فيما سلف وفي البقرة وذلك لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول
اي انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم • لعلكم تعقلون • اي لكي تفهموا معانيه طرا وتحيطوا بما فيه من البدائع
خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر • نحن نقص عليك • اي
نحدثك ونخبرك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا
القرآن لانه يتبع ما حفظ منه اية بعد اية • احسن القصص • اي احسن الاقتصاص على المصدرية وفيه مع بيان
الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول لما لا اعتماد على ذكرها من قوله عز و
جل • بما اوحينا • اي بايحائنا • اليك هذا القرآن • اي هذه السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون ما
في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي الغير
المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد قص على ابدع الطرائق الرائعة
الرائقة واعجب الاساليب الرائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والاخرين وان
كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى
قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عم
على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق والصيد وبعنوان احسن على المفعولية
واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه • وان كنت • ان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الواقع
اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبرها والمعنى وان الشان كنت • من قبله • من قبل ايحائنا اليك هذه
السورة • لمن الغافلين • عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير
عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبي صلعم وان غفل عنه بعض الغافلين • اذ قال يوسف • نصب
باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص وبدل من احسن القصص على تقدير كونه
مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص
ويوسف اسم عبري لا عربي لخلوه عن سبب اخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على
لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته • لابيه • يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم • يا ابت • اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت هاء
في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن
لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذفت الالف وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض و
المعوض عنه وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها
كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب • اني رايت • من الرؤيا لا من الرؤية
لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة

لا يخص

لا يخص برؤيته راء دون راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد من الناس • احد عشر كوكبا والشمس والقمر
روي عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى الرسول صلعم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف عم
فسكت النبي صلعم فنزل جبريل عم فاخبره بذلك فقال عم اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه السلام
جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو
الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها و
قيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما
وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وجوز ان يكون الواو
بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته عم لهما عن ملاقاته لاخوته
وعن وهب ان يوسف عم راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض
كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا
لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا
لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون • رايتهم لي ساجدين •
استئناف لبيان حالهم التي راهم عليها كأن سائلا سأل فقال كيف رأيتهم فأجاب بذلك وانما اجريت مجرى
العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما وقع
مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة • قال يا بني • صغره للشفقة ولصغر السن وهو ايضا استئناف مبني على
سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة وقد عرف يعقوب عم من هذه الرؤيا ان يوسف
يبلغه الله تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام فخاف
عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا
بالله تعالى سيتحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة • لا تقصص رؤياك • هي في المنام كما ان الرؤية ما
في اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة
الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير
البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم
اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا
عن التعبير والا احتاجت اليه • على اخوتك فيكيدوا • نصب باضمار ان اي فيفعلوا • لك • اي لاجلك ولاهلاكك
• كيدا • متينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان
كان يعقوب عم يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال
فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال
المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه اي فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا
الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر

ودينة بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد وآشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة
وهو للارهم السهم بالكواكب لاحد العشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عم وامهما راحيل التي تزوجها
يعقوب عم بعد وفات اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي
اذ لا يتوهم مضرته ولا تخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف عم والمراد بنهيه
عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا • ان الشيطان للانسان عدو مبين • ظاهر العداوة فلا يألو جهدا
في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف كان يوسف عم قال كيف يصدر ذلك عن
اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليهما السلام على ان
لرؤياه شأنا عظيما يستتبع منافع وخطره ايثار غيرها المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها
او يسوعوا سبيل وصولها شرع في تعبيرها وتأويلها على وجه اجمالي فقال • وكذلك • اي ومثل ذلك الاجتباء البديع
الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وحسبه وعلى وفقه • يجتبيك ربك •
يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك وفعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشرف الخلائق وسراة الناس كافة
ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة
بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت هي صورا واشباحا له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة
اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام تسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه
الاستكانة ومراده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذاعته • ويعلمك • كلام مبتدأ
غير داخل تحت التشبيه اراد به عم تأكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عم بما اخبر به على طريقة التعبير
والبرهان ودليل كأنه قال وهو يعلمك منها • من تأويل الاحاديث • اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما
اقول ولا تخفى ما فيه من تأكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد بتأويل الاحاديث تعبير الرؤيا
اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع
للحديث كالاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كأنهم جمعوا احدوثة على احادث ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع
واقطعة واقاطيع وتسميته التعبير تأويلا لانه جعل المرئي آيلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه فكانه عم اشار بذلك
الى ما سيقع من يوسف عم من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من
الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه
الخصلة سببا لظهور امره عم على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عم بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من
الشواهد والدلائل والامارات والمخائل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتأويل
امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عم في عالم المثال وقوة تصرفاته
فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحكيه من الامور الواقعة بحسبها في عالم الشهادة واقوى
وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها في العالم الآخر
وان هذا الشأن البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عم

معجزة

معجزة تظهر آثاره وتجري احكامه • ويتم نعمته عليك • بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء ولم غاية ترتب
الوجود الخارجي ولما اشير اليه من كون آثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه
فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة • وعلى آل يعقوب • وهم اهله من بنيه
وغيرهم فان رؤيته ليوسف عم اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة
فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة وانما اراد بتمام تلك النعمة الملك فكونه
كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال • كما اتمها على ابويك • نصب على
المصدرية اي ويتم نعمته عليك تماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابراهيم
عم باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم باخراج
يعقوب من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به
مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه • من قبل • اي من قبل هذا الوقت او من قبلك • ابراهيم واسحق •
عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما اباجده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام
عليهم السلام وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به
على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء
لا محالة • ان ربك • استيناف لتحقيق مضمون الجملة المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه • عليم • بكل شيء فيعلم من
يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور • حكيم • فاعل لكل شيء حسبما
يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جاريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين
لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة
على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا
بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك
بالرسالة فتأمل والله الهادي • لقد كان في يوسف واخوته • اي في قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم
فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها • آيات •
علامات عظيمة الشأن دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة • للسائلين • لكل من سأل عن
قصتهم وعرفها او الطالبين للعلامات المعتبرين بها فانهم الذين يعقلون عليها وينتفعون بها دون من عداهم
ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة
نفس المقصوص او على نبوته صلعم لمن سأله من المشركين او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير
سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات حينئذ للاشعار بان اقتصاص كل
طائفة من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلعم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابراهيم على تقدير
كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية
وفي بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلعم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي قومه

عليه البناء تستبين • اذ قالوا ليوسف واخوه • اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة
اخوته ليوسف من الطرفين الابوين الى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث قال
اقتلوا يوسف • احب الى ابينا منا • وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد
وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابتداء
في ليوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده • ونحن عصبة • اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد
احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم • ان
ابانا • في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة • لفي ضلال
اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته • مبين • ظاهر الحال وروي انه كان احب اليه لما يرى
فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى
حملهم على مباشرة ما قص عنهم • اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا • من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله
بعض منهم مخاطبا للباقين بتفصيله العنيفة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القائل شمعون او دان والباقون
كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الى آخره فجعلوا كانهم القائلون وادرجت القول المسند الى الجميع او
قاله كل واحد منهم مخاطبا لبعضه وهو ادل على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤه من الوصف
للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو كذلك نصبت بنصب الظروف المبهمة • يخل • بالجزم جوابا
للامر اي يخلص • لكم وجه ابيكم • فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه
لتصوير معنى اقباله عليهم • وتكونوا • بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل
قوله وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشأن نفسه و
اهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل • من بعده • من بعد يوسف اي من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه
قوما صالحين • تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في
امور دنياكم بانتظامها بعد تخلو وجه ابيكم • قال قائل منهم • هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن
ابرح الارض الى آخره وقيل روبيل وهو استئناف مبني على سؤال من سأل وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من
خصلتي الفضيع ام خالفهم في ذلك احد فقيل قال قائل منهم • لا تقتلوا يوسف • اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم
عليه واستعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولويته
عرضه عليهم بقوله • والقوه في غيابة الجب • اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر
التي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين
كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة • يلتقطه
يأخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع • بعض السيارة •
اي بعض طائفة تسير في الارض والسيارة كما في الجب وما فيها وفي البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج
كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى اثره ولا يرى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث

بعض السيارة

بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه
• ان كنتم فاعلين • بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تأليفا لقلبهم وتوجيها له الى رأيه
وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات اي ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة
ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه او لا اجيب بطريق الاستئناف
على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجيء من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا
خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا للرابطة الاخوية بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى
استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا • ما لك • اي اي
شيء لك • لا تأمنا • اي لا تجعلنا امناء • على يوسف • مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا • وانا له لناصحون
• مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة اللائقة قط والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام
وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام • ارسله معنا غدا الى الصحراء • يرتع • اي يتسع في اكل الفواكه
ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ • ويلعب • بالاستباق والتناضل ونظائرهما مما يعد من باب التأهب
للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم
له بصورة ما يلائم حاله عم وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه
وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء • وانا له لحافظون •
من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التأكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ
الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم • قال • استئناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال
يعقوب عم فقيل قال • اني ليحزنني • اللام للابتداء كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم • ان تذهبوا به •
لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه • و • مع ذلك • اخاف ان يأكله الذئب • لان الارض كانت مذأبة والحزن
الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به
المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف عم والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل رأى
في المنام ان قد شد عليه ذئب وكان يحذره فقال ذلك ولقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرأ ابن
كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه
من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو الاظهر لفظا ومعنى • وانتم
عنه غافلون • لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اعتنائكم بحفظه • قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة • اي
والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب بآرائنا وتدبيراتنا واللام
الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله • انا اذا لخاسرون • جواب مجزئ عن الجزاء اي لهالكون ضعفا
وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار و
الدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء عندنا
فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عم من اكل الذئب لانه السبب القوي

فی المنع دون الحزن لقصر مدته بناء علی انهم یأتون به عن قرب • فلما ذهبوا به واجمعوا • ای ازمعوا
ان یجعلوه • مفعول اجمعوا یقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امرکم ولا یستعمل ذلک الا فی الافعال التی قویت الدواعی
الی فعلها • فی غیابة الجب • قیل هو بئر بارض الاردن وقیل بین مصر ومدین وقیل علی ثلثة فراسخ من منزل یعقوب
علیه السلام بکنعان التی هی من نواحی الاردن کما ان مدین کذلک واما ما یقال انها بئر بیت المقدس فیرده التعلیل بالتقاط
السیارة ومجیئهم اباهم عشاء ذلک الیوم فان بین منزل یعقوب علیه السلام وبین بیت المقدس مراحل وجواب لما محذوف
ایذانا بظهوره واشعارا بان تفصیله مما لا یحویه فلک العبارة ومجمله فعلوا به من الاذیة ما فعلوا یروی انهم لما برزوا به
الی الصحراء اخذوا یؤذونه ویضربونه حتی کادوا یقتلونه فجعل یصیح ویستغیث فقال یهوذا اما عاهدتمونی ان لا تقتلوه فاتوا به
الی البئر فتعلق بثیابهم فنزعوها من یدیه فدلوه فیها فتعلق بشفیرها فربطوا یدیه ونزعوا قمیصه لما عزموا علیه من
تلطیخه بالدم احتیالا لابیه فقال یا اخوتاه ردوا علی قمیصی اتواری به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر کوکبا
تؤنسک فدلوه فیها فلما بلغ نصفها القوه لیموت وکان فی البئر ماء فسقط فیه ثم اوی الی صخرة فقام علیها و
هو یبکی فنادوه فظن انها رحمة ادرکتهم فاجابهم فارادوا ان یرضخوه فمنعهم یهوذا وکان یأتیه بالطعام کل یوم
ویروی ان ابراهیم علیه السلام حین القی فی النار وجرد عن ثیابه اتاه جبریل علیه السلام بقمیص من حریر الجنة فالبسه ایاه فدفعه
ابراهیم علیه السلام الی اسحق واسحق الی یعقوب فجعله یعقوب فی تمیمة وعلقها فی عنق یوسف علیه السلام فجاءه جبریل علیه السلام فاخرجه
من التمیمة فالبسه ایاه • واوحینا الیه • عند ذلک تبشیرا له بما یؤول الیه امره وازالة لوحشته وایناسا له
قیل کان ذلک قبل ادراکه کما اوحی الی یحیی وعیسی علیهما السلام وقیل کان اذ ذاک مدرکا قال الحسن کان له سبع عشرة سنة
• لتنبئنهم بامرهم هذا • ای لتتخلصن مما انت فیه من سوء الحال وضیق المجال ولتحدثن اخوتک بما فعلوا
بک • وهم لا یشعرون • بانک یوسف لتباین حالیک حالک هذا وحالک یومئذ لعلو شأنک وکبریاء سلطانک
وبعد حالک عن اوهامهم وقیل لبعد العهد المبدل للهیئات المغیر للاشکال والاول ادخل فی التسلیة روی
انهم حین دخلوا علیه ممتارین فعرفهم وهم له منکرون دعا بالصواع فوضعه علی یده ثم نقره فطن فقال انه لیخبرنی
هذا الجام انه کان لکم اخ من ابیکم یقال له یوسف وکان یدنیه دونکم وانکم انطلقتم به والقیتموه فی غیابة الجب وقلتم
لابیکم اکله الذئب وبعتموه بثمن بخس ویجوز ان یتعلق وهم لا یشعرون بالایحاء علی معنی انا انسناه بالوحی وازلنا
عن قلبه الوحشة التی اورثوه وهم لا یشعرون بذلک ویحسبون انه مرهق مستوحش لا انیس له وقری لننبئنهم
بالنون علی انه وعید لهم فقوله تعالی • وهم لا یشعرون • متعلق بالوجهین لا غیر • وجاؤا اباهم عشاء • ای آخر
النهار وقری عشیا وهو تصغیر عشی وعشی بالضم والقصر جمع اعشی ای عشوا من البکاء • یبکون • متباکین
روی انه لما سمع یعقوب علیه السلام بکاءهم فزع وقال ما لکم یا بنی واین یوسف • قالوا یا ابانا انا ذهبنا نستبق •
ای متسابقین فی العدو او الرمی وقد یشترک الافتعال والتفاعل کالانتضال والتناضل ونظائرهما • وترکنا یوسف
عند متاعنا • ای ما یتمتع به من الثیاب والازواد وغیرهما • فاکله الذئب • عقیب ذلک من غیر مضی زمان یعتاد
فیه التفقد والتعهد وحیث لا یکاد یطرح المتاع عادة الا فی مقام یؤمن فیه الغوائل لم یعد ترکه علیه السلام عنده من باب
الغفلة وترک الحفظ الملتزم لا سیما اذا لم یرحلوا ولم یبعدوا عنه فکأنهم قالوا انا لم نقصر فی محافظته ولم نغفل عن

مراقبته

مراقبته بل ترکناه فی ادنی حفظنا ومرأی منا لان میدان السباق لا یکون عادة الا بحیث یتراءی غایتاه
ولا یفوت رؤیة الاشاعة بسیرة بینها وبینه مسافة قصیرة فکان ما کان • وما انت بمؤمن لنا • بمصدق لنا فی
هذه المقالة الدالة علی عدم تقصیرنا فی امره • ولو کنا • عندک فی اعتقادک • صادقین • موصوفین
بالصدق والثقة لشدة محبتک لیوسف فکیف وانت سیء الظن بنا غیر واثق بقولنا وکلمة لو فی امثال هذه المواقع
لبیان تحقق ما یفیده الکلام السابق من الحکم الموجب او المنفی علی کل حال مفروض من الاحوال المقارنة له علی الاجمال
بادخالها علی ابعدها منه واشدها منافاة له لیظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غیره من الاحوال
بطریق الاولویة لما ان الشیء متی تحقق مع المنافی القوی فلان یتحقق مع غیره اولی ولذلک لا یذکر معه شیء من سائر الاحوال
ویکتفی عنه بذکر الواو العاطفة للجملة علی نظیرتها المقابلة لها الشاملة لجمیع الاحوال المغایرة لها عند تعددها وقد مر تفصیله
فی سورة البقرة عند قوله تعالی اولو کان اباؤهم لا یعقلون شیئا ولا یهتدون وفی سورة الاعراف عند قوله
تعالی اولو کنا کارهین • وجاؤا علی قمیصه • محله النصب علی الظرفیة من قوله • بدم • ای جاؤا فوق قمیصه
بدم کما تقول جاء علی جماله باحمال او علی الحالیة منه والخلاف فی تقدم الحال علی المجرور فیما اذا لم یکن الحال ظرفا
• کذب • مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنی المفعول ای مکذوب فیه او بمعنی ذی کذب ای ملابس للکذب
وقری کذبا علی انه حال من الضمیر ای جاؤا کاذبین او مفعول له وقرأت عائشة رضی الله عنها کدب بالدال غیر المعجمة ای کدر وقیل طری
قال ابن جنی اصله من الکدب وهو الفوف البیاض الذی یخرج علی اظفار الاحداث کأنه دم قد اثر فی قمیصه
روی انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان یمزقوه فلما سمع یعقوب بخبر یوسف مع علامات کان
دلیلا لیعقوب علی کذبهم والقاه علی وجهه فارتد بصیرا او دلیلا علی براءة یوسف حین قد من دبر • قال •
استئناف مبنی علی سؤال نشأ کأنه قیل ما قال یعقوب هل صدقهم فیما قالوا ام لا فقیل قال لم یکن ذلک
• بل سولت لکم انفسکم • ای زینت وسهلت قاله ابن عباس رضی الله عنهما والتسویل تقدیر شیء فی النفس
مع الطمع فی اتمامه قال الازهری کان التسویل تفعیل من سول الانسان وهو امنیته التی یطلبها فتزین لطالبها
الباطل وغیره واصله مهموز وقیل من السول وهو الاسترخاء • امرا • من الامور منکرا لا یوصف ولا یعرف
• فصبر جمیل • ای فامری صبر جمیل او فصبر جمیل اجمل او امثل وفی الحدیث الصبر الجمیل الذی لا شکوی فیه ای الی الخلق
والا فقد قال یعقوب علیه السلام انما اشکو بثی وحزنی الی الله وقیل سقط حاجباه علی عینیه فکان یرفعهما
بعصابة فقیل له ما هذا قال طول الزمان وکثرة الاحزان فاوحی الله عز وجل الیه یا یعقوب اتشکونی
قال یا رب خطیئة فاغفرها لی وقرأ ابی فصبرا جمیلا • والله المستعان • ای المطلوب منه العون
وهو انشاء منه علیه السلام للاستعانة المستمرة • علی ما تصفون • علی اظهار حال ما تصفون وبیان
کونه کذبا واظهار سلامته فانه علم فی الکذب قال سبحانه سبحان ربک رب العزة عما یصفون وهو
الالیق بما سیجیء من قوله تعالی فصبر جمیل عسی الله ان یأتینی بهم جمیعا وتفسیر المستعان علیه باحتمال ما تصفون
من هلاک یوسف والصبر علی الرزء فیه یأباه تکذیبه علیه السلام لهم فی ذلک ولا یساعده الصیغة فانها قد غلبت
فی وصف الشیء بما لیس فیه کما اشیر الیه • وجاءت • شروع فی بیان ما جری علی یوسف فی الجب بعد الفراغ

علی الحال

من ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجيء ليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس
بالجانب المصري من مدين بل الى مكان يوسف وفي اشارة على المرور والاتيان او نحوهما
ايماء الى كونه عم في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان في الامام المبنا
عن المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقاً في قوله عز وجل • وجاءت سيارة • اي رفقة
تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى يلتقطه بعض
السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه
وقيل كان ماؤه ملحاً فعذب حين القي فيه عم • فارسلوا واردهم • الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان
ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب للايذان بان
ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحاً • فادلى دلوه • اي ارسلها الى الجب والحذف لما عرفته فتدلى بها
يوسف فخرج • قال • استيناف مبني على سؤال يقتضيه الكلام • يا بشرى هذا غلام • كأنه نادى البشرى و
قال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واي نعمة مكان يوجد ماء فيه من الماء وقيل هو اسم صاحب
له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين
وقرئ يا بشريّ بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف • واسروه • اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية
الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة
يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة
وقالوا هذا غلام منا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد • بضاعة
نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه اي قطعت
للتجارة • والله عليم بما يعملون • وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع
والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل • وشروه • اي باعوه والضمير للوارد واصحابه • بثمن بخس • زيف ناقص
العيار • دراهم • بدل من ثمن اي لا دنانير • معدودة • اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا
بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين التعدد دون الوزن وعن ابن عباس رضي انها كانت
عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما • وكانوا • اي البايعون • فيه • في يوسف
• من الزاهدين • من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم
الملتقطون والملتقط للشيء متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول
مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين فيه شراء حسبة لما
ما لهم لما ظهر في اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاتحاد لما مر ان اخذهم انما كان
بطريق الابضاع عنه دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا
فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول
• وقال الذي اشتراه من مصر • وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر رتبة ما

يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك
يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في حياة يوسف عم بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب
فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عم عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عم والاية من قبيل
خطابات الاولاد باحوال الآباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين
ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقاً ووزنه حريرا
فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من المدة لبثه في
السجن ثلث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين
سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة • لامرأته • راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام
متعلقة بقال لا باشتراه • اكرمي مثواه • اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده • عسى ان ينفعنا • في
ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا • او نتخذه ولدا • اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد
والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف
عمر رضي الله • وكذلك • نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البديع الفخيم اي مثل
ذلك التمكين البديع • مكنا ليوسف في الارض • اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنته فيه اي اثبته فيه ومكنت له فيه
اي جعلت له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال عز وجل • وكم اهلكنا من قبلهم من قرن
مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم • اي ما لم نمكنكم فيها او مكنا لهم في الارض الى آخره والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما
في منزل العزيز او مكانا عليا في قلب امرأته دون سائر حواشيه بالاكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة
في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى المعاني
المذكورة في قوله تعالى • ولنعلمه من تأويل الاحاديث • اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك
وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي وسواء جعل معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيه
النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه
ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تأويل الاحاديث وسوا تأويل الرؤيا المذكورة ويؤدي
ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعل علة لمعلل محذوف
كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس كافة فتأديته الى ذلك
انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فان ذلك الحمل ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون
هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين آخر
يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر
يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شأن المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب و
لا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في

في أرض مصر بالأمر والنهي فهو من آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفت لا من مباديه المؤدية إليه فلا سبيل
إلى جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام في تلك الأيام أنه عمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها
عمدا مصحح لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في أمر السنين فإنما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة
اللهم إلا أن يراد بتعليم تأويل الأحاديث ما سبق من تفهيم غوامض أسرار الكتب الإلهية ودقائق سنن الأنبياء
عم فيكون المعنى حينئذ مكناه في أرض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله وأحكامها ودقائق سنن الأنبياء
فيقضي بها فيما بين أهلها والتعليم الإجمالي لتلك المعاني والأحكام وإن كان غير متأخر عن تمكينه بذلك المعنى إلا أن تعليم كل
معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والإرشاد إلى الحق في كل نازلة من النوازل متأخر عن ذلك صالح لأن يكون غاية له
﴿والله غالب على أمره﴾ لا يستعصي عليه أمر ولا يمانعه شيء بل إنما أمره لشيء إذا أراده أن يقول له كن فيكون فيدخل
في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف عم دخولا أوليا أو متولٍ على أمر يوسف لا يكله إلى غيره وقد أرادوه من الفتنة ما أرادوا
مرة بعد مرة فلم يكن إلا ما أراد الله له من العاقبة الحميدة ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن الأمر كذلك فيأتون و
يذرون زعما منهم أن لهم من الأمر شيئا وأنى لهم ذلك إن الأمر كله لله عز وجل أو لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا
فضله ﴿ولما بلغ أشده﴾ أي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين إلى الأربعين وقيل سن
الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والأول هو الأظهر لقوله ﴿آتيناه حكما﴾ أي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس
وفقها أو نبوة ﴿وعلما﴾ أي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم أي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فهما
ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس أو غيرهما وقد جعل إيتاؤهما
جزاء لمحسن حيث قيل ﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك الجزاء العجيب ﴿نجزي المحسنين﴾ أي كل من يحسن في عمله فيجب أن يكون
ذلك بعد انقضاء أعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الأحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تأويل الأحاديث
ولا صحة له إلا أن يخص بعلم تأويل رؤيا الملك فإن ذلك حيث كان عند تناهي أيام البلاء صح أن يعد إيتاؤه من
جملة الجزاء وأما تأويل رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عم بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء بالمحسنين
إشعار بعلية الإحسان وتنبيه على أنه سبحانه إنما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في أعماله متقنا في عنفوان أمره هل جزاء
الإحسان إلا الإحسان ﴿وراودته التي هو في بيتها﴾ رجوع إلى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما أمر امرأته
بإكرام مثواه وقوله تع وكذلك مكنا ليوسف إلى هنا اعتراض جيء به أنموذجا للقصة ليعلم السامع من أول الأمر أن ما
لقيه عم من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وأنه عم محسن في جميع أعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء
والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى أن مدار حسن التخلص إلى هذا الاعتراض قبل تمام الآية الكريمة إنما هو التمكين البالغ المفهوم
من كلام العزيز فإدراج الإنجاء السابق تحت الإشارة بذلك في قوله تع وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء عن التقريب
فتأمل والمراودة المطالبة من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة
من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل ومن
الآخر سببه فإن هذه الأفعال وإن كانت صادرة عن أحد الجانبين لكن لما كانت أسبابها صادرة من
الجانب الآخر جعلت كأنها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقام

مقامه

مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان أي كما تجزي تجزى فإن فعل البادي وإن لم يكن جزاء لكنه لما كان سببا
للجزاء أطلق عليه اسمه وكذلك إرادة القيام إلى الصلاة وإرادة قراءة القرآن حيث كانت سببا للقيام والقراءة
عبر عنهما بهما فقيل إذا قمتم إلى الصلاة فإذا قرأت القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت أسباب الأفعال
المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فإن مطالبة الدائن وكذا مداواة الطبيب للمريض
الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عم نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور
مسبباتها التي هي تلك الأفعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بأن أسند الفعل إلى الفاعل وأوقع
على صاحب السبب فتأمل ويجوز أن يراد بصيغة المبالغة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت
منه الفعل وهو منها الترك ويجوز أن يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى
المخادعة فالمعنى خادعته ﴿عن نفسه﴾ أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد إخراجه
عن يده وهو يحتال أن يأخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته إياها والعدول عن التصريح باسمها
للمحافظة على الستر أو للاستهجان بذكره وإيراد الموصول لتقرير المراودة فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك
قيل لواحدة ما حملك على ما أنت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولإظهار كمال
نزاهته عم فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت
ملكتها ينادي بكونه عم في أعلى معارج العفة والنزاهة ﴿وغلقت الأبواب﴾ قيل كانت سبعة ولذلك
جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الإفعال وقيل للمبالغة في الإيثاق والإحكام ﴿وقالت هيت لك﴾
وقرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبنائه كبناء أين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهو اسم فعل
معناه أقبل وبادر واللام للتبيين أي لك أقول هذا كما في هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى تهيأت
يقال هاء يهيء كجاء يجيء إذا تهيأ وهئت لك واللام صلة للفعل ﴿قال معاذ الله﴾ أي أعوذ بالله
معاذا مما تدعونني إليه وهذا اجتناب منه على أتم الوجوه وإشارة إلى التعليل بأنه منكر هائل يجب أن يعاذ بالله
تعالى للخلاص منه وما ذاك إلا لأنه عم قد شاهد بما أراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته
من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل ﴿إنه ربي أحسن مثواي﴾ تعليل للامتناع ببعض الأسباب
الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها إلى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا يكاد يقبله
لما سولته لها نفسها والضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة
تصدير الجملة به الإيذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرره في الذهن فإن الضمير لا يفهم منه من أول
الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكأنه قيل إن الشأن
الخطير هذا وهو ربي أي سيدي العزيز أحسن مثواي أي أحسن تعهدي حيث أمرك بإكرامي فكيف يمكن أن
أسيء إليه بالخيانة في حرمه وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبر إن
وأحسن مثواي خبر ثان أو الخبر والأول بدل من الضمير والمعنى أن الحال هذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك
الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها من عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير

تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته اليه ايذانا بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة
على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى **انه لا يفلح الظالمون** تعليل للامتناع
المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظالمين
كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل
الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمزني باهله **ولقد همت به** بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي قصدتها
وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت من المراودة وتغليق الابواب
ودعوته الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة
وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كان
عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر **وهم بها** بمخالطتها اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب
وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها اختيارا لا لما سبق من استعصامه المبني على كمال
كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر بالهم
لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزا في قرن واحد
من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهما بالآخر وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب
الثاني بما يعفو اثره من قوله عز وجل **لولا ان راى برهان ربه** اي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء
سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك
حقائق الاشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به
قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكانه قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على
ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم افلاح
من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي لولا مشاهدته برهان ربه في شان الزنا لجرى على موجب ميله
الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان
ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب
المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا في امثال هذه المواقع جار من حيث
المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها
فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جاريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على
معناه الحقيقي فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه
وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر همه عليه السلام بانه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله
وقعد بين شعبها ورؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا
على انملته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته على انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب
فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته

ثم رأى

ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة
فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال
العزيز وقيل وقيل ان كل ذلك ليس الا خرافات واباطيل تمجها الاذان وتردها العقول والاذهان
ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها **كذلك** الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول
عليها بقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت
اللازم له اي مثل ذلك التثبيت اللازم اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه **لنصرف عنه السوء** على الاطلاق فيدخل فيه
خيانة السيد دخولا اوليا **والفحشاء** والزنى لانه مفرط القبح وفي آيته بينة وحجة قاطعة على انه عليه السلام لم يهم
منه بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه عنه
بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتامل وقرئ ليصرف على اسناده الى ضمير الرب **انه من عبادنا المخلصين**
تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم الله
عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم
داخل في زمرتهم من اول الامر بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور
الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية **واستبقا الباب** متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
وقوله كذلك الى آخره اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نري ابراهيم
ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص
ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر او وصل الفعل الى المجرور كقوله واذا كالوهم او ضمن الاستباق
معنى الابتدار واسناد فعل السبق اليها مع ان مرادها مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتهاء
الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر
عن اسراعها اثره بذلك مبالغة **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان
الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد
القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للدلالة على
مبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح **والفيا سيدها**
اي صادفا زوجها وانما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف عليه السلام لم يصح فلم يكن سيدا له قيل القياه مقبلا وقيل جالسا مع ابن عم
للمرأة **لدى الباب** اي البراني كما مر روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى
خرج من الابواب **قالت** استئناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب
فقيل قالت **ما جزاء من اراد باهلك سوءا** من الزنا ونحوه **الا ان يسجن او عذاب اليم** ما نافية اي
ليس جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اي اي شيء جزاؤه
غير ذلك او ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة
المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عليه السلام

عن إبائه عن استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بإلقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعاً في مواقعته
لها كرهاً عند يأسها عن ذلك اختياراً كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين
ثم إنها جعلت صدور الإرادة المذكورة عن يوسف عم أمراً محققاً مفروغاً عنه غنياً عن الإخبار بوقوعه
وأن ما هي عليه من الأفاعيل لأجل تحقيق جزائها فهي تريد إيقاعه حسبما يقتضيه قانون الإيالة
وفي إبهام المريد تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانوناً مطرداً في حق كل أحد كائناً من كان وفي
ذكر نفسها بعنوان أهلية العزيز إعظام للخطب وإغراء له على تحقيق ما تتوخاه بحكم الغضب والحمية قال
استئناف وقع جواباً عما قد يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال هي راودتني عن نفسي أي طالبتني للمواتاة
لا أني أردت بها سوءاً كما قالت وإنما قاله عم لأمرين الأمرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب
أو اسم الإشارة مراعاة لحسن الأدب مع الإيماء إلى الإعراض عنها وشهد شاهد من أهلها قيل
هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالساً مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيماً يرجع إليه الملك ويستشيره
وقد جوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله تعالى ليوسف عم بالشهادة
له والقيام بالحق وإنما ألقى الله سبحانه الشهادة إلى من هو من أهلها لتكون أدل على نزاهته
عم وأنفى للتهمة وقيل كان ابن خال لها صبياً في المهد أنطقه الله تعالى ببراءته وهو الأظهر فإنه
روي أن النبي صلعم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب
جريج وعيسى عم رواه الحاكم عن أبي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من أهلها لبيان
الواقع أو لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم إن كان قميصه
قد من قبل أي إن علم أنه قد من قبل ونظيره إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك قبل فإن
معناه إن تعتد بإحسانك إلي فاعتد بإحساني السابق إليك فصدقت بتقدير قد لأنها تقرب الماضي إلى
الحال أي فقد صدقت وكذا الحال في قوله فكذبت وهي وإن لم تصرح بأنه أراد بها سوءاً إلا أن كلامها حيث
كان واضح الدلالة عليه أسند إليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فإنهما كما يعرضان للكلام باعتبار
منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه ولذلك لا يعتريان الإنشاءات وهو من الكاذبين
وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وإنما ذكرت
توسيعاً للدائرة وإرخاء للعنان إلى جانب المرأة بإجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بأن يقع القد من قبل
بدافعتها له عن نفسها عند إرادته المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريباً لما هو المقصود
بإقامة الشهادة أعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل وإن كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين إلى التسليم والقبول عند السامع لكونه أقرب إلى الوقوع وأدل على
المطلوب وإن لم يكن بين طرفيها أيضاً ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل
الأقوال أو بتقدير القول أي شهد قائلاً إلخ وتسميتها شهادة مع أنه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب
لتأديتها مؤداها بل لأنها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها أما على تقدير كون الشاهد هو الصبي

قطعا

فظاهر إذ هو إخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية للإيذان بأن
ذلك ظاهر من العلائم أيضاً وأما على تقدير كونه غيره فلأن الظاهر أن صورة الحال معلومة له
على ما هي عليه إما مشاهدة أو إخباراً فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية الأولى بوجود مقدم الشرطية
الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء التالي الأول ووقوع التالي الثانية فإذن هو إخبار بكذبها
وصدقه عم لكنه ساق شهادته مساقاً مأموناً من الجرح والطعن حيث صورها بصورة
الشرطية المترددة ظاهراً بين نفعها ونفعه وأما حقيقة فلا تردد فيها قطعاً لأن الشرطية الأولى
تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالاً لا محالة ومن ضرورته تحقق كذبها
والثانية تعليق لصدقه عم بأمر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققاً البتة وهذا كما قيل فيمن
قال للمرأة زوجيني نفسك فقالت لي زوج فقال زوجتك نفسي فقبل الرجل فإذا لا زوج لها فهو نكاح
إذ تعليق الشيء بأمر متقرر تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لأنهما قطعا عن الإضافة كقبل
وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين
فلما رأى قميصه قد من دبر كأنه لم يكن رأى ذلك بعد أو لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال
قال إنه أي الأمر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن إرادة السوء التي أسندت إلى يوسف
وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلى آخره لكن لا من حيث صدور تلك الإرادة
والإسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله من كيدكن أي من جنس حيلتكن
ومكركن أيتها النساء لا منك خاصة عن الإفادة وتدبير العقوبة وإن لم يمكن تجريده عن الإضافة
إليها إلا أنها ما صورته بصورة الجزاء أفاد الحكم بكونه من كيدكن إفادة ظاهرة وتعميم
الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق لهن عريق ولا تحسبا معتداً إليها العذر وصدقها سجية نفس
كل خائنة هنا ورجع الضمير إلى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً فقط عدول عن البحث عن أصل ما وقع
فيه التشاجر من إرادة السوء ومحض ميل إلى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء أو للأمر المعبر عنه
طمعها في يوسف عم يأباه الخبر فإن الكيد يستدعي أن يعتبر مع ذلك هنات أخر من قبلها
كما أشير إليه إن كيدكن عظيم فإنه ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس وعن
بعض العلماء أنا أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فإنه تعالى يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفاً
وقال للنساء إن كيدكن عظيم ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال
يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله أعرض
عن هذا أي عن هذا الأمر وعن التحديث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري أنت
يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت عليك إنك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة
القوم المتعمدين للذنب ومن جنسهم يقال خطئ إذا أذنب عمداً وهو تغليب للإناث بالاستغفار والتذكير لتغليب
الذكور على الإناث وكان العزيز رجلاً حليماً فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال نسوة

أي جماعة من النساء وكن خمساً امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن و
امرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم
يلحق فعله تاء التأنيث • في المدينة • ظرف لقال أي أشعن الأمر في مصر أو صفة لنسوة • امرأة العزيز •
أي الملك يريدون قطفير وإضافتهن لها إليه بذلك العنوان دون أن يصرحن باسمها واسمه ليست لقصد المبالغة
في إشاعة الخبر بحكم أن النفوس إلى سماع أخبار ذوي الأخطار أميل كما قيل إذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد
الإشباع في لومها بقولهن • تراود فتاها • أي تطالبه بمواقعته لها وتتمحل في ذلك وتخادعه • عن نفسه
وقيل تطلب منه الفاحشة وإيثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس
الشاب وأصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا
وفي الحديث لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وتعبيرهن عن يوسف عم بذلك مضافاً إليها لا إلى
العزيز الذي لا تستلزم الإضافة إليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لإبانة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية
والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والإشباع في اللوم فإن من لا زوج لها من النساء أو لها زوج دني
قد تعذر في مراودة الأخدان لا سيما إذا كان فيهم علو الجناب وأما التي لها زوج وأي زوج عزيز مصر فراودت
غيره لا سيما عبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه أصلاً وتمادت في ذلك غاية التمادي ونهاية الضلال • قد شغفها
حباً • أي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل إلى فؤادها وقرئ
شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الشغف
الحب القاتل والشعف حب دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان
أو حال من فاعل تراود أو من مفعوله وأياً ما كان فهو تكرير للوم وتأكيد للعذل ببيان اختلال أحوالها
القلبية كأحوالها القالبية وجعلها تعليلاً لدوام المراودة من حيث الإنية مصير إلى الاستدلال على الأحوال
بالأثر الخفي ومن حيث اللمية ميل إلى تمهيد العذر من قبلها وتسنى بذلك المقام واستصحابها على التمييز لنقله عن
الفاعلية إذ الأصل قد شغفها حبه كما أشير إليه • إنا لنراها • أي نعلمها علماً متاخماً للمشاهدة والعيان
فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة • في ضلال • عن طريق الرشد والصواب أو سنن
العقل • مبين • واضح لا يخفى كونه ضلالاً على أحد أو مظهر لأمرها فيما بين الناس والجملة مقررة لمضمون الجملتين
السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بأنها في أمرها على خطأ عظيم وإنما لم يقلن إنها لفي ضلال
مبين إشعاراً بأن ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بأنهن متنزهات
عن أمثال ما هي عليه • فلما سمعت بمكرهن • باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت
عبدها الكنعاني ومقتها وتسميته مكراً لكونه خفية منها كمكر الماكر وإن كان ظاهره لعيبها استكتمتهن سرها
فأفشينه عليها وقيل إنما قلن ذلك لتريهن يوسف عم • أرسلت إليهن • تدعوهن قيل دعت
أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات • وأعتدت • أي أحضرت وهيأت • لهن متكأ • أي ما
يتكئن عليه من النمارق والوسائد أو رتبت لهن مجلس طعام وشراب لأنهم كانوا يتكئون للطعام

والشراب

والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى أن يأكل الرجل متكئاً وقيل متكأ طعاماً من قولهم اتكأنا
عند فلان أي طعمنا • قال جميل • فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله • وعن مجاهد متكأ طعاماً
يحز حزاً كأن المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ
بالمد بإشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكاء وهو الأترج • وأنشد • وأهدت متكة
لبني أبيها • تخب بها العثمثمة الوقاح • أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكاً من تكئ إذا اتكئ •
وآتت كل واحدة منهن سكيناً • لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين أيديهن وقرب إليهن من اللحوم
والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع أيديهن • وقالت • ليوسف
وهن مشغولات بمعالجة السكاكين وإعمالها فيما بأيديهن من الفواكه وأضرابها والعطف بالواو وربما
يشير إلى أن قولها • اخرج عليهن • أي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب أمورهن ليتم غرضها من استغفالهن
• فلما رأينه • عطف على مقدر يستدعيه الأمر بالخروج وينسحب عليه الكلام أي فخرج عليهن فرأينه وإنما
حذف تحقيقاً لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما
رآه مستقراً عنده بعد قوله أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وفيه إيذان بسرعة امتثاله عم بأمرها فيما لا
يشاهد معرته من الأفاعيل • أكبرنه • عظمنه وهبن حسنه الفائق فإن فضل جماله على جمال كل جميل
كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعن النبي صلعم أنه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر
وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى أكبرن حضن والهاء
للسكت أو ضمير راجع إلى يوسف عم على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي •
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فإن لحت حاضت في الخدور العواتق • وقطعن أيديهن • أي جرحنها
بما في أيديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن
ما فعلن وفي التعبير عن الجرح بالتقطيع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به
• وقلن حاش لله • تنزيهاً له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجباً من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع وأصله
حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفاً وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا
يستثنى به إلا ما يكون موجباً للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا لله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود
واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقياً لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة أبي السمال حاشاً بالتنوين
وقراءة أبي عمرو بحذف الألف الأخيرة وقراءة الأعمش بحذف الأولى فإن التصرف من خصائص الاسم فيدل على
تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة أصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه وقرئ حاشى بقلب الألف إلى
الياء مع الضم وقرئ حاش الإله يوسف أي صار في ناحية من أن يقارف ما رمته به لله أي لطاعته أو لمكانه أو جانب
المعصية لأجل الله • ما هذا بشراً • على إعمال ما بمعنى ليس وهي لغة أهل الحجاز لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر على
لغة تميم وبشرى أي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في
البشر وقصرنه على الملكية بقولهن • إن هذا إلا ملك كريم • بناء على ما ركز في العقول من أن لا حي أحسن

من الملك كما ركب فيها ان لا افبح من الشيطان وبذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح
وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال ● قالت فذلكن ● الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة
الى يوسف بالعنوان الذي وصفته به الآن من الخروج في الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على
الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية
هو ● الذي لمتنني فيه ● عيرتنني في الافتتان به برأيتكن بجلي بنسبتي الى العزيز ووصفتن قدره بكونه من المماليك
او بالعنوان الذي وصفته فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني الذي صورتنه في
انفسكن وقلتن فيه وفيّ ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فيه واما ما يقال يعني انكن لم تصورنه بحق
صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا يلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته
لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المعنى يحقق المعذرة
قبل ظهور معذرته وقيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص
الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما يأبى في تمشية مرامها ثم بعد
ان اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله عم ما اصابها باحت لهن ببثها سرها
فقالت ● ولقد راودته عن نفسه ● حسبما قلتن وسمعتن ● فاستعصم ● امتنع طالبا للعصمة
وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو مجتهد في الاستزادة منها
كما في استمسك واستجمع الرأي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عم شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ
الله من الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن سمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك
ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على
ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت ● ولئن لم يفعل ما آمره ●
اي امري فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول
او امري اياه اي موجب امري ومقتضاه فما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مرادها بالامر اظهارا
لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها ● ليسجنن ● بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول
جريا على رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل
وليكونن بالخفيفة ● من الصاغرين ● اي الاذلاء في السجن وقد قرئ المثقلان بالتثقيل ولكن المشهورة
اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه
ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست في
امرها على خفية ولا خيفة من احد فيضيق الحيل ويعيي العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها فلما كان هذا الابراق
والارعاد مظنة لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قال مناجيا لربه عز سلطانه ● رب السجن ● الذي
وعدتني بالالقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر ● احب الي ● اي آثر عندي لانه مشقة قليلة نافذة اثرها
راحات جليلة ابدية ● مما يدعونني اليه ● من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام

منه عم مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها وبصفتها
التفضيل ليست باعتبارها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى
الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث
ان الصغار من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها
وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عم بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد
رسول الله صلعم على من كان يسأل الصبر ● والا تصرف عني كيدهن ● في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي بان
تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة ● اصب اليهن ● اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة
وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عم الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات و
النجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار
ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية
تدعوه الى هواهن والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب
اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق ● واكن من الجاهلين ● اي الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى
لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح ● فاستجاب
له ربه ● دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الى آخره فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي
اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عم ما لا يخفى من اظهار اللطف ● فصرف عنه كيدهن ● حسب دعائه وثبته على
العصمة والعفة ● انه هو السميع ● لدعاء المتضرعين اليه ● العليم ● باحوالهم وما يصلحهم ● ثم بدا لهم ● اي ظهر للعزيز واصحابه
المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك ● من بعد ما رأوا الآيات ● الصارفة
لهم عن ذلك البداء من الشواهد الدالة على براءته عم وفاعل بدا اما مصدره او الرأي المفهوم من السياق والمصدر
المدلول عليه بقوله ● ليسجننه ● والمعنى بدا لهم بداء او رأي او السجن المختوم قائلين والله ليسجننه فالمقسم عليه محذوف
وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها
منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا
العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان تأذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس و
اما ان تحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرم حبل رجائها
عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز
ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الرأي عند العزيز وذويه
واما عندها ففي بذلة السجن وسجنها لها وتحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل ● ودخل معه ● اي في
صحبته ● السجن فتيان ● من فتيان الملك وعبيده احدهما شرابيه والآخر خبازه روي ان جماعة من اهل مصر
ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز
فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تأكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان

الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فأبى فجرب بدابة فهلكت فأمر بحبسهما
فاتفق ان ادخلاه معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى
فأوجس في نفسه خيفة وتأخير السجن عن الظرف لايهام العكس بأن يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدأ ويكون
الجملة حالا من فاعل دخل فتأمل • قال احدهما • استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعدما دخلا معه
السجن فأجيب انه قال احدهما وهو الشرابي • اني اراني • اي رأيتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية • أعصر
خمرا • اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب ويعضده في قراءة ابن مسعود رضي
أعصر عنبا • وقال الآخر • وهو الخباز • اني اراني • احمل فوق رأسي خبزا • تأخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله • تأكل الطير
منه • اي تنهس منه صفة للخبز او استئناف مبني على السؤال • نبئنا بتأويله • تأويل ما ذكر من
الرؤيتين او مما رأى باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله فيها
خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد توليع البهق • اي كأن ذلك وشرح المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة
مع انه لا حاجة اليه بعد تأويل المرجع بما ذكر وما رأى ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض
لحال من احواله فلا يتسنى تأويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه
بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتأمل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله
كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما ليتعدد المرجع بل عبارة
كل منهما نبئني بتأويله • مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله
عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة
مفردة خاصة به • انا نراك • تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه • من المحسنين • من الذين
يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تأويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر
للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على
ذلك روي انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة
كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله
عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفي
الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني
احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما قالا له ليمتحناه فقال الشرابي اراني في
بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال
الخباز اني اراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهس منها • قال لا يأتيكما
طعام ترزقانه • في منامكما حسبما هو عادتكما المطردة • الا نبأتكما بتأويله • استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اي لا يأتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نبأتكما به بأن بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله • قبل ان

يأتيكما

يأتيكما • واطلاق التأويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة
التأويل بالنظر الى ما رؤي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا
بتأويله لا يبعد ان يراد بالتأويل الشيء الآيل لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آئلا الى شيء آخر
فكما يجوز ان يراد به المآل يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق
للواقع وكان عليه السلام يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام بذلك
بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال
مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤييين المتعلقتين بالطعام والشراب وقد جعل النظم
الموافق من الرؤييين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسبما عادتكما الا اخبرتكما بتأويل ما قصصتما علي قبل ان
يأتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد
اتيان الطعام والاخبار بالتأويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في فنون العلوم بحيث يدخل
في ذلك تأويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكشف عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما
لما نعتاه عليه السلام بالانتظام في سمط المحسنين وانما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عليه السلام فيهما خيرا
وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير على عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك
مقدمة تزيدهما علما بعظم شأنه وثقة بامره ووقوفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما
يتوخاه وقد تخلص اليها من كلامهما فكأنه قال تأويل ما قصصتما علي بطرف الثمام حيث رأيتما مثاره في
المنام واني أبين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان
الطعام الموظف الذي يأتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه بذلك ليس من قبيل
علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يصطفيه للنبوة فقال • ذلكما • اي ذلك التأويل
والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته • مما علمني ربي • بالوحي
والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلتهما بذلك على
ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه
ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال • اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله • وهو
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمني ربي او تعليل له لا لتعليم الواقع صلة
للموصول لتأديته الى معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد
التعليل ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكأنه قيل
لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة الكفر اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة
الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها
بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله
تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليست بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر

في قوله تعالى إنه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم
لإفراطهم في الكفر واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب يعني أنه إنما حاز هذه الكمالات وفاز
بتلك الكرامات بسبب أنه اتبع ملة آبائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وإنما قاله عم ترغيبا
لصاحبيه في الإيمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه ملتهم على
ذكر اتباعه ملة آبائه لأن التخلية مقدمة على التحلية ما كان أي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع
لنا معاشر الأنبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا أن نشرك بالله من شيء أي شيء كان من ملك
أو جني أو إنسي فضلا عن الجماد البحت ذلك أي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا أن نشرك بالله من
شيء من فضل الله علينا أي ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه إيانا لقيادة الأمة وهدايتهم
إلى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات ولكن أكثر
الناس لا يشكرون أي لا يوحدون فإن التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك
النعمة وإنما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع إلى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه إلى المجموع
الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا أدلة
ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس أيضا ولكن أكثرهم لا ينظرون
ولا يستدلون بها اتباعا لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك أن تقول ذلك التوحيد من فضل الله
علينا حيث أعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الأنفس والآفاق وقد أعطى
سائر الناس أيضا مثلها ولكن أكثرهم لا يشكرون أي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر إلى ما خلقت هي له ولا يستعملونها
فيما ذكر من أدلة التوحيد الآفاقية والأنفسية والعقلية والنقلية يا صاحبي السجن يا صاحبي في السجن
كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص
النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال أأرباب
متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما أراد غير مراقب للآخرين مع كونهم مستقلا له
خير لكما أم الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالألوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه أحد
أحد وبعدما نبههما على فساد تعدد الأرباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار رأسا عن الألوهية
فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه أي من دون الله شيئا إلا أسماء فارغة
لا مطابق لها في الخارج لأن ما ليس فيه مصداق إطلاق الاسم عليه لا وجود له أصلا فكانت عبادتهم لتلك
الأسماء فقط سميتموها جعلتموها أسماء وإنما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من إسقاطها عن مرتبة
الوجود إيذانا بأن تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود أنتم وآباؤكم
بمحض جهلكم وضلالتكم ما أنزل الله بها أي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على
صحتها إن الحكم في أمر العبادة المتفرعة على تلك التسمية إلا لله عز سلطانه لأنه المستحق لها بالذات إذ
هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لأمره أمر استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله إن الحكم

إلا لله

إلا لله فكأنه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشأن فقيل أمر على ألسنة الأنبياء عليهم السلام أن لا
تعبدوا أي بأن لا تعبدوا إلا إياه حسبما تقضي به قضية العقل أيضا ذلك أي تخصيصه تعالى
بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تظاهرت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن أكثر
الناس لا يعلمون أن ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين أو لا يعلمون شيئا أصلا فيعبدون
أسماء سموها من تلقاء أنفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق و
دعوتهما إليه وبيانه لهما مقدار رفيع ومرتبة علية الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا
مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن أما أحدكما وهو الشرابي وإنما لم يعينه ثقة
بدلالة التعبير وتوسلا بذلك إلى إبهام أمر صاحبه حذارا من مشافهته بما يسوؤه فيسقي ربه أي سيده
خمرا روي أنه عم قال له ما رأيت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة
فثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقرئ في رواية عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول
أي يسقى ما يروى به وأما الآخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه روي أنه
عم قال له ما رأيت من السلال الثلاث ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل قضي أي تم وأحكم الأمر
الذي فيه تستفتيان وهو ما رآياه من الرؤييين قطعا لأن ما له كلهو عبارة عن نجاة أحدهما وهلاك
الآخر كما يؤذن به إسناد القضاء إليه إذ الاستفتاء إنما يكون في الحادثة لا في حكمها وكذا الإفتاء فإنه يقال
أفتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ومما هو علم في ذلك قوله تعالى يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما
فيه طلبهما لتأويله بقولهما نبئنا بتأويله وإنما عبر عن ذلك بالأمر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا
لأمره وتفخيما لشأنه إذ الاستفتاء إنما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وإيثار صيغة
الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما أنهما بصدده إلى أن يقضي عم من الجواب وطره و
إسناد القضاء إليه مع أنه من أحوال مآله لأنه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة
وأما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتأويله لا لأن الأمر ما اتهما به
وسجنا لأجله من سم الملك فإنهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة مآله وعاقبته فتأمل
وإنما أخبرهما بذلك تحقيقا لتعبيره وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما رأينا شيئا فأخبرهما أن ذلك
كائن صدقتما أو كذبتما ولعل الجحود من الخباز إذ لا داعي إلى جحود الشرابي إلا أن يكون ذلك لمراعاة جانبه
وقال أي يوسف عم للذي ظن أنه ناج أوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق
النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الأمر الذي فيه تستفتيان وهو الشرابي وإنما علقه النظم الكريم على أن يقال
للذي ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وإنما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان
الشرب المفهوم من التعبير المذكور وإن كان أدخل في ذلك وأدعى إلى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف
فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عم لا صاحبه
لأن التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى

ظننت أني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الأمر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد
والحكم بقضاء الأمر بمعنى اجتهادي اذكرني بما أنا عليه من الحال والصفة • عند ربك • سيدك وصف له بصفتي
لعله [illegible] • فأنساه الشيطان • أي أنسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشتغالا يعوقه عن الذكر
وإلا فالإنساء في الحقيقة لله عز وجل والقاء السببية فإن توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت
باعثة لما ذكر من الإنساء • ذكر ربه • أي ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والإضافة لأدنى ملابسة
أو ذكر إخبار ربه • فلبث • أي يوسف بسبب ذلك الإنساء أو القول في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلث إلى التسع من البضع وهو القطع وأكثر الأقاويل أنه لبث فيه سبع سنين وروي عن
النبي عليه السلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد
وإن كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الأنبياء عليهم السلام الأخذ بالعزائم • وقال الملك • الريان
إني أرى • أي رأيت وإيثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية • سبع بقرات سمان • جمع سمين
وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام • يأكلهن • أي أكلهن والعدول إلى المضارع
لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات أو صفة • سبع عجاف • أي سبع بقرات عجاف وهي جمع
عجفاء والقياس عجف لأن فعلاء وأفعل لا يجمع على فعال لكنه عدل به عن القياس حملا لأحد النقيضين على الآخر
وإنما لم يقل سبع عجاف بالإضافة لأن التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال
ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ وخمسة غلاظ وأما فوارس ثلاثة وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى
الأسماء روي أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرجن عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية
الهزال فابتلعت العجاف السمان • وسبع سنبلات خضر • قد انعقد حبها • وأخر يابسات • أي وسبعا
أخر يابسات قد أدركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما
ذكر من حال البقرات • يا أيها الملأ • خطاب للأشراف من العلماء والحكماء • أفتوني في رؤياي
هذه • أي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول إليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالإفتاء لتشريفهم وتفخيم أمر
رؤياه • إن كنتم للرؤيا تعبرون • أي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية
المشاهدة في المنام إلى ما هي صور وأمثلة لها من الأمور الآفاقية والأنفسية الواقعة في الخارج من
العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر إذا قطعته وجاوزته ونحوه أولتها أي ذكرت مآلها وعبرت
الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار واللام
للبيان أو لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل أو لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كأنه قيل إن
كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به
متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر • قالوا • استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل
قالوا هي • أضغاث أحلام • أي تخاليطها جمع ضغث وهو في الأصل ما جمع من أخلاط النبات وحزم
ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من أحاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والأحلام

جمع حلم

جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والإضافة بمعنى من أي هي أضغاث من أحلام أخرجوها
من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول إليها ويعتنى بأمرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة في وصفها بالبطلان
كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك إلا فرسا واحدا وعمامة فردة أو لتضمنها أشياء
مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والأخر اليابسات فتأمل
حسن موقع الأضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل • وما نحن بتأويل الأحلام • أي المنامات
الباطلة التي لا أصل لها • بعالمين • لا لأن لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لأنه لا تأويل لها وإنما التأويل
للمنامات الصادقة ويجوز أن يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وأنهم ليسوا بنحارير في تأويل الأحلام
مع أن لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال
إلى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الأحلام أو عبارتها إلى التأويل المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك
لما بين الآيل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل أنا أنبئكم بتأويله • وقال الذي نجا منهما •
أي من صاحبي يوسف وهو الشرابي • وادكر • بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة أي تذكر يوسف
عليه السلام وشؤونه التي شاهدها وحديثه بتقريب رؤيا الملك وإشكال تأويلها على الملأ • بعد أمة • أي مدة طويلة
وقرئ إمة بالكسر وهي النعمة أي بعدما أنعم عليه بالنجاة وأمه أي نسيان والجملة حال من الموصول أو من ضميره في
الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لأن حق كل من الصفة والصلة أن تكون معلومة الانتساب
إلى الموصوف والموصول عند المخاطب عند المتكلم ولذلك قيل إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار
بعد العلم بها صفات وأنت تدري أن تذكره بعد أمة إنما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل
في سلك الصلة • أنا أنبئكم بتأويله • أي أخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل
أنا أفتيكم فيها وعقبه بقوله • فأرسلون • أي إلى يوسف وإنما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما
لحق من قوله • يوسف أيها الصديق • أي أرسل إليه فأتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة
في الصدق حسبما شاهده وذاق أحواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره فهو
من باب براعة الاستهلال • أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر
وأخر يابسات • أي في رؤيا ذلك وإنما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولدلالة
مضمون الحادثة عليه حيث لا إمكان لوقوعه في عالم الشهادة أي بين لنا مآلها وحكمها وحيث
عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالإفتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه أولا نبئنا بتأويله
وفي قوله أفتنا مع أنه المستفتي وحده إشعار بأن الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بأمور العامة
وأنه في ذلك معبر وسفير كما آذن بذلك حيث قال • لعلي أرجع إلى الناس • أي إلى الملك ومن
عنده أو إلى أهل البلد إذ كان السجن في الخارج كما قيل فأنبئهم بذلك • لعلهم يعلمون • ذلك ويعملوا
بمقتضاه أو يعلمون فضلك ومكانك مع ما أنت فيه من الحال فتتخلص منه وإنما لم يبت القول
في ذلك مجاراة معه على نهج الأدب واحترازا عن المجازفة إذ لم يكن على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه

لعلّهم يأدون بما تعبّدا انني ولا من علمهم بذلك فرما لم يعلمون • قال استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال يوسف عليه السلام في التأويل فقيل • تزرعون سبع سنين دأبا • قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل إذا جدّ فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون أي دائبين أو تدأبون دأبا على أنه مصدر مؤكد لفعل هو الحال أوّل عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فأخبرهم بأنهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها إذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتأويلها ودلّهم في تضاعيف ذلك على أمر نافع لهم فقال • فما حصدتم • أي في كل سنة • فذروه في سنبله • ولا تذروه كيلا يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وإنما أمرهم بذلك إذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يأمرهم بها وجعلها أمرا محقق الوقوع وتأويلا للرؤيا مصداقا لما فيها من البقرات السمان • إلا قليلا مما تأكلون • في تلك السنين وفيه إرشاد منه عليه السلام لهم إلى التقليل في الأكل والاقتصار على استثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعدما أتم ما أمرهم به شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الأمر المذكور فقال • ثم يأتي • وهو عطف على تزرعون فلا وجه لجعله بمعنى الأمر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على أن يحصل بالأخبار بذلك أيضا • من بعد ذلك • أي من بعد السنين السبع المذكورات وإنما لم يقل من بعدهن قصدا إلى الإشارة إلى وصفهن فإن الضمير ساكت عن أوصاف المرجع بالكلية • سبع شداد • أي سبع سنين صعاب على الناس • يأكلن ما قدمتم لهن • من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على أن أمره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة وإسناد الأكل إليهن مع أنه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بأنه تأويل لأكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك وكأن ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل وإلا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن • إلا قليلا مما تحصنون • تحرزون لبذر الزراعة • ثم يأتي من بعد ذلك • أي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة وأكل الغلال المدخرة • عام • لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الأصلي لها من عام القحط وتنبيها من أول الأمر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق • فيه يغاث الناس • من الغيث أي يمطرون يقال غيثت البلاد إذا أمطرت ومن الغوث يقال أغاثنا الله تعالى أي أمدنا برفع المكاره حين أظلتنا • وفيه يعصرون • أي ما من شأنه أن يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم عادة لاكتفى به عن ذكر نصر فكهم في الحبوب إما لأن استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب إذ المذكورات تتوقف صلاحها على مباد أخرى غير المطر وإما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تعبيره على الكأس فلذا وأداة بالعود إليه وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه إما للإشعار باختلاف أوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فإن الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس وإما لأن المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولأجله قدم في الموضعين على الفعل فإن المقصود الأصلي بيان أنه يقع في ذلك العام هذا النفع

وذاك النفع

وذاك النفع لا بيان أنهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التأخير ويجوز أن يكون التقديم للقصر على معنى أن غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة إلى عامهم ذلك وأن يكون ذلك في الأخير لمراعاة الفواصل وفي الأول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره إذا أنجاه وهو المناسب للإغاثة ويجوز أن يكون المبني للفاعل منه كأنه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من أعصرت السحابة إما بتضمين أعصرت معنى مطرت وتعديته وإما بحذف الجار وإيصال الفعل على أن الأصل أعصرت عليهم وأحكام هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وإنما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي وإيصال الفعل على أن الأصل أعصرت عليهم فبشرهم بها بعدما أوّل وأمرهم بالتدبير اللائق في شأنه إبانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وأنه محيط بما لم يخطر ببال أحد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله وإتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها أحد ولو بتريه ما يدل عليها في المنام • وقال الملك • بعدما جاءه الرسول بالتعبير وسمع منه ما سمع من نعت يوسف وفضله • ائتوني به • لما علم من علمه وفضله • فلما جاءه • أي يوسف • الرسول • واستدعاه إلى الملك • قال ارجع إلى ربك • أي سيدك • فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن • أي فتفتش عن شأنهن وإنما لم يقل فاسأله أن يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش لتتبين براءته وتتضح نزاهته إذ السؤال مما يهيج الإنسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه إليه وأما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به وإنما لم يتعرض لامرأة العزيز مع ما لقي من مقاساة الأحزان ومعاناة الأشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة وأما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن بإقرارها بأنها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الأيدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن أطع مولاتك واكتفى بالإيماء إلى ذلك بقوله • إن ربي بكيدهن عليم • مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن أنفسهن متى سمعن بنسبته لهن إلى الفساد • قال • استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك إثر ما بلغه الرسول الخبر وأحضرهن • ما خطبكن • أي شأنكن وهو الأمر الذي يحق تعظيمه أن يخاطب المرء فيه صاحبه • إذ راودتن يوسف عن نفسه • ورغبتنه في إطاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة • قلن حاش لله • تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته • ما علمنا عليه من سوء • بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من • قالت امرأة العزيز • وكانت حاضرة في المجلس وقيل أقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت أن يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فأقرت قائلة • الآن حصحص الحق • أي ثبت واستقر أو تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة أي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الأراضي وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرته رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه أي ألقاها في الأرض للإناخة قال

فحصحص في صمم الصفا ثفناته • وما يسلبني نواتاه ثم صمتا • والمعنى قر الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عم فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصاً فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عم في محل النزاع وخيانتها فقالت • انا راودته عن نفسه • لا انه راودني عن نفسي • وانه لمن الصادقين • اي في قوله حين قذفته هي راودتني عن نفسي وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ايها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لاسيما عند العزيز قبل ان يحل عقده كما يعرب عنه قوله عم لما رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن • ذلك • اي ذلك التثبت المؤدي الى ظهور حقيقة الحال • ليعلم • اي العزيز • اني لم اخنه • في حرمته كما عيه لاعلما مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقدم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من تفضل الابرة ولعله لرعاية حقوق السيادة لان المبادرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رايه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تحملا لاخفاء ما فعله فلا يليق بشانه عم في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله • بالغيب • اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل والمفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها • وان الله • اي وليعلم انه تعالى • لا يهدي كيد الخائنين • اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعاً للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضل فيهم قول الذين كفروا اي يضلهم في قولهم وفيه تعريض بامرأته في خيانتها امانته وبه في خيانة امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعدما رأوا الآيات نزاهته عم ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته • وما ابرئ نفسي • اي لا انزهها عن السوء قاله عم هضماً لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربئاً بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلعم انا سيد ولد آدم ولا فخر او تحديثاً بنعمة الله عز وجل عليه وابرازاً لسره المكنون في شأن افعال العباد اي لا انزهها عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله تعالى وعصمته ورحمته كما يعنيه قوله • الا ما رحم ربي • من النفوس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي او هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة • ان ربي غفور رحيم • عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل انه من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عم اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع

وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفساً رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف عم ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأنيه عم في الخروج عن السجن لعدم رضاه عم بملاقاة الملك وامره بين بين فيفعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال وقد وقع • وقال الملك ائتوني به استخلصه • اجعله خالصاً • لنفسي • وخاصاً بي • فلما كلمه • اي فاتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد • قال انك اليوم لدينا مكين • ذو مكانة ومنزلة رفيعة • امين • مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة بل هو ان التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازاً عن احتمال كونهما بعد حين روي انه عم لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثياباً جدداً فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لساناً فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها فاجابه بجميعها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه الامر وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افراثيم وميشا ولعل ذلك بعد تعبيره عم لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز وجل • قال اجعلني على خزائن الارض • اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف • اني حفيظ • لها ممن لا يستحقها • عليم • بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر والكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده عم ولعل ايثاره عم لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل في التأويل ولكونه من فروع تلك الولاية لا بحذ دعموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما سأله عم من جعله على خزائن الارض ايذاناً بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل • وكذلك • اي مثل ذلك التمكين البديع • مكنا ليوسف • اي جعلنا له مكاناً • في الارض • اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخاً في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسنداً الى ضمير العظمة من تشريفه عم والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى • يتبوأ منها • ينزل من بلادها • حيث يشاء • ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدر والياقوت فقال عم اما السرير فاشدد به ملكك واما الخاتم فادبر امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالاً لك واقراراً بفضلك

فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال و
النساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر و
في الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا
اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين
الناس ● نصيب برحمتنا ● بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم ● من نشاء ● بمقتضى
الحكمة الداعية الى المشيئة ● ولا نضيع اجر المحسنين ● بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة
احسان من يصيبه الرحمة المرقومة وانها اجر لهم ولدفع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر
من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ● ولاجر الآخرة ● اي اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم
المقيم الذي لا نفاد له خير لهم اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل ● للذين امنوا وكانوا
يتقون ● تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي
والمستقبل ● وجاء اخوة يوسف ● ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر و
قد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين ● فدخلوا عليه ● اي على يوسف وهو في مجلس ولايته
فعرفهم ● لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه
هيآتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن
ما عرفهم حتى تعرفوا له ● وهم له منكرون ● اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام
في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر
عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ● ولما جهزهم بجهازهم ● اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه
المسافرون واوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم ● قال ائتوني باخ لكم من ابيكم ● لم
يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قاله لما قيل من انهم سألوه حملا زائدا على
المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطه ان يأتوا به لا لما قيل من انه لما رآهم وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم
فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله
نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر
فهلك منا واحد فقال كم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك
قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان الذي تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال
فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا
فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء
الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان ولا جعل بضاعتهم
في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل
من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال ●

الاترون

الا ترون اني اوفي الكيل ● اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على
ان ذلك عادة له مستمرة ● وانا خير المنزلين ● جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في
غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما
الاحسان في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخرجه بالجملة الاسمية ولم يقله بطريق
الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته معهم في ذلك من
مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء ● فان لم تأتوني به فلا كيل لكم
عندي ● من بعد فضلا عن ايفائه ● ولا تقربون ● بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة
وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد مرة وان ذلك كان معلوما
له عليه السلام ● قالوا سنراود عنه اباه ● اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه
تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله ● وانا لفاعلون ● ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون
عليه لا نتعانى به ● وقال يوسف لفتيانه ● لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له ● اجعلوا بضاعتهم
في رحالهم ● فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام
تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من مجيء
اخيه كما يؤذن به قوله ● لعلهم يعرفونها ● اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو الظاهر
لتعلق قوله ● اذا انقلبوا الى اهلهم ● فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة
حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به ● لعلهم
يرجعون ● حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي
الى الرجوع وما قيل لما فعله من انه لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن
يأباه التعليل المذكور واما ان علته الجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم
لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا
فان هيئة التعبئة تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين رأوها وجعلوا
ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما سنحيط به خبرا ● فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ● قبل ان يشتغلوا بفتح
المتاع ● يا ابانا منع منا الكيل ● اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد اخرى
معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام ● فارسل معنا اخانا ● بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم
كونه معهم ● نكتل ● بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ
لكونه سببا للاكتيال او يكتل نفسه مع اكتيالنا ● وانا له لحافظون ● من ان يصيبه مكروه ● قال هل
امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه يوسف من قبل ● وقد قلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما
افوض الامر الى الله ● فالله خير حافظا ● وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى و
توقع تقيد الخيرية بتلك الحالة ● وهو ارحم الراحمين ● فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي المصيبتين ● ولما فتحوا

ماعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم أي تفضلا وقد علموا ذلك بأثر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال
المدغمة إلى الراء كما قيل في كيل قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لأبيهم ولعله
كان حاضرا عند الفتح يا أبانا ما نبغي إذا فسر البغي بالطلب فما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما
وصفناك من إحسان الملك إلينا وكرمه الداعي إلى امتثال أمره والمراجعة إليه في الحوائج وقد كانوا أخبروه بذلك
قالوا إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته وقوله عز وجل هذه
بضاعتنا ردت إلينا جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الإنكار من بلوغ اللطف غايته كأنهم قالوا كيف لا
وهذه بضاعتنا ردت إلينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه
ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل أرادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لأمره
والالتجاء إليه في استجلاب المزيد كما أشرنا إليه وقوله تعالى ردت إلينا حال من بضاعتنا والعامل
معنى الإشارة وإيثار صيغة البناء للمفعول للإيذان بكمال الإحسان الناشئ عن كمال الإخفاء المفهوم من كمال
غفلتهم بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير أهلنا أي نجلب إليهم الطعام من عند الملك
معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة أي فنستظهر بها ونمير أهلنا ونحفظ أخانا من المكاره حسبما
وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد أي بواسطته ولذلك وسط الإخبار بحفظه بين الأصل والمزيد
كيل بعير أي وسق بعير زائد على أوساق أباعرنا على قضية التقسيط ذلك أي ما يحمله أباعرنا
كيل يسير أي مكيل قليل لا يقوم بأودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كأنه قيل أي حاجة إلى الازدياد
فقيل ما قيل وذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ويسهل عليه لا يتعاظمه أو أي مطلب نطلب
من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الإنكار من كونهم فائزين ببعض المطالب أو متمكنين
من تحصيله فكأنهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير أهلنا ونحفظ أخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد
بسببه غير ما نكتاله لأنفسنا كيل بعير فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام أي
أي شيء تبتغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة أخينا وسعة ذات أيدينا أو وراء ما فعل بنا الملك من الإحسان
داعيا إلى التوجه إليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك أو أي شيء تبتغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من
إحسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الإنكار وأما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما
رأينا من إحسان الملك في وجوب المراجعة إليه أو ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة أخرى و
الجملة المستأنفة تعليل له وأما إذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما
وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله
ونمير أهلنا ونحفظ أخانا فإن ذلك أهون شيء بواسطة إحسانه وقد جوز أن يكون كلاما مبتدأ أي جملة اعتراضية
تذييلية على معنى وينبغي أن نمير أهلنا ونشد ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب أن أسعى وأنت خبير بأن
شأن الجمل التذييلية أن تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق
والحق أبلج وأن قوله ونمير إلى آخره وإن ساعدنا في حمله على معنى ينبغي أن نمير أهلنا بمعزل من ذلك أو ما ينبغي في الرأي

وما نعدل

وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من إرسال أخينا معنا والجمل إلى تفصيل وبيان لعدم بغيهم وإصابة
رأيهم أي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير أهلنا ونصنع كيت وكيت فما دليل قال لن أرسله معكم
بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله أي ما أتوثق به من جهة الله عز وجل وإنما جعله
موثقا منه تعالى لأن توكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو إذن منه عز وعلا لتأتنني به جواب
القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا به أو إلا أن تهلكوا وأصله من أحاط به
العدو فإن من أحاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من أعم الأحوال وأعم العلل على تأويل الكلام
بالنفي الذي ينساق إليه أي لا تأتنني به ولا تمتنعون منه في حال من الأحوال ولعلة من العلل إلا حال الإحاطة
بكم أو لعلة الإحاطة بكم ونظيره قولهم أقسمت عليك إلا فعلت أي ما أريد منك إلا فعلك وقد جوز الأول بلا
تأويل أي لتأتنني به من الأفعال الممتدة الشاملة للأحوال على سبيل المعية كما في قولك لألزمنك إلا أن
تعطيني حقي وإنما لم يكن مرادك عدم مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما إذا قلت صل إلا أن
تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير إخلال به كما في قولك لأحج العام إلا أن أحصر فإن مرادك إنما هو
الإخبار بعدم منع ما سوى حال الإحصار عن الحج لا الإخبار بمقارنته لتلك الأحوال على سبيل البدل كما
هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار الأحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى إلى النفي بل المذكور
فلما آتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما أراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول من طلب الموثق وإيتائه في أثناء
طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدي إلى تثبتهم ومحافظتهم
على تذكره ومراقبته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم
وقال ناصحا لهم لما أزمع على إرسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم
عن ذلك حذرا من إصابة العين فإنهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه
الكرة أكثر مما في المرة الأولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الأولى
فكانوا مئنة لطموح كل ناظر وطموح كل طامح وإصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد
عنه عليه السلام أن العين حق وعنه عليه السلام أن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسنين
بقوله أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان أبوكما
يعوذ بها إسمعيل وإسحق عليهم السلام رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم
الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من أبواب متفرقة وكان في دخولهم من بابين أو ثلاثة بعض ما
في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من أبواب متفرقة بيانا
لما هو المراد بالنهي وإنما لم يكتف بهذا الأمر مع كونه مستلزما له إظهارا لكمال العناية وإيذانا بأنه المراد بالأمر
المذكور لا تحقيق شيء آخر وما أغني عنكم أي لا أنفعكم ولا أدفع عنكم بتدبيري من الله من شيء أي
شيئا مما قضى عليكم فإن الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عدم الاعتداد بالحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز قائلا
ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال خذوا حذركم بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة

بل هو تدبير في الجملة وإنما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وأن ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة
بالله تعالى وهرب منه إليه ﴿إن الحكم﴾ مطلقا ﴿إلا لله﴾ لا يشاركه أحد ولا يمانعه شيء ﴿عليه﴾ لا على
أحد سواه ﴿توكلت﴾ في كل ما آتي وأذر وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب غير مخل بالتوكل ﴿وعليه﴾ دون
غيره ﴿فليتوكل المتوكلون﴾ جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف
وفعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه والفاء لإفادة التسبب فإن فعله لكونه نبيا سبب لأن يقتدي به غيره من المقتدين به فيدخل فيهم
بنوه دخولا أوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وإرشادهم إلى التوكل فيما هم بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم
به من التدبير ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ من الأبواب المتفرقة من البلد قيل كانت له أربعة أبواب فدخلوا
منها وإنما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ﴿ما كان﴾ ذلك الدخول يغني عنهم شيئا عند وقوع ما وقع منهم
من الداخلين لأن المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين
جوابها ومدخولها أي عدم الإغناء [illegible] الفعل أي يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وإنما المتحقق حينئذ ما أفاده الجمع
المذكور مغنيا فيما سيأتي فتأمل ﴿من الله﴾ من جهته ﴿من شيء﴾ أي مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في
بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه والتمس بجدواه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية
الدخول المذكور لعدم الإغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا فإن مجيء النذير هناك سبب لزيادة
نفورهم بل بيان عدم سببيته للإغناء مع كونها متوقعة في بادي الرأي كما في قولك حلف أن يعطيني حقي عند حلول الأجل فلما
حل لم يعطني شيئا فإن المراد بيان عدم سببية حلول الأجل للإعطاء فإن المراد بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير
المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز أن يراد بذلك [illegible] ما ذكر [illegible] في [illegible] وصيته
من أنه لا يغني عنهم من الله شيئا فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الأمر حسبما قال لهم فلقوا
ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل ﴿إلا حاجة﴾ استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحزازة كائنة
﴿في نفس يعقوب قضاها﴾ أي أظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد أن للتدبير تأثيرا في تغيير التقدير وقد جعل
ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى أن ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب وهي إرادته أن يكون
دخولهم من أبواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس
يعقوب بوقوعه حسب إرادته فالاستثناء منقطع أيضا وعلى التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطر
وأما إصابة العين فإنما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لأنها اندفعت بذلك مع كونها مقتضية عليهم ﴿وإنه﴾
﴿لذو علم﴾ جليل ﴿لما علمناه﴾ لتعليمنا إياه بالوحي ونصب الأدلة حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر وأن التدبير
له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند تخلف الأثر حيث بت القول بأنه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان
الحال كما قال وفي تأكيد الجملة بإن واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند إلى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة
شأن يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أسرار القدر ويزعمون
أنه يغني عنه الحذر وأما ما يقال من أن المعنى لا يعلمون إيجاب الحذر مع أنه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف
المطلوب عن المبادي ﴿ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه﴾ بنيامين أي ضمه إليه في الطعام أو في المنزل أو

فيهما

فيهما روي أنهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندي فأكرمهم
ثم أضافهم وأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال
يوسف بقي أخوكم فريدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ثم أنزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني معه
فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم
من اسم أخ لي هلك فقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وتعرف إليه وعند ذلك ﴿قال إني أنا أخوك﴾ يوسف ﴿فلا تبتئس﴾ أي فلا تحزن
﴿بما كانوا يعملون﴾ بنا فيما مضى فإن الله تعالى قد أحسن إلينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما أعلمتك قاله ابن عباس رضي الله عنهما
وعن وهب أنه لم يتعرف إليه بل قال له أنا أخوك بدل أخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقى منهم من الحسد
والأذى فقد أمنتهم وروي أنه قال له فأنا لا أفارقك قال قد علمت باغتمام والدي فإذا حبستك يزداد غمه ولا سبيل
إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يجمل قال لا أبالي فافعل ما بدا لك قال فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك سرقته
ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل ﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية﴾ أي المشربة قيل كانت مشربة جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت إناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسي
الذي يلتقي طرفاه يستعمله الأعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر ﴿في رحل أخيه﴾ بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما
تقديره أمهلهم حتى انطلقوا ﴿ثم أذن مؤذن﴾ نادى مناد ﴿أيتها العير﴾ وهي الإبل التي عليها الأحمال لأنها
تعير أي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل مثل سقف
وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي روي أنهم ارتحلوا وأمهلهم
يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم أمر بهم فأدركوا ونودوا ﴿إنكم لسارقون﴾ هذا الخطاب
إن كان بأمر يوسف فلعله أريد بالسرقة أخذهم له من أبيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب وإلا فهو من
قبل المؤذن بناء على زعمه والأول هو الأظهر الأوفق للسباق وقرأ اليماني سارقون بلا لام ﴿وأقبلوا عليهم﴾
جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم ﴿ماذا تفقدون﴾ أي تعدمون
تقول فقدت الشيء إذا عدمته بأن ضل عنك لا بفعلك والمعنى ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة
وقرئ تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم
لبيان كمال نزاهتهم بإظهار أنه لم يسرق منهم شيء فضلا أن يكونوا هم السارقين له وإنما الممكن أن يضيع منهم
شيء فيسألونهم أنه ماذا وفيه إرشاد لهم إلى مراعاة حسن الأدب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراءة
إلى ما لا خير فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث ﴿قالوا﴾ في جوابهم ﴿نفقد صواع الملك﴾ ولم
يقولوا سرقتموه أو سرق وقرئ صاع وصوع وصوغ الملك بفتح الصاد وضمها وبإهمال العين وإعجامها من الصياغة
ثم قالوا ترتيبا لما تلقوه من قبلهم وإراءة لاعتقاد أنه إنما بقي في رحلهم اتفاقا ﴿ولمن جاء به﴾ من عند
نفسه مظهرا له قبل التفتيش ﴿حمل بعير﴾ من الطعام جعلا له جلبا لمسارعته بحصول الغرض بهم بامتناع وجود الشرط
[illegible] على ما لا يخفى من أخذ من وجد في رحله ﴿وأنا به زعيم﴾ كفيل أؤديه إليه وهو قول المؤذن

قالوا تالله الجمهور على أن التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل إلا على الجلالة المعظمة أو الرب المضاف إلى الكعبة
أو الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل أصل بنفسها وأيًّا ما كان ففيه معنى التعجب لقد
علمتم علمًا جازمًا مطابقًا للواقع ما جئنا لنفسد في الأرض أي لنسرق فإنه من أعظم أنواع الإفساد أو
لنفسد فيها أي إفساد كان مما عز أو هان فضلًا عما نسبتمونا إليه من السرقة ونفي المجيء للإفساد وإن لم يكن مستلزمًا
لما هو مقتضى المقام من نفي الإفساد مطلقًا لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئًا لغرض
الإفساد مفعولًا لأجله ادعاءً إظهارًا لكمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل
القول لدي وما أنا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام
من أن المعنى إذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلامًا مفرطًا في الظلم فكأنهم قالوا إن صدر عنا إفساد كان
مجيئنا لذلك مريدين تقبيح حاله وإظهار كمال نزاهتهم عنه يعنون أنه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد
كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روي أنهم دخلوا مصر وأفواه رواحلهم مكعومة
لئلا تتناول زرعًا أو طعامًا لأحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك أنه لا يصدر عنا إفساد وما
كنا سارقين أي ما كنا نوصف بالسرقة قط وإنما حكموا بعلمهم بذلك لأن العلم بأحوالهم الشاهدة يستلزم العلم بأحوالهم
الغائبة وإنما لم يكتفوا بنفي الأمرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم بذلك إلزامًا للحجة عليهم وتحقيقًا للتعجب المفهوم
من تاء القسم قالوا أي أصحاب يوسف عليه السلام فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف أي فما جزاء
سرقته عندكم وفي شريعتكم إن كنتم كاذبين لا في دعوى البراءة عن السرقة فإنهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك
من نفي كون الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد أي أخذ من وجد الصواع في رحله
حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وإن كان ذلك مستلزمًا لها في اعتقادهم المبني على
قواعد العادة ولذلك أجابوا بأن الأخذ والاسترقاق سنة إنما هو جزاء السارق دون من وجد في يده
مال غيره كيف ما كان فتأمل وإحكام الكلام كل فريق على ما لا يتراجم رأيه فإنه أقرب إلى ما نبغي من الكيد والبعد من
الافتراء وقوله فهو جزاؤه تقرير لذلك الحكم أي فأخذه جزاؤه كقولك حق الضيف أن يكرم فهو حقه
ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر مقام المضمر والأصل جزاؤه من وجد
في رحله فهو هو على أن الأول لمن والثاني للظاهر الذي وضع موضعه كذلك أي مثل ذلك الجزاء الأوفى
نجزي الظالمين بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح السرقة وقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم
عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ يوسف بعد ما رجعوا إليه للتفتيش بأوعيتهم بأوعية الإخوة العشرة
أي بتفتيشها قبل تفتيش وعاء أخيه بنيامين لنفي التهمة روي أنه لما بلغت النوبة إلى وعائه قال ما أظن هذا
أخذ شيئًا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك ثم استخرجها أي السقاية أو الصواع
فإنه يذكر ويؤنث من وعاء أخيه قصدًا إلى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في إشاح
ووشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار إليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد
أي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن إرشاد الإخوة إلى الإفتاء المذكور بإجرائه على ألسنتهم وبحملهم عليه بواسطة

المستفتين

المستفتين من حيث لم يحتسبوا ففيه قوله عز وجل كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا لأجل تحصيل غرضه من
المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله فيكيدوا لك كيدًا فإنها داخلة على المتضرر
على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه
لا تفسير وبيان له كما قيل كأنه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعله في دين الملك في أمر السارق
أي في سلطانه قاله ابن عباس رضي الله عنهما أو في حكمه وقضائه قاله قتادة إلا به لأن جزاء السارق في دينه إنما كان
ضربه وتغريمه ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه
من أخذ أخيه بالسرقة التي نسبها إليه في حال من الأحوال إلا أن يشاء الله أي إلا حال مشيئته التي
هي عبارة عن إرادته لذلك الكيد أو إلا حال مشيئته للأخذ بذلك الوجه ويجوز أن يكون الكيد عبارة عنه
وعن مباديه المؤدية إليه جميعًا من إرشاد يوسف عليه السلام وقومه إلى ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال حسبما
شرح مرتبًا لكن لا على أن يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور مأخوذًا بالنسبة إلى غيره مطلقًا على معنى مثل
ذلك الكيد كدنا لا كيدًا آخر إذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه السلام عن أخذ أخيه في دين الملك في شأن السارق قطعًا
إذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في أمر السارق أصلًا بل بالنسبة إلى بعضه على معنى مثل ذلك
الكيد البالغ إلى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لأنه لم يكن يأخذ أخاه في دين الملك به إلا حال
مشيئته له بإيجاد ما يجري مجرى الجزاء الصوري من العلاقة الكائنة وهو إرشاد إخوته إلى الإفتاء المذكور
وعلى هذا ينبغي أن يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه إياه وأوحينا به إليه
أي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبًا علمناه دون بعض من ذلك فقط إلى آخره وعلى كل حال فالاستثناء
من أعم الأحوال ويجوز أن يكون من أعم العلل والأسباب أي لم يكن ليأخذه لعلة من العلل أو سبب من الأسباب
إلا لعلة مشيئته تعالى أو لسبب مشيئته تعالى وأيًّا ما كان فهو متصل لأن أخذ السارق إذا كان ممن
يرى ذلك ويعتقده دينًا لا سيما عند رضاه وإفتائه به ليس مخالفًا لدين الملك وقد قيل معنى الاستثناء إلا أن
يشاء الله أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك وأنت تدري أن المراد بمشيئته ما عليه حينئذ فتفسير مخل بالاتصال وإرادة
مطلق ما يندرج تحته تعميم ومما يحدث تفضي إلى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال إذ المقصود بيان
عجز يوسف عليه السلام عن أخذ أخيه حينئذ ولم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور إذ ذاك وإرادة عجزه مطلقًا تؤدي
إلى خلاف المراد فإن الاستثناء حال المشيئة المذكورة من أحوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة إلى
الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى وإذنه في دين غير دين الملك
نرفع درجات أي رتبًا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية أو الظرفية أو على نزع
الخفض أي إلى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء أي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه
المصلحة كما رفعنا يوسف وإيثار صيغة الاستقبال للإشعار بأن ذلك سنة مستمرة غير مختصة
بهذه المادة والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وفوق كل ذي علم من أولئك المرفوعين
عليم لا ينالون شأوه واعلم أن جعل الكيد عبارة عن المعنيين الأولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام
ما اعتبر مع الشرطية أو الشطارة من إرشاده عليه السلام إلى دس الصواع في رحل أخيه وما تفرع عليه

من المقدمات المرتبة للاستتباع احتيج ما تيم من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن
متمكنا من اخذ اخيه بدونه او ارشدنا اخوته لكنهم منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما
تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله عليم توضيح لذلك
على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع
حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يعادر قدره علمه ولا يكتنه كنهه نرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج
العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي
بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عم لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور
عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجوداً وعلماً والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية
وفي صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة الدالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار علمه
المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالحق عبارة عن ذلك التعليم والافتاء
وان لم يكن داخلا تحت قدرته عم لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك
التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن
يتمكن من ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل
ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن
عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تع وقيل اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف
افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث سيق فيه الرفع الى من سبق النفوقية
الا الى درجة ولكن العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي فوق كل اولئك المرفوعين
عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم ● قالوا ان يسرق ● بنيامين ● فقد سرق
اخ له من قبل ● يريدون به يوسف عم وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما
شب اراد يعقوب عم انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها
اسحق عم فاحتالت لاستبقاء يوسف عم فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت
فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل
به ما شاء فخلاه يعقوب عم عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره فالقاه
في الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه ● فاسرها يوسف
اي الحزازة الحاصلة مما قالوا ● في نفسه ● لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت
لهم اسرارا ● ولم يبدها لهم ● لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تأكيد لما سبق ● قال ● اي في نفسه
وهو استيناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال في
نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال ● انتم شر مكانا ● اي منزلة حيث سرقتم اخاكم من
ابيكم ثم طفقتم تفترون على البريء وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شر
مكانا ● والله اعلم بما تصفون ● اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون

من صدور

440

من صدور السرقة منه بل انما هو افتراء عليه فالصيغة بمعنى اعلم لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل
على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم ● قالوا ● عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين
● يا ايها العزيز ان له ابا ● لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما
ارادوا الاخبار بان له ابا ● شيخا كبيرا ● في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالته يتعلل به عن شقيقه
الهالك ● فخذ احدنا مكانه ● فليس عنده بمنزلته من المحبة والشفقة ● انا نراك من المحسنين ●
الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك ● قال معاذ الله ● اي
نعوذ بالله معاذا من ● ان نأخذ ● فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد
حذف الجار ● الا من وجدنا متاعنا عنده ● لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا اخلال
بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك
الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس مما يستبد به بل هو منوط باراء اولي الحل والعقد
وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع
تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة ● انا اذا ● اي اذا اخذنا غير من وجدنا
متاعنا عنده ولو برضاه ● لظالمون ● في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي اريد بالكلام في
ظاهر الحال وله معنى باطن هو ان الله تع انما امرني بالوحي ان آخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك
فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي ● فلما استيأسوا منه ● اي يئسوا من يوسف
واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه
من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه
ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون ● خلصوا ● اعتزلوا وانفردوا
عن الناس ● نجيا ● اي ذوي نجوى على ان يكون بمعنى التناجي او فوجا نجيا على ان يكون
بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وهو لتجاوزه يقال هم نجي كما
يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير ● قال كبيرهم ● في السن وهو روبيل او في
العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون ● الم تعلموا ● كأنهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة
ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ● ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ● عهدا يوثق به وهو حلفهم
بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ● ومن قبل ● اي من قبل هذا ● ما فرطتم
في يوسف ● اي قصرتم في شأنه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما
مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم
السابق في شأن يوسف عم وضرب الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جاز النصب عطفا
على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق وقع في شأن يوسف عم وان
تفريطكم الكائن اذ كان في شأن يوسف عم وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك

التفريط لا يكون تفريطهم السابق واقعا في شأن يوسف كما هو مفاد الاول لا يكون تفريطهم الذي
في شأنه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المنقطع عن الاضافة لا يصح خبرا ولا صفة ولا صلة ولا
حالا عند البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة
ومحلها النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي ما فرطتموه بمعنى قدمتموه في حقه من الجناية واما النصب
عطفا على اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله • فلن ابرح الارض • متفرع على ما ذكره وذكره اباهم من ميثاق
ابيه وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق • حتى يأذن لي ابي •
في الرجوع بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب • او يحكم الله لي • بالخروج منها
على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بالخلاص من يد ... بسبب من الاسباب • روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل
ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر حامل الا ألقت ولدها ووقفت كل شعرة في جسده فخرجت
من ثيابه وكانوا بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاق خلا انه اذا مسه من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه
قم الى جنبه فمسه فقال وقيل من هذا فقال ان في هذا البلد بذرا من بذر يعقوب عم • وهو خير الحاكمين • اذ لا
يحكم الا بالحق والعدل • ارجعوا انتم • الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق • على ظاهر الحال وقرئ سُرِّق
اي نسب الى السرقة • وما شهدنا • عليه • الا بما علمنا • وشاهدنا ان الصواع استخرج من وعائه • وما كنا
للغيب • اي باطن الحال • حافظين • فما ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه وما كنا عالمين حين
اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نبتلى في هذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف • واسأل القرية
التي كنا فيها • اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة • والعير التي اقبلنا
فيها • اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب عم وقيل من صنعاء
• وانا لصادقون • تأكيد في محل القسم • قال • اي يعقوب عم وهو استئناف مبني على سؤال نشأ مما
سبق فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل قال يعقوب عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما
حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب
ابيهم • بل سولت • اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل
عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما يؤدي الى ذلك من قول او فعل كأنه قيل
لم يكن الامر كذلك بل زينت • لكم انفسكم امرا • من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته
• فصبر جميل • اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل • عسى الله ان يأتيني بهم جميعا • بيوسف واخيه والمتوقف بمصر
• انه هو العليم • بحالي وحالهم • الحكيم • الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة • وتولى • اي اعرض • عنهم • كراهة لما سمع منهم
• وقال يا اسفى على يوسف • الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء فناداه
اي يا اسفي تعال فهذا اوانك وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة
الارزاء وغضة عنده اخذا بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف
فلم يكن في شأنه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا

اليه راجعون

اليه راجعون الا امة محمد صلعم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجنيس بين الاسف
ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم
وقوله ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ بنبأ يقين ونظائرها • وابيضت عيناه من الحزن • الموجب
للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا
روي انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز
وجل من يعقوب عم وعن رسول الله صلعم انه سأل جبرئيل عم ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف عم قال وجد سبعين
ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف
والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا
عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق
الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلعم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا
عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح • فهو
كظيم • مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من
كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا تجرعه واصله
كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه • قالوا تالله تفتؤ • اي لا تفتؤ ولا تزال • تذكر يوسف • تفجعا عليه فحذف حرف
النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا • لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة
الاثبات يكون على النفي البتة • حتى تكون حرضا • مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او
مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب
وغرب • او تكون من الهالكين • اي الميتين • قال انما اشكو بثي • البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى
الناس اي ينشره فكأنهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم او الى
غيركم حتى تتصدوا لتسليتي وانما اشكو همي • وحزني الى الله • ملتجئا الى جنابه متضرعا لديه في دفعه وقرئ بفتحتين
وضمتين • واعلم من الله ما لا تعلمون • من لطفه ورحمته فارجوا ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي او اعلم
وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف عم قيل رأى ملك الموت عم في المنام فسأله عنه فقال
هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عم انه سيخر له ابواه واخوته سجدا • يا بني اذهبوا فتحسسوا • اي فتعرفوا
وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي تطلبوا • من يوسف واخيه • اي من خبرهما ولم يذكر
الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها • ولا تيأسوا من روح الله • لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ
بضم الراء اي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهمه في قوله واعلم من الله ما لا
تعلمون • ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نصيحته بقوله • انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون • لعدم علمهم
بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال • فلما دخلوا عليه • اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر

بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى البيان
قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة
مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل
كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل
دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف
والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا فأوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله
الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على
ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق من فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص حرمة الصدقة
بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدأوا بما امروا به استجلابا للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب
والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على المحملين
فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما يتوخونه وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما
فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد
علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون بعاقبته
وانما قال ذلك لهم نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام
منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما يوجههم وطيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض في طلب بنيامين
بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا
عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وهو من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن
ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار
فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لي ابن
وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي
من البكاء عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك
حبسته انا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا
قالوا أإنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكد بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالاخبار
قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه
الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ أئنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف
او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسألتهم وقد زاد
عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف

واخيه

واخيه حسبما يفيده قوله تعالى قد من الله علينا فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف
وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة
ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق
الاستئناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب
سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي يستلذها النفس فان الله
لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون
بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا
وان الشأن كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة
والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم
الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال
فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبرا للا اي لا اثربكم
او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه حينئذ صفح عن جريمتهم
وعفا عن جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن
كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان
اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ
ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام اذهبوا
بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امر جبرئيل عليه السلام بارساله اليه
واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا يصر بصيرا او يأت
الي بصيرا وينصره قوله وأتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري
قيل يهودا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فأفرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف
حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال
فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس رضي الله عنه انفصل العير قال ابوهم
يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف
من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهودا لولا ان تفندون اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل
وفساد الرأي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها
وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم
لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات
فلما ان جاء البشير وهو يهودا القاه اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب عليه السلام
او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم

سفه قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه
وهو الانسب بقوله • اني اعلم من الله ما لا تعلمون • فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة الله
سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم عن
الياس من روح الله تعالى اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك
مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة • قالوا يا ابانا استغفر
لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين • ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عم
ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار او ادرجوا ذلك في الاستغفار • قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور
الرحيم • وهذا مشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة تحريا به وقت الاجابة وقيل اخره
الى ان يستحل لهم من يوسف عم او يعلم انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي عنه انه
استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم
وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عم وقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح
ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل استنبائهم وقيل المراد الاستمرار على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر
كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي
على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين • فلما
دخلوا على يوسف • روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك
في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عم وهو يمشي متوكئا على يهودا فنظر الى الخيل والناس
فقال يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا بل هو ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف
يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك
وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عم
ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف • آوى اليه ابويه • اي اباه وخالته
وتنزيلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان
يعقوب تزوجها بعد امه وقال الحسن وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة الى التأويل وقيل ومعنى آوى اليه
ضمهما اليه واعتنقهما وكأنه عم ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما اليه • وقال ادخلوا
مصر ان شاء الله آمنين • من الشدائد والمكاره كافة والمشية متعلقة بالدخول على الامن • ورفع ابويه عند نزولهم
بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته • وخروا له • اي ابواه واخوته • سجدا • تحية له
فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية
في التعظيم والتوقير وقيل لم يكن ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه وبابه الخرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا
ويرده قوله تعالى • وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي • التي رأيتها وقصصتها عليك • من قبل • في زمن الصبا
• قد جعلها ربي حقا • صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله [illegible]

حتى لا يخجلهم بتعسف الخفي وتأخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق
الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله • وقد احسن بي • المشهور
استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا بتضمين لطف
وهو الاحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى اي لطف بي محسنا الي غير الاحسان
اذ اخرجني من السجن • بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذرا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم وقوع
السلام عقيب خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى • وجاء بكم من البدو • اي البادية • من بعد ان
نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي • اي افسد بيننا بالاغراء واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري
يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عم في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان • ان ربي لطيف
لما يشاء • اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة
الى تدبيره سهل • انه هو العليم • بوجوه المصالح • الحكيم • الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان
يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن
الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح ونحو ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك
هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل عم قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني
فسأله قال جبريل عم الله تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم
عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك
الدائم الخلد فتمنى الموت فقال • رب قد آتيتني من الملك • اي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر • وعلمتني من
تأويل الاحاديث • اي بعضا من ذلك كذلك ان اريد تعليمها وبل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب
الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر وان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر
فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر لانه اعظم تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك عرف في كونه
نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يكتفى بمثله هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم فيما
وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك ثم تأخر عنه واما الوقوع ههنا و
فههنا محل التأخر في الذكر والعطف بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود • فاطر السموات
والارض • مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى اخر وصفه تعالى به بالربوبية مبالغة في
ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله • انت وليي • مالك امري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني بالنعمة
فيهما واذ قد اتممت علي نعمة الدنيا • توفني • اقبضني • مسلما والحقني بالصالحين • من ابائي او
بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم
اهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه في تابوت من مرمر ويجعلوه فيه ويدفنوه
في النيل ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد له افرائيم وميشا ولافرائيم نون ولنون

يوشع فتى موسى عليهم السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم تزل بنو اسرائيل تحت ايديهم
على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى موسى عم ۞ ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف وما
فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او لكونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول صلعم وهو
مبتدأ خبره ۞ من انباء الغيب ۞ الذي لا يحوم حوله احد وقوله ۞ نوحيه اليك ۞ خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر
ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك ۞ وما كنت لديهم اي لدى اخوة يوسف
۞ اذ اجمعوا امرهم ۞ وهو جعلهم اياه في غيابة الجب ۞ وهم يمكرون به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم
وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا ۞ وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عم في مشهد اجماعهم ومكرهم فقط
بل في سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون وا
لخطاب وان كان لرسول الله صلعم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ان ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ
لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك من انباء اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك
فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار كانهم يشكون
في ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب
ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو
بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
الى موسى الامر ۞ وما اكثر الناس ۞ يريد به العموم او اهل مكة ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار
الآيات القاطعة الدالة على صدقك ۞ بمؤمنين ۞ لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا
لما سألوا عن قصة يوسف عم وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلعم فقيل
له ذلك ۞ وما تسألهم عليه ۞ اي على النبأ او على القرآن ۞ من اجر ۞ من جعل كما يفعله حملة الاخبار ۞ ان هو
الا ذكر ۞ عظة من الله تعالى ۞ للعالمين ۞ كافة لا ان ذلك مختص بهم ۞ وكأين من آية ۞ اي كاي عدد شئت من الآيات
والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها ۞ في السموات
والارض ۞ اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار و
سائر ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر ۞ يمرون عليها ۞ اي يشاهدونها ولا يعبؤون بها وقرئ
برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى يطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف
عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر
۞ وهم عنها معرضون ۞ غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها ۞ وما يؤمن اكثرهم بالله ۞ في اقرارهم بوجوده
وخالقيته ۞ الا وهم مشركون ۞ بعبادتهم لعزير او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم اتخذ الله ولدا
تعالى الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال
شركهم وقيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب ۞ افامنوا ان تأتيهم
غاشية من عذاب الله ۞ اي عقوبة تغشاهم وتشملهم ۞ او تأتيهم الساعة بغتة ۞ فجاءة من غير سابقة

علامة

علامة ۞ وهم لا يشعرون ۞ باتيانها مستعدين لها ۞ قل هذه سبيلي ۞ وهي الدعوة الى التوحيد
والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله ۞ ادعوا الى الله على بصيرة ۞ ببيان وحجة واضحة غير عمياء وهي حال
من الضمير في سبيلي العامل فيها معنى الاشارة ۞ انا ۞ تأكيد للمستكن في ادعوا على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ
خبره على بصيرة ۞ ومن اتبعني ۞ عطف عليه ۞ وسبحان الله وما انا من المشركين ۞ مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله
۞ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا ۞ رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة ۞ نوحي اليهم ۞ كما اوحينا اليك وقرئ
بالياء ۞ من اهل القرى ۞ لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة ۞ افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ۞ من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك
۞ ولدار الآخرة ۞ اي الساعة او الحيوة الآخرة ۞ خير للذين اتقوا ۞ الشرك والمعاصي ۞ افلا تعقلون ۞ فتستعملوا
عقولكم لتعرفوا خيرية دار الآخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت قل ۞ حتى اذا استيأس الرسل ۞ غاية لمحذوف
دل عليه السياق اي لا يغررنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد امهلوا حتى استيأس الرسل
عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع ۞ وظنوا
انهم قد كذبوا ۞ كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف
بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت
وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا ۞ جاءهم نصرنا ۞ فجاءة وعن ابن عباس رضي
وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه
الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي يترجح احد الطرفين
على الآخر فلا يتصور ذلك من آحاد الامة فما ظنك بالانبياء عم وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون الله تعالى منزلتهم
وقيل الضمير للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم
كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضمير للرسل اي ظنوا انهم كذبوا قومهم فيما حدثوا به
لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم ۞ فنجي من نشاء ۞ هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المضارع
بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا ۞ ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ۞ اذا نزل بهم وفيه بيان للمشيئة ۞ لقد كان في قصصهم
اي قصص الانبياء واممهم ويؤيده قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته ۞ عبرة لاولي الالباب ۞ لذوي العقول
المبرأة عن شوائب احكام الحس ۞ ما كان ۞ اي القرآن المدلول بما سبق دلالة واضحة ۞ حديثا يفترى ولكن ۞ كان ۞ تصديق الذي بين يديه
من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين يديه ۞ وتفصيل كل شيء ۞ مما يحتاج
اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القرآن او بالذات او بوسط ۞ وهدى ۞ من الضلالة ۞ ورحمة ۞ ينال بها
خير الدارين ۞ لقوم يؤمنون ۞ اي يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون
بجدواه عن رسول الله صلعم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

تم الجلد الاول من المجلدين لتفسير
مفتي الثقلين ابي السعود
جعل الله تعالى مسرورا
في يوم الموعود

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الرعد اربعون وثلث آية مكية

المر اسم للسورة ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسمّاة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مرّ مرارا وقوله تعالى • تلك على الوجه الاول مبتدأ مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما والخبر على التقادير قوله تعالى • آيات الكتاب • اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل الاشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مرّ تفصيله في سورة يونس عليه السلام • والذي انزل اليك من ربك • اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها • الحق • الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شأن المنزل وتشريف المنزل والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى • ولكن اكثر الناس لا يؤمنون • بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار • الله الذي رفع السموات • اي خلقها مرتفعات على طريقة قولهم سبحان من كبّر الفيل وصغّر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي مد الارض • بغير عمد • اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم ويعضده القراءة بضم العين والميم وقرئ عمد جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفي عن كل واحد منها عمد لا عماد • ترونها • استئناف استشهد به على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله سبحانه • ثم استوى • اي استولى • على العرش • بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء صفة لله عز وجل بلا كيف وايا ما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة • وسخّر الشمس والقمر • ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها • كل • من الشمس والقمر • يجري • حسبما اريد منهما • لاجل مسمى •

لمدة

لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهي فيها حركاتهما وتخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل والغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما • يدبر الامر • امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته • يفصل الآيات • الدالة على كمال قدرته • وبدائع حكمته اي يأتي بها مفصلة ويبين ما ذكر من الافعال العجيبة شيئا فشيئا المستتبعة لآثار التدبير في السفليات على موجب التدبير والتقدير والجملتان حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له والمكلف حال منه وان كانت من القمر فيهما او كلاهما من ضمائر الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله جبر اسعد خبر والموصول صفته للمبتدأ جيء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شأنه كما في قوله ان الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه اعز واطول • لعلكم • عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها • بلقاء ربكم توقنون • بملاقاته للجزاء • توقنون • فان من تدبر فيها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وان لهذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد ثبت على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية • فقال • وهو الذي مد الارض • اي بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما يدرك منتهاه وفيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها • وجعل فيها رواسي • اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك وفي انحصار مجيء فواعل جمعا لفاعل في فوارس وهوالك ونواكس لما سوى صفات العقلاء ولما في غيرهم فلا يرد على ذلك اصلا كما في قوله تعالى اياما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة بمعنى اجبال او يعتبر في جمع الكثرة اي جبالا بنطاقها لطائفة من مجموع القلة وتنزيل كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتي الجمع انما هي باعتبار الافراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة فكل منها جمع جبل لا جمع اجبال كأن طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجأ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها • وانهارا • مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في سلك واحد ايماء الى ان الجبال منشأ للانهار وبيان لسبب اجرى للجبال على كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلاء • ومن كل الثمرات • متعلق بجعل في قوله تعالى • جعل فيها زوجين اثنين • اي تثنية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكده بزوجين لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير

او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استئنافا لبيان كيفية ذلك
الجعل يغشي الليل النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء
الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول
فان ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعدم ذكر تغشية النهار الليل مع تعلق الايات السفلية
وان كان في تعلقه بالايات العلوية ظاهرا باعتبار ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل
اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها و
قرئ يغشّي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار
وخلق الثمرات واغشاء الليل النهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه في بابه لايات
باهرة وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها فنبه على معالمها ان تلك الآثار مستقرة في تلك
الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فنفي تجريدها لقوم يتفكرون
فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان يكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لا بد له من
مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفي الارض قطع جملة مستأنفة
مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف فمن طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة و
صلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقات وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات
وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله
ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها ومباينتها لسائرها
ورسوخ ذلك فيها وتاخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى صنوان وغير صنوان
فاصلة والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها راسان واصلهما واحد وقرئ بضم الصاد على لغة
بني تميم وقيس وقرئ وجنات بالنصب عطفا على زوجين او بالجر على كل الثمرات ولعل عدم نظمه في سلك قوله تعالى وفي الارض
قطع متجاورات في هذا السلك مع اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل
الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها لما ان كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ
وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات يسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ
بالتانيث مراعاة للفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا اختلاف في
طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع تأخذ اسباب النشأ بمحض قدرتنا واختيارنا
بعضها على بعض آخر منها في الاكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل على ذا
على يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول ومنه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال اسناد الفعل
الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل للفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع والجنات لآيات
كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم في
الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدائع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم والروائح بتلك

القطع

القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون في القياس وهذه
الاحوال وان كانت هي الايات انفسها لا انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة في كونها آية
فنفي تجريدها كما في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد والمشار اليه الاحوال الكلية والايات افرادها الحادثة
شيئا فشيئا في الازمنة وآحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها فمعنى على معناها وحيث
كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير
تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف
العثور عليه على نوع تأمل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر اصلا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين
وان تعجب يا محمد من شيء فعجب لا عجب منه حقيق بان يتعجب منه التعجب قولهم بعد مشاهدة ما عدد ذلك
من الايات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء قدير أئذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكاري المفيد
لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المقول او في محل النصب
على المفعولية منه على انه مصدر فالتعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا ما دل عليه
قوله أئنا لفي خلق جديد وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه
في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد
بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك في استعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في الكفر
ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فحقيق بهم وانما قال وان تعجب فقد تعجبت في موضع التعجب وقيل وان تعجب
من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فيا [illegible] او فجوز كون الخطاب لكل من يصلح له اي ان تعجب يا من ينظر في هذه
الايات من قدرة من هذه افعاله فازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلائل قدرته على البعث وهو اهون شيء من هذه و
الاشياء ويستعجلونك بالسيئة هو الادل وقوله فعجب خبر قدم على المبتدأ للقصر والتسجيل من اول الامر بكون قولهم
ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تتعجب فالعجب الذي لا عجب
فوقه اولئك مبتدأ والموصول خبره اي اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث ريثما عاينوا ما فصل من
الايات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته
عز وجل كفر به واي كفر واولئك مبتدأ وقوله الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى
خلاصهم او مغلولون يوم القيامة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون
لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بمنكري البعث خاصة بل بالجمع المدلول عليه بقوله تعالى
اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي انذروها وذلك حين سألوا رسول الله صلعم ان يأتيهم
العذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم
المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا يحترزون حلول مثلها بهم والجملة حالية لبيان ركاكة
رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال
انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها و

وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين اتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم
وسكون الثاء كالسمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة كغرفة وغرف
وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي ومحله النصب على الحالية اي ظالمين
والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك ليغفر للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها
وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه السلام
لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا
وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بايات الله تعالى التي تخر لهيبتها
الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الايات وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه مثل
ايات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة والا فقد انزلت عليه عليه السلام ايات غثة ومرة لاولي الالباب انما
انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما ياتون ويذرون كغيرك من قبلك من الرسل وليس عليك
الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقام الحجر بالاتيان بما
اقترحوا من الايات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعني لكل قوم نبي مخصوص
هداية مخصوصة بمقتضى اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر
على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للايات المنزلة عليك وازدراؤهم
بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبني على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص
كل قوم بنبي وكل نبي بجنس معين من الايات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم
لكن لا يهدي الا من تعلق بهدايته مشيئته التابعة للحكم استاثر بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى
اي تحمله وما موصولة اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى
واحد او اي شيء تحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية منه متعلقة بالعلم او
حملها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداد في الجثة كالخديج والتام وفي المدة كالمولود
في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع ومن ذلك سمي هرما
وفي العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان
كما في قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله تزداد كبدي ... لازمان فقد اسند الى الارحام
مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه عنه كقوله انا كل شيء خلقناه
بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكون ومباديها وقت معين و
حال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشياء في انفسها
في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك علم بها بالنسبة الى الله عز وجل عالم الغيب
اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة
الموجود وهو خبر مبتدا محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم

الى اخره الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه عن
نعوت المخلوقات وبعد ما بين انه تعالى عالم بجميع ما ياتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق
بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن
هو مستخف مبالغ في الاختفاء كانه مختف بالليل او طالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد
بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله
تعالى فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم مستخف بالليل وسارب بالنهار
والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر والى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة مسند الى ما اسره وما جهر به
والى الفعل من حيث هو فاعل كما في الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفاء للاظهار كمال علمه تعالى وكانه في التعلق
بالخفيات اقدم منه بالظواهر والاضافة الى الكل سواء كما عرفته له اي لكل من اسر او جهر والمستخفي و
السارب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم
يعقب بعضا ولانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة
او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين
من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من باسه حين اذنب
بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل
من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان
يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم
من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم
سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم
وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة
واقتراح الاية قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي
يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر وفيه تقديم الخوف على الطمع لما ان المخوف عليه
النفس او الرزق المعتد والمطموع فيه الرزق المرتقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الى من يخاف منه
غير الطامع فيه كالخزاف والحراث ويأباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من ان
المخوف عتيد والمطموع فيه وانتصابهما اما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق
او المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول والفاعل مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة
خوف وطمع او بتاويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل هي الرؤية التي
يتضمنها الاراءة على طريقة النابغة وحلت بيوتي في يفاع ممنع يخال به راعي الحمولة طائرا حذارا على
ان لا تنال مقادتي ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا اي احلت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في معرض العلة

الى أنه لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم • وينشئ السحاب • الغمام المنسحب في الجو • الثقال • بالماء وهي جمع ثقيلة وصف
بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام
• ويسبح الرعد • اي سامعوه من العباد الراجين للمطر متلبسين • بحمده • اي يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى
الرعد لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده واذا اشتد
يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي
ان اليهود سألت النبي صلعم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك • والملائكة • اي ويسبح الملائكة • من خيفته • من هيبته واجلاله جل
جلاله وقيل الضمير للرعد • ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء • فيهلكه بذلك • وهم • اي الكفرة المخاطبون
في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم
لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب
الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين والرعد بتسبيحه والملك الموكل
والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم اي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم
وهوانهم وحقارة شأنهم • يجادلون في الله • اي في شأنه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث واستعجال
العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق الخ او
على قوله الله يعلم ما تحمل الى آخره واما العطف على قوله ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان
قوله تعالى الله يعلم الى آخره استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع
لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال اي فيصيب بها من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن
ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلعم يبغيانه الغوائل فدخلا المسجد وهو صلعم جالس في نفر من الاصحاب
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فاستشرفوا لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى الى اربد اذا رأيتني
اكلم محمدا فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عامر فدار اربد من خلفه عم فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر
على سله وجعل عامر يومي اليه فرأى النبي صلعم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في
يوم صحو فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه
فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت
لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فاذراه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت
السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه حتى مات على ظهره و
قيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلعم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل
فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب ام من فضة ام من نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فعادوا
الى النبي صلعم فقالوا ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال لهم ارجعوا اليه فرجعوا اليه فما زاد الا انه
الاولى واخبث فرجعوا اليه ثم واخبروا بما صنع فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه اذا
ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر فجاؤوا يسعون ليخبروه فاستقبلهم
الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي صلعم • وهو شديد المحال • اي والحال

انه شديد

انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل
اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو مفعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس
ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا
في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد • له دعوة الحق • اي الدعوة الثابتة
الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها والاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونها بمعزل من
شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي الدعوة اللائقة بحضرته
كما في قوله عم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية لتربية معنى
الاستجابة والاول هو الاولى لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث
ان اهلاك اربد وعامر محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلعم عليهما ان كانت الآية نزلت في شأنهما
او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلعم بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم • والذين
يدعون • اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد • من دونه • من دون الله عز وجل • لا يستجيبون
لهم بشيء • من طلباتهم • الا كباسط كفيه الى الماء • اي الا استجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه
اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على حقيقته الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من
المبني للمفعول مضافا الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجودا
وعدما فكأنه قيل لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء
كما في قوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحت او مجلف • اي لم يدع فلم يبق الا مسحت او
مجلف • ليبلغ • اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الاناء ونحوه • فاه • وما هو • اي الماء • ببالغه • ببالغ
فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا يبسط يده اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ
الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم
لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة للتشبيه في جميع مفردات
الاطراف فان الماء في نفسه شيء ينتفع به بخلاف آلهتهم والمراد نفي الانتفاع به رأسا الا انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم
بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليس فيها شائبة الاستجابة
قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين • وما دعاء الكافرين
الا في ضلال • اي ذهاب وضياع • ولله • وحده • يسجد • يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا
فالقصر ينتظم القلب والافراد • من في السموات والارض • من الملائكة والثقلين • طوعا وكرها • اي
طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياده لاحداث ما
اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاؤوا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل عدم حكمه تعالى في تلك الشؤون
مما لا يخفى على احد • وظلالهم • اي وتنقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اي الانس حيث تتصرف على مشيئته و
تتأتى لارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال • بالغدو والآصال • ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال

وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع اوقات وجودها لظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة
كقني في جمع قناة والآصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر
ويؤيده انه قد قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو
المعني بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان
يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي
كما قاله ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص
سجود الكافر حالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من
من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقيق انقياد الكل في الابداع والاعدام له تعالى
ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون
غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه قد بين ذلك بقوله عز وجل قل من رب
السموات والارض فانه تحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله
قل الله امر بالجواب من قبلهم اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او امر بحكاية
اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم منه كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والزمهم الحجة او امر
بتلقينهم ذلك ان تلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره
قل الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم لانفسكم والهمزة للانكار الواقع كما في قولك أضربت اباك
لا لانكار الوقوع كما في قوله أأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اي أعلمتم ان ربهما هو الله الذي
ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم من دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا
يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيرهم ودفع الضر عنه لا على ان يكون
الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله تعالى افلا تعقلون اذ قدر المعطوف عليه الا تسمعون بل الى
ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى أبعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله
اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما
في قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ووصف الاولياء بما ذكر من عدم
الملكية للنفع والضر في تشنيع الانكار وتأكيده كتقييد الاتخاذ هنا كما في الحملة الحالية في قوله تعالى وهم لكم عدو
فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره قل تصويرا لارائهم الركيكة بصورة المحسوس هل
يستوي الاعمى الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك
او الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء ام هل تستوي الظلمات
التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد والايمان وقرئ بالياء ومآل
النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطاء
البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة فضلا ان يكون منشأ

لغلطهم

لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اي بل اجعلوا له شركاء خلقوا كخلقه سبحانه
والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس
الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم
بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطائهم بل
انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رأيهم والتهكم بهم قل تحقيقا
للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كائنا ما كان فلا خالق سواه فيشاركه في استحقاق العبادة وهو
الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما مثل
المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه
من جناب القدس على قلوب خالية عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة
مذاكرة وتلاوة وفي ثباته فيها مع كونه ممدا لحيوتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية
بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته الحكمة
في احياء الارض وما عليها ابتهج فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية تتحلى النفوس وتصل
الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي تتخذ منها انواع
الآلات والادوات منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر
فيهما من غير مداخلة فيهما واخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء
اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه
لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو منفرج بين جبال او تلال او آكام على الشذوذ
كناد واندية وناج وانجية فالنور وجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم
وحيث جمع فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد
السيلان اليها واضح وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل بها على الانهار
المستمرة الجريان لوضوح المماثلة بين شأنها وشأن ما مثل بها كما اشير اليه بقدرها اي سالت
ملتبسة بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب
تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد
الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان موارد السيل الجاري في الوادي الصغير اقل من موارد
السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى
سالت مياهها بقدر تلك الاودية على نحو ما عرفته انفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد
بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري في تلك الاودية اي حمل معه زبدا اي غثاء ورغوة
وانما وصف في قوله تعالى رابيا اي عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول غير طاف كالاحجار
الثقيلة وانما لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد

لا من جهة المحتمل لحقيقة للتمثيل بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور في بادي الرأي من غير مداخلة
في الحق ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ اي يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار والتعبير كالناس خبر مع عدم
سبق الذكر لظهوره وقرئ بالياء ﴿ابتغاء حلية او متاع﴾ اي لطلب اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل به
كالحلي المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاواني والالات المتخذة من الرصاص و
الحديد ونحو ذلك من الفلزات ﴿زبد﴾ خبث ﴿مثله﴾ مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبد مبتدأ
خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا
منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار جريا
على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه وبانه
وفي زيادته في النار اشعار بالمبالغة في الاعتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض
لعدم دخول ذلك العنوان في التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف
بل له اخلال بذلك ﴿كذلك﴾ اي مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة ﴿يضرب الله الحق والباطل﴾
اي مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب
عين الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجوه و
ارفعها حسبما اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة
من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل
فقيل ﴿فاما الزبد﴾ من كل منهما ﴿فيذهب جفاء﴾ اي مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد ﴿واما ما ينفع
الناس﴾ منهما كالماء الصافي والفلز الخالص ﴿فيمكث في الارض﴾ اما الماء فيثبت بعضه في منافعه
ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقني والابار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع
الحلي ويتخذ من بعضه اصناف الالات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاعات مدة طويلة
فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدي المستغلين فيها وتغيير ترتيب
اللف الواقع في الكذلكة للموافق للترتيب الواقع في التمثيل لمراعاة الملازمة بين حالتي الذهاب والبقاء
وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الخير بعد ذهاب الذاهب لا قبله ﴿كذلك يضرب الله﴾ اي مثل
ذلك الضرب العجيب يضرب ﴿الامثال﴾ في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية
وفيه تفخيم لشأن هذا التمثيل وتأكيد لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتنائه هذا على التمثيل
الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعدما بين شأن كل من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل بيان
شرع في بيان حال اهل كل منهما مآلا تكميلا للدعوة ترغيبا وترهيبا فقيل ﴿للذين استجابوا لربهم﴾ اذ
دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية
واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول بصورة المحسوس وابراز للاوابد
في معرض المأنوس فاتى دعوته احسن اتيان بالاستجابة والقبول ﴿الحسنى﴾ اي المثوبة الحسنى وهي الجنة

﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وعاندوا الحق الجلي ﴿لو ان لهم ما في الارض﴾ من اصناف الاموال
﴿جميعا﴾ بحيث لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ﴿ومثله معه لافتدوا به﴾
اي بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان فالموصول
مبتدأ والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وقعت موقع السوأى فوقعت في مقابلة الحسنى الواقعة
في القرينة الاولى اذ لا حسن للمقابلة حينئذ كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوأى كما توهم فان الشرطية
وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوأى مصحوبا باللام الداخلة
على الموصول وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء الحساب في قوله تعالى
﴿اولئك لهم سوء الحساب﴾ وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ في هذه الجملة عبارة عن
الموصول الواقع مبتدأ في الجملة السابقة كان خبرها اعني الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة ومبينا
لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا له
لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تأكيد فتم حسن المقابلة على الوجه
الاكمل ببيان مؤدى ذلك فقيل ﴿ومأواهم﴾ اي مرجعهم ﴿جهنم﴾ وفيه نوع تأكيد لتفسير الحسنى بالجنة وفيه
نوع تأكيد لتفسير الحسنى بالجنة ﴿وبئس المهاد﴾ اي المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا
لربهم متعلقة بقوله يضرب الله الامثال اي الامثال السابقة وقوله الحسنى صفة لمصدر اي استجابوا الاستجابة
الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الى اخره كلام مستأنف مسوق لبيان ما
اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اي هما
مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال
المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين
امنوا امرأة فرعون ونظائره على ان الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير للموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل مثل
للحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس
او لا وجه حينئذ لتنويعهم الى المستجيبين وغير المستجيبين ﴿أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك﴾ من القرآن الذي
مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى ﴿الحق﴾ الذي لا حق وراءه او الحق الذي اشير اليه
بالامثال المضروبة فيستجيب له ﴿كمن هو اعمى﴾ عمى القلب لا يشاهده وهو على حاله ولا يقدره قدره وهو في اقصى
مراتب العتو والعناد فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال ولا يتذكر بما ضرب من الامثال اي كمن لا يعلم
ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة على
ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وما بين من المصير والمآل كانه قيل أبعدما بين حال كل من الفريقين ومآلهما يتوهم
المماثلة بينهما ثم استؤنف فقيل ﴿انما يتذكر﴾ بما ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتباين
﴿اولوا الالباب﴾ اي العقول الخالصة المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم ﴿الذين يوفون بعهد
الله﴾ بما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ﴿ولا ينقضون الميثاق﴾

ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تأكيد
للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان
بجميع الأنبياء المجتمعين على الحق من غير تفريق بين أحد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق
بهم من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة فلا يعصونه فيما أمر به ويخافون سوء الحساب فيحاسبوا
أنفسهم قبل أن يحاسبوا وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قبل والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس من الأفعال والتروك
ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير أن ينظروا إلى جانب الخلق رياء وسمعة أو إلى جانب النفس زينة وعجبا وحيث
كان الصبر ملاك الأمر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة أورد على صيغة الماضي اعتناء بشأنه ودلالة على وجوب
تحققه فإن ذلك مما لا بد منه إما في نفس الصلات كما فيما عدا الأولى والرابعة والخامسة أو في إظهار أحكامها كما في الصلات الثلاث
المذكورات فإنها وإن استغنت عن الصبر في أنفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف
لكن إظهار أحكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج وأقاموا الصلوة المفروضة وأنفقوا مما رزقناهم
أي بعضه الذي يجب عليهم إنفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال أو لمن لا يتهم بترك الزكاة أو عند إعطاء من
تمنعه المروءة من أخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كذلك أو الأول في التطوع والثاني في الفرض ويدرءون بالحسنة السيئة
أي يجازون الإساءة بالإحسان أو يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي يدفعون بالحسن من الكلام
ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان إذا
أذنبوا تابوا وقيل إذا رأوا منكرا أمروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لإظهار كمال العناية بالحسنة أولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة الظرفية أعني قوله لهم عقبى الدار أي عاقبة
الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لأولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار و
أيا ما كان فليس فيه قصر حتى يرد أن بعض ما في حيز الصلة ليس من الفرائض التي يخل تركها بالوصول إلى حسن العاقبة
والجملة خبر للموصولات المتعاطفة بطريق الاستئناف لبيان ما استوجبوا بتلك الصفات أو جعلت الموصولات
المتعاطفة صفات لأولي الألباب على طريقة المدح من غير أن يقصد أن يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن
بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الإقامة ثم صار علما لجنة من الجنان أي جنات يقيمون فيها
وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم
وذرياتهم وهو عطف على المرفوع في يدخلونها وإنما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم
من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وأن
الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي
التقييد بالصلاح قطع للأطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الأنساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذه الكرامة العظمى بما صبرتم أي بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من
مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الآن وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة

لما قدمناه

لما قدمناه من أن له دخلا في كل منها وفيه زيادة من حيث إنه ملاك الأمر في كل منها وأن شيئا منها لا يعتد به
إلا إذا كان لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار أي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والأصل
نعم فسكن العين بنقل حركتها إلى النون تارة وبدونه أخرى وعن النبي صلعم أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول
فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الأربعة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والذين ينقضون
عهد الله أريد بهم من يقابل الأولين ويقابلهم في الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه من
الاعتراف والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من الإيمان بجميع الأنبياء المجتمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم
ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الأرحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يرعون حقوقه من الأمور المعدودة فيما
سلف وإنما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك وأما عدم التعرض لنفي الصبر
المذكور فلأنه إنما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقع معتدا بها فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات
بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة ممن لا يحوم حول أصل الإيمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وإن
أريد بالإنفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما أمر الله تعالى به أن يوصل وأما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم
ظاهر مما سبق ولحق فإن من يجازي إحسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الأمر ويباشر الفساد حسبما يحكيه
قوله عز وعلا ويفسدون في الأرض أي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الإساءة
بالإحسان على أن ذلك يشعر بأن له دخلا في الإفضاء إلى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى أولئك إلى آخره
أي أولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة أي الإبعاد من رحمة الله تعالى ولهم
مع ذلك سوء الدار أي سوء عاقبة الدنيا أو عذاب جهنم فإنها دارهم. ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية
الصلة له ولا يخفى أنه لا دخل له في ذلك على أكثر التفاسير فإن مجازاة السيئة بمثلها مأذون فيها ودفع الكلام
السيء بالحسن وكذا الإعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما تركه يتبع وأما ما اعتبر اندراجه
تحت الصلة الثانية من الإخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لأن اعتباره من حيث إنه من مستتبعات
الإخلال بالعزائم كالكفر ببعض الأنبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتأكيد و
الإيذان بخلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق أي يوسعه لمن يشاء
من عباده ويقدر أي يضيقه على من يشاء حسبما تقتضيه الحكمة من غير أن يكون لأحد مدخل في ذلك و
لا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر إملاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن زيادة لأجره فلا يغتر ببسطه للكافر
كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا أي أهل مكة فرح أشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحيوة الدنيا
وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من النعيم في الآخرة في جنب نعيم
الآخرة إلا متاع إلا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى أنهم رضوا بحظ الدنيا معرضين
عن نعيم الآخرة والحال أن ما أشروه في جنب ما أعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين
كفروا أي أهل مكة وإيثار هذه الطريقة على الإضمار مع ظهور إرادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم
والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فإن ذلك في أقصى مراتب المكابرة و

والعناد وكان ما انزل عليه عم من الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الآيات
المحسوسة التي لا يبقى لاحد بعدها طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله سبحانه ﴿قل ان الله يضل من يشاء﴾
وضلاله مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرفه اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه
لا ينجع فيه اللطف ولا تنفعه الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة الشكيمة والغلو في التعسف فلا
سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ﴿ويهدي اليه﴾ اي الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة
على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه تنبيه لهم الى الوصف ﴿من اناب﴾ اي اقبل الى الحق ورجع عما
في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايراده في الصلة على ايراد ما في
الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى للتنبيه على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بما دعا الى المشيئة
الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضي للايماء الى استدعاء الهداية
السابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على استمرار المشيئة حسب استمرار مكابرتهم
﴿الذين آمنوا﴾ بدل من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان مؤديا اليها وان
اريد احداثها فالمراد بالذين آمنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اي الصائرين
الى التقوى والا فالايمان لا يؤدي الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اي هم الذين آمنوا او منصوب
على المدح ﴿وتطمئن قلوبهم﴾ اي تستقر وتسكن ﴿بذكر الله﴾ بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر
مبارك انزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون ان لا آية اعظم منه فيقترحونها والعدول
الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الآيات وتعددها ﴿الا بذكر الله﴾ وحده
﴿تطمئن القلوب﴾ دون غيره من الامور التي يميل اليها النفوس من الدنياويات وهذا ظاهر واما سائر
المعجزات فالقصر من حيث انها ليست بافادة الطمأنينة بنفسها بالنسبة الى من لم يشاهدها بخلاف القرآن المجيد فانه
معجزة باقية الى يوم القيامة يشاهدها كل احد وتطمئن به القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب
وافئدة بل هي هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله ولم يعدوه آية وهو اظهر الآيات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم
بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او
بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها
﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل [illegible] اي قلوب
الذين آمنوا وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدأ خبره الجملة الدعائية على التأويل او
[illegible] قوله ﴿طوبى لهم﴾ او خبر مبتدأ مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان و
طوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من الياء كموقن وموسر وقرئ [illegible]
طيبى لتسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما لك والرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها
في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى ﴿وحسن مآب﴾ بالنصب والرفع واللام
في لهم للبيان مثلها في سقيا لك ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الارسال العظيم الشأن المصحوب بهذه المعجزة الباهرة

ارسلناك

ارسلناك في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل ﴿لتتلو﴾ لتقرأ عليهم
﴿الذي اوحينا اليك﴾ من الكتاب العظيم الشان وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب
من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد
وحسن قبولها له عند وروده عليها ﴿وهم﴾ اي والحال انهم ﴿يكفرون بالرحمن﴾ بالبليغ الرحمة الذي وسعت
كل شيء رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ
منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم
بارسال مثلك اليهم وانزال القرآن الذي هو مدار المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي
مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن ﴿قل هو﴾ اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ﴿ربي﴾ الرب
في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل
نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله ﴿لا اله الا هو﴾ اي لا مستحق للعبادة سواه
تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلعم يقول يا الله يا رحمن فرجع
الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الآية ﴿عليه
توكلت﴾ في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه ﴿واليه﴾ خاصة ﴿متاب﴾ اي توبتي
كقوله سبحانه واستغفر لذنبك امر عليه السلام بالتوبة لتفضيل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء وبعثا
للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عليه السلام حيث امر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما
يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر
المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقيل فيثيبني على مصابرتكم فاذن ﴿ولو ان
قرآنا﴾ اي قرآنا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى ﴿سيرت به الجبال﴾ وجواب لو محذوف لانسياق
الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود اما بيان عظم شأن القرآن
العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا
غيره مما اوتي موسى وعيسى عم واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد
فالمعنى على الاول لو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما
فعل ذلك بالطور لموسى عم ﴿او قطعت به الارض﴾ اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل
بالحجر حين ضربه موسى عم بعصاه او جعلت قطعا متصدعة ﴿او كلم به الموتى﴾ اي بعد ان احييت بقراءته عليها
كما احييت لعيسى عم لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب قدرة الله تعالى
وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله و
تلك الامثال لكنها لا في الاعجاز اذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والانذار والتخويف لاختصاصها
بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكلم الموتى واعتبار فيض العقول لها مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور
في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التأخير

آثار م

تبقى النفس مترقبة ومستشرفة إلى المؤخر أنه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة أو في الموضعين لمنع
الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وإن كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة
القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها
وأنه حقيق بأن يكون مصدرا لكل خارق وإبانة لركاكة رأيهم في شأنه الرفيع كأنه قيل لو أن ظهور أمثال ما اقترحوا
من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل
ما لا يخفى • بل لله الأمر جميعا • أي له الأمر الذي عليه يدور فلك الأكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد لما يدريه من الحكم البالغة وهو إضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار
موجبه ومؤداه أي لو أن قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل عليه ما عليه الشأن الآن لأن
الأمر كله له وحده فالإضراب ليس متوجها إلى كون الأمر لله سبحانه بل إلى ما يؤدي إليه ذلك من كون الشأن على ما
كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار • أفلم ييأس الذين آمنوا • أي أفلم يعلموا على لغة هوازن أو
قوم من النخع أو على استعمال اليأس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين
رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أفلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر أي أغفلوا عن كون الأمر جميعا
لله تعالى فلم يعلموا • أن لو يشاء الله • على حذف ضمير الشأن وتخفيف أن • لهدى الناس جميعا • بإظهار أمثال
تلك الآيات العظيمة فالإنكار متوجه إلى المعطوفين جميعا أو أعلموا كون الأمر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم
مما ذكر فهو متوجه إلى ترتب المعطوف على المعطوف عليه أي تخلف العلم الثاني عن العلم الأول وعلى التقديرين
فالإنكار إنكار الوقوع كما في قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا الإنكار الواقع كما في قولك ألم تخف الله
حق خشيته ثم إن مناط الإنكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها
كأنه قيل ألم يعلموا أن الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم وأنه لم يشأ ذلك لأنهم كانوا يودون أن يظهر ما اقترحوا
من الآيات ليجتمعوا على الإيمان وعلى الثاني لو أن قرآنا فعل به ما فعل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو
أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى الآية فالإضراب حينئذ متوجه إلى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في
العناد على ما شرح أي فليس لهم ذلك بل لله الأمر جميعا إن شاء أتى بما اقترحوا وإن شاء لم يأت بحسبما
تستدعيه داعية الحكمة من غير أن يكون لأحد عليه تحكم أو اقتراح واليأس بمعنى القنوط أي ألم يعلم الذين
آمنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من إيمانهم فهو متوجه إلى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه أي إلى تخلف القنوط عن العلم
المذكور والإنكار على التقديرين إنكار الواقع كما في قوله تعالى أفلا تتقون ونظائره لا إنكار الوقوع فإن عدم قنوطهم
منه مما لا مرد له وقوله تعالى أن لو يشاء الله متعلق بمحذوف أي أفلم ييأسوا من إيمانهم علما منهم أو عالمين بأنه لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا على معنى أفلم ييأس من إيمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها
المنفهم من مكابرتهم حسبما حكيت لكلمة لعل بالوصف المذكور مزيد دعى إلى إنكار يأسهم وقيل إن أبا جهل وأضرابه قالوا
لرسول الله صلعم إن كنت نبيا فسير لنا الجبال عن مكة حتى تتسع لنا كما سخرت لسليمان عم لنتجر عليها
إلى الشأم فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة أو ابعث لنا رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا قصي

تقطع

تقطع الأرض قطعها بالسير ولا حاجة حينئذ إلى الاعتذار في إسناد الأفاعيل المذكورة إلى القرآن كما احتيج إليه
في الوجهين الأولين وعن الفراء أنه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بحقيقته
دال على الجواب والتقدير ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير
في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره • ولا يزال الذين كفروا • من أهل مكة • تصيبهم بما صنعوا • أي بسبب ما
صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه إما للقصد إلى تهويله أو لاستهجانه وهو تصريح بما أشعر به بناء الحكم على الموصول
من علية الصلة مع ما في صيغة الصنع من الإيذان برسوخهم في ذلك • قارعة • داهية تقرعهم وتقلقلهم وهو ما
كان يصيبهم من أنواع البلايا والمصائب من القتل والأسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر
مرارا من إرادة التفسير إثر الإبهام لزيادة التقرير والإحكام مع ما فيه من بيان أن مدار الإصابة من جهتهم
أثر ذي أثير • أو تحل • تلك القارعة • قريبا • أي مكانا قريبا • من دارهم • فيفزعون منها ويتطاير إليهم شررها
شبهت القارعة بالعدو المتوجه إليهم فأسند إليها الإصابة تارة والحلول أخرى ففيه استعارة بالكناية و
تخييل وترشيح • حتى يأتي وعد الله • أي موتهم أو القيامة فإن كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على أن ما
يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وأن ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة إليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى •
إن الله لا يخلف الميعاد • أي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه
وقال ابن عباس رضي الله عنهما أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلعم يبعثها وكانوا بين إغارة واختطاف
وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالإصابة والحلول حينئذ من أحوالهم ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحل قريبا من
دارهم خطابا للرسول صلعم مرادا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة • ولقد استهزئ
برسل • كثيرة خلت • من قبلك • فأمليت للذين كفروا • أي تركتهم ملاوة من الزمان في أمن ودعة كما يملى
للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلعم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء
ووعيد لهم والمعنى أن ذلك ليس مختصا بك بل هو أمر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فأمهلت
الذين فعلوه بهم والعدول في الصلة إلى وصف الكفر ليس لأن المملى لهم غير المستهزئين بل للإرادة الجمع بين
الوصفين أي فأمليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط • ثم أخذتهم فكيف كان عقاب • أي
عقابي إياهم وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى • أفمن هو قائم • أي
رقيب مهيمن • على كل نفس • كائنة من كانت • بما كسبت • من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من
ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف أي كمن ليس كذلك والإنكار لذلك وإدخال الفاء لتوجيه
الإنكار إلى توهم المماثلة غب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الإملاء المديد والأخذ الشديد ومن
كون الأمر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة
إلى أن يأتي وعد الله كأنه قيل الأمر كذلك فمن هذا شأنه كما ليس في عداد الأشياء حتى يشركوه به فالإنكار
متوجه إلى ترتب المعطوف أعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر أعني كون الأمر كما ذكر كما في قولك
أتعلم الحق فلا تعمل به لا إلى المعطوفين جميعا كما إذا قلت ألا تعلمه فلا تعمل به وقوله تعالى • وجعلوا لله شركاء •

جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الجزاء أو حالية أي أفمن هذه صفاته كمن ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا
واحدا أو معطوفة على الجزاء إن قدر ما يصلح لذلك أي أفمن هذا شأنه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع
المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الإبهام
بإيراده موصولا للدلالة على التفخيم وقيل تم وقل سموهم تبكيت لهم إثر تبكيت أي سموهم من هم وما ذا أسماؤهم أو صفوهم
وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة أم تنبئونه أي بل أتنبئون الله بما لا يعلم في الأرض
أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وقرئ بالتخفيف أم بظاهر
من القول بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى
ذلك قولهم بأفواههم وما تلك الأساليب البديعة التي وردت عليها الآية الكريمة منادية على أنها خارجة عن قدرة
البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا ووضع الموصول
موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الأباطيل أو كيدهم للإسلام بشركهم وصدوا عن
السبيل أي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليها وقرئ بفتحها أي صدوا الناس
أو من صد صدودا ومن يضلل الله أي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره أو يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى
لهم عذاب شاق في الحياة الدنيا بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فإنها إنما تصيبهم عقوبة على كفرهم
ولعذاب الآخرة أشق من ذلك بالشدة والمدة وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق
من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الأولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد مثل الجنة أي صفتها العجيبة الشأن
التي هي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا
عليك مثل الجنة وقوله تعالى تجري من تحتها الأنهار تفسير لذلك المثل على أنه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد
إلى الجنة أي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه أو على حذف موصوف
أي مثل الجنة جنة تجري إلى آخره أكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها أيضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ
ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي أي مآلهم ومنتهى أمرهم
وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من إطماع المتقين وإقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب
هم المسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة يفرحون بما أنزل إليك إذ هو الكتاب الموعود في التوراة
والإنجيل ومن الأحزاب أي من أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو
كعب بن الأشرف والسيد والعاقب أسقفي نجران وأتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة إنشاء
أو نسخا لا لما يوافق ما حرفوه والأشياء عليهم من أول الأمر إن مدار ذلك إنما هو خباثات أيديهم وأما ما
يوافق كتبهم فلم ينكروه وإن لم يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد بالموصول الأول عامتهم فإنهم أيضا يفرحون به
لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الأحزاب إلخ تتمة بمنزلة أن يقال ومنهم من ينكر
بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به أي شيئا من الأشياء أو

لا أفعل

أو لا أفعل الإشراك به والمراد قصر الأمر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الأمر مطلقا على عبادته خاصة أي قل لهم إنما أمرت
فيما أنزل إلي بعبادة الله وتوحيده وظاهر أن لا سبيل لكم إلى إنكاره لإطباق جميع الأنبياء والكتب على ذلك كقوله
تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا
والمسيح وقرئ ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف أي وأنا لا أشرك به إليه أي إلى الله تعالى خاصة على النهج المذكور
من التوحيد أو إلى ما أمرت به من التوحيد أدعو الناس لا إلى غيره أو لا إلى شيء آخر مما لم يطبق عليه
الكتب الإلهية والأنبياء عليهم السلام فما وجه إنكاركم وإليه إلى الله تعالى وحده مآب مرجعي للجزاء
وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا أمر عليه السلام بأن يخاطبهم بذلك
إلزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد إنكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء أو بدلا من الشرائع المنسوخة
ببيان الحكمة في ذلك فقيل وكذلك أنزلناه أي ما أنزل إليك وذلك إشارة إلى مصدر أنزلناه أو
أنزل إليك ومحله النصب على المصدرية أي مثل ذلك الإنزال البديع المنتظم لأصول مجمع عليها وفروع متشعبة
إلى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق
أو يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه
عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للإشارة إلى أن ذلك إحدى مواد المخالفة للكتب السابقة
مع أن ذلك مقتضى الحكمة إذ بذلك يسهل فهمه وإدراك إعجازه والاقتصار على اشتمال الإنزال على أصول الديانات
المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل إنما أمرت أن أعبد الله إلى آخره يأباه التعرض لاتباع أهوائهم وحديث المحو
والإثبات مع أن لكل أجل كتاب فإن المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت أهواءهم
التي يدعونك إليها من تقرير الأمور المخالفة لما أنزل إليك من الحق كالصلاة إلى بيت المقدس بعد التحويل
بعدما جاءك من العلم العظيم الشأن الفائض من ذلك الحكم العربي أو العلم بمضمونه ما لك من الله من
جنابه العزيز والالتفات من التكلم إلى الغيبة وإيراد الاسم الجليل لتربية المهابة قال الأزهري لا يكون إلها
حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا من ولي يلي أمرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق
يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي الواقي من نكايته أدخل على المعطوف حرف
النفي للتأكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم أو ما لك من بأس الله من ناصر وواق وأمثال
هاتيك القوارع إنما هي لقطع أطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة للقسم و
ما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم ولقد أرسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم
أزواجا وذرية نساء وأولادا أي جعلناها لهم وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج
والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام إلخ وما كان لرسول منهم أي ما صح وما استقام
ولم يكن في وسعه أن يأتي بآية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه إلا بإذن الله فإنه المليء بذلك على
الحكم والمصالح التي عليها يدور أمر الكائنات لا سيما مثل هذه الأمور العظام والالتفات لما قدمناه وتحقيق
مضمون الجملة بالإيماء إلى العلة لكل أجل أي لكل مدة ووقت من المدد والأوقات كتاب حكم معين يكتب

على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فإن الشرائع كلها لإصلاح أحوالهم في المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك أن تختلف حسب
اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب اختلاف أحوالهم المتغيرة حسب تغير الأوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف
أحوال المرضى بحسب الأوقات **يمحو الله ما يشاء** أي ينسخ ما يشاء نسخه من الأحكام لما تقتضيه بحسب الوقت
ويثبت بدله ما فيه المصلحة أو يبقيه على حاله غير منسوخ أو يثبت ما يشاء إثباته مطلقا أعم منهما ومن
الإنشاء ابتداء أو يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي أو يمحو
سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة أو يمحو قرنا ويثبت آخرين أو يمحو الفاسدات من العالم الجسماني
ويثبت الكائنات أو يمحو الرزق ويزيده أو يمحو الأجل أو السعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود
رضي الله عنهم والقائلون به يتضرعون إلى الله تعالى أن يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبي صلعم والأنسب تعميم كل من
المحو والإثبات ليشمل الكل ويدخل في ذلك مواد الإنكار دخولا أوليا وقرئ بالتشديد **وعنده أم الكتاب**
أي أصله وهو اللوح المحفوظ إذ ما من الذاهب والثابت إلا وهو مكتوب فيه كما هو **وإما نرينك** أصله إن
نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ومن ثمة ألحقت النون بالفعل **بعض الذي نعدهم** أي وعدناهم من إنزال
العذاب عليهم والعدول إلى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية أو نعدهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة
من إنزال العذاب عليهم أو نعدهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة من إنذار غب إنذار وفي إيراد البعض
رمز إلى إراءة بعض الموعود **أو نتوفينك** قبل ذلك **فإنما عليك البلاغ** أي تبليغ أحكام الرسالة بتمامها
لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذي هو من جملتها **وعلينا** لا عليك **الحساب** محاسبة أعمالهم السيئة و
المؤاخذة بها أي كيفما دارت الحال أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي أو لم نرك فعلينا ذلك و
ما عليك إلا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما
نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه بطلوع تباشيره فقال **أولم يروا** الاستفهام إنكاري والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام أي أنكروا نزول ما وعدناهم أو شكوا أو لم ينظروا في ذلك ولم يروا **أنا نأتي الأرض**
أي أرض الكفر **ننقصها من أطرافها** بأن نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الإسلام ونذهب منها أهلها
بالقتل والأسر والإجلاء أليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها
من أطرافها أفهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتي أو من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي
لفظ الإتيان المؤذن بالاستيلاء والهجوم والاستعلاء من التفخيم ما لا يخفى كما في قوله عز وجل
وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا **والله يحكم** ما يشاء وقد حكم للإسلام بالعزة والإقبال
حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفي الالتفات من التكلم إلى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة
على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالإشارة إلى العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها لتأكيد فحوى
ما تقدمها **لا معقب لحكمه** اعتراض في اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحال
كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه أي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله و
حقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب

وهو سريع

سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة بأشد العذاب بعد ما عذبهم بالقتل والأسر والإجلاء كما
يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام **وقد مكر** الكفار **الذين من قبلهم** من قبل كفار مكة
بأنبيائهم وبالمؤمنين مكرا مثل مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلعم بأنه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له في
الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله بقوله تعالى **فلله المكر** أي جنس المكر
جميعا لا وجود لمكرهم أصلا إذ هو عبارة عن إيصال المكروه إلى الغير من حيث لا يشعر وحيث كان جميع ما يأتون
وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وإنما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما بينه بقوله عز وجل **يعلم
ما تكسب كل نفس** ومن قضيته عصمة أوليائه وعقاب الماكرين لهم توفية لكل جزاء ما تكسبه ظهر أن ليس لمكرهم
بالنسبة إلى من مكروا بهم عين ولا أثر وأن المكر كله لله تعالى حيث يؤاخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي
التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون أو لله المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى أن ذلك من حيث الخلق
أو لله الكيد الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى أن ذلك ليس مكرا منهم بالأنبياء بل هو مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون
حيث لا يحيق المكر السيء إلا بأهله **وسيعلم الكفار** حين يقضي بمقتضى علمه فيوفي كل نفس جزاء ما تكسبه
لمن عقبى الدار أي العاقبة الحميدة من الفريقين وإن جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتأكيد وقوع ذلك
وعلمهم به حينئذ وقرئ سيعلم الكافر على إرادة الجنس والكافرون والكفر أي أهله والذين كفروا وسيعلم
على صيغة المجهول من الإعلام أي سيخبر **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** قيل قاله رؤساء اليهود
وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها أو للدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فإنه قد أظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة
عن شهادة شاهد آخر **ومن عنده علم الكتاب** أي علم القرآن وما عليه من النظم المعجز أو من هو من علماء
أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والآية مدنية بالاتفاق وكان ... أو من عنده علم
اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه أي كفى بالذي يستحق العبادة فإنه يستحق كتابه بالدعوة إلى عبادته
والتأييد بأنواع التأييد وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الأشياء الكائنة التي من جملتها رسالتي وقرئ ومن
عنده بالكسر وعلم الكتاب على الأول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول أو مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على
الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الرعد أعطي
من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل
والله تعالى أعلم

سورة إبراهيم بسم الله الرحمن الرحيم إحدى وخمسون آية

الر الكلام فيه وفي محله
غير مرة وقوله تعالى **كتاب** خبر لها على تقدير كونها مبتدأ أو لمبتدأ مضمر على تقدير كونها خبر المبتدأ المحذوف أو
مسرودا على نمط التعديد ويجوز أن يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى **أنزلناه إليك**
صفة له وقوله تعالى **لتخرج الناس** متعلق بأنزلناه أي بدعائهم إلى ما تضمنه من البينات الواضحة
المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الزائغة وقرئ ليخرج الناس **من الظلمات** من عقائد الكفر
والضلال التي كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة **إلى النور** إلى الحق الذي هو نور بحت لكن لا كيفما كان

فانك لا تهدى من احببت بل ﴿باذن ربهم﴾ اى بتيسيره وتوفيقه وللالتفات عن لون ذلك
منوطا بانابتهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدى اليه من اناب استعير له الاذن الذى هو عبارة عن
تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية التى هى عبارة عن تبليغ الشئ
الى كماله المتوجه اليه وبشمول الاذن بهذا المعنى للكل واطراده وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق
الاذن بالفعل فى بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر
وقع حالا من مفعوله اى ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يأباه اضافة الرب اليهم لا اليه حيث كان الحق
مع وضوحه فى نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عزوجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل ﴿الى صراط
العزيز الحميد﴾ على وجه الابدال بتكرير العامل كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والبيان بالاستعارة
انما هو فى الحقيقة لا فى المجاز كما فى قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل بالاستئناف
مبنى على سؤال كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص
الوصفين بالذكر للترغيب فى سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة ﴿الله﴾ بالجر عطف بيان للعزيز الحميد
لجريانه مجرى الاعلام الغالبة باختصاصه بالمعبود بالحق كالنجم فى الثريا وقرئ بالرفع على هو الله اى العزيز الحميد الذى اضيف
اليه الصراط الله ﴿الذى له ما فى السموات وما فى الارض﴾ اى ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما
متمكنا فيهما كما مر فى آية الكرسى وفيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة
﴿وويل للكافرين﴾ وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة واصله
النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك ﴿من عذاب شديد﴾ متعلق
بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا ﴿الذين يستحبون الحيوة الدنيا﴾
اى يؤثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر للشئ على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل
عندها من غيره ﴿على الآخرة﴾ اى الحيوة الآخرة الابدية ﴿ويصدون﴾ ﴿الناس﴾ ﴿عن سبيل الله﴾ الذى بين شانه
وفى الاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل على كل وصف جميل لزم الاختصار وسوء صنيعه صدا وقرئ يصدون
من اصده المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كاوقفه فان فى صده وقفه لمندوحة عن تكلف النقل ﴿ويبغونها﴾
اى يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اى يطلبون لها ﴿عوجا﴾ اى زيغا واعوجاجا وهى ابعد شئ
من ذلك اى يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة زائغة غير مستقيمة ومحل هذه
الصلات الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء ما يناسبه من المعانى
المعتبرة فى الصراط فالكفر المبنى على الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا التى شأنها المعصية عن مخافة
العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تماديهم فى البغى
ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر ﴿اولئك فى ضلال بعيد﴾ وعلى الاول جملة مستأنفة
وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم مؤكدة لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اى اولئك الموصوفون
بالقبائح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيم ووصفها

بالاعوجاج

بالاعوجاج وهى منه بمعزل ﴿فى ضلال﴾ عن طريق الحق ﴿بعيد﴾ بالغ فى ذلك غاية الغايات القاصية والبعد
وان كان من احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء
ويجوز ان يكون المعنى فى ضلال ذى بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل عن
الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفى جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة
﴿وما ارسلنا﴾ اى فى الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا ﴿من رسول الا﴾ ملتبسا ﴿بلسان
قومه﴾ متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم اولا وقرئ بلسن وهو لغة
كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ﴿ليبين لهم﴾ ما امروا به فيتلقوه
منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يمكن مراعاة هذه
القاعدة فى شأن سيدنا صلى الله عليه وسلم لعموم بعثته للثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد
نظم الكتاب المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدى
التحريف مع ان استقلال بعضها بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر
قريب من الالجاء وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة
الشان المستتبع لفوائد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة
من معرفة توافق الكل وتحاذيه والتعذر بالتغذى من غير مخالفة ولو فى خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن ترجم
عن الكل واحدا واحدا وفيه من التعذر ما يتاخم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم
بدعوته عم قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربى مبين
وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل الضمير فى قومه لمحمد عم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها
جبرئيل عم او كل من نزل عليه من الانبياء عم بلغة من نزل عليهم ورد بقوله تعالى ليبين لهم فانه ضمير
القوم وظاهر ان جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفى رجعه الى قوم كل نبى كانه قيل وما ارسلنا من رسول
الا بلسان قوم محمد عم ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف ﴿فيضل الله من يشاء﴾
اضلاله اى يخلق فيه الضلال لمباشرة اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف
﴿ويهدى﴾ بالتوفيق ومنح الالطاف ﴿من يشاء﴾ هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات
باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوى على الصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها
فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من يشاء اضلاله لما
يليق به ﴿ويهدى من يشاء﴾ هدايته لاستحقاقه والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به
وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سنته امر محقق غنى عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام
وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة فى بيان ان لا تاثير
للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام ان ترتيب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب.

من مرتب الاعتداء وهذا المحقق بما سلف من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى • وهو العزيز • فلا
يغالب في مشيته • الحكيم الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما
هو تبليغ الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد • ولقد ارسلنا موسى • شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم الاية • باياتنا • اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل • ان اخرج قومك • بمعنى اي اخرج لان
الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله وان اقم وجهك فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر
وهو المراد في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون • من الظلمات • من الكفر والجهالات
التي ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة • الى النور • الى الايمان بالله وتوحيده
وسائر ما امروا به • وذكرهم بايام الله • اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عم اذكروا نعمة الله عليكم لكن
لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما ينبئ عنه قوله الم ياتكم نبأ
الذين من قبلكم الايات او بايامه المنطوية على ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والانعاث من لا يتكلم الى الكيفية
باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بعجائبه شانها والاستغناء بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة
بالمخاطب وقومه كما هو موهم الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل بايام
الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها اي انذرهم وقائعه التي
وقعت الامم الدارجة ويرده ما يقتضيه عموم بعده والامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء في جرى
عليهم وعلى غيرهم حسبما تلي عليك • ان في ذلك • اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في
ايامها • لآيات • عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن
الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا
لظهورها وعلى الثاني عن تلك النعم والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كل فرد
بحدته منها في مثل قوله تعالى لهم فيها دار الخلد • لكل صبار • على بلائه • شكور • لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير
عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر وان لا يكاد
يصير امره اليها لا لمن يتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور على التذكير المؤدي الى تلك الرتبة فان
من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر او الصبر او الايمان
لا يكاد يفارقها وتخصيص الايات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة
الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر • واذ قال
موسى لقومه • شروع في بيان تصديه عم لما امر به من التذكير لاخراج المذكور واذ منصوب على
المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلعم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث
قد مر سره غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عم لقومه • اذكروا نعمة الله عليكم • بدأ عم بالترغيب
لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها

ان جعلت

ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا النعمة كائنة عليكم وكذا الكلمة اذ في قوله تعالى • اذ انجاكم
من آل فرعون • اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة
عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية • يسومونكم • يبغونكم من سامه
خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء • سوء العذاب • السوء مصدر ساءه يسوءه والمراد به جنس
العذاب السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصبه
على انه مفعول ليسومونكم • ويذبحون ابناءكم • المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له عن مرتبة العذاب
المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا
في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا • ويستحيون نساءكم • اي يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار
من جملة البلاء والجملة احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا • وفي ذلكم • اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة
• بلاء من ربكم • اي ابتلاء منه لا ان البلاء عين تلك الافعال اللهم الا ان يجعل في تجريدية فنسبته الى
الله سبحانه اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك فالبلاء
الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار الحال
الذي هو الانجاء او باعتبار ان ابتلاء المؤمن تربية له • واذ تأذن ربكم • من جملة مقال موسى عم لقومه
معطوف على نعمة الله عليكم اي اذكروا حين تاذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا لا يبقى معه شائبة شبهة لما في
صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله
اذ انجاكم اي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا التاذن ايضا نعمة من الله تعالى
عليهم ينالون بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم
عم اولا بنعمة الله صريحا وضمنه تذكيرا ما اصاب بهم قبل ذلك من النعم ثم امرهم ثانيا بتذكير ما جرى من الله سبحانه
من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير الاوقات تذكير ما وقع
فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد معاين • لئن شكرتم •
يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والالاء الفائتة للحصر وقابلتموه
بالايمان والطاعة • لازيدنكم • نعمة الى نعمة • ولئن كفرتم • ذلك وغمطتموه بالكفر والعصيان • ان عذابي
لشديد • فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين
ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين موطئة للقسم وكل من الجوابين
ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتاذن لانه ضرب من القول او لقول مقدر بعده كانه
قيل واذ تاذن ربكم فقال الى آخره • وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها انتم • يا بني اسرائيل
ومن في الارض • من الخلائق • جميعا فان الله لغني • عن شكركم وشكر غيركم • حميد • مستوجب
للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه • وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة من ذرات العالم ناطقة
بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من

جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن شكر الشاكرين ولعله عم انما قاله عندما
عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض فلا انسب بعض
بان رهبت اذ دق له بحث تذكيرهم بما ذكر من قول الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب
بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم ياتكم نبا الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمن
والكافر فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام منه سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي عم
فيختص تذكير موسى بما ارتعش بني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد
وانفكاك النظم حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي صلعم بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم
اسوة لهم في الحلول قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح و
ما عطف عليه وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله
لا يعلمهم الا الله اعتراض او الموصول مبتدا ولا يعلمهم الخ خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث
لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رضي
اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد
جاءتهم رسلهم استيناف لبيان نباهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل رسول
لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم
وما يصدر عنها من المقالة اعتناء بشانها منهم وتنبيها للرسل على تلقيها ولما فطنه عليها اقناطا لهم
عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي على زعمكم
وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالاتهم تعويضا ولقد اسلفنا مثل موسى بايات ومرادهم بالكفر بها
الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم او فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك واسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق
الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا او جعلوا ايدي الانبياء
في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك الى اخره وقيل الايدي بمعنى الايادي
عبر بها من مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية والدنيوية لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها
فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان بالله
والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا
حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا
بالادغام مريب موقع في الريبة من اراب او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس وعدم
اطمئنانها بشيء قالت رسلهم استيناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت
لهم رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء افي الله شك بادخال الهمزة
على الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا منادين

عن

عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انهم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه ساحة السبحان
عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي افي شانه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الايمان به وحده
شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة
الى الايمان والتوحيد وكان اظهر الدلائل وتوسيله الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما
ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة على انتفاء
الشك فقالوا فاطر السموات والارض اي مبدعهما او ما فيهما من المصنوعات على نظام شوهد مشاهد يحقق انهم
منفي شك وصفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام او جعله مبتدا
والظرف على ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم اليه
من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته
لينا كل معي من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم مما بينهم وبين العباد فان الاسلام يجبه قبل هذا او قع
في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين وتفرقة بين الوعدين ولعل ذلك ان المغفرة حيث جاءت في
خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي شان المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك
فتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت
سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق ان انتم اي ما انتم
الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوة تريدون صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى
ابشر يهدوننا او كلام مستانف اي تريدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد ان تصدونا
بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان يعبد اباؤنا اي عن عبادة ما استمر اباؤنا على عبادته من غير شيء يوجبه والا
فاتوا اي ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فاتونا بسلطان مبين
يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك الرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد ولقد
كانوا اتوهم من الآيات الظاهرة والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولكنهم انما يقولون ما يقولون من العظائم
مكابرة وعنادا وارادة لمن وراءهم ان ذلك ليس من جنس ما يتعلق به السلطان المبين قالت
لهم رسلهم مجاراة معهم في اول مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما
سلف من انكار وقوع الشك في الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم
كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده يعنون ان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها لمن يشاء
من عباده بمحض التفضل والامتنان من غير داعية توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس او ما نحن من الملائكة
بل نحن بشر مثلكم في الصورة او في الدخول تحت الجنس ولكن الله يمن بالفضائل والكمالات على من يشاء بها وما
نشاء ذلك الا يعلم باستحقاقه لها وتلك الفضائل والكمالات والاستعدادات هي مدار عليها فلك الاصطفاء
للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان اي بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشيء
من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه امر متعلق بمشيئته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون

ما عداه مطلقا • فليتوكل المؤمنون • أمر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل أنفسهم عليه آثر ذي أثير ألا ترى
إلى قوله عز وجل • وما لنا • أي أيُّ عذر لنا • ألا نتوكل على الله • أي في أن لا نتوكل عليه والإظهار لإظهار النشاط
بالتوكل والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل • وقد هدانا • أي والحال أنه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه
حيث هدانا • سبلنا • أي أرشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذي شرع له وأوجب عليه سلوكه في الدين وحيث
كانت أذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح في التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمي مظهرين لكمال العزيمة
ولنصبرن على ما آذيتمونا بالعناد واقتراح الآيات وغير ذلك مما لا خير فيه • وعلى الله • خاصة • فليتوكل المتوكلون
• أي فليثبت المتوكلون على ما أحدثوه من التوكل والمراد هو المراد مما سبق من إيجاب التوكل على أنفسهم والمراد
بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق ذكر اتصافهم به ويجوز أن يراد طلب التوكل دون غيره • وقال الذين كفروا
لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين من المعاندين الغالين في الكفر من أولئك الأمم الكافرة التي نقلت مقالاتهم المستشنعة
دون جميعهم كقوم شعيب وأضرابهم ولذلك لم يقل وقالوا • لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا • لم يقنعوا
بعصيانهم الرسل ومعاندتهم لهم بعدما رأوا الآيات الواضحة الموجبة حتى اجترؤا على مثل هاتيك العظيمة التي لا
يكاد تحيط بها دائرة الإمكان فحلفوا على أن يكون أحد الأمرين والعود إما بمعنى مطلق الصيرورة وإما باعتبار تغليب
المؤمنين على الرسل وقد مر في الأعراف وسيأتي في الكهف • فأوحى إليهم • أي إلى الرسل • ربهم • مالك
أمرهم عند تمادي الكفرة وبلوغهم من العتو إلى غاية لا مطمع بعدها في إيمانهم • لنهلكن الظالمين • على إضمار القول
أو على إجراء الإيحاء مجراه لكونه ضربا منه • ولنسكننكم الأرض • أي أرضهم وديارهم عقوبة لهم لقولهم لنخرجنكم من
من أرضنا كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها • من بعدهم
أي من بعد إهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن غدا • ذلك
إشارة إلى الموحى به وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر محقق ثابت • لمن خاف
مقامي • موقفي وهو الموقف الذي يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامي عليه وحفظي
لأعماله وقيل لفظ المقام مقحم • وخاف وعيد • وعيدي بالعذاب أو عذابي الموعود للكفار والمعنى أن ذلك حق
للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين • واستفتحوا • أي استنصروا الله على أعدائهم كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم
الفتح أو استحكموا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فإنهم سألوا أن ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على أوحى
إليهم وقرئ بلفظ الأمر عطفا على لنهلكن الظالمين أي أوحى إليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا • وخاب
أي خسر وهلك • كل جبار عنيد • متعسف بعدما استفتح به المتقون أي فنصروا عند استفتاحهم فظفروا وأنالوا
وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان عن المطلوب أو وذلك باعتبار
أنهم كانوا يزعمون أنهم على الحق أو استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وإنما قيل وخاب كل جبار
عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا أن بعضهم ليسوا كذلك وأنه لم يصبهم الخيبة أو استفتحوا جميعا فنصر الرسل
وأنجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن المطلب وفي إسناد الخيبة إلى كل منهم ما لا

يخفى

يخفى من المبالغة • من ورائه جهنم • أي بين يديه فإنه مرصد لها واقف على شفيرها معطوف على مقدر
جوابا عن سؤال سائل كأنه قيل فماذا يكون إذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء • مخصوص لا كالمياه
المعهودة • صديد • وهو قيح أي دم مختلط بمدة يسيل من الجرح قال مجاهد وهو ما يسيل من أجساد أهل النار
وهو عطف بيان لماء أبهم أولا ثم بين بالصديد تهويلا للأمر وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على أنه من أشد
أنواعه • يتجرعه • قيل هو صفة لماء أو حال منه والأظهر أنه استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا
يفعل به فقيل يتجرعه أي يتكلف جرعه مرة بعد أخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه • ولا يكاد يسيغه
أي لا يقارب أن يسيغه فضلا عن الإساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول
عذابه تارة بالحرارة والعطش وأخرى بشربه على تلك الحال فإن السوغ انحدار الشراب في الحلق بسهولة وقبول نفس
ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه بالإساغة لما أنها المعهودة في الأشربة
وهو حال من فاعل يتجرعه أو من مفعوله أو منهما جميعا • ويأتيه الموت • أي أسبابه من الشدائد من
كل مكان • ويحيط به من جميع الجهات أو من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وإبهام رجله
وما هو بميت • أي والحال أنه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء أسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى يتألم
بما غشيه من أصناف الموبقات • ومن ورائه • من بين يديه • عذاب غليظ • يستقبل كل وقت عذابا أشد
وأشق مما كان قبله وفيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل
هو حبس الأنفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استمطار أهل مكة في سنيهم التي أرسلها الله عليهم
بدعوته صلعم وخيبتهم في ذلك وعدلهم بدل ذلك صديد أهل النار • مثل الذين كفروا بربهم • أي
صفتهم وحالهم العجيبة الشأن التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • أعمالهم كرماد
كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول أو هو استئناف مبني على سؤال من قال ما بال أعمالهم
التي عملوها في وجوه البر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب وفداء الأسارى وإغاثة الملهوفين
وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل أمرهم إلى هذا المآل فأجيب بأن ذلك كرماد
اشتدت به الريح • حملته وأسرعت الذهاب به • في يوم عاصف • العصف اشتداد الريح وصف
به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وإنما السكور لريحها شبهت صنائعهم المعهودة لابتنائها على غير أساس
من معرفة الله تعالى والإيمان به والتوجه بها إليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة أو استئناف مسوق لبيان
أعمالهم للأصنام وهو مبتدأ خبره محذوف كما هو رأي سيبويه أي فيما يتلى عليك مثلهم وقوله أعمالهم جملة مستأنفة
مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كيت وكيت سواء أريد بها صنائعهم أو أعمالهم
لأصنامهم وقيل أعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد • لا يقدرون • أي يوم القيامة • مما كسبوا • من
تلك الأعمال • على شيء • أي لا يرون له أثرا من ثواب أو تخفيف عذاب كدأب الرماد المذكور وهو فذلكة
التمثيل والإكمال لبيان عدم رؤية الأثر لأعمالهم للأصنام مع أن لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم
وزعمهم أنهم شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم • ذلك • أي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم

اعمالهم على شيء ● هو الضلال البعيد ● عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب ● الم تر ● خطاب لكل
والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة بالعرفة والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ● ان الله خلق السموات
والارض ● ... اي الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح
الذي يحق ان يخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ● ان يشأ يذهبكم ● ... ويأت بخلق جديد
اي يخلق بدلكم خلقا اخر ... على قدرته تعالى على خلق السموات والارض
على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل
اخر بهم اقدر ولذلك قال ● وما ذلك ● اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم ● على الله بعزيز ● بمتعذر او متعسر
فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بان يؤمن به و
يرجى ثوابه ويخشى عقابه ● وبرزوا لله جميعا ● اي يبرزون يوم القيمة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه
كما في قوله سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند
ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه واذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم ● فقال الضعفاء
● الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة ● للذين استكبروا
لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم ● انا كنا ● في الدنيا ● لكم تبعا ● في تكذيب الرسل والاعراض عن
نصائحهم وهو جمع تابع كغيب جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي ● فهل انتم مغنون
دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت
● من عذاب الله ● من شيء ● من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول
اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله تعالى والاعراب
كما سبق ويجوز ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب
بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ● قالوا ● اي المستكبرون
جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم ● لو هدانا الله ● اي للايمان ووفقنا له طريق النجاة من العذاب
● لهديناكم ● واغنينا عنكم ... ولكن ضللنا فاضللناكم ... طريق الخلاص ولات حين مناص ● سواء علينا اجزعنا
ما لقيناه ● ام صبرنا ● على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وام لتأكيد التسوية كما
في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم ● وانما اسندوا ما نسبوا الى انفسهم الى ضمير المتكلم
... التوبيخ باعلامهم انهم شركاؤهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله
سواء علينا الى اخره من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه ويؤيده ما روي انهم
يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون
ذلك ● ما لنا من محيص ● من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم
مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل من الاعراب
او حال مؤكدة او بدل منه ● وقال الشيطان ● الذي اضل كلا الفريقين واستتبعهما عندما

لما

بما قاله الاتباع للمستكبرين ● لما قضي الامر ● اي حكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
ودخل اهل الجنة الجنة خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ● ان الله وعدكم وعد الحق ● اي وعدا من حقه ان
ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ● ووعدتكم ● اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن
كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله ● فاخلفتكم ● اي موعدي على حذف المفعول
الثاني اي نقضته جعل خلف وعده كالخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك ● وما كان لي عليكم
من سلطان ● اي تسلط او حجة تدل على صدقي ● الا ان دعوتكم ● الا دعائي اياكم الى ... وتسويله وهو وان لم يكن
من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كانه
قال انما يكون لي عليكم اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعا ● فاستجبتم لي ● فاسرعتم
اجابتي ● فلا تلوموني ● بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء
على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ● ولوموا انفسكم ● حيث استجبتم لي باختياركم
حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج
وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال
العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه
فانه سبحانه انما يخلق افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال
فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك
الجبرية ● ما انا بمصرخكم ● اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب ● وما انتم بمصرخي ● مما انا فيه وانما تعرض
لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا
به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك اثر الجملة الاسمية فكان ما مضى من قبل جوابا
منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم به في استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ
بكسر الياء ● اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل ● اي باشراككم اياي بمعنى برئت منه واستنكرته كقوله تعالى
ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي اطمعكم في نصرتي لكم بان كان لي عليكم
حق حيث جعلتموني معبودا وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرته ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت
منه ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله
عز وجل كما في قوله سبحانه ما تشركون ... فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة
والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى
يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من جهته ● ان الظالمين لهم
عذاب اليم ● تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف للسامعين وايقاظ لهم
حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم ● وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها باذن ربهم ● اي بامره او بتوفيقه وهدايته وفي التعرض لوصف الربوبية

مع الاضافة الى ضميرهم لطفا وتزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى
باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى ﴿تحيتهم فيها سلام﴾ اى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم ﴿الم تر﴾ الخطاب
لكل سامع وقد علق بما بعده من قوله تعالى ﴿كيف ضرب الله مثلا﴾ اى كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به
﴿كلمة طيبة﴾ منصوب بمضمر اى جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد والاستغفار والتوبة
والدعوة ﴿كشجرة طيبة﴾ اى حكم بانها مثلها لانه تعالى صيرها مثلها في الخارج ومثلها من قوله ضرب الله مثلا كقولك
شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف
اى هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء له مجرى جعل وقد اخرتا انهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته
التي هي كشجرة وقد قرئت بالرفع على الابتداء ﴿اصلها ثابت﴾ اى ضارب بعروقه في الارض وقرا انس بن
مالك رضي الله عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا واشد تربية للمعنى وفيه تفريع
﴿وفرعها﴾ اى اعلاها ﴿في السماء﴾ اى في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع ﴿تؤتي اكلها﴾
تعطي ثمرها ﴿كل حين﴾ وقته الله تعالى لاثمارها ﴿باذن ربها﴾ بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة اما النخلة
كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ﴿ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ لان في ضربها زيادة
افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات ﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ هي كلمة الكفر والدعاء اليه
وتكذيب الحق وما يعم الكل وكل كلمة قبيحة ﴿كشجرة خبيثة﴾ اى كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها
كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود العرب والبيان وابهام ذلك
امر ظاهر يعرفه كل احد ﴿اجتثت﴾ استؤصلت واخذت جثتها بالكلية ﴿من فوق الارض﴾ لكون عروقها
قريبة منها ﴿ما لها من قرار﴾ استقرار عليها ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ الذي ثبت
بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة ﴿في الحياة الدنيا﴾ فلا يزالون عنه
اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود ﴿وفي الآخرة﴾ فلا
يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وعند سؤال القبر روي انه عم
ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان من
ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلعم فينادي مناد من السماء ان
صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وقد امثال ابناء الشجرة المذكورة
اكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة ثمان وثمانين وثلثمائة قال سمعت
ابا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رايت يزيد بن هرون في منامه
بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فقالا من ربك وما دينك ومن نبيك
فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت لهما ألمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة فذهبا ﴿ويضل الله
الظالمين﴾ اى يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد
بهم الكفرة بدليل ما يقابله ووصفهم بالظلم اما باعتبار وضعهم للشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم

حيث

حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على
التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يتثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي الى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ
المخلصون في الايمان الراسخون في الايمان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كانت عن
ايمان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلا ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من تثبيت بعض واضلال آخرين
حسبما يوجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفي اظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة
وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفاوت في مبدأ التثبيت والاضلال فان مبدأ صدور كل منهما
عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبدأ صدور الآخر ﴿الم تر﴾ تعجيب لرسول الله صلعم او لكل احد مما صنع الكفرة
من الاباطيل التي لا يكاد يصدر عمن له ادنى ادراك اى الم تنظر ﴿الى الذين بدلوا نعمة الله﴾ اى شكر نعمته بان وضعوا موضعه
﴿كفرا﴾ عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا
كاهل مكة حيث خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه الآمن الذي يجبى اليه ثمرات كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم
بمحمد صلعم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها
وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية
فمتعوا الى حين كانهما بينا ذلك بما يستفاد من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية ﴿واحلوا﴾ اى انزلوا ﴿قومهم﴾
بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه فانه فرع الحلول كقوله
تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار ﴿دار البوار﴾ دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه ﴿جهنم﴾ عطف بيان لها
وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل ﴿يصلونها﴾ حال منها او من قومهم اى داخلين فيها مقاسين لحرها
او استئناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم للهلاك
بالقتل والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار يناسب التفسير الاول ﴿وبئس القرار﴾ على حذف المخصوص
بالذم اى بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه الدوام والاستمرار ﴿وجعلوا﴾
عطف على احلوا وما عطف عليه اى داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب اى جعلوا في اعتقادهم وحكمهم ﴿لله﴾ الفرد
الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار ﴿اندادا﴾ اشباها في التسمية او في العبادة ﴿ليضلوا﴾ قومهم
الذين يشايعونهم حسبما ضلوا ﴿عن سبيله﴾ القويم الذي هو التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال
ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم بنعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم
لقومهم المؤدي الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر
واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال يقتضي منه التعجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما
فهم التعجب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر من مجموع الهنات الثلث كما
في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بفتح الياء واياما كان فليس الضلال او الاضلال غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك
نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه لام التعليل بطريق الاستعارة التبعية ﴿قل﴾ تهديدا لاولئك الضالين المضلين نعيا
عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال احتاج

بان يغرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة في تخليته
ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم
العظام واستتباع الناس في عبادة الاصنام فان مصيركم الى النار بسبب ما عددتم فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب
ما يوجبه ويقتضيه من احوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها ومثال لحسبانها ملوح به قوله سبحانه واحلوا
قومهم دار البوار الى آخره فهو تمثيل للامر وامر مورد فيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل
لهم تصويرا لحالهم تعبيرا عما يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم مأمورون بذلك من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه ممتثلون لامره كدأب المأمور الساعي في طاعة آمر
مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كأنه قيل هذه
حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا في الامر قل لعبادي الذين آمنوا خصهم
بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المتمحضون لوظائف العبودية الموفون بحقوقها وترك العطف بين الامرين
للايذان بتباين حاليهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي
قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك فيه ايذان بكمال مطاوعتهم للرسول
صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما
حسن ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا
اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وليس بذلك سرا وعلانية منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب
الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب في الانفاق اخفاء المتطوع به واعلان الواجب
والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون
اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره ويفتدي به نفسه والمقصود
نفي عقد المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للايجاز مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء
على ابلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البائع ولا خلال ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه
بمال يفتدي به نفسه او من قبل ان يأتي يوم لا انتفاع فيه بما يتعاطيه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع
والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله تعالى والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكير اتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة
البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال
الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعي الى الاتيان بما تبقى عوائده وتدوم فوائده من الانفاق
في سبيل الله عز وجل او من حيث ان ادخار المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهاداة فحيث لا يمكن
ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التأكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه
والضنة به ولا يبعد ان يكون تأكيدا لمضمون الامر باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال
بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على نفي العام
ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ خبره الذي خلق

السموات

السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين
لنعم الله وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعات شكرا للنعمة شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة
على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين
موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول تنبيه لاولئك على عظم الجناية من خلق
هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة
والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اي السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر يبتدئ
الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض
الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن لابتداء الغاية ماء اي نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المفعول
باعتبار كونه مبدأ لنزوله وتشويقا الى المؤخر نحو قولك اعطاه السلطان من خزائنه مالا لما مر مرارا من التشويق الى
المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات المتنوعة وجمع جمع قلة ليعم بعضها موضع بعض واما
لانه اريد بمفرده جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى
المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون
من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات
كأنه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته
تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب او اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة
قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
كذلك الا ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم
قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول له ان اريد به
المصدر كأنه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها بما الهمكم كيفية
ذلك لتجري في البحر جريا تابعا لارادتكم بامره بمشيئته التي بها نيط كل شيء وتخصيصه بالذكر للتنصيص
على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يتراءى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار ان اريد
بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس
حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار
فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة
واصلاح ما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم
ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحدة منها في جملة مستقلة
تنويها لشأنها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير
عن التصرف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار
بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس

عن تسخير ما تقدم من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة
لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذي من جملته
ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادي عن توهم كون الكل عبارة عن خلق السموات والارض وتسخير
الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾ اي اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما
يقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد واتاكم من كل
ذلك ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل
ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شيء واتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب
كل شيء وقيل الاصل واتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان ما
نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية اي اتاكم من كل غير سائليه ﴿وان تعدوا نعمة الله﴾ التي انعم بها
عليكم ﴿لا تحصوها﴾ لا تطيقوا بحصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا
معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها ففيه ايذان بعدم بلوغ مرتبة معتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها
كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوا باصناف البلايا
مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تاملته الفطنة متقلبا في نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطي ساعة وان
النفوس ما حواه حيطة الامكان ﴿وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه هلك ملك قطر من اقطار العالم ودانت له كافة
الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لسطوته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز
جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير ند يزاحمه ولا شريك يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت
غالية ونقايس ودرر ثم قدر انه قد وقع من فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشتري وهو في تلك
الحال جرعة ماء من الملك والمال لتنجيه عن رداه او شربة تروية من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك
بغير بدل يبقى ولا نفع يعود اليه كلا بل يبذل لذلك كل ما يحويه البنان وليس في حقيقته شائبة الخسران فاذن
تلك الجرعة والشربة خير مما في الدنيا بالف رتبة مع انها في طرف الثمام ينالها متى شاء من الليالي والايام او قدر انه قد
احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحبس قد حان واتاه الموت من كل مكان
اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لربه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومعادنها
برمتها مع انه قد ابيح له كل آن من آنات الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد
يخفى على احد من العقلاء واما رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على جلية الحال فاعلم ان الانسان بمقتضى
حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والملكات الرائقة بحيث لو انقطع
ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم والبوار
ومهاوي الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل آن يمر وينقضي من
انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وسائر صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به
نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه ان ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على

الوجود

الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء العدم الطارئ لان الاستمرار والدوام من خصائص الوجود الواجبي
وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان وجب كونها متناهية لوجوب
تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون
لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة في دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التي لا تتناهى لتحقق بقائها على
العدم مع امكان وجودها في انفسها في كل آن من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في
وجودات علله وشرائطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا في كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه في كل آن
لا تتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك في احسانك لا يتناهى ونحن في معرفتك حائرون وفي اداء مراسم
شكرك قاصرون نسألك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت
نستغفرك ونتوب اليك ﴿ان الانسان لظلوم﴾ يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها في غير موضعها او يظلم نفسه
بتعريضها للحرمان ﴿كفار﴾ شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان
للجنس ومصداق الاتصاف بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا دخولا
اوليا ﴿واذ قال ابراهيم﴾ اي واذكر وقت قوله عم والمقصود من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عم على
نهج التفصيل والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيبه صلعم ببيان فن آخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعدما
كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عم حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن
عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وسأله تعالى ان يجعله بلدا آمنا ويرزقهم من الثمرات ويهوي قلوب الناس اليهم من كل
اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد
الحرام دار البوار وجعلوا لله اندادا وفعلوا ما فعلوا ﴿رب اجعل هذا البلد﴾ يعني مكة شرفها الله سبحانه ﴿آمنا﴾ اي ذا امن
او آمنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا
آمنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة
للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عم سأل اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتاخر الآخر الى
وقته المقدر لما تقتضيه من الحكم الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا مجرد
الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار على ذلك
لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر
الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن
لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان
سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويتها اليهم للمساكنة معهم
لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عم مكة كما روى سعيد بن
جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عم لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت
تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت

ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وارخ فصل بينهما [illegible]
وابدانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير كما مر في قصة البقرة ● واجنبني وبني ● بعدني وابناي ان نعبد
الاصنام ● واجعلني منه في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة
الاصنام وقرئ اجنبني من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره
وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله والظاهر ان المراد ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج لابن
عيينة رض على ان احدا من اولاد اسمعيل عم لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا
يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن
العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما قرنه ● رب انهن ● اي الاصنام ● اضللن
كثيرا من الناس ● اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا لاعتنائه
به ورغبته في استجابته ● فمن تبعني ● منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام ● فانه مني ● اي بعضي قاله عم مبالغة
في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ● ومن عصاني ● اي لم يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان
بانه عم مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم تبلغه الدعوة ● فانك غفور رحيم ● قادر
على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد فرق
بينه وبين غيره ● ربنا ● ثم عم خبر الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكرهم وذكر بنيه والا لراعاه في قوله رب انهن الى
اخره بل لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله ● اني اسكنت ● الآية متعلق بذريته
فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسئول ● من ذريتي ● اي بعضهم او ذرية من ذريتي
فحذف المفعول وهو اسمعيل عم وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان متضمن لاسكانهم
روي ان هاجر ام اسمعيل عم كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عم فحملت وولدت له اسمعيل عم فغارت عليهما
فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة شرفها سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت
بمكة عند الركن لا لانه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه بالمرة
لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجا وعصمته
عن المكاره من قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به ولم يزل معظما ممتنعا تهابه الجبابرة في كل عصر او منع منه
الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية
تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عم فانه ينبغي
الى اعتبار عنوان الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه و
انما الاختلاف في كيفيته وعدده وقد ذكرناها في سورة البقرة بتفضيل الله سبحانه ● ربنا ليقيموا الصلوة ● متوجهين
اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء
وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع
ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاعلى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء مسئوله الذي لا يتسنى ذلك المرام

الا به

الآية ولذلك ادخل عليه الفاء فقال ● فاجعل افئدة من الناس ● اي افئدة من افئدتهم فمن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود
والنصارى غير مناسب للمقام اذ المسئول توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج
والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما ترى او لابتداء الغاية كقولك القلب
مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر في ادور وعلى انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت
اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة من الافئدة وعلى النعت من افد ● تهوي اليهم ● تسرع اليهم شوقا
ووداد او قرئ على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى التشوق
والنزوع واول اثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير تحوم على
الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت
كنا معك وآنسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر
فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور ● وارزقهم ● اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم
من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات ● من انواعها
بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع
فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رض ان الطائف كانت من
ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عم بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها حيث وضعها رزقا للحرم
وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عم ● لعلهم يشكرون ●
تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد باقامة الصلوة
الصلوة والدعاء من الله تعالى توفيقهم لها ولا يخفى ان في الفاء في فاجعل الى اخرها وفي دعائه عم
من مراعاة حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب
الرأفة ما لا يخفى فانه عم بذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسئول وبذكر كون اسكانهم
عند البيت المحرم اشار الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعواز
مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته
عليه السلام بحسن القبول ● ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن ● من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل
ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء او لا اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر ببالنا مما فيه
من الاحوال الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ
وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن او لان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء
يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصوده
عم ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار
العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء

للمبالغة في التضرع والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسرنا وعلننا بل جميع خفايا الملك والملكوت
وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض • وما يخفى على الله • تعالى • من شيء في الارض ولا في السماء • لما انه
العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان الا وجوده في ذاته علم
بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله تعالى دون ان يقال ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا لما عنى
بقوله تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك
بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك
على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بيخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب
والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية
المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشان
يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدأ الكل وقيل هو من كلام الله
عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين • الحمد لله
الذي وهب لي على الكبر • اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لشكرها •
اسمعيل واسحق • روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي
عشرة او مائة وسبع عشرة سنة • ان ربي • ومالك امري • لسميع الدعاء • لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه
اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله
تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة
التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين
فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر ... لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة
وهما من المنعم عليهم • رب اجعلني مقيم الصلوة • معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول
دعوته لذريته ايضا حيث قال • ومن ذريتي • اي بعضهم من المذكورين ومن سيوجد منهما من اولادهما
للاشعار بانه المقتدى في ذلك وذريته اتباع له وانما ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ
فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته
وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله سبحانه ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك • ربنا وتقبل دعاء • اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل
بعض ذريتي مقيمي الصلوة ثم بتثبيتي على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة • ربنا اغفر لي •
اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر • ولوالدي • وقرئ بالتوحيد ولابوي
وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه آدم وحواء عليهما السلام وقيل بشرط الاسلام
ويرده قوله تعالى الا قول ابرهيم الآية وقد مر في سورة التوبة بنوع تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله
عز وجل • وللمؤمنين • كافة من ذريته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة • يوم يقوم

الحساب

الحساب • اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم
على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق او المراد تهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا
او حذف المضاف كما في واسئل القرية واعلم ان ما حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها
ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء
حال الكفرة بعد ظهور امره في الله وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى بمصالحهم الدينية والدنيوية
• ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون • خطاب لرسول الله صلعم والمراد تثبيته على ما كان عليه من
عدم حسبانه عز وجل كذلك كقوله ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب
الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة التعبير
والتعبير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك
مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلعم
ووعد له بالتاكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين بالتشديد او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم لجهل
بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من لا يخفى عليه
اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا او المراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا
واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التاخير المنبئ عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية
او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا • انما يؤخرهم • يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل
عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى
غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخير ما تستوجبه من العذاب الاليم ان تاخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى
تاركا لعقوبتهم لما ترى من التاخير انما ذلك لاجل هذا او لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا
لما ترى من التاخير انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل
الخطب وتفظيع الحال ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما لا انهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان
حقهم من العذاب هو الاستئصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر ليس من
جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم لما فهم ذلك • ليوم هائل • تشخص فيه الابصار •
ترتفع ابصار اهل الموقف فيبدو عليها فزعهم الكفرة المعهودون من ذهولا وولها اي تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم
من هول ما يرونه والاعتبار بعدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الايقاع الحسي في جرم العين وما يجعل الحقيقة
من شخص من بلده الى بلد وسار في ارتفاع • مهطعين • مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل والخشوع
او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا واصله الكف عن ادامة النظر من غير
التفات الى شيء قاله الثعلبي وابن عرفة او مائلين ويقال اقنع رأسه اي طأطأها او رفعها فهو من الاضداد
وهما حالان مما دل عليه الابصار من اصحابها او الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية
فلا تنافي الحالية • لا يرتد اليهم طرفهم • لا يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل بقي

أعينهم مفتوحة لا تطرف أو لا يرجع إليهم أجفانهم التي هي آلة الطرف فيكون إسناد الرجوع إلى الطرف
مجازياً أو هو نفس الجفن قال الفيروزآبادي الطرف العين لا يجمع لأنه مصدر في الأصل واسم جامع للعين
أو لا يرجع نظرهم إلى أنفسهم فضلاً عن أن يرجع إلى شيء آخر فيبقون مبهوتين وهو أيضاً حال أو بدل
مقنعي لأجره أو استئناف والمعنى لا يزول ما اعتراهم من شخوص الأبصار وتأخيره عما هو من
تتمته من الإهطاع والإقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لرتبته هذا المعنى • و
أفئدتهم هواء • خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهش كأنها نفس الهواء الخالي عن
كل شاغل ومنه قيل للجبان والأحمق قلبه هواء أي لا قوة ولا رأي فيه أو اعتبار خلوها عن كل خير
لا يأتي بالطعام وهو إما حال عاملها لا يرتد مفيدة لكون شخوص أبصارهم وعدم ارتداد
طرفهم بلا فهم ولا اختيار أو جملة مستقلة • وأنذر الناس • خطاب لرسول الله صلعم بعد
إعلامه أن تأخيرهم لماذا أو أمر له بإنذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين
كما يقتضيه ظاهر إتيان العذاب والعدول إليه من الإضمار للإشعار بأن المراد بالإنذار
هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للإزعاج والإيذاء فالمناسب عدم
ذكرهم بعنوان الظلم أو الناس جميعاً فإن الإنذار عام لشمول تغير كلهم وإن إنما تنذر من اتبع
الذكر والإتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وإن كان لحوقه بالكفار خاصة أي أنذرهم
وخوفهم • يوم يأتيهم العذاب • المعهود وهو اليوم الذي وصف بما لا يوصف من الأوصاف الهائلة
أعني يوم القيامة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى أو يوم هلاكهم بالعذاب
العاجل وإتيانه في المقام السابق • فيقول الذين ظلموا • أي فيقولون والعدول عنه إلى ما هو عليه النظم
الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللإشعار بأن ما لقوه من الشدة إنما هو لظلمهم وإيثار صيغة الفاعل على
حسبما ذكر أولاً للإيذان بأن الظلم في الجملة كاف في الإفضاء إلى ما ذكر من الأهوال من غير حاجة
إلى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين أيضاً فالمعنى
الذين ظلموا منهم هم الكفار ويقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الأمم الخالية عند
إتيان العذاب لتحكمهم بشر بذلك وعدهم باتباع الرسل • ربنا أخرنا • ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى
أجل قريب • إلى مدة من الزمان قريب • نجب دعوتك • أي الدعوة إليك وإلى توحيدك أو دعوتك
لنا على ألسنة الرسل فيه إيماء إلى أنهم صدقوهم في أنهم مرسلون من عند الله تعالى • ونتبع الرسل • فيما جاؤونا
به أي نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع إما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد
وكون عصيانهم للرسول عصياناً لهم جميعاً وإما باعتبار أن المحكي كلام ظالمي الأمم جميعاً والمقصود بيان
وعد كل أمة باتباع رسولها • أولم تكونوا أقسمتم من قبل • على إضمار القول معطوفاً على فيقولون أي فيقال
لهم توبيخاً وتبكيتاً ألم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا أقسمتم إذ ذاك بألسنتكم بطراً وأشراً وجهلاً وسفهاً •
ما لكم من زوال • مما أنتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية أو بألسنة الحال حيث بنيتم مشيداً وأملتم

بعيداً ولم تحدثوا أنفسكم بالانتقال منها إلى هذه الحالة وفيه إشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه أو ما لكم
من زوال من هذه الدار إلى دار أخرى للجزاء كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة
الخطاب في قوله الذي هو جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في أقسمتم كما في قولك حلف بالله ليخرجن وهو أدخل
في التوبيخ من أن يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رح أنه قال إن لأهل النار خمس
دعوات يجيبهم الله تعالى في أربع منها فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبداً يقولون ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا
اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به
تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون فيجيبهم الله تعالى
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى
أولم تكونوا أقسمتم الآية ثم يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين
فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها أبداً إن هو إلا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم
وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم اللهم إنا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك و
جل ثناؤك ولا إله غيرك • وسكنتم • من السكنى بمعنى التبوء والإيطان وإنما استعمل بكلمة في حيث قيل
• في مساكن الذين ظلموا أنفسهم • جرياً على الأصل لأنه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها
أو من السكون أي اللبث أي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لأنفسكم
بما لقوا بسبب ما جرحوا من الموبقات وفي إيقاع الظلم على أنفسهم بعد إطلاقه فيما سلف إيذان بأن غائلة
الظلم آيلة إلى صاحبه والمراد بهم إما جميع من تقدم من الأمم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب
السابق بالمنذرين وإما أوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومها للكل وهذا الخطاب وما بعده باعتبار
حال أواخرهم • وتبين لكم • بمشاهدة الآثار وتواتر الأخبار • كيف فعلنا بهم • من الإهلاك والعقوبة بما فعلوا
من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلاً لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما
دلت هي عليه دلالة واضحة أي فعلنا العجيب بهم وفيه من المبالغة ما ليس في أن يقال ما فعلنا بهم كما مر في قوله تعالى
ليسجننه ومن يتبين • وضربنا لكم الأمثال • أي بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين
أو على ألسنة الأنبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الغابرين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الأمور
التي هي في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا أعمالكم على أعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا
من حلول العذاب العاجل إلى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي أو بينا لكم أنكم مثلهم
في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير أقسمتم أي أقسمتم بالخلود والحال أنكم
سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال • بضرب الأمثال •
[illegible] وجل • وقد مكروا مكرهم • حال من ضمير الأول في فعلنا بهم أو من الثاني أو منهما جميعاً وإنما قدم
عليه قوله تعالى وضربنا لكم الأمثال لشدة ارتباطه بما قبله أي فعلنا بهم ما فعلنا والحال أنهم قد مكروا في إبطال الحق و

وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم
فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او وقد مكرهم المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال
فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى • وعند الله مكرهم • اي جزاء مكرهم الذي فعلوه
على ان المكر مضاف الى فاعله او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا او ذكرا
او لكونه في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد ما افاده قوله عز وجل كيف
فعلنا بهم لا انه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه
والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه • وان كان مكرهم • في العظم و
الشدة • لتزول منه الجبال • اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه مسوى
ومعدى لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدرة و
المعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم تزول منه الجبال وان كان الى اخره وقد حذف
حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند
عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية من التأكيد المعنوي والجواب محذوف دل عليه ما
سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتأكيدها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وينصره قراءة ابن مسعود رض وما كان مكرهم اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على
انها عبارة عن ايات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عم التي هي بمنزلة الجبال الراسيات
في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلعم وامر القران العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون
لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم
تزول منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الايات في الشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا
اي مكروا مكرهم المعهود وان الشان كان مكرهم لازالة الايات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان
يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الايات والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالته وقد قرأ الكسائي
لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اي عنده تعالى
جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث يزول منه الجبال في غاية الشدة وقرئ بالنصب على لغة
من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم هذا هو الذي تقتضيه النظم الكريم ويساق اليه الطبع السليم وقيل ان
الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
الاية ونحوه من انواع مكرهم برسول الله صلعم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الى اخره حالا
من القول المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما ينافيه من السكون
في مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اي لم يكن السداد منهم مجرد الاقسام
الذي هو الجواب بل اجترؤوا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكر من قبل
وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقق الجزاء بين كون

مكرهم

مكرهم قويا او ضعيفا كما مر معناه وعلى تقدير كون ان نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة
عن امر النبي صلعم اي وقد مكروا والحال ان مكرهم ما كان لتزول منه معالم الشرائع والايات التي هي في
الثبوت كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة تكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم
منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك لا ان شأن الشرائع اعظم من ان يمكر بها
ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فيتأمل • فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله • لم يرد به والله سبحانه اعلم ما وعدهم بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الاية وقوله كتب الله لاغلبن
انا ورسلي كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف انفا من وعده بتعذيب الظالمين بعد ما
انما نؤخرهم الاية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عم على ما كان عليه من الثقة بالله
والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة
بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القران العظيم كانه قيل واذ
قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم
به وقرعناهم بعدم تأملهم في احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم
على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا • ان الله عزيز • غالب لا يماكر قادر لا يدافع • ذو
انتقام • لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكر من تعذيبهم خاصة
لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام
ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر • يوم تبدل الارض غير الارض • ظرف لمضمر مستأنف ينسحب عليه النهي المذكور اي
ينجز ما وعدهم يوم تبدل او معطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الارض غير الارض والانتقام ويوم يأتيهم
العذاب بعينه ولكن له احوال جمة تذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه تعالى للاوقات
كلها للافصاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل
بدل من يوم يأتيهم العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الى اخره وفيه بعد لما في الوجه
الثالث من الحاجة الى الاعتذار ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل بعزيز
لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة معترضة فلا يبالى بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون
في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك
بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال
والاية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين وعن علي كرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب
وعن ابن مسعود رض تبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة وعن
ابن عباس رض هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد • وما الناس بالناس الذين عهدتهم • وما الدار
بالدار التي كنت تعلم • وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها
ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رض عنه صلعم تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى

لا ترى

فيها عوجا ولا امتا والسموات اي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اي الخلائق او الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض وظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتقبيح الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب وقادر لا يعاز كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة وترى المجرمين عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه نجزي يومئذ يوم اذ برزوا لله عز وجل او يوم اذ تبدل الارض او يوم اذ ننجزه وعده مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا من العقائد الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين في الاصفاد في القيود والاغلال وهو اما متعلق بمقرنين او حال من ضميره اي مصفدين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدإ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم في مقرنين رابطتها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستأنفة والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحرقة الشديدة وقد يصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الموحش مع النتن على ان التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكان ما نشاهده منهما اسماء مسمياتها في الآخرة فبكرمه العميم نعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجواهر النفس من الملكات الردية والهيئات الموحشة فيجلب اليها الآلام والغموم بل وان يكون القطران المذكور عين ما لبسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب وقد تجسدت في النشأة الآخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطرآن اي نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب الى آخره ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره

كان الفؤاد

كما ان الفؤاد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الاشهاد وقرئ تغشى اي تتغشى بحذف احدى التائين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال قاله ابو البقاء ليجزي الله متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شر وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في اقل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجيء يأتي عن قريب او سريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب هذا اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب بلاغ كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرع مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم في ان ينصحوا ولينذروا به او هذا البلاغ لهم ليفهموه ولينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له وليعلموا بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق وحوى انما هو اله واحد لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكير في قوله تعالى وليذكر اولوا الالباب اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان ما يفيده لهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثابت على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختمنا بالسعادة الحسنى وارزقنا الفوز بمرضاته في الاولى والعقبى آمين عن النبي صلعم من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشأن آيات الكتاب الكامل الحقيق الغني عن الوصف به المشهور

المشهور بذلك من بين الكتب المحقق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم
خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك فهو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه
يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيف اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف
بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك
الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد «وقرآن» اي قرآن عظيم الشان «مبين»
مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام
ولقد فخم شانه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقين احدهما اشتماله على صفات
كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيجا وحده بديعا في بابه خارجا عن
دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه
على كمالات غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام
في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هناك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا
من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما
تضمنه فقيل «ربما» بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء
مشددا او فيه ثمان لغات فتح الراء وضمها مشددا او مخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا او مخففا ورب حرف جر
لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على «يود الذين
كفروا» لما ان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم
بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى «لو كانوا مسلمين» منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان
كفرهم انما كان بالجحود بعدما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة
حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري انه قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم
مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها
فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من
كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما
نفس الودادة فليست بمختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد
بيان ما هم من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون
عنه بقول البعض قد ادرك لعساكر عندي من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا و
عنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد
وابرازه ممن يقلل لعلو التهمة كثيرا ما عنده فضلا عن تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر

الوضوح

من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب فيصار اليه مفضيا للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكفار
للاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو جيء بكلام يدل
على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو اللائق بالمقام
بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر كما ينطق به قوله تعالى ذرهم ياكلوا الآية او
ذهابا الى الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنونا لحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه
ولا يفارق ضده فكيف اذا كان متيقن الحمد في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما
فعل ما ان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر
ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف
كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره
فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا ادخل
بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذا طريقان متمايزان ذاتا ومآلا فمن ظنهما واحدا فقد نأى عن
توفية المقام حقه «ذرهم» دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم
عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه «ياكلوا ويتمتعوا» بدنياهم وفي تقديم الاكل
ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالماكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم
كانوا كذلك وتمتعهم بلا استمتاع ما ينغص عيشهم من القوارع والزواجر فان المنع على ذلك الوجه لا يكاد
يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشانهم «ويلههم» ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما يصيرون اليه
او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك «الامل» والتوقع لطول الاعمار واستقامة
الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا خيرا والافعال الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت
من تضمن الامر بترك اللام بها على طريقة المجاز او على ان يكون المراد بالافعال المرفوعة مباشرتهم غافلين
عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي
عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامرهم بتركه ليتمرغوا فيما هم
فيه من حظوظهم فيدعمهم بما لديهم ومعرضهم عما يلقون «فسوف يعلمون» سوء صنيعهم او وخامة عاقبته
او حقيقة الحال التي الجاتهم الى التمتع المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهلهم وهو مع كونه وعيدا اكيدا وتهديدا
تحته تهديد تعليل للامر بالترك علة ترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالعقد
الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء «وما اهلكنا»
شروع في بيان سر تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي
ما اهلكنا «من قرية» من القرى بالخسف بها وبأهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم
كما فعل بالآخرين «الا ولها» في ذلك الشان «كتاب» اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة
بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له «معلوم» لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه

بالتقدم والتأخر فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فإنها لعمومها لا سيما بعد تأكده بكلمة من
في حكم الموصوف كما أشير إليه والمعنى ما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا أن يكون لها كتاب
أي أجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم والتأخر
أو مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال أي ما أهلكنا قرية من القرى في حال من الأحوال إلا وقد كان لها في حق هلاكها
كتاب أي أجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه أو صفة لكن لا للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي
بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكور أي ما أهلكنا قرية من القرى إلا قرية لها كتاب
معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن فإن قوله تعالى لا يسمن صفة لا للطعام المذكور
لأنه إنما يدل على انحصار طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد إلا أي ليس
لهم طعام من شيء من الأشياء إلا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة إلا كما
يتوهم وأما توسيط الواو بينهما من حيث إن الواو شأنها الجمع والربط فإن ما نحن فيه من الصفة
أقوى لصوقها بالموصوف منها به في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون فإن امتناع انفكاك
الإهلاك عن الأجل المقدر عقلي وعن الإنذار عادي جرى عليه السنة الإلهية ولما بين أن الأمم
المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وأن هلاكهم لم يكن إلا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين أن
كل أمة من الأمم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التأخر عنه فقيل ما تسبق
من أمة من الأمم المهلكة وغيرهم أجلها المكتوب في كتابها أي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها أو لا
تمضي أمة قبل مضي أجلها فإن السبق إذا كان واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فإذا
قلت سبق زيد عمرا فمعناه أنه جاوزه وخلفه وراءه وإذا كان واقعا على زمان كان الأمر
بالعكس والسر في ذلك أن الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه
وأما الزماني فإنما يعتبر فيه الحركة والتوجه إلى ما سيأتي من الزمان فالسابق ما تقدم إلى المقصد
وإيراده بعنوان الأجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما أن إيراده بعنوان الكتاب المعلوم
باعتبار ما يوجبه من الإهلاك وما يستأخرون أي وما يتأخرون وصيغة الاستفعال للإشعار
بعجزهم من ذلك مع طلبهم له وإيثار صيغة المضارع في الفعلين بعدما ذكر نفي الإهلاك بصيغة الماضي
لأن المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الأمم الماضية والباقية وإسنادهما إلى الأمة
بعد إسناد الإهلاك إلى القرية لما أن السبق والاستئخار حال الأمة دون القرية مع ما في الأمة من العموم
لأهل تلك القرى وغيرهم ممن أخرت عقوباتهم إلى الآخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم
مع كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم إما باعتبار تقدم السبق في الوجود وإما باعتبار
أن المراد بيان سر تأخيرهم مع استحقاقهم لذلك وإيراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع و
لرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى أن تأخير عذابهم إلى
يوم القيامة حسبما أنبأ الله ببيان ودادتهم الإسلام إذ ذاك وبالأمر بتركهم وشأنهم إلى أن يعلموا

حقيقة

حقيقة الحال إنما هو لتأخر أجلهم المقدر لما تقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من إيمان
بعض من يخرج منهم إلى يوم القيامة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد بيان
كفرهم بالكتاب وما يؤول إليه حالهم والقائلون مشركو مكة لغاية تماديهم في العتو والبغي يا أيها الذي
نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول الله صلعم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به وإشعارا بعلة
حكمهم الباطل في قولهم إنك لمجنون كدأب فرعون إذ قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون يعنون يا من يدعي
مثل هذا الأمر البديع الخارق للعادات إنك بسبب تلك الدعوى أو بسبب ما يعتريك عندما تدعي أنه ينزل
عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لأن إنكارهم متوجه إلى كون النازل ذكرا
من الله تعالى لا إلى كون المنزل عليه رسول الله صلعم بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى وإيراد الفعل على
صيغة المجهول لإيهام أن ذلك ليس بفعل له فاعل أو لتوجيه الإنكار إلى كون التنزيل عليه لا إلى إسناده إلى الفاعل
لو ما تأتينا كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى
التحضيض خلا أنه عند إرادته لا يليها إلا فعل ظاهر أو مضمر وعند إرادة المعنى الأول لا يليها إلا اسم ظاهر أو مقدر
عند البصريين والمراد هاهنا هو الثاني أي هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الإنذار كقوله
تعالى لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا أو يعاقبونا على التكذيب كما أتت الأمم المكذبة لرسلهم إن كنت من
الصادقين في دعواك فإن قدرة الله تعالى على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك إليه في تمشية أمرك فإنا لا
نصدقك بدون ذلك أو إن كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت أممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة
بالنون على بناء الفعل لضمير الجلالة من التنزيل وقرئ من الإنزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة
البناء للمفعول ومن التنزل بحذف إحدى التاءين وماضيا منه ومن التنزيل ومن الإنزال وهو كلام مسوق للنبي
عم جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما
هو جواب عن أولها أعني قوله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال إنما يأتيكم به الله فإنه مع كونه جوابا
عن قولهم فأتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه جوابا عن أول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا
لما ذكر من شدة اقتضائه للجواب وليكون أحد الجوابين متصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفصال كل من
الجوابين عن سؤاله والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو أن يقال ما نأتيهم بهم للإيذان بأنهم
قد أخطأوا في التعبير حسبما أخطأوا في الاقتراح وأن الملائكة لعلو رتبتهم أعلى من أن ينسب إليهم
مطلق الإتيان الشامل للانتقال من أحد الأمكنة المتساوية إلى الآخر منها بل من الأسفل إلى الأعلى وأن يكون
مقصد حركاتهم أولئك الكفرة وأن يدخلوا تحت ملكوت أحد من البشر وإنما الذي يليق بشأنهم النزول من مقامهم
العالي وكون ذلك بطريق التنزيل من جانب الرب الجليل إلا بالحق أي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة
التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الإلهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا
بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لأجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما
لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة أصلا فإن ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الأنبياء الكرام

من افراد كل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام واي اثر يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة
هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستوصلوا بالمرة
وما كانوا اذن منظرين جزاء للشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذن
لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني ثم
ضم اليها ان فصار اذ ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة اذن دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ ان
كان ما طلبوه منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين كدأب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى
قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اجمل في قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل وحال حائل الحكمة
بينهم وبين استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم
في سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي يستدعيه
اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ يكونون مصدقين عن اضطرار
او انه لا حكمة في ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا او ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة
بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا
باطلا ولا يكون حقا فمع اخلال كل من ذلك بقطعية الشرطية لا يلائم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب
الذي يفيده قوله تعالى وما كانوا اذن منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم الاتيان بالملائكة لاجل الشهادة واما
على تقدير كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى ما ننزل الملائكة لاجل الشهادة واما على تقدير كون ذلك لتعذيبهم للتعذيب
الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي الذي يقتضيه الحكمة ويستدعيه المصلحة حتما حيث لا محيد عنه ولو نزلناهم
حسبما اقترحوا ما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيمة لا رفقا بهم بل
تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقة الحكمة نوع ابهام لعدم
استحقاقهم للتعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين
وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلعم بذلك وتسلية له اي نحن بعظم
شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك الى الجنون وعموا منزله حيث
بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه
تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين به واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة
والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في
حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة
والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا
يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول عم
كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل ورد اله لما ذكر

انفا

انفا ولا ارتباط لما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه
من قبلك متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك في شيع الاولين
اي فرقهم واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين
من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين ومعنى ارسالهم
فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين وما يأتيهم من رسول
المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا او على سبيل
البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل في الاغلب على مضارع
الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها
الا كانوا به يستهزءون كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول
في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه او في محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية
اي الا رسول كانوا به يستهزءون واما الجر على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية
في الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان
كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلعم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء
صلعم وحيث كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم
بالكتاب ولذلك قيل كذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا
بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاءوا به من
الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا و
محله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك
حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول لما تقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استعداد
لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة
او للدلالة على استحضار الصورة والسلك ادخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط بالابرة والرمح في المطعون
لا يؤمنون به اي بالذكر حال من ضمير نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير
للاستهزاء فتتعين البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي نسلك الاستهزاء في قلوبهم
حال كونهم غير مؤمنين ملابسته والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء
كما في قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي قد مضت طريقتهم التي سنها
الله تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استيناف جيء به تكملة للتسلية وتصريح
بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء اي
بابا من ابوابها المعهودة كما قيل او مستترا لهم الترقي والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك
يعرجون بآلة او بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين

افرحوا ايا انهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم • لقالوا • لفرط
عنادهم وغلوهم في المكابرة وتماديهم عن قبول الحق • انما سكرت ابصارنا • اى سدت من الاحساس
من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت بالتشديد وقراءة من قرأ سكرت اى حارت • بل نحن
قوم مسحورون • قد سحرنا محمد عم كما قالوه عند ظهور سائر الايات الباهرة وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على
انهم يبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة
على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرئيا
لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع اخر من السحر غير تسكير
الابصار • ولقد جعلنا في السماء بروجا • قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الاثنى عشر المشهورة المختلفة
الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل
بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني له متعلق بمحذوف اى جعلناها
بروجا كائنة في السماء • وزيناها • اى السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت
او ثوابت • للناظرين • اليها بمعنى التزيين ظاهر او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها
وحكمة مدبرها فتزيينها على نظام بديع مستتبع للاثار الحسنة • وحفظناها من كل شيطان رجيم • مرمي بالنجوم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس في اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها • الا من استرق السمع
• محله النصب على الاستثناء المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على الاطلاق والوقوف
على ما فيها في الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رض انهم كانوا لا يحجبون
عن السموات فلما ولد عيسى عم منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبي صلعم منعوا من السموات كلها و
استراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر او
بالاستدلال من الاوضاع • فاتبعه • اى تبعه ولحقه • شهاب • لهب محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد
يطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق • مبين • ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت لابن شهاب الزهري
كان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمى به الشيطان فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق
السمع ثم يعود الى مكانه قال افرأيت قوله تعالى انا كنا نقعد منها مقاعد الاية قال غلظت وشدد امرها حين
بعث رسول الله صلعم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن في شدة الحراسة
كما بعد مبعثه عم قال ابن عباس ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة
فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من
يخبله فيصير غولا فيضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس
يخرج ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول اصح • والارض مددناها • بسطناها
وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله
تعالى ولقد جعلنا الى اخره وليوافق ما بعده اعني قوله تع • والقينا فيها رواسي • اى جبالا ثوابت وقد مر

بيانه في اول

بيانه في اول الرعد • وانبتنا فيها • اى في الارض او فيها وفي رواسيها • من كل شيء موزون • بميزان الحكمة
ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب وما يوزن
او يقدر من ابواب النعمة • وجعلنا لكم فيها معايش • ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق
به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل • ومن لستم له برازقين • عطف على معايش
او على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب
وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو
الذي يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها المعايش ومن لستم له برازقين • وان من شيء • ان للنفي ومن مزيدة
للتأكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اى ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا • الا
عندنا خزائنه • الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ والاول
الخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن
ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الفائتة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم
العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهياة متأتية لايجاده وتكوينه
بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر
الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية • وما ننزله • اى ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا
بشيء من الاشياء • الا بقدر معلوم • اى الا ملتبسا بمقدار معين يقتضيه الحكمة ويستدعيه المشيئة
التابعة لها لا بما يقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت
محدود دون ما عداه مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي
اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان تمر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن
القدرة وسواء عطف على مقدر اى ننزله وما ننزله الى اخره او حال مما سبق اى عندنا خزائن كل شيء والحال
انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك
بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان
ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار • وارسلنا الرياح • عطف على جعلنا لكم
فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اى ارسلنا الرياح لواقح اى حوامل شبهت
الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات للشجر
والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اى المهلكات وقرئ وارسلنا
الريح على ارادة الجنس • فانزلنا من السماء • بعد ما انشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا • ماء فاسقيناكموه
اى جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى
شاؤوا • وما انتم له بخازنين • نفي عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كأنه قيل
نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلنا

او ملقحات

انزلنا في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعته تقتضي الغور
وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعمم الاحياء والاماتة
بما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر ونحن اما تاكيد للاول او مبتداء خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا
يجوز كونه ضمير الفصل لان اللام مانعة عن ذلك قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل
كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون بعد
فناء الخلق قاطبة اي لكون الملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الى كونه في الكل اولا واخرا وليس
لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتاخر ليس بوارث للمتاخر كما يترأى من ظاهر الحال
ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستاخرين من تاخر
ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد و
سبق الى الطاعة ومن تاخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته
فان ما يدل عليها دليل عليه فتدبر قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول
الله صلعم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلعم
فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر آخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله
تعالى وان ربك هو يحشرهم اي للجزاء وتوسيط ضمير الفصل للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم
كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا محالة وفي الالتفات
والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عم دلالة على اللطف به عم انه حكيم
بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال
على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا
الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق افراده
انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت
عند نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف
صل اذا انتن من حمأ من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي من صلصال
كائن من حمأ مسنون اي مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه اي مفرغ
على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمأ وعلى
الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حمأ تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه
صلصالا بل في حال كونه حمأ كأنه سبحانه افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا
نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز
ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة
كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف

على الجملة

على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد
الثقلين وبالمستاخرين الآخر والخطاب للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام
ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد
المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله من نار
باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب ومساق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء
الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء
واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث
وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره
عم اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت قوله تعالى للملائكة اني خالق
فيما سيأتي وفيه بالكسر صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا
عاطف يلويه بشرا اي انسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر انه تعالى
قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا
يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة
لمفعوله اي بشرا كائنا من صلصال كائن من حمأ مسنون تقدم تفسيره ولا ينافي هذا ما في قوله
تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد
وما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض لذلك
هنالك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او
سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح
لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة
لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له امر من
وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين تحية له
وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه عم بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان
رضي أليس اول من صلى لقبلتكم واعلم الناس بالقرآن والسنن فسجد الملائكة اي فخلقه
فسواه ونفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتاخر
في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا
فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل في الكلام
التنزيل على اكمل احوال الشيء ولا ريب في ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله
تاكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ
آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة في التعميم هذا

وأما أن يجود من هذا أهل ترتب على ما حكي من الأمر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة التي في سورة
ص أو على الأمر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه
في تفسير سورة البقرة • إلا إبليس • استثناء متصل إما لأنه كان جنياً مفرداً مغموراً بألوف
من الملائكة فعد منهم تغليباً وإما لأن من الملائكة جنساً يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى • أبى
أن يكون مع الساجدين • استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فإن
مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم أنه مع الإباء والاستكبار أو منقطع فيتصل به ما بعده أي لكن
إبليس أبى أن يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث أدمج في معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الأمر
والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة والإباء عن الانتظام في سلك أولئك المقربين الكرام • قال • استئناف
مبني على سؤال من قال فماذا قال تعالى عند ذلك فقيل قال • يا إبليس ما لك • أي أي سبب لك أو أي غرض
لك كما قيل في قوله تعالى ما منعك • ألا تكون • في أن لا تكون • مع الساجدين • لآدم مع أنهم هم ومنزلتهم في الشرف
منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل للكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال تعالى في سورة الأعراف قال ما
منعك ألا تسجد إذ أمرتك وفي سورة ص قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية
في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن آخر وإشعاراً بأن كل واحدة من تلك المعاصي الثلاث كافية في
التوبيخ وإظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة البقرة وسورة بني إسرائيل وسورة الكهف
وسورة طه • قال • أي إبليس وهو أيضاً استئناف مبني على السؤال الذي ينساق إليه الكلام • لم
أكن لأسجد • اللام لتأكيد النفي أي لا يناسب حالي ولا يستقيم مني لأني مخلوق من أشرف العناصر وأعلاها أن أسجد
• لبشر • أي جسم كثيف • خلقته من صلصال من حمإ مسنون • اقتصر هنا على الإشارة الإجمالية إلى
ادعاء الخيرية وأشرفية المادة اكتفاء بما صرح به حين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من
طين • ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عنصر من التراب الذي هو أخس العناصر وأسفلها بل تعرض لكونه
مخلوقاً منه في أخس أحواله من كونه طيناً متغيراً وقد اكتفى في سورة الأعراف وسورة ص بما حكي عنه
ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني إسرائيل حيث قيل أأسجد لمن خلقت طيناً
وفي جوابه دليل على أن قوله تعالى ما لك ليس استفساراً عن الغرض بل هو استفسار عن السبب في
عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصي عن المناقشة وأنى له ذلك كأنه قال لم أمتنع عن امتثال
الأمر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشأني من الخضوع للمفضول ولقد جرى خذله الله تعالى
على سنن قياس عقيم وزل عنه أن ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلي بالمعارف الربانية و
التخلي عن الملكات الردية التي أقبحها التكبر والاستعصاء على أمر رب العالمين جل جلاله • قال فاخرج
منها • أي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فإن وسوسته لآدم عليه السلام في الجنة إنما كانت بعد
هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصاً في ذلك فإن الخروج بين الملأ الأعلى هبوط وأي هبوط أو
من الجنة على أن وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن البصري أو بطريق المشافهة

بعدان

بلا دخول فيها أو بتوسل إليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي ولا ينافي هذا طرده على رؤوس الأشهاد كما يقتضيه
من الحكم البالغة • فإنك رجيم • مطرود من كل خير وكرامة فإن من يطرد يرجم بالحجارة أو شيطان يرجم بالشهب
وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فإن من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون • وإن عليك اللعنة • الإبعاد
عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله سبحانه وإن كان جارياً على ألسنة العباد قيل في سورة ص وإن عليك لعنتي
• إلى يوم الدين • إلى يوم الجزاء والعقوبة وإنما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك
أقصى أمد اللعنة ليس لأنها تنقطع هنالك بل لأنه عند ذلك يعذب بما ينسى به اللعنة من أفانين العذاب فتصير
هي كالزائل وقيل إنما حد به لأنه أبعد غاية يضربها الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض
وحيث أمكن كون تأخير العقوبة مع الموت كما من أخرت عقوبتهم إلى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما
حكي عنه بقوله تعالى • قال رب فأنظرني • أي أمهلني وأخرني ولا تمتني والفاء متعلق بمحذوف ينسحب عليه الكلام
أي إذا جعلتني رجيماً فأمهلني • إلى يوم يبعثون • أي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة
لإغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث • قال فإنك من المنظرين • ورود الجواب
بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعاً لهم في ذلك دليل على أنه إخبار
بالإنظار المقدر لهم أزلاً لا إنشاء لإنظار خاص به وقع إجابة لدعائه أي إنك من جملة الذين أخرت آجالهم
أزلاً حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الإنظار بالاستنظار بل لربط الإخبار
المذكور به كما في قوله فإن ترحم فأنت لذلك أهل فإنه لا إمكان لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من الأهلية
القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الإخبار بتلك الأهلية للرحمة بوقوعها وإن الاستنظار
كان طلباً لتأخير الموت إذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من أخرت
عقوبتهم إلى الآخرة في علم الله تعالى ممن سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستنظار مع الحياة
ولأن ذلك التأخير معلوم من إضافة اليوم إلى الدين مع إضافته في السؤال إلى البعث كما عرفته وفي سورة
الأعراف قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار
والإنظار تعويلاً على ما ذكر ههنا وفي سورة ص فإن إيراد كلام واحد على أساليب متعددة غير عزيز في
الكتاب العزيز وأما أن كل أسلوب من أساليب النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما
حكي من اللعين إنما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع إلا دفعة فمقام المحاورة إن اقتضى أحد الأساليب المذكورة
فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ إلى طبقة الإعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلاً عن الارتقاء
إلى معالم الإعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى في سورة الأعراف • إلى يوم الوقت المعلوم • وهو وقت
النفخة الأولى التي علم أنه يصعق عندها من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله تعالى ويجوز
أن يكون المراد بالأيام واحداً والاختلاف في العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لأنه
غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر أو لاستئثاره تعالى
بعلمه فلعل كلا من هلاك الخلق جميعاً وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في أوله ويبعث في أواسطه

ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل
عن الاحنف بن قيس رح انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين رضي الله تعالى فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب
الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عم الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس اذا
رآني ميتا وهو منتظر الى يوم القيامة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة
ليذوق الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال
يا رب حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فأبى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت
عقيب النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع واني البستك اليوم
اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبي وسخطي وسطوتي على رجيمي ابليس فاذقه الموت واحمل عليه
مرارة الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا
غيظا وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف
كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات
والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت
وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه
فيهرب الى المغرب فاذا هو به بين عينيه فيغوص البحار فتنزه منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض
ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم عم وقد تعبث الزبانية الكلاليب وصارت الارض
كالجمرة احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث شاء الله تعالى و
يقال لآدم وحوا اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما فيه من شدة العذاب
فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك • قال رب بما اغويتني • الباء للقسم وما مصدرية والجواب •
لأزينن لهم • اي اقسم باغوائك اياي لأزينن لهم المعاصي • في الارض • اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله
تعالى اخلد الى الارض وفي اقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره ما لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها
واثر من آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية والقسم لأزينن جواب
قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بتزيين
المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبيب له بامره اياه بالسجود لآدم
عم واعتذروا عن امهال الله تعالى وتسليطه له على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون
على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب •
ولأغوينهم اجمعين • لاحملنهم على الغواية • الا عبادك منهم المخلصين • الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل • قال هذا صراط
علي • اي حق علي ان اراعيه • مستقيم • لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص
المخلصين من اغوائه والاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والاظهر

ان ذلك

ان ذلك لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم الآية وقرئ علي من علو الشرف • ان عبادي • وهم المشار اليهم بالمخلصين • ليس لك عليهم سلطان •
تسلط وتصرف بالاغواء • الا من اتبعك من الغاوين • وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشأن
المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم
• وان جهنم لموعدهم • اي لموعد المتبعين او الغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم
مكان الوعد وان الموعود فيها لا يوصف في الفظاعة • اجمعين • تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعل مصدرا
على تقدير المضاف ومعنى الاضافة ان جعل اسم مكان • لها سبعة ابواب • يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات
ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية •
لكل باب منهم • من الاتباع والغواة • جزء مقسوم • حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده
فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين
والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رض ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر
لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار المهلكات في المحسوسات بالحواس
الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاء وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديد الزاي في الوقف
والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها • ان المتقين •
من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة • في جنات وعيون • اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم
جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم
ادخلوها • على ارادة القول امرا من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن
ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال • بسلام • ملتبسين بسلام اي سالمين او مسلما عليهم • آمنين •
من الآفات والزوال • ونزعنا ما في صدورهم من غل • اي حقد كان في الدنيا وعن علي رض الله عنه ارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله تعالى عليهم اجمعين • اخوانا • حال من الضمير في قوله في جنات او من فاعل
ادخلوها او من الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز
كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور
بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون في جميع احوالهم • لا يمسهم فيها نصب • اي تعب بان لا يكون
لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك
وان باشروا الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين • وما هم منها بمخرجين •
ابد الآباد لان تمام النعمة بالخلود • نبئ عبادي • وهم الذين عبر عنهم بالمتقين • اني انا الغفور الرحيم • وان
عذابي هو العذاب الاليم • فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد
بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب
ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج • ونبئهم • عطف على نبئ عبادي

واتعظوا واعتبروا بهم بما جرى على ابراهيم عم من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاتهم
مع اهله الا بعض منهم في ضمن الخوف وتنبيههم لحلول انتقام من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم
عن ضيف ابراهيم • عن ابن عباس رضه انهم جبريل عم وملكان معه وقال محمد بن كعب وسبعة معه وقيل
جبرائيل وميكائيل واسرافيل عم وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم
وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عم
بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره • اذ دخلوا عليه • نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم او خبر مقدر
مضاف الى ضيف اي خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل • فقالوا • عند دخولهم
سلاما • اي نسلم سلاما او سلمت سلاما • قال انا منكم وجلون • اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس
لتوقع مكروه قاله عم حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل
من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة
فلا مجال لكون خوفه عم بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به ولم يتصدوا
لتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر ههنا اكتفاء بما بين في غير هذا الموضع الا ترى الى انه لم يذكر ههنا رده عم سلامهم
قالوا لا توجل • لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله • انا نبشرك
استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة
ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة زمانا طويلا • بغلام • هو اسحق عم لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم
يتعرض ههنا لبشارة يعقوب عم اكتفاء بما ذكر في سورة هود • عليم • اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني
بذلك على ان مسني الكبر وانكر في تعجبه عليه السلام من بشارتهم بالولد في حالة مباينة للولادة وزاد في ذلك فقال
فبم تبشرون اي باي اعجوبة تبشرونني او باي شيء تبشرونني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء
او باي طريقة تبشرونني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية • قالوا بشرناك
بالحق • اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله تعالى • فلا تكن من
القانطين • من الآيسين من ذلك فان الله قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر
وقرئ من القنطين وكان مقصده عم استعظام نعمته عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنته المسلوكة فيما
بين عباده لا استبعادا وذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين
دون ان يقولوا من الممترين او نحوه • قال ومن يقنط • استفهام انكاري اي لا يقنط • من رحمة ربه
الا الضالون • المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال
يعقوب عم لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه على ابلغ وجه اي ليس بي
قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف
الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح ولعل هذه المقاولة
من الملائكة مع ابراهيم عم خاصة بل مع سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر

هناك

هناك اكتفاء بما ذكر ههنا • قال • اي ابراهيم عم وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله • فما خطبكم
اي امركم وشأنكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة • ايها المرسلون • صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم تشير
به الى مكانها كما في قوله تعالى قال أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الآية فان قوله الاخير ليس
موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال
الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابه لهم عليهم السلام بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه
السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس
لمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله ارسلوا فكأنه قال عم ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة فماذا هو فلا
حاجة الى الالتجاء الى ان علمه عم بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا
تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في زكريا عم ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام
المقصود لابتدأوا بها فتأمل • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق
التنكير ذما لهم واستهانة بهم • الا آل لوط • استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا آل لوط
والارسال شامل للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين و
يدل عليه قوله تعالى • انا لمنجوهم • اي لوطا وآله • اجمعين • اي مما يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم
لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكونهم حالهم
بين بين او للتعليل بان من تعلق بهم التنجية ينجي من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل
بآل لوط جار مجرى خبر وعلى هذا فقوله تعالى • الا امرأته • استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من
الضمير خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا • قدرنا انها لمن الغابرين
الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاصه بافعال
القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره و
واسنادهم له الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص • فلما جاء آل لوط المرسلون •
شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل
نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به
ابتداء مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عم بقوله تعالى • قال انكم قوم منكرون • انما قاله
بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد
ومعاناته المكائد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد فيما
يأتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكر لانهم لانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم حيث
لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأه الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد
حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كيف لا وهم بمرأى
المحلي بقوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون • اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم فيمترون فيه ويكذبونك قبل قشروا

العصا وتنبوا له عن جلية الامر فانى يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا
عن موجب الخوف المذكور على معنى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك وتقر به عينك بل هو اضراب عما فهمه عم من ترك
النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذى كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم
به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة لما ان ذكر بشارة لوط عم باهلاك
قومه وتنجيته اثر ذكر بشارة ابرهيم عم بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب
مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة براعاته في مواقع اخر و
نسبة المجىء بالعذاب اليهم عم مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليهم لا بطريق نزوله عليهم كانهم جاؤوا
به وفوضوا امره اليه يرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به • وآتيناك بالحق • اى باليقين الذى لا مجال فيه
للامتراء والشك وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه او المراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب
المذكور وقوله تعالى • وانا لصادقون • تأكيد له اى اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اى المطابق للواقع وانا
لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى الاول تأكيد اثر تأكيد وقوله تعالى • فأسر
باهلك • شروع في ترتيب مبادي النجاة اى اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل ومعناهما السرى وهو السير في الليل
وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو سير الليل وقرئ فسر من السير • بقطع من الليل • بطائفة منه او من آخره
قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل لهيم وقيل هو بعد ما مضى منه شىء صالح • واتبع ادبارهم •
وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود بالامر
للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التأخر عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتأخر
والالتفات المنهي عنه بقوله تع • ولا يلتفت منكم • اى منك ومنهم • احد • فيرى ما وراءه من الهول فلا
يطيقه او يصيبهم ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك
ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او نهى عن ربط القلب بما خلفوه او للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن
ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة عن الاسراء او الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك
كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر • وامضوا حيث تؤمرون • الى حيث امركم الله تعالى بالمضي
اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه
واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين • وقضينا •
اى اوحينا • اليه • مقضيا ولذلك عدي بالى • ذلك الامر • مبهم يفسره • ان دابر هؤلاء مقطوع •
على انه بدل منه وفي ايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي مدار ثبوت
الحكم اى دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المفعول بدل صيغة المضارع لكونها ادخل في الدلالة على
الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك وتأخيره عن الجار والمجرور و
ابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته ما لا يخفى وقرئ انّ بالكسر على الاستئناف
والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد • مصبحين • داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء

وجاء اهل المدينة • شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف
من الفعل المقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا استحسانا به عليه اى جاء اهل سدوم منزل لوط
عم • يستبشرون • اى مستبشرين باضيافه عم طمعا فيهم • قال ان هؤلاء ضيفي • الضيف حيث
كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عم لكونهم
في زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشأنهم وتشميره لمراعاة حقوقهم
وحمايتهم عن السوء ولذلك قال • فلا تفضحون • اى عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر وحرمة
او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار • و
اتقوا الله • في مباشرتكم لما يسوءني • ولا تخزون • اى لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة
الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه
عم واجلب للعار اليه اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته و
والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عم عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته
بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم
ذلك وقيل المراد تقوى الله تع في ركوب الفاحشة ولا يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين
بنفسه عم وكذلك قوله تع • قالوا اولم ننهك عن العالمين • اى عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة
للانكار والواو للعطف على مقدر اى الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء
وكان عم ينهاهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عم عن ان يجير احدا فانهم قالوا ما ذكر تشنيعا
الفضيحة والخزي اذ ما جاءك من قبلك الا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى له لما عراك تلك فراهم
لا يعلمون عما هم عليه • قال هؤلاء بناتي • يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اى فتزوجوهن
وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد
فصل ذلك في سورة هود • ان كنتم فاعلين • اى قضاء الوطر او ما اقول لكم • لعمرك • قسم من الله تعالى بحياة
النبي صلعم او من الملائكة بحياة لوط عم والعمر والعمر واحد وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة
لكثرة دورانه على الالسنة • انهم لفي سكرتهم • غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ
والصواب • يعمهون • يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض • فاخذتهم
الصيحة • اى الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عم • مشرقين • داخلين في وقت شروق الشمس •
فجعلنا عاليها • عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تع • سافلها • مفعول ثان له وهو
ادخل في الهول والفظاعة من العكس كما مر • وامطرنا عليهم • في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب • حجارة •
كائنة • من سجيل • من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود • ان في ذلك • اى في ذكر
من القصة • لآيات • لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق • للمتوسمين • اى المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته • وانها • اى المدينة او القرى • لبسبيل مقيم • اى طريق ثابت

يسلكه الناس ويرون آثارها • إن في ذلك • فيما ذكر من المدينة أو القرى أو في كونها بمرأى من الناس
يشاهدونها ذهابهم وإيابهم • لآية • عظيمة • للمؤمنين • بالله ورسوله فإنهم الذين يعرفون أن ما حاق بهم
من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع إنما حاق بهم لسوء صنيعهم وأما غيرهم فيحملون ذلك على الاتفاق أو الأوضاع الفلكية
وإفراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما أن المشاهد هنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف • وإن كان • إن مخففة
من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة أي وإن الشأن كان • أصحاب الأيكة • وهم قوم
شعيب عم والأيكة والليكة الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى إليهم
• لظالمين • متجاوزين عن الحد • فانتقمنا منهم • بالعذاب • روي أن الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث
سحابة فالتجأوا إليها يلتمسون الروح فبعث الله تع عليهم فذكر أحدهما منبئة على الآخر • لبإمام مبين • لبطريق
واضح والإمام اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتم به • ولقد كذب
أصحاب الحجر • يعني ثمود • المرسلين • صالحا فإن من كذب واحدا من الأنبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على
التوحيد والأصول التي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل
الخبيبون لخبيب بن عبد الله بن الزبير وأصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه • وآتيناهم
آياتنا • وهي الآيات المنزلة على نبيهم أو المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها أو الأدلة المنصوبة لهم
• فكانوا عنها معرضين • إعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا • وكانوا ينحتون
من الجبال بيوتا آمنين • من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها أو من العذاب لحسبانهم
أن ذلك يحميهم منه عن جابر رض أنه قال مررنا مع رسول الله صلعم على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم
إلا أن تكونوا باكين حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلعم راحلته فأسرع حتى خلفها •
فأخذتهم الصيحة • وهكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبرئيل عم وقيل أتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل
صاعقة وصوت كل شيء في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الأعراف فأخذتهم الرجفة
أي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي إليه كما مر في سورة هود • فما أغنى
عنهم • ولم يدفع عنهم ما نزل بهم • ما كانوا يكسبون • من بناء البيوت الوثيقة والأموال الوافرة والعدد
المتكاثرة وفيه تهكم بهم أي الذي ترتب عدم الإغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم
الإغناء المطلق فإنه أمر مستمر • وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق • أي إلا خلقا ملتبسا بالحق
والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء
دفعا لفسادهم وإرشادا لمن بقي إلى الصلاح أو إلا بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال كما ينبئ عنه
قوله • وإن الساعة لآتية • فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك • فاصفح • أي أعرض عنهم • الصفح
الجميل • إعراضا جميلا وتحمل أذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل منسوخة بآية السيف
• إن ربك • الذي يبلغك إلى غاية الكمال • هو الخلاق • لك ولهم ولسائر الموجودات على الإطلاق • العليم
بأحوالك وأحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بأن تكل جميع الأمور إليه ليحكم بينكم أو

هو الذي

الذي هو السبب لإهلاك أولئك كما أن أولئك بمعزل من التعضية التي هي السبب لإهلاك هؤلاء ولا
علاقة بين التشبيهين مفهوما ولا وجودا لتصحيح وقوع أحدهما في جانب واتفاق الآخر تعقيبا على مطلوع
الإنفاق على الشر المفهوم من الإنفاق على الشر المخصوص الذي هو التسبب إلى القول عليه بالتقاسم
غير مفيد إذ لا دلالة لتعقيبه التعضية على ذلك وأما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول
مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية فلا يليق بجزالة التنزيل وجلالة شأنه الجليل إذا عرفت هذا
فاعلم أن الأقرب من الأقوال المذكورة أنه متعلق بالأول وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين
وأن الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف النصب على المصدرية وحدث
جلالة المقام عن التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم
إيتاء مماثلا لإنزال الكتابين لأن الغرض بيان المماثلة بين الإيتاءين لا بين متعلقيهما والعدول
عن تطبيق ما في جانب المشبه على ما في جانب المشبه به بأن يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله
الذين آتيناهم الكتاب للتنبيه على ما بين الإيتاءين من التنائي فإن الأول على وجه التكرمة و
الامتنان فشتان بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فإن ذلك إنما هو
لمسلميته عندهم وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود إلى ذاته كما في الصلوات الإبراهيمية فإن التشبيه
فيها ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على إبراهيم عليه السلام وآله أتم وأكمل مما فاض على النبي
صلعم وإنما ذلك لتقدم في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة
إشعار بأفضلية المشبه به من المشبه فضلا عن إيهام أفضلية ما تعلق به الأول مما تعلق به الثاني
وإنما ذكروا بعنوان الاقتسام إنكارا لاتصافهم به مع تحقق ما يقتضيه من الإنزال المذكور وإيذانا
بأنه كان من حقهم أن يؤمنوا بكله حسبما أنهم بما أنزل عليهم لحكم الاشتراك في العلة والاتحاد في
الحقيقة التي هي مطلق الوحي وتوسيط قوله تعالى • لا تمدن • الخ لكمال اتصاله بما هو المقصود من بيان حال ما
أوتي النبي صلعم وتقديمه لعلو شأنه ورفعة مكانه بحيث يستوجب اغتباطه عم بمكانه واستغنائه
به عما سواه ثم نهي عن الالتفات إلى زهرة الدنيا وعبر عن إيتائها لأهلها بالتمتيع المنبئ عن وشك
زوالها عنهم ثم عن الحزن بعدم إيمان المنهمكين فيها وأمر بإعانة المؤمنين والاعتناء بهم عن غيرهم
وبإظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة حسبما فصل في تضاعيف ما أوتي من القرآن
العظيم ثم رجع إلى كيفية إيتائه على وجه أدرج فيه ما يزيح شبه المنكرين ويستنزلهم من العناد
من بيان مماثلته لما لا ريب لهم في كونه وحيا صادقا فتأمل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل
المعنى قل إني أنا النذير المبين كما قد أنزلنا في الكتب أنك ستأتي نذيرا على أن المقتسمين أهل الكتاب
انتهى ويريد أن ما في كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة من الكاف الموافقة وهي مع ما في حيزها
في محل النصب على الحالية من مفعول قل أي قل هذا القول حال كونه كما أنزل على أهل الكتب بين أي
موافقا لذلك فلا يستقيم حينئذ حمل الاقتسام على التحريف لتكون وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم

وكتابهم بنعت النبي صلعم وقوله تعالى عضين جمع عضة وهي الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة
تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزئة
القرآن بالتعضية التي هي تفريق الاعضاء من ذي الروح المستلزم لازالة حيوته وابطال اسمه
دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص
على كمال قبح ما فعلوا بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر
بلغة قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء • فوربك لنسألنهم اجمعين • اي اصناف
يوم القيمة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع • عما كانوا يعملون • في الدنيا
من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا اوليا ونجزيهم بذلك جزاء
موفورا وفيه من التشديد وتاكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على اعمالهم التي ذكر بعضها
وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا اليه عم اظهار اللطف به عم • فاصدع بما تؤمر • فاجهر به
من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية
او موصولة والعائد محذوف اي ما تؤمر به من الشرائع المودعة في تضاعيف ما اوحي اليك من
الآيات والقرآن العظيم ومن جملته ان يقول اني انا النذير المبين • واعرض عن المشركين • اي لا
تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تعتد للانتقام منهم • انا كفيناك المستهزئين • بقمعهم وتدميرهم قيل
كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحرث بن قيس بن الطلاطلة
والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلعم والاستهزاء به فنزل جبريل
عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما
لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت
وانتفخت حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي والى انف الحرث فامتخط قيحا فمات
والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات
• الذين يجعلون مع الله الها آخر • وصفهم بذلك تسلية لرسول الله وتهوينا للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا
على الاستهزاء به عم بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الاشراك بالله سبحانه • فسوف يعلمون • عاقبة ما يأتون
ويذرون • ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون • من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به
وبك وتحلية الجملة بالتاكيد لافادة تحقيق ما تتضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم
حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة • فسبح بحمد ربك • فافزع الى الله تعالى فيما نابك
من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميره عم ما لا يخفى من اظهار اللطف به عم والاشعار بعلة الحكم اعني الامر بالتسبيح والحمد • وكن من الساجدين
• اي المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه
عم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة • واعبد ربك • دم على ما انت عليه من عبادته عم وايثار الاظهار

بالعنوان

بالعنوان السابق لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عم والاشعار بعلة الامر بالعبادة • حتى ياتيك
اليقين • اي الموت فانه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى الحي
طالب للوصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول الله صلعم من قرا سورة
الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا

سورة النحل وتسمى سورة النعم مكية الا ثلث آيات في آخرها وهي مائة

بسم الله الرحمن الرحيم

• اتى امر الله • اي الساعة او ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان
تحققه في نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم
المتوقع في سلك الواقع او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات
واياما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع في قوله عز وجل
• فلا تستعجلوه • فان النهي عن استعجال الشيء وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة
لكنه بمعزل من تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال راسا لا بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع مباديه
والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب والاستعجال منهم وان كان بطريق الاستهزاء
لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة
خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة او ما يعمها من العذاب حتى يعمهم النهي عنه
واما الثاني فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة
واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازي يعمهما معا من غير ان يكون رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق
بشان التنزيل الجليل وما روي من انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان
القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا ما نرى شيئا
فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى
شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلعم فرفع الناس رؤسهم فلما نزل فلا تستعجلوه
اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان
هو الاتيان الادعائي لا الحقيقي الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضي لعدم وقوع
المستعجل بعد لا الخلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لان المراد
بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم
على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الاعجاز التنزيلي
انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل
الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد ان احدا يحجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده
وقد قالوا في تضاعيف الشرك لو صح مجيء العذاب فالاصنام تخلصنا عنه بشفاعتها رد ذلك بقوله بطريق
الاستيناف • سبحانه وتعالى عما يشركون • اي تنزه وتقدس بذاته وجل عن اشراكهم المؤدي الى

الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين ففوت هذه النكتة لما يفوت ارتباط المنهي عنه وقرئ على صيغة الخطاب • ينزل الملائكة • بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شيء في شيء وايذان بانه دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة والتشريع وكيفية القاء الوحي والتنبيه على طريق علم الرسول صلعم بذلك واظهار البطلان رأيهم في الاستعجال والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة اما جبريل عم قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحي بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التائين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل • بالروح • اي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فانه يحيي القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله اي ملتبسين بالروح • من امره • بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا ومبتدأ منه او صفة له على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي بالروح الكائن من امره او الناشئ منه او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي ينزلهم بامره • على من يشاء من عباده • ان ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك • ان انذروا • بدل من الروح اي ينزلهم ملتبسين بان انذروا اي بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملائكة عليهم عليهم السلام والآمر هو الله تعالى سبحانه والملائكة نقلة للامر كما يشعر به الباء والمبدل منه وان اما مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا واقلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما في قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر في اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر بالشيء اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اي اعلمه وحذره وخوفه في الابلاغ كذا في القاموس اي اعلموا الناس انه • لا اله الا انا • فاتقون ان الشان ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرر له في الذهن فان الضمير لا يفهم ابتداء الا الاشارة منهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وايثار مضمونها ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يفاده من الاشراك وذلك كاف في كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه • فاتقون • خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء فصيحة اي

اذا كان

اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له في الالوهية فاتقون في الاخلال بمضمونه وما يتفرع عليه من الاشراك وفروعه التي من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعي للتوحيد شرع في تحرير الادلة العقلية فقيل • خلق السموات والارض بالحق • اي اوجدهما على ما هما عليه من الوجه اللائق والنمط اللائق بتعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التي من جملتها ابداع هذين المخلوقين • عما يشركون • عن شركاء لهم المعهود او شركة ما يشركونه من الباطل الذي لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلي المنطوي على تفاصيل مخلوقاته شرع في تعداد ما فيه من خلائقه فبدأ بفعله المتعلق بالانفس فقال • خلق الانسان • اي هذا النوع غير الفرد الاول منه • من نطفة • جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا • فاذا هو • بعد الخلق • خصيم • منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم • مبين • لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيي العظام وهي رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روي ان ابي بن خلف الجمحي اتى النبي صلعم بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت • والانعام • وهي الازواج الثمانية من الابل والبقر والضأن والمعز وانتصابها بفعل يفسره • خلقها • او بالعطف على الانسان وما بعده بيان لما خلق لاجله والذي بعده تفصيل لذلك وقوله • لكم • اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم وقوله • دفء • مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقي من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة • ومنافع • هي درها وركوبها وحملها والحراثة بها وغير ذلك انما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء على المنافع رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى • ومنها تأكلون • اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت مقارها وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وبأثمان نتاجها وألبانها وجلودها • ولكم فيها • مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية • جمال • اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم • حين تريحون • تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي • وحين تسرحون • تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزين الافنية والاتجاوب فيها ثغاؤها ورغاؤها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر اليها ناظر وتقديم الاراحة على السرح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن ما يكون ملائى البطون مرتفعة الضلوع

حافلة الضروع وفرحى حين تريحون فيه وتسرحون فيه • وتحمل أثقالكم • جمع ثقل وهو متاع المسافر
وقيل أنفسكم وأجرامكم • إلى بلد • قال ابن عباس رضي الله عنهما أريد به اليمن ومصر والشام ولعله نظر إلى أنها
متاجر أهل مكة وقال عكرمة أريد به مكة ولعله نظر إلى أثقالكم لهم وأحمالهم عند القفول من متاجرهم أكثر
وحاجتهم إلى الحمولة أشد والظاهر أنه عام لكل بلد سحيق • لم تكونوا بالغيه • واصلين إليه بأنفسكم مجردين
عن الأثقال لولا الإبل • إلا بشق الأنفس • فضلاً عن أن تستصحبوها معكم وقرئ بفتح الشين وهما
لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الأمر عليه شقاً وحقيقته راجعة إلى الشق
الذي هو الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه يذهب نصف القوة لما يناله من الجهد فالإضافة إلى الأنفس مجازية
أو على تقدير مضاف أي إلا بشق قوى الأنفس وهو استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي لم تكونوا بالغيه بشيء
من الأشياء إلا بشق الأنفس ولعل تغيير النظم الكريم السابق الدال على كون الأنعام مدار النعم السابقة
إلى الجملة الفعلية المجردة عن الحدوث للإشعار بأن هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق
وفي الشمول للأوقات والاطراد في الأحيان المعهودة بمثابة النعم السابقة فإنها بحسب المنشأ خاصة بالإبل
وبحسب المتعلق بالضاربين في الأرض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في أحايين غير مطردة وأما سائر النعم المعدودة
فموجودة في جميع أصناف الأنعام وعامة لكافة المخاطبين دائماً وفي عامة الأوقات • إن ربكم لرءوف رحيم •
ولذلك أسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الأمور الشاقة • والخيل • هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه
كالإبل وهو عطف على الأنعام أي خلق الخيل • والبغال والحمير لتركبوها • تعليل بمعظم منافعها والاقتصار عليه
بها لا يخل بالتعدي إلى ما يكون من جنسه • وزينة • عطف على محل لتركبوها وتجريدها عن اللام لكونه فعلاً لفاعل الفعل
المعلل دون الأول ولتأخره لأن الركوب أهم منه أو مصدر لفعل محذوف أي وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير
واو أي خلقها زينة لتركبوها ويجوز أن يكون مصدراً واقعاً موقع الحال من فاعل تركبوا أو مفعوله أي متزينين
بها أو متزيناً بها • ويخلق ما لا تعلمون • أي يخلق في الدنيا غير ما عدد من أصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه
وكيفية خلقه فالعدول إلى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد أو لاستحضار الصورة أو
يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون أي ما ليس من شأنكم أن تعلموه وهو ما أشير إليه
بقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ويجوز أن يكون هذا إخباراً بأنه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على
قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمه الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنهما إن عن يمين
العرش نهراً من نور مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر
فيغتسل فيزداد نوراً إلى نوره وجمالاً إلى جماله وعظماً إلى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع
من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألفاً البيت المعمور وسبعون
ألفاً الكعبة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة • وعلى الله قصد السبيل • القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال
سبيل قصد وقاصد أي مستقيم على طريق الاستعارة أو على نهج إسناد حال سالكه إليه كأنه يقصد

الوجه

الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه أي حق عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان
الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى الحق الذي هو التوحيد بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب
لدعوة الناس إليه أو مصدر بمعنى الإقامة والتعديل قاله أبو البقاء أي عليه عز وجل تقويمها أي جعلها
بحيث يصل سالكها إلى الحق لكن لا بعدما كانت في نفسها منحرفة عنه بل إبداعها ابتداء كذلك على نهج قوله سبحانه
من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة إلى ما ذكر من نصب الأدلة وقد فعل ذلك حيث أبدع البدائع
التي كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره وعلم يستضاء بناره وأرسل رسلاً مبشرين ومنذرين وأنزل عليهم كتباً
من جملتها هذا الوحي الناطق بحقيقة الحق الكاشف عن كل ما جل من الأسرار ودق الهادي إلى سبيل الاستدلال
بتلك الأدلة المفضية إلى معالم الهدى المنجية عن فيافي الضلالة ومهاوي الردى ألا ترى كيف بين أولاً تنزه
جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن أن يحوم حوله شائبة توهم الإشراك ثم أوضح إلقاء الوحي على
الأنبياء عليهم السلام وكيفية أمرهم بإنذار الناس ودعوتهم إلى التوحيد ونهيهم عن الإشراك ثم كر على بيان تعاليه
عن ذلك بحسب الأفعال مرشداً إلى طريقة الاستدلال فبدأ بفعله المتعلق بالمحيط العالم الجسماني ومركزه
بقوله تعالى خلق السموات والأرض تعالى عما يشركون ثم فصل أفعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق
بالنفس البشرية ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر
بقوله ويخلق ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان لسبيل التوحيد عقيب بيان وتعديل له إثر تعديل
فالمراد بالسبيل على الأول الجنس بدليل إضافة القصد إليه وقوله تعالى • ومنها • في محل الرفع على الابتداء
إما باعتبار مضمونه وإما بتقدير الموصوف كما في قوله ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من
يقول آمنا بالله وباليوم الآخر إلى آخره أي بعض السبيل أو بعض من السبيل فإنها تؤنث وتذكر
• جائر • أي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه إليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى
عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها راجع إليها بتقدير المضاف
أي ومن جنسها لما عرفت من أن تعديل السبيل وتقويمه إبداعه ابتداء على وجه الاستقامة فالعدالة
لا تقويمه بعد انحرافه وأياً ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الأسلوب رعاية لأمر مطلوب كما قيل فإن ذلك
إنما يكون فيما يقتضي الظاهر سبكاً معيناً ولكن يعدل عن ذلك لنكتة أهم منه كما في قوله سبحانه
الذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين فإن مقتضى الظاهر أن يقال والذي يمرضني ويشفين
ولكن نظر إلى ما عليه النظم الكريم تأدباً عما تكرهه النفس إليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل
مجرد إعلام أنه مستقيم حتى يصح إسناد أنه جائر إليه تعالى فيحتاج إلى الاعتذار عن عدم ذلك على
أنه لو أريد ذلك لم يوجد للتغيير الأسلوب نكتة وقد بين ذلك في سورة صنع غير معدودة بل المراد ما مر
من نصب الأدلة لهداية الناس إليه ولا إمكان لإسناد مثله إليه تعالى بالنسبة إلى الطريق الجائر
بأن يقال وعليه جائرها حتى يعرف ذلك لإسناده تعالى إلى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضي
الحال دفع ذلك بأن يقال لا جائر ثم بتغيير سبك النظم عن ذلك لداعية أقوى منه بل الجملة اعتراض فيه

اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى على الله تعالى
بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه الناس باختيارهم ويصلوا
الى المقصد ومثله هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة
فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن
والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد والى ذلك اشير بقوله تعالى • ولو شاء لهداكم اجمعين • اي لو شاء الله
ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ
لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يترتب الاعمال التي يناط الجزاء
هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج
الاستعارة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء
لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل
الجنس كما في قوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة
وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا احق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة
لتوسيطه بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق وما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض ادلته
المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي اليه تعقيبا لطيفا على التامل فيما سبق وحثا على
حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل • هو الذي انزل • بقدرته القاهرة
• من السماء • اي من السحاب او من جانب السماء • ماء • اي نوعا منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور لما مر مرارا
من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل الماء من السماء والتشويق فيما سبق من ان ما
عند تأخير ما حقه التقديم يبقى النفس مترقبة له مشتاقة اليه فيتمكن لديه عند وروده عليه فضل تمكن • لكم منه
• شراب • اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني صفة
على انه حال من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار
بانه لا باس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه
في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني بشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط
المفعول بين الجار والمجرور وتوسيط الخبر بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة النظم التنزيل الجليل • ومنه
• شجر • من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق
او لا ومن تبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر
الذي ينبت به الكلأ الذي تأكله الابل فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت
يعني الكلأ • فيه تسيمون • ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي
العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض • ينبت • اي الله عز وجل وقرئ بالنون • لكم به
بما انزل من السماء • الزرع والزيتون والنخيل والاعناب • بيان للنعم اللاحقة بهم من الارض بطريق

الاستئناف

الاستئناف وصيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار وانها سنة جارية على مر الدهور
او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر انفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام
لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف
من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب
للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها
تحت قوله تعالى • ومن كل الثمرات • للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله
بغير صنع من البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده
اكثر من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم
ما يسام لا تقديم غذائه فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من التفعيل مسندا الى
الزرع وما عطف عليه • ان في ذلك • اي في انزال الماء وانبات ما فصل • لآية • عظيمة دالة على تفرده
تعالى بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة • لقوم يتفكرون • فان من تفكر في ان الحبة
والنواة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في
اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو
ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان و
والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة
لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات
العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في شيء من صفات
الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة
تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر
• وسخر لكم الليل والنهار • يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها • والشمس والقمر • يدأبان
في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل واجمل
كل ذلك لمنافعكم ومصالحكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصرفها كيف شاؤوا كما في قوله تعالى سبحان
الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم كأن ذلك تسخير لهم وتصرف
من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير اشارة الى ما في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين
وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجددت آثاره • والنجوم مسخرات بامره • مبتدأ وخبر اي سائر
النجوم في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن
عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين لم ينسب تسخيرها اليهم باداة الاختصاص بل ذكر على
وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية
المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول والفعل

مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره
او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر
من معنى نفع اي نفعكم حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف يشاء او لما خلقن
له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير و
ما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها
بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة
فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر ادلة
على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري ان الامر ليس كذلك فانه ليس مما نازع
فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر
الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال تعالى ولئن سألتهم من نزل من السماء
ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله الاية وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا
شأنه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية • ان في
ذلك • اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا • لايات • باهرة متكاثرة • لقوم
يعقلون • وحيث كانت هذه الاثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة
على الوحدانية اظهر جمع الايات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التامل والتفكر ويجوز ان
يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات
المدلول عليها بالتسخير التي لا تتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب
في ان احتياجها الى التفكر اكثر • وما ذرأ لكم • عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على
انه مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها
غالبا يكون باختلاف اللون سخر الله تعالى او ما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف
الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وقيد
بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق
لكم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل مقدر اي خلق وانت عليم بان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله
ان في ذلك • الذي ذكر من التسخيرات ونحوها • لاية • بينة الدالة على ان من هذا شأنه واحد لا ند له ولا ضد • لقوم
يذكرون • فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع و
الهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال
فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة
الجارية للاستدلال بها على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية
• وهو الذي سخر البحر • شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي

جعل

اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد • لتأكلوا منه لحما طريا • هو
السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته
والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان
بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان
من حلف لا يأكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم من اللحم عند
الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا يرى ان الله تعالى سمى الكافر
دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة • وتستخرجوا
منه حلية • كاللؤلؤ والمرجان • تلبسونها • عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم
او لكون لبسهن لاجلهم • وترى الفلك • السفن • مواخر فيه • جواري فيه مقبلة ومدبرة ومخرها شقها
الماء بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري الفلك • ولتبتغوا • عطف
على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية
او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلق بفعل محذوف اي
وفعل ذلك • لتبتغوا من فضله • من سعة رزقه بركوبها للتجارة • ولعلكم تشكرون • اي تعرفون
حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداءها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر
من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل
من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر
للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا • والقى في الارض رواسي • وقد مر تحقيقه
في اول سورة الرعد • ان تميد بكم • كراهة ان تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان تخلق فيها
الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى
سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد
وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت
بالجبال • وانهارا • اي وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى الجعل • وسبلا لعلكم تهتدون • بها الى مقاصدكم
• وعلامات • معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون
التراب ويتعرفون به الطرقات • وبالنجم هم يهتدون • بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره
والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو
جمع نجم كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري
الترداد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير
للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب
عليهم • افمن يخلق • هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء • كمن لا يخلق

شيئاً أصلاً وهو تبكيت للكفرة وإبطال لإشراكهم وعبادتهم للأصنام بإنكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة
بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاءً ظاهراً وتعقيبه بالفاء لتوجيه الإنكار إلى ترتب
توهم المشابهة على ما فصل من الأمور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك من بينها لكونها
أعظمها وأظهرها واستتباعه إياها أو لكون كل منها خلقاً مخلوقاً أي أبعد ظهور اختصاص صنع هذه الشؤون
الواضحة الدالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية واستبداده باستحقاق العبادة تتصورون المشابهة بينه
وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية إشراككم ومدارها وإن كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه
حيث كان بنسبة تقوم بالمتشبس أخيراً عليه النظم الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم ونعياً عليهم توسيط عدمها
بينها وبين جزئياتها المفصلة قبلها وتنبيهاً على كمال قبح ما فعلوه من حيث إن ذلك ليس بمجرد رفع الأصنام عن محلها
بل هو حط لمنزلة الربوبية إلى مرتبة الجمادات ولا ريب في أنه أقبح من الأول والمراد بمن لا يخلق كل ما هذا شأنه
كائناً ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة أو العقلاء خاصة ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فإن
من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء فما ظنك بالجماد وأياً ما كان فدخول الأصنام في حكم عدم المماثلة
وإثباته لها إما بطريق الاندراج تحت الموصول العام وإما بطريق الاستفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لما
أنها هي المرادة بالموصول خاصة ﴿أفلا تذكرون﴾ أي ألا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فإنه لوضوحه بحيث لا يفتقر
إلى شيء سوى التذكر ﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ تذكير إجمالي لنعمه تعالى بعد تعداد طائفة منها وكان الظاهر إيراده
عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة
إلى إلزام الحجة وإلقام الحجر إثر تفصيل ما فصل من الأفاعيل التي هي أدلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه
ودلالتها عليها وإن لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها من حيثية الإنعام أيضاً لكنها
حيث كانت من مستتبعات الحيثية الأولى استغني عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الإجمال أي إن تعدوا
نعم الله الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما ينبئ عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴿لا تحصوها﴾
لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو إجمالاً فضلاً عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة
إبراهيم بفضل الله سبحانه ﴿إن الله لغفور﴾ حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والإخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم
بالعقوبة على ذلك ﴿رحيم﴾ حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون من أصناف
الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وأي نعمة والجملة تعليل للحكم بعدم الإحصاء وتقديم
وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية ﴿والله يعلم ما تسرون﴾ تضمرونه من العقائد والأعمال
﴿وما تعلنون﴾ أي تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل أي يستوي بالنسبة إلى علمه المحيط سركم
وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الإلهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكر في
في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق الحال وأما بين علميه المتعلقين بهما على أبلغ وجه كأن علمه تعالى بالسر أقدم
منه بالعلن أو لأن كل شيء يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى أقدم من تعلقه
بحالته الثانية ﴿والذين يدعون﴾ شروع في تحقيق كون الأصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث

لا يبقى

لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد أوصافها وأحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الأحوال وإن
كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وأنهم لا يعرفون ذلك إلا بالتصريح أي والآلهة
الذين يعبدهم الكفار ﴿من دون الله﴾ سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب ﴿لا يخلقون شيئاً﴾ من
الأشياء أصلاً أي ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية وبين نفي المخلوقية ومن
المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وإن تلازما في الصدق أثبت لهم ذلك صريحاً فقيل ﴿وهم يخلقون﴾
أي شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لأنها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها إلى الموجد وبناء
الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما أثبت لهم وبين ما نفي عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللإيذان
بعدم الافتقار إلى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بمن علة جل جلاله وما يجوز أن يجعل الخلق الخ عبارة عن
النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الأول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم وأعجز منهم وإنذاراً
بكمال ركاكة عقولهم حيث أشركوا بخالقهم مخلوقهم ولما جعل الأول أيضاً عبارة عن ذلك الفعل فلا وجه له إذ
القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة أصلاً ولما أن إثبات المخلوقية لهم غير
مستدع لنفي الحياة عنهم لما أن بعض المخلوقين أحياء صرح بذلك فقيل ﴿أموات﴾ وهو خبر ثان للموصول لا
للضمير كما قيل أو خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الأموات مما يعتريه الحياة سابقاً أو لاحقاً كأجساد الحيوان و
النطف التي ينشئها الله تعالى حيواناً احترز عن ذلك فقيل ﴿غير أحياء﴾ أي لا يعتريها الحياة أصلاً فهي أموات على
الإطلاق وأما قوله تعالى ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ أي ما يشعر أولئك الآلهة أيان يبعث عبدتهم
ففيه على طريقة التهكم بهم لأن شعور الجماد بالأمور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل أحد فكيف بما لا يعلمه إلا العليم الخبير
وفيه إيذان بأن البعث من لوازم التكليف وأن معرفة وقته مما لا بد منه في الألوهية ﴿إلهكم إله
واحد﴾ لا يشاركه شيء في شيء وهو تصريح بالمدعى وتخليص للنتيجة غب إقامة الحجة ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾
وأحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم ﴿قلوبهم منكرة﴾
للوحدانية جاحدة لها وللآيات الدالة عليها ﴿وهم مستكبرون﴾ عن الاعتراف بها أو عن الآيات الدالة عليها
والفاء للإيذان بأن إصرارهم على الإنكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة و
البراهين الباهرة والمعنى أنه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الإلهية به سبحانه فكان من
نتيجة ذلك إصرارهم على ما ذكر من الإنكار والاستكبار ويجوز بناء الحكم المذكور على الموصول للإشعار بكونه معللاً
بما في حيز الصلة فإن الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع إلى الثواب على الطاعة والعقاب على
المعصية يؤدي إلى قصر النظر على العاجل والإعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجبة لإنكارها وإنكار مدلولها
والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه أما الإيمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة إلى التأمل في الآيات
والدلائل رغبة ورهبة فيورث ذلك يقيناً بالوحدانية وخضوعاً لأمر الله تعالى ﴿لا جرم﴾ أي حقاً وقد مر تحقيقه
في سورة هود ﴿أن الله يعلم ما يسرون﴾ من إنكار قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ من استكبارهم وقولهم للمقرين أساطير
الأولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد أي لا يحب

المستكبرين عن التوحيد او عن الآيات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر • واذا
قيل لهم • اي لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم • ماذا انزل ربكم • القائل
الوافدون عليهم او المسلمون او بعضهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اي اي شيء انزل
او ما الذي انزله • قالوا اساطير الاولين • اي ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم
وليس من الانزال في شيء قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول
الله صلعم عند سؤال وفود الحاج عما انزل عليه • ليحملوا • متعلق بقالوا اي قالوا ما قالوا ليحملوا • اوزارهم
الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم • كاملة • لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين
يوم القيمة • ومن اوزار الذين يضلونهم • وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال
لانهما شريكان هذا بضلالة وهذا باضلاله فيتحاملون الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان
يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل • بغير علم •
حال من الفاعل اي يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير عالمين
بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون العامل في الحال فلا وتأييده بما سيأتي من
قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان عدم ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال
من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور
انما هو العذاب الدنيوي كما ستقف عليه او حال من المفعول اي لا يعلمون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة
التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم
ذلك لا يكون عذرا وكان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل • الا ساء
ما يزرون • اي بئس شيئا يزرونه ما ذكر • قد مكر الذين من قبلهم • وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى
انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اي
قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى • فاتى الله • اي امره وحكمه • بنيانهم • وقرئ بيتهم
وبيوتهم • من القواعد • من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمده او اساسه فضعضعت اركانه •
فخر عليهم السقف من فوقهم • اي سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد
شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكائد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه
وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكائد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين
فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف
بضمتين • واتاهم العذاب • اي الهلاك والدمار • من حيث لا يشعرون • باتيانه منه بل يتوقعون
اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين
سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم
القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر يستدعيه السياق اي هذا الذي فهم من التمثيل من عذابهم العاجل

او ما هو ممثل به وما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اي يذلهم بعذاب الخزي على رؤس
الاشهاد وهو اصل الخزي فان ما يستحيى منه وثم للاشارة الى ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي
الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل
بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخر فيبقى النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا
مع تيقنها بانه في الاخرة فسيق الكلام على وجه يؤذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما
للمفترين في حق القرآن الكريم او لهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصهم بهم بايراده السباق و
السياق كما ستقف عليه • ويقول لهم • تفضيحا وتوبيخا فهو الى اخره بيان للاخزاء • اين شركائي •
اضافهم اليه سبحانه حكاية لاضافتهم الكاذبة وفيه توبيخ اثر توبيخ مع الاستهزاء بهم • الذين كنتم تشاقون
فيهم • اي تخاصمون الانبياء عم والمؤمنين في شأنهم بانهم شركاء حقا حين بينوا بطلانها والمراد بالاستفهام
استحضارها للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والسؤال عن مكانهم لا يوجب غيبتهم
حقيقة حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوهم في ساعة علقوا بهم الرجاء فيها او
بانهم لا ينفعونهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون انهم متصفون به
من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنها على ان قوله ليتفقدوا ليس بسديد فانه قد تبين عندهم
الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر النون اي تشاقونني على ان
مشاقة الانبياء عم والمؤمنين لا سيما في شأن متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل • قال الذين اوتوا
العلم • من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا
الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اي يقولون توبيخا لهم واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم
وتحقيقا لما اوعدوهم به وايراد صيغة الماضي للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه
وتعالى كقوله ونادى اصحاب الاعراف • ان الخزي • الفضيحة والذل والهوان • اليوم • منصوب بالخزي على
راي من يرى اعمال المصدر المعرف باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر
في الظرف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق • والسوء • العذاب • على الكافرين • بالله تعالى
وباياته ورسله • الذين تتوفاهم الملائكة • بتأنيث الفعل وقرئ بالتذكير وبادغام التاء في التاء والعدول الى
صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول والموصول في محل الجر على انه نعت للكافرين او
بدل او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون
من امن منهم ولو في اخر عمره اي على الكافرين المستمرين على الكفر فاظلم منهم لانفسهم واي ظلم حيث عرضوها للعذاب
المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا • فالقوا السلم • اي فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع
وهو عطف على قوله تعالى فيقول اين شركائي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي على رؤس
الاشهاد اي فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين • ما كنا
نعمل في الدنيا • من سوء • اي من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه

بالسوء انكارا فاجعونه شيأ لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسير للسلم على
ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التقديرين فهو جواب عن قوله سبحانه اين شركائي كما في سورة
الانعام لا عن قول اولى العلم دعاء لعدم استحقاقهم لما وهمهم من الخزي والسوء • بلى • رد عليهم من قبل اولى
العلم واثبات لما نفوه اي بلى كنتم تعملون ما تعملون • ان الله عليم بما كنتم تعملون • فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه
فادخلوا ابواب جهنم • اي كل صنف بابه المعدلة وقيل ابوابها اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة
والمقاساة • خالدين فيها • ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد مطلق الكون فيها فهي مقارنة •
فلبئس مثوى المتكبرين • اي عن التوحيد كما قال تعالى فقلوبهم منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته
لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم وما ذكر قبلهم ما كنا نعمل من سوء وما كان عاملين ذلك في اعتقادهم
روما بانحطه على ان كذبه ثم يرده الرد المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم
• وقيل للذين اتقوا • اي المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ من التقوى
ماذا انزل ربكم قالوا خيرا • سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في المصورة والمعنى اي انزل خيرا
فانه جواب مطابق للسؤال سبكا وللواقع في نفس الامر مضمونا وما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى عن ترد الجواب
عن نهج الحق الواقع الذي ليس له من دافع فغيروا صورته وعدلوا بها عن مسلك السؤال حيث رفعوا الاساطير
رو ما لما مر من انكار النزول روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلعم فاذا
جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت
الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبي صلعم ورضي عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين
قالوا خيرا • للذين احسنوا • اي اعمالهم او فعلوا الاحسان • في هذه الدار • الدنيا • حسنة • اي مثوبة حسنة
مكافاة فيها • ولدار الاخرة • اي مثوبة فيها • خير • مما اوتوا من المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز اسناد
الخيرية الى نفس دار الاخرة • ولنعم دار المتقين • اي دار الاخرة حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا
كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعدد جوابهم المحكي من جملة احسانهم ووعدهم به ثوابي الدنيا والاخرة
فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا وتفسير له اي انزل هو هذا الكلام الجامع فالوه ترغيبا
للسائل • جنات عدن • خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم جنات ويجوز ان يكون هو
المخصوص بالمدح • يدخلونها • صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك • تجري من تحتها الانهار • او كلاهما
حال على تقدير علميته • لهم فيها • في تلك الجنات • ما يشاؤون • الظرف الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل في الاول
او متعلق به اي حاصل لهم ما يشاؤون من انواع المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشيئة او لما
مر مرارا من ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن •
كذلك • مثل ذلك الجزاء الاوفى • يجزي الله المتقين • اللام للجنس اي كل من يتقي من الشرك والمعاصي و
يدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة
• الذين تتوفاهم الملائكة • نعت للمتقين وقوله تعالى • طيبين • اي طاهرين من دنس الظلم لانفسهم حال من

من الضمير وفائدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه
حث للمؤمنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبين النفوس ببشارة الملائكة
اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى جناب القدس • يقولون •
حال من الملائكة اي قائلين لهم • سلام عليكم • قال القرطبي رح اذا استدعيت نفس المؤمن
جاءه ملك الموت عم فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة • ادخلوا
الجنة • اللام للعهد اي جنات عدن الى اخره ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في
وقته فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخى المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في
البشارة ما في البشارة بدخول نفس الجنة • بما كنتم تعملون • بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي
كنتم تعملونه من ذلك وقيل المراد بالتوفي الحشر لان المراد بالدخول حينئذ يتحقق • هل ينظرون • يعني ما ينتظر
كفار مكة المار ذكرهم • الا ان تأتيهم الملائكة • لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وليس يتوقعهم
ومن انتظاره لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم الاسباب الموجبة له المؤدية اليه فكانهم
يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل • او يأتي امر ربك • التعرض لوصف الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم لاشعار بان اتيانه للطف به صلعم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب
الدنيوي لا القيامة لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلائمه العطف باو لانها ليست
بنافي العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بالترديد كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى
• فاصابهم • ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي
• كذلك • اي مثل فعل هؤلاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء • فعل الذين خلوا من
قبلهم • من الامم • وما ظلمهم الله • بما سيلقى من عذابهم • ولكن كانوا • بما كانوا مستمرين عليه من القبائح
الموجبة لذلك • انفسهم يظلمون • كان الظلم من تعالى ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف
لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان عاقبة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع
استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر
تحقيقه في سورة يونس عم • فاصابهم • عطف على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض
لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم • سيئات ما عملوا • اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية
المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم •
وحاق بهم • اي احاط بهم من الحيوة الذي هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة واقطع • ما كانوا
به يستهزؤون • من العذاب • وقال الذين اشركوا • اي اهل مكة وهو بيان لفن اخر من كفرهم والعدول
عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في خبر الصلة وذمهم بذلك من اول الامر • لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء • اي لو شاء عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول لما عبدنا ذلك • نحن ولا اباؤنا
الذين نقتدي بهم في ديننا • ولا حرمنا من دونه من شيء • من السوائب والبحائر وغيرها وانما قالوا

ذلك تكذيبا للرسول صلعم وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بأن ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع
فلو أنه شاء أن نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما يقوله الرسل وينقلونه من جهته تعالى عز وجل
لكان الأمر كما شاء من التوحيد ونفي الإشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن كذلك ثبت أنه لم يشأ شيئا من ذلك
وإنما يقوله الرسل من تلقاء أنفسهم فأجيب عنه بقوله عز وجل • كذلك • أي مثل ذلك الفعل الشنيع
فعل الذين من قبلهم من الأمم أي أشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نهوهم
على الخطأ وهدوهم إلى الحق • فهل على الرسل • الذين يبلغون رسالات الله وعزائم أمره ونهيه • إلا
البلاغ المبين • أي ليست وظيفتهم إلا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا أو موضحا وإبانة طريق الحق وإظهار أحكام الوحي
التي من جملتها تحتم تعلق مشيئته تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره إلى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وأما إلجاؤهم إلى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاءوا أو أبوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك
من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور أمر التكليف حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية
الرسل أو على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فإن ما يترتب عليه الثواب والعقاب من الأفعال لا بد في
تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية وصرف اختيارهم الجزئي إلى تحصيله وإلا لكان الثواب
والعقاب اضطراريين والفاء للتعليل كأنه قيل كذلك فعل أسلافهم وذلك باطل فإن الرسل ليس شأنهم
إلا تبليغ أوامر الله ونواهيه لا تحقيق مضمونها وإجراء موجبها على الناس قسرا وإلجاء وإيراد كلمة على للإيذان بأنهم
في ذلك مأمورون أداء ما يبلغونه حق للناس عليهم أبوا أو ... وبهذا ظهر أن حمل قولهم لو شاء الله على الاستهزاء
لا يلائم الجواب والله تعالى أعلم بالصواب • ولقد بعثنا في كل أمة رسولا • تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى
بأفعال العباد بعد بيان أن الإلجاء ليس من وظائف الرسالة ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب
من الأفعال الاختيارية لهم أي بعثنا في كل أمة من الأمم الخالية رسولا خاصا بهم • أن اعبدوا الله • واجتنبوا الطاغوت
أي بأن اعبدوا الله على أن أن مفسرة لما في البعث من معنى القول أو أن تكون مصدرية أي بعثنا بأن اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت
هو الشيطان وكل ما يدعو إلى الضلالة • فمنهم • أي من تلك الأمم والفاء فصيحة أي فبلغوا ما بعثوا به من الأمر
بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله • إلى الحق الذي هو عبادته واجتناب
الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي إلى تحصيله • ومنهم من حقت عليه الضلالة • أي وجبت
وثبتت إلى حين الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته إلى تحصيل الحق وتغيير الأسلوب للإشعار
بأن ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين فلم يكن من مشيئته الهداية وعدمها إلا حسبما
حصل منهم من التوجه إلى الحق وعدمه لا بطريق القسر والإلجاء حتى يستدل بعدمها على عدم تعلق
مشيئته بعبادتهم له تعالى وحده • فسيروا • يا معشر قريش • في الأرض فانظروا • في أكنافها
• كيف كان عاقبة المكذبين • من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون
حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الأمر بالسير على مجرد الإخبار
بثبوت الضلالة عليهم من غير إخبار بحلول العذاب للإيذان بأنه غني عن البيان وأن ليس الخبر كالعيان

وترتيب

وترتيب النظر على السير لما أنه بعده وأن ملاك الأمر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بأنه لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء • إن تحرص • خطاب لرسول الله صلعم وقرئ بفتح الراء وهي لغة
على هداهم • أي إن تطلب هدايتهم بجهدك • فإن الله لا يهدي من يضل • أي فاعلم أنه تعالى لا يخلق الهداية
جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره والمراد به قريش وإنما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص
على أنهم ممن حقت عليه الضلالة وللإشعار بعلة الحكم ويجوز أن يكون المذكور علة للجزاء المحذوف أي إن
تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لأن الله لا يهدي من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدى على بناء
المفعول أي لا يقدر أحد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وإدغام تاء يهتدي في الدال
ويجوز أن يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل ولمن أضل • وما لهم من ناصرين
ينصرونهم في الهداية ويدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فإن مقابلة
الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد لا أن المراد نفي طائفة من الناصرين من كل منهم • وأقسموا بالله
شروع في بيان فن آخر من أباطيلهم وهو إنكارهم البعث • جهد أيمانهم • مصدر في موقع الحال أي جاهدين
في أيمانهم • لا يبعث الله من يموت • ولقد رد الله تعالى عليهم أبلغ رد بقوله الحق • بلى • أي بلى يبعثهم • وعدا
مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فإن ذلك موعد من الله سبحانه أو بمحذوف أي وعد بذلك وعدا • عليه • صفة وعدا
أي وعدا ثابتا عليه إنجازه لامتناع الخلف في وعده أو لأن البعث من مقتضيات الحكمة • حقا • صفة
أخرى له أو نصب على المصدرية أي حق حقا • ولكن أكثر الناس • لجهلهم بشؤون الله عز وجل شأنه من
العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر
التكوين والغاية القصوى منه وعلى أن البعث مما تقتضيه الحكمة التي جرت عادته سبحانه
بمراعاتها • لا يعلمون • أنه يبعثهم فيبتون القول بعدمه أو لأنه وعد عليه حقا فيكذبونه قائلين لقد
وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين • ليبين لهم • غاية لما دل عليه بلى من البعث
والضمير لمن يموت إذ التبيين يعم المؤمنين أيضا فإنهم وإن كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة
الحال يتضح الأمر فيصل علمهم إلى مرتبة عين اليقين أي يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة
الأحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية الشأن • الذي يختلفون فيه • من الحق المنتظم
لجميع ما خالفوه ومما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا أوليا • وليعلم الذين كفروا • بالله سبحانه
بالإشراك وإنكار البعث وعده الحق • أنهم كانوا كاذبين • في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله
من يموت والتعبير عن الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللإشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين
وما عطف عليه وجعلهما غاية للبعث المشار إليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وإبطال
مقالة المعاندين المستدعي للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم إلى الإذعان للحق فإن الكفرة إذا علموا أن
تحقيق البعث إنما كان لتبيين أنه حق وليعلموا أنهم كاذبون في إنكاره ازدجروا عن إنكاره وارعووا إلى الاعتراف
به ضرورة أنه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن تنكر أنك تصلي لأصلين رغما لأنفك وإظهارا

لكذبهم ولان تكرار الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها والاقامة الاصلية للبعث باعتبار
ذاته انما هو الجزاء الذي هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره
في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين
حتى بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذي هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به
فيختلف فيه كالبعث الذي نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل فما يتعلق
به علم ضروري حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا
انما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلم الكافرون الاية لان علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك ايضا • انما
قولنا • استيناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء او اعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفيته
فما كافة وقولنا مبتدا وقوله لشيء اي اي شيء كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ في قولك قلت له قم فقام
وجعلها الزجاج سببية اي لاجل شيء وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيته تعالى به لا انه كان
شيئا قبل ذلك • اذا اردناه • ظرف لقولنا اي وقت اردنا وجوده • ان نقول له كن • خبر للمبتدا • فيكون • اما عطف على مقدر
يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام اي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف
اي فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب
المعدوم او تحصيل الحاصل او يقال ان ما يستدعيه الخفاء قوله عز كن وليس يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما يفيده
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشان الشامل للقول والفعل
ومن ضرورة انحصاره في كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب
تعلق مشيته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع للامر الآمر المطاع فالمعنى
ان ايجاد كل شيء عند تعلق مشيتنا به ان نوجده في اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذي هو قول مخصوص وجب
ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الاية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب
وقرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر • والذين هاجروا في الله • اي في شأن
الله تعالى ورضاه وفي حقه ولوجهه • من بعد ما ظلموا • ولعلهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله
صلعم واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة جميعا وعد لهم سبحانه • لنبوئنهم
في الدنيا حسنة • كما قال قتادة وهو الانسب لما سلف ليكون السورة غير بعض ايات من اخرها مكية
واما ما نقل عن ابن عباس رضي من ان الاية نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبر وابي جندل بن سهيل
اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان
كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله فهاجر فلما رآه ابو بكر رضي قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضي نعم العبد صهيب لو لم
يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكي عن الاصم من كون كل السورة مدنية وما نقل اصحاب الكلبي من ان يكون
نزولها بين المدينة ومكة حين هاجر رسول الله صلعم من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا يناسبه الجليل
وقرئ لنثوينهم ومعناه لنثوينهم منزلة حسنة وهي الغلبة على من ظلمهم من اهل مكة وعلى العرب

قاطبة

قاطبة واهل الشرق والغرب كافة • ولاجر الاخرة • اي اجر اعمالهم المذكورة • اكبر • مما يعجل لهم في
الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك
الله في الدنيا وما ادخر في الاخرة افضل • لو كانوا يعلمون • الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى جمع لهؤلاء المهاجرين خير الدنيا
لوافقوهم في الدين وقيل للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم او لما تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدائدها
• الذين صبروا • على الشدائد من اذية الكفار ومفارقة الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على
المدح • وعلى ربهم • خاصة • يتوكلون • منقطعين الى الله تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله
والجملة اما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة
على دوام التوكل او حال من ضمير صبروا • وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم • وقرئ بالياء مبنيا
للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله
ما عبدنا الخ اي جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليهم
بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول الله صلعم تنبيه الكفار
على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل • فاسألوا اهل الذكر • اي اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم من كان
يعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك • ان كنتم لا تعلمون • حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل
للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا انثى ولا
صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عم وهو في المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الى وجوب المراجعة الى العلماء
فيما لا يعلم • بالبينات والزبر • بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال
لم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات والزبر او بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من جوزه اي
ما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما مررت الا بزيد بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اي
ما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا عند من يجوز تأخر صلة ما قبل الا الى ما بعدها او بما وقع صفة
للمستثنى اي الا رجالا ملتبسين بالبينات او بنوحي على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعله يوحي
وهو اليهم على ان قوله تعالى فاسألوا اعتراض وقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت
عملت لك فاعطني حقي • وانزلنا اليك الذكر • اي القرآن وانما سمي به لانه تذكير وتنبيه للغافلين • لتبين
للناس • كافة ويدخل فيهم اهل مكة دخولا اوليا • ما نزل اليهم • في ذلك الذكر من الاحكام والشرائع
وغير ذلك من احوال القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا
شافيا كما ينبئ صيغة التفعيل في الفعلين لاسيما بعد ورود الثاني اولا على صيغة الافعال ولعل المراد بالتبيين
اعم من التصريح بالمقصود ومن الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان في الاحكام
الشرعية او غيرها • ولعلهم يتفكرون • اشارة الى ذلك اي ارادة ان يتأملوا فيتنبهوا
للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب • أفأمن الذين
مكروا السيئات • هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله صلعم وراموا صد اصحابه عن الايمان عليهم الرضوان لا

الذين احتجوا بالهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم البعض لما ان المراد تحذير هؤلاء عن اصابة مثل ما
اولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت لمصدر محذوف اى مكروا المكرات السيئات
التى قصت عنهم او مفعول للفعل المذكور على تضمينه معنى العمل اى عملوا السيئات فقوله تعالى • ان يخسف الله بهم الارض
مفعول لامن او السيئات صفة لما هو المفعول اى امن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الخ
بدل من ذلك وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذى
من جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا فى ذلك الم يتفكروا فامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم
الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او اتفكروا فامنوا على توجيهه الى المعطوف على ان
الامن بعد التفكر فيما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة اى امكروا فامن الذين مكروا الخ
او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون • بغتة اى فى حالة غفلتهم او من مأمنهم او من حيث يرجون اتيان ما يشتهون
كما حكى فيما سلف مما نزل بالماكرين • او يأخذهم فى تقلبهم • اى فى حالة تقلبهم فى مسايرهم ومتاجرهم • فما هم
بمعجزين • بممتنعين او فائتين بالهرب على ما يتوهمونه وقفا عنه حسبما قال صلى الله عليه وسلم ان الله ليملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته
وايراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفى لا نفى الدوام • او يأخذهم على تخوف • اى مخافة وحذر عن الهلاك
والعذاب بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف
مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالاتيان وقيل التخوف
التنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن • اى يأخذهم على ان ينقصهم شيئا
بعد شىء فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الاحوال الثلث بيان قدرة الله تعالى على اهلاكهم باى وجه
كان لا الحصر فيها • فان ربكم لرؤف رحيم • حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها • او
لم يروا • استفهام انكارى وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الم ينظروا
ولم يروا متوجهين • الى ما خلق الله من شىء • اى من كل شىء له • يتفيؤا ظلاله • اى يرجع شيئا فشيئا
حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتاء التأنيث • عن اليمين والشمائل
اى الم يروا الاشياء التى لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبى كل واحد منها استعير
لهما ذلك من يمين الانسان وشماله • سجدا لله • حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال والمراد
سجودها تصرفها على مشيئة الله سبحانه وتأتيها لارادته تعالى فى الامتداد والتقلص وغيرهما منقادة له غير ممتنعة عليه فيما
سخرها له وقوله تعالى • وهم داخرون • اى صاغرون منقادون حال من الضمير فى ظلاله والجمع باعتبار المعنى
وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب
بارتفاع الشمس وانحدارها واختلاف مشارقها ومغاربها فانها كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من
المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها
على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف
ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة

وصفها

فوصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام
فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار التى لا يظهر لظلالها اثر سوى
التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بتحركه و
قيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لان الكواكب منه تظهر اخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله
وهو جانبه الغربى المقابل له فان الظلال فى اول النهار تبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند
الزوال تبتدئ من الغرب واقعة على الربع الشرقى منها وبعد ما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام سواء كانت
لها ظلال او لا فقيل • ولله يسجد • اى له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشىء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر
ينتظم القلب والافراد الا ان الاستدلال السابق لما طبق فهو للافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين • ما فى السموات • قاطبة • وما فى الارض • كائنا ما كان • من دابة • بيان لما فى الارض وتقديمه
لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من
الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتانى من رجل مثله وما اتانى من الرجال مثله • والملائكة • عطف
على ما فى السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما فى السموات الخلق الذى يقال له
الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم • وهم
اى الملائكة مع علو شأنهم • لا يستكبرون • عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير للتقوى
والجملة اما حال من فاعل يسجد مسند الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك • يخافون ربهم • اى
مالك امرهم وفيه تربية للمهابة واشعار بعلة الحكم • من فوقهم • اى يخافونه جل وعلا خوف هيبة و
واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم
والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته
• ويفعلون ما يؤمرون • اى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى
على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة اسناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة
مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخضع له الخضوع والانقياد الطبيعى وما يجرى مجراه
من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله عز وجل ردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين
عن الاشراك فقيل • وقال الله • عطفا على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان
بانه متعين للالوهية وانما المنهى عنه هو الاشراك به لا ان المنهى عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث لا ينتهى عنه بنفى
الهيما كان اى قال تعالى لجميع المكلفين • لا تتخذوا الهين اثنين • وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية
عن ذلك دلالة على ان مساق النهى هو الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة فى قوله
تعالى انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم
الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على راى
من اكتفى فى تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه

يتحقق م

فإياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة وإلقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول
وكرر الفعل اي ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا فارهبون لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض
خلقا وملكا وتربية لتعاضد دلائله سبحانه فاعة لتحقيق تخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى
الاختصاص وكذا في قوله تعالى وله الدين اي الطاعة والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه
الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم
بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يستدعيه
عدة السباق اي اعقيب تقرر الشئون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات المسجودية له تعالى وكون الكل له وتنهيه
عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك التخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شأنه ما ذكر تتقون
فتطيعون وما بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اية نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة
متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه
تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت
بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح
الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث
مع ثم الدالة على وقوعه بعد مدة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما يطلق عليه اسم
الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها بما ينبئ عن مطلق المصاحبة وايراد
ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب
ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر عنكم وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر و
وقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك الى أول
عليها سبحانه اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في البعد غاية من الضلال ثم ان وجه
الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل
اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن
تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا
بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله
عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول
عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر
الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن
اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب
المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به
عند كشفه ويجعلون لما لا يعلمون حقيقته وقدره الخسيس من الجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه جهالة وسفاهة

ويزعمون

ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم له اصلا وليس من
شأنه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها فاعل الفعل من الضمير المستكن وصيغة جمع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم
التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل كعدم علمهم والمجهول له محذوف لعدم مكانه
نصيبا مما رزقناهم في الدنيا ... آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام
من الغيبة الى الخطاب المنبئ عن كمال الغضب من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة
الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجيب من جراءتهم
على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين وما مرفوعة المحل على انه مبتدأ والظرف المقدم خبره و
الجملة حالية وسبحانه اعتراض في حاق موقعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اي يجعلون لانفسهم ما
يشتهون من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل
وجهه اي صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشويش
وهو كظيم مملوء حنقا وغيظا يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوئه والتعبير عنها بما
لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اي مترددا في امره محدثا نفسه في شأنه ايمسكه على هون ذل
وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتأنيث الا ساء ما
يحكمون حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهوان والحقارة لله سبحانه المتعالي عن الصاحبة والولد والحال انهم
يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم ذلك لله سبحانه مع ابائهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم
ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان يكون مداره التعكيس كقوله تعالى اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة
ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم و
ايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل ذلك بالعجز والقصور والشح
البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه
وتعالى المثل الاعلى اي الصفة العجيبة الشأن التي هي مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى
المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوه علوا كبيرا وهو العزيز
المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة و
هذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها
ما عدد من قبائحهم وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح
قد تناهى الى امد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة
اي ما ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين
ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى
لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة
وقيل لو اهلك الله الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه

وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا • ولكن لا يؤاخذهم • بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى • لاعمارهم او لعذابهم
كي يتوالدوا او يكثر عذابهم • فاذا جاء اجلهم • المسمى • لا يستأخرون • عن ذلك الاجل اي لا يتأخرون وصيغة
الاستفعال للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له • ساعة • فذة وهي مثل في قلة المدة • ولا يستقدمون • اي لا
يتقدمون وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار بنظمه في سلك
ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين
يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له رأسا قد نظم في سمط من لم يقبل توبته للايذان بانهما سيان
في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس • ويجعلون لله • اي يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم • ما يكرهون لانفسهم
مما ذكر وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله • وتصف السنتهم الكذب • اي يجعلون له تعالى ما
يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو • ان لهم الحسنى • العاقبة الحسنى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة • لا جرم • رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه
اي حقا • ان لهم • مكان ما املوا من الحسنى • النار • التي ليس وراء عذابها عذاب وهو علم في السوء • وانهم
مفرطون • اي مقدمون اليها من افرطته اذا قدمته في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته
ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة
من الافراط في المعاصي فلا يكونان حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه • تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
تسلية لرسول الله صلعم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اي ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق
فلم يجيبوا الى ذلك • فزين لهم الشيطان اعمالهم • القبيحة فعكفوا عليها مصرين • فهو وليهم • اي قرينهم • وبئس
القرين • اليوم • اي يوم زين لهم الشيطان اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية اي في الدنيا او يوم
القيامة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر اي فهو ناصرهم اليوم
لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين للامم
السالفة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اي ولي امثالهم • ولهم • في الآخرة
عذاب اليم • هو عذاب النار • وما انزلنا عليك الكتاب • اي القرآن • الا لتبين • استثناء مفرغ
من اعم العلل اي ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين • لهم • اي للناس • الذي اختلفوا
فيه • من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد • وهدى ورحمة • معطوفان على محل
لتبين اي وللهداية والرحمة • لقوم يؤمنون • وانما انتصبا لكونهما اثري فاعل الفعل المعلل بخلاف
التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود وتخصيص كونهما هدى و
رحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثاره • والله انزل من السماء • من السحاب او من جانب
السماء حسبما مر وهذا تكرير لما سبق تأكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد • ماء • نوعا
خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا • فاحيا به الارض • من النبات
بعد موتها • اي بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة

ان في ذلك

ان في ذلك • اي في انزال الماء من السماء واحياء الارض الميتة به • لآية • واية آية دالة على وحدته
سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته • لقوم يسمعون • هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكأن من
ليس كذلك اصم • وان لكم في الانعام لعبرة • عظيمة واي عبرة تحار في دركها العقول ويهيم
فيها الباب الفحول • نسقيكم • استئناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة • مما في بطونه • اي بطون الانعام
والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكباش
واخلاق كما ان تأنيثه في سورة المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس
في سورة المؤمنين • من بين فرث ودم لبنا • الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعض
الانهضام وكثيف ما يبقى في المعاء وعن ابن عباس رضي ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان
اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو
البدن لان عدم تكونهما في الكرش مما لا يستريب فيه بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضمة في الكرش ويبقى
ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية
بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم
توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد
اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل الجنين الى
الرحم فاذا انفصل انصبت ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض ويطيب طعمه فيصير
لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعدادها ومقارها ومجاريها والاسباب
المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته
وتناهي رأفته ورحمته • من الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد
من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم
مبدأ الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التأخير يبعث للنفس
شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر
كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتباينا بحيث لا يتراءى نارا هما فان ذلك مما يزيد الشوق و
والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى هو الذي اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه
على انه موضع العبرة • خالصا • عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف بسبب ما مر من القدرة القاهرة الحاجزة عن
بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له • سائغا للشاربين • سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن قط وقرئ
سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين • ومن ثمرات النخيل والاعناب • متعلق بما دل عليه الاسقاء من
مطلق الطعام المنتظم للاطعام المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل
والاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه تكرير للظرف للتأكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اي ومن
ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من سائغ نحو قوله تعالى وما منا الا

الا انه معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس
والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية ان
كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لآية باهرة لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم بوجه لا يعلمه الا الله العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية
ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة و
والتأنيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا تأوي فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر
ومما يعرشون اي يعرشه الناس اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل لتعسل
بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لها ارباب والا فالتجئي الى ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لانها لا تبني في
كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان فيها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها
فاسلكي ما اكلت منها سبل ربك اي مسالكه التي يرى فيها بحيث يحيل فيها ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس
ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة غير متوعرة ذللها الله سبحانه وسهلها او من الضمير في اسلكي اي
اسلكي منقادة لما امرت به يخرج من بطونها استئناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من
تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما امرت شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به وتبعوه تعالى
كلى من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن
زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع
فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف
سن النحل او الفصل او الذي اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض
البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه العسل مع الشكر وتنكيره اما للتبعيض
ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة رضي الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله صلعم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك
فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل وعن ابن
مسعود رض العسل شفاء لكل داء والقرآن لما في الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقرآن ان في ذلك
الذي ذكر من اعاجيب آثار قدرته تعالى لآية عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك
العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا
بآلات دقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها عليه جل جلاله
والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب
احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشوء والنماء
والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن
الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا وشبانا

وشيوخا

وشيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اي اخسه واحقره وهو خمس وسبعون
سنة على ما نقل وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه
رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه
الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئا من العلوم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشيء و
وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني
وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع
لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى
مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم
شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم
بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا
للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية
لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله
سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو في غاية من
درجة الاعتبار وعدها كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تعريضا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم
من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي
ان يضيفوا نعم الله سبحانه التي انعم عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عند الله تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج
البالغة بعد ما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي
داخلة في المعنى على الفعل اي يشركون فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب او ليس الموالي برادي رزقهم على مماليكهم بل
انا الذي ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك
سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا انهم ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين وعلى فعلهم اسوء من ذلك
واما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا بالله لهم الا يشكرون
ام يكونون الا يعرفون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردوه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم
الرد يحكى عن ابي ذر رض انه سمع رسول الله صلعم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئي
عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم
ازواجا لتأنسوا بها ولتكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عم
وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج
غيره بنين وبان نتيجة الازدواج هو التوالد وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة وفيه قيل
القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن
بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون

والعطف لاختلاف الوصفين وقيل لاختتام علم البيان وتأخير المنصوب في الوصفين عن المجرور لما مر من التشويق
وتقديم المجرور باللام على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اي جعل لمصلحتكم
مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهته مناسبة لكم بنين وحفدة ● **ورزقكم من الطيبات** ● من اللذائذ ومن الحلالات
ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة ● **افبالباطل يؤمنون** ● وهو ان الاصنام تنفعهم وان
البحائر ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف على مقدر اي يكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون
بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه ● **وبنعمة الله** ● التي لا تحصى عليهم
وما لا يحيط به دائرة البيان ● **هم يكفرون** ● حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او للايهام
الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب
الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ● **ويعبدون من دون الله** ● لعله عطف على يكفرون داخل تحت
الانكار التوبيخي اي يكفرون بنعمة الله ● ويعبدون من دونه ● **ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا** ● ان جعل
الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية منه اي ما لا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض
نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اي كائنا
منهما ويجوز كونه تاكيدا لا يملك اي لا يملك رزقا ما شيئا من الملك ● **ولا يستطيعون** ● ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم
رأسا لانها موات لا حراك بها فالضمير للآلهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في
الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به ● **فلا تضربوا لله الامثال** ● التفات الى الخطاب
للايذان بالاهتمام بشأن النهي اي لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى
في شأن من الشؤون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشأنه تعالى شأنا من الشؤون
واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون لا مثلها
في قوله تعالى واضرب لهم اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على ما عدد من النعم الفائضة عليهم من
جهته سبحانه وكون ما يشركون به تعالى بمعزل عن ان يملك لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا
عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق ونعمة الازواج والاولاد ● **ان الله يعلم** ● تعليل للنهي المذكور ووعيد
على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم كنه ما تأتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح ● **وانتم لا تعلمون** ● ذلك
ولو علمتموه او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمون فدعوا رأيكم وقفوا مواقف الامتثال لما ورد عليكم
من الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ذلك فتقعون
فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا الباب فقال ● **ضرب الله
مثلا** ● اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث
ينفي ما زعموه نفيا جليا ● **عبدا مملوكا لا يقدر على شيء** ● بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة
له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما
في كونهما عبدا لله سبحانه وفيه ادماج لان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والماذون اللذين

لهما

لهما تصرف في الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ● **ومن رزقناه** ● من موصوفة
معطوفة على عبدا اي رزقناه بطريق الملكية والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل والرزق
منا من جنابنا الكبير المتعالي ● **رزقا حسنا** ● حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا ● **فهو ينفق منه**
تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كأنه قيل ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانفق وايثار ما
عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات الانفاق واستمراره التجددي ● **سرا وجهرا** ● اي حال
السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد بيان عموم انفاقه للاوقات وشموله لمن يجتنب عن قبول
جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول
عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه ليتوخى تحقيق
الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان ما لديهم مما يملكونه ليست الا بان يرزقهم الله تعالى
اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محافظة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين المثلين فان
العبد المملوك حيث لم يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين ● **هل يستوون** ● جمع
الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنس المذكور لا فردان معينان منهما اي هل يستوي
العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وان ما
ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما
ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل منه وهو الاصنام ● **الحمد لله** ● اي كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه
احد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسائط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما
يظهر على يد من ينفق مما ذكر راجع الى الله سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه ● **بل اكثرهم لا يعلمون** ● ذلك فيضيفون
نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه
عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ● **وضرب الله مثلا** ● اي مثلا آخر يدل على ما
دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك ليتطلع النفس الى وروده وتترقبه حتى يتمكن
لديها عند وروده بين فقيل ● **رجلين احدهما ابكم** ● وهو من ولد اخرس ● **لا يقدر على شيء** ● من الاشياء المتعلقة
بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه ● **وهو كل** ● ثقل وعيال ● **على مولاه** ● على من يلي
امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى **اينما يوجهه**
اي حيثما يرسله مولاه في امر بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ على البناء
للمفعول وعلى صيغة الماضي من التوجه ● **ومن يأمر بالعدل** ● اي من هو منطيق فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس
بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل ● **وهو** ● في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام **على صراط مستقيم**
ومقابلة الصفات المذكورة بهذين الوصفين لانهما في حاق ما يقابلها فان محصل الصفات المذكورة عدم
استحقاق المامورية ومحض عدم استحقاق كمال المامورية المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب
حيث لم يقل والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو المقصود من بيان التباين بين القرينين

واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا بعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا للخلق الفريقين على ما هما عليه وكان خلقهما كذلك للاستدلال بعدم تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي • ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا • غيب السموات والارض • اى الامور الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في نفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض • وما امر الساعة • التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها اى وقت وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان اتيانها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اى ما شأنها في سرعة المجيء • الا كلمح البصر • اى كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها • او هو • اى بل امرها فيما ذكر • اقرب • من ذلك واسرع زمانا بان يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة آنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هي ازمنة ايضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة وما امرها الا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب وايا ما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الشريفة بالاتيان • ان الله على كل شيء قدير • ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة عن يوم القيامة بعينه لما ان علمه بخصوصه غائب عن اهلهما فوضع الساعة موضع الضمير لتقوية مضمون الجملة • والله اخرجكم من بطون امهاتكم • عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم ازواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله والله خلقكم وقوله والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها اتباعا للميم جمع الام زيدت الهاء فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي • لا تعلمون شيئا • في موضع الحال اى غير عالمين شيئا اصلا • وجعل لكم السمع والابصار والافئدة • عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اى جعل لكم هذه الاشياء تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر

فيها

فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم المجرور على المنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول من منافعهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن • لعلكم تشكرون • كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل • الم يروا • وقرئ بالتاء • الى الطير • جمع طائر اى الم ينظروا اليها • مسخرات • مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان والواقع ههنا تسخير الهواء للطير يتصرف فيه كيف يشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى • في جو السماء • اى في الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة • ما يمسكهن • في الجو حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن • الا الله • عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو حال من الضمير المستتر في مسخرات او من الطير وانما مستأنف • ان في ذلك • الذي ذكر من التسخير للطيران بان خلقها خلقة تمكن معه من الطيران بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها ان يخرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير • لآيات • ظاهرة • لقوم يؤمنون • اى من شأنهم ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون بها • والله جعل لكم • معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سيأتي من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله تعالى • من بيوتكم • اى من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم في الجملة وتأكيد لما سبق من التشويق • سكنا • فعل بمعنى مفعول اى موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان تنتقل من مكانه اى جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون به • وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا • اى بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب والاخبية والفساطيط • تستخفونها • تجدونها خفيفة سهلة الاخذ • يوم ظعنكم • اى وقت ترحالكم في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين • ويوم اقامتكم • وقت نزولكم في الضرب والبناء • ومن اصوافها واوبارها واشعارها • عطف على قوله تعالى من جلود الانعام والضمائر للانعام على وجه التنويع اى وجعل لكم من اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز • اثاثا • اى متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع ومنه شعر اثيث • ومتاعا • اى شيئا ينتفع به • الى حين • الى ان تقضوا اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى فانه في معرض البلى والفناء وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل • والله جعل لكم مما خلق • من غير صنع من قبلكم • ظلالا • اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة • وجعل لكم من الجبال اكنانا • مواضع تستكنون فيها من

من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير مرة ﴿وجعل لكم
سرابيل﴾ جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف وغيرها ﴿تقيكم الحر﴾ خصه
بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر ولان وقايته هي الاهم عندهم لما مر آنفا ﴿وسرابيل﴾ من الدروع
والجواشن ﴿تقيكم بأسكم﴾ اي البأس الذي يصل اليكم من بعضكم في الحرب من الضرب والطعن ولقد من
الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من
بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام
الى آخره ثم بما يعم من لا يقدر على ذلك ولا يأوي به الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لا بد منه
لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الى آخره ثم بما لا محيص عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم بأسكم ثم قال
﴿كذلك﴾ اي مثل ذلك الاتمام البالغ ﴿يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ اي ارادة ان تنظروا فيما اسبغ
عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا به وحده و
تذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة
الى جانب الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون من العذاب او من الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع
﴿فان تولوا﴾ فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلعم تسلية له اي فان اعرضوا
عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي اليهم من البينات والعبر والعظات ﴿فانما عليك البلاغ المبين﴾ اي فلا
قصور من جهتك لان وظيفتك هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب
وضع السبب موضع المسبب ﴿يعرفون نعمة الله﴾ استيناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام
ليس لعدم معرفتهم بما عدد من نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى ﴿ثم ينكرونها﴾
بافعالهم حيث يعبدون غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تع نبوة محمد صلعم
عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق
من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق
من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك
لقوله سبحانه ﴿واكثرهم الكافرون﴾ اي المنكرون المعاندون غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر
المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافي كمال الغرفة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر لما ان
بعضهم لم يعرفوا لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم يتم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر
﴿ويوم نبعث من كل امة شهيدا﴾ يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها
﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار اذ لا عذر لهم وفيه دلالة على ان ابتلاءهم بمنع من الاعتذار
المنبئ عن الاقناط الكلي وهو عندما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء
عليهم والنظم ﴿ولا هم يستعتبون﴾ يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار
العمل وانتصاب الظرف بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الى الخ او يوم نبعث يحيق بهم

ما يجي

ما يجيء مما لا يوصف وكذا قوله تعالى ﴿واذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ الذين يستوجبونه بظلمهم
وهو عذاب جهنم ﴿فلا يخفف عنهم﴾ ذلك ﴿ولا هم ينظرون﴾ اي يمهلون كيوم بل تأتيهم بغتة فتبهتهم
﴿واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم﴾ الذين كانوا يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين
الذين يشاركونهم في الكفر بالحمل عليه ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين
كنا ندعوا من دونك﴾ اي نعبدهم او نطيعهم فلعلهم قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله
سبحانه ﴿فالقوا﴾ اي شركاؤهم ﴿اليهم القول انكم لكاذبون﴾ فان تكذيبهم اياهم في ما قالوا ليس
الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما
كانوا راضين بعبادتهم لهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا
يعبدون الجن يعني ان الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء والهة تنزيها
لله سبحانه من الشرك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم
على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
فكأنهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة انما عبدتم اهواءكم ﴿والقوا﴾ اي الذين اشركوا ﴿الى الله يومئذ السلم﴾
الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا ﴿وضل عنهم﴾ اي ضاع وبطل
﴿ما كانوا يفترون﴾ من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم ذلك حين كذبوهم
وتبرؤا منهم ﴿الذين كفروا﴾ في انفسهم ﴿وصدوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر
﴿زدناهم عذابا فوق العذاب﴾ الذي كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت
وعقارب امثال البغال يلسع احداهن فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير
فيبادرون من شدة البرد الى النار ﴿بما كانوا يفسدون﴾ متعلق بقوله زدناهم اي زدنا عذابهم بسبب
استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور ﴿ويوم نبعث﴾ تكرير لما سبق تثنية للتهديد ﴿في كل
امة شهيدا عليهم﴾ اي نبيا ﴿من انفسهم﴾ من جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله عليهم اشعار بان شهادة
انبيائهم على الامم تكون بحضرتهم ﴿وجئنا بك﴾ ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه
عليه السلام وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع ﴿شهيدا على هؤلاء﴾ الامم وشهدائهم كقوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في
الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيمة ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ الكامل في الكتابية الحقيق
بان يخص به اسم الجنس وهو اما استيناف او حال بتقدير قد ﴿تبيانا﴾ بيانا بليغا ﴿لكل شيء﴾ يتعلق بامور
الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عم شهيدا عليهم عليهم السلام
والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة
لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي عم وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي
رسول الله صلعم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا

يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم
وكذا من جملته ما اخبر به هذه الآية الكريمة من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام
والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها والحالة
لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي عليه السلام وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع
وقد رضي رسول الله صلعم لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد
اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى
تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل
في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبيده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه
وما للظالمين من انصار ● وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم
لا من جهة الكتاب ● وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك
ان الله يامر ● اي فيما نزله تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده
لافادة التجدد والاستمرار ● بالعدل ● بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل
كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة
القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن ومن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط
بين التعطيل والتشريك كما نقل عن ابن عباس رضي ان العدل هو التوحيد المتوسط والقول بالكسب المتوسط
بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم
الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير ● والاحسان ● اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب
الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما اشير اليه بقوله عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم
تكن تراه فانه يراك ● وايتاء ذي القربى ● اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر
تعميم اهتماما بشانه ● وينهى عن الفحشاء ● الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا ● والمنكر
ما ينكر شرعا وعقلا من الافراط في اظهار آثار القوة الغضبية ● والبغي ● الاستعلاء والاستيلاء
على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين
المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة
هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي هي اجمع آية في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه
الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى ● يعظكم ● بما يأمر وينهى وهو اما استئناف واما حال
من الضمير في الفعلين ● لعلكم تذكرون ● طلبا لان تتعظوا بذلك ● واوفوا بعهد الله ● هو البيعة لرسول الله
صلعم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله سبحانه ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ● اذا عاهدتم ● اي
حافظوا على حدود ما عاهدتم الله عليه وبايعتم به رسول الله عليه السلام ● ولا تنقضوا الايمان ● التي تحلفون بها
عند المعاهدة ● بعد توكيدها ● حسبما هو المعهود في اثناء العهود لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به

وقد جعلتم

وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ● شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ● ان الله يعلم ما
تفعلون ● من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ● ولا تكونوا ● فيما تصنعون من النقض ● كالتي
نقضت غزلها ● اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول ● من بعد قوة ● متعلق بنقضت اي كالمرأة التي نقضت
غزلها من بعد ابرامه واحكامه ● انكاثا ● طاقات نكثت فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها
او على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيهه الى فعل مثل الحمقاء
المعتوهة قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت حمقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة
عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن ● تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم ● حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي مشابهين بامرأة شأنها هذا
حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودغلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ● ان تكون امة
بان تكون جماعة ● هي اربى ● اي ازيد عددا واوفر مالا ● من امة ● من جماعة اخرى اي تغدرون بقوم لكثرتكم و
قلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا
اعداءهم ● انما يبلوكم الله به ● اي بان تكون امة اربى من امة اي يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر أتتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله صلعم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر
الحال ● وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ● حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ● ولو شاء الله
مشيئة قسر والجاء ● لجعلكم امة واحدة ● متفقة على الاسلام ● ولكن ● لا يشاء ذلك لكونه مزاحما
لقضية الحكمة ● بل يضل من يشاء ● اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه و
يهدي من يشاء ● هدايته حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ● ولتسألن ● جميعا يوم القيامة ● عما كنتم تعملون
في الدنيا وهذا اشارة الى ما يوجب من الكسب الذي عليه يدور امر الهداية والضلال ● ولا تتخذوا ايمانكم دخلا
بينكم ● تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيد لقوله سبحانه ● فتزل قدم عن محجة
الحق ● بعد ثبوتها ● عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان زلل قدم واحدة
اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام كثيرة ● وتذوقوا السوء ● اي العذاب الدنيوي
بما صددتم ● بصدودكم او بصدكم غيركم ● عن سبيل الله ● الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من
نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ● ولكم في الآخرة عذاب عظيم ● ولا تشتروا بعهد الله ● اي لا تأخذوا
بمقابلة عهده وبيعة رسوله صلعم او بآياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان ● ثمنا قليلا ● اي
لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم في الارتداد من
حطام الدنيا ● انما عند الله ● عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي ● هو خير لكم ● مما يعدونكم ● ان
كنتم تعلمون ● اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ● ما
عندكم ● الخ تعليل لخيرية ما عند الله بطريق الاستئناف اي ما تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا
ينفد ● وان جم عدده وينقضي وان طال امده ● وما عند الله ● من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية ● باق

لا نفاذ له فاما الاخروية فظاهرة واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت في
سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وفي قوله
تعالى ما عند الله موضع عندكم على نهج التوكيد التقسيمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات عما يقتضيه
ظاهر الحال من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون المتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها للجزاء
اي والله لنجزين • الذين صبروا • على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر
من غير التفات • اجرهم • مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما
منوا به من الامور المذكورة • باحسن ما كانوا يعملون • اي لنجزينهم بما كانوا يعملون من الصبر المذكور وانما
اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وحسن ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن
منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على
معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر
بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى
من العدة الجميلة باغتفار ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن
من اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات و
المكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث على
الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض لاخراج بعض
اعمالهم عن مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها • من عمل صالحا • اي عملا صالحا
اي عمل كان وهذا شروع في تحضيض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غير مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور
بالصابرين المذكورين وقوله تعالى • من ذكر او انثى • مبالغة في بيان شموله للكل • وهو مؤمن • قيد به اذ لا اعتداد باعمال الكفرة
في استحقاق الثواب وتخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة
الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح • فلنحيينه • في الدنيا يعيش
عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر
العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه
الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه • ولنجزينهم في الآخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون • حسبما نفعل بالصابرين
فليس فيه شائبة تكرار والجمع في الضمير العائد الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سبق لرعاية جانب اللفظ
وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية ووقوع ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق
الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر الى ان مدار الجزاء هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه
بطريق الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح ويخلص عن شوب الفساد قوله تعالى • فاذا قرأت القرآن • اي
اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة
المتصلة بالقراءة • فاستعذ بالله • فاسأله عز وجل ان يعيذك • من الشيطان الرجيم • من وساوسه وخطراته

كيلا

كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلعم وفي سائر الاعمال الصالحة اهتم فانه عزم
حيث امر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بما عداه وفيه
عد القراءة من الاعمال والامر للندب هذا مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد اخذ بظاهر النظم الكريم
فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضي
قرأت على رسول الله صلعم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ • انه • اي الشان او الشيطان • ليس له سلطان • اي تسلط
وولاية • على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون • اي اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما يأتون وما
يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة الاولى للدلالة على التحقق
كما ان ايثار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة
المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوي اي يعذك • انما سلطانه • اي تسلطه وولايته
بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى • على الذين يتولونه • اي يتخذونه وليا ويستجيبون
دعوته ويطيعونه فان المقسور بمعزل من ذلك • والذين هم به • اي بالله سبحانه وتعالى او بسبب الشيطان • مشركون • اذ
هو الذي حملهم على الاشراك بالله سبحانه وتعالى وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين المتوكلين دليل على ان
لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله وبين تولي الشيطان وان كان بينهما واسطة في المفهوم وان من لم
يتوكل عليه ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير
عن مقابله وايثار الجملة الفعلية الاستقبالية في الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددي كما ان ايثار الجملة
الاسمية في الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول
غير المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى فيما
سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين
عما يقابلها • واذا بدلنا آية مكان آية • اي اذا انزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلا منها بان نسخناها
بها • والله اعلم بما ينزل • اولا وآخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان
كل وقت له مقتضى غير مقتضى الآخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب في وقت آخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك
وما الشرائع الا مصالح للعباد في المعاش والمعاد تدور حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه
على فساد رأيهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من
تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية وقرئ بالتخفيف من الانزال • قالوا • اي الكفرة الجاهلون بحكمة
النسخ • انما انت مفتر • اي متقول على الله تعالى تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا
للايذان بان ذلك كفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه وليهم • بل اكثرهم لا يعلمون • اي لا يعلمون شيئا اصلا

أو لا يعلمون أن في النسخ حكماً بالغة وإسناد هذا الحكم إلى الأكثر لما أن منهم من يعلم ذلك وإنما ينكره عناداً
قل نزله أي القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعني جبريل عم أي الروح المطهر من الأدناس
البشرية وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كإضافة حاتم إلى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك
الوصف كأنه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين إشعار بأن التدريج في الإنزال مما تقتضيه الحكمة البالغة
من ربك في إضافة الرب إلى ضميره صلعم من الدلالة على تحقيق إفاضة آثار الربوبية عليه عليه السلام ما ليس
في إضافته إلى ياء المتكلم المنبئة على التلقين المحض بالحق أي ملتبساً بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له
بحيث لا يفارقها إنشاءً ونسخاً وفيه دلالة على أن النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على الإيمان بأنه كلامه
تعالى فإنهم إذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وقرئ ليثبت
من الإفعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت أي تثبيتاً وهداية و
بشارة وفيه تعريض بحصول أضداد الأمور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم أنهم يقولون غير ما نقل عنهم من
المقالة الشنعاء إنما يعلمه أي القرآن بشر على طريق البت لأنه نزله روح القدس وتحلية الجملة بفنون
التأكيد لتحقيق ما تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم بحسب استمرار التجددي في متعلقه فإنهم
مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون به جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف
بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل وكان الرسول عم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد
العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي وإنما لم يصرح باسم من زعموا أنه يعلمه مع كونه أدخل في
ظهور كذبهم للإيذان بأن مدار خطائهم ليس بنسبته عم إلى التعلم من شخص معين بل من البشر كائناً من كان مع كونه
عليه السلام معدناً لعلوم الأولين والآخرين لسان الذي يلحدون إليه أعجمي الإلحاد الإمالة من ألحد القبر إذا
أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان في قوله
وألحد في دينه أي لغة الرجل الذي يميلون إليه القول عن الاستقامة أعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء
وبتعريف اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان
لإبطال طعنهم وتقريره أن القرآن معجز بنظمه كما أنه معجز بمعناه فإن زعمتم أن بشراً يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم
الذي عجز جميع أهل الدنيا والتشبث في أثناء الطعن بأذيال أمثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال
عجزهم إن الذين لا يؤمنون بآيات الله أي لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها
تارة افتراء وأخرى أساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله إلى الحق أو إلى سبيل النجاة هداية موصلة
إلى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الآخرة عذاب أليم وهذا تهديد لهم ووعيد
على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تعالى ونسبة رسول الله صلعم إلى الافتراء والتعلم من البشر بعد ما أماط شبهتهم
ورد طعنهم قد هو سع إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم إنما أنت مفتر وقلب
للأمر عليهم ببيان أنهم هم المفترون بعد رده بتحقيق أنه منزل من عند الله بواسطة روح القدس وإنما وسط
بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الأول والمعنى والله تعالى أعلم أن المفتري هو الذي

يكذب

يكذب بآيات الله ويقول إنه افتراء وتعلم من البشر أي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لأن
حقيقة الكذب والحكم بأن هو كلام تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة
بينه وبين ما هو عبارة عنه أعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى إنما يفتري الكذب ويليق ذلك بمن لا يؤمن
بآيات الله لأنه لا يترقب عقاباً عليه ليرتدع عنه وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن
أن يصدر عنه افتراء البتة وأولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الإيمان بآيات الله هم الكاذبون
على الحقيقة أو الكاملون في الكذب إذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بأمثال هاتيك الأباطيل
والسر في ذلك أن الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الإخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الأمر بخلق الله
تعالى أو بوقوع ما لم يقع لا مخالفة له سبحانه في فعله فقط والتكذيب مخالفة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ
عنه معاً أو الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين أو مروءة وقيل الكاذبون في قولهم إنما أنت مفتر
من كفر بالله أي تلفظ بكلمة الكفر من بعد إيمانه به وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما
آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأساً ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر
الآتي عليه أو هو خبر لهما أو النصب على الذم إلا من أكره على ذلك بأمر يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه وهو
استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب أو الذم لأن الكفر لغة يتم بالقول كما أشير إليه وقوله عز وعلا وقلبه مطمئن
بالإيمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالإكراه لا نفس الإكراه لأن مقارنة اطمئنان القلب بالإيمان
للإكراه لا يجدي نفعاً وإنما المجدي مقارنته للكفر الواقع به أي إلا من كفر بإكراه أو إلا من أكره فكفر والحال أن قلبه
مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وإنما لم يصرح به إيماء إلى أنه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على أن الإيمان هو التصديق
بالقلب ولكن من لم يكن كذلك بل من شرح بالكفر صدراً أي اعتقده وطاب به نفساً فعليهم غضب
عظيم لا يكتنه كنهه من الله إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تفظيع العذاب ولهم عذاب
عظيم إذ لا جرم أعظم من جرمهم والجمع في الضمير المجرور لمراعاة جانب المعنى كما أن الإفراد في المستكن
في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي أن قريشاً أكرهوا عماراً وأبويه ياسراً وسمية على الارتداد فأبى أبواه
فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسراً وهما أول
قتيلين في الإسلام وأما عمار فأعطاهم بلسانه ما أكرهوا عليه فقيل يا رسول الله إن عماراً كفر فقال
رسول الله صلعم كلا إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول
الله صلعم وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز
التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه الملجئ وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازاً للدين كما فعله أبواه وروي أن مسيلمة
الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد صلعم قال رسول الله صلعم قال فما تقول في قال أنت أيضاً فخلاه
وقال للآخر ما تقول في محمد عم قال رسول الله صلعم قال فما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول
الله صلعم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق ذلك إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو
إلى الوعيد المذكور بأنهم بسبب أنهم استحبوا الحياة الدنيا أي آثروها على الآخرة وأن الله لا يهدي إلى الإيمان

والاباء بوجه الثبات عليه هداية قسر والجاء • وان الله لا يهدي القوم الكافرين • في علم المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي
اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على الاخرة واما عدم هداية الله
سبحانه للكافرين هداية قسرية بان اثروا الاخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسرية لما كان
ذلك [illegible] • اولئك • اي
الموصوفون بما ذكر من القبائح • الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم • فابت عن ادراك الحق
والتدبر فيه • واولئك هم الغافلون • اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب
لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون • اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب المخلد • ثم
ان ربك للذين هاجروا • الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه ظاهر
اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الاتي ويجوز ان يكون
ذلك خبرا لها ويكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي
يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج من حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة
من بعد ما فتنوا • اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء
الفاعل اي عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا • ثم جاهدوا • في سبيل الله •
وصبروا • على مشاق الجهاد • ان ربك من بعدها • من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء
الحكم على الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم
لغفور • لما فعلوا من قبل • رحيم • ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان الربوبية في
الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلعم مع ظهور الاثر في الطائفة المذكورة اظهار
لكمال اللطف به عليه السلام واشعار بان افاضة اثار الربوبية عليهم من المغفرة والرحمة بواسطته
عم ولكونهم اتباعا له • يوم تاتي كل نفس • منصوب برحيم وما رتب عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم
يقوم الناس لرب العالمين • تجادل عن نفسها • عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار لا يهمها شان
غيرها فتقول نفسي نفسي • وتوفى كل نفس • اي تعطى وافيا كاملا • ما عملت • اي جزاء ما عملت بطريق اطلاق اسم
السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير
وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد • وهم لا يظلمون • لا ينقصون اجورهم
او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم • وضرب الله مثلا قرية • قيل ضرب المثل صنعه
واعتماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول واحد وانما عدي الى الاثنين لتضمينه
معنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التاخير
عن الكل مخل بتجاوب اطراف النظم وتجاذبها ولان تاخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده
وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعو اليه فان المثل يدعو الى المحافظة عن تفاصيل احوال ما هو
مثل فيتمكن المتاخر عند وروده لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة

حاشية

خاصة او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة
دخولا اوليا • كانت امنة • ذات امن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج • ياتيها رزقها • اقوات اهلها
صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها امنة مطمئنة ثابت مستمر رغدا
واسعا من كل مكان من نواحيها • فكفرت • اي كفر اهلها • بانعم الله • اي بنعمته على ترك الاعتداد بالتاء كدرع و
ادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة
حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة • فاذاقها الله • اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شبه
اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق
الايصال المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها
في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته
رقاب المال فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير
جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم
والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف لجامع الاحاطة واللزوم تشبيه معقول بمحسوس
فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشي من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومي
اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي
اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشي مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما
تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة او لمراعاة المقارنة بينه وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم
الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف او اقامة له مقام مضاف محذوف هو اصله ولباس الخوف • بما كانوا
يصنعون • فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد
الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة
لهم وسنة مسلوكة • ولقد جاءهم • من تتمة المثل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة
منهم لمقتضى العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق ايضا اي ولقد جاء اهل تلك القرية • رسول منهم
• اي من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعم وانذرهم سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون •
فكذبوه • في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر والفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تلعثم
فاخذهم العذاب المستاصل لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك • وهم ظالمون • اي حال التباسهم بما هم عليه من
الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفي ذلك تنبيه على
تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة
الله تعالى حسبما يرشد اليه قوله سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب
المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة مجازية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في
خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم امن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى اليه

ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول حار في ادراك سمو رتبته العقول صلعم ما اختلف في العقول
فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلعم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عليه بقوله اللهم اعني
عليهم بسبع كسبع يوسف غرم ما اصابهم من جدب شديد واذية حفت كل شيء حتى اضطرهم الى اكل الجيف والكلاب
الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله
صلعم حيث كانوا يغزون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي
يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير من ان القرية في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة
قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد بالرسول النبي محمد رسول الله صلعم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر
فبمعزل من التحقيق كيف لا وقوله سبحانه • فكلوا مما رزقكم الله • مفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي الى مثل عاقبته
والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي
اولا واخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلعم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم
الله تعالى واطيعوا رسوله صلعم في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه • حلالا طيبا • وذروا ما تفترون من تحريم البحائر
ونحوها • واشكروا نعمة الله • واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت
على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادمج
فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستاصل متوقعا بعد وقد تمهدت مباديه
وبعد ما وقع فمن ذا الذي يؤمر بالاكل والشكر وحمل قوله تعالى فاخذهم العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع
يأباه التصدي للاستصلاح بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما لا يليق
بشان التنزيل الجليل • ان كنتم اياه تعبدون • اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة
عبادته تعالى • انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به • تعليل لحل ما امرهم باكله مما رزقهم الله اي انما
حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها • فمن اضطر • بالجاء ضرورة من المخمصة ورد
فتناول شيئا من ذلك • غير باغ • اي على مضطر اخر • ولا عاد • اي متجاوز قدر الضرورة • فان ربك غفور رحيم •
اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عم اظهار
لكمال اللطف به عم وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد
ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال • ولا تقولوا لما تصف السنتكم • من البهائم بالحل والحرمة في
قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا
عن استناده الى وحي او قياس مبني • الكذب • منتصب بلا تقولوا او هو نسخ • هذا حلال وهذا حرام • بدل منه
ونحو ان تتعلق بتصف على ارادة القول اي لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام وان يكون
القول المقدر حالا من السنتهم اي قائلة هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف
السنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها له في المسامع كان السنتهم لكونها منشأ للكذب
ومنبعا له شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية

كما يقال

كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب
كقوله تع بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة
وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جني • لتفتروا على الله الكذب •
فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تع فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله سبحانه من غير ان يكون ذلك
منه واللام لام العاقبة • ان الذين يفترون على الله الكذب • في امر من الامور • لا يفلحون • بمطالبهم التي ارتكبوا
الافتراء ليفوزوا بها • متاع قليل • خبر مبتدا محذوف اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة • ولهم
في الاخرة • عذاب اليم • لا يكتنه كنهه • وعلى الذين هادوا • خاصة دون غيرهم من الاولين والاخرين • حرمنا ما قصصنا
عليك • اي بقوله تع حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية • من قبل • متعلق بقصصنا او
بحرمنا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا • وما ظلمناهم •
بذلك التحريم • ولكن كانوا انفسهم يظلمون • حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تع فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فروى انه عم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف
وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح بيان وفيه تنبيه على الفرق
بينهم وبين غيرهم في التحريم • ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة • اي بسبب جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل
بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تع وغيره • ثم تابوا من بعد ذلك •
اي من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة • واصلحوا • اي اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح • ان
ربك من بعدها • من بعد التوبة • لغفور • لذلك السوء • رحيم • يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله ان ربك لتأكيد الوعد
واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى
ان افاضة اثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عم وكونهم اتباعه كما اشير اليه فيما مر • ان ابراهيم كان
امة • على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان
يجمع العالم في واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا
تبقي ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه عم كان مؤمنا وحده والناس
كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من ام اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه
ويقتدون بسيرته لقوله تع اني جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عم عقيب تزييف مذاهب المشركين
من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله الله تع للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك
وفروعه امر ثابت لا ريب فيه • قانتا لله • مطيعا له قائما باوامره • حنيفا • مائلا عن كل دين باطل الى الدين الحق
غير زائل عنه • ولم يك من المشركين • في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره للرد على كفار
قريش فقط في قولهم نحن على ملة ابينا ابراهيم بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم

انه عم كان على ما هم عليه كقوله سبحانه ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من
المشركين اذ به ينتظم امر ايراد التحريم والسبت سباقا ولحاقا • شاكرا لانعمه • صفة ثالثة لامة واما اوثر صيغة
جمع القلة للايذان بانه عم كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عم على خلاف ما هم عليه من
الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب المثل • اجتباه • للنبوة • وهداه الى صراط مستقيم • موصل اليه
سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عم بل مع ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة
الاجتباء • وآتيناه في الدنيا حسنة • حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه
ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هي الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات
الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه عم • وانه في الآخرة لمن الصالحين • اصحاب الدرجات العالية في الجنة
حسبما سأله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم • ثم اوحينا
اليك • مع علو طبقتك وسمو رتبتك • ان اتبع ملة ابراهيم • الملة اسم لما شرعه الله لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام
من امللت الكتاب اذا مليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى
من يؤديه عن الله يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا
الى النبي عم ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها والمراد
بملته عم الاسلام الذي عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم • حنيفا • حال من المضاف اليه لشدة اتصاله به عم
جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند قائمة والمامور به الاتباع في الاصول دون الشرائع
المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عليه السلام عما هم
عليه من عقد وعمل • قوله سبحانه • انما جعل السبت • اي فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق
لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا في كليته حسبما سلف في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فان
اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابراهيم كان محافظا عليه اي ليس السبت من شرائع
ابراهيم عم وشعائر ملته التي امرت باتباعها حتى يكون بينه عم وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما شرع
لبني اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جرى على سنن الكبرياء وايذان بعدم الحاجة الى التصريح
بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعبر عنهم
بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت • على الذين اختلفوا • للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء المؤدي
الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شأنه قبل الوقوع ايثارا على امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا
باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم الغائلة للفريقين بل باعتبار حال منشأ الاختلاف من الطرف المخالف
للحق وذلك ان موسى عم امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة
فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة
منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا
لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى قردة دون اولئك المطيعين • وان ربك ليحكم بينهم

اي بين الفريقين المختلفين فيه • يوم القيامة • اي يفصل بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه
من الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع في
الآخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو
المسخ على الذين اختلفوا فيه اي احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على تحريمه حسبما امر
الله سبحانه به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف فعالهم بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد
به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة المخالفين لامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله ولا ريب في ان
كلمة بينهم تحكم بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ لهذا الانذار المذكور بين حكاية امر
النبي صلعم باتباع ملة ابراهيم عم وبين امره عم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فتأمل • ادع • اي
من بعثت اليهم من الامة قاطبة فحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع
فحذف للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه
مخصوص • الى سبيل ربك • الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم وفي التعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضمير
النبي عم في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة من الدلالة على اظهار اللطف به عم
في مقام الامر بدعوة الامة والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى • بالحكمة • اي بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل
الموضح للحق المزيح للشبهة • والموعظة الحسنة • اي الخطابات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى
عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم
ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين • وجادلهم • اي ناظر معانديهم • بالتي
هي احسن • بالطريقة التي هي احسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر
واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما فعله الخليل عم • ان ربك هو اعلم بمن ضل
عن سبيله • الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين من الحكم والمواعظ
والعبر • وهو اعلم بالمهتدين • اليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك في الدعوة
والمناظرة الطريقة المذكورة فان ربك هو اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب
وبحال من يصير امره الى الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فانه كاف في
هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية
او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا
منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث
لما انه تغيير لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي
هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن
عن الثبات وتكرير هو اعلم للتأكيد والاشعار بتباين حال المعلومين ومآلهما من العقاب والثواب وبعد ما امره

عمّم فيما يختص به من شأن الدعوة بما أمره به من الوجه اللائق عقّبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعمّ
فقال ﴿وإن عاقبتم﴾ أي إن أردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي إن أكلت فكل قليلاً ﴿فعاقبوا بمثل ما
عوقبتم به﴾ أي بمثل ما فعل بكم وقد عبّر عنه بالعقاب على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان أو على نهج المشاكلة
والمقصود إيجاب مراعاة العدل مع من يناصبهم من غير تجاوز حين ما أدّى الجدال إلى القتال وأدّى النزاع إلى القراع
فإن الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبلة المعهودة وإدخال الأعناق
في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون ويذرون وبطلان دين استمرت عليه آباؤهم الأولون
وقد ضاقت عليهم الحيل وعيّت بهم العلل وسدّت عليهم طرق المحاجّة والمناظرة وأرتجت دونهم أبواب المباحثة
والمحاورة وقيل إنه عليه السلام لما رأى حمزة رضي الله عنه يوم أحد قد مُثّل به قال لئن أظفرني الله بهم لأمثلنّ بسبعين مكانك
فنزلت فكفّر عن يمينه وكفّ عما أراده وقرئ وإن عقّبتم فعقّبوا أي وإن قفّيتم بالانتصار فقفّوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين
عنه والأمر وإن دلّ على إباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وإن عاقبتم حثّ على
العفو تعريضاً وقد صرّح به على الوجه الآكد فقيل ﴿ولئن صبرتم﴾ أي عن المعاقبة بالمثل ﴿لهو﴾ أي لصبركم ذلك
﴿خير لكم﴾ من الانتصار بالمعاقبة وإنما قيل للصابرين مدحاً لهم وثناء عليهم بالصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل
فيه صبركم لدخول أنفسهم في جنس الصابرين دخولاً أولياً ثم أمر عليه السلام صريحاً بما ندب إليه غيره تعريضاً من
الصبر لأنه أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل ﴿واصبر﴾ أي على ما
أصابك من جهتهم من فنون الآلام والأذية وعاينت من إعراضهم عن الحق بالكلية ﴿وما صبرك إلا بالله﴾
استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي وما صبرك ملابساً ومصحوباً بشيء من الأشياء إلا بالله أي بذكره و
الاستغراق في مراقبة شؤونه والتبتل إليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه السلام وتهوين مشاق الصبر عليه
وتشريفه ما لا مزيد عليه أو إلا بمشيئته المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث
اشتماله على غايات جميلة وقيل إلا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ﴿ولا تحزن عليهم﴾
أي على الكافرين بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل
على المؤمنين وما فعل بهم والأول هو الأنسب بجزالة النظم الكريم ﴿ولا تك في ضيق﴾ بالفتح وقرئ بالكسر وهما لغتان
كالقول والقيل أي لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الأول تخفيف ضيّق كهين من هيّن أي في أمر ضيّق
﴿مما يمكرون﴾ أي من مكرهم بك فيما يستقبل فالأول نهي عن التألم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم
بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع أن انتفاءهما من لوازم الصبر المأمور به لا سيما على الوجه الأول
لزيادة التأكيد وإظهار كمال العناية بشأن التسلية وإلا فهل يخطر ببال من توجّه إلى الله سبحانه بشراشر نفسه
متنزّهاً عن كل ما سواه من الشواغل شيء من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته أو محذور فيكفّ عن الخوف
من وقوعه ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ تعليل لما سبق من الأمر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي
لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية
المتقين إنما هي من حيث أنهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه إن الله مع الصابرين ونظائرها

كافة

كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل وترك أعني التنزه عن كل ما يشغل سرّه عن الحق والتبتل إليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولاية
الله المقرونة ببشارة قوله سبحانه ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى إن الله ولي الذين
تبتلوا إليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرّهم عنه فلم يخطر ببالهم شيء من مطلوب أو محذور فضلاً عن الحزن بفواته
أو الخوف من وقوعه وهو المعنيّ بما ذكر من الصبر المأمور به حسبما أشير إليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله
فاصبر إن العاقبة للمتقين على أحد التفسيرين كما حقق في مقامه وأما مجرد التوقي عن المعاصي فلا يكون مدار الشيء
من النعوت المرخص في تركها فكيف بالصبر المشار إليه ورديفيه وإنما مداره المعنى المذكور وكأنه قيل إن الله مع
الذين صبروا وإنما أوثر عليه ما في النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر بالتنبيه على أنه من خصائص أجلّ النعوت الجليلة
وروادفها كما أن قوله تعالى ﴿والذين هم محسنون﴾ للإشعار بأنه من باب الإحسان الذي يتنافس فيه المتنافسون
عليها فعل ذلك حيث قيل واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقد نبّه على أن كلاً من الصبر والتقوى من قبيل الإحسان
في قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وحقيقة الإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق الذي
هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه
فإنه يراك وتكرير الموصول للإيذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير أن يكون أحدهما تتمة
للأخرى وإيراد الأولى فعلية للدلالة على الحدوث كما أن إيراد الثانية اسمية لإفادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم و
تقديم التقوى على الإحسان لما أن التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين إما جنس المتقين والمحسنين
وهو عليه السلام داخل في زمرتهم دخولاً أولياً وإما هو عليه السلام ومن شايعه عبّر عنهم بذلك
مدحاً لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز إلى أن صنيعه عليه السلام مستتبع لاقتداء الأمة به كقول من قال
لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية عند صبر الرأس عن هرم
بن حيان أنه قيل له حين الاحتضار أوص فقال إنما الوصية من المال وأوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله سبحانه وتعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات
في يوم تلاها أو ليلته كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية والحمد لله وحده

سورة بني إسرائيل

وهي مائة وإحدى عشرة آية روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها مكية غير قوله تعالى وإن كادوا ليستفزونك إلى قوله سلطاناً نصيراً

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عيناً
وجنساً لا شخصاً لم تكن إضافته من قبيل ما في زيد المعارك أو حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الإظهار
تقديره أسبّح الله إلى آخره وفيه من الدلالة ما لا يخفى على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح
الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومنه فرس سبوح أي واسع الجري ومن جهة النقل إلى التفعيل
ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير إلى الحقيقة الحاضرة
في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة
من حيث إضافة التنزه إلى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى

سبحانه كانه قيل تنزه بذاته تعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى • ليلا • لافادة قلة زمان
الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك
سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل فانه يفيد
استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ العبد للايذان
بتمحضه عم في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما
يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه لهو التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما في حيز الصلة
للمضاف فان ذلك من ادلة كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين • من المسجد الحرام •
اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلعم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر
عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتى جبريل عم بالبراق وقيل هو دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام
الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه روي عن ابن عباس رض انه عم كان نائما في
بيت ام هانئ بعد صلوة العشاء فكان ما كان فقصه عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عم لتمنعه
خشية ان يكذبه القوم قال عم وان كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عم بحديث الاسراء فقال ابو جهل
يا معشر كعب بن لؤي بن غالب هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان
آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رض فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على
ابعد من ذلك فسمي الصديق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس
فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها
وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم
هذه والله الشمس قد اشرقت فقال اخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا انى
يؤفكون واختلف في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس رض والحسن انه كان قبل البعثة
واختلف انه في اليقظة او في المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام
قبل البعثة وفي اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رض انها قالت
ما فقد جسد رسول الله ولكن عرج بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه
التصدير بالتنزيه وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه
المثابة ولذلك تعجبت منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف
قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم
مع معاوقة حركة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من جملتها
وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها في جسد النبي
صلعم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة • الى المسجد الاقصى • اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ
وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى • الذي باركنا حوله • بركات الدين والدنيا لانه مهبط

الوحي

الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام • لنريه • غاية للاسراء • من آياتنا • العظيمة التي من جملتها
ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومجيئه في ذلك كونه قبل الوصول الى المقصد ومشاهدة
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات الى
التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ ليريه بالياء • انه هو السميع • لاقواله عم بلا اذن
البصير • بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور
ليس الا لتكرمته عم ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب
والالتفات الى الغيبة لتربية المهابة • وآتينا موسى الكتاب • اي التوراة وفيه ايماء الى دعوته عم الى الطور
وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكر ههنا العروج بالنبي صلعم الى السماء
وما كان فيه لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول السامعين اي اتيانه
التوراة بعدما اسرينا به الى الطور • وجعلناه • اي ذلك الكتاب • هدى لبني اسرائيل • يهتدون بما
في مطاويه • ان لا تتخذوا • على ان لا ناهية اي لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مفسرة
والمعنى آتينا موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا • من دوني وكيلا • اي ربا تكلون اليه اموركم
والافراد لما ان فعيلا مفرد في اللفظ جمع في المعنى • ذرية من حملنا مع نوح • نصب على الاختصاص
او النداء على قراءة النهي والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بذكر انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق
في سفينة نوح عم او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله
تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا
تتخذوا ابدال الظاهر من ضمير المخاطب كما هو مذهب البعض وقرئ ذرية بكسر الذال • انه
اي ان نوحا عم • كان عبدا شكورا • كثير الشكر في مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاءه ومن معه كان ببركة
شكره عم وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو اعظم مراتب الكفران وقيل الضمير
لموسى عم • وقضينا • اي اعلمنا واحكمنا • الى بني اسرائيل • اي موحين اليهم • في الكتاب • اي في التوراة
فان الانزال والوحي الى موسى عم انزال ووحي اليهم • لتفسدن في الارض • جواب قسم محذوف و
يجوز اجراء القضاء المختوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن • مرتين • مصدر والعامل
فيه من غير جنسه اولاهما مخالفة حكم التوراة وقيل قتل شعيا عم وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى والثانية
قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عم • ولتعلن علوا كبيرا • لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه او لتغلبن
الناس بالظلم والعدوان وتفرطن في ذلك افراطا مجاوزا للحدود • فاذا جاء وعد اولاهما • اي اولى
مرتي الافساد اي حان وقت حلول العقاب الموعود • بعثنا عليكم • لمؤاخذتكم بجنايتكم • عبادا لنا • و
وقرئ عبيدا • اولي بأس شديد • ذوي قوة وبطش في الحروب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده و
قيل بختنصر عامل لهراسب وقيل جالوت • فجاسوا • اي ترددوا لطلبكم بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى
واحد وقرئ وجوسوا • خلال الديار • في اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم

واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بما جرت به
السنة الالهية وكان ذلك وعدا مفعولا لا محالة لجنابه ارف عنه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة
اي الدولة والغلبة عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم عما كنتم عليه من الافساد
والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسارهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن
اسفنديار الملك من جده كشتاسف ابن لهراسب القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد اسارهم الى الشام
وملك عليهم دانيال فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل داود عليه السلام جالوت وامددناكم
باموال كثيرة بعدما نهبت اموالكم وبنين بعدما سبيت اولادكم وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم
من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو
كالعبيد والمعيز ان احسنتم اعمالكم سواء كانت لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اي عملتموها على الوجه اللائق
ولا يتصور ذلك الا بعد ان يكون الاعمال حسنة في انفسها او ان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها
لها وان اسأتم اعمالكم بان عملتموها لا على الوجه اللائق وبادرة السوء الذاتي فعليتم الاساءة فلها
اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها فاذا جاء وعد الاخرة
حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اي بعثناهم
ليسوءوا وجوهكم اي ليجعلوا اثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على
ان الضمير لله تعالى او للوعد او للبعث او للنفير وبنون العظمة وفي قراءة علي رضي لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ لنسوءن
بالنون الخفيفة وليسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطف على ليسوءوا متعلق بما تعلق هو به كما دخلوه اول مرة
اي في اول مرة وليتبروا اي يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف وذلك بان
سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس وقيل خردوس قيل دخل
صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني
فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا
عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ
باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرة ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عما كنتم
عليه من المعاصي وان عدتم اي مرة ثالثة الى ما كنتم فيه من الفساد مرة اخرى عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد
الله سبحانه عليهم النقمة بان سلط عليهم الاكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن
عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا جهنم للكافرين
حصيرا اي محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الآبدين وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال
وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك واشعارا بعلة الحكم ان هذا القرآن الذي آتيناك
يهدي اي الناس كافة لا لفرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتيناه موسى للتي اي للطريقة التي هي اقوم اي
اقوم الطرائق واسدها اعني ملة الاسلام والتوحيد وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها ولحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به

عن المقصد المذكور بل للايذان عن البيان بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته
لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين ويبشر المؤمنين بما في
تضاعيفه من الاحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التي شرحت فيه ان لهم اي بان
لهم بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات فصاعدا وان الذين لا يؤمنون
بالآخرة واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها
معظم ما امروا بالايمان به ولمراعاة التناسب بين اعمالهم وجزائها الذي انبأ عنه قوله عز وجل اعتدنا لهم
عذابا اليما وهو عذاب جهنم اي اعددنا لهم فيما كفروا به وانكروا وجوده من الآخرة عذابا اليما وهو ابلغ في
الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب افظع وافجع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر او على قوله تعالى ان
لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجاز مطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخير السار والانباء بالشر الضار حقيقة
فيكون ذلك بيانا لما لهداية القرآن بالترغيب والترهيب ويحتمل ان يكون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم
وعقاب اعدائهم ويدع الانسان بالشر بيان لحال المهدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من
التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده او حكي عنه حاله في بعض احيانه فالمعنى على الاول ان
القرآن يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الاجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب الاليم
وهو اي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور بلسانه حقيقة كدأب من قال
منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ومن قال فائتنا بما
تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم او باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما
هو ديدن كلهم دعاءه بالخير اي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى انه
اللائق بحاله وكان الانسان اي من اسند اليه الدعاء المذكور من افراده عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله
متعاميا عن ضرره او مبالغا في العجلة يستعجل العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء
على اعمالهم تحمل العجولية على اللج والتمادي في استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثاني ان القرآن يدعو
الانسان الى ما هو خير وهو في بعض احيانه كما عند الغضب يدعو ويدعو بالشر لنفسه واهله وماله كما هو شر
وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى ان يزول عنه ما يعتريه روي انه عليه السلام دفع الى سودة اسيرا
فارخت كتافه رحمة لانينه بالليل من الم القد فهرب فلما اخبرته النبي صلعم قال عليه السلام اللهم اقطع يديها
فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عليه السلام ان سألت الله ان يجعل دعائي على من لا يستحق من اهلي عذابا رحمة
او يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متبصر لا يتدبر في اموره حق التدبر ليتحقق ما هو حقيق بالدعاء
وما هو جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد
الى مسلك الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل
من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية
لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ

ومنه يظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت من شهر وصاحبها من
شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة اي جعلنا الملوين بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول
والقصر على وتيرة عجيبة تحار في فهمها العقول آيتين تدلان على ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما
هدى اليه القرآن الكريم من ملة الاسلام والتوحيد **فمحونا آية الليل** الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد
الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة
لكن لا بعد ان لم تكن كذلك بل ابداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي انشأهما كذلك والفاء تفسيرية
لان المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته **وجعلنا آية النهار**
اي الآية التي هي النهار على نحو ما مر **مبصرة** مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفا لها بحال اهلها او مبصرة للناس من
ابصره فبصر واما حقيقة آية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر اما خلقه مطموس النور في نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما
استفاده من الشمس شيئا فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو والفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة
بالذات ذات اشعة تظهر بها الاشياء المظلمة **لتبتغوا** متعلق بقوله وجعلنا آية النهار لما اشير اليه اي جعلناها
مضيئة لتطلبوا لانفسكم في بياض النهار **فضلا من ربكم** اي رزقا اذ لا يتسنى ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل
وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على انه ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير
سوى الطلب وانما الاعطاء الى الله سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية **ولتعلموا** متعلق بكلا الفعلين
اعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اي لتعلموا بتفاوت
الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او حركاتهما واوضاعهما وسائر
احوالهما **عدد السنين** التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية **والحساب**
اي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اي الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة
ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذي تعلق به العد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك
بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها
من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب وتحقيقه بما مر في سورة يونس
من ان الحساب احصاء ماله كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص
وحكم مستقل كما اشير اليه آنفا والعد احصاؤه بمجرد تكرير امثاله من غير ان يتحصل منه شيء كذلك ولما ان السنين
لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل مراتب
معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي
في تحصيل المعدود وانما تقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من اول الامر
على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الاوقات او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي بما يتعلق به
الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شيء آخر منه حسبما ذكر نوع من الحساب المعتبر فيه ذلك فبمنزلة
البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم في مقام الامتنان والله سبحانه اعلم

وكل شيء

وكل شيء تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار آيتين وما يتبعه من المنافع
الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى **فصلناه تفصيلا** اي بيناه في القرآن الكريم بيانا
بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا **وكل
انسان** مكلف **الزمناه طائره** اي عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار اليه من عش الغيب ووكر
القدر او ما وقع له في القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا **في عنقه**
تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق
لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون **ونخرج له** بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير
لله عز وجل وللمفعول والضمير للطائر وقرئ يخرج من الخروج **يوم القيامة** والبعث للحساب **كتابا**
مسطورا فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين وحال من المفعول المحذوف
الراجع الى الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر **يلقاه** اي يلقى الانسان او يلقاه
الانسان **منشورا** وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني حال منه وقرئ يلقاه من التلقية كذا اي يلقى
الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك
فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك
حتى تخرج لك يوم القيامة **اقرأ كتابك** اي قائلين ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا
وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه في
جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى
فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت
وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش
كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة **كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** اي كفى نفسك
والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كصريم بمعنى الصارم من حسب
عليك كذا او بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما لا
يتولاه الا الرجال او لانه مبني على تأويل النفس بالشخص على انها عبارة عن نفس الذكر كقول جبلة بن حريث
يا نفس انك باللذات مسرور فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير **من اهتدى فانما يهتدي لنفسه** فذلكة لما تقدم
من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه
من الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما تعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد
ومن ضل عن الطريقة التي يهديه اليها **فانما يضل عليها** اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه
ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه **ولا تزر وازرة وزر اخرى** تأكيد للجملة الثانية اي لا تحمل
نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما بين العامل وعمله من التلازم بل
انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله

كما ان من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها
وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير و
انتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين
يعملهما العامل لازم له وانما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء
الضلال مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزاء الاضلال لا جزاء الضلال وانما خص التاكيد
بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم
الذين قلدوهم • وما كنا معذبين • بيان للعناية الربانية اثر بيان اختصاص آثار الهداية والضلال
باصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا
بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا
من اهل الضلال والاوزار اكتفاء بقضية العقل • حتى نبعث اليهم رسولا • يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال
ويقيم الحجج ويمهد الشرائع حسبما فصل تعالى في الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال كما قال
الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي وهو من افراده
وايا ما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروي لا يكاد
يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى
قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة • واذا اردنا ان نهلك قرية • بيان لكيفية وقوع
التعذيب بعد البعث التي جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف
عنه المراد ولا بالارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يقارنها الجزاء بل
دنو وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اي واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من
عذاب الاستئصال الذي بينا انه لا يصح منا قبل البعث ويتوقع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب اعني عذاب
الاستئصال لما لهم من الظلم والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد معين • امرنا • بواسطة الرسول
المبعوث الى اهلها • مترفيها • متنعميها وجباريها وملوكها خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في
الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم آكد وعدم التعرض للمأمور به لظهور ان المراد به الحق والخير لان
الله لا يأمر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدي اليه واما لان المراد وجد منا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع
• ففسقوا فيها • اي خرجوا عن الطاعة وتمردوا • فحق عليها القول • اي كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور
معاصيهم او بانهماكهم فيها • فدمرناها • بتدمير اهلها • تدميرا • لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق
وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو
بمعنى التكثير امرت الشيء فأمر اي كثرته فكثر وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج و
يعضده قراءة آمرنا وأمّرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلنا من الامارة اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده
مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه عليهم بنعم

وافرة

وافرة ابطرتهم وحملتهم على الفسوق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر • وكم اهلكنا • اي وكثيرا ما اهلكنا
من القرون • بيان لكم وتمييز له والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون او ثلثون او اربعون
او ثمانون او مائة وقد ايد ذلك بانه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل فقال عش قرنا فعاش مائة سنة او مائة وعشرين
• من بعد نوح • من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم
قومه عليه السلام في سلك القرون المهلكة لظهور امرهم على ان ذكرهم رمز الى كفرهم • وكفى بربك • اي كفى ربك بذنوب عباده
• خبيرا بصيرا • محيطا بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي
الاعمال الظاهرة او لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوهما من
فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام
الحجة من كل وجه • من كان يريد • باعماله التي يعملها سواء كان ترتبها عليها بطريق الجزاء كاعمال البر او بطريق
ترتب المعلولات على العلل كالاسباب والاعمال الاخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة واكثر الفسقة وعلى الثاني
اهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة • العاجلة • فقط من غير ان يريد معها الاخرة كما
ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان مع الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار
الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا ويجوز ان يراد الحيوة العاجلة
كقوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب بقوله تعالى • عجلنا له فيها • اي في تلك العاجلة
فان الحيوة واستمرارها من جملة ما يعجل له فلا يناسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها
• ما نشاء • اي ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد • لمن نريد • تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له باعادة الجار بدل
البعض فانه راجع الى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ ما يشاء على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن فيكون مخصوصا
بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشية والارادة لما ان الحكمة التي عليها
يدور فلك التكوين لا تقتضي وصول كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يترائى
من قوله تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع آماله ووصول
كل عامل الى نتيجة اعماله فقد اشير الى تحقيق الحق فيه في سورة هود بفضل الله تعالى • ثم جعلنا له • مكان ما عجلنا له • جهنم
وما فيها من اصناف العذاب • يصليها • يدخلها وهو حال من الضمير المجرور او من جهنم او استيناف • مذموما
• مدحورا • مطرودا من رحمة الله تعالى وقيل الآية في المنافقين كانوا يغزون مع المسلمين ولم يكن غرضهم
الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يجيء من ان السورة سوى آيات معينة • ومن اراد • باعماله • الآخرة • وما فيها من
النعيم المقيم • وسعى لها سعيها • اي السعي اللائق بها وهو الاتيان بما امروا والانتهاء عما نهوا لا التقرب
بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص • وهو مؤمن • ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح
فيه وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع
اي اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة من ارادة الآخرة والسعي الجميل لها والايمان • كان سعيهم مشكورا •

مقبولاً عند الله تعالى بحسن القبول مثاباً عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينة اشعار بانه
المعتد به فيها • كلاً • التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل واحد من الفريقين لا الفريق المريد للخير الحقيق
بالاسعاف فقط • نمد • اي نزيده مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مدداً للسالف وما به الامداد ما عجل لاحدهما
من العطايا العاجلة وما اعد للآخر من العطايا الآجلة المشار اليها بمشكورية السعي وانما لم يصرح به
تعويلاً على ما سبق تصريحاً وتلويحاً واتكالاً على ظهور مبارزة واشارة الى ما يستغنى عنه في موضع • هؤلاء •
بدل من كلاً • وهؤلاء • عطف عليه اي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات
المشار اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف اليه المحذوف دفعاً
لتوهم كونه افراد الفريق الآخر وتاكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول • وقوله تعالى • من عطاء ربك • اي من
معطاه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الامداد ومنبه على ان الامداد المذكور ليس بطريق
الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل • وما كان عطاء ربك • اي دنيوياً كان او اخروياً وانما اظهر اظهاراً
لمزيد الاعتناء بشأنه واشعاراً بعليته للحكم • محظوراً • ممنوعاً ممن يريده بل هو فائض على من قدر له بموجب المشيئة المبنية
على الحكمة وان وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وفي معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية
في الموضعين للاشعار بمبدئيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر • انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض • كيف في محل النصب
بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين
والاستدلال بها على مراتب الآخر اي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة
فمن وضيع ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك لتعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات تفاضل
اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى • وللآخرة اكبر • اي هي اكبر من
الدنيا • درجات • واكبر تفضيلاً • لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها العالية التي لا يقادر
قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وفيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد
بما به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تعليقه بهم
لها ووصولهم اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الآخر ارادة ووصولاً مما يوهم اختصاصها
بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد بالعطايا العاجلة على من ذكر ما اراد لها فقط من الفريق الاول
من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظوراً من احد ممن يريده وغيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء
بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول
لتحقيق شمول الامداد كما فعله الجمهور حيث قالوا لا نمنعه من عاص لعصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم
اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلاً عن ايهام اختصاصه
لا تجعل مع الله الهاً آخر • الخطاب للرسول صلعم والمراد منه امته وهو من باب التهييج والالهاب او لكل
احد ممن يصلح للخطاب • فتقعد • بالنصب جواباً للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كانها حربة او بمعنى العجز من قعد عنه اي عجز عنه • مذموماً مخذولاً • خبران او حالان اي جامعاً على نفسك الذم من

الملك

من الملك والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار بان الموحد جامع بين المدح والنصرة • وقضى ربك •
اي امر امراً مقطوعاً به وقرئ واوصى ربك • ان لا تعبدوا • اي بان لا تعبدوا • الا اياه • على ان ان مصدرية ولا نافية او اي لا تعبدوا
على انها مفسرة ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل للسعي
للآخرة • وبالوالدين • اي وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما • احساناً • لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش
اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما • اما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة لتاكيدها ولذلك دخل الفعل نون التاكيد ومعنى
عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع ان حقه التاخير للتشويق الى وروده فانه مدار تضاعف
الرعاية والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتاخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف عليه و
قرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما تاكيداً للضمير وتوحيد ضمير الخطاب
في عندك وفيما بعده مع ان ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تأفيف والديه
ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او بالتثنية لم يحصل هذا المرام • فلا تقل لهما • اي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع
اف • وهو صوت ينبئ عن تضجر بما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر
ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهاراً للاعتناء بشأنه فقيل • ولا تنهرهما • اي لا تزجرهما عما لا يعجبك
باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم اخوات • وقل لهما • بدل التأفيف والنهر • قولاً كريماً • ذا كرم او هو وصف له بوصف
صاحبه اي قولاً صادراً عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول
على المروءة مثل ان يقول يا ابتاه ويا اماه كدأب ابراهيم عليه السلام اذ قال لابيه يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما
فانه من الجفاء وسوء الادب ودأب الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا
تقوم الى خدمتهما عن كسل وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزراً ولا يريا منك مخالفة في ظاهر وباطن
وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلعم ان من
ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه • واخفض لهما جناح الذل • عبارة عن الالانة الجانب والتواضع
والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل وجعل لذلك جناحاً
كما جعل لبيد في قوله • وغداة ريح قد كشفت وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • للقرة زماماً وللشمال
يداً تشبيهاً له بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة عليها واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك
الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام • من الرحمة • من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما
اليوم الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله تعالى لهما برحمته الواسعة الباقية
• وقل رب ارحمهما • برحمتك الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك
كفرهما • كما ربياني • الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي رحمة مثل تربيتهما لي او مثل رحمتهما لي على ان التربية
رحمة ويجوز ان يكون لهما الرحمة والتربية معاً وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض
لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني • صغيراً • ويجوز ان يكون الكاف
للتعليل اي لاجل تربيتهما لي فوسعه واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها

بأن يشفع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً ثم ضيّق الأمر في مراعاتهما حتى
لم يرخّص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجّر مع ما له من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بأن جعل رحمته التي
وسعت كل شيء مشبّهة بتربيتهما وعن النبي صلعم رضى الله في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل
البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله
صلعم إن أبويّ بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك و
هما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وروي أن شيخاً أتى النبي صلعم فقال إن ابني هذا له مال
كثير وإنه لا ينفق عليّ من ماله فنزل جبريل عم وقال إن هذا الشيخ قد أنشأ في ابنه أبياتاً ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها
فأنشدها الشيخ فقال غذوتك مولوداً ومُنتك يافعاً • تعلّ بما أجني عليك وتنهل • إذا ليلة ضافتك
بالسقم لم أبت • لسقمك إلا ساهراً أتململ • كأني أنا المطروق دونك بالذي • طرقت به دوني وعيني تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي • إليها مدى ما كنت فيك أؤمّل • جعلت جزائي غلظة وفظاظة • كأنك
أنت المنعم المتفضل • فليتك إذ لم ترع حق أبوّتي • فعلت كما الجار المجاور يفعل • فغضب رسول الله صلعم
وقال أنت ومالك لأبيك • ربكم أعلم بما في نفوسكم • من البر والعقوق • إن تكونوا صالحين • قاصدين
الصلاح والبر دون العقوق والفساد • فإنه تعالى كان للأوابين • أي الرجاعين إليه تعالى عما فرط منهم
مما لا يكاد يخلو عنه البشر • غفوراً • لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية فعلية أو قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد
في الأمر بمراعاة حقوقهما ويجوز أن يكون عاماً لكل تائب ويندرج فيه الجاني على أبويه اندراجاً أولياً • وآت ذا
القربى • أي ذا القرابة • حقه • توصية بالأقارب إثر التوصية بالوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة
كما ينبئ عنه قوله تعالى • والمسكين وابن السبيل • فإن المأمور به في حقهما المواساة المالية لا محالة
أي وآتهما حقهما مما كان مفترضاً بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الإفراط في القبض والبسط
فإن الكل من التصرفات المالية • ولا تبذر تبذيراً • نهي عن صرف المال إلى من سواهم ممن لا يستحقه فإن
التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق حبات البذر وإلقائها كيفما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الإكثار
في صرفه إليهم وإلا لناسبه الإسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله ولا تبسطها وكلاهما
مذموم • إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين • تعليل للنهي عن التبذير ببيان أنه يجعل صاحبه ملزوزاً
في قرن الشياطين والمراد بالأخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير
أي كانوا بما فعلوا من التبذير أمثال الشياطين أو الصداقة والملازمة أي كانوا أصدقاءهم وأتباعهم
فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فإنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون
أموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي أو المقارنة أي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد
• وكان الشيطان لربه كفوراً • من تتمة التعليل أي مبالغاً في كفران نعمته تعالى لأن شأنه أن يصرف جميع
ما أعطاه الله تعالى من القوى والقدر إلى غير ما خلقت هي له من أنواع المعاصي والإفساد في الأرض وإضلال
الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف

بالذكر

بالذكر من بين سائر أوصافه القبيحة للإيذان بأن التبذير هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران
المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للإشعار بكمال عتوه
فإن كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من أقوى الدواعي إلى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان
• وإما تعرضن عنهم • أي إن اضطرك الإملاق إلى أن تعرض عن أولئك المستحقين • ابتغاء رحمة من ربك • أي لفقد
رزق من ربك إقامة للمسبب مقام السبب فإن الفقد سبب للابتغاء • ترجوها • من الله تعالى لتعطيهم وكان النبي صلعم
إذا سئل شيئاً وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياءً فأمر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا تعتريهم الوحشة
بسكوته عنهم • فقل لهم قولاً ميسوراً • سهلاً ليناً وعدهم وعداً جميلاً من يسر الأمر نحو سعد أو قل لهم رزقنا الله
وإياكم من فضله على أنه دعاء ييسر عليهم فقرهم • ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط • تمثيلان
لمنع الشحيح وإسراف المبذر زجراً لهما عنهما وحملاً على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي قصد الأمور ذميم وحيث كان قبح الشح
مقارناً له معلوماً من أول الأمر روعي ذلك في التصوير بأقبح الصور ولما كان غائلة الإسراف في آخره بيّن قبحه في أثره فقيل
• فتقعد ملوماً • أي فتصير ملوماً عند الله وعند الناس وعند نفسك إذا احتجت وندمت على ما فعلت • محسوراً • نادماً أو منقطعاً
بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه وما قيل من أنه روي عن جابر رحمه الله أنه قال بينا رسول الله صلعم قاعد إذ أتاه
صبي فقال إن أمي تستكسيك درعاً فقال عم من ساعة إلى ساعة فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت له قل إن أمي
تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عرياناً وأذن بلال وانتظروا
فلم يخرج للصلوة فنزلت فيأباه أن السورة مكية خلا آيات في أواخرها وكذا ما قيل أنه عم أعطى الأقرع بن حابس
مائة من الإبل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فأنشأ يقول أتجعل نهبي ونهب العبيد
بين عيينة والأقرع • وما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس في مجمع • وما كنت دون امرئ منهما • ومن تضع
اليوم لا يرفع • فقال عم يا أبا بكر اقطع لسانه عني أعطه مائة من الإبل وكانوا جميعاً من المؤلفة القلوب فنزلت
• إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • تعليل لما مر أي يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما يتعلق
به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الإضافة التي تحوجك إلى الإعراض عن السائلين أو نحو ذلك فإن في
يدك أو بسطتها كل البسط المستتبع لحسرتك • إنه كان بعباده خبيراً بصيراً • تعليل لما سبق أي يعلم سرهم وعلنهم
فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد أن البسط والقبض من أمر الله العالم بالسرائر والظواهر
الذي بيده خزائن السموات والأرض وأما العباد فعليهم أن يقتصدوا وأن يراد أنه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى
فاستنوا بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يراد أنه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته
فلا تبسطوا على من قدر عليه رزقه وأن يكون تمهيداً لقوله • ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق • أي مخافة فقر
وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك • نحن نرزقهم وإياكم • لا أنتم فلا تخافوا الفاقة بناء
على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي المذكور بإبطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الأولاد
على المخاطبين على عكس ما وقع في سورة الأنعام للإشعار بأصالتهم في إفاضة الرزق أو لأن الباعث على القتل
هناك الإملاق الناجز ولذلك قيل من إملاق وههنا الإملاق المتوقع ولذلك قيل خشية إملاق فكأنه قيل نرزقهم

من غير ان ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ● ان قتلهم كان خطئا كبيرا
تعليل آخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطء الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كأثم اثما وقرئ بالفتح
والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها ممدودا وبفتحها
وحذف الهمزة وبكسرها كذلك ● ولا تقربوا الزنا ● بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهي عن
قربانه على خلاف ما سبق ومن مع ان قتل الاولاد للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى مباشرته وتوسيط النهي
عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب
فان من لم يثبت نسبه ميت حكما ● انه كان فاحشة ● فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد ● وساء سبيلا ●
اي بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبي
صلعم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عم لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضه انه قال عم اياكم والزنى فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث
في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التي في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب
والخلود في النار ● ولا تقتلوا النفس التي حرم الله ● قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد ● الا بالحق ● الا
باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اي لا تقتلوها بسبب
من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين او ملتبسة بشيء من الاشياء الا بالحق ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف
اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق ● ومن قتل مظلوما ● بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا
يعتبر اباحته بغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولي
انا امرته بذلك ما لم يكن الامر ظاهرا ● فقد جعلنا لوليه ● لمن يلي امره من الوارث والسلطان عند عدم الوارث
● سلطانا ● تسلطا واستيلاء على القاتل يؤاخذه بالقصاص او بالدية حسبما تقتضيه جنايته او حجة غالبة ● فلا يسرف
وقرئ فلا تسرف ● في القتل ● اي لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل
غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل مع اداء الدية و
وقرئ بصيغة النفي مبالغة في افادة معنى النهي ● انه كان ● والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية
وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يستزد عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما
على معنى انه تعالى نصره بما ذكر فلا يسرف وليه في شأنه او للذي يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن
مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضمير ان في التعليل عائد الى الولي او المقتول فالمراد
بالاسراف حينئذ اسراف القاتل على نفسه في شأن القتل كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ● و
لا تقربوا مال اليتيم ● نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضائه الى اكله والتوسل الى
الاستثناء بتعويضه ● الا بالتي هي احسن ● اي الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال والطرق
وهي حفظه واستثماره ● حتى يبلغ اشده ● غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء
لا للوجه المذكور فقط ● واوفوا بالعهد ● سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين غيركم من الناس والايفاء

بالعهد

بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه لا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كايفاء
الكيل والوزن ● ان العهد ● اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشأنه او لان المراد مطلق العهد
المنتظم للعهد المعهود ● كان مسؤولا ● اي مسؤولا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في
اسم المفعول كقوله تعالى ذلك يوم مشهود ونظيره ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان صلة الحكيم
قائمة مقام الحذف وجعل الضمير مستكنا في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كأنه قيل للعهد لم نكثت وهلا
وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ● واوفوا الكيل ● اي اتموه ولا تخسروه ● اذا كلتم ● اي
وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى
الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية ● وزنوا بالقسطاس ● هو القرسطون وقيل
كل ميزان صغيرا كان او كبيرا رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية
وقرئ بضم القاف ● المستقيم ● اي العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان
عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل
عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا في قوله تعالى اوفوا المكيال والميزان
بالقسط ● ذلك ● اي ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوي ● خير ● في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل
بين الناس ● واحسن تأويلا ● عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ● ولا تقف ● ولا تتبع من قفا اثره
اي تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اي قفاه ومنه القافة جمع القائف ● ما ليس لك به علم ● اي لا تكن في اتباع
ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه
ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر
شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عم من قفا مؤمنا بما ليس
فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج ومنه قول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن
ان قفينا ● ان السمع والبصر والفؤاد ● وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء ● كل اولئك
اي كل واحد من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا
وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام ● كان عنه مسؤولا ● اي كان كل من تلك الاعضاء مسؤولا
عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافي بطريق الالتفات
اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤولا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسؤولا معللا بان الجار و
المجرور لا يلتبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع
على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل اذا كان جارا ومجرورا فجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة
التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكر في قوله تعالى يوم مشهود وجوز ان يكون مسؤولا مسندا
الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب وسأل ابن جني ابا علي

عن قولهم فيك يُرغب وقال الأبهري تعلق بما بعده ما بعد المرفوع فقال المصدر أي فيك يرغب الرغبة بمعنى تفعل
الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع أي يفعل الإعطاء والمنع وجوّزوا أن يكون اسم كان أو ما عليه ضمير كل بحذف المضاف
أي كان صاحبه عنه مسؤولا أو مسؤولا صاحبه ﴿ولا تمش في الأرض﴾ التقييد لزيادة التقرير والإشعار بأن المشي
عليها مما لا يليق بالمرح ﴿مرحا﴾ أي ذا مرح وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال أي ذا مرح أو تمرح مرحا أو لأجل
المرح وقرئ بالكسر ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وإيذان بأن ذلك مفاخرة مع الأرض
وتكبر عليها أي لن تخرق الأرض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء ﴿ولن تبلغ الجبال﴾ التي هي بعض
أجزاء الأرض ﴿طولا﴾ حتى يمكن لك أن تتكبر عليها إذ التكبر إنما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود
وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع رأسه ومشيه على صدور قدميه ﴿كل ذلك﴾ إشارة إلى ما علم في تضاعيف ما ذكر
من الأوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين ﴿كان سيئه﴾ الذي نهي عنه وهي اثنتا عشرة خصلة ﴿عند ربك مكروها﴾
مبغضا غير مرضي أو غير مراد بالإرادة الأولية لا غير مراد مطلقا لقيام القاطعة على أن جميع الأشياء واقعة بإرادته سبحانه وهو
تتمة لتعليل الأمور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع أن البعض من الكبائر للإيذان بأن مجرد الكراهة عنده
تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الإشارة إلى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها إليه ابتداء لما أن البعض المذكور
ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه إشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وإنما لم يصرح بذلك إيذانا بالغنى عنه وقيل
الإضافة بيانية كما في آية الليل وآية النهار وقرئ سيئة على أنه خبر كان وذلك إشارة إلى ما نهي عنه من الأمور المذكورة ومكروها بدل
من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى فإنه بمعنى سيئا وقد قرئ به أو جرى على موصوف مذكر أي أمرا مكروها أو مجرى مجرى الأسماء
زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان أو في الظرف على أنه صفة سيئة وقرئ شأنه ﴿ذلك﴾ أي الذي
تقدم من التكاليف المفصلة ﴿مما أوحى إليك ربك﴾ أي بعض منه أو من جنسه ﴿من الحكمة﴾ التي هي علم الشرائع
أو معرفة الحق لذاته والخير للعمل به أو من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه
الآيات الثماني عشرة كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها لا تجعل مع الله إلها آخر قال تعالى وكتبنا له في الألواح من كل
شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ومن إما متعلقة بأوحى على أنها تبعيضية أو ابتدائية وإما بمحذوف وقع حالا من
الموصول أو من ضميره المحذوف في الصلة أي كائنا من الحكمة أو هي بدل من الموصول أو من ضميره المحذوف في الصلة بإعادة
الجار ﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر﴾ الخطاب للرسول صلعم والمراد به غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد
كرر للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه وأنه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه علومه وحكمه وإن
بذ فيها أساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الإشراك أولا حيث قيل فتقعد مذموما
مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجته في العقبى فقيل ﴿فتلقى في جهنم ملوما﴾ من جهة نفسك ومن جهة غيرك ﴿مدحورا﴾ مبعدا من رحمة الله
تعالى وفي إيراد الإلقاء مبنيا للمفعول جريا على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة يأخذها
آخذ بكفه فيطرحها في التنور ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا﴾ خطاب للقائلين بأن الملائكة
بنات الله سبحانه والإصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يفيده المذكور أي أفضلكم
على جنابه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته على أخسها وأدناها كما في قوله سبحانه ألكم الذكر وله الأنثى

وقوله تعالى أم له البنات ولكم البنون وقد قصد ههنا التعرض لعنوان الربوبية تشديدا للنكير وتأكيدا وأشير بذكر
الملائكة عليهم السلام وإيراد الإناث مكان البنات إلى كفرة لهم أخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالأنوثة التي هي أخس صفات
الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴿إنكم لتقولون﴾ بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو إضافة
الولد إليه سبحانه ﴿قولا عظيما﴾ لا يقادر قدره في استتباع الإثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه أحد حيث
تجعلونه تعالى من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون
إليه ما تكرهون من أخس الأولاد وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف
(…) بالأنوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان فيا لها من ضلالة ما أقبحها وكفرة ما أشنعها وأفظعها ﴿ولقد صرفنا﴾
هذا المعنى وكررناه ﴿في هذا القرآن﴾ على وجوه من التقرير في مواضع منه وإنما ترك الضمير تعويلا على الظهور و
قرئ بالتخفيف ﴿ليذكروا﴾ ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء الحال
أن يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز أن يراد بهذا القرآن ما نطق
ببطلان مقالتهم المذكورة من الآيات الكريمة الواردة على أساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له أو أوقع فيه
التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد جوز أن يراد به إبطال إضافتهم إلى الله سبحانه البنات وأنت تعلم أن إبطالها
من آثار القرآن ونتائجها ﴿وما يزيدهم﴾ أي والحال أنه ما يزيدهم ذلك التصريف ﴿إلا نفورا﴾ عن الحق وإعراضا
عنه فضلا عن التذكر أي معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح ﴿قل﴾ في إظهار بطلان ذلك من جهة أخرى ﴿لو كان
معه﴾ تعالى ﴿آلهة كما تقولون﴾ أي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلعم والكاف في محل النصب
على أنها نعت لمصدر محذوف أي كونا مشابها لما تقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة ﴿إذا لابتغوا﴾
جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو أي لطلبوا ﴿إلى ذي العرش﴾ أي إلى من له الملك والربوبية على الإطلاق
﴿سبيلا﴾ بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله
لفسدتا وقيل بالتقرب إليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة والأول هو الأظهر الأنسب
بقوله سبحانه فإنه صريح في أن المراد بيان أنه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون وأما ابتغاء السبيل إليه تعالى
بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو أمر يعتقدونه رأسا أي تنزه
بذاته تنزها حقيقا به ﴿وتعالى﴾ متباعدا ﴿عما يقولون﴾ من العظيمة التي هي أن يكون معه آلهة وأن يكون له تعالى
﴿علوا﴾ تعاليا كقوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا ﴿كبيرا﴾ لا غاية وراءه كيف لا وأنه سبحانه في أقصى غايات
الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من أن له تعالى شركاء وأولادا في أبعد مراتب العدم أعني الامتناع لا لأنه تعالى
في أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فإنه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما
قيل فإن ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وأن يكون معه آلهة ولا ريب في أن ذلك بداخل في حد
الإمكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من أدنى مراتب الوجود إنما هو بالنسبة إلى من شأنه ذلك
﴿تسبح﴾ بالفوقانية وقرئ بالتحتانية ﴿له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ من الملائكة و
الثقلين على أن المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز ﴿وإن من شيء﴾

من الأشياء حيوانا كان أو نباتا أو جمادا إلا يسبح ملتبسا بحمده أي ينزهه تعالى عما لا يليق بذاته الأقدس من لوازم
الإمكان ولواحق الحدوث إذ ما من موجود إلا وهو بإمكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على أن له صانعا عليما قادرا
حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك
وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل إنه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أنتم عليه من موجباتها
من الإعراض عن التدبر في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والإشراك غفورا لمن تاب
منكم وإذا قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم إلى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك
من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة أوثر الموصول على المضمر ذما لهم بما في حيز الصلة وإيذانا بأن ذلك من ... سائر ما كفروا به من التوحيد
ونحوه دلالة على أنها معظم ما أمروا بالإيمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من إنكار البعث واستعجاله
ونحو ذلك حجابا يحجبهم من أن يدركوك على ما أنت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوه
العظيمة التي هي قولهم إن تتبعون إلا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أنه لما نزلت
سورة تبت أقبلت العوراء أم جميل امرأة أبي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه
أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال عليه السلام إنها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت
على أبي بكر رضي الله عنه ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر
كما في قولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس بمعنى غير حسي أو مستورا في نفسه بحجاب آخر أو مستورا كونه حجابا حيث لا
يدرون أنهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم أكنة أغطية كثيرة جمع كنان أن يفقهوه مفعول لأجله أي كراهة
أن يفقهوه أو مفعول لما دل عليه أي منعناهم أن يفقهوه على كنهه ويعرفوا أنه من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا
صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم
عن فهم القرآن الكريم ومج أسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال إثر بيان عدم فقههم
لتسبيح لسان الحال إيذانا بأن هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه إلا لمانع قوي يعتري المشاعر
فيبطلها وتنبيها على أن حالهم هذا أقبح من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه
وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك إنما هو الإخبار بما اعتقدوه في حق القرآن
والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اشتمالهما على ما ينفر عنه من التصديق والإيمان من كون القرآن سحرا أو شعرا
وأساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الإخبار بأن هناك أمرا وراء ما أدركوه قد حال بينهم وبين إدراكه
حائل من قبلهم ولا ريب في أن ذلك المعنى مما لا يكاد يلائم المقام وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا
غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال أصله يحد وحده ولوا على أدبارهم أي هربوا ونفروا
نفورا أو ولوا نافرين نحن أعلم بما يستمعون به ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن
يروى أنه كان يقوم عن يمينه عليه السلام رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان منهم فيصفقون ويصفرون
ويخلطون عليه بالأشعار إذ يستمعون إليك ظرف لأعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالإخبار بأنه كما يقع

الاستماع

الاستماع المذكور منهم يتعلق به العلم بما يستمعون به من غير تأخر وكذا قوله تعالى وإذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه
بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه
من الأمور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم والأول ظرف يستمعون والثاني يتناجون والمعنى نحن أعلم بما به الاستماع
وقت استماعهم من غير تأخير وبما به التناجي وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف أي ذوو نجوى أو هو
جمع نجي كقتلى جمع قتيل أي متناجون إذ يقول الظالمون بدل من إذ هم وفيه دليل على أن ما يتناجون
به غير ما يستمعون به وإنما وضع الظالمون موضع المضمر إشعارا بأنهم في ذلك ظالمون مجاوزون الحد أي
يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم إن تتبعون ما تتبعون إن وجد منكم الاتباع فرضا أو ما تتبعون باللغو
والهزء إلا رجلا مسحورا أي سحر فجن أو رجلا ذا سحر أي رئة يتنفس أي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا
لك الأمثال أي مثلوك بالساحر والشاعر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة
فلا يستطيعون سبيلا إلى طعن يمكن أن يقبله أحد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه
أحد أو إلى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا أئذا كنا
عظاما ورفاتا استفهام إنكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعد ما آل الحال إلى هذا
المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي أي كان يستحق له الأمر من الظهور بحيث لا يقدر المتطب
على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام
وإذ متمحضة للظرفية وهو الأظهر والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا لمبعوثون لا نفسه لأن ما بعد إن
والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث أو نعاد وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به
فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة
منافية له وتكرير الهمزة في قولهم أئنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بإن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى
يتوهم من ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأي الجمهور
فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل
في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار
البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا
نصب على المصدر من غير لفظه أو الحالية على أن الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريعا لما استبعدوه
كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم أي يعظم عندكم عن قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه
فإنكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الإعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة
قل لهم تحقيقا للحق وإزاحة للاستبعاد وإرشادا لهم إلى طريقة الاستدلال الذي فطركم أي يعيدكم القادر
العظيم الذي فطركم اخترعكم أول مرة من غير مثال يحتذيه ولا أسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة الحياة أليس
الذي يقدر على ذلك فسينغضون إليك رءوسهم أي يحركونها نحوك تعجبا وإنكارا ويقولون استهزاء متى هو
أي ما ذكرته من الإعادة قل لهم عسى أن يكون ذلك قريبا نصب على أنه خبر يكون أو ظرف على أن كان تامة

اي ان تقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عائد الى ما عاد
اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث ان يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى
كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب • يوم يدعوكم • منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او
بيكون تامة بالاتفاق او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير المصدر المستكن في عسى او يكون اعني
البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم فهو
ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار • فتستجيبون • اي يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة ايذانا
بكمال سهولة التأتي وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء • بحمده • حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له حامدين
لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها • وتظنون • عطف على
تستجيبون اي تظنون عندما ترون ما ترون من الامور الهائلة • ان لبثتم • اي ما لبثتم في القبور • الا قليلا •
كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا • وقل لعبادي • اي المؤمنين • يقولوا • عند محاورتهم مع المشركين • التي • اي الكلمة التي
هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن • ان الشيطان ينزغ بينهم • اي يفسد
ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمعاداة والمعاندة فلعل ذلك يؤدي
الى تأكد العناد وتمادي الفساد فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاي • ان الشيطان كان • قديما • للانسان
عدوا مبينا • ظاهر العداوة وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم • ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم • بالتوفيق
للايمان • او ان يشأ يعذبكم • بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة
وما يشاكلها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة الا الله سبحانه فعسى يهديهم
الى الايمان • وما ارسلناك عليهم وكيلا • موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا
فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر
رضي الله تعالى عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلعم فنزلت وقيل
الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله • وربك اعلم بمن في السموات والارض • وبتفاصيل
احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من
يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه
دون ان يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة
وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم • ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض • بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال
والاتباع • وآتينا داود زبورا • بيان لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك بايتاء الزبور لا بايتاء الملك والسلطنة
وفيه ايذان بتفضيل النبي صلعم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعبادي الله الصالحين
في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون في قوله تعالى هو النبي صلعم وامته وتعريف الزبور وتنكيره اخرى اما لانه
في الاصل فعول بمعنى المفعول كالحلوب او مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد ايتاء داود زبورا من الزبر او بعضا

من الزبور

من الزبور فيه ذكره صلعم وقرئ بضم الزاي على انه جمع زبر بمعنى مزبور • قل ادعوا الذين زعمتم • انها آلهة من دونه
تعالى من الملائكة والمسيح وعزير • فلا يملكون • فلا يستطيعون • كشف الضر عنكم • كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك
• ولا تحويلا • اي ولا تحويله الى غيركم • اولئك الذين يدعون • اي اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين
• يبتغون • يطلبون لانفسهم • الى ربهم • ومالك امورهم • الوسيلة • القربة بالطاعة والعبادة • ايهم اقرب • بدل من
فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه او ضمن الابتغاء معنى الحرص
فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة • ويرجون رحمته ويخافون عذابه • [illegible]
كدأب سائر العباد فاين هم من كشف الضر فضلا عن الالهية • ان عذاب ربك كان محذورا • حقيقا بان يحذره
كل احد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام
مقام التحذير من العذاب وان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا • وان من قرية • بيان لتحتم حلول عذابه
بمن لا يحذره اثر بيان انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من
ذلك وكلمة ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار • الا نحن مهلكوها
• اي مخربوها البتة بالخسف او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي
صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس في غيرها من الدلالة على التحقق والتقرر وانما قيل • قبل يوم القيمة •
لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وانما هو لانقضاء عمر الدنيا
• او معذبوها • اي معذبوا اهلها على الاسناد المجازي • عذابا شديدا • لا بالقتل والسبي ونحوهما
من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات الاخروية ايضا حسبما ينفصح عنه
اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية
قد اخرت عقوباتها الى يوم القيمة • كان ذلك • الذي ذكر من الاهلاك والتعذيب • في الكتاب • اي
اللوح المحفوظ • مسطورا • مكتوبا لم يغادر منه شيء الا بين فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته
المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل رحمه الله وجدت في كتب
الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة
بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ
ابو عمرو الداني في كتاب الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية (وارمينية)
آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى
فتحت قسطنطينية على يد رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية
من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش وخراب العراق من الجوع وخراب
الابلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت و
خراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة
وخراب المدينة من قبل الجوع وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلعم قال آخر قرية من قرى الاسلام خرابا المدينة

وقد انزوى التوجيه من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرينة لا يساعده السباق ولا السياق
وما منعنا ان نرسل بالآيات اى الآيات التى اقترحتها قريش من احياء الموتى وقلب الصفا
ذهبا ونحو ذلك الا ان كذب بها الاولون استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى وما منعنا
ارسالها شئ من الاشياء الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كان
بمشيئته المبنية على الحكم البالغة لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب عبر الى اللغو عليه تعالى لكن
تكذيبهم المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم
الاشتراك فى العتو والعناد وافضائه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة فى الجريرة لما كان منافيا للارسال لما
اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعى لاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تاخير عقوبات
هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من ايمان بعض اعقابهم عبر عن ذلك لمشاكلة المنع على نهج
الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادى الارسال لا كما زعموا من عدم ارادته تعالى لتأييده عم بالمعجزات وهو
السر فى ايثار الارسال على الايتاء لما فيه من الاشعار بتداعى الآيات الى النزول لولا ان تمسكها يد التقدير واسناد
هذا المنع الى تكذيب الاولين لا الى علمه بما سيكون من الآخرين كما فى قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم
ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابراز الانموذج وللايذان بان مدار عدم الاجابة اى
مقترحهم ليس الا صنيعهم وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كانه قيل
ما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة
فكذبوها وآتيناهم باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل اى بينة ذات ابصار او بصائر
يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوى بصائر من ابصره جعله بصيرا
وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهى نصب على الحالية وقرئ بالرفع على انها خبر
مبتدا محذوف فظلموا بها فكفروا ظالمين اى لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر او
ظلموا انفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان
لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم ورودا وصدورا او لانها من جهة
انها حيوان اخرج من الحجر اوضح دليل على تحقيق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات
المقترحة الا تخويفا لمن ارسلت هى عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم
يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل للجملة حينئذ من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا اى فظلموا بها
ولم يخافوا عاقبته والحال انا ما نرسل بالآيات التى هى من جملتها الا تخويفا من العذاب الذى يعقبها فنزل ان نزل
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اى علما كما نقله الامام الثعلبى عن ابن عباس رضه فلا يخفى عليه
شئ من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك
الا فتنة للناس الى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجئ بعض الآيات
لاشتراك الكل فى كونها امورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبى صلعم فتكذيبهم بعضها

مستلزم

مستلزم لتكذيب الباقى كما انه تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة والمراد بالرؤيا
ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الارض والسماء حسبما ذكر فى فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك
بالرؤيا اما لانه لا فرق بينها وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل او لان الكفرة قالوا لعلها رؤيا اى وما جعلنا
الرؤيا التى اريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وآية آية حقيقية بان لا يتلعثم فى تصديقها احد ممن له ادنى بصيرة الا
فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة فى القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها
لعن طاعميها على الاسناد المجازى او ابعادها عن الرحمة فانها تنبت فى اصل الجحيم فى ابعد مكان من الرحمة اى
وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها
الشجر ولقد ضلوا ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد
المحماة فلا يضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى فى النار فلا تؤثر فيها ويرون ان
فى كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك ونخوفهم بذلك
وبنظائرها من الآيات فان الكل للتخويف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم
التخويف الا طغيانا كبيرا متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها
وفعل بهم ما فعل باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذى
يستدعيه النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلعم
عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات التى اقترحوها لان انزالها ليس بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة
حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات كما اتى بها موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام
فكانه قيل اذكر وقت قولنا لك ان ربك اللطيف بك قد احاط بالناس فهم فى قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج
من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة الا يرى ان الرؤيا التى اريناك
من قبل جعلناها فتنة للناس مشوشة لهم مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا فى حالك وقد فسر
الاحاطة باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضى مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع و
يولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه فى
اخباره واولت الرؤيا بما عسى رآه عم من مصارعهم لما روى انه عم لما ورد ماء بدر قال والله لكأنى انظر الى
مصارع القوم وهو يومى الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا
منه وبما رآه عم انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية و
اعتذر عن كون ذكر ما ذكر هناك بانه يجوز ان يكون الوحى باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع
واقعين بعد الهجرة وان يكون ازدياد طغيانهم متوقعا غير واقع عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه عليه
السلام فى وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب فى ان تلك
الرؤيا مع وقوع ايا ما فى المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ قلنا للملائكة تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن
الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم

ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ويعلم من حال الملائكة حال غيرهم من
عيسى وعزير عم في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق
ويخالف الامر اى واذكر وقت قولنا للملائكة اسجدوا لآدم تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا
له من غير تلعثم امتثالا بالامر واداء لحقه عليهم الا ابليس وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود قال
اى عندما وبخ بقوله تع يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك ان تسجد اذ امرتك وقوله ما
منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما أشير اليه في سورة الحجر أأسجد وانا مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طينا
نصب على نزع الخافض اى من طين او حال من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او من نفس الموصول اى
أأسجد له واصله طين والتعبير عنه بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اى ابليس لكن لا عقيب
كلامه المحكي بعد الانكار المرتب على استكباره المتفرع على الامر خصوصه من بين الملأ الاعلى بالطعن المؤبد وانما لم
يذكر ذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم بنائه
عليه بل على غيره كما في قوله تع قال فما خطبكم بعد قوله تع قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته و
الثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ
حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اى اخبرني أهذا من
كرمته علي وقيل معنى أرأيتك تأملت كأن المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه عقيبه لئن اخرتن
حيا الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لأحتنكن ذريته اى لأستأصلنهم
من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لأقودنهم حيث ما شئت ولأستولين عليهم استيلاء
قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لأزينن
لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب له تلقيا من جهة الملائكة عم او استنباطا من قولهم
أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او توسما من خلقه الا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم
الله تعالى قال اذهب اى امض لشأنك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه
فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اى جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية
جزاء موفورا اى جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اى وفر وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله
فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز اى استخف
من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اى صح عليهم من الجلبة
وهي الصياح بخيلك ورجلك اى باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العيث والفساد فعن
ابن عباس رضي ومجاهد وقتادة رحمهم الله ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية
الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تع فهو رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه
قوله صلعم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على انه

فعيل بمعنى فاعل كتعب وتاعب ونجمة مثل حدث وحدث وندس وندس ونظائرهما اى جمعك الراجل ليطابق الخيل وقرئ
ورجالك ورجالك في مجاز تمثيل استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيل لتسلطه على من يغويه فكأنه مغوار
اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم
وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث
على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة و
الحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة
بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات الى الغيبة
لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور
وهو تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه من التعظيم ما ليس
فيهم وان الاضافة لثبوت الحكم في قوله تع انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك
وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة
والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي
يزجي لكم الفلك في البحر مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اى هو القادر الحكيم الذي يسوق لكم
الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن
مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد للذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله
تع فلا يملكون الآية انه كان بكم ازلا وابدا رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه
وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية
والنعمة العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون
اى ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملائكة والمسيح او غيرهم الا اياه وحده من غير ان
يخطر ببالكم احد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا او استراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم
يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد
او اتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق من الاعراض أفأمنتم الهمزة
للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم ان يخسف بكم جانب البر الذي هو مأمنكم اى يقلبه
ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على ان الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته
سبحانه وتعالى وقهره وسلطانه سواء وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا
ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك ويصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام
امنتم ان يعيدكم فيه في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم
فيه تارة اخرى واسناد الاعادة اليه تع مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك
وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر

ذو قرئ بالنون ● قاصفا من الريح ● وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت
الشديد كانها تتقصف اي تتكسر ● فيغرقكم ● بعد نشر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصيف وقرئ بالنون وبالتاء على
اسناده الى ضمير الريح ● بما كفرتم ● بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ● ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ● اي ثائرا
يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا كقوله سبحانه ولا يخاف عقباها ● ولقد كرمنا بني آدم
قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض
والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس
رضي الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القرد
له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده ● وحملناهم
في البر والبحر ● على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل
حملناهم فيهما حيث لم نخسف بهم الارض ولم نغرقهم الماء وانت خبير بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات
كذلك ● ورزقناهم من الطيبات ● اي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم ● وفضلناهم
في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح
● على كثير ممن خلقنا ● وهم من عدا الملائكة عليهم السلام ● تفضيلا ● عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا
يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى
تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملائكة الا على الذين هم العقول المحضة وانما استثني جنس الملائكة من هذا التفضيل
لان علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى المتنازع فيه فان المراد هنا بيان
التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة
عند الله سبحانه ان قيل اي حاجة الى التعيين بعد التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة
من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراده عليهم فلا بد من تعيينه البتة اذ
ليس من الافراد العاجزة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما سوى المتنازع فيه اصلا بل هم ادنى من
كل دني حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ● ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا ● يوم ندعو ● نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ
بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افعى افعو وقد جوز كون الواو
علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست
الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى ● كل اناس ● من بني آدم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم
والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الآخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا ● بامامهم ● اي
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير
يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل
كتاب كذا وقيل الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسنين رضي الله

عنهما والستر على اولاد الزنا ● فمن اوتي ● يومئذ من اولئك المدعوين ● كتابه ● صحيفة اعماله ● بيمينه ● اي بامانة
لخطر الكتاب المؤتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه ● فاولئك ● اشارة الى من باعتبار
معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على شأن جليل واشعارا بان قراءتهم لكتبهم يكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما
في حال الابتداء وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك الكرامة التي يشعر بها
الابتداء المذكور ● يقرؤون كتابهم ● الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه من الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات
● ولا يظلمون ● اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة ● فتيلا ● اي قدر فتيل وهي القشرة
التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في القلة والحقارة ● ومن كان ● من المدعوين المذكورين ● في هذه
الدنيا ● التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم والتفضيل ● اعمى ● فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اولاه
من نعمة التكرمة والتفضيل فضلا عن شكرها واداء حقوقها ولا يستعمل ما اودع فيه من العقول والقوى فيما
خلقن له من العلوم والمعارف الحقة ● فهو في الآخرة ● التي عبر عنها بيوم ندعو ● اعمى ● كذلك اي لا يهتدي الى ما ينجيه
ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الآخرة اشد من
عماه في الدنيا ولذلك قرأه ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما ● واضل سبيلا ● اي من الاعمى لزوال الاستعداد
الممكن وتعطل الآلات بالكلية وهذا هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل
العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة
الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله عز وجل واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله تعالى فاما ان كان
من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الآخر السبب ودل بالمذكور
في كل منهما على المتروك في الآخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ● وان كادوا ليفتنونك ● نزلت في ثقيف اذ قالوا
للنبي صلعم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا
لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فاذا
قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل في قريش حين قالوا اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب
آية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا فان المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي
هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية اي ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك
فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا ● لتفتري علينا غيره ● لتقول علينا
غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف وقريش حسبما نقل ● واذا لاتخذوك خليلا ● اي لو اتبعت اهواءهم
لكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ● ولولا ان ثبتناك ● على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك ● لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا ● من الركون الذي هو ادنى ميل اي لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا
من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون
اليهم فضلا عن نفس الركون وهو صريح في انه ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق

الا بتوفيقي وعنايتي • اذن • لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة • لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات •
اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل
الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات
عذاب القبر • ثم لا تجد لك علينا نصيرا • يدفع عنك العذاب • وان كادوا • الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة
ليستفزونك • اي ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم • من الارض • اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة • ليخرجوك
منها واذن لا يلبثون • بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذن على ان الجملة معطوفة على جملة
وان كادوا ليستفزونك • خلافك • اي بعدك قال خلت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
اي ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ خلفك • الا قليلا • الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا
ببدر بعد هجرته عليه السلام وقيل نزلت الآية في اليهود حسدوا مقام النبي صلعم بالمدينة فقالوا الشام
مقام الانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة
فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل • سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا •
نصب على المصدرية اي سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم فالسنة
لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل • ولا تجد لسنتنا تحويلا •
تغييرا • اقم الصلوة لدلوك الشمس • لزوالها كما ينبئ عنه قوله عم اتاني جبرئيل عم لدلوك الشمس حين زالت
فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي
غربت وقيل اصل الدلوك الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتاقيت مثلها في قولك لثلث خلون • الى
غسق الليل • الى اجتماع ظلمته وهو وقت صلوة العشاء وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار
بل اقامة كل صلوة في وقتها الذي عين لها ببيان جبرئيل عم كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى بيانه
عليه السلام ولعل الاكتفاء ببيان المبدا والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان
فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشاء والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما
بالنوم ينقطع احدهما عن الاخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب
والتحديد المذكور بيان لمبدائه ومنتهاه واستدل به على امتداد وقته الى غروب الشفق • وقرآن
الفجر • اي صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قاله الزجاج وانما سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت
ركوعا وسجودا واستدل به على الركنية ولكن لا دلالة له عليها لجواز كون مدار التجوز كون القراءة
مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة
ويجوز ان يكون وقراءة الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر • ان قرآن الفجر • اظهر في مقام الاضمار اعانة
لمزيد الاهتمام • كان مشهودا • تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة
بالضياء والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير

فالآية على

فالآية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر
ومن الليل • قيل هو نصب على الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغري به حرفا ولا يجدي تعلقه كون
معناها التبعيض على ان واو مع ليست الا بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو منصوب على الظرف فيه بمعنى
اي قم بعض الليل • فتهجد به • اي ازل واترك الهجود اي النوم فان صيغة التفعل تجيء للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم
ونظائرها والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بعينه اضافة الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله من الليل اي تهجد في ذلك
البعض على ان الباء بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقرآن بعض الليل على طريقة واما في فارسيون • نافلة لك •
فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تأخير ذكرها عن ذكر صلوة
الفجر مع تقدم وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له صلعم في الدرجات
على ما قال مجاهد والسدي رحمهما الله فانه عم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه زيادة
في درجاته بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها
اما على المصدرية بتقدير التنفل او جعل تهجد بمعناه او بجعلها فلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة واما على الحالية
من الضمير الراجع الى القرآن اي حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعلنا بمعنى صل وجعل
الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك • عسى ان يبعثك ربك • الذي يبلغك الى كمالك اللائق
بك من بعد الموت الاكبر كما انبعث من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة • مقاما •
نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في مثل
هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام •
محمودا • عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى ابو هريرة رضي ان رسول الله
صلعم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس رضي مقاما يحمدك فيه الاولون و
الاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن
حذيفة رضي يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلعم فيقول لبيك وسعديك والشر
ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت
سبحانك رب البيت • وقل رب ادخلني • اي في القبر • مدخل صدق • اي ادخالا مرضيا • واخرجني • اي
منه عند البعث • مخرج صدق • اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة فهو تعقيب للدعاء بما وعده من البعث المقرون
بالاقامة المحمودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتعيين ثنا الوجود لكون
الادخال هو المقصود وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار
واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله
في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا
واخرجني فاخرج خروجا كقوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحتا او مجلف
اي لم يدع فلم يبق • واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا • حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا

ينصر الاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس • الا ان
حزب الله هم الغالبون • ليظهره على الدين كله • ليستخلفنهم في الارض • وقل جاء الحق • اي الاسلام والوحي الثابت
الراسخ • وزهق الباطل • اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات من زهق روحه اذا خرج • ان
الباطل كان زهوقا • كائنا ما كان • كان زهوقا • اي شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء
بالسلطان النصير الذي تمنى عن ابن مسعود رضي الله عنه دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما
فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها
وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره • وننزل من القرآن • وقرئ
وننزل بالتخفيف • ما هو شفاء • لما في الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام • ورحمة للمؤمنين
به العالمين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن بيانية
على المختار فان كل القرآن كذلك وعن النبي صلعم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله او تبعيضية لكن
بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدواء
الشافي للمصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال غير متقدم ولا متأخر فكل بعض منه متصف
بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله ويحتمل التبعيض باعتبار الشفاء الاكلي كما في الفاتحة وآيات الشفاء
لا يساعده قوله سبحانه • ولا يزيد الظالمين الا خسارا • اي لا يزيد هذا القرآن كله او كل بعض منه الكافرين
المكذبين به الموصوفين بالشفاء حتى يجعل موضعها من كونه في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا لكفرهم
وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من امراض الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المبني
على حصول بعض مبادي الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب
بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وضلالا الى ان ما بالمؤمنين من الشبهة والشكوك المعترية لهم
في اثناء الاعتقاد والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد
الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب
من امره حيث يكون مدار الشفاء والهلاك • واذا انعمنا على الانسان • بالصحة والنعمة • اعرض • عن ذكرنا
فضلا عن القيام بموجب الشكر • ونأى • تباعد عن طاعتنا • بجانبه • اي بالجانب الملوي عن الشيء عطفه
وتوليه عرض وجهه فهو تأكيد للاعراض وعبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين • واذا مسه الشر
من فقر او مرض او نازلة من النوازل وفي اسناد المس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان
الخير مراد بالذات والشر ليس كذلك • كان يؤوسا • شديد اليأس من روح الله وهذا وصف للجنس باعتبار بعض
افراده ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فان ذلك شان
بعض منهم وقيل هو الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال راء في رأى او على انه بمعنى نهض
قل كل • اي كل واحد منكم وممن هو على خلافكم • يعمل على شاكلته • طريقته التي تشاكل حاله في الهدى
والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه • فربكم • الذي برأكم على هذه الطبائع المختلفة • اعلم

بمن هو

بمن هو اهدى سبيلا • اي اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين • ويسألونك
عن الروح • الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدأ حيوته روي ان اليهود
قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت
فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في
التورية • قل الروح • اظهر في مقام الاضمار اظهارا لكمال الاعتناء بشانه • من امر ربي • كلمة من بيانية
والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا
يخفى كما في الاضافة الى ضميره من تشريف المضاف اليه وهو من جنس ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية
التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر • وما اوتيتم من العلم الا قليلا • لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلعم
لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب قال عم بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية
وانما قالوا ذلك لركاكة عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينبط به
المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه قليل وان كان خيرا كثيرا في نفسه و
بالنسبة الى الانسان او سوى من الابداعيات الكائنة بمحض الامر التكويني من غير تحقق من مادة وتولد
من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه والمعنى انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من
قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة التكوين سواء كان
الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما
يمكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثنى بقوله عز وعلا • وما اوتيتم من العلم الا قليلا • اي الا علما قليلا
تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله التي يدور عليها معرفة
ذاته وربما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كائن بتكوينه حادث
باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملائمته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان قلة علمهم فانهم سألوا عنه مما
يعني به علمهم حينئذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل عم وقيل
القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر • ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا
من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها وثبتناك عليه حين كادوا
يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشأنه ووصفا له بما في حيز
الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر بانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم و
لنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الذهاب به
المحو عن المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن مسعود رضه ان اول ما تفقدون من دينكم
الامانة وآخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن يصبحون يوما وما فيكم منه شيء

فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءكم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح
الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب • ثم لا تجد لك به • اي بالقرآن علينا وكيلا • من يتوكل
علينا استرداده محفوظا • الا رحمة من ربك • فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا
في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها
• ان فضله كان عليك كبيرا • كارسالك وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك • قل للذين
لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شأنه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر • لئن اجتمعت
الانس والجن • اي اتفقوا • على ان ياتوا بمثل هذا القرآن • المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت
الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من التوقع منهما لا من غيرهما
لان غيرهما قادر على المعارضة • لا ياتون بمثله • اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا
عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا ياتون بكلام مماثل له فيما ذكر من
الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البلاغة في البيان وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام
الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير
وان اتاه خليل يوم مسالة • يقول لا غائب مالي ولا حرم • وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل
القرآن مطلق الاتفاق على ذلك كان التحدي للمعارضة مع كل واحد منهم على الانفراد ومن المجموع
بان يتناولوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد الانظار قيل • ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا • اي
في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف على مقدر اي لا ياتون بمثله لو لم يكن بعضهم لبعض ظهيرا
ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان
الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان
ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا ياتون
بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم
الفارغة في روم تبديل بعض آياته ببعض ولا مساغ لكون الآية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك
به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرره نفي ما دونه
لا نفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد غير مرتفع مما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة
الى النبي صلعم بل الى المكابرين من قبله عم • ولقد صرفنا • رددنا وكررنا على انحاء مختلفة
توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمئنان • للناس في هذا القرآن • المنعوت بما ذكر من
النعوت الفاضلة • من كل مثل • من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس كالمثل
ليتلقوه بالقبول • فابى اكثر الناس • اوثر الاظهار على الاضمار تاكيدا وتوضيحا • الا كفورا • اي الا
جحودا وانما صح الاستثناء من الموجب لانه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم

الا كفورا

الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من
الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء • وقالوا • عند ظهور
عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده
ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج • لن نؤمن لك حتى تفجر • وقرئ بالتشديد
لنا من الارض • اي ارض مكة • ينبوعا • عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر
• او تكون لك جنة • اي بستان يستر اشجاره ما تحتها من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار • اي تجريها
بقوة • خلالها تفجيرا • كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء
لا ابتداؤه • او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا • جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون
كسدرة وسدر وهي حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا
مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء • او تاتي بالله والملائكة قبيلا • اي
مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالة هذه عليها
اي والملائكة قبلاء كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب • او جماعة فيكون حالا من الملائكة
• او ترقى في السماء • اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة • ولن نؤمن لرقيك
اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها • حتى تنزل علينا كتابا • فيه تصديقك
• نقرؤه • نحن من غير ان نتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن
لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتي معك بصك منشور معه اربعة
من الملائكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات الا العناد
واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الآيات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض
ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال • قل سبحان ربي • تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما
لا يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك ذلك وتنبيها
على بطلان ما قالوه • وقرئ قال سبحان ربي • هل كنت الا بشرا • لا ملكا حتى يتصور مني الرقي
في السماء • رسولا • مامورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كسائر الرسل
وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات
اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه بشيء منها وقوله بشرا خبر كنت ورسولا صفته • وما منع
الناس • اي الذين حكيت اباطيلهم • ان يؤمنوا • مفعول ثان لمنع وقوله • اذ جاءهم الهدى •
اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان
يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك او ما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجيئه • الا ان قالوا • في محل الرفع على انه فاعل
منع اي الا قولهم • ابعث الله بشرا رسولا • منكرين ان يكون رسول الله من جنس البشر وليس المراد ان هذا
القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم

و

وانما عبّر عنه بالقول ايذاناً بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع
من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لانه هو المانع بحسب الحال اي عند سماع الجواب
بقوله تعالى هل كنت الا بشراً رسولا اذ هو الذي يتشبثون به حينئذ من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من
شبهاتهم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى الجواب المذكور مع كونه حاسماً لمواد شبههم
ملجئاً لهم الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعاً منه • قل لهم اولاً من قبلنا تبييناً وتحقيقاً للحق المزيح للريب
لو كان • اي لو وجد واستقر في الارض بدل البشر • ملائكة يمشون مطمئنين • قارّين فيها من غير ان
يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب ان يعلم • لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا • يهديهم الى الحق ويرشدهم
الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف و
هي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع
وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين
بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله ملكاً يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان
يكون موصوفاً به وكذلك بشراً في قوله تعالى ابعث الله بشراً رسولا والاول اوفق • قل لهم ثانياً من جهتك
بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه رأساً • كفى بالله
وحده • شهيداً • على اني اديت ما عليّ من مواجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب و
العناد وتوجيه الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله
بيني وبينكم وما بعده من التعليل وانما لم يقل بيننا تحقيقاً للمفارقة وابانة للمباينة وشهيداً اما حال او
تمييز • انه كان بعباده • من الرسل والمرسل اليهم • خبيراً بصيراً • محيطاً بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم
على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلعم وتهديد للكفار • ومن يهد الله • كلام مبتدأ غير
منفصل عما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى
الحق بما جاء من قبله من الهدى • فهو المهتدي • الى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب
ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين • فلن تجد لهم • [illegible]
اعتبار المعنى من غير ... في مقابلة الافراد نظراً الى لفظها تلويحاً بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه
وتعدد سبل الضلال وكثرة الضلال • اولياء من دونه • من دون الله تعالى اي انصاراً يهدونهم الى
طريق الحق او الى طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية او الاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي
يستدعيه ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد
الى الآحاد • ونحشرهم • التفات من الغيبة الى التكلم ايذاناً بكمال الاعتناء بامر الحشر • يوم القيامة على
وجوههم • حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحباً كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم
او مشياً فقد روي انه قيل لرسول الله صلعم كيف يمشون على وجوههم • عمياً • حال من الضمير المجرور في
الحال السابقة • وبكماً وصماً • لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم

لما قد كانوا

لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب من الموقف الى النار موفى القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم
فان ادراكاتهم بهذه المشاعر في بعض المواطن مما لا ريب فيه • مأواهم جهنم • اما حال او استئناف
وكذا قوله تعالى • كلما خبت زدناهم سعيراً • اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق
فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقداً بان بدلناهم جلوداً غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل
ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عياناً حيث لم يعلموها برهاناً
كما يفصح عنه قوله تعالى • ذلك • اي ذلك العذاب • جزاؤهم بانهم • اي بسبب انهم • كفروا بآياتنا • العقلية
والنقلية الدالة على صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره والجملة خبر لذلك وان
يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بياناً له والخبر هو الظرف • وقالوا • منكرين اشد الانكار • ائذا كنا عظاماً
ورفاتاً ائنا لمبعوثون خلقاً جديداً • اما مصدر مؤكد من غير لفظه اي لمبعوثون بعثاً جديداً واما حال اي
مخلوقين مستأنفين • اولم يروا • اي الم يتفكروا ولم يعلموا • ان الله الذي خلق السموات والارض •
من غير مادة مع عظمها • قادر على ان يخلق مثلهم • في الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر
عنها بذلك حيث قيل خلقاً جديداً • وجعل لهم اجلا لا ريب فيه • عطف على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا و
المعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم
اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة • فابى الظالمون • وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة
الا كفوراً • اي جحوداً • قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي • خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات
وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على
الاختصاص • اذاً لامسكتم • لبخلتم • خشية الانفاق • مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا
احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فاذن هو بخيل بالاضافة الى
جود الله سبحانه • وكان الانسان قتوراً • مبالغاً في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه
وملاحظة العوض فيما يبذله • ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات • واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما
جاء به من عند الله وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص
الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة و
يأباه ان هذه الثلاث لم تكن نزلت اذ ذاك وان الاوليين لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما
بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهودياً سأل النبي صلعم فقال ان لا تشركوا به شيئاً
ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا
ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
في السبت فقبّل اليهودي يده ورجله وعلى هذا ايضاً ما ذكر ولعل جوابه عم بذلك لما انه المهم للسائل
وقبوله لما انه كان في التورية مسطوراً وقد علم انه ما علم رسول الله الا من جهة الوحي فاسأل بني اسرائيل

او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله صلعم على صيغة الماضي وقيل الخطاب
لموسى عم اي فاسألهم عن تلك الايات ليزداد يقينا وطمأنينة او ليظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا
او بسال على القراءة المذكورة او بآتينا او بمضمر مثل خبرك او اذكر على تقدير كون الخطاب للرسول صلعم فقال له
فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الايات البينات وبلغ له ما ارسل به فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الايات التي اظهرتها
الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والتعرض لربوبيته تعالى لهما للايذان بانه لا يقدر على
ايجاد مثل هاتيك الايات العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الايات اي بينات مكشوفات
تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة ذلك العلم العلم بانه
عم على كمال حصافة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمتُ على صيغة التكلم اي لقد علمت يقينا ان
هذه الايات الباهرة انزل الله عز سلطانه فكيف تتوهم ان يحوم حولي سحر واني لاظنك يا فرعون
مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا ولقد قارع
عم ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك مبين وظنه عم يحوم حول اليقين فاراد اي فرعون
ان يستفزهم اي يستخفهم وينزعجهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كما يستقتل
ابناءهم ويستحيي نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق
وقلنا من بعده من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد
الاخرة الكرة الاخرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة اي قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين
اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه
وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي
اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا من
تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا
للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثته عم اثر تحقيق حقية انزال
القرآن وقرآنا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد دلالة على كثرة
نجومه لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح
وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويتبع من الحوادث والواقعات
قل للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين
اوتوا العلم من قبله اي العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي
وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمبطل والمحق او رأوا فيها نعتك
ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اي القرآن عليهم يخرون للاذقان اي يسقطون على وجوههم
سجدا لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة

قبائل شتى

على كمال

كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله
فخر صريعا لليدين وللفم وهو تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة اي ان لم تؤمنوا
به فقد آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلعم
كأنه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم سبحان
ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة واللام
فارقة اي ان الشأن هذا ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان الاول
لتعظيم امر الله او الشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية
الله ويزيدهم اي القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع
المشركون رسول الله صلعم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الها آخر وقالت
اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين
بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى
الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير
والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية
له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن وحسن جميع اسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين و
كونها حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلاتك اي
بقراءة صلاتك بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها وابتغ بين ذلك اي بين الجهر و
المخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا فان خير الامور اوساطها والتعبير عن ذلك بالسبيل
باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان
يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رض كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان
فلما نزلت امر رسول الله ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت
بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها
منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما يزعم اليهود والنصارى
وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن
له ولي من الذل ناصر ومانع منه لاعزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها به وفي التعرض
في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال
والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم
عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في الطاعة
والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور في ذلك روي انه عم كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه

ولا تخافت بها

ولم يكن له شريك في الملك

صلى الله من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار
الف اوقية ومائتا اوقية والحمد لله سبحانه وله الكبرياء والعظمة والجبروت سورة الكهف مكية قال
ابن عباس رضي الله عنهما غير اية وهي مائة وعشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلعم الكتاب
اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به
وهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ ووصفه بالموصول اشعار بعلية ما في حيز
الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شأن التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير
عن الرسول صلعم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عم الى اعلى معارج العبادة وتشريف له
اي تشريف واشعار بان شأن الرسول ان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عم وتأخير
المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا
من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان
وانما قيل لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفائه بما لا يدرك من العوج
بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به الا
الماهر عبر عنه بما يختص بالمعاني وقيل بالفتح في الاعوجاج المنتصب كالعود والحائط وبالكسر في اعوجاج غيره عينا
كان او معنى قيما بمصالح العباد الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا
له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا في
الاستقامة فيكون تأكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك من صفاته الذاتية اللازمة له
حسبما ينبئ عنه الصيغة لا انه نفي عنه العوج مع كونه من شأنه وانتفائه على تقدير كون الجملة المتقدمة
معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفي العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية من الكتاب اذ لا
فصل حينئذ بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل والفاعل ضميره تعالى
كما في المعطوف عليه والاقتصار على ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له
الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اي انزل الكتاب لينذر عاقبة الذين كفروا
بأسا اي عذابا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه
بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين بالتشديد
وقرئ بالتخفيف المؤمنين اي المصدقين به الذين يعملون الصالحات اي الاعمال الصالحة التي بينت في
تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال واستمرارها واجراء الموصول
على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان ان لهم اي بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم
المذكورة اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور في لهم فيه
اي في ذلك الاجر ابدا من غير انتهاء اي خالدين فيه وهو منصوب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على
التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه مع تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى وينذر

الذين

الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلق بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقي البأس
الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اي وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء
المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون
عزير ابن الله والنصارى القائلون المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر
المؤمنين للايذان بكفاية ما في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الدلالة على تحقق صدور
تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى
خروج سائر اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار
بالخبر الضار من غير اعتبار حلول المنذر به على المنذر كما في قوله تعالى ان انذر الناس وبشر الذين امنوا يفضي
الى خلو النظم الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون العامل
في الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عم ما لهم به اي بالولد او باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع
على الابتداء او الفاعلية لاعتماده على الظرف ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم
في مقالهم اي ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته في
نفسه ولا لابائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة لعلهم علموا بما قالوا أهو
صواب ام خطاء بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو الانسب بقوله كبرت
كلمة اي عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته تعالى الى ما لا يليق بجناب كبريائه والفاعل
في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة
تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هي كلمة خارجة من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام
اجترائهم على التفوه بها واسناد الخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت الملابسة
بها ان يقولون ما يقولون في ذلك الشأن الا كذبا الا قولا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق
اصلا والضميران لهم ولابائهم مثل حاله عم في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن
وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته من ذلك فلعلك
باخع اي مهلك نفسك على اثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اي القرآن الذي عبر عنه في صدر السورة الكريمة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه
وقرئ بان المفتوحة اي لان لم يؤمنوا فالمراد حمله على زمان حال مضيه لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل
باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اي لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اي متأسفا
عليهم وهو حمل النظم الكريم على الاستعارة التمثيلية بجعل التشبيه بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين
منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استئناف و
تعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اي انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا

لا يكاد صح

كان او دنيانا او معدنيا لكونه تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير
او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اي كائنة لها اي
ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرها لعذاب الآخرة
من قبيل المنافع بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد
ايضا من زينة الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جملة انتسابهم الى اصحابهم
داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اي جعلنا ما جعلنا لنعاملهم
معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات
افراد كل من الفريقين حسب امتياز رتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على
ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واي اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة في
محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجرى مجراه بطريق
التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن خبر مبتدا مضمر والجملة صلة لها وهي
في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان يكون الضمة
في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط
البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه
وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتامل في شانها
وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة
الى الشهوات والاغراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان
الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط
للاشعار بان الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى
ليبلوكم ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سياتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات
قاطبة بافنائها بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا
مفعول ثان للجعل والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج
هو الطريق الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعدما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته
الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة اي
ذهب نبتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاء والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في
السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد
جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب
ومجازون لهم بحسب اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله صلعم والمراد انكار حسبانه عليه السلام وام منقطعة
مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها

عند غيرهم

عند غيرهم اي بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحيوة مدة طويلة من الدهر من آياتنا
من بين آياتنا التي هي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا
جرزا كان لم تغن بالامس عجبا اي آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر
لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة
الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع
في الجبل والرقيم كلبهم قال امية بن الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد
وقيل هو لوح رصاصي او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف
فهو من رقمة الوادي اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين
وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بدعاء كل منهم باحسن عمله على ما فصل في الصحيحين
اذ اوى ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجأ الفتية اي اصحاب الكهف وايثار
الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم
ارادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم ولان صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف
فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه الى الكهف وجعلهم بالجلوس والتحذوه ماوى فقالوا ربنا آتنا
من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا
او بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة له اي آتنا كائنة
من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي
نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب
واتمم لنا من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق
بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء به وابراز الرغبة في المؤخر
بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده
ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في قوله تعالى من لدنك على تقديم
تعلقه بآتنا وتقديم لنا على من امرنا للايذان من اول الامر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم او اجعل امرنا
رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رايت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي انمناهم على طريقة
التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الآذان بضرب الحجاب
عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما انها المحتاج
الى الحجب عادة اذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على
الآذان كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية اي منعهم من التصرف
مع عدم ملاءمته لما سياتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز
وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات

الشمال والبعث وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن ابصار المتمسكين بالاسباب العادية اسبغ الله عليهم
في الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار بقائه لا ابتدائه عددا اي ذوات عدد او تعد
عددا على انه مصدر او معدودة على انه نعت المفعول ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب لاظهار كمال القدرة
او للتقليل وهو الانسب بامر انكار كون القصة عجبا من سائر الآيات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل
ثم بعثناهم اي ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء
مبنيا للفاعل بطريق الالتفات واياما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او بحمله
على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع
الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق متعلقه قطعا
فان تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس الى متبع ومنقلب وكذا مداولة الايام بين الناس ترتب عليه
تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والاظهار والتمييز واما بعث
هؤلاء فلم يترتب عليه تحزبهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم او الاظهار والتمييز وينتظم شيء من ذلك
في سلك الغاية وانما الذي ترتب عليه تحزبهم الى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس
شيء منهما من الاحصاء في شيء بل حمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا
بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر
قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله و
هو المراد هاهنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة
لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي احصى اي ضبط لما لبثوا اي للبثهم امدا اي غاية فيظهر
لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ ابدانهم وادیانهم
فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية
بينة لكفارهم وقد اقتصر هاهنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل و
فيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا اولى من تصوير التمثيل بان يقال بعثناهم بعث
من يريد ان يعلم الى آخره حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على احد الوجوه حيث
حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ ربما يتوهم منه
استلزام الارادة تحقق المراد فيعود المحذور ويصار الى جعل ارادة العلم عبارة عن الاختبار فاختير
واختير هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول الاول محذوف والجملة
المصدرة باي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانيا وفي موقع المفعولين ان جعل يقينيا
اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الى آخره وروى عطاء عن ابن عباس ان احد الحزبين
الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والاول اظهر
فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم والامد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاؤها الخ وهو مفعول

احصى

الاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصائها تلك المدة ضبطها من
حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب
الاعداد على ما يرشدك اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه
الوضعي بتقدير المضاف اي لزمان لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على
الزمان المذكور فباعتبار الامتداد العارض له بسببه يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما ينقطع عنده
وينتهي به ذلك الكون المستمر باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات
وصورة انقطاعه من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا تخفى على احد ولا تسمى احصاء كما مر بل باعتبار
كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين
ووصوله الى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق
الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلاثمائة وتعلق
الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر واما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لحقه من مراتب العدد وانحاله
على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان تكون موصولة حذف عائدها من الصلة اي
للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالامد بمعناه الوضعي على ما حققته وقيل
اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما قيل من ان احصى اسم تفضيل لانه الموافق
لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو ايهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان
كونه فعلا ماضيا يشعر بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء المتقدم على البعث لا بالاحصاء المتأخر عنه
وليس كذلك وادعاء ان مجيء افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مدفوع بانه عند سيبويه قياس
مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القبيل وامتناع
عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات لان التمييز كونه فاعلا في المعنى فلا نسلم ان المنع لصحة ان يقال
ايهم احفظ لهذا الشهور زمانا واشد تضبطا او يقال ان العامل في امدا فعل محذوف يدل عليه
المذكور اي يحصي لما لبثوا امدا كما في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا وحديث الوقوع
في المحذور بلا فائدة مدفوع بما اشير اليه من فائدة الموافقة للنظائر ففيه من الاعتساف
والخلل بمنزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختبار اظهار افضل الحزبين
وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصاء فيهما ومن البين ان لا تحقق له اصلا وان المقصود
بالاختبار اظهار عجز الكل عنه رأسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم ابدائه بان غاية البعث هو العلم بالاحصاء
المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى اعلم نحن نقص
عليك شروع في بيان تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى آخره اي نحن نخبرك
بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف نبأهم النبأ الخبر الذي له
شأن وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبأهم او صفة له على

راى من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اى نقص قصصًا ملتبسًا بالحق ونقصه ملتبسين
او نقص نبأهم ملتبسا به او نبأهم ملتبسين به ونبأهم حسبما ذكره محمد بن اسحق بن يسار انه قد مرج اهل
الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ
في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث
والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عم وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان
فمن رغب في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع آرابه وعلقها في سور
المدينة وابوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا
الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال
لهم ما قال فخيرهم بين القتل وعبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعو
من دونه احدا ولن نقر بما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم
من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى رجوعه ليتأملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل
بهم ما فعل بسائر المسلمين فاجمعت الفتية على الفرار بدينهم والالتجاء الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من
بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل واطراف
النهار ويبتهلون الى الله تع بالانين والجؤار وفوضوا امر نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان و
يلبس ثياب المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا
على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم
وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل
من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا
يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تع على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس
في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا
قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن
كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وعلا انهم فتية استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال
من قبل المخاطب والفتية جمع قلة كالصبية للصبي آمنوا بربهم ايثار الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية
لايمانهم ولمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه
من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وجه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سابقا ولاحقا فانه
من التكلم وربطنا على قلوبهم اى قويناها حتى اقتحموا مضائق الصبر على هجر الاهل والاولاد والاوطان والتنعيم
والاخوان اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد
خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض
فقالوا نحن ايضا كذلك فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ضمنوا دعواهم ما يحقق فحواها

ويقتضي

ويقتضي بعضها بعضا فان ربوبيته عز وجل لهما يقتضي ربوبيته لما فيهما اتم اقتضاء وقيل المراد قيامهم
بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تع
هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو من دونه الها لن نعبد ابدا
معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا
يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان بان ربوبيته
تع بطريق الالوهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اى قولا ذا شطط
اى تجاوز عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة و
حيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع اليه قيل
لقد قلنا واذا جواب وجزاء اى لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في
الظلم هؤلاء هو مبتدأ وفي اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه آلهة خبره وفيه
معنى الانكار لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اى هلا يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم
لها آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تع عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار
الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه في سورة هود واذ اعتزلتموهم اى فارقتموهم في
الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة
او موصوفة اى اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله فان عبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل
على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تخصيصهم بعبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار
من الله تع عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فأووا الى الكهف اى التجئوا اليه قال الفراء هو جواب اذ
كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اى اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا
جسمانيا او اذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم
مالك امركم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم ويسهل لكم من امركم الذي انتم بصدده من الفرار بالدين
مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا
من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما
اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر لكونه صادرا عن رأي صائب وايقنوا
على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه
والخطاب للرسول عم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون
الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اى تتزاور وتتنحى بحذف احدى التاءين وقرئ
بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذي اووا
اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اى جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اى جانبه الذي

الى المغرب فلا تقع عليهم شعاعها فتؤذيهم • وإذا غربت • اى تراها عند غروبها • تقرضهم • اى تقطعهم
وتعدل عنهم ولا تقربهم • ذات الشمال • اى في جهة شمال الكهف اى جانبه الذي يلي المغرب وكان
ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة لهم • وهم في فجوة منه • جملة حالية
مبينة لكون ذلك امرا بديعا اى تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض
لاصابتها لولا ان صرفتها عنهم يد التقدير • ذلك • اى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع و
الغروب في موقع شعاعها • من آيات الله • العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد
وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب
الكهف شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان
ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب و
تغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواءه ولا تقع عليهم
فتؤذي اجسادهم وتبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك وقع التزاور على
كهفهم والقرض على الشمال فذلك حينئذ اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شأنه واما جعله اشارة الى
حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه لرسول الله صلعم
على اخبارهم فلا يساعده ايراده في تضاعيف القصة • من يهد الله • الى الحق بالتوفيق • فهو المهتد • الذي
اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب والاخبار بتحقيق ما املوه من
نشر الرحمة وتهيئة المرفق او التنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار
بها • ومن يضلل • اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه • فلن تجد له • ابدا وان بالغت في
التتبع والاستقصاء • وليا مرشدا • يهديه الى ما ذكر من الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا
تجده مع وجوده او امكانه • وتحسبهم • بفتح السين وقرئ بكسرها اى تظنهم والخطاب فيه كما فيما سبق
ايقاظا • جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار الحسبان انفتاح عيونهم وهيئة الناظر
وقيل كثرة تقلبهم ولا يلائمه قوله تعالى ونقلبهم • وهم رقود • اى نيام وهو مقرر لما ذكر فيما سلف
اعتمادا على ذكره الى نوع من الضرب على آذانهم • ونقلبهم • في رقدتهم • ذات اليمين • نصب على الظرفية
اى جهة تلي ايمانهم • وذات الشمال • اى جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم قال
ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشوراء
وقيل في كل تسع سنين وقيل تقلبهم على الاسناد الى ضمير الحالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ
عنه وتحسبهم • اى وترى تقلبهم • وكلبهم • قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه
الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم
ويؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه واختلف في لونه
فقيل كان انمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل تقود وقيل

قطمون

قطمون وقيل قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن
ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا • باسط ذراعيه • حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل
وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى
بالوصيد • اى بموضع الباب من الكهف • لو اطلعت عليهم • اى لو عاينتهم وشاهدتهم واصل
الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو • لوليت منهم فرارا • مهربا بما
شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على
الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اى فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قولها • فانما هي اقبال
وادبار • واما على انه مفعول له • ولملئت منهم رعبا • وقرئ بضم العين اى خوفا يملأ الصدر ويرعبه
وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ
الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله
ولا يشعرن بكم احدا فان المراد من ذلك عدم اختلاف احوالهم في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل
تأخيره عما من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب
الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو عليه وللاشعار بعدم زوال الرعب
بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال
له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الآية فقال
معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله
لهم ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف والتشديد • و
كذلك بعثناهم • اى كما انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم
من النوم • ليتساءلوا بينهم • اى ليسأل بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة
وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على
ذكره لاستتباعه لسائر آثاره • قال • استئناف لبيان تساؤلهم • قائل منهم • هو رئيسهم واسمه مكسلمينا
• كم لبثتم • في منامكم لعله قاله لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة • قالوا • اى بعضهم • لبثنا
يوما او بعض يوم • قيل انما قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا لبثنا
يوما فلما رأوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب
فلم يعزوا الى الكذب • قالوا • اى بعض آخر منهم بما سنح لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه
• ربكم اعلم بما لبثتم • اى انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وهذا رد منهم على الاولين
باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين فيما سبق وقد
قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستئناف في الحكاية
في المحكي يقتضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والمجاوبة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا

فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة قالوه إعراضاً عن التعمق في البحث وإقبالاً على ما يهمهم بحسب
الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة ووصفها باسم الإشارة يشعر بأن القائل
ناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبإدغام القاف في الكاف
وبكسر الواو وسكون الراء مع الإدغام وحملهم لها دليل على أن التزود لا ينافي التوكل على الله فلينظر
أيها أي أهلها أزكى أحل وأطيب أو أكثر وأرخص طعاماً فليأتكم برزق منه أي من ذلك الأزكى
طعاماً وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن أو في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم
أحداً من أهل المدينة فإنه يستدعي شيوع أخباركم أي لا يفعلن ما يؤدي إلى ذلك فالنهي عن الأول تأسيس
وعن الثاني تأكيد للأمر بالتلطف إنهم تعليل لما سبق من الأمر والنهي أي ليبالغ في التلطف وعدم
الإشعار لأنهم إن يظهروا عليكم أي يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها يرجموكم
إن ثبتم على ما أنتم عليه أو يعيدوكم في ملتهم أي يصيروكم إليها ويدخلوكم فيها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة
كقوله تعالى أو لتعودن في ملتنا وقيل كانوا أولاً على دينهم وإيثار كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار
الذي هو أشد شيء عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على احتمال الإعادة لأن الظاهر من حالهم هو الثبات
على الدين المؤدي إليه وضمير الخطاب في المواضع الأربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث
الباقين على الاهتمام بالتوصية فإن إمحاض النصح أدخل في القبول واهتمام الإنسان بشأن نفسه
أكثر وأوفر ولن تفلحوا إذاً أي إن دخلتم فيها ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير أبداً لا في الدنيا ولا في
الآخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك أي وكما أنمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في
مراتب اليقين أعثرنا أي أطلعنا الناس عليهم ليعلموا أي الذين أعثرناهم عليهم بما عاينوا من أحوالهم العجيبة
أن وعد الله أي وعده بالبعث أو موعوده الذي هو البعث أو أن كل وعده أو كل موعوده فيدخل
فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولاً أولياً حق صادق لا خلف فيه أو ثابت لا مرد له لأن نومهم
وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة أي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق
جميعاً للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فإن من شاهد أنه جل وعلا توفى نفوسهم وأمسكها
ثلاثمائة سنة وأكثر حافظاً أبدانها من التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها لا يبقى له شائبة شك في أن
وعده تعالى حق وأنه يبعث من في القبور فيرد إليهم أرواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب أعمالهم إذ يتنازعون
ظرف لقوله أعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم أمرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه
أمر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر وجاحد وقائل يقول ببعث الأرواح دون الأجساد
وآخر يقول ببعثهما معاً قيل كان ملك المدينة حينئذ رجلاً صالحاً مؤمناً وقد اختلف أهل مملكته في البعث
حسبما فصل فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد وسأل ربه أن يظهر
الحق فألقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة
لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي أن المبعوث لما دخل المدينة أخرج

الدراهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى
الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم إن آباءنا أخبرونا بأن فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء
فانطلق الملك وأهل المدينة من مسلم وكافر وأبصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الإنس والجن ثم رجعوا إلى مضاجعهم فماتوا فألقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل منهم
تابوتاً من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً
وقيل لما انتهوا إلى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أولاً لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل
فبنوا ثمة مسجداً وقيل المتنازع أمر الفتية قبل بعثهم أي أعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم أمرهم
وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الأحوال والأهوال ويتلقون ذلك من الأساطير وأفواه
الرجال وعلى تقدير كون الفاء في قوله عز وجل فقالوا فصيحة أي أعثرنا عليهم فرأوا ما رأوا وأماتوا
فقالوا أي قال بعضهم ابنوا عليهم أي على باب كهفهم بنياناً لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً
بتربتهم ومحافظة عليها وقوله عز وجل ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين كأنهم لما رأوا عدم اهتدائهم
إلى حقيقة حالهم من حيث النسب ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضاً
للأمر إلى علام الغيوب أو من كلام الله سبحانه رداً لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين
وقيل هو أمرهم وتدبيرهم عند وفاتهم أو شأنهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في أنهم ماتوا أو ناموا
كما في أول مرة فإذ حينئذ متعلق بيتنازعون قال الذين غلبوا على أمرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن
عليهم مسجداً وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وإيثار صيغة الماضي للدلالة على أن هذا القول
ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمراً وأما تعلقه بأعثرنا فيأباه أن إعثارهم ليس في
زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع ممتداً يقع في بعضه الإعثار وفي بعضه التنازع تعسف
لا يخفى مع أنه لا مخصص لإضافته إلى التنازع وهو معتبر في الوقوع سيقولون الضمير في الأفعال
الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي عليه السلام من أهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه إسناد كل منها
إلى كلهم بل إلى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم أي هم ثلاثة أشخاص رابعهم أي جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم
كلبهم قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبياً وقرئ ثلاث بإدغام الثاء في
التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى أو العاقب منهم وكان نسطورياً
رجماً بالغيب رمياً بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه أو ظناً بالغيب من قولهم رجم بالظن إذا
ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعاً أي راجمين أو على المصدرية منهما فإن الرجم
والقول واحد أو من محذوف مستأنف واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معاً أي يرجمون
رجماً وعدم إيراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم
هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم إلى ذلك من عدم نظمه
في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها

آخر ما قيل • قل تحقيقًا للحق وردًّا على الاولين • ربي اعلم • اي اقوى علما • بعدتهم • بعددهم • ما يعلمهم
اي ما يعلم عددهم او ما يعلمهم فضلاً عن العلم بعدتهم • الا قليل • من الناس قد وفقهم الله تعالى للا
لاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضه حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار
قوله انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي اخر ما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو و
لكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا
ومكسلمينا ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش
وكان يستشير هولاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس
واسمه كفشططيوش • فلا تمار • الفاء لتفريع النهي على ما قبله اي اذا عرفت جهل اصحاب القولين
الاولين فلا تجادلهم • فيهم • في شان الفتية • الا مراء ظاهرا • قدر ما تعرض له الوحي من وصفهم
بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه من غير تجهيل لهم وتقبيح
لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق • ولا تستفت فيهم • في شانهم • منهم • من الخائضين • احدا •
فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك قال عطاء الا قليل من اهل الكتاب فالضمائر
الثلثة في الافعال الثلثة لهم وما ذكر من الشواهد لا ريب ان للمؤمنين الى الصحة للقول الثالث وفيه مع ما في الاول من
التكلف في جعل صدر الواو الى الحكمة المنطوقة في سمط واحد ثانيا عن الحكاية من مقول الاخرين بخلافه و
في سبب حذف المفعول في تمار ثم حينئذ اذ وقعت على ان كلهم لينسبوا على خطاء في ذلك فلا تجادلهم الا
جدالا ظاهرا نطق به الوحي البين من غير تجهيل لجميعهم فان منهم مصيبا وان قيل في النهي عن الاستفتاء لبرفع
عن شيء منهم من احتمال جوازه واحتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم في شان الفتية
ولا تصدقوا القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث تلقي من الوحي • ولا تقولن لشيء
اي لاجل شيء تعزم عليه • اني فاعل ذلك الشيء غدا • اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا
اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال
ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول بعبارة
هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمساو في مناط النهي فان وسعة المجال دليل
التقدير فليتامل • الا ان يشاء الله • استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولنّ ذلك في حال من الاحوال الا حال
ملابسته بمشيته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان تقول ان شاء الله اوفي وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء
الله اوفي وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله اي تقوله لا مطلقا بل مشيته اذن فان
النسيان ليس بمشيته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل بعدم سداد الاستثناء اقتران المشيئة بالفعل
وما فات الاستثناء اعتراضا النهي وقبل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تع
وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله • واذكر ربك • فقل ان شاء الله متداركا له • اذا نسيت
اذا فرط منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضه ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء

وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب
قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون الا متصلا و
يجوز ان يكون المعنى واذكر ربك وعقابه بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة
في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها • وقل عسى ان يهدين ربي • اي
يوفقني • لاقرب من هذا • اي لشيء اقرب واظهر من نبا اصحاب الكهف من الايات والدلائل الدالة على نبوتي
• رشدا • اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث اتاني من البينات ما هو اعظم من
ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة
او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي • ولبثوا في كهفهم • احياء مضروبا على اذانهم • ثلث مائة
سنين وازدادوا تسعا • وهي جملة مستانفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزته فيما سبق
قيل انه حكاية لكلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عددهم فقال بعضهم كذا
وبعضهم ثلثمائة وروي عن علي رضي الله عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية والله تعالى
ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلث سنين فيكون ثلثمائة وتسع سنين تحقيقا
لبيان ثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وصفا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه مهنا ان علامة جمع
فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى الجمع • قل الله اعلم بما لبثوا • اي بالزمان
الذي لبثوا فيه • له غيب السموات والارض • اي ما غاب فيهما وخفي من احوال اهلهما واللام
للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب • ابصر به واسمع • دل بصيغة التعجب على ان شانه
علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت
بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء
مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة
الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور
وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى
لما ان الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات • ما لهم • لاهل السموات والارض • من دونه • تعالى • من ولي • يتولى
امورهم وينصرهم استقلالا • ولا يشرك في حكمه • في قضائه او في علم الغيب • احدا • منهم ولا يجعل له فيه مدخلا
وهو كما ترى ابلغ في نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة نهي الحاضر على ان الخطاب لكل
احد ولما دل انتظام القرآن الكريم لقصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبي صلعم من المغيبات
على انه وحي معجز امره بالمداومة على دراسته فقال • واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك • ولا تسمع لقولهم
ائت بقران غير هذا او بدله • لا مبدل لكلماته • لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره • ولن تجد • ابدا الدهر
وان بالغت في الطلب • من دونه ملتحدا • ملجا تعدل اليه عند المام ملمة • واصبر نفسك • احبسها وثبتها مصاحبة

مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي • اي داوموا على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار و
قرئ بالغدوة على ان ادخال اللام عليها وهي علم في الاعلام على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب
وعمار وخباب ونحوهم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو اربعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كان ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك
الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة • يريدون •
بدعائهم ذلك • وجهه • حال من المستكن في يدعون اي مريدين رضا الله تعالى وطاعته • ولا تعد عيناك عنهم •
اي لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اي جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو او لا تصرف عيناك النظر عنهم
الى غيرهم من عدوته عن الامر اي صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك من اعداه
والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء • تريد زينة الحيوة الدنيا • اي تطلب
مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة
ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليهما مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله
لمن زحلوفة زل بها العينان تنهل • ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخريين • ولا تطع • في
تنحية الفقراء عن مجلسك • من اغفلنا قلبه • اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه
غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اي لم نسمه بالذكر • عن ذكرنا • كاولئك الذين
يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات
وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله سبحانه وجهته وانهماكه في المحسوسات حتى
خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا قلبه عن
ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفلته اذا وجدته غافلا • واتبع هواه وكان امره فرطا • ضياعا وهلاكا او متقدما
للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل وهو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة
عن ذكره سبحانه تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التمرد والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان
بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة لاولئك الغافلين المتبعين اهواءهم • الحق من ربكم • اي ما اوحي
الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتطرق فيه التبديل اذ لا
اتردد في اتباعه وقوله سبحانه • فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر • اما من تمام القول المأمور به والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب
وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي عقيب تحقق ان ما اوحي علي الى حق لا ريب فيه او ان ذلك
الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء
ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا و
عدما ما لا يخفى واما تهديد من جهته سبحانه والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المأمور
به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به

او ان يكذبك

او ان يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى • انا اعتدنا • وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر
عن الكفر بما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بتغيرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء
والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل لما يفيده ما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم ذلك • انا اعتدنا للظالمين •
اي هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشية الكفر واختياره
تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه • نارا • عظيمة عجيبة • احاط بهم • اي يحيط بهم وايثار صيغة
الماضي للدلالة على التحقق • سرادقها • اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق
الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار • وان يستغيثوا •
من العطش • يغاثوا بماء كالمهل • كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله
فاعتبوا بالصيلم • يشوي الوجوه • اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا
قرب اليه سقطت فروة وجهه • بئس الشراب • ذلك • وساءت النار • مرتفقا • متكأ واصل الارتفاق
نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا • ان الذين امنوا •
محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل وللذين امنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي الفريقين
اي ان الذين امنوا بالحق الذي اوحي اليك • وعملوا الصالحات • حسبما بين في تضاعيفه • انا لا نضيع
اجر من احسن عملا • او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة
هو الذي امن وعمل الصالحات • اولئك • المنعوتون بالنعوت الجليلة • لهم جنات عدن تجري من
تحتها الانهار • استئناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر بعد خبر • يحلون
فيها من اساور من ذهب • من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو
جمع اسورة او اسوار جمع سوار • ويلبسون ثيابا خضرا • خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها
طراوة • من سندس واستبرق • اي مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين • متكئين فيها على الارائك • على السرر على ما هو شأن المتنعمين • نعم الثواب •
ذلك • وحسنت • اي الارائك • مرتفقا • اي متكأ • واضرب لهم • اي للفريقين الكافر والمؤمن • مثلا
رجلين • مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمؤمنين لا
من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر انفا من ان للاولين في الاخرة كذا وللاخرين كذا بل من حيث عصيان
الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الاخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين
هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية الاف
دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه المبار فال امرهما الى ما حكاه
الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاشد ومسلم هو ابو سلمة عبد الله بن
عبد الاشد زوج ام سلمة رضي الله عنها • جعلنا لاحدهما • وهو الكافر • جنتين • بستانين من اعناب
من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين • وحففناهما بنخل • اي جعلنا النخل محيطة بهما

مؤزراً بها كرومها جامعاً للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الأنيق كلتا
الجنتين آتت أكلها ثمرها وبلغ مبلغاً صالحاً للأكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين آتى أكله
ولم تظلم منه لم تنقص من أكلها شيئاً كما يعهد ذلك في سائر البساتين فإن الثمار غالباً تكثر في عام
وتقل في آخر وكذا بعض الأشجار يأتي بالثمر في بعض الأعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من
البساتين نهراً على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء
الأكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس للإيذان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين
كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مرتب على بعض فإن إيتاء الأكل متفرع
على السقي عادة وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
وكان له لصاحب الجنتين ثمر أنواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله إذا كثره قال ابن عباس رضي الله عنهما جميع المال من
الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو
أي القائل يحاوره أي صاحبه المؤمن وإن جاز العكس أي يراجعه في الكلام من حار إذا رجع أنا أكثر منك مالاً وأعز
نفراً حشماً وأعواناً وأولاداً ذكوراً لأنهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت أحوالها وعددها وصفاتها
وهيئاتها وتوحيدها إما لعدم تعلق الغرض بتعددها وإما لاتصال إحداهما بالأخرى وإما لأن الدخول يكون في واحدة
فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه
لنفسه كأنه قيل فماذا قال إذ ذاك فقيل قال ما أظن أن تبيد هذه الجنة أي تفنى أبداً لطول أمله وتمادي غفلته
واغتراره بمهلته ولعله إنما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته ونهيه عن الاغترار بها وأمره بتحصيل
الباقيات الصالحات وما أظن الساعة قائمة كائنة فيما سيأتي ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تزعم
إلى ربي لأجدن يومئذ خيراً منها أي من هذه الجنة وقرئ منهما أي من الجنتين منقلباً مرجعاً وعاقبة ومدار هذا الطمع
واليمين الفاجرة اعتقاده أنه تعالى إنما أولاه ما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر
أن ذلك استدراج قال له صاحبه استئناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فائدتها
التنبيه من أول الأمر على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة أكفرت حيث قلت ما أظن الساعة
قائمة بالذي خلقك أي في ضمن خلق أصلك من تراب فإن خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه منه
لما أن خلق كل فرد من أفراد البشر حظاً من خلقه عليه السلام إذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت
أنموذجاً منطوياً على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجمالياً مستتبعاً لجريان آثارها على الكل فكان
خلقه عليه السلام من التراب خلقاً للكل منه وقيل خلقك منه لأنه أصل مادتك إذ به يحصل الغذاء الذي منه تحصل النطفة
فتدبر ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلاً أي عدلك وكملك
إنساناً ذكراً أو صيرك رجلاً والتعبير عنه تعالى بالموصول للإشعار بعلية ما في حيز الصلة لإنكار الكفر
والتلويح بدليل البعث الذي نطق به قوله عز من قائل يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا
خلقناكم من تراب الخ لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الإدغام

وهو ضمير

وهو ضمير الشأن وهو مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر أنا والعائد منها إليه الضمير وقرئ بإثبات ألف
أنا في الوصل والوقف جميعاً وفي الوقف خاصة وقرئ لكن بطرح أنا ولكن أنا لا إله إلا هو ربي
ومدار الاستدراك قوله أكفرت كأنه قال أنت كافر لكنني مؤمن موحد ولا أشرك بربي أحداً فيه
إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراك ولولا إذ دخلت جنتك قلت أي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم
الظرف على المحضض عليه للإيذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله أي الأمر ما شاء
الله أو ما شاء الله كائن على أن ما موصولة مرفوعة المحل أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية منصوبة و
الجواب محذوف لا قوة إلا بالله أي هلا قلت ذلك اعترافاً بعجزك وبأن ما تيسر لك من عمارتها
وتدبير أمورها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره عن النبي صلعم من رأى شيئاً فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا
بالله لم يضره إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً أنا إما مؤكد لياء المتكلم أو ضمير فصل بين مفعولي الرؤية إن
جعلت علمية وأقل ثانيهما وحال إن جعلت بصرية فيكون أنا حينئذ تأكيداً لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل
توسطه بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ أقل بالرفع خبراً لأنا والجملة مفعول ثان لترني أو
حال وفي قوله وولداً نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك وهو جواب
الشرط والمعنى إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله سبحانه أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني
لإيماني جنة خيراً من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسباناً وهو مصدر بمعنى الحساب
كالبطلان والغفران أي مقداراً قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما
كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيما سيأتي للأول أكثر
من السماء فتصبح صعيداً زلقاً مصدر أريد به المفعول مبالغة أي أرضاً ملساء يزلق عليها لاستئصال
ما عليها من البناء والشجر والنبات أو يصبح عطف على ويرسل وقيل على فتصبح وعلى الوجه الأول
على يرسل ماؤها غوراً أي غائراً في الأرض أطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع له أي
للماء الغائر طلباً فضلاً عن وجدانه ورده وأحيط بثمره أهلك أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما
وأصله من إحاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور وأهلك أمواله وإنما
حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فأصبح يقلب كفيه ظهراً لبطن وهو كناية
عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن
من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية ولأن ما أنفق في عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان
وقد صرفه إلى مصالحها رجاء أن يتمتع بها أكثر مما يتمتع به وكان يرى أنه لا ينالها أيدي الردى ولذلك قال ما أظن أن تبيد
هذه أبداً فلما ظهر له أنها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من إنفاق ما يمكن ادخاره
في مثل هذا الشيء السريع الزوال وهي أي الجنة من الأعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها
أي دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع إما
لأنها العمدة وهما من متمماتها وإما لأن ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لأنها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها

فهلاك اعدائها بالطريق الالٰهي واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى نارا فاحرقتها وغار ماؤها
ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه
وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى ولو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما
على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد
المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما في قوله عز وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر
على ذلك وحده وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك اي في ذلك المقام
وفي تلك الحال الولاية لله الحق اي النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه
على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخا المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه و
قرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه او
لا يعبد غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني
لم اشرك الخ كان عن اضطرار وجزع مما دهاه على اسلوب قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل
بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة
زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا عن الاخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي
هي في الغرابة كالمثل كماء استيناف لبيان المثل اي هي كماء انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا
لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به فاشتبك بسببه نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا
من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات حتى روي ورف فمقتضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات الارض و
ايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح
ذلك النبات الملتف اثر بهجته ونضارته هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ
تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات
المنبت بالماء يكون اخضر وارقا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم تغن بالامس وكان الله على كل شيء من
الاشياء التي من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا بيان
لشأن ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحيوة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان
شأن نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الاية المحكية آنفا وقوله وامددناكم باموال
وبنين وغير ذلك لعراقته بالنسبة الى الافراد والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الاباء والبنين في كل وقت
وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس
والبنون لبقاء النوع ولان الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولان زينته بدونهم
غير عكس فان من له بنون بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها
مصدر في الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به

في الحيوة الدنيا وقد علم شأنها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التي شأنها ان تزول
قبل زوالها والباقيات الصالحات وهي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله و
لا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير يدخل فيها اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا واما اصلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء
كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا خير اي مما نعت من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال
وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودي الافادة لا سيما في مقابلة اثبات
الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق
لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذي يحتاج الى التعرض له
خيريتها عند ربك اي في الاخرة وهو بيان لما يظهر فيه اثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا
لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل في الاصل فلا مشاركة لهما في الخيرية في الاخرة ثوابا
عائدة تعود الى صاحبها وخير املا حيث ينال بها صاحبها في الاخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا واما ما مر
من المال والبنين فليس لصاحبه امل يناله وتكرير خير للاشعار باختلاف حيثيتي الخيرية والمبالغة فيها
ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اي اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها في الجو على هيئاتها كما
ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا
والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهي وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله عند ربك اي
الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرئ تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن
الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الارض اي جميع جوانبها
والخطاب لرسول الله صلعم او لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة
اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما ما عداه فلكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالان اضحى
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة
الماضي بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذي ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء
وكذلك الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا
تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر اي لم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير الذي هو ما تركه السيل في الارض الغائرة وقرئ
بالياء وبالفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما في قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت وعرضوا
على ربك شبهت حالهم بحال جند عرضوا على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم بما يأمر وفي الالتفات الى الغيبة
وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عم من تربية المهابة والجري على سنن
الكبرياء واظهار اللطف به ما لا يخفى صفا اي غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف و
تعدده وقد ورد في الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا على

اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اى مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا فى يوم نسير كما قيل
فبعيد من جزالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع انه خاص
التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض • كما خلقناكم • نعت لمصدر مقدر اى مجيئا
كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم • اول مرة • او حال من ضمير جئتمونا اى كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما
معكم شئ مما تفتخرون به من الاموال والانصار لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم • بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا • اضراب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع
اى زعمتم فى الدنيا انه لن نجعل لكم ما وعدنا من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة وفصل بحرف النفى بينها وبين
خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان لنجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او بمعنى
الخلق والابداع • ووضع الكتاب • عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التى اريد بتذكيرها تذكير وقتها
واورد فيه ما ورد فى امثاله من صيغة الماضى دلالة على التقرر ايضا اى وضع صحائف الاعمال والمراد الافراد لا الاستغراق
بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها فى ايدى اصحابها يمينا وشمالا واما فى الميزان • فترى المجرمين • قاطبة فيدخل
فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا • مشفقين • خائفين • مما فيه • من الجرائم والذنوب • ويقولون •
عند وقوفهم على ما فى تضاعيفه نقيرا وقطميرا • يا ويلتنا • منادين لهلكتهم التى هلكوها من بين المهلكات مستدعين
لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه اى يا ويلتنا احضرى فهذا اوان حضورك • ما لهذا الكتاب • اى شئ له
وقوله تعالى • لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها • اى حواها وضبطها جملة حالية محققة لما فى الجملة الاستفهامية
من التعجب او استيناف مبنية على سؤال نشأ من التعجب كانه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها • ووجدوا ما عملوا • فى الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا • حاضرا • مسطورا عتيدا
• ولا يظلم ربك احدا • فيكتب عليه ما لم يعمل من السيئات او يزيد فى عقابه المستحق فيكون اظهارا لمعدلة القلم الازلى
الالهى • واذ قلنا للملائكة • اى اذكر وقت قولنا لهم • اسجدوا لآدم • سجدة تحية وتكريم وقد مر تفصيله •
فسجدوا • جميعا امتثالا بالامر • الا ابليس • فانه لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى • كان من الجن • كلام
مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان
اصله جنيا • ففسق عن امر ربه • اى خرج عن طاعته كما ينبئ عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى
اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التربية لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد
النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين عن الانتظام فى سلك فقراء المؤمنين ببيان
ان ذلك من صنيع ابليس وانهم فى ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى • افتتخذونه • الى آخره فالهمزة
للانكار والتعجيب والفاء للتعقيب اى اعقيب علمكم بصدور تلك القبائح عنه تتخذونه • وذريته • اى اولاده واتباعه
جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق
البيضة عن جماعة من الشياطين • اولياء من دونى • فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى • وهم • اى و
الحال ان ابليس وذريته • لكم عدو • اى اعداء كما فى قوله تعالى فانهم عدو لى الا رب العالمين وهو منع لهم العدو

واما

واما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده
فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا • بئس للظالمين • اى للواضعين للشئ فى غير موضعه
• بدلا • من الله سبحانه ابليس وذريته وفى الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير من الايذان
بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى • ما اشهدتهم • استيناف مسوق لبيان عدم
استحقاقهم للاتخاذ المذكور فى انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من جناية المتخذ والفسوق والعداوة
اى ما احضرت ابليس وذريته • خلق السموات والارض • حيث خلقتهما قبل خلقهم • ولا خلق انفسهم •
اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض لقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور [illegible] من تفكيك الضمير
ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الى الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على عود المعنى اليه
فان نفى اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذى يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى
ما يصحح التولى حضور المولى خلق المتولى وحيث لا حضور لا مصحح للتولى قطعا واما نفى اشهاد بعض الشياطين
خلق بعض منهم فليس من مدار الانكار المذكور فى شئ على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولى
الشاهد بناء على ان دلالته على ما له اعتبار ان له مدخلا فى خلق المشهود فى الجملة فهو مخل بتولى المشهود بناء
على قصوره عمن شهد خلقه فلا يكون نفى الاشهاد المذكور متمحضا فى نفى الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط
للانكار المذكور • وما كنت متخذ المضلين • اى متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال
وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء • عضدا • اعوانا فى شأن الخلق او فى شأن من الخلق حتى يتوهم شركتهم
فى التولى بناء على الشركة فى بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة
آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلى الذى لا يكاد يشتبه على البله والصبيان فيحتاجون الى التصريح به و
وايثار نفى الاشهاد على نفى شهودهم ونفى اتخاذهم اعوانا على نفى كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون
تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء انفسهم
من غير احضار واتخاذ واما قصارى ما يتوهم فى شأنهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله عز وجل فلم يكد ذلك يكون
وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم على اسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحويها غيرهم
حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد
بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلعم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم وفى وصفهم بالاضلال تعليل
نفى الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون وبالتخفيف وبضمتين
على انه جمع عاضد كرصد وراصد • ويوم يقول • اى الله عز وجل للكفار توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون العظمة • نادوا شركائى
الذين زعمتم • انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من دونه تعالى وقيل ابليس وذريته • فدعوهم • اى نادوهم
للاغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريق الى المدافعة • فلم يستجيبوا لهم • فلم يغيثوهم
اذ لا امكان لذلك وفى ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم فى الحماقة بحيث لا يفهمونه الا بالتصريح به • وجعلنا
بينهم • بين الداعين والمدعوين • موبقا • اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح

فرقا اذا اهلك اى مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضى الله عنه
لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا فى الاخرة ويجوز ان يكون
المراد بالشركاء الملئكة وعزيرا وعيسى عم وبالموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط
بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى اعلى الجنان ● ورأى المجرمون النار ● وضع المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما
لهم بذلك ● فظنوا ● اى ايقنوا ● انهم مواقعوها ● مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذ رأوها من مكان بعيد انهم
مواقعوها فى الساعة ● ولم يجدوا عنها مصرفا ● انصرافا او معدولا لا ينصرفون اليه ● ولقد صرفنا ● اى كررنا
واوردنا على وجوه كثيرة من النظم ● فى هذا القرآن للناس ● لمصلحتهم ومنفعتهم ● من كل مثل ● من جملته ما مر من مثل
الرجلين ومثل الحيوة الدنيا او من كل نوع من انواع المعانى البديعة الداعية الى الايمان التى هى فى الغرابة والحسن
واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا ● وكان الانسان ● بحسب جبلته ● اكثر شئ جدلا ● اى اكثر
الاشياء التى يتأتى منه الجدل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل والمماراة من الجدل وهو الفتل والمجادلة
الملاواة لان كلا من المتجادلين يلتوى على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من جدل كل مجادل
● وما منع الناس ● اى اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ● ان يؤمنوا ● من ان يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من
الاشراك ● اذ جاءهم الهدى ● اى القرآن العظيم الهادى الى الايمان بما فيه من فنون المعانى الموجبة له ● ويستغفروا
ربهم ● عما فرط منهم من انواع الذنوب التى من جملتها مجادلتهم للحق بالباطل ● الا ان تأتيهم سنة الاولين ●
اى الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الا تقديره بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
وسنتهم الاستيصال ● او يأتيهم العذاب ● اى عذاب الاخرة ● قبلا ● اى انواعا جمع قبيل او عيانا كما فى قراءة
قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اى مستقبلا بحال التثنية قبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او
العذاب والمعنى انه ما تضمنه القرآن الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه
الحكمة الغيبية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط ● وما نرسل المرسلين ● الى
الامم ملتبسين بحال من الاحوال ● الا حال كونهم ● مبشرين ● للمؤمنين بالثواب ● ومنذرين ● للكفرة و
العصاة بالعقاب ● ويجادل الذين كفروا بالباطل ● باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة
اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ● ليدحضوا به ● اى بالجدال ● الحق ● اى ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحض
القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل عم ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملئكة ونحوهما
● واتخذوا اياتى ● التى تخر لها صم الجبال ● وما انذروا ● اى انذروه من القوارع الناعية عليهم العقاب
والعذاب او والذى انذروه ● هزوا ● استهزاء وقرئ بسكون الزاء وهو ما يستهزأ به ● ومن اظلم ممن ذكر
بايات ربه ● وهو القرآن العظيم ● فاعرض عنها ● ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وعند السبك وان كان مدلوله الوضعى
نفى الاظلمية من غير تعرض لنفى المساواة فى الظلم الا ان المفهوم منه العرفى انه اظلم من كل ظالم وبناء
الاظلمية على ما فى حيز الصلة من الاعراض عن القرآن للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج
عن الحد ● ونسى ما قدمت يداه ● اى عمله من الكفر والمعاصى التى من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق

ولم يتفكر

ولم يتفكر فى عاقبتها ● انا جعلنا على قلوبهم اكنة ● اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ● ان يفقهوه ● مفعول له دل عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوه
على كنهه او مفعول له اى كراهة ان يفقهوه ● وفى اذانهم ● اى جعلنا فيها ● وقرا ● ثقلا يمنعهم من استماعه ● و
ان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا ● اى فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذن جزاء
للشرط وجواب عن سؤال النبى صلعم المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال عم ما لى لا ادعوهم
فقيل ان تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع الى الموصول فى هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان افراده
فى المواضع الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه ● وربك ● مبتدأ وقوله تعالى ● الغفور ● خبره وقوله تعالى ● ذو الرحمة ● اى
الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولان المغفرة ترك
المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهى فعل وايجاد ولا يدخل تحت الوجود الا
ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية ولانه اهم بحسب الحال اذ المقام مقام بيان تأخير العقوبة
عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل ● لو يؤاخذهم ● اى لو يريد مؤاخذتهم ● بما كسبوا ● من
المعاصى التى من جملتها ما حكى عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن ايات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من
الموبقات ● لعجل لهم العذاب ● لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المنبئة عن شدة الاخذ بسرعة
على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفى المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة كما ينبئ
عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضى لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب لهم بسبب
استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضى يفيد استمرار انتفاء الفعل فيما مضى كما
حقق فى موضعه ● بل لهم موعد ● اسم هو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا
مؤاخذين بغتة ● لن يجدوا ● البتة ● من دونه موئلا ● منجى او ملجأ يقال وأل اى نجا ووأل اليه اى لجأ اليه ● وتلك
القرى ● اى قرى عاد وثمود واضرابهما وهى مبتدأ على تقدير المضاف اى واهل تلك القرى خبره قوله تعالى ● اهلكناهم
او مفعول مضمر مفسر به ● لما ظلموا ● اى وقت ظلمهم كما فعلت قريش بما حكى عنهم من القبائح وترك المفعول
اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اى لما فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل
للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذى عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى اخره ● وجعلنا
لمهلكهم ● اى لهلاكهم ● موعدا ● اى وقتا معينا لا يحيدون عن ذلك وهذا استشهاد على فعل قريش بين
بعض المواعد ليتنبهوا لذلك ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اى اهلاكهم وبفتحهما
● واذ قال موسى ● منصوب باضمار فعل اى اذكر وقت قوله عم ● لفتاه ● وهو يوشع بن نون بن افرائيم
بن يوسف عم سمى فتاه اذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه وسمى التلميذ فتى وان كان
شيخا ولعل المراد بتذكيره تعقيب بيان ان لكل امة موعدا بتذكير ما فى القصة من مواعد
الملاقاة مع ما فيها من سائر المنافع الجليلة ● لا ابرح ● من برح الناقص كزال يزال اى لا ازال
اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله

حتى أبلغ فإن ذلك غاية تستدعي ذا غاية يؤدي إليها ويجوز أن يكون أصل الكلام لا أبرح مسيري
حاصلاً حتى أبلغ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور والمحل مرفوعاً مستكناً
والفعل من صيغة الغيبة إلى التكلم ويجوز أن يكون من برح التام كزال يزول أي لا أفارق ما أنا
بصدده حتى أبلغ مجمع البحرين وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل بحر الكر والرس
بأرمينية وقيل إفريقية وقرئ بكسر الميم مشرق • أو أمضي حقبا • أسير زمانا طويلا أتيقن معه فوات
المطلب والحقب الدهر أو ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة أن موسى عم لما ظهر على مصر مع بني
إسرائيل واستقر بها بعد هلاك القبط أمره الله عز وجل أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطبة
بديعة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من أعلم الناس قال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد
العلم إلى الله عز وجل فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عم وكان في أيام أفريدون
قبل موسى عم وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى عم قال رب أي عبادك أحب إليك
قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم
قال الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان
في عبادك من هو أعلم مني فدلني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال
يا رب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فأخذ حوتا فجعل في مكتل فقال لفتاه إذا فقدت
الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان • فلما بلغا • الفاء فصيحة كما أشير إليه • مجمع بينهما • الذي جعل فقدانه
أمارة وجدان المطلوب أي شيئا تفقدا أمره وما يكون منه قيل نسي يوشع أن يقدمه وموسى عم
أن يأمره فيه بشيء روي أنهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتا إلا
حيي وضعا رؤوسهما على الصخرة فناما فلما أصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا أكلا منه وكان
ذلك بعدما استيقظ يوشع عم وقيل توضأ عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش
ووقع في الماء • فاتخذ سبيله في البحر سربا • مسلكا كالسرب وهو النفق وقيل أمسك الله عز وعلا جرية الماء
على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى أو للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على أنه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر
حال منه أو من السبيل ويجوز أن يتعلق باتخذ • فلما جاوزا • أي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل أدلجا وسارا
الليلة والغد إلى الظهر التي علي موسى عم الجوع فعند ذلك قال لفتاه • آتنا غداءنا • أي ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ عنه
الجواب • لقد لقينا من سفرنا هذا • إشارة إلى مسيرهما بعد مجاوزة الموعد • نصبا • تعبا وإعياء قيل لم ينصب
ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للأمر بإيتاء الغداء إما باعتبار أن النصب إنما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن
الجوع وإما باعتبار ما في أثنائه من استراحة ما • قال • أي فتاه عليهما السلام • أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة
أي التجأنا إليها وأقمنا عندها وذكر الإيواء إليها مع أن المذكور فيما سبق بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فإن المجمع
محل متسع لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة إليه ولتمهيد العذر فإن الإيواء إليها والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان

عادة والرؤية مستعارة من المعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عم مما
اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان
المطلوب وهذا أسلوب معتاد فيما بين الناس يقول أحدهم لصاحبه إذا نابه خطب أرأيت ما نابني يريد بذلك تهويله
وتعجيب صاحبه منه وأنه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا على ما يدل عليه من قوله
عز وجل • فإني نسيت الحوت • وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام المنسي وإيقاع النسيان على اسم الحوت
دون ضمير الغداء مع أنه المأمور بإيتائه للتنبيه من أول الأمر على أنه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وأن ما
شاهده ليس من قبيل الأحوال المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيوانات
مع زيادة أي نسيت أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الأمور العجيبة • وما أنسانيه إلا الشيطان
بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقرئ بضم • أن أذكره • بدل اشتمال من الضمير أي ما أنساني أن أذكره لك
وفي تعليق الإنساء بضمير الحوت أولا وبذكره له ثانيا على طريق الإبدال المنبئ عن تنحية المبدل منه إشارة إلى
أن متعلق النسيان أيضا ليس نفس الحوت بل ذكر أمره وقرئ أن أذكركه وإيثار أن أذكره على المصدر
للمبالغة فإن مدلوله نفس الحدث بذكر أمره وقرئ أن أذكره عند وقوعه والحال وإن كانت غريبة مما
يعهد نسيانه لكنه لما تعوّد بمشاهدة أمثالها عند موسى عم وألفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها • واتخذ
سبيله في البحر عجبا • بيان لطرف من أمر الحوت على طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء
بالاعتذار كأنه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال
من أولهما أو ثانيهما أو هو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف أي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب
أو مصدر فعل محذوف أي أتعجب منه عجبا وقد قيل إنه من كلام موسى عم وليس بذاك • قال • أي موسى عم
ذلك الذي ذكرت من أمر الحوت • ما كنا نبغ • وقرئ بإثبات الياء والضمير العائد إلى الموصول محذوف أي الذي كنا
نبغيه أي نطلبه لكونه أمارة للفوز بالمرام • فارتدا • أي رجعا • على آثارهما • طريقهما الذي جاءا منه
قصصا • يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة • فوجدا عبدا من عبادنا • التنكير للتفخيم
والإضافة للتشريف والجمهور على أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل إلياس عليهم السلام
آتيناه رحمة من عندنا • هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء • وعلمناه من لدنا
علما • خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب • قال له موسى • استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق
كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى • هل أتبعك على أن تعلمن • استئذان منه في اتباعه له على
وجه التعلم • مما علمت رشدا • أي علما ذا رشد وهو إصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمن ومفعول
علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي إلى مفعول واحد ويجوز كونه علة لأتبعك أو مصدرا بإضمار فعله ولا ينافي نبوته و
كونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبي آخر ما لا تعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق
الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام • قال • أي الخضر • إنك لن تستطيع معي صبرا • نفي عنه استطاعة
الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله • وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا • إيذانا بأنه يتولى أمورا

خفية منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك أن يشمئز عند مشاهدتها وفي صحيح
البخاري قال الخضر يا موسى إني على علم من الله تعالى علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وخبرا
تمييز أي لم يحط به خبرك ● قال ● موسى عم ● ستجدني إن شاء الله صابرا ● معك غير معترض عليك وتوسيط
الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر ● ولا أعصي لك أمرا ● عطف
على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر و
ترك العصيان أو على ستجدني فلا محل له من الإعراب والأول هو الأولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء
حينئذ وفيه دليل على أن أفعال العباد بمشيئة الله سبحانه ● قال فإن اتبعتني ● أذن له في الاتباع بعد اللتيا
والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزام موسى عم للصبر والطاعة ● فلا تسألني عن شيء ● تشاهده
من أفعالي أي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض ● حتى أحدث لك منه ذكرا ●
أي حتى أبتدئك ببيانه وفيه إيذان بأن كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من آداب المتعلم مع العالم والتابع
مع المتبوع وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة ● فانطلقا ● أي موسى والخضر عم على الساحل يطلبان السفينة
فكلما أهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول ● حتى إذا ركبا في السفينة ● استعمال الركوب في أمثال
هذه المواقع بكلمة في مع تجريده عنها من أن في ركوبها معنى الدخول ● خرقها ● قيل خرقها بعد ما لججوا حيث
أخذ فأسا فقلع من ألواحها لوحين مما يلي الماء فعند ذلك ● قال ● موسى ● أخرقتها لتغرق أهلها ● من الإغراق
وقرئ بالتشديد من التغريق وليغرق أهلها من الثلاثي ● لقد جئت ● أتيت وفعلت ● شيئا إمرا ● أي
عظيما هائلا من أمر الأمر إذا عظم قيل الأصل أمر مخفف ● قال ● أي الخضر ● ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ●
تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه المتضمن للإنكار على عدم الوفاء بوعده ● قال لا تؤاخذني بما نسيت ● أي بنسياني
أو بالذي نسيته وهو وصيته بأن لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الأفعال الخفية الأسباب قبل بيانه
أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من أن الأول كان من موسى نسيانا أو
إخراج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهم أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار وهو من معاريض
الكلام التي تتقى بها الكذب مع التوسل إلى الغرض أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك
أول مرة ● ولا ترهقني ● أي لا تغشني ولا تحملني ● من أمري ● وهو اتباعه إياه ● عسرا ● أي لا تعسر علي متابعتك ويسرها علي
بالإغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين ● فانطلقا ● الفاء فصيحة أي فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا ●
حتى إذا لقيا غلاما فقتله ● قيل كان الغلام يلعب بالغلمان فقتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه
فذبحه بالسكين ● قال ● أي موسى عم ● أقتلت نفسا زكية ● طاهرة من الذنوب وقرئ زاكية ● بغير نفس ●
أي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الإيمان والزنا
بعد الإحصان لأنه الأقرب إلى الوقوع نظرا إلى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عم ههنا
من جملة الشرط وإبراز ما صدر عن الخضر عم من الخوارق البديعة لاستشراف النفس إلى ورود خبرها لعله وقوعها
في نفس الأمر وندرة وصول خبرها إلى الآذان ولذلك رجعت تلك النكتة في الشرطية الأولى لما أن صدور الخوارق

منه عم خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه إلى ترقب أحوال موسى عم هل يحافظ
على مراعاة شرطه بموجب وعده الأكيد عند مشاهدة خارق آخر أو يسارع إلى المناقشة كما في المرة الأولى
فكان المقصود إفادة ما صدر عنه عم ففعل ما فعل ولله در شأن التنزيل وأما ما قيل من أن القتل قبيح
والاعتراض عليه داخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة في الكلام فليس من دفع الشبهة في شيء بل هو مؤيد لها فإن
كون القتل قبيحا من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره إلى الأسماع وذلك مما يستدعي
جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه داخلا من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله
كذلك ● لقد جئت شيئا نكرا ● قيل معناه أنكر من الأول إذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الأول بالسد ونحوه وقيل
الأمر أعظم من النكر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة ● قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع
معي صبرا ● زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية ● قال ● أي موسى عم ● إن سألتك عن شيء بعدها ● أي بعد هذه
المرة ● فلا تصاحبني ● وقرئ من الأفعال أي لا تجعلني صاحبك ● قد بلغت من لدني عذرا ● أي قد أعذرت ووجدت
من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلعم رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه
لأبصر أعجب العجائب وقرئ لدني بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد ● فانطلقا حتى إذا أتيا أهل
قرية ● هي أنطاكية وقيل أيلة وهي أبعد الأرض من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة بالأندلس عن النبي صلعم
كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله ● استطعما أهلها ● في محل الجر على أنه صفة قرية ولعل العدول عن استطعامهم على أن يكون صفة للأهل لزيادة
تشنيعهم على سوء صنيعهم فإن الإباء من الضيافة وهم أهلها قاطنون بها أقبح وأشنع روي أنهما طافا في القرية
فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم ● فأبوا أن يضيفوهما ● بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الإضافة يقال
ضافه إذا كان له ضيفا وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف مال إليه من ضاف السهم عن الغرض
ونظيره زاره من الازورار ● فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض ● أي يدانى أن يسقط فاستعيرت الإرادة
للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك والانقضاض الإسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض
ومنه انقضاض الطير والكواكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض
من النقض وأن ينقاص من انقاصت السن إذا انشقت طولا ● فأقامه ● قيل مسحه بيده فقام وقيل
نقضه وبناه وقيل أقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع ● قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا ● تحريضا له على
أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة
واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى أخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ
عند البصريين وقرئ لتخذت أي لأخذت وقرئ بإدغام الذال في التاء ● قال ● أي الخضر عم ● هذا فراق بيني
وبينك ● على إضافة المصدر إلى الظرف اتساعا وقد قرئ على الأصل والمشار إليه إما نفس الفراق كما
هو المعهود ● سأنبئك ● السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة ● بتأويل ● ما لم تستطع عليه صبرا ● التأويل

رجع الشيء الى ماله والمراد به ههنا المآل والعاقبة اي ذلك المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية
وخلاص ابوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلته للموصول عدم استطاعة
موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال بتأويل ما فعلت او بتأويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب ● اما السفينة
التي خرقتها ● فكانت لمساكين ● لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى و
خمسة ● يعملون في البحر ● واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب او لان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين
● وكان وراءهم ملك ● اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن
جلندى الازدي ● يأخذ كل سفينة ● اي صالحة وقد قرئ كذلك ● غصبا ● من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين
لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين
للاعتناء بشأنها اذ هي المحتاجة الى التأويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص
سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التأخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه
الى الاقرب ● واما الغلام ● الذي قتلته ● فكان ابواه مؤمنين ● لم يصرح بكفره او بكفرهما اشعارا بعدم الحاجة الى الذكر
لظهوره ● فخشينا ان يرهقهما ● فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين ● طغيانا ● عليهما ● وكفرا ● لنعمتهما بعقوقه
وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما
بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره
وقرئ فخاف ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة على
الحكاية فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك ● فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ● بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي
التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما ● زكوة ● طهارة
من الذنوب والاخلاق الردية ● واقرب رحما ● اي رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت
نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما
بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل زكوة ● واما الجدار ● المعهود ● فكان لغلامين
يتيمين في المدينة ● هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما
فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون ● وكان تحته كنز لهما ● من فضة
وذهب كما روي مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وسائر حقوقهما
وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم ● وكان ابوهما صالحا ● تنبيه على ان سعيه في ذلك
كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء ● فاراد ربك ● اي مالكك ومدبر امورك وفي اضافة الرب الى
ضمير موسى عليه السلام دون ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن
المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ● ان يبلغا اشدهما ● اي حلمهما وكمال رأيهما ● ويستخرجا كنزهما ● من تحت الجدار

ولولا انه انقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية ● رحمة من ربك ●
مصدر في موقع الحال اي مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر
اي فعلت ما فعلت من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله
عز وعلا ● وما فعلته عن امري ● اي عن رأيي واجتهادي تأكيدا لذلك ● ذلك تأويل ما لم تسطع ● اي لم تستطع فحذف التاء
للتخفيف ● عليه صبرا ● من الامور التي رأيتها اي مآله وعاقبته فيكون التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم
وفي جعل الصلة عين ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعتاب ● تنبيه ● اختلفوا في حيوة الخضر عليه السلام فقيل انه حي وسببه انه
كان على مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحيوة فنزل واغتسل منها وشرب ماءها واخطأ ذو القرنين
الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحيوة يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روي ان النبي صلعم صلى العشاء
ذات ليلة ثم قال ارأيتكم ليلتكم هذه فان على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان
الخضر حينئذ حيا لما عاش بعد مائة عام روي ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به و
اطلبه لتعمل ● ويسئلونك عن ذي القرنين ● هم اليهود سألوه عليه السلام على وجه الامتحان او سألته قريش
بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه
الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مردبة من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل
اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن غوث بن زيد بن كهلان
بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة
وقيل انه افريدون بن اثفيان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن
القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب شمر بن عمير بن افريقيس الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض
ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال ● قد كان ذو القرنين جدي مسلما ● ملكا علا
في الارض غير معبد ● بلغ المشارق والمغارب يبتغي ● اسباب امر من حكيم مرشد ● وجعل هذا القول
اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن
قال الامام الرازي والاول هو الاظهر لان من بلغ من ملكه مبلغ السعة والقوة التي نطق بها التنزيل الجليل
انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعدان كان
طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها
باسمه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية
وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان
قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن
العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مدائن كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهر
زور ومات بها انتهى كلام الامام وروي ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء
من خشب وكان يدفن كنوز كل بلدة فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت

لم يدع وقام عليها حتى دنت الشمس فاطلعوه بترس فنظر فقال هذه أرض من حديد وسماء من خشب
فأيقن بالموت فمات وهو ابن ألف وستمائة سنة وقيل ثلاثة آلاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب
وأغرب منه ما قاله ابن عساكر من أنه بلغني أنه عاش ستا وثلاثين سنة أو ثنتين وثلاثين سنة وأنه
كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فإن ذلك لا ينطبق إلا على ذي القرنين الثاني كما ستذكره فلك و
كذا ما ذكره الإمام من قصة بني إسرائيل وورود بيت المقدس في التبع في مذبحه فإنه مما لا يكاد يتأتى نسبته
إلى الأول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على إسلامه وولايته فقيل كان نبيا لعموم إنا مكنا له في الأرض
وظاهره أنه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولعموم وآتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الأشياء النبوة
ولعموم قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روي أن عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لآخر
يا ذا القرنين فقال اللهم اغفر أما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة
قال ابن كثير والصحيح أنه ما كان نبيا ولا ملكا وإنما كان ملكا صالحا عادلا ملك الأقاليم وقهر أهلها
من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وأنه كان داعيا إلى الله تعالى سائرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان
المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير وقد
ذكر الأزرقي أنه أسلم على يدي إبراهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة هو وإسمعيل وروي أنه حج ماشيا فلما
سمع إبراهيم بقدومه تلقاه ودعا له وأوصاه بوصايا ويقال إنه أتي بفرس ليركب فقال لا أركب في بلد فيه الخليل فعند
ذلك سخر له السحاب وطوى له الأسباب فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم إذا أرادوا غزوة
قوم وقال أبو الطفيل سئل عنه علي كرم الله وجهه أكان نبيا أم ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا
أحب الله فأحبه وناصح الله فناصحه سخر له السحاب ومد له الأسباب واختلف في وجه تسميته بذي
القرنين فقيل لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لأنه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك
وقيل لأنه كان في رأسه أو في تاجه ما يشبه القرنين وقيل لأنه كان له ذؤابتان وقيل لأنه كانت صفحتا رأسه
من النحاس وقيل لأنه دعا الناس إلى الله عز وجل فضرب بقرنه الأيمن فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب
بقرنه الأيسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لأنه رأى في منامه أنه صعد الفلك فأخذ بقرني الشمس وقيل لأنه انقرض
في عهده قرنان وقيل لأنه سخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه
وقيل لقب به لشجاعته هذا وأما ذو القرنين الثاني فقد قال ابن كثير إنه الإسكندر بن فيلبس بن
مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن يونة بن شرخون بن رومة
بن ثونط بن نوفيل بن رومي بن الأصفر بن العيص بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليهما السلام
كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني الإسكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم وكان
متأخرا عن الأول بدهر طويل أكثر من ألفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاثمائة سنة وكان
وزيره أرسطاطاليس الفيلسوف وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس ووطئ أرضهم ثم قال
وإنما بينا هذا لأن كثيرا من الناس يعتقد أنهما واحد وأن المذكور في القرآن العظيم هو هذا المتأخر فيقع

بذلك خطأ

بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والأول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا ووزيره الخضر عليه السلام وقد قيل إنه
كان نبيا وأما الثاني فقد كان كافرا ووزيره أرسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من الزمان أكثر من ألفي سنة
فأين هذا من ذلك انتهى وقيل المقدوني نسبة إلى بلدة من بلاد الروم غربي دار السلطنة السنية قسطنطينية
المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما أو نحو ذلك عند مدينة سيروز
اسمها بلغة اليونانيين مقدونيا كانت سرير ملك هذا الإسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها أحد ولكن فيها علائم
تحكي كمال عظمتها في عهد عمرانها ونهاية شوكة أهلها وسلطانها ولقد مررت بها عند القفول عند بعض المغازي
السلطانية فعاينت فيها من عجائب الآثار ما فيه عبرة لأولي الأبصار • قل • لهم في الجواب • سأتلو عليكم
أي سأذكر لكم • منه • أي من ذي القرنين • ذكرا • أي نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو حكاية
عن جهته عز وجل قيل سأتلو وسألوا في شأنه من جهته تعالى ذكرا أي قرآنا والسين للتأكيد والدلالة على التحقق
المناسب لمقام تأييده عليه السلام وتصديقه بإنجاز وعده أي لا أترك التلاوة البتة كما في قول من قال سأشكر عمرا
إن تراخت منيتي • أيادي لم تمنن وإن هي جلت • لا للدلالة على أن التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لأن
هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه عليه السلام عنه وعن
الروح وعن أصحاب الكهف فقال لهم عليه السلام ائتوني غدا أخبركم فأبطأ عليه الوحي خمسة عشر يوما أو أربعين كما ذكر فيما سلف
وقوله عز وجل • إنا مكنا له في الأرض • شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الإقدار و
تمهيد الأسباب يقال مكنه ومكن له ومعنى الأول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قوة وقدرة ولتلازمهما في الوجود و
تقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وعلا مكناهم في الأرض • ما لم نمكن لكم • أي جعلناهم قادرين من
حيث القوى والأسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار
بالعدد والأسباب فكأنه قيل ما لم نمكنكم فيها أي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها أو مكنا لهم في الأرض
ما لم نمكن لكم وهذا إذا كان التمكين مأخوذا من المكان بناء على توهم ميمه أصلية كما أشير إليه في سورة يوسف
عليه السلام والمعنى إنا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الأرض من حيث التدبير والرأي والأسباب حيث
سخر له السحاب ومد له في الأسباب وبسط النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير
في الأرض وذللت له طرقها • وآتيناه من كل شيء • أراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة
بسلطانه • سببا • أي طريقا يوصله إليه وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة
• فأتبع • بالقطع أي فأراد بلوغ المغرب فأتبع • سببا • يوصله إليه وصل وقصد بلوغ المغرب ابتدأ بمراعاة
الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرق أن الأول فيه معنى الإدراك والإسراع دون الثاني • حتى
إذا بلغ مغرب الشمس • أي منتهى الأرض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة
البحر المحيط الغربي الذي يقال له أوقيانوس الذي فيه الجزائر المسماة بالخالدات التي هي مبدأ الأطوال
على أحد القولين • وجدها • أي الشمس • تغرب في عين حمئة • أي ذات حمأة وهي الطين الأسود من
حمئت البئر إذا كثرت حمأتها وقرئ حامية أي حارة روي أن معاوية رضي الله تعالى عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس

رضي فقال حيثة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ فقال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار
كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين روي في ثاط فوافق قول ابن عباس رضي وليس بينهما منافاة
قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين مع كون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها
واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رم بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون
قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله بلغ ساحل المحيط ورآها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير
الماء كما يلوح به قوله تع وجدها تغرب ● ووجد عندها ● عند تلك العين ● قوما ● قيل كان لباسهم جلود الوحوش
وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله
تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر ● واما ان تتخذ فيهم حسنا ● اي امرا ذا حسن على حذف
المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرايع
ومحل ان مع صلته اما الرفع على الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع واما امرك
تعذيبك او اما تفعل تعذيبك ومعتقد الخالي في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي
في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي ● قال
اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى امره تع مختارا للشق الاخير ● اما من ظلم
اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك ● فسوف
نعذبه ● بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن اعطاه وكساه ● ثم يرد الى ربه
في الآخرة ● فيعذبه ● فيها ● عذابا نكرا ● اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب
لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي او مع من عنده من اهل مشورته ● واما من آمن بموجب
دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان ● فله في الدارين جزاء الحسنى ● اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة
الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب بمضمر اي يجزى بها جزاء
والجملة حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر المقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على
انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدله والخبر الجار والمجرور وقيل خير
بين القتل والاسر والجواب من باب اسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيراعى في حقه قوة
الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شأنك
معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب ● وسنقول له من امرنا ● اي مما
نأمر به ● يسرا ● اي سهلا ميسرا اي متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين
● ثم اتبع سببا ● اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها ● حتى اذا بلغ مطلع الشمس ● يعني الموضع الذي
تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه
مصدر قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب وطوي له
الاسباب ● وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ● من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب

ان

ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار
خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم
وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف
تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن
فلما طلعت الشمس على الماء اذ هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر
يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند
مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض ● كذلك ● اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة
الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او
نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل ستركم من
اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك ● وقد احطنا بما لديه ● من الاسباب والعدد والعدد ● خبرا ●
يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية
فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر عنه وما لاقاه فتأمل ● ثم اتبع سببا ● اي طريقا ثالثا
معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال ● حتى اذا بلغ بين السدين ● بين الجبلين اللذين سد ما بينهما
وهو منقطع ارض الترك مما يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق
الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل الخلوق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظروف
التي تستعمل اسماء ايضا كما ارتفع في قوله تع لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك ● وجد من دونهما ●
اي من ورائهما مجاوزا عنهما ● قوما ● اي امة من الناس ● لا يكادون يفقهون قولا ● لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ
من باب الافعال اي لا يفهمون غيرهم كلامهم واختلفوا في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال
السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن
قتادة انهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت واحدة فسموا الترك
لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عم ثلثة سام وحام ويافث فيافث ابو الترك والخزر والصقالبة
ويأجوج ومأجوج ● قالوا ● اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهامهم كلامه
اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب ● يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج ● قد ذكرنا انهما من اولاد
يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل اختلف في صفاتهم فقيل في غاية
صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول القامة يبلغ قدودهم
نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس كالسباع وهما اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ
بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث ● مفسدون في الارض ● اي في ارضنا بالقتل والتخريب
واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا

ويافث فهام ابو العرب والعجم والروم
وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة صح

يخرجون ايام الربيع كانوا يأكلون الناس ايضاً • فهل نجعل لك خرجاً • اى جعلاً من اموالنا والفاء
لتفريع العرض على افسادهم فى الارض وقرئ خراجاً وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما على الارض و
الذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل راس والخراج ما كان على البلد وقيل الخرج ما تبرعت
به والخراج ما لزمك اداؤه • على ان تجعل بيننا وبينهم سداً • وقرئ بالضم • قال ما مكّنّى • بالادغام وقرئ بفكه اى ما مكّننى
فيه ربى • وجعلنى فيه مكيناً قادراً من الملك والمال وسائر الاسباب • خير • اى مما تريدون ان تبذلوه الىّ من
الخرج فلا حاجة بى اليه • فاعينونى بقوة • اى بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالات لا بد منها فى
البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله تعالى فيه من المال او على عدم قبول خرجهم • اجعل • جواب
للامر • بينكم وبينهم • تقديم اضافة الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير يأجوج ومأجوج لاظهار كمال
العناية بمصالحهم كما راعوه فى قولهم بيننا وبينهم • ردماً • اى حاجزاً حصيناً وبرزخاً متيناً وهو اكبر من السد واوثق يقال
ثوب مردم اى فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه • آتونى زبر الحديد • جمع زبرة كغرف
فى غرفة وهى القطعة الكبيرة وهذا لا ينافى رد خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن او المناولة كما ينبئ عنه القراءة بوصل
الهمزة اى جيئونى بزبر الحديد على حذف الباء كما فى امرتك الخير لان ايتاء الالة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج
على ان العمل وتخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الالات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها اشد
اذ هى الركن فى السد ووجودها اعز قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله تعالى
حتى اذا ساوى بين الصدفين • اى اتونى بها فاخذ يبنى شيئاً فشيئاً حتى اذا جعل ما بين ناحيتى الجبلين
من البنيان مساوياً لهما فى السمك على النهج المحكى قيل كان ارتفاعه مائتى ذراع وعرضه خمسين ذراعاً
وقرئ سوّى من التسوية وسووى على البناء للمجهول • قال • للعملة • انفخوا • اى بالكيران فى الحديد المبنى
ففعلوا • حتى اذا جعله • اى المنفوخ فيه • ناراً • اى كالنار فى الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور
الى ذى القرنين مع انه فعل العملة للتنبيه على انه العمدة فى ذلك وهم بمنزلة الالة • قال • للذين يتولون
امر النحاس من الاذابة ونحوها • آتونى افرغ عليه قطراً • اى آتونى قطراً اى نحاساً مذاباً افرغ عليه قطراً
فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وقرئ بالوصل اى جيئونى كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ و
اسناد الافراغ الى نفسه للسر الذى وقفت عليه آنفاً وكذا الكلام فى قوله تعالى ساوى وقوله تعالى
اجعل • فما اسطاعوا • بحذف التاء تخفيفاً وحذراً عن تلاقى المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع
بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صاداً والفاء فصيحة اى فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر
او الاتيان فافرغه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلاً صلداً فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا
ان يعلوه وينقبوه فما اسطاعوا • ان يظهروه • اى يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته • وما استطاعوا
له نقباً • لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار
لا يقدر الحيوان على ان يحوم حولها فضلاً عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه

سبحانه

سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان
والله على كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى
تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلاً • قال • اى ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم
• هذا • اشارة الى السد وقيل الى تمكنه من بنائه والفضل للمتقدم اى هذا الذى ظهر على يدى وحصل بمباشرتى
من السد الذى شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال • رحمة • اى اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة
• من ربى • على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الاثار الحاصلة بمباشرة الخلق
عادة بل هو احسان الهى محض وان ظهر بمباشرتى والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة • فاذا جاء وعد
ربى • مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد
بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما
قيل فان بعض الامور التى ستحكى يقع بعد مجيئه حتماً • جعله • اى السد المشار اليه مع متانته ورصانته
وفيه من الجزالة ما ليس فى توجيه الاشارة السابقة الى التمكن المذكور • دكاء • اى ارضاً مستوية و
قرئ دكاً اى مدكوكاً مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك اى المنبسط
السنام وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة
رحمته • وكان وعد ربى • اى وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولاً اولياً • حقاً • ثابتاً لا
محالة واقعاً البتة وهذه الجملة تذييل من ذى القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما
حكى من قصته وقوله عز وجل • وتركنا بعضهم • كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكاء
ومحقق لمضمونه اى جعلنا بعض الخلائق • يومئذ • اى يوم اذ جاء الوعد بمجيء بعض مباديه • يموج فى بعض
آخر • منهم يضطربون اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل
النفخة الاولى او تركنا بعض يأجوج ومأجوج يموج فى بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين فى البلاد
روى انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس
ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفاً فى اقفائهم فيدخل فى اذانهم
فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيراً فتلقيهم فى البحر ثم يرسل مطراً يغسل الارض ويطهرها
من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال • ونفخ فى الصور
هى النفخة الثانية بقرينة الفاء فى قوله تعالى • فجمعناهم • ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية
عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع فى النشأة الاولى من الاحوال والاهوال
وبين ما يقع منها فى النشأة الاخرة اى جمعنا الخلائق بعدما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم فى صعيد
واحد للحساب والجزاء • جمعاً • عجيباً لا يكتنه كنهه • وعرضنا جهنم • اظهرناها وابرزناها • يومئذ • اى
يوم اذ جمعنا الخلائق كافة • للكافرين • منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظاً وزفيراً
• عرضاً • اى عرضاً فظيعاً هائلاً لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة

لان ذلك الا حالهم خاصة الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك
من جميع الجوانب عن ذكري عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد
او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشاني او عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك
لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول عم سمعا لذكري وكلامي الحق الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وهذا لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة
بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما
اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات و
اعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله
تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه
كما في قولك اضربت اباك لا انكار الوقوع كما في قوله أاضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة
على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا
اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي اتسمعون فلا تعقلون والمعنى اكفروا بي
مع جلالة شاني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم
تحت سلطاني وملكوتي من دوني اولياء معبودين ينصرونهم من باسي وما قيل انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى
كانت الخ وكانوا الخ دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليها همزة الانكار ذما
على ذم وقطعا له عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار
والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما
من افعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما واعتبار ما فانه دين قديم لهم لا يمكن
جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى
وما في حيز صلته ان ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اي افحسبوا انهم يتخذونهم
اولياء على معنى ان ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما انه يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم
بالمرة لقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف اي افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه
هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم و
كان فيهم ان يتخذوا اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل
في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى الانكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اي هيأناها للكافرين المعهودين
عدل عن الاضمار ذما لهم واشعارا بان ذلك الاعتاد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا
اي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل اي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم
في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد
فكانه قيل انا اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى ان لهم

وراء جهنم من العذاب ما هي انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضه
بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيينه من اول
الامر وللايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان
بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في انفسها وفي حسبانهم ايضا حيث
كانوا معجبين واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار اعمالهم السيئة في انفسها مع كونها
حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في اقامة تلك الاعمال اي ضاع وبطل بالكلية في الحيوة الدنيا
متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل هم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابي
وقاص ومجاهد ويدخل في الاعمال حينئذ ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهبانية الذين
يحبسون انفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول
الرفع على خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على انه نعت
للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب ما سيأتي من قوله تعالى اولئك يأباه ان صدوره
ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه
ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع
الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا اذ لا مجال لادراجه تحت الامر بقضية نون العظمة وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي اي يحسبون
انهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال
من فاعل ضل اي بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم محسنون في ذلك منتفعون بآثاره
او من المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اي بطل سعيهم والحال انهم الخ والفرق
بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول ادخل في بيان
خطائهم اولئك كلام مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال
سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق التعريف على المخاطبين غير داخل تحت الامر اي اولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال
السعي مع الحسبان المذكور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض
لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من امور الآخرة
على ما هي عليه فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم اي لاولئك الموصوفين
بما مر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء يوم القيمة وزنا فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان
مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه
بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه
انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب
عليه التكفير وعدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون

دون الكمال فلا يوضع لهم الميزان قطعا • ذلك • بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم
المحبطة بذلك اي الامر ذلك وقوله عز وجل • جزاؤهم جهنم • جملة مبينة له او ذلك مبتدا والجملة خبره و
العائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر • بما كفروا •
تصريح بان ما ذكر جزاء لهم لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي انبأ عنها قوله تعالى • واتخذوا آياتي ورسلي هزوا •
اي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد اي آمنوا بآيات
ربهم ولقائه وعملوا الصالحات • من الاعمال • كانت لهم • فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة
يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم
• جنات الفردوس • عن مجاهد ان الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال
الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم
خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب
وعن كعب انه ليس في الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر و
عن رسول الله صلعم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها الانهار الاربعة
فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تنفجر انهار الجنة • نزلا • خبر كانت والجار و
المجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ به للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس نزلا او جعلت نفس الجنات
نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بانها عندما اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة
وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر • خالدين فيها • نصب على الحالية • لا يبغون عنها حولا • مصدر كالعود و
الصغر اي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصورون ان يكون شيء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم
وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز ان يراد نفي التحول وتأكيد الخلود حال من صاحب او من ضمير فيها فيكون حالا
• قل لو كان البحر • اي جنس البحر • مدادا • وهو ما تمد به الدواة من الحبر • لكلمات ربي • لتحرير كلمات علمه وحكمته التي
من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك • قبل ان تنفد كلمات • وقرئ بالياء والمعنى
من غير ان تنفد • كلمات ربي • لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى
اسم الرب المضاف الى ضميره عم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات
في موضع الاضمار لزيادة التقرير • ولو جئنا • كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق
مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة
واضحة اي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة • بمثله • مددا • عونا وزيادة لان
مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام الادلة القاطعة على تناهي
الابعاد ومددا جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا • قل • لهم بعدما بينت لهم شأن كلماته تعالى • انما انا بشر
مثلكم • لا ادعي الاحاطة بكلماته التامة • يوحى الي • من تلك الكلمات • انما الهكم اله واحد • لا شريك له في الخلق ولا في

سائر احكام الالوهية وانما تميزت عنكم بذلك • فمن كان يرجو لقاء ربه • الرجاء توقع وصول الخير في
المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وادخال الماضي على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار
والاستدامة على رجاء اللقاء اي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى • فليعمل • لتحصيل تلك الطلبة العزيزة •
عملا صالحا • في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات • ولا يشرك بعبادة ربه احدا • اشراكا
جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار
وضع المظهر موضع المضمر مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار بعلية العنوان للامر والنهي و
وجوب الامتثال فعلا وتركا روي ان جندب بن زهير رض قال لرسول الله صلعم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه
سرني فقال عليه السلام ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي انه عم قال له لك اجران اجر السر
واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عم اتقوا الشرك الاصغر قيل وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن
رسول الله صلعم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له
نورا من الارض الى السماء وعنه عم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر الخ كان له من مضجعه نورا يتلألأ من
مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ الحمد لله سبحانه على نعمه العظام

سورة مريم وهي ثمان وتسعون آية كلها مكية الا آية السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص • بامالة الهاء والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة الياء وبتفخيمهما وباخفاء النون قبل
الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية
فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما للسورة او مسرودة على نمط التعديد وان كان لزمها
التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها جريا على الاصل
وقرئ بادغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله
الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص اي مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم
جريان ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان او على
انه مبتدأ خبره • ذكر رحمة ربك • اي المسمى به ذكر رحمته الخ فان ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما
انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم
الانتساب عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الاخبار بها كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة
على نمط التعديد حسبما جنح اليه اهل التحقيق فذكر الى آخره خبر لمبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه
قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الى آخره واسم الاشارة اشير اليه
تنزيلا لحضوره بذكره منزلة حضور المؤلف منها اي بعدما ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره اي فيما يتلى
عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الامر
والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عم للايذان بان تنزيل السورة
عليه عم تكميل له عليه السلام وقوله تعالى • عبده • مفعول لرحمة ربك على انها مفعول لما اضيف اليها وقيل

للذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني
معروف فلان اي بلغني وقوله عز وعلا • زكريا • بدل منه او عطف بيان له • اذ نادى ربه نداء خفيا • ظرف
لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا لا على الوجه الاول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من
زكريا كما في قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت • ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه
مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر ادخل في الاخلاص وابعد من الرياء واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس
على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان
يخافهم وقيل كان ذلك منه عليه السلام لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين
وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران • قال • جملة مفسرة لنادى لا محل
لها من الاعراب • رب اني وهن العظم مني • اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعام الجسد
فاذا اصابه الضعف والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تأثرا من العلل فاذا
وهن كان ما وراءه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومني متعلق
بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن وهن بضمها ايضا وتأكيد الجملة لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها •
واشتعل الرأس شيبا • شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر
وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال
الى محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة
وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل شيب رأسي فاسند الاشتعال الى الرأس كما ذكر
لافادة شموله لكلها فان وزانه بالنسبة الى الاصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار
في بيته ولزيادة تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بادغام السين
في الشين • ولم اكن بدعائك رب شقيا • اي لم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات
هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ
المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة اثر
تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فانه تعالى بعدما عود عبده بالاجابة دهرا
طويلا لا يكاد يخيبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية
المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك
سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله تعالى
بما يناسبه من اسمائه وصفاته • واني خفت الموالي • عطف على قوله تعالى اني وهن مترتب مضمونه على
مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار
بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله • من ورائي • اي بعد موتي
متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اي فعل الموالي من بعدي او جور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي من

معنى

معنى الولاية اي خفت الذين يلون الامر من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراي بالقصر وفتح الياء
وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرين على
اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من خف القوم اي ارتحلوا مسرعين اي درجوا قداما ولم يبق منهم
من به تقو واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت • وكانت امرأتي عاقرا • اي لا تلد من حين شبابها
فهب لي من لدنك • كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم
الاول لكون مدلوله اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل ظرف بمعنى
اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران اي اعطني من محض
فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية • وليا • اي ولدا
من صلبي وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتناء بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها فضل تمكن
ولان فيه نوع طول لما بعده من الوصف فتأخيرهما عن الكل وتوسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق
بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام من كبر السن وضعف القوى
وعقر المرأة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية واستيهابه
على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع آخر الى الاقبال على الدعاء المذكور من مشاهدته
عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الآية وعدم ذكره ههنا للتعويل
على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعاء هناك للاكتفاء بذكرها ههنا فان الاكتفاء بما ذكر في موطن
عما ترك في موطن آخر من النكت التنزيلية • وقوله تعالى • يرثني • صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم
جوابا للدعاء اي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبياء عليهم السلام لا يورثون المال كما
قال عليه السلام نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة وهي يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا • ويرث
من آل يعقوب • يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او
الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن
اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان
من نسل سليمان عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل
وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ و
يرث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ او يرث آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة
التجريد اي يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عليهم السلام انبياء ولا علماء • واجعله رب رضيا •
مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه
يا زكريا • على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا • انا نبشرك بغلام اسمه يحيى • لكن لا بان خاطبه عليه السلام بذلك بالذات
بل بواسطة الملك على ان يحكي له عليه السلام مفرده العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم

الى الآية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب ندائه عم ووعد باجابة دعائه لكن لا كلا كما
هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الى آخره بل بعضا حسبما يقتضيه المشيئة الالهية المبنية على الحكم
البالغة فان الانبياء عم وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة
ابراهيم عم في حق ابيه والى دعوة النبي صلعم حيث قال وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها
فقد كان من قضائه عز وعلا ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل
موت ابيه عم على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عم تأكيد للوعد و
تشريف له عم وفي تخصيصه به عم حسبما يعرب عنه قوله تعالى • لم نجعل له من قبل سميا • اي شريكا له في الاسم
حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عم فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس
تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشارك في
الوصف بمنزلة المشترك في الاسم قالوا لم يكن له عم مثل في انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وانه ولد
من شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله
وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر و
يعيش قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او حيي دين الله تعالى بدعوته • قال • استئناف مبني على السؤال كأنه قيل
فماذا قال عم حينئذ فقيل قال • رب • ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع
والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على
توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف في عامة الاوقات • انى يكون لي غلام • كلمة انى بمعنى كيف
او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما
قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام
اذ لو تأخر لكان صفة له اي انى يحدث كائنا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى ولي متعلق بمحذوف
كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى • وكانت امرأتي عاقرا • حال من ضمير المتكلم بتقدير
قد وكذا قوله تعالى • وقد بلغت من الكبر عتيا • حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تأكيد اي كانت امرأتي عاقرا
لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الآن عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جفاوة ونحولا في
المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتوو كقعود
فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التاء فانقلبت الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم
قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احديهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لها لما بعدها
وقرئ بضمها ولعل البداية ههنا بذكر حال امرأته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف
دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعاء ذكر حاله
فلذلك قدمه على ذكر حال امرأته لما ان المسارعة الى بيان قصور شأنه انسب وانما قاله عم مع سبق دعائه
بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران

استعظاما

استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته تعالى في ذلك باظهار انه من محض لطف الله عز وجل وفضله
مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا
ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عم استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد
حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وقد كان نسي دعاءه وهو بعيد • قال • استئناف كما مر مبني
على سؤال نشأ مما سلف والكاف في قوله تعالى • كذلك قال ربك • مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه مصدر
تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول آخر شبه هذا به
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى • هو علي هين • جملة مقررة للوعد المذكور
دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كأنه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك
الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين
فالجملة حينئذ حال من ربك في البادي عبارة من ضميره كما سنعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة
ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وادخال
الروعة كقول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف
الى ضميره عم تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه السلام من ايجاده
من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس
استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عم الاطمئنان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير
الغائب العائد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية
لا ربوبيته تعالى له عم خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على
طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة
بالواو لانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من
وعده تعالى اي قال عز وعلا الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الى آخره استئناف
مقرر لمضمونه والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى او حال من المستكن في الجار والمجرور
واياما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب
ثم الالتفات الى التكلم كالذي مر آنفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عم اي قال تعالى الامر كما قلت تعجبا
له فيما حكاه من الحالة المنافية للولادة في نفسه وفي امرأته وقوله تعالى قال ربك الخ استئناف مسوق لازالة
استبعاده بعد تقريره اي قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين وفي القراءة الثانية ادخل في افادة هذا
المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لان مآله تقرير صعوبته حال سهولته عليه تعالى
مع ان المقصود بيان سهولته عليه تعالى مع صعوبته في نفسه وقوله تعالى • وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا •
جملة مستأنفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق
التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عم وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم

عطف على قوله رأى كما لا يخفى منه

من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة الاستبعاد بقياس ما بشر به على حاله عليه السلام لتأكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس
حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على
نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان
ابداعه عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا للكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع
افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على
عظيم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما
بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية
لمقام الامتنان حقه فكأنه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا اصلا بل عدما
بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به اي ولم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ
خلقناك ● قال رب اجعل لي آية ● اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتأكيد
البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة
مطلقة عن تعيينه وهو امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها و
لا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة آل عمران الى ان هذا السؤال ينبغي ان
يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث
سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عليه السلام كان في صغر مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت
عيسى عليه السلام وهي بنت عشر سنين او بنت ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر لكان صفة لها
وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ
عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ ● قال آيتك
ألا تكلم الناس ● اي ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ● ثلاث ليال
مع ايامهن للتصريح بها في سورة آل عمران ● سويا ● حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار
دون الاختيار اي تمنع الكلام فلا تطيق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم و
لا خرس ● فخرج على قومه من المحراب ● اي من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان
يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك ● فاوحى اليهم ● اي اومى اليهم
لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب على الارض وان في قوله تعالى ● ان سبحوا ● اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى
اي صلوا او بان صلوا ● بكرة وعشيا ● هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلاة الفجر
وصلاة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا ويأمر قومه بذلك ● يا يحيى ● استئناف
طوي قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اي قلنا يا يحيى ● خذ الكتاب ● اي التوراة ● بقوة ● اي
بجد واستظهار بالتوفيق ● وآتيناه الحكم صبيا ● قال ابن عباس رضي الله عنهما الحكم النبوة استنبأه وهو

وزكوة اي طهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه

ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه في الدين روي انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب
خلقنا ● وحنانا من لدنا ● عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق ومن متعلق بمحذوف
وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي وآتيناه رحمة عظيمة عليه
كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه او وفقناه للتصدق على الناس ● وكان تقيا ● مطيعا متجنبا
عن المعاصي ● وبرا بوالديه ● عطف على تقيا اي بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ● ولم يكن جبارا عصيا ● متكبرا عاقا لهما
او عاصيا لربه ● وسلام عليه ● من الله عز وجل ● يوم ولد ● من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ● ويوم يموت
من عذاب القبر ● ويوم يبعث حيا ● من هول القيامة وعذاب النار ● واذكر في الكتاب ● كلام مستأنف خوطب به
النبي صلعم وامر بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن الكل
اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اي واذكر للناس فيها
● مريم ● اي نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله تعالى ● اذ انتبذت ● ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المأمور
ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستئناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل
بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها فان الظرف مشتمل على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف
ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اي لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة
● من اهلها ● متعلق بانتبذت وقوله تعالى ● مكانا شرقيا ● مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا
واعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو التنحي اي اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا
شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت في مشرقة لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط
او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى ● فاتخذت من دونهم حجابا ● وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت
خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه
جعد الشعر وذلك قوله تعالى ● فارسلنا اليها روحنا ● اي جبريل عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح
الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
● فتمثل لها بشرا سويا ● سوي الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة
ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى
اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر
نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى ● قالت اني اعوذ بالرحمن
منك ● فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل الشهوي
نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف
ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي
العصمة مما دهمها وقوله تعالى ● ان كنت تقيا ● تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
السياق عليه اي فاني عائذة به او فتعوذ بتعوذي او فلا تتعرض لي ● قال انما انا رسول ربك ● يريد عليه السلام اني لست

ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما اى لاكون
سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض بعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف
امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح
قالت انى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر اى والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة
في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون
المس عبارة عن المباشرة بالنكاح اى ولم اكن فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل او فعيل بمعنى الفاعل
فلان نهو عن المنكر وانما لم تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اى يبغيها الرجال للفجور بها قال اى
الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا لها كذلك اى الامر كما قلت ولكن قال ربك استئناف مقرر له اى قال
ربك الذي ارسلني اليك هو اى ما ذكرت من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا علي خاصة هين وان كان
مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف
اى ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اى
لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله آية الخ والواو على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة
ورحمة عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا
محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلي او قدر وسطر في اللوح لابد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان
يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة في جوفها وقيل انه عليه السلام مد
درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت
مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات
وقيل ساعة كما حملته وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت
به اى فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور في حيز النصب على
الحالية اى فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو
لا يناسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اى فالجأها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه لم يستعمل
في غيره كآتي في اعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج
الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العروق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس
لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس
ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها وليطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها
قالت يا ليتني مت بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا اى هذا الوقت
الذي لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم استحياء من الناس
وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما يتكلمون فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر

عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه
قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اى شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر
وقيل هما لغتان فيه كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول
مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه ماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسأ منسيا لا
يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا كالمغيرة فناداها اى جبريل عليه السلام من تحتها
قيل انه كان يتقبل الولد وقيل من تحتها اى من مكان اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام
وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم ان لا تحزني اى لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على انها مصدرية قد حذف
عنها الجار قد جعل ربك تحتك اى بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى وان امرته بالامساك
امسك سريا اى نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهر
عين ماء عذب فجرى جدولا وقيل فعله عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل
مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله لها اذ ذاك
رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم
الكريم وقيل سريا اى سيدا نبيلا رفيع الشأن جليلا وهو عيسى عليه السلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء
الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل
وتكميل التسلية وهزي اليك هز الشيء تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد هنا ما كان منه
بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك اى الى جهتك والباء في قوله تعالى بجذع النخلة صلة للتأكيد كما في
قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الخ قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ الخطام واخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها
اى افعلي الهز بجذعها او على التمرة بهزه وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اى هزي اليك الرطب
كائنا بجذعها تساقط اى تتساقط النخلة عليك اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط ويسقط
من الاسقاط بالتاء والياء وتتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح الثانية وتساقط بادغامها في السين
ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء في الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا
على القراءات الست الاول مفعول وعلى الست البواقي تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل يبسه
فعيل بمعنى مفعول اى مجنيا اى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اى طريا طيبا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلي و
اشربي اى ذلك الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسا وارفضي عنها ما
احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما يختلج في صدور المتقيدين بالاحكام العادية بان اظهر لهم من البسائط
العنصرية والمركبات النباتية لخرق العادات التكوينية ما يرشدهم الى الوقوف على سريرة امرك وقرئ وقري
بكسر القاف وهي لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او
من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه فاما
ترين من البشر احدا اى آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخي بين الهمزة والياء من

من التأخي فقولي له إن استنطقك إني نذرت للرحمن صوماً أي صمتاً وقد قرئ كذلك أو صياماً وكان
صيامهم بالسكوت فلن أكلم اليوم إنسياً أي بعد أن أخبرتكم بنذري وإنما أكلم الملائكة وأناجي ربي وقيل أمرت
بأن تخبر بنذرها بالإشارة وهو الأظهر قال الفراء العرب تسمي كل ما وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ما لم يؤكد
بالمصدر فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام وإنما أمرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومنع قتلهم والاكتفاء
بكلام عيسى عليه السلام فإنه نص قاطع في قطع الطعن فأتت به قومها أي جاءتهم مع ولدها راجعة إليهم عندما طهرت
من نفاسها تحمله أي حاملة له قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً أي عظيماً بديعاً منكراً من
فري الجلد أي قطعه أو جئت مجيئاً عجيباً عبر عنه بالشيء تحقيقاً للاستغراب يا أخت هارون استئناف لتجديد
التعيير وتأكيد التوبيخ عنوا به هارون النبي عليه السلام وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الأخوة وقيل كانت
من نسله وكان بينهما ألف سنة وقيل هو رجل صالح كان في زمانهم شبهوها به أي كنت عندنا مثله في الصلاح أو
شتموها به ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً تقرير لكون ما جاءت به فرياً منكراً وتنبيه على أن
ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش فأشارت إليه أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه والظاهر أنها
بينت نذرها وأنها بمعزل من محاورة الإنس حسبما أمرت ففيه دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالإشارة لا با
لعبارة والجمع بينهما مما لا يعهد قالوا منكرين لجوابها كيف نكلم من كان في المهد صبياً ولم نعهد فيما سلف
صبياً يكلمه عاقل وقيل كان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة
بدليل أنه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبياً حال من المستكن فيه أو هي تامة أو دائمة
كما في قوله تعالى وكان الله عليماً حكيماً قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كأنه قيل فماذا
كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام إني عبد الله أنطقه الله عز وجل بذلك [illegible] تحقيقاً للحق ورداً على من يزعم ربوبيته
كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدي لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد علينا مما فعلت
وروي أنه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار بسبابته فقال ما قال
وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغاً يتكلم الصبيان آتاني الكتاب أي الإنجيل وجعلني نبياً مع ذلك
مباركاً نفاعاً معلماً للخير والتعبير بلفظ الماضي في الأفعال الثلاثة إما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم أو
بجعل ما في شرف الوقوع لا محالة واقعاً وقيل أكمله الله عقلاً واستنبأه طفلاً أينما كنت أي حيثما كنت و
أوصاني بالصلاة أي أمرني بها أمراً مؤكداً والزكاة زكاة المال إن ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل
ما دمت حياً في الدنيا وبراً بوالدتي عطف على مباركاً أي جعلني باراً بها وقرئ بالكسر على أنه مصدر وصف به
مبالغة أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي وكلفني براً ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفاً على الصلاة والزكاة
والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جباراً شقياً عند الله تعالى لفرط تكبري والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم
أبعث حياً كما هو على يحيى عليه السلام والتعريف للعهد والأظهر أنه للجنس والتعريض باللعن على أعدائه فإن إثبات
جنس السلام لنفسه تعريض بإثبات ضده لأضداده كما في قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض بأن العذاب
على من كذب وتولى ذلك إشارة إلى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد

منزلته

منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى
وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه قول الحق
بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقال إني عبد الله الخ وقوله تعالى عيسى بن مريم اعتراض مقرر لما قبله وقرئ بالرفع على أنه خبر
مبتدأ محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والإضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة
وقيل صفة عيسى أو بدله أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق فإن القول والقال في معنى
واحد الذي فيه يمترون أي يشكون أو يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ
بتاء الخطاب ما كان لله أي ما صح وما استقام له تعالى أن يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له
تعالى عما بهتوه وقوله تعالى إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا قضى
أمراً من الأمور أن يتعلق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخر فمن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب
على الجواب قوله تعالى وإن الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى قبله وهو عطف على قوله إني عبد الله داخل
تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام أي ولأنه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله وأن المساجد لله
فلا تدعوا مع الله أحداً وقيل معطوف على الصلاة هذا أي الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء
في قوله تعالى فاختلف الأحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيهاً على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق
منشأ للاختلاف فإن ما حكي من مقالات عيسى عليه السلام مع كونها نصوصاً قاطعة في كونه عبده تعالى ورسوله قد اختلف اليهود
والنصارى بالتفريط والإفراط أو فرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط
إلى الأرض ثم صعد إلى السماء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا
وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول إيذاناً بكفرهم جميعاً وإشعاراً بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم أي من شهود
يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة أو من وقت شهوده أو من مكان الشهود فيه أو
من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو أن يشهد عليهم الملائكة والأنبياء عليهم السلام وألسنتهم وأيديهم
وأرجلهم وسائر آرابهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في
حق عيسى وأمه أسمع بهم وأبصر تعجب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذ ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم
يأتوننا للحساب والجزاء يوم القيامة جدير بأن يتعجب منهما بعد أن كانوا في الدنيا صماً وعمياً أو تهديد بما سيسمعون
ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم والجار والمجرور على الأول في موقع
الرفع وعلى الثاني في موقع النصب لكن الظالمون اليوم أي في الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث أغفلوا
الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين موضع الضمير للإيذان بأنهم في ذلك ظالمون لأنفسهم وأنذرهم يوم الحسرة
أي يوم يتحسر الناس قاطبة أما المسيء فعلى إساءته وأما المحسن فعلى قلة إحسانه إذ قضي الأمر أي فرغ من الحساب
وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وروي أن النبي صلعم سئل عن ذلك فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش
أملح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد
أهل الجنة فرحاً إلى فرح وأهل النار غماً إلى غم وإذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة فإن المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول

الهرج عند بعضهم وكشف بالظرف • وهم في غفلة • أي عما يفعل بهم في الآخرة • وهم لا يؤمنون • وهما جملتان
حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين أي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما اعتراض أو
من مفعول أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل • إنا نحن نرث الأرض
ومن عليها • لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها بالإفناء والإهلاك
توفي الوارث لإرثه • وإلينا يرجعون • أي يردون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالا أو اشتراكا • واذكر • عطف على
أنذرهم في الكتاب أي في السورة أو في القرآن • إبراهيم • أي اتل على الناس قصته وبلغها إياهم كقوله
تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم فإنهم ينتمون إليه عم فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح • إنه كان
صديقا • ملازما للصدق في كل ما يأتي ويذر أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله
والجملة استئناف مسوق لتعليل موجب الأمر فإن وصفه عم بذلك من دواعي ذكره • نبيا • خبر آخر لكان مقيد للأول
مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين الآية أي كان جامعا بين الصديقية والنبوة فإن
كل نبي صديق • إذ قال • بدل اشتمال من إبراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله أو متعلق بكان أو بنبيا وتعليق
الذكر بالأوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا أي كان جامعا بين الأثرتين حين قال
لأبيه • آزر • متلطفا في الدعوة مستميلا له • يا أبت • أي يا أبي فإن التاء عوض عن ياء الإضافة
ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا أبتا لكون الألف بدلا من الياء • لم تعبد ما لا يسمع • ثناءك عليه عند عبادتك له
وجؤارك إليه • ولا يبصر • خضوعك وخشوعك بين يديه أو لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات
فيدخل في ذلك ما ذكر دخولا أوليا • ولا يغني • أي لا يقدر على أن يغني • عنك شيئا • في جلب نفع أو دفع ضر ولقد سلك
عم في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب متن
المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته ما يستخف به عقل كل عاقل
من عالم وجاهل ويأبى الركون إليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحق إلا
لمن له الاستغناء التام والإنعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على أن العاقل يجب أن
يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بإيصال الخير
والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة و
الانقياد للقدرة القاهرة الواجبية فما ظنك بجماد مصنوع من حجر وشجر ليس له من أوصاف الأحياء عين
ولا أثر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق المبين لما أنه لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي
مصدرا الدعوة بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال • يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك •
ولم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل أبرز نفسه
في صورة رفيق له أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال • فاتبعني أهدك صراطا
سويا • أي مستقيما موصلا إلى أسنى المطالب منجيا من الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى والمعاطب ثم
ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان أنه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضر عظيم

فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان لما أنه الآمر به فقال • يا أبت لا تعبد الشيطان • فإن عبادتك للأصنام عبادة
له إذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله • إن الشيطان كان للرحمن عصيا • تعليل لموجب النهي وتأكيد
له ببيان أنه مستعص على ربك الذي أنعم عليك بفنون النعم ولا ريب في أن المطيع للعاصي عاص وكل من
هو عاص حقيق بأن يسترد منه النعم وينتقم منه وللإظهار في موقع الإضمار زيادة التقرير والاقتصار على
ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لأنه ملاكها أو لأنه نتيجة معاداته لآدم عم وذريته فتذكيره داع لأبيه إلى الاحتراز
عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه وقوله • يا أبت إني أخاف
أن يمسك عذاب من الرحمن • تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به
معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية وإظهار الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما
غرك بربك الكريم • فتكون للشيطان وليا • أي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وإبراز الاعتناء بأمره
• قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما سمع منه عم هذه النصائح
الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده • أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم • أي أمعرض ومنصرف أنت عنها
بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها
وقوله • لئن لم تنته لأرجمنك • تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير أي والله لئن لم تنته عما كنت
عليه من النهي عن عبادتها لأرجمنك بالحجارة وقيل باللسان • واهجرني • أي فاحذرني واتركني • مليا •
أي زمانا طويلا أو مليا بالذات مطيقا به • قال • استئناف كما سلف • سلام عليك • توديع ومتاركة على طريقة
مقابلة السيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه بعد ولا أشافهك بما يؤذيك ولكن • سأستغفر لك ربي •
أي أستدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله تع واغفر لأبي بقوله
تع إنه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحظور
استدعاء المغفرة له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا ترى إلى أنه عم قال لعمه أبي طالب
لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية
ولا اشتباه في أن هذا الوعد من إبراهيم عم وكذا قوله لأستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله عم واغفر لأبي
الآية إنما كان قبل انقطاع رجائه عن إيمانه لعدم تبين أمره لقوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما مر في
تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن
لا لأن ذلك كان قبل ورود النهي ولموعدة وعدها إياه كما قيل لما أن النهي إنما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الأمر
وقد كان استغفاره عم قبل التبين فلم يتناوله النهي أصلا وأن الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل لأن المراد بما يؤتسى به ما
يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان للكافر
المرجو إيمانه لا سيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء فذلك مما لا يرد فيه أحد من العقلاء بالاستغفار له إلى

نفس الاستغفار بتوبته واعتزلكم الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع
ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمي ولما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب النهي على تبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير
سورة التوبة وقوله تعالى ● انه كان بي حفيا ● اي بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله ● واعتزلكم ● اي اتباعد
عنك وعن قومك ● وما تدعون من دون الله ● بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي ● وادعو ربي ● اعبده
وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء الولد ايضا بقوله
رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق ● عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا ● خائبا ضائع
السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب
والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة
بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى ● فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ● بالمهاجرة
الى الشام ● وهبنا له اسحق ويعقوب ● بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور
ان الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب
هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاها الله تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما
شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام اتى اولا
حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر ● وكلا ● اي كل واحد
منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى ● جعلنا نبيا ● قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة
الى بعضهم اي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ● ووهبنا لهم من رحمتنا ● هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم
نبيا للايذان بانها من باب الرحمة وقيل هي المال والاولاد ما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب
والاظهر انها عامة لكل خير ديني ودنيوي اوتوه مما لم يؤت احد من العالمين ● وجعلنا لهم لسان صدق عليا ●
يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان
ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما
يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل ● واذكر في الكتاب موسى ●
قدم ذكره على اسمعيل لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام ● انه كان مخلصا ● موحدا اخلص عبادته عن الشرك
والرياء او اسلم وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه ● وكان رسولا نبيا ●
ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى ● وناديناه من جانب الطور الايمن ●
الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي يمين موسى عليه السلام او
من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه انه تمثل له الكلام من تلك الجهة ● وقربناه نجيا ● تقريب تشريف مثل
حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اي مناجيا حال من احد الضميرين في ناديناه او قربناه
وقيل مرتفعا لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ● ووهبنا له من رحمتنا ● اي من اجل رحمتنا و
رأفتنا له او بعض رحمتنا ● اخاه ● اي معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون

اخي

اخي لا نفسه لانه لو كان اكبر منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثاني بدل وقوله تعالى
هرون ● عطف بيان له وقوله تعالى نبيا ● حال منه ● واذكر في الكتاب اسمعيل ● فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه
لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى ● انه كان صادق الوعد ● تعليل لموجب الامر و
ايراده عم بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله ستجدني ان شاء الله صابرا
فوفى ● وكان رسولا نبيا ● فيه دلالة على ان الرسول لا يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم عم
كانوا على شريعته ● وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة ● اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل
على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم
نارا وقصدا الى تكميل الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام آباء
الامم ● وكان عند ربه مرضيا ● لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة ●
واذكر في الكتاب ادريس ● وهو سبط شيث وجد نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم
السلام واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به
لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب
انه كان صديقا ● ملازما للصدق في جميع احواله ● نبيا ● خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا
ورفعناه مكانا عليا ● هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما
في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة روي عن
كعب وغيره في سبب رفع ادريس عم انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس
فقال يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة
عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة
الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سألني
ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه
الى السماء ● اولئك ● اشارة الى المذكورين في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى ● الذين انعم الله عليهم ● صفته
اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا وقوله تعالى ● من النبيين ●
بيان للموصول وقوله تعالى ● من ذرية آدم ● بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون كلمة من للتبعيض
لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم وهم
الباقون ● واسرائيل ● عطف على ابراهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا
ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية ● وممن هدينا واجتبينا ● اي ومن
جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى ● اذا تتلى عليهم آيات الرحمن
خروا سجدا وبكيا ● خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوق لبيان خشيتهم

من الله تعالى واجتبائهم لمع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من
الله عز سلطانه • سجدا وبكيا • حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين عن النبي صلعم اتلوا القرآن وابكوا
وان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احديهما
بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وحركت الكاف بالكسر لمجانسة الياء وقرئ تتلى بالياء التحتانية
لان التأنيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجدته بما يليق فيها فههنا
اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وفي اية
الاسراء يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين
عن امرك • فخلف من بعدهم خلف • قالوا العقب الخير خلف بفتح اللام والعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم
وجاء بعدهم عقب سوء • اضاعوا الصلوة • وقرئ الصلوات اي تركوها او اخروها عن وقتها
واتبعوا الشهوات • من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك في فنون المعاصي
وعن علي رضي الله عنه هم من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور • فسوف يلقون غيا • اي شرا
فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله • فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على
الغي لائما • وعن الضحاك جزاء غي كقوله يلق اثاما اي جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد
في جهنم يستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى • الا من تاب وآمن وعمل صالحا • يدل على ان الاية
في حق الكفرة • فاولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
لما مر مرارا اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح • يدخلون الجنة • بموجب
الوعد المحتوم وقرئ يدخلون على البناء للمفعول • ولا يظلمون شيئا • اي لا ينقصون من
جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم و
لا ينقص اجورهم • جنات عدن • بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض
او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هي او تلك جنات الخ او مبتدأ خبره
التي وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة
وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة التي انت فيها والسحر
والامس فجرى مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف
اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى • التي وعد الرحمن عباده • وجعله
بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف
والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته والباء في قوله تعالى
بالغيب متعلق بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم ملتبسة
او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها
بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم • انه كان وعده • اي

موعوده

موعوده كائنا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل
• ماتيا • اي ياتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل ماتيا اي مفعولا منجزا
من اتى اليه احسانا اي فعله • لا يسمعون فيها لغوا • اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم
صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن • الا سلاما •
استثناء منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق
بالمحال اي لا يسمعون لغوا الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية
كما في قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب • او على ان معناه الدعاء بالسلامة
وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى • ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا •
وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي
• تلك الجنة • مبتداء وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد
للبعد منزلتها وعلو رتبتها • التي نورث • اي نورثها • من عبادنا من كان تقيا • اي نبقيها عليهم بتقواهم
ونمتعهم بها كما نبقي على الوارث مال مورثه ونمتعه به والوراثة اقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من
الالفاظ من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن
التي كانت لاهل النار لو آمنوا واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد • وما نتنزل الا بامر
ربك • حكاية لقول جبريل حين استبطأه رسول الله صلعم لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح
فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه اربعين يوما او خمسة عشر فشق ذلك عليه مشقة
شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الاية وسورة والضحى
والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع التنزيل وقد يطلق على مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى
وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي • له ما بين ايدينا
وما خلفنا وما بين ذلك • وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل في زمان
دون زمان الا بامره ومشيئته • وما كان ربك نسيا • اي تاركا لك يعني ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به
لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى
الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من تشريفه عم والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الاية حكاية قول
المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله
تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله
تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب
عليها وقوله تعالى • رب السموات والارض وما بينهما • بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت
السموات والارض وما بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او
بدل من ربك والفاء في قوله تعالى • فاعبده واصطبر لعبادته • لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها

من كونه رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك لهم او غير ناس لاعمال العاملين و
اي حين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى كذلك لعبادته مما لا ر
يب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها
ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والاخرة وتعدية الاصطبار
باللام لا بعلى كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من
الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته • هل تعلم له
سميا • السمي الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به ههنا الشريك في اسم خاص قد عبر عنه تعالى بذلك وهو
رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه واكده فا
لجملة تقرير لما افاده الفاء من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى وبيان ل
استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفاء اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في اسم
الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد
بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة
لوجوب العبادة حينئذ باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر • ويقول الانسان
المراد به اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان
قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية
ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد
• ائذا ما مت لسوف اخرج حيا • اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف
الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحيوة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها و
هي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف
الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر • اولا يذكر الانسان • من الذكر الذي
يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى
عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك
العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي ايقول ذلك ولا
يذكر • انا خلقناه من قبل • اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه • ولم يك شيئا • اي والحال
انه لم يك حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحال المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع
فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع
فيه من النكير وقرئ يذكر ويتذكر على الاصل • فوربك • اقسام باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره عم
لتحقيق الامر بالاشعار بعليته وتفخيم شانه عم ورفع منزلته • لنحشرنهم • لنجمعن القائلين ما ذكر بالسوق الى المحشر بعد ما
اخرجناهم من الارض احياء ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح

غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال • والشياطين • معطوف على الضمير المنصوب
او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة
وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين
فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي الى الجنس مع كون القائل بعض افراده • ثم لنحضرنهم حول جهنم
جثيا • ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم
عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا
قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت الثانية للتخفيف فانقلبت
ياء لكونها اثر ما قبلها فاجتمعت واو وياء وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت
فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير اي لنحضرنهم حول جهنم
جاثين على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب
والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف
التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة الى
شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة • ثم لننزعن من كل شيعة •
اي من كل امة شايعت دينا من الاديان • ايهم اشد على الرحمن عتيا • اي من كان منهم اعصى واعتى
فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان
بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل طائفة منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على
الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى
كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد
نقصه فعاد الى حقه ومنصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه
استفهامي وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق
عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او
على معنى لننزعن بعض كل شيعة كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كانه سائل
قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى • ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا • اي هم اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء
الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد • و
ان منكم • التفات لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات
الى المذكور ويؤيد الاول انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الانسان • الا واردها • اي واصلها وحاضر دونها
يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال
بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها

يبعدون فالمراد به الإبعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها • كان أي
ورودهم إياها • على ربك حتما مقضيا • أي أمرا محتوما أوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى أنه لا بد من وقوعه
البتة وقيل أقسم عليه • ثم ننجي الذين اتقوا • الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه
الذي سلف فيساقون إلى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي ويُنجى على البناء للمفعول وقرئ ثَمَّ ننجي بفتح الثاء أي هناك
ننجيهم • ونذر الظالمين • بالكفر والمعاصي • فيها جثيا • منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على أن المراد بالورود الجثو
حواليها وأن المؤمنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها ويبقى الفجرة فيها على هيئاتهم • وقوله تعالى • وإذا تتلى عليهم
الآية إلى آخره حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم وشناعة مآلهم أي وإذا تتلى على المشركين
• آياتنا • التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسوء حال الكفرة • وقوله تعالى • بينات
أي مرتلات الألفاظ مبينات المعاني بنفسها أو ببيان الرسول صلعم أو بينات الإعجاز حال مؤكدة
من آياتنا • قال الذين كفروا • أي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على أنهم قالوا ما قالوا كافرين
بما يتلى عليهم رادين له أو قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث وأتباعه
الفجرة واللام في قوله تعالى • للذين آمنوا • للتبليغ كما في قوله تعالى وقال لهم نبيهم وقيل لام الأجل
كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه أي قالوا لأجلهم وفي حقهم والأول
هو الأولى لأن قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى • أي الفريقين • أي المؤمنين والكافرين
كأنهم قالوا أينا • خير • نحن أو أنتم • مقاما • أي مكانا وقرئ بضم الميم أي موضع إقامة ومنزل • وأحسن
نديا • أي مجلسا ومجتمعا يروى أنهم كانوا يرجّلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزين
الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك أن خيريتهم حالا وأحسنيتهم مآلا مما لا يقبل الإنكار
وأن ذلك لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم عنده إذ هو المعيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وأن
من ضرورته سوء حال المؤمنين عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأي السقيم إلا لكونهم
جهلة لا يعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرده عليهم بقوله تعالى • وكم أهلكنا
قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا • أي كثيرا من القرون التي كانوا أفضل منهم فيما يفتخرون به من الحظوظ
الدنيوية كعاد وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قبل هؤلاء أهلكناهم بفنون العذاب ولو كان ما آتيناهم
لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينتظر هؤلاء أيضا مثل ذلك
فكم مفعول أهلكنا ومن قرن بيان لإبهامها وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من
قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم أحسن أثاثا في حيز النصب على أنه صفة لكم وأثاثا تمييز والأثاث
هو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما لبس منه والرث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى
كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وإدغامها أو على أنه من الري وهو النعمة والرفه وقرئ ريئا على القلب
وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فإنه عبارة عن المحاسن المجموعة • قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا • لما بين عاقبة أمر الأمم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ العاجلة أمر رسول

الله

الله صلعم بأن يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل أمر الفريقين إما على وجه كلي متناول
لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذات الفانية المبتهجين بها على أن من على عمومها وإما على وجه خاص بهم على أنها
عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن في الضلالة لذمهم والإشعار بعلة الحكم أي من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل
والغفلة عن عواقب الأمور • فليمدد له الرحمن • أي يمد له ويمهله بطول العمر وإعطاء المال والتمكن من التصرفات
وإخراجه على صيغة الأمر للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز و
جل ولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أو للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقيل المراد به الدعاء
بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها إذ رب ضال يهديه
الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى • حتى إذا
رأوا ما يوعدون • غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل إذ ليس فيه امتداد بحسب الذات وهو ظاهر ولا باستمرار
بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب إذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين الأولين
باعتبار لفظها وقوله تعالى • إما العذاب وإما الساعة • تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل
فإنه إما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلا وأسرا وإما يوم القيامة
وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فإن العذاب الأخروي لا ينفك عنهم بحال
وقوله تعالى • فسيعلمون • جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى أي إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي
أو الأخروي فقط فسيعلمون حينئذ • من هو شر مكانا • من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا
يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكانا لا خير مقاما • وأضعف جندا • أي فئة وأنصارا لا أحسن نديا كما كانوا يدعونه
وليس المراد أن له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وإنما ذكر ذلك ردا
لا أحسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد أن له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون
الله وما كان منتصرا وإنما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون أن لهم أعوانا من الأعيان وأنصارا من
الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل • ويزيد الله الذين اهتدوا هدى • كلام مستأنف سيق
لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين وقيل عطف على فليمدد لأنه في معنى الخبر حسبما عرفته كأنه قيل
من كان في الضلالة يمده الله ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف
على الشرطية المحكية بعد القول كأنه لما بين أن إمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله عقب ذلك ببيان
أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأنه تعالى أراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى • والباقيات الصالحات
خير • على تقدير الاستئناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز
الكلام الملقن وقوله تعالى • عند ربك • أي الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل
من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خبر عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضميره صلعم لتشريفه صلعم • ثوابا • أي عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما
ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة السرمدية والعذاب الأليم كما أشار إليه قوله تعالى • وخير مردا • أي مرجعا وعاقبة وتكرير الخير

لمزيد الاعتناء ببيان الخبر وتأكيدها في التقبيح مع ان الكفرة بمعزل من ان يكون له خبرته في العاقبة تهكم بهم
﴿افرايت الذي كفر باياتنا﴾ اي باياتنا التي من جملتها ايات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن
الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا
بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك ثم يبعثك فقال اني لميت ثم
مبعوث قال نعم قال دعني حتى اموت ثم ابعث فساوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت والهمزة للتعجيب من حاله
والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان يرى ويقضى منها العجب ومن فرق بين الم تر وارايت بعد
بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بان الاول يعلق بنفس المتعجب منه فيقال الم تر الى الذي صنع كذا بمعنى
انظر اليه فتعجب من حاله والثاني يعلق بمثل المتعجب منه فيقال ارايت مثل الذي صنع كذا بمعنى انه من الغرابة بحيث لا
يرى له مثل فقد حفظ شيئا وغابت عنه اشياء وكانه ذهب عليه قوله عز وجل ارايت الذي يكذب بالدين والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انظرت فرايت الذي كفر باياتنا الباهرة التي حقها ان يؤمن بها كل
من يشاهدها ﴿وقال﴾ مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة والله ﴿لاوتين﴾ في الاخرة ﴿مالا وولدا﴾
اي انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجراته الشنيعة هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان الرؤية
بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اي الفريقين خير مقاما
الاية وانت خبير بان المشهور استعمال ارايت في معنى اخبرني بطريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه
من المعاني لا بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب والعرب
وقوله تعالى ﴿اطلع الغيب﴾ رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجيب منها اي اقد بلغ
من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استاثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يؤتى في الاخرة مالا
وولدا واقسم عليه ﴿ام اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل التعرض
لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح
فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه مع خباب كذلك
﴿كلا﴾ ردع له عن التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه ﴿سنكتب ما يقول﴾ اي سنظهر انا كتبنا قوله
كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة
الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتاخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما اخراج من الكمون الى
البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤس الاشهاد باحداثها ومدار الثاني
تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ﴿ونمد له من العذاب مدا﴾ مكان ما
يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اي نطول له من العذاب ما يستحقه او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره
وافترائه على الله سبحانه واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ﴿ونرثه
بموته ما يقول﴾ اي مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقول

مصداق

مصداق موجود سوى ما ذكر اي ننزع عنه ما اتيناه ﴿وياتينا يوم القيمة فردا﴾ لا يصحبه مال ولا ولد كان له
في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوي عنه ما زعم انه يناله في الاخرة ونعطيه من يستحقه وما به بمعنى
الارث وقيل المراد بما يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا
قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله وياتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان
صدور القول المذكور بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في ان ذلك
مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قاله بطريق الاستهزاء وتعليق اداء دينه بالمحال ﴿واتخذوا من دون
الله الهة﴾ حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود
واستتباعها لنقيض مضمونها اي اتخذوا الاصنام الهة متجاوزين الله تعالى ﴿ليكونوا لهم عزا﴾ اي ليتعززوا بهم
بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده ﴿كلا﴾ ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار
لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ اي ستجحد الالهة عبادتهم لها بان
ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى
والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ﴿ويكونون عليهم ضدا﴾ على الاول تكون الالهة التي كانوا يرجون
ان تكون لهم عزا ضدا للعز اي ذلا وهوانا او يكونون عونا عليهم والة لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون
الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه وعلى الثاني يكون الكفرة ضدا واعداء للالهة كافرين بها بعد
ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذي عليه يدور مضادتهم فانهم بذلك كالشيء
الواحد كما في قوله صلعم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف
قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم عاذل والعتابن وقولي ان اصبت لقد اصابن او
على معنى كل هذا الراي كلا وقرئ كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون الخ ﴿الم تر
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين﴾ تعجيب لرسول الله صلعم مما نطقت به الايات الكريمة السالفة
وحكت عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي
في الغي والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال
الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم
من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه صلعم من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال
الكفرة من حيث كونها من اثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿تؤزهم ازا﴾ فانه اما حال مقدرة
من الشياطين او استئناف وقع جوابا عما نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا تفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل
تؤزهم اي تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الاز والهز والاستفزاز
اخوات معناها شدة الازعاج ﴿فلا تعجل عليهم﴾ اي بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن اخرهم وتطهر
الارض من فسادهم والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى ان

تقتضيه

هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى • انما نعد لهم عدا • تعليل لموجب النهي ببيان اقتراب
هلاكهم اي لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا • يوم نحشر المتقين • منصوب على
الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة
التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اي نجمعهم • الى الرحمن • الى ربهم الذي يغمرهم برحمته
الواسعة • وفدا • وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم • ونسوق المجرمين •
كما يساق البهائم • الى جهنم وردا • عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التي ترد
الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به
النبي صلعم اي اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم نحشر الى اخره وقيل على الظرفية لقوله تعالى • لا يملكون
الشفاعة • والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين
الاولين وهذا الكلام مستانف مبين لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضمير عائد الى العباد المدلول
عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام
والشفاعة على الاولين مصدر من المبني للفاعل وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا من المبني للمفعول وقوله
تعالى • الا من اتخذ عند الرحمن عهدا • على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع
على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له
بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا
للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة
على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اي لا يملك المتقون
الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء
من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع
لهم الا من كان منهم مسلما • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من
العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية جناية عبدة الاصنام بطريق عطف
القصة على القصة وقوله تعالى • لقد جئتم شيئا ادا • رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات
المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل
والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اي فعلتم امرا
منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى • تكاد السموات
يتفطرن منه • الى اخره صفة لادا او استئناف لبيان عظم شانه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير
يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال
مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف • وتنشق الارض • اي وتكاد تنشق الارض • وتخر الجبال •
اي تسقط وتتهدم وقوله تعالى • هدا • مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اي تهد هدا او مصدر من المبني

للمفعول

للمفعول مؤكد لتخر على غير المصدر لانه حينئذ بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى
المفعول منصوب على الحالية اي مهدودة او مفعول له اي لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول
تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت
من شدتها او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبدد
قوائمه غضبا على من تفوه بها • ان دعوا للرحمن ولدا • منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد او مجرور
باضمارها اي تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام
متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور في منه كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم وقيل خبر مبتدا
محذوف اي الموجب لذلك ان دعوا الى اخره وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن والاول هو الاولى
ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعا
بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى • وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا •
حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اي قالوا اتخذ الرحمن
ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لاستحالته
في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او
منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدا النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد
صرح به قوله عز قائلا • ان كل من في السموات والارض • اي ما منهم احد من الملائكة والثقلين
• الا آتي الرحمن عبدا • الا وهو مملوك له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على
الاصل • لقد احصاهم • اي حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة
قدرته وملكوته • وعدهم عدا • اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم او كل شيء عنده بمقدار • وكلهم
آتيه يوم القيمة فردا • اي كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي
صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل ياتيه فاذا كان شانه
تعالى وشان عباده كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات •
لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين • سيجعل لهم الرحمن
ودا • اي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان و
العمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلعم اذا احب
الله عبدا يقول لجبريل اني احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة
فوعدهم ذلك ثم انجزه حين ربا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤوس
الاشهاد فينزع ما في صدورهم من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افراد هذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم
القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن • فانما يسرناه

اي القرآن بلسانك بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى الانزال اي يسرنا
القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينبئ عنه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ
هذا المنزل وبشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين لتبشر به المتقين اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما
فيه من الامر والنهي • وتنذر به قوما لدا • لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد
الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى • وكم اهلكنا قبلهم من قرن • وعد لرسول الله صلعم في ضمن وعيد الكفرة باهلاكهم
وحث له عم على الانذار اي قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى • هل تحس منهم من احد
استيناف مقرر لمضمون ما قبله اي هل تشعر باحد منهم وترى • او تسمع لهم ركزا • اي صوتا خفيا واصل
التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى اهلكناهم
بالكلية واستاصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع منهم صوت خفي • عن رسول الله صلعم من قرأ سورة
مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وساير الانبياء المذكورين
وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى

سورة طه مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي مائة واربع وثلثون اية

• طه • فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده
ابو عمرو وورش لاستعلائه وامالهما الباقون وهو من الفواتح التي يصدر بها السورة الكريمة وعليه
جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة و
عكرمة والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعن قتادة على السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة
عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا و
ما استشهد به من قول الشاعر • ان السفاهة طه في خلائقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين • ليس بنص في ذلك لجواز
كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأ بها بصيغة الامر من الوطئ فقلبت الهمزة في يطأ الفا
لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال لا هناك المرتع وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلعم بان يطأ الارض
بقدميه لما كان يقوم في تهجده على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتبتها على صورة الحرف كما تأبى التفسير
بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصايص حروف المعجم وقرئ طه اما على ان اصله طأ
فقلبت همزته هاء كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما مر ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت واما على انه
اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على المسميين فكانهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي
ان يحمل قول من قال اكتفى بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما ليعبر
عنهما بل من حيث انهما جزآن لهما قد اكتفى بذكرهما وكذلك وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بعلم التثنية
في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسمهما الشطران من حيث هما جاريان
مقام الاسمين فالمعنى اكتفى في التلفظ بشطري الكلمتين لا باسميهما فعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما مسميان
بهما من حيث هما قايمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى في الكتابة بشطري الكلمتين في التلفظ باسميهما فبين
البطلان كيف وطا وها على ما ذكر من التقدير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول المراد حرف نداء والثاني ضمير الارض

او حرف على ان كتابته صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف من انها من الفواتح اما
مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب ولذا ما بعدها من قوله
تعالى • ما انزلنا عليك القرآن لتشقى • فانه استيناف مسوق لتسليته صلعم عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب
فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب بالمبالغة في مكابدة الشدائد
في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع
نفسك على آثارهم الاية بل للتبليغ والتذكير وقد فعلت فلا عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لعدم عما كان عليه من
المبالغة في المجاهدة في العبادة كما يروى انه عم كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عم ابق على
نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك وتحملها على الرياضات الشاقة والشدائد الفادحة
وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث قالا لرسول الله صلعم انك تشقى حيث تركت
دين ابائك وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد عليهما بانا ما انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به
الاستثناء الآتي هذا واما اسم للقرآن فمحله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر اوقع موقع
العايد الى المبتدأ كانه قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير
حرفه وما بعده جوابه وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على
ذلك التقدير لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه فان القرآن صادق على السورة لا محالة اما
بطريق الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض وباعتبار الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفي كون
انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة كما اذا اريد به
معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور في انزال ما انزل من
قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى لنفيه منه اما باعتبار الاتحاد
فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان مآله ان يقال هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى
ان جعلها مخبرا عنها مع انه لا دخل لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى
• الا تذكرة • نصب على انه مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
بتبليغه الا تذكرة الاية كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا فانه يجب في امثاله ان تكون بين العلتين ملابسة
بالسببية والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شتمته لتؤذيه الا زجرا لغيره فان التاديب
في الاول مسبب عن الاشفاق والاذى في الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة
من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة المجامع للتذكرة لظهور ان لا ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية
فيتصور ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة تكثير الثواب فان الاجر بقدر التعب ولا من حيث انه معطوف
عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن
لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى • وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شأنه
ان يخشى الله عز وعلا ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم

مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى **تنزيلا** مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله اي نزل
تنزيلا او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب بما بعده
من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية اي يخشى تنزيلا من
الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة
على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من
تذكرة لكن لا على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع
الحال من الكاف في عليك او من القران ولا مساغ له الا بان يكون قيدا لانزلنا بعد تقييده بالقيد الاول وقد عرفت
حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدا محذوف ومن في قوله تعالى **ممن خلق الارض والسموات العلى** متعلقة
بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول
بطريق الالتفات الى الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها
بحسب الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه
قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض الاية لاصالتهما واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى
الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلى وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل
وكل ذلك الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي
الى تربية المهابة وادخال الروعة المؤدية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان واستمالتهم نحو الخشية
المفضية الى التذكر والايمان **الرحمن** رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة ان المرفوع
مدحا في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدا ليكون
في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من ان الاسماء الناقصة لا يوصف
منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين واياما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالقية السموات والارض
للاشعار بان خلقهما من اثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته
تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القران ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم
القران او رفع على الابتداء واللام للعهد والاشارة الى الموصول والخبر قوله تعالى **على العرش استوى** وجعل الرحمن
عنوان الموضوع الذي شانه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا
سترة به غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر
مبتدا محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان
متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير
اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكائنات وتدبير امرها وقوله تعالى **له ما في السموات وما في الارض**
سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول فيهما **وما بينهما** من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء
والسحاب او اكثريا كالطير اي له وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا

واعداما

واعداما **وما تحت الثرى** اي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير
روي عن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض
السابعة **وان تجهر بالقول** بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سعة سلطنته وشمول
قدرته لجميع الكائنات اي وان تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك **فانه يعلم السر واخفى** اي
ما اسررته الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك
واخفى منه وهو ما ستسره فيما سياتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله
تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس
لاسماعه سبحانه بل لغرض اخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة
عنها وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى **الله** خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما
ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اي ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز
وجل وقوله تعالى **لا اله الا هو** تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه
فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه
اقتضاء بينا وقوله تعالى **له الاسماء الحسنى** بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية
والعالمية اسماؤه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي عم يقول يا الله
يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة
المؤنثة والجمع من المذكر كما رب اخرى واياتنا الكبرى **وهل اتاك حديث موسى** استئناف مسوق
لتقرير امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر
وقد خوطب به موسى عم حيث قيل له انني انا الله لا اله الا انا وبه ختم عم مقاله حيث قال انما الهكم الله
الذي لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبي عم في الائتساء بموسى عم في تحمل اعباء النبوة
والصبر على مقاسات الخطوب في تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق النظم الكريم لصرفه عم عن اقتحام
المشاق وقوله تعالى **اذ راى نارا** ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اي حين راى نارا كان كيت وكيت
وقيل مفعول لمضمر مقدم اي اذكر وقت رؤيته نارا روي انه عم استاذن شعيبا عليهما السلام في الخروج
الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادي طوى وهو
بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق
وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما هو في ذلك اذ راى على يسار الطريق من
جانب الطور **فقال لاهله امكثوا** اي اقيموا مكانكم امرهم عم بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب
الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع اخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمراة والولد والخادم
وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما في قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم
اني انست نارا اي ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يؤنس به والجملة تعليل

للامر او المامور به لعلي آتيكم منها اي اجيئكم من النار بقبس اي بشعلة مقتبسة من معظم النار وهي
المرادة بالجذوة في سورة القصص وبالشهاب القبس او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق على انه
مصدر سمي به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اي ذا هداية او على انه اذا وجد الهادي فقد وجد الهدى
وقيل هاديا يهديني الى ابواب الدين فان افكار الابرار معمورة بالهمة الدينية في عامة احوالهم لا يشغلها
عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه في سورة القصص حيث قيل
لعلي آتيكم منها بخبر او جذوة الآية وكلمة او في الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومعنى الاستعلاء في على النار
ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان
الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجي وهي اما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث
والاخبار بايناس النار تفاديا عن التصريح بما يوحشهم واما حال من فاعله اي فاذهب اليها لآتيكم او راجيا ان آتيكم منها
بقبس الآية وقد مر تفصيل ذلك مفصلا في تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون
فلما اتاها اي النار التي آنسها قال ابن عباس رضي الله عنهما رأى شجرة خضراء اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء
كاضوأ ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير
ضوءها قالوا النار اربعة اصناف صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهي نار الشجر الاخضر
وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهي نار موسى عم وقالوا ايضا اربعة انواع نوع له
نور واحراق وهي نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهي نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهي نار موسى عم
ونوع له احراق بلا نور وهي نار الجحيم روي ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودي يا موسى اي
نودي فقيل يا موسى اني انا ربك او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اي باني وتكرير
الضمير لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه لما نودي يا موسى قال عم من المتكلم فقال الله عز وجل
اني انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال اني عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات
بجميع الاعضاء قلت وذلك لا لسماع ما ليس من شأنه ذلك من الاعضاء ليس الا من آثار قدرة الله تعالى الخلاق
العليم سبحانه وتعالى وتقدس وقيل تلقى عم كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك
فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل
في التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادي
بقدميه تبركا به وقيل لان نعليه كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء
لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى له عم من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى انك
بالواد المقدس تعليل لوجوب الخلع المأمور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقدسها
روي انه عم خلعهما والقاهما وراء الوادي طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا
وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس اي نودي
نداءين او قدس مرة بعد اخرى وانا اخترتك اي اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح

والكسر والفاء في قوله تعالى فاستمع لترتيب الامر او المامور به على ما قبلها فان اختياره عم مما ذكر
من موجبات الاستماع والامر به واللام في قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما مصدرية او
موصولة اي فاستمع للذي يوحى اليك او للوحي لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع و
اعمال الاول فلا بد حينئذ من اعادة الضمير مع الثاني بل لان قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا
بدل من ما يوحى ولا ريب في ان اختياره عم ليس لهذا الوحي فقط والفاء في قوله تعالى فاعبدني لترتيب
المامور به على ما قبلها فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات العبادة له عز وجل
واقم الصلوة خصت الصلوة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها
وانافتها على سائر العبادات بما نيطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله
تعالى لذكري اي لتذكرني فان ذكري كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلوة او لتذكرني فيها
لاشتمالها على الاذكار او لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري او لاخلاص ذكري وابتغاء وجهي
لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا آخر او لتكون ذاكرا لي غير ناس وقيل لذكري اياها وامري بها
في الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي
لما روي انه عم قال من نام عن صلوة او نسيها فليقضها اذا ذكرها لان الله تعالى يقول واقم الصلوة
لذكري وقرئ للذكرى بالف التأنيث وللذكر معرفا ولذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى ان
الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلوة اي كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان
تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها اي لا اظهرها بان
اقول انها آتية ولولا ان في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها باتيانها
من اخفاه اذا اظهره اي ازال خفاءه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه
من الاضداد ومجيئه بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما
بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اي لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور المامور بها
وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا
عنه بالمرة او سعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة
واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة وبان المامور به في قوة الوجوب والساعة
في شدة الهول والفظاعة بحيث يوجبان على كل نفس ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما
ينجيها من الطاعات وتحترز عن اقتراف ما يرديها من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين
باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخير لما ذكر من ان المقصود
الاصلي من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على
اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين

المتبين بل تهدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبها
بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن
ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ
ولهذا يريد بالسعي مطلق العمل • فلا يصدنك • اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول
هو الاليق بشأن موسى عم وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى • من لا يؤمن
بها • لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان حقه التقديم لا داخر تبقى النفس مستشرفة له
فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وهذا وان كان
بحسب الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عم عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عم عن الانصداد عنها على ابلغ وجه
واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية من اصلها
كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر حيث كان سببا لانصداده عم كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه و
ابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب على ان يراد نهيه عم عما
في قوله لا اريتك ههنا فان المراد به نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته • واتبع هواه • اي ما يهواه
نفسه من اللذات الحسية الفانية • فتردى • اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها
مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على انه جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي
فانت تردى • وما تلك بيمينك يا موسى • شروع في حكاية ما كلفه عم من الامور المتعلقة بالخلق اثر حكاية ما
امر به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب
المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة او مأخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة
كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصولة اي ما التي هي بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ و
تنبيه له عم على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه • قال هي عصاي •
نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عم وقرئ عصي على لغة هذيل
• اتوكأ عليها • اي اعتمد عليها عند الاعياء او الوقوف على رأس القطيع • واهش بها على غنمي • وقرئ اهش بكسر الهاء
وكلاهما من هش الخبز اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلي لتضمين معنى
الانحاء او الاقبال اي ازجرها منحيا ومقبلا عليها • ولي فيها مآرب اخرى • اي حاجات اخر من هذا الباب
مثل انه عم كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا
كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر الرشاء وصله بها
واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها وقيل ومن جملتها انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن
جناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عم فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها
بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة
ومعجزات قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال

على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال العليم
الخبير • قال • استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال • القها يا موسى • لترى
من شأنها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لتأكيد التنبيه • فالقاها • على الارض • فاذا هي حية تسعى •
روي انه عم حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت
ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام لما فصح
عنه فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او
خبر ثان عند من يجوز كونه جملة • قال • استئناف كما سبق • خذها ولا تخف • عن ابن عباس رضي انقلبت ثعبانا
ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر ومثله ما يعتري البشر عند مشاهدة الاهوال والمخاوف من
الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى
• سنعيدها سيرتها الاولى • مع كونه استئنافا مسوقا لتعليل الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها على ما كانت
عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عم وايذان بكونها مسخرة
له عم ليكون على طمأنينة من امره ولا تعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ
الى حالتها الاولى التي هي الهيئة العصوية قيل بلغ عم عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمه
ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى سيرتها او على ان
اعاد منقول من عاد بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها واقعا حالا
من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت تسير سيرتها اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل
• واضمم يدك الى جناحك • امر عم بذلك بعدما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك
قال جناحا الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر جانباه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه
يجنحهما اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى • تخرج • جواب الامر وقوله تعالى • بيضاء • حال من الضمير فيه وقوله تعالى • من غير
سوء • متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوأة
عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عم كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع
كشعاع الشمس تغشي البصر • آية اخرى • اي معجزة غير العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على
انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو
اوتي او خذ وقوله تعالى • لنريك من آياتنا الكبرى • متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل فعلنا ما
فعلنا من الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو
حال من ذلك المفعول اي كائنا من آياتنا والآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما متعلقة بما دل عليه آية اي دللنا
بها لنريك او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما قال بكل من ذلك قائل ويؤدي
الى الاغراء ابانة العصا عن وصف الكبر فتدبر • اذهب الى فرعون • تخلص الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات
السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب اليه بما رأيته من الآيات الكبرى وادعه الى عبادتي

وهذه نعمتي وقوله تعالى ● انه طغى ● تعليل للامر او لوجوب المأمور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي
هي دعوى الربوبية ● قال ● استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا قال عليه السلام لما امر
بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل واظهر عجزه بقوله ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق حليما حمولا لا يستقبل ما عسى يرد عليه
من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره
الذي هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي
مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفي تقديمها
وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به ● واحلل عقدة
من لساني ● روي انه كان في لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ
لحيته فنتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا
بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها في فيه فقيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب
تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله تعالى قد اوتيت
سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله تعالى ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه
بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لساني اي عقدة كائنة من عقد لساني وجعل قوله
تعالى ● يفقهوا قولي ● جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحصولها يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها في
الجملة واما قوله تعالى هو افصح مني فلانه عليه السلام قال قبل استدعاء الحل لما ستعرفه على ان الافصحية منه عليهما السلام لا يستدعي بقاءها
اصلا بل يستدعي عدم البقاء لان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة في المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة رأسا
واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين في العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما
يفيد قلتها في نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من في قوله تعالى من لساني بمحذوف هو صفة
لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان متعلقا بشيء ومتصلا به فكما يتعلق الحل به
يتعلق بذلك الشيء ايضا باعتبار ازالته عنه وابتداء حصوله منه ● واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي ●
اي موازرا يعاونني في تحمل اعباء ما كلفته على ان اشتقاقه من الوزر الذي هو الثقل او ملجأ اعتصم برأيه على
انه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا
كقلبها في موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول وزيرا او هو صفة له في الاصل ومن اهلي اما صفة
لوزيرا وصلة لاجعل وقيل مفعولاه وزيرا ومن اهلي وهرون عطف بيان للوزير ومن اهلي كما مر من الوجهين واخي في الوجهين
بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل مفعولاه وزيرا من اهلي ولي تبيين كما في قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان
شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ والخبر عنه ما بعده ● اشدد به
ازري واشركه في امري ● كلاهما على صيغة الدعاء اي احكم به قوتي واجعله شريكي في امر الرسالة حتى نتعاون على
ادائها كما ينبغي وفصلهما عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا

واما الاشراك في الامر فحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف ● كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا ●
غاية للادعية الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الاخر ومضاعفا له بسبب
انضمامه اليه مكثر في نفسه ايضا بسبب تقويته وتأييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما بالقلب او في
الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما في تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة
العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب في اختلاف حاله في حالتي التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد
الاخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا في الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف
اي ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التي من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية
من ادعاء الشركة في الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها
كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كي نصلي لك كثيرا ونحمدك
ونثني عليك فلا يساعده المقام ● انك كنت بنا بصيرا ● اي عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا
في تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم الردء في اداء ما امرت به والباء متعلقة ببصيرا
قدمت عليه لمراعاة الفواصل ● قال قد اوتيت سؤلك ● اي اعطيت مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز
والاكل بمعنى المخبوز والمأكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديرها
حتما فكلها حاصلة له عليه السلام وان كان وقوع بعضها بالفعل مترقبا بعد كتيسير الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك
باخيك وقوله تعالى ● يا موسى ● تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى ● ولقد مننا عليك
كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه
بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه وطلب فلأن ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى و
تصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك اي وبالله لقد انعمنا ● مرة اخرى ● اي في وقت غير هذا الوقت لا ان
ذلك مؤخر من هذا فان اخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة من
الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من افراد متجددة فصار علما في ذلك حتى جعل معيارا لما في
معناه من سائر الاشياء وقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها ههنا الوقت
الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى ● اذ اوحينا الى امك ما يوحى ● ظرف
لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبي في وقتها كقوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين الآية واما الايحاء
بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم واما الالهام كما في قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة في المنام
والمراد بما يوحى ما سيأتي من الامر بقذفه في التابوت وقذفه في البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشأنه ثم فسر
ليكون اقر عند النفس وقيل معناه ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحي
وفيه انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحي اذ لا تفخيم لشأنه في ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة في
المنام وان في قوله تعالى ● ان اقذفيه في التابوت ● مفسرة لان الوحي من باب القول او مصدرية حذف عنها الباء
اي بان اقذفيه في اليم فالالقاء وهذا التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم لا القذف بلا تابوت ●

فليلقه اليم بالساحل • لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه
ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان
هو التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعاً له في ذلك • يأخذه عدو لي وعدو له
جواب للأمر بالإلقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالأمر والإشعار بأن عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تفضي
إلى المحنة فإن الأمر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه في البحر ووقوعه في يد عدو الله تعالى وعدوه
مشعر بأن هناك لطفاً خفياً مندرجاً تحت قهر صوري وقيل الأول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع وليس
المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه إلى نهر فرعون لما
روي أنها جعلت في التابوت قطناً ووضعته فيه ثم قيرته وألقته في اليم وكان يشرع منه إلى بستان
فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأتى به إلى بركة في البستان وكان فرعون جالساً ثمة مع آسية بنت مزاحم فأمر به
فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجهاً فأحبه عدو الله حباً شديداً لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى
• وألقيت عليك محبة مني • كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما في تنكيرها من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية أي محبة عظيمة كائنة مني قد زرعتها في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك
أحبك عدو الله وآله وقيل هي متعلقة بألقيت أي أحببتك ومن أحبه الله تعالى أحبته القلوب لا محالة وقوله تعالى
• ولتصنع على عيني • متعلق بألقيت معطوف على علة مضمرة أي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة وتراقبني
وتحفظني أو بمضمر مؤخر هو عبارة قبله من إلقاء المحبة والجملة مبتدأة أي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ ولتصنع
على صيغة الأمر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب أي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف
به عن أمري • إذ تمشي أختك • ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون وما ترتب عليه
من العثور والرجع إلى أمها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله تعالى ولتصنع على عيني إذ لا شفقة أعظم من شفقة
الأم وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو بدل من إذ أوحينا على أن المراد به زمان متسع متناول للأطراف
وهو اللائق بما سيأتي من قوله تعالى وفتناك فتوناً إلى آخره فإن جميع ذلك من المنن الإلهية ولا تعلق لشيء
منها بالصنع المذكور وأما كونه ظرفاً لألقيت كما جوز فربما يوهم أن إلقاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في أن معظم
آثار إلقائها ظهر عند فتح التابوت • فتقول • أي لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة تقبل
ثديها وكان لا يقبل ثدياً وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية • هل أدلكم على من يكفله • أي يضمه إلى نفسه
ويربيه وذلك إنما يكون بقبوله ثديها يروى أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاماً في النيل لا يرتضع
ثدي امرأة واضطروا إلى تتبع النساء فخرجت أخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا
فجاءت بأمه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى • فرجعناك إلى أمك • فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها
أي فقالوا دلينا عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها • كي تقر عينها • بلقائك • ولا تحزن • أي لا يطرأ عليها الحزن
بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية متقدمة على التحلية وقيل ولا
تحزن أنت بفقد إشفاقها • وقتلت نفساً • هي نفس القبطي استغاثة الإسرائيلي عليه • فنجيناك من الغم • أي

استغاثة الإسرائيلي عليه

غم قتله

غم قتله خوفاً من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالإنجاء منه بالمهاجرة إلى مدين • وفتناك فتوناً •
أي ابتليناك ابتلاء أو فتوناً من الابتلاء على أنه جمع فتن أو فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة
أي خلصناك مرة بعد أخرى وهو إجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألاف والمشي راجلاً وفقد الزاد
وقد روي أن سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان
فهذه فتنة يا ابن جبير وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطياً وأجر نفسه عشر سنين • وضل الطريق وتفرقت
غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم أن لا تعد إجارة نفسه
وما بعدها من تلك الفتون ضرورة أن المراد بها ما وقع وما بعدها مما وقع بعد الوصول إليهم وقد أشير بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون
وصوله إليهم إلى جميع ما قاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد والمكاره التي أولها
فتنة النار وآخرها فتنة النداء والحوار وفي كلمة التراخي إيذان بأن مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق
وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك • على قدر • أي مقدر قدرته لأن أكلمك وأستنبئك في وقت
قد عينته لذلك فما جئت إلا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من الزمان
يوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السلام وهو رأس أربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه
على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية أولاً وقوله تعالى • واصطنعتك
لنفسي • تذكير لقوله تعالى وأنا اخترتك وتمهيد لإرساله عليه السلام إلى فرعون مؤيداً بأخيه حسبما استدعاه بعد تذكير
المنن السابقة تأكيداً لوثوقه عليه السلام بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا من الكرامة
العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة والعدول عن نون العظمة
الواقعة في قوله تعالى وفتناك وفي نظائره السابقة تمهيد لإفراد لفظ النفس اللائق بالمقام فإنه أدخل
في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص أي اصطفيتك لرسالاتي وبكلامي وقوله تعالى • اذهب أنت
وأخوك • أي وليذهب أخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع • بآياتي •
أي بمعجزاتي التي أريتكها من اليد والعصا فإنهما وإن كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما
في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام إبراهيم فإن انقلاب العصا حيواناً آية وكونها ثعباناً عظيماً لا يقادر
قدره آية أخرى وسرعة حركته مع عظم جرمه آية أخرى وكونه مع ذلك مسخراً له عليه السلام بحيث كان يدخل يده في
فمه فلا يضره آية أخرى ثم انقلابها عصا آية أخرى وكذلك اليد فإن بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم
رجوعها إلى حالتها الأولى آية أخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية إذ المراد ذهابهما إلى فرعون ملتبسين بالآيات
متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة وإكمال أمر الدعوة لا مجرد إذهابها وإيصالها إليه • ولا تنيا • لا تفترا
ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للإتباع • في ذكري • أي بما يليق بي من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة عند تبليغ
رسالتي والدعاء إلي وقيل لا تنيا في تبليغ رسالتي فإن الذكر يقع على جميع العبادات وهو أجلها وأعظمها وقيل لا تنسياني
حسبما تقلبتما واستمدا به العون والتأييد واعلما أن أمراً من الأمور لا يتأتى ولا يتسنى إلا بذكري • اذهبا إلى فرعون •
جمعهما في صيغة أمر الحاضر مع غيبة هارون إذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي يروى أنه أوحي إلى هارون وهو بمصر

ان يتلقى موسى عم وقيل سمع ما قبله فتلقاه • انه طغى • تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى • فقولا له قولا لينا •
لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما
لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فانها دعوة في صورة عرض ومشورة
ويرده ما سيجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة
وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والنكح وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا • لعله يتذكر • اي
يتعظ بما تذكرانه من ذكرى ويرغب فيما رغبتماه فيه • او يخشى • عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اي فقولا له
قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو
يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة • قالا ربنا • اسند القول اليهما
مع ان القائل حقيقة هو موسى عم بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون له في كل ما يأتي
ويذر ويجوز ان يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قول موسى عم عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة
استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب • اننا نخاف ان يفرط علينا • اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى
اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من الافراط اذا حمله
على العجلة اي نخاف ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب • او ان يطغى • اي يزداد
طغيانا الى ان يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار كلمة ان مع سداد المعنى
بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف من كل منهما • قال • استئناف مبني على السؤال الناشئ
من النظم الكريم ونسبة الاسناد الى ضمير الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله
من الافعال الواردة على صيغة التكلم حكاية لموسى عم بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فانه
ايضا وارد بطريق الحكاية لرسول الله صلعم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال • لا تخافا • ما توهمتما
من الامرين وقوله تعالى • انني معكما • تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما
ينبئ عنه قوله تعالى • اسمع وارى • اي ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر
وجلب نفع وخير ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم
وبلغت النصرة الى غايتها • فأتياه • امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امر بالذهاب اليه فلا تكرار
وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده • فقولا انا رسولا ربك • امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر
ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى • فارسل معنا بني
اسرائيل • لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال اطلاقهم من
الاسر والتسخير واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى • ولا
تعذبهم • اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة
الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم

ويتوسيط

وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه
من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم
الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الآية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مخل
بتجاذب النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين عن الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان
فكلا • قد جئناك بآية من ربك • تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب
الارسال فان مجيئهما بالآية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب
في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الآية مع تعددها لان المراد
اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى فأت بآية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد
بها آية من الآيات • والسلام • المستتبع لسلامة الدارين من اتبع الهداية الى الحق وفيه من ترغيبه
في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى • انا قد اوحي الينا • من جهة ربنا • ان العذاب • الدنيوي والاخروي
على من كذب • اي بآياته تعالى • وتولى • اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول
العذاب به ما لا مزيد عليه • قال • اي فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوي ذكره للايجاز و
الاشعار بانهما كما امرا بذلك سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به
• فمن ربكما يا موسى • لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك
بآية من ربك لغاية عتوه وطغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته
تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار هاهنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون
لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربه اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من
ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عم مع رتته فاراد ان يفحمه فرده ما شاهد منه عم من حسن البيان
القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما سيأتي • قال • اي موسى عم
مجيبا له • ربنا • اما مبتدأ وقوله تعالى • الذي اعطى كل شيء خلقه • خبره او هو خبر لمبتدأ محذوف والموصول صفته
واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراده اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه
كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق
بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء يحتاج اليه ويرتفق به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام
او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم
يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف
المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار مع كونه منويا
مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج اليه • ثم هدى • اي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه
وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية
والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة

عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عم جوابه على نمط رائق و
اسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق بها بطريق التفضل
وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية
حيث ركب فيه العقل وساير المشاعر والالات الظاهرة والباطنة • قال فما بال القرون الاولى • لما شاهد
اللعين ما نظمه عم في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية
مقالاته عم وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عم عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا
تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين
يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة
فاجاب عم بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من
انه سأله عن حال من خلا من القرون من شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى • قال
علمها عند ربي • فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور
المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع
الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى • في كتاب • اي مثبت في اللوح
المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح
به قوله تعالى • لا يضل ربي ولا ينسى • اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا فانهما
محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجة تعالى اليه في العلم به ابتداء او بقاء
واظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي
عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عم عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق
حجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص الى حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل
ما سيأتي من الالتفات • الذي جعل لكم الارض مهدا • على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب
عليه او خبر مبتدأ محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ
مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم • وسلك لكم
فيها سبلا • اي جعل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم
وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها • وانزل من السماء ماء • هو المطر • فاخرجنا به • اي بذلك الماء وهو عطف على
انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان
بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم الشأن تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان
الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم
من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قيل الالتفات عما كان حق كلامه تعالى واما ههنا فحكاية عنه
تعالى وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عم خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات

لعدم اتحاد المتكلم • ازواجا • اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض
من نبات • بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى • شتى • اي متفرقة جمع شتيت
ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في
الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من
تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق
بكونه طعاما لهم وقوله تعالى • كلوا وارعوا انعامكم • حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا بها
اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة آذنين في ذلك
• ان في ذلك • اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته
وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى • لآيات • للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة على
شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عم • لاولي النهى • جمع نهية سمي بها
العقل لنهيه عن القبائح اي لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية
وتقبله منه الفئة الباغية وتخصيص كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها
• منها خلقناكم • اي في ضمن خلق ابيكم آدم عم منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من
خلقه عم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عم بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر
افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عم منها خلقا للكل منها و
قيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك
الموكل بالرحم يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها على النطفة فيخلق من التراب
والنطفة • وفيها نعيدكم • بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد
فيها • ومنها نخرجكم تارة اخرى • بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلفة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها
وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية
والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما
مر في المرة • ولقد اريناه • حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عم وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عم من الدلائل
سوقه الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد
الارادة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة لا الى موسى عم نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيم شأنها
واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في المكابرة والعناد اي وبالله لقد بصرناه او عرفناه • آياتنا • حين قال له موسى
عم ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده
فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها
آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك بآياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر
كل واحد منها داهية دهياء فانه روي انه عم لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا

وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات
منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك لاخذته فعاد عصا وروي انها
انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول
فرعون انشدك الخ ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه شعاع
الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الايتين ايات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صراحة
اكد بقوله تع • كلها • كانه قيل اريناه • اياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك
عذر ما والا فسائر الايات التسع من جملتها انما ظهرت على يده عم بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من
عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة ما ترتب بعد وابعد من ذلك ان تعد منها
ما جعل لاهلاكهم لا لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الايات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام
بناء على ان حكايته عم اياها لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سياتي من قوله اظهره عم على السحر والتصدي للمعارضة
بمثله ياباه اباء بينا وينطق بان المراد ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز جعل ما فصله عم من افعاله تعالى الدالة على
اختصاصه بالربوبية واحكامها من جملة الايات • فكذب • موسى عم من غير تردد وتاخير مع ما شاهد في يده من
الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا • وابى • الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالايات
جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى • قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى • استيناف
مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجيء اما على حقيقته او بمعنى الاقبال
على الامر والتصدي له اي اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعدما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر
بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على
غاية المقت لموسى عم بابراز ان مراده عم ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم
وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره
عم من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه بمثله ما اوتي به عم فقال • فلناتينك بسحر مثله •
الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لناتينك
بسحر مثل سحرك • فاجعل بيننا وبينك موعدا • اي وعدا لما ينبئ عنه وصفه بقوله تع • لا نخلفه •
فان المناسب له لا المكان والزمان اي لا نخلف ذلك الوعد • نحن ولا انت • وانما فوض اللعين امر الوعد
الى موسى عم للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة انه متمكن
من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب الالات لمعالجة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير
موسى عم ولذلك اكد النفي بتكرير حرفه • وانتصاب • مكانا سوى • بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه
موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه فحينئذ تكون مطابقة الجواب في قوله تعالى •
قال موعدكم يوم الزينة • من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه
يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ

يوم

يوم بالنصب وهو ظاهر فان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في
النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد
كان لهم في كل عام وانما خصه عم بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان
ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الاشهاد
ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد • وان يحشر الناس ضحى • عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء
للفاعل بالتاء على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك واليوم • فتولى فرعون •
اي انصرف عن المجلس • فجمع كيده • اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم • ثم اتى • اي الموعد ومعه
جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لأي وتلعثم وقوله تعالى • قال لهم موسى •
الخ بطريق الاستيناف المبني على السؤال يقضي بان لكل قبس احواله حينئذ والمحتاج الى السؤال والبيان
ليس الا ما صدر عنه عم من الكلام واما اتيانه اولا فامر محقق غني عن التصريح به كانه قيل فماذا صنع
موسى عم عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة • ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا • بان تدعوا اياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون • فيسحتكم • اي يستاصلكم بسببه
بعذاب • هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد
• وقد خاب من افترى • اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا
او وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها • فتنازعوا • اي السحرة
حين سمعوا كلامه عم كان ذلك غاظهم فتنازعوا • امرهم • الذي اريد منهم من مغالبته عم وتشاوروا و
تناظروا • بينهم • في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في ذلك • واسروا النجوى • اي من
موسى عم لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تع • قالوا • اي بطريق التناجي والاسرار
• ان هذان لساحران • الى اخره فانه تفسير له ونتيجة لتنازعهم وخلاصة ما استقرت عليه اراؤهم
بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة وقرئ بتشديد نون هذان
وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث
بن كعب فانهم يعربون المثنى تقديرا وقيل ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم
وما بعدها جملة من مبتدا وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف
الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة • يريدان
ان يخرجاكم من ارضكم • هي ارض مصر بالاستيلاء عليها • بسحرهما • الذي اظهراه من قبل • ويذهبا بطريقتكم
المثلى • اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب واماثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان
عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى
عم ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا
وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على

على حالهم مما يجب تنزيله التنزيل عن امثالك عليه السلام ان هذه المقالات منهم للاغراء بالمبالغة في المغالبة والاهتمام
بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكان واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل
من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم امنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم
واشرافهم لانهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا تعرض له في قوله تعالى ● فاجمعوا كيدكم ●
تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم
ما ذكر من الاخراج والاذهاب فاجمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن
قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوها كما
ينبغي ● ثم ائتوا صفا ● اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة
من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين
وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من
الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا والله اعلم ولعل الموعد كان مكانا
متسعا خاطبهم موسى عليه السلام بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر اخر منه ثم امروا بان ياتوا
وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الاعياد والصلوات ووجه صحة ان يكون
علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات بعد تعيين المكان فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى ●
وقد افلح اليوم من استعلى ● اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامر اي قد فاز بالمطلوب من غلب
يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين
وبمن علا انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا على بذل المجهود في
المغالبة هذا هو اللائق بتبوع اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلام
ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا
فسنغلبه وان كان من السماء فله امر فيكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه ويحمل قولهم ان هذان
لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التناظر واستقرت
اراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما حمل قالوا الخ على ان فرعون وملائه قالوا ذلك للسحرة ردا
لهم عن الاختلاف وامرهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل
بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم ● قالوا ● استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما جرى بين
السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعدما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا ● يا موسى ● وانما لم
يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما وغنائهما عن البيان ● اما ان
تلقي ● اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم
● واما ان نكون اول من القى ● ما نلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة للادب لما راوا
منه عليه السلام ما راوا من مخايل الخير ورزانة الراي واظهار الجلادة بارائة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير

ان مع ما في خبرها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدا محذوف اي اختر القاءك اولا والقاءنا
او الامر اما القاؤك او القاؤنا ● قال ● استيناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام كانه قيل
فماذا قال عليه السلام فقيل قال ● بل القوا ● انتم اولا مقابلة للادب باحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم
اولا واظهارا لعدم المبالاة بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى البدء وليبرزوا ما معهم ويستفرغوا
اقصى جهدهم ويستنفدوا اقصارى وسعهم ثم يظهر الله جل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما
علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكائد السحر ● فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم
انها تسعى ● الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق
اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف
اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى عليه السلام وقت
ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت
واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه
بدل اشتمال وقرئ نخيل باسناده الى الله سبحانه وتخيل بحذف احدى التائين من تتخيل ● فاوجس في نفسه
خيفة موسى ● اي اضمر فيها بعض خوف من مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات
والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك
كما ستعرفه وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل ● قلنا لا تخف ● اي ما توهمت ● انك انت الاعلى ● تعليل
لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه الاستيناف وحرف
التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل ● والق ما في يمينك ●
اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست
من جنس العصي المعهودة المستتبعة للاثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه
مستتبعة لاثار غريبة وعدم مراعاة هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع اخر لا يستدعي عدم مراعاتها
عند وقوع المحكي بهذا وحمل الابهام على التحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي
في يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر من ترتب على
ان ذلك المعنى انما يليق بما لو فعلت العصا ما فعلت وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى
● تلقف ما صنعوا ● بالجزم جوابا للامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث لكون ما عبارة عن
العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان
بالتمويه والتزوير وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال
او الاستيناف والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في حيزها لتعليل موجبه ببيان كيفية غلبته عليه السلام
وعلوه فان ابتلاع عصاه لاباطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا كما
ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم يكن مما ذكر من مخالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له عليه السلام والا لعلل بما يزيله

من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم له عم وقوله تع ﴿انما صنعوا﴾ الى آخره تعليل لقوله تع تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اي ان الذي صنعوه او ان شيئا صنعوه ﴿كيد ساحر﴾ بالرفع على انه خبر لان اي كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل الى التنكير بالاضافة اليه للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان الاضافة للبيان كما في علم فقه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تع ﴿ولا يفلح الساحر﴾ اي هذا الجنس ﴿حيث اتى﴾ اي حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وعدم التعرض لشأن العصا وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفاء في قوله تع ﴿فالقي السحرة سجدا﴾ كما سلف فصيحة معربة عن جمل محذوفة ينساق اليها النظم الكريم غنية عن التصريح بها لعدم احتمال تردد موسى عم في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اي فالقاها عم فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحر وانما هي آية من آيات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الآلات فاستدلوا بتغير احوال الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عم على صحة رسالته لا جرم القاهم ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وآمنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا ينافيه قولهم انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الى آخره لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور هذا القول عنهم ﴿قالوا﴾ استيناف كما مر غير مرة ﴿آمنا برب هرون وموسى﴾ تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عم واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عم في صغره فلو قدموا موسى عم لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون ﴿قال﴾ اي فرعون للسحرة ﴿آمنتم له﴾ اي لموسى عم واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي ﴿قبل ان آذن لكم﴾ في الايمان له كما في قوله تع لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن في ذلك او متوقع بعده او متوقع ﴿انه﴾ يعني موسى عم ﴿لكبيركم﴾ اي في فنكم واعلمكم به واستاذكم ﴿الذي علمكم السحر﴾ فتواطأتم على ما فعلتم او فعلكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عم فلا عبرة لما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال ﴿فلاقطعن﴾ اي فوالله لاقطعن ﴿ايديكم وارجلكم من خلاف﴾ اي اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتداء من مخالفة العضو للعضو فان المبتدئ من المعروض مبتدئ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اي لاقطعنها مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب السياسة لا لانها افظع من غيرها ﴿ولاصلبنكم في جذوع النخل﴾ اي عليها وايثار كلمة في للدلالة على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها

لاستمرارهم

لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئا بالتخفيف ﴿ولتعلمن اينا﴾ يريد نفسه وموسى عم لقوله تعالى آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تع لغيره تع وهذا اما لقصد توضيع موسى عم والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لارادة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عم حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب موسى الذي آمنوا به بقولهم آمنا برب هرون وموسى ﴿اشد عذابا وابقى﴾ اي ادوم ﴿قالوا﴾ غير مكترثين بوعيده ﴿لن نؤثرك﴾ لن نختارك بالايمان والاتباع ﴿على ما جاءنا﴾ من الله تع على يد موسى عم ﴿من البينات﴾ من المعجزات الظاهرة فانه ظهر بيده عم من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلالتها ودقائقها ﴿والذي فطرنا﴾ اي خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتأخيره لان ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده تع بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتع وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اي وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون المذكور جوابا له عند من يجوز تقديم الجواب ايضا لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى ﴿فاقض ما انت قاض﴾ جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الى آخره اي فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به وقوله تع ﴿انما تقضي هذه الحيوة الدنيا﴾ مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق من الامر بالقضاء اي انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في عذبها ولا رهبة من عذابها ﴿انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ التي اقترفناها من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذنا بها في الدار الآخرة لا ليتمتعوا بتلك الحيوة الفانية حتى نتأثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب ﴿وما اكرهتنا عليه من السحر﴾ عطف على خطايانا اي ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى عم باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجه في خطاياهم اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب المغفرة وقيل اراد والعلى تعلم السحر حيث روي ان رؤساءهم كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على المعارضة حيث روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وياباه تصديهم للمعارضة على الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ﴿والله خير﴾ اي في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم ﴿والذي فطرنا﴾ ﴿وابقى﴾ اي جزاء ثوابا او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وهو رد لقوله تعالى ﴿انه﴾ الى آخر الآية تعليل من جهتهم لكونه تع خيرا وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون و

وتصدير الجملة بضمير الشأن للتنبيه على فخامة مضمونها لأن مناط وضع الضمير موضعه ادعاء شهرته المغنية
عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن
مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن كأنه قيل إن الشأن الخطير هذا أي قوله تعالى • من يأت ربه
مجرما • بأن مات على الكفر والمعاصي • فإن له جهنم لا يموت فيها • فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه
وهذا تحقيق لكون عذابه أبقى • ولا يحيى • حياة ينتفع بها • ومن يأته مؤمنا • به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات
التي من جملتها ما شاهدناه • قد عمل الصالحات • الصالحات الحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا
مع الموصوف وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل • فأولئك • إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها
كما أن الإفراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم أي
فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات • لهم • بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة • الدرجات العلى •
أي المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الإيمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع الثواب لأن
ما نيط بالإيمان المقرون بالأعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا وهل النزاع إلا فيه
• جنات عدن • بدل من الدرجات العلى أو بيان وقد مر أن عدنا علم بمعنى الإقامة أو لأرض الجنة فقوله تعالى
• تجري من تحتها الأنهار • حال من الجنات وقوله تعالى • خالدين فيها • حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار أو
الإشارة • وذلك • إشارة إلى ما أتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم • جزاء من تزكى •
أي تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى أبقى و
تقديم ذكر حال المجرم للمسارعة إلى بيان أشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله أينا أشد عذابا
وأبقى هذا وقد قيل هذه الآيات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس في القرآن [illegible] وأولئك المؤمنين
ما أوعدهم به ولم يثبت في الأخبار • ولقد أوحينا إلى موسى • حكاية إجمالية لما انتهى إليه أمر فرعون وقومه وقد
طوي في البين ذكر ما جرى عليهم من الآيات المفصلة الظاهرة على يدي موسى عم بعد ما غلب السحرة في نحو من
عشرين سنة حسبما فصل في سورة الأعراف وتصديرها بالقسم لإبراز كمال العناية بمضمونها وأن في قوله تعالى
• أن أسر بعبادي • إما مفسرة لأن في الوحي معنى القول أو مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم
عباده تعالى لإظهار المرحمة والاعتناء بأمرهم والتنبيه على غاية قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده
عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل أي بالله لقد أوحينا إليه أن أسر بعبادي الذين أرسلتك لإنقاذهم
من ملكة فرعون أي سر بهم من مصر ليلا • فاضرب لهم • أي فاجعل أو فاتخذ لهم • طريقا في البحر يبسا • أي يابسا
على أنه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا أي يابسا على أنه مصدر وصف الفاعل مبالغة وقرئ يبسا و
هو إما مخفف منه أو وصف كصعب أو جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة أو لتعدده حسب تعدد الأسباط
• لا تخاف دركا • حال من المأمور أي آمنا من أن يدرككم العدو أو صفة أخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ
لا تخف جوابا للأمر • ولا تخشى • عطف على لا تخاف داخل في حكمه أي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف
أي وأنت لا تخشى أو عطف عليه والألف للإطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفي الخوف المذكور

للمسارعة

للمسارعة إلى إزاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا إنا لمدركون • فأتبعهم فرعون بجنوده
• أي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال أتبعهم إذا تبعهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده أنه قرئ فاتبعهم
من الافتعال وقيل معناه أتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فأتبعهم فرعون جنوده
أي ساقهم خلفهم وأيا ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره وإيذانا بكمال مسارعة موسى
عم إلى الامتثال بالأمر أي ففعل ما أمر به من الإسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فأتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا
روي أن موسى عم خرج بهم أول الليل وكانوا ستمائة وسبعين ألفا فأخبر فرعون بذلك فأتبعهم بعساكره
وكانت مقدمته سبعمائة ألف فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عم بعصاه البحر فانفلق
على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عم بمن معه من الأسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده
• فغشيهم من اليم ما غشيهم • أي علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الأمر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا
يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فإن مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع
قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم أي غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا أو ما غشاهم وقيل فرعون
لأنه الذي ورطهم للهلكة ويأباه الإظهار • وأضل فرعون قومه • أي سلك بهم مسلكا أداهم إلى الخيبة
والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الأخروي
وقوله تعالى • وما هدى • أي ما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير
لإضلاله وتأكيد له إذ رب مضل قد يرشد من يضله إلى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله تعالى وما أهديكم
إلا سبيل الرشاد فإن نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك إنما يتصور
في حقه بطريق التهكم وحمل الإضلال والهداية على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه بجنوده إلى مساق
الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة عن الإضلال في البحر والإنجاء منه مما لا يقبله العقل السليم • يا بني إسرائيل •
حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد إغراق فرعون وقومه وإنجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما أفاض عليهم من
فنون النعم الدنيوية والدينية ما أفاض وقيل هو إنشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلعم على معنى
أنه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم أصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما أعجلك إلخ ضرورة استحالة
حمله على الإنشاء فالوجه سوق الحكاية بتقدير قلنا عطفا على أوحينا أي وقلنا يا بني إسرائيل • قد أنجيناكم من
عدوكم • فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون
نساءكم وقرئ أنجيتكم • وواعدناكم جانب الطور الأيمن • بالنصب على أنه صفة المضاف وقرئ بالجر
للجوار أي واعدناكم بواسطة نبيكم إتيان جانبه الأيمن نظرا إلى السالك من مصر إلى الشام أي إتيان موسى عم
للمناجاة وإنزال التوراة عليه ونسبت المواعدة إليهم مع كونها لموسى عم خاصة أو له وللسبعين المختارين نظرا
إلى ملابستها إياهم وسراية منفعتها إليهم وإيفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
حيث نسب الخلق والتصوير إلى المخاطبين مع أن المخلوق والمصور بالذات هو آدم عم وقرئ وعدتكم ووعدناكم
• ونزلنا عليكم المن والسلوى • أي الترنجبين والسماني حيث كان ينزل عليهم المن وهو في التيه مثل الثلج من الفجر

الى الطلوع لكل انسان صاع وبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا جملة مستأنفة مسوقة
لبيان اباحته ما ذكر لهم واتماما للنعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اى من لذائذه او حلالاته وقرئ رزقتكم وفي
البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه
اى فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب
للنهي اى فيلزمكم عقوبتي وتجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اى تردى وهلك
وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من
جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اى عملا صالحا مستقيما عند الشرع ثم اهتدى اى استمر على الهدى
الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثم للتراخي الرتبي وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين
موسى عليه السلام من الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اى وقلنا له اى شيء اعجلك منفردا
عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من
مخائل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مأمورا باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه
عليه السلام لكونها نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث
قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك
مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك
رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك وزيادة رب للمبالغة في الضراعة والابتهال رغبة
في قبول العذر قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره عليه السلام والتعرض لوروده على صيغة الغائب
لا لانه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا
قال له ربه حينئذ فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم
الذين خلفهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا والفاء لترتيب الاخبار بما
ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة
المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى
موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عليه السلام عين
ولا اثر واضلهم السامري حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام ميعادكم لما معكم من
حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخبر تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار
تحققها في علمه تعالى ومشيئته واما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظائره او
لان السامري قد كان عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها وتمهيد مبانيها فكانت
الفتنة واقعة عند الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اى اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل
والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما
واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه

المعهود

المعهود اى بعد ما استوفى الاربعين واخذ التوراة لا عقيب الاخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها انما هي
باعتبار قيد الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا لا باعتبار نفسه وان كانت داخلة عليه حقيقة فان كون
الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم الى كونه عند الاخبار بالفتنة كما اذا قلت شايعت
الحجاج ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فان احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعاء ولا
سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال
استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد ونفيه وتقرير
وجوده على ابلغ وجه وآكده اى وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفاء في قوله تعالى افطال عليكم العهد
اى الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اى وعدكم ذلك فطال الزمان لاتيانه فاخطأتم
بسببه ام اردتم ان يحل اى يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم اى من مالك
امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اى وعدكم اياي بالثبات على ما امرتكم به الى ان ارجع من الميقات على اضافة
المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام
اشنع منه من حيث اضافته اليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه قيل انسيتم الوعد
بطول العهد فاخلفتموه خطأ ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا واما جعل الموعد مضافا الى الفاعل وحمل
اخلافه على معنى وجدان الخلف فيه اى فوجدتم الخلف في موعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا
السياق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك اى وعدنا اياك بالثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا
على اضافة المصدر الى فاعله لما مر آنفا بملكنا اى بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري
ما سوله مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ
حملنا بالتخفيف اى حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا
استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا على امرهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد
اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها تبعات وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها اى
في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك اى فمثل ذلك القذف القى السامري اى ما كان معه منها وقد كان
اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول
كما سيأتي روي انه قال لهم انما تأخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالرأي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف فيها كل ما
معنا ففعلوا فاخرج اى السامري لهم للقائلين عجلا من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع كونه مفعولا صريحا عن
الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم
الكريم فان قوله تعالى جسدا اى جثة ذات دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار
اى صوت عجل نعت له فقالوا اى السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اى غفل عنه

وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية نتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم ترتيب الانكار عليها
لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة لبيان ان الاخراج والقول المذكورين للكل لا للسامري فقط
خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان مخالفة بعضهم لك وعدم اتفاقهم بتسويله مع كون الاخراج والخطاب لهم مما يهون
مخالفة المعتذرين فافتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة
الاخلاف الى انفسهم وهم براء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف
فيما بيننا بامر كنا نملكه بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج ما اخرج وقال ما قال فلم نقدر على صرفهم
عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سياق النظم الكريم وسياقه • افلا يرون
الى اخره انكار وتقبيح من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه
بطلانه واستحالته على احد وهو الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا يتفكرون فلا يعلمون • ان لا يرجع اليهم
قولا • اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع بالنصب فالرؤية حينئذ بصرية فان
ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اي الا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر
مع كونه امرا معنويا للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم • ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا •
عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم
ان لم يعبدوه او ينفعهم ان عبدوه • ولقد قال لهم هرون من قبل • جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم
واستعصائهم على الرسول اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل رجوع موسى
عم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كانه عليه السلام اول ما ابصره حين طلع من الحفيرة توهم
منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم وقال لهم • يا قوم انما فتنتم به • اي اوقعتم في الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه
القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى مقابله الذي يدعيه القوم لا الى قيده المذكور بالعكس [illegible]
على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى • وان ربكم الرحمن • بكسر ان عطفا على
انما ارشاد لهم الى الحق اثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم الى الحق كما ان
التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل اي ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غير والفاء في قوله تعالى
• فاتبعوني • لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اي اذا كان الامر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين
• واطيعوا امري • هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شانه • قالوا • في جواب هرون عم • لن نبرح عليه • على العجل وعبادته
• عاكفين • مقيمين • حتى يرجع الينا موسى • جعلوا رجوعه عم اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد
بتركها عند رجوعه عم بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عم لا يرجع بشيء مبين تعويلا على
مقالة السامري روي انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عم في اثني عشر الفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عم
وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال
وسمع منهم ما قالوا • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية جوابهم لهرون عم كانه قيل
فماذا قال موسى لهرون حين سمع جوابهم وهل رضي بسكوته بعدما شاهد منهم ما شاهد فقيل قال له وهو مغتاظ قد اخذ

بلحيته

بلحيته وراسه • يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا • بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة الى ان شافهوك بتلك
المقالة الشنعاء • ان لا تتبعن • اي ان تتبعني على ان لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وعامل في اذ اي شيء منعك
حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعني في الغضب لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعني فان المنع
عن الشيء مستلزم للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقني وتخبرني بضلالهم فيكون مفارقتك زجرا لهم والاعتذار
بانهم اذا علموا انه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقضية يخافون رجوع موسى عم فينزجرون عن ذلك بمعزل من القبول
كيف لا وهم قد صرحوا بانهم عاكفون عليه حتى رجوعه عم • افعصيت امري • اي بالصلابة في الدين والمحاماة عليه
فان قوله له عليهما السلام اخلفني متضمن للامر بهما حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو
كان حاضرا والهمزة للانكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم تتبعني او خالفتني فعصيت امري •
قال يا ابن ام • خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور
على انهما كانا شقيقين • لا تاخذ بلحيتي ولا براسي • اي بشعر راسي روي انه عم اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته
بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عم حديدا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل
ففعل ما فعل وقوله تعالى • اني خشيت • استئناف مسوق لتعليل موجب النهي ببيان الداعي الى ترك المقاتلة
وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اي اني خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا • ان تقول فرقت
بين بني اسرائيل • برايك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عم
بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذي لا يرجى بعده الاجتماع • ولم ترقب قولي • يريد به قوله عم اخلفني
في قومي واصلح الى اخره يعني اني رايت ان الاصلاح في حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فتكون [illegible]
انت المتدارك للامر حسبما رايت لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني • قال • استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد
الفساد الى السامري واعتذار هرون عم كانه قيل فماذا صنع موسى عم بعد سماع ما حكي من الاعتذارين واستقرار
اصل الفتنة على السامري فقيل قال موبخا له هذا شانهم • فما خطبك يا سامري • اي ما شانك وما مطلوبك بما فعلت
خاطبه عم بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم
من الامم • قال • اي السامري مجيبا له عم • بصرت بما لم يبصروا به • بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها في الاول وفتحها في
الثاني وقرئ بالتاء على الخطاب خطاب موسى عم وقومه اي علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له او رايت
ما لم يروه وهو الانسب بما سياتي من قوله وكذلك سولت لي نفسي لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه
موسى عم جراءة عظيمة لا تليق بشانه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عم فانه مما يقع بحسب ما يتفق وقد
كان راى جبريل عم جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات
في الحال فعرف ان له شانا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى • فقبضت قبضة من اثر الرسول • وقرئ من اثر فرس
الرسول اي من تربة موطئ فرس الملك الذي ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار
بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تاكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة

والقبضة المرة من القبض أطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة
وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للأخذ بجميع الكف والثاني بأطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم
فنبذتها اي في الحلي المذاب او في جوف العجل فكان ما كان • وكذلك سولت لي نفسي • اي ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تع ذلك
اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف في الاصل النصب على انه مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر محذوف والتقدير
سولت لي نفسي تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تأكيد ما
افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك التسويل البديع زينت لي نفسي ما فعلته
لا تسويلا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها
لا لشيء آخر من البرهان العقلي او الالهام الالهي فعند ذلك • قال • عم • فاذهب • اي من بين الناس وقوله تعالى
فان لك في الحيوة • الى آخره تعليل لموجب الامر وفي متعلقة بالاستقرار في ذلك اي ثابت لك في الحيوة او بمحذوف
وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار في الظرف لاعتماده على ما هو مبتدأ معنى لا بقوله تع • ان تقول لا مساس
لمكان ان اي ثابت لك كائنا في الحيوة اي مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب
الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه عم رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حُمّ من ساعته حمى
شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح بأقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته
وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن
الوحشي النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر في مقابلة
جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحياة
الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التي هي من اسباب موت الاحياء • وان لك موعدا • اي في الآخرة
لن تخلفه • اي لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعدما عاقبك في الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت
الموعد اي وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل • وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا • اي ظللت مقيما
على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها • لنحرقنه • جواب قسم محذوف اي
بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويؤيده قراءة لنحرقنه • ثم لننسفنه
اي لنذرينه وقرئ بضم السين • في اليم • رمادا او مبرودا كأنه هباء • نسفا • بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عم
ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف في وعده المؤكد باليمين •
انما الهكم الله • استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اي انما معبودكم
المستحق للعبادة الله • الذي لا اله • في الوجود لشيء من الاشياء • الا هو • وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء
بوجه من الوجوه التي من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تع • وسع
كل شيء علما • اي وسع علمه كل ما من شأنه ان يعلم بدل من الصلة كأنه قيل انما الهكم الذي وسع كل شيء علما لا غيره
كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة
الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كأنه قيل وسع علمه كل شيء وبه تم

كذلك

حديث موسى عم المذكور ليستقر امر التوحيد حسبما نطقت به خاتمته وقوله تع • كذلك نقص عليك • كلام مستأنف خوطب به
النبي عم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى
عم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اي
نقص عليك • من انباء ما قد سبق • من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصا مثل ذلك القص المار والتقديم
للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تع من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق
بمحذوف هو صفة للمفعول كما في قوله تع ومنا دون ذلك اي جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق
او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تع ومن الناس من يقول الى آخره وتأخيره عن عليك لما
مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء
لا قصا ناقصا منه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك • وقد آتيناك من
لدنا ذكرا • اي كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير
ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تع ذكرا عظيما وقرآنا كريما جامعا
لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم
الكريم • من اعرض عنه • عن ذلك الذكر العظيم الشأن المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية
او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا • فانه • اي المعرض عنه • يحمل يوم القيمة • اي عقوبة ثقيلة فادحة على
كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل
وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سيأتي من تسميتها حملا وقوله تعالى • خالدين
فيه • اي في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق
حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر الى لفظها • وساء لهم يوم القيمة حملا • اي بئس
لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كأنه لما قيل
ساء قيل لمن يقال هذا فأجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر • يوم ينفخ في الصور •
بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في
تفسير قوله يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به
تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عم وان لم يجر ذكره لشهرته • ونحشر المجرمين
يومئذ • اي يوم اذ ينفخ في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون
زرقا • اي حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب
فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق
العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تع • يتخافتون بينهم • اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما
يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف ببيان ما يأتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين
اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة • ان لبثتم • اي ما لبثتم في الدنيا • الا عشرا • اي عشر ليال استقصارا

لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم
استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات وفي القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين شاهدوا
البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك غرامة وتحسيرا
لسرعة وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والا لحالهم اقطع من ان تمكنهم من الاشتغال بتذكر
ايام النعمة والسرور واستقصارها وان تأسف عليها ◦ نحن اعلم بما يقولون ◦ وهو مدة لبثهم ◦ اذ يقول امثلهم
طريقة ◦ اي اعدلهم رأيا او عملا ◦ ان لبثتم الا يوما ◦ ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاع منه تعالى له لكن
لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول ◦ ويسألونك عن الجبال ◦ اي عن مآل امرها
وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء ◦ فقل ينسفها ربي نسفا ◦ اي يجعلها
كالرمل ثم يرسل عليها فتفرقها والفاء للمسارعة الى الزام السائلين ◦ فيذرها ◦ الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها
السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطوح سائر اجزاء
الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال و
على التقدير بن يذر الكل ◦ قاعا صفصفا ◦ لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطوح سائر اجزاء
الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها
وقيل الذي لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كأن اجزاءها صف واحد من كل جهة و
انخفاض وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا
اما حال ثان منه او بدل من المفعول الثاني وقوله ◦ لا ترى فيها ◦ اي مقار الجبال او في الارض على ما مر من
التفصيل ◦ عوجا ◦ بكسر العين اي اعوجاجا ما كانه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تأملت
بالمقاييس الهندسية ◦ ولا امتا ◦ اي نتوا يسيرا استئناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف
او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم ◦ يومئذ ◦ اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف
لقوله ◦ يتبعون الداعي ◦ وقيل بدل من يوم القيامة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي الله عز وجل
الى المحشر وهو اسرافيل عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة
والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه ◦ لا
عوج له ◦ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه ◦ وخشعت الاصوات للرحمن ◦ اي خفضت لمهابته
فلا تسمع الا همسا ◦ اي صوتا خفيا ومنه الهمس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم
ونقلها الى المحشر ◦ يومئذ ◦ اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة ◦ لا تنفع الشفاعة الا ◦ من الشفعاء
احد ◦ الا من اذن له الرحمن ◦ ان يشفع له ◦ ورضي له قولا ◦ اي ورضي لاجله قول الشافع في شأنه
او رضي لاجله وفي شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس

كقوله

كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة
على ان يقع الشفعاء الشفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فليس بسديد لان حكم الشفاعة ممن
لم يؤذن له ان لا يملكها ولا يصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا و
قوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن
له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم
قبولها بعد وقوعها ◦ يعلم ما بين ايديهم ◦ اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا ◦ وما خلفهم ◦ وما بعدهم
مما يستقبلونه وقيل من امر الآخرة ◦ ولا يحيطون به علما ◦ اي لا يحيط علمهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه
بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما
علموا منه ◦ وعنت الوجوه للحي القيوم ◦ اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى في يد الملك القهار
ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى ◦ وقد خاب من حمل ظلما ◦ قال
ابن عباس رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه قيل خابوا و
خسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب
من حمل منهم ظلما فهو كقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات الى آخره قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه
كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين
في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق ◦ وهو مؤمن ◦ فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات
◦ فلا يخاف ظلما ◦ اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد ◦ ولا هضما ◦ ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم و
هضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي ◦ وكذلك ◦ عطف على كذلك نقص وذلك
اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيامة واهوالها اي مثل
ذلك الانزال ◦ انزلناه ◦ اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه وكونه مركوزا في
العقول حاضرا في الاذهان ◦ قرآنا عربيا ◦ ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا
عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر ◦ وصرفنا فيه من الوعيد ◦ اي كررنا فيه بعض الوعيد او
بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا ◦ لعلهم يتقون ◦ اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل ◦ او يحدث لهم ذكرا
اي اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء ◦ فتعالى الله ◦ استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده
من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته
وافعاله واحواله ◦ الملك ◦ النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده ◦ الحق ◦ في ملكوتيته والوهيته
لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ◦ ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك ◦ اي يتم ◦ وحيه ◦ كان رسول الله
صلعم اذا القى اليه جبريل عليهما السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ
فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار الالفاظ في الاذهان تابع لاستقرار معانيها
فيها وربما يشغل التلفظ بالكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل ◦ وقل اي

في نفسك • رب زدني علما • اي سل الله عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل
انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته و
مشروعيته • ولقد عهدنا الى آدم • كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن
وبيان ان اساس بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى
كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره و
وصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي واقسم او وبالله او و
تالله لقد امرناه ووصيناه • من قبل • اي من قبل هذا الزمان • فنسي • اي العهد ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه
ترك المنسي عنه وقرئ فنسي اي نساه الشيطان • ولم نجد له عزما • تصميم راي وثبات قدم في الامور اذ لو كان كذلك
لما ازله الشيطان ولما استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها
ويذوق شريها واريها عن النبي عليه السلام لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما
على الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه قدم الثاني على الاول لكونه
ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم
المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر مرارا كأنه قيل ولم نصادف له عزما • واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم • شروع في بيان المعهود وكيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به
النبي صلعم اي واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة
في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه
بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث كانها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية
اي واذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه • فسجدوا الا ابليس • قد
سبق الكلام فيه مرارا • ابى • جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده كأنه قيل
ما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين
او غير منوي رأسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره • فقلنا • عقيب ذلك اعتناء بنصحه • يا آدم ان
هذا • الذي رأيت ما فعل • عدو لك ولزوجك • ولذلك فعل ما فعل • فلا يخرجنكما • اي لا يكونن سببا لاخراجكما • من الجنة • والمراد نهيهما
ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي
على عداوته لهما او على الاخبار بها • فتشقى • جواب النهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب
له بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب
في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال • ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها
ولا تضحى • تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي
البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج عنها والعدول عن التصريح بان له فيها تنعما بفنون النعم
من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا

يخفى

يخفى الى ما ذكر من نفي نقائضها التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من
انواع الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ له من التمتع
بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها
رغدا حيث شئتما وقد طوي ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب
ومعنى ان لا تجوع فيها الخ ان لا يصيبه شيء من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض
اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كلما وقع فيها شهوة وميل
الى شيء من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراد العري بما ذكر تارة وقرنه بالظمأ على
الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان
حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة
واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور
المذكورة مقصود بالذات مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي
بعض آخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع
وصحة وقوع الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا
لها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقيق فيما في
حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة
والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم
الايجابي او السلبي وان مناط ذلك الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت
اسمها في نفسه فاللازم من وقوع الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة
المؤولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة
واحدة قطعا واما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق مع اختلاف المناط بل شرطوا الفصل بالخبر
كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتحامي عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة
التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل وقائمة مقامها في افضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها
حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان
لك عدم الجوع وعدم العري وعدم الظمأ خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عدم تحقيق عدمهما
فوضع موضع حرف المصدر المحض ان المفيدة له كأنه قيل ان لك فيها عدم ظمئك على التحقيق • فوسوس
اليه الشيطان • اي انهى اليه وسوسته واسرها اليه • قال • اما بدل من وسوس او استئناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال • يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد
• اي شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او يكون ملكا لقوله تعالى الا ان تكونا ملكين او
تكونا من الخالدين • وملك لا يبلى • اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه • فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما

قال ابن عباس رضي الله عنهما عريا عن النور الذي كان الله تعالى ألبسهما حتى بدت فروجهما • وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة • قد مر تفسيره في سورة الأعراف • وعصى آدم ربه • بما ذكر من أكل الشجرة
فغوى • ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود أو عن المأمور به أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من
غوي الفصيل إذا اتخم من اللبن وفي وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لأولاده
عن أمثالها • ثم اجتباه ربه • أي اصطفاه وقربه إليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشيء بمعنى
جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعته أو من جبى إلي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها
وأصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام • فتاب
عليه • أي قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين وإفراده عليه السلام بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه • وهدى • أي إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب
العصمة • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من الإخبار بأنه تعالى قبل توبته وهداه كأنه قيل فماذا أمره تعالى
بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته • اهبطا منها جميعا • أي انزلا من الجنة إلى الأرض • بعضكم لبعض
عدو • حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما أنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد أي متعادين في أمر المعاش
كما عليه الناس من التجاذب والتحارب • فإما يأتينكم مني هدى • من كتاب ورسول • فمن اتبع هداي
وضع الظاهر موضع المضمر مع الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في إيجاب اتباعه • فلا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الآخرة • ومن أعرض عن ذكري • أي عن الهدى الذاكر لي والداعي إلي • فإن له في الدنيا • معيشة
ضنكا • ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لأن مجامع همته و
مطامح نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن
الطالب للآخرة مع أنه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال تعالى وضربت عليهم الذلة و
المسكنة وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولو أن أهل الكتاب
آمنوا إلى قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر
ونحشره • وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له معيشة ضنكا لأنه جواب
الشرط • يوم القيامة أعمى • فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما لا أعمى عن
الحجة كما قيل • قال • استئناف كما مر • رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا • أي في الدنيا وقرئ أعمى
بالإمالة في الموضعين وفي الأول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه رأس الآية ومحل الوقف • قال كذلك
أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسره بقوله تعالى • أتتك آياتنا • واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد • فنسيتها
أي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر أصلا • وكذلك • ومثل ذلك النسيان الذي
كنت فعلته في الدنيا • اليوم تنسى • تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا أبدا كما قيل بل إلى ما شاء
الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق العذاب
وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا • وكذلك • أي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية

نجزي من أسرف • بالانهماك في الشهوات • ولم يؤمن بآيات ربه • بل كذبها وأعرض عنها
ولعذاب الآخرة • على الإطلاق أو وعذاب النار • أشد وأبقى • أي من ضنك العيش أو منه ومن
الحشر على العمى • أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون • كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من
قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال
الهداية باللام إما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة إلى المفعول أو لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف
وأيا ما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها والضمير للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى أغفلوا
فلم يفعل الهداية لهم أو فلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا للقرون الأولى وقد مر في قوله عز وعلا أولم يهد للذين يرثون
الأرض من بعد أهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد إلى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة وقوله تعالى
كم أهلكنا إلخ إما معلق للفعل سد مسد مفعوله أو مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل والأوجه أن لا يلاحظ
له مفعول كأنه قيل أفلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم أهلكنا إلخ بيانا لتلك الهداية
ومن القرون في محل النصب على أنه وصف لمميز كم أي كم قرنا كائنا من القرون وقوله تعالى • يمشون في مساكنهم
حال من القرون أو من مفعول أهلكنا • أي أهلكناهم وهم في حال أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير في
لهم مؤكد للإنكار والعامل يهدي والمعنى أفلم يهد لهم إهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم
لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب
أن يهتدوا إلى الحق فيعتبروا لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول أي يمكنون من
المشي • إن في ذلك • تعليل للإنكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك إشارة إلى مضمون قوله
تعالى كم أهلكنا إلخ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه • لآيات • كثيرة
عظيمة واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فإذا هو هاد وأي هاد ويجوز أن يكون كلمة في تجريدية
فافهم • لأولي النهى • لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من أقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي
عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول • ولولا كلمة سبقت
من ربك • كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى أفلم يهد لهم إلخ من أن يصيبهم مثل ما
أصاب القرون المهلكة أي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لحكمة تقتضيه و
مصلحة تستدعيه • لكان • عقاب جناياتهم • لزاما • أي لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن جناياتهم ساعة
لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تلويح بأن ذلك التأخير لتشريفه
عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم واللزام إما مصدر لازم وصف به مبالغة وإما فعال
بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط لزومه كما يقال لزاز خصم • وأجل مسمى • عطف على كلمة أي ولولا أجل مسمى لأعمارهم
أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لما تأخر عذابهم أصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة إلى بيان جواب لولا
وللإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن
في كان العائد إلى الأخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التأكيد أي لكان الأخذ العاجل وأجل

مسمى لازمين لهم كما لزم عادا وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل • فاصبر على ما يقولون
اي اذا كان الامر على ما ذكر من ان تأخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون من
كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة يسليه ويحمله على الصبر • وسبح • ملتبسا • بحمد ربك •
اي صل وانت حامد لربك الذي يبلغك الى كمالك على هدايته وتوفيقه او نزهه عما ينسبونه اليه مما يليق بشانه
الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله • قبل طلوع الشمس
الى اخره فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلوة الفجر • وقبل غروبها • يعني صلوتي الظهر والعصر لانهما قبل
غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبته لقوله قبل طلوع الشمس وقيل صلوة العصر • ومن اناء الليل • اي من ساعاته
جمع انى بالكسر والقصر وانا بالفتح والمد • فسبح • اي فصل والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما
بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة
الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا • واطراف النهار • تكرير لصلوتي الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد مزية ومجيئه بلفظ
الجمع لا من الالباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلوة الظهر فانه نهاية النصف الاول من
النهار وبداية النصف الاخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او امر بالتطوع في اجزاء النهار • لعلك ترضى •
متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول
من رضى اي يرضيك ربك • ولا تمدن عينيك • اي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل • الى ما متعنا به • من
زخارف الدنيا وقوله تعالى • ازواجا منهم • اي اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء
او هو حال من الضمير والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه مغني من التبعيضية
او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا • زهرة الحيوة الدنيا • منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا اي اعطينا او به
على تضمين معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف وبدونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة
بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد
• لنفتنهم فيه • متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر اظهار بهجته حالا اي لنعاملهم معاملة من
يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه • ورزق ربك • اي ما ادخر لك في الاخرة او ما رزقك في
الدنيا من النبوة والدين • خير • مما منحهم في الدنيا لانه مع كونه في نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون
الغائلة بخلاف ما منحوه • وابقى • فانه لا يكاد ينقطع نفسه واثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا • وامر اهلك بالصلوة •
امرهم بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم
ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة • واصطبر عليها • وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش
• لا نسألك رزقا • اي لا نكلفك ان ترزق نفسك ولا اهلك • نحن نرزقك • واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة •
والعاقبة • الحميدة • للتقوى • اي لاهل التقوى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان
ملاك الامر هو التقوى روي انه عم كان اذا اصابه اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الاية • وقالوا لولا يأتينا باية
من ربه • حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي امر عليه السلام بالصبر عليها اي هلا يأتينا باية تدل على صدقه في دعوى

النبوة

النبوة او باية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد الى حيث لم يعتدوا بما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال
من قبيل الايات حتى اجترءوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء وقوله تعالى • اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى •
اي التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من انكار
اتيان الاية باتيان القرءان الكريم الذي هو ام الايات واس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة المعجزة اختصاص
مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اي امر كان ولا ريب في ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل
الاعمال ومبدأ الافعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الاولين والاخرين على يد امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا
من اهلها اصلا فاي معجزة تراد بعد وروده واي اية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الاولى
من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية اي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة واصول الاحكام التي اجمعت
عليها كافة الرسل وبصحة ما ينطق به من انباء الامم من حيث انه غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره ما
لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اتياه مأتيا به
للتنبيه على اصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام كانه قيل الم تأتهم سائر الايات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا
بانه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم انكاره اصلا وان اجترءوا على انكار سائر الايات مكابرة وعنادا وقرئ
اولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى • ولو انا اهلكناهم بعذاب • الى اخر
الاية جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القرءان اية بينة لا يمكن انكارها ببيان انهم يعترفون بها يوم
القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل • من قبله • متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب
اي بعذاب كائن من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلعم • لقالوا • اي يوم القيمة • ربنا لولا ارسلت الينا •
في الدنيا • رسولا • مع كتاب • فنتبع اياتك • التي جاءنا بها • من قبل ان نذل • بالعذاب في الدنيا • ونخزى •
بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء • قل • لاولئك الكفرة المتمردين • كل • اي كل واحد منا ومنكم • متربص • منتظر لما يؤول اليه امرنا و
امركم • فتربصوا • وقرئ فتمتعوا • فستعلمون • عن قريب • من اصحاب الصراط السوي • اي المستقيم وقرئ
السواء اي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوءى والسوي تصغير السوء • ومن اهتدى • من الضلالة ومن
في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي العلم او مفعوله ويجوز ان
يكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها
الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط وقيل العائد في الاولى محذوف والتقدير من هم اصحاب
الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال
لا يقرأ اهل الجنة الا سورة طه ويس

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم • مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال
ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالناس المشركون وهو الذي يفصح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب

الساعة وإسناد الاقتراب إليه لا إلى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الأحوال والأهوال الفظيعة لانسياق
الكلام إلى بيان غفلتهم عنه وإعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة
إلى إدخال الروعة فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب لكن لا
بتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض لتعجيل المسرة لما أن بيان كون الخلق لأجل
المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا إليه وجعلها تأكيدا للإضافة على أن الأصل المتعارف فيما
بين الأوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس حسابهم مع أنه تعسف تام بمعزل عما يقتضيه المقام وأما
الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي إسناد الاقتراب
المنبئ على التوجه نحوهم إلى الحساب مع إمكان العكس بأن يعتبر التوجه والإقبال من جهتهم نحوه من تفخيم شأنه وتهويل
أمره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه
منهم بعد بعده عنهم فإنه في كل ساعة من ساعات الزمان أقرب إليهم منه في الساعة السابقة هذا وأما الاعتذار بأن
قربه بالإضافة إلى ما مضى من الزمان أو بالنسبة إلى الله عز وجل أو باعتبار أن كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من
الاقتراب المستفاد من صيغة الماضي ولا حاجة إليه في تحقيق أصل معناه نعم قد يفهم عرفا كونه قريبا في نفسه
أيضا فيصار حينئذ إلى التوجيه بالوجه الأول دون الأخيرين أما الثاني فلا سبيل إلى اعتباره هاهنا لأن قربه بالنسبة إليه
تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وإنما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة ونظائره مما لا دلالة فيه على حدوث
وأما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة إلى شيء آخر ﴿وهم في غفلة﴾ أي في غفلة تامة منه ساهون
عنه بالكلية لا أنهم غير مبالين به مع اعترافهم بإتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم أن الأعمال لا بد لها من الجزاء
﴿معرضون﴾ أي عن الآيات والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة أمرا
جبليا لهم جعل الخبر الأول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الإعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف
حالا من المستكن في معرضون ﴿ما يأتيهم من ذكر﴾ من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة
أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ومن مزيدة لتأكيد العموم ﴿من ربهم﴾ لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو
صفة لذكر وأيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد
التشنيع ﴿محدث﴾ بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله أي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة ﴿إلا
استمعوه﴾ استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتيهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور و
قوله تعالى ﴿وهم يلعبون﴾ حال من فاعل استمعوه ﴿لاهية قلوبهم﴾ إما حال أخرى منه أو من واو يلعبون والمعنى
ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه أو لاعبين في
حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية
بالرفع على أنه خبر بعد خبر ﴿وأسروا النجوى﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان جناية خاصة إثر حكاية جناياتهم المعتادة و
النجوى اسم من التناجي ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا سرا أنهم بالغوا في إخفائها أو أسروا نفس التناجي بحيث
لم يشعر أحد بأنهم متناجون ﴿الذين ظلموا﴾ بدل من واو أسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش

فيما أسروا به

أسروا به أو هو مبتدأ خبره أسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى هم أسروا النجوى فوضع الموصول موضع
الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما أو منصوب على الذم وقوله تعالى ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾ إلى آخره في حيز النصب
على أنه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سؤال نشأ عما قبله كأنه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا الخ أو بدل من
أسروا أو معطوف عليه أو على أنه بدل من النجوى أي أسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله تعالى
﴿أفتأتون السحر﴾ للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ﴿وأنتم تبصرون﴾ حال من فاعل تأتون مقررة
للإنكار ومؤكدة للاستبعاد أي ما هذا إلا بشر مثلكم أي من جنسكم وما أتى به سحر أتعلمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الإ
الإذعان له وأنتم تعاينون أنه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ أن الرسول لا يكون إلا ملكا وأن
كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وزل عنهم أن إرسال البشر إلى عامة البشر هو الذي تقتضيه الحكمة
التشريعية قاتلهم الله أنى يؤفكون وإنما أسروا ذلك لأنه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد
وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم أمر النبوة وإطفاء أمر الدين والله متم نوره ولو كره المشركون ﴿قال ربي
يعلم القول في السماء والأرض﴾ حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما أوحي إليه أحوالهم وأقوالهم بيانا لظهور
أمرهم وانكشاف سرهم وإيثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لإثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني
مع ما فيه من الإيذان بأن علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا كما في علوم
الخلق وقرئ قل ربي إلى آخره وقوله تعالى في السماء والأرض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول أي كائنا
في السماء والأرض وقوله تعالى ﴿وهو السميع العليم﴾ أي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أسروه
من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن للوعيد ﴿بل قالوا أضغاث
أحلام﴾ إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق إلى حكاية قول آخر مضطرب في مطارح البطلان
أي لم يقتصروا على أن يقولوا في حقه عليه السلام هل هذا إلا بشر وفي حق ما ظهر على يده من القرآن الكريم إنه سحر بل
قالوا تخاليط الأحلام ثم أضربوا عنه فقالوا ﴿بل افتراه﴾ من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو
شبهة أصل ثم قالوا ﴿بل هو شاعر﴾ وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها وهكذا شأن المبطل
المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل ويتذبذب بين فاسد وأفسد فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى
والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من قبلهم حيث أضربوا عن قولهم هو سحر إلى أنه تخاليط أحلام
ثم إلى أنه كلام مفترى ثم إلى أنه قول شاعر ولا ريب في أنه كان ينبغي حينئذ أن يقال قالوا بل أضغاث أحلام وأما
صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل من أمثاله ﴿فليأتنا بآية﴾ جواب شرط محذوف
يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فليأتنا بآية ﴿كما أرسل الأولون﴾
أي مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة ومحل الكاف الجر على
أنها صفة لآية ويجوز أن تكون مصدرية فالكاف منصوبة على أنها مصدر تشبيهي كما نعت لمصدر محذوف أي
فليأتنا بآية إتيانا كائنا مثل إرسال الأولين بها وصحة التشبيه من حيث إن الإتيان بالآية من فروع الإرسال
بها أي مثل إتيان مترتب على الإرسال ويجوز أن يحمل النظم الكريم على أنه أريد كل واحد من الإتيان والإرسال في

في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك
في الموطن الآخر حسبما مر في آخر سورة يونس عليه السلام ما آمنت قبلهم من قرية كلام مستأنف مسوق لتكذيبهم
فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه
بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم
لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال فقوله من قرية اي
من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم وقوله تعالى أهلكناها اي باهلاك اهلها
لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى أفهم يؤمنون لانكار الوقوع
والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فأفادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين
فالمعنى انه لم تؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون
لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على ما آمنت على ان الفاء متقدمة على
الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليه الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما هو رأي الجمهور وقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل هذا الا بشر
الى آخره متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه صلعم مثل اولئك الرسل
صلوات الله عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فليأتنا بآية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من
المسارعة الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى
ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الكريم والحق ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى
البشر البشر والى الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين
المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه
الحكمة ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين
بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم استئناف
مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول لعدم القصد الى
خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك الى امتك الا رجالا مخصوصين من افراد الجنس مستأهلين
للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام وغيرهما من القصص
والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحققه قوله تعالى انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون انك
لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحي اليهم بالياء على صيغة
المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون

تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق الحق على طريقة الخطاب
لرسول الله صلعم لانه الحقيق بالخطاب في امثال تلك الحقائق الأنيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار من الغير فهو
من وظائف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم
لا تعلمون ما ذكر فاسألوا اهل الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلوات لتزول
شبهتكم امروا بذلك لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلعم ويشاورونهم
في امره عليه السلام ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شأن النبي صلعم ما لا يخفى وما جعلناهم جسدا بيان
لكون الرسل عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية
والجسد جسم الانسان والجن والملائكة ونصبه اما على انه مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم
يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر
الفيل كما مر في قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم
للكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد وقوله تعالى لا يأكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا
مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل
التحلل هو الفناء لا محالة ودعوى ان ما كانوا عليه جعلناهم ينبئ على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها
بقوله تعالى وما جعلناهم الى آخره لا بالجعل مستأنف والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شأن الملائكة
او الابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على
حسب آجالهم لا ملائكة ولا اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم
فالجملة مقررة لما قبلها من كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا لا ملكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول
يأكل الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار
التجددي كأنه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي باهلاك اعدائهم
فأنجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او بعض فروعه
بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال وأهلكنا المسرفين اي المجاوزين للحدود في الكفر
والمعاصي لقد انزلنا اليكم كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة
اعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى
وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلعم ببيان انه كسائر الرسل الكرام عليهم الصلوة والسلام
قد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد
انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشأن نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا
مؤكدة لما افاده التنوين التفخيمي من كونه جليل القدر بانه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم
كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر
من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب بسباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا

يعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتأمل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر
التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون
ان الامر كذلك او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تع وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل
لاجمال قوله تع واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب
على انه مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تأليفها
بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تع كانت ظالمة في محل الجر على انها
صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه الضمير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله تع كافرين
بها كدأبكم وانشأنا بعدها اي بعد اهلاكها قوما آخرين اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على
استئصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله
تع فلما احسوا بأسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كأنه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها
يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان
الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم
فيه من النعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون للسؤال
والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل او تتفقدون اذا رأيت مساكنكم خالية وتسألون اين اصحابها او
يسألكم الوافدون نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رئاء او بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم
قالوا لما يئسوا من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب يا ويلنا اي هلاكنا انا كنا ظالمين اي
مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت
تلك دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى لان المدلول كأنه يدعو الويل قائلا
يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك
لم يجمع خامدين اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته
حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن
في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال حصيد وما خلقنا السماء والارض
اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات
الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم
ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما
وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها وآحادها على هذا النمط البديع
والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو حيث قيل لاعبين لبيان
كمال تنزهه تع عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه
بل انما خلقناهما وما بينهما ليكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي

الغاية

الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما ينطق به قوله تع وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى
لو اردنا ان نتخذ لهوا استئناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب
لاتخذناه من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشأننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة
والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها
لكن يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه محذوف ثقة
بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه
فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم او لارادتنا اتخاذه فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء
التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على
الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن ارادته كأنه قيل لكنا لا نريده بل شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته
الجد على الباطل الذي من قبيله اللهو وتخصيص شأنه هذا من بين سائر شئونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سيأتي
من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف الذي
هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ
بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه
بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة
في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما
لاولئك من العذاب والعقاب ومن تعليلية بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او
ضميره في الجار وما اما مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه
بما لا يليق بشأنه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به وله من في السموات
والارض استئناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تع يحق الحق
ويزهق الباطل اي له تع خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير
ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم
بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك
بطريق التمثيل وهو مبتدأ وخبره لا يستكبرون عن عبادته اي لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبيرا
ولا يستحسرون ولا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور للتنبيه على ان عباداتهم
بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله
في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تع وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة
نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في
من في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تع وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حينئذ حال من الثانية

يسبحون الليل والنهار • اى ينزهونه فى جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما وهو استيناف وقع جوابا
عما نشأ مما قبله كانه قيل ماذا يصنعون فى عبادتهم او كيف يعبدون فقيل يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون
وكذا قوله تعالى • لا يفترون • اى لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل آخر • ام اتخذوا آلهة • حكاية لجناية
اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى
خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون
على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الامور التى من جملتها الانداد والهمزة فى ام المنقطعة لانكار الوقوع
لا لانكار الواقع وقوله تعالى • من الارض • متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة وايا ما كان فالمراد
هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى • وهم ينشرون • اى يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذى يدور عليه الانكار و
التجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اى بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم
وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوه آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث
ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص فى تقديم
الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما فى قوله تعالى افى الله شك
وقوله تعالى أبالله وآياته كنتم تستهزؤن فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه
ويستهزأ به وتجويز ان يجعل ذلك من مستتبعات دعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية للاستقلال
بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا
بذلك مدعين لاصل الانشار • لو كان فيهما آلهة الا الله • ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان على انتفائه
بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ الآلهة لا لان للجمعية مدخلا فى الاستدلال وكذا
فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة لآلهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها
وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه
متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير موجب اى لو كان فى السموات والارض آلهة
غير الله كما هو اعتقادهم الباطل • لفسدتا • اى لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالى علم انتفاء
المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق
تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتأثير كل منها وهو محال
لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير واحد منها فالبواقى بمعزل من الالهية قطعا واعلم
ان جعل التالى فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر فى المقدم تعدد الالهة فيهما والا فالبرهان يقتضى استحالة
التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافق الكل فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالف
تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالى تعين انتفاء المقدم والفاء فى قوله تعالى • فسبحان
الله • لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اى فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه
عما لا يليق به من الامور التى من جملتها ان يكون له شريك فى الالوهية وايراد الجلالة فى موقع الاضمار

للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التى من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة
وادخال الروعة وقوله تعالى • رب العرش • صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل • عما يصفون • متعلق بالتسبيح
اى فسبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة • لا يسأل عما يفعل • استيناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته
وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك فى الا
الالهية • وهم • اى العباد • يسألون • عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة
• ام اتخذوا من دونه آلهة • اضراب وانتقال من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة آلهة حقيقة باظهار خلوها
عن خصائص الالهية التى من جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الاله على الاطلاق
وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الالهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله
غير سلطانه وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا
والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم
عن خواص الالوهية بالكلية • قل • لهم بطريق التبكيت والالقام الحجر • هاتوا برهانكم • على ما تدعونه من
جهة العقل والنقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه فى الامور الدينية لا سيما فى مثل هذا الشأن الخطير وفى
اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى • هذا ذكر من معى و
ذكر من قبلى • انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة
كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اى هذا الوحى الوارد فى شأن التوحيد المتضمن للبرهان
القاطع العقلى ذكر امتى اى عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا الكتاب
انزل على امتى وهذا الكتب التى انزلت على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف ففيه تبكيت لهم متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ
بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد
وقوله تعالى • بل اكثرهم لا يعلمون الحق • اضراب من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم
بمطالبة البرهان الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون
بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك • معرضون • اى مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول لا يرعوون
عما هم عليه من الغى والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القى عليهم من البراهين العقلية و
النقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب تأكيدا وقوله تعالى • وما
ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون • استيناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد
مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وايا ما
كان فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحى • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا • حكاية لجناية
فريق من المشركين جرى بها اظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه عن الشركاء على
الاطلاق وهم حى من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدى ان قريشا وبعض اجناس

العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان الرحمانية المنبئة عن كون جميع
ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة مقالتهم الباطلة سبحانه اي تنزه بالذات
تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اي بعد او اسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة
العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل
هم عباد الله تعالى مكرمون مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى
لا يسبقونه بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اي لا يقولون شيئا
حتى يقوله تعالى او يأمرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند السبق اليهم منسوبا اليه تعالى تنزيلا لسبق
قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض للذين يقولون ما
لا يقوله الله تعالى وجعل القول محل السبق واداة له ثم اناب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافي عن التكرار وقرئ
لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق واشعار بان من سبق قوله قوله تعالى
فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه فغلبه والعباد بالله تعالى ونزاهة تنزيههم عما نفي عنهم ببيان ان ذلك عندهم
بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فاني يتوهم صدوره عنهم وهم بامره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الاعمال اثر بيان تبعيتهم
له تعالى في الاقوال فان نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كانه قيل هم بامره يقولون وبامره يعملون لا
بغير امره اصلا فالقصر المستفاد من التقديم اعتبار بالنسبة الى غير امره لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانهم لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال و
الاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى
ان يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون والخشية الخوف
مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر
وعند تعديته بعلى ينعكس الامر ومن يقل منهم اي من الملائكة اذ الكلام فيهم وفي كونهم بمعزل مما قالوا في
حقهم اني اله من دونه متجاوزا اياه تعالى فذلك الذي فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين و
لا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة
كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم ما يتوهمه اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد
لمضمون ما قبله اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها ويتعدون اطوارهم
والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اي لا جزاء انقص منه اولم ير الذين كفروا
تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية وكون جميع ما سواه
مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية قلبية اي الم يتفكروا و
لم يعلموا ان السموات والارض كانتا اي جماعتا السموات والارضين كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والنعت اما على حذف المضاف او بمعنى المفعول اي كانتا ذواتي
رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا اي شيئا رتقا اي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة والحسن

البصري وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هي واقر
الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتهما ففتقتهما وعن الحسن خلق
الله تعالى الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتصق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما
وقال مجاهد والسدي رحمهما الله كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض
مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع ارضين وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات
كانت رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد
بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا في الامطار وعلم الكفرة بالرتق
والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعاني الاول فهم وان لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها اما بطريق النظر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء
كل شيء حي اي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده
او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شيء حي من الماء اي بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول الثاني
للاهتمام به لا لمجرد ان المفعول في الاصل مبتدأ وحقه التأخر عند كونه ظرفا ان يتقدم على المبتدأ فان ذلك مصحح
محض لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف كما في الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى
المؤخر افلا يؤمنون انكار لعدم ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والانفسية الدالة
على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته والفاء للعطف على مقدر
يستدعيه الانكار السابق اي ايعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت جمع راسية
من رسا الشيء اذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى اشهر معلومات
واياما معدودات ان تميد بهم اي كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم او لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم
الالتباس وجعلنا فيها اي في الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه او في
الرواسي لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك واسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير
حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه تعالى خلقها ووسعها للسابلة مع
ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اي الى مصالحهم ومهماتهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع
بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئتنا او من استراق السمع بالشهب وهم
عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى وعلمه وحكمته وقدرته وارادته التي بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه في
علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق
الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء بفحوى الكلام اي وهو الذي خلقهن وحده كل اي كل واحد منها على ان
التنوين عوض من المضاف اليه في فلك يسبحون اي يسيرون في سطح الفلك كما يسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس
كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع

وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة حالهم • وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد • اي في الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية
والتشريعية • أفإن مت • بمقتضى حكمتنا • فهم الخالدون • نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق
الشرطية بما قبلها والهمزة لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه انكار ما
هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته عم فان الشماتة بما يعتريه ايضا مما لا ينبغي ان يصدر عن العاقل كأنه قيل أفإن مت
فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك عم وقوله تعالى • كل نفس ذائقة الموت • اي ذائقة مرارة مفارقتها جسدها برهان على ما ذكر
من عدم خلودهم • ونبلوكم • الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق الالتفات اي نعاملكم معاملة من
يبلوكم • بالشر والخير • بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون او لا • فتنة • مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه • والينا
ترجعون • لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثاني
وعيد محض وفيه ايماء الى ان المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالياء على
الالتفات • واذا رآك الذين كفروا • اي المشركون • ان يتخذونك الا هزوا • اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر
معاملتهم معك عم على اتخاذهم اياك هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك
هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي • أهذا الذي يذكر آلهتكم • على ارادة القول اي ويقولون او قائلين ذلك
اي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ • وقوله تعالى • وهم بذكر الرحمن هم كافرون • في حيز النصب على الحالية من ضمير
القول المقدر والمعنى انهم يعيبون عليه عم ان يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال انهم بذكر الرحمن المنعم
عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسل وانزال الكتب له او بالقرآن كافرون فهم احق بالعيب
والنكير وهم الثانية تأكيد لفظي للاولى فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد
وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول • خلق الانسان من عجل • جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه
من الاخلاق منزلة ما طبع منه من الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى
الكفر واستعجاله بالوعيد روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر الاية وعن ابن عباس رضي ان المراد بالانسان آدم عم وانه حين بلغ الروح صدره
ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى
الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فلا يلائم خلق
الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس
وان كان خلقه عم سارياً الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى • ساريكم آياتي •
تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلعم الى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اي سأريكم نقماتي في الآخرة
كعذاب النار وغيره • فلا تستعجلون • بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها • ويقولون
متى هذا الوعد • اي وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون وانما كانوا يقولونه استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء
والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقته بطريق الالتزام كما في سورة الملك • ان كنتم صادقين •
اي في وعدكم بانه يأتينا والخطاب للنبي صلعم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب

الشرط

الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذلك في قوة الامر بالاتيان
عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين • لو يعلم الذين كفروا • استئناف مسوق لبيان شدة هول ما
يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع في الشرط وان كان المعنى على المضي
لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة استمرار عدم
العلم فان المضارع المنفي الواقع موقعها ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا
بحسب المقام كما في قولك لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء
استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى • حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم • مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه واضافته
الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب مع انكار الكفرة
بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب
لو محذوف اي لو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو الحين الذي تحيط بهم النار فيه
من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشهر الجوانب واستلزام الاحاطة بهما
للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم • ولا هم ينصرون • من جهة الغير في دفعها الى
آخر ما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اي لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى
حين الى آخره استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره الى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرونها يرون ويعلمون حقيقة الحال • بل تأتيهم
عطف على لا يكفونها بل تأتيهم اي العدة او النار او الساعة • بغتة فتبهتهم • اي تغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير
على ان الضمير للوعد او الحين وكذا الهاء في قوله تعالى • فلا يستطيعون ردها • بتأويل الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة
ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة اي لا يستطيعون ردها عنهم بالكلية • ولا هم ينظرون • اي يمهلون ليستريحوا
طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا • ولقد استهزئ برسل من قبلك • تسلية لرسول الله صلعم عن استهزائهم به عم
في ضمن الاستعجال وعدة ضمنية بانهم سيصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم السلام وتصديرها بالقسم
لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اي وبالله لقد استهزئ برسل اولي
شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه • فحاق
اي احاط عقيب ذلك او نزل او حل او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما
يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى • بالذين سخروا منهم • اي من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق
بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى • ما كانوا به يستهزئون • لمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما
موصولة مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل قدم عليه لرعاية الفواصل اي فاحاط بهم
الذي كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع حينئذ الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع
كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد منهم لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو

متوكل فقط اي فنزل بهم جزاء استهزائهم بكل واحد منهم عليهم السلام على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما
او عين استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصورة
عرضية تبرز في النشأة الاخرى بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف
وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية الى آخره ● قل ● خطاب لرسول الله صلعم اثر تسليته بما ذكر من مصير امرهم الى
الهلاك وامر له عم بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت ● من يكلؤكم بالليل والنهار من
الرحمن ● اي من بأسه الذي يستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد
وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته العامة وبعد ما امر عليه السلام بما ذكر من السؤال
على الوجه المذكور حيث تعينه حالهم لانهم لا يجيبون لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لكن بهم فنون الآفات فهم حقاء بان
يكلفوا الاعتراف بذلك فيتوجهوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى ● بل هم عن ذكر ربهم
معرضون ● ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم وهي انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا ان يخافوا
بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة قول من قال
عوجوا فحيوا لنعمى ودمنة الدار ● ماذا تحيون من نؤي واحجار ● وفي تعليق الاعراض بذكر ربهم وايراد اسم الرب المضاف
الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا
يخفى وكلمة ام في قوله تعالى ● من دوننا ● منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تع
اياهم بعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة
للانكار ان يكون لهم آلهة بعد ربهم تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا او من عذاب
كائن من عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الالهة الموصوفة بما ذكر من المنع
لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى
وقوله عز وعلا ● لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون ● استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان
اعتقادهم اي هم لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى
● بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر ● اضراب عما توهموا ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعهم اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن
الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تع متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا
كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل ● افلا يرون ● اي الا
ينظرون فلا يرون ● انا نأتي الارض ● اي ارض الكفرة ● ننقصها من اطرافها ● فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا
وهو تمثيل وتصوير لما يخربه الله عز وجل من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام ● افهم الغالبون ● على رسول
الله صلعم والمؤمنين والفاء لترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل بعد ظهور ما ذكر
ورؤيتهم له ايتوهم غلبتهم كما في قوله تع افمن كان على بينة من ربه وقوله تع قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف
تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها ● قل انما انذركم ● بعد ما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجلونه
ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعي عليهم جهلهم بذلك واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل

والنهار

والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم امر عليه السلام بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي
الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها
فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ● ولا يسمع الصم الدعاء ● اما من تتمة الكلام
الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد امر عم بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام
للجنس المنتظم لهم انتظاما طبيعيا اوليا او للعهد وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع
بقوله تعالى ● اذا ما ينذرون ● مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان
ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة
مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى
بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي عم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل
قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء اسنادا على ان الفاعل هو عم وقرئ على البناء للمفعول اي لا
يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ● ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ● بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب
اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه
تع كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء ● ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تع ● ونضع الموازين القسط ● بيان لما
سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط
لانه مصدر وصف به مبالغة ● ليوم القيامة ● اي لجزاء يومها او لاجل اهله او فيه كما في قولك جئت
لخمس خلون من الشهر ● فلا تظلم نفس ● من النفوس ● شيئا ● حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي
حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين ● وان كان ● اي العمل
المدلول عليه بوضع الموازين ● مثقال حبة من خردل ● اي مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة
والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة ● اتينا بها ● اي احضرنا
ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها
من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها
● وكفى بنا حاسبين ● اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ● ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا
للمتقين ● شروع في تفصيل ما اجمل في قوله تع وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة
الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو
التورية وكذا بالضياء والذكر اي وبالله لقد آتيناهما كتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل
وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون
بانواره المغتنمون بمغانم آثاره او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق

الجزء الاول هو اللائق بسياق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التورية فيما
ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو
على انه حال من الفرقان وقوله تعالى ● الذين يخشون ربهم ● اى عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل
او بيان او منصوب او مرفوع على المدح ● بالغيب ● حال من المفعول اى يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد
لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل ● وهم من الساعة مشفقون ●
اى خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لرعاية الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق
للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات
الاشفاق ودوامه ● وهذا ● اى القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ● ذكر ● يتذكر به من
يتذكر ووصف بالوصف الاخير للتورية لمناسبة المقام وموافقته لما في صدر السورة الكريمة ● مبارك ● كثير الخير
غزير النفع يتبرك به ● انزلناه ● اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر ● افانتم له منكرون ● انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله
كايتاء التورية كأنه قيل أبعد أن علمتم ان شأنه كشأن التورية في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا
فان ذلك بعد ملاحظة حال التورية مما لا مساغ له اصلا ● ولقد آتينا ابرهيم رشده ● اى الرشد اللائق به وبامثاله
من الرسل الكبار وهو الرشد الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال
النواميس وقرئ رشده وهما لغتان كالحزن والحزن ● من قبل ● اى من قبل ايتاء موسى وهرون التورية وتقديم ذكر ايتائهما
لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه وياباه المقام ● وكنا به عالمين ●
اى بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى ● اذ قال لابيه وقومه ●
ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما
قبله اى اذكر وقت قوله لهم ● ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ● لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم
لشيء مصنوع مشبه بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها
بيان الحقيقة او شرح الاسم كأنه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن
عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقيرها
واذلالها وتوبيخا لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف
لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى ● قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ● اجابوا بذلك لما ان
مآل سؤاله عليه السلام الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كأنه قال ما هي
هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجأ يعتد به التجأوا الى التقليد فابطله عليه السلام على طريقة التوكيد
القسمي حيث ● قال لقد كنتم انتم وآباؤكم ● الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة ● في ضلال ● عجيب لا يقادر قدره
● مبين ● اى ظاهر بين بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء لكونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم
الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم اى والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم
استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة ● قالوا ● لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكون ما هم

عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بابلغ الوجوه وتأكيده بالتوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عليه السلام على وجه الجد ● أجئتنا بالحق ●
اى بالجد ● ام انت من اللاعبين ● فتقول ما تقول على وجه المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير
بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم ● قال ● عليه السلام اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد
كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كأنه قيل ليس الامر كذلك ● بل ربكم رب
السموات والارض الذي فطرهن ● وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن
للسموات والارض ووصفه تعالى بايجادهن اثر وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون
كذلك بمعزل من الربوبية اى انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدون
من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه
من التصريح المغني عن التأمل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات ● وانا على ذلكم ● الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات
والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان ● من الشاهدين ● اى العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه
فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه واثباته بها كأنه قال وانا ابين ذلك
وابرهن عليه ● وتالله ● وقرئ بالباء وهو الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب
● لأكيدن اصنامكم ● اى لأجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله
سرا وقيل سمعه رجل واحد ● بعد ان تولوا مدبرين ● من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى
التائين ويعضدها قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى ● فجعلهم ● فصيحة اى فولوا فجعلهم ● جذاذا ● اى
قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وهي لغة او جمع جذيذ وجذاذا
جمع جذاذة روى ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا بالاصنام فدخلوا فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا منهم
وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما
مصطفة وثمة صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفأس كان
في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفأس في عنقه وذلك قوله تعالى ● الا كبيرا لهم ● اى للاصنام ● لعلهم اليه ●
اى الى ابرهيم عليه السلام ● يرجعون ● فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسألونه عن الكاسر
لان من شأن المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز آلهتهم
عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم ● قالوا ● اى حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا ● من فعل
هذا بآلهتنا ● على طريقة الانكار ● انه لمن الظالمين ● استئناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة
في حيز الرفع على انها خبرها والمعنى الذي فعل هذا الكسر والحطم بآلهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجرأته على
اهانتها وهي حقيقة بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة
● قالوا ● اى بعضهم مجيبين للسائلين ● سمعنا فتى يذكرهم ● اى يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فيذكرهم
اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا اذا كان المتعلق يسمعون عنه بالذات
بذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح ● يقال له ابرهيم ● صفة اخرى

يعني اي يطلق عليه هذا الاسم قالوا اي السائلون فاتوا به على اعين الناس اي بمرأى منهم بحيث يكون
نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد لعلهم يشهدون اي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون
بفعله او بقوله ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعضهم كانهم منهم او معهود قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من
حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم
اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على ان اتيانهم به ومسارعتهم اليه امر محقق غني عن البيان
قال بل فعله كبيرهم هذا مشيرا الى الذي لم يكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم
الحجة على الطف وجه واحسنه بحملهم على التأمل في شأن آلهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب المعرض فقد جعل الفاس
في عنقه وقد قصد اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عليه السلام حين ابصرها مصطفة مرتبة
للعبادة من دون الله سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار
انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من
يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو
اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادته الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام
لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه
من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل لذلك بما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط أأنت
كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك
واثباتها له فمعزول عن التحقيق لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسك وادعاء ظهور الامر
مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عندك ولا
ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال
صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في احوال اصنامهم كما ينبئ عنه قوله تعالى فاسألوهم
ان كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه السلام ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على
السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السؤال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا
حسبما نطق به قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا
على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون
معبودا فقالوا اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون اي بهذا السؤال لانه كان على
طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة ما لا ينطق لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها لا من
كسرها ثم نكسوا على رؤوسهم اي انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل
بصيرورة اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكّسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون على ارادة القول اي قائلين والله لقد علمت ان ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم
على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم افتعبدون اي

اتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اي متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم
فان العلم بحاله المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله
تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف
صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم
قالوا اي قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل
المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات
وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان
بن السنجاريب بن نمرود بن كوس بن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير فخسفت به الارض
روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى ابنوا له
بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة
لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي في اقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم
يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف
الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل عليه السلام
هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة
روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اي كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير
ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مأمورة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام
ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي
ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه
الا وثاقه وروي انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن
يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في
روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئات والنار محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع
ان تخرج منها قال نعم قال فقم فاخرج فقام يمشي فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي
رأيته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته
وعزته فيما صنع بك فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك
ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة
وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة الله عز وجل لكن
وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى دفع عنه عليه السلام اذاها كما
ترى اياها في السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا عظيما في الاضرار به
فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام

على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب • ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين • اي من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا
فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية وقيل كثرة النعم والخصب
الغالب روي انه عم نزل بفلسطين ولوط عم بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة • ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة • اي عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب
ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة • وكلا • اي كل واحد من هؤلاء الاربعة لا بعضهم دون بعض • جعلنا
صالحين • بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين • وجعلناهم ائمة • يقتدى بهم
في امور الدين اجابة لدعائه عم بقوله ومن ذريتي • يهدون • اي الامة الى الحق • بامرنا • لهم بذلك و
ارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين • واوحينا اليهم فعل الخيرات • وكذا قوله تعالى • واقام الصلوة وايتاء
الزكوة • وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله واقامة وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى
الالفين لقيام المضاف اليه مقامه • وكانوا لنا • خاصة دون غيرنا • عابدين • لا يخطر ببالهم غير عبادتنا
ولوطا • قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى • آتيناه • اي واتينا لوطا وقيل باذكر • حكما • اي حكمة او نبوة
او فصلا بين الخصوم بالحق • وعلما • بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام • ونجيناه من القرية التي كانت تعمل
الخبائث • اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه
كما يؤذن به قوله تعالى • انهم كانوا قوم سوء فاسقين • فانه كالتعليل له • وادخلناه في رحمتنا • اي في اهل رحمتنا
او في جنتنا • انه من الصالحين • الذين سبقت لهم منا الحسنى • ونوحا • اي اذكر نوحا اي خبره و
قوله • اذ نادى • اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت دعائه
من قبل • اي من قبل هؤلاء المذكورين • فاستجبنا له • اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر
فنجيناه واهله من الكرب العظيم • وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد • ونصرناه
نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل • من القوم الذين كذبوا باياتنا • وحمله على فانتقمنا له
ما ذكر من دعائه عم فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله تعالى
انهم كانوا قوم سوء • تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى • فاغرقناهم اجمعين • فان الاصرار
على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا • وداود وسليمان • اما عطف على
نوحا معمول لعامله واما لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى • اذ يحكمان • ظرف لذلك المضاف
المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما • في الحرث •
اي في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى • اذ نفشت • اي
تفرقت وانتشرت • فيه غنم القوم • ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم • وكنا لحكمهم • اي لحكم الحاكمين
والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص الوقوع وقيام الحكم بهما • شاهدين •
حاضرين علما والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشأنه • ففهمناها سليمان • عطف على يحكمان فانه

في حكم الماضي وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة او الفتيا روي انه دخل على داود عم رجلان فقال احدهما ان غنم هذا
دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين
فسمعه داود عم فدعاه فقال بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ارى
ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما
كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام بان باجتهاد فان
قول سليمان عم غير هذا ارفق بالفريقين ثم قوله ارى ان تدفع الى آخره صريح في انه ليس بطريق الوحي والا لبت القول
بذلك ولما ناشده داود عليه السلام لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بدءا وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان
يكون القضاء السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راي
سليمان عم استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين وراي داود عم قياس كما ان العبد اذا جنى على
النفس يدفعه المولى عند ابي حنيفة رح الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي رح وقد روي انه لم
يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت واما سليمان عم فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات
من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي رح فيمن غصب عبدا فابق
منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الآبق ترادا وفي
قوله ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله وعلى رجوع داود عم اليه مع ان الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد
آخر وان كان اقوى منه لان ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود عم لم يكن بت الحكم في ذلك
حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسألة في شريعتنا فعند ابي حنيفة رح لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد وعند
الشافعي يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى • وكلا آتينا حكما وعلما • لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عم بالتفهيم
من عدم كون حكم داود عم حكما شرعيا اي كل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل
على ان خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل يدل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لمفهوم قوله تعالى ففهمناها سليمان
ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عم كان حينئذ ابن
احدى عشرة سنة • وسخرنا مع داود الجبال • شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كراماته تعالى اثر بيان كرامته
العامة لهما • يسبحن • اي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من
السياحة وهو حال من الجبال او استئناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد • والطير •
عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على العطف
على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل • وكنا فاعلين • اي من شأننا ان نفعل امثاله فليس
ذلك ببدع منا وان كان بديعا عندكم • وعلمناه صنعة لبوس • اي عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال
البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها • وقيل كانت صفائح فحلقها وسردها • لكم • متعلق
بعلمنا او بمحذوف هو صفة للبوس • لتحصنكم • اي اللبوس بتأويل الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عم
او للبوس وقرئ بنون العظمة وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة

من لأمكم من بأسكم فتيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل أنتم شاكرون
أمر وارد على صورة الاستفهام للمبالغة أو التقريع ولسليمان الريح أي وسخرنا له الريح وإيراد
اللام هنا دون الأول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فإن تسخير ما سخر له عم من الريح وغيرها
كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته وأما تسخير الجبال والطير لداود عم
فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عم والاقتداء به في عبادة عز وعلا عاصفة حال من الريح
والعامل فيها الفعل المقدر أي وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب من حيث إنها كانت تبعد بكرسيه
في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل
كانت رخاء تارة وعاصفة أخرى حسب إرادته عم وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم و
عاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدأ في الخبر والعامل فيه ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح تجري بأمره
بمشيئته حال ثانية أو بدل من الأولى أو حال من ضميرها إلى الأرض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا
بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عم وقومه يركبون عليها من اصطخر إلى الشام وإلى حيث
شاء ثم يعود إلى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين أي
وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون من نفائسه وقيل من رفع على
الابتداء وخبره ما قبله والأول هو الأظهر ويعملون عملا دون ذلك أي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور
واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية وهؤلاء إما الفرقة الأولى
أو غيرها لعموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع إليها باعتبار معناها بعد ما روعي جانب لفظها بقوله تعالى
من الشياطين روي أن المسخر له عم كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى ومن الشياطين وهو وكنا لهم
حافظين أي من أن يزيغوا عن أمره أو يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة
وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم أن يفسدوا بالليل ما
عملوه بالنهار وأيوب الكلام فيه كما مر في نوح وداود وسليمان أي واذكر خبر أيوب إذ
نادى ربه أني أي بأني مسني الضر وقرئ بالكسر على إضمار القول أو تضمين النداء معناه والضر شائع
في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وأنت أرحم الراحمين وصفه تعالى بغاية
الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عم روميا من ولد عيص
بن إسحق عم استنبأه الله تعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب
أمواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة أو ثلث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع
ساعات روي أن امرأته ما بنت ميشا بن يوسف عم أو رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو
دعوت الله تعالى فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحيي من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت
مدة بلائي مدة رخائي وروي أن إبليس أتاها على هيئة عظيمة فقال أنا إله الأرض فعلت بزوجك ما فعلت لأنه
تركني وعبد إله السماء فلو سجدت لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما أخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة

ارجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت إلى أيوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه أحد فأخبرته
بالقصة فقال عم كأنك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لأضربنك مائة سوط وحرام علي أن
أذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله أحد من الناس
فعند ذلك خر ساجدا فقال رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك
اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة إلا سقطت ولا
جراحة إلا برئت ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج وعاد صحيحا
ورجع إليه شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم
معهم وقيل كان ذلك بأن ولد له بعد ما كان ثم إن امرأته قالت في نفسها هب أنه طردني أفأتركه حتى يموت
جوعا ويأكله السباع لأرجعن إليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الأمور فجعلت
تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة أن تأتيه وتسأل عنه فأرسل إليها أيوب ودعاها
فقال ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت
وقالت بعلي قال أتعرفينه إذا رأيته قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال أنا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته
رحمة من عندنا وذكرى للعابدين أي آتيناه ما ذكر لرحمتنا أيوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما
صبروا فيثابوا كما أثيب أو لرحمتنا العابدين الذين من جملتهم أيوب وذكرنا إياهم بالإحسان وعدم نسياننا
لهم وإسمعيل وإدريس وذا الكفل أي واذكرهم وذو الكفل إلياس وقيل يوشع بن نون وقيل
زكريا سمي به لأنه كان ذا حظ من الله تعالى أو تكفل منه أو ضعف عمل أنبياء زمانه وثوابهم فإن الكفل جاء بمعنى
النصيب والكفالة والضعف كل أي كل واحد من هؤلاء من الصابرين أي على مشاق التكاليف وشدائد
النوب والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الأمر بذكرهم وأدخلناهم في رحمتنا أي في
النبوة أو في نعمة الآخرة إنهم من الصالحين أي الكاملين في الصلاح الذي لا يحوم حوله شائبة
الفساد وهم الأنبياء فإن صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون أي واذكر صاحب الحوت
وهو يونس عم إذ ذهب مغاضبا أي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم
وتمادي إصرارهم مهاجرا عنهم قبل أن يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال
فظن أنه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة أو لأنه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم
لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن أن لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه أو لن نقضي عليه بالعقوبة
من القدر ويؤيده أنه قرئ مشددا أو لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن أن لن نقدر عليه
أي فعامل معاملة من يظن أن لن نقدر عليه في مراغمة قومه من غير انتظار لأمرنا كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده
أي يعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا
ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة أي فكان ما كان من المساهمة والتقام الحوت
فنادى في الظلمات أي في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع على أن

علي ان مخففة من ان وضمير الشأن محذوف او اي لا اله الا انت على انها مفسرة • سبحانك • انزهك تنزيها
لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي • اني كنت من الظالمين • لانفسهم
بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة • فاستجبنا له • اي دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب
على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلعم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له • ونجيناه من الغم •
بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان في بطنه وقيل بعد ثلثة ايام وقيل الغم غم الالتقام
وقيل الخطيئة • وكذلك • اي مثل ذلك الانجاء الكامل • ننجي المؤمنين • من غموم دعوا الله تعالى فيها
بالاخلاص الا انه ادنى منه وفي الامام ننجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف
الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت
فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع
المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماضي مجهول اسند الى ضمير
المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره • و
زكريا • اي واذكر خبره • اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا • اي وحيدا بلا ولد يرثني • وانت خير الوارثين •
فحسبي انت ان لم ترزقني وارثا • فاستجبنا له • اي دعاءه • ووهبنا له يحيى • وقد مر بيان كيفية الاستجابة
والهبة في سورة مريم • واصلحنا له زوجه • اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين
خلقها وكانت حردة وقوله تعالى • انهم كانوا يسارعون في الخيرات • تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى
المتعلقة بالانبياء المذكورين اي كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير
وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين
اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة • ويدعوننا رغبا ورهبا • ذوي رغب ورهب او
راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخائفين العقاب او المعصية او للرغب والرهب • وكانوا
لنا خاشعين • اي مخبتين متضرعين او دائمي الوجل والمعنى انهم نالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم
بهذه الخصال الحميدة • والتي احصنت فرجها • اي اذكر خبرها التي احصنته على الاطلاق من الحلال
والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شأنها وتنزيهها عما زعموا في حقها اشير في التي • فنفخنا فيها •
اي احيينا عيسى في جوفها • من روحنا • من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ من جهة روحنا
جبريل عم • وجعلناها وابنها • اي قصتهما او حالهما • آية للعالمين • فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرته
عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكاثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد بالآية الجنس الشامل
لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها
ان هذه • اي ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد • امتكم •
اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة
امة واحدة • نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة

الاتباع

الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم
بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على انهما خبران • وانا ربكم • لا اله لكم غيري • فاعبدون •
خاصة لا غير وحده تعالى • وتقطعوا امرهم بينهم • التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق
في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهى قبائح افعالهم الى الآخرين كأنه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء
في دين الله الذي اجتمعت عليه كافة الانبياء • كل • اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد
كل واحدة من تلك الفرق • الينا راجعون • بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد
الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وهو تسلية • فمن يعمل من الصالحات • الى آخره تفصيل
للجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات • وهو مؤمن • بالله ورسله • فلا كفران
لسعيه • اي لا حرمان من ثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال
تنزهه تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور
الواجبة عليه تعالى ونفي نفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به • وانا له • لسعيه
كاتبون • اي مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا • وحرام على قرية • اي ممتنع على اهلها
غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال • اهلكناها • قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم
وعتوهم وقوله تعالى • انهم لا يرجعون • في حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره
والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد
من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم
رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون
للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على
انه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من
العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف
لا يمتنع ذلك ونحوه حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون • وحتى في قوله
تعالى • حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج • الى آخره هي التي يحكى بعدها الكلام وهو على الاول غاية لما يدل عليه
ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الى
آخره وعلى الثاني غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا حين لا ينفعهم
التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين
لا ينفعهم الرجوع ويأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
وقرئ فتحت بالتشديد • وهم • اي يأجوج ومأجوج وقيل الناس • من كل حدب • اي نشز من الارض وقرئ
جدث وهو القبر • ينسلون • اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين • واقترب
الوعد الحق • عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى • فاذا

هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون
فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده • يا ويلنا • على تقدير
قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط • قد كنا في
غفلة تامة • من هذا • الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه سبحانه للجزاء ولم نعلم انه حق • بل كنا ظالمين
اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالايات والنذر بل كنا
ظالمين بتلك الايات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب • قوله تعالى
• انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم • خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه
الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما
وقد روي ان رسول الله صلعم حين تلا الاية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا
والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله عليه السلام ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا
يعارضه ما روي انه عم رد بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى
قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله بل لكل من عبد من دون الله اذ ليس شيء منهما نصا
في عموم ما كما ان الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص لبعض شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك
شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عم بعدما بين مدلول النظم الكريم
بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا
تأكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين كما زعموا فان اخراج
بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة بل بتحقيق
وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور ودلالة توجب اشتراكهم للاصنام في
المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما ينطق به قوله تعالى سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم للاصنام في المعبودية
من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة لا ما قيل ان المراد بهم
الاصنام في المعبودية من دونه تعالى واما تعميمه لكل ما للعقلاء ايضا وجعل ما سيأتي من قوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الى آخرها بيانا للتجوز والتخصيص فمما لا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم
والحصب ما يرمى به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة • انتم
لها واردون • استئناف وبدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان ورودهم
لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا • لو كان هؤلاء • اي اصنامهم • آلهة • كما تزعمون • ما وردوها
وحيث تبين ورودهم اياها تبين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام
لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون آلهية الاصنام لا آلهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار
على عدم آلهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق الحكاية بامر الله سبحانه عند بيان ما سيق له النظم الكريم

بطريق

بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول
مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين لهم الشياطين وانهم
داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين • وكل • اي من العبدة
والمعبودين • فيها خالدون • لا خلاص لهم عنها • لهم فيها زفير • اي انين وتنفس شديد وهو مع
كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا
في قوله تعالى • وهم فيها لا يسمعون • اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب
وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام • ان الذين سبقت لهم منا الحسنى • شروع في بيان حال
المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب
مع الترهيب اي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل
التوفيق للطاعة او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل في الحمل عليها
لا ان الاولين مع خفائهما ليسا من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى
وحرام الخ • اولئك • اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل • عنها
اي عن جهنم • مبعدون • لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وما روي ان عليا رضي الله عنه
خطب يوما وقرأ هذه الاية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد
الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة والحسيس
صوت يحس به اي لا يسمعون صوتها سماعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان
صوته في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة من مبعدون او حال
من ضميره مسوقة للمبالغة في انقاذهم عنها وقوله تعالى • وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون •
بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب اي دائمون في غاية التنعم وتقديم
الظرف للقصر والاهتمام به • لا يحزنهم الفزع الاكبر • بيان لنجاتهم من الافزاع [لا يحزنهم] ما عداه
بالضرورة قال الحسن رحمه الله انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح
الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الآخرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وليس
بذلك فان الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله تعالى بقوله الا من شاء الله لا جميع المؤمنين الموصوفين
بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الآخرة كما سيأتي في سورة النمل • وتتلقاهم
الملائكة • اي تستقبلهم مهنئين لهم • هذا يومكم • على ارادة القول اي قائلين هذا اليوم يومكم • الذي
كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات وهذا كما ترى صريح
في ان المراد بالذين سبقت لهم الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال الصالحة لا من
ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل • يوم نطوي السماء • بنون العظمة منصوب باذكر

وقيل اذكر وقيل ظرف لنعيد وقيل لا يحزنهم الفزع وقيل تتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير المحذوف
في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو وقرئ بالياء والبناء للمفعول • كطي السجل • وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار
وقرئ السجل كلفظ الدلو وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى • للكتب • متعلقة بمحذوف هو حال
من السجل او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي كطي السجل كائنا للكتب او الكائن للكتب فان
الكتب عبارة عن المعاني المكتوبة فيها فيجعلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام
للتعليل اي كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام فاللام لما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال بني ادم اذا
رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله صلعم • كما بدانا اول خلق نعيده • اي نعيد خلقنا مبتداه اعادة مثل بدئنا
اياه في كونها ابداعا من العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدا لشمول الامكان
الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدانا او لفعل يفسره نعيده
او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدانا واول خلق ظرف لبدانا او حال من ضمير
الموصول المحذوف • وعدا • مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة • علينا • اي علينا انجازه
• انا كنا فاعلين • لما ذكر لا محالة • ولقد كتبنا في الزبور • هو كتاب داود وقيل هو اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم
• من بعد الذكر • اي التورية وقيل اللوح المحفوظ اي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التورية او كتبنا في
جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ • ان الارض يرثها عبادي الصالحون • اي عامة المؤمنين
بعد اجلاء الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي ان المراد ارض الجنة كما
ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة
يرثها امة محمد صلعم • ان في هذا • اي فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين
الدالة على التوحيد وصحة النبوة • لبلاغا • اي لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية • لقوم عابدين • اي
لقوم همهم العبادة دون العادة • وما ارسلناك • بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من
الامور التي هي مناط السعادة الدارين • الا رحمة للعالمين • وهو في حيز النصب على الاستثناء من اعم
العلل او من اعم الاحوال اي ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او وما ارسلناك في
حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فانك بعثت بما فيه سعادة الدارين ومنشأ الانتظام مصالحهم
في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم اثاره فانما فرط في نفسه وحرم حقه لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار
امنهم من الخسف والمسخ والاستئصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم • قل انما يوحى الي انما
الهكم اله واحد • اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد لان المقصود الاصلي من البعثة ذلك وما عداه من الاحكام المتفرعة
عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام • فهل انتم مسلمون • اي
مخلصون للعبادة لله تعالى المخصوص بها تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها قالوا فيه دلالة على ان صفة
الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع • فان تولوا • عن الاسلام فلم يلتفتوا الى ما يوجبه من الوحي • فقل لهم
اذنتكم • اي اعلمتكم ما امرت به • على سواء • كائنين على سواء في الاعلام به لم اطو عن احد منكم او مستوين به

انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة
راي بالبرهان النير • وان ادري • اي ما ادري • اقريب ام بعيد ما توعدون • من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر
مع كونه اتيا لا محالة • انه يعلم الجهر من القول • اي ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وتكذيب الايات التي من جملتها
ما نطق بمجيء الموعود • ويعلم ما تكتمون • من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا • وان ادري لعله فتنة
لكم • اي ما ادري لعل تاخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون • ومتاع الى حين •
اي وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم • قال رب احكم بالحق •
حكاية لدعائه صلعم وقرئ قل رب على صيغة الامر اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد
عليهم وقد استجيب دعاؤه عم حيث عذبوا ببدر اي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل
وربي احكم من الاحكام • وربنا الرحمن • مبتدا وخبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى • المستعان • اي المطلوب منه
المعونة خبر اخر للمبتدا واضافة الرب فيما سبق الى ضميره عم خاصة لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة به عم لما ان اضافته
ههنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين ايضا لما ان الاستعانة من الوظائف العامة لهم • على ما تصفون • من الحال فانهم
كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك
مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلعم فخيب امالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم يوم
بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبي صلعم
من قرا اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القران

سورة الحج مكية غير ست ايات وهي هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

• يا ايها الناس اتقوا ربكم • خطاب يعم حكمه
المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك
الى يوم القيمة وان كان خطاب المشافهة مختصا بالنوع الاول على الوجه الذي تحقق في مطلع سورة النساء
ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها
للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمامور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان
بالله واليوم الاخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به ترغيبا وترهيبا اي احذروا عقوبته مالك
اموركم ومربيكم وقوله تعالى • ان زلزلة الساعة شيء عظيم • تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة
فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي لا ملجا منها سوى التدرع
بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف
بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما من اضافة المصدر
الى فاعله على المجاز الحكمي كانها هي التي تزلزل الاشياء واضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير
في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وعن الحسن انها
تكون يوم القيمة وعن ابن عباس رضي زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها

الى الساعة لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة
ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى • يوم ترونها • منتصب بما بعده قدم عليه اهتماماً به والضمير للزلزلة
اي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها • تذهل كل مرضعة • اي مباشرة للارضاع • عما ارضعت • اي تغفل
وتذهب مع دهشة عما هي بصدده من ارضاعه من طفلها الذي التقمت ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول
وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي تذهل عن
ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل
مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة • وتضع كل ذات حمل حملها • اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن
ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر
وفيه ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون
على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس من قبورهم
بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر • وترى الناس • بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين
برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من
عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد
بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل و
يصير الناس سكارى الى آخره وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد
لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد • سكارى • اي كانهم سكارى • وما هم بسكارى • حقيقة • ولكن عذاب الله شديد
فرهقهم هوله وطير عقولهم وسلب تمييزهم فهو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسنداً الى
المخاطب من اريتك قائماً او رؤيتك قائماً والناس منصوب وبنصبهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل
المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى
وقرئ سكرى وسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل • ومن الناس • كلام مبتدأ جيء به اثر بيان عظم
شأن الساعة المنبئة عن البعث بياناً لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء اما بحمله على المعنى
او بتقدير ما يتعلق به كما مر مراراً اي وبعض الناس او وبعض كائن من الناس • من يجادل في الله • اي في شأنه تعالى
ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل • بغير علم • روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلاً يقول
الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولامثاله من العتاة المتمردين
• ويتبع • اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما يأتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك • كل شيطان
مريد • عات متمرد للفساد واصله العري المبني عن التمحض له كأنه تجرد له وتعلق مأخوذ من تجرد المصارعين عند
المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى
الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى • كتب عليه • اي على الشيطان صفة اخرى له وقوله تعالى • انه • فاعل كتب و
الضمير للشأن اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشأن • من تولاه • اي تولاه اي اتخذه ولياً وتبعه • فانه يضله

بالفتح

بالفتح على انه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان
جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه فشأنه ان يضله من طريق الجنة وطريق الحق او فحق
ان يضله قطعاً وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والاخلال وقيل
وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله
يأمر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على رأي من يراه • ويهديه الى عذاب السعير
بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات • يا ايها الناس • اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول
اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث • ان كنتم في ريب من البعث • من امكانه
وكونه مقدوراً له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه
بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايذاناً عليه
للتنظم الكريم على ان جل ما لهم ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا • فانا
خلقناكم • اي فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقنا كل فرد منكم • من تراب • في ضمن خلق آدم منه
خلقاً اجمالياً فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه
بل كانت انموذجاً منطوياً على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجمالياً مستتبعاً لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من
التراب خلقاً للكل منه كما مر تحقيقه مراراً • ثم من نطفة • اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني • ثم من مضغة •
اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ • مخلقة • بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق
مصورة • وغير مخلقة • اي لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولاً قطعة لم
يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئاً فشيئاً وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على
التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة
هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك فان في جعل كل واحدة من هذه
المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة
الآية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم • لنبين لكم • متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه
كماً وكيفاً اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي
من جملتها سر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملاً حقيقاً جزم جزماً ضرورياً بان من قدر على خلق البشر
اولاً من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وانشأه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار
الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته
بل هو اهون في القياس نظراً الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى • ونقر في
الارحام ما نشاء • استئناف مسوق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه في سلك
الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من تمامه ومن مبادي التبيين ايضاً لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات
التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها • الى اجل

مسمّى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى
ان بعض ما في الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه والتعرض للازلاق لا يناسب
المقام لان الكلام فيما يجري عليه اطوار الخلق وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا
وان ما فصل لكم هي الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ يقر بالياء ونقر ويقر بنصبهما عطفا على نبين فرش
لنا او اجنبية ثم نخرجكم اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا
والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ نخرجكم بالياء ونصبه ثم لتبلغوا اشدكم
علة لنخرجكم معطوفة على اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل
والتمييز وقيل لتقدير ثم نمهلكم لتبلغوا اه وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد
قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور
لغايتين مرتبتين على احدهما ان نبين شئوننا والثانية ان نقر في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا
اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه من غاية الغايات ومقصود بالذات
واعادة اللام ههنا مع تجريد الاوليين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف
المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا الى الله تعالى كالافعال
السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبادئ الآثار والافعال والاشد من الفاظ
الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود كانها شدة في غير شيء بنيت على لفظ الجمع
ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد
الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني للمفعول للجري
على سنن الكبرياء لتعيين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من
من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان الطفولية من ضعف البنية
وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى
وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع
للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت
رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت و
قرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق سار للناظر ذلك بان الله
هو الحق كلام مستأنف جيء به اثر تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني
والنباتي لبيان ان ذلك من آثار الوهيته تعالى واحكام شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرون
وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث من اسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس و
والآفاق ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان انكاره
ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بداهة العقل والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق

بثبوته

بثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان على اطوار مختلفة و
تصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال
وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله
المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيي الموتى اي شأنه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا
واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو
باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء قدير اي مبالغ في القدرة والا لما اوجد
هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذي
نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء
كلها فمن ذوق المعقول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع
القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء المقدور عليها
للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة آتية اي فيما
سيأتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة
وتعليله بان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبني على ما ذكر من المعقول لا ريب فيها اما خبر
ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية
والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور
بالباء كما قبلها من الجملتين داخلة مثلها في حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور
لكن لا من حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيها بل من حيث
ان كلا منهما سبب داع له تعالى بحسب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم ومن
احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما
لا محالة ويجتهدوا فيما يتعلق بهما من الوحي المبين ينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما
خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من احكام حقيته تعالى في افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من
احكام حقيته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال ومن جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف
الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف
ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد فانه خبير بان مآله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان
الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان واحياء الارض وتأمل
وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى ان الساعة آتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل
هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر ان الساعة آتية وان الله يبعث معطوفة على الاولى
وقيل المعنى ذلك لتعلموا ان الله هو الحق الآية ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام
حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما ان الاول من

من يقلدهم على أن الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق • بغير علم • متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير
يجادل أي كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما أن المراد بالهدى في قوله تعالى • ولا هدى • هو الاستدلال والنظر
الصحيح الهادي الى المعرفة • ولا كتاب منير • وحي مظهر للحق أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة
نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وأما ما قيل من أن
المراد به المجادل الاول والتكرير للتأكيد والتمهيد لما بعده من بيان أنه لا سند له من استدلال أو وحي فلا يناسب
النظم الكريم كيف لا وأن وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر ينبئ عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي
• ثاني عطفه • حال أخرى من فاعل يجادل أي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف كناية عن
التكبر وقرئ بفتح العين أي مانعا لتعطفه • ليضل عن سبيل الله • متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف
بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين أو الناس جميعا بتغليب المؤمنين
على غيرهم واما التثبيت على الضلال وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث أن المراد به الضلال المبين الذي لا هداية له
بعده مع تمكنه منها قبل ذلك • له في الدنيا خزي • جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة أي ثبت
له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار • ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق •
أي النار المحرقة • ذلك • أي ما ذكر من العذاب الدنيوي والأخروي وما فيه من معنى البعد للإيذان بكونه في الغاية
القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • بما قدمت يداك • أي بسبب ما اقترفته من الكفر
والمعاصي وإسناده الى يديه لما أن الاكتساب عادة يكون بالأيدي والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد
ومحل أن في قوله عز وعلا • وأن الله ليس بظلام للعبيد • الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب
لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة
أهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لما قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما
قبلها وأما ما قيل من أن محل أن هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الأنفال • ومن الناس من
يعبد الله على حرف • شروع في بيان حال المذبذبين إثر بيان حال المجاهرين أي ومنهم من يعبده تعالى على حرف من الدين
لا ثبات له فيه كالذي يتحرف الى طرف الجيش فإن أحس بظفر قر وإلا فر • فإن أصابه خير • أي دنيوي من الصحة والسعة
• اطمأن به • أي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف
ولا يثنيهم عاطف • وإن أصابته فتنة • أي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه أو أهله أو ماله • انقلب
على وجهه • روي أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا
وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وإن
كان الأمر بخلافه قال ما أصبت الا شرا وانقلب وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن يهوديا أسلم فأصابته
مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلعم فقال أقلني فقال عم إن الاسلام لا يقال فنزلت وقيل نزلت
في المؤلفة قلوبهم • خسر الدنيا والآخرة • فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر
بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه أو على أنه خبر مبتدأ محذوف

ذلك

• ذلك • أي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للإيذان بكونه في غاية ما يكون • هو الخسران المبين •
الواضح كونه خسرانا إذ لا خسران مثله • يدعو من دون الله • استئناف مبين لعظم الخسران أي يعبد
متجاوزا عبادة الله تعالى • ما لا يضره • إذا لم يعبده • وما لا ينفعه • إن عبده أي جمادا ليس من شأنه الضر والنفع
كما يلوح به تكرير كلمة ما • ذلك • الدعاء • هو الضلال البعيد • عن الحق والهدى مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالا
عن الطريق • يدعو لمن ضره أقرب من نفعه • استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا
بعد إزاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب أيضا فالدعاء بمعنى القول
واللام داخلة في الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول وقوله
• لبئس المولى ولبئس العشير • جواب لقسم مقدر وهو وجوابه خبر للمبتدأ الأول وإيثار من على ما مع كون معبوده جمادا
وإيراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والإمعان في ذمه أي يقول ذلك الكافر يوم القيامة
بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلا لمن ضره أقرب من
نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز أن يكون يدعو الثاني
إعادة للأول لا تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال معبوده إثر بيان حال عبادته بقوله تعالى ذلك
هو الضلال البعيد كأنه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره أقرب من نفعه
والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة
بغير اللام أي يعبد من ضره أقرب من نفعه وإيراد كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به أيضا والجملة القسمية مستأنفة
• إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات • استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين
له تعالى وأن الله عز وجل يتفضل عليهم بما لا غاية وراءه من أجل المنافع وأعظم الخيرات إثر بيان غاية سوء حال الكفرة و
مآلهم من فريقي المجاهرين والمذبذبين وأن معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وأنهم يعترفون بكآبته
وعشيرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى • تجري من تحتها الأنهار • صفة لجنات فإن أريد بها الأشجار الملتفة
الساترة لما تحتها فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض فلا بد من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها
وإن جعلت عبارة عن مجموع الأرض فلا بد من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر
المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى • إن الله يفعل ما يريد • تعليل لما قبله
وتقرير له بطريق التحقيق أي يفعل البتة كل ما يريده من الأفعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها
إثابة من آمن به وصدق رسوله صلعم وعقاب من أشرك به وكذب برسوله عم ولما كان هذا من آثار نصرته
تعالى له عم عقب بقوله عز وعلا • من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة • تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على أبلغ
وجه وآكده وفيه إيجاز بارع واختصار رائع والمعنى أنه تعالى ناصر لرسوله عم في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف
يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من أعاديه وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعته لبعض الأمور
ومباشرته ما يرده من المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى أمره وعاقبة مكره أن
يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم إنتاج مقدماته ومباديه • فليمدد بسبب الى السماء • فليمدد حبلا الى سقف

بيته • ثم ليقطع • اى ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد
فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر فى قوله تعالى • فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ • تقدير النظر وتصويره اى فليتصور فى نفسه
النظر هل يذهبن كيده ذلك الذى هو اقصى ما انتهت اليه قدرته فى باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا و
يجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد
عليه ثم ليقطع الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفع نصره ويأباه ان مساق النظم الكريم بيان
ان الامور مفوضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظه ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور
المستحيلة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحى فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة
غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله ورسوله صلعم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عم و
يخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد
من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب
القسمة ولا يرده مرزوقا • وكذلك • اى مثل ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم البالغة • انزلناه • اى القرآن الكريم
كله • آيات بينات • اى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك
• وان الله يهدى • به ابتداء او يثبت به على الهدى او يزيد فيه • من يريد • هدايته او تثبيته او زيادته فيها ومحل الجملة اما الجر
على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر اى ولان الله يهدى من يريد انزله كذلك او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى
والامر ان الله يهدى من يريد هدايته • ان الذين آمنوا • اى بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى او بكل
ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا • والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس • قيل هم قوم يعبدون
النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى
شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة • والذين اشركوا • هم عبدة الاصنام
ومن لم يتبع • ان الله يفصل بينهم يوم القيامة • فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصديرها بحرف التحقيق
لزيادة التقرير والتأكيد اى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية
كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب استحقاق افراد كل منهما • ان الله على كل شىء شهيد
تعليل لما قبله من الفصل اى عالم بكل شىء من الاشياء ومراقب لاحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر
عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق به عليه • الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض
الى آخره بيان لما يوجب الفصل المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة
والاكرام والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التى من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالرؤية
العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى
على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيه انقياد الكل فى
باب الطاعة ابدا انا بكونه فى اقصى مراتب التسخر والتذلل بالسجود الطاعة التى هى بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم
ايضا او لا تشبيها للعام لافادة شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق التبع فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى

والشمس

والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب • افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة
او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى • وكثير من الناس • فانه مرتفع بفعل
مضمر يدل عليه المذكور اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع
على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب فى السجود والطاعة
وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اى من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون
[illegible] • وكثير • معطوفا على كثير الاول ايذانا بغاية الكثرة ثم خبر عنهم باستحقاق العذاب كانه قيل وكثير من الناس
• حق عليه العذاب • اى بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اى حق عليه العذاب حقا • ومن يهن الله • بان كتب
عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر • فما له من مكرم • يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمى
• ان الله يفعل ما يشاء • من الاشياء التى من جملتها الاكرام والاهانة • هذان • تعيين لطرفى الخصام وازاحة
لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحد من الفرق الست وبين البواقى وتحرير لمحله اى فريق المؤمنين وفريق الكفرة
المنقسم الى الفرق الخمس • خصمان • اى فريقان مختصمان وقوله تعالى • اختصموا فى ربهم • حملا على المعنى اى اختصموا فى شأنه عز وجل
وقيل فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه
صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون
فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم صلعم
وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت • فالذين كفروا • تفصيل لما اجمل
فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة • قطعت لهم • اى قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف • ثياب من نار • اى نيران
هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها • يصب من فوق رؤسهم الحميم • اى الماء الحار الذى انتهت حرارته قال ابن
عباس رضى لو سقطت قطرة منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم
• يصهر به • اى يذاب • ما فى بطونهم • من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد • والجلود • عطف على ما و
تأخيره عنه لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تأثيرها فى الباطن اقدم من تأثيرها
فى الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم • ولهم • للكفرة اى لتعذيبهم واجلهم • مقامع من حديد
جمع مقمعة وهى آلة القمع • كلما ارادوا ان يخرجوا منها • اى اشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى
انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا • من غم • اى من غم
شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما اشير اليه او مفعول له للخروج
• اعيدوا فيها • اى فى قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسفلها من غير ان يخرجوا منها • وذوقوا • على تقدير قول
معطوف على اعيدوا اى وقيل لهم ذوقوا • عذاب الحريق • اى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك • ان الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار • بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة
وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة
واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام • يحلون فيها • على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ

بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس اي تحليهم الملائكة بامره تعالى ● من اساور ● من للتبعيض اي بعض اساور وهي
جمع اسورة جمع سوار او للبيان لان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى
يلبسون ● من ذهب ● بيان للاساور ● ولؤلؤا ● عطف على محل من اساور او على المفعول المحذوف او منصوب بفعل مضمر
يدل عليه يحلون اي يؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوا ثم
بقلب الثانية ياء وليليا بقلبهما ياء ● ولباسهم فيها حرير ● غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا للدلالة على ان
الحرير ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غني عن البيان اذ
لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم
الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس
● وهدوا الى الطيب من القول ● وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الجنة الاية ● وهدوا الى صراط الحميد ● اي المحمود
نفسه او عاقبته وهي الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية
الى طريقها رعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير
حينئذ ان ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود ● ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ● ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما
هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل
كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الاية الكريمة عليه فان من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب
الاليم فلان يعاقب من جمع الى الكفر والصد عن سبيل الله ما هو اشد من ذلك احق واولى ● والمسجد الحرام ● عطف على سبيل الله
قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى ● الذي جعلناه للناس ● اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي ● سواء
العاكف فيه والباد ● اي المقيم والطارئ وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به وللناس متعلق به ظرف
له وفي تكرار وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدأ
والجملة مفعول ثان لجعلناه وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ● ومن يرد فيه ● مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول
كأنه قيل ومن يرد فيه مرادا ما ● بالحاد ● بعدول عن القصد ● بظلم ● بغير حق ● وهما حالان مترادفتان والثاني بدل من الاول
باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الاثام ● نذقه من عذاب اليم ● جواب لمن ● واذ بوأنا
● يقال بوأه منزلا اي انزله فيه ولما لزمه جعل الثاني مباءة للاول قيل ● لابراهيم مكان البيت ● وعليه مبني قول ابن
عباس رضي الله عنهما جعلناه اي اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام اي مرجعا يرجع اليه للتجارة والعبادة وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما
في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى
ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس
مرات احديها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة
بناء قريش في الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير رضي الله عنه والخامسة بناء الحجاج و
قد اوردنا ما في هذا الشأن من الاقاويل في تفسير قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان في قوله تعالى ● ان

ان لا

● ان لا تشرك بي شيئا ● مفسرة لبوأنا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهي وقد
مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة شيئا ● وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع
السجود ● اي من تطهير بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة باركانها للدلالة
على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء ● واذن في الناس
اي ناد فيهم وقرئ وآذن ● بالحج ● بدعوة الحج والامر به روي انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال ايها الناس حجوا بيت
ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج و
قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية ● يأتوك ● جواب للامر
● رجالا ● اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومشدده ورجالى كعجالى ● وعلى كل
ضامر ● عطف على رجالا اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزله او زاد هزاله ● يأتين ● صفة لضامر
محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال والركبان او استئناف فيكون الضمير للناس ● من كل فج ● طريق
واسع ● عميق ● بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ ● ليشهدوا ●
متعلق بيأتوك لا باذن اي ليحضروا ● منافع ● عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية
المختصة بهذه العبادة واللام في قوله تعالى ● لهم ● متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم
● ويذكروا اسم الله ● عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى وما عداه
تبع له وقيل هو كناية عن النحر لانه لا ينفك عنه ● في ايام معلومات ● هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى ● على ما رزقهم
من بهيمة الانعام ● فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل عشر ذي الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة
تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر ● فكلوا منها ● التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لدخولها على مقدر
قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله تعالى فانفجرت اي فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا
من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء و
ومساواتهم ● واطعموا البائس ● اي الذي اصابه بؤس وشدة ● الفقير ● المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في
الاول ايضا ● ثم ليقضوا تفثهم ● اي ليؤدوا ازالة وسخهم او ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط
والاستحداد عند الاحلال ● وليوفوا نذورهم ● ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو
وتشديد الفاء ● وليطوفوا ● طواف الركن الذي به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع ● بالبيت
العتيق ● اي القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه
فعصمه الله عز وجل واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنه لا التسلط عليه ● ذلك ● اي الامر ذلك وهذا
وامثاله يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ● ومن يعظم حرمات الله ● اي احكامه وسائر ما لا يحل هتكه
بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد
الحرام والشهر الحرام ● فهو خير له ● اي فالتعظيم خير له ثوابا ● عند ربه ● اي في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير من لتشريفه والاشعار بعلة الحكم ● واحلت لكم الانعام ● وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فعموم

لكم • إلا ما يتلى عليكم • أي إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما
أهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الأمر بالأكل والإطعام ودفعا لما عسى يتوهم أن الإحرام يحرمه
كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحل الأنعام على ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة
لئلا يحتاج إلى الاستثناء المذكور إذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لرعاية حسن التخلص إلى ما بعده من قوله تعالى • فاجتنبوا الرجس
من الأوثان • فإنه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها وما
كان بيان حل الأنعام من دواعي التعاطي لا من مبادي الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم أمر بالاجتناب
عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والأنعام ليست من الحرمات فإنها محللة لكم إلا ما يتلى عليكم
آية تحريمه فإنه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الأمور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى • واجتنبوا قول الزور •
تعميم بعد تخصيص فإن عبادة الأوثان رأس الزور وكأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبع ذلك ردا لما كانت
الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بأنه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روي
أنه عم قال عدلت شهادة الزور الإشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما أن الإفك
مأخوذ من الأفك الذي هو القلب والصرف فإن الكذب منحرف مصروف عن الواقع وقيل هو قول أهل الجاهلية
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك • حنفاء لله • مائلين عن كل دين زائغ إلى الدين الحق مخلصين
لله تعالى • غير مشركين به • أي شيئا من الأشياء فيدخل في ذلك الأوثان دخولا أوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا
• ومن يشرك بالله • جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب عن الإشراك وإظهار الاسم الجليل لإظهار كمال قبح
الإشراك • فكأنما خر من السماء • لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر • فتخطفه الطير • فإن الأهواء المردية
توزع أفكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء مع كسر التاء وأصلهما تختطفه • أو تهوي
به الريح • أي تسقطه وتقذفه • في مكان سحيق • بعيد فإن الشيطان قد طرح به في الضلالة وأو للتخيير كما في
أو كصيب أو للتنويع ويجوز أن يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا
شبيها بهلاك أحد الهالكين • ذلك • أي الأمر ذلك أو امتثلوا ذلك • ومن يعظم شعائر الله •
أي الهدايا فإنها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الأوفق
لما بعدها وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان روي أنه
صلعم أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من ذهب وأن عمر رضه أهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار
• فإنها • أي فإن تعظيمها • من تقوى القلوب • أي من أفعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات والعائد إلى من أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد
إلى من أو فإن تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالإضافة لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها
وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء • لكم فيها • أي في الهدايا • منافع • هي درها ونسلها وصوفها وظهرها • إلى أجل
مسمى • هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والأكل منه • ثم محلها • أي وجوب نحرها أو وقت نحرها منتهية • إلى
البيت العتيق • أي إلى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني أو الرتبي أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت نحرها ثم منافع

دينية

دينية أعظم منها وهو النفع • محلها • أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها • إلى البيت العتيق • أي منتهية إليه وهذا
وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ثم محلها أي محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أي منتهية إليه
بأن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فإضافة المحل إليها لأدنى ملابسة • ولكل أمة •
أي لكل أهل دين • جعلنا منسكا • أي متعبدا أو قربانا يتقربون به إلى الله عز وجل وقرئ بكسر السين أي موضع نسك وتقديم
الجار والمجرور على الفعل للتخصيص أي لكل أمة من الأمم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض • ليذكروا اسم
الله • خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر
المعبود • على ما رزقهم من بهيمة الأنعام • عند ذبحها وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الأنعام
والخطاب في قوله تعالى • فإلهكم إله واحد • للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن جعله تعالى لكل أمة
من الأمم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى وإنما قيل إله واحد ولم يقل واحد لما أن المراد بيان أنه تعالى واحد
في ذاته كما أنه واحد في إلهيته للكل والفاء في قوله تعالى • فله أسلموا • لترتيب ما بعدها من الأمر بالإسلام على وحدانيته
تعالى وتقديم الجار والمجرور على الأمر للقصر أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه
لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك • وبشر المخبتين • تجريد للخطاب إلى رسول الله صلعم أي المتواضعين أو
المخلصين فإن الإخبات من الوظائف الخاصة بهم • الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم • هيبة منه تعالى لإشراق أشعة
جلاله عليها • والصابرين على ما أصابهم • من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب • والمقيمي الصلاة •
في أوقاتها وقرئ بنصب الصلاة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلاة على الأصل • ومما رزقناهم ينفقون •
في وجوه الخيرات • والبدن • بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمع بدنة وقيل الأصل ضم الدال
كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لفظ الوقف وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها
مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الإجزاء عن سبعة بقوله صلعم البدنة عن سبعة والبقرة
عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره • جعلناها لكم • وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ
والجملة خبره وقوله تعالى • من شعائر الله • أي من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف
لغو متعلق به وقوله تعالى • لكم فيها خير • أي منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها • فاذكروا اسم
الله عليها • بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك وإليك • صواف • أي قائمات
قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن البدنة
تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافا بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وقرئ صوافي
أي خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الإطلاق كما في قوله لعلي أرى باق على الحدثان
• فإذا وجبت جنوبها • سقطت على الأرض وهي كناية عن الموت • فكلوا منها وأطعموا القانع • أي الراضي
بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده أنه قرئ القنع أو السائل من قنع إليه قنوعا إذا خضع له في السؤال
• والمعتر • أي المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه • كذلك • مثل ذلك التسخير
البديع المفهوم من قوله تعالى صواف • سخرناها لكم • مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى تأخذوها منقادة

فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص
لن ينال الله اي لن يبلغ مرضاته ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من
حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه
والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدمائها قربانهم فهم به المسلمون فنزلت
كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله اي لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه
غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم اي ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية
التقرب بها وما مصدرية او موصولة اي على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر
وبشر المحسنين اي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون في امور دينهم ان الله يدافع عن الذين آمنوا كلام
مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن
الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة اما للمبالغة
او للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اي يبالغ في
دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى
حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما في ضمن الوعد
الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض اي ان الله يبغض كل
خوان في امانته تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي هي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان
انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة
ثانيا اذن اي رخص وقرئ على البناء للفاعل اي اذن الله تعالى للذين يقاتلون اي يقاتلهم المشركون
والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة وقرئ
على صيغة المبني للفاعل اي يريدون ان يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر
بانهم ظلموا اي بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلعم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه
من بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عم لهم اصبروا فاني لم اؤمر بالقتال حتى هاجروا فانزلت
وهي اول آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم
بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم من ايدي المشركين بل تغليبهم
واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد
تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين الذين اخرجوا من ديارهم في حيز الجر
على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتدأ او
الجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق بالاخراج اي بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى
الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجبا للاقرار
والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم

بهن فلول

بهن فلول من قراع الكتائب وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط
المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل
وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهبانية وبيع للنصارى وصلوات اي كنائس لليهود وسميت
بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا
اي ذكرا كثيرا او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة
للاربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها
مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اي وبالله لينصرن الله من ينصر اولياءه
او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب و
اكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من
جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن
السيرة عند تمكينه تعالى اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه وعن
عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر
الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك
للانصار والطلقاء وعن الحسن رضي الله عنه هم امة محمد صلعم وقيل الذين بدل من ينصره ولله عاقبة الامور فان مرجعها
الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد باظهار اوليائه واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح
تسلية لرسول الله صلعم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى الموعود
بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع تحقق التكذيب
لما ان المقصود تسليته عم عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فقوم نوح وعاد و
ثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي رسلهم من ذكر ومن لم يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد
او لان المراد نفس الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الخ وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء
الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان ذلك مما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان
كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن
لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون
آياته في كمال الوضوح وقوله فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب امهال
كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب امهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع
الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عم حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت
كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالاهلاك اي فكان ذلك
في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكأين من قرية منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اهلكناها

اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من فكأين فكأين كان بكثير او مرفوع على الابتداء واهلكناها
خبره اي فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق فكأين • وهي ظالمة • جملة حالية من مفعول اهلكنا
دون ضمير فاعله • فهي خاوية • عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال خوائها فعلى الاول
لا محل له من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم
اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها • على عروشها • اي سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت
حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط الى العروش لبيان تنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها
عمدة فيه واما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهي خالية مع بقاء عروشها اي قائمة مشرفة على
السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا • وبئر معطلة • عطف على قرية اي وكم بئر
عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله • وقصر مشيد • مرفوع البنيان
او مخصص حصينا عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح
جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله
تعالى وعطلهما • افلم يسيروا في الارض • حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا
فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي
اغفلوا فلم يسيروا فيها • فتكون لهم • بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار • قلوب يعقلون
بها • ما يجب ان يعقل من التوحيد • او آذان يسمعون بها • ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم
من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم • فانها لا تعمى الابصار • الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير
راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه • ولكن تعمى القلوب التي في الصدور • اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم
باتباع الهوى والانهماك في الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفي توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف
الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في
الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت • ويستعجلونك بالعذاب • المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا
يستعجلون به استهزاء برسول الله صلعم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار
فقوله تعالى • ولن يخلف الله وعده • اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم و
اظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق
الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى • وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون •
جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم في الاستعجال
المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى
مدة طويلة عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة
الى انكاره ويجترؤن على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقرئ
يعدون على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون او فوج لهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم ايضا

بطريق الالتفات لكن الظاهر انه لرسول الله صلعم ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى اهلاكهم كل قوم
من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى
حالية كانت او اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان امتناع الاستعجال بالاسراع اي بتقديمه على وقته المعين والثانية
الذي هو مرتبة فلا تكون في النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب
مبنيا على ظاهر مقالهم وتكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة
وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة لشدة
عذابها مما لا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوي
وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له الا ترى الى قوله
تعالى • وكأين من قرية املت لها • ثم اخذتها • صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اي وكم من
اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل
• املت لها • كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجيء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء
• وهي ظالمة • جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعظيم بطلان استعجالهم اي امليت لها والحال
انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كهؤلاء • ثم اخذتها • بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال
• والي المصير • اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما بعده ذلك بطريق التعريض من ان مآل امر
المستعجلين ايضا ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا اشتراكا
فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم • قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين • انذركم انذارا بينا بما اوحي
من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني به والاقتصار
على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما ان صدر الكلام ومساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر
المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم • فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة • لما اندر منهم من الذنوب
• ورزق كريم • هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته • والذين سعوا في آياتنا معاجزين •
اي مسابقين يسابقون فيها في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم وهو من عاجزه فاعجزه
اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين
الناس عن الايمان على انه حال مقدرة • اولئك • الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة • اصحاب الجحيم •
اي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها • وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي •
الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء
بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى صلعم ولذلك شبه عليه السلام علماء امته بهم فالنبي اعم من الرسول ويدل
عليه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة
عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل
الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام • الا اذا تمنى • اي هيأ في نفسه ما يهواه

ألقى الشيطان في أمنيته في تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عم وانه ليغان على قلبي فأستغفر
الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد
الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اي يثبت آياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين
للدلالة على الاستمرار التجددي واظهار الجلالة في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية
من موجبات احكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن
العباد من قول وفعل عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل واظهار الجلالة ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال
الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما
يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى
وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح
المشركون حتى شايعوه بالسجود في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عم فاغتم
به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل
فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته والقاء
الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن الناس انه من قراءة النبي عم وقد رد ايضا بانه ايضا
يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله وفي
الآية دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ
عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلعم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم
كما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء عم لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر
ظاهر يعرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية والقاسية
قلوبهم اي المشركين وان الظالمين اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم
مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد
مع ان الموصوف حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا
العلم انه اي القرآن الحق من ربك اي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من
الالقاء هو الحق المتضمن للحكم البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم
عم لا حاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء في حقه عم لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به اي بالقرآن اي يثبتوا
على الايمان او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه
من الاوامر والنواهي وجمع الضمير لاسيما الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله لهادي
الذين آمنوا اي في الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم
هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية اي في شك
وجدال منه اي من القرآن وقيل من الرسول صلعم والاول هو الاظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى وكذبوا

بآياتنا

بآياتنا واما تجويز كون الضمير لما ألقى الشيطان في امنيته فمما لا مساغ له لان ذلك ليس مما هم
الى ان يستمر الى الامد المذكور بل انما هي مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون
الابتدائية لما ان مريتهم المستمرة انما كانت عنادا من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة
منهم من لدن نزول القرآن الكريم حتى تأتيهم الساعة اي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة اي فجأة
فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم لا يوم بعده
كأن كل يوم يلد بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا كأنه قيل او يأتيهم
عذابها فوضع موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على اشراطها لما عرفت واما ما قيل
من ان المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن
عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما اي ثكلى فوصف اليوم بوصفها
اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة
عم فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه
بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخروي يقتضي ان المراد به يوم
القيامة قطعا بيانا لا ريب فيه الملك اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق
يومئذ لله وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة
ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما يدل
الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لما ان القيد المعتبر مع اليوم حيث و
سط بين طرفي الجملة يجب ان يكون مدارا لحكمها اعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة و
التعذيب ولا ريب في ان ايمانهم او زوال مريتهم ليس مما له تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل
الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدل عليه ما ذكر من اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق
ومبدأ ظهور احكام الملك الحق جل جلاله فالذي ينوب عنه التنوين هو الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى
الملك يوم اذ تأتيهم الساعة او عذابها لله تعالى وقوله تعالى يحكم بينهم جملة مستأنفة وقعت جوابا عن
سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فماذا يصنع بهم فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين والمجادلين
فيه بالمجازاة وقوله تعالى فالذين آمنوا الخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم
ولم يماروا فيه وعملوا الصالحات امتثالا لما امروا في تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اي اصروا على ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي
اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدأ
وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك او عذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده
على المبتدأ والظرف خبر على الوجهين خبر الموصول وتصديره بالفاء للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم

الشيئة كأن لم يرد خبر الموصول الاول عنهم للايذان بان اثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال
الصالحة اياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه
شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا
اي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف
والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدأ اضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى
رزقا حسنا اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا حسنا او مصدر مؤكد والمراد به ما
لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن
متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الارزاق الحسنة وروي ان بعض اصحاب النبي صلعم
قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه
ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال او مصدر ميمي اكد به فعله قال ابن عباس رضي
انما قيل يرضونه لانهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان
الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك
والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على ان ما بعده كلام مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في
الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة او لكونه سببا له ثم بغي عليه
بالمعاودة اي العقوبة ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب اليهما بقوله
تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك اي ما ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور فان فيه حثا بليغا
على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو ويغفر فغيره اولى بذلك وتنبيها على انه تعالى قادر
على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
اي بسبب انه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الاشياء المتعاندة
وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينقص عن الاخر وبتحصيل احدهما في مكان
الاخر لكونه اظهر الموارد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول المعاقب بصير
بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم وما فيه من معنى
البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته
وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما
بكل المعلومات او الثابت الالهية فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه الها وقرئ

على الباء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الآلهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو الباطل
اي المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته وان الله هو العلي على جميع الاشياء الكبير عن ان يكون
له شريك لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير
كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال
للاشعار بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف يصل
لطفه او علمه الى كل ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته
وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم
تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة
لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره
حال من الفلك على الاول وخبر على الاخير ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان
تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه اي بمشيئته وذلك
يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل الهابط
فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس لرءوف رحيم حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم
ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجيء آجالكم
ثم يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور اي لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض
افراده لكل امة كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته
ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية
والباقية جعلنا اي وضعنا وعينا منسكا اي شريعة خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عين
كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا
ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على
الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي
كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهم السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون
به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند بعث النبي صلعم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيامة فهم امة واحدة
منسكهم الفرقان ليس الا كما مر في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى فلا ينازعنك
في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة
بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلعم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين

زعماً منهم أن شريعتهم ما عين لآبائهم الأولين من التوراة والإنجيل فإنهما شريعتان لمن مضى
من الأمم قبل انتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي إما على حقيقته أو كناية
عن نهيه عم عن منازعتهم لما سيأتي عدة المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عم والمبالغة في تثبته وأيا ما
كان فحمل النزاع على ذكر ما وتخصيصه بأمر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم
تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل إليه أصلاً كيف لا وأنه يستدعي أن يكون أكل
الميتة وسائر ما يدينونه من الأباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الأمم ولا يرتاب
في بطلانه عاقل (وادع) أي وادعهم أو وادع الناس كافة على أنهم داخلون فيهم دخولاً أولياً (إلى ربك)
إلى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم (إنك لعلى هدى مستقيم) أي طريق موصل
إلى الحق سوي والمراد به إما الدين والشريعة أو أدلتها (وإن جادلوك) بعد ظهور الحق بما ذكر من
من التحقيق ولزوم الحجة عليهم (فقل) لهم على سبيل الوعيد (الله أعلم بما تعملون) من الأباطيل التي
من جملتها المجادلة (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين (يوم القيامة) بالثواب والعقاب
كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم) استئناف مقرر لمضمون
ما قبله والاستفهام للتقرير أي قد علمت (أن الله يعلم ما في السماء والأرض) فلا يخفى عليه شيء من الأشياء
التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملون (إن ذلك) أي ما في السماء والأرض (في كتاب) هو اللوح قد
كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له (إن ذلك) أي ما ذكر من العلم والإحاطة به
وإثباته في اللوح أو الحكم بينكم (على الله يسير) فإن علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر
عليه مقدور (ويعبدون من دون الله) حكاية لبعض أباطيل المشركين وأحوالهم الدالة على كمال سخافة
عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبني من دليل سمعي منجاً ومن عبادة الله (ما لم ينزل به)
أي بجواز عبادته (سلطاناً) أي حجة (وما ليس لهم به علم) من ضرورة العقل أو استدلاله (وما
للظالمين) أي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي يقضي ببطلانه وكونه ظلماً بديهة العقل (من
نصير) يساعدهم في مذهبهم ويقرر رأيهم أو يدفع العذاب الذي يعتريهم بسبب ظلمهم (وإذا تتلى عليهم
آياتنا) عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي (بينات)
أي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الصادقة أو على بطلان ما هم عليه من عبادة
الأصنام أو على كونها من عند الله عز وجل (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) أي الإنكار كالمكرم
بمعنى الإكرام أو الفظيع من التجهم والبسور أو الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الأوضاع والهيئات
وهو الأنسب بقوله تعالى (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي يثبون ويبطشون بهم من
فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليداً وهل جهالة أعظم وأطم من أن يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته
بشيء ما أصلاً بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم إلى الحق البين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر
الشنيع خلال تلاوة هذا وضع الذين كفروا موضع الضمير (قل) رداً عليهم وإقناطاً عما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين

أفأنبئكم

(أفأنبئكم) أي أخاطبكم فأخبركم (بشر من ذلكم) الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم أو مما أصابكم
من الغوائل ومما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم (النار) أي هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه
قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (وعدها الله الذين كفروا) وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلاً
من شر فتكون الجملة الفعلية استئنافاً كالوجه الأول وحالاً من النار بإضمار قد (وبئس المصير) أي النار (يا أيها
الناس ضرب مثل) أي بين لكم حالة مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلاً وتسير في الأمصار والأعصار أو جعل لله
مثل في استحقاق العبادة والمراد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للأصنام (فاستمعوا له) أي للمثل نفسه استماع تدبر
وتفكر أو فاستمعوا لأجله ما أقول فقوله تعالى (إن الذين تدعون من دون الله) إلى آخره بيان للمثل وتفسير له على الأول
وتعليل لبطلان جعلهم الأصنام مثلاً لله سبحانه في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنياً للفاعل ومبنياً
للمفعول والراجع إلى الموصول على الأولين محذوف (لن يخلقوا ذباباً) أي لن يقدروا على خلقه أبداً مع صغره
وحقارته فإن لن بما فيها من تأكيد النفي دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه (ولو اجتمعوا له) أي لخلقه وجواب لو محذوف
لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية أخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها أي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه و
لو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مراراً وهما في موضع الحال كأنه قيل لن يخلقوا ذباباً على كل حال (وإن يسلبهم الذباب
شيئاً) بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه أي إن يأخذ الذباب منهم شيئاً (لا
يستنقذوه منه) مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل في إشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد
بإيجاد كافة الموجودات تماثيل هي أعجز الأشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على أقل الأحياء وأذلها ولو اتفقوا عليه
بل لا تقوى على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطلبونها
بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب)
أي عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه عن الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك أو الصنم و
الذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أعجز من الذباب بدرجات وعابده أجهل
أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال (ما قدروا الله حق قدره) أي ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به
وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة (إن الله لقوي) على خلق الممكنات بأسرها وإفناء الموجودات
عن آخرها (عزيز) غالب على جميع الأشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لأذلها العاجزة عن أقلها والجملة تعليل لما قبلها
من نفي معرفتهم له تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلاً) يتوسطون بينه تعالى وبين الأنبياء عم بالوحي (ومن الناس)
وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني
يتلقون من جانب ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جانب الحق فيدعونهم إلى الله تعالى
بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه كأنه تعالى لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه فيها شيء
من الأشياء بين أن له عباداً مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم والاقتداء بهم إلى عبادته عز وجل وهو أعلى
المراتب وأقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريراً للنبوة وتزييفاً لقولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة
وقولهم إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله ونحو ذلك من الأباطيل (إن الله سميع بصير عليم)

لجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال • يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم • والى الله ترجع
الامور • لا الى احد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا • يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا • اي في صلوتكم
امرهم بها لانهم كانوا يفعلونها اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا
لله تعالى وخروا له سجدا • واعبدوا ربكم • بسائر ما تعبدكم به • وافعلوا الخير • وتحروا ما هو خير واصلح في كل ما تأتون
وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق • لعلكم تفلحون • اي افعلوا هذه كلها وانتم راجون
بها الفلاح غير متيقنين له واثقين باعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي رح لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عم
فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها • وجاهدوا في الله • اي لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة
كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عم انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
حق جهاده • اي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد
الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله • هو اجتباكم • اي هو اختاركم لدينه
ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه • وما جعل عليكم في الدين من حرج • اي ضيق بتكليف
ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم
حيث يشق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا
بان رخص لهم في المضائق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق
العباد • ملة ابيكم ابراهيم • نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اي وسع عليكم دينكم توسعة
ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلعم وهو كالاب لامته من
حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته
فغلبوا على غيرهم • هو سماكم المسلمين من قبل • في الكتب المتقدمة • وفي هذا • اي في القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده
انه قرئ الله سماكم او لابراهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم تكن منه كانت بسبب تسميته من قبل في
قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم المسلمين • ليكون الرسول • يوم القيامة
متعلق بسماكم • شهيدا عليكم • بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة وعصيان
من عصى • وتكونوا شهداء على الناس • بتبليغ الرسل اليهم • فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة •
اي فتقربوا الى الله بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما • واعتصموا بالله • اي ثقوا به
في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه • هو مولاكم • ناصركم ومتولي اموركم • فنعم المولى ونعم
النصير • اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير في الحقيقة سواه عز وجل عن النبي صلعم من قرأ سورة
الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

سورة المؤمنين وهي مائة وتسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون • الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن
المكروه وقيل البقاء في الخير والافلاح الدخول في ذلك كالابشار الذي هو الدخول في البشارة وقد يجيء متعديا
بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد هنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت

لا متوقع

لا متوقع الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا
بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة
من دواعي الفلاح بموجب الوعد الكريم هذا اذا اريد بالفلاح حقيقة الدخول في الفلاح الذي لا يتحقق الا في
الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضي
في محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلوني البراغيث وقرئ افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما في قول من
قال ولو ان الاطباء كان حولي والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله
عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى • الذين هم في صلوتهم خاشعون • وما عطف
عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهي صفات موضحة او
مادحة لهم حسبما ذكر في صدر سورة البقرة من الكلام مع الايمان اجمالا وتفصيلا كما مر في اوائل سورة البقرة والخشوع
الخوف والتذلل اي خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عم كان اذا صلى
رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت
جوارحه • والذين هم عن اللغو • اي عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال • معرضون • اي في عامة اوقاتهم
كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل في ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا و
مدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد في امور الدين كما قيل فان
ذلك ربما يوهم ان لا يكون في اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة
اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل
على تباعدهم عنه رأسا تسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه • والذين هم للزكوة
فاعلون • وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات
البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال
ملابسته بالخشوع في الصلوة والزكوة مصدر لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذي هو موقعه وقيل العين
قدم كغيره في تفسير قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف • والذين هم لفروجهم
حافظون • ممسكون لها من الاستمتاع • الا على ازواجهم • وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم
الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة وجواز ان يكون على بمعنى من والى به
ذهب الفراء ومن قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اي حافظون لها من كل احد الا من ازواجهم وقيل هي متعلقة
بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون اي حافظون لها في جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم
وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين وحمل القصر عليهن لكون المعنى حافظون فروجهم على الازواج لا يتعداهن ثم
يقال عن حافظين الا عليهن تأكيدا على ما يكيد تكلف على تكلف • او ما ملكت ايمانهم • اي سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن
لملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى • فانهم غير ملومين • تعليل لما يفيده الاستثناء
من عدم حفظ فروجهم منهن اي فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن • فمن ابتغى وراء ذلك • الذي ذكر من الحد

المتنع وهو ازيد من الحرائر من الاماء • فاولئك هم العادون • الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه
ما يدل صريحا على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما
انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك
ازواجكم فوجب ان لا تحل له لقوله تعالى الا على ازواجهم لان لهم ان يقولوا انها زوجة له في الجملة وان كان كل زوجة
ترث فهم لا يسلمون ايا ها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجته حال الحيوة لم يعد وان اريد بعد الموت فالملازمة
ممنوعة فليس لمنع محصل نعم لو عكس لكان له وجه • والذين هم لاماناتهم وعهدهم • لما يؤتمنون عليه
ويعاهدون من جهة الحق او الخلق • راعون • اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ
لامانتهم • والذين هم على صلواتهم • المفروضة عليهم • يحافظون • يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ
الفعل فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعها وليس فيه تكرير لان الخشوع في الصلوة غير المحافظة
عليها وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان المجموع الخشوع والمحافظة
فضيلة واحدة • اولئك • اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار
للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم
وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اي الاحقاء
بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الاموال والذخائر وكرائمها • الذين يرثون الفردوس
بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشانها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم
الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها
حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار • هم فيها • اي في الفردوس
والتانيث لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روي انه تعالى بنى جنة
الفردوس لبنة من فضة ولبنة من ذهب وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذري
وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان • خالدون • لا يخرجون منها ابدا والجملة اما مستانفة مقررة لما
قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون
منها • ولقد خلقنا الانسان • شروع في بيان مبدا خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة واطوار الفطرة
بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض منهم السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها و
المراد بالانسان الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق ادم عم خلقا اجماليا حسبما تحققه
في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار واطوار فبعيد • من سلالة • السلالة ما سل
من الشيء واستخرج فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة يكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه كالقلامة
والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق وما في قوله تعالى • من طين •
بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان يتعلق بسلالة على انها
بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان ادم عم فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وفي قوله

على التحقيق

على التحقيق • ثم جعلناه • اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لادم عم او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد
بالانسان ادم عم • نطفة • بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتاويل الجوهر او المسلول
او الماء • في قرار • اي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة ووصفها بقوله • مكين • وصف
لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت بحيث هي واحرزت • ثم خلقنا
النطفة علقة • اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء • فخلقنا العلقة مضغة • اي قطعة
لحم لا استبانة ولا تمايز فيها • فخلقنا المضغة • اي غالبها ومعظمها او كلها • عظاما • بان صلبناها و
جعلناها عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة • فكسونا العظام • المعهودة
• لحما • من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق
به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات
وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فقط
• ثم انشاناه خلقا اخر • هي صورة البدن والروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت
بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة رح على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه
خلق اخر • فتبارك الله • فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية
المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان
حق كل من سمع ما فصل من اثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه
تعالى • احسن الخالقين • بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست لفظية وقيل خبر
مبتدا محذوف اي هو احسن الخالقين خلقا اي المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه
حذف الماذون فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اي احسن الخالقين
خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره عم ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فانقلب مرفوعا فاستكن روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلعم الوحي فلما انتهى عم الى
قوله خلقا اخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عم فقال عم اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله
فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد
بن جبير عن ابن عباس رض ان هذا انزل بعمر وكان رضي الله عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع الصلوة
خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن
الاية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رض
وشقاوة ابن ابي سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ولا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم
القران وذلك قادح في اعجازه لان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الاية
الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله • ثم انكم بعد ذلك • اي بعد ما
ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في

الفضل والكمال وكونه بذلك مما زال منزلة الامور الحسية • لميتون • لصائرون الى الموت لا محالة
كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة الفاعل وقد قرئ لمائتون
• ثم انكم يوم القيمة • اي عند النفخة الثانية • تبعثون • من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب
• ولقد خلقنا فوقكم • بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقنا في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها
لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم • سبع طرائق • هي السموات السبع سميت بها لانها طورق
بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها
• وما كنا عن الخلق • عن ذلك المخلوق الذي هي السموات او عن جميع المخلوقات التي من جملتها او عن الناس
• غافلين • مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها
من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل الى ما في الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله
• وانزلنا من السماء ماء • هو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل من جملتها اربعة انهار سيحون نهر الهند
وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين
واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون
معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو
• بقدر • بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم او بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم
• فاسكناه في الارض • اي جعلناه ثابتا قارا فيها • وانا على ذهاب به • اي ازالته بالافساد والتصعيد
او التغوير بحيث يتعذر استنباطه • لقادرون • كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى
كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء
معين • فانشأنا لكم به • اي بذلك الماء • جنات من نخيل واعناب لكم فيها • في الجنات • فواكه كثيرة تتفكهون
بها • ومنها • من الجنات • تأكلون • تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته
ويجوز ان يعود الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر
والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه • وشجرة • بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع
على انه مبتدا خبره محذوف دل عليه ما قبله اي ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار
لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي اول شجرة تنبت بعد الطوفان ووصفها بقوله • تخرج من طور سيناء • وهو
جبل موسى عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء
اسم البقعة اضيف اليها والمركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه على قراءة من قرأ بكسر السين للتعريف
والعجمة او التانيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر
وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها
بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي لها وقوله تعالى • تنبت بالدهن

صفة

صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اي
تنبته بمعنى تتضمنه وتحمله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما
من الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير • رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا لهم حتى اذا انبت
البقل • او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن
وتخرج بالدهن وتنبت بالادهان • وصبغ للآكلين • معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي
الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز
اي يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ • وان لكم في الانعام لعبرة • بيان للنعم الفائضة عليهم
من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين مع كونها في نفسها نعمة
ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم قدرة الله
عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما ان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات و
قوله تعالى • نسقيكم مما في بطونها • تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما في بطونها عبارة اما عن الالبان
فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذي يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون
على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اي تسقيكم الانعام • ولكم فيها منافع كثيرة • غير ما ذكر من اصوافها
واشعارها • ومنها تأكلون • فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها • وعليها • اي على الانعام
فان الحمل عليها لا يقتضي الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هي الابل خاصة لانها
هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة • سفينة بر تحت خدي زمامها •
فالضمير فيه كما في قوله تعالى • وبعولتهن احق بردهن • وعلى الفلك تحملون • اي في البر والبحر وفي الجمع بينها وبين
الفلك في ايقاع الحمل عليها مبالغة في تحملها الحمل وهو الداعي الى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة
منها من ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه • شروع في بيان اهمال الامم السالفة
وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من
فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفي ايرادها اثر قوله
تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وتصدير
القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد ارسلنا نوحا الى اخره ونسبته الكريم وكيفية
بعثه وكمية لبثه فيما بينهم وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود • فقال • متعطفا عليهم
ومستميلا لهم الى الحق • يا قوم اعبدوا الله • اي اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى في سورة هود
ان لا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هي العبادة فقط واما العبادة بالاشراك فليس من
العبادة في شيء رأسا وقوله تعالى • ما لكم من اله غيره • استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها
او تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على انه فاعل او مبتدا خبره لكم او محذوف
ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ بالجر باعتبار لفظه • افلا تتقون •

أي أفلا تتقون أنفسكم عذابه الذي يستوجبه ما أنتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى إني
أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وفي سورة هود عذاب يوم أليم وقيل أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي
هو ربكم إلى آخره وليس بذاك وقيل أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه إلى آخره وفيه ما فيه والهمزة للإنكار الواقع
والاستقباح والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام أي أتعرفون ذلك أي مضمون قوله تعالى ما لكم من
إله غيره فلا تتقون عذابه بسبب إشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا إيجاد الله تعالى إياه فضلا
عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه أو ألا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا
الأمرين فالمبالغة حينئذ في الكمية وفي الأول في الكيفية • فقال الملأ • أي الأشراف • الذين كفروا
من قومه • وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للإيذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم
فيه أي قالوا لعوامهم • ما هذا إلا بشر مثلكم • أي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه
السلام بذلك مبالغة في وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة • يريد أن يتفضل عليكم •
أي يريد أن يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك إغضابا للمخاطبين
عليه عليه السلام وإغراء لهم على معاداته عم وقوله نوح • ولو شاء الله لأنزل ملائكة • بيان
لعدم رسالة البشر على الإطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عم أي لو شاء الله تعالى إرسال
الرسول لأرسل رسلا من الملائكة وإنما قيل لأنزل لأن إرسال الملائكة لا يكون إلا بطريق الإنزال
فمفعول المشيئة مطلق الإرسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره
• ما سمعنا بهذا • أي بمثل هذا الكلام الذي هو الأمر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ما سواه
وقيل بمثل نوح عم في دعوى النبوة • في آبائنا الأولين • أي الماضين قبل بعثته عم قالوه إما لكونهم
وآبائهم في فترة متطاولة وإما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وأياما كان
فقولهم هذا ينبغي أن يكون هو الصادر عنهم في مبادي دعوته عم كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فقال الملأ إلى آخره
وقيل معناه ما سمعنا به عم أنه نبي فالمراد بآبائهم الأولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عم أنه نبي
وقولهم المذكور هو الذي صدر عنهم في أواخر أمره عم وهو المحكي فيما بعده من حكاية دعائه عم وقولهم • إن
هو إلا رجل به جنة • أي جنون أو جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول • فتربصوا به • أي احتملوه واصبروا عليه
وانتظروا • حتى حين • لعله يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامي أحوالهم في المكابرة والعناد وإضرابهم عما وصفوه
عم به من البشرية وإرادة التفضل إلى وصفه عم بما ترى وهم يعرفون أنه عم أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا
وعلى الأول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله أنى يؤفكون • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ
من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عم بعدما سمع منهم هذه الأباطيل فقيل قال لما رآهم قد أصروا على الكفر
والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من إيمانهم بالكلية وقد أوحي إليه أنه لن يؤمن من قومك
إلا من قد آمن • رب انصرني • بإهلاكهم بالمرة فإنه حكاية إجمالية لقوله عم رب لا تذر على الأرض من
الكافرين ديارا إلخ • بما كذبون • أي بسبب تكذيبهم إياي أو بدل تكذيبهم • فأوحينا إليه • عند ذلك • أن

اصنع

• اصنع الفلك • أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول • بأعيننا • ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عم منه عز وجل
حفاظا وحراسا يحفظونه بأعينهم من التعدي أو من الزيغ في الصنعة • ووحينا • وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها
في قوله تعالى • فإذا جاء أمرنا • ترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالأمر العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم
اليوم من أمر الله لا الأمر بالركوب كما قيل وبمجيئه كمال اقترابه أو ابتداء ظهوره أي إذا جاء إثر تمام الفلك عذابنا
وقوله • وفار التنور • عطف بيان لمجيء الأمر روي أنه قيل له عم إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك
وكان تنور آدم عم فصار إلى نوح عم فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة
أي في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفصيله في تفسير
سورة هود عم • فاسلك فيها • أي أدخل فيها يقال سلك فيه أي دخل فيه وسلكه فيه أي أدخله فيه ومنه قوله
تعالى ما سلككم في سقر • من كل • أي من كل أمة • زوجين • ما يتعين في الفردين دون الجنسين أو النوعين وقرئ
بالإضافة على أن المفعول • اثنين • أي من كل أمة زوجين هما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن
والرماك وفي هذا صريح في أن الأمر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا
احمل فيها من كل زوجين فالوجه أن يحمل إما على أنه حكاية لأمر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي نيط به
الأمر التعليقي اعتناء بشأن المأمور به أو على أن ذلك هو الأمر السابق بعينه لكن لما كان الأمر التعليقي قبل
تحقق المعلق به في حق الجانب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه إنما حدث عند تحققه فحكي في صورة التنجيز
وقد مر في تفسير قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم • وأهلك • منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف
على زوجين أو اثنين على القراءتين لأدائه إلى اختلال المعنى أي واسلك أهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الأمر
بإدخالهم عما ذكر من إدخال الأزواج فيها لكونهم عريقا فيما أمر به من الإدخال فإنه يحتاج إلى مزاولة الأعمال منه
عم بل إلى معاونة من أهله وأتباعه وأما هم فإنما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولأن في المؤخر ضرب تفصيل
بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدي إلى الإخلال بتجاذب أطراف النظم الكريم • إلا من سبق عليه القول
منهم • أي القول بإهلاك الكفرة وإنما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله إن الذين سبقت
لهم منا الحسنى لكونه نافعا • ولا تخاطبني في الذين ظلموا • بالدعاء لإنجائهم • إنهم مغرقون • تعليل للنهي
أو لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء أي إنهم مقضي عليهم بالإغراق لا محالة لظلمهم بالإشراك وسائر المعاصي
ومن هذا شأنه لا يشفع ولا يشفع فيه كيف لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بإهلاكهم بقوله • فإذا استويت
أنت ومن معك • أي من أهلك وأتباعك • على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين •
على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين • وقل رب أنزلني • في السفينة أو منها
• منزلا مباركا • أي إنزالا أو موضع إنزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا أي موضع نزول • وأنت خير المنزلين •
أمر عليه السلام بأن يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به إلى الإجابة وإفراده عم بالأمر مع شركة الكل
في الاستواء والنجاة لإظهار فضله عم والإشعار بأن في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه • إن في ذلك • الذي ذكر
مما فعل به عم وبقومه • لآيات • جليلة يستدل بها أولو الأبصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار • وإن كنا لمبتلين • إن

مخففة من انّ واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف اى وانّ الشان كنا مصيبين
قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الايات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تع ولقد تركنا
ها اية فهل من مدكر • ثم انشانا من بعدهم • اى من بعد اهلاكهم • قرنا اخرين • هم عاد حسبما روى عن ابن عباس رض
وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود فى سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل
هم ثمود • فارسلنا فيهم • جعلوا موضعا للارسال كما فى قوله تع لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر
بان من ارسل اليهم لم ياتهم من غير مكانهم بل انما نشا فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تع • رسولا منهم • اى من
جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان فى قوله تع • ان اعبدوا الله • مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول
اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقوله تعالى • ما لكم من اله غيره • تعليل للعبادة المامور بها او للامر بها
او لوجوب الامتثال به • افلا تتقون • اى عذابه الذى يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف
كالذى مر فى قصة نوح عم • وقال الملا من قومه • حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق الذى تعلق
حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم عم اجمالا لا حكاية ما جرى بينه
وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى تحكى بطريق الاستيناف المبنى على السؤال كما ينبئ عنه ما سياتى
من حكاية سائر الامم اى وقال الاشراف من قومه • الذين كفروا • فى محل الرفع على انه صفة للملا وصفوا بذلك ذما
وتنبيها على غلوهم فى الكفر وتاخيره من قومه لتعلقه بقوله تعالى • وكذبوا بلقاء الاخرة • وما عطف عليه على الصلة الاولى
اى كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث • واترفناهم • ونعمناهم
فى الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اى قالوا لاعقابهم مضلين لهم • ما هذا الا بشر مثلكم • اى فى الصفات
والاحوال وابرار مثلكم على مثله للمبالغة فى تهوين امره عم وتوهينه • ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون
تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه • ولئن
اطعتم بشرا مثلكم • اى فيما ذكر من الاحوال والصفات اى ان امتثلتم باوامره • انكم اذا • اى على تقدير الاتباع
لخاسرون • عقولكم ومغبونون فى ارائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم
الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التى لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا وقع بين
اسم ان وخبرها لتاكيد مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة
اى والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون • ايعدكم • استيناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن
اتباعه عم بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده • انكم اذا متم • بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها
من مات يموت • وكنتم ترابا وعظاما • نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب اى كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا
وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او لكان معتقدكم ترابا صرفا
ومتاخرهم عظاما وقوله تعالى • انكم • تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تع • مخرجون • اى من
القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم والذى
يستدعيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم الى اخره • هيهات هيهات • تكرير لتاكيد البعد اى بعد

الرجوع

بالتنكير وبالضم منونا صح

الرجوع او الصحة • لما توعدون • وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما فى هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة
الاستبعاد قيل لما ذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون
وقرئ بالفتح منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف
وابدال التاء هاء • ان هى الا حيوتنا الدنيا • اصله ان الحيوة الا حيوتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة
الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول
ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله
تع • نموت ونحيى • جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هى الحيوة الدنيا اى يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض
العصر • وما نحن بمبعوثين • بعد الموت • ان هو • اى ما هو • الا رجل افترى على الله كذبا • فيما يدعيه من ارساله
وفيما يعدنا من ان الله تع يبعثنا • وما نحن له بمؤمنين • بمصدقين فيما يقوله • قال • اى هود عم عند يأسه من
ايمانهم بعدما سلك فى دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل • رب انصرنى • عليهم وانتقم لى منهم • بما كذبون
اى بسبب تكذيبهم اياى واصرارهم عليه • قال • تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول • عما قليل • اى عن
زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت فى قوله تع فبما رحمة من الله او نكرة موصوفة
اى عن شئ قليل • ليصبحن نادمين • على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم العذاب • فاخذتهم الصيحة
لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا فى تضاعيفها بصيحة هائلة ايضا وقد روى ان شداد بن عاد حين
اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب
والموت وقيل هى العذاب المصطلم قال قائل • صاح الزمان بال برمك صيحة • خروا لشدتها على
الاذقان • بالحق • متعلق بالاخذ اى بالامر الثابت الذى لا دافع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد
الصدق • فجعلناهم غثاء • اى كغثاء السيل وهو حميله • فبعدا للقوم الظالمين • اخبار او دعاء
وبعدا من المصادر التى لا يكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اى هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا
او وضع الظاهر موضع المضمر للتعليل • ثم انشانا من بعدهم • اى بعد هلاكهم • قرونا اخرين • هم قوم
صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم • ما تسبق من امة اجلها • اى ما تتقدم امة من الامم المهلكة
الوقت الذى عين لهلاكهم اى ما تهلك امة قبل مجئ اجلها • وما يستاخرون • ذلك الاجل ساعة وقوله
تع • ثم ارسلنا رسلنا • عطف على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل
على معنى ان ارسال كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشانا من بعدهم
قرونا اخرين قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة [illegible]
بعدم تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالى • تترى • اى متواترين
واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما فى تولج وتيقور والالف للتانيث باعتبار
ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى • كلما جاء امة رسولها
كذبوه • استيناف مبين لمجئ كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجئ اما التبليغ

وإما حقيقة الجمع للإيذان بأنهم كذبوه في أول الملاقاة وإضافة الرسول إلى الأمة مع إضافة كلهم فيما سبق إلى
نون العظمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمته الخاصة به لا أن كلهم جاء واكل الأمم وللإشعار بكمال شناعتهم و
ضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل لأن الإرسال لائق بالمرسل إليهم • فأتبعنا
بعضهم بعضا • في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة الأسباب التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي
• وجعلناهم أحاديث • لم يبق منهم إلا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة و
هي ما يتحدث به تلهيا كأعاجيب جمع أعجوبة وهي ما يتعجب منه أي جعلناهم أحاديث يتحدث به تلهيا وتعجبا •
فبعدا لقوم لا يؤمنون • اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الإيمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم إجمالا وأما
القرون الأولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم • ثم أرسلنا
موسى وأخاه هرون بآياتنا • هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم
والسنين ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها إذ المراد هي الآيات التي كذبوا واستكبروا
عنها • وسلطان مبين • أي الحجة الواضحة الملزمة للخصم وهي إما العصا وإفرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات
لما أنها أم آياته عم وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما أفكته السحرة
حسبما فصل في تفسير سورة طه وأما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها
وصيرورتها شمعة وشجرة مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد
فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام وإما نفس الآيات كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام •
وليث الكتيبة في المزدحم • عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا
لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي • إلى فرعون وملائه • أي أشراف قومه خصوا بالذكر لأن إرسال بني إسرائيل
منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم • فاستكبروا • عن الانقياد وتمردوا • وكانوا قوما عالين • متكبرين
متمردين • فقالوا • عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أي كانوا قوما عادتهم الا
الاستكبار والتمرد أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة • أنؤمن لبشرين مثلنا • ثنى البشر لأنه يطلق
على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فإما ترين من البشر أحدا ولم يثن المثل
نظرا إلى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال
الأنبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات أفرادها في مراقي
الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون
بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب
ويلقون إلى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل إلى جناب الحق وبعضها في
أسفل سافلين كأولئك الجهلة الكفرة الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا • وقومهما • يعنون بني إسرائيل
لنا عابدون • أي خادمون منقادون لنا كالعبيد كأنهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عم وحط
رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدم عليه

رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لإنكار الإيمان لهما بناء على زعمهم
الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسة الدنيوية الدائرة على
التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما
سبقونا إليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بأن مناط
الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية وإحراز الملكات السنية
جبلة واكتسابا • فكذبوهما • أي فتموا على تكذيبهما وأصروا واستكبروا استكبارا • فكانوا
من المهلكين • بالغرق في بحر قلزم • ولقد آتينا • أي بعد إهلاكهم وإنجاء بني إسرائيل من ملكتهم •
موسى الكتاب • أي التوراة وحيث كان إيتاؤه عم إياها لإرشاد قومه إلى الحق كما هو
شأن الكتب الإلهية جعلوا كأنهم أوتوها فقيل • لعلهم يهتدون • أي إلى طريق الحق بالعمل بما فيها
من الشرائع والأحكام وقيل أريد آتينا قوم موسى بحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كما في قوله تعالى
على خوف من فرعون وملائهم أي من آل فرعون وملائهم ولا سبيل إلى عود الضمير إلى فرعون وقومه لظهور
أن التوراة إنما نزلت بعد إغراقهم لبني إسرائيل وأما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
من بعد ما أهلكنا القرون الأولى فمما لا سبيل إليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الأولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم
من الأمم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص • وجعلنا
ابن مريم وأمه آية • أي آية دالة على عظم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد نسب إليهما
أو جعلنا ابن مريم آية بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأن ولدته من غير مسيس فحذف الأولى
لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه ابنها وكونها أمه للإيذان من أول الأمر بحيثية كونهما
آية فإن نسبته عم إليها مع أن الانتساب إلى الآباء دالة على أن لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون
له أب وأمه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الأب آية وتقديمه عليه السلام لأصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديمها
في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لأصالتها فيما نسب إليها من الإحصان والنفخ • وآويناهما إلى
ربوة • أي أرض مرتفعة قيل هي إيلياء أرض بيت المقدس فإنها مرتفعة وأنها كبد الأرض وأقرب الأرض إلى السماء
بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فإن قراها على الربى
وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم • ذات قرار • مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها
• ومعين • أي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء إذا جرى وأصله الإبعاد في الشيء ومن الماعون وهو
النفع لأنه نفاع أو مفعول من عانه إذا أدركه بالعين فإنه لظهوره يدرك بالعيون ووصف ماؤها بذلك للإيذان
بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق
• يا أيها الرسل كلوا من الطيبات • حكاية لرسول الله صلعم على وجه الإجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء
بها إثر حكاية إيواء عيسى وأمه إلى الربوة إيذانا بأن ترتيب مبادي التنعم لم تكن من خصائصه عم وإنما أمره إلى الربوة
إيذانا بأن ترتيب مبادي التنعم بل إباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عم ووصوا به أي وقلنا لكل

رسول كل من الطيبات بشرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام واعملوا صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة
المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبانية من رفض الطيبات
ما لا يخفى وقيل ذكر لعيسى عم وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتدى بالرسل في تناول ما رزقا وقيل نداء وخطاب له
والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله انه خطاب لرسول الله وحده على داب
العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب
ويستلذ من مباحات الماكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم ومقام الترفيه واعملوا صالحا
اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة عليم
فاجازيكم عليه وان هذه استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق
لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها
في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة امتكم اي ملتكم وشريعتكم ايها
الرسل امة واحدة اي ملة وشريعة متحدة في اصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة
الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة وانا
ربكم من غير ان يكون لي شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى فاتقون اي في شق العصا والمخالفة
بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بي للرسل والامم جميعا على ان الامر في حق الرسل للتهييج والالهاب
وفي حق الامم للتحذير والايجاب والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى
واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرئ وان مخففة بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم
امة وانا ربكم فاتقون اي فاتقون كما في قوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا وقيل على العطف على ما اي اني عليم بان
امتكم الى آخره وقيل على حذف فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الى آخره وقرئ وان هذه على انها مخففة من
ان فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة
من اربابها او لها على التكثير والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اي قطعوا امر دينهم مع اتحاده
وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء
جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا
ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من اولئك
المتحزبين بما لديهم من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون معتقدون انه الحق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم
فيه من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب لرسول الله صلعم و
الفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل
كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم حتى حين هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد
لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلعم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وفي التنكير في
الابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما نمدهم به اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى

تع من مال

تع من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف لا خبر لان
وانما الخبر قوله تعالى نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اي ايحسبون ان الذي نمدهم به من المال والبنين
نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تع بل لا يشعرون عطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتاملوا
ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدهم
على الغيبة يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم
مشفقون استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم
الكاذب اي من خوف عذابه حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها
والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك عبر عنه بعد الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في
المواقع الثلثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون ما آتوا اي يعطون ما
اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضي
في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة حال من
فاعل يؤتون او يأتون اي يؤتون ما آتوا او يفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد
الخوف انهم الى ربهم راجعون اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك و
ان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تع والموصولات الاربعة
عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها
متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون
الى آخره وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لا
ستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات
اي في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تع فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة وقوله تع وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم
خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى استحقاقهم
لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون
عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تع وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية وهم لها سابقون
اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد
بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها
سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون
من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية

على أن لا نكلف نفساً من النفوس إلا ما في وسعها على أن المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مراراً أو
للتحريض على ما هو قاصر عن درجة أعمال أولئك الصالحين ببيان أنه تعالى لا يكلف عباده إلا ما في وسعهم فإن لم يبلغوا في فعل الطاعات
مراتب السابقين فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعداً ومن لم يستطع
القعود فليوم إيماء وقوله تعالى ● ولدينا كتاب ● إلى آخره تتمة لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الأعمال وأحكامها المترتبة
عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الأعمال التي يقرؤونها عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى
ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون أي عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل أحد
على ما هي عليه أو أعمال السابقين والمقتصدين جميعاً لا أنه أثبت فيه أعمال الأولين فقط وقطع معذرتهم أيضاً وقوله
بالحق متعلق بينطق أي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتاً أو وصفاً ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره
للسامع فيظهر هنالك جلائل أعمالهم ودقائقها ويترتب عليها أجزيتها إن خيراً فخير وإن شراً فشر وقوله تعالى ● وهم لا يظلمون ●
بيان لتفضله تعالى وعدله في الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها
بالحق وقد جوز أن يكون تقريراً لما قبله من التكليف وكتب الأعمال أي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب
بعض أعمالهم التي من جملتها أعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة أعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها
وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الأمور بالظلم مع أن شيئاً منها ليس بظلم على ما تقرر من أن الأعمال الصالحة لا توجب
أصل الثواب فضلاً عن إيجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الإثابة بما دونها نقصاً وكذلك الأعمال السيئة لا توجب
درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا التكليف بما في الوسع وكتب الأعمال ليس مما
يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلماً لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه
تعالى وتسميتها باسمه ودونكه ● بل قلوبهم في غمرة من هذا ● إضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله أي بل
قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من أن لديه تعالى كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم
السيئة على رؤوس الأشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم إلى آخره
وقيل مما عليه أولئك الموصوفون بالأعمال الصالحة ● ولهم أعمال ● سيئة كثيرة ● من دون ذلك ● الذي ذكر
من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سيأتي من طعنهم في القرآن
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامراً تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الأعمال الصالحة
المذكورة وفيه أنه لا مزية في وصف أعمالهم الخبيثة بالتخطي للأعمال الحسنة للمؤمنين وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك
ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره ● هم لها عاملون ● معتادون فعلها لا يكادون يبرحونها ● حتى إذا أخذنا مترفيهم ● أي متنعميهم وهم الذين
أمدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لأعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية
أي لا يزالون يعملون أعمالهم إلى حيث إذا أخذنا رؤساءهم ● بالعذاب ● قيل هو القتل والأسر يوم بدر وقيل هو
الجوع الذي أصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلعم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والأولاد والحق أنه العذاب الأخروي إذ هو الذي يفاجئون
عنده الجؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فإن المراد به ما

العذاب

العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر حتماً وأما عذاب الجوع فإن أبا سفيان وإن تضرع فيه
إلى رسول الله صلعم لكن لم يرد عليه بالإقحاط حيث روي أنه عليه السلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك ●
إذا هم يجأرون ● أي فاجؤوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى فإليه تجأرون وهو جواب
الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الأخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضاً لغاية ظهور انعكاس
حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم ولأنهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم
حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم أولى وأقدم ● لا تجأروا اليوم ● على
إضمار القول مسوق لردهم وتبكيتهم وإقناطهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة من الإغاثة والإعانة
من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والإيذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت
خبير بأن المقصود الأصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك إلى أن يكون مفاجأتهم إلى الجؤار غير مقصود
أصلي وقوله تعالى ● إنكم منا لا تنصرون ● تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم إفادته ونفعه أي لا يلحقكم من
جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لأن جؤارهم
ليس إلى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فإن قوله تعالى ● قد كانت آياتي تتلى عليكم ●
إلى آخره صريح في أنه تعليل لما ذكر من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان المعنى
عدم منعهم من الغير لعلل بعجزه وذلته أو بعزة الله تعالى وقوته أي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا ● فكنتم على
أعقابكم تنكصون ● أي تعرضون عن سماعها أشد الإعراض فضلاً عن تصديقها والعمل بها والنكوص
الرجوع قهقرى ● مستكبرين به ● أي بالبيت الحرام أو بالحرم والإضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم و
افتخارهم بأنهم خدامه وقوامه أو بكتابي الذي عبر عنه بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب ولأن
استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه ويجوز أن يتعلق الباء بقوله تعالى ● سامراً ● أي يسمرون
بذكر القرآن وبالطعن فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر
القرآن وتسميته سحراً وشعراً والسامر كالحاضر في الإطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء بلفظ الفاعل و
قرئ سمراً وسماراً وأن يتعلق بقوله تعالى ● تهجرون ● من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أي تهذون في شأن
القرآن أو تتركونه وهو من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من الإهجار بمعنى الإفحاش فيه و
قرئ تهجّرون من الهجر الذي هو مبالغة في هجر إذا هذى ● أفلم يدبروا القول ● الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه
والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم
يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من إعجاز النظم وصحة المدلول والإخبار عن الغيب أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلاً
عما فعلوا في شأنه من القبائح وأم في قوله تعالى ● أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ● منقطعة وما فيها من
معنى بل للإضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع أي بل
أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر
والضلال يعني أن مجيء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى إنكاره وأن مجيء

القرآن على طريقة فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يأت آباءهم الاولين كاسمعيل
عم واعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مر وتبع وضبة
بن اد فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه • ام لم يعرفوا رسولهم • اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ
بوجه آخر والهمزة للانكار للوقوع ايضا اى بل الم يعرفوه عم بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم
مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عم • فهم له منكرون • اى جاحدون بنبوته
فحوى ما هم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عم ومن ضرورة انتفاء الملزوم بطلان ما بنى عليه اذ فهم عارفون له عم
فهو كما قيل • ام يقولون به جنة • انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كما الاولى اى بل ايقولون به جنة
اى جنون مع انه ارجح الناس عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رأيا واوفرهم رزانة ولقد روعى فى هذه التوبيخات
الاربعة التى اثنان منها متعلقان بالقرآن واثنان بالرسول عم الترقى من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم
التدبر وذلك يتحقق مع تلقى القول بقبول ما ثم ترقى الى نوع من الوجاهة ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا
لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول عم من عدم معرفتهم به عم وذلك يتحقق بعدم المعرفة
بحقه ولا كثير ثم بما لو كان فيه عم ذلك لقدح فى رسالته عم • بل جاءهم بالحق • اى الصدق الصادق والثابت الذى
لا محيد عنه اصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه • واكثرهم للحق • من حيث هو حق اى حق كان لا
لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار فى موقع الاضمار • كارهون • لما فى جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب
للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضى الا
عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافى كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم
بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة الحق وانت
خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا • ولو اتبع
الحق اهواءهم • استيناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التى ما كرهوه الا لعدم موافقته اياها من الحق الذى من جملته
ما جاء به عم موافقا لاهوائهم الباطلة • لفسدت السموات والارض ومن فيهن • وخرجت عن الصلاح
والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى و
اما ما قيل لو اتبع الحق الذى جاء به عم اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر فعينه
انه لا يلائم فرض مجيئه عم به وكذا ما قيل لو كان فى الكون آلهة لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم
وخرج عن الالهية فما لا احتمال له اصلا • بل اتيناهم بذكرهم • انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذى به يقوم
العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذى
هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذى
كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل اقبال • فهم • بما فعلوا من النكوص • عن ذكرهم • اى فخرهم وشرفهم خاصة
معرضون • لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفى وضع الظاهر موضع المضمر مزيد تشنيع
لهم وتقريع والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من اتيانه اياهم بالذكر بالاعراض على الاتيان

معطلة وفى اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عم تنويه لشأن النبى عم
وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفى ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عم بعنوان الحقية وعند
نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من
جاء به هو الذى يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون فى شأنه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله
صلعم احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم وايد ذلك
بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس بمثابة اعراضهم عن شرفهم او عن
ذكرهم الذى يتمنونه فى الشناعة والقباحة • ام تسألهم • انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به
جنة الى التوبيخ بوجه آخر كانه قيل ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة • خرجا • اى جعلا فلاجل ذلك لا
يؤمنون بك وقوله تعالى • فخراج ربك خير • اى رزقه فى الدنيا وثوابه فى الآخرة تعليل لنفى السؤال المستفاد
من الانكار اى لا تسألهم فان ما رزقك الله تعالى فى الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفى التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عم من تعليل الحكم وتشريفه عم ما لا يخفى والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك
والخراج غالب فى الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج وفى
النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخراجا فخراج • وهو خير الرازقين • تقرير لخيرية خراجه تعالى
وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم • تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب
اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وعلا وازاح عللهم فى هذه الآيات حيث اقسام ما يؤدى
الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم • وان الذين لا يؤمنون بالآخرة • وصفوا
بذلك تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك فى الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الا
يمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهى من اقوى الدواعى الى طلب الحق وسلوك سبيله • عن الصراط • اى
عن جنس الصراط • لناكبون • لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذى ندعوهم اليه
والاول دل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لانه ينبئ عن كونهم بمعزل مما يطلق عليه اسم الصراط ولو
كان معوجا • ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر • اى قحط وجدب • للجوا لتمادوا • فى طغيانهم • افراطهم فى الكفر
والاستكبار وعداوة الرسول عم والمؤمنين • يعمهون • اى عامهين عن الهدى روى انه لما اسلم ثمامة
بن اثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان
الى رسول الله صلعم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء
بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا
الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط فى الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس و
قد كان كذلك وقوله تعالى • ولقد اخذناهم بالعذاب • استيناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية
والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التى من جملتها القحط
المذكور واللام جواب قسم محذوف اى وبالله لقد اخذناهم بالعذاب • فما استكانوا لربهم • بذلك اى لم

تخضعوا ولم يتذللوا على أنه إما استفعال من الكون لأن المفتقر الخاضع ينتقل من كون إلى كون أو افتعال
من السكون أشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل أقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله
تعالى وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي وليس من عادتهم التضرع إليه تعالى حتى إذا فتحنا عليهم
بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتّحنا بالتشديد
إذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير أي محناهم بكل محنة من القتل والأسر والجوع وغير ذلك فما
رؤي منهم لين مقادة وتوجه إلى الإسلام قط وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى
والتضرع إليه تعالى في شيء وإنما هو نوع خنوع إلى أن يتم غرضه فحاله كما قيل إذا جاع ضغا وإذا شبع طغى وأكثرهم مستمرون
على ذلك إلى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فإنه أشد وأعم من القتل والأسر
والمعنى أخذناهم أولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى
فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو أطم وأتم فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك أعتاهم وأشدهم شكيمة
في العناد يستعطفك والوجه هو الأول وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار لتحسوا بها ما نصب من الآيات التنزيلية
والتكوينية والأفئدة لتتفكروا بها فيما تشاهدونها وتعتبروا بها قليلا ما تشكرون أي شكرا قليلا
غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لأن العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في أنفسها نعم باهرة إلى ما
خلقت هي له وأنتم تخلون بذلك إخلالا عظيما وهو الذي ذرأكم في الأرض أي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل
وإليه تحشرون أي تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا إلى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه وهو الذي يحيي
ويميت من غير أن يشاركه في ذلك شيء من الأشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار أي هو المؤثر
في اختلافهما أفلا تعقلون أي ألا تتفكرون فلا تعقلون أو أتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن
الكل منا وأن قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على أن الالتفات إلى الغيبة
لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على أن الخطاب الأول لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا
عطف على مضمر يقتضيه المقام أي فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الأولون أي آباؤهم ومن دان بدينهم
قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الإجمال
وقدم السلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا أي البعث من قبل متعلق بالفعل من
حيث إسناده إلى آبائهم لا إليهم أي وعد آباؤنا من قبل أو بمحذوف وقع حالا من آبائنا أي كائنين من
قبل إن هذا إلا أساطير الأولين أي أكاذيبهم التي سطروها جمع أسطورة كأحدوثة وأعجوبة وقيل
جمع أسطار جمع سطر قل لمن الأرض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم إن كنتم تعلمون
جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه أي إن كنتم تعلمون شيئا ما فأخبروني به فإن ذلك كاف
في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الأمر وفي تجهيلهم ما لا يخفى أو إن كنتم تعلمون ذلك فأخبروني وفيه
استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك أخبر بجوابها قبل أن يجيبوا حيث قيل سيقولون لله لأن بديهة
العقل تضطرهم إلى الاعتراف بأنه تعالى خالقها قل أي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم أفلا تذكرون أي

اتعلمون

أتعلمون ذلك أو تقولون ذلك فلا تتذكرون أن فطر الأرض وما فيها ابتداء قادر على إعادتها ثانيا
فإن البدء ليس بأهون من الإعادة بل الأمر بالعكس في قياس العقول وقرئ تتذكرون على الأصل قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم أعيد لفظ الرب تنويها لشأن العرش ورفعا لمحله من
أن يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعي في الأمر بالسؤال الترقي من الأدنى إلى الأعلى
سيقولون لله باللام نظرا إلى معنى السؤال فإن قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ ما بعده
بغير لام نظرا إلى لفظ السؤال قل إفحاما لهم وتوبيخا أفلا تتقون أي أتعلمون ذلك ولا تتقون أنفسكم
عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شركاء في الربوبية قل من بيده
ملكوت كل شيء مما ذكر ومما لم يذكر أي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير أي يغيث غيره إذا
شاء ولا يجار عليه أي ولا يغيث أحد عليه أي لا يمنع أحد منه بالنصر عليه إن كنتم تعلمون
أي شيئا ما أو ذلك فأجيبوني على ما سبق سيقولون لله أي لله ملكوت كل شيء وهو الذي
يجير ولا يجار عليه قل فأنى تسحرون أي فمن أين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به
إلى ما أنتم عليه من الغي فإن من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل أتيناهم بالحق الذي
لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وإنهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وإنكار البعث
ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون إن الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وما كان معه من إله يشاركه في الألوهية كما يقوله عبدة الأوثان وغيرهم إذا لذهب كل إله
بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه أي لو كان معه آلهة كما تزعمون لذهب
كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب
كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل
لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب الوجود واحد بالذات سبحان
الله عما يصفون أي يصفونه به من أن يكون له أنداد وأولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على أنه
بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وأيا ما كان فهو دليل آخر على انتفاء
الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون فإن
تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له شريك قل رب إما تريني أي إن كان لا بد من أن تريني
ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستأصل وأما العذاب الأخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني
في القوم الظالمين أي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه إيذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب
وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به ورد لإنكارهم إياه واستعجالهم به على طريقة
الاستهزاء وقيل أمر به هضما لنفسه وقيل لأن شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي أنه تعالى أخبر نبيه عم بأن له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها
فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لإبراز كمال الضراعة والابتهال وإنا على أن نريه

ما نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون
أو لأنا لا نعذبهم وأنت فيهم وقيل قد أراه ذلك وهو ما أصابهم يوم بدر أو فتح مكة ولا يخفى بعده فإن المبادر
أن يكون ما يستحقونه كمل العذاب الموعود عذابا بما يلا مستأصلا لا يظهر على يده عم لحكمة الداعية إليه ادفع
بالتي هي أحسن السيئة وهو الصفح عنها والإحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي إلى وهن في الدين وقيل هي
كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الأمر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة
لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموصوف للاهتمام نحن أعلم بما يصفون
أي بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف ما أنت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله
عم وإرشاد له عم إلى تفويض أمره إليه وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين أي وساوسهم المغرية
على خلاف ما أمر به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض
شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الإسراع والوثوب والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو
لتعدد المضاف إليه وأعوذ بك رب أن يحضرون أمره عم بالتعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما أمره بالعوذ من
همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم وإعادة الفعل مع تكرير النداء لإظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض
نهاية الابتهال في الاستدعاء أي أعوذ بك من أن يحضروني ويحوموا حولي في حال من الأحوال وتخصيص
حال الصلوة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس رضه وحال حلول الأجل كما روي عن عكرمة رح لأنها أحرى
الأحوال بالاستعاذة منها حتى إذا جاء أحدهم الموت حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على
الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للإغضاء بالاستعاذة به تعالى من
الشياطين أن يزلوه عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى أنه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى أنه معمول
محذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون في غاية البعد لفظا ومعنى أي يستمرون على الوصف المذكور حتى إذا
جاء أحدهم أي أحد كان الموت الذي لا مرد له وأحوال الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الإيمان والطاعة
رب ارجعون أي ردوني إلى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك و
نظائره لعلي أعمل صالحا فيما تركت أي في الإيمان الذي تركته لم ينظمه في سلك الرجاء كسائر الأعمال الصالحة
بأن يقول لعلي أومن فأعمل في آخره للإشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غني عن الإخبار بوقوعه فضلا عن كونه مرجو
الوقوع أي لعلي أعمل في الإيمان الذي آتي به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال أو من الدنيا وعنه عم
إذا عاين المؤمن الملئكة قالوا نرجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار الهموم والأحزان بل قدوما إلى الله تبارك
وتعالى وأما الكافر فيقول ارجعوني كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها إنها أي قوله رب ارجعون
إلى آخره كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم أي أمامهم والضمير للأحد والجمع
باعتبار المعنى لأنه في حكم كلهم كما أن الإفراد في الضمائر الأول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة
إلى يوم يبعثون يوم القيمة وهو إقناط كلي عن الرجعة إلى الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلى الدنيا
وإنما الرجعة حينئذ إلى الحيوة الأخروية فإذا نفخ في الصور لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي تقع عندها

البعث

البعث والنشور وقيل المعنى فإذا نفخ في الأجساد أرواحها على أن الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة
به بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا أنساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء
الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو لا أنساب يفتخرون بها يومئذ كما هي
بينهم اليوم ولا يتساءلون أي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله وأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون لأن هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزوناته
من العقائد والأعمال أي فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى فأولئك هم المفلحون
الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب ومن خفت موازينه ومن لم يكن له من العقائد و
الأعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل في هذا المقام
في تفسير سورة الأعراف فأولئك الذين خسروا أنفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها
لنيل كمالها واسم الإشارة في الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما أن إفراد الضميرين في الصلتين باعتبار
لفظه في جهنم خالدون بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح إلا أنه
أشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لأنها أشرف الأعضاء فبيان حالها أزجر عن المعاصي المؤدية إلى النار
وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان
وقرئ كلحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم على إضمار القول أي يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به
من العذاب ألم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه إضافتها إلى أنفسهم وقرئ شقاوتنا بالفتح وشقاوتنا أيضا بالفتح و
الكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف
منهم بأن ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم وأما ما قيل من أنه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من السعادة والشقاوة
إلا علم الله تعالى أنهم يفعلونه باختيارهم ضرورة أن العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا أخرجنا منها فإن عدنا
فإنا ظالمون أي أخرجنا من النار وأرجعنا إلى الدنيا فإن عدنا بعد ذلك إلى ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فإنا متجاوزون في
الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم أنهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة إلى الدنيا ولما وعدوا الإيمان والعمل الصالح
بل قولهم فإن عدنا صريح في أنهم حينئذ على الإيمان والطاعة وأن الموعود على تقدير الرجعة إلى الدنيا الثبات عليهما
لا إحداثهما قال اخسؤوا فيها أي اسكتوا في النار سكوت هوان وذل وانزجروا انزجار الكلاب إذا زجرت
من خسأت الكلب إذا زجرته فخسأ أي انزجر ولا تكلمون أي باستدعاء الإخراج من النار والرجع إلى الدنيا
وقيل لا تكلمون في رفع العذاب أو تخفيفه قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك
إلا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى إنه
تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أي إن الشأن وقرئ بالفتح أي لأن الشأن كان فريق من عبادي وهم
المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة رضوان الله عليهم أجمعين يقولون في الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا
وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا أي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لأنكم كنتم تستهزئون بالداعين بقولهم ربنا

الشقاوة الأزلية فمع أنه باطل في نفسه لما أنه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة

امنا الى اخره وتتشاغلوا باستهزائهم • وكنتم منهم تضحكون • وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى • انى جزيتهم اليوم
استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم • بما صبروا • بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى
انهم هم الفائزون • ثانى مفعولى الجزاء اى جزيتهم فوزهم بمجامع مرادهم مخصوصين به وقرئ بالكسر على انه
تعليل للجزاء وبيان لكونه فى غاية ما يكون من الحال • قال • اى الله عز وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا
فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها الى اخره وقرئ قل على الامر
للملك • كم لبثتم فى الارض • التى تدعون ان ترجعوا اليها • عدد سنين • تمييز لكم • قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم • استقصارا لمدة لبثهم فيها • فاسأل العادين • اى المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل
من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد واحصاء اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم ايضا يقولون ما نقول
كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العاديين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون
مدة لبثهم • قال • اى الله تعالى او الملك وقرئ قل كما سبق • ان لبثتم الا قليلا • تصديقا لهم فى ذلك • لو انكم كنتم
تعلمون • اى تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى لعلمتم يومئذ
قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها • افحسبتم انما خلقناكم عبثا • اى الم تعلموا شيئا فحسبتم
انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثا حال من نون العظمة اى عابثين او مفعول له اى انما خلقناكم للعبث
وانكم الينا لا ترجعون • عطف على انما اى ان خلقناكم بغير بعث من قبيل العبث وانا خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم
وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع • فتعالى الله • استعظام له تعالى ولشئونه التى تصرف عليها عباده من البدء
والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته واحواله
وافعاله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة • الملك الحق • الذى يحق له الملك على الاطلاق
ايجادا واعداما بدءا واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته • لا اله الا هو
فان كل ما عداه عبيده • رب العرش الكريم • فكيف بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما
لانه منه ينزل الوحى الذى منه القرآن الكريم او الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ
الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما فى قوله تعالى ذو العرش المجيد • ومن يدع مع الله الها آخر • يعبده افرادا او
اشراكا • لا برهان له به • صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جىء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على
ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقل بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك
من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه • فانما حسابه عند ربه • فهو مجازيه بمقدار ما يستحقه • انه
لا يفلح الكافرون • اى ان الشان الخ وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه
انه لا يفلح هو فى معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن
الكافرين ثم امر رسوله صلعم بالاستغفار والاسترحام فقيل • وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين •
ايذانا بانهما من اهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه
عن النبى صلعم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت

وعنه عم

اربع وستون آيه

وعنه عم انه قال لقد انزل علىّ عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر
وروى ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من اخرها فقد نجا وافلح

سورة النور مدنية وهى ستون واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

• سورة • خبر مبتدأ محذوف
اى هذه سورة وانما اشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها فى شرف الذكر فى حكم الحاضر المشاهد
وقوله تعالى • انزلناها • مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة
من حيث الصفات واما كونها مبتدأ محذوف الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فيأباه ان
ان مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا ان فى جملة ما اوحى الى النبى صلعم سورة شأنها كذا
وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم ان غيرها من السور الكريمة ليست على تلك
الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره انزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب او على تقدير اقرأ
ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلناها النصب على الوصفية • وفرضناها •
اى اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ
فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف
• وانزلنا فيها • اى فى تضاعيف السورة • آيات بينات • ان اريد بها الآيات التى نيطت
بها الاحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها فى السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها
على احكامها على معانيها على الاطلاق فانها اسوة لسائر الآيات فى ذلك وتكرير انزلنا مع استلزام
انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وان اريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال
الكل على كل واحد من اجزائه وتكرير انزلنا مع ان جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها
لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى
ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا • لعلكم تذكرون •
بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء فى الذال اى تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع
الحوادث الداعية الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان يكون على ذكر منهم بحيث متى مست
الحاجة اليها استحضروها • الزانية والزانى • شروع فى تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان احكامها
والزانية هى المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزانى لانها
الاصل فى الفعل لكون الداعية فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى
• فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة • والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير
والتى زنت والذى زنى كما فى قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف اى فيما انزلنا
او فيما فرضنا الزانية والزانى اى حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الى آخره بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما فى
حق المحصن وغيره وقد نسخ فى حق المحصن قطعا ويكفينا فى تعيين الناسخ القطع بانه عم قد رجم ماعزا وغيره
فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة المتفق عليها فى رجم الزناة بها على الكتاب وروى عن على رضى الله

جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلعم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة وهي الشيخ والشيخة
اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه
● ولا تأخذكم بهما رأفة ● وقرئ بفتح الهمزة وبالمد ايضا على فعالة اي رحمة ورقة ● في دين الله ● في طاعته
واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلعم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والالهاب فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد
في اجراء احكامها وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل ● وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين ● اي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب و
الطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول الشيء من الطوف واقلها ثلثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس
رضي الله عنه اربعة الى اربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر ● الزاني لا ينكح
الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك ● حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر
المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من صعفة المهاجرين في نكاح موسرات
كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلعم في ذلك فنفروا عنه ببيان انه من افعال
الزناة وخصائص المشركين كانه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا احدهما
فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما او تتسموا بسمتهما فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هي الثانية
اما للتعويض بتوسيمهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن او لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر
والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على ان مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك
وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة ● وحرم ذلك ● اي
نكاح الزواني ● على المؤمنين ● لما ان فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة
والطعن في النسب واختلال امر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق باحد من الادانى
والاراذل فضلا من المؤمنين ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به
والتحريم على حقيقته والحكم اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول
للمسافحات ويؤيده ما روي انه عم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان ● والذين يرمون المحصنات ● بيان لحكم العفائف اذا
نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزواني يعني الاحصان هيهنا مع مدلوله الوضعي هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ
والاسلام وعن التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المبني عن صلابة الآلة وايلام المرمي وبعده عن
الرامي ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد بهن رميهن بالزنا لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء
بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة
التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على ان فيه
مؤنة بيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على

ان فيه

ان فيه تشنيعا للمصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا ● ثم لم
يأتوا باربعة شهداء ● يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخر الاتيان بالشهود
كما ان في كلمة لم اشارة الى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه عند الاداء
خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون احدهم زوج
المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء ● فاجلدوهم ثمانين جلدة ● لظهور كذبهم وافترائهم
بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون والانتصاب على انه
كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان حكم رمي المحصنين ايضا ذلك لخصوص الواقعة
وشيوع الرمي فيهن ● ولا تقبلوا لهم شهادة ● عطف على اجلدوا داخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه
مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام
في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها و
فائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة
الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة عن اهليته السابقة بل من اهلية
حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون بسب الكفار
فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك بمعزل من الاعتبار
فضلا عن معارضة النص لا يخفى حاله فان المعنى لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي
● ابدا ● اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم
اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله ● واولئك هم الفاسقون ● كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين
لسوء حالهم عند الله عز وجل وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك
هم المحكوم عليهم بالفسق لا غيرهم من الفسقة وهو منسوخ ● الا الذين تابوا ● استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل
الآتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وهو منسوخ ● من بعد ذلك ● لتهويل المتوب عنه اي من بعد
ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل ● واصلحوا ● اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومنه
الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف ● فان الله غفور رحيم ● تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن
المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى
مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فحمل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من
الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فينتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها ● والذين يرمون ازواجهم ●
بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات
لاستلزام تأخر الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص
متراخي النزول بل يكون ناسخا لعمومها ضرورة تراخي نزولها كما سيأتي فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة
فيما بقي بعد النسخ كما بين في موضعه ان دليل النسخ غير معلل ● ولم يكن لهم شهداء ● يشهدون بما رموهن به من الزنا

وقرئ بتأنيث الفعل • إلا أنفسهم • بدل من شهداء أو صفة لها على أن إلا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء
إيذاناً من أول الأمر بعدم إلغاء قولهم بالمرة ونظمهم في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن إضافة
الشهادة إليهم في قوله تعالى • فشهادة أحدهم • أي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى
أربع شهادات خبره أي فشهادتهم المشروعة أربع شهادات • بالله • متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة
لتقدمها وقرئ أربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه إما خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب
شهادة أحدهم وإما مبتدأ محذوف الخبر أي فشهادة أحدهم واجبة • إنه لمن الصادقين • أي
فيما رماها به من الزنا وأصله على أنه فحذف الجار وكسرت إن وعلق العامل عنها للتأكيد • والخامسة • أي
الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمساً بانضمامها إليهن وإفرادها عنهن مع كونها
شهادة أيضاً لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في إفادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر وإظهار الصدق
وهي مبتدأ خبره • أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين • فيما رماها به من الزنا فإذا لاعن الزوج حبست
الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن • ويدرأ عنها العذاب • أي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين
بالرجم الذي هو أشد العذاب • أن تشهد أربع شهادات بالله إنه • أي الزوج • لمن الكاذبين • أي فيما رماها به
من الزنا • والخامسة • بالنصب عطفاً على أربع شهادات • أن غضب الله عليها إن كان • أي الزوج • من الصادقين
أي فيما رماها به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ أن بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة
والغضب وقرئ أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن
النساء كثيراً ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى
روي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلعم على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري رحمه الله فقال
جعلني الله فداك إن وجد رجل مع امرأته رجلاً فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وإن ضربه بالسيف
قتل وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح
وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت
عاصم شريك ابن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبرا رسول الله صلعم فكلم خولة
فأنكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد
رحمهما الله ولا تتأبد حكمها حتى إذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر
والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله فرقة بغير طلاق توجب تحريماً مؤبداً ليس لهما اجتماع بعد ذلك أبداً • ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم • التفات إلى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية
مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولولا تفضله
تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم
اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج
حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال زوجته وأنه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعدما

شرع

شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها
موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا يخفى خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات
كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتماً دارئة لما توجه إليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف
شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم وفي ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة
ما لا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو إمهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه
للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته • إن الذين
جاءوا بالإفك • أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله
الأفك وهو القلب لأنه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد ما أفك به الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها وفي لفظ
المجيء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله صلعم كان إذا أراد سفراً
أقرع بين نسائه فأيتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها فأقرع بيننا في غزوة غزاها قيل
غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول آية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى
إذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلاً ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت
شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه
وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون أني فيه لخفتي فلم
يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم
وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت أني سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا أنا جالسة في منزلي
غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه
فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ
على يديها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني
الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك إذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك
من هلك وقوله تعالى • عصبة منكم • خبر إن أي جماعة وهي من العشرة إلى الأربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن أبي
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى
• لا تحسبوه شراً لكم • استئناف خوطب به رسول الله صلعم وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم من أول الأمر
والضمير للإفك • بل هو خير لكم • لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بإنزال ثماني عشرة آية
في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيراً • لكل امرئ
منهم • أي من أولئك العصبة • ما اكتسب من الإثم • بقدر ما خاض فيه • والذي تولى كبره • أي معظمه
وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه • منهم • من العصبة وهو ابن أبي فإنه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله
صلعم وقيل هو وحسان ومسطح فإنهما شايعاه بالتصريح به فإفراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج أو الفريق أو
نحوهما • له عذاب عظيم • أي في الآخرة أو في الدنيا أيضاً فإنهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن أبي مطروداً

مشهوداً عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد
وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى ● لولا اذ سمعتموه ● تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلعم
وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيراً ● لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على
وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويستدعيه استدعاءً تاماً ويزجرهم عن ضده زجراً بليغاً
فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته ● بانفسهم ● اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم
كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع
والتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح و
التوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضاً فايجابه من حيث انهم كانوا يحترزون عن
اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم
وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به رأساً في غاية ما يكون من القباحة
والشناعة اي كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم
من آحاد المؤمنين خيراً ● وقالوا ● في ذلك الآن ● هذا افك مبين ● اي ظاهر مكشوف كونه افكاً فكيف بالصديقة ابنة الصديق ام المؤمنين
حرمة رسول الله صلعم ● لولا جاءوا عليه باربعة شهداء ● اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين
وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخ لهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء على ما قالوا ● فاذ لم
ياتوا ● بهم وانما قيل ● بالشهداء ● لزيادة التقرير ● فاولئك ● اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان بغلوهم في الفساد
وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون ● عند الله ● اي في حكمه وشرعه المؤسس على الدليل الظاهر المتقن ● هم الكاذبون
الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام
مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولاً لا يساعده الدليل اصلاً ● ولولا فضل الله عليكم ● خطاب
للسامعين والمسمعين جميعاً ● ورحمته في الدنيا ● من فنون النعم التي من جملتها الامهال للتوبة ● والآخرة ● من ضروب
الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة ● لمسكم ● عاجلاً ● فيما افضتم فيه ● بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك
والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى ● عذاب عظيم ● يستحقر
دونه التوبيخ والجلد ● اذ تلقونه ● بحذف احدى التائين ظرف للمس اي لمسكم ذلك العذاب وقت تلقيكم اياه من المخترعين
● بالسنتكم ● والتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف
والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة
وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته
وتقفونه اي تتبعونه ● وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم ● اي تقولون قولاً مختصاً بالافواه من غير ان يكون له مصداق
ومنشأ في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ● وتحسبونه هيناً ●
سهلاً لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة ● وهو عند الله ● والحال انه عنده عز وجل ● عظيم ● لا يقادر قدره في الوزر واستجرار

العذاب

العذاب ● ولولا اذ سمعتموه ● من المخترعين او المتابعين لهم ● قلتم ● تكذيباً لهم وتهويلاً لما ارتكبوه ● ما يكون لنا
ما يمكننا ● ان نتكلم بهذا ● وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة
والاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض باول
وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على
تركه واما ترك القول نفسه رأساً فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما
قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب
التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع
فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما يستعمل فيما اذا وقع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولاً صريحاً لفعل مذكور
كما في قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كما في الظروف المنصوبة باضمار اذكر واما ههنا فلا حاجة اليها اصلاً
بل التحقيق ان مناط التقديم توجيه التحضيض الى ما يحق وقوعه من جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها
● سبحانك ● تعجب ممن يقولوه واصله ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيهاً له سبحانه من ان يصعب عليه
امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود
الزواج فيكون تقريراً لما قبله وتمهيداً لقوله تعالى ● هذا بهتان عظيم ● لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان حقارة
الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ● يعظكم الله ● اي ينصحكم ● ان تعودوا لمثله ● اي كراهة ان تعودوا او يزجركم من ان
تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته في كذا فتركه ● ابداً ● اي مدة حياتكم ● ان كنتم مؤمنين ● فان الايمان وازع عنه
لا محالة وفيه تهييج وتقريع ● ويبين الله لكم الآيات ● الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا
وتتأدبوا بها اي ينزلها كذلك مبينة ظاهرة الدلالة على معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك كما في قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما صغيراً وكبيراً ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن البيان ● والله عليم ● باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها ● حكيم ● في جميع
تدابيره وافعاله فانى يمكن صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق و
يزكيهم ويطهرهم تطهيراً واظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية الالوهية للعلم والحكمة
● ان الذين يحبون ● اي يريدون ويقصدون ● ان تشيع الفاحشة ● اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي الفرية والرمي
بالزنا او نفس الزنا فالمراد بشيوعها خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر
المحبة فانها مستتبعة له لا محالة ● في الذين آمنوا ● متعلق بتشيع اي تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال
من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم ●
لهم ● بسبب ما ذكر ● عذاب اليم في الدنيا ● من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلعم عبد الله بن ابي
وحساناً ومسطحاً حد القذف وضرب صفوان حساناً ضربة بالسيف وكف بصره ● والآخرة ● من عذاب النار وغير
ذلك مما يعلمه الله عز وجل ● والله يعلم ● جميع الامور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة ● وانتم لا تعلمون ●
ما يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا في الدنيا على ما تشاهدونه

من الأحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما تكنه الصدور هذا إذا جعل العذاب الأليم
في الدنيا عبارة عن حد القذف أو منتظما له كما أطبق عليه الجمهور وأما إذا أبقي على إطلاقه فيراد بالمحبة نفسها من غير أن يقارنها
التصدي للإشاعة وهو الأنسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على أن عذاب من يباشر الإشاعة
ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض التذييلي في قوله تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون لتقرير ثبوت العذاب العظيم لهم وتعليلا
له • ولولا فضل الله عليكم ورحمته • تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريمة • وأن الله رؤوف رحيم • عطف
على فضل الله وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والإشعار باستتباع صفة الألوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره
بحرف التحقيق لما أن المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام
والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أنه المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه
• يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان • أي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما تذرون من الأفاعيل التي
من جملتها إشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها أيضا • ومن يتبع خطوات الشيطان • وضع
الظاهران موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها أو ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير
فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لأن دأبه المستمر أن يأمر بهما فمن اتبع
خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضميرانه للشيطان وقيل للشأن
على رأي من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية إلى اسم الشرط أو على أن الأصل فإنه وقيل هو عائد إلى من أي فإن ذلك المتبع
يأمر الناس بهما لأن شأن الشيطان هو الإضلال فمن يتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد إلى رتبة الإضلال والإفساد
• ولولا فضل الله عليكم ورحمته • بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها
• ما زكا • أي ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد أي ما طهر الله تعالى ومن في قوله تعالى • منكم • بيانية وفي قوله تعالى • من أحد •
زائدة وأحد في حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية • أبدا • لا إلى نهاية
• ولكن الله يزكي • يطهر • من يشاء • من عباده بإفاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم
• والله سميع • مبالغ في سمع الأقوال التي من جملتها ما أظهروه من التوبة • عليم • بجميع المعلومات التي من جملتها نياتهم و
فيه حث لهم على الإخلاص في التوبة وإظهار الاسم الجليل للإيذان باستدعاء الألوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد
استقلال الاعتراض التذييلي • ولا يأتل • أي لا يحلف افتعال من الألية وقيل لا يقصر من الألو والأول هو الأظهر لنزوله
في شأن الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين
ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل • أولوا الفضل منكم • في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله تعالى عنه
• والسعة • في المال • أن يؤتوا • أي على أن لا يؤتوا وقرئ بالخطاب على الالتفات • أولي القربى والمساكين والمهاجرين في
سبيل الله • صفات لموصوف واحد جيء بها بطريق العطف تنبيها على أن كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الإيتاء
وقيل لموصوفات أقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره أي على أن لا يؤتوهم شيئا • وليعفوا • ما فرط
منهم • وليصفحوا • بالإغضاء عنه وقرئ الأمران بالخطاب على وفق قوله تعالى • ألا تحبون أن يغفر الله لكم •
أي بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم • والله غفور رحيم • أي مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته

على المؤاخذة

على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية إليها وفيه ترغيب عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل ألا تحبون أن يغفر
الله لكم فهذا من موجباته روي أنه صلعم قرأها على أبي بكر رضي الله عنه فقال بلى أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته
وقال والله لا أنزعها أبدا • إن الذين يرمون المحصنات • أي العفائف مما رمين به من الفاحشة • الغافلات •
عنها على الإطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس
في المحصنات أي السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء • المؤمنات • أي المتصفات بالإيمان بكل ما يجب أن
يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة
وصف الإيمان فإنه للإيذان بأن المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لإطلاق الاسم في الجملة
كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة رضي الله عنها والجمع باعتبار أن رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين
لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب إلى رسول الله صلعم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره
وقيل أمهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا أوليا وأما ما قيل من أن المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها
للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الأمة فيأباه أن العقوبات المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين
ولا ريب في أن رمي غير أمهات المؤمنين ليس بكفر فيجب أن يكون المراد إياهن على أحد الوجهين فإنهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات
فجعل رميهن كفرا إبرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن أن يحوم حوله أحد بسوء حتى إن ابن عباس رضي الله عنهما جعله أغلظ
من سائر أفراد الكفر حيث سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته إلا من خاض في أمر عائشة
رضي الله عنها وهل هو منه رضي الله عنه إلا تهويل لأمر الإفك والتنبيه على أنه كفر غليظ • لعنوا • بما قالوا في حقهن • في الدنيا والآخرة •
حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبدا • ولهم • مع ما ذكر من اللعن الأبدي • عذاب عظيم • هائل لا يقادر قدره
لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى • يوم تشهد عليهم • إلى آخره إما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين
وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة فاظعة
وانتصاب يوم بما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار للعذاب وإن أغضى عن وصفه لا بعذاب لأنه الموصوف
وإما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للإيذان بقصور العبارة
عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة كأنه قيل يوم تشهد عليهم • ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا
يعملون • يكون من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم السيئة
وجناياتهم القبيحة لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أن ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة
منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها لا أن كلا منها تخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون
العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن إحداها خاصة ففيه من ضروب التهويل بالإجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول
المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على إخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لأمر الوازع
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة إلى بيان كون الشهادة ضارة
لهم مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما مر مرارا وقوله تعالى • يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق • أي يوم إذ تشهد جوارحهم بأعمالهم
القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذي يحق أن يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة

عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه
وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اي اذكر يوم تشهد وقرئ يوم يشهد بالتذكير للفصل ويعلمون عند معاينتهم
الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم ان الله هو الحق الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة في ذاته وصفاته
وافعاله التي من جملتها كلماته التامة المنبئة عن الشئون التي يشاهدونها منطبقة عليها المبين المظهر للاشياء
كما هي في انفسها واظهار انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة الغير فيها وعدم قدرة ما سواه
على الثواب والعقاب ليس بذلك مناسبة للمقام كما ان تفسيره بذي الحق المبين اي العادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت
ما في القرآن المجيد من آيات الوعيد الواردة في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق ما تلك القوارع المشحونة
بفنون التهديد والوعيد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي صلعم في علو الشان والانافة وابراز رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة
والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات الى آخره كلام مستأنف مؤسس على عادة الله الجارية فيما بين الخلق
على موجب ان لله ملكا يسوق الاهل الى الاهل اي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال اي مختصات بهم لا يكدن
يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص والخبيثون ايضا للخبيثات لان المجانسة من دواعي الانضمام والطيبات
منهن للطيبين منهم والطيبون ايضا للطيبات منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول
الله صلعم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله تعالى عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح
بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى اولئك مبرؤون مما يقولون على ان الاشارة الى اهل البيت
المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلعم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى
البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بعلو الشان مبرؤون مما يقوله
اهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء اي مختصة ولائقة
بهم لا ينبغي ان يقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين احقاء بان يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلم
للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال في شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤون
مما يقول الخبيثون في حقهم فماله تنزيه الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء
لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مخصوصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين
من الفريقين اي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها
اولئك الطيبون مبرؤون مما يقوله الخبيثون من الخبائث اي لا يصدر عنهم مثل ذلك فماله تنزيه القائلين سبحانك
هذا بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها الذين
آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر
عما عسى يؤدي الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في اوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة
والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى
كل احد في ملكه والا فالآجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء
حتى تستأنسوا اي تستأذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء

اذا ابصره

اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او من الاستيناس الذي هو خلاف الاستيحاش
فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس وتسلموا على اهلها عند الاستيذان
روي عن النبي صلعم ان التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم اي الاستيذان
مع التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول
حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال للنبي صلعم استأذن على امي قال نعم قال ليس لها خادم غيري
أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون
متعلق بمضمر اي امرتم به او قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه فان لم تجدوا فيها احدا اي ممن يملك الاذن
على انه من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهي
عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة
دخول ما فيه من النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلان يحرم عند انضمام ما
هو اقوى منه اعني الاطلاع على العورات اولى فلا تدخلوها واصبروا حتى يؤذن لكم اي من جهة من يملك الاذن
عند اتيانه ومن فسره بقوله تعالى حتى يأتي من يأذن لكم او حتى تجدوا من يأذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمالي
ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو
بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان
الامر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا تلحوا بالاصرار على الانتظار الى ان
يأتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المحبة اي قدح هو اي الرجوع
ازكى لكم اي اطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما
تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا اي بغير استيذان
بيوتا غير مسكونة اي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان
من غير ان يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة
كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فانه صفة للبيوت او استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق
تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والرحال والشرى والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق
بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من
قوام الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول
الله ان الله تعالى قد انزل عليك آية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت
وقيل الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما ينتظمه البيوت لا انها المراد فقط والله يعلم
ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع
في بيان احكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين
الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلعم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رأيه عم لانها تكاليف متعلقة بامور جزئية

كثرة الوقوع حقيقة بأن تكون الأهم بها والمتصدي لتدبيرها حافظاً ومهيمناً عليهم ومفعول الأمر مع أمر قد حذف
تعويلاً على دلالة جوابه عليه أي قل لهم غضوا يغضوا من أبصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا
فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما أن أمر النظر أوسع و
قيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك أي ما ذكر من الغض والحفظ أزكى لهم أي أطهر لهم من دنس
الريبة إن الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الأفاعيل التي من جملتها إحالة النظر واستعمال
سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات
يغضضن من أبصارهن فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه ويحفظن فروجهن بالتستر أو التصون عن الزنا
وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة
في النهي عن إبداء مواقعها ما لا يخفى إلا ما ظهر منها عند مزاولة الأمور التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب
ونحوها فإن في سترها حرجاً بيناً وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية
والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لأنها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن إرشاد إلى
كيفية إخفاء بعض مواقع الزينة بعد النهي عن إبدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن
فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن ستراً لما يبدو منها وقد ضمن الضرب
معنى الإلقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه
باعتبار الناظر بعدما استثني عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور إلا لبعولتهن فإنهم المقصودون
بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء
بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من
قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة
وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن عنهن حذاراً من أن يصفوهن لأبنائهم أو
نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فإن الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال
أو ما ملكت أيمانهن أي من الإماء فإن عبد المرأة بمنزلة الأجنبي منها وقيل من الإماء والعبيد لما روي
أنه عم أتى فاطمة رضي الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت
رجليها لم يبلغ رأسها فقال عم إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك أو التابعين غير أولي الإربة
من الرجال أي أولي الحاجة إلى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف
وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئاً من أمور النساء وقرئ
غير بالنصب على الحالية أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور
بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع
اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن أي ما يخفينه من الرؤية
أي لا يضربن بأرجلهن الأرض ليتقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فإن ذلك مما يورث الرجال

ميلا

ميلاً إليهن ويوهم أن لهن ميلاً إليهم وفي النهي عن إبداء صوت الحلي بعد النهي عن إبداء عينها من المبالغة في الزجر
عن إبداء مواضعها ما لا يخفى وتوبوا إلى الله جميعاً تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلعم إلى الكل على نهج
التغليب لإبراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمات المهمات الحقيقة بأن يكون سبحانه وتعالى
هو الآمر بها لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط في إقامة موجبات التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلعم
شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما أمرت لا سيما إذا كان المأمور به الكف عن الشهوات
وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فإنه وإن جب بالإسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما
خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى أيها المؤمنون تأكيد للإيجاب وإيذان بأن وصف الإيمان موجب
للامتثال حتماً وقرئ أيه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة الدارين وأنكحوا الأيامى منكم بعدما
زجر تعالى عن السفاح ومبادئه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح فإنه مع كونه مقصوداً بالذات من حيث كونه مناطاً
لبقاء النوع خير زاجر عن ذلك وأيامى مقلوب أيايم جمع أيم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكراً كان أو ثيباً كما
يفصح عنه قول من قال فإن تنكحي أنكح وإن تتأيمي وإن كنت أفتى منكم أتأيم أي زوجوا من لا زوج له من الأحرار والحرائر
والصالحين من عبادكم وإمائكم على أن الخطاب للأولياء والسادات واعتبار الصلاح في الأرقاء لأن من لا صلاح له منهم بمعزل
من أن يكون خليقاً بأن يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعاً وعادة من بذل المال والمنافع
بل حقه أن لا يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح في الأحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على أنهم مستبدون
في التصرفات المتعلقة بأنفسهم وأموالهم فإذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الأولياء لهم إذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى
يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة إليهم عاجلة أو آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه إن يكونوا فقراء يغنهم
الله من فضله إزاحة لما عسى يكون وازعاً من النكاح من فقر أحد الجانبين أي لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة
فإن في فضل الله عز وجل غنية عن المال فإنه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب أو وعد منه سبحانه بالإغناء
لقوله عم اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله
من فضله إن شاء والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق أو لا ينفد نعمته ولا غاية لقدرته
ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وليستعفف إرشاد
للعاجزين عن مبادي النكاح وأسبابها إلى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء أي ليجتهد
في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحاً أي أسباب نكاح أو لا يتمكنون مما يتملك به من المال حتى يغنيهم
الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وإيذان بأن فضله تعالى
أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء والذين يبتغون الكتاب بعدما أمر بإنكاح صالحي المماليك الأحقاء بالإنكاح أمر
بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أي الذين يطلبون المكاتبة مما ملكت أيمانكم عبداً كان
أو أمة وهي أن يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهماً تؤديه إلي وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فإن
أداه إليه عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك أن تفي بذلك
أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق عنده والتحقيق أن المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود

الشرعية المنعقدة بالإيجاب والقبول ولا ريب في أن ذلك لا يعقد حقيقة إلا من المتعاقدين وليس طلب كل منهما
في الحقيقة إلا الإتيان بأحد شطريه مترتباً على ما يأتيه من قبله ويعقد عينه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يأتيه من قبل
صاحبه ويعقد عينه من فعله الخاص إلا أن كلاً من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه في نفسه إلا منوطاً
بتحقق الآخر ضرورة أن التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله إلا بالتزام البدل
من طرف العبد كما أن عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه إلا بتملكه من جانب المشتري
لم يكن بد من تضمين أحدهما الآخر وتوقيت الإنشاء كما أن قول البائع بعت إنشاء لعقد البيع على معنى أنه إيقاع لما يتم من قبله
أصالة ولما يتم من قبل المشتري ضمناً إيقاعاً متوقفاً على رأيه توقفاً شبيهاً بتوقف عقد الفضولي كذلك قول المولى
كاتبتك على كذا إنشاء لعقد الكتابة أي إيقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل أصالة ولما يتم من قبل العبد من
التزام البدل ضمناً إيقاعاً متوقفاً على قبوله فإذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره **فكاتبوهم**
والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الإرفاق فلا
يجب كغيرها ويجوز حالاً ومؤجلاً ومنجماً وغير منجم وعند الشافعي لا يجوز إلا مؤجلاً منجماً وقد فصل في موضعه **إن علمتم
فيهم خيراً** أي أمانة ورشداً أو قدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحاً لا يؤذي الناس بعد العتق وإطلاق
العنان **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** أمر للموالي ببذل شيء من أموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة و
يكفي في ذلك أقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعي
للوجوب ويرده قوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم إذ لو وجب الحط لسقط عنه ذلك القدر حتماً وأيضاً لو وجب الحط
لكان وجوبه معلقاً بالعقد فيكون العقد موجباً ومسقطاً معاً وأيضاً فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل
معنى آتوهم أقرضوهم وقيل هو أمر لهم بأن ينفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا وإضافة المال إليه تعالى ووصفه
بإيتائه إياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فإن ملاحظة
وصول المال إليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي إلى صرفه إلى الجهة المأمور بها وقيل هو
أمر بإعطاء سهمهم من الصدقات فالأمر للوجوب حتماً والإضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل أمر لعامة المسلمين
بإعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وإن كان غنياً لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله عليه السلام في حديث
بريرة هو لها صدقة ولنا هدية **ولا تكرهوا فتياتكم** أي إماءكم فإن كلاً من الفتى والفتاة كناية مشهورة
عن العبد والأمة وعلى ذلك مبنى قوله عليه السلام ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي ولهذه العبارة في هذا
المقام باعتبار مفهومها الأصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى **على البغاء** وهو الزنا من حيث
صدوره عن النساء لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله
تعالى **إن أردن تحصناً** ليس لتخصيص النهي بصورة إرادتهن التعفف عن الزنا وإخراج ما عداها من حكمه كما إذا
كان الإكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور
المصححة للإكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه
مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية إلى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح
فإن عبد الله بن أبي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن إلى الرسول

الله

الله صلعم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فإن من له
مروءة لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من إمائه فضلاً عن أمرهن به أو إكراههن عليه لا سيما عند إرادتهن التعفف
فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وما قيل من أنه إن جعل شرطاً للنهي
لا يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فإنهما بمعزل من التحقيق
وإيثار كلمة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد النص حتماً للإيذان بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن
في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الإرادة المذكورة منهن في حيز الشاذ
النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها إباء ظاهراً وقوله تعالى **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** قيد للإكراه
لكن لا باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كما قبله حتى يجب تشنيعهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لأجل النزر الحقير
أي لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء
الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل إذ هو الصالح لكونه غاية للإكراه مترتباً عليه لا المطلق المتناول
للطلب السابق الباعث عليه **ومن يكرههن** إلى آخره جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب
العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الإكراه إلى المكرهين إشارة أي
ومن يكرههن على ما ذكر من البغاء **فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** أي لهن أي كونهن مكرهات على أن
الإكراه مصدر من المبني للمفعول فإن توسيطه بين اسم إن وخبرها للإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان
الحسن البصري رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين أيضاً
في الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفي به عن العائد إلى اسم
الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالاً أو معهن إخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لأمر النهي في مقام التهويل
وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم إما باعتبار أنهن وإن كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن
شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية وإما باعتبار أن الإكراه قد يكون قاصراً عن حد الإلجاء المزيل للاختيار بالمرة وإما لغاية
تهويل أمر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة
لولا أن تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العذاب **ولقد أنزلنا إليكم
آيات مبينات** كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة
شؤونها المستوجبة للإقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي تعرب عنه اللام لإبراز كمال العناية
بشأنه أي وبالله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر
الأحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادئ بيانها على أن إسناد التبيين إليها مجازي أو آيات واضحات تصدقها
الكتب القديمة والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة
المفعول أي التي بينت وأوضحت في هذه السورة من معاني الأحكام والحدود وقد جوز أن يكون الأصل مبيناً فيها الأحكام
فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول **ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم** عطف على آيات أي وأنزلنا مثلاً كائناً من قبيل
أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة الأنبياء

عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضي الله عنها المحكية لقصة يوسف عم وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الأمثال
الواردة في السورة الكريمة انتظاماً واضحاً وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة
فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات ● وموعظة ● تتعظون به وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات
والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل باعتبار كونهما من المواعظ بالمعنى المذكور
ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت الآيات بما يبين الحدود والأحكام والموعظة
بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى ولولا إذ سمعتموه ونحو ذلك من الآيات الواردة في شأن
الآداب وأما قيل ● للمتقين ● مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الإنزال لقوله تعالى أنزلنا إليكم حثاً للمخاطبين على الاغتنام
بالانتظام في سلك المتقين ببيان أنهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات
والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والمواعظ فقوله تعالى ● الله نور السموات والأرض إلى آخره
حينئذ استئناف مسوق لتقرير ما قبلها من البيان مع الإشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه وأما على
الأول فلتحقيق أن بيانه تعالى ليس مقصوراً على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل للكل حسب بيانه من الأحكام و
الشرائع ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وأنه قد وقع منه
تعالى على أتم الوجوه وأكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو أقوى مراتب البيان وأجلاها وعبر عن المنور بنفس النور
تنبيهاً على قوة التنوير وشدة التأثير وإيذاناً بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر بإظهاره كما أن النور نير بذاته
وما عداه مستنير به وأضيف النور إلى السموات والأرض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل
ما يليق به من الأمور التي لها مدخل في الإرشاد وإن ليس بواسطة بيان شمول المستعار منه لجميع ما يقبله ويستحقه من
الأجرام العلوية والسفلية فإنهما قطران للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه أو على شمول البيان لأحوالهما
وأحوال ما فيهما من الموجودات إذ ما من موجود إلا وقد بين من أحواله ما يستحق البيان إما تفصيلاً أو إجمالاً كيف لا ولا ريب
في بيان كونهما دلائل على وجود الصانع وصفاته وشواهد بصحة البعث وعلى تعلق البيان بأهلهما كما قال ابن عباس رض
هادي أهل السموات والأرض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا وأما حمل التنوير على إخراجه تعالى
لهما عما كانتا من العدم إلى الوجود إذ هو الأصل في الإظهار كما أن الإعدام هو الأصل في الإخفاء أو على تنويره السموات
بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الأنوار أو بالملائكة عم وتنويره الأرض بالأنبياء عليهم السلام
والعلماء والمؤمنين أو بالنبات والأشجار أو على تدبيره تعالى لأمورهما وأمور ما فيهما فمما لا يلائم المقام ولا يساعده
حسن النظام ● مثل نوره ● أي نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المستنيرة وهو القرآن المبين كما يعرب عنه
ما قبله من وصف آياته بالإنزال والتبيين وقد صرح بكونه نوراً أيضاً في قوله تعالى وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً وبه قال ابن
عباس رض والحسن وزيد بن أسلم رحمهم الله وجعله عبارة عن الحق وإن شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل
يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولأن المعتبر في مفهوم النور هو
الظهور والإظهار كما هو شأن القرآن الكريم وأما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو هو الظهور لا الإظهار والمراد
بالمثل الصفة العجيبة أي صفة نوره العجيبة ● كمشكاة ● أي كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الإنارة والتنوير فيها مصباح

سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة ● المصباح في
زجاجة ● أي قنديل من الزجاج الصافي الأزهر وقرئ بفتح الزاي وكسرها في الموضعين ● الزجاجة كأنها كوكب
دري ● متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري الكواكب عظامها المشهورة وقرئ دري بالكسر
مكسورة الدال مشددة الراء ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدرء وهو الدفع أي مبالغ في دفع الظلام
بضوئه أو في دفع بعض أجزاء ضيائه بعضاً عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والباقي على حاله وفي إعادة المصباح
والزجاجة معرفين إثر سبقهما منكرين والإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة
فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير إثر الإبهام والتفصيل بعد الإجمال
وبإثبات ما بعدهما لهما بطريق الإخبار المنبئ عن القصد الأصلي دون الوصف المبني على الإشارة إلى الثبوت في
الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الأولى الرفع على أنها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على أنها صفة لزجاجة واللام مغنية عن
الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كأنها كوكب دري ● يوقد من شجرة ● أي يبتدأ إيقاد المصباح
من شجرة ● مباركة ● أي كثيرة المنافع بأن رويت ذبالته بزيتها وقيل إنما وصفت بالبركة لأنها تنبت في الأرض
التي بارك الله تعالى فيها للعالمين ● زيتونة ● بدل من شجرة وفي إبهامها ووصفها بالبركة ثم الإبدال عنها تفخيم
لشأنها وقرئ توقد على صيغة الماضي بالتاء على أن الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ
توقد على صيغة المضارع من التفعل أي ابتدأ ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف إحدى التاءين من تتوقد
على إسناده إلى الزجاجة ● لا شرقية ولا غربية ● تقع الشمس عليها حيناً دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار
كالتي على قلة أو صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رض وسعيد بن
جبير وقتادة وقال الزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية أي تصيبها الشمس عند
طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وقيل لا نابتة
في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فإن زيتونها أجود ما يكون
وقيل في مضحى تشرق الشمس عليها دائماً فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائماً فتتركها نيئاً وفي الحديث لا خير
في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى ● يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ● أي هو في الصفاء والإنارة
بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار أصلاً وكلمة لو في أمثال هذا الموقع ليست لبيان انتفاء الشيء
في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية إلا
عند القصد إلى بيان الإعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم
الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له إجمالاً بدخولها على أبعدها منه إما لوجود المانع
كما في قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر
بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع ما فيه
من وجود المانع أو عدم الشرط فلأن يتحقق بدون ذلك أولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الأحوال و
يكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال على سبيل الإجمال وهذا أمر مطرد

في الخبر الموجب والمنفي فإنك إذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا أو بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان
تحقق الإعطاء في الأول وعدم تحققه في الثاني في جميع الأحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان
فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن
في الفعل الموجب والمنفي أي يعطي أو لا يعطي كائنا على جميع الأحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته
نار ولو لم تمسسه نار أي يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الأولى حذفا
مطردا في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة • نور • خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى • على نور • متعلق
بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما
يعقبه أي ذلك النور الذي عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور
عظيم كائن على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع
نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعفه بما مثل به
من نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة فإن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة
كان أضوأ له وأجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه إلى أصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فإن الضوء ينبث
وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد
نورها إشراقا ويمده بإضاءة مرتبة أخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن
التنزيل الجليل • يهدي الله لنوره • أي يهدي هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم
الشأن وإظهاره في مقام الإضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامة الإضافة الناشئة من
إضافته إلى ضميره عز وجل • من يشاء • هدايته من عباده بأن يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من
عند الله تعالى من الإعجاز والإخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الإيمان به وفيه إيذان بأن مناط هذه الهداية
وملاكها ليس إلا مشيئته تعالى وأن تظاهر الأسباب بدونها بمعزل من الإفضاء إلى المطالب • ويضرب
الله الأمثال للناس • في تضاعيف الهدايات حسبما يقتضيه حالهم فإن له دخلا عظيما في باب الإرشاد
لأنه إبراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير للأوابد بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به
عن القرآن المبين بنور المشكاة وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار للإيذان باختلاف حال ما أسند
إليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الأمثال الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الأولى
بمن يشاء والثانية بالناس كافة • والله بكل شيء عليم • معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو باطنا
ومن قضيته أن تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة
التي عليها مبنى التكوين والتشريع وأن تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما يقتضيه
أحوالهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وإظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والإشعار بعلة الحكم
وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا • في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه • لما
ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والأحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب

وغير ذلك

وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها وأشير إلى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والإظهار حيث مثل بما فصل
من نور المشكاة وأشير إلى ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور إنما يهتدي بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى
بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه
والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روي عن ابن عباس رضه وقيل هي المساجد التي بناها نبي من أنبياء الله تعالى
الكعبة التي بناها إبراهيم وإسمعيل عم وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عم ومسجد المدينة ومسجد
قباء اللذان بناهما رسول الله صلعم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالإذن في رفعها الأمر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت
وقيل هو الأمر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيري وأيا ما كان ف
في التعبير عنه بالإذن تلويح بأن اللائق بحال المأمور أن يكون متوجها إلى المأمور به أن يكون متوجها إلى المأمور به
قبل ورود الأمر به ناويا لتحقيقه كأنه مستأذن في ذلك فيقع الأمر به موقع الإذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى
ما يعم جميع أذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى • يسبح له • دون ترفع • فيها • بتكريرها للتأكيد والتذكير لما بينهما
من الفاصلة وللإيذان بأن التقديم للاهتمام لا للقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط وأصل التسبيح التنزيه
التقديس يستعمل باللام وبدونها أيضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الأعلى والمراد به الصلوات المفروضة
كما ينبئ عنه تعيين الأوقات بقوله تعالى • بالغدو والآصال • أي بالغدوات والعشيات على أن الغدو إما
جمع غداة كقنى في جمع قناة كما قيل أو مصدر أطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وهو
العشي وهو شامل للأوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز أن يراد به نفس التنزيه على أنه عبارة عما يقع منه في أثناء
الصلوات وأوقاتها لزيادة شرفه وإنافته على سائر أفراده أو عما يقع في جميع الأوقات وإفراد طرفي
النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها لكونهما مشهودين وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للأعمال
والاشتغال بالأشغال وقرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل وقوله تعالى • رجال • فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ولأن في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ
يسبح على البناء للمفعول بإسناده إلى أحد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل
على طريقة قوله • ليبك يزيد ضارع لخصومة • كأنه قيل من يسبح فقيل يسبح رجال وقرئ تسبح بتأنيث الفعل مبنيا للفاعل لأن جمع
التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على أن يسند إلى أوقات الغدو والآصال بزيادة الباء
وتجعل الأوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها أو يسند إلى ضمير التسبيحة أي تسبح التسبيحة على المجاز المسوغ لإسناده
إلى الوقت كما خرجوا قراءة أبي جعفر ليجزى قوما أي ليجزى الجزاء قوما بل هذا أولى من ذلك إذ ليس هنا مفعول صريح
• لا تلهيهم تجارة • صفة لرجال مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم إلى الله تعالى واستغراقهم فيما
حكي عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها أقوى الصوارف
عندهم وأشهرها أي لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة • ولا بيع • أي ولا فرد من أفراد البياعات وإن كان في غاية
الربح وإفراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للإيذان بإنافته على سائر أنواعها لأن ربحه متيقن ناجز وربح
ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي إلهاء ما عداه نفي إلهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفي

وتأكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب
فيها ومنه يقال تجر في كذا اي جلبه • عن ذكر الله • بالتسبيح والتحميد • واقام الصلوة • اي اقامتها لمواقيتها
من غير تاخير وقد سقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما في قوله
واخلفوك عد الامر الذي وعدوا اي عدة الامر • وايتاء الزكوة • اي المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده
ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما
فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى • يخافون • الى آخره
صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم واياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد
وقوله تعالى • يوما • مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى • تتقلب فيه القلوب والابصار • صفة ليوما
اي تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت
القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد
ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم و
يؤتى كتابهم • ليجزيهم الله • متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من اعمالهم المرضية اي يفعلون ما يفعلون من
المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى
• احسن ما عملوا • اي احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشرة امثالها الى سبعمائة ضعف
• ويزيدهم من فضله • اي يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم
كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله
عليه السلام حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى • والله يرزق من يشاء بغير حساب •
فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما
عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في سلك
الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع
ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية
كما انها المناط لما سبق من الهداية بنوره تعالى لا تظاهر الاسباب والايذان بانهم ممن شاء
الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء تعالى ان يهديهم بنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة
فان جميع ما ذكر من التسبيح واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الآخر واهواله ورجاء الثواب
مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح
وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة
لمشكوة اي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن
التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما

قيل

قيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل
الفصل بين الشجر ولحائه باجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المستفيضين بالتمثيل المهتدين بنور
القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات
ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز • والذين كفروا •
عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا
• اعمالهم • اي اعمالهم التي هي من ابواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة
البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما
في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الآية • كسراب • وهو ما يرى في الفلوات من لمعان
الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري • بقيعة • متعلق بمحذوف هو صفة لسراب
اي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل جمع قاع كجار وجيرة وقرئ بقيعات بتاء ممدودة
كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف • يحسبه الظمآن •
• ماء • صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا من كان لتكميل
التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس • حتى
• اذا جاءه • اي اذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه • لم يجده • اي ما حسبه ماء وعلق
به رجاءه • شيئا • اصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال
الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى • ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب • بيان لبقية
احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط
كما هو شأن الظمآن ويظهر انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة
معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم
المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم باعمال
الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم
في الآخرة حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا كانه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة اعمالهم التي كانوا في
الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا الله اي حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل
فوفاهم اي اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اي حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير
ايمان وعملهم بموجبه كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضمير الراجع الى الذين كفروا لارادة الجنس كالظمآن الواقع
في التمثيل او للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية
كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر • او كظلمات • عطف على كسراب
وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من
حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات

كأنه • في بحر لجي • اي عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه • يغشاه
صفة اخرى للبحر اي يستره ويغطيه بالكلية • موج • وقوله تع • من فوقه موج • جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على
انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف في الكلام فهو كما مر في قوله تع نور
على نور اي يغشاه امواج متراكمة متراكب بعضها على بعض وقوله تعالى • من فوقه سحاب • صفة للموج الثاني على احد الوجهين
المذكورين اي من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى
كانها بلغت السحاب • ظلمات • خبر مبتدا محذوف اي هي ظلمات • بعضها فوق بعض • اي متكاثفة متراكمة
وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تع نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا
بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها • اذا اخرج • اي من ابتلي
بها واظهاره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة • يده • وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها • لم يكد يراها • وهي
اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها • ومن لم يجعل الله له نورا • الى آخره اعتراض تذييلي جيء به لتقرير ما افادة التمثيل
من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز
الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم اي ومن لم يشأ الله تعالى ان يهديه لنوره الذي هو القرآن وهدايته خاصة
مستتبعة للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به • فما له من نور • اي فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى • الم تر
الخ استئناف خوطب به النبي صلعم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه عم اعلى مراتب النور واجلاها وبين له اسرار
الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اي قد علمت علما يقينا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة
بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح • ان الله يسبح له • اي ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق
بشأنه الجليل من نقص وخلل • من في السموات والارض • اي ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء
وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا يفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات
الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف
بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة ونهاية وضوحها
حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها واجلاها تنزيلا للسان الحال منزلة
لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كأن كل شيء مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان
عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعز سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت
الكمال الثبوتية لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية و
نسبتهم اليه اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به
معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما يوهمه قوله تع كل قد علم صلوته وتسبيحه يرده ان بعضا
من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء
ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جزئياتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية
ولا يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية • والطير • بالرفع عطف على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة

في الارض

في الارض لعدم استقرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة
لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تع • صافات
اي تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة
كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة
المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ المعيد وقوله تع • كل قد
علم صلوته وتسبيحه • بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر
عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد
من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه
ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء وهو مستفيض
منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان
بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية
بالصلوة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر
لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع
الطير وافرادها وبالصلوة والتسبيح المخصوصين به ما الهمه الله تع كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به
لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برافعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح
المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوفا على المذكور
كأنه قيل وتسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى كل قد علم
صلوته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما
عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشيء منهما حسبما الهمه الله تع فان الهامه تعالى
لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا
ان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحرها
حتى روي انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها
وينتفعون بانذاره بتدارك امورهم وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل
باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى
• والله عليم بما يفعلون • اي بما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول عبارة عما ذكر من الدلالة
العامة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض
حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاول لتسبيح الكل معا وقد قيل ان الضمير في قوله تع قد علم لله تعالى عز وجل
وفي صلوته وتسبيحه لكل اي قد علم الله تعالى صلوة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر
لمضمونه على الوجهين لكن على ان يكون ما عبارة عما يتعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له و

وافق له العباد رقا عنه وعبادا خضعان فيها دخولا اوليا ● ولله ملك السموات والارض ● لا لغيره لانه الخالق
لها ولما فيها من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة ● والى
الله ● اي اليه تعالى خاصة لا الى غيره ● المصير ● اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى
في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبداء واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والاشعار
بعلة الحكم ● الم تر ان الله يزجي سحابا ● الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء
يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به
ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ● ثم يجعله ركاما ● اي متراكما
بعضه فوق بعض ● فترى الودق ● اي المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى ● يخرج من خلاله ●
اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من
المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير
الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال في جبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله و
ينزل من السماء ● من الغمام فان كل ما علاك سماء ● من جبال ● اي من قطع عظام تشبه الجبال في
العظم كائنة ● فيها ● وقوله تعالى ● من برد ● مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية
على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض
البرد بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح بتبعيضية المنزل وقيل المفعول من جبال على
ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها هي برد اي شبيهة
بالجبال في الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل
ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من
الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان
وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض
وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيته المبنية
على الحكم والمصالح ● فيصيب به ● اي بما ينزل من البرد ● من يشاء ● ان يصيبه به فيناله ما يناله
من ضرر في نفسه وماله ● ويصرفه عمن يشاء ● اي يصرفه عنه فينجو من غائلته ● يكاد سنا برقه ● اي
ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل
الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة
والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء على انه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة
وبضمهما للاتباع بضمة الباء ● يذهب بالابصار ● اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي
اطلاق الابصار مزيد تهويل للامر وبيان لشدة تأثيره فيها كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض و

وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة
الباء ● يقلب الله الليل والنهار ● بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد دون غيرهما
مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ● ان في ذلك ● اشارة
الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته ● لعبرة ● لدلالة
واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيته وتنزهه
عما لا يليق بشأنه العلي ● لاولي الابصار ● لكل من له بصر ● والله خلق كل دابة ● اي كل حيوان يدب على
الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة ● من ماء ● هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب
منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق ● فمنهم من
يمشي على بطنه ● كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونه زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ● ومنهم من
يمشي على رجلين ● كالانس والطير ● ومنهم من يمشي على اربع ● كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر
من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف
بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة ● يخلق الله ما يشاء ● مما ذكر ومما
لم يذكر بسيطا كان او مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع
اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية
● ان الله على كل شيء قدير ● فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف
التعليلي ● لقد انزلنا آيات مبينات ● اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية
● والله يهدي من يشاء ● ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها والتدبر لمعانيها ● الى صراط مستقيم ●
موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة وهدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون
الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي
صلعم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي في ارض وماء فابى ان يحاكم الى الرسول صلعم واياما كان فصيغة الجمع
للايذان بان للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
واطعنا ● اي اطعناهما في الامر والنهي ● ثم يتولى ● عن قبول حكمه ● فريق منهم من بعد ذلك ● اي من بعد ما صدر عنهم
من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به
واجب المراعاة ● وما اولئك ● اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين
بخلاف العكس فانه نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في
الكفر والفساد اي وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل ● بالمؤمنين ●
اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه ● واذا
دعوا الى الله ورسوله ليحكم ● اي الرسول ● بينهم ● لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله
تعالى لتفخيم امره والايذان بجلالة محله عنده تعالى ● اذا فريق منهم معرضون ● اي فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة

اليه ام يكون الحق عليهم وعلمهم بانه عم يحكم بالحق عليهم وهو شرح لقوله تعالى وبيان لوقته وان لم يكن لهم الحق لا
عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم بانه عم يحكم لهم واليه صلة ليأتوا لان الاتيان والمجيء يعديان بالى
او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض
انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم
وترديد المنشائية بين هذه الامور مع الاستفهام لتبيين بعض منها ولتبيه الهمزة وام من الامور الثلثة بل هو من انتهائها كانه
قيل اذلك اي لاعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام لانهم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
ثم اضرب عن الكل وابطل منشائيته وحكم بان المنشأ شيء اخر من شنائعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون
اي ليس ذلك لشيء مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عم عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه
مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف
اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عم في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا
من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عم لعلمهم بانه عم يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد
من الاضراب في الاولين هو وصف منشائيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل
والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما اذا فسد امر المشهود له بالعلم في الجملة ام ارتابوا بان رأوا منه
تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به ومن هذا التفسير للنفي حيث تفصيل الارتياب ومن مساعدته معا فما ذكر على
التفصيل ووقع ما قيل وقيل حسما لتعقيبه النظر الجليل انما كان قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان
وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في
التعريف وذلك هو الفعل المقدر بان لانه لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اخرجت عنه
الاضافة لكن قراءة الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل
هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة
من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل
فاذن هو احق بالخبرية واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة
الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول
الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول بينهم اي بين خصومهم سواء
كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا اخر اصلا
واما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين اي انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكي عنهم
ففيه من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا
للموضوع وابراز ما هو بخلافها في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا
الى مصدره مجازا اي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي وقع التقطع بينكم
واولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد

منزلتهم

منزلتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلب و
الناجون عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين و
ترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اي ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية
وقيل في الفرائض والسنن والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله ويتقه باسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف
وقرئ بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء اي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك الموصوفون
بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم واقسموا بالله حكاية لبعض اخر
من اكاذيبهم مؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذي هو في حيز النصب على انه
حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم
جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو
مصدر مؤكد لاقسموا اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن امرتهم اي
بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلعم اينما كنت نكن معك لئن خرجت
خرجنا وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية
قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر عم بردها حيث قيل قل اي ردا عليهم وزجرا لهم عن
التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا اي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة
وقوله طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة
نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف
لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ
او خبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة امثل او لتكن طاعة معروفة او
اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام ان الله خبير بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها
ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة
المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة
امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيدهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل
اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بالامر بقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول
نهي بطريق الرد والتقريع كما في قوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وفي الثاني بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة
المأمور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة في شيء
اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الامر بها والمبالغة في ايجاب
الامتثال به والحمل عليه بالترغيب والترهيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك
ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى والوجيز منه
بجملة مبتدأ الاشباع اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالالتفات الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره

تعالى اياهم بواسطته عليه السلام وتقرير لبيان حكم الامتثال للامر والتولي عنه اجمالاً وتفصيلاً من افادة ما
ذكر من التاكيد والمبالغة بالاشارة [illegible] وتوهم انه داخل تحت القول المامور بحكايته من جهته تعالى وانه ابلغ في تبكيت
المخاطبين [illegible] والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها [illegible] وعدم التبليغ به [illegible] عنهم
الى تبليغ ما امره [illegible] الذكرى ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها • فانما عليه • اي فاعلموا انما عليه
عليه السلام • ما حمل • اي امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول • وعليكم ما حملتم • اي ما امرتم
به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤونة باقية في عهدتهم بعد كانه قيل وحيث توليتم عن ذلك
فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل [illegible] ما حمل محمول على المشاكلة • وان تطيعوه • اي فيما امركم به من الطاعة
تهتدوا الى الحق الذي هو المقصد الاصلي الموصل الى كل خير والمنجي عن كل شر وتاخيره من بيان حكم التولي لما في تقدم
الترهيب من تاكيد الترغيب وتقريبه مما يتبعه من الوعد الكريم وقوله تعالى • وما على الرسول الا البلاغ • اعتراض مقرر
لما قبله من ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاماً اوليا او
للعهد اي ما على جنس الرسول كائناً من كان او ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح
او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقي ما حملتم • وعد
الله الذين آمنوا منكم • استئناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق
التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو
المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من
اي طائفة كان وفي اي وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة
فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة [illegible] منكم لعامة الكفرة لا المنافقين خاصة ومن تبعيضية
• وعملوا الصالحات • عطف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب عليها
ما نظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته
في استتباع الآثار والاحكام وللايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما ما جيء منهما في قوله
تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجراً عظيماً فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه
عليه الصلاة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون
عليهما فلابد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها حتما وجعل الخطاب للنبي صلعم ولامته عموماً على ان
من تبعيضية او له ولمن معه من المؤمنين خصوصاً على انها بيانية فقد تأدى بما بعينه سياق النظم الكريم
وسياقه [illegible] والبعد عما يليق بشأنه عم [illegible] • ليستخلفنهم في الارض • جواب للقسم اما بالاضمار
او بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين تصرف الملوك في مماليكهم
او خلفا من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة • كما استخلف الذين من قبلهم •
هم بنوا اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة وهم ومن قبلهم من الامم
المؤمنة التي اشير اليهم في قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا

يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم
ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تاكيده بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم استخلافاً
كائناً كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور
بل ما يدل هو عليه من فعل مبني للمفعول جار مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة
كانه قيل ليستخلفنهم في الارض فيستخلفن فيها استخلافاً اي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وهكذا [illegible] في
قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى فانبتها الله نباتا حسنا على احد الوجهين اي فنبتت نباتا
حسنا على احد الوجهين اي فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال • وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع • من المال الا
مسحتا او مجلف اي فلم يبق الا مسحت الى آخره • وليمكنن لهم دينهم • عطف [illegible] العاجل [illegible] المواعيد
بها في الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه في كل ما يأتون
وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه
قوله تعالى انا مكنا له في الارض ونظائره وكلمة اللام للايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال
ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته من التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار
مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان
كون الموعود من منافعهم مشوقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولانه في توسيطها بينه وبين وصفه
اعني قوله تعالى • الذي ارتضى لهم • وتاخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو
دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه • وليبدلنهم
بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال • من بعد خوفهم • اي من الاعداء • امنا • حيث ان اصحاب النبي عم مكثوا قبل
الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل
منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة
فانزل الله عز وجل هذه الآية وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال
يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف
العذاب الذي [illegible] في الآخرة • يعبدونني • حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استئناف لبيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد • لا يشركون بي شيئا • اي يعبدونني
غير مشركين بي في العبادة شيئا • ومن كفر • اي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب
فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة
العظيمة والاول هو الانسب بالمقام • بعد ذلك • اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة
لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها • فاولئك • البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال
• هم الفاسقون • الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان • واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة •
عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمامورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولي

تعلمون فإن تولوا إلى آخره وترغيبه تعالى إياهم في الطاعة بقوله تعالى وإن تطيعوه تهتدوا إلى آخره ووعده تعالى إياهم على
الإيمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الأمر
بالإيمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكأنه قيل فآمنوا واعملوا صالحا وأقيموا فلا تكفروا وأقيموا وعطفه على أطيعوا
الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم • وأطيعوا الرسول • أمرهم الله سبحانه بذلك بعد ما أمرهم بواسطة الرسول عم من طاعته
التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تأكيدا للأمر السابق وتقريرا لمضمونه على أن المراد بالمطاع فيه جميع الأحكام الشرعية المنتظمة للآداب
المرضية أيضا أي وأطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أو تكميلا لما قبله من الأمر الخاص بالصلوة والزكوة على أن
المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع أي وأطيعوه في سائر ما يأمركم به إلى آخره وقوله تعالى • لعلكم ترحمون • متعلق على الأول
بالأمر الأخير المشتمل على جميع الأوامر وعلى الثاني بالأوامر الثلثة أي افعلوا ما ذكر من الإقامة والإيتاء والطاعة
راجين أن ترحموا • لا تحسبن الذين كفروا • لما بين حال من أطاعه عم وأشير إلى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة
لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عم ومآل أمره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في
الفسوق تكميلا لأمر الترغيب والترهيب والخطاب إما لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان وإما للرسول صلعم على
منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للإيذان بأن الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينبغي
أن ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على أنه مفعول أول للحسبان وقوله تعالى
معجزين ثانيهما وقوله تعالى • في الأرض • ظرف لمعجزين لكن لا لإفادة كون الإعجاز المنفي فيها لا في غيرها فإن ذلك
مما لا يحتاج إلى البيان بل لإفادة شمول عدم الإعجاز لجميع أجزائها أي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن إدراكهم
وإهلاكهم في قطر من أقطار الأرض بما رحبت وإن هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن [illegible] الكافرون معجزين
له سبحانه في الأرض وهو الموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عبارة عن أنفسهم كأنه قيل لا يحسبن
الكافرون أنفسهم معجزين في الأرض وأما جعل معجزين مفعولا أول وفي الأرض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة
لمقتضى المقام ضرورة أن مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الأرض وقد مر في
قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة وقوله تعالى • ومأواهم النار • معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية
لأن المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم إلى آخره أو
على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كأنه قيل • لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فإنهم مدركون و
مأواهم إلى آخره وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون فقد بر ولبئس المصير جواب القسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
أي وبالله لبئس المصير هي أي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفي إيراد النار بعنوان كونها مأوى
ومصيرا لهم إثر نفي فوتهم بالهرب في الأرض كل مهرب من الجزالة ما غايته وراءه فقد در شأن التنزيل • يا أيها
الذين آمنوا • رجوع إلى بيان تتمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة
فيها وفي الأحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب إما للرجال خاصة
والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص أو للفريقين جميعا بطريق التغليب روي أن غلاما لأسماء بنت أبي مرثد
دخل عليها في وقت كرهته وقيل أرسل رسول الله صلعم مدلج بن عمرو الأنصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر

رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضه لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا
أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى رسول الله صلعم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية
ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم • من العبيد والجواري • والذين لم يبلغوا الحلم • أي الصبيان القاصرون
عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله • منكم • أي من الأحرار • ثلث مرات • أي ثلث
أوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للإيذان بأن مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الأوقات
لمرور المستأذن بالمخاطبين لا أنفسها • من قبل صلوة الفجر • لظهور أنه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب
النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلث مرات أو الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي أحدها من
قبل إلى آخره • وحين تضعون ثيابكم • أي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لأجل القيلولة وقوله تعالى
من الظهيرة وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الأمر أعني وضع الثياب في هذا الحين
دون الأول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لأجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها إيراد الحين مضافا
إلى فعل حادث منقض ووقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الأحوال و
بروز الأمور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فإن تحقق التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلوتين كما في قوله
تعالى وإن كنت من قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي بل ما يعرض منهما
لما في ذلك الوقت الممتد المتصل بالصلوتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى • ثلث عورات • خبر مبتدأ
محذوف وقوله تعالى • لكم • متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات أي كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان
علة وجوب الاستئذان أي هي ثلثة أوقات يختل فيها التستر عادة والعورة في الأصل هو الخلل غلب في الخلل
الواقع فيما يهم حفظه ويتعين ستره أطلقت على الأوقات المشتملة عليها مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلث عورات
بالنصب بدلا من ثلث مرات • ليس عليكم ولا عليهم • أي على المماليك والصبيان • جناح • أي إثم في الدخول بغير
استئذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الأمر والاطلاع على العورات أي بعد كل واحدة من تلك العورات الثلث وهي
الأوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وإيرادها بعنوان البعدية مع أن كل وقت من تلك الأوقات قبل عورة من
العورات كما أنها بعد أخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذي هو عبارة عن رفعه إذ الرخصة إنما تتصور في فعل
يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد
جوز على القراءة الأولى كونها في محل الرفع على أنها صفة أخرى لثلث عورات وأما على القراءة الثانية فهي مستأنفة
لا غير إذ لو جعلت صفة لثلث عورات وهي بدل من ثلث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء في ثلث عورات
لا إثم في ترك الاستئذان بعدهن وحيث كان انتفاء الإثم حينئذ مما لم يعلمه السامع إلا بهذا الكلام لم
يتسن إبرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فإن انتفاء الإثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله
تعالى • طوافون عليكم • استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة
وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا في الفرق بين الأوقات الثلثة وبين غيرها بكونها عورات • بعضكم على بعض • أي بعضكم

واطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج إلى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة أنه وقت التجرد صح

طائف على بعض طوافا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض • كذلك • اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شان المشار اليه والايذان ببعد منزلته وعلوه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اي مثل ذلك التبيين • يبين الله لكم الآيات • الدالة على الاحكام اي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع انه يؤدي الى تخصيص الآيات بما ذكر هاهنا • والله عليم • مبالغ في العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم • حكيم • في جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا • واذا بلغ الاطفال منكم الحلم • لما بين فيما مر ان حكم الاطفال انه لا جناح في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقب بيان حالهم بعد البلوغ في ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلثة عقب بيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم الدخول اي اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب • فليستاذنوا • اذا ارادوا الدخول عليكم • كما استاذن الذين من قبلهم • في حد البعض على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة ايضاحه لا بيان زمانه اي فليستاذنوا استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستاذنوا في جميع الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف • كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم • الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتاكيد والمبالغة في الامر بالاستيذان واضافة الآيات الى ضمير الجلالة لتشريفها • والقواعد من النساء • اي العجائز • اللاتي • قعدن عن الحيض والحمل • اللاتي لا يرجون نكاحا • اي لا يطمعن فيه لكبرهن • فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن • اي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او للوصف بها • غير متبرجات بزينة • غير مظهرات للزينة مما امر باخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا انه خص بكشف المراة زينتها ومحاسنها للرجال • وان يستعففن • بترك الوضع • خير لهن • من الوضع لبعده من التهمة • والله سميع • مبالغ في سمع جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة • عليم • فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى • ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج • كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذارا من استقذارهم اياهم وخوفا من تاذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه عين الاكيل وهو لا يشعر به والاعرج يتفسح في مجلسه فياخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعله اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الاكل من اموال الذين

كانوا اذا خرجوا الى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان ياكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة • ولا على انفسكم • اي عليكم وعلى من يماثلكم في الاحوال من المؤمنين حرج • ان تاكلوا • اي في ان تاكلوا وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يابأه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف حتما • من بيوتكم • اي البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك ولقوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه • او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم • وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية • او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه • من البيوت التي تملكون التصرف فيها باذن اربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه • او صديقكم • اي او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به من كثير من الاقرباء روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الصديق اكثر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين واضرابهما وهذا فيما اذا علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتياد وهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى • ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا • كلام مستانف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو من كنانة يتحرجون ان ياكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا ياكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا ياكل معه فان لم يجد من يواكله لم ياكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان آكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم في ان ياكلوا كيف شاؤوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى واشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تاكلوا واشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال امر شت اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم ان تاكلوا مجتمعين او متفرقين • فاذا دخلتم • شروع في بيان الآداب التي يجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه • بيوتا • اي من البيوت المذكورة • فسلموا على انفسكم • اي على اهلها الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك • تحية من عند الله • اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحيوة التي هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم • مباركة • مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامهما • طيبة • تطيب بها نفس المستمع وعن انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين • كذلك يبين الله لكم الآيات • تكرير لتاكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها

لعلكم تعقلون • أي ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الأوليين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى • إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله • استئناف جيء به في أواخر الأحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وإنما ذكر الإيمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وإيذانا بأنه حقيق بأن يجعل قرينا للإيمان بهما منتظما في سلكه فقوله تعالى • وإذا كانوا معه على أمر جامع • إلى آخره معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة أي إنما الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الأحكام التي من جملتها ما فصل من قبل من الأحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة في الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما إذا كانوا معه عم على أمر مهم يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والأعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى اجتماع أولي الآراء والتجارب ووصف الأمر بالجمع للمبالغة وقرئ أمر جميع • لم يذهبوا • أي من المجمع مع كون ذلك الأمر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند إقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه • حتى يستأذنوه • عليه السلام في الذهاب لا على أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الإذن المنوط برأيه عم والاقتصار على ذكره لأنه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال الإيمان لا الإذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما أنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن المنافق فإن ديدنه التسلل للفرار والتعلل بما في الذهاب بغير إذنه عم من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله سبحانه • إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله • فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الأول بأن الكاملين في الإيمان هم الجامعون بين الإيمان بهما وبين الاستئذان وفي أولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى • فإذا استأذنوك • بيان لما هو وظيفته عم في هذا الباب إثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وأن الإذن عند الاستئذان ليس بمحتوم بل هو مفوض إلى رأيه عم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي بعد ما تحقق أن الكاملين في الإيمان هم المستأذنون فإذا استأذنوك • لبعض شأنهم • أي لبعض أمرهم المهم وخطبهم الملم • فأذن لمن شئت منهم • لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة • واستغفر لهم الله • فإن الاستئذان وإن كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة • إن الله غفور • مبالغ في مغفرة فرطات العباد • رحيم • مبالغ في إفاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الأمر بالاستغفار لهم • يا أيها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول صلعم • استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لإبراز مزيد الاعتناء بشأنه أي لا تجعلوا دعوته عم إياكم في الاعتقاد والعمل بها • كدعاء بعضكم بعضا • أي لا تقيسوا دعاءه عليه السلام إياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الأحوال وأمر من الأمور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عم بغير استئذان فإن ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عم ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فإن دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل ويأباه حمله لما قبلها أما من حيث إن الاستجابة تعالى لدعائه عم مما يوجب منع الإذن بأن يمر غيره عم وما بعثهم له في الورود والصدور الكل الجناب وأما من حيث إنها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عم المؤدي إلى ما يوجب هلاكهم من دعائه عم عليهم

وأما ما قيل

وأما ما قيل من أن المعنى لا تجعلوا نداءه عم كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام كما لا يناسب قوله تعالى • قد يعلم الله الذين يتسللون منكم • إلى آخره وعيد لمخالفي أمره عم فما ذكر • من قبل • فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما أن رب يجيء للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر أي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية • لواذا • أي ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالإذن إراءة أنه من أتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون أي ملاوذين وعلى أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة أي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى • فليحذر الذين يخالفون عن أمره • لترتيب الحذر والأمر به على ما قبلها من علمه تعالى بأحوالهم فإنه مما يوجب الحذر البتة أي يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمينه معنى الإعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه وحذف المفعول لأن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لأنه الآمر حقيقة أو للرسول صلعم لأنه المقصود بالذكر • أن تصيبهم فتنة • أي محنة في الدنيا • أو يصيبهم عذاب أليم • أي في الآخرة وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع وإعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على أن الأمر للإيجاب فإن ترتيب العذاب على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن إصابتها يوجب وجوب الامتثال به حتما • ألا إن لله ما في السموات والأرض • من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا إيجادا وإعداما بدءا وإعادة • قد يعلم ما أنتم عليه • أيها المكلفون من الأحوال والأوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والإخلاص والنفاق • ويوم يرجعون إليه • عطف على ما أنتم عليه أي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للأمر إليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وفيه إشعار بأن علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج إلى البيان قطعا ويجوز أن يكون الخطاب أيضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل • فينبئهم بما عملوا • من الأعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الأمر فيترتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالسيئة في قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم الآية • والله بكل شيء عليم • لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء • عن النبي صلعم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان • البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضا ونسبتها إليه تعالى على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فإن ما لا يتصور نسبته إليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب إليه تعالى إلا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الإنسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز أن يكون حقيقة

م صح

ما تنكشف به الحيرات وتزايدها شيئا فشيئا واما فانما بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولا استقلالها بالدلالة
على غاية الكمال وحكمتها بالفعل والاشعار بتعجب اهل السنة وهو الابانة عن نهاية التعظيم بحيث استحقاقها في حق غيره
تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية
فرقه بين الحق والباطل بما حكاه او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه او في انزاله
على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عليه السلام بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه السلام في اقصى مراتب العبودية
والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى ليكون غاية للتنزيل اي نزله عليه ليكون هو
عليه السلام او الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا اي منذرا او انذارا مبالغة او ليكون نذيرا انذارا وعدم التعرض
للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان في
معرض الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم
تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى لا ريب فيه الذي له ملك السموات والارض اي
له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة
والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه
وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام صلته ومعلومية مضمونه للكفرة مما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع
ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره او مدح له تعالى بالرفع او بالنصب ولم يتخذ ولدا كما يزعم الذين
يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه
في سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله
ولم يكن له شريك في الملك اي ملك السموات والارض وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر
من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد في نحورهم
وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول و
خلق كل شيء اي احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته
المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة
الآثار والاحكام فقدره اي هيأه لما اراد به من الخصائص والافعال اللائقة به تقديرا بديعا لا يقادر قدره
ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة
ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة
معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فالمعنى اوجد كل شيء فقدره في ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل من ان المعنى
احداثه تعالى خلق لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز لحمل الخلق على
مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير واعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني
هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وايا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة فان خلقه

تعالى

تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضي انتظام كل ما
سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه الها
له سبحانه او شريكا في ملكه واتخذوا من دونه آلهة بعد ما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله
تعالى الفرقان العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية
اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة
بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم اي اتخذ الاشياء من دونه الذي ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات
والارض به وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير آلهة لا يخلقون شيئا اي لا
يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان يختلقوا شيئا
وهم يختلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل
عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في
الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف
يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتخصيص
على قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يقدرون على التصرف في شيء ما منها باماتة الاحياء واحياء
الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على
التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين
بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين كفروا ان هذا الا افك
شروع في حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول عبارة عن غلاتهم في الكفر والطغيان
وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم وروي عن الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث
والجمع لمشايعة الباقين له في ذلك واما ما في كلمهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به
كفر عظيم وفي كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون انه اختلقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانه عليه اي على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة
وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وقيل هو عابس
وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاءوا ظلما منصوب بجاءوا فان جاء واتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته
او بنزع الخافض اي بظلم قال الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاءوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق
البحت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق
بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية و
الاحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تحيط بفهمه القوى
والقدر وزورا اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه ما هو بريء منه والعطف لترتب ما بعدها على ما
قبلها لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر او يحصل بسببه بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة

واما الترتب بحسب التغاير الاعتباري وقد مر تحقيق ذلك المعنى فان ما جاؤوا من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم لكنه باعتبار
مغايرته للمعبر عنه واظهر نفسه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتب اللازم على الملزوم تهويلا للامر • وقالوا اساطير الاولين •
بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير
جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي ما سطره المتقدمون من الخرافات • اكتتبها • اي كتبها لنفسه على
الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه السلام امي واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى
الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني الفعل للضمير المنفصل
فاستتر فيه • فهي تملى عليه • اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من
ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتبها
ورجع الضمير المجرور اليه عليه السلام لاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه • بكرة واصيلا • اي دائما او خفية قبل
انتشار الناس وحين ياوون الى مساكنهم انظر الى هذه الرتبة من الجراءة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون • قل انزله
الذي يعلم السر في السموات والارض • وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الخفية
والجلية للايذان بانطوائه على اسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من النعي عليهم بمجازاتهم بجناياتهم المحكية
التي من جملتها ما نعتوا به عليه السلام ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة و
اساطير الاولين بل هو امر سماوي انزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم
والاسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات مستقبلة
وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم
بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى • انه كان غفورا رحيما • تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة
اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في
حقه مع كمال استيجابكم اياها وغاية قدرته تعالى عليها • وقالوا ما لهذا الرسول • شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة
بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء وخبرها ما بعدها من
الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشانه عليه السلام وتسميته رسولا بطريق الاستهزاء به كما قال فرعون ان
رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وقوله تعالى • ياكل الطعام • حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى
الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه ياكل الطعام كما ناكل • ويمشي في الاسواق
لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة
الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم
الرجاء امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه فكذلك كل من الاكل والمشي امر محقق قد
استبعد تحققه لانتفاء سببه بل بوجود سبب عدمه خلا ان الاستبعاد والانكار في الاول بطريق
التحقيق وفي الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما
ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي يستبعدونه الرسالة المنافية

لهما على زعمهم

لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم
وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية
كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد • لولا انزل اليه ملك • اي على صورته
ومعاينة • فيكون معه نذيرا • تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح
ان يكون معه ملك يصدقه ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى • او يلقى اليه
كنز • تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش
ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى • او تكون له جنة ياكل منها • تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من
الوقوع وقرئ ناكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم • وقال الظالمون • هم القائلون الاولون و
انما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما
فيه من نسبته صلعم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين • ان تتبعون • اي ما تتبعون • الا رجلا مسحورا •
قد سحر وغلب على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول
هو الانسب بحالهم • انظر كيف ضربوا لك الامثال • استعظام للاباطيل التي اجترؤوا على التفوه بها
وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى
الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع • فضلوا • اي طريق المحاجة
حيث لم ياتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين • فلا يستطيعون سبيلا • الى
القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا
يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة • تبارك
الذي • اي تكاثر وتزايد خير الذي • ان شاء جعل لك • في الدنيا عاجلا شيئا • خيرا لك من ذلك • الذي اقترحوه
من ان يكون لك جنة تاكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى • جنات تجري من تحتها الانهار • بدل
من خيرا وتحقيق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار • ويجعل لك قصورا •
عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في
جزائه الجزم والرفع كما في قول القائل وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق
ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين
الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما
للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء
عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما • بل كذبوا بالساعة • اضراب عن توبيخهم
بحكاية جناياتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى • واعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا • اي اعددنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شانها كيت وكيت بسبب تكذيبهم

بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم أو لكل من كذب بها كائناً من كان وهم داخلون في زمرتهم
دخولاً أولياً ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار إعتاد السعير لهم وإن لم يكن مجرد تكذيبهم
بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به الشريعة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير أشير إلى
سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا الخ على معنى بل أتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة
وأنكروها والحال قد أعتدنا لكل من كذب بها سعيراً فإن جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما أعد لمن كذب
بها من أنواع العذاب أعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن
الوعد بالجنات في الآخرة مسوق لبيان أن ذلك لا يجدي نفعاً ولا يحلي بطائل على طريقة قول من قال عوجوا لنعم
نحيي دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار والمعنى أنهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب
وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية و
ظنوا أن الكرامة ليست إلا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة إلى تكذيبك وقوله تعالى إذا رأتهم إلخ صفة
للسعير أي إذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما أي لا تتقاربان بحيث تكون إحداهما بمرأى
من الأخرى على المجاز كأن بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية إليها لا إليهم للإيذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان
غضبها عليهم عند رؤيتها إياهم حقيقة أو تمثيلاً وفي قوله تعالى من مكان بعيد إشعار بأن بعد ما بينها وبينهم
من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لأمرها قال الكلبي والسدي
من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظاً وزفيراً أي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها
بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وإن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق
الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وإن ذلك لزبانيتها فنسب إليها على حذف المضاف وإذا ألقوا منها مكاناً
نصب على الظرفية ومنها حال منه لأنه في الأصل صفة له ضيقاً صفة لمكاناً مفيدة لزيادة شدة
فإن الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السر في وصف الجنة بأن عرضها عرض السموات والأرض
وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلعم عن ذلك فقال و
والذي نفسي بيده إنهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الأسفلون يرفعهم اللهب والأعلون
يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقاً بسكون الياء مقرنين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالجوامع
وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وفي أرجلهم الأصفاد دعوا هنالك أي
في ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبوراً أي يتمنون هلاكاً وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك وأوانك
لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً على تقدير قول إما منصوب على أنه حال من فاعل دعوا أي دعوه مقولاً لهم
ذلك حقيقة بأن تخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وأنهم لا يجابون إلى ما يدعونه ولا ينالون
ما يتمنونه من الهلاك المنجي أو تمثيلاً وتصويراً لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون هناك قول
ولا خطاب أي دعوه حال كونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك وإما مستأنف وقع جواباً عن سؤال ينسحب
عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك إقناطاً مما علقوا به أطماعهم من

الهلاك

الهلاك وتنبيهاً على أن عذابهم الملجئ لهم إلى استدعاء الهلاك بالمرة أبدي لا خلاص لهم منه أي لا تقتصروا على ثبور
واحد وادعوا ثبوراً كثيراً أي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فإن ما يدعونه ثبور واحد
في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الأدعية الكثيرة صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منه وتحقيقه
لا تدعوه دعاء واحداً وادعوه أدعية كثيرة فإن ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب
لتكرير الدعاء في كل آن وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد
أنواعه وألوانه أو لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى وأما ما قيل من أن المعنى إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحداً
إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت
جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم إنما يدعون هلاكاً ينهي عذابهم وينجيهم
منه فلا بد أن يكون الجواب قطعاً لأطماعهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه
من العذاب الشديد وتقييد النهي والأمر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على أنه ليس كسائر الأيام
المعهودة قل تقريعاً لهم وتهكماً بهم وتحسيراً على ما فاتهم أذلك إشارة إلى ما ذكر من السعير
باعتبار اتصافها بما فصل من الأحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للإشعار بكونها في الغاية القاصية
من الهول والفظاعة أي قل لهم أذلك المذكور من السعير التي أعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها
كيت وكيت وشأن أهلها ما ذكر خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون أي وعدها المتقون
وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى
لا بالمرتبة الثانية أو الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم في علم الله تعالى أو في اللوح أو لأن ما وعده الله
تعالى فهو كائن لا محالة فحكى تحققه ووقوعه جزاء على أعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم ومصيراً ينقلبون إليه
لهم فيها ما يشاؤون أي ما يشاؤونه من فنون الملاذ والمشتهيات وأنواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما
تشتهي أنفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما أتيح له من درجات النعيم ولا يمتد أعناق هممهم إلى ما فوق ذلك
من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب أهل الجنان خالدين حال من الضمير المستكن في
الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤون كان أي ما يشاؤون وقيل الوعد المدلول عليه
بقوله تعالى وعد المتقون على ربك وعداً مسؤولاً أي موعوداً حقيقاً بأن يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه
المتنافسون أو مسؤولاً يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا
وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه
الإلجاء إلى الإنجاز فإن تعلق الإرادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للإنجاز وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره عليه السلام من تشريفه والإشعار بأنه عليه السلام هو الفائز بآثار ذلك الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم يحشرهم
نصب على أنه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل أذلك إلخ أي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم
يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه
مراراً أو على أنه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والإيذان بقصور العبارة عن بيانه

اى يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا ينبغى بيانه بالمقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة
الى التكلم وبكسر الشين ايضاً • وما يعبدون من دون الله • اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة
للكل كما ينبئ عنه انك اذا رايت شبحاً من بعيد تقول ما هو او لانه اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبوديهم
او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيهاً على انهم مثلها فى السقوط عن رتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد
به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل فى
شهادة الايدى والارجل • فيقول • اى الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعاً للعبدة وتبكيتاً لهم وقرئ
بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة • ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء •
بان دعوتموهم الى عبادتكم كما فى قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله • ام هم ضلوا
السبيل • اى عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول
كقوله تعالى وهو يهدى السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لان المقصود هو
المتصدى للفعل لا نفسه • قالوا • استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا
فى الجواب فقيل قالوا • سبحانك • تعجباً مما قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على
شئ او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده او تنزيهاً له تعالى
عن الانداد • ما كان ينبغى لنا • اى ما صح وما استقام لنا • ان نتخذ من دونك • اى متجاوزين اياك
• من اولياء • نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان
نتخذ ولياً او ان نتخذ من دونك اولياء اى اتباعاً فان الولى كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى
يطلق على الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اى اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدى
الى مفعولين كما فى قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء على ان من للتبعيض اى ان نتخذ
بعض اولياء وهى على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام
• ولكن متعتهم واباءهم • استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم
وقد نعى عليهم بسوء صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسباباً للضلالة اى ما اضللناهم ولكنك متعتهم واباءهم
بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا فى الشهوات وانهمكوا فيها • حتى نسوا الذكر • اى
غفلوا عن ذكرك او عن التذكر فى الائك والتدبر فى اياتك فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية
• وكانوا • اى فى قضائك المبنى على علمك الازلى المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة
• قوماً بوراً • هالكين على ان بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ
فى جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى • فقد كذبوكم • حكاية لاحتجاج على العبدة بطريق
تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة فى تقريعهم وتبكيتهم على
تقدير قول مرتب على الجواب اى فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة • بما تقولون • اى فى
قولكم انهم الهة وقيل فى قولكم هؤلاء اضلونا والباء ان تكذيبهم فى هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم

استطاعتهم

استطاعتهم للصرف والنصر اصلا واما الذى يستتبعه تكذيبهم فى زعمهم انهم الهتهم وناصروهم واياً ما كان فالباء بمعنى
فى او هى صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك
الاية • فما تستطيعون • اى ما تملكون • صرفاً • اى دفعاً للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اى لا
بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف فى امور اى يحتال فيها وقيل توبة • ولا نصرا •
اى فرداً من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على
معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل فى زعمهم حيث كانوا يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب و
ينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اى ما لم يستطع الهتكم ان يصرفوا عنكم
العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه • ومن يظلم منكم • ايها المكلفون
كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا فى اللجاج كل حد
معتاد • نذقه • فى الاخرة • عذاباً كبيراً • لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه
وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطاً وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر فى اذاقة العذاب الكبير فان
الشرط فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقاً وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعاً وبالعفو عندنا •
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق • جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشى فى الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة لمحذوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت
هى مقامه كما فى قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احداً من المرسلين الا اكلين وماشين وقيل
هى حال والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اى يمشيهم حوائجهم او الناس
• وجعلنا بعضكم • ايها المخاطبون بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار
الامم فان اختصاصهم بالرسل وتعنتهم معهم مصحح لان يعدوا بعضاً منهم وبما فى قوله تعالى • لبعض • رسلهم لكن لا على معنى
جعلنا مجموع البعض الاول • فتنة • اى ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثانى ولا على معنى جعلنا بعضاً مبهماً من الاولين
فتنة لبعض مبهم من الاخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتونين بمجموع الامم ولا
كل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا البعض مبهم من الاولين لبعض منهم من الاخر بل على معنى جعلنا كل
بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة
فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلاً على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب
لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض اخر منكم فيأباه
قوله تعالى • اتصبرون • فانه غاية للجعل المذكور ومن البين ان ليس ابتلاء كل واحد من احاد الناس مغنياً بالصبر
بل بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما يقابله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين والمتوقع
صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيتعلق بتسليته عليه السلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب
حكمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف
لنعلم صبركم وقوله تعالى • وكان ربك بصيراً • وعد كريم للرسول عليه السلام بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه السلام

عليه بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره صلعم • **وقال الذين لا يرجون لقاءنا** • شروع في حكاية بعض آخر
من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول الخ ووضع
الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز
وجل ولقاء الشئ عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى
بالبعث والحشر او لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم
البعث والحساب بالكلية لا عدم املهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو
والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب
الذي يستوجبه مقالهم • **لولا انزل علينا الملائكة** • اي هلا انزلوا علينا لتخبرنا بصدق محمد عليه الصلوة والسلام
وقيل هلا انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم • **او نرى ربنا** • من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم
في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى • **لقد استكبروا في انفسهم** • اي في شأنها حتى اجترءوا على التفوه بمثل هذه
العظيمة الشنعاء • **وعتوا** • اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان • **عتوا كبيرا** • بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل
مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة
التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها احداق الامم
ولا تمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولو العزائم الماضية من الانبياء عليهم السلام واللام جواب قسم محذوف
اي والله لقد استكبروا الاية وفيه من الدلالة على قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى
• **يوم يرون الملائكة** • استيناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام
بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم تنزل الملائكة
ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه اخر غير معهود ويوم منصوب
على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى • **لا بشرى يومئذ للمجرمين** • فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي
الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع
البشرى وفقدانها مشعر بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها
كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت الانذار
لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر
مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم
الظرف للاهتمام لا لقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع
موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم
الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا
بالعفو والشفاعة في وقت اخر بمعزل من الحق بعيد • **ويقولون** • عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما
يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له • **حجرا محجورا** • وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء

عدو موتور او هجوم نازلة ونحوهما يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا يلحقهم
فكان المعنى نسأل الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقد
قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة وهم يقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا
منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس فظيع ومحجورا صفة لحجرا وارادة للتأكيد كما
قالوا ذيل ذائل وليل اليل وقيل يقولها الملائكة ايقاظا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله
تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح • **وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** • بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا
من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا
عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا
عليه فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافنى عليها بالافساد والتخريب وفرقها كل ممزق بحيث لم
يدع لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم ولا تقصيد
تشبيه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به
اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث
انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين • **اصحاب الجنة** • هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى
• قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاية • **يومئذ** • اي يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم
حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا • **خير مستقرا** • المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس و
التحادث • **واحسن مقيلا** • المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن
سمي بذلك لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل
الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه
مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في اقصى ما يكون
من خيرية او للتهكم بهم كما في قوله تعالى قل اذلك خير الاية هذا وقد جوز ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى
ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة • **ويوم تشقق السماء بالغمام** • بسبب طلوع الغمام
منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض
رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل • **ونزل الملائكة تنزيلا** • اي تنزيلا عجيبا غير معهود وقيل تنشق سماء
سماء وتنزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة وننزل وننزل على صيغة المتكلم من
الانزال والتنزيل وتنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من تنزل
• **الملك يومئذ الحق للرحمن** • اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا
بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدأ
وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا
تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدأ ويومئذ خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين او بمحذوف هو صفة للحق

ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وأيا ما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف
منصوب باذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان أحواله وأهواله وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان
بأن اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا أيها الإنسان
ما غرك بربك الكريم والمعنى أن الملك الحقيقي يومئذ للرحمن • **وكان** • ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله المبالغ
في الرحمة بعباده • **يوما على الكافرين عسيرا** • شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل وأما المؤمنين
فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون أخف عليه من صلوة
مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله • **ويوم يعض الظالم على يديه** • عض اليدين والأنامل
وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها والمراد بالظالم إما عقبة
بن أبي معيط على ما قيل من أنه كان يكثر مجالسة النبي عم فدعاه يوما إلى ضيافته فأبى عم أن يأكل من طعامه
حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن أبى أن يأكل
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال إني لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في
وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال عم لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف
فأسر يوم بدر فأمر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الأنصاري وطعن عليه السلام أبيا يوم
أحد في المبارزة فرجع إلى مكة فمات وإما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا أوليا وقوله تعالى • **يقول** • إلخ
حال من فاعل يعض وقوله تعالى • **يا ليتني** • إلخ محكي به ويا إما لمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه
أو المنادى محذوف أي يا هؤلاء ليتني • **اتخذت مع الرسول سبيلا** • أي طريقا واحدا منجيا من هذه
الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة أو حصلت في صحبته عم طريقا ولم أكن ضالا
لا طريق لي قط • **يا ويلتى** • بقلب ياء المتكلم ألفا كما في صحارى ومدارى وقرئ على الأصل أي يا هلكتي
تعالي واحضري فهذا أوانك • **ليتني لم أتخذ فلانا خليلا** • يريد من أضله في الدنيا فإن فلانا كناية عن الأعلام
كما أن الهن كناية عن الأجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم إناثهم وفل كناية
عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الإناث والفلان والفلانة عن غير العقلاء وتختص فل بالنداء
إلا في ضرورة كما في قوله • في لجة أمسك فلانا عن فل • وقوله خذا حدثاني عن فل وفلان وليس فل مرخما من فلان
خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فإن أريد بالظالم عقبة ففلان كناية عن أبي و
إن أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الإنس والجن وهذا التمني منه
وإن كان مسوقا لإبراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته إلى الغير وقوله تعالى
• **لقد أضلني عن الذكر** • تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه وإظهار ندمه
وحسرته أي والله لقد أضلني عن ذكر الله تعالى أو عن القرآن أو عن موعظة الرسول صلعم أو كلمة الشهادة • **بعد إذ جاءني** •
وتمكنت منه وقوله تعالى • **وكان الشيطان للإنسان خذولا** • أي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك
ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله إما من جهته تعالى أو من تمام كلام الظالم على أنه سمى خليله شيطانا بعد وصفه

بالإضلال

بالإضلال الذي هو أخص الأوصاف الشيطانية أو على أنه أراد بالشيطان إبليس لأنه الذي حمله على مخالة المضلين
ومخالفة الرسول الهادي عم بوسوسته وإغوائه فإن وصفه بالخذلان يشعر بأنه كان يعده في الدنيا ويمنيه
بأنه ينفعه في الآخرة وهو أوفق بحال إبليس • **وقال الرسول** • عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا
وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأهوال والخطوب والإيراده
عم بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عم أي قالوا اكتب ولبث
وقال الرسول إثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث إلى ربه عز وجل • **يا رب إن قومي** •
يعني الذين حكي عنهم ما حكي من الشنائع • **اتخذوا هذا القرآن** • الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في
الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الإشارة • **مهجورا** • أي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا
إليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت
ظاهر النظم الكريم فإنه روي عنه صلعم من تعلم القرآن وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة
متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر إذا هذى أي جعلوه مهجورا فيه
إما على زعمهم الباطل وإما بأن هجروا ولغوا فيه إذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
وقد جوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى
فإن الأنبياء عليهم السلام إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى • **وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من المجرمين** • تسلية لرسول الله صلعم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الأنبياء عم أي كما جعلنا لك أعداء
من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الأباطيل جعلنا لكل نبي من الأنبياء عم الذين هم
أصحاب الشريعة والدعوة إليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى • **وكفى بربك هاديا ونصيرا** • وعد كريم
له عم بالهداية إلى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أي كفاك مالك أمرك ومبلغك إلى الكمال هاديا لك إلى ما يوصلك إلى غاية
الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب أجله وإجراء أحكامه في أكناف الدنيا إلى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك
• **وقال الذين كفروا** • حكاية لاقتراحهم في حقه عم والقائلون هم القائلون أولا وإيرادهم بعنوان الكفر لذمهم و
والإشعار بعلة الحكم • **لولا نزل عليه القرآن** • التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسألك أهل الكتاب أن
تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه أي هلا أنزل كله • **جملة واحدة** •
كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على أحد فإن الكتب المتقدمة لم يكن شأنها ما يتحداها وما دليل
كونها من عند الله تعالى إعجازها وأما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور
المتحقق في كل جزء من أجزائه المقدرة بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في أن ما يدور عليه فلك الإعجاز
هو المطابقة لما تقتضيه الأحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على أن فيه فوائد جمة قد أشير
إلى بعض منها بقوله تعالى • **كذلك لنثبت به فؤادك** • فإنه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة
وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك إشارة إلى ما
يفهم من كلامهم أي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل

منه حاق يحيق بمعنى يحيط

المفرق فؤادك فان فيه تيسير الحفظ النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم
والمصالح المبنية على المناسبة على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلها بالنسخ من احوال المكلفين
وكذلك عامة ما ورد في القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها ما
يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على انهم
في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة
وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بالجملة **ورتلناه ترتيلا** عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم
اي وكذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقتادة وقال
ابن عباس رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه في اثر بعض وقيل هو
الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين او ثلث و
عشرين سنة على تؤدة وتمهل **ولا يأتونك بمثل** من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن
دائرة العقول الجارية لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك
وحق القرآن **الا جئناك** في مقابلته **بالحق** اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال
كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى **واحسن تفسيرا**
عطف على الحق اي جئناك باحسن تفسيرا او على محل بالحق اي اتيناك الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه
في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ
محله النصب على الحالية اي لا يأتونك بمثل في حال من الاحوال الا حال اتياننا اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة
الى ابطال ما اتوا به وتثبيت فؤاده عليه السلام ما لا يخفى وهذه العبارة ناطقة ببطلان جميع الاسولة وصحة جميع الاجوبة وبشارته
منبئة عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات
الشنيعة ولما حصل تثبيت فؤاده عليه السلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة
التي كانوا يقترحون كونه عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة
ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة
الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت
عليه ودلالة على صحته وهو الذي انت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه
ان يكون ما اعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما اتوا به من الاباطيل من ابطالها ولا ريب في ان ما آتاه الله تعالى من
الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد اتاه من اول الامر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات لاجل
دفعها وابطالها **الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم** اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون
عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي عنه عليه السلام يحشر الناس
يوم القيامة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة
قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات

اولو

او نوع ابهام في الجملة ومحل الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله تعالى اولئك بدل منه
او بيان له وقوله تعالى **شر مكانا واضل سبيلا** خبره او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر
للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلعم على منهاج قوله تعالى قل
هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه
وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا
ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى
وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما
هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف اي وبالله لقد آتينا موسى التورية اي انزلناها عليه بالآخرة **وجعلنا معه**
الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى **اخاه** مفعول اول له وقوله تعالى **هرون** بدل من اخاه او عطف بيان له
على عكس ما وقع في سورة طه وقوله تعالى **وزيرا** مفعول ثان له وقد مر تحقيق معنى الوزير اي جعلناه في
الامر وزيرا له مفعول ثان له **فقلنا** لهما حينئذ **اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا** هم فرعون وقومه والآيات
هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف
ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية
لرسول الله صلعم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فأرياهم الآيات كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا
فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر **تدميرا** عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي
القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا
فائدة يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وتعقيبه التعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد
مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم بل انما كان لاهتداء بني اسرائيل من اول الامر مبلوغه غاية الكمال وتنبيه
نهاية الآمال التي هي نجاة بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التورية من الاحكام
اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه المذكور وقرئ فدمرتهم وقرئ فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة **وقوم
نوح** منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة
ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لاسيما وقد بين سببه بقوله تعالى **لما كذبوا الرسل** اي نوحا
ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر
يفسره قوله تعالى **اغرقناهم** وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود
لوجود فلا لانه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم
ليس بالاغراق فالوجه ان يعدم وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم **وجعلناهم** اي جعلنا اغراقهم
او قصتهم **للناس آية** اي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق
بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها **واعتدنا للظالمين** اي لهم والاظهار في موضع الاضمار للايذان
بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب **عذابا اليما** هو عذاب الآخرة او لا فائدة في الاخبار باعداد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه

من قبل او لجميع الظالمين الماضين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب الذي قد اخبر بوقوعه فيدخل في
زمرتهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول
لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمود الكلام فيه وفيما بعده كما مر
قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى واصحاب الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث
الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم
وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية
قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من
كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم
ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا
وقيل قوم كذبوا رسولهم ورسوه اي دسوه في بئر وقرونا اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون
وقيل مائة وقيل مائة وعشرون بين ذلك اي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء
مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك
المحسوب كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان كل قرن
منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل عليه ما بعده فان ضرب
المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة اما عن الامم التي لم تذكر اسباب اهلاكهم واما
عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة
اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه
من الكفر والمعاصي بواسطة الرسل وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يتأثروا
بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته
وفتتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم
لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش
في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت بالحجارة وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت
منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى مطر
السوء وانتصابه اما على انه مفعول ثان اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء افلم يكونوا يرونها توبيخ لهم على تركهم
التذكر عند مشاهدة ما يوجبه والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسبما يوجبه من اتيانهم عليها لا
لانكار استمرار نفي رؤيتهم لها في الجملة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم يكونوا ينظرون اليها او الم يكونوا ينظرون
اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونها من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر و
عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم
لآثار ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم

رؤيتهم

رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم
وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس
من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق
طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوا من آثار الهلاك وانما يحملونه
على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور و
اذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معك على اتخاذهم اياك
هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونك هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا
وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا
محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزئون بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار
وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفة له مع كونهم في غاية النكير لبعثه بطريق
التهكم والاستهزاء والا لقالوا ابعث الله هذا رسولا او هذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد
ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي انه كاد ليضلنا عن آلهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا
بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا
ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام تجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى
كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الى آخره وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد في
الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم
وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل وسوف يعلمون جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبئ عنه
من نسبته عليه السلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى حين يرون العذاب
الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من اضل سبيلا وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم
وان امهلهم أرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم
من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب
منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجيب ومن توهم انهما على الترتيب
بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي أرأيت من
جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية
على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى افانت تكون عليه وكيلا انكار واستبعاد لكونه عليه السلام حفيظا عليه
يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله من الحالة الموجبة
له كأنه قيل أبعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تتصدى لحمله على الايمان شاء او ابى وقوله
تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون اضراب وانتقال عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عليه السلام انهم
ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام في الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا يتعلق كالاول بل

على انه لا ينبغي ان تتوقع اي بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون ما في
تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشانهم وتطمع في ايمانهم وضمير
اكثرهم لما في جمعه باعتبار معناها كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها وتخصيص الاكثر لما ان منهم من
اليه وقوله تعالى **ان هم الا كالانعام** الى آخره جملة مستانفة مسوقة لتقرير النفي وتاكيده وحسم مادة الحسبان
بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل و
المعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة **بل هم اضل** منها **سبيلا** ممن يسيء اليها وتطلب ما
ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتاوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم و
رازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم
المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد
العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف
هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها احكام الشرور ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة
على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد
وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة فيها بل صارفة لها الى ما خلقت
هي له فلا تقصير من قبلها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية
التي فطر الناس عليها مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال **الم تر الى ربك** بيان لبعض دلائل
التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلعم والهمزة للتقرير والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته
ورحمته تعالى اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى **كيف مد الظل** اي كيف انشأ ظلا اي ظل كان من جبل
او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى
غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم واما ما قيل من
ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع
وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد اذ لا ريب في ان المراد
بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه
من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه
المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عم لكيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره عم
غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح انظاره معرفة شؤون الصانع المجيد وقوله تعالى **ولو شاء لجعله
ساكنا** جملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما
المؤثر فيه المشيئة النافذة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي

هو تغير حاله

هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله انه لا يغيره
اختلاف حال بان لا ينسخه الشمس واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول
عما يستدعيه النظم الكريم ويلوح به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور
الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها
على مجرد الدلالة على وجود المسببات لا لذكر قدرته على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها
اعظم من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها
فهي اولى واحق بالايراد في معرض البيان وقوله تعالى **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** عطف على مد داخل
في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير
قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن
التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة
ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى **ثم قبضناه** عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي
الزماني لما ان في بيان كون القبض والمد مرتبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية
ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعدما انشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع
الشمس موقعه من غير ان يكون له تأثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر
عن احداثه بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى **الينا** للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه
عز وجل **قبضا يسيرا** اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح
المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها القت
القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم
خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الدليل فهو يزيد بها
وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير او قبضا سهلا عند قيام الساعة
بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها و
بالتعبير على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع **وهو الذي جعل لكم الليل
لباسا** بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمه وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين
الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه
من منافعهم وفي تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك
ما لا مزيد عليه اي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس **والنوم سباتا**
اي وجعل النوم الذي يقع في الليل غالبا قطعا عن الافعال المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي
هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله
تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها **وجعل النهار نشورا** اي زمان بعث من ذلك السبات

كبعث الموتى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أو نفس البعث على طريق المبالغة وفيه إشارة إلى أن النوم
واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر ● وهو الذي أرسل
الرياح ● وقرئ بالتوحيد على أن المراد هو الجنس ● بشرا ● تخفيف بشر جمع بشور أي مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا
بالنون جمع نشور أي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون أيضا على أنه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى
● بين يدي رحمته ● استعارة بديعة أي قدام المطر والالتفات إلى نون العظمة في قوله تعالى ● وأنزلنا
من السماء ماء طهورا ● لإبراز كمال العناية بالإنزال لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح أي أنزلنا بعظمتنا بما
رتبنا من إرسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به فإن الطهور في العربية إما صفة كما تقول ماء طهورا واسم كما في قوله عليه السلام التراب طهور المؤمن
وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عليه السلام لا صلاة
إلا بطهور ووصف الماء به إشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع
مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروا فبواطنهم أحق بذلك
وأولى ● لنحيي به ● أي بما أنزلنا من الماء الطهور ● بلدة ميتا ● بإنبات النبات والتذكير لأن البلدة بمعنى البلد
ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجري مجرى الجامد والمراد به القطعة من الأرض عامرة
كانت أو غامرة ● ونسقيه ● أي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الأودية واجتماعه في الحياض والمناقع
والآبار ● مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا ● أي أهل البوادي الذين يعيشون بالحياء ولذلك نكر الأنعام
والأناسي وتخصيصهم بالذكر لأن أهل القرى والأمصار يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فبهم وبما لهم
من الأنعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا
مع أن مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام
حيث كانت قنية للأناسي وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها
إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه من أسقى وسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسي
جمع إنسي أو إنسان كظرابي في ظربان على أن أصله أناسين فقلبت نونه ياء وقرئ أناسي بتخفيف حذف ياء أفاعيل
كأناعم في أناعيم ● ولقد صرفناه ● أي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر
لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية ● بينهم ● أي بين الناس من المتقدمين
والمتأخرين ● ليذكروا ● ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته
حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم إنزاله في بعض البلاد دون غيرها أو في بعض الأوقات دون بعض
أو جعله تارة وابلا وأخرى طلا وحينا ديمة ووقتا رهمة والأول هو الأظهر ● فأبى أكثر الناس
ممن سلف وخلف ● إلا كفورا ● أي لم يفعل إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو الجحود بأن يقولوا مطرنا
بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء فهو كافر بخلاف من يرى أن الكل
بخلق الله تعالى والأنواء أمارات بجعله تعالى ● ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ● نبيا ينذر أهلها فيخفف

عليك

عليك أعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الأمر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا
إجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل ● فلا تطع الكافرين ● أي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في
الدعوة وإظهار الحق والتشدد معهم كأنه نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما أنه
عليه السلام كان يود أن يدخلوا في الإسلام ويجتهد في ذلك بتأليف قلوبهم أشد الاجتهاد ● وجاهدهم به ●
أي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الأمم المكذبة ●
جهادا كبيرا ● فإن دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل الضمير
المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وأنت خبير بأن مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلا
وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم إلا أن يجعل الباء للملابسة ليكون المعنى
وجاهدهم بما ذكر من أحكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كأنه قيل جاهدهم بالشدة والعنف
لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقد جعل الضمير
لما دل عليه ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عليه السلام نذير كافة القرى لأنه لو بعث في كل قرية
نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من
أجل ذلك جهاده وعظم فقيل له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة
وأنت خبير بأن بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فإنه بين بنفسه وإنما اللائق
بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية ● وهو الذي مرج البحرين ● أي خلاهما متجاورين متلاصقين
بحيث لا يتمازجان من مرج دابته إذا خلاها ● هذا عذب فرات ● قامع للعطش لغاية عذوبته
وهذا ملح أجاج ● بليغ الملوحة وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد وبارد ● وجعل بينهما برزخا ● حاجزا من
قدرته كما في قوله تعالى بغير عمد ترونها ● وحجرا محجورا ● وتنافرا مفرطا كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل
حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر
العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الأرض فيكون أثر القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى
طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية ● وهو الذي خلق من الماء بشرا ● هو الماء الذي
خمر به طينة آدم عليه السلام أو جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الأشكال والهيئات بسهولة
أو هو النطفة ● فجعله نسبا وصهرا ● أي قسمه قسمين ذوي نسب أي ذكورا ينتسب إليهم وذوات صهر أي إناثا
يصاهر بهن كقوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ● وكان ربك قديرا ● مبالغا في القدرة حيث
قدر على أن يخلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما
يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وأنثى ● ويعبدون من دون الله ● الذي شأنه ما ذكر ● ما لا ينفعهم ولا
يضرهم ● أي ما ليس من شأنه النفع والضر أصلا وهو الأصنام أو كل ما يعبد من دونه تعالى إذ ما من مخلوق مستقل
بالنفع والضر ● وكان الكافر على ربه ● الذي ذكرت آثار ربوبيته ● ظهيرا ● يظاهر الشيطان بالعداوة
والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل وقيل هينا مهينا لا اعتداد به عند الله تعالى من قولهم ظهرت به إذا نبذته

خلف ظهرك فتكون كعوسج ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا للمؤمنين ونذيرا
للكافرين قل ما اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه الا ارسلناك من اجر من
جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى
عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان
به واستثنى منه قلعا كليا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه
عائدا اليهم اجرا وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل و
توكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه
دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن
صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه وكفى به بذنوب
عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اي مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم جزاء وافيا الذي خلق
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر
على انه صفة اخرى للحي ووصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي هي من الصفات الذاتية والاشارة الى تعلقه
بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق
والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات
جميلة لا تقف على تفاصيلها العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن
وهو في الحقيقة وصف اخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر
من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا
لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة
متعلق من متعلقات ما قبله على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون
بالغيب الاية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل بدل من المستكن في استوى فاسأل به اي بتفاصيل ما ذكر
اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فانها
مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول امرا خطيرا مهما غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق
والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره
بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيرا عظيم الشأن محيطا بظواهر
الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك
فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل
الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبره وقرئ فسل واذا قيل لهم اسجدوا
للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا
انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بسجوده او لامرك ايانا من غير ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه معرب لم يسمعوه

وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفورا عن الايمان
تبارك الذي جعل في السماء بروجا هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة
كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا هي الشمس لقوله تعالى وجعل
الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر وهي جمع قمراء
وحاصل ان الليالي بالقمر تكون قمراء فاضيف اليها ثم حذف واجري على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان
رضي الله عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الاخر بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه
او بان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم لما له من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس
لمن اراد ان يذكر اي يتذكر الاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع صنعه فيعلم انه لا بد لها من صانع حكيم واجب الذات
رحيم للعباد او اراد شكورا اي ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم او ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده
في احدهما تداركه في الاخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق لبيان اوصاف
خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف
وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه قبل او ما في اخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة و
قرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولون الذين يمشون على الارض هونا اي بسكينة وتواضع وهونا
مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي يمشون مشيا هينا لين الجانب
من غير فظاظة او مشيا هينا ولو سلكه واذا خاطبهم الجاهلون اي السفهاء كما في قول من قال الا لا
يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا سلاما بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم
في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون
به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها اية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله
والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم اي يكونون ساجدين لربهم وقائمين اي
يحيون الليل كلا او بعضا بالصلوة وقيل من قرأ شيئا من القران في صلوة وان قل فقد بات ساجدا
وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل
والذين يقولون اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها
كان غراما اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق و
اجتهادهم في عبادة الحق خائفون من العذاب ومبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله
تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل
لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا للاول وليس
بذاك وساءت في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا
ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد حالها في الاول من المبالغة

في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليل من جهته تعالى • والذين اذا انفقوا لم يسرفوا • لم يجاوزوا حد الكرم
ولم يقتروا • ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والتقتير منع الواجبات والقرب وقرئ
بكسر التاء وبضم الياء مع فتح التاء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء • وكان بين ذلك اي بين ما ذكر من الاسراف والتقتير • قواما
وسطا عدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها
ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني لاضافته الى
غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه • والذين لا يدعون مع الله الها اخر
شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والتقتير لتحقيق معنى الاقتصاد
والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور انهم لتظاهر ركن الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا
بنظمهما في سلكه والتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها اخر • ولا يقتلون
النفس التي حرم الله • اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة في التحريم •
الا بالحق • اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بالحق المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلون قتلا ما الا قتلا ملتبسا
بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين بالحق • ولا يزنون • اي الذين لا يفعلون
شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس
المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا • ومن يفعل ذلك • اي ما ذكر كما هو دأب
الكفرة المذكورين • يلق • في الاخرة وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد مجردا • اثاما • وهو جزاء الاثم كالوبال
والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على التقدير للتفخيم وقرئ اياما اي شدائد
يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب • يضاعف له العذاب يوم القيمة • بدل من يلق لانه في معناه
المعنى كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا • وقرئ بالرفع على الاستيناف وعلى الحالية
وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب • ويخلد فيه
في ذلك العذاب المضاعف • مهانا • ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد
مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب
لانضمام المعاصي الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى • الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا • وذكر الموصوف مع
جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة • فاولئك • اشارة
الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلثة باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان
والعمل الصالح • يبدل الله سيئاتهم حسنات • بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق
طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية و
قيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل
المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا • وكان الله غفورا رحيما • اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو
والاثبات • ومن تاب • اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها • وعمل صالحا • يتلافى به ما فرط منه

اوخرج عن المعاصي ودخل في الطاعات • فانه • بما فعل • يتوب الى الله • اي يرجع اليه تعالى • متابا • اي متابا عظيم الشأن مرضيا
عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع اليه تعالى
او الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص • والذين لا يشهدون الزور • لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون
محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه • واذا مروا • على طريق الاتفاق • باللغو • اي بما يجب ان يلغى ويطرح
مما لا خير فيه • مروا كراما • معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش
والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به • والذين اذا ذكروا بايات ربهم • المشتملة على المواعظ والاحكام
• لم يخروا عليها صما وعميانا • اي لم يكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي
الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو • والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا وذرياتنا قرة اعين • بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاهد اهله في طاعة
الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم
في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية وبيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين للارادة تنكير القرة
تفخيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالنظر الى عين غيرهم • واجعلنا للمتقين اماما • اي اجعلنا بحيث يقتدون
بنا في اقامة مراسم الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله تعالى
ثم يخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا
وانت خبير بان مدار الكل صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لا سبيل الى اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك
باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعاء الامامة وانه
ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا
انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا وابقي اماما على حاله وقيل الامام جمع ام بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم وايراد
الموصول في المواضع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد
مما ذكر في حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء من
ذلك تتمة لغيره وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي كما في قوله الى الملك
القروم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم • اولئك • اشارة الى المتصفين بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية
من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • يجزون الغرفة • والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب
مبينة لما لهم في الاخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من
المنازل وكل بناء مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات امنون
وقيل هي اسم من اسماء الجنة • بما صبروا • بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات
• ويلقون فيها • من جهة الملائكة • تحية وسلاما • اي يحيونهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة عن الافات

او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وقيل يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه وقرئ يلقون من لقي
خالدين فيها • لا يموتون ولا يخرجون • حسنت مستقراً ومقاماً • مقابل ساءت مستقراً معنى ومثله اعراباً • قل • امر لرسول الله
صلعم بان يبين للناس ان الفائزين بتلك النعماء الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم
ولولاها لم يعتد بهم اصلاً اي قل لهم كافة مشافهاً لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر • ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم •
اي اي عبء يعبأ بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى
وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء وقال الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم
الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة والحوائج يكون ما فيه وقوله تعالى • فقد كذبتم • بيان لحال الكفرة
من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه ايها الكفرة ولم تعملوا عمل اولئك المذكورين
وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدته
الايذان بان مناط فوز احدهما وخسران الآخر مع الاتحاد في الجنس المصحح للاشتراك في الفوز ليس الا اختلافهما في
الاعمال • فسوف يكون لزاماً • اي يكون جزاء التكذيب او اثره لازماً يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار وانما عبر عنه بالفاء
الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره والتنبيه على انه مما لا يكتنهه البيان
وقيل يكون العذاب لزاماً وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى وقرئ لزاماً بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات
والثبوت عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخر السورة وهي مائتان و

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم • بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها في الميم وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي
على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر
فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وهو اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس او النصب
بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر او اقرأ وتلك في قوله تعالى • تلك آيات الكتاب المبين • اشارة الى السورة
سواء كان طسم مسروداً على نمط التعديد او اسماً للسورة حسبما مر تحقيقه فيما مر وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو
مبتدأ ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين الظاهر اعجازه على انه من ابان او المبين للاحكام الشرعية
وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها
بعضاً منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة • لعلك باخع نفسك • اي قاتلها واصل البخع ان
يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل
للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك • ان لا يكونوا مؤمنين •
اي لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى • ان نشأ الخ • استئناف مسوق
لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتماً
فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء عن قوله تعالى • ننزل عليهم من

السماء

السماء آية • اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر
مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر • فظلت اعناقهم لها خاضعين • اي منقادين
واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله
وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضاً كما في قوله تعالى رأيتهم
لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اي فوج منهم وقرئ خاضعة
وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى • وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين • بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ذكر من
الآيات الملجئة بصرف رسول الله صلعم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد
العموم والثانية لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر واياً ما كان ففيه دلالة على فضله
وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض
عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق تشنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اي ما
يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة
اتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
الا جددوا اعراضاً عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصراراً على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء
مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور اي ما يأتيهم
من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه • فقد كذبوا • اي كذبوا بالذكر الذي يأتيهم تكذيباً
صريحاً مقارناً للاستهزاء ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحراً واخرى اساطير واخرى شعراً
والفاء في قوله تعالى فسيأتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره • فسيأتيهم
البتة من غير تخلف اصلاً • انباء ما كانوا به يستهزؤن • عدل عما يقتضيه الظاهر بما سلف من الاعراض و
التكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما تأتيهم من آيات ربهم
الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وانباؤه ما
سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبأ بها القرآن الكريم
واما لانهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع
الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا
يستهزؤن به قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها • اولم يروا • الهمزة للانكار التوبيخي والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها
ولم ينظروا • الى الارض • اي الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به
وقوله تعالى • كم انبتنا فيها من كل زوج كريم • استئناف مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان
وقوله تعالى وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معاً ومن كل زوج اي صنف

بين كلها لافادة الاحاطة

صنف بهيج والكريم من كل شيء مرضيه ومحموده اي كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع فيها
وتخصيص انباته بالذكر دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا
ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى
ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا
يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون
ان في ذلك اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان ما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل لآية اي آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته
ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم اي اكثر قومه عليه السلام مؤمنين
قيل اي في علم الله تعالى وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور امر
التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم
مؤمنين وهو الانسب لمقام بيان عتوهم وغلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته
تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما اشتمل الله من التحقيق
مما خفي على مهرة العلماء المتقنين كأنه قيل ان في ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية
تماديهم في الكفر والضلالة وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن
وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم
المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤوا عليه من العظائم الموجبة لفنون
العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام
من الكفرة ما لا يخفى واذ نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم
من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام اي واذكر لهم وقت ندائه تعالى اياه عليه
السلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا
من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما يأتيهم من الآيات
لكن لا باعتبار حال هؤلاء الجهال وذلك فقط بل بيان هذه اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي الناطق
بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين عقيب كل
قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره مرارا ان ائت
بمعنى اي ائت على ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف عنها الجار القوم الظالمين
اي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع ما ورد في حيز النداء وانما هو ما
فصل في سورة طه من قوله تعالى انني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من آياتنا الكبرى واير اما جرى في قصة واحدة
من المقالات بعبارات شتى واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى انظرني

قوم

قوم فرعون بدل من الاول او عطف بيان له جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين
وترجمته قوم فرعون والاقتصار على القوم للايذان بشهرة ان نفسه اول الداخلين في الحكم الا يتقون
استئناف جيء اثر ارساله عليه السلام اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب
على طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم وان
كانوا حينئذ غيبا لكنهم قد اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم
مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل وقرئ بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون
بمعنى الا يا ناس اتقون نحو الا يا اسجدوا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكايته ما مضى كأنه
قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل متضرعا الى الله عز وجل رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق
صدري ولا ينطلق لساني معطوفان على اخاف فارسل اي جبريل عليه السلام استدعاء ذلك على
الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد ما كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح الى
باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه
حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الامر من شيء وانما هو استدعاء
لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة
ما يخاف منه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمي باسمه والمراد به
قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في غير موضع فاخاف
اي ان اتيتهم وحدي ان يقتلون بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا وانما هو استدعاء
للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لاجابته تعالى الى الطلبتين الدفع
المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق التغليب فانه معطوف
على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن استدعيته وفي قوله تعالى بآياتنا
رمز الى انها تدفع ما يخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال
الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر هنالك المعية وقيل اجريا
مجرى الجماعة وبيانه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية اي سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله
تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة في الوعد بالاعانة
او استعير الاستماع الذي هو مطلق الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات وهو خبر ان او خبر وحده ومعكم
ظرف لغو او خبر ثان وقوله تعالى فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد
الكريم وليس هذا مجرد تاكيد للامر بالذهاب لان معناه الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب و
افراد الرسول اما باعتبار رسالة كل منهما او لاتحاد مطلبهما او لانه مصدر وصف به وان في قوله تعالى ان ارسل معنا
بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم من الرسول معنى القول وفي ارسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما الى
الشام قال اي فرعون لموسى عليه السلام بعدما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة

حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف
موسى عليه السلام فقال عند ذلك ألم نربك فينا في حجرنا ومنازلنا وليدا اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين واقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم
يدعوهم الى الله عز وجل ثلثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر
منهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعدما عدد عليه نعمته من تربيته و
تبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفخمه بقوله فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا
من القتل وانت من الكافرين اي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي او انت حينئذ ممن تكفرهم الآن و
قد افترى عليه عليه السلام لو جهل امره حيث كان يعاشرهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين
فالجملة حينئذ حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالالهية او ممن يكفرون في
دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه
الجناية بدعا منه قال مجيبا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر فعلتها اذا وانا من الضالين
اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت افتراء اي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء او من المخطئين
لانه لم يتعمد قتله بل اراد تأديبه او الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز او الناسين كقوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى ففررت منكم الى ربي لما خفتكم ان تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب
فوهب لي ربي حكما اي حكمة ونبوة وجعلني من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدده
عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال وتلك
نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل
وقصدك اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او
تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار
الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل
نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون
لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في امره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع
في الاعتراض على دعواه عليه السلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام
اي اي شيء رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله
انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري ونطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب
السموات والارض وما بينهما بتعيين ما اراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه
بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين بالاشياء محققين لها علمتم ذلك او ان كنتم موقنين بشيء من
الاشياء فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة دليله قال اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثيره في
قلوب قومه واذعانهم له لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا خمسمائة عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة

الا تستمعون

الا تستمعون مغريا لهم ان ما سمعوه من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بان يعتد به امر حقيق بان يتعجب منه كانه قال
الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي عليه السلام تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابه السابق ربكم ورب
آبائكم الاولين وحطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية قال اي فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر
غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فأراهم انما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته
الشنعاء بحرفي التأكيد ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليبعثهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا
بطريق الاستهزاء واضافه الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا اليه نفسه قال عليه السلام رب المشرق والمغرب
وما بينهما قاله عليه السلام تكميلا لجوابه الاول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته للسموات
والارض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات
السموات وما فيها وتغير احوالها واوضاعها وكون الارض تارة مظلمة وتارة منورة الى الله تعالى ارشدهم
الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات
وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وذلك امور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات
السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف ان كنتم تعقلون
اي ان كنتم تعقلون شيئا من الاشياء او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح
الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام
به من الجنون قال لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه و
قوة عزمه على تمشية امره وانه ممن لا يجارى في حلبة المحاورة قرت صفحاته العاقلة بالاضعاف وثنى الى جانبه
الى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من
المسجونين لم يقنع منه عليه السلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه السلام ان يتخذه الها لغاية عتوه و
غلوه فيما قاله من دعوى الالوهية وهذا صريح في ان تعجبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى الجنون في
الجواب الثاني كان لنسبته عليه السلام الربوبية الى غيره واما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه
كان لعدم مطابقته لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقالته واللام في المسجونين للعهد
اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك
قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة
بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل
قالوا الواو في اولو جئتك للحال ودخلت عليها همزة الاستفهام اي جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا
انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف
معولا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي
لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له
على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه

من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر
الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها لتظهر
ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل
من احواله المفروضة فتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا تنافيه ويبقى الحكم بطريق
الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي حال كونه
غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة وحدها على ان الواو للحال والتقدير انجيء بما ذكر
من كلمة لو دون ان تكون لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى افتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي
بشيء مبين وحال مجيئي به • قال فات به ان كنت من الصادقين • اي فيما يدل عليه كلامك من انك آت بشيء
مبين موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه • فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبين • اي ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء اي فجرته
فانفجر وقد مر في كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه • ونزع يده • من جيبه • فاذا هي بيضاء للناظرين
قيل اي للنظار الاية الاولى قال هل لك غيرها فاخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه
ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق • قال للملا حوله • اي مستقرين حوله فهو ظرف
وقع موقع الحال • ان هذا لساحر عليم • فائق في علم السحر • يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون
بهره سلطان المعجزة وحيرته حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال
بامرهم او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا في الراي والتدبير واظهر الاستشعار الخوف من
استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عم • قالوا ارجه واخاه • اخر امرهما
وامهلهما وقيل احبسهما • وابعث في المدائن حاشرين • اي شرطا يحشرون السحرة • ياتوك اي الحاشرون
بكل سحار عليم • فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر • فجمع السحرة لميقات يوم معلوم • وهو ما عينه موسى عم
بقوله موعدكم يوم الزينة • وان يحشر الناس ضحى • وقيل للناس هل انتم مجتمعون • قيل لهم ذلك استبطاء لهم
في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه • لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين • اي لعلنا نتبعهم في دينهم ان
كانوا هم الغالبين لا موسى عم وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما مرادهم ان لا يتبعوا موسى عم
لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة • فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن
لنا لاجرا • اي اجرا عظيما • ان كنا نحن الغالبين • لا موسى عم • قال نعم • وانكم • مع ذلك • اذا لمن
المقربين • عندي قيل قال لهم تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان
قال لهم موسى • اي بعدما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى • القوا ما انتم ملقون • ولم يرد به
الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل • فالقوا
حبالهم وعصيهم • وقالوا • اي وقد قالوا عند الالقاء • بعزة فرعون انا لنحن الغالبون • قالوا ذلك لفرط اعتقادهم
في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر • فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف • اي تبتلع بسرعة وقرئ

تلقف بحذف احدى التائين من تتلقف • ما يافكون • اي ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم
فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة • فالقي السحرة ساجدين
اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن
حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عم لتصديقه وفيه دليل على ان منتهى السحر
هو التمويه والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له • قالوا امنا برب العالمين • بدل اشتمال من القوا او حال باضمار
قد وقوله تعالى • رب موسى وهرون • بدل من العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه
الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة • قال
اي فرعون للسحرة • امنتم له قبل ان اذن لكم • اي بغير ان اذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات ربي لان الاذن منه ممكن او متوقع • انه لكبيركم الذي علمكم السحر • وتواطأتم على ما فعلتم او علمكم
شيئا دون شيء فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن بصيرة وظهور
حق وقرئ آمنتم بهمزتين • فلسوف تعلمون • اي وبال ما فعلتم وقوله تعالى • لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين • بيان لما اوعدهم به • قالوا • اي السحرة • لا ضير • لا ضرر فيه علينا
وقوله تعالى • انا الى ربنا منقلبون • تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في
الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد
من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها او قوله تعالى • انا نطمع ان يغفر لنا ربنا
خطايانا • ان كنا • اي لان كنا • اول المؤمنين • اي من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي
الضير اي لا ضير علينا في ذلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط
لهضمهم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل لمن يؤخر اجرته ان
كنت عملت لك فوفني حقي • واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي • وذلك بعد سنين اقام بين
اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف
بقوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين الى الايات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر
من السير • انكم متبعون • تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فتسبقونهم حتى لا يدركوكم
قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم • فارسل فرعون • حين اخبر بسراهم • في المدائن حاشرين
جامعين للعساكر ليتبعوهم • ان هؤلاء لشرذمة قليلون • يريد بني اسرائيل • استقلهم وهم ستمائة الف وسبعون
الفا بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج
فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس رضي خرج
فرعون في الف الف حصان سوى الاناث • وانهم لنا لغائظون • اي فاعلون ما يغيظنا • وانا لجميع حاذرون •
يريد انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير

اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال
على التجدد والثاني على الثبات وقيل الحاذر المودي في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء والمستعد
وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج
بهذا السبب فحملتهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم فيها كذلك اما مصدر
تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم كائن كذلك وخبر لمبتدا محذوف
اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي ملكناها لهم على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها
حين خروج اربابها منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في
وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث راى كل واحد منهما الاخر وقرئ تراءت
الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفي التاكيد للدلالة على تحقق الادراك
واللحوق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي متتابعون في الهلاك
على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين البتة
الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عم قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عم
ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى عم بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمنا من ال فرعون كان بين يدي
موسى عم فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامره
وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اي فضرب فانفلق فصار
اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف
الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا ثم الاخرين اي قربنا فرعون وقومه
حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا
الى البر ثم اغرقنا الاخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر عن موسى عم وظهر
على يديه من المعجزات القاهرة وفيما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب
والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتهويل امر المشار اليه وتفخيمه لتنكير الاية في قوله تعالى لاية اي
اية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبي عم بشأن موسى عم و
حال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا
بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك او ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عم لها
على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد لاية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للايمان
بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عم وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عم مؤمنين
لا بان يتفكروا فيها ولا بان يقيسوا شأنه عم بشأن موسى عم لقصتهم منه مع ان يسمعها من احد مع كون كل من الطريقين مما يؤدي
الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم مؤمنين او ما اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو راي سيبويه فحكى
كحسب ما كان ... نوح صنف مؤمنين وصواحب ... بما سيكون من المشركين بعدما سمعوا الاية الكريمة

بالقصة

بالقصة تقرير لما مر من قوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الاية
وانما جيء بالجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ولجواز ان يكون المعنى ما صار
فعل ذلك في قوله تعالى وما كان من الكافرين فالمعنى ما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الاية العظيمة الموجبة
له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحقق ذلك وتقرره كقوله تعالى
اتى امر الله الاية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من
المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعد ايجابهم بعد مشاهدة هذه الاية
العظيمة بطريق الوحي كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة
الكريمة الى اخر القصص السبع بل الى اخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما قيل من ان ضمير اكثرهم
لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا اسية
وحزقيل ومريم ابنة موشا التي دلت على تابوت يوسف عم وبنو اسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها و
اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص
الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عم انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن
امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعدما شاهدوا بايديهم
من الايات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب
فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما
بعد الاخبار باهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها اخراج عدم مشاركتهم لهم في شيء
مما حل عليهم من العقوبات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن مثله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر العامل
عاملا لاذ نادى الى اخره اي واتل على المشركين نبأ ابراهيم اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي
اليك لتقف على ما ذكر من عدم ايمانهم بما ياتيهم من الايات باحد الطريقين اذ قال منصوب على الظرفية
لنبأ اي نبأه وقت قوله لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اي واتل عليهم وقت قوله
لهم ما تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سالهم عليه السلام عن ذلك لينبههم على ضلالهم ان ما
يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي
بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا الحق و
نظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا ابرازا لما في نفوسهم الخبيثة
من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف
كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او مستديرين حولها وهذا
ايضا من جملة اطنابهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم اي هل
يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت فحذف
لدلالة قوله اذ تدعون عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم شيئا من الاشياء او

الجواب عن دعائكم وهل يقتدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال الماضية كما استحضار صورتها
كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها اذ لابد للعبادة لا سيما عند كونها على هذا الصنيع
من المبالغة فيها من جلب نفع او دفع ضر • قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون • اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر
من السمع والمنفعة والمضرة واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما رأينا منهم ما ذكر من الامور
بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم • قال افرأيتم ما كنتم تعبدون • اي انظرتم فابصرتم
او تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون حق الابصار وحق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان
لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى
لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان المغري لهم على عبادتهم والحامل لهم عليها هو الشيطان
الذي هو اعدى عدو الانسان لكنه عم صور الامر في نفسه ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان
في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين
والصهيل • الا رب العالمين • استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والاخرة
لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول
الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من ابائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى • الذي خلقني • صفة لرب العالمين
وجعله مبتدأ وما بعده خبره غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج
الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص
العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والاجلة عليه تعالى
• فهو يهدين • اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق
ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق
له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب
منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين
لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم • والذي هو يطعمني
ويسقين • عطف على الصلة الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة
من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل
له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بان يجري عليه تعالى بحيالها ولا يجعل من روادف غيرها
• واذا مرضت فهو يشفين • عطف على يطعمني ويسقين نظم معهما في سلك الصلة لموصول واحد لما
ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى
مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا
اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدءا واعادة وقد نيطت امور
الاخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى • والذي يميتني ثم يحيين • على ان

الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه السلام للحياة الابدية بمعزل ان يكون غير مطبوع عنده عليه السلام • والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين • ذكره عليه السلام هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر
وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه السلام من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا في
امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه السلام مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته
في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل
الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها مع كونها
معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه السلام بعد هذه المقالة الجارية بينه وبين قومه
اما الثالث فظاهر لوقوعها بعد مهاجرته الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن
البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع
انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين ولان في ذلك تهويلا واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر
• رب هب لي حكما • بعدما ذكر عليه السلام لهم فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم
بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث
يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق • والحقني بالصالحين • ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما
يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع
بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين • واجعل لي لسان صدق في الاخرين •
اي جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهي محبة له ومثنية
عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عليه وسلم
ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم • واجعلني من ورثة جنة النعيم • وقد مر معنى الوراثة
في سورة مريم • واغفر لابي • بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله تعالى • انه كان من الضالين •
اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه • ولا تخزني • بمعاتبتي على ما
فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبني على
هضم النفس منه عليه السلام او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي
بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء • يوم يبعثون • اي الناس كافة والاضمار فيه لظهوره في يوم البعث من الشهرة
الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم • يوم لا ينفع مال ولا بنون • بدل من يوم يبعثون
جيء به تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا
الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة احدا • الا من اتى الله بقلب سليم •
اي عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عليه السلام طلبا لهدايته الى الايمان
لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع
بتقدير المضاف اي الا مال من اتى الله او بنو من اتى الله الاية وقيل المضاف محذوف ليس من جنس المستثنى منه كقوله

بل نضرب من الاعتبار كما في قوله تحية بينهم ضرب وجيع ● اي الا حال من اتى الله بقلب سليم على انها عبارة
عن سلامة القلب كانه قيل الا سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل عليه المال والبنون
من الغنى وهو المستثنى منه كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية لان غنى المرء في دينه بسلامة قلبه
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه ● وازلفت الجنة للمتقين ● عطف على لا ينفع وصيغة
الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما ان صيغة المضارع
في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اي قربت
الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم
المحشورون اليها ● وبرزت الجحيم للغاوين ● الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم
بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا ● وقيل
لهم اينما كنتم ● في الدنيا ● تعبدون من دون الله ● اي اين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم
في هذا الموقف ● هل ينصرونكم ● بدفع العذاب عنكم ● او ينتصرون ● بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع
وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل ● فكبكبوا فيها ● اي القوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان
يستقروا في قعرها ● هم ● اي آلهتهم ● والغاوون ● الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم
رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم ● وجنود ابليس ● اي
شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه
من عصاة الثقلين والاول هو الوجه ● اجمعون ● تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى ● قالوا
الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل
فقيل قالوا لمعبوديهم ● وهم فيها يختصمون ● اي قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين
معيرين والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى
يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق ● تالله ان كنا لفي ضلال مبين ● ان
مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية اي ان الشأن
كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطئهم
في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى ● اذ نسويكم برب العالمين
ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف
عملي من حيث ان المعمول الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة
برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم ● وقولهم ● وما اضلنا الا المجرمون ● بيان لسبب ضلالهم
بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على
كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحققه او يكون بسبب اضلال الغير كانه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش

الا بسبب

الا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا انا اطعنا
سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي هم الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه
[illegible] من تعريض للذين قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم
القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي ● فما لنا من شافعين ● كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء
عليهم السلام ● ولا صديق حميم ● كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين
كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما عبارة عن عدم نفعهما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب
المفسدين كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا
مهلكة لا خلاص منها شافع ولا صديق على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة
كما ان افراد الصديق لقلته وصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول
وكلمة لو في قوله تعالى ● فلو ان لنا كرة ● للتمني لما بين معنييهما من التلاقي في معنى الفرض والتقدير كانه قيل
فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة
لفعلنا من الخيرات كيت وكيت ونحو ذلك وقوله تعالى ● فنكون من المؤمنين ● تحتمل كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب
ايمانهم على وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني
كما يستدعيه كون لو على اصلها اذ لا يعتد بتحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير دلالة
على استلزام الكرة للايمان اصلا مع انه المقصود حتما ● ان في ذلك ● اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتمل
على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيمة
من اعترافهم بخطئهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا
من المؤمنين عند ما عاينوا ما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت للغاوين الجحيم وغشيهم فنون من
الوان العذاب وانواع العقاب ● لآية ● اي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما
على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان
يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه ان في ذكر نبأه وتلاوته عليهم
على ما هو عليه من غير ان يسمعه من احد لآية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهته
الله تعالى موجبة للايمان به قطعا ● وما كان اكثرهم مؤمنين ● اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين
بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا لا سبيل
اليه لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة التي فعلوها به فكيف
يعبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن له لوط فنجاه الله عز وجل الى الشام وقد مر نظيره في الكلام في
آخر قصة موسى عليه السلام ● وان ربك لهو العزيز الرحيم ● اي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم
بحكم رحمته الواسعة ليكون من بعض منهم او من ذرياتهم ● كذبت قوم نوح المرسلين ● القوم مؤنث
ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول

الشرايع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب
الدواب ويلبس البرود وماله الا دابة وبردة او ذي وسعة • اذ قال لهم • ظرف للتكذيب على انه عبارة
عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من ابتداء
دعوته عم الى انتهائها • اخوهم • اي نسيبهم • نوح الا تتقون • الله حيث تعبدون غيره • اني
لكم رسول • من جهته تعالى • امين • مشهور بالامانة فيما بينكم • فاتقوا الله واطيعون • فيما امركم به من التوحيد
والطاعة لله تعالى • وما اسألكم عليه • اي على ما انا متصد له من الدعاء والنصح • من اجر • اصلا
ان اجري • فيما اتولاه • الا على رب العالمين • الفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من تنزهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته
والتكرير للتأكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ
ان اجري بسكون الياء • قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون • اي الاقلون جاها ومالا جمع
الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كا
لكلاب والكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون
انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي كما
ذكر في موضع اخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف
عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وان النعيم
نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه • قال وما علمي بما كانوا يعملون • جواب عما اشير اليه
من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اي ما علي الا اعتبار الظواهر وبناء الاحكام عليها دون
التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم • ان حسابهم • اي محاسبة اعمالهم والتفتيش عن كيفياتها
البارزة والكامنة • الا على ربي • فانه المطلع على السرائر والضمائر • لو تشعرون • اي بشيء من الاشياء
او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون • وما انا بطارد المؤمنين •
جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله تعالى
ان انا الا نذير مبين • كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي
سواء كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم
بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاء بعضكم بطرد الاخرين • قالوا لئن لم تنته
يا نوح • عما تقول • لتكونن من المرجومين • من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه فاتلهم الله تعالى
في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى • قال رب ان قومي كذبون • تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم
هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله • فافتح بيني وبينهم
فتحا • اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح •
ونجني ومن معي من المؤمنين • اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم • فانجيناه ومن معه • حسب دعائه

في الفلك

في الفلك المشحون • اي المملوء بهم وبما لا بد لهم منه • ثم اغرقنا بعد • اي بعد انجائهم • الباقين
اي من قومه • ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم • الكلام فيه كالذي
مر خلا ان اكثرهم على اكثرهم قوم نوح ابعد من السداد • كذبت عاد المرسلين • انث عادا باعتبار القبيلة
وهو اسم ابيهم الاقصى • اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون • الكلام فيه كما مر في ان المراد بتكذيبهم وبما وقع
فيه من الزمان وما ذكر في صدر قصة نوح عم اي الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون • اني لكم رسول
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين • الكلام فيه كالذي مر
وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب
ويبعده من العقاب وان الانبياء عم مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة
باختلاف الازمنة والاعصار وانهم منزهون من المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية •
اتبنون بكل ريع • اي مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها • اية • علما للمارة • تعبثون
ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه
للعبث بمن يمر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها • وتتخذون مصانع • اي مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة
وحصونا • لعلكم تخلدون • اي راجين ان تخلدوا في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون
بنيانها • واذا بطشتم • بسوط او سيف • بطشتم جبارين • مسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد
تأديب ولا نظر في العاقبة • فاتقوا الله • واتركوا هذه الافعال • واطيعون • فيما ادعوكم اليه فانه
انفع لكم • واتقوا الذي امدكم بما تعلمون • من انواع النعماء واصناف الالاء اجملها اولا ثم فصلها بقوله
امدكم بانعام وبنين • باعادة الفعل لزيادة التقرير فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل
في ذلك • وجنات وعيون • اني اخاف عليكم • ان لم تقوموا بشكر هذه النعم • عذاب يوم عظيم •
في الدنيا والاخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم
لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد • قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين • فانا لن
نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني من مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن
من اهل الوعظ ومباشرته اصلا • ان هذا • اي ما هذا الذي جئتنا به • الا خلق الاولين • اي عادتهم كانوا يلفقون
مثله ويسطرونه او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا
الذي نحن عليه من الموت والحياة الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اي
اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث
ولا حساب • وما نحن بمعذبين • على ما نحن عليه من الاعمال • فكذبوه • اي اصروا على ذلك • فاهلكناهم • بسبب
ريح صرصر • ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين • وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم
صالح الا تتقون • الله تعالى • اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين • اتتركون فيما ها هنا امنين • انكار ونفي لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير للنعمة في تخلية

لكم اياها واسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله
من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف
في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر الاشجار او لان المراد
بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان
الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين
استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر وارتسامه او نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين يفسدون
في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص فسادهم عن مخالطة
الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوي السحر الرئة اي من الانس
فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين اي في دعواك قال
هذه ناقة الله اي بعدما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه كما مر تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود
لها شرب اي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم
فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموا على شربها ولا تمسوها بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم وصف
اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر
برايهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لبادية ولذلك
لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه لو آمن اكثرهم
او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم وان اختبار ان قريشا منهم المشهور و
بعدم ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله و
اطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اي اتاتون من بين بني
آدم من العالمين الذكور لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء مع كونهن
اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل
استمتاعكم وكلمة من للبيان ان اريد بما جنس الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان
اريد بها العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون
متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس
بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط اي عن تقبيح امرنا او نهينا عنه او عن دعوى النبوة التي
من جملة احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين من قريتنا ولعلهم كانوا يخرجون
من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من المبغضين غاية البغض كانه يقلي
الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني لعملكم قال لدلالته على انه من زمرة الراسخين في بغضه المشهورين

في قلاه ولعله اراد اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن
محاورتهم وتوجه الى الله تعالى فقال رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤم عملهم وغائلته فنجيناه واهله
اجمعين اي اهل بيته والمتبعين له في الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم الا عجوزا هي
امراة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة في الاهلية بحق الزواج في الغابرين اي
مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر في الطريق
فاهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقي في القرية ولم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين
اهلكناهم اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اي مطرا غير معهود قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم
حجارة فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتبين وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم
محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين
الايكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب وكان اجنبيا
منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم
وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم
وانما كتبت هاهنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اي اتموه ولا تكونوا من المخسرين اي حقوق الناس
بالتطفيف وزنوا اي الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من
القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوا شيئا
من حقوقهم اي حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغلبة انهم كانوا فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين
بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين اي وذوي الجبلة الاولين يعني من تقدمهم
من الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا انما انت من المسحرين وما
انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة
في التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين اي فيما تدعيه من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء
اي قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة
من التهديد ان كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا
لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربي اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من
العذاب فسينزله عليكم في وقته المقدر له ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر وان ارادوا المظلة فلان نزول
العذاب من جهتها وفي اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لهم يومئذ عذابا آخر عذاب
الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذهم بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب
فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا
فاحترقوا جميعا روي ان شعيبا عم بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة واصحاب الايكة

والصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة • انه كان عذاب يوم عظيم • اى في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه
من الطامة والداهية التامة • ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا
اخر القصص السبع الذى اوحيت الى رسول الله صلعم بصرفه عم عن الحرص على اسلام قوم وقطع رجائه
عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن
محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الاية فان كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول
قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة
لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي الى الايمان والزواجر عن الكفر والطغيان
ولا بان يتاملوا في شان الايات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بانه عم لم يسمع شيئا
منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم
عن ذلك قطعا كما حكى في خاتمة قصة موسى عم • وانه اى ما ذكر من الايات الكريمة الناطقة بالقصص
المحكية او القران الذى هي من جملته • لتنزيل رب العالمين • اى منزل من جهته تعالى سمى به مبالغة
ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين • نزل به • اى انزله • الروح الامين • اى جبريل عم فانه امين وحيه تعالى
وموصله الى انبيائه عم وقرئ بتشديد الزاء ونصب الروح والامين اى جعل الله تعالى الروح الامين
نازلا به • على قلبك • اى روحك ان اريد به العضو فتخصيصه به لان المعاني الروحانية تنزل اولا على
الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المخيلة
لتكون من المنذرين • متعلق بنزل به اى انزله لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة
وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عم في سلك اولئك المنذرين المشهورين في حقية الرسالة
وتقرر وقوع العذاب المنذر • بلسان عربى مبين • واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما
وهو ايضا متعلق بنزل به وتاخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين
المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عم لا انزاله باللسان العربى وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور
يؤدى الى ان غاية الانزال كونه عم من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح و
شعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في باب الانذار ما انذره نوح وموسى عم واشد الزواجر
تاثيرا في قلوب المشركين ما انذره ابراهيم عم لانتمائهم اليه وادعائهم انهم على ملته عم • وانه لفى زبر
الاولين • اى وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة فان احكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل
بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه
من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلعم وليس بواضح • اولم يكن لهم اية • الهمزة للانكار والنفي
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم اية دالة على انه نبي
قدمت عليها للاهتمام بها والتشويق الى المؤخر • ان يعلمه علماء بنى اسرائيل • لما مر انه خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى

من الاغناء

من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى ان يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من انزل عليه
وقرئ تكن بالتانيث وجعلت اية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد
قيل في تكن ضمير القصة واية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم اية هي جملة الشأن وان يعلمه بدلا
بدلا من اية ويجوز مع نصب اية تانيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء • ولو نزلناه
كما هو بنظمه الرائق المعجز • على بعض الاعجمين • الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمى على التخفيف ولذلك
جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفى لفظ البعض اشارة الى كون ذلك الواحد من عرض تلك الطائفة كائنا من
كان • فقرأه عليهم • قراءة صحيحة خارقة للعادات • ما كانوا به مؤمنين • مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز
المقروء لفرط عنادهم وعدم تمكنهم من الكتابة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم
ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم
في المكابرة والعناد • كذلك سلكناه • اى مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اى ادخلنا القران في قلوب
المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب
وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتاب المنزل قبله على تضمنه للبشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه وقوله
تعالى • لا يؤمنون به • جملة مستانفة مسوقة لبيان انهم لا يتاثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل
يستمرون على ما هم عليه • حتى يروا العذاب الاليم • الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان • فيأتيهم بغتة • اى
فجأة في الدنيا والاخرة • وهم لا يشعرون • باتيانه • فيقولون هل نحن منظرون • تحسرا على ما فات من الايمان و
تمنيا للامهال لتلافى ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه
في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موقع الايضاح والتلخيص له او في موقع الحال اى سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو
الانسب لمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتاخذ مبادى الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم
بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين فنقل عن ابن عباس رضى الله عنهما والحسن
ومجاهد رحمهم الله ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين • افبعذابنا يستعجلون • بقولهم امطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام اى ايكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما
من التنافي ما لا يخفى على احد او ايغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور
للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل • افرأيت ان متعناهم سنين • كما كانت
الرؤية من اقوى اسباب الاخبار بالشئ واشهرها شاع استعمال ارأيت في معنى اخبرنى والخطاب لكل من يصلح له كائنا
من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهو متعلق
في المعنى على الهمزة وتاخيرها عنها صورة لاقتضائها الصدارة كما هو راى الجمهور اى فاخبر ان متعناهم سنين
متطاولة بطول الاعمار وطيب المعايش • ثم جاءهم ما كانوا يوعدون • من العذاب • ما اغنى عنهم • اى شئ اغناء
اغنى عنهم • ما كانوا يمتعون • اى كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به من متاع الحيوة الدنيا

على انها موصولة حذف عائدها وايا ما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول
في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه
واكده كان بين كل من من شانه الخطاب فقد كلف ان يخبر بان تمتعهم ماذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يقدر واحد
على ان يخبر بشيء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من الامتاع ● وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة ● الا لها
منذرون ● قد انذروا اهلها الزاما للحجة ● ذكرى ● اي تذكرة ومحلها النصب على العلة والمعية او المصدر لانها في معنى الانذار
كانه قيل مذكرون ذكرى او على انه مصدر مؤكد بفعل هو صفة لمنذرون اي الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع
على انها صفة منذرون باضمار ذووا او جعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر مبتدا محذوف والجملة اعتراضية وضمير
لها للقرى المدلول عليها بمفرد هو الواقع في خبر النفي على معنى ان للكل منذرين اعم من ان يكون لكل قرية منها منذر
واحد او اكثر ● وما كنا ظالمين ● فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان اهلاكهم قبل الانذار
ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه تعالى من الظلم وقد مر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد ● وما تنزلت به الشياطين
رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشيطان على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه
انما نزل به الروح الامين ● وما ينبغي لهم ● اي وما صح وما يستقيم لهم ذلك ● وما يستطيعون ● ذلك اصلا ● انهم عن
السمع ● لكلام الملائكة ● لمعزولون ● لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد
لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة
ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يحوموا حول القرآن
الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام ● فلا تدع مع الله الها آخر
فتكون من المعذبين ● خوطب النبي صلعم مع استحالة صدور المنهي عنه عليه السلام تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص
ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه
● وانذر ● العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي ● عشيرتك الاقربين ● الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام
بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل
خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد
مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت
محمد صلعم ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا ● واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين ● اي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من
اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان
● فان عصوك ● ولم يتبعوك ● فقل اني بريء مما تعملون ● اي مما تعملونه او من اعمالكم ● وتوكل على العزيز الرحيم
الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب
الشرط ● الذي يراك حين تقوم ● اي الى التهجد ● وتقلبك في الساجدين ● وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي

انه لما نسخ

انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعتهم
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام
والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه السلام التي بها يستاهل ولايته بعد
ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه ●
انه هو السميع ● بما تقوله ● العليم ● بما تنويه وتعمله ● هل انبئكم على من تنزل الشياطين ● اي تتنزل بحذف
احدى التائين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلعم بعد بيان امتناع
تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل ام من
فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وفي قوله تعالى اذ قوله تعالى
تنزل على كل افاك اثيم ● تنزلهم على كل من يتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة وتخصيصهم
بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلعم منزهة من ان يحوم حولها شائبة شيء
من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام ● يلقون ● اي الافاكون ● السمع ● الى الشياطين
فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق
اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى ● واكثرهم كاذبون ● اي فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها
الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم
كاذبون يفترون على الشياطين اي الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية
باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون وما له ان اكثر اقوالهم كاذبة
لا باعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقا على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا
ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل الضمير
للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون
فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم اياها على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لتقصير فهمهم او ضبطهم وافهامهم
ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لما ان يلقون كما مر جوابه
اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنته التنزل للالقاء او استئناف مبني على الغرض من التنزل مبني على السؤال عنه
ولا ريب في ان القاء السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل او يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا
وانما المحتمل الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير كونه جوابا عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم
يلقون اليهم فاسمعوه وحمله على استئناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان حالهم السابقة على تنزلهم المذكور
قبله غير حقيق بجزالة التنزيل واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد
بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استئنافا اخبارا بحالهم على
كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استئنافا مبنيا على
السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم

وهو قوله تعالى وأكثرهم كاذبون على التقدير الأول استئناف فقط وعلى الثاني يحتمل الحالية من ضمير يلقون أي يلقون ما سمعوه من
الشياطين إلى الناس والحال أن أكثر أقوالهم كاذبون فتدبر • والشعراء يتبعهم الغاوون • استئناف مسوق
لإبطال ما قالوا في حق القرآن العظيم من أنه من قبيل الشعر وأن رسول الله صلعم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية
لحاله صلعم بعد إبطال ما قالوا إنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الأباطيل بما مر من بيان أحوالهم المضادة
لأحواله عم والمعنى أن الشعراء يتبعهم أي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون أي الضالون عن السنن
الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الأفعال والأقوال والأحوال لا غيرهم من
أهل الرشد المهتدين إلى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى • ألم تر أنهم في كل واد يهيمون • استشهاد
على أن الشعراء إنما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد إلى أن حالهم من الجلاء والظهور
بحيث لا يخفى على أحد يراهم أي ألم تر أن الشعراء في كل واد من أودية القيل والقال وفي كل شعب من
شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون إلى سبيل
معين من السبل بل يتحيرون في مهامه الغواية والسفاهة ويتيهون في تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق
الأعراض المحمية والقدح في الأنساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين
طرفي الإفراط والتفريط في المدح والهجاء • وأنهم يقولون ما لا يفعلون • من الأفاعيل غير مبالين بما يستتبعه
من اللوائم فكيف يتوهم أن يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلحق بهم وينتظم في سلكهم من تنزهت ساحته عن أن يحوم
حولها شائبة الاتصاف بشيء من الأمور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الأخلاق
الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الإنسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط
المستقيم ناطقا بكل رشيد داعيا إلى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون
الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاخرة مستقلة بنظم رائق أعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا
وقد قيل في تنزيهه عم من أن يكون من الشعراء أن أتباع الشعراء الغاوون وأتباع محمد صلعم ليسوا كذلك ولا ريب في
أن تعليل عدم كونه عم منهم بكون أتباعه عم غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون الراوون
وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ومسافع بن عبد
مناف وأبو عزة الجمحي ومن ثقيف أمية بن أبي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلعم وقرئ والشعراء
بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد
• إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا • استثناء للشعراء المؤمنين
الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة
والموعظة والزهد في الدنيا والترغيب عن الركون إليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية
ولو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن
رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن أبي سلمى الذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلعم قال لهم
اهجوهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك • وسيعلم الذين ظلموا

أي

أي منقلب ينقلبون • تهديد شديد ووعيد أكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم
وفي أي منقلب ينقلبون من الإبهام والتهويل وقد تلاه أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وقرئ أي منفلت
ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون أن ليس
لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلعم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق
بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلعم

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون أو أربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• طس • بالتفخيم وقرئ بالإمالة والكلام فيه كالذي مر في
نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الأظهر الأشهر الرفع على أنه خبر لمبتدأ
محذوف أي هذا طس أي مسمى به والإشارة إليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء
على أن ما بعده خبر ضعيف لما ذكر هناك • تلك • إشارة إلى نفس السورة لأنها التي نوهت بذكر اسمها أو
إلى آياتها لعدم ذكرها صريحا ولأن إضافتها إليها تأبى إضافتها إلى القرآن كما سيأتي وما في اسم الإشارة من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء
آيات القرآن • والجملة مستأنفة مقررة لما أفادته التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل
أو عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب أي تلك السورة آيات القرآن المعروف
بعلو الشأن أي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص • وكتاب • أي كتاب عظيم الشأن • مبين • مظهر
لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب أو مسبل الرشد والغي أو
فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام أو ظاهر الإعجاز على أنه من أبان بمعنى بان وفي تفخيم شأنه الجليل ما جمع فيه من وصف
القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف
الكتابية المعربة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الإلهية فكأنه كلها وقدم الوصف الأول ههنا نظرا إلى تقدم
حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا إلى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من أن الكتاب
هو اللوح المحفوظ وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو يستبين للناظرين فيه لا يساعده إضافة الآيات إليه إذ لا عهد
باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة إذ هما باعتبار إبانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة إلى الناس
من جملتهم المؤمنون لا إلى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه
أي وآيات كتاب مبين • هدى وبشرى للمؤمنين • في حيز النصب على الحالية من الآيات على أنهما مصدران أقيما مقام
الفاعل للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الإشارة أي هادية ومبشرة والرفع على أنهما بدلان من الآيات
أو خبران آخران لتلك أو لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى فأما الذين آمنوا
فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما معنى تبشيرها إياهم فظاهر لأنها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم
فيها نعيم مقيم وقوله تعالى • الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة • صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لأنهما
قرينتا الإيمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة وقوله تعالى • وهم بالآخرة
هم يوقنون • جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الإيقان

لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب وهو من تتمة الصلة والواو حالية او عاطفة له
على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحديون فيه • ان الذين لا يؤمنون بالآخرة •
بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب
على السيئات حسبما ينطق به القرآن • زينا لهم اعمالهم • القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس
كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها
لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم • فهم يعمهون • يتحيرون ويترددون على
التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع وضر او في الضلال والاعراض
عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب على السبب كما في قولك وعظته فلم
يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور • اولئك • اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره
الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه • الذين لهم سوء العذاب • اي في الدنيا كالقتل والاسر
يوم بدر • وهم في الآخرة هم الاخسرون • اي اشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب • وانك
لتلقى القرآن • كلام مستأنف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص
وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه وتنصيص على علو طبقته عم في معرفته والاحاطة بما فيه
من الجلائل والدقائق فان من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة
والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بان ما في القرآن من
العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى • اذ قال
موسى لاهله • منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلعم وامر بتلاوة بعض من القرآن الذي يلقاه من
لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عم لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة
الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا • اني آنست نارا سآتيكم منها بخبر • اي عن حال الطريق
وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عم الا
امرأته لما كنى عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية • او آتيكم بشهاب قبس • بتنوينهما على ان الثاني بدل من
الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي شعلة نار مقبوسة اي مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين
فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلا
العدتين منه عم بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان
لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين • لعلكم
تصطلون • رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة • فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك •
معناه اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على
القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا وقد والسين او سوف لما ان الدعاء
يخالف غيره في كثير من الاحكام • من في النار ومن حولها • اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله

سبحانه

سبحانه نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن
حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث
الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولاسيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة
الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى
اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهاره المعجزات على يده عليه السلام • وسبحان الله رب العالمين • تعجيب لموسى
عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور
وعظائم الشؤون من احكام تربيته تعالى للعالمين • يا موسى انه انا الله • استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة
والضمير للشأن وانا الله جملة مفسرة له او انا راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له واما قوله تعالى • العزيز الحكيم •
فصفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزات اي انا القوي القادر على ما لا يناله الاوهام من
الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير رصين • والق • عطف
على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق • عصاك • حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك
بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى • فلما رآها تهتز •
فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه بعد قوله
تعالى اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فابصرها فلما رآها تتحرك بسرعة واضطراب وقوله تعالى
• كأنها جان • اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز
على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين • ولى مدبرا • من الخوف
• ولم يعقب • اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لامر اريد به
كما ينبئ عنه قوله تعالى • يا موسى لا تخف • اي من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله تعالى • اني لا يخاف لدي المرسلون •
فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون
في مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه
او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا منه • الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم • استثناء
منقطع استدرك به ما عسى يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره
عن الانبياء عم فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة و
رحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عم من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عم
رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له • وادخل يدك في جيبك • لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص
لانه يجاب اي يقطع • تخرج بيضاء من غير سوء • اي آفة كبرص ونحوه • في تسع آيات • في جملتها او معها على ان التسع
هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون
وقومه • وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا • انهم كانوا قوما فاسقين • تعليل للارسال اي خارجين

عن الحدود في الكفر والعدوان ﴿فلما جاءتهم آياتنا﴾ وظهرت على يد موسى ﴿مبصرة﴾ بنية اسم الفاعل للطلوع
على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث
انها تهدي والعمى لا تهدي فضلا عن الهداية او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر
﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ واضح سحريته ﴿وجحدوا بها﴾ اي كذبوا بها ﴿واستيقنتها انفسهم﴾ الواو
للحال اي وقد استيقنتها اي علمتها انفسهم علما يقينيا ﴿ظلما﴾ اي للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون
اي ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك ﴿وعلوا﴾
اي استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها
او على الحالية من فاعله اي جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ من
الاغراق على الوجه الهائل هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد
وحاضر ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من انه عم يلقى القرآن من لدن
حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القرآن الكريم لقيته عم من لدن الله تعالى كقصة موسى عم وتصديرها
بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع
والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير او علما سنيا عزيزا ﴿وقالا﴾ اي قال كل واحد منهما
شكرا لما اوتيه من العلم ﴿الحمد لله الذي فضلنا﴾ بما آتانا من العلم ﴿على كثير من عباده المؤمنين﴾ على ان عبارة كل منهما
فضلني الا انه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن
المتكلم او غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا
وقد مر في سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب
حمد كل منهما على ايتاء ما اوتي كل منهما لا على ايتاء ما اوتي نفسه فقط وقيل في العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض
ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد الآية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت
مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما ويأباه تبيين الكثير بالمؤمنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي
تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى ان البعض مفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا
على العلم وجعلاه اساس التفضيل ولم يعتبرا دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعلماء على ان
يحمدوا الله تعالى على ما اعطاهم من فضله وان يتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق
كل ذي علم عليم ونعما قال امير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر ﴿وورث سليمان داود﴾ اي
النبوة والعلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر ﴿وقال﴾ تشهيرا لنعمة
الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي اوتيها ﴿يا ايها الناس علمنا منطق
الطير واوتينا من كل شيء﴾ المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت
به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عم
من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه

فقال

فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت
فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال
يقول استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال
يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وقال الحدأ يقول
كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول
اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من
الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا واوتينا النون
التي يقال لها نون الواحد المطاع وعن بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل تمهيدا
لما اراد منهم من حسن الطاعة والانقياد في اوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير ويقول من
كل شيء كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل واحد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة
علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقال ابن عباس كل ما يهمه من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل
يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ﴿ان هذا﴾ اشارة الى ما ذكر من التعليم
والايتاء ﴿لهو الفضل﴾ والاحسان من الله عز وجل ﴿المبين﴾ الواضح الذي لا يخفى على احد او ان هذا
الفضل الذي اوتيه لهو الفضل المبين على انه عم قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلعم انا سيد
ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عم رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو
فان اخبارهم بايتاء كل شيء من الاشياء التي من جملتها آلات الحرب واسباب الغزو فان اخبرهم
فحنى قوله تعالى ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾ جمع له عساكره ﴿من الجن والانس﴾ بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء
مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة
الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة
بعيدة من الحشر والتسخير ﴿فهم يوزعون﴾ اي يحبس اوائلهم على اواخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم
التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما
هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون سوق اواخرهم
مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوائلهم من السير السريع وهذا اذا
لم يكن سيرهم بتسيير الريح في الجو روي ان معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن
وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عم الف بيت من
قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم
فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من
ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس
الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى

انه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض
اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود
ملكاً عظيماً فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال
لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود • حتى اذا اتوا على وادي النمل • حتى هي التي يبتدأ بها الكلام
ومع ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور فيحتمل الآية وهي ههنا غاية لما ينبئ
عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الى آخره ووادي النمل واد بالشام كثير النمل
على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب قيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بعلى اما
لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره
ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي اذ حينئذ لا يفهم ما في الارض لا عند سيرهم في الهواء وقوله تعالى
• قالت نملة • جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من
النمل مرادها فتبعها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما
عداها من النمل مقولاً لهم حيث قيل • يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم • مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها
النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه
كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان
عم كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى • لا يحطمنكم سليمان و
جنوده • نهي في الحقيقة للنمل عن التأخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهياً له عم ولجنوده عن الحطم
كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا لا جواب له
فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطّمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله
لا يحتطمنكم وقوله تعالى • وهم لا يشعرون • حال من مجرور ما على يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم
بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بشئون سليمان عم في عصمتهم
عن الظلم والايذاء وقيل هو استئناف اي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك • فتبسم ضاحكاً
من قولها • تعجباً من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسروراً بشهرة حاله وحال
جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجاً
بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فأمر
سليمان عم الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن • وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك •
اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك اصلاً وقرئ بفتح
ياء اوزعني • التي انعمت علي وعلى والدي • ادرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه موجب
للشكر • وان اعمل صالحاً ترضاه • اتماماً للشكر واستدامة للنعمة • وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين •
في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين • وتفقد الطير • اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها • فقال ما لي لا ارى

الهدهد

الهدهد ام كان من الغائبين • كانه قال اولاً ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب
فاضرب عنه فاخذ يقول اهو غائب • لاعذبنه عذاباً شديداً • قيل كان تعذيبه ان ينتف ريشه و
تشميسه وقيل ان يجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه • او لاذبحنه • ليعتبر به ابناء جنسه
او ليأتيني بسلطان مبين • بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الامرين بتقدير عدم الثالث وقرئ
ليأتينني بنونين الاولى مفتوحة مشددة وقيل انه عم لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به
ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على المسير
الى اليمن فخرج من مكة صباحاً يؤم سهيلاً فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضاً حسناء
اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد قنانه وكان يرى الماء من تحت الارض
كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان
حين نزل سليمان عم حلق الهدهد فرأى هدهداً واقعاً فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عم وما سخر له
من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة الف وذهب معه
لينظر فما رجع الا بعد العصر وقوله تعالى • فمكث غير بعيد • اي زماناً غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت
نفحة من الشمس على سليمان عم فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه
ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله
الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما
استثنى قالت بلى او ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عم ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعاً له
فلما دنا منه اخذ عم برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان عم وعفا عنه
ثم سأله • فقال احطت بما لم تحط به • اي علماً ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء
بغير اطباق وباطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق المعارف
التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون اتيانها
لنفسه بين يدي نبي الله سليمان عم تعدياً عن طوره وتجاوزاً عن دائرة قدره وتنزيهاً عنه عم جنايته على جنايته فيحتاج
الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عم بذلك مع ما اوتي عم من فضل النبوة و
الحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عم في علمه وتنبيهاً على ان في ادنى خلقه واضعفه
من احاط علماً بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفاً له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة
العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا يعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف
ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عم لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعاً
فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عم وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس
للاعتذار المبني على امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم اتبعه بقوله • وجئتك من سبإ بنبإ يقين •
حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عم انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبإ الذي

هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والاعراض اذا عذره عم مع ما حكي عنه من الحمد والشكر
ولا استدعاء الابداع حتى يليق بالحكمة الالهية بتنبيهه عم على تركه وسبأ منصرف على انه اسم لحي سموا باسم
ابيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ
بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث
وعلى هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم
وقوف سليمان عم على نبائهم قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان الستي الى
خلوا فعاله تعالى من الحكم والمصالح لما ان لهم فيه من حظه عم وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة ما بين نزوله
عم هناك وبين مجيء الهدهد بالخبر ايضا قصيرة ثم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكم
بالغة يستأثر بها علام الغيوب وقوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم استئناف لبيان ما
جاء به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك اليمن
كلها وورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هي و
قومها مجوسا يعبدون الشمس وتذييل وجدت على ايثار ما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد
خدمته عم بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على
سليمان عم وضمير تملكهم لسبأ على انه اسم للحي او لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انها اسم لها
واوتيت من كل شيء اي من الاشياء التي تحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثلثين
ذراعا في ثلثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من
ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها
مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عم اما بالنسبة الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز
ان لا يكون لسليمان عم مثله واياما كان ففي وصفه بذلك بين يديه عم ما فيه من ترغيبه عم في الاصغاء
الى حديثه وتوجيه عزيمته عم نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم
الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل
اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته نسبة
طريق الحق الى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون اليه وقوله تعالى الا يسجدوا لله مفعول له اما للصد
او للتزيين على حذف اللام منه اي فصدهم لئلا يسجدوا او قيل بدل في موقع المفعول ليهتدون باسقاط
الى فضل ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا لله تعالى وقرئ
الا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في قوله الا يا اسلمي يا دار مي على
البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل ان يكون استئنافا من جهة الله عز وجل او من سليمان ويوقف على لا يهتدون و
يكون امرا بالسجود وعلى الوجه المتقدم ذما على تركه واياما كان فالسجود واجب الذي يخرج الخبء في السموات والارض

اي

اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق
السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي
من جملتها ما اودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض واشار بعطف قوله ويعلم ما تخفون
وما تعلنون على يخرج الى انه تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد
يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم وللتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم
الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب و
اظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما
في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان والعدم الى الوجوب وغير ذلك من غيوبه عز
وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من
السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام و
اعظمها وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي من الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا
ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام
اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عم نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته
عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد
كأنه قيل فماذا فعل سليمان عم عند ذلك فقيل قال سننظر اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد
اي سنعرف بالتجربة البتة اصدقت ام كنت من الكاذبين كان مقتضى الظاهر ام كذبت وانما عدل عنه
النظم الكريم للايذان بان كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه
فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب انيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها
مصداق اصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم الشان لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ في الكذب والافك
وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم استئناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عم وقد قاله
عم بعد ما كتب كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عليه السلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء
الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر
اصلا ثم تول عنهم اي تنح الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر اي تأمل وتعرف ماذا يرجعون اي ماذا يرجع
بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمير لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام قالت
اي بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فالقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعته
الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه عم كتب كتابه وطبعه
بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل
اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة

كانت عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لأشراف قومها
يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم • وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختوما
أو لغرابة شأنه ووصوله إليها على منهاج غير معتاد • إنه من سليمان • استئناف وقع جوابا لسؤال مقدر
كأنه قيل ممن هو وما ذا مضمونه فقالت إنه من سليمان • وإنه • أي مضمونه أو المكتوب فيه • بسم الله الرحمن
الرحيم • وفيه إشارة إلى سبب وصفها إياه بالكرم وقرئ أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه
بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على أنه بدل من كتاب وقرئ أن من سليمان وأن بسم الله على أن
المفسرة • ألا تعلوا علي • أن مفسرة ولا ناهية أي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة
للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على أنها بدل من كتاب أو خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام أي مضمونه ألا تعلوا أو النصب
بإسقاط الخافض أي بأن لا تعلوا علي وقرئ ألا تغلوا بالغين المعجمة أي لا تتجاوزوا حدكم • وأتوني مسلمين • أي
مؤمنين وقيل منقادين والأول هو الأليق بشأن النبي عليه السلام على أن الإيمان مستتبع للانقياد حتما يروى أن نسخة الكتاب
من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وليس
الأمر بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك
الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة • قالت • كررت حكاية قولها للإيذان بغاية اعتنائها
بما في حيزه من قولها • يا أيها الملأ أفتوني في أمري • أي أجيبوني في أمري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت
عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا للأمر ورفعا لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون
على حل المشكلات الملمة وقولها • ما كنت قاطعة أمرا • أي من الأمور المتعلقة بالملك • حتى تشهدون •
أي إلا بمحضركم وبموجب رأيكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير • قالوا •
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا • نحن أولوا قوة •
في الأجساد والآلات والعدد • وأولوا بأس شديد • أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب • والأمر إليك •
أي هو موكول إليك • فانظري ماذا تأمرين • ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نمتثل به ونتبع رأيك وأرادوا نحن
من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رأيك في الخدمة فلما أحست
منهم الميل إلى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام
وذلك قوله تعالى • قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية • من القرى على منهاج المقاتلة والحراب • أفسدوها • بتخريب
عماراتها وإتلاف ما فيها من الأموال • وجعلوا أعزة أهلها أذلة • بالقتل والأسر والإجلاء وغير ذلك من فنون
الإهانة والإذلال • وكذلك يفعلون • تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير بأن ذلك عادتهم
المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا إثر قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد
كلمات ربي • وإني مرسلة إليهم بهدية • تقرير لرأيها بعد ما زيفت آراءهم وأتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات
المصدرة بحرف التحقيق للإيذان بأنها مرتبة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف أي وإني مرسلة إليهم
رسلا بهدية • فناظرة بم يرجع المرسلون • حتى أعمل بما يقتضيه الحال روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم الجواري وحليهن

الأساور

الأساور والأطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر
وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع
والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو
وآخر ذا رأي وعقل وقالت إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة
خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر إليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل
الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله
سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها
عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي
من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والإنس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور و
الهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت إليهم نفوسهم و
رموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر إليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبر جبريل عليه السلام بما فيه
فقال لهم إن فيه كذا وكذا ثم أمر بالأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة وأخذت
دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء
بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى
• فلما جاء سليمان • أي الرسول • قال • أي مخاطبا للرسول والتوبيخ وتعميمها لبلقيس وقومها ويؤيده
الإفراد في قوله ارجع إليهم • أتمدونن بمال • وهو إنكار لإمدادهم إياه عليه السلام بالمال مع علو شأنه وسعة
سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير المال للتحقير وقوله • فما آتاني الله • أي مما رأيتم آثاره من النبوة والملك
الذي لا غاية وراءه • خير مما آتاكم • أي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة إلى هديتكم ولا وقع
لها عندي تعليل للإنكار ولعله عليه السلام إنما قال لهم هذه المقالة إلى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق
وغيرها كما أشير إليه لا أنه عليه السلام خاطبهم بها أول ما جاءوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء إلى آخره وقرئ
أتمدوني بالإدغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى • بل أنتم بهديتكم تفرحون • إضراب عما ذكر
من إنكار الإمداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي أهدوها إليه عليه السلام فرح افتخار وامتنان واعتداد
بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري وغير ذلك وفائدة الإضراب التنبيه
على أن إمداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعده مع أنه لا قدر له عنده مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ
به أدخل وقيل المضاف إليه المهدى إليه والمعنى بل أنتم بما يهدى إليكم تفرحون لزيادة المال لأنكم لا
تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا • ارجع • أفرد الضمير هاهنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص
الرجوع بالرسول عليه السلام وعموم الإمداد ونحوه للكل أي ارجع أيها الرسول • إليهم • أي إلى بلقيس وقومها
• فلنأتينهم • أي فوالله لنأتينهم • بجنود لا قبل لهم بها • أي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها و
قرئ بهم • ولنخرجنهم • عطف على جواب القسم • منها • أي من سبأ • أذلة • أي حال كونهم أذلة بعد ما كانوا

من العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى • وهم صاغرون • أي أسارى مهانون حال أخرى
مقيدة لكون إخراجهم بطريق الأسر لا بطريق الإجلاء وعدم وقوع جواب القسم لأنه كان معلقاً بشرط
قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع إليهم فليأتوا مسلمين وإلا فلنأتينهم إلى آخره • قال
يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها • قال له عليه السلام لما دنا مجيء بلقيس إليه عليه السلام يروى أنه لما رجعت رسلها إليها
بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان
إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم آذنت بالرحيل إلى سليمان عليه السلام فشخصت
إليه في اثني عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف ويروى أنها أمرت فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات
بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرساً يحفظونه ولعله أوحي
إلى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من إجراء
العجائب على يده مع إطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه
أم لا وتقييد الإتيان بقوله تعالى • قبل أن يأتوني مسلمين • لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع
عادة وأدل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون اختبارها وإطلاعها على بدائع المعجزات في أول مجيئها وقيل
لأنها إذا أتت مسلمة لم يحل له أخذ مالها بغير رضاها • قال عفريت • أي مارد خبيث • من الجن • بيان له
إذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لأقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخراً • أنا آتيك به • أي بعرشها • قبل
أن تقوم من مقامك • أي من مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار وآتيك إما صيغة المضارع
أو الفاعل وهو الأنسب بمقام ادعاء الإتيان لا محالة وأوفق بما عطف عليه من الجملة الاسمية أي أنا
آت به في تلك المدة البتة • وإني عليه • أي على الإتيان به • لقوي • لا يثقل علي حمله • أمين • لا أختزل منه
شيئاً ولا أبدله • قال الذي عنده علم من الكتاب • فصل عما قبله للإيذان بما بين القائلين ومقاليهما
وكيفيتي قدرتيهما على الإتيان به من كمال التباين أو لإسقاط الأول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف
بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب و
قيل الخضر أو جبريل عليهما السلام أو ملك أيده الله تعالى به وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى
والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود ومن
ابتدائية • أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك • الطرف تحريك الأجفان وفتحها للنظر إلى الشيء
وارتداده انضمامها ولكونه أمراً طبيعياً غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد وما لم يكن بين هذا
الوعيد وإنجازه مدة ما كما في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الإتيان به
للإيذان بأنه أمر محقق غني عن الإخبار به وجيء بالفاء الفصيحة الداخلة على جملة معطوفة على جملة
مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ونظائره بل داخلة
على الشرطية حيث قيل • فلما رآه مستقراً عنده • أي رأى العرش حاضراً لديه كما في قوله عز وجل
فلما رأينه أكبرنه تنبيهاً على ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الإخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤيته

سليمان

سليمان عليه السلام إياه واستغنائه عن التصريح به إذ التقدير فأتاه به فرآه فلما رآه إلى آخره
فحذف ما حذف لما ذكر وللإيذان بكمال الإتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه السلام شيء ما
أصلاً وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه السلام تأكيد لهذا المعنى لإيهامه أنه لم يتوسط بينهما
ابتداء الإتيان أيضاً كأنه لم يزل موجوداً عنده كما مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده
منتظماً في سلك ملكه • قال • أي سليمان عليه السلام تلقياً للنعمة بالشكر جرياً على سنن أبناء جنسه من
أنبياء الله تعالى عليهم السلام وخلص عباده • هذا • أي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة
أو التمكن من إحضاره بالواسطة أو بالذات كما قيل • من فضل ربي • أي تفضله علي من غير استحقاق
له من قبلي • ليبلوني أأشكر • بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة وأقوم بحقه • أم
أكفر • بأن أجد لنفسي مدخلاً في البين أو أقصر في إقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد
• ومن شكر فإنما يشكر لنفسه • لأنه يرتبط به عتيدها ويستجلب مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب
ويتخلص عن وصمة الكفران • ومن كفر • أي لم يشكر • فإن ربي غني • عن شكره • كريم • بترك تعجيل العقوبة والإنعام مع عدم الشكر
أيضاً • قال • أي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكي سابقاً ولاحقاً من كلامه عليه السلام تنبيهاً على ما بين
السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر لله تعالى والثاني أمر لخدمه • نكروا لها عرشها
أي غيروا هيئته بوجه من الوجوه • ننظر • بالجزم على أنه جواب الأمر وقرئ بالرفع على الاستئناف • أتهتدي
إلى معرفته أو إلى الجواب اللائق بالمقام وقيل إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها
من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس والحجاب و
ويأباه تعليق النظر المعلوم بالاهتداء بالتنكير فإن ذلك مما لا دخل فيه للتنكير • أم تكون • أي أم لا تكون
علماً • من الذين لا يهتدون • أي إلى ما ذكر من معرفة عرشها أو الجواب الصواب فإن كونها في
نفس الأمر منهم وإن كان أمراً مستمراً لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه عليه السلام أمر حادث يظهر بالاختبار
• فلما جاءت • شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام أي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد
كان العرش بين يديه • قيل • أي من جهة سليمان عليه السلام بالذات أو بالواسطة • أهكذا عرشك • لم يقل
أهذا عرشك لئلا يكون تلقيناً لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير من إبراز العرش في معرض
الإشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل • قالت كأنه هو
فأنبأت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلوحاً بما اعتراه بالتنكير من نوع
مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الأدب في محاورته عليه السلام • وأوتينا العلم من قبلها
وكنا مسلمين • من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه عليه السلام أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت
أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من
الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها
ما لا يخفى وقوله تعالى • وصدها ما كانت تعبد من دون الله • بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته

من الاسلام الى الآن اى صدها عن ذلك عبادتها القديمة وقوله تعالى ﴿انها كانت من قوم كافرين﴾ تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اى انها كانت من قوم راسخين فى الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهى بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صدها او على التعليل بحذف اللام وقيل هذا ما قبل من قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملائه كانهم لما سمعوا قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها اصابت فى الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم الى آخره اى واوتينا نحن العلم بالله تعالى وبالاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها بين ظهرانى الكفرة وما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف ﴿قيل لها ادخلى الصرح﴾ الصرح القصر وقيل صحن الدار روى ان سليمان امر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيد استعظامها لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فيفضى اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان فى عقلها شيئا وهى شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقيها ورجليها ﴿فلما رأته حسبته لجة﴾ وهو حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها دار الحاطت بنا قيل اى هواه حبرا ﴿وكشفت عن ساقيها﴾ وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هى احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعراء وقيل هى السبب فى اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عليه السلام وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها فى الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد على الجمع فى سؤوق واسؤق ﴿قال﴾ عليه السلام حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب ﴿انه﴾ اى ما توهمته ماء ﴿صرح ممرد﴾ اى مملس ﴿من قوارير﴾ من الزجاج ﴿قالت﴾ حين عاينت تلك المعجزة ايضا ﴿رب انى ظلمت نفسى﴾ بما كنت عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظنى بسليمان حيث ظننت انه يريد اغراقها فى اللجة وهو بعيد ﴿واسلمت مع سليمان﴾ تابعة له مقتدية به وما فى قوله ﴿لله رب العالمين﴾ من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبيته لجميع الموجودات التى من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ﴿ولقد ارسلنا﴾ عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عليه السلام تلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذى لقيه عليه السلام واللام جواب قسم محذوف اى وبالله لقد ارسلنا ﴿الى ثمود اخاهم صالحا﴾ وان فى قوله تعالى ﴿ان اعبدوا الله﴾ مفسرة لما فى الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء ﴿فاذا هم فريقان يختصمون﴾ ففاجؤوا

التفرق

التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين ﴿قال﴾ عليه السلام للفريق الكافر منهم بعدما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عليه السلام يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة﴾ اى بالعقوبة السيئة ﴿قبل الحسنة﴾ اى التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه ﴿لولا تستغفرون الله﴾ هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها ﴿لعلكم ترحمون﴾ بقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول ﴿قالوا اطيرنا﴾ اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لانهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد اى تشاءمنا ﴿بك وبمن معك﴾ فى دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا ولم يزل فيهم الفتن والاختلاف منذ اخترعتم دينكم ﴿قال طائركم﴾ اى سببكم الذى منه ينالكم ما ينالكم من الشر ﴿عند الله﴾ وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى ﴿بل انتم قوم تفتنون﴾ اى تختبرون بتعاقب السراء والضراء او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه ﴿وكان فى المدينة﴾ وهى الحجر ﴿تسعة رهط﴾ اى اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفى وقدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ﴿يفسدون فى الارض﴾ لا فى المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ﴿ولا يصلحون﴾ اى لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون شيئا من الاشياء ﴿قالوا﴾ استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اى قال بعضهم لبعض فى اثناء المشاورة فى امر صالح عليه السلام وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام الى آخره ﴿تقاسموا بالله﴾ اما امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى ﴿لنبيتنه واهله﴾ اى لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم بعضا وقرئ بالياء على الغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ اى لولى صالح وقرئ بالتاء والياء ﴿ما شهدنا مهلك اهله﴾ اى ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم فضلا ان نتولى هلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا ﴿وانا لصادقون﴾ من تمام القول وحال اى نقول ما نقول والحال انا لصادقون فى ذلك لان الشاهد للشىء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ﴿ومكروا مكرا﴾ بهذه المواضعة ﴿ومكرنا مكرا﴾ اى اهلكناهم اهلاكا غير معهود ﴿وهم لا يشعرون﴾ اى جازيناهم بمكرهم من حيث لا يحتسبون ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾ شروع فى بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اى فتفكر فى انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى ﴿انا دمرناهم﴾ اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهى تامة وكيف حال اى فانظر كيف حصل اى على اى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما فى

عاقبة مكرهم من الابهام اى متى تدبرنا اياهم و قومهم الذين لم يكونوا معهم فى مباشرة التبييت
اجمعين بحيث لم يشذ منهم شاذ و اما تعليل ما ينبى عنه الامر بالنظر فى كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول و الفظاعة
بحذف الجار اى لانا دمرناهم الى اخره فتعليلا لما ذكر حرى و قرئ انا دمرنا الى اخره بالكسر على الاستئناف روى انه كان لصالح
مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلث فنحن نفرغ منه و من اهله قبل الثلث فخرجوا الى
الشعب و قالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة
عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم و لم يدروا ما فعل بقومهم و عذب الله تعالى كلا منهم فى مكانه و نجى صالحا و من معه و قيل
جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم و قد ارسل الله تعالى الملائكة ملأ دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة و لا يرون راميا
فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها و قرئ خاوية اى خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اى بسبب ظلمهم
المذكور حال من بيوتهم و العامل معنى الاشارة و قرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف ان فى ذلك اى فيما
ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لاية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اى ما من شانه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون
بالعلم و انجينا الذين امنوا صالحا و من معه من المؤمنين و كانوا يتقون اى الكفر و المعاصى اتقاء مستمرا فلذلك
خصوا بالنجاة و لوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا فى صدر قصة صالح داخل معه فى حيز القسم اى و ارسلنا لوطا
و قوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال و ما جرى بينه و بين قومه
من الاقوال و الاحوال و قيل انتصاب لوطا باضمار اذكر و اذ بدل منه و قيل بالعطف على الذين امنوا اى و انجينا
لوطا و هو بعيد اتاتون الفاحشة اى الفعلة المتناهية فى القبح و السماجة و قوله تعالى و انتم تبصرون
جملة حالية من فاعل تاتون مفيدة لتاكيد الانكار و تشديد التوبيخ فان تعاطى القبيح من العالم بقبحه اقبح و اشنع و
تبصرون من بصر القلب اى تفعلونها و الحال انكم تعلمون علما يقينا بكونها كذلك و قيل يبصرها بعضكم من بعض لما
كانوا يعلنون بها اينكم لتاتون الرجال شهوة تثنية للانكار و تكرير للتوبيخ و بيان لما ياتونه من الفاحشة
بطريق التصريح و تحلية الجملة بحرفى التاكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق احد ان يصدر من العقلاء و ايراد
المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح و تحقيق المباينة بينها و بين الشهوة التى علل بها الاتيان من دون
النساء متجاوزين النساء اللاتى هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحها او
تجهلون العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة و المجون اى بل انتم قوم سفهاء ماجنون و التاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم
فى حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عما
نفعله او عن الاقذار و يعدون فعلنا قذرا و عن ابن عباس رضى الله عنهما انه استهزاء و قد مر فى سورة الاعراف ان
هذا الجواب هو الذى صدر عنهم فى المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر و النهى لا انه لم يصدر عنهم كلام اخر
غيره فانجيناه و اهله الا امراته قدرناها اى قدرنا من الغابرين اى الباقين فى العذاب و امطرنا عليهم
مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله و سلام على
عباده الذين اصطفى اثر ما قص الله تعالى على رسوله عليه السلام قصص الانبياء المذكورين عليهم السلام و اخبارهم الناطقة
بكمال قدرته تعالى و عظم شانه و بما خصهم به من الايات القاهرة الدالة على جلالة اقدارهم و صحة اخبارهم و بين على

السنتهم

السنتهم حقيقة الاسلام و التوحيد و بطلان الكفر و الاشراك و ان من اقتدى بهم فقد اهتدى و من اعرض
عنهم فقد تردى فى مهاوى الردى و شرح صدره عليه السلام بما فى تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية
و نور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس و قرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز و
جل و انك لتلقى القران من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه و سلم بان يحمده تعالى على ما افاض عليه من تلك النعم التى لا مطمع
وراءها لطامع و لا مطمح من دونها لطامح و يسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه
اخبارهم التى هى من جملة المعارف التى اوحيت اليه عليه السلام اداء لحق تقدمهم و اجتهادهم فى الدين و قيل امر لوط
عليه السلام بان يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه و يسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش و النجاة عن الهلاك
و لا يخفى بعده الله خير اما يشركون اى الله الذى ذكرت شؤونه العظيمة خير اما يشركونه به تعالى من الاصنام
و مرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى و تسفيه ارائهم الركيكة و التهكم بهم اذ من البين ان ليس
فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه و بين من لا خير الا خيره و لا اله غيره و قرئ تشركون بالتاء
الفوقانية بطريق تلوين الخطاب و توجيهه الى الكفرة و هو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم
المبنى على خطابهم و جعله من جملة القول المامور به فى قوله تعالى فانبتنا الى اخره فانه صريح فى ان التبكيت
من قبله عز و علا بالذات و حمله على انه حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبارته كما فى قوله تعالى قل يا عبادى الذين
اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه و ام فى قوله تعالى ام من خلق السموات و الارض منقطعة
و ما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب و الانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اظهر
منه لمزيد التاكيد و التشديد و اما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت و تكرير الالزام كنظائرها الاتية
و الهمزة لتقريرهم اى حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز و لا يقدر على
ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات و افاض على كل واحد منها ما يليق به من منافعه من اخس تلك المخلوقات
و ادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا و من مبتدا خبره محذوف مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما
سبق فى الاستفهام الاول خلا ان تشركون هاهنا بتاء الخطاب على القراءتين معا و هكذا فى المواضع الاتية
و المعنى بل امن خلق قطرى العالم الجسمانى و مبادى منافع ما بينهما و انزل لكم التفات الى خطاب
الكفرة على القراءة الاولى لتشديد التبكيت و الالزام اى انزل لاجلكم و منفعتكم من السماء ماء
اى نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق اى بساتين محدقة و محاطة بالحوائط ذات بهجة
اى ذات حسن و رونق يبتهج به النظار ما كان لكم اى ما صح و ما امكن لكم ان تنبتوا شجرها
فضلا عن ثمرها و سائر صفاتها البديعة خير ام ما تشركون و قرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله
و تقديم صلتى الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر و الالتفات الى التكلم فى قوله تعالى
فانبتنا لتاكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى و الايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف و الاوصاف
و الالوان و الطعوم و الروائح و الاشكال مع ما لها من الحسن البارع و البهاء الرائع بماء واحد مما
لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها بقوله تعالى ما كان لكم الى اخره سواء كانت

صنعة لها او حالاً وتوحيد وصفها الاول لغنى ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال في ضمير شجرها • أإله مع الله • اى أإله آخر كائن مع الله الذى ذكر بعض افعاله التى لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكاً له تعالى فى العبادة وهذا تبكيت لهم بنفى الالوهية عما يشركونه بنوع من جنس النفى الكلى على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفى الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احداً ممن له تمييز فى الجملة لما لا يقدر على الكار استناد الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأساً لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال فى المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفى ان يكون معه تعالى آله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفى فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل بانه اشركهم به تعالى فى العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كأنه قيل أإله آخر مع الله فى خواص الالوهية حتى يجعل شريكاً له تعالى فى العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكاً فى العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفى كما فى الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى وما كان معه من إله والاوفق بحق المقام لافادته نفى وجود اله آخر معه تعالى رأساً لانفى معيته فى الخلق وفروعه فقط وقرئ أإلهاً بإضمار فعل يناسب المقام مثل أتدعون او أتشركون • بل هم قوم يعدلون • اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكاية لغيرهم اى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة فى كل امر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذى هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذى هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة • أمن جعل الارض قراراً • وما بعده بدل من أمن خلق السموات الى آخره وكذا ما بعده من الجمل الثلث وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر ادخل فى الالزام بجهة من الجهات اى جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما يدور عليه منافعهم • وجعل خلالها • اوساطها • انهاراً • جارية ينتفعون بها • وجعل لها رواسى • اى جبالاً ثوابت تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع فى حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا يحصى • وجعل بين البحرين • اى العذب والمالح او خليجى فارس والروم • حاجزاً • برزخاً مانعاً من الممازجة وقد مر فى سورة الفرقان والجعل فى المواقع الثلثة الاخيرة ابداعى وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مراراً من التشويق • أإله مع الله • فى الوجود او فى ابداع هذه البدائع على ما مر • بل اكثرهم لا يعلمون • اى شيئاً من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره • أمن يجيب المضطر إذا دعاه • وهو الذى احوجه شدة من الشدائد وألجأته الى اللجأ والضراعة الى الله تعالى اسم مفعول من الاضطرار الذى هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو المجهود وعن السدى من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر • ويكشف السوء • الذى

يعتري

يعتري الانسان مما يسوءه • ويجعلكم خلفاء الارض • اى خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط • أإله مع الله • الذى يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام • قليلاً ما تذكرون • اى تذكراً قليلاً او زماناً قليلاً تتذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التى اريد بها العدم او ما يجرى مجراه فى الحقارة وعدم الجدوى وفى تذييل الكلام بنفى التذكر عنهم ايذان بان مضمونه مركوز فى ذهن كل ذكى وغبى وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على الاصل ويذكرون بالياء وبالتاء مع الادغام • أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر • اى فى ظلمات الليالى فيهما على ان الاضافة للملابسة او فى مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء او عمياء للتى لا منار بها • ومن يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته • وهى المطر ولئن صح ان السبب الاكثرى فى تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها للهواء فلا ريب فى ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعاً • أإله مع الله • نفى لان يكون معه إله آخر وقوله تعالى • تعالى الله عما يشركون • تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اى تعالى وتنزه بذاته المنفرد بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهوراً تحت قدرته عما يشركون اى عن وجود ما يشركونه به تعالى لا مطلقاً فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الهاً وشريكاً له تعالى او عن اشراكهم • أمن يبدأ الخلق ثم يعيده • اى بل أمن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث • ومن يرزقكم من السماء والارض • اى باسباب سماوية وارضية قد رتبها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التى عليها بنى امر التكوين خير ام ما تشركون فى العبادة ممن لا يتوهم قدرته على شئ ما اصلاً • أإله • آخر موجود • مع الله • حتى يجعل شريكاً له فى العبادة وقوله تعالى • قل هاتوا برهانكم • امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت اى هاتوا برهاناً عقلياً او نقلياً يدل على ان معه تعالى الهاً لا على ان غيره تعالى يقدر على شئ مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحاً ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها فى الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له وفى اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم برهاناً وانى ذلك • ان كنتم صادقين • اى فى تلك الدعوى • قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله • بعدما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيهم من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم كأنه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب او متصل على ان المراد بمن فى السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازى عام له تعالى ولاولى العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة • وما يشعرون ايان • اى متى • يبعثون • من القبور مع كونه مما لابد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان مركبة من اى وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم علم الغيب عاماً لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتى من الضمائر الخاصة بهم قطعاً وقيل للكل والاسناد الى خواص الكفرة لان المجموع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم

بل ادارك علمهم في الآخرة • لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة
بولغ في تأكيده وتقريره بأن أضرب عنه وبين أنهم في جهل أفحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون أحوال
الآخرة مطلقا مع تعاضد أسباب معرفتها على أن معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة
التي ما ذكر من البعث حال من أحوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى أنه
كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومباديه من الدلائل
العقلية والسمعية منزلة نفسه وإجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها إلى الانقطاع ثم
أضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها إلى بيان ما هو أسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل • بل هم في شك
منها • أي في شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في أمر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الأمور التي
ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك إلى بيان أنهم فيه أشد وأفظع من الشك حيث قيل • بل هم منها عمون • بحيث
لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل أدرك علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسر الحسن
البصري باضمحل علمهم وقيل كلا الفعلين على معناه الظاهر أي تكامل واستحكم أو تكامل أسباب علمهم بأن القيامة
كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك
وقوله تعالى بل هم في شك منها إضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل إلى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم
منها عمون إضراب عن وصفهم بالشك إلى وصفهم بما هو أشد منه وأفظع من العمى وأنت خبير بأن تنزيل أسباب
العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام
العلم وتكامله التهكم بهم قالوا وصفا لهم بالجهل مبالغة والإضرابان على ما ذكر وأصل ادارك تدارك وبه
قرأ أبي فأبدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل
أدرك وأصله افتعل وبل ادارك بهمزتين وبل آادرك بألف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادّرك
بفتح اللام وتشديد الدال وأصله بل ادرك على الاستفهام وبلى أدرك وأم تدارك وأم أدرك
فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فهو إنكار ونفي وما فيه بلى فإثبات لشعورهم
وتفسير له بالإدراك على وجه التهكم الذي هو أبلغ وجوه النفي والإنكار وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة
في النفي ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل إنهم منها عمون أو رد وإنكار لشعورهم
• وقال الذين كفروا • بيان لجهلهم بالآخرة وعمههم منها بحكاية إنكارهم البعث ووضع الموصول موضع
ضميرهم لذمهم بما في حيز صلته والإشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم • أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون
• أي أنخرج من القبور إذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ لأن يكون هو العامل في إذا لاجتماع موانع
لو تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الإخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الإنكار بالإخراج حينئذ فقط فإنهم
منكرون للإحياء بعد الموت مطلقا وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار بتوجيهه إلى الإخراج في
حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد وتكرير
الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد في الإنكار وتحلية الجملة بإن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد

كي يوهم

كي يوهمه ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا تعقلون ونظائره على رأي
الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ إذا كنا بهمزة واحدة مكسورة
وقرئ إنا لمخرجون على الخبر • لقد وعدنا هذا • أي الإخراج نحن وآباؤنا من قبل • أي من قبل وعد محمد
وتقديم الموعود على نحن لأنه المقصود بالذكر وحيث أخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الإنكار
وتصديره بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى • إن هذا إلا أساطير الأولين • تقرير إثر تقرير • قل سيروا في الأرض
فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين • بسبب تكذيبهم للرسل فيما دعوهم إليه من الإيمان بالله عز وجل وحده
وباليوم الآخر الذي تنكرونه فإن مشاهدة عاقبتهم فيه كفاية لأولي الاعتبار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين
لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم • ولا تحزن عليهم • لإصرارهم على الكفر والتكذيب • ولا تكن في ضيق • في حرج
صدر • مما يمكرون • من مكرهم فإن الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهما لغتان مصدران ويجوز أن
يكون المفتوح مخففا من ضيّق وقد قرئ كذلك أي لا تكن في أمر ضيق • ويقولون متى هذا الوعد • أي
العذاب العاجل الموعود • إن كنتم صادقين • في إخباركم بإتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الإخبار بذلك
• قل عسى أن يكون ردف لكم • أي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى
التهلكة أو الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه • بعض الذي تستعجلون •
وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وإنما يطلقونها إظهارا للوقار
وإشعارا بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى ووعيده وإيثار ما عليه
النظم الكريم على أن يقال عسى أن يردفكم ومن جملة أنعامه تأخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من المعاصي التي
من جملتها استعجال العذاب • ولكن أكثرهم لا يشكرون • لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرون بل يستعجلون
بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء • وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم • أي ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء
إذا سترته • وما يعلنون • من الأفعال والأقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال العذاب و
فيه إيذان بأن لهم قبائح غير ما يظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة
عند قوله تعالى أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون • وما من غائبة في السماء والأرض • أي من
خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية أو اسمان لما يغيب ولما يخفى والتاء للنقل
إلى الاسمية • إلا في كتاب مبين • أي بين أو مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل
بطريق الاستعارة • إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون • من جملته ما اختلفوا
في شأن المسيح وتحزبوا فيه أحزابا وركبوا متن العتو والغلو في الإفراط والتفريط والتشبيه والتنزيه
ووقع بينهم التناكد في أشياء حتى بلغ المشاقة إلى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه
الأمر لو كانوا في حيز الإنصاف • وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين • على الإطلاق فيدخل فيهم من آمن
من بني إسرائيل دخولا أوليا • إن ربك يقضي بينهم • أي بين بني إسرائيل • بحكمه • بما يحكم به وهو
الحق أو بحكمته ويؤيده أنه قرئ بحكمه • وهو العزيز • فلا يرد حكمه وقضاؤه • العليم • بجميع الأشياء التي

انه من جملتها ما يقضي به والفاء في قوله تع فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شئونه عز وجل فانها
موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اى فتوكل على الله الذي هو شانه فانه موجب على كل احد ان يتوكل
عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عم
على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عم كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه
تعالى انك لا تسمع الموتى الى اخره تعليل اخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض
عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تع اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من
جهته عم على احد الوجهين اعني كونه عم على الحق ومن جهته تع على الوجه الاخر اعني اعانته تعالى وتاييده للمحق
ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تع فان كونهم كالموتى
والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى
وهو المعني بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تاثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع
عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشيء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم
الشعور فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين
كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها والا فبعد
تشبيه نفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اى الدعوة الى امر من الامور
وتقييد النفي بقوله تع اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتاكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق
معرضون عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة
صماخه قريبا منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم هداية موصلة الى المطلوب كما في قوله تع فانك لا تهدي من احببت فان الاهتداء
منوط بالبصر وعن متعلق بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا وفيه بعد
وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اى ما تسمع
سماعا يجدي السامع نفعا الا من يؤمن باياتنا اى من من شانهم الايمان بها وايراد
الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن الى اخره
لما ان طريق الهداية هو اسماع الايات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها كانه
قيل فانهم منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم
بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي يستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة و
ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الايات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال
التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها و
تاثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول
الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى اتى امر الله اى اذا دنى وقوع

مدلول

مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض
وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتاكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة شانها وخروج
اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب
ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم وله زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها راس ثور
وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش
وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عم وقال وهب وجهها وجه الرجل وسائر خلقها
خلق الطير وروي عن علي رضي الله قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور
انها دابة وروي لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ اعنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي
الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام
والناس ينظرون فلا تخرج الا ثلثها وعن النبي صلعم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتمكن ثم بالبادية ثم
تتمكن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها
من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة
وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عم يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك
القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان
عم فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين
عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه
كافر ثم تقول لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله
انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة عن النبي
صلعم انه قال بئس الشعب شعب اجياد مرتين او ثلثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ
ثلث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى تكلمهم ان
الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اى تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بايات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة
ومباديها او بجميع اياته التي من جملتها تلك الايات وقيل باياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة
والاول هو الحق كما ستحيط بها علما وقرئ بان الناس الاية واضافة الايات الى نون العظمة لانها
حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى
واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف
محذوف اى بايات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم
ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار القول او
اجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كما سبق وقيل هو استيناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها

او بحلها وبرد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا والمراد
بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركوا مكة وقد روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا
بمحمد والقران لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم
وقد جوز كون القراءة المشهورة ايضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى ● ويوم نحشر من كل امة فوجا ● بيان اجمالي
لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلعم و
المراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا من
كل امة من امم الانبياء عليهم السلام او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن للتبعيض
لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تع ● ممن يكذب باياتنا ● بيان للفوج اي فوجا مكذبين
بها ● فهم يوزعون ● اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة
وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رض ابو جهل والوليد بن المغيرة
وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي اهل مكة وهكذا يحشر قادة ساير الامم بين ايديهم الى النار ● حتى
اذا جاءوا ● الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب ● قال ● اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب
والالتفات وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي
الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في ان المراد بالايات فيما سلف في الموضعين هي الايات
القرانية لانها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم تحيطوا بها علما مع وجوب ان يتاملوا
ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم اي اجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر
فيها ● ام ماذا كنتم تعملون ● اي ام اي شيء كنتم تعملون بها او ام اي شيء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه
لم يكن لهم عمل غير ذلك كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك
تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله تع ● ووقع القول عليهم ● اي حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول
الناطق بحلوله ونزوله ● بما ظلموا ● بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم بايات الله ● فهم لا ينطقون ● لانقطاعهم
الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم ● الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه ●
الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات
اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار ● والنهار مبصرا ● اي ليبصروا بما
فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذي هو حال الناس حالا له و
وصفا من اوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل هذا المسلك لما ان تاثير ظلام الليل في
السكون ليس بمثابة تاثير ضوء النهار في الابصار ● ان في ذلك ● اي في جعلهما كما وصفا وما في اسم الاشارة
من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل ● لايات ● اي عظيمة كثيرة ● لقوم يؤمنون ● دالة على صحة
البعث وصدق الايات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تامل في تعاقب الليل والنهار وحلافهما

على وجوه

على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة لا تكاد تبلغها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد في الافاق
تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحيوة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت
بالانتباه الذي هو مثل الحيوة قضى بان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم
بانه تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وان الايات الناطقة به وبكون حال الليل والنهار
برهانا عليه وساير الايات كلها حق نازل من عند الله تعالى ● ويوم ينفخ في الصور ● اما معطوف على يوم نحشر
منصوب بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلعم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه
على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي
نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحيوة غير من شاء الله
تعالى وذلك قوله تع ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا
يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تع ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه سياق
النظم الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تع ● ففزع من في السموات
ومن في الارض ● ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات في الانفس
والافاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون المعطوف عليه على صيغة المضارع
للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تاخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من
حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير التذكير ايذانا بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة
… بذكرها كما مر في قصة البقرة ● الا من شاء الله ● اي ان لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل
عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش ● وكل ● اي كل واحد من المبعوثين عند النفخة ● اتوه ●
حضروا الموقف بين يدي رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ
الكل وقرئ اتوه اي جاؤه والاول باعتبار معناه ● داخرين ● اي صاغرين وقرئ دخرين وقوله
تعالى ● وترى الجبال ● عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا ● تحسبها جامدة ● اي ثابتة في اماكنها
اما بدل منه او حال من ضمير ترى او مفعوله وقوله تعالى ● وهي تمر مر السحاب ● حال من ضمير الجبال في تحسبها
او في جامدة اي تراها رأي العين ساكنة والحال انها تمر في الجو مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك
ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال ● بارعن مثل الطود تحسب انهم
وقوف لحاج والركاب تهملج ● وقد دمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء
وانتفاشها كما في قوله تع وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر
الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة
ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان
بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسالونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها

عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد
القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية و
وقد قيل لو افق تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف
مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا
وقد قيل ان المراد بهذه النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق
من في السموات ومن في الارض الى آخره فيختص اثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من
الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى وانقيادهم له تعالى ولا ريب في ان ذلك مما ينبغي
ان ينزه عنه ساحة التنزيل على مثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة
الصعق وهي التي ارادت بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال
فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او كالقنديل المعلق
ترجحه الارواح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما
سيأتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا
على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل امرها
والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من ان يدعو اليها
داعية او يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات
الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله
تعالى الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون
تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها
وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض
والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليجزوا بحسبه ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون
وقوله من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها
اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها
واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة
كلمة الشهادة وهم اي الذين جاؤوا بالحسنات من فزع اي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو
الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو
الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رحمه الله حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح
الموت وينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اي
يوم اذ ينفخ في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي
يعتري كل من في السموات ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في

ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر
والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افأمنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا
والمراد هو الفزع المذكور في الاول لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كأن ما عداه
ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة قيل هي الشرك فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم
منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على
الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها
امر عليه السلام بان يقول لهم ذلك بعدما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها لهم على انه
قد اتم امر الدعوة بالا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله تعالى عز وجل
والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا صلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور
انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم انه عليه السلام يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا
بتدارك احوالهم وتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة
لتفخيم شأنها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من
الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من
خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها
وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي فجر افراد
الفجور وتشبع احاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى
يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شيء اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه
شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم
الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من
جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن اي اواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه الرائعة المخزونة في
تضاعيفه شيئا فشيئا او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها
على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما
يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه
اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي ومن ضل
بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة
الانذار فليس علي من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه
التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها
الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المأمور به

اي سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد
منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى • فتعرفونها • اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم لا
يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى • وما ربك بغافل عما تعملون • كلام مسوق
من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
وتخصيص الخطاب اولا به عليه السلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم
ايها الكفرة من السيئات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل
عما يعملون فسيعذبهم البتة فلا تحسبوا ان تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله تعالى اعلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهود وصالح
وابراهيم وشعيب عليهم الصلوة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

سورة القصص مكية وقيل الا قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين • قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل في اشباهه
نتلو عليك • اي نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز ان تكون التلاوة مجازا من التنزيل • من نبإ
موسى وفرعون • مفعول نتلو اي بعض نبئهما بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو او
مفعوله او صفة لمصدره اي نتلو عليك بعض نبئهما ملتبسين او ملتبسا بالحق او تلاوة ملتبسة
بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون
• ان فرعون علا في الارض • استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء
بتحقيق مضمون ما بعده اي انه تجبر وطغى في ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان • و
جعل اهلها شيعا • اي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا في
طاعته او اصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر و
غير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة
والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم • يستضعف طائفة منهم • وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة
لشيعا او استئناف وقوله تعالى • يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم • بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له
يولد في بني اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذلك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل و
ان كذب فما وجهه • انه كان من المفسدين • اي الراسخين في الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة
من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام • ونريد ان نمن • اي نتفضل • على الذين
استضعفوا في الارض • على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية
وهو معطوف على ان فرعون علا لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبأ او حال من يستضعف
بتقدير المبتدأ اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد له لان تعلق الارادة بالمن يتعلق استضعافهم على ان منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع

جاز اجراؤها

جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير للابانة لقدر النعمة في المنة بتذكير
حالتهم السابقة المباينة لها • ونجعلهم ائمة • يقتدى بهم في امور الدين بعد ان كانوا اتباعا مسخرين
لآخرين • ونجعلهم الوارثين • لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما
بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط
رتبتها عن الامامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من روادفه اعني قوله تعالى • ونمكن لهم في الارض • اي
ارض مصر والشام اي نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيف ما يشاؤون واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن
فيه • ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم • اي من اولئك المستضعفين • ما كانوا يحذرون • و
يجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية
• واوحينا الى ام موسى • بالهام او رؤيا • ان ارضعيه • ما امكنك اخفاؤه • فاذا خفت عليه • بان
يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه • فالقيه في اليم • في البحر والنيل • ولا تخافي • عليه ضيعة بالغرق ولا
شدة • ولا تحزني • انا رادوه اليك • عن قريب بحيث تأمنين عليه • وجاعلوه من المرسلين •
والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها
اي انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روي ان بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني
اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض
هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر
فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله لاحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون
فلفته في خرقة فالقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا
وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما الح
فرعون في طلب الولدان اوحى الله تعالى اليها ما اوحى وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت
من بردي مطلي بالقار من داخله وقوله تعالى • فالتقطه آل فرعون • فصيحة مفصحة عن عطفه على مترتبة
على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اي فالقته في اليم
بعدما جعلته في التابوت حسبما امرت به فالتقطه آل فرعون اي اخذوه اخذ اعتناء به وصيانة له عن
الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس
اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس
يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان
ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي
كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى عليه السلام
وقيل كانت عمته حكاه السهيلي واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت
في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا

فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فاعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت فلم يرد غيرها
فعالجته ففتحته فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته في قلوب
القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برأت
فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون
بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام في قوله تعالى • ليكون لهم عدوا وحزنا • لام العاقبة ابرز
مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان
كالسقم والسقم جمع بين الغرض وهو نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم • ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين • اي في كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو في ان قتلوا لاجله الوفا ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل
بهم ما كانوا يحذرون روي انه ذبح في طلبه تسعون الفا وليدا وكانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى
عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على تخفيف
خاطئين او على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطاء • وقالت امرأة فرعون • اي لفرعون حين اخرجته
من التابوت • قرة عين لي ولك • اي هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه احباه او لما ذكر من برء
بنته من البرص بريقه وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها • لا تقتلوه
خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريد • عسى ان ينفعنا • فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك
لما رأت فيه من العلامات المذكورة • او نتخذه ولدا • اي نتبناه فانه خليق بذلك • وهم لا يشعرون
حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته له كيت وكيت
وهم لا يشعرون بانهم على خطاء عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله
ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطائهم وقيل حال من احد ضميري نتخذه على ان
الضمير للناس اي وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه • واصبح فؤاد ام موسى فارغا • صفرا من العقل
لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول
فيها ويعضده انه قرئ فزعا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد
الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ موسى بالهمزة اجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمتها
فهمزت كما في وجوه • ان كادت لتبدي به • اي انها كادت لتظهر موسى اي امره وقصته من فرط الحيرة
والدهشة او الفرح لتبنيه • لولا ان ربطنا على قلبها • بالصبر والثبات • لتكون من المؤمنين • اي المصدقين
بوعد الله تعالى او من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه
• وقالت لاخته • مريم والتعبير عنها بالاخوة دون العلمية للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر
• قصيه • اي اتبعي اثره وتتبعي خبره • فبصرت به • اي ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون عن جانب
والكل بمعنى • وهم لا يشعرون • انها تقصه وتعرف حاله او انها اخته • وحرمنا عليه المراضع • اي منعناه
ان يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه وهو

الثدي • من قبل • اي من قبل قصها اثره • فقالت • عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون
بامره وطلبهم من يقبل ثديها • هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم • اي لاجلكم • وهم له ناصحون • لا يقصرون
في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت
وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فأتت بامه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه
اليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني
امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فقرره في يدها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من
يومها وذلك قوله تعالى • فرددناه الى امه كي تقر عينها • بوصول ولدها اليها • ولا تحزن • بفراقه
• ولتعلم ان وعد الله حق • اي جميع وعده من رده وجعله من المرسلين • حق • لا خلف فيه بمشاهدة
بعضه وقياس بعضه عليه • ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي
من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون • ولما بلغ
اشده • اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ
وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين • واستوى • اي اعتدل قده او عقله • آتيناه حكما • اي نبوة
• وعلما • بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل فعلا يستجهل فيه
وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة • وكذلك • ومثل ذلك الذي فعلنا
بموسى وامه • نجزي المحسنين • على احسانهم • ودخل المدينة • اي مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين
او عين الشمس من نواحيها • على حين غفلة من اهلها • في وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت
القيلولة وقيل بين العشائين • فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته • اي ممن شايعه على دينه
وهم بنو اسرائيل • وهذا من عدوه • اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية • فاستغاثه
الذي من شيعته • اي فسأله ان يغيثه بالاعانة كذلك اغاثه عنه متعدية بعلى وقرئ استعانه • على الذي من
عدوه • فوكزه موسى • اي ضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره • فقضى عليه • فقتله واصله
انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر • قال هذا من عمل الشيطان • لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار
او لانه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطاء وانما عده من عمل
الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات
الصغائر • انه عدو مضل مبين • ظاهر العداوة والاضلال • قال • توسيطه بين كلاميه لابانة ما
بينهما من التباين من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول • رب اني ظلمت نفسي • اي بقتله • فاغفر لي • ذنبي
• فغفر له • ذلك • انه هو الغفور الرحيم • اي المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم • قال رب بما انعمت علي • اما
قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن • فلن اكون • بعد هذا ابدا • ظهيرا للمجرمين •
واما استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن ادت معاونته الى الجرم وعن ابن
عباس رضي انه لم يستثن فابتلي به مرة اخرى فهذا يؤكد الاول وقيل معناه بما انعمت علي من القوة

اعين اوليائك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك • فاصبح في المدينة خائفا يترقب • يترصد
الاستقادة او الاخبار • فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه • اي يستغيثه برفع الصوت
من الصراخ • قال له موسى انك لغوي مبين • اي لغوي ظاهر الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل
آخر • فلما ان اراد موسى ان يبطش بالذي هو عدو لهما • اي لموسى وللاسرائيلي اذ لم يكن
على دينهما ولان القبط كانوا اعداء لبني اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء • قال
اي الاسرائيلي ظانا انه عم يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه غويا • يا موسى اتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس • قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك
الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى عم وقيل قاله القبطي • ان
تريد • اي ما تريد • الا ان تكون جبارا في الارض • وهو الذي يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل
ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى • وما تريد ان تكون من المصلحين
بين الناس بالقول والفعل • وجاء رجل من اقصى المدينة • اي كائن من آخرها • يسعى
اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق لجاء لان تخصصه يلحقه
بالمعارف قيل هو مؤمن من آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان • قال يا موسى
ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك • اي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخر
ويأتمر • فاخرج • اي من المدينة • اني لك من الناصحين • اللام للبيان لان معمول الصلة
لا يتقدم عليها • فخرج منها • اي من المدينة • خائفا يترقب • لحوق الطالبين • قال رب نجني
من القوم الظالمين • خلصني منهم واحفظني من لحوقهم • ولما توجه تلقاء مدين • اي نحو
مدين وهو قرية شعيب عم سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون و
كان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية ايام • قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل • توكلا على الله تعالى
وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب
فشرعوا في الآخرين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه
وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين • ولما ورد ماء مدين • اي وصل اليه و
هو بئر كانوا يسقون منها • وجد عليه • اي فوق شفيرها • امة • جماعة كثيرة من الناس
يسقون • اي مواشيهم • ووجد من دونهم • في موضع اسفل منهم • امرأتين تذودان • اي
تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم مع عدم الطاقة في التقدم
• قال • عم لهما حين رآهما على ما عليه من التأخر والذود • ما خطبكما • ما شأنكما فيما انتما عليه
من التأخر والذود ولم تباشران السقي كدأب هؤلاء • قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء • اي عادتنا ان
لا نسقي حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعد ريها عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال
لا انا لا نستقي اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والاصدار لان الغرض هو بيان تلك

الافعال لنفسها اذ هي التي دعت موسى عم الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عم انما
رحمهما لكونهما على الذياد للعجز والعفة وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذوديهما
غنما ومسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء
وهو اسم جمع كالرجال واما الرعاء فجمع قياسي كصيام وقيام • وابونا شيخ
كبير • ابداء منهما للعذر اليه عم في توليهما للسقي بانفسهما كانهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان
مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ
كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يقضي الناس اوطارهم
من الماء • فسقى لهما • رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر آنفا روي ان الرعاء كانوا يضعون على راس
البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب
والمجاعة والجوع ولعله عم زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عم عن ذلك فان الظاهر انه عم
غب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك
بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عم سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها و
كان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما • ثم تولى
الى الظل • الذي كان هناك فقال • رب اني لما انزلت الي • اي اي شيء انزلت الي من خير قليل او
كثير وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام • فقير • اي محتاج وتضمينه معنى السؤال والطلب جيء باللام للدعامة
لتقوية العمل وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من
العيش عند فرعون قاله عم تبجحا والشكر على ذلك • فجاءته احداهما • قيل هي كبراهما واسمها صفورا
او صفوراء وقيل صغراهما واسمها صفيرا اي جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل
الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما
اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى • تمشي • حال من فاعل جاءت وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من
ضمير تمشي اي جاءته تمشي كائنة على استحياء ومعناها انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط و
تنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء قد استترت بكم درعها • قالت • استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية مجيئها اياه عم كانه قيل فماذا قالت له عم فقيل قالت • ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت
لنا • اي جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة
على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي انه عم اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها
فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليهما السلام • فلما جاءه و
قص عليه القصص • اي ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل • قال لا تخف
نجوت من القوم الظالمين • الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عم انما اجاب المستدعية من غير
تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عم وليستظهر برايه لا لياخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الا يرى الى ما روي ان شعيبا

عم لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع دينا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا
ولم يتناول حتى قال شعيب عليهما السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل
التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام
ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي من انبياء الله تعالى وقيل ليس بمستنكر منه عم ان يقبل الاجر
لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب انه عم رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له
ليجزيك اجر ولعله عم انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر • قالت احديهما و
هي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها من موسى عم • يا ابت استاجره • اي لرعي الغنم والقيام
بامرها • ان خير من استاجرت القوي الامين • تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة
في ذلك جعل خير اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على انه امين مجرب روي ان شعيبا عم قال
لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه عم من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه
حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه • قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني • اي تكون
اجيرا لي او تثيبني من اجرته كذا اذا اثبته اياه فقوله تعالى • ثماني حجج • على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به
على تقدير مضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي مجدودا واجرت ممدودا
والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على ان تاجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج
ظرف كالوجه الاول • فان اتممت عشرا • في الخدمة والعمل • فمن عندك • اي فهو من عندك بطريق التفضل
لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرايه على موسى عم واستدعاء منه
للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل • وما اريد ان اشق عليك • بالزام اتمام العشر او المناقشة
في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق
عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رايك في مزاولته • ستجدني ان شاء الله من الصالحين •
في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عم بالاستثناء التبرك به وتفويض امره الى توفيقه
تع لا التعليق بصلاحه بمشيئته تعالى • قال ذلك بيني وبينك • مبتدا وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه
وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا نخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على
نفسك وقوله تعالى • ايما الاجلين • اي اكثرهما او اقصرهما • قضيت • اي وفيتكه باداء الخدمة فيه
• فلا عدوان علي • تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا عدوان علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين اي
اكثرهما او اقصرهما • قضيت • اي وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان
في اكثرهما انما للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على
الثماني او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي يعني كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط
وقرئ اي الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة لتاكيد ابهام اي وشياعها
وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال • تنظرت نصرا والسماكين ايهما • علي من الغيث استهلت مواطره

والله

والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا • وكيل • شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا
وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما
بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب
العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ
عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الانبياء عم يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن
بها فقال غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم
عم فكانت معه حتى لقي بها وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها
سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيه ورضيا ان يحكم بينهما
اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عم وعن الحسن
رضي الله عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها
كانت ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلاء وان كان
اكثر الا ان فيها تنينا اخشى عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام
فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عم دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا
ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عم مس الغنم فوجدها ملاء البطون غزيرة اللبن فاخبره موسى عم بالشان ففرح
وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه
في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه و
الفاء في قوله تعالى • فلما قضى موسى الاجل • فصيحة اي فعقدا العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل وسار
باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روي انه عم قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين
ثم عزم على العود الى مصر فاستاذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله • آنس من جانب الطور • اي ابصر من الجهة التي
تلي الطور • نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر • اي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه • او جذوة • اي
عود غليظ سواء كانت في راسه نار اولا قال باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر
وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بين بقوله تعالى • من النار • و
قرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات • لعلكم تصطلون • اي تستدفئون • فلما اتاها • اي النار التي آنسها
• نودي من شاطئ الوادي الايمن • اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عم • في البقعة
المباركة • متصل بالشاطئ او صلة لنودي • من الشجرة • بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ
• ان يا موسى اني انا الله رب العالمين • وهذا وان خالف لفظا ما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد • وان
الق عصاك • عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى • فلما رآها تهتز • فصيحة مفصحة
عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها اي فالقاها فصارت ثعبانا
فاهتزت فلما رآها تهتز كانها جان • اي في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها • ولى مدبرا • اي منهزما من الخوف ولم

يعقب اى لم يرجع • يا موسى • اى قيل يا موسى • اقبل ولا تخف انك من الآمنين • عن المخاوف فانه لا يخاف لدى
المرسلون • اسلك يدك فى جيبك • اى ادخلها فيه • تخرج بيضاء من غير سوء • اى عيب • واضمم اليك جناحك
اى يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او
بادخالهما فى الجيب فيكون تكرير الغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة
ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه
واذا امن واطمأن ضمهما اليه • من الرهب • اى من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا
وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما وكلها لغات • فذانك • اشارة الى العصا واليد
وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك • برهانان • حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم
ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره
تسمية الحجة سلطانا من التسليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن • من ربك •
متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان اى كائنان منه • الى فرعون وملائه • واصلان ومنتهيان اليهم • انهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين • قال رب انى قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون • بمقابلتها • واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا • اى معينا وهو فى الاصل اسم
ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف • يصدقنى • بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة • انى اخاف
ان يكذبون • ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد
الفعل الى السبب وقرئ يصدقنى بالجزم على جواب الامر • قال سنشد عضدك باخيك • اى سنقويك به فان قوة
الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد • ونجعل لكما سلطانا •
اى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك • فلا يصلون اليكما • باستيلاء او محاجة • باياتنا • متعلق بمحذوف
قد صرح به فى مواضع اخرى اى اذهبا باياتنا او بنجعل اى نسلطكما باياتنا او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم بها
وقيل قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون فى قوله • انتما ومن اتبعكما الغالبون • بمعنى انه
صلة لما بينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى • فلما جاءهم موسى باياتنا بينات • اى واضحات الدلالة
على صحة رسالة موسى عم منه تعالى والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عم اذ ذاك والتعبير عنهما
بصيغة الجمع قد مر فى سورة طه • قالوا ما هذا الا سحر مفترى • اى سحر تختلقه لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعلمه
ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر • وما سمعنا بهذا • اى السحر او ادعاء النبوة
فى آبائنا الاولين • اى واقعا فى ايامهم • وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده • يريد به نفسه
وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالتهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحهما
من الفاسد • ومن تكون له عاقبة الدار • اى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة
لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب فمن نتائج اعمال العصاة
وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية • انه لا يفلح الظالمون • اى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور

وقال

وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى • قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة وكان
من امرهم ما كان • فاوقد لى يا هامان على الطين • اى اصنع آجرا • فاجعل لى صرحا • اى قصرا رفيعا
لعلى اطلع الى اله موسى • كانه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال • وانى لاظنه
من الكاذبين • او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل
دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه
بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا
كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع
ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام • واستكبر هو وجنوده فى الارض • ارض مصر بغير
الحق • بغير استحقاق • وظنوا انهم الينا لا يرجعون • بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا
والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام • فاخذناه وجنوده • عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات
فنبذناهم فى اليم • قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى
اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى اليم ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه • فانظر كيف كان عاقبة الظالمين • وبينها للناس ليعتبروا بها • وجعلناهم • اى صيرناهم
فى عهدهم • ائمة يدعون الى النار • اى ما يؤدى اليها من الكفر والمعاصى اى قدوة يقتدى بهم اهل الضلال
فما هو الا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن اناثا فلا يناسب حينئذ ان يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم وتكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى
الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك • ويوم القيمة لا ينصرون • بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه • واتبعناهم
فى هذه الدنيا لعنة • طردا وابعادا عن الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا تزال تلعنهم الملائكة عم والمؤمنون
خلفا عن سلف • ويوم القيمة هم من المقبوحين • من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة
كزرقة العيون وسواد الوجه قاله ابن عباس رضى الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المقبوحين
المهلكين ويوم القيمة متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم
القيمة نحو لعملكم من القالين • ولقد آتينا موسى الكتاب • اى التوراة • من بعد ما اهلكنا القرون الاولى •
هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس
الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلعم فان اهلاك
القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤدى الى اختلال نظام العالم و
فساد احوال الامم المستدعى للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على امر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة
بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية • بصائر للناس • اى انوارا لقلوبهم تتبصر بها الحقائق وتميز بين الحق
والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما ان البصر نور
العين الذى به تبصر • وهدى • اى هداية الى الشرائع والاحكام التى هى سبل الله تعالى • ورحمة • حيث ينال من عمل به

الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصائر الخ
وقيل على العلة اى اتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة • لعلهم يتذكرون • ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد
حقق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى • وما كنت بجانب الغربى • شروع في بيان
ان انزال القران الكريم ايضا واقع في زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق
كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او
التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحى من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية اى وما كنت بجانب الجبل الغربى او المكان الغربى الذى وقع فيه الميقات على حذف
الموصوف واقامة الصفة مقامه او الجانب الغربى على اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع • اذ قضينا الى
موسى الامر • اى عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحى وايتاء التورية • وما كنت من الشاهدين • اى من
جملة الشاهدين للوحى وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التورية
له في الالواح فتخبره للناس • ولكنا انشانا قرونا • اى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة
فتطاول عليهم العمر • تمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لا سيما على اخرهم فاقتضى
الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه قوله تعالى • وما كنت
ثاويا في اهل مدين • نفى لاحتمال كون معرفته عم للقصة بالسماع ممن شاهدها اى وما كنت مقيما في اهل مدين
بطريق التعلم منهم • تتلوا عليهم • اياتنا • الناطقة بالقصة اما حال من المستكن في ثاويا او خبر ثان لكنت • ولكنا كنا
مرسلين • اياك وموحين اليك تلك الايات ونظائرها • وما كنت بجانب الطور اذ نادينا • اى وقت ندائنا
موسى انى انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون • ولكن رحمة من ربك • اى ولكن
ارسلناك بالقران الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك
ذلك وليس بذاك كما ستعرفه والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلة الرحمة وتشريفه عم بالاضافة وقد
اكتفى عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به
فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در شان التنزيل وقوله تعالى • لتنذر قوما •
متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من ارساله عم بالقران حتما لما انه المعلل بالانذار لا بتعليم ما ذكر وقرئ
ورحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى • ما اتيهم من نذير من قبلك • صفة لقوما اى لم يأتهم
نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل بناء على
ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل • لعلهم يتذكرون • اى يتعظون بما نذارك وترتيب
الوقوع بين قضاء الامر والثواء في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل على ان
حكايته عم للقصة بطريق الوحى الالهى ولو ذكر اولا نفى ثوائه عم في اهل مدين ثم نفى حضوره عم
عند النداء ثم نفى حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعى لربما توهم ان الكل دليل
واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة • ولولا ان تصيبهم مصيبة • اى عقوبة • بما قدمت ايديهم • اى بما اقترفوا

من الكفر

من الكفر والمعاصى • فيقولوا • عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاء ما يجاب به
هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكر في حيزها للايذان بانه السبب الملجئ لهم الى قولهم • ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا • اى هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالايات • فنتبع اياتك • الظاهرة على يديه
وهو جواب لولا الثانية • ونكون من المؤمنين • بها وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى
لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التى قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه
ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية • فلما جاءهم • اى اهل مكة • الحق من عندنا • وهو القران المنزل عليه
عم • قالوا • تعنتا واقتراحا • لولا اوتى • بعثوه عم • مثل ما اوتى موسى • من الكتاب المنزل جملة واليد
لكفون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اى الم يكفروا من قبل هذا القول • اولم يكفروا بما اوتى موسى من
الكتاب اى كفروا بهذا الحق وقوله تعالى • قالوا • استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار
السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى • سحران • خبر مبتدأ محذوف اى هما يعنون ما اوتى محمد وما اوتى موسى
عليهما الصلوة والسلام سحران • تظاهرا • اى تعاونا بتصديق كل واحد منهما الاخر وذلك انهم بعثوا رهطا
منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عم فقالوا انا نجده في التورية بنعته وصفته فلما رجع
الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى • وقالوا انا بكل • اى بكل واحد من الكتابين
كافرون • تصريح بكفرهم بهما وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان
وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله تعالى عليهما وهذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الجليل فان ما
وقع عقيبه من قوله تعالى • قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما • مما اوتياه من التورية
والقران وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى • اتبعه • جواب للامر اى ان تأتوا به اتبعه ومثل
هذا الشرط مما ياتى به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة
فيوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام • ان كنتم صادقين • اى في انهما سحران مختلقان وفي
ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم • فان لم يستجيبوا لك • اى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان
بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عم على كمال امن من امره كان
امره عم لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه و
الى الداعى باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله دعاءه • فاعلم انما يتبعون
اهواءهم • الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان ذلك لاتوا به • ومن اضل ممن اتبع
هواه • استفهام انكارى للنفى اى لا اضل ممن اتبع هواه • بغير هدى من الله • اى هو اضل من كل ضال
وان كان ظاهر السبك لنفى الاضل لا لنفى المساوى كما مر نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى
من الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهداية الله تعالى بينة الاستحالة
ان الله لا يهدى القوم الظالمين • الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الايات
الهادية الى الحق المبين • ولقد وصلنا لهم القول • وقرئ بالتخفيف اى انزلنا القران عليهم متواصلا بعضه

اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا و وعيدا و قصصا و عبرا و مواعظ و نصائح
لعلهم يتذكرون • فيؤمنون بما فيه • الذين آتيناهم الكتاب من قبله • اى من قبل ايتاء القرآن
• هم به يؤمنون • وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤوا
مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام • واذا يتلى • اى القرآن • عليهم قالوا آمنا به انه الحق
من ربنا • اى الحق الذى كنا نعرف حقيته وهو استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى • انا كنا من
قبله • اى من قبل نزوله • مسلمين • بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره فى الكتب
المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن • اولئك • الموصوفون بما ذكر من النعوت
• يؤتون اجرهم مرتين • مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن • بما صبروا • بصبرهم وثباتهم
على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن
المشركين • ويدرؤن بالحسنة السيئة • اى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة
السيئة تمحها • ومما رزقناهم ينفقون • فى سبيل الخير • واذا سمعوا اللغو • من اللاغين
اعرضوا عنه • عن اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما • وقالوا لهم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم • بطريق المتاركة والتوديع • لا نبتغى الجاهلين • لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم
• انك لا تهدى • هداية موصلة الى البغية لا محالة • من احببت • من الناس ولا تقدر على ان تدخله
فى الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت فى السعى كل حد معهود • ولكن الله يهدى من
يشاء • ان يهديه فيدخله فى الاسلام • وهو اعلم بالمهتدين • بالمستعدين لذلك والجمهور على انها
نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلعم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها
لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان
يكون عليك وعلى بنى ابيك غضاضة بعدى لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة
وجدك ونصيحتك ولكنى سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف •
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا • نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن
عبد مناف حيث اتى النبى صلعم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا
العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم بقوله تعالى • اولم نمكن لهم حرما
آمنا • اى الم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الحرام الذى تتناحر العرب حوله
وهم آمنون فيه • يجبى اليه • وقرئ تجبى اى يجلب ويجمع اليه • ثمرات كل شىء • من كل اوب والجملة
صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة • رزقا من لدنا • فاذا كان حالهم
وهم عبدة اصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد • ولكن اكثرهم
لا يعلمون • اى جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اى
قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه

مؤكد لمعنى

مؤكد لمعنى يجبى او حال من الثمرات على انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة • وكم اهلكنا من قرية بطرت
معيشتها • اى وكثيرا من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الامن وخفض العيش والدعة حتى
اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم • فتلك مساكنهم • خاوية بما ظلموا • لم تسكن من بعدهم • من بعد
تدميرهم • الا قليلا • اى الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من
من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم • وكنا نحن الوارثين • منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف
تصرفهم فى ديارهم وسائر ذات ايديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض وجعلها ظرفا بنفسها
كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او جعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت
• وما كان ربك مهلك القرى • بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اى وما
صح وما استقام بل استحال فى سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان فى حكمه الماضى وقضائه
المبرم ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها • حتى يبعث فى امها • اى فى اصلها وقصبتها التى هى
اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل • رسولا يتلو عليهم آياتنا • الناطقة بالحق ويدعوهم
اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع
آياتك وفى الالتفات الى نون العظمة تربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى • وما كنا مهلكى القرى
عطف على ما كان ربك فوق تعالى • الا واهلها ظالمون • استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما
كنا مهلكين لاهل القرى بعدما بعثنا فى امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى حال من الاحوال
الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة
الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل • وما اوتيتم
من شىء • من امور الدنيا • فمتاع الحياة الدنيا وزينتها • اى فهو شىء شأنه ان يتمتع ويتزين به اياما
قلائل • وما عند الله • وهو الثواب • خير • فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة خالية
عن سمات الهم • وابقى • لانه ابدى • افلا تعقلون • الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون
الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبنى على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم
• افمن وعدناه وعدا حسنا • اى وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود • فهو لاقيه • اى
مدركه لا محالة لاستحالة الخلف فى وعده تعالى ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفها بالفاء
المنبئة عن معنى السببية • كمن متعناه متاع الحياة الدنيا • الذى هو مشوب بالالام منغص بالاكدار
مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الآخرة على ما
قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله تعالى اى ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى
بين الفريقين وقوله تعالى • ثم هو يوم القيامة من المحضرين • عطف على متعناه داخل معه فى حيز الصلة
مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيامة النار
او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما وفى جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم

للتراخي في الزمان او الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم
منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا واتحادهما ذاتا او باضمار اذكر فيقول تشنيعا للنداء
اين شركائي الذين كنتم تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان مخافة
بدلالة الكلام عليهما قال استئناف مبني على حكاية السؤال كانه قيل فما صنعوا حينئذ فقيل قال
الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين او رؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا
من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم به ونهوهم عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت
مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد و
تخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به
قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة انما
لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون هؤلاء اضلونا
وانما لان العبدة قد قالوا ما تعبدنا الا هؤلاء انما قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة
ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول
ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى
اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق
الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين
صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى
منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا
وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا
وقيل ادعوا شركاءكم تهكما بهم او تبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم
ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا
يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب والى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني اي
تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه سئلوا
اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ
اي صارت كالعمي عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء وقد عكس مبالغة والتنبيه على ان
ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعديته
بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء اما ما طلب منهم مما اجابوا به الرسل
او جميع الانباء وهي داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم
في ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسؤول فما ظنك بالضلال
من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء

في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون
من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المرهوب وعسى للتحقيق على عادة الكرام
او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ان يخلقه ويختار ما يشاء اختياره من
غير ايجاب لا مانع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم
وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي
انه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل
باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذين كان لهم فيه الخير والفلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها
خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختياره وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما
يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلعم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه
وهو الله اي المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي
للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي
اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء
النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل تقريرا لما ذكر ارأيتم
اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في
دلامص من الدلاص يقال درع دلاص اي ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او
تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له عليها يدور امر التبكيت
والالزام كما في قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه قصد
بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله لايراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرئ بضئاء
بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام سماع تدبر واستبصار حتى ترغبوا فيه وتعملوا بموجبه قل
ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق
الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء عن
ذكر ما فيه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما ينوط به من المنافع افلا تبصرون بهذه المنفعة الظاهرة
التي لا تخفى على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي في الليل ولتبتغوا من فضله
في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمه تعالى فعل ذلك او لتعرفوا نعمته تعالى وتشكروه
عليها ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه
لا شيء اجلب لغضبه تعالى من الاشراك كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده سبحانه وتعالى ونزعنا
عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد والالتفات لابراز العظمة
لابراز كمال الاعتناء بشان النزع وتهويله اي اخرجنا من كل امة من الامم شهيدا نبيا من الامم يشهد
عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل من تلك الامم هاتوا برهانكم على صحة ما

كنتم تدينون به فعلموا يومئذ أن الحق لله في الألوهية لا يشاركه فيها أحد وضل عنهم أي غاب عنهم غيبة
الضائع ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل إن قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى ابن أخيه وكان يسمى
المنور لحسن صورته وقيل كان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال إذا كانت النبوة
لموسى والمذبح والقربان لهارون وصدرا رون [uncertain] في نفسه حسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى
متى أصبر قال موسى هذا صنع الله تعالى قال لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد
بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل إليه فيها فكانوا يحرسون عصيهم بالليل فأصبحوا
فإذا بعصا هارون تهتز ولها ورق أخضر فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى
فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل
وقيل حسدهم وذلك لما ذكرناه في حق موسى وهارون عليهما السلام وآتيناه من الكنوز أي الأموال
المدخرة ما إن مفاتحه أي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس
واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة أولي القوة خبر إن والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل
إذا أثقله حتى أماله والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه
كما مر في قوله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين إذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى و
رد بأن البغي ليس مقيداً بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بأن الإيتاء أيضاً غير مقيد به وقيل بمضمر
فقيل اذكر وقيل هو أظهر الفرح ويجوز أن يكون معمولاً لما بعده من قوله تعالى قال إنما أوتيته و
يكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح أي لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضا
بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح حتماً ولذلك
قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعاً من محبته عز وعلا إن الله لا يحب الفرحين
أي بزخارف الدنيا وابتغ وفي وابتغ فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة
أي ثواب الله فيها بصرفه إلى ما يكون وسيلة إليه ولا تنس أي لا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك وأحسن أي إلى عباد الله تعالى
كما أحسن الله إليك فيما أنعم به عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك بالإنعام
ولا تبغ الفساد في الأرض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي إن الله لا يحب المفسدين
لسوء أفعالهم قال مجيباً لناصحه إنما أوتيته على علم عندي كأنه يريد به الرد على قولهم
كما أحسن الله إليك لإشعاره بأنه تعالى أنعم عليه بتلك الأموال والذخائر من غير
سبب واستحقاق من قبله أي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم
بالمال والجاه وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل
علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة له

أو متعلق

أو متعلق بأوتيته كقولك جاز عندي أو في ظني ورأيي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من
القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً توبيخ له من جهة الله عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله
مع علمه بذلك قراءة في التوراة وتلقياً من موسى عم وسماعاً من حفاظ التواريخ وتعجيب منه
فالمعنى ألم تقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى يغتر بما اغتر به
أو رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم فالمعنى أعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع
الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون
لما هدد بذكر إهلاك من قبله ممن كان أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أن ذلك لم يكن مما يخص أولئك
المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال
وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته إما متعلق بخرج أو بمحذوف هو حال من فاعله أي فخرج
عليهم كائناً في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف
على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية
بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئي فيه المعصفر
قال الذين يريدون الحيوة الدنيا من المؤمنين جرياً على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة
واليسار يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وعن قتادة أنهم تمنوه ليتقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه
في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوماً كفاراً إنه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتأكيد له وقال
الذين أوتوا العلم أي بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وإنما لم يوصفوا بإرادة ثواب الآخرة تنبيهاً
على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضي الإعراض عن الأولى والإقبال على الثانية حتماً وأن تمني
المتمنين ليس إلا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى
ثواب الله في الآخرة خير مما تمنونه لمن آمن وعمل صالحاً فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه
تعالى ولا يلقاها أي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء أو الثواب فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الإيمان
والعمل الصالح فإنهما في معنى السيرة والطريقة إلا الصابرون أي على الطاعات وعن الشهوات
فخسفنا به وبداره الأرض روي أنه كان يؤذي موسى عم كل وقت وهو يداريه لقرابته
حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد إلى أن يفضح موسى عم
بين بني إسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني إسرائيل ألف دينار وقيل طستاً من ذهب مملوءة ذهباً فلما
كان يوم عيد قام موسى عم خطيباً فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن
زنى محصناً رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت
بفلانة فأحضرت فناشدها موسى أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي فخر موسى
ساجداً لربه يبكي ويقول يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت
قال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان

موسى فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم
الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا
يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنوا اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا
عليه موسى ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله • فما كان له من فئة
جماعة مشفقة • ينصرونه من دون الله • يدفعون العذاب عنه • وما كان من المنتصرين • اى الممتنعين منه
من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر اى منعه فامتنع • واصبح الذين تمنوا مكانه • منزلته • بالامس
منذ زمان قريب • يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر • اى يفعل كل واحد
من البسط والقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضى القبض وويكان عند البصريين
مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الى اخره وعند الكوفيين من ويك
بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطاء والتندم والمعنى انهم قد
تنبهوا على خطائهم فى تمنيهم وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطائه مثل ما
اعطاه اياه وقرئ لولا من الله علينا • لخسف بنا • كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا
هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا • ويكانه لا يفلح الكافرون •
لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الاخرة • تلك الدار الاخرة • اشارة تعظيم
وتفخيم كانه قيل تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها • نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض • اى غلبة
وتسلطا • ولا فسادا • اى ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون وفى تعليق الموعد بترك
ارادتهما لا بترك انفسهما مزيد تحذير منهما وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود
من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها • والعاقبة • المحمودة • للمتقين • اى الذين يتقون ما لا يرضاه الله
تعالى من الافعال والاقوال • من جاء بالحسنة فله • بمقابلتها • خير منها • ذاتا ووصفا وقدرا • ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات • وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير
اسناد السيئة اليهم • الا ما كانوا يعملون • اى الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم مقامه ما كانوا
يعملونه مبالغة فى المماثلة • ان الذى فرض عليك القرآن • اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل
لرادك الى معاد • اى معاد يمتد اليه اعناق الهمم ويرنوا اليه احداق الامم وهو المقام المحمود
الذى وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة فى اذية وشدة من
اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره
وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابرهيم عم فنزل جبريل عم فقال له اتشتاق الى مكة قال
نعم فاوحاها اليه • قل ربى اعلم من جاء بالهدى • وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب
بفعل يدل عليه اعلم اى يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم • ومن هو فى ضلال مبين • وما يستحقه من
العذاب والاذلال يعنى بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله تعالى • وما كنت ترجو

ان يلقى

ان يلقى اليك الكتاب • اى سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه • الا رحمة من
ربك • ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القى
اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الرحمة • فلا تكونن ظهيرا للكافرين • بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى
طلبتهم • ولا يصدنك • اى الكافرون • عن آيات الله • اى عن قراءتها والعمل بها • بعد اذ انزلت اليك •
وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصده المنقول من صد اللازم • وادع • الناس • الى ربك • الى عبادته
وتوحيده • ولا تكونن من المشركين • بمساعدتهم فى الامور • ولا تدع مع الله الها اخر • هذا وما قبله للتهييج
والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته عم لهم واظهار ان المنهى عنه فى القبح والشرية بحيث ينهى
عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا • لا اله الا هو • وحده • كل شئ هالك الا وجهه • الا ذاته فان ما عداه كائنا
ما كان ممكن فى حد ذاته عرضة للهلاك والعدم • له الحكم • اى القضاء النافذ فى الخلق • واليه ترجعون •
عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن النبى صلعم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى
وكذب به ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا • سورة العنكبوت مكية سوى
عشر ايات من اولها بسم الله الرحمن الرحيم وهى تسع وستون اية • الم • الكلام فيه كالذى مر مرارا فى نظائره
من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا • احسب الناس • الحسبان ونظائره
لا يتعلق بمعانى المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شئ لشئ او نفيه عنه بحيث يتحصل منها مفعولاه
اما بالفعل كما فى عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما فى الجمل المصدرة بان والواقعة صلة للموصول الاسمى او الحرفى
فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى • احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون •
فى قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا امنا او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين
بقولهم امنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب فى النفس والاموال ليتميز المخلص
من المنافق والراسخ فى الدين من المتزلزل ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى
غير الخلاص من الخلود فى النار روى انها نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين
وقيل فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر
فقتله فجزع عليه ابواه وامراته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلعم سيد الشهداء
مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة • ولقد فتنا الذين من قبلهم • متصل بقوله تعالى احسب
او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكمة البالغة جارية فيما بين الامم كلها
فلا ينبغى ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو اشد مما اصاب
هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله
وما ضعفوا وما استكانوا الايات وعن النبى صلعم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين
ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه • فليعلمن الله الذين

صدقوا اى فى قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين فى ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينبئ عنه ما قبلها من وقوع الامتحان
واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد
والتقرير اى فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان الذى اظهروه والذين هم كاذبون
فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن وليجازين وقرئ
وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها
ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اى يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوى اعمالهم وهو ساد
مسد مفعولى حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن
التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا
بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا انفسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصى ولم يتفكروا
فى العاقبة نزلوا منزلة من يطمع فى ذلك كما فى قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون اى بئس الذى يحكمونه حكمهم
ذلك او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجو لقاء الله اى يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او ملاقاة
حكمه يوم القيمة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل فى الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاء الله تعالى عبارة
عن الوصول الى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد
طويل وقد اطلع مولاه على جميع ما كان يأتى ويذر فاما ان يلقاه ببشر وكرامة لما رضى من افعاله او بضد ذلك لما سخط فان اجل الله
الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر فى الاستعمال
اى فان الوقت الذى عينه تعالى لذلك لآت لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على
التقضى والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف
اى فليختر من الاعمال ما يؤدى الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما فى قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر ما يحقق امله ويصدق
رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد
ومن جاهد فى طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه لعود منفعتها اليها ان الله لغنى عن العالمين
فلا حاجة الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء
اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا اى بايتاء والديه وايلائهما
فعلا ذا حسن او ما هو فى حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجرى مجرى امر
معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان فى المأمور به نفع عائد الى المأمور او غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن
بوالديه وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اى وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق
لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم اى بالهيته
عبر عن نفيها بنفى العلم بها للايذان بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما فى ذلك

فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفى تعليق النهى عن طاعتهما بمجاهدتهما
فى التكليف اشعار بان موجب النهى فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية الى مرجعكم اى مرجع من آمن
منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازى كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان
شرا فشر والآية نزلت فى سعد بن ابى وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت ابى سفيان بن امية ان
لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلثة ايام كذلك وكذا التى فى سورة لقمان وسورة
الاحقاف وقيل نزلت فى عياش بن ابى ربيعة المخزومى وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى نزلا
المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخواه لامه اسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام
وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة
والغارب فاستشار عمر رضه فقال هما يخدعانك ولك على ان اقسم مالى بينى وبينك فما زالا به حتى اطاعهما
وعصى عمر رضه فقال اما اذ عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء
قال ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلداه كل واحد مائة جلدة وذهبا
به الى امه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين
اى فى زمرة الراسخين فى الصلاح والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول انبياء المرسلين قال الله تعالى
حكاية عن سليمان عم وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال فى حق ابراهيم عم وانه فى الآخرة لمن الصالحين
او فى مدخل الصالحين وهى الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله اى فى شأنه تعالى
بان عذبهم الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس اى ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله فى الشدة والهول
فيرتد عن الدين مع انه لا قدر لها عند نفخة من عذابه تعالى اصلا ولئن جاء نصر من ربك اى فتح وغنيمة
ليقولن بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اى مشايعين لكم
فى الدين فاشركونا فى الغنيمة وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا
يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى او ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين اى باعلم منهم بما فى صدورهم
من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء من المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة
وهذا هو الاوفق لما سبق وما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا اى بالاخلاص وليعلمن المنافقين
سواء كان كفرهم باذية الكفرة او لا اى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا بيان
لحملهم المؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما ان مساق
الكلام لبيان جناياتهم وفيما سبق لبيان جناية من اضلوه واللام للتبليغ اى قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا
اى اسلكوا طريقتنا التى نسلكها فى الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذى هو المشى خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك
فيه او اتبعونا فى طريقتنا ولنحمل خطاياكم اى ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا
انفسهم بالحمل عاطفين له على امرهم بالاتباع للمبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم
بقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ وقرئ من خطيئاتهم اى وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التى التزموا

ان يحملوا كلها على ان من للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض او حال • انهم لكاذبون •
حيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بانهم قادرون على انجاز ما وعدوا فان الكذب كما يتطرق الى الخبر يتطرق الى ما يلازم مدلوله
كما مر في قوله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • وليحملن اثقالهم • بيان لما يستتبعه قولهم ذلك
في الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها
وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر اي والله ليحملن اثقال انفسهم كاملة • واثقالا • اخر • مع اثقالهم • اي اثقالا اخر تسببوا
لها بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شيء اصلا • وليسئلن يوم القيمة • سؤال
تقريع وتبكيت • عما كانوا يفترون • اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها كذبهم هذا
• ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما • شروع في بيان افتتان الانبياء عليهم
السلام باذية اممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تاكيدا للانكار على الذين يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان
بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم من جهة اممهم من فنون المكاره وصبروا
عليها فلان يصبر هؤلاء اولى واحرى قالوا كان عمر نوح عم الفا وخمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن
وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما
يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلعم وتثبيته على ما كان عليه
من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة راي الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير
من نوع بشاعة • فاخذهم الطوفان • اي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة
من السيل والريح والظلام وقد غلب في طوفان نوح عم من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة
المتمادية • فانجيناه • اي نوحا عم • واصحاب السفينة • اي ومن ركب معه فيها من اولاده واتباعه وكانوا
ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث • وجعلناها • اي السفينة او
الحادثة والقصة • آية للعالمين • يتعظون بها • وابراهيم • عطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع
على تقدير ومن المرسلين ابراهيم • اذ قال لقومه • ظرف للارسال اي ارسلناه حين تكامل عقله وقدر
على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني
بدل اشتمال من ابراهيم • اعبدوا الله • اي وحده • واتقوه • ان تشركوا به شيئا • ذلكم • اي ما ذكر من العبادة
والتقوى • خير لكم • اي مما انتم عليه ومعنى التفضيل مع كونه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل • ان كنتم تعلمون
• اي الخير والشر وتميزون احدهما من الآخر او ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان
ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى • انما تعبدون من دون الله اوثانا • بيان لبطلان دينهم
وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثانا هي في نفسها تماثيل
مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك • وتخلقون افكا • اي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون انها
شفعاؤكم عند الله تعالى او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء و
تخلقون بحذف احدى التائين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ افكا على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت بمعنى خلقا

ان الذين

ذا افك • ان الذين تعبدون من دون الله • بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا • لا يملكون لكم
رزقا • اي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئا من الرزق • فابتغوا عند الله الرزق • كله فانه هو الرزاق
ذو القوة المتين • واعبدوه • وحده • واشكروا له • على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر
للعتيد ومستجلبين للمزيد • اليه ترجعون • اي بالموت ثم بالبعث لا الى غيره فافعلوا ما امرتكم به وقرئ يرجعون
من رجع رجوعا • وان تكذبوا • اي تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث • فقد كذب امم من قبلكم •
تعليل للجواب اي فلا تضروني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس و
نوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم
• وما على الرسول الا البلاغ المبين • اي التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقه قومه البتة و
قد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا • اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
• كلام مستانف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار
عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء و
الظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار
وتاكيده وقرئ يبدا • ثم يعيده • عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه
فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتاويل الاعادة بانشائه تعالى
كل سنة مثل ما انشأه في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث
ووقوعه من غير ريب • ان ذلك • اي ما ذكر من الاعادة • على الله يسير • اذ لا يفتقر فعله الى شيء اصلا
• قل سيروا في الارض • امر لابراهيم عم ان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها • فانظروا كيف بدأ الخلق
اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض
مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين في اقطارها • ثم الله ينشئ النشأة الآخرة • بعد النشأة
الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعر بكون البدء نشأة اولى
للتنبيه على انهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى
الوجود ولا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها
النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي ينشئ فينشؤون
النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها
في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق
الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى • ان الله على كل شيء قدير • تعليل لما قبله بطريق
التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا
في وقوعها بعد ما اخبر به • يعذب • اي بعد النشأة الآخرة • من يشاء • ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما • ويرحم
من يشاء • ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب

واليه تقلبون عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين له تعالى
عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها ولا بالتحصن
في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والا
رض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السماء
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم
والذين كفروا بآيات الله اي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل
فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب
المقام ولقائه الذي تنطق به تلك الآيات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه يئسوا من
رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء
واولئك لهم عذاب اليم وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة
على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذ
لك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام فما كان
جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع على
العكس وقد مر فيما نظائره وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عم الا هذه المقالة الشنيعة
كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الاخيرة والا
فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اي فالقوه في النار فانجاه
الله تعالى منها بان جعلها عليه بردا وسلاما حسبما بين في مواضع اخر وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه
عم فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا ان في ذلك اي في انجائه منها لآيات
بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من
عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال اي ابراهيم عم مخاطبا لهم انما
اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اي اوثانا آلهة ويجوز ان تكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتأويلها
بالمودة او بجعلها نفس المودة مبالغة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ
مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئ بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او نفس
المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو
المفعول الاول وقرئ مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما
مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحيوة وقد اجتمعتم الكلمة حيث فعلتم بي ما فعلتم لاجل
مودتكم لها انتصارا مني كما ينبئ عنه حرقوه وانصروا آلهتكم ثم يوم القيمة ينقلب الامور ويتبدل التواد
تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث يكفر بعضكم ببعض وهم العبدة وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا

اي يلعن

اي يلعن كل فريق منكم من الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الاخر ومأواكم النار اي هي
منزلكم الذي تأوون اليه ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي
القيتموني فيها وجمع الناصرين لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له لوط اي صدقه
في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى
النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي اليها الا
همم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخيه عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني به
انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني
الا بما فيه صلاحي وروي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام
فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من عجوز عاقر و
جعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة وآتيناه
اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه
والثناء والصلوة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اي الكاملين في الصلاح ولوطا
منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابراهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي مر في قصة
ابراهيم عم انكم لتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها
من احد من العالمين استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس
الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل تتعرضون
للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض
عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتأتون في ناديكم اي تفعلون
في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة وعن
ابن عباس رضي هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار
والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه
من جهتهم شيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ
لوط عم وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اخرجوهم من قريتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على
القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء
وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة
قالوا اي لابراهيم عم في تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل
هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك

لان المعنى

باصرارهم على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي • قال • ان فيها لوطا • فكيف تهلكونها قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله • ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط فيها بل عمن لم يتعرض له ابراهيم
عليه السلام من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشأنهم اتم اعتناء حسبما ينفصح عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم
اي والله لننجينه واهله • الا امرأته كانت من الغابرين • اي الباقين في العذاب او القرية • ولما ان جاءت
رسلنا • المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم عليه السلام • لوطا سيء بهم • اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض
لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما • وضاق بهم ذرعا • اي ضاق بشأنهم و
تدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك
ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع • وقالوا • لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز
عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي حتى آلت به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد
• لا تخف • اي من قومك علينا • ولا تحزن • اي على شيء وقيل باهلاكنا اياهم • انا منجوك واهلك • ومنجوك
من الانجاء واياما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل •
انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء • استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية
من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب اي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب
وقرئ منزلون بالتشديد • بما كانوا يفسقون • بسبب فسقهم المستمر • ولقد تركنا منها • اي من القرية
آية بينة • هي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل
الماء الاسود على وجه الارض • لقوم يعقلون • يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار و
هو متعلق اما بتركنا او ببينة • والى مدين اخاهم شعيبا • متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة
نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا • فقال يا قوم اعبدوا الله • وحده • وارجوا اليوم الآخر • اي
توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته و
قيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف • ولا تعثوا في الارض
مفسدين • فكذبوه فاخذتهم الرجفة • اي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا
الصيحة • اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الارض • فاصبحوا
في دارهم • اي بلدهم او منازلهم والافراد لامن اللبس • جاثمين • باركين على الركب ميتين • وعادا وثمود •
منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اي اهلكنا وقرئ وثمودا بتأويل الحي • وقد تبين لكم من مساكنهم • اي
وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه • وزين لهم
الشيطان اعمالهم • من فنون الكفر والمعاصي • فصدهم عن السبيل • السوي الموصل الى الحق • وكانوا
مستبصرين • متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم
باخبار الرسل عليهم السلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا • وقارون وفرعون وهامان • معطوف على عادا وقيل
تقديم قارون لشرف نسبه • ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين •

مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادراك فتداركوا
نحو الدمار والهلاك • فكلا • تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي فكل واحد من المذكورين
اخذنا بذنبه • اي عاقبناه بجنايته لا بعضهم بذنب بعض كما يشعر به تقديم المفعول • فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا • تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط • ومنهم
من اخذته الصيحة • كمدين وثمود • ومنهم من خسفنا به الارض • كقارون • ومنهم من اغرقنا • كقوم
نوح وفرعون وقومه • وما كان الله ليظلمهم • بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى • ولكن كانوا انفسهم
يظلمون • بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي • مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا • كمثل العنكبوت اتخذت بيتا • فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من
هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر
وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء
طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع • وان اوهن
البيوت لبيت العنكبوت • حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن والوهي • لو كانوا يعلمون • اي شيئا من الاشياء
لجزموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل
فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم • ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء • على اضمار القول
اي قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بتدعون معلقة بيعلم ومن للتبيين او نافية
ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول
تدعون عائده المحذوف وقرئ يدعون بالياء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الآخرين
وعيد لهم • وهو العزيز الحكيم • تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه من فرط الغباوة
وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم
البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم • وتلك الامثال • اي هذا المثل وامثاله • نضربها للناس
تقريبا لما بعد من افهامهم • وما يعقلها • على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد • الا العالمون •
الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال
العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه • خلق الله السموات والارض بالحق • اي
محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية
والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة
على شؤونه المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى • ان في ذلك لآية للمؤمنين • دالة لهم على ما ذكر من
شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك
• اتل ما اوحي اليك من الكتاب • تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا
للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق • واقم الصلوة • اي

داوم على ادامتها وحيث كانت الصلوة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان الامر
باقامتها متضمنا للامر بالاقامة بها علله بقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم
ان الصلوة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله
تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصي الله تعالى فان لم تأمره صلوته بالمعروف
ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء
والمنكر فصلوته وبال عليه وروى انس رضي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلعم ثم لا يدع
شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عم حاله فقال ان الصلوة ستنهاه فلم يلبث ان تاب و
حسن حاله ولذكر الله اكبر اي وللصلوة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله فاسعوا
الى ذكر الله للايذان بان ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل
ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته
اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة
ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتي هي احسن اي بالخصلة التي هي احسن
كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالاناة على وجه لا يدل على الضعف
ولا يؤدي الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد
او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا آمنا
بالذي انزل الينا من القرآن وانزل اليكم اي وبالذي انزل اليكم من التورية والانجيل وقد مر تحقيق
تحقيق كيفية الايمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلعم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم و
قولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوه والهنا والهكم
واحد لا شريك له في الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد للخطاب الى رسول الله صلعم وذلك اشارة الى مصدر
الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته المشار اليه في الفضل اي مثل ذلك الانزال البديع الموافق
لانزال سائر الكتب انزلنا اليك الكتاب اي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة
بالحسنى فالذين آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه
من اهل الكتابين خاصة كان من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلعم
منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم
من معاصري رسول الله صلعم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان
ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اي ومن العرب او من اهل مكة على الاول او
ممن في عصره من اهل الكتابين من يؤمن به اي بالقرآن وما يجحد باياتنا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على
ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع

من جحد

من جحد بها الا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم
الى معرفة حقيقتها وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله اي ما كنت قبل انزالنا اليك
الكتاب تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على ان تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد
او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يقدر على التلاوة
والخط او ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق
في شانك منشأ ريب اصلا وتسميتهم مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم
للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عن ذلك بل هو اي القرآن آيات بينات واضحات
ثابتة راسخة في صدور الذين اوتوا العلم من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد
على تحريفه وما يجحد باياتنا مع كونها كما ذكر الا الظالمون المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة
والفساد وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام و
وقرئ آية قل انما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لاحد في ذلك قطعا و
انما انا نذير مبين ليس من شاني الا الانذار بما اوتيت من الآيات اولم يكفهم كلام مستأنف
وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي اقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات انا انزلنا عليك الكتاب الناطق
بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من مدارستها وممارستها يتلى عليهم
في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون
في مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك
الكتاب العظيم الشان الباقي على مر الدهور لرحمة اي نعمة عظيمة وذكرى اي تذكرة لقوم
يؤمنون اي لقوم همتهم الايمان لا التعنت كاولئك المعترضين وقيل ان ناسا من المؤمنين اتوا
رسول الله صلعم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما
جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات
والارض اي من الامور التي من جملتها شاني وشانكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا
والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبدون من دون الله وكفروا بالله مع تعاضد موجبات
الايمان به اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان ضيعوا
الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي احسن حيث لم
يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الابهام كما في قوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم
متى هذا الوعد وقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا اجل مسمى
قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما استعجلوا به وقيل المراد

بالاجل يوم القيمة لما روي انه تعالى وعد رسول الله صلعم ان لا يعذب قومه بعذاب الاستيصال
وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بانقضاء آجالهم وفيه بعد ظاهر لانهم ما كانوا
يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به • وليأتينهم • جملة مستأنفة مبينة لما اشير اليه في الجملة السابقة
من مجيء العذاب عند محل الاجل اي والله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤلهم
فان ذلك اتيان برايهم وشعورهم لانهم يأتيهم وهم غارون مشتغلون بما يخطرونه بالبال كما اتت بعض العقوبات النازلة
على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون الا ان اتيان عذاب الاخرة وعذاب يوم بدر ليس من
هذا القبيل • يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين • استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه
دلالة على ان ما استعجلوه عذاب الاخرة اي يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه
قيل يستعجلونك بالعذاب وان العذاب لمحيط بهم اي سيحيط بهم وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها
او تنزيلا للحال المستقبلة منزلة الحال الحاضرة فان الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر و
المعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الاعراف
عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار
بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا • يوم يغشاهم العذاب • ظرف لمضمر فطوى ذكره ايذانا
بغاية كثرته وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي اشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للاحاطة • من فوقهم ومن تحت ارجلهم • اي من جميع جهاتهم • ويقول
اي الله عز وجل او بعض الملائكة بامره • ذوقوا ما كنتم تعملون • اي جزاء ما
كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب • يا عبادي الذين آمنوا •
خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لممانعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى
الطريق الاسلم • ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون • اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم
اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب
الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة
فان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه
معنى الاختصاص والاخلاص • كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون • جملة مستأنفة جيء بها حثا
على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت ذكره فراجعة الى حكمنا
وجزائها بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون • والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم • لننزلنهم • من الجنة غرفا • اي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من
الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت
بالمبهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم • تجري من تحتها الانهار • صفة لغرفا • خالدين فيها • اي في
الغرف او في الجنة • نعم اجر العاملين • اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله

وفي

وقرئ فنعم • الذين صبروا • اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير
ذلك من المحن والمشاق • وعلى ربهم يتوكلون • اي ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله • وكأين من دابة
لا تحمل رزقها • روي ان النبي صلعم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس
لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا تدخره واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا
يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة • وهو السميع •
المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا • العليم • المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم • ولئن سألتهم • اي اهل مكة • من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله • اذ لا سبيل لهم الى الانكار ولا الى التردد فيه • فانى يؤفكون • انكار
واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى
فيما ذكر من الخلق والتسخير • الله يبسط الرزق لمن يشاء • اي يبسط له • من عباده ويقدر له • اي يقدر لمن يشاء
ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسط له على التعاقب • ان الله بكل شيء
عليم • فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بتقديره له فيقدره له او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي
وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته • ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من
بعد موتها ليقولن الله • معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي
لا يكاد يتوهم منه القدرة على شيء ما اصلا • قل الحمد لله • على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وانه
اظهر حجتك عليهم وقيل على ان اعصمك من امثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده • بل اكثرهم لا يعقلون • اي شيئا
من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك
عند مقالهم ذلك • وما هذه الحيوة الدنيا • اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلعم لو كانت الدنيا
تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء • الا لهو ولعب • اي الا كما يلهو ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه
ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه • وان الدار الاخرة لهي الحيوان • اي لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان
الموت والفناء عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حيي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء
الثانية واوا وفيه فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة في هذا المقام المقتضي للمبالغة
• لو كانوا يعلمون • اي لما اثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال وشيكة
الاضمحلال • فاذا ركبوا في الفلك • متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه
كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله ههنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب في نفسه من
قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا في البحر ولقوا
شدة • دعوا الله مخلصين له الدين • اي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون الله تعالى
لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو • فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون • اي فاجأوا المعاودة الى الشرك
ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا • اي [illegible] الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة النجاة التي حقها ان
يشكروها • فسوف يعلمون • اي عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب • اولم يروا • اي الم ينظروا ولم

• أولم يروا • أنا جعلنا • أي بلدهم • حرماً آمناً • مصوناً عن النهب والتعدي سالماً أهله من كل سوء • ويتخطف
الناس من حولهم • أي والحال أنهم يختلسون من حولهم قتلاً وسبياً إذ كانت حوله في تغاور وتناهب • أفبالباطل
يؤمنون • أي أبعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون • دون الحق • وبنعمة الله يكفرون • وهي المستوجبة
للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلتين في الموضعين لإظهار شناعة ما فعلوا • ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً •
بأن زعم أن له شريكاً أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم دالاً على نفي الأظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد
مر مراراً • أو كذب بالحق لما جاءه • أي بالرسول أو بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم
بل سارعوا إلى التكذيب آنئذ ذي أثير • أليس في جهنم مثوى للكافرين • تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ألستم
خير من ركب المطايا أي ألا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق
الصريح أو إنكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أي ألم يعلموا أن في جهنم
مثوى للكافرين حتى اجترؤوا هذه الجراءة • والذين جاهدوا فينا • أي في شأننا ولوجهنا خالصاً أطلق المجاهدة
ليعم جهاد الأعادي الظاهرة والباطنة • لنهدينهم سبلنا • سبيل السير إلينا والوصول إلى جنابنا أو لنزيدنهم هداية
إلى سبيل الخير وتوفيقاً لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله تعالى علم ما
لم يعلم • وإن الله لمع المحسنين • بمعية النصرة والمعونة وعنه عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر
عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم بسم الله الرحمن الرحيم وهي ستون آية

• الم • الكلام فيه كالذي مر في أمثاله من الفواتح الكريمة • غلبت الروم في أدنى الأرض • أي أدنى أرض
العرب منهم إذ هي الأرض المعهودة عندهم وهي أطراف الشام أو في أدنى أرضهم من العدو على أن اللام
عوض عن المضاف إليه قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهي أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس هي الأردن
وفلسطين وقرئ في أداني الأرض • وهم • أي الروم • من بعد غلبهم • أي من مغلوبيتهم وقرئ بسكون اللام
وهي لغة كالجلب والجلب • سيغلبون • أي سيغلبون فارس • في بضع سنين • روي أن فارس غزوا الروم
فوافقوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين و
قالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر إخواننا على إخوانكم فلنظهرن عليكم فقال لهم أبو
بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف اللعين
كذبت اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر أبو بكر
رسول الله صلعم فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين
ومات أبي من جرح رسول الله وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان
النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فجاء به رسول الله صلعم فقال تصدق به وكان ذلك قبل
تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث
أخبرت عن الغيب الذي لا يعلمها إلا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى
أن الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها

ففتحوا

ففتحوا بعض بلادهم وإضافة الغلب حينئذ إلى الفاعل • لله الأمر من قبل ومن بعد • أي في أول الوقتين وفي
آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت
كونهم غالبين والمعنى أن كلاً من كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخراً ليس إلا بأمر الله تعالى وقضائه • وتلك الأيام نداولها بين
الناس • وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ بالجر من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلاً وبعداً بمعنى أولاً وآخراً • ويومئذ •
أي يوم إذ يغلب الروم فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم • يفرح المؤمنون بنصر الله • وتغليبه من له كتاب
على من لا كتاب له وغيظه لمن شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل بنصر الله إظهار
صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل بنصر الله تعالى أنه ولى بعض الظالمين بعضاً وفرق
بين كلمتهم حتى تناقضوا وتقاتلوا وقلّ كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة عن أبي سعيد الخدري أنه وافق ذلك يوم بدر
وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والأول هو الأنسب لقوله تعالى • ينصر من يشاء • أي من يشاء
أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فإنه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد • وهو العزيز • المبالغ
في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء أن ينصر عليه كائناً من كان • الرحيم • المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره
أي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية أما على القراءة المشهورة فلأن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الأخروية
وأما على القراءة الأخرى فلأن المسلمين وإن كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية
وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار • وعد الله • مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله في معنى
الوعد كأنه قيل وعد الله وعداً • لا يخلف الله وعده • أي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب
عليه سبحانه وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر
وقد جوز أن يكون حالاً منه فيكون كالمصدر الموصوف كأنه قيل وعد الله وعداً غير مخلف • ولكن أكثر الناس
لا يعلمون • أي بشؤونه تعالى • يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا • وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها
وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لأهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم
بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فإنهما ليسا مما علموه منها بل من أفعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهراً للتحقير
والتخسيس دون الوحدة كما توهم أي يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً من الدنيا • وهم عن الآخرة • التي هي الغاية القصوى
والمطلب الأسنى • هم غافلون • لا يخطرونها بالبال فلا يدركون من الدنيا ما يؤدي إلى معرفتها من أحوالها
ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وإيرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها
وهم الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للأولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة
المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقرير لجهالتهم وتشبيهاً لهم بالبهائم المقصور إدراكاتها من الدنيا على ظواهرها
الخسيسة دون أحوالها التي هي من مبادي العلم بأمور الآخرة وإشعاراً بأن العلم المذكور وعدم
العلم رأساً سيان • أولم يتفكروا • إنكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع
الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى • في أنفسهم • ظرف للتفكر وذكره مع ظهور
استحالة كونه في غيرها لتحقيق أمره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى • ما خلق الله السموات والأرض وما

بينهما • متعلق إما بالعلم الذي يؤدي إليه التفكر ويدل عليه أو بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون
في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا أي أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط وأقصروا النظر عليه ولم
يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من الأشياء إلا
ملتبسة • بالحق • أو فيقولوا هذا القول معترفين بمضمونه إثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق أن يثبت
لا محالة لابتنائه على الحكم البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها وأحوالها المتغيرة
على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التي من جملتها إحياؤهم
بعد الفناء بالحياة الأبدية ومجازاتهم بحسب أعمالهم عندما يتبين المحسن من المسيء وامتازت درجات أفراد
كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب في المصنوعات من
الآيات والدلائل والأمارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة
أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله أيكم أحسن
عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وقد حققه في أوائل سورة هود عليه السلام • وأجل مسمى •
عطف على الحق أي وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهي إليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة
هذا وقد جوز أن يكون قوله تعالى في أنفسهم صلة للتفكر على معنى أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب المخلوقات
إليهم وهم أعلم بشؤونها وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا
من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم
الذي دبر أمرها على الإحسان إحسانا وعلى الإساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك
أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت وأنت خبير بأن أمر معاد الإنسان
ومجازاته بما عمل من الإساءة والإحسان هو المقصود بالذات والإخبات فجعله ذريعة إلى إثبات
معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للأمر فتدبر • وقوله تعالى • وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون • تذييل مقرر لما قبله ببيان أن أكثر الناس غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة
والإعراض عن التفكر فيما يرشدهم إلى معرفتها من خلق السموات والأرض وما بينهما من المصنوعات
بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث • أولم يسيروا • توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة
أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقعدوا
في أماكنهم ولم يسيروا في الأرض وقوله تعالى • فينظروا • عطف على يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى
أنهم قد ساروا في أقطار الأرض وشاهدوا • كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • من الأمم المهلكة كعاد
وثمود وقوله تعالى • كانوا أشد منهم قوة • إلى آخره بيان لمبدأ أحوالهم ومآلها يعني أنهم كانوا أقدر منهم على
التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة • وأثاروا الأرض • أي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط
المياه واستخراج المعادن وغير ذلك • وعمروها • أي عمروها بفنون العمارات من الزراعة و
الغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها • أكثر مما عمروها • أي عمارة أكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة

هؤلاء

هؤلاء إياها كيف لا وهم أهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين
بالدنيا متفخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم إذ مدار أمرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتقلب في أكناف الأرض بأصناف التصرفات وهم ضعفة ملجؤون إلى واد لا نفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس
• وجاءتهم رسلهم بالبينات • بالمعجزات والآيات الواضحات • فما كان الله ليظلمهم • أي فكذبوهم فأهلكهم فما
كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن إهلاكه تعالى إياهم بلا جرم
ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لإظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بإبرازه في معرض
ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الأنفال وسورة آل عمران • ولكن كانوا أنفسهم يظلمون • بأن
اجترؤوا على اقتراف ما يوجبه من المعاصي العظيمة • ثم كان عاقبة الذين أساؤوا • أي عملوا السيئات ووضع
الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالإساءة والإشعار بعلة الحكم • السوأى • أي العقوبة التي كانت
أسوأ العقوبات وأفظعها التي هي العقوبة بالنار فإنها تأنيث الأسوأ كالحسنى تأنيث الأحسن أو مصدر
كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوأى وهي مرفوعة على أنها اسم كان وخبرها عاقبة وقرئ
على العكس وهو أدخل في الجزالة وقوله تعالى • أن كذبوا بآيات الله • علة لما أشير إليه من تعذيبهم الدنيوي
والأخروي أي لأن كذبوا أو بأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله
تعالى • وكانوا بها يستهزؤون • عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع
للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل • الله يبدأ الخلق • أي ينشئهم
• ثم يعيده • بعد الموت بالبعث • ثم إليه ترجعون • إلى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في الترهيب
وقرئ بالياء • ويوم تقوم الساعة • التي هي وقت إعادة الخلق ورجعهم إليه • يبلس المجرمون • أي يسكتون
متحيرين لا يبسون يقال ناظرته فأبلس إذا سكت وأيس من أن يحتج وقرئ بفتح اللام من أبلسه إذا أسكته
• ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء • يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها
في مقابلة الجمع أي لم يكن لواحد منهم شفيع أصلا • وكانوا بشركائهم • أي بآلهتهم وشركائهم • كافرين • أي بالله سبحانه
حيث وقفوا على كنه أمرهم وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا كافرين بسببهم وليس بذاك إذ ليس في الإخبار به
فائدة يعتد بها • ويوم تقوم الساعة • أعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى • يومئذ يتفرقون •
تهويل له إثر تهويل وفيه رمز إلى أن التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم
من بدئهم وإعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم
إلى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله
تعالى • فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون • تفصيل لأحوال ذينك الفريقين والروضة
كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة والتنكير للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره إذا سره
سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه لاحتمال وجوه فجميع الملاذ
فعن ابن عباس رضي ومجاهد رحمهما الله يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن أبي بكر بن عياش التيجان على

رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلعم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي فقال
يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين
باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء رضي الله عنه بم يتغنين
قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من
تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ● واما
الذين كفروا وكذبوا باياتنا ● التي من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل ولقاء الآخرة ● صرح بذلك مع اندراجه
في تكذيب الايات للاعتناء بامره وقوله تعالى ● فاولئك ● اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من
الكفر والتكذيب باياته تعالى وبلقاء الاخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما فصل من
القبائح ● في العذاب محضرون ● على الدوام لا يغيبون عنه ابدا ● فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون ● اثر بيان حال فريقي المؤمنين العاملين
للصالحات والكافرين المكذبين بالايات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجي من الثاني
ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه وحمده على نعمه العظام و
تقديم الاول على الثاني لما ان التخلية مقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا
الله تعالى اي نزهوه عما ذكر سبحانه اي تسبيحه اللائق به في هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى
ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض في معنى الامر به على ابلغ وجه واكده وتوسيطه بين اوقات
التسبيح للاعتناء بشأنه والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح
بحمد ربك وقوله صلعم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت
مثل زبد البحر وقوله عم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
وغير ذلك مما لا يحصى من الايات والاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من
آيات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما
وقوله تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب
لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك انه ليس من
الاوقات التي تختلف احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول
فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما في المساء و
الصباح فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور
وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روي عن ابن عباس ان الاية جامعة للصلوات
الخمس تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر
ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت

الخمس

الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الصحيح لحديث المعراج وفي آخره هن خمس صلوات
كل يوم وليلة وعن النبي صلعم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون الاية وعنه عم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك
تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون
اي تمسون فيه وتصبحون فيه ● يخرج الحي من الميت ● كالانسان من النطفة والطير من البيضة ● ويخرج الميت
من الحي ● كالنطفة والبيضة من الحيوان ● ويحيي الارض ● بالنبات ● بعد موتها ● يبسها ● وكذلك ● ومثل ذلك
الاخراج ● تخرجون ● من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى يبدأ الخلق
ثم يعيده ● ومن آياته ● الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة اوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم
على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها
عليها ● ان خلقكم ● اي في ضمن خلق آدم عم لما مر مرارا من ان خلقه عم منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا
● من تراب ● لم يشم رائحة الحيوة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم ● ثم اذا انتم بشر تنتشرون
● اي فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم
في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية ● ومن آياته ● الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده
من الجزاء ● ان خلق لكم ● اي لاجلكم ● من انفسكم ازواجا ● فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع آدم عم متضمن
لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى ● لتسكنوا اليها ● اي
لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب التفرق
والتنافر ● وجعل بينكم ● اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف ظرف معطوف
على المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس
اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله ● مودة ورحمة ● فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا اي جعل
بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ورابطة مصححة للتعاطف
من قرابة او رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن ان المودة كناية
عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال الله تعالى ورحمة منا ● ان في ذلك ● اي فيما ذكر من خلقهم من تراب
وخلق ازواجهم من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار
ببعد منزلته ● لآيات ● عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها ● لقوم يتفكرون ● في تضاعيف تلك الافاعيل
المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه
قوله تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى ● ومن آياته ● الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من
الجزاء ● خلق السموات والارض ● اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة
مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش
البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات

والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا • واختلاف السنتكم • اي لغاتكم بان
علّم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين
في الكيفية من كل وجه • والوانكم • ببياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها
وحلاها بحيث وقع التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية
لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية
من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات الانفسية الحقيقية بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم
وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم • ان في ذلك • اي فيما ذكر من خلق
السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان • لآيات • عظيمة في انفسها كثيرة في عددها • للعالمين
اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم
خفائها على احد من الخلق كافة • ومن آياته منامكم بالليل والنهار • لاستراحة النفس وتحلل القوى وتقوية
القوى الطبيعية • وابتغاؤكم من فضله • فيهما فان كلا من المنام والابتغاء يقع في الملوين وان كان
الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات
الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان مع ما وقع
فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد • ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون • اي شأنهم ان يسمعوا الكلام
سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى • ومن
آياته يريكم البرق • الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى اي ان احضر اي
لن احضر اي نزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او هو على حاله صفة لمحذوف
اي آية يريكم بها البرق كقول من قال وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي
فمنهما تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن آياته شيء او سحاب يريكم البرق • خوفا • من الصاعقة وللمسافر
• وطمعا • في الغيث او للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم
اياه او للمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع وعلى تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك
فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها • وينزل من السماء ماء • وقرئ بالتخفيف • فيحيي به
الارض • بالنبات • بعد موتها • يبسها • ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون • فانها من الظهور بحيث يكفي
في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها • ومن آياته ان تقوم السماء
والارض بامره • اي بارادته تعالى قيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب
وليس المراد باقامتهما انشاءهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض ولا ابقاءهما
بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله
تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي عليه
قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة

عن سائر الآيات المعدودة المتصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر ايضا
فقيل • ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون • فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث
ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كانه قيل
ومن آياته قيام السموات والارض على هيئاتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم اذا
دعاكم اي بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال ايها الموتى
اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم ويكفي
في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها • و
له • خاصة • من في السموات والارض • من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك
بوجه من الوجوه • كل له قانتون • اي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى • وهو الذي
يبدأ الخلق ثم يعيده • بعد موتهم وتكرير لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى • وهو اهون عليه
اي بالاضافة الى قدركم والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو مع
رجوعه الى الاعادة لما ان المراد ان يعيد وقيل الضمير راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان
الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد
من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحقيق
اذ ليس المراد باهونية الفعل قربه الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده و
قوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل سهولة تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا
بالغير ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار • وله المثل الاعلى
اي الوصف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره
ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية • في السموات و
الارض • متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلائق
والسنة الدلائل وقيل متعلق بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى • وهو
العزيز • القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته • الحكيم • الذي يجري الافعال على سنن الحكمة
والمصلحة • ضرب لكم مثلا • يتبين به بطلان الشرك • من انفسكم • اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور
اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله
تعالى • هل لكم الى آخره تصوير للمثل اي هل لكم • مما ملكت ايمانكم • من العبيد والاماء • من شركاء • فيما رزقناكم
من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة
لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى • فانتم فيه سواء • تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم
وشركائهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليهم على ان الفاء محذوف او معطوفا على انتم
لا انه عاملكم بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال انكم وعبيدكم امثال لكم في البشرية والاحكام

ان يشاركوكم فيما رزقناكم وهو معار لكم فانتم وهم فيه سواء اي تتهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه
بدون رأيهم كخيفتكم انفسكم اي كخيفة كائنة من خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى
نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم
وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه
الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل الواضح
نفصل الآيات اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس
وابراز لاوابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون في غاية الايضاح والبيان لقوم يعقلون اي يستعملون
عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذين
ظلموا اعراض عن مخاطبهم ومجادلتهم وارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال
المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كانه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة
بل اتبعوا اهواءهم الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون
للشيء في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بغير علم اي جاهلين ببطلانه لا يلوي
مكبين عليها لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف عنه العالم اذا اتبع الباطل علما ببطلانه فمن يهدي من اضل الله
اي خلق فيه الضلال بصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته احد وما لهم من ناصرين اي ليس لاحد منهم
والجمع باعتبار المعنى من ناصر يخلصهم من الضلال او يحفظهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم
ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين تمثيل للاقبال على الدين والاستقامة
والثبات عليه والاهتمام بترتيب اسبابه فان من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه
نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه اي فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا
حال من المأمور او من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة والنصب على الاغراء اي الزموا او عليكم فطرة الله
فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد في اقم لما ان الرسول صلعم امام الامة فامره
عليه السلام مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل
الشياطين وقيل على المصدر اي فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب
الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او عن ملة
الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما
اختاروا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلام حكاية عن رب
العزة كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلام
كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله
تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم
ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من

حمل

حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها رأسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن
من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل من جهة ان سلامة الفطرة متحققة
في كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك
اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت
بالملة والتذكير بتأويل المذكور او باعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال من الضمير في الناصب لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة حسبما
اليه تشير وما بينهما اعتراض اي راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى واتقوه واقيموا الصلوة ولا
تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم
لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى حزب من احزاب المشركين
ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا اي فرقا تشايع
كل منها امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم من الدين المعوج المؤسس على الرأي الزائغ والزعم الباطل
فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا
وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف المقدم اعني من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر اي
شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا
فريق منهم بربهم الذي كانوا دعوه منيبين اليه يشركون اي فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا
الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق القصد
او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر للتهديد
كقوله تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء
على ان تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد
جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم
تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم به تعالى او بالامر
الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا لا حمدا
وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجأوا
القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون
فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات
والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلعم او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون
وجه الله ذاته او جهته ويقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك
هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما آتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة

وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه او فعلتموه من اعطاء ربوا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم
وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله اي تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك هم المضعفون اي ذوو
الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة
وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الخطاب الى الغيبة الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل
من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء
له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه
تنزهه عن الشركاء بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائهم
والرابط من ذلكم لانه بمعنى افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة
مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتأكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان
وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل
وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل هابيل
وفي البحر بان جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه في الاخرة
واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ليشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان
ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين
القيم البليغ الاستقامة من قبل ان يأتي يوم لا مرد له لا يقدر احد على رده من الله متعلق بيأتي
او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون
اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره اي وبال كفره وهو النار المؤبدة
ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص
ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالى
فريقين ليجزي كلا منهما بحسب اعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض العناية وعبر عنه
بالفضل لما ان الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب واشار الى جزاء النوع الاخر بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين
فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن اياته ان يرسل الرياح اي
الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها
رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة
لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذي مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة
على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا
يرسلها لا لامر اخر لا تعلق له بمنافعكم ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم
تشكرون ولتشكروا نعمة الله بما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك

الی قومهم

الى قومك فجاؤهم بالبينات اي جاء كل رسول قومه بالحجة ملى البينات كما جئت قومك ببينات والفاء في قوله تعالى
فانتقمنا من الذين اجرموا فضيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على
مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين مزيد تشريف
وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم واشعار بان الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد
يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الاية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من
احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بموجب الشكر المطلوب بقوله تعالى ولعلكم
تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم من الانتقام الله
الذي يرسل الرياح استئناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه
متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب
الى غير ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اي قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به
فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اي بلادهم واراضيهم
اذا هم يستبشرون فاجأوا الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا ان المخففة من ان وضمير الشان الذي
هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على
طول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على
القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة
تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس
بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اي ايسين فانظر الى اثار
رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه
وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي اي الله تعالى الارض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض
وكيف معلق لانظر اي فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وايا ما كان فالمراد
بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيي بالتاء
على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم
فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان احياء الارض احداث لما كان فيها
من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ
في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا
ريحا فرأوه اي الاثر المدلول عليه بالاثار او النبات المعبر عنه بالاثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير
مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام في ولئن
موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فرأوه فصيحة واللام في قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد
مسد الجوابين اي والله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا لظلوا من بعده

يكفرون • من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم
ان يتوكلوا على الله في كل حال ويلجؤا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر • ولا ييأسوا من روح الله تعالى •
ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم
آفة ولا يكفروا نعمه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم • فانك لا تسمع الموتى • لما انهم مثلهم لانسداد
مشاعرهم عن الحق • ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين • تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه
على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احديهما لكفاهم
ذلك ضعفا وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يتفطن من اوضاعه وحركاته بشيء من كلامه وان لم يسمعه
اصلا ولما اذا كان معرضا عنه لا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم • وما انت بهاد العمي عن
ضلالتهم • سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمي قلوبهم وقرئ تهدي العمي • ان تسمع • اي ما
تسمع • الا من يؤمن بآياتنا • فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الا من يشارف الايمان
بها ويقبل عليها اقبالا لائقا • فهم مسلمون • منقادون لما تأمرهم به من الحق • الله الذي خلقكم من ضعف • مبتدأ
وخبر اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من
اصل ضعيف وهو النطفة • ثم جعل من بعد ضعف قوة • وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق بابدانكم الروح • ثم جعل
من بعد قوة ضعفا وشيبة • اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي
قرأتها على رسول الله صلعم فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم
غير المتأخر • يخلق ما يشاء • من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة • وهو
العليم القدير • المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم
والقدرة • ويوم تقوم الساعة • اي القيامة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او
لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة • يقسم المجرمون ما لبثوا • اي في القبور او في
الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا و
البعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهي اربعون سنة او اربعون الف سنة
غير ساعة • استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا • كذلك كانوا يؤفكون • مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون
في الدنيا عن الحق والصدق • وقال الذين اوتوا العلم والايمان • في الدنيا من الملائكة والانس • لقد لبثتم
في كتاب الله • في علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ
الى يوم البعث • ردوا بذلك ما قالوا ويؤيدوه باليمين كانهم من فرط حيرتهم لم يدروا ان ذلك هو البعث
الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه بعد فناء الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا وان لم يعتقدوا
بحقيقته فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها وبكتوهم بالاخبار
بوقوعها حيث قالوا • فهذا يوم البعث • الذي كنتم توعدون في الدنيا • ولكنكم كنتم لا تعلمون • انه حق
فتستعجلون بها استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كأنه قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا •

ثم

ثم القفول فقد جئنا خراسانا • فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم • اي عذرهم وقرئ تنفع بالتاء
على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل • ولا هم يستعتبون • لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي
ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني
فارضيته • ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل • اي ولقد بينا لهم كل حال ووصفناهم
كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما يقولون
وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم • ولئن جئتهم بآية • من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك
ليقولن الذين كفروا • لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلعم والمؤمنين • ان انتم الا
مبطلون • اي مزورون • كذلك • مثل ذلك الطبع • يطبع الله على قلوب • الذين لا يعلمون • لا يطلبون
العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق
ويوجب تكذيب المحق • فاصبر • على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة • ان وعد الله حق
وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة • ولا يستخفنك
لا يحملنك على الخفة والقلق • الذين لا يوقنون • بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك
باباطيلهم التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك
وقرئ بالنون المخففة وقرئ ولا يستحقنك من الاستحقاق اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين
وانما كان فظاهر النظم للكفرة وان كان نهيا للكفرة عن استخفافهم واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهي له عن التأثر
من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريقة الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله تعالى بين السماء
والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته •

سورة لقمان مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ثلثون واربع آية

الم تلك آيات الكتاب • سبق بيانه في نظائره • الحكيم • اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بصفته تعالى او اصله
الحكيم منزله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل
الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا عقدت اللبن اي معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل • هدى ورحمة • بالنصب على الحالية
من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انهما خبران آخران لاسم الاشارة او لمبتدأ محذوف
للمحسنين • اي العاملين الحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى • الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون • بيان لما عملوا من الحسنات على طريقة قوله الالمعي الذي يظن بك الظن
كان قد رأى وقد سمعا وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار
فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بجواز كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بجواز
كونه مبتدأ ما بعده خبره • اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون • الفائزون بكل مطلوب والناجون من
كل مرهوب لحيازتهم قطري العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه • ومن
الناس من محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى من يشتري لهو الحديث موصولة

أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذي يشتري أو فريق يشتري
على أن مناط الإفادة والمقصود بالإخبار هو اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك
المذكورين كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني
من المهمات كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من
فضول الكلام والإضافة بمعنى من التبيينية إن أريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية إن أريد به الأعم
من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الأعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول إن
كان محمد عم يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة وقيل كان يشتري القيان
ويحملهن على معاشرة من أراد الإسلام ومنعه عنه • ليضل عن سبيل الله • أي دينه الحق الموصل إليه تعالى
أو عن قراءة كتابه الهادي إليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء أي ليثبت ويستمر على ضلاله أو ليزداد فيه • بغير علم
أي بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض • ويتخذها • بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فإنه
مما يذكر ويؤنث وهو دين الإسلام أو القرآن أي ويتخذها • هزوا • أي مهزوءا به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشتري
وقوله تعالى • أولئك • إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في الفعلين باعتبار اللفظ وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بذكر المشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الشرارة أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء
للإضلال • لهم عذاب مهين • لما يصفونه من إهانتهم الحق بإيثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه • وإذا تتلى عليه
أي على المشتري أفراد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الأول باعتبار لفظة من بعدما جمع فيما بينهما باعتبار معناها
• آياتنا • التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين • ولى • أعرض عنها غير معتد بها • مستكبرا • مبالغا
في التكبر • كأن لم يسمعها • حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبرا والأصل كأنه فحذف ضمير الشأن وخففت المشبهة أي
مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز إلى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار
لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كأنك لم تجزع على ابن طريف
• كأن في أذنيه وقرا • حال من ضمير لم يسمعها أي مشبها حاله حال من في أذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز
أن يكونا استئنافين وقرئ في أذنيه بسكون الذال • فبشره بعذاب أليم • أي فأعلمه بأن العذاب المفرط
في الإيلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم • إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات • بيان لحال المؤمنين
بآياته تعالى إثر بيان حال الكافرين بها أي الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها • لهم • بمقابلة ما ذكر من إيمانهم وأعمالهم
• جنات النعيم • أي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر إن والأحسن أن يجعل لهم هو الخبر لأن وجنات النعيم مرتفعا بالاستقرار
على فاعليتها والعامل ما تعلق به اللام • وعد الله حقا • مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله تعالى
لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقا فدال على الثبات أكد به
معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم • وهو العزيز • الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من إنجاز وعده أو تحقيق
وعيده • الحكيم • الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة • خلق السموات بغير عمد • إلى آخره استئناف
مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد

وتقريره

وتقريره وإبطال أمر الإشراك وتبكيت أهله والعمد جمع عماد كأهب جمع إهاب وهو ما يعمد به أي يسند يقال عمدت
الحائط إذا دعمته بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات أي خلقها بغير عمد مرئية على أن التقييد للرمز إلى أنه
تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة • وألقى في الأرض رواسي • بيان لصنعه البديع في قرار الأرض إثر بيان صنعه
الحكيم في قرار السموات أي ألقى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد • أن تميد بكم • كراهة
أن تميد بكم فإن بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من
لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص • وبث فيها من كل دابة • من كل نوع من أنواعها • وأنزلنا من السماء
ماء • هو المطر • فأنبتنا فيها • بسبب ذلك الماء • من كل زوج كريم • من كل صنف كثير المنافع والالتفات إلى
نون العظمة في الفعلين لإبراز مزيد الاعتناء بأمرهما • هذا • أي ما ذكر من السموات والأرض وما تعلق بهما
من الأمور المعدودة • خلق الله • أي مخلوقه • فأروني ماذا خلق الذين من دونه • مما اتخذتموهم شركاء له
سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأروني معلق
وقوله تعالى • بل الظالمون في ضلال مبين • إضراب عن تبكيتهم بما ذكر إلى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي
للإعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة أن يفهموا منها شيئا فيهتدوا إلى العلم ببطلان ما
هم عليه فيتأثروا من الإلزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على أنهم بإشراكهم
واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد • ولقد آتينا
لقمان الحكمة • كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت
أيوب عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل
والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس
العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود
شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب فقال الصمت حكمة وقليل
فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وإن داود عم قال له يوما كيف أصبحت فقال أصبحت في يدي
غيري فتفكر داود عم فيه فصعق صعقة وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين
منها فأتى بهما ثم أمره أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا ومعنى
• أن اشكر لله • أي اشكر له تعالى على أن أن مفسرة فإن إيتاء الحكمة في معنى القول • ومن يشكر
إلخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالأمر أي ومن يشكر له تعالى • فإنما يشكر لنفسه • لأن
منفعته التي هي ارتباط القيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها • ومن كفر فإن الله غني • عن كل شيء
فلا يحتاج إلى الشكر ليتضرر بكفر من كفر • حميد • حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق بحمده
جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه
كما قال عم الحمد رأس الشكر لم يشكر الله من لم يحمده فإثباته له تعالى إثبات للشكر له قطعا • وإذ قال لقمان لابنه
أنعم وقيل أشكم وقيل ماثان • وهو يعظه يا بني • تصغير إشفاق وقرئ يا بني بإسكان الياء وبكسرها لا

تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما
ان الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي او الانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الى آخره
كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في اثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن
الشرك وقوله تعالى حملته امه الى آخره قوله في عامين اعتراض بين المفسَّر والمفسِّر وقوله تعالى
وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تهن وهنا وهو تعالى على وهن
صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها و
وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وهي
مدة الرضاع عند الشافعي رحمه وعند ابي حنيفة رحمه هي ثلثون شهرا وقد تبين وجهه في موضعه
وقرئ وفصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها
خاصة ولذلك قال عم لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير
تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة علم
فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة
واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم اي مرجعك و
مرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه
من الخير والشر وقوله تعالى يا بني شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما في مضمونها من النهي
عن الشرك وتأكيده بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة
او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة
وانث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم
او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السماء او في الارض اي فتكن
مع كونها في اقصى غايات الصغر والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم
العلوي او السفلي يأت بها الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى
كل خفي خبير بكنهه ثم بعد ما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك
ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله
من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر
تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت ان ذلك اشارة
الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل
من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور لمزيد مزيتها مصدر اطلق على المفعول
وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال

بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس
اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يعتري البعير
فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش
في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا
او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي او موجبه وتأخير الفخور مع
كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك
بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عم سرعة المشي تذهب
بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت
وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك
وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ
وجه واكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير
عن رفع الصوت والتنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت
كل واحد من آحاد هذا الجنس من بين اصوات سائر الاجناس ولو تروا ان الله
سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين
وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث
ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض
من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا
لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من الاشياء التي نيطت بها
مصالح العباد معاشا او معادا واما جعله منقادا للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات
والارض من الكائنات مسخر لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء
وان كان مسخرا له واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة
وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنه الغين او
الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سابغ صابغ وقرئ نعمة ومن الناس من
يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول عم
ولا كتاب منير انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى
اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا يريدون به عبادة الاصنام اولو كان الشيطان
يدعوهم اي آباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين
للشيطان لا كون انفسهم كذلك اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك
الى عذاب السعير فهو متوجه اليه حسب قصوره والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى

اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة بالامر يدل عليه • ومن يسلم وجهه
الى الله • بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام فقد ضمن معنى الاخلاص
وقرئ بالتشديد • وهو محسن • اي في عماله اتيا بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر اخراج
سورة البقرة • فقد استمسك بالعروة الوثقى • اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال
المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه
• والى الله • لا الى احد غيره • عاقبة الامور • فيجازيه احسن الجزاء • ومن كفر فلا يحزنك كفره • فانه
لا يضرك في الدنيا ولا في الاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي وليس بمستفيض
• الينا مرجعهم • لا الى غيرنا • فننبئهم بما عملوا • في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر
الثلثة باعتبار معنى من كما ان الافراد في الاول باعتبار لفظها • ان الله عليم بذات الصدور • تعليل للتنبئة
المعبر بها عن التعذيب • نمتعهم قليلا • تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة
الى ما يدوم قليل • ثم نضطرهم الى عذاب غليظ • يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط
والتضييق • ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله • لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا
الى الاعتراف به • قل الحمد لله • على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا •
بل اكثرهم لا يعلمون • شيئا من الاشياء فلذلك لا يعلمون ان ذلك يلزمهم ويقتضي اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم
• لله ما في السموات وما في الارض • فلا يستحق فيهما غيره • ان الله هو الغني • عن العالمين • الحميد • المستحق
للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال • ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام • اي لو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الاحاد • والبحر يمده من بعده
اي من بعد نفاده • سبعة ابحر • اي والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع
ابدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله • ما نفدت كلمات الله • ونفدت تلك الاقلام و
المداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء واسناد
المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه
الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها تنصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في
الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير • ان الله عزيز • لا يعجزه شيء • حكيم • لا يخرج
عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما • ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة • اي
الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا يشغله شأن عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته
الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
• ان الله سميع • يسمع كل مسموع • بصير • يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق
وقيل الخطاب لرسول الله صلعم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما لحق اي الم تعلم
علما قويا جاريا مجرى الرؤية • ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل • اي يدخل كل واحد

منهما في الاخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا • وسخر الشمس والقمر • عطف
على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد في كل حين واما التسخير
فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في اثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل • كل
يجري • اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب
تعدد الايام جريا مستمرا • الى اجل مسمى • قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روي
عن الحسن رحمه الله فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين
لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به صلعم يجوز ان يكون حالا من الشمس
والقمر فان جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما في حيز رؤيته صلعم هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن
حركتهما الخاصة بهما في فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر
شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين في الاخر وكون ذلك
بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الرأس
تزداد القوس التي هي فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه
الى ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الرأس وذلك عند بلوغها الى رأس السرطان ثم
ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسي التي فوق الارض تزداد صغرا فيزداد
النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد المدارات اليومية عن سمت
الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى • وان الله بما تعملون خبير • عطف على ان الله
يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقدير خصوص الخطاب بعد عمومه فان من شاهد مثل
ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله
ودقائقها • ذلك • اشارة الى ما تلي من الايات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى • بان الله هو الحق • اي بسبب بيان انه تعالى
هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بحقية التوحيد • وان ما يدعون من دونه الباطل •
اي ولاجل بيان بطلان الهية ما يدعونه من دونه لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا
ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة
للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان الدلالة على بطلان
ذلك ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا • وان الله هو العلي الكبير • اي وبيان
انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الايات الكريمة مبين لاختصاص العلو
والكبرياء به تعالى اي بيان هذا وقيل ذلك اي ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع و
اختصاص الباري تعالى به بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وانت خبير بان
حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام

لا دخل له في المناطقية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب بل هو تعكيس للامر فروره ان الاحكام المذكورة
هي المقتضية لبطلانها لان بطلانها بنقيضها • الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله • باحسانه في تهيئة
اسبابه وهو استشهاد اخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمقدر
هو حال من فاعله اي ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله بسكون العين وفعلات يجوز فيه الكسر والفتح
والسكون • ليريكم من اياته • اي بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى • ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور • تعليل لما قبله اي ان فيما ذكر لايات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من
يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والافاق ويبالغ في الشكر على نعمائه
وهما صفتا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن • واذا غشيهم • اي علاهم واحاط بهم • موج كالظلل
كما يظلل من جبل او سحاب او غيرهما وقيل الظلل جمع ظلة كقلة وقلال • دعوا الله مخلصين له الدين
لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد • فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة • وما يجحد باياتنا
الا كل ختار • غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه • كفور • مبالغ
في كفران نعم الله تعالى • يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده • اي لا يقضي عنه
وقرئ لا يجزي من اجزاء اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه • ولا مولود
عطف على والد وهو مبتدا خبره • هو جاز عن والده شيئا • وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى
بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباءه الكافر في الاخرة • ان وعد الله • بالثواب و
العقاب • حق • لا يمكن اخلافه اصلا • فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور • بان يحملكم على
المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة • ان الله عنده علم الساعة • علم وقت قيامها لما
روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلعم فقال متى الساعة واني قد القيت حباتي في الارض
فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عم مفاتح الغيب
خمس وتلا هذه الاية • وينزل الغيث • في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من
الانزال • ويعلم ما في الارحام • من ذكر او انثى او تام او ناقص • وما تدري نفس • من النفوس
ماذا تكسب غدا • من خير او شر وربما يعزم على شيء منهما فيفعل خلافه • وما تدري نفس باي ارض تموت
كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل من
جلسائه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل
ثم قال الملك لسليمان عم كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت بان اقبض روحه بالهند وهو
عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيلة وبذل في التعرف وسعه لم يعرف ما هو
لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه
تانيثها بتانيث كل في كلتهن • ان الله عليم • مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من

جملتها

جملتها ما ذكر • خبير • يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلعم من قرا سورة لقمان كان لقمان رفيقا
يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون اية

الم • ان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه
خبر لمبتدا محذوف اي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها وان جعل مسرودا على نمط
التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى • تنزيل الكتاب • على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق
على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم اي المسمى
تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه اذ لا عهد
بالتسمية قبل حقها فحقها الاخبار بها وقوله تعالى • لا ريب فيه • خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الاخيرين و
قيل خبر تنزيل الكتاب وقوله تعالى • من رب العالمين • متعلق بتنزيل وهو حال من الضمير المجرور اي كائنا منه تعالى
لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والاوجه انه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه
راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى • ام يقولون افتراه
فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون موردة حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب
عنه وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى
ثم اضرب عنه الى بيان حقيته اكده حيث قيل • بل هو الحق من ربك • باضافة اسم الرب الى ضميره عم بعد
اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عم ثم اتبع ذلك ببيان غايته حيث قيل • لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك لعلهم يهتدون • فان بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة
لمنافع جليلة في وقت ينادي بالحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش اضل الناس و
احوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عم اي ما اتاهم من نذير
من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته عم اي لتنذرهم راجيا لاهتدائهم او لرجاء اهتدائهم
واعلم ان ما ذكر من التاييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدا واما على سائر الوجوه فلا تاييد
اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين واياما كان فكونه
من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد للحكم • الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في
ستة ايام ثم استوى على العرش • مر بيانه في سلف • ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع • اي ما لكم اذا جاوزتم
رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من باسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم
في مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير • افلا تتذكرون •
اي لا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون او اتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم
السماع وعدم التذكر معا وعلى الثاني الى عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع • يدبر الامر من السماء
الى الارض • قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة اثارها واحكامها الى
الارض • ثم يعرج اليه • اي يثبت في علمه موجودا بالفعل • في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون • اي

أي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل
يدبر أمر الحوادث اليومية بإثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم يعرج إليه في زمان هو كألف
سنة مما تعدون فإن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وقيل تقتضي قضاءه ألف سنة فينزل
به الملك ثم يعرج بعد الألف لألف آخر وقيل يدبر أمر الدنيا جميعاً إلى قيام الساعة ثم يعرج إليه الأمر كله عند فنائها
وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلاً من السماء إلى الأرض بالوحي ثم يعرج إليه خالصاً إلا في مدة متطاولة
لقلة المخلصين والأعمال الخلص وأنت خبير بأن قلة الأعمال الخالصة لا تقتضي بطء عروجها إلى السماء بل قلته و
قرئ يعدون بالياء ● ذلك ● إشارة إلى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء
على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير أمر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده
أي ذلك العظيم الشأن ● عالم الغيب والشهادة ● فيدبر أمرهما حسبما تقتضيه ● العزيز ● الغالب على أمره ● الرحيم
على عباده وهما خبران آخران وفيه إيماء إلى أنه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالإحسان ● الذي أحسن كل شيء
خلقه ● خبر آخر أو نصب على المدح أي حسن كل مخلوق خلقه إذ ما من مخلوق خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة
واستوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال البديع لقد خلقنا الإنسان
في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن أي يحسن معرفته ومعرفة حسنه بتحقيق وتعلمه
وقرئ خلقه على أنه بدل الاشتمال من كل شيء والضمير للمبدل منه أي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على أن
الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق أي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لأحسن على تضمينه معنى أعطى أي
أعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الإحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الأول وكل شيء مفعوله الثاني والخلق
بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الإحسان معنى الإلهام والتعريف والمعنى ألهم خلقه كل شيء مما يحتاجون
إليه وقال أبو البقاء خلقه مخلوقاته كل شيء يحتاجون إليه فيؤول إلى معنى قوله تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه
ثم هدى ● من طين ● على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم على فطرة عجيبة منطوية على فطرة
سائر أفراد الجنس انطواء إجمالياً مستتبعاً لخروج كل فرد منها من القوة إلى الفعل بحسب استعداداتها
المتفاوتة قرباً وبعداً كما ينبئ عنه قوله تعالى ● ثم جعل نسله ● أي ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتنفصل
منه ● ونفخ فيه من روحه ● إضافة إليه تشريفاً له وإيذاناً بأنه خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأناً له مناسبة
إلى حضرة الربوبية وأن أقصى ما تنتهي إليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالإضافة
إليه تعالى وأخرى بالنسبة إلى أمره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من أمر ربي ● وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ●
الجعل إبداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى
المؤخر مع ما فيه من نوع طول تقديمه يخل الكلام أي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها
في أنفسها نعماً جليلة لا يقادر قدرها وسائل إلى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم
وتشكروها بأن تصرفوا كلاً منها إلى ما خلق له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث
وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيقتهما وقوله تعالى ● قليلاً ما تشكرون ●

بيان

بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على أن القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده أي شكراً
قليلاً أو زماناً قليلاً تشكرون وفي حكاية أحوال الإنسان من مبدأ فطرته إلى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة و
حكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المبني على استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا غاية وراءه ●
وقالوا ● كلام مستأنف لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات إيذاناً بأن ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب
للإعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة ● أئذا ضللنا في الأرض ● أي صرنا تراباً مخلوطاً بترابها
بحيث لا نتميز منه أو غبنا فيها بالدفن وقرئ ضَلِلنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم
إذا أنتن وقيل من الصلة وهي الأرض أي صرنا من جنس الصلة وقيل القائل أبي بن خلف ولرضاهم بقوله أسند
القول إلى الكل والعامل في إذا ما يدل عليه قوله تعالى ● أئنا لفي خلق جديد ● وهو نبعث أو نجدد خلقنا والهمزة
لتذكير الإنكار السابق وتأكيده وقرئ إنا على الخبر وأياً ما كان فالمعنى على تأكيد الإنكار لا إنكار التأكيد كما هو المتبادر
من تقدم الهمزة على أن فإنها مؤخرة عنها في الاعتبار وإنما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة ● بل هم بلقاء
ربهم كافرون ● إضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول
إلى العاقبة وما يلقونه فيها من الأحوال والأهوال جميعاً ● قل ● بياناً للحق ورداً على زعمهم الباطل ● يتوفاكم
ملك الموت ● كما لا تزعمون أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة أي يقبض
أرواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئاً أو لا يترك منكم أحداً على أشد ما يكون من الوجود واقتطعها من حرف وجوهكم
وأدباركم ● الذي وكل بكم ● أي بقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم ● ثم إلى ربكم ترجعون ● بالبعث للحساب و
الجزاء ● ولو ترى إذ المجرمون ● وهم القائلون أئذا ضللنا في الأرض الآية أو جنس المجرمين وهم من جملتهم
ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ● من الحياء والخزي عند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا ● ربنا ● أي يقولون
ربنا ● أبصرنا وسمعنا ● أي صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والآيات
المسموعة وكنا من قبل عمياً وصماً لا ندرك شيئاً ● فارجعنا ● إلى الدنيا ● نعمل صالحاً ● حسبما تقتضيه
تلك الآيات وقوله تعالى ● إنا موقنون ● ادعاء منهم لصحة الأفئدة والاقتدار على فهم معاني الآيات والعمل
بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئاً أصلاً وإنما
عدلوا إلى الجملة الاسمية المؤكدة إظهاراً لثباتهم على الإيقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد في الاستدعاء
طمعاً في الإجابة إلى ما سألوه من الرجعة وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له
مما يبصرونه ويسمعونه فإنهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صورة منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بأن مصيرهم
إلى النار لا محالة فالمعنى أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا أن مردنا إلى النار وهو الأنسب
لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل أبصرنا صدق وعدك وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خبير بأن تخصيصه
تعالى أنهم حينئذ يكونون بالطبع مذكوراً جزاؤه من الوعد والوعيد لا يناسب ما بأنهم صادقون حتى يسمعوا وقيل
وسمعنا قول الرسل أي سمعناه سمع طاعة وإذعان ولا يقدر لترى مفعول إذ المعنى لو يكون منك رؤية في ذلك
الوقت ويقدر ما ينبئ عنه صلة إذ والمعنى فيها وفي لو يكون منك رؤية في ذلك الوقت باعتبار أن أن تعي

في علم الله تعالى بمنزلة الوقوع وجواب لو محذوف اي لرايت امراً فظيعاً لا يقادر قدره والخطاب لكل احد ممن يصلح
له كائناً من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها
براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها
هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص
رؤيته براء دون راء بل كل من يتاتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود
بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر ● و
لو شئنا لآتينا كل نفس هداها ● مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا ابصرنا الخ اي ونقول لو شئنا
اي لو تعلقت مشيئتنا تعلقاً فعلياً بان نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان
والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ● ولكن حق القول مني ●
اي سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق
اقول لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين ● كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه
من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة
باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه الذين
اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى انما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط
عدم مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة الازلية من حيث
تعلقها بما سيكون من افعالهم اختياراً تشديداً على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطاً بتحققها وانما
مناطه علمه تعالى ازلاً بصرف اختيارهم فيما سيأتي الى الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت هي من تلك الحيثية
لاستدرك بعدمها وبنفاد ذلك كما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم [illegible]
ان المعنى ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختيار ذلك لاهتدوا ولكن لم نعطهم
لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره وقد شنع عليه المنقول والمعاد في قوله تعالى ● فذوقوا ● لترتيب الامر بالذوق
على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى ● بما نسيتم لقاء يومكم هذا ●
للايذان بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد ايضاً بسبب موجب له من قبلهم
كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا او حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه
والاستعداد له بالكلية ● انا نسيناكم ● اي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة ● وقوله تعالى ● وذوقوا
عذاب الخلد بما كنتم تعملون ● تكرير للتاكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه
ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم
الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي ابهام المذوق اولاً وبيانه ثانياً
بتكرير الامر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى

وقوله تعالى

وقوله تعالى ● انما يؤمن بآياتنا ● استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم
ايمانهم لو اوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملاً صالحاً
ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ● وانما يؤمن بآياتنا
الذين اذا ذكروا بها ● اي وعظوا ● خروا سجداً ● آثر ذي اثير من غير تردد ولا تلعثم فضلاً عن التسويف الى
الى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد اي سقطوا على وجوههم ● وسبحوا بحمد ربهم ● اي ونزهوه عند ذلك
عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء
الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار
بعلة التسبيح والتحميد وبانهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم ● وهم لا يستكبرون ● اي والحال انهم خاضعون له
تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد ● تتجافى جنوبهم ● اي ترتفع وتتنحى ● عن المضاجع ● اي الفرش و
مواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار
كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء
وهي صلاة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون
حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك
والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة
صلاة الليل وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد
ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون
جميعاً الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى ● يدعون ربهم ● حال من ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى
على الاستمرار ● خوفاً ● من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته ● وطمعاً ● في رحمته ● ومما رزقناهم ● من المال
● ينفقون ● في وجوه البر والحسنات ● فلا تعلم نفس ● من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً
عمن عداهم ● ما اخفي لهم ● اي لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة ● من قرة اعين ● مما تقر به اعينهم و
عنه عليه السلام يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله
ما اطلعتم عليه اقرؤوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرئ ما اخفي لهم وما نخفي لهم وما اخفيت لهم
على صيغة المتكلم وما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى
المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل ● جزاء بما كانوا يعملون ● اي جزوا جزاء او اخفي لهم
للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله تعالى ثوابهم
● افمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ● اي ابعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن
الذي حكيت اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله ● لا يستوون ● التصريح به مع افادة
الانكار لنفي المشابهة بالمرة على ابلغ وجه وآكده لبناء التفضيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد

فيما يسمع باعتبار لفظه وهو سائغ ● اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى ● لانها المأوى
الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وايا ما كان فلا بعد ان يكون فيه
رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا ● نزلا ● اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل
من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية ● بما كانوا يعملون ● في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم ● واما
الذين فسقوا ● اي خرجوا عن الطاعة ● فمأواهم ● اي ملجؤهم ومنزلهم ● النار ● مكان جنات المأوى للمؤمنين
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها ● استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم اي انهم يرفعهم لهب النار فيرتفعون
الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم
ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض ● وقيل لهم
تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ● ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به ● اي بعذاب النار ● تكذبون ● على
الاستمرار في الدنيا ● ولنذيقنهم من العذاب الادنى ● اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين
والقتل والاسر ● دون العذاب الاكبر ● الذي هو عذاب الآخرة ● لعلهم ● لعل الذين يشاهدونه اياه
وهم في الحيوة ● يرجعون ● يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر
فنزلت هذه الآيات ● ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها ● بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله
تعالى بالاعراض عنها بعد غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة ولا يكشف
الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان في سبك التركيب على نفي الاظلم
من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا ● انا من المجرمين ● اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته
منتقمون ● فكيف ممن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ● ولقد آتينا موسى الكتاب ● اي التوراة
عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلعم كايتائها لموسى
عم ● فلا تكن في مرية من لقائه ● من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وانك لتلقى القرآن من لدن
انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله
ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وقد رأيت ليلة اسري بي موسى رجلا آدم
طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة ● وجعلناه ● اي الكتاب الذي آتيناه موسى ● هدى لبني اسرائيل ● قيل لم
يتعبد بما في التوراة ولد اسمعيل ● وجعلنا منهم ائمة يهدون ● بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب من الحكم والاحكام
الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه ● بامرنا ● اياهم بذلك او بتوفيقنا له ● لما صبروا ● هي
التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى
الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين
او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي لصبرهم ● وكانوا بآياتنا ● التي في تضاعيف الكتاب ● يوقنون ● لامعانهم
فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية
ان ربك هو يفصل ● اي يقضي ● بينهم ● قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين ● يوم القيمة

فيميز بين

فيميز بين المحق والمبطل ● فيما كانوا فيه يختلفون ● من امور الدين ● او لم يهد لهم ● الهمزة للانكار و
الواو للعطف على منوي يقتضيه المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي ويمنع في ان المراد ايقاع نفس الفعل
بلا ملاحظة المفعول واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى ● كم اهلكنا ● اي اغفلوا
ولم يفعل الهداية لهم او لم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا ● من قبلهم من القرون ● مثل عاد وثمود وقوم لوط
وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم
اهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى ● يمشون في مساكنهم ● اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم
ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرئ يمشون للتكثير ● ان في ذلك ● اي فيما ذكر
من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية او في مساكنهم ● لآيات ● عظيمة في انفسها كثيرة في عددها
افلا يسمعون ● هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ ● او لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز
التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن ● فنخرج به ● من تلك الارض ● زرعا تأكل
منه ● اي من ذلك الزرع ● انعامهم ● كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ
يأكل بالياء ● وانفسهم ● كالحبوب التي يقتات بها الانسان والثمار ● افلا يبصرون ● اي الا ينظرون فلا
يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته وفضله ● ويقولون ● كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا
على المشركين او سيفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء
متى هذا الفتح ● اي النصر او الفصل بالحكومة ● ان كنتم صادقين ● في ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا و
بينكم ● قل ● تبكيتا لهم وتحقيقا للحق ● يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون ● يوم الفتح يوم القيمة
وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن
يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه
لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم
نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم
تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن
كافة الكفرة كما في الوجه الاول لئلا يقع الطلقاء يوم الفتح وناسا آمنوا يوم بدر ● فاعرض
عنهم ● ولا تبال بتكذيبهم ● وانتظر ● النصرة عليهم وهلاكهم ● انهم منتظرون ● قيل اي الغلبة عليكم كقوله
تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم كما في قوله تعالى هل ينظرون الا
ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظرون فان استعجالهم
المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ
على صيغة المفعول بمعنى انهم احقاء بان ينتظروا فان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلعم من قرأ الم
تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان في بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ● يا ايها النبي اتق الله ● في ندائه عم بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على

سمتوا مكانها والمراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فإن له بابا واسعا وعرضا
عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود
بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور
السلمي قدموا عليه عليه السلام في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن أبي ومعتب بن
قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلعم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك
فشق ذلك على النبي صلعم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة
ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا
في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه
مفسدة ولا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع
اي في كل ما تأتي وما تذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة
بتقوى الله الناهية عن طاعة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال
بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول صلعم والجمع للتعظيم وقيل له عم وللمؤمنين
وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب واما ما
كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل
ان الله خبير بما تعملون من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير
فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل ان الله خبير بما يعمله الكفار المنافقون فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك و
انتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكائد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي لك ان تعمله في دفعها
وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض جميع امورك اليه
وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء
الوحي الذي امر عم باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تع وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون المظاهر منها اما
وكون الدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة
اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان و
لذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين فيه رجل في ذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله
تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية وامومة في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص
لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة واحكام الامومة
ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة واحكام البنوة على الدعي والظهار ان يقول لزوجته انت علي كظهر
امي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في
الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى حلف

وذكر

وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج او في ذكره قرب
من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللائي
وقرئ اللاء وقرئ يظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء
في الظاء ويظّهّرون من اظّهّر بمعنى تظهّر وتظهرون من ظاهر بمعنى عاقد وتُظهِرون من ظهر
ظهورا وادعياء جمع دعي وهو الذي يُدّعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي
واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار
والادعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من مساق الكلام اي دعاؤكم بقولكم هذا ابني قولكم بافواهكم
فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع احكام البنوة كما زعمتم
والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اي سبيل الحق لا غير فدعوا اقوالكم وخذوا
بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصصوهم بهم وقوله تع هو اقسط عند الله
تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تع اعدلوا هو اقرب للتقوى وافعل التفضيل قصد به الزيادة
مطلقا من القسط بمعنى العدل اي الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه
فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اي فادعوهم
باخوانكم الدينية والمولوية وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به اي اثم فيما فعلتموه من ذلك
مخطئين بالسهو والنسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم
بعد النهي وما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو ابني
اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث
يولد مثله لمثل المتبني ولم يقر قبله بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اي في كل امر من
امور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عم احب اليهم من انفسهم وحكمه
انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه عم اراد
غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اي في الدين
فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اي
منزلات منازلهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت
عائشة رضي لسنا امهات النساء واولوا الارحام اي ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث
وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما
انزله وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لأولي الارحام
او صلة لأولى اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق
الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد
بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اي كان ما ذكر من الآيتين ثابتا من اللوح

او النوران وقيل في التورية • وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم • اي اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم
بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق • ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم • تخصيصهم بالذكر مع
اندراجهم في النبيين اندراجا بينا للايذان بمزيد مرتبتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرايع واساطين
اولي العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم الصلوة والسلام لابانة خطره الجليل • وأخذنا منهم ميثاقا غليظا • اي عهدا
عظيم الشأن او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه والعطف مبني على تنزيل التغاير العنواني
منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا
والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى • ليسأل الصادقين عن صدقهم • متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ما
هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض
منه بيانا مقصودا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اي فعل الله ذلك ليسأل يوم القيمة
الانبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما
السؤال لحكمة تقتضيه اي ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم فان
مصداق الصادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهودهم
حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى • وأعد للكافرين
عذابا أليما • عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم
لاثابة المؤمنين او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف
ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه
قوله تعالى ليسأل الصادقين كأنه قيل فأثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية • يا أيها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم • ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اي كائنة عليكم
• إذ جاءتكم جنود • ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله
والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما
سمع رسول الله صلعم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلثة آلاف
من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام
واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد
يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم
الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله
وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم
فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى
اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله
عنه يا عمرو اني ادعوك الى الله ورسوله والى الاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال

يا ابن اخي

يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك قال علي رضي الله عنه لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك
وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم اقبل على علي فتناولا وتجاولا
فضربه علي رضي الله عنه ضربة فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه
بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضا علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي
بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى • فأرسلنا عليهم ريحا • عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا
وستأتي بقيتها في آخر القصة • وجنودا لم تروها • وهم الملئكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا
باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملئكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب
واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملئكة في
جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال • وكان
الله بما تعملون • من حفر الخندق وترتيب مبادي الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء
اي بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي • بصيرا • ولذلك فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض
مقرر لما قبله • إذ جاؤكم • بدل من اذ جاءتكم • من فوقكم • من اعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن
تابعهم من اهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير • ومن
أسفل منكم • اي من اسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانة واهل
تهامة وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة آلاف • وإذ زاغت الأبصار • عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير
اي حين مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها
لشدة الروع • وبلغت القلوب الحناجر • لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس
الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب
في قوله تعالى • وتظنون بالله الظنونا • لمن يظهر الايمان على الاطلاق اي تظنون به تعالى انواع الظنون المختلفة
حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى منجز وعده في اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم
هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب
والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة
على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد في القوافي
• هنالك • ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اي في ذلك الزمان الهائل او المكان الدحض • ابتلي المؤمنون •
اي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل • وزلزلوا زلزالا شديدا •
من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاء • وإذ يقول المنافقون • عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من
الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته • والذين في قلوبهم مرض • اي ضعف اعتقاد • ما وعدنا الله
ورسوله • من اعلاء الدين والظفر • إلا غرورا • اي وعدا غرورا وقيل قولا باطلا والقائل معتب بن قشير واضرابه
راضون به قال يعدنا محمد فتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور • وإذ قالت

الخوف

طائفة منهم هم أوس بن قيظي وأتباعه وقيل عبد الله بن أبي وأشياعه يا أهل يثرب هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلعم أن تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له صلعم ونداؤهم إياهم بعنوان أهليتهم لها ترشيح لما بعده من الأمر بالرجوع إليها لا مقام لكم لا موضع إقامة لكم أو لا إقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم أي لا قيام أو لا موضع قيام لكم فارجعوا أي إلى منازلكم بالمدينة مرادهم الأمر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وإيذانا بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والأول هو الأنسب لما بعده فإن قوله ويستأذن فريق منهم النبي معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه عم في الرجوع ممتثلين بأمرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستأذن أو حال من فاعله أو استئناف مبني على السؤال عن كيفية الاستئذان إن بيوتنا عورة أي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع إلى العسكر والعورة في الأصل الخلل أطلقت على المختل مبالغة وقد جوز أن تكون تخفيف عورة من عورت الدار أي اختلت وقد قرئ بها والأول هو الأنسب بالمقام الذي هو الاعتذار كما يفصح عنه تصديرهم مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال أنها ليست كذلك إن يريدون ما يريدون بالاستئذان إلا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم أسند الدخول إلى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو أسند إلى الجار والمجرور من أقطارها أي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها من أراد من أهل الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة أي الردة والرجعة إلى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الإيمان والطاعة لآتوها لأعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لأتوها بالقصر أي لفعلوها وجاؤوها وما تلبثوا بها بالفتنة أي بإعطائها إلا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل وما تلبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلا يسيرا والأول هو اللائق بالمقام هذا وأما فرض الدخول تلك العساكر المتحزبة فمما لا يليق للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل فعنه بمعزل من فساد الوضع لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان أنهم إذا دعوا إلى الحق تعللوا بشيء يسير وإن دعوا إلى الباطل سارعوا إليه آثر ذي أثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وفرض الدخول من العساكر المذكورة وإسناد سؤال الفتنة والدعوة إلى الكفر إلى طائفة أخرى مع أن العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الإعراض عن الحق المجدون في الدعاء إلى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار فإن بني حارثة عاهدوا رسول الله صلعم يوم أحد حين فشلوا أن لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم

غابوا

غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسئولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف أو قتل بسيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم أي المثبطين للناس عن رسول الله صلعم وهم المنافقون والقائلين لإخوانهم من ساكني المدينة هلم إلينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر وقرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال أي قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة ولا يأتون البأس أي الحرب والقتال إلا قليلا أي إتيانا أو زمانا أو بأسا قليلا فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله ما قاتلوا إلا قليلا وقيل إنه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلا أشحة عليكم أي بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون أو المعوقين أو على الذم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم في أحداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون أو حال من فاعله أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم أي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك أو ينظرون كائنين كالذي يغشى عليه أو تدور أعينهم كدوران عينه أو مشبهة بعينه فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شهدنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان وقرئ صلقوكم أشحة على الخير نصب على الحالية أو الذم ويؤيده القراءة بالرفع أولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالإخلاص فأحبط الله أعمالهم أي أظهر بطلانها إذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلا وكان ذلك الإحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع أن كل شيء عليه تعالى يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ففروا إلى داخل المدينة وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا لو أنهم بادون في الأعراب تمنوا أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يتساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا

بلغك ويتساءلون اي الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كونها
اسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المسائل المذكورة ونظائرها
عن انبائكم • عما جرى عليكم • ولو كانوا فيكم • هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال • ما قاتلوا
الا قليلا • رياء وخوفا من التعيير • لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة • خصلة حسنة حقها
ان يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك
في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها •
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر • اي ثواب الله او لقاءه او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو
مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من ايام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها و
قيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه • وذكر الله • اي وقرن الرجاء بذكر الله
كثيرا • اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة وبها
يتحقق الائتساء برسول الله صلعم • ولما رأى المؤمنون الاحزاب • بيان لما صدر عن خلص المؤمنين
عند اشتباه الشئون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اي لما شاهدوهم حسبما
وصفوا لهم • قالوا هذا • مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل
عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس
بازغة قال هذا ربي وجعله اشارة الى الخطب او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز
التذكير باعتبار الخبر الذي هو • ما وعدنا الله ورسوله • فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند
المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله عم سيشتد
الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عم ان الاحزاب سائرون اليكم بعد تسع
ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة • وصدق الله ورسوله • اي ظهر صدق خبر الله
ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء واظهار الاسم للتعظيم • وما زادهم
وما زاده • الا ايمانا • بالله وبمواعيده • وتسليما • لاوامره ومقاديره • من المؤمنين • اي المؤمنين
بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة • رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • من
الثبات مع رسول الله عم والمقاتلة لاعلاء الدين وهم رجال من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلعم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان
وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر وغيرهم رضوان الله
تعالى عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقني اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح
الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما في قولهم صدقني سن بكره اي في سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على
المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لكونه نجاتني الاعداء ان لم تتحرى وقالوا له سنفي بك وحيث وفوا به فقد صدقوه

ولو كانوا

ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا • فمنهم من قضى نحبه • تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم قسمين
والنحب النذر وهو ان يلتزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل
الجار والمجرور الرفع على الابتداء على احد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
الآية اي فبعضهم او بعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر عم انس بن مالك وغيرهم
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم
الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزامه
على ما سيأتي • ومنهم • اي وبعضهم او وبعض منهم • من ينتظر • اي قضاء نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة
وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فانهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو
الثبات مع رسول الله صلعم الى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون قضاء بعضها الباقي وهو القتال الى الموت
شهيدا هذا ويجوز ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التي هي
افعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو
الانسب بمقام المدح واما ما قيل من جعل وصفهم بالانتظار ينبئ عن الرغبة في المنتظر شهادته وحقيته بالكمال اشتياقهم
الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب مستعار للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة
وذهاب برونقها واخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية • وما بدلوا • عطف على صدقوا وفاعله
فاعله اي وما بدلوا عهدهم وما غيروه • تبديلا • ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه محافظين على حقوقه
تكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق
الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة
بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم وقد روي ان طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلعم يوم احد حتى اصيبت
يده فقال عم اوجب طلحة الجنة وفي رواية اوجب طلحة وعنه عم في رواية جابر من سره ان ينظر
الى شهيد يمشي على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره ان ينظر الى شهيد
يمشي على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه من الاولين حكما • ليجزي الله الصادقين بصدقهم •
متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع الى وقوع ما حكي من الاحوال والاقوال على
التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين
بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا • ويعذب المنافقين • بما صدر عنهم من الاعمال والاقوال المحكية
• ان شاء • تعذيبهم • او يتوب عليهم • ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق واثباته
المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة
الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى
ولما رأى المؤمنون الاحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق • ان
الله كان غفورا رحيما • اي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى • ورد الله الذين كفروا • رجوع

رجوع الى حكاية تتمة القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها معطوف اما على المقدر بقبل قوله تعالى ليجزي الله كانه قيل اثر حكاية الامور
المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الى آخره واما على ارسلنا وما وسط بينهما بيان كون ما
نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة حاكت فيها الركب وزلت
الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة
وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اي فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها
ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله
تعالى بغيظهم حال من الموصول اي متغيظين وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل او تعاقب
اي غير ظافرين بخير او الثانية بيان للاولى او استئناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من ارسال
الريح والجنود وكان الله قويا على احداث كل ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل الذين
ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم
من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكة الديك
وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر
حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتأسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا
عن المخالفة والاستعصاء روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلعم صبيحة الليلة التي انهزم فيها
الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال انزعت لامتك والملائكة
ما وضعوا السلاح ان الله يأمرك ان تسير الى بني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين
ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به
فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر النبي صلعم فقال لقد حكمت بحكم الله
فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة واسر سبعمائة و
[illegible]
ان ما في الكلام التفصيل وتقسيم [illegible]
وفريقا تقتلون [illegible] واورثكم ارضهم وديارهم الى حصونهم واموالهم نقودهم
واثاثهم ومواشيهم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار
فقالت الانصار في ذلك فقال عم انكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم
بدر فقال عليه السلام لا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله
وارضا لم تطؤها اي واورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقصدوها بعد كفارس والروم وقيل
كل ارض تفتح الى يوم القيامة وقيل خيبر وكان الله على كل شيء قديرا فقد قدر هذه بعض مقدوراته
من اسباب الاراضي التي تملكوها فيقيسوا عليها ما عداها يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن

الحيوة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين اي اقبلن بارادتكن
واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن
بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن اي اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا
من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة
فنزلت فبدأ بعائشة رضي الله عنها فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات
اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان
تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار او لا فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم
الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخيير لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن
عليه السلام لما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب جمع الى انه كان تفويضا للطلاق
اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود رضي
وابن عباس رضي الله عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو اختارت نفسها
وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي رحمه الله وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى و
سفيان رحمهم الله تعالى وروي عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان
اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه انها
اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروي عنه ايضا انها
ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله
عنها خيرنا رسول الله صلعم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع
لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد
واجبة عندنا وفيما عداهن مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون
نصف مهرها اقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا تنقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن
الله ورسوله اي تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عليه السلام عنده تعالى والدار الآخرة
اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن
اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى
من الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر في ذكر تقديم التمتيع
على التسريح وفي وصف التسريح بالجميل [illegible] يا نساء النبي
من يأت منكن بفاحشة مبينة ظاهر قبحها من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء
والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلعم ونشوزهن وطلبهن منه
ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ يأت بالتاء [illegible] يضاعف لها العذاب ضعفين اي ضعفي

ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب
والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم
وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب
• وكان ذلك على الله يسيرا • لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي صلعم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه • ومن
يقنت منكن • وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة • لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين •
مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلعم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل
بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى • واعتدنا لها • في الجنة زيادة على اجرها المضاعف
• رزقا كريما • مرضيا • يا نساء النبي لستن كاحد من النساء • اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في
النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء
في الفضل والشرف • ان اتقيتن • مخالفة حكم الله ورضا رسوله او ان اتقيتن بالتقوى كما
هو اللائق بحالكن • فلا تخضعن بالقول • عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن
قول المريبات والمومسات • فيطمع الذي في قلبه مرض • اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل
النهي على انه نهي لمريض القلب • وقلن قولا معروفا • بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنث
او قولا حسنا مع كونه خشنا • وقرن في بيوتكن • امر من قر يقر من باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى
ونقلت فتحتها الى ما قبلها كما في قولك ظلن او من قار يقار اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا
ثبت واستقر واصله اوقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد او من قر يقر حذفت احدى راءي اقررن
ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن • ولا تبرجن • اي ولا تتبخترن في مشيتكن • تبرج الجاهلية الاولى •
اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذي
ولد فيه ابراهيم عم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
وقيل زمن داود وسليمان عم والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عم وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر و
الجاهلية الاخرى الفسوق في الاسلام ويؤيده قوله عم لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او
جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر • واقمن الصلوة واتين الزكوة • امرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما
اصلي الطاعات البدنية والمالية • واطعن الله ورسوله • اي في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرن
به ونهين عنه • انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس • اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن
على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء او المدح
اهل البيت • مرادا بهم من حواهم بيت النبوة • ويطهركم • من اوضار الاوزار والمعاصي تطهيرا
بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة
نيرة على كون نساء النبي صلعم من اهل بيته قاضية ببطلان رأي الشيعة في تخصيصهم اهل البيت بفاطمة
رضي الله عنها وعلي وابنيهما رضوان الله عليهم اجمعين واما ما تمسكوا به من ان رسول الله صلعم خرج ذات غدوة

وعليه مر

وعليه مرط مرحل من شعر اسود وجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن
والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت
لا على ان من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص • واذكرن
ما يتلى في بيوتكن • اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن • من آيات الله والحكمة • من الكتاب
الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم و
الشرائع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما يوجب قوة الايمان والحرص على
الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها
مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول
وعدم تعيين التالي ليعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلم وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعلما وتعليما •
• ان الله كان لطيفا خبيرا • يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك خير لكم ما فعل من الامر والنهي او يعلم من يصلح لنبوته
ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته • ان المسلمين والمسلمات • اي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله
من الذكور والاناث • والمؤمنين والمؤمنات • المصدقين بما يجب ان يصدق به • و
القانتين والقانتات • المداومين على [illegible] التي يؤمنون بها • والخاشعين والخاشعات • المتواضعين لله بقلوبهم
وجوارحهم • والمتصدقين والمتصدقات • بما وجب في مالهم • والصائمين والصائمات • الصوم المفروض • و
الحافظين فروجهم والحافظات • عن الحرام • والذاكرين الله كثيرا والذاكرات • بقلوبهم والسنتهم • اعد الله
لهم • بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة • مغفرة • لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات لما عملوا من الاعمال
الصالحة • واجرا عظيما • على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه
الخصال الحميدة روي ان ازواج النبي صلعم رضي الله عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا
خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه لما نزل في نساء النبي عم ما نزل
قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما
عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات و
فائدته الدلالة على ان مدار اعداد ما اعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة • وما كان لمؤمن ولا مؤمنة • اي
ما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين • اذا قضى الله ورسوله امرا • اي اذا قضى رسول الله وذكر الله
تعالى لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه عليه السلام قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت
عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلعم لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت
عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي عم فزوجها من زيد فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله
فزوجنا عبده • ان يكون لهم الخيرة من امرهم • اي ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عم
واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عم
والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء • ومن يعص الله ورسوله • في امر من الامور ويعمل فيه برأيه • فقد ضل طريق الحق • ضلالا مبينا •
اي بين الانحراف عن سنن الصواب • واذ تقول • اي واذكر وقت قولك • للذي انعم الله عليه • بتوفيقه للاسلام

وتوفيقك بحسن تربيته ومراعاته • وانعمت عليه • بالعتق او وفقك الله لان تنعم عليه بانواع الاحسان التي من جملتها تحرير
وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه صلعم من اظهار خلاف ما في ضميره اذ هو
انما يقع عند الاستحياء او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد • امسك عليك زوجك • اي زينب
وذلك انه صلعم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان الله
مقلب القلوب وفطنت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلعم وقال
اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم
علي فقال امسك عليك زوجك • واتق الله • في امرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها • وتخفي في نفسك ما الله
مبديه • وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها • وتخشى الناس • تعييرهم اياك به • والله احق ان تخشاه •
ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار
ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه • فلما قضى زيد منها وطرا • بحيث ملها ولم يبق
له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك • زوجناكها •
وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه صلعم وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت
تقول لسائر نساء النبي صلعم ان الله تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها
وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه • لكيلا يكون على المؤمنين حرج • ضيق ومشقة • في ازواج ادعيائهم •
اي في حق تزوجهن • اذا قضوا منهن وطرا • فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على ان حكمه
عم وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل • وكان امر الله • اي ما يريد تكوينه من الامور او ما امره الله به من
مفعولا • مكونا لا محالة • ما كان على النبي من حرج • اي ما صح وما استقام في الحكمة
ان يكون له ضيق • فيما فرض الله له • اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر
لاعطياتهم • سنة الله • اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج
اي سن الله ذلك سنة • في الذين خلوا • مضوا • من قبل • من الانبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم
في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امراة وثلثمائة سرية ولسليمان عم ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية
• وكان امر الله قدرا مقدورا • اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصول
الذي سن مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه • الذين يبلغون رسالات الله • صفة للذين خلوا او مدح
لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله • ويخشونه • في كل ما ياتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث
لا يخرجون منها حرفا ولا ياخذهم في الله لومة لائم • ولا يخشون احدا الا الله • في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى
تعريض بما صدر عنه عم من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
• وكفى بالله حسيبا • كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فينبغي ان يكون حق الخشية منه تعالى
• ما كان محمد ابا احد من رجالكم • اي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة
وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عم ابا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجاله عليه السلام
لا رجالهم • ولكن رسول الله • اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم

الابوية

الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولاد بينهم وبينه عم فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقرب
والاختصاص • وخاتم النبيين • اي كان اخرهم الذين ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عم خاتم
النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان
معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبا احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلعم مصليا الى قبلته
كانه بعض امته • وكان الله بكل شيء عليما • ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك وريب
• يا ايها الذين امنوا اذكروا الله • بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس • ذكرا كثيرا • يعم الاوقات
والاحوال • وسبحوه • ونزهوه عما لا يليق به • بكرة واصيلا • اي اول النهار واخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر
التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من بين
الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد
بالتسبيح الصلوة • هو الذي يصلي عليكم • الى اخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامر فان صلوته تعالى عليهم مع
عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى
• وملائكته • عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلوة الرحمة
او الاستغفار لان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها معنى
مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد
حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع
والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي
الدعوة كما قيل فاعتباره • ليخرجكم من الظلمات الى النور • متعلق بيصلي
اي يعتني باموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة • وكان بالمؤمنين رحيما •
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء
باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان والطاعة او كان بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر وضع
موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة • وقوله تعالى • تحيتهم يوم يلقونه سلام • بيان للاحكام الاجلة
لرحمته تعالى بهم بعد بيان اثارها العاجلة التي هي الاعتناء بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه
مصدر مضاف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز
وجل تعظيما لهم او من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وافة • وقوله تعالى • واعد لهم اجرا كريما • بيان لاثار
رحمته التي تفيض عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان اثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على
الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم اجر كريم او ولهم اجر كريم لمبالغة في الترغيب والتشويق الى
الموعود ببيان ان الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين سائر اثار الرحمة موجود بالفعل مهيا لهم مع ما فيه من مراعاة

الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم
وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها
يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر
الكافرين بالنار وداعيا الى الله اى الى الاقرار به وبوحدانيته وبما يجب الايمان به من صفاته و
افعاله باذنه اى بتيسيره اطلق عليه مجازا لانه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب
المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتأتى الا بامداد من جناب قدسه تعالى وهو صرف للوجوه عن القبل
المعهودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهالة والغواية و
يهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام
كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين منهم بان لهم من الله فضلا كبيرا اى على مؤمني سائر الامم في الرتبة
والشرف او زيادة على اجر اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج
على مداراتهم في امر الدعوة واستعمال اللين والتسامح في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك
بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على
التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع اذاهم اى لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة و
الانذار وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيكهم و
كفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتعليل
الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصفه عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه
خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه وهو الامر
بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمسامحة في انذارهم كما حققه
وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به فان من ايده الله بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا
نيرا يهدى الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين امنوا اذا
نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اى تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن
من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها
وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج
كما اشعر به قوله تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى
تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن من
شأنه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة
يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فمتعوهن اى ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف
المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن اى اخرجوهن
من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني

لانها غاية

لانها غاية شيء في المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اى مهورهن
فان المهر اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له
ليس لتوقف الحل عليه ضرورة انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقديري الدخول
وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له كما ان تقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما
ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونهن
مهاجرات معه عم في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل
تقييد الحل بذلك في حقه عم خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلعم فاعتذرت اليه
فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة
بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق
وما لحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اى احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اى ملكته
بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عم استنكاحها
كما نطق به قوله ان اراد النبي ان يستنكحها اى ان يتملك بضعها كذلك اى بلا مهر فان
ذلك جار منه عم مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا
للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضي
لم يكن عنده عم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية
وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عم في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكريم
والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عم حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة
لك اى خلص لك احلالها خالصة اى خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة او
خلص احلال ما احللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين
على الاول ان الاحلال المذكور بالهبة غير متحقق في حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى
الثاني ان احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم بل المتحقق فيه البعض المعدود على الوجه المعهود و
قرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ذلك خلوص لك وخصوص او هي اى المرأة او الهبة خالصة لك
لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل والاصح ان الهبة لا تحل بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا
عليهم اى على المؤمنين في ازواجهم اى في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول
الله صلعم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه عم تكرمة له
وتوسعة عليه اى قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اى حد واى صفة يحق ان
يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج اى ضيق
واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عم لا باعتبار اختصاصه به عم
لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه

رفيقًا ولذلك وسع الامر في مواقع الحرج • ترجي من تشاء منهن • اي تؤخرها وتترك مضاجعتها • وتؤوي اليك من
تشاء منهن • وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ
بالهمزة والمعنى واحد • ومن ابتغيت • اي طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر
وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم
واذا طلق فاما ان يخلي المعزولة او يبتغيها وروي انه ارجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة و
ام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة
وزينب فارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها
وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك • ذلك • اي ما
ذكر من تفويض الامر الى مشيتك • ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن • اي اقرب
الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا
منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن و
تقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه تاكيد هن • والله يعلم ما في
قلوبكم • من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها • وكان الله عليما • مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه
وتخفونه • حليما • لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتاخيرها فانه امهال لا اهمال • لا يحل لك النساء
بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرئ بالتاء • من بعد • اي بعد التسع وهو في حقه
كالاربع في حقنا وقال ابن عباس رضي الله عنه وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من
بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران • ولا ان تبدل • اي
تتبدل بحذف احدى التائين • بهن • من ازواج • اي بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منها
وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر
رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عليه السلام عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة
بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت
الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللن
لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح
ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان
يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من
الوظائف البشرية • ولو اعجبك حسنهن • اي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل
دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه في
قوله ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر
بن ابي طالب رضي الله عنه اي هي ممن اعجبه عليه السلام حسنهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله

تعالى

تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على
ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلعم حتى احل له النساء وقال انس
رضي الله عنه مات عليه السلام على التحريم • الا ما ملكت يمينك • استثناء من النساء لانه يتناول الازواج
والاماء وقيل منقطع • وكان الله على كل شيء رقيبا • حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي
حلاله الى حرامه • يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي • شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس
من حقوق نساء النبي صلعم اثر بيان ما يجب مراعاته عليهن من الحقوق المتعلقة بهن • وقوله تعالى • الا ان يؤذن لكم
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم ماذونا لكم وقيل من
اعم الاوقات اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على
ان الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال اتيتك ان يصيح الديك وانما يقال
اتيتك صياح الديك • الى طعام • متعلق بيؤذن لتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على
الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما اشعر به قوله تعالى • غير ناظرين اناه • اي غير منتظرين وقته
او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء وارد على الوقت والحال معا عند من يجوزه
او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير ومساغ له عند البصريين
وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام اي ادرك • ولكن اذا دعيتم فادخلوا • استدراك من النهي
عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه • فاذا طعمتم فانتشروا
فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون بيوته عم باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر
مهم • ولا مستانسين لحديث • اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين
او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستانسين الى اخره • ان ذلكم • اي الاستيناس الذي كنتم
تفعلونه من قبل • كان يؤذي النبي • لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده
عن الاشتغال بما يعنيه • فيستحيي منكم • اي من اخراجكم لقوله • والله لا يستحيي من الحق • فانه يستدعي
ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذلك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه
تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء
حركتها الى ما قبلها • واذا سألتموهن • الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته عم • متاعا • اي
شيئا ينتفع به من الماعون وغيره • فاسألوهن • اي المتاع • من وراء حجاب • اي ستر روي ان عمر رضي
الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عم كان يطعم
ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت • ذلكم • اي ما ذكر من عدم الدخول
بغير اذن وعدم الاستيناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب • اطهر لقلوبكم وقلوبهن •
اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية • وما كان لكم • اي وما صح وما استقام لكم • ان تؤذوا رسول الله •
اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه ويتاذى به • ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا • اي من بعد وفاته او فراقه • ان

ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه عم ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته
في الشر والفساد كان عند الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا هائلا لا يغادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى شان
رسوله صلعم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تع في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا
كنكاحهن على ألسنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجزيكم بما صدر
عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وشدة ومبالغة
في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن
استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عليهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا
رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم
ابا في قوله تعالى واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط
عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عينه فيما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لما انهن عمات
لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما
ولا نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد
مر في سورة النور واتقين الله في كل ما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على
كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع
عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على راي البصريين
يصلون على النبي قيل الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الدعاء له وعنه ايضا يصلون يتبركون
وقال ابو العالية صلوة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوتهم دعاؤهم فينبغي ان يراد بها في يصلون
معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون
باظهار شرفه وتعظيم شانه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها
الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك فانكم اولى وسلموا تسليما وقولوا اللهم صل على
محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد لامره والآية دليل على وجوب الصلوة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض
لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلعم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي دخل
النار فابعده الله ويروى انه عم قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان
غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله
لك ويقول الله تع وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عليه السلام
كما قيل في اية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة و
قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شانه صلى الله عليه وسلم ان يصلي عليه
كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلوة عليه في الصلوة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلوة عندنا وعن ابراهيم النخعي رح ان الصحابة رضوان الله

تعالى عليهم

تعالى عليهم اجمعين كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رح
فقد جعلها شرطا واما الصلوة على غير الانبياء عليهم السلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر
الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله اريد بالايذاء اما
فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او الاسناد الى ما لا يليق به تعالى اذ في حقه تعالى وقيل في ايذائه تع هو قول اليهود والنصارى
والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلثة والمسيح ابن مريم والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في اياته وفي ايذاء الرسول عم قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج
وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق انه المعنى فيهما وان ايذاءه عم فاحشة بطريق الحقيقة
وذكر الله عز وجل للتعظيم وللايذان بان ايذاءه عم ايذاء له سبحانه لعنهم الله
طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك
عذابا مهينا يهينهم في الاخرة خاصة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون
به من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى بغير ما اكتسبوا اي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه
فيما قبله للايذان بان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا اي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير
فيه وقيل في اهل الافك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن
وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد الكل في
الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي من اراجيف المرجفين يا ايها النبي بعد ما
بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبي صلعم بان يأمر بعض المتأذين منهم بما يدفع ايذاءهم في الجملة
من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من
جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها
وقيل هي الملحفة وكل ما يتستر به اي يغطين بها وجوههن وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض
لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا
العين ذلك اي ما ذكر من التغطي ادنى اقرب ان يعرفن فيميزن عن الاماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم
وايذائهم فلا يؤذين من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط
رحيما بعباده حيث يراعي من مصالحهم امثال هاتيك الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من
النفاق وما يستتبعه من اثاره والمرجفون في المدينة من المرجفين عما هم عليه من نشر اخبار
السوء عن سرايا المسلمين ونحو ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية واصل الارجاف التحريك من
الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم
او اجلائهم او ما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم دلت
للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول عم اعظم ما يصيبهم فيها اي المدينة الا قليلا زمانا

والذين في قلوبهم مرض

أو جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ملعونين نصب على الشتم أو الحال والاستثناء
وارد عليه أيضا على رأي من يجوّز كما مر في قوله تعالى غير ناظرين إناه ولا يجوز أن ينتصب عن قوله تعالى أينما
ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل أي سنّ
الله ذلك في الأمم الماضية سنة وهي أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء عليهم السلام وسعوا في توهينهم
بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا أصلا لابتنائها على أساس الحكمة التي عليها يدور
فلك التشريع يسألك الناس عن الساعة أي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه السلام عن ذلك
استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما أن الله تعالى عمّى وقتها في التوراة وسائر الكتب قل إنما علمها عند الله
لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا وقوله تعالى وما يدريك خطاب مستقل له عم غير داخل تحت الأمر مسوق لبيان
أنها مع كونها غير معلومة متحققة مرجوة المجيء عن قريب أي أي شيء يعلمك بوقت قيامها أي لا يعلمك به شيء
أصلا لعل الساعة تكون قريبا أي شيئا قريبا أو تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز أن
يكون التذكير باعتبار أن الساعة في معنى اليوم أو الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للممتحنين والإظهار في حيز الإضمار للتهويل
وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة كما أشير إليه إن الله لعن الكافرين على الإطلاق أي طردهم وأبعدهم من
رحمته العاجلة والآجلة وأعد لهم مع ذلك سعيرا نارا شديدة الاتقاد يقاسون حرها في الآخرة خالدين فيها أبدا
لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم في النار ظرف لعدم الوجدان وقيل
لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر أي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة إلى جهة أو من حال إلى حال أو
يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف إحدى التاءين من تتقلب ونقلب بإسناد الفعل إلى نون
العظمة ونصب وجوههم وتقلب بإسناده إلى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الأعضاء ففيه مزيد تفظيع
للأمر وتهويل للخطب ويجوز أن تكون عبارة عن كل الجسد وقوله تعالى يقولون استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم
يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب أو حال من ضمير وجوههم أو من نفسها
أو مفعول العامل في يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول إلى صيغة الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس
مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم
في تلك الورطة وإن علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم
الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار
وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة فأضلونا السبيلا بما زينوا لنا الباطل والألف للإطلاق
كما في وأطعنا الرسولا ربنا آتهم ضعفين من العذاب أي مثلي العذاب الذي آتيتناه لأنهم ضلوا
وأضلوا والعنهم لعنا كبيرا أي شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكررا للمبالغة في الجؤار
واستدعاء الإجابة يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شأن زيد
وزينب وما سمع فيه من مقالة الناس فبرأه الله مما قالوا أي فأظهر براءته عليه السلام مما قالوا في حقه أي من مضمونه

ومؤداه الذي هو الأمر المعيب وذلك أن قارون أغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بأن دفع إليها مالا
عظيما فأظهر الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بأن أقرّت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون
وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عليه السلام حين خرج معه إلى الطور
فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياه الله فأخبرهم ببراءته وقيل قذفوه
بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله على براءته بأن فرّ الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند
اغتساله والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبدا لله وجيها يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله أي في كل ما تأتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله عليه السلام وقولوا في
كل شأن من الشؤون قولا سديدا قاصدا إلى الحق من سدّ يسدّ سدادا يقال سدّد السهم نحو الرمية
إذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح
لكم أعمالكم يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة
باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله ورسوله في الأوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات
فقد فاز في الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض
والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها لما بيّن عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من
العذاب الأليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية
وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الإيذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام
وعبّر عنها بالأمانة تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن
الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها وعبّر عن
اعتبارها بالنسبة إلى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لإظهار مزيد الاعتناء بأمرها
والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالإباء والإشفاق منها لتهويل أمرها وتربية
فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الأجسام الثقيلة التي يستعمل فيها
القوى الجسمانية التي أشدها وأعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن
بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور
وإدراك لأبين قبولها وأشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق
روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه وحملها الإنسان أي عند عرضها عليه إما باعتبارها
بالإضافة إلى استعداده أو بتكليفه إياها يوم الميثاق أي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة
القوة وهو إما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري أو عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى إنه
كان ظلوما جهولا اعتراض وسط بين الحمل وغايته للإيذان من أول الأمر بعدم وفائه بما عهده وتحمله أي
إنه كان مفرطا في الظلم مبالغا في الجهل أي بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو اعترافهم
السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا وإلى الفريق الأول أشير بقوله عز وجل ليعذب الله

المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات • اى حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين
لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن
لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اى
كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية
والى التعبير الكناية انتهى بقوله • ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات • اى كان عاقبة حمله لها ان يتوب
الله تعالى على هؤلاء من افراده اى يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم
من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا
لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موضع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية
لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شأنها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة
التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه
قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما • بجعل تعظيم شأن الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام
بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشأن وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين يأباه وصفه بالظلم والجهل اولا
وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي
والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة
فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها
وقوتها ابين الخيانة لامانتنا واتين بما امرناهن به كقوله تعالى قالتا اتينا طائعين وخانها الانسان
حيث لم يأت بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني
فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل
فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما
يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها
بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها
وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية و
الشهوية وهذا اقرب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف • وكان
الله غفورا رحيما • مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم واثاب بالفوز على طاعاتهم
قال رسول الله صلعم من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب
القبر

سورة سبأ وقيل الا قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم الآية وهي اربع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض • اى له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد
والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات
كما مر في آية الكرسي وفي وصفه تعالى بذلك تقرير لما افاده تعلق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع

افراده

افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون
كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق
الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو
بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به
تعالى وقوله تعالى • وله الحمد في الآخرة • بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي به على ان الجار
متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر
كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم
الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الجنة وقوله تعالى الحمد لله الذي احلنا دار المقامة من فضله
الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اى لما جزاؤه هذا من الايمان
والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على
وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس • وهو الحكيم • اى الذي احكم امور الدين والدنيا
ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة • الخبير • ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى • يعلم ما يلج في الارض •
الى آخره تفصيل لبعض ما يحيط علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اى يعلم ما يدخل
فيها من الغيوث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها • وما يخرج منها • كالحيوان والنبات وماء
العيون ونحوها • وما ينزل من السماء • كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد و
نون العظمة • وما يعرج فيها • كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة • وهو الرحيم • للحامدين على
ما ذكر من نعمه • الغفور • للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه • وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة •
ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها
بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور
الزمانية المستقبلة لا سيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود
بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد • قل بلى • رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا
اتيانها وقوله تعالى • وربي لتأتينكم • تأكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على تأويل الساعة
باليوم او الوقت وقوله تعالى • عالم الغيب • الى آخره امداد للتأكيد وتشديد له اثر تشديد وتسجيل بسورة نكيرهم
واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم
عليه وقوة ثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ولا ريب في ان المستشهد به كلما كان
اجل واعلى كانت الشهادة آكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت واولى لا سيما اذا خص من الذكر
من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه تعالى بعلم الغيب الذي اشهر افراده وادخلها
في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفي ايراد الامر بهذه
المرتبة من التحقيق ما لا يبقي للمعاندين عذرا ما اصلا فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن

اليمين العاجزة وانما لم يعتد قوة مجابه وقرئ علام الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح • لا يعزب عنه
• اي لا يبعد وقرئ بكسر الزاء • مثقال ذرة • مقدار اصغر نملة • في السموات ولا في الارض • اي كائنة
فيهما • ولا اصغر من ذلك • اي من مثقال ذرة • ولا اكبر • اي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله
• الا في كتاب مبين • هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي
الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء
يمنعه الا ان يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل
عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح • ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات • علة لقوله لتأتينكم وبيان
لما يقتضي اتيانها • اولئك • اشارة الى الموصول من حيث اتصافهم بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة • لهم • بسبب ذلك • مغفرة
لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر • ورزق كريم • لا تعب فيه ولا من عليه • والذين سعوا
في اياتنا • بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها • معاجزين • اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي
مثبطين عن الايمان من اراده • اولئك لهم عذاب • الكلام فيه كالذي مر انفا ومن في قوله تعالى • من
رجز • للبيان قال قتادة الرجز سوء العذاب • اليم • بالرفع صفة لعذاب اي اولئك الساعون لهم
عذاب من اشد سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر صفة لرجز • ويرى الذين اوتوا العلم • اي يعلم
اولو العلم من اصحاب رسول الله صلعم ومن تابعهم من علماء الامة او من امن من علماء اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام وكعب واضرابهما رض • الذي انزل اليك من ربك • اي القران • هو الحق • بالنصب على انه
مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول
الثاني ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات
وقيل منصوب عطفا على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الان برهانا
ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا
حسرة وغما • ويهدي • عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في قوله تعالى صافات ويقبضن
اي وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق وهاديا • الى صراط العزيز الحميد • الذي
هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل حال من الذي انزل على اضمار مبتدا اي وهو يهدي
كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا • وقال الذين كفروا • بعضهم لبعض
• هل ندلكم على رجل • يعنون به النبي صلعم وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم الله تعالى • ينبئكم • اي
يحدثكم بامر عجيب وقرئ ينبئكم من الانباء • اذا مزقتم كل ممزق • اي اذا متم وفرقت اجسادكم كل تمزيق
وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا • انكم لفي خلق جديد • اي مستقرون فيه عدل الى الجملة الاسمية
الدالة على الحدوث مثل تبعثون او تخلقون خلقا جديدا للاشباع في الاستبعاد والتعجب وكذا التقديم
الظرف والعامل فيها ما دل عليه المذكور لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد

فهو جديد وقل

وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع • افترى على الله كذبا
فيما قال • ام به جنة • اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بهذا الترديد
على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور
كون الافتراء اخص من الكذب • بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال
البعيد • جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه
وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما [illegible]
كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذي
هو الجنون حقيقة وفيما يؤديهم اليه من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه
ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوءهم ويفت في اعضادهم والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه
كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعيد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع
ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترءوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالاخرة
وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته • وقوله تعالى • افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض • استئناف مسوق لتهويل ما اجترءوا عليه من تكذيب
الايات واستعظام ما قالوا في حقه عليه السلام وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العذاب وحلول
افظع العقاب من غير ريث وتاخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام • ان نشأ • الى اخره بيان لما ينبئ
عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا
تعلق المشيئة اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم
بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم • نخسف بهم الارض • كما خسفناها بقارون
• او نسقط عليهم كسفا • اي قطعا • من السماء • كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم
ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستبعادهم
البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء و
الارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء
لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات فتامل وقرئ على الحق يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على
الله وكسفا بسكون السين • ان في ذلك • اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر
من جميع الجوانب وفيما تلي من الوحي الناطق بما ذكر • لاية • واضحة • لكل عبد منيب • شانه الانابة الى ربه
فانه اذا تامل فيهما او في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب اليه وفيه حث بليغ على التوبة
والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى • ولقد اتينا داود منا فضلا • اي اتيناه بسبب انابته وصحة توبته
فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به او على سائر
الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتاكيد فخامته الذاتية بفخامته

الاضافة كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر بقي النفس مترقبة له فاذا ورد وردها تمكن عندها فضل تمكن • يا جبال
اوّبي معه • من التأويب اي رجّعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيها
صوتا مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ أُوبي من الاوب اي ارجعي
معه في التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة وقيل كان
ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل
من آتينا باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا • والطير • بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان
ايتاءها اياه تسخيرها له فلا حاجة الى اضمار كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح
الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ عطفا
على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول
هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان
وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شانه
وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب • والنا له الحديد • اي جعلناه في يده كالشمع
يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التي آتيناها اياه
كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية • ان اعمل • امرناه ان اعمل على ان ان مصدرية حذف عنها الباء
وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى • سابغات • سابغات واسعات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة
الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام حين ملك على بني اسرائيل يخرج
متنكرا فيسأل الناس عما يقولون في داود فيثنون عليه فيقيض الله تعالى له ملكا في صورة آدمي فسأله
عن عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند
ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة
آلاف فينفق على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء • وقدر في السرد • السرد نسج الدروع اي قصد في نسجها
بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مسامرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه لم تكن مسمرة كما ينبئ
عنه الانة الحديد وقيل معنى قدر في السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت واما الباقي فاصرفه
الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى • واعملوا صالحا • تعميم الخطاب حسب عموم التكليف له عم ولاهله • اني بما
تعملون بصير • تعليل للامر او لوجوب الامتثال به • ولسليمان الريح • اي وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اي
ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح اي وسخرنا له الريح • غدوها شهر ورواحها شهر • اي جريها بالغداة
مسيرة شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستأنفة او حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله
كان يغدو اي من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وكان يتعدى بالري ويتعشى بسمرقند
ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه وجدناه

غدونا

غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى • واسلنا له عين القطر
اي النحاس المذاب اسلناه من معدنه كما الان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع
ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام • ومن الجن من يعمل بين يديه • اما
جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة • باذن ربه • بامر ربه كما ينبئ عنه
قوله تعالى • ومن يزغ منهم عن امرنا • اي ومن يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يُزغ على البناء للمفعول من
ازاغه • نذقه من عذاب السعير • اي عذاب النار في الآخرة روي عن السدي رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من
نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني • يعملون له ما يشاء • تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى • من محاريب
الخ بيان لما يشاء اي من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد
• وتماثيل • صور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس
ويعبدوا مثل عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد روي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا
اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما • وجفان • جمع جفنة وهي الصحفة
• كالجواب • كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة و
قرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل • وقدور راسيات • ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها
• اعملوا آل داود شكرا • حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم
شكر له او لفعله المحذوف اي اشكروا شكرا او حال اي شاكرين او مفعول به اي اعملوا شكرا • وقليل من عبادي
الشكور • اي المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق
للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروي انه عم جزأ ساعات الليل
والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي • فلما قضينا
عليه الموت • اي على سليمان عم • ما دلهم • اي الجن او آله • على موته الا دابة الارض • اي الارضة
اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا
فأرضت ارضا مثل اكلت القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا • تأكل منسأته • اي عصاه من نسأت
البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة و
باخراجها من بين بين عند الوقف ومنساءة على مفعالة كميضاءة في ميضأة ومن سأته اي من طرف عصاه
من سأة القوس وفيه لغتان كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منسأته • فلما خر تبينت الجن •
من تبينت الشيء اذا علمته بعد التباسه عليك اي علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم • ان لو
كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين • اي انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته
عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اي
ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل اشتمال من الجن اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الى آخره وقرئ تبينت الجن
على البناء للمفعول على ان المتبين في الحقيقة هو ان مع ما في حيزها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن

في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي أن
داود عم أسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عم فمات قبل تمامه فوصى به إلى
سليمان عم فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى إذا حان أجله وعلم به سأل ربه أن يعمي
عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فعماهم فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس
له باب فقام يصلي متكئاً على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما أمروا من
الأعمال حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتاً وكانت تجتمع الجن حول محرابه أينما صلى عم فلم يكن ينظر إليه
شيطان في صلوته إلا احترق فمر به يوماً شيطان فنظر فإذا سليمان عم قد خر ميتاً ففتحوا عنه فإذا
العصا أكلتها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها
في يوم وليلة مقداراً فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره عم ثلثاً وخمسين سنة
ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع
مضين من ملكه • لقد كان لسبإ • بيان لإخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى إثر بيان أحوال الشاكرين
لها أي لأولاد سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على أنه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة
ألفاً ولعله إخراج لها بين بين • في مسكنهم • وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ مساكنهم أي في مواضع
سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث ليال • آية • دالة بملاحظة أحوالها
السابقة بفعم اللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الأمور البديعة المجازي
للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام • جنتان •
بدل آية أو خبر لمبتدأ محذوف أي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد
بهما جماعتان من البساتين • عن يمين وشمال • جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله
كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن
يمين مسكنه وشماله • كلوا من رزق ربكم واشكروا له • حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلاً للنعمة وتذكيراً
لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك • بلدة طيبة ورب غفور •
استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به أي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها من الطيبات
وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت أطيب البلاد
هواء وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير بين الأشجار فيمتلئ المكتل
مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من موذيات الهوام شيء • فأعرضوا • عن الشكر بعد إبانة الآيات
الداعية لهم إليه قيل أرسل إليهم ثلثة عشر نبياً فدعوهم إلى الله تعالى وذكروهم نعمه وأنذروهم عقابه
فكذبوهم • فأرسلنا عليهم سيل العرم • أي سيل الأمر العرم أي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم
إذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو المسناة التي
تحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سداً وقيل هو المسناة الرصين الذي بنتها الملكة بلقيس بنت شرحبيل

بالصخر

بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيها خروقاً على ما يحتاجون إليه في سقيهم
وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفأر الأعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله على
سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي
كانت بين عيسى والنبي صلعم • وبدلناهم بجنتيهم • أي أذهبنا جنتيهم بدلهما • جنتين ذواتي أكل خمط •
أي ثمر بشع فإن الخمط كل نبت أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الأراك وثمره وقيل هو ثمر
شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع به وقيل هو الأراك أو كل شجر ذي شوك والتقدير
أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وقرئ أكل خمط بالإضافة وبتخفيف الأكل • وأثل وشيء
من سدر قليل • معطوفان على أكل لا على خمط فإن الأثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه أعظم منه ولا ثمر له وقرئ
وأثلاً وشيئاً عطفاً على جنتين ووصف السدر بالقلة فإن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين
والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلاً ولا ينتفع
بورقه وهو الضال والمراد هنا هو الثاني حكاه قال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر
بأعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم • ذلك • إشارة إلى مصدر قوله تعالى • جزيناهم • أو
إلى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الأول النصب على
أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مفعول ثان له أي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء
آخر أو ذلك التبديل جزيناهم لا غيره • بما كفروا • بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها
ضدها أو بسبب كفرهم بالرسل • وهل نجازي إلا الكفور • أي وما نجازي هذا الجزاء إلا المبالغ في الكفران
أو الكفر وقرئ يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل
نجزي على البناء للمفعول أيضاً وهذا بيان لما أتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما
فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى • وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها • حكاية لما أوتوا من النعم البادية
في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبياناً لعاقبتهم و
إنما لم يذكر الكل معاً لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبإ لا على ما بعده
من الجمل الناطقة بأفعالهم أو بأجزيتها أي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم أي بين
بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين • قرى ظاهرة • متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها
فهي ظاهرة لأعين أهلها أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم • وقدرنا فيها
السير • أي جعلناها في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادي
من قرية يقيل في أخرى والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلاً لما أوتوا من أنواع النعم
وتوفيرها في الحضر والسفر • سيروا فيها • على إرادة القول أي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى • ليالي وأياماً •
أي متى شئتم من الليالي والأيام • آمنين • من كل ما تكرهونه لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات أو سيروا
فيها آمنين وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي وأياماً كثيرة أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون

فيها الا الامن لكن على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور ومسوّته مبادية واسبابه على الوجه
المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش
وملّوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان
جنا بنا ابعد لكان اجدر ان نشتهيه وسألوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها
الرواحل ويتزودوا الازواد وبعدا ولوانيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة
وجعلها بلقعا لا يسمع فيه داع ولا مجيب وقرئ بعّد وربنا بعد بين اسفارنا وبعّد بين اسفارنا على النداء واسناد
الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا
وبعّد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرتهم مع قصرها ودنوها وسهولته
سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه
وظلموا انفسهم حيث عرّضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة او غمطوها فجعلناهم احاديث اي جعلناهم
بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم
كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص
بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التاثر والايلام ما لا يخفى اي مزقناهم تمزيقا
لا غاية وراءه بحيث يضرب الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب
وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبا
وما بينهما اثنى عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مارب وتغريق
سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمروا راى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان
كاهنا وقد علمه بكهانته فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة
واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عم وغيرهم فارسل اليهم
ثعلبة بن عمرو بن عامر وسألهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له
موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فقتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد و
اقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده
فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس
والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة
فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد اسمعيل عم
فسألوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس رض ان فروة بن مسيك
القطيفي سأل النبي عم عن سبا فقال عم هو رجل كان له عشرة اولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج
وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام
وعاملة وغسان لما هلكت اموالهم وخربت بلادهم تفرقوا ايدي سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم

بالحجاز

بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الاوس والخزرج بيثرب وكانوا اول من سكنها ثم
نزل عندهم ثلث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا
عندهم ونزلت طوائف اخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام
وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا يجمع هذه القبائل كلها والجمهور على ان جميع العرب قسمان قحطانية
وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر واما
قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى اعلم ان في ذلك اي
فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار شكور اي شانه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى
وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه اي حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اي صدق في ظنه او صدق بظن ظنه
ويجوز تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده
ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما
ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين شاهد آدم عم قد اصغى اليه وسوسته قال لا
ذريته اضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اي اهل سبا او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنين
لم يتبعوه على ان من بيانية او تقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون
وما كان له عليهم من سلطان اي تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى الا لنعلم من
يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة اي وما كان تسلطه
عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا ليتميز المؤمن
من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة
وربك على كل شيء حفيظ اي محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان قل اي للمشركين
اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا لهم ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم
حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته اعني قوله تعالى من دون الله مقامه
ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل
المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الارض اي في
امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية
كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم
اي لآلهتهم فيهما من شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له اي لله تعالى منهم من آلهتهم من ظهير
يعينه في تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده اي لا توجد راسا كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر

كقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وانما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم
من وقوعها وقوله تعالى الا لمن اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تنفع الشفاعة في
حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة
فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية اما من جهة اصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الاذن
في الشفاعة للجماد الذي لا يعقل ولا ينطق واما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان اذنهم مقصور على الشفاعة
للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة للكفرة بمعزل
من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها في حال من الاحوال الا كائنة لمن اذن له
اي لاجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا وان فرض وقوعها
وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم من
شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حيث حرموها من جهة القادرين على شفاعة
بعض المحتاجين اليها فلان حرموا من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم
اي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع
عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية
لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب
والانتظار للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقعون
على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي وظهر لهم تباشير الاجابة قالوا اي
المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بامره ماذا قال ربكم اي في شأن الاذن
قالوا اي الشفعاء لانهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة
الحق اي قالوا قال ربنا القول الحق وهو الاذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ
الحق مرفوعا اي مقاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب
العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه اي هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلائق
ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة
والغين المعجمة اي نفى الوجل عنها وافنى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء وهو من الاسناد المجازي لان
الفراغ وهو الخلو حال الظرف عند نفاده فاسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء
واصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف
حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والارض امر
عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله
تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار
فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا في الجواب مخافة الالزام قيل له عليه السلام قل الله اي

لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من
الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة
الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبينين وهذا بعد ما سبق
من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح بذلك
لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا واياكم اما على هدى او في ضلال مبين واختلاف
الجارين للايذان بان الهادي كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال
كانه منغمس في ظلام لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا تسألون
عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون وهذا ابلغ في الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث اسند
فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان اعمالهم اكبر الكبائر
قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور
حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة
العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به اي الحقتموهم به شركاء اريد بامرهم باراءة
الاصنام مع كونها بمرأى منهم اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم اي ارونيها لانظر
باي صفة الحقتموها بالله الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة
عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اي الموصوف
بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التي هي اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية
والضمير اما لله عز وعلا او للشأن كما في قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا رسالة
عامة لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من
الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها
المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال
ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر
والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين رسول الله
صلعم والمؤمنين به قل لكم ميعاد يوم اي وعد يوم او زمان وعد والاضافة للتبيين وقرئ ميعاد
يوم منونين على البدل ويوما باضمار اعني للتعظيم لا تستأخرون عنه ساعة عند مفاجاته ولا
تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار
في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفي الاستئخار والاستقدام
غير مقيد بالمفاجاة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن
ولا بالذي بين يديه اي من الكتب القديمة الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب
عن رسول الله صلعم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيامة

ولو ترى اذ الظالمون • المنكرون للبعث • موقوفون عند ربهم • اي في موقف المحاسبة يرجع
بعضهم الى بعض القول • اي يتحاورون ويتراجعون القول • يقول الذين استضعفوا • بدل من
يرجع اي يقول الاتباع • للذين استكبروا • في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال • لولا انتم • اي
لولا اضلالكم وصدكم لنا عن الايمان • لكنا مؤمنين • باتباع الرسول صلعم • قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا • استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا
• انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين • انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم
هم الصادون بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام • وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا
اضرابا عن اضرابهم وابطالا له • بل مكر الليل والنهار • اي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف
المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازي وقرئ
بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرف اي بل صدنا مكر في الليل والنهار على ان التنوين عوض
عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء
مكرا دائبا لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية اي بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على الاتساع
من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية اي بل تكرون الاغواء مكر الليل
والنهار اي مكرا دائما • اذ تأمروننا • ظرف لمكر اي بل مكركم الدائم وقت امركم لنا • ان نكفر بالله
ونجعل له اندادا • على ان المراد بمكر معهم انفسهم من حيث انه كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فان الجعلين المذكورين نعمة من الله واي نعمة وانما لامور اخر معارضة
لا مرجع داعية الى الامتثال بها من الترغيب والترهيب وغير ذلك • واسروا الندامة لما راوا العذاب •
اي اضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الاخر مخافة التعيير او
اظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم • وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا • اي في
اعناقهم والاظهار في موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم • هل يجزون
الا ما كانوا يعملون • اي لا يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون او الا بما كانوا يعملون على نزع الجار • وما ارسلنا
في قرية • من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون • تسلية لرسول الله صلعم مما
مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ
الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اي الفريقين خير
مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة في جعله
وكادوه بنحو ما كادوا به عليه السلام وقاسوا امور الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم على
امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين مهانوا
عليه تعالى لما حرمهم منها وعلى ذلك الراي بنوا احكامهم • وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا و
ما نحن بمعذبين • اما بناء على انتفاء العذاب الاخروي راسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم

في الاخرة

في الاخرة على تقدير وقوعها • قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق عليه يدور التكوين
• ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء • ان يبسطه • ويقدر • على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون
لاحد من الخلق نفس داع الى ما فعل من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر
وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما
يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة
وعدمها وقرئ ويقدر بالتشديد • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف
والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج من جهته عز
وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة
اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث
او بالخصلة التي تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي • الا من آمن وعمل صالحا • استثناء من مفعول
تقربكم اي وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق امواله في سبيل الله تعالى ويعلم
اولاده الخير ويربيهم على الصلاح ويرشحهم للطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي
الا اموال من آمن الى آخره • فاولئك • اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في العمل باعتبار لفظها
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك
المنعوتون بالايمان والعمل الصالح • لهم جزاء الضعف • اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبره لما بعده
والجملة خبر لاولئك وفيه تأكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما
بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا
الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف
على فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل
من جزاء • بما عملوا • من الصالحات • وهم في الغرفات • اي غرفات الجنة • آمنون • من جميع المكاره
وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس • والذين يسعون في آياتنا • بالرد و
الطعن فيها • معاجزين • مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا • اولئك في العذاب محضرون •
لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا • قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده • اي يوسعه عليه تارة
ويقدر له • اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا لنفحاته • وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه • عوضا اما عاجلا واما آجلا • وهو خير الرازقين • فان غيره واسطة في ايصال رزقه
لا حقيقة لرازقيته • ويوم يحشرهم جميعا • اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله
ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر • ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم
كانوا يعبدون • تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني الخ واقناطا لهم
عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم لهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان

عبادتهم مبدأ لتكذيبهم وقصور همتهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم ليظهر حال سائر شركائهم
بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون • قالوا • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة
كأنه قيل فماذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا من دونهم و
العدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا
بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم • بل كانوا يعبدون الجن
اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم
وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنين التعبير بالاول للانس
او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن • فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا • من جملة ما يقال للملائكة
عند جوابهم بالتنزه والتبري مما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم
عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليس لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة
فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو
المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم
في الاستحالة والانتفاع كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز او لحمل عدم
النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم
بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين
ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم
المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلعم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة اي يوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للملائكة كيت وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين • ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
• بكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى • واذا تتلى عليهم آياتنا بينات •
بيان لبعض آخر من كفرانهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلعم آياتنا الناطقة بحقية التوحيد و
بطلان الشرك • قالوا ما هذا • يعنون رسول الله صلعم • الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم • فيستتبعكم
بما يستدعيه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية
منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد • وقالوا ما هذا • يعنون القرآن الكريم • الا افك
اي كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع • مفترى • باسناده الى الله تعالى • وقال الذين كفروا
للحق • اي لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه و
بالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تأمل فيه • ان هذا الا سحر مبين • ظاهر سحريته وفي تكرير
الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى
البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه • وما آتيناهم من كتب يدرسونها • فيها دليل
على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا

من قبله

من قبله مستمسكون وقرئ يدرّسونها ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس • وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير • يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن
اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى • وكذب الذين
من قبلهم • من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا • وما بلغوا معشار ما آتيناهم • اي ما بلغ هؤلاء
عشر ما آتينا اولئك من البينات والهدى • فكذبوا رسلي • عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير
كقوله تعالى كذبت قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ • فكيف كان نكير • اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك
قل انما اعظكم بواحدة • اي ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى • ان تقوموا لله
على انه بدل منها او بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلعم او تنتصبوا للامر
خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد • مثنى وفرادى • اي متفرقين اثنين اثنين وواحدا
وواحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار والاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوفق و
اقرب من الاطمئنان • ثم تتفكروا • في امره صلعم وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى • ما بصاحبكم
من جنة • استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك
الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد من
عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه عليه السلام ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا
وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات
تخر لها صم الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان يكون ما استفهامية
على معنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون • ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد • هو عذاب
الآخرة فانه عليه السلام مبعوث في نسيم الساعة • قل ما سألتكم من اجر • اي اي شيء سألتكم من اجر على
الرسالة • فهو لكم • والمراد نفي السؤال كأنه يقول لكم لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه
وقيل ما موصولة اريد بها ما سألتهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل الى الله تعالى منفعتهم الكبرى وفي قرباه
قرباهم • ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد • مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرئ ان
اجري بسكون الياء • قل ان ربي يقذف بالحق • اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به
الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهاره وإعلاء كلمة الحق • علام
الغيوب • صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب
صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر الغين وبفتحها كصبور مبالغة غائب • قل جاء الحق • اي الاسلام
والتوحيد • وما يبدئ الباطل وما يعيد • اي زهق الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا مأخوذ من هلاك الحي فانه
اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فليس يبدي
ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيد او لا يبدي خيرا لاهله ولا يعيد وقيل ما

استفهامية منصوبة بما بعدها. قل إن ضللت عن الطريق الحق فإنما أضل على نفسي فإن وبال ضلالي عليها لأنه
بسببها إذ هي الجاهلة بالذات والأمارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله وإن اهتديت فبما
يوحي إلي ربي لأن الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء. إنه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدي
والضال وفعله وإن بالغ في إخفائهما. ولو ترى إذ فزعوا عند الموت أو البعث أو يوم بدر وعن ابن عباس رضي
أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف أي لرأيت أمرا هائلا.
فلا فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب أو تحصن. وأخذوا من مكان قريب من ظهر الأرض أو من الموقف إلى
النار أو من صحراء بدر إلى قليبها أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على فلا فوت
على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ وأخذ بالعطف على محله أي فلا فوت هناك وهناك أخذ.
وقالوا آمنا به أي بمحمد صلعم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم. وأنى لهم التناوش التناوش التناول
السهل أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولا سهلا. من مكان بعيد فإنه في حيز التكليف وهو منهم بمعزل
بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعدما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشيء من
غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ بالهمز على قلب الواو لضمها أو لأنه من نأشت الشيء إذا طلبته وعن
أبي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم نأشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه قول الشاعر: تمنى نئيشا أن
يكون أطاعني * وقد حدثت بعد الأمور أمور. وقد كفروا به أي بمحمد صلعم أو بالعذاب الشديد الذي أنذرهم إياه. من قبل
من قبل ذلك في أوان التكليف. ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول صلعم
من المطاعن أو في العذاب المذكور من بت القول بنفيه. من مكان بعيد من جهة بعيدة من حاله عم حيث ينسبونه
إلى الشعر والسحر والكذب وأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عادته المعروفة فيما بين الناس
الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون
على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على وقد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون
تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الإيمان في الدنيا. وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع
الإيمان والنجاة من النار وقرئ بإشمام الضم للحاء. كما فعل بأشياعهم من قبل أي بأشباههم من كفرة الأمم
الدارجة. إنهم كانوا في شك مريب أي موقع في الريبة أو ذي ريبة والأول منقول ممن يصح أن يكون
مريبا من الأعيان إلى المعنى والثاني من صاحب الشك كما يقال شعر شاعر والله أعلم. عن رسول الله صلعم من قرأ سورة
سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا.

سورة الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

وآيها خمس وأربعون. الحمد لله فاطر السموات والأرض مبدعهما من غير مثال يحتذيه و
لا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كأنه شق العدم بإخراجهما منه والإضافة محضة لأنه بمعنى الماضي
فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق. جاعل الملائكة الكلام
في إضافته وكونه نعتا أو بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثاني من الإضافة بالاتفاق و
أما على الأول فكذلك عند الكسائي وأما عند البصريين فمضمر يدل عليه لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم إلا

معرفا باللام

معرفا باللام وقال أبو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي إلى اثنين يعمل في الثاني لأنه بإضافته إلى الأول تم
فأضافته إلى الاسم فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بأنه بالإضافة أشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ
جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والأرض وجعل الملائكة أي جاعلهم وسائط بينه تعالى
وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة أو بينه تعالى وبين
خلقه أيضا حيث يوصلون إليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييرا أما على تقدير كونه إبداعا
فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين. أولي أجنحة صفة لرسلا وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء
اسم جمع لذا ونظيرهما في الأسماء المتمكنة المخاض والخلفة. وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع صفات لأجنحة أي ذوي
أجنحة متعددة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى أن من
الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحة كل منهم ثلاثة وخلقا آخر لكل منهم أربعة أجنحة ويروى أن
صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة بجناحين منها يلفون أجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من
جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلعم أنه رأى جبرئيل عليه السلام
ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي أنه سأله عليهما السلام أن يراه في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك
قال إني أحب أن تفعل فخرج عم في ليلة مقمرة فأتاه جبرئيل صلوات الله عليهما في صورته فغشي عليه عم ثم أفاق وجبرئيل مسنده
وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئا من الخلق هكذا فقال جبرئيل
عم فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه
ليتضاءل الأحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير. يزيد في الخلق ما يشاء
استئناف مقرر لما قبله من تفاوت أحوال الملائكة في عدد الأجنحة ومؤذن بأن ذلك من أحكام مشيئته
تعالى لا لأمر راجع إلى ذواتهم ببيان حكم كلي ناطق بأنه تعالى يزيد في أي خلق كان كل ما يشاء أن يزيده بموجب
مشيئته ومقتضى حكمته من الأمور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلعم من تخصيص بعض المعاني
بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق
الحصر فيها. وقوله تعالى إن الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فإن شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء
مما يوجب قدرته تعالى على أن يزيد كل ما يشاء إيجابا بينا. ما يفتح الله للناس من رحمة تعبير عن إرسالها
بالفتح إيذانا بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون وأعزها منالا وتنكيرها للإشاعة والإبهام
أي أي شيء يفتح الله من خزائن رحمته أي رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به
فلا ممسك لها أي لا أحد يقدر على إمساكها. وما يمسك أي أي شيء يمسك. فلا مرسل له أي لا أحد يقدر
على إرساله واختلاف الضميرين لما أن مرجع الأول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان
وفيه إشعار بأن رحمته سبقت غضبه. من بعده أي من بعد إمساكه. وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من
الأمور التي من جملتها الفتح والإمساك. الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة
تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والإمساك بموجب الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين وبعد ما بين

سبحانه ان الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من
الوجوه لما بين ان الناس في قبضته او اهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال • يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم •
اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها
والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد
ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء من موجود يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام
الانكاري المعدى بالتسبب اليه لما ناب عنه بنعم فقال • هل من خالق غير الله • اي هل خالق مغاير له تعالى موجود
على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيد عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت باعتبار محله كما انه نعت له في
قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى • يرزقكم من السماء والارض • اي بالمطر والنبات
كلام مبتدأ على التقدير لا محل له من الاعراب واصح حصر النفي والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى
لخالق مرفوعة المحل او مجرورة لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا
من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر
ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق الى آخره لما ان معناه نفي رازقية خالق
مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا مع انه المراد حتما الا يرى الى قوله تعالى • لا اله الا هو • فانه استئناف
مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة فحيث كانت هذه
مطلقة لنفي الوجود تعين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء في قوله تعالى • فانى تؤفكون • لترتيب عدولهم
عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كأنه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية
فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى • وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك • تسلية
لجنابه وتوجيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث ان الكلام مسارعة الى تسليته ثم بعموم البلية اولا والاشارة الى
الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعدما اقمت عليهم
الحجة والزمتهم فتأس باولئك الرسل في المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر
السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل اولوا شان
خطير وذووا عدد كثير • والى الله ترجع الامور • لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التي
من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في
الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل في التهويل • يا ايها الناس • رجوع
الى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير • ان وعد الله • المشار اليه بمرجع الامور اليه تعالى من البعث و
الجزاء • حق • ثابت لا محالة من غير خلف • فلا تغرنكم الحيوة الدنيا • بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي
بزخارفها عن تدارك ما ينفعكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في
لا ارينك ههنا • ولا يغرنكم بالله • وعفوه وكرمه تعالى • الغرور • اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان
بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن

لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه
ولاختلاف الغرورين في الكيفية وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد • ان الشيطان
لكم عدو • عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به • فاتخذوه عدوا • بمخالفتكم له في عقائدكم
وافعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى • انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير • تقرير لعداوته
وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس
تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم
والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون • الذين كفروا لهم • بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة
الشيطان واتباعهم لخطواته • عذاب شديد • لا يقادر قدره مديدا لا يبلغ مداه • والذين امنوا
وعملوا الصالحات • بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان • مغفرة • عظيمة
• واجر كبير • لا غاية لهما • افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا • اما تقرير لما سبق من التباين البين بين
عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتب ما بعدها على ما قبلها اي
ابعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار
الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى • فان الله
يضل • الى آخره تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اي فانه تعالى يضل • من يشاء • ان يضله
لاستحبابه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فرده اسفل سافلين • ويهدي من يشاء • ان يهديه
بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عن التحسر والتحزن عليهم لعدم
اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا لذلك بل لان يعرض عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي ابعد كون حالهم كما ذكر تحسر
عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى • فلا تذهب نفسك عليهم حسرات • دلالة بينة ولما تمهد صرفه
عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعائهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر
لكونه في غاية الحسن عندهم اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه
يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل
من يشاء الخ على انه ممن شاء تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك
وقوله تعالى حسرات اما مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عم على
احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات
عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها
صارت حسرات وقوله تعالى • ان الله عليم بما يصنعون • اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه التي مر ما
فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة • والله الذي ارسل الرياح • مبتدأ وخبر
وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى • فتثير سحابا • لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة
الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها او للدلالة على استمرار الاثارة

فسقناه إلى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فأحيينا به الأرض أي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب
فإن بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج أو بالسحاب فإنه سبب السبب بعد موتها أي يبسها وإيراد الفعلين على صيغة
الماضي للدلالة على التحقق وإسنادهما إلى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع وتكميل المماثلة
بين إحياء الأرض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية
والكاف في حيز الرفع على الخبرية أي مثل ذلك الإحياء الذي تشاهدونه إحياء الأموات في صحة المقدورية وسهولة
التأتي وقيل في كيفية الإحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه أجساد الخلق من كان يريد العزة
هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الأصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا
والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين أيبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها فلله العزة جميعا
أي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة أي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله
إيذانا بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما إليه مجاز عن قبوله تعالى إياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما
وتقديم الجار والمجرور عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات أي إليه يقبل الكلم
الطيب الذي يطلب به العزة لا إلى الملائكة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطي طلبته بالذات
والمستكن في يرفعه للكلم فإن مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل أو للعمل فإنه يحقق الإيمان
ويقويه ولا ينال الدرجات العالية إلا به وقرئ يُصعِد من الإصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه
أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه
عليه السلام أنه سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا به وجه
الرحمن فإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله
والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن على جمع
من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل إليه يصعد
الكلم الطيب الخ والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء وأهلهما بعد
بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على أنها صفة للمصدر المحذوف أي يمكرون المكرات
السيئات وهي مكرات قريش بالنبي عليه السلام في دار الندوة وتداورهم الرأي في إحدى الثلاث التي هي الإثبات والقتل
والإخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر أولئك
وضع اسم الإشارة موضع ضميرهم للإيذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين
واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي أمرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان أي
ومكر أولئك المفسدين الذين أرادوا أن يمكروا به عليه السلام هو يبور أي هو يهلك ويفسد خاصة
لا من مكروا به ولقد أبادهم الله تعالى بعد إبارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر

فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اتفقوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله خلقكم من تراب
دليل آخر على صحة البعث والنشور أي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا إجماليا كما مر تحقيقه
مرارا ثم من نطفة أي ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم أزواجا أي أصنافا أو ذكرانا و
إناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه إلا ملتبسة بعلمه تابعة
لمشيئته وما يعمر من معمر أي من أحد وإنما سمي معمرا باعتبار مصيره أي وما يمد في عمر أحد ولا ينقص من
عمره أي من عمر أحد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره
بعد كونه زائدا على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار أسباب
مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكتب فيه إن حج فلان فعمره ستون وإلا فأربعون وإليه أشار صلى الله عليه وسلم
بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فإنه
يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتي على آخره
وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم إلا في كتاب عن ابن عباس رضي الله عنه
أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل إنسان إن ذلك أي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه
محارا للعقول والأفهام على الله يسير لاستغنائه عن الأسباب فكذلك البعث وما يستوي
البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات
الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والأجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيّغ
كسيّد وسيْغ بالتخفيف وملِح ككتِف ومن كل أي من كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية أي من الملح خاصة تلبسونها إما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم وإما
تكملة للتمثيل والمعنى كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما تفاوتا فيما هو المقصود
بالذات من الماء لما خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وإن شاركه في بعض
الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية
وحيازته لكماله اللائق دون الآخر أو تفضيل للأجاج على الكافر من حيث إنه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر
خلو من النفع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ثم قال وإن من
الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله والمراد
بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه أي في كل منهما وإفراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق
لأن الخطاب لكل أحد تتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها
مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة
بمواخر وقد جوز تعلقها بما دل عليه الأفعال المذكورة أي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
أي ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للإيذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل بزيادة أحدهما ونقص الآخر بإضافة بعض أجزاء كل منهما إلى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف

علی نسج واحد فیهما صنعة لما ان ایلاج احد الملوین فی الآخر متجدد حینا فحینا واما تسخیر النیرین فامر لا تعدد فیه
وانما المتعدد والمتجدد آثاره وقد اشیر الیه بقوله تعالی كل یجری ای بحسب حركته الخاصة وحركته القسریة علی
المدارات الیومیة المتعددة حسب تعدد ایام السنة جریانا مستمرا لاجل مسمی قدره الله تعالی لجریانهما
وهو یوم القیامة روی عن الحسن رحمه الله وقیل جریانهما عبارة عن حركتیهما الخاصتین بهما فی فلكیهما والاجل المسمی
عن منتهی دورتیهما ومدة الجریان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصیله فی سورة لقمان ذلكم اشارة
الی فاعل الافاعیل المذكورة وما فیه من معنی البعد للایذان ببعد منزلته فی العظمة وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة
ای ذلكم العظیم الشان الذی ابدع هذه الصنائع البدیعة الله ربكم له الملك وفیه من الدلالة علی ان
ابداعه تعالی لتلك البدائع مما یوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا یخفی ویجوز ان یكون الاخیر كلاما مبتدأ فی مقابلة
قوله تعالی والذین تدعون من دونه ما یملكون من قطمیر للدلالة علی تفرده تعالی بالالوهیة والربوبیة
والقطمیر لفافة النواة وهو مثل فی القلة والحقارة ان تدعوهم لا یسمعوا
دعاءكم استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلیة حال ما یدعونه فانه جماد لیس من شانه السماع
ولو سمعوا علی الفرض والتقدیر ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قیل من انهم متبرؤن منكم
ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا یتصور منهم فی الدنیا ویوم القیامة یكفرون بشرككم ای یجحدون باشراككم
لهم وعبادتكم ایاهم بقولهم ما كنتم ایانا تعبدون ولا ینبئك مثل خبیر ای لا یخبرك بالامر مخبر مثل خبیر
اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبیر بكنه الامور دون سائر المخبرین والمراد تحقیق ما اخبر به من حال
آلهتهم ونفی ما یدعون لهم من الالهیة یا ایها الناس انتم الفقراء الی الله فی انفسكم وفیما یعن لكم
من مهماتكم او خطب ملم وتعریف الفقراء للمبالغة فی فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتیاجهم هم
الفقراء وحدهم وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الی فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالی وخلق الانسان
ضعیفا والله هو الغنی الحمید ای المستغنی علی الاطلاق المنعم علی سائر الموجودات المستوجب للحمد
ان یشأ یذهبكم ویات بخلق جدید لیسوا علی صفتكم بل مستمرون علی الطاعة او بعالم آخر غیر ما تعرفونه
وما ذلك ای ما ذكر من الاذهاب بهم والاتیان بآخرین علی الله بعزیز بمتعذر ولا متعسر ولا تزر
وازرة وزر اخری ای لا تحمل نفس آثمة وزر نفس اخری واما قوله تعالی ولیحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم ففی حمل المضلین اثقالا غیر اثقالهم فهو حمل اثقال اضلالهم وكلاهما اوزارهم لیس فیها من اوزار غیرهم
شیء وان تدع مثقلة ای نفس اثقلها الاوزار الی حملها لیحمل بعض اوزارها لا یحمل منه شیء لم تجب
لحمل شیء منه ولو كان ای المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربی ذا قرابة من الداعی وقرئ ذو قربی
وهذا نفی للحمل اختیارا والاول نفی له اجبارا انما تنذر استئناف مسوق لبیان من یتعظ بما ذكر ای
انما تنذر بهذه الانذارات الذین یخشون ربهم بالغیب ای یخشونه تعالی غائبین عن عذابه او عن
الناس فی خلواتهم او یخشون عذابه وهو غائب عنهم واقاموا الصلوة ای راعوها كما ینبغی وجعلوها
منارا منصوبا وعلما مرفوعا ای انما ینفع انذارك وتحذیرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من اهل التمرد

والعناد

والعناد ومن تزكی فانما یتزكی لنفسه لاقتصار نفعه علیها كما ان من تدنس بها لا یتدنس الا علیها وقرئ
ومن ازكی فانما یزكی وهو اعتراض مقرر لخشیتهم واقامتهم الصلوة لانهما من معظم مبادی
التزكی والی الله المصیر لا الی احد غیره استقلالا او اشتراكا فیجازیهم علی تزكیهم احسن
الجزاء وما یستوی الاعمی والبصیر ای الكافر والمؤمن ولا الظلمات ولا النور ای ولا الباطل
ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور
ای ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا علی المتقابلین لتذكیر نفی الاستواء وتوسیطها بینهما للتاكید
والحرور فعول من الحر غلب علی السموم وقیل السموم ما یهب نهارا والحرور ما یهب لیلا وما یستوی
الاحیاء ولا الاموات تمثیل آخر للمؤمنین والكافرین ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثر صیغة
الجمع فی الطرفین تحقیقا للتباین بین افراد الفریقین وقیل تمثیل للعلماء والجهلة ان الله یسمع من یشاء ان
یسمعه ویوفقه لفهم آیاته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من فی القبور ترشیح لتمثیل المصرین علی الكفر
بالاموات واشباع فی اقناطه علیه السلام من ایمانهم ان انت الا نذیر ما علیك الا الانذار واما الاسماع البتة
فلیس من وظائفك ولا حیلة لك الیه فی المطبوع علی قلوبهم انا ارسلناك بالحق ای محقا او محقا انت او
ارسالا مصحوبا بالحق ویجوز ان یتعلق بقوله تعالی بشیرا ونذیرا ای بشیرا بالوعد الحق ونذیرا بالوعید الحق
وان من امة ای ما من امة من الامم الدارجة فی الازمنة الماضیة الا خلا ای مضی فیها نذیر
من نبی او عالم ینذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرینة البشارة لا سیما وقد قرنا به آنفا
ولان الانذار هو الانسب بالمقام وان یكذبوك ای تموا علی تكذیبك فلا تبال بهم وبتكذیبهم فقد كذب
الذین من قبلهم من الامم العاتیة جاءتهم رسلهم بالبینات ای المعجزات الظاهرة الدالة علی نبوتهم
وبالزبر كصحف ابراهیم علیه السلام وبالكتاب المنیر كالتوریة والانجیل والزبور علی ارادة التفصیل دون الجمع ویجوز
ان یراد بهما واحد والعطف لتغایر العنوانین ثم اخذت الذین كفروا وضع الموصول موضع ضمیرهم لذمهم
بما فی حیز الصلة والاشعار بعلة الاخذ فكیف كان نكیر ای انكاری بالعقوبة وفیه مزید تشدید وتهویل لها
الم تر استئناف مسوق لتقریر ما قبله من اختلاف احوال الناس ببیان ان الاختلاف والتفاوت امر
مطرد فی جمیع المخلوقات من النبات والجماد والحیوان والرؤیة قلبیة ای الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ای بذلك الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فیه من الصنع البدیع المنبئ عن كمال القدرة
والحكمة ثمرات مختلفا الوانها ای اجناسها او اصنافها علی ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هیآتها
واشكالها او الوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغیرها وهو الاوفق لما فی قوله تعالی ومن الجبال جدد
ای ذو جدد بالضم جمع جدیدة بمعنی جدة وهو الطریق الواضح بیض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف و
غرابیب سود عطف علی بیض او علی جدد كانه قیل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو علی لون
واحد غرابیب وهو تاكید لمضمر یفسره ما بعده فان الغربیب تاكید للاسود كالفاقع للاصفر والقانی للاحمر
ومن حق التاكید ان یتبع المؤكد ونظیره فی الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطیر یمسحها وفی مثله

مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الإضمار والإظهار ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه أي ومنهم بعض مختلف ألوانه أو وبعضهم مختلف ألوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله ولعل ذكر الجملتين الاسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد وتعقيبهما على تباين الناس في الأحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار وأما إخراج الثمرات المختلفة فحيث كان أمرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المبني على الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف أحوال الجبال والناس وغيرهما فإنها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف أي صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك أي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ ألوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما في الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما في الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أي إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل كما قال عم أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع إنذارهم بالكلية وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الأمر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيبا إن الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه إن الذين يتلون كتاب الله أي يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القرآن وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فإن صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتي من توفية الأجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مخالا بسبيل الله كيف لا والمقصود الترغيب في دين الإسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والإشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والإقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل لما أن الناسخ مشروعا ليس لأنه حكمها لكن لا من حيث إنه حكمها بل من حيث إنه حكم القرآن وأما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الأجر بالمرة فتدبر وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن وقوله تعالى لن تبور أي لن تكسد ولن تهلك بالخسران أصلا صفة لتجارة جيء بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشتراء باق بفان والإخبار برجائهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم أجورهم

متعلق

متعلق بلن تبور على معنى أنه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم أجور أعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عدد من أفعالهم المرضية أي فعلوا ذلك ليوفيهم إلى آخره وقيل يرجون على أن اللام للعاقبة إنه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أي غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم أي مجازيهم عليها وقيل هو خبر إن الذين ويرجون حال من وأنفقوا والذي أوحينا إليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه أي حقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام إن الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن أمورهم وظواهرها فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على أن العمدة هي الأمور الروحانية ثم أورثنا الكتاب أي قضينا بتوريثه منك أو نورثه والتعبير عنه بالماضي لتحققه وقيل أورثناه من الأمم السالفة أي أخرناه عنهم وأعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم أو الأمة بأسرهم فإنه تعالى اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسله عليهم الصلوات وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل وهو المرجا لأمر الله ومنهم مقتصد يعمل به في أغلب الأوقات ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله قيل هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقيل هم العلماء والمواظبون على إقامة مواجبه علما وتعليما وفي قوله تعالى بإذن الله أي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عم أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما المقتصد فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روي أن عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلعم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك إشارة إلى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وعلا لا ينال إلا بتوفيقه تعالى جنات عدن إما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب أو مبتدأ خبره يدخلونها وعلى الأول مستأنف وجمع الضمير لأن المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومآلهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وإن لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعي في إدراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من أساور هي جمع أسورة جمع سوار من ذهب كأنه أفضل من سائر أفرادها ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من أساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب أي من

ذهب مرصع من لؤلؤ وقالوا اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضي الله عنه حزن الاعراض والآفات وعنه
حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس
المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلعم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم
ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور
للمطيعين الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه
وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب كلال و
الفرق بينهما ان النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي
الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم
بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم
فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها كذلك اي مثل ذلك الجزاء نجزي
كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على البناء للمفعول واسناده
الى كل وقرئ نجازي وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة
لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور
للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا
والآن تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من الله تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار
والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم او الم نؤخركم ولم نعمركم
عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عم اعذر الله
الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها
في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا الى آخره لانه في معنى قد شرحنا والمراد
بالنذير رسول الله صلعم او ما معه من القرآن وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير
لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبله من التعمير ومجيء النذير وفي
قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين
ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور
تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في
الارض يقال للمستخلف خليفة والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم
مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم
من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغطاها فعليه كفره اي

وبال كفره

وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم اي بغضه الشديد الذي ليس وراءه
خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرير للتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل
واحد من الامرين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل ارأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له
اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه اروني
ماذا خلقوا من الارض بدل الاشتمال من ارأيتم كأنه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من
الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك
شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة
ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم
سلطانا الى آخره وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنهم بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الاسلاف للاخلاف
والرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليهم ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما من احد من بعده من بعد امساكه
او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا
غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ لو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلعم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم
فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى
الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واي نذير اشرف الرسل عليهم السلام
ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له
ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل
ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون
اي ما ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع
موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده
الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص
كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد
على ما قبله من جريان سنته تعالى على تكذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار
دمار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم

ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • وكانوا اشد منهم قوة • واطول اعمارا فما نفعهم
طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى • وما كان الله ليعجزه من شيء •
اي ليسبقه ويفوته • في السموات ولا في الارض • اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة
وقوله تعالى • انه كان عليما قديرا • اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل
لذلك • ولو يؤاخذ الله الناس جميعا • بما كسبوا • من السيئات كما فعل باولئك • ما ترك على ظهرها • اي على
ظهر الارض • من دابة • من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل من غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروي
عن ابن مسعود رض ويعضد الاول قوله تعالى • ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى • وهو يوم القيامة • فاذا جاء
اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا • فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلعم من قرأ سورة
الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثلاث وثمانون آية • يس • اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه
الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما
مدار قراءتي ياسين بالرفع والنصب اي هذه ياسين او اقرأ ياسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما
بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين القسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما
اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة ومن انما كانت
من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد كطاسين وياسين وحاميم
الموازنة لهابيل وقابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وقيل حركته
بناء كما في حيث واين حسبما يشهد بذلك قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الهرب من التقاء
الساكنين وعن ابن عباس رض ان معناه يا انسان في لغة طيء قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله • والقرآن • بالجر على انه مقسم به ابتداء
وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم • الحكيم • اي المتضمن للحكمة او الناطق بها
بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف و
اقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان • انك لمن
المرسلين • جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عم لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما
اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه
بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عم من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها
من هذه الحيثية ايضا لما ان الاقسام بالشيء استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون
شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى • على صراط مستقيم • خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور
على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته عم اقوم الشرائع واعدلها
كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه عم من جملة المرسلين بالشرائع • تنزيل العزيز الرحيم • نصب على المدح

وقرئ

وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن وايا ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن
بيانا لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته
الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به
ترغيبا وترهيبا واشعارا بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين وقيل انتصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق لبيان ما
ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه تفضيل تأكيد لمضمون الجملة القسمية • لتنذر • متعلق بتنزيل
على الوجوه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير اي نزله لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن
المرسلين اي انك مرسل لتنذر • قوما ما انذر آباؤهم • اي لم تنذر اباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما
نافية فيكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذي انذره او شيئا انذره اباؤهم الابعدون على
انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا اباؤهم الاقدمين على انها مصدرية فيكون نعتا
لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم • فهم غافلون • على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه
والضمير للفريقين اي لم تنذر اباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى
لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين ارادة تحقيق انذاره عم او ارساله عم لتفعلهم المحوضة اليهما على ان الضمير للقوم
خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر اباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى • لقد حق
القول على اكثرهم • جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم
وما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وتغلوهم في العتو والطغيان
وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى
لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة
والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك
تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين
على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان
قوله تعالى • فهم لا يؤمنون • متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى • انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا • تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم • فهي الى الاذقان •
اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون
رؤسهم له • فهم مقمحون • رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى
جهته • وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون • اما تتمة للتمثيل وتكميل له اي
وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب
ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد
غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات

محرومين عن النظر في الادلة والايات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما
كان من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الايتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن
رأى رسول الله صلعم يصلي ليرضخن رأسه فاتاه وهو عم يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده
حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره
وسواء عليهم أأنذرتهم لبيان شأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه
حسبما تحقق في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه
الاستواء او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل انما تنذر
اي انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه او الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان
وخشي الرحمن بالغيب اي خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته و
لم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر
والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم و
عن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر ونكتب ما قدموا وآثارهم التي ابقوها من الحسنات
كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر و
من السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من
فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل آثارهم آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من
جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام
مبين اصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع
واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله
مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله
تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب
القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب
واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل
وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب
القرية وهم رسل عيسى عم الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان
بامره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس عليهما السلام وقيل غيرهما فكذبوهما اي فاتياهم فدعواهم
الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اي قويناهما يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا
غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا اي
جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة

الاصنام

قوله تعالى ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة
عبر عن احاطة علمه باعمالهم بالكتابة التي تضبط بها الاشياء
وكنى بذلك عن المجازاة فانتظم مع قوله نحيي الموتى وآثارهم
وما بقي بعدهم من آثار حسنة او سيئة ونحوه قوله تعالى ينبؤ الانسان
يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من آثاره
وكل شيء منصوب بعامل مضمر يفسره احصيناه وقرئ
بالرفع على الابتداء في امام مبين يعني اللوح المحفوظ
لانه اصل الكتب ومقتداها ابن كمال باشا رحمه الله تعالى

الاصنام فارسل اليهم عيسى عم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار
صاحب يس فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض
منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا
اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال قوما حتى انظر في امركما فتتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا
ثم بعث عيسى عم شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك
فانس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما
فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا فقالا يفعل ما يشاء و
يحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر فاخذا
بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا
فيكون لك وله الشرف فقال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم
على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات
من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت
ابواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك
فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عم فهلكوا هكذا
قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة
في الحجاج ولم يذكر فيه ممن آمن من احد سوى حبيب ولو آمن الملك وقوم من حواشيه لكان الظاهر ان يظاهروا
الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا
ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا لا معتذرا بعذر من الاعذار قالوا
اي اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم
بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شيء مما تدعونه من الوحي والرسالة
ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري
مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم شدة الانكار
وما علينا اي من جهة ربنا الا البلاغ المبين اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة
وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او ما علينا شيء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة
على الوجه المذكور وقد فعلناه فأي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم الحيل و
عيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم
وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على
ان الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا
ينفرون عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا لئن لم تنتهوا اي عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة

وليمسنكم منا عذاب اليم • لا يقادر قدره • قالوا طائركم • اي سبب شؤمكم • معكم • لا من قبلنا وهو
عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم • ائن ذكرتم • اي وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
ما قبله عليه اي تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم
وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ • بل انتم قوم
مسرفون • اضراب عما يقتضيه الشرط من كون التذكير سببا للتشؤم او مصححا للتوعد اي ليس الامر كذلك
بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشأمتم بمن يوجب
اكرامه والتبرك به • وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى • هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول
الله صلعم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره احد قبل
مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه • قال • استيناف وقع
جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كانه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال • يا قوم اتبعوا المرسلين
تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته و
قوله • اتبعوا من لا يسئلكم اجرا وهم مهتدون • تكرير للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه
عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا والدين • وما لي لا اعبد الذي فطرني • تلطف في الارشاد بايراده في
معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم
الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى • واليه ترجعون • مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال
• ءاتخذ من دونه آلهة • انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى • ان يردن الرحمن بضر لا تغن
عني شفاعتهم شيئا • اي لا تنفعني شيئا من النفع • ولا ينقذون • من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استيناف
سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة للآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك
وقرئ ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اي يجعلني مورد الضر • اني اذا • اي اذا اتخذت من دونه آلهة
• لفي ضلال مبين • فان اشراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقتدر الذي لا قادر غيره ولا خير الا خيره
ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز في الجملة • اني آمنت بربكم • خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه
بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك وانما اكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة
والنشاط واضافة الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم
الذي ارسلكم او الذي تدعوننا الى الايمان به • فاسمعون • اي اسمعوا ايماني واشهدوا لي به عند الله وقيل
الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم
لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا • وقيل للناس جميعا • قيل ادخل الجنة
قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن
وعن قتادة رضي ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما
لم يقل له لان الغرض بيان المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة الى بيانه والجملة استيناف وقع

جوابا

جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه
لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى • قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين •
فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ
وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة جريا على سنن
الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على الحق وان
عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية
وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اي باي شيء غفر لي ربي يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة
على اذيتهم • وما انزلنا على قومه من بعده • من بعد قتله او رفعه • من جند من السماء • لاهلاكهم و
والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى
تفخيم شأن الرسول صلعم • وما كنا منزلين • وما صح في حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا
قدرنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق
وجعلنا انزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا منزلين
على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ونحوها • ان كانت • اي ما كانت الاخذة والعقوبة • الا صيحة
واحدة • صاح بها جبريل عم وقرئ الصيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر
اذا صاح • فاذا هم خامدون • ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة في الحركة والالتهاب
والميت كالرماد كما قال لبيد • وما المرء الا كالشهاب وضوئه • يحور رمادا بعد اذ هو ساطع • يا حسرة على العباد •
تعالي فهذه من الاحوال التي حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى • ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن •
فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون او
قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز ان تكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة
لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتي ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل
باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف • الم يروا • اي الم يعلموا وهو معلق عن العمل بقوله تعالى • كم اهلكنا قبلهم من القرون •
لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناها نافذ في الجملة كما نفذ في
قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه • انهم اليهم لا يرجعون • بدل من كم اهلكنا على المعنى اي الم
يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف
وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل الاشتمال • وان كل لما جميع لدينا محضرون • بيان لرجوع الكل الى
المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى
مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة
عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الى

آخر • وآية لهم الأرض الميتة • بالتخفيف وقرئ بالتشديد قوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم
اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى • احييناها •
استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض الميتة مبتدأ موصوف واحييناها خبره
والجملة مفسرة للآية وقيل الارض مبتدأ واحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها صفتها لان
المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هي الارض
• واخرجنا منها حبا • جنس الحب • فمنه يأكلون • تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به
• وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب • اي من انواع النخل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس
مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص
شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع • وفجرنا فيها • وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى •
من العيون • اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على رأي
الاخفش • ليأكلوا من ثمره • متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لانه من مبادي الاثمار اي وجعلنا فيها جنات
من نخيل ورتبنا مبادي اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل
الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه او جمع ثمار
وبفتحة وسكون • وما عملته ايديهم • عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية
والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف
العائد من الصلة احسن من الحذف من غيرها • افلا يشكرون • انكار واستقباح لعدم شكرهم للمنعم المعدودة و
الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايرون هذه النعم او يستعملونها فلا يشكرونها • سبحان الذي
خلق الازواج كلها • استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآلاء المذكورة واستعظام ما ذكر
في حيز الصلة من بدائع آثار قدرته واسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب
من اخلالهم بذلك في الحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه
والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية
ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه
مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس
الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر
وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات
المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته
عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا
مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع • مما تنبت الارض • بيان لها والمراد
به كل ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها • ومن انفسهم • اي خلق الازواج من انفسهم اي الذكر والانثى

الذكر والانثى وما لا يعلمون

وما لا يعلمون • اي والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها و
لما لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على
منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه • وآية لهم الليل •
جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مر في قوله تعالى • نسلخ منه النهار • جملة مبينة لكيفية كونه آية اي نزيله ونكشف
عن مكانه مستعار من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال
سلخت الاهاب من الشاة وقد يعلق بالشاة المسلوخة • فاذا هم مظلمون • اي داخلون في الظلام
مفاجأة وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض • والشمس تجري لمستقر لها • لحد معين ينتهي اليه
دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها
هناك وقفة قال والشمس حيرى لها في الجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم
من المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب
ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها اي
لا سكون لها فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس • ذلك • اشارة الى جريها وما
فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك الجري البديع
المنطوي على الحكم الرائقة التي تحار في فهمها العقول والافهام • تقدير العزيز • الغالب بقدرته على
كل مقدور • العليم • المحيط علمه بكل معلوم • والقمر قدرناه • بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر و
قرئ بالرفع على الابتداء اي قدرنا له • منازل • وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل و
هي ثمانية وعشرون • الشرطان • البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة •
الطرف • الجبهة • الزبرة • الصرفة • العواء • السماك • الغفر • الزباني • الاكليل • القلب • الشولة •
النعائم • البلدة • سعد الذابح • سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • فرغ الدلو المقدم • فرغ
الدلو المؤخر • الرشا • وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في احدها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان
في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس • حتى عاد كالعرجون • كالشمراخ المعوج فعلون
من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون • القديم • العتيق
وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا • لا الشمس ينبغي لها • اي يصح ويتسهل لها • ان تدرك القمر • في
سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في الآثار والمنافع او في المكان بان
تنزل في منزله او في سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها
الا ما قدر لها • ولا الليل سابق النهار • اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما
وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان الادراك لانه
الملائم لسرعة سيره • وكل • اي وكلهم على ان التنوين عوض من المضاف اليه الذي هو ضمير العائد الى الشمس
والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات

أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها {في فلك يسبحون} يسيرون بانبساط وسهولة {وآية لهم
أنا حملنا ذريتهم} أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم
فإن الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الأصول وتخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم في السفن أشق و
تماسكهم فيها أبدع {في الفلك المشحون} أي المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم
الأقدمين وفي أصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص الذرية بالذكر دونهم لأنه أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجب
الذي عليه يدور كونه آية {وخلقنا لهم من مثله} مما يماثل الفلك {ما يركبون} من الإبل فإنها سفائن
البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد
ليس لمجرد كون صنعتهم بإقدار الله تعالى وإلهامه بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه
قوله عز وجل {واصنع الفلك بأعيننا ووحينا} والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لأنها باختيارهم
كما أن التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار {وإن نشأ نغرقهم} إلى
آخره من تمام الآية فإنهم معترفون بمضمونه لما ينطق به قوله تعالى {وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله
مخلصين له الدين} وفي ترتيب نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الإغراق بمحض المشيئة إشعار بأنه قد تكامل ما يوجب
إهلاكهم من معاصيهم ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به أي إن نشأ نغرقهم في اليم مع حملنا إياهم فيه من
الفلك فحينئذ خلق الإبل كلام جيء به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الإبل
والفلك فكأنها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق {فلا صريخ لهم} أي فلا مغيث
لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاهم الصريخ
{ولا هم ينقذون} أي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى {إلا رحمة منا ومتاعا} استثناء مفرغ
من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة أي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء
إلا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية إلى الإغاثة والإنقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز أن يراد
بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للإغاثة والإنقاذ أي لنوع من الرحمة
وتمتيع {إلى حين} أي إلى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل ولم أسلم لكي أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى
الحمام {وإذا قيل لهم اتقوا} بيان لإعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات
الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها أي إذا قيل لهم بطريق الإنذار بما نزل من الآيات
أو بغيره {اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم} من الآفات والنوازل فإنها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكاره
من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون أو من الوقائع النازلة على الأمم الخالية والعذاب المعد لكم
في الآخرة أو من نوازل السماء ونوائب الأرض أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو ما تقدم من
الذنوب وما تأخر {لعلكم ترحمون} حال من واو اتقوا أو غاية له أي راجين أن ترحموا أو كي
ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله تعالى وجواب إذا محذوف ثقة بانفهامه
من قوله تعالى {وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين} انفهاما بينا لما أن الإنذار

بالآية الكريمة

بالآية الكريمة فيما انتفع النصح وأما الإنكار بغيرها فبدلالة لأنهم حين أعرضوا عن آيات ربهم
فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الأولوية كأنه قيل وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسبما
اعتادوه وما في قوله وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الأولى مزيدة لتأكيد
العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى
ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فإتيانها
نزولها والمعنى ما ينزل إليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من
بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها إلا كانوا عنها معرضين على وجه
التكذيب والاستهزاء وإما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب
المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد بإتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك
الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شئونه الشاهدة بوحدانيته
تعالى وتفرده بالألوهية إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي إلى الإيمان به
تعالى وإيثار على أن يقال إلا أعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين
قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على أنها حال من مفعول تأتي أو من فاعله المخصص
بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما تأتيهم من آية من آيات
ربهم في حال من أحوالهم إلا حال إعراضهم عنها وما تأتيهم آية منها في حال من أحوالها إلا حال إعراضهم
عنها {وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله} أي أعطاكم بطريق التفضل والإنعام من أنواع
الأموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الإنفاق على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله
إليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالأمر وكذلك من التبعيضية أي إذا قيل لهم بطريق
النصيحة أنفقوا بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فإن ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره
{قال الذين كفروا} بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة {للذين آمنوا} تهكما بهم وبما كانوا
عليه من تعليق الأمور بمشيئة البديع {أنطعم} حسبما تعظوننا به {من لو يشاء الله أطعمه}
أي على زعمكم وعن ابن عباس رضي الله عنه كان بمكة زنادقة إذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا
لا والله أيفقره ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من أموالهم
التي زعموا أنهم جعلوها لله تعالى من الحرث والأنعام يوهمون أن الله تعالى لما لم يشأ إطعامهم وهو القادر
عليه فنحن أحق بذلك وما هو إلا لفرط جهالتهم فإن الله تعالى يطعم عباده بأسباب من جملتها حث الأغنياء
على إطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك {إن أنتم إلا في ضلال مبين} حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله
تعالى وقد جوز أن يكون جوابا لهم من جهته تعالى أو حكاية لجواب المؤمنين لهم {ويقولون متى هذا
الوعد إن كنتم صادقين} أي متى يتحقق ما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلعم والمؤمنين

لما انهم كانوا يتلون عليهم ايات الوعيد بقيامها ومعنى القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء او
اما باعتبار قرب العهد بالوعد • ما ينظرون • جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون • الا صيحة واحدة • هي النفخة
الاولى • تأخذهم • مفاجأة • وهم يخصمون • اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من
مخايلها كقوله تعالى فتأخذهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علاماتها كما يزعمون
وانها مابيتهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين
وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان
على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه
اذا جادله • فلا يستطيعون توصية • في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اصحابهم • ولا الى
اهلهم يرجعون • اذا كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا • ونفخ في الصور
هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها
• فاذا هم من الاجداث • اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء • الى ربهم • مالك امرهم على الا
الاطلاق • ينسلون • يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ
بضم السين • قالوا • اي في ابتداء بعثهم من القبور • يا ويلنا • احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا
• من بعثنا من مرقدنا • وقرئ من اهبنا من اهبه من نومه اذا انبهه وقرئ من بعثنا بمعنى
من بعثنا وقيل اصله من بعثنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير وقيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم
لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح
باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه وابي بن كعب وقتادة ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب
بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيامة ما شاهدوا دعوا
بالويل وقالوا ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من رقادنا
او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل • هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون • جملة
من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة او المؤمنين
عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن
نفس البعث ماذا هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل
اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكفار
حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل
هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر مبتدأ محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق • ان كانت
• اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا • الا صيحة واحدة • حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور
• فاذا هم جميع • اي مجموع • لدينا محضرون • من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهويل امر البعث والحشر والايذان
باستغنائهما عن الاسباب ما لا يخفى • فاليوم لا تظلم نفس • من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من

الظلم

الظلم • ولا تجزون الا ما كنتم تعملون • اي الا جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء
واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا
لهم وقوله تعالى • ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون • من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم
وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه
الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشان الذي
يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال الغم
والمراد ههنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به
ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع وضرب
الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم
في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد
من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل
منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وتنوين جارة جرايه وفاكهون خبر
آخر لها اي انهم مستقرون في شغل واي شغل في شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك
كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المرتقب منزلة الواقع للايذان بغاية
سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين
وبفتحة وسكون والكل لغات وقرئ فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين
وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى • هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون • استئناف
مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه
من الشغل والفكاهة على ان هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا
عليه لمراعاة الفواصل او هو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف
الاول والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ
مؤخر وقرئ متكئين بالاعجام نصبا على الحال من المستكن في الظرفين او احدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر
ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال وهذا ابهم هو حال من المعطوفين والظلال
جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير
المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون اريكة حتى تكون عليها حجلة وقوله تعالى • لهم فيها فاكهة • الى آخره
بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد
بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة

كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى ولهم فيها ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن
مدعو عظيم الشأن معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير با
بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او عامة قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر واياما
كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم
كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشأن او كل ما يدعون به
كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون
يفتعلون من الدعاء كما اشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى وحمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء
بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو به
اهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكر
الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل من ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم
اي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي والملائكة
يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال
لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبر والجار والمجرور لبيان من له ذلك اي ما يدعون سالم لهم خالص
لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص
وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي لهم سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات فيكون قولا
مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما يقال لهم من جهته تعالى ومعنيه
وقرئ جرا للفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل جره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اي لهم
مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم عطف على الجملة السابقة
المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه
عليه بل على انه عطف قصة سوء حالهم وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله
تعالى وبشر الذين امنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على ما ينساق
اليه حكاية حال اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يغبطهم عليه الكل
فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك
ان لكل كافر بيتا من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان المعنى فليمتازوا وينفردوا عن السعداء فلا
ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال الحقيقة حتى يتسنى ترتيب السلام المذكور عليه بل انما هو استقرارهم
عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام
اليه وانسياب نظم الكلام عليه فبعدما نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل لاقتضاء المقام من النكتة
البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر في بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي لاضمار
شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما

يقال

يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم
الى آخره والعهد الوصية والتقدم بامر فيه خير ومنفعة والمراد هاهنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام
من الاوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الآية
وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى
وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهور بني آدم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم
من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادة الله تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته
فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة
عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسرها وكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة
بني تميم انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي
وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا على ان ان فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او
مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما
ان حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم فانه اشارة
الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط علي مستقيم و
المقصود بقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى ولقد اضل
منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان ان
جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم
الخالية بسبب طاعتهم للشيطان والخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ
والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين و
تخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبالكسر والسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق
في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا وصنفا كثيرا
عن ذلك الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات
الهائلة التي ملأ الآفاق اخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى افلم تكونوا تعقلون
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون شيئا اصلا حتى
ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون استئناف
يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم اي كنتم توعدونها
على السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى اخرج منها مذؤوما مدحورا
لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة
كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم اي ادخلوها وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا

وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم اى نمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان
ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكى احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الايماء الى ان ذلك من
مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم • وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
بما كانوا يكسبون • يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا
مشركين فحينئذ نختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة انى لا اجيز على شاهدا
الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن و
سحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم الاركان وشهادتها دلالتها على افعالها وظهور آثار المعاصي عليها
وقرئ وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ و
ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم • ولو نشاء لطمسنا على اعينهم • الطمس تعفية شق العين
حتى تعود ممسوحة ومفعول المشية محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء اى لو نشاء ان نطمس على اعينهم لفعلنا وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة
ان عدم الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشية فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة
انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير • فاستبقوا الصراط • اى فارادوا ان يستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه على ان انتصابه
بنزع الجار وهو تضمين الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية • فانى يبصرون • الطريق وجهة السلوك
ولو نشاء لمسخناهم • بتغيير صورهم وابطال قواهم • على مكانتهم • اى مكانهم الا ان المكانة اخص
كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه
ولا ادبارا ولا رجوع وذلك قوله تعالى • فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون • اى ولا رجوعا فوضع موضعه
الفعل لرعاية الفاصلة عن ابن عباس رضى الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة رحمه الله لاقعدناهم
على ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة
الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من
آثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وان المانع
من ذلك ليس الا عدم تعلق المشية الالهية به كانه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا
على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأ جريا على سنن الرحمة والحكمة
الداعيتين الى امهالهم • ومن نعمره • اى نطل عمره • ننكسه في الخلق • اى نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما
خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود
الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي
والتنكيس من الانكاس • افلا يعقلون • اى ايرون ذلك فلا يعقلون ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ
وان عدم ايقاعهما لعدم تعلق مشيته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجرى الخطاب قبله • وما علمناه الشعر • رد

وابطال

وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عم من انه شاعر وما يقوله شعر اى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى ان
القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع فاين ذلك من التنزيل
الجليل الخطير المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة
الدنيا والآخرة ومن اين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون • وما ينبغي
له • وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه اى جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه
اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض واما قوله عم انا النبي لا كذب • انا ابن
عبد المطلب وقوله عم • هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت • فمن قبيل الاتفاقات
الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن اى وما ينبغي للقرآن ان يكون
شعرا • ان هو • اى ما القرآن • الا ذكر • اى عظة من الله تعالى وارشاد للثقلين كما قال الله تعالى
ان هو الا ذكر للعالمين • وقرآن مبين • اى كتاب سماوي بين كونه كذلك او فارق بين الحق والباطل
يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا • لينذر
اى القرآن او الرسول صلعم ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اى علمه ولينذر مبنيا للمفعول
من الانذار • من كان حيا • اى عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحيوة الابدية
بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به • ويحق القول • اى تجب كلمة العذاب • على الكافرين • المصرين على الكفر وفي
ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة • اولم
يروا • الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اى الم يتفكروا او الم يلاحظوا
ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة • انا خلقنا لهم • اى لاجلهم وانتفاعهم • مما عملت ايدينا • اى مما تولينا
احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث و
الاعتناء به • انعاما • مفعول خلقنا وتأخيره عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليهما لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل
تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا على كون المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان ابتدار الاول المعرب عن
كون المؤخر من منافعهم والثاني المنبئ عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا اليه ورغبة فيه
ولان في مؤخره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله عز وجل • فهم لها مالكون • اى متملكون بها بتمليكنا اياهم
وايراد الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استمرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله اى
فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون
على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما في قول من قال اصبحت لا احمل
السلاح ولا • املك راس البعير ان نفرا • والاول هو الاظهر لتكون قوله تعالى • وذللناها لهم • تأسيسا
نعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اى صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح
حسبما ينطق به قوله تعالى • فمنها ركوبهم • الى آخره فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اى

فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب
وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم • و
منها يأكلون • اي وبعض منها يأكلون لحمه • ولهم فيها • اي في الانعام بجملتها • منافع • اخر غير
الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران • ومشارب • من اللبن جمع مشرب
وهذا اجمال ما فصل في سورة النحل • افلا يشكرون • اي ايشاهدون هذه النعم او ايتمتعون بها فلا يشكرون المنعم بها
• واتخذوا من دون الله • اي متجاوزين الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك
النعم المتظاهرة • آلهة • من الاصنام واشركوها به تعالى في العبادة • لعلهم ينصرون • رجاء ان ينصروا من جهتهم
فيما حزبهم من الامور او يشفعوا لهم في الاخرة وقوله تعالى • لا يستطيعون نصرهم • الى اخره استئناف سيق لبيان
بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا تقدر آلهتهم على نصرهم • وهم • اي المشركون • لهم • اي
لآلهتهم • جند محضرون • يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم والذب عنهم و
لا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى • فلا يحزنك قولهم • للترتيب على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم
وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب
ويورث السلوة واما كونهم معدين لحفظهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في
الحقيقة متوجه الى رسول الله صلعم ونهي له عن التأثر بطريق الكناية على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب
الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد النهي عن
السبب كما في قوله لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام
آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء لله سبحانه في المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن
وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاي من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى • انا نعلم ما يسرون وما يعلنون • تعليل
صريح للنهي بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم
بجميع جناياتهم الخافية والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلعم وتقديم السر على العلن
اما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة
فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف
الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او
مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة • اولم
ير الانسان انا خلقناه من نطفة • كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعدما عاينوا فيما بايديهم
ما يوجب التوحيد والاسلام واما ما قيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلعم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم
الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما في الجملة الانكارية السابقة
اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الى آخره او هي عين الجملة السابقة اعيدت تأكيدا للنكير السابق
وتمهيدا للانكار بما هو حقيق منه بالانكار والتعجيب لان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم

علمهم

علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار
والتعجيب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل الم يتعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا
مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح
ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكارية اللاحقة على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقديم الهمزة
عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو رأي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار
متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى •
فاذا هو خصيم مبين • اي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار و
التعجيب كانه قيل اولم ير انا خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ خصومتنا في امر يشهد بصحته وتحققه
مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روي
ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك
فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه
ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلعم نعم ويبعثك
ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق
قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجيب بل هو
من متممات شواهد صحة البعث وقوله تعالى • وضرب لنا مثلا • معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز
الانكار والتقبيح واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا
اي اورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي انكار احيائه العظام
او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهي احياؤنا اياها او جعل
لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى • ونسي خلقه • اي
خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه عطف على ضرب داخل في حيز الانكار والتعجيب او حال
من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى • قال • استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه
المثل كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال • من يحيي العظام • منكرا اشد النكير مؤكدا له بقوله
• وهي رميم • اي بالية اشد البلى بعيدة من الحيوة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى للعظام
فانه امر عجيب في نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان
الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤها فانه امر عجيب
في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل المنكر وعدم وانكر اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب
شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل
هو الانكار او المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرفات وقد
تمسك بظاهر الآية الكريمة من اثبت للعظم حيوة وبنى عليه الحكم بنجاسته عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بنجاسته

كالشعر ونحولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي
حساس • قل • تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستشهاد
بها • يحييها الذي انشأها اول مرة • فان قدرته كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها • وهو بكل خلق عليم •
مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل
شخص من الاشخاص اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع
والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون الجواب او معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر
ليس كانشائه للمنشآت وهو سبحانه • الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا • بدل من الموصول الاول وعدم
الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على
ان الجعل ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء بالنظر الى المعنى وهو المرخ والعفار
يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي
انثى فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى • فاذا انتم منه توقدون • فمن قدر على احداث النار
من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا
فطرا عليه اليبوسة والبلى وهو سبحانه • اوليس الذي خلق السموات والارض • الى آخره استئناف
مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه السلام بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة
والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشأها اول مرة
وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم
شأنهما • بقادر على ان يخلق مثلهم • في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل
قاضية بان من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله تعالى • بلى • جواب من جهته تعالى وتصريح بما افادته الاستفهام الانكاري
من تقرير ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى
• وهو الخلاق العليم • عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا
وكما • انما امره • اي شأنه • اذا اراد شيئا • من الاشياء • ان يقول له كن • اي ان
يعلق به قدرته • فيكون • فيحدث من غير توقف على شيء آخر اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما اراده
بامر الآمر المطاع للمأمور المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على
يقول • فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء • تنزيه له عز وجل عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شأنه
تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شؤونه تعالى موجبة لتنزيهه وتنزيهه اكمل ايجاب
كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بانها مقتضية لذلك والملكوت مبالغة

في الملك

الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء وملك كل شيء • واليه ترجعون • لا الى غيره وقرئ ترجعون
بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روي في فضائل
يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال رسول الله صلعم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس
من قرأها يريد وجه الله تعالى غفر الله تعالى له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ
عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون
عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم
قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من
شراب الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم ان في القرآن
سورة تشفع لقارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا • اقسام من الله عز وجل بطوائف
الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها
اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى
وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها
في الصلاة وقيل اجنحتها في الهواء • فالزاجرات زجرا • اي الفاعلات للزجر او الزاجرات لما نيط بها
زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن
المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفا وزجرا
مصدران مؤكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى • فالتاليات ذكرا • فمفعول
التاليات اي التاليات ذكرا عظيم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها
من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه
الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم
للتلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات
في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على
العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها في صفوف الجماعات و
اقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله الدارسات شرائعه واحكامه
وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحرب كانهم بنيان مرصوص او طوائفهم واقدامهم
الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله وذكره وتسبيحه
في تضاعيف ذلك والكلام في العطف والدلالة على ترتب الصفات في الفضل او ترتب موصوفاتها فيه كالذي
سلف واما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فغير ظاهر

في شيء من الطوائف المذكورة فانه لم يسلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير
ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل
الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء والذال ● ان الهكم لواحد ● جواب للقسم
والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيد بالقسم وتمهيد لما يعقبه من البرهان المشار اليه
بقوله تعالى ● رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق ● فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع
من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا
ورب خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها
والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادته في المشارق لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم من مشرق منها
وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف و
الشتاء ومغرباهما ● انا زينا السماء الدنيا ● اي القربى منكم ● بزينة ● عجيبة بديعة ● الكواكب ● بالجر
بدل من زينة على ان المراد بها الاسم كما يراد به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينة
واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز
ان يراد بزينة الكواكب ما زينت به وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا اذا كان على
تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب
وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله بزينة الكواكب والمراد التزيين في رأي العين
فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر متلألئة في سطح السماء الدنيا بصور
بديعة واشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في السماء السبعة المتوسطة
ان ثبت ذلك ● وحفظا ● منصوب بعطفه على زينة باعتبار المعنى كانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء
وحفظا ● من كل شيطان مارد ● اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كانه قيل
وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
وقوله تعالى ● لا يسمعون الى الملأ الاعلى ● كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه
على كيفية الحفظ وما يعتريهم اثناء ذلك من العذاب لا صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر
لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذف من قولك جئتك ان
تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم حذف ان واهدر عملها كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لما ان كل
واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل
عن امثالها واصل يسمعون يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكتبة ومنهم اشراف
الملائكة عم اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ● ويقذفون ● يرمون ● من كل
جانب ● من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها ● دحورا ● علة للقذف اي للدحور وهو الطرد
او حال بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا مبالغا فيه

الطرد

في الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع ● ولهم عذاب واصب ● اي ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا
من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير ● الا من خطف الخطفة ●
استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه
تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلهما اختطف ● فاتبعه شهاب ●
اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ● ثاقب ● مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه
يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم فالواو انما يعود من يسلم منهم خاطفا طمعا
في السلامة وقيل المراد كواكب السفينة ● فاستفتهم ● فاستخبر مشركي مكة ● اهم اشد خلقا ● اي اقوى
خلقة وامتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ● ام من خلقنا ● من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقراءة من
قرأ ام من عددنا وقوله ● انا خلقناهم من طين لازب ● فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم
من الامم كعاد وثمود لان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء
وقرئ لازم ولاتب ● بل عجبت ● اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث
● ويسخرون ● من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرته وكثرة مخلوقاته حد عجبت منها وهؤلاء
لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله تعالى اما
على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء
وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت ● واذا ذكروا ● اي دأبهم المستمر انهم اذا وعظوا بشيء من المواعظ
● لا يذكرون ● لا يتعظون ولذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لبلادتهم وقصور فكرهم ● واذا
رأوا آية ● اي معجزة تدل على صدق القائل بها ● يستسخرون ● يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او
يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها ● وقالوا ان هذا ● اي ما يرونه من الآية الباهرة ● الا سحر مبين ●
ظاهر سحريته ● أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما ● اي كان بعض اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه
منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى ● أإنا لمبعوثون ● اي نبعث لا لانه
دونه حطوطا بالهمزة واحدة منها للنفي والمنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية
المنافاة وكذا تكرير الهمزة في انا لتأكيد للانكار والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا
للانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون
على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح
الثانية فقط ● اوآباؤنا الاولون ● رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه اي وآباؤنا الاولون
ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف
النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وايا ما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على
زعمهم وقرئ اوآباؤنا ● قل نعم ● والخطاب في قوله تعالى ● وانتم داخرون ● لهم ولآبائهم بطريق

التعنيف والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي
لغة فيه • فانما هي زجرة واحدة • هي اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر او تعليل لنهي
مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الى اخره او لا تستصعبوها فانما هي الى اخره والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح
عليها وهي النفخة الثانية • فاذا هم • قائمون من مراقدهم احياء • ينظرون • يبصرون كما كانوا او ينتظرون
ما يفعل بهم • وقالوا • اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر • يا ويلنا • اي يا هلاكنا احضر فهذا
اوان حضورك وقوله تعالى • هذا يوم الدين • تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستيناف اي اليوم الذي نجازى فيه
باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا
البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله تعالى • هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون • كلام الملائكة جوابا لهم بطريق
التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله
تعالى • احشروا الذين ظلموا • خطاب من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف
وقيل من الموقف الى الجحيم • وازواجهم • اي اشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد
الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم • و
ما كانوا يعبدون من دون الله • من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم وقيل هو عام مخصوص بقوله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به
لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص • فاهدوهم الى صراط الجحيم • اي عرفوهم طريقها ووجهوهم
اليها وفيه تهكم بهم • وقفوهم • احبسوهم في الموقف كان الملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا
بذلك وعلل بقوله تعالى • انهم مسئولون • ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب
في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله عز
وجل • ما لكم لا تناصرون • بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا و
تأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية
فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام • بل هم اليوم مستسلمون •
منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم
غير منتصر • واقبل • حينئذ • بعضهم على بعض • هم الاتباع والرؤساء والكفرة والقرناء • يتساءلون •
يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال • قالوا • استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
من حكاية تساؤلهم كانه قيل كيف يتساءلون فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكل للقرناء • انكم كنتم تأتوننا • في الدنيا
عن اليمين • عن اقوى الوجوه وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار
من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما ولذلك يسمى يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة
والقهر فتقسروننا على الغي وهو الاوفق للجواب او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق • قالوا • استيناف
كما سبق اي قال الرؤساء او القرناء • بل لم تكونوا مؤمنين • اي لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم

عنه

عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه • وما كان لنا عليكم من سلطان • من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم
بل كنتم قوما طاغين • مختارين للطغيان مصرين عليه • فحق علينا • اي لزمنا وثبت علينا • قول ربنا •
وهو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين • انا لذائقون • اي العذاب الذي ورد به الوعيد
• فاغويناكم • فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد • انا كنا غاوين •
فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية • فانهم • اي الاتباع والمتبوعين
يومئذ في العذاب مشتركون • حسبما كانوا مشتركين في الغواية • انا كذلك • اي مثل ذلك الفعل البديع الذي
تقتضيه الحكمة التشريعية • نفعل بالمجرمين • المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى
• انهم كانوا اذا قيل لهم • بطريق الدعوة والتلقين • لا اله الا الله يستكبرون • عن القبول • ويقولون ائنا
لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون • بل جاء بالحق وصدق المرسلين • رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من
التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته
الرفيعة • انكم • بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول والاستكبار • لذائقوا العذاب الاليم • والالتفات
لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب
على الاصل • وما تجزون الا ما كنتم تعملون • اي الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه منها • الا عباد
الله المخلصين • استثناء منقطع من ضمير الذائقون وما بينهما اعتراض جيء به مسارعة الى تحقيق الحق ببيان
ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى ان الكفرة
لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة مما لا وجه له اصلا ولا مساغ لجعله
استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فان ليس في حيز الاحتمال ان يعني انكم لذائقوا العذاب
الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك فقوله تعالى • اولئك • اشارة اليهم للايذان بانهم ممتازون
بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادته تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما
فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى • لهم
اما خبر له وقوله تعالى • رزق • مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار او مبتدا ولهم خبر مقدم والجملة خبر
لاولئك والجملة الكبرى استيناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر الاستثناء
المنقطع على انه متأول بالمبتدا وقوله تعالى • معلوم • اي معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة
ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقوله تعالى • فواكه •
اما بدل من رزق او خبر مبتدا مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه
اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج
الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها • وهم مكرمون • عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان
وذلك اعظم المثوبات واليقها باولي الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن
ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون بالتشديد • في جنات النعيم • اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال

من المتكلمين في مكرمون او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى • متقابلين • حال من المستكن فيه اى في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم
اما استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس انسهم او حال من الضمير في متقابلين او في احد الى ربهم وقد
جوز كونه صفة لمكرمون • بكأس • باناء فيه خمر او خمر فان الكاس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال وكأس
شربت على لذة واخرى تداويت منها بها • من معين • متعلق بمضمر هو صفة لكأس اى كائنة من شراب
معين او من نهر معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف
به الخمر وهو للماء لانها تجري في الجنة في انهار كما تجري الماء قال تعالى • وانهار من خمر • بيضاء لذة للشاربين صفتان
ايضا لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة كأنها نفس اللذة او لانها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل كطب
ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية الحدثان يريد النوم • لا فيها غول • اى غائلة كما
في خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول • ولا هم عنها ينزفون • يسكرون من نزف الشارب فهو
نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله افرده بالنفي مع اندراجه فيما
قبله من نفي الغول عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص
او صداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد
عقله او شرابه وقرئ ينزفون بضم الزاء من نزف ينزف بضم الزاء فيهما • وعندهم قاصرات الطرف • قصرن
ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفهن الى غيرهم • عين • نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين • كأنهن بيض
مكنون • شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك
احسن الوان الابدان • فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون • معطوف على يطاف اى يشربون فيتحادثون على
الشراب كما هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام • فيقبل بعضهم على بعض
يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة
على تحقق الوقوع حتما • قال قائل منهم • في تضاعيف محاوراتهم • اني كان لي • في الدنيا • قرين • مصاحب • يقول على
طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث • ائنك لمن المصدقين • اى بالبعث وقرئ بتشديد
الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى • ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون • اى لمبعوثون
ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان
رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى
في الاخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا
فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد انكار الجزاء المبني على انكار البعث • قال • اى ذلك
القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا • هل انتم مطلعون • اى الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك
بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار
لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان في الجنة كوى ينظر منها اهلها الى النار • فاطلع • اى عليهم فرآه
اى قرينه • في سواء الجحيم • اى في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع

بالتخفيف

بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى واحد والمعنى بل انتم مطلعون الى القرين
فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه
لما شرط في اطلاعه اطلاعهم مما هو من ادب الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة عليهم
السلام وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والامرونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع لما بينهما من الاخوة • قال • اى القائل مخاطبا لقرينه • تالله
ان كدت لتردين • اى لتهلكني بالاغواء وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من ان وضمير الشأن الذي
هو اسمها محذوف واللام فارقة اى تالله ان الشأن كدت لتردين • ولولا نعمة ربي • بالهداية والعصمة • لكنت
من المحضرين • اى من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك • وقوله تعالى • افما نحن بميتين • رجوع
الى محاورة جلسائه بعد تمام الكلام مع قرينه مبتهجا وابتهاجا بما اتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم
المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اى انحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين اى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين • الا موتتنا الاولى • التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في النفي
بعد الاحياء سؤال ما له تقصد تعالى بقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة لا يعلمون
انهم لا يموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح فنودي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود
فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها • وما نحن بمعذبين • كالكفار فان النجاة
من العذاب ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها • ان هذا • اى الامر العظيم
الذي نحن فيه • لهو الفوز العظيم • وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لهم وتصديقا لقوله وقرئ لهو الرزق
العظيم وهو ما رزقوه من السعادة • لمثل هذا فليعمل العاملون • اى لنيل هذا المرام الجليل يجب ان
يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الالام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من
كلام رب العزة • اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم • اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء
فانتصابه على التمييز اى اذلك الرزق المعلوم الذي حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التي
حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى
ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم
شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت به الشجرة الموصوفة
• انا جعلناها فتنة للظالمين • محنة وعذابا لهم في الاخرة وابتلاء في الدنيا فانهم لما سمعوا انها في النار قالوا كيف
يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر
في النار وحفظه من الاحراق • انها شجرة تخرج في اصل الجحيم • منبتها في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
وقرئ نابتة في اصل الجحيم • طلعها • اى حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له
في الشكل او الطلوع من الشجر قالوا اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر • كأنه رؤس
الشياطين • في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين

الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى ثمره
رءوس الشياطين • فانهم لآكلون منها • اى من الشجرة او من طلعها فالتانيث مكتسب من المضاف اليه
فمالئون منها البطون • لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب • ثم ان لهم
عليها • على الشجرة التى ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه
كلمة ثم ويجوز ان يكون لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة • لشوبا من حميم • لشرابا من غساق او صديد
مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمى به • ثم ان مرجعهم
اى مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم • الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها
وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن
مقارهم ومنازلهم فى الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلوا منها الى ان يتملأوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون
الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم • انهم ألفوا آباءهم ضالين • تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب
بتقليد الآباء فى الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شئ يتمسك به اصلا اى وجدوهم ضالين فى نفس الامر
ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل • فهم على آثارهم يهرعون • من غير ان يتدبروا انهم على
الحق اولا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تامل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون
حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة • ولقد ضل قبلهم • اى قبل قومك قريش
اكثر الاولين • من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى • ولقد ارسلنا فيهم منذرين
اى انبياء اولى عدد كثير وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير
القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين • فانظر كيف كان عاقبة المنذرين • من الهول و
الفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما للرسول صلعم او لكل احد ممن يتمكن من
مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا قطعا استثنى عنهم المخلصون بقوله
تعالى • الا عباد الله المخلصين • اى الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ
المخلصين بكسر اللام اى الذين اخلصوا دينهم لله تعالى • ولقد نادانا نوح • نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل
ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه
بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس وبيان حسن
عاقبة بعضهم الذين اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عم ووجه تقديم قصة
نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما فى قوله تعالى • فلنعم المجيبون • اى
وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا و
نفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة
والكبرياء • ونجيناه واهله من الكرب العظيم • اى الغرق وقيل من اذية قومه • وجعلنا ذريته هم الباقين •
فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات

كل من كان معه فى السفينة غير ابنائه وازواجهم او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة
الناس كلهم من ذرية نوح عم وكان له ثلثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم و
حام ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج • وتركنا عليه فى الآخرين • من
الامم • سلام على نوح فى العالمين • اى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها
والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا معنى
قلنا وقوله تعالى • فى العالمين • متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها ابدا
فى العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقرئ • انا كذلك نجزى المحسنين • تعليل لما فعل به عم من التكرمة السنية
من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة
المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما ذكر من
الكرامات السنية التى وقعت جزاء له عم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد
منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها اى مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى فى الاحسان لا جزاء ادنى
منه وقوله تعالى • انه من عبادنا المؤمنين • تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه الدلالة
على جلالة قدرهما ما لا يخفى • ثم اغرقنا الآخرين • اى المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين • وان من
شيعته • اى ممن شايعه فى اصول الدين • لابراهيم • وان اختلفت فروع شرائعهما ويجوز ان يكون بين
شرعيهما اتفاق كلى او اكثرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب فى دين
الله ومصابرة المكذبين وكان بينهما من الانبياء هود وصالح عم وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة
واربعون سنة • اذ جاء ربه • منصوب باذكر او متعلق بما فى الشيعة من معنى المتابعة • بقلب سليم
من آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له كانه
جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل • اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون • بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم
اى اى شئ تعبدون • أئفكا آلهة دون الله تريدون • اى اتريدون آلهة من دون الله افكا اى للافك
فقدم المفعول على الفعل للعناية به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا
مفعولا به بمعنى اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة بدل دون الله دلالة على انها افك فى نفسها للمبالغة
او يريدونها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين • فما ظنكم برب العالمين • اى بمن هو حقيق
بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اى شئ هو من
الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الاشراك
فنظر نظرة فى النجوم • قيل كانت له عم حمى لها نوبة معينة فى بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فاذا
هى قد حضرت • فقال انى سقيم • وكان صادقا فى ذلك فجعله عذرا فى تخلفه عن عيدهم وقيل اراد انى سقيم
القلب لكفركم وقيل نظر فى علمها او فى كتبها او احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عم ايهامهم حين
ارادوا ان يخرجوه الى معبدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فاوهمهم انه قد استدل بامارة فى علم النجوم

على أنه سقيم أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى فراغ إلى آلهتهم
أي ذهب إليها في خفية وأصله الميل بحيلة فقال للأصنام استهزاء ألا تأكلون أي من الطعام الذي كانوا
يصنعونه عندها لتبرك عليه ما لكم لا تنطقون أي بجوابي فراغ عليهم فمال مستعلياً عليهم وقوله ضرباً باليمين
مصدر مؤكد لراغ عليهم فإنه بمعنى ضربهم أو لفعل مضمر هو حال من فاعله أي فراغ عليهم ضرباً أي ضارباً بشدة وقوة
وذلك لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما وقوة الآلة تستدعي قوة الفعل وشدته وقيل باليمين أي بالقوة والمتانة لقوله
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين أي بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لأنه يقوي الكلام ويؤكده
وقيل بسبب الحلف وهو قوله وتالله لأكيدن أصنامكم فأقبلوا إليه أي المأمورون بإحضاره عنهم بعدما رجعوا عن
عيدهم إلى بيت الأصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا أنه عليه السلام فعله فقيل فأتوا به يزفون حال
من فاعل أقبلوا أي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يُزفون من أزف إذا دخل في الزفيف ومن أزفه أي حمله على
الزفيف ويزفون من وزف يزف إذا أسرع ويزفون من زفاه إذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضاً لتسارعهم إليه
عليه السلام قال أي بعدما أتوا به وجرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى أأنت
فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم إلى قوله تعالى لقد علمت ما هؤلاء ينطقون أتعبدون ما تنحتون من الأصنام
والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للإنكار والتوبيخ أي والحال أنه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه
فإن جواهر أصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وإن كان بفعلهم لكنه بإقداره تعالى إياهم عليه وخلقه ما يتوقف
عليه فعلهم من الدواعي والعدد والأسباب وما تعملونه عبارة عن الأصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون
للإيذان بأن مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر أعمالهم أيضاً من التصوير
والتحلية والتزيين ونحوها وأما على عمومه فينتظم الأصنام انتظاماً أولياً مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع ما
يعملونه كائناً ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية أي عملكم على أنه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فإن فعلهم إذا كان بخلق
الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم أي في النار الشديدة الاتقاد
من الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض من المضاف إليه أي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة
الأنبياء فأرادوا به كيداً فإنه عليه السلام لما قهرهم بالحجة وألقمهم الحجر قصدوا أن يكيدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم
الأسفلين الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيراً على علو شأنه عليه السلام بجعل النار عليه برداً وسلاماً وقال
إني ذاهب إلى ربي أي مهاجر إلى حيث أمرني ربي كما قال إني مهاجر إلى ربي وهو الشام أو إلى حيث أتجرد فيه لعبادته
تعالى سيهدين أي إلى ما فيه صلاح ديني أو إلى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد أو لفرط توكله
أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل
ولذلك أتى بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين أي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في
الغربة يعني الولد لأن لفظ الهبة على الإطلاق خاص به وإن كان قد ورد مقيداً بالأخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا
أخاه هارون نبياً ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم فإنه صريح في أن المبشر به عين ما استوهبه عليه السلام ولقد جمع فيه بشارات
ثلاث بشارة أنه غلام وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليماً وأي حلم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه أبوه الذبح

فقال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الأنبياء عليهم بأقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده
غير إبراهيم وابنه فإنه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد تعدل بينة بذلك والفاء في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي
فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلاً على شهادة الحال وإيذاناً بعدم الحاجة إلى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد
البشارة كما مر في قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وفي قوله تعالى فلما رآه مستقراً عنده أي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة
أن يسعى معه في أشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبئ عنه السعي لا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدمه
ولا ببلغ لأن بلوغهما لم يكن معاً كأنه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لأن الأب أكمل في الرفق والاستصلاح
فلا يستسعيه قبل أوانه أو لأنه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال أي إبراهيم
عليه السلام يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك أي أرى هذه الصورة بعينها أو ما هذه عبارته وتأويله وقيل
إنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روّى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن
الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثمة سمي يوم عرفة
ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل إن الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال
إذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قال أوف بنذرك والأظهر الأشهر أن المخاطب إسماعيل عليه السلام لأنه الذي وهب له
عقيب المهاجرة ولأن البشارة بإسحاق بعده معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين
فأحدهما إسماعيل عليه السلام والآخر أبوه عبد الله فإن عبد المطلب نذر أن يذبح ولداً إن سهل الله تعالى له حفر بئر زمزم أو بلغ
بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الإبل ولذلك سنت الدية مائة ولأن ذلك كان بمكة وكان
قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في أيام ابن الزبير ولم يكن إسحاق ثمة ولأن بشارة إسحاق مقرونة بولادة
يعقوب منه فلا يناسبه الأمر بذبحه مراهقاً وما روي أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي النسب أشرف فقال يوسف
صديق الله ابن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله والزوائد من الراوي وما روي من أن
يعقوب كتب إلى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ إني بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأي وإنما شاوره
فيه وهو أمر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه إن جزع ويأمن عليه إن سلم وليوطن نفسه عليه
فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تُري بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنياً للمفعول
قال يا أبت افعل ما تؤمر أي ما تؤمر به فحذف الجار أولاً على القاعدة المطردة ثم حذف العائد إلى الموصول بعد انقلابه منصوباً
بإيصاله إلى الفعل أو حذفا دفعة أو افعل أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول وتسمية المأمور به أمراً وقرئ ما تؤمر به وصيغة
المضارع للدلالة على أن الأمر متعلق به متوجه إليه مستمر إلى حين الامتثال به ستجدني إن شاء الله من الصابرين
على الذبح أو على قضاء الله فلما أسلما أي استسلما لأمر الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لأمر الله وأسلم واستسلم
بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعاً وأصلها من قولك سلم هذا لفلان إذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم
لأمر الله وأسلم له منقولان ومعناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى
وعن قتادة رضي في أسلما أسلم إبراهيم ابنه وإسماعيل نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض وهو أحد
جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه بإشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة

من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم • وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا • بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع السكين
على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان
ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء
بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى
غير ذلك • انا كذلك نجزي المحسنين • تعليل لفرج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع
المأمور به فانه عم كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل • ان هذا لهو البلاء المبين • الابتلاء البين
الذي يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء اصعب منها • وفديناه بذبح • بما يذبح بدله
فيتم به الفعل • عظيم • اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي من نسله سيد المرسلين
قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رضي الله عنه انه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى
في الجنة حتى فدي به اسمعيل عم وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب من ابراهيم عم عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقي سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده
وروي انه لما ذبحه قال جبرائيل عم الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد
فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابراهيم عم وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطي له والآمر به على التجوز في
الفداء او الاسناد • وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم • قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح عم •
كذلك نجزي المحسنين • ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم الى آخر ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم
تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا • انه من عبادنا المؤمنين • الراسخين في الايمان على وجه الايقان والاطمينان
• وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين • اي مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا
حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق
الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي بان يوجد
اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين كانوا مقدرين
خلودهم وقت الدخول واسحق عم لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق
جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال
والتكميل بالفعل على الاطلاق • وباركنا عليه • على ابراهيم في اولاده • وعلى اسحق • بان اخرجنا من صلبه انبياء بني
اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا • ومن
ذريتهما محسن • في عمله او نفسه بالايمان والطاعة • وظالم لنفسه • بالكفر والمعاصي • مبين • ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على
ان النسب لا اثر له في الهداية والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب • ولقد مننا على
موسى وهرون • اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية • ونجيناهما وقومهما •
وهم بنو اسرائيل • من الكرب العظيم • هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بانواع التعسف والعذاب كما في قوله تعالى

واذ انجيناكم

واذ انجيناكم من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة • ونصرناهم •
اي اياهما وقومهما على عدوهم • فكانوا • بسبب ذلك • هم الغالبين • عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما
في اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب فهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود
مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر الذي
يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه بان
ان كل مرتبة من هذه المراتب نعمة جليلة على حيالها • وآتيناهما • بعد ذلك • الكتاب المستبين • اي
البليغ في البيان والتفصيل وهو التوراة • وهديناهما • بذلك • الصراط المستقيم • الموصل الى الحق والصواب بما فيه
من تفاصيل الشرائع وتفاريع الاحكام • وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون • اي ابقينا فيما بين الامم
الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل • انا كذلك • الجزاء الكامل • نجزي المحسنين • الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا
عنه • انهما من عبادنا المؤمنين • سبق بيانه • وان الياس لمن المرسلين • هو الياس بن ياسين من سبط هرون
اخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ الياسين وقرئ الياس بحذف
الهمزة • اذ قال لقومه الا تتقون • اي عذاب الله • اتدعون بعلا • اتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم
صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه
فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة
والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول • وتذرون احسن
الخالقين • اي وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى • الله ربكم ورب آبائكم
الاولين • بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته
تعالى لآبائهم لتأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم ايضا • فكذبوه فانهم • بسبب
تكذيبهم ذلك • لمحضرون • اي العذاب وانما اطلق اكتفاء بالقرائن على ان الاحضار المطلق مخصوص
بالشر عرفا • الا عباد الله المخلصين • استثناء من ضمير محضرون • وتركنا عليه في الآخرين •
سلام على الياسين • هو لغة في الياس كسيناء في سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه
كالمهلبين والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالخمع اللبين وقرئ باضافة آل الى ياسين
لانهما في المصحف منفصلان فيكون ياسين ابا الياس • انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين
• وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه • اي اذكر وقت تنجيتنا اياه • واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين • اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين • ثم دمرنا الآخرين • فان ذلك
شواهد على جلية امره وكونه من جملة المرسلين • وانكم • يا اهل مكة • لتمرون عليهم • على منازلهم
في متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام • مصبحين • داخلين
في الصباح • وبالليل • اي ومساء او نهارا وليلا ولعله وقعت سدوم منزلا يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد له مساء • افلا تعقلون • اتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا ان يصيبكم

وان يونس لمن المرسلين • وقرئ بكسر النون • اذ ابق • اى هرب واصله الهرب من
السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه • الى الفلك المشحون • اى المملوء • فساهم
فقارع اهله • فكان من المدحضين • فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روى انه لما وعد
قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد ابق فاقترعوا فخرجت
القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء • فالتقمه الحوت • فابتلعه من اللقمة • وهو مليم • داخل في الملامة
او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب • فلولا انه كان من المسبحين
الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين
وقيل من المصلين وقد روى انه كان كثير الصلوة في الرخاء • للبث في بطنه الى يوم يبعثون • حيا وقيل ميتا
وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء • فنبذناه • و
بان حملنا الحوت على لفظه • بالعراء • بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة
رافعا راسه يتنفس فيه يونس عم ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فاسلموا
وروى ان الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل
سبعة وقيل ثلثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه روى انه حين ابتلعه اوحى الله
الى الحوت انى جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما • وهو سقيم • مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد
• وانبتنا عليه • اى فوقه مظلة عليه • شجرة من يقطين • وهو كل ما ينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ
والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثرون على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا
يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلعم انك لتحب القرع قال اجل هى شجرة اخى يونس وقيل هى التين وقيل الموز
تغطى بورقه واستظل باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها
• وارسلناه الى مائة الف • هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به الارسال السابق اخبر اولا بانه
من المرسلين على الاطلاق ثم اخبر بانه قد ارسل الى امة جمة وكان التوسيط توسيط تذكير وقع به عليه السلام
ليتذكر سببه وما جرى بينه وبين قومه من انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله
وتعليقهم ايمانهم بظهور اماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذى سيحكى بعد لم يكن عقيب
الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتى وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس
بظاهر • او يزيدون • اى فى مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة
وقرئ بالواو • فآمنوا • اى بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا • فمتعناهم • اى بالحيوة الدنيا • الى
حين • قدرناه لهم سبحانه قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين
ارباب الشرائع الكبر واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة • فاستفتهم
امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلعم بتبكيت قريش وابطال مذهبهم فى انكار البعث بطريق الاستفتاء
وساق البراهين الناطقة بتحقيقه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم

عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه
الاجمال ثم اورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا فى كل قصة منها انهم من عباده تعالى واصفا لهم
تارة بالاخلاص واخرى بالايمان ثم امره صلى الله عليه وسلم ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن
العقول بالكلية وهى القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس
العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله تعالى والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون
اولئك الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان
مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم
المنطوى على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه فى سلك
التبكيت لمشاركتهم النصارى فى ذلك اى فاستخبرهم • الربك البنات • اللاتى هن اوضع الجنسين
ولهم البنون • الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شئ من العقل وقوله تعالى • ام خلقنا
الملائكة اناثا • اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا اى بل اخلقنا
الملائكة الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطبائع اناثا والانوثة من اخس
صفات الحيوان وقوله تعالى • وهم شاهدون • استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى اشهدوا خلقهم وقوله
تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم الا بالمشاهدة
اذ لا سبيل الى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد ان يكون القائل بانوثتهم شاهدا
عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اى بل خلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون حينئذ او عطف على خلقنا
اى بل اهم شاهدون وقوله تعالى • الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله • استئناف من جهته تعالى غير داخل
تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال اصل مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح
من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا • وانهم لكاذبون • فى قولهم ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله
على انه خبر مبتدأ محذوف اى الملائكة ولده تعالى عن ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث • اصطفى البنات على البنين • انكار لاصطفائه تعالى وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه
لامر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشئ لنفسه وقرئ
بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتعد القول
اى الكاذبون فى قولهم اصطفى الى آخره تعسف بعيد • ما لكم كيف تحكمون • بهذا الحكم الذى يقضى ببطلانه بديهة
العقل • افلا تذكرون • بحذف احدى التائين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر
اى اتلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فانه مركوز فى عقل كل ذكى وغبى • ام لكم سلطان مبين • اضراب وانتقال
من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر الى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود اصلا اى بل الكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء
بان الملائكة بناته تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسى او عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلى •
فأتوا بكتابكم • الناطق بصحة دعواكم • ان كنتم صادقين • فيها وفى هذه الآيات من الانباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع

لافادتهم الا الاستبعاد الشديد لابطالهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزائهم وتعجيب من جهلهم
ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى • وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا • التفات الى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب
وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد
ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم وحكي
جنا بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم مع انهم فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة
التي اضافوها اليهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله واعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى • ولقد علمت الجنة انهم
لمحضرون • اي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون
النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي هؤلاء لهم تلك
النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما مؤكدا وقيل ان قوما
من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه
وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول عندي اقرب الاقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن
وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات
الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه
الاقاويل يجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو
كانوا مناسبين له تعالى او شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله • سبحان الله عما يصفون •
حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى • الا عباد الله
المخلصين • شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبريهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين
على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون لقولهم ذلك
وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى • فانكم وما تعبدون
ما انتم عليه بفاتنين • تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين عما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب
لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبريهم عنهم
وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن او ما فيه وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين
يقال فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى
بافساد عباده واضلالهم • الا من هو صال الجحيم • منهم اي داخلها لعلمه تعالى بانه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير
من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لاجرم برآء من ان يفتتنوا بكم و
يسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء
الساكنين وقوله تعالى • وما منا الا له مقام معلوم • تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعدما ذكر من تكذيب
الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وقماءتهم اي وما منا احد الا له
مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع ان يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا

لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضي الله عنهما ما في السموات
موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وروي انه قال عليه السلام اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها
موضع اربع اصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة • وانا لنحن
الصافون • في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة • وانا لنحن المسبحون • المقدسون لله تعالى عن كل ما لا يليق بجناب
كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل
وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه اخر فتأمل والله الموفق • وان كانوا ليقولون • ان هي المخففة من الثقيلة
وضميرها محذوف واللام هي الفارقة اي ان الشأن كانت قريش تقول • لو ان عندنا ذكرا من الاولين • اي كتابا من
كتب الاولين من التوراة والانجيل • لكنا عباد الله المخلصين • اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا
وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء في قوله تعالى • فكفروا به • فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا
اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجاءهم ذكر واي ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به
• فسوف يعلمون • اي عاقبة كفرهم وغائلته • ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين • استئناف مقرر للوعيد وتصديره
بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى • انهم لهم المنصورون
وان جندنا • اي وعمم لهم • لهم الغالبون • على اعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان
قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها
كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ كلماتنا • فتول عنهم • فاعرض عنهم واصبر • حتى حين • اي مدة يسيرة
وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح • وابصرهم • على اسوأ حال وافظع نكال حل بهم من
القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه • فسوف يبصرون • قالوا متى هذا
فنزل • فاذا نزل بساحتهم • اي فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم فشن
عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلعم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده
الى الجار والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول اي نزل العذاب • فساء صباح المنذرين • فبئس صباح
المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت
منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روي ان رسول الله صلعم لما اتى خيبر قال انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين • وتول عنهم حتى حين • وابصر فسوف يبصرون • تسلية لرسول الله صلعم اثر
تسلية وتأكيد لما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عليه السلام حينئذ من فنون
المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب
الآخرة • سبحان ربك رب العزة عما يصفون • تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق
بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود على
موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله صلعم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية عن التربية والتكميل و[illegible]

مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام أولاً وإلى العزة ثانياً كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الإطلاق عما يصفه المشركون به من الأشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى ﴿وسلام على المرسلين﴾ تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وإيذان بأنهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ إشارة إلى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وإيذان باستتباعها للأفعال الجميلة التي من جملتها إفاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية وإسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى وإشعار بأن ما وعده عز وعلا من النصرة والغلبة قد تحقق والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الإشعار بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلعم من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جن وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين الحمد لله على التمام

سورة ص مكية وهي ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ص﴾ بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا بإضمار اذكر أو اقرأ لا فتحا كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صادا بالتنوين على أنه اسم الكتاب والتنزيل وقيل هو في قراءة الكسر أمر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الأجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه وتخلق بأخلاقه ثم إن جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي أو الرمز إلى كلام مثل صدق الله أو صدق محمد كما نقل عن الكلبي السلف أو اسما للسورة خبرا لمبتدأ محذوف أو نصبا على إضمار اذكر أو اقرأ أو أمرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ للقسم وإن جعل مقسما به فهي للعطف عليه فإن أريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وإن أريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وأيا ما كان ففي المقسم به مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في أمر الدين من الشرائع والأحكام وغيرها من أقاصيص الأنبياء عليهم السلام وأخبار الأمم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الأول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبئ عنه التحدي والأمر والإقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا وكون المقسم حقيقا بالإعظام أي أقسم بالقرآن أو بصاد أنه لمعجز أو لواجب العمل به أو لحقيق بالإعظام وأما على الوجهين الأخيرين فهو الكلام المرموز إليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فإن التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبيه على عظم خطره أي أنه لصادق

والقرآن ذي الذكر أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن إلى آخره على طريقة قولهم هذا حاتم والله وأياما كان فكل واحد من هذه الأجوبة منبئ عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية كما ينبئ عنه قوله تعالى ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾ إضرابا عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم إذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الإضرابية أي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا إلى آخره وقرئ في غرة أي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الإيمان ودواعيه ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا أهلكنا من القرون الخالية ﴿فنادوا﴾ عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ﴿ولات حين مناص﴾ حال من ضمير نادوا أي نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال أن ليس الحين حين مناص أي فوت ونجاة من ناصه أي فاته لا من ناص بمعنى تأخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الأحيان ولم يبرز إلا أحد معموليها والأكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب على أنه اسمها أي ولا حين مناص لهم أو بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الأول اسمها والخبر محذوف أي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر أي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا أن لات حين بقاء إما لأن لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر في نحو قوله لولاك هذا العام لم أحجج أو لأن أوان شبه بإذ في قوله نهيتك عن طلابك أم عمرو بعافية وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن أصله أوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف إليه من مناص إذ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لإضافته إلى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير وتقف الكوفيون عليها بالهاء كالأسماء والبصرية بالتاء كالأفعال وقيل إن التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الإمام ولا وجه له فإن خط المصحف خارج عن القياس ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ حكاية لأباطيلهم المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم أي عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك أمرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الإنكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه ﴿وقال الكافرون﴾ وضع فيه الظاهر موضع المضمر غضبا عليهم وإيذانا بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه إلا المتوغلون في الكفر والفسوق ﴿هذا ساحر﴾ فيما يظهره من الخوارق ﴿كذاب﴾ فيما يسنده إلى الله تعالى من الإرسال والإنزال ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾ بأن نفى الألوهية عنهم وقصرها على واحد ﴿إن هذا لشيء عجاب﴾ بليغ في العجب وذلك لأنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فإن مدار كل ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة فلا وجه له لأنهم لا يدعون أن لآلهتهم علما وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الأشياء حتى يلزم من نفي ألوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجّاب بالتشديد

وهو أبلغ ككرام وكرام وروي أنه لما أسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم
فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن
أخيك فاستحضر رسول الله صلعم فقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلعم
ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال صلعم أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطي
أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا
ذلك • وانطلق الملأ منهم • أي وانطلق الأشراف من قريش عن مجلس أبي طالب بعدما بكتهم رسول الله صلعم
بالجواب وشاهدوا تصلبه عم في الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط
أبي طالب من المصالحة على الوجه المذكور • أن امشوا • أي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا و
اصبروا على آلهتكم • أي واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وأن هي المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس
التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها
ومنها الماشية أي اجتمعوا وأكثروا وقرئ امشوا بغير أن على إضمار القول وقرئ يمشون أن اصبروا • إن
هذا لشيء يراد • تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به أي هذا الذي شاهدناه من محمد صلعم من أمر التوحيد
ونفي آلهتنا وإبطال أمرها لشيء يراد أي من جهته عم إمضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف
يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله
عن رأيه بواسطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم أن لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا
ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل إن هذا الأمر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد
له ولا ينفع فيه إلا الصبر وقيل إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل إن دينكم
لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل إن هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة
والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريده كل أحد فتأمل في هذه الأقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل
• ما سمعنا بهذا • الذي يقوله • في الملة الآخرة • أي في الملة النصرانية التي هي آخر الملل فإنهم مثلثة أو في
الملة التي أدركنا عليها آباءنا ويجوز أن يكون الجار والمجرور حالا من هذا أي ما سمعنا بهذا من أهل الكتاب
ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك أقبح كذب فإن حديث البعثة والتوحيد كان أشهر الأمور
قبل الظهور • إن هذا • أي ما هذا • إلا اختلاق • أي كذب اختلقه • أأنزل عليه الذكر • أي القرآن • من بيننا •
ونحن رؤساء الناس وأشرافهم فمقصودهم لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم إنكار كونه
ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن
مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي • بل هم في شك من ذكري • أي من القرآن أو الوحي
لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن النظر في الأدلة المؤدية إلى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما يبتونه فهم مذبذبون بين
الأوهام ينسبونه تارة إلى السحر وأخرى إلى الاختلاق • بل لما يذوقوا العذاب • أي بل لم يذوقوا بعد عذابي
فإذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم

العذاب

العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه • أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب •
بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا
فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء
من عباده المصطفين لا مانع له فإنه العزيز أي الغالب الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفي
إضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره عم من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى
• أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما • ترشيح لما سبق أي بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية
حتى يتكلموا في الأمور الربانية ويتحكموا في التدابير الإلهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى
• فليرتقوا في الأسباب • جواب شرط محذوف أي إن كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج
التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي إلى من يختارون ويستصوبون
وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه والسبب في الأصل هو الوصلة وقيل المراد بالأسباب السموات لأنها أسباب
الحوادث السفلية وقيل أبوابها • جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب • أي هم جند ما من الكفار المتحزبين على
الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو أكلت
شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك
القول العظيم وقوله تعالى • كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد • إلخ استئناف
مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم
من العقاب وذو الأوتاد معناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده فاستعير لثبات
الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الأمر قال الأسود بن يعفر • ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة • في ظل ملك
ثابت الأوتاد • أو ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار
وكان يمد يدي المعذب ورجليه إليها ويضرب عليها أوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد
في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه • وثمود وقوم لوط
وأصحاب الأيكة • أصحاب الغيضة من قوم شعيب عم وقوله تعالى • أولئك الأحزاب • إما بدل من الطوائف
المذكورة كما أن ذلك الكتاب بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم
منهم وقوله تعالى • إن كل إلا كذب الرسل • استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه أي ما كل
أحد من آحاد أولئك الأحزاب أو ما كل حزب منهم إلا كذب الرسل لأن تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق
الكل على الحق وقيل ما كل حزب إلا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وأيا ما كان فالاستثناء مفرغ من
أعم العام في خبر المبتدأ أي ما كل أحد منهم محكوما عليه بحكم إلا محكوما عليه بأنه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم
مخبرا عنه بخبر إلا مخبرا عنه بأنه كذب الرسل وفي إسناد التكذيب إلى الطوائف المذكورة على وجه الإبهام
أولا والإيذان بأن كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية
ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى

فحق عقاب • اي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها
ولما منذ ... وهو ... ان كل الا كذب الرسل جزء بحذف العائد اي ان كل منهم الى اخره والجملة استئناف
مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر
وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب
فقدبر واما ما قيل من انه خبر والمبتدأ قوله قوم نوح وعاد الى قوم لوط الى اخره فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل
عن امثاله • وما ينظر هؤلاء • شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اضرابهم من الاحزاب الذين
اخبر فيما سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفي
الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهويل لامرهم واما جعله اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر
او حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور
في حق من لم يترتب على اعماله نتائجها بعد وبعدما بين هلاك الاحزاب واستئصالهم بالمرة لم يبق مما اريد
بيانه من عقوباتهم امر منتظر وانما الذين في مرصد الانتظار كفار مكة حيث تاخر عقابهم الى الاخرة
وان لم يكن الجزاء الكبير المؤخر لهم لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب او اشد منه ولما يلاقوا بعد شيئا
من غوائلها اي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب • الا
صيحة واحدة • هي النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بل ما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها
جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث اخرت
عقوبتهم الى الاخرة لما ان تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي صلعم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية
المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى
فمما لا وجه له اصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود
واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم • ما لها من فواق • اي من توقف
مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان • وقالوا ربنا عجل لنا قطنا
قبل يوم الحساب • حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم الى الاخرة اي قالوا بطريق الاستهزاء
والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبداه الصيحة المذكورة و
القط القطعة من القط اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا
صحيفة اعمالنا ننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلعم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل
الهزء عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كانهم يدعون ذلك بكمال
الرغبة والابتهال • اصبر على ما يقولون • من امثال هذه المقالات الباطلة • واذكر لهم عبدنا
داود • اي قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤوا عليه من المعاصي
فانه عم مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما الم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة
بالتمثيل والتعريض حتى تفطن • فاستغفر ربه واناب • ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب ونوحه

الدائم

الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاراذل من كل ذليل المرتكبين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصي او تذكر قصته
وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة • ذا الايد
اي ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد وآد بمعنى واياد كل شيء ما يتقوى به • انه اواب • رجاع الى مرضاة
الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه عم كان يصوم يوما ويفطر يوما وينام
نصف الليل • انا سخرنا الجبال • استيناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة
بالتسخير وايثارها على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عم والاقتداء به في عبادة الله
تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو اوفق بالنسبة الى ما في سورة الانبياء • يسبحن • اي يقدسن الله عز وجل
بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من
الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استيناف مبين لكيفية التسخير • بالعشي و
الاشراق • اي وقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها
فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هاني رضي الله عنها انه عليه السلام صلى صلوة الضحى وقال
هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس رضي ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية • والطير • عطف على الجبال
• محشورة • حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضي كان اذا سبح
جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية
• كل له اواب • استيناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل
تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع
الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة
التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح
• وشددنا ملكه • قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه
اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على اخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل المدعى
عليه فتاخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم ياخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت
ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في
القلوب • واتيناه الحكمة • النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام
وافق الحق فهو حكمة • وفصل الخطاب • اي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذي ينبه
المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار
والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلوة وقيل هو
الخطاب الفصل الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة لا نزر ولا هذر • وهل
اتاك نبا الخصم • استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما في حيزه للايذان بانه من الانباء البديعة التي
حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصماء

فزعان . اذ تسوروا المحراب . اى تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه
وتذراه علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد
داود عم وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا
بأتى لان اتيانه الرسول صلعم لم يكن حينئذ وقوله تع . اذ دخلوا على داود . بدل مما قبله او ظرف لتسوروا
ففزع منهم . روى انه تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبرئيل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان
يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين
يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة
والقضاء قال ابن عباس رضي الله عنه ان داود عم جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة
نفسه ويوما للوعظ والتذكير . قالوا . استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عم كانه قيل
فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم فزعه عم فقيل قالوا ازالة لفزعه . لا تخف خصمان . اى نحن فوجان
متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما . بغى بعضنا على بعض . هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه . فاحكم
بيننا بالحق ولا تشطط . اى لا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط
وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق . واهدنا الى سواء الصراط . اى وسط طريق الحق
بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل . ان هذا اخي . استئناف لبيان ما فيه الخصومة
اى اخي في الدين او في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعله صاحبه . له تسع وتسعون نعجة ولي
نعجة واحدة . هي الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع و
تسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء . فقال اكفلنيها . اى ملكنيها وحقيقته
اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اى نصيبي . وعزني في الخطاب . اى غلبني في مخاطبته اياي
محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة فغلبني حيث تزوجها دوني وقرئ وعازني اى
غالبني وعزني بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه . جواب قسم محذوف قصد به عم المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع ان له قطيعا
منها ولعله عم قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناء على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى
مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم . وان كثيرا من الخلطاء . اى الشركاء الذين خلطوا
اموالهم . ليبغي . ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة . بعضهم على
بعض . غير مراع لحق الصحبة والشركة . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان
وقليل ما هم . اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض . وظن داود انما
فتناه . الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة اى علم بما جرى في مجلس الحكومة
وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء حيال وجهه فعلم عم انه تعالى ابتلاه وليس المعنى
على تخصيص الفتنة به عم دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر هو الاستقبال

تسور اذا علا سنامه
تذرا اى علا ذروته
تسوروا المحراب
تصعدوا سوره

الشايع

الشايع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك انما
ضربت زيدا وانما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله عم بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره
من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق
الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق مدلول
للفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي
ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى
وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها
وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تأثيرا
في قلبه وادعى الى التنبه للخطا مع ما فيه من مراعاة حرمته عم بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيى من التصريح و
تصويره بصورة التحاكم لالجائه عم الى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عم على ان اوريا بصدد الخصام
فاستغفر ربه . اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب . وخر راكعا . اى ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او
خر للسجود راكعا اى مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار . واناب . اى رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود عم
رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان
عليهما السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضا
ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك
من غير نكير خلا انه عم لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد
امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه
ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عم فآثره اهلها فكان ذنبه عم ان
خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عم دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو
كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت
في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب
بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان
يرجع حتى يفتح الله على يده او يستشهد ففتح الله على يده وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم
يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه
ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء
صلوات الله عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عم فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما
فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عم غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به واناب
فغفرنا له ذلك . اى ما استغفر عنه روي انه عم بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة
او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى

في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له اشيا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع
اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه • وان له عندنا لزلفى • لقربة وكرامة بعد المغفرة • وحسن مآب
حسن مرجع في الجنة • يا داود انا جعلناك خليفة في الارض • اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز و
جل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا داود انا استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق
وفيه دليل بين على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط • فاحكم بين الناس بالحق • بحكم الله تعالى فان الخلافة
بكلا معنييه مقتضية له حتما • ولا تتبع الهوى • اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا • فيضلك عن سبيل الله
بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين اي فيكون الهوى او اتباعه
سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى • ان الذين يضلون عن
سبيل الله • تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان
بكمال شناعة الضلال عنه • لهم عذاب شديد • جملة من خبر ومبتدا او وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب
مرتفع على الفاعلية لاعتماده على المسند اليه والاستقرار • بما نسوا • بسبب نسيانهم وقوله تعالى • يوم الحساب • اما مفعول
لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته بما يستتبعه
ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هو فرد من افراده او ظرف لقوله
تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله
فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعور به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر قال بسبب نسيانهم
وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر • وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
باطلا • كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام
البديع الذي تحار في فهمه العقول خلقا باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين و
الحكم البالغة حيث خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات
العلمية والعملية في استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وانفسية ومنحناها القدرة
على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها
كل دقيق وجليل وازحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالها
• ذلك • اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا • ظن الذين كفروا • اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث و
الجزاء الذين عليهما يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون
علوا كبيرا • فويل للذين كفروا • مبتدا وخبر والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل على ظنهم الباطل كما ان وضع الموصول
موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى
• من النار • تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم
صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي اليها من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم • ام

نجعل

نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض • ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي
عن تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة
من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه وآكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في
اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين حينئذ في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة اوفر
حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى اعلى عليين ورد الآخرين الى اسفل سافلين
وقوله تعالى • ام نجعل المتقين كالفجار • اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر بلزوم المحال الذي هو التسوية بين الفريقين
المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة المنهمكين
ويجوز ان يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما ادخل في انكار التسوية
من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت • كتاب • خبر مبتدا
محذوف هو عبارة عن القرآن او السورة وقوله تعالى • انزلناه اليك • صفته وقوله تعالى • مبارك • خبر ثان للمبتدا
او صفة لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير
المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى • ليدبروا آياته • متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه
الآيات المعربة عن اسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا
على الاصل ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التاءين • وليتذكر اولوا الالباب • اي وليتعظ به
ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب
الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه • ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى • انه
اواب • اي رجاع الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح ومن حاله انه المخصوص بالمدح وقوله تعالى
• اذ عرض عليه • ظرف لاواب على ان المراد انه رجع اليه تعالى مطلقا او منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه • بالعشي • هو من الظهر
الى آخر النهار • الصافنات • فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين
لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات
المحمودة في الخيل لا يكاد يتفق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم
• الجياد • جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون و
الجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها
واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق ونصيبين واصاب
الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما بعدما صلى
الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له
من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها مقربا لله تعالى وبقي مائة فما في ايدي الناس من
الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله تعالى خيرا منها وهي الريح تجري بامره • فقال اني احببت حب الخير

عن ذكر ربي • فانه عم عند غروب الشمس اعترافاً بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلوة وندماً عليه وتمهيداً لما يعقبه من الامر
بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب
لا لتحقيق مضمون الخبر واصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي تعديته وحب الخير
مفعول كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او وضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عم ويحتمل انه سماها
خيراً لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقرئ اني • حتى توارت بالحجاب • متعلق
بقوله تعالى احببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض اي انبت حب الخير عن ذكر
ربي واستمر ذلك حتى توارت اي غربت الشمس تشبيهاً لغروبها في مغربها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر
لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه • ردوها علي • من
مقالة سليمان عم ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه من لم ينتبه لسر ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر
آخر كأن سائلاً قال فماذا قال سليمان عم فقيل قال ردوها فاعادها وقوله تعالى • فطفق مسحاً • فصيحة مفصحة
عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذاناً بسرعة الامتثال بالامر فردوها عليه فاخذ يمسح السيف
مسحاً • بالسوق والاعناق • اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب
عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حباً لها واعجاباً بها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق على همز
الواو لضمتها كما في ادؤر وقرئ بالسؤق تنزيلاً لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد
عن الجمع لامن الالتباس • ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسداً ثم اناب • اظهر ما قيل في فتنته
عليه السلام ما روي مرفوعاً انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله
تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسي بيده لو قال
ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً اجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك
فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه ميتاً فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وجل
وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنتاً له تسمى جرادة من احسن الناس فاصطفاها لنفسه
واسلمت واحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعاً على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها و
تروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبر آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة
ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائباً الى الله تعالى متضرعاً وكانت له ام ولد يقال لها امينة
اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوماً فتمثل لها بصورته شيطان
اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان
عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف
واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين
فمكث على ذلك اربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار
اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجداً وعاد اليه

ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا
فالجسد عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عم عن حال
اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظوراً حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره • قال • بدل من اناب
وتفسير له • رب اغفر لي • اي ما صدر عني من الزلة • وهب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي • لا يتسهل له ولا يكون
ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فانه عم لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معاً استدعى من ربه معجزة
جامعة لحكمهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان
ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل
كان ملكاً عظيماً فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب
لمزيد اهتمامه بامر الدين جرياً على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ
من بعدي بفتح الياء • انك انت الوهاب • تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معاً لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضاً من
احكام وصف الوهابية قطعاً • فسخرنا له الريح • اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عم
الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح • تجري بامره • بيان لتسخيرها له • رخاء • اي لينة من الرخاوة
لا تزعزع وقيل طيبة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد • حيث اصاب • اي حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب
الصواب فاخطأ الجواب • والشياطين • عطف على الريح • كل بناء وغواص • بدل من الشياطين • و
آخرين مقرنين في الاصفاد • عطف على كل بناء وغواص داخل في حكم البدل كأنه عم فصل الشياطين الى عملة استعملهم
في الاعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر
والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها وهم يقدرون على الاعمال الصعبة وقد
جوز ان يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء
لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد
[illegible] • هذا • الى اخره اما حكاية لما خوطب به سليمان عم مبينة لعظم شأن ما اوتي من الملك وانه مفوض
اليه تفويضاً كلياً واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عم
اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناكه من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك •
عطاؤنا • الخاص بك • فامنن او امسك • فاعط من شئت وامنع من شئت • بغير حساب • حال من المستكن
في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اي هذا عطاؤنا
ملتبساً بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين
والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد • وان له عندنا لزلفى • في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا
• وحسن مآب • هو الجنة قيل فتن سليمان عم بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة
وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عم ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن
سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عم

الى مرو ثم بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما
ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها
ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على
اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب عليه السلام
هو ابن عيص بن اسحق عليهما السلام اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف له اني بأني
مسني الشيطان بفتح الياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها بنصب اي بتعب وقرئ بفتح النون وبضمتين
وبضمتين للتثقيل وعذاب اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد
بالضر في قوله اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه مسه الى آخره والاسناد الى
الشيطان اما لانه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه
او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فتكون اعترافا بالذنب او مراعاة للادب
او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على
الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر
الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفي ههنا عن ذكره بما في
سورة الانبياء كما ترك ههنا ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى اركض برجلك الى
آخره اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر يقتضيه الكلام كانه قيل فضربها فنبعت
عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة
للشرب وبابا ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ووهبنا له اهله معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه
القول المقدر كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم
بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن رح او بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد
ضعف ما كان له قبل رحمة منا اي لرحمة عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب وتذكيرا لهم بذلك ليصبروا
على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة و
خذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الى آخره والاول اقرب
لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افراثيم ابن يوسف
وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عم ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها
مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس
قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع
الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية في الحنث بعبث بالعرف و
لكل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا
فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب

الشفاء

الشفاء على انه قال في ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى قومه انه
لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به واراد القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه الا
القلب واللسان ويروى انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري
ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف
الله عنه نعم العبد اي ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم
واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له
وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني واسحق ويعقوب عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع
موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة
والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها
اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة
والتأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولو الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على
جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم و
العمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشأن كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى
ذكرى الدار بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكير للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب
تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما يأتون ويذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه
ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة
من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى
ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراهم بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم
فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان
الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم
في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت واذكر اسمعيل
فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع وهو
ابن اخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على
يسع كما في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع
دخل عليه حرف التعريف وقيل هو علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل
هو ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من بني اسرائيل من
القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة وكل اي كلهم من
الاخيار المشهورين بالخيرية هذا اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر
اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء

الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس رضي هذا ذكر من مضى من الانبياء ● وقوله تعالى ● وان للمتقين لحسن مآب ●
شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب اخر من ابواب التنزيل والمراد
بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي
هي الغاية القاصية من الكمال ● جنات عدن ● عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا
فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى ●
مفتحة لهم الابواب ● حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة
باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها اما ضمير مقدر كما هو راي البصريين اي الابواب منها او الالف
واللام القائمة مقامه كما هو راي الكوفيين اذ الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما
خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة ● متكئين فيها ● حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى
يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب ● استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير
متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل
بدل المتحلل ولا تحلل ثمة ● وعندهم قاصرات الطرف ● اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم ● اتراب ●
لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه
يمسهم في وقت واحد ● هذا ما توعدون ليوم الحساب ● اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء و
قرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان والتكريم ● ان هذا ● اي ما ذكر من الوان
النعم والكرامات ● لرزقنا ● اعطيناكموه ● ما له من نفاد ● انقطاع ابدا ● هذا ● اي الامر هذا وهذا كما ذكر و
هذا ذكر وقوله تعالى ● وان للطاغين لشر مآب ● شروع في بيان اضداد الفريق السابق ● جهنم ● اعرابه
كما سلف ● يصلونها ● اي يدخلونها حال من جهنم ● فبئس المهاد ● وهو المهد والمفترش مستعار من فراش
النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ● هذا فليذوقوه ● اي ليذوقوا هذا
فليذوقوه كقوله تعالى فاياي فارهبون او العذاب هذا فليذوقوه او هذا مبتدأ خبره ● حميم وغساق ● وما
بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من
غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة
في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت منه قطرة في المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق
عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين ● واخر من شكله ● اي ومذوق اخر او عذاب اخر من
مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ واخر اي ومذوقات او انواع عذاب
اخر وتوحيد ضمير شكله بتاويل ما ذكر او الشراب الشامل للحميم والغساق او هو راجع الى الغساق
● ازواج ● اي اجناس وهو خبر لاخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والمجرور
محذوف مثل لهم ● هذا فوج مقتحم معكم ● حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار
واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام

توسط

توسط شدة مخيفة وقوله تعالى ● لا مرحبا بهم ● من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج
او حال منه اي مقول او مقولا في حقهم لا مرحبا بهم اي لا اتوا مرحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا ● انهم صالوا النار ●
تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤساء
في اتباعهم عند خطاب الخزنة باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام
الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع ● قالوا ● عند سماعهم ما قيل في حقهم وجه خطابهم للرؤساء في قولهم
● بل انتم لا مرحبا بكم ● الى اخره على الوجه الاخير ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خاطبوهم مع ان الظاهر
ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الى اخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم بالمخاصمة
مع الرؤساء والتحاكم الى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم او تضعيف عذاب خصمائهم اي بل انتم
احق بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى ● انتم قدمتموه ● تعليل لاحقيتهم بذلك اي انتم قدمتم العذاب او الصلي لنا
او قدمتموه لنا بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في اعيننا واغرائنا عليها
لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا ● فبئس القرار ● اي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم
● قالوا ● اي الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا اي قالوا معرضين عن
خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ● ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار ● كقولهم ربنا هؤلاء اضلونا
فآتهم عذابا ضعفا من النار اي عذابا مضاعفا اي ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله
ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعي ● وقالوا ● اي الطاغون ● ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الاشرار ● يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم ● اتخذناهم
سخريا ● بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الاعراب قالوه انكارا على
انفسهم وتاسفا لها في الاستسخار منهم ● ام زاغت عنهم الابصار ● متصل باتخذناهم على ان ام متصلة
والمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم
على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها او على انها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت
عنهم ابصارنا كقولك ازيد عندك ام عمرو على معنى توبيخ انفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ
على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت متصل بقوله ما لنا
لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار اليسوا فيها فلذلك لا نراهم ام زاغت عنهم ابصارنا وهم فيها وقد جوز ان تكون
مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين ● ان ذلك ● اي الذي حكي من احوالهم ● لحق ● لا بد من وقوعه البتة
وقوله تعالى ● تخاصم اهل النار ● خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير
له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه
صفة له فقد قيل عليه ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل
● قل ● امر لرسول الله صلعم ان يقول للمشركين ● انما انا منذر ● من جهته تعالى انذركم عذابه ● وما من اله
في الوجود ● الا الله الواحد ● الذي لا يقبل الشركة والكثرة اصلا ● القهار ● لكل شيء سواه ● رب السموات

والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها العزيز الذي لا يغلب في امر من اموره الغفار
المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما
لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه قل
تكرير الامر للايذان بان المقول امر جليل الشان خطير لا بد من الاعتناء به امرا وايتمارا هو اي ما انبأتكم به من اني
منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القرآن وما ذكر داخل فيه
دخولا اوليا كما يشهد به اخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة رحمهم الله نبأ عظيم وارد من جهته
تعالى وقوله تعالى انتم عنه معرضون استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون
عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلي عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملأ الاعلى
الى اخره استئناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة
به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر انبائه
ايضا كذلك والملأ الاعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون متعلق بمحذوف
يستدعيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ
الاعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من
الاقوال فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملائكة عليهم السلام واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي
فلا بد من اعتبار العموم في نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين
اجمال اختصامهم وتفصيله لتقرير ثبوت علمه عليه السلام وتعيين سببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئا عن ثبوته
الآن ومن البين عدم ملابسته عليه السلام بشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك امرا
مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخباره بما هو داع الى الوحي ومصحح
له وهو انما انا منذر في ضمن تخصيص علمه عليه السلام بقصة الملأ الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى
الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الي حال الملأ الاعلى او ما يوحى الي ما يوحى من الامور الغيبية التي من
جملتها حالهم الا لاني انما انا نذير مبين من جهته تعالى فان كون النبي عليه السلام كذلك من دواعي الوحي اليه وموجباته
حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو لاني انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى ما يوحى
الي الانذار او ما يوحى الي الا ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك قيل فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه
قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يرى عدم مساعدة النظم الكريم وسياقه وكيف
لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله الموفق وقرئ
انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى اذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما اجمل من الاختصام الذي هو ما جرى
بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من
اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه فان القصة
ناطقة بذلك تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف والايذان بان وحي

هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه السلام والكاف وارد باعتبار حال الآمر لكونه ادل على كونه وحيا منزلا
من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى اخره دون حال المأمور والا لقيل ربي
لانه داخل في حيز الامر اني خالق اي فيما سيأتي وفيما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه
تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة
بلا صوف ولا شعر وقيل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته
به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لاوصافه من التغير
والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع اخر فاذا سويته اي صورته بالصورة الانسانية والخلقة
البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الروح الى تجويف جسم
صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة
القابلة لها اي فاذا اكملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من امري فقعوا له
امر من وقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا له ساجدين اي تحية له وتكريما
فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يبق منهم الا
احد الا سجد اجمعون اي بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة
هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا وقيل اكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا وانه ان سجودهم
هذا هل ترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الحجر فان ظاهرهما
يستدعي ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية
ونفخ الروح او على الامر التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة
فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استثناء متصل
لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد
منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم او منقطع وقوله تعالى استكبر على الاول استئناف
مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فان تركه يحتمل ان يكون للتأمل والتروي وبه يتحقق انه للاباء
والاستكبار وعلى الثاني يجوز اتصاله بما قبله اي لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين
اي وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم في علم الله عز وجل قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء
بخلقه عليه السلام المستدعي لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار
وطرح همزة الوصل اي اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل
استكبرت الآن ام لم تزل منذ كنت من المتكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله
تعالى قال انا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم لمنعه على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل
للمفضول كما يعرب عنه قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون وقوله

قوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين • تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه السلام ولقد
اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ
عنه قوله لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله ونفخت فيه من روحي وما من جهة
الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه
امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره • قال فاخرج منها • الفاء لترتيب الامر على ما
ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اي فاخرج من الجنة او من زمرة الملائكة
وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد
وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التي انت فيها وانسلخ منها فانه
كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعدما كان ابيض وقبح بعدما كان حسنا واظلم بعدما كان
نورانيا • فانك رجيم • تعليل للامر بالخروج اي مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد
يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب • وان عليك لعنتي • اي ابعادي عن الرحمة وتقييدها بالاضافة
مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم
يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة • الى يوم الدين • اي يوم الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان
اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي انموذج مما سيلقاه مستمر الى ذلك اليوم
لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ من الوان العذاب
وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل الا يرى الى قوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله
على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضهم بعضا • قال رب فانظرني • اي امهلني واخرني والفاء متعلقة
بمحذوف ينسحب عليه الكلام اي اذا جعلتني رجيما فامهلني ولا تمتني • الى يوم يبعثون • اي آدم وذريته
للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت بالكلية اذ لا
موت بعد يوم البعث • قال فانك من المنظرين • ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما
سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم
ازلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به
يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدين اي انك من جملة الذين
اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين • الى يوم الوقت المعلوم • الذي قدره الله تعالى وعينه
لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول فالفاء ليست لربط نفس الانظار
بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قول من قال • فان ترحم فانت لذاك اهل • فانه لا امكان
لجعل الفاء فيه لربط ما بعدها بما قبلها من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار بتلك
الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار
والانظار تعويلا على ذكرهما ههنا وفي سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان

يكون

يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا
دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى
الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز وما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة
البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله تعالى
وتوفيقه • قال فبعزتك • الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى
فبما اغويتني وقوله رب بما اغويتني فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام
قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر
اي فاقسم بعزتك • لاغوينهم اجمعين • اي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم • الا عبادك منهم المخلصين
وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ المخلصين على صيغة الفاعل اي الذين
اخلصوا قلوبهم او اعمالهم لله تعالى • قال • اي الله عز وجل • فالحق والحق اقول • برفع الاول على انه
مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على انه مفعول لما بعده وقدم عليه للقصر اي لا اقول
الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فالحق قسمي • لاملأن جهنم • على ان الحق اما اسمه
تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به او فانا الحق او فقولي الحق وقوله تعالى لاملأن الخ
حينئذ جواب لقسم محذوف اي والله لاملأن الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر
على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعني فقولي الحق وقرئا
منصوبين على ان الاول مقسم به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين
على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه
نقيض الباطل • منك • اي من جنسك من الشياطين • وممن تبعك منهم • من ذرية آدم • اجمعين
تأكيد للكاف وما عطف عليه اي لاملأنها من المتبوعين والاتباع اجمعين لا اترك منهم احدا
لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من
الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان لا يصح ان مدار عدم المشيئة في
قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة لابليس بل سوء اختيارهم لا تحقق القول
فليس في ذلك بيان لكيفية الجبر فتدبر • قل ما اسألكم عليه • على القرآن او على تبليغ ما يوحى الي • من اجر • دنيوي
• وما انا من المتكلفين • اي المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القرآن • ان هو
الا ذكر • من الله عز وجل • للعالمين • للثقلين كافة • ولتعلمن نبأه • اي ما انبأ به من الوعد
والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق • بعد حين • بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام
وفشوه وقيل من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه السلام عشر حسنات
وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير وقال ابو امامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير او كبير والله تعالى اعلم

سورة الزمر مكية إلا قوله قل يا عبادي الآية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس وسبعون أو اثنتان وسبعون آية

تنزيل الكتاب • خبر لمبتدأ محذوف هو اسم الإشارة إلى السورة تنزيلاً لها منزلة الحاضر المشار إليه
لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مراراً وقيل هو ضمير عائد إلى الذكر في قوله تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين وقوله تعالى
• من الله العزيز الحكيم • صلة للتنزيل أو خبر ثان أو حال من التنزيل عاملها معنى الإشارة أو من الكتاب الذي هو مفعول
معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الأول أوفق بمقتضى المقام الذي هو بيان أن
السورة أو القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره
كما يفيده الوجه الأخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ أو الزم والتعرض
لوصفي العزة والحكمة للإيذان بظهور أثريهما في الكتاب بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير
مدافع ولا ممانع وبابتناء جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى • إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق •
شروع في بيان شأن المنزل إليه وما يجب عليه إثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله والمراد بالكتاب هو القرآن و
إظهاره على تقدير كونه هو المراد بالأول أيضاً لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء إما متعلقة بالإنزال أي بسبب الحق
وإثباته وإظهاره أو بداعية الحق واقتضائه للإنزال وإما بمحذوف هو حال من نون العظمة أو من الكتاب أي أنزلناه إليك
محقين في ذلك أو أنزلناه ملتبساً بالحق والصواب أي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتماً والفاء في قوله تعالى
• فاعبد الله مخلصاً له الدين • لترتيب الأمر بالعبادة على إنزال الكتاب إليه عليه السلام بالحق أي فاعبده تعالى ممحضاً له الدين من شوائب
الشرك والرياء حسبما بين في تضاعيف ما أنزل إليك وقرئ برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد
الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلاً للأمر بإخلاص العبادة وقوله تعالى • ألا لله الدين الخالص •
استئناف مقرر لما قبله من الأمر بإخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الأخيرة مؤكد لاختصاص
الدين به تعالى أي ألا هو الذي يجب أن يخص بإخلاص الطاعة له لأنه المتفرد بصفات الألوهية التي من جملتها الاطلاع
على السرائر والضمائر وقوله تعالى • والذين اتخذوا من دونه أولياء • إلى آخره تحقيق لحقية ما ذكر من إخلاص الدين
الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك إخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة بإن والأولياء عبارة عن الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام والأصنام وقوله تعالى
• ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى • حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية إشراكهم وعدم خلوص دينهم و
الاستثناء مفرغ من أعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له في المعنى أي والذين لم يخلصوا
العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الأشياء إلا ليقربونا إلى الله تعالى تقريباً • إن الله يحكم • أي
وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله
على أحد الوجهين أي بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالماً • أبو حجر إلا ليال قلائل • أي
بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعاً • فيما هم فيه يختلفون • من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والإشراك وادعى
كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك إدخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه
مساق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد إليه وإضمار المشركين من غير ذكر تعويلاً

على دلالة المساق عليه ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله تعالى إن
الله يحكم بينهم أي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبمعزل عما
يليق بشأن التنزيل كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافاً
محوجاً إلى الحكم والفصل وإنما ذلك بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي إلى يوم القيامة وقرئ
قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل إذ ليس في الإخبار بذلك مزيد مزية وقرئ نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما
خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعاً للباء • إن الله لا يهدي • أي لا يوفق للاهتداء إلى الحق الذي هو طريق النجاة
عن المكروه والفوز بالمطلوب • من هو كاذب كفار • أي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب
وكذوب فإنهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الأصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي
والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى • لو أراد الله أن يتخذ ولداً • إلخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وإبطال القول بأن
الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الإطلاق ليندرج فيه
استحالة ما قيل اندراجاً أولياً أي لو أراد الله أن يتخذ ولداً • لاصطفى • أي لاتخذ • مما يخلق • أي من جملة ما يخلقه
• ما يشاء • أن يتخذه إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه إليه
ومن البين أن اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخِذ والمتخَذ وأن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولداً فما فرضناه
اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد وإليه أشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية
تنبيهاً على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل فرض إرادة وقوعه انتفاءه أي لو أراد الله تعالى أن يتخذ
ولداً لفعل شيئاً ليس هو من اتخاذ الولد في شيء أصلاً بل إنما هو اصطفاء عبد ولا ريب في أن ما يستلزم فرض وقوعه
انتفاءه فهو ممتنع قطعاً فكأنه قيل لو أراد الله أن يتخذ ولداً لامتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقق الإرادة
بل على أنه متحقق عند عدمها بطريق الأولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى • سبحانه • تقرير
لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتأكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه أي تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على أن
السبحان مصدر من سبح إذا بعد أو أسبحه تسبيحاً لائقاً به على أنه علم للتسبيح مقول على ألسنة العباد وسبحوه تسبيحاً
حقيقاً بشأنه وقوله تعالى • هو الله الواحد القهار • استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات إثر بيان تنزهه تعالى
عنه بحسب الذات فإن صفة الألوهية المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية
الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الإطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوه قضاءً
متقناً وكذا وصف القهارية لما أن اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه
عند فنائه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الأشياء الفانية ما يقوم مقامه
وقوله تعالى • خلق السموات والأرض بالحق • تفصيل لبعض أفعاله تعالى الدالة على تفرده تعالى بما ذكر من الصفات
الجليلة أي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى • يكور
الليل على النهار ويكور النهار على الليل • بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فإن حدوث الليل والنهار في الأرض
منوط بتحريك السموات أي يغشي كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف

باللف او بجعله كأنه يلف عليه كرّاً متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد • وسخر الشمس
والقمر • جعلهما منقادين لامره تعالى وقوله تعالى • كل يجري لاجل مسمى • بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى
دورته او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة • الا هو العزيز • الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب
العصاة • الغفار • البالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير الجملة
بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها • خلقكم من نفس واحدة • بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك
عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي والبداية بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه
من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام
وقوله تعالى • ثم جعل منها زوجها • اما عطف على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم
لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما
الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية
واجلب للتعجب من السامع فعطفت على الاولى بثم دلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها
آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه ثلاث آيات مترتبة
خلق آدم بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وقوله تعالى • وانزل
لكم • بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من
السماء كالامطار واشعة الكواكب • من الانعام ثمانية ازواج • ذكرا وانثى هي الابل والبقر والضأن والمعز
وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرف على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما
اخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة الى ما انزل لا محالة وقوله • يخلقكم
في بطون امهاتكم • استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة
المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى • خلقا من بعد خلق • مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد
خلق اي مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة
من بعد نطفة • في ظلمات ثلاث • متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب والبطن
والرحم • ذلكم • اشارة اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة
والكبرياء وهو مبتدأ اي ذلكم العظيم الشأن الذي عددت افعاله • الله • وقوله تعالى • ربكم • خبر آخر اي
مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به • له الملك • على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة
في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى • لا اله الا هو • والفاء في قوله تعالى • فانى تصرفون • لترتيب ما
بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها
ان تكفروا • به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر • فان الله غني عنكم • اي
فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما • ولا يرضى لعباده الكفر • اي عدم رضاه بكفر عباده
لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة لا لتضرره تعالى به • وان تشكروا يرضه لكم • اي يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه

بسبب فوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم
عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء • ولا تزر وازرة وزر اخرى • بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره
اصلا اي لا تحمل نفس آثمة للوزر حمل نفس اخرى • ثم الى ربكم مرجعكم • بالبعث بعد الموت • فينبئكم • عند ذلك
بما كنتم تعملون • اي كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اي يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا • انه عليم بذات
الصدور • اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة • واذا مس الانسان ضر • من
مرض وغيره • دعا ربه منيبا اليه • راجعا اليه مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة
على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار • ثم اذا خوله نعمة
منه • اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد اي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل
مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله يخول اي يختال ويفتخر •
نسي ما كان يدعو اليه • اي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه • من قبل • اي من قبل التخويل
او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما بمعنى من كما في قوله وما خلق الذكر والانثى وقوله
تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا من ان يعرفه من هو
كما مر في قوله تعالى عما ارضعت • وجعل لله اندادا • شركاء في العبادة • ليضل الناس • بذلك عن سبيله
الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متأخر عن الجعل
المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة
لان الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال وضلال واما آل فرعون فهم
غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا • قل • تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله • تمتع بكفرك قليلا • اي
تمتعا قليلا او زمانا قليلا • انك من اصحاب النار • اي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع
وفيه من الافراط في التهديد ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر
بتركه لتذوق عقوبته • امن هو قانت آناء الليل • الى آخره من تمام الكلام المأمور به وام اما متصلة قد
حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل أانت احسن حالا ومآلا ام من هو قائم
بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر
فقط كدأبك حال كونه • ساجدا وقائما • اي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه
ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر • يحذر الآخرة • حال اخرى على الترادف او
التداخل او استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله
يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة • ويرجو رحمة ربه • فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط
واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من
التباين البين كانه قيل بل أمن هو قانت الى آخره افضل ام من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل

بيانًا بالحق وتنبيهًا على شرف العلم والعمل • هل يستوي الذين يعلمون • حقايق الاحوال فيعملون بموجب علمهم
كالقانت المذكور • والذين لا يعلمون • اي ما ذكر واشباه فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام
للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى معارج الخير وكون الاخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى
على احد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اي كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون
والعاصون وقوله تعالى • انما يتذكر اولوا الالباب • كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من
جهته تعالى بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم
كما في قول من قال عوجوا لمي فحيوا النعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار اي انما يتعظ بهذه البيانات
الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام •
قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم • امر رسول الله صلعم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة
اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما سيجيء اي قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم
باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأنهم لان المأمور به نقل عين امر الله تعالى ادخل في ايجاب الامتثال
وقوله تعالى • للذين احسنوا • تعليل للامر او لوجوب الامتثال وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى
للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى • في هذه الدنيا •
متعلق باحسنوا اي عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول
الله صلعم حين سئل عن الاحسان بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك • حسنة •
اي حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هي متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها
في الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية • وارض الله واسعة • فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان
في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا
وقوله تعالى • انما يوفى الصابرون • الى اخره ترغيب في التقوى المأمور به واشعار الصابرين على تعب للايذان
بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة
حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها اي انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا
على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقها لما اعتراهم في ذلك من فنون الالام والبلايا التي من جملتها هجر
الاهل ومفارقة الاوطان • اجرهم • بمقابلة ما كابدوا من الصبر • بغير حساب • اي بحيث لا يحصى ولا يحصر عن
ابن عباس رضي الله عنه لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا يعرف وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة
والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في
الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل • قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له
الدين • اي من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلعم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص

في عبادة

في عبادة الله تعالى الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا
لما يعقبه مما خوطب به المشركون • وامرت لان اكون اول المسلمين • اي وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم
في الدنيا والاخرة لان احراز قصب السبق في الاخلاص وهو العطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار
بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة
كما في اردت لان اقوم ويدل عليه قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم
من اهل زماني او من قومي او لان اكون اول من دعا غيره الى ما دعا اليه نفسه • قل اني اخاف ان عصيت ربي • بترك
الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك • عذاب يوم عظيم • هو يوم القيمة وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي
والاهوال • قل الله اعبد • لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا • مخلصا له ديني • من كل شوب امر عليه السلام
اولا ببيان كونه مامورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان
ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم
بقوله تعالى • فاعبدوا ما شئتم • ان تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم
لم ينتهوا عما نهوا عنه امروا به كي يحل بهم العقاب • قل ان الخاسرين • اي الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن
اضاعة ما يهمه واتلاف ما لا بد منه • الذين خسروا انفسهم واهليهم • باختيارهم الكفر لهما اي اضاعوهما واتلفوهما
• يوم القيمة • حين يدخلون النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا
اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم
ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وقيل
خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وايا ما
كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان انهم هم لا جعل الموصول عبارة عنهم او عما يعمهم
المندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى • الا ذلك هو الخسران المبين • من الاستئناف وتصدير الجملة
بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد منزلته اي الخسران في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين
من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى • لهم من فوقهم ظلل من النار •
الى اخره نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف وقيل هو حال
من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف لتقدمه ومن النار صفة لظلل اي لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة
بعضها فوق بعض كائنة من النار • ومن تحتهم • ايضا • ظلل • اي اطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للاخرين
بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها • ذلك • العذاب الفظيع هو الذي • يخوف الله به عباده • ويحذرهم اياه بآيات
الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه • يا عباد فاتقون • ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية
على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي • والذين اجتنبوا الطاغوت • اي البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت
منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد به الشيطان
• ان يعبدوها • بدل اشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الامر بها والمزين لها • وانابوا

الى الله • واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا • لهم البشرى • بالثواب على السنة الرسل او
الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك • فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه •
هم الموصوفون بالاجتناب والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا بالاضافة ودلالة
على ان اتصافهم بالوصفين الجليلين لكونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل
فالافضل • اولئك • اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول اي اولئك المنعوتون
بالمحاسن الجميلة • الذين هداهم الله • للدين الحق • واولئك هم اولوا الالباب • اي هم اصحاب العقول السليمة
عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله
تعالى وقبول النفس لها • افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار • بيان لاحوال
اضداد المذكورين على طريقة الاجمال والتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها
كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين واصل
الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام
ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة
الواقع في النار وان اجتهاده عليه السلام في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء
محذوفا وقوله تعالى افانت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف
وتشديد الانكار وتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائهم
الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كأنه قيل اولا أفمن حق عليه العذاب فانت تخلصه
منه ثم شدد التذكير فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غير وحيث
كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك
عنهم بقوله تعالى • لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف • وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى
يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله
تعالى يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الاية وبين ان لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة
من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق بعض مبنية بناء المنازل المبنية المؤسسة
على الارض في الرصانة والاحكام تجري من تحتها • من تحت تلك الغرف • الانهار • من غير
تفاوت بين العلو والسفل • وعد الله • مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الى آخره فانه وعد اي
وعد • لا يخلف الله الميعاد • لاستحالته عليه سبحانه • الم تر ان الله انزل من السماء ماء •
استئناف وارد اما لتمثيل الحيوة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال
الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائره وكما في قوله تعالى انما مثل
الحيوة الدنيا الاية او للاستشهاد على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما

يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد
بالماء المطر وكل ماء في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع • فسلكه •
فادخله ونظمه • ينابيع في الارض • اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل ينابيع فان الينبوع
يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الخافض اي في ينابيع • ثم يخرج به زرعا مختلفا
الوانه • اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في
الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة • ثم يهيج • اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من
منابته • فتراه مصفرا • من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا • ثم يجعله حطاما • فتاتا متكسرا
كأن لم تغن بالامس ولكون هذه الحالة من الاثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج • ان
في ذلك • اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة
على ما قصد بيانه • لذكرى • لتذكيرا عظيما • لاولي الالباب • لاصحاب العقول الخالصة من شوائب
الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك ان حال الحيوة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام
كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون
بان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء الانهار من
تحت الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن عن
تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فمنقول من تفسير الاية الكريمة وانما يسوغ ذلك بما لو ذكر من الاثار الجليلة والافعال
الجميلة من غير اسناد لها الى مؤثر ما وحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان يكون متعلق التذكير
والتنبيه شئونه تعالى او شئون اثاره حسبما بين لا وجود الصانع وقوله تعالى • افمن شرح الله صدره
للاسلام • الى اخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح
الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها
النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فانه روي انه عليه السلام قال
اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والتأهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي مر في قوله تعالى افمن حق عليه
كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي
خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة
فيها • فهو • بموجب ذلك مستقر • على نور • عظيم • من ربه • وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند
مشاهدة الايات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وحرج
صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولت عليه ظلمات الغي والضلالة فاعرض عن تلك
الايات العظيمة حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها • فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله • اي من اجل
ذكره الذي حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم او اياته اشمأزوا من اجله

وازدادت قلوبهم قساوة لقوله تعالى فزادتهم رجساً وقرئ عن ذكر الله أي عن قبوله • أولئك
البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب • في ضلال • بعيد عن الحق • مبين • ظاهر كونه
ضلالاً لكل أحد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وأبي لهب وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه
وأبي جهل وذويه • الله نزل أحسن الحديث • هو القرآن الكريم روي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا
ملة فقالوا له حدثنا حديثاً وعن ابن مسعود قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى أن فيه مندوحة عن سائر
الأحاديث وفي إيقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم أحسن الحديث ورفع محله والاستشهاد
على حسنه وتأكيد إسناده إليه تعالى وأنه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على أنه وحي معجز ما لا يخفى
• كتاباً • بدل من أحسن الحديث أو حال منه سواء اكتسب من الإضافة تعريفاً أو لا فإن مساغ
مجيء الحال من النكرة المضافة مما لا نزاع فيه ووقوعه حالاً مع كونه اسماً لا صفة لاتصافه بقوله تعالى
• متشابهاً • أو لكونه في قوة مكتوباً ومعنى كونه متشابهاً تشابه معانيه في الصحة والإحكام والابتناء على الحق
والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الإعجاز
• مثاني • صفة أخرى لكتاباً أو حال أخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وأنبائه
وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لأنه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من
التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين أي كرة بعد كرة ووصف كتاباً
باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينتصب على التمييز من متشابهاً كما يقال رأيت رجلاً
حسناً شمائل أي شمائله والمعنى متشابهة مثانيه • تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم • قيل
صفة لكتاباً أو حال منه لتخصصه بالصفة والأظهر أنه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في
سامعيه بعد بيان أوصافه في نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر
الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً وتركيبه من القشع وهو الأديم اليابس قد ضم إليه الراء ليكون رباعياً
ودالاً على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره إذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه
بغتة والمراد إما بيان إفراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها
لهم بطريق التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا بالقرآن وقوارع آياته ووعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر
منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى • ثم تلين
جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله • أي ساكنة مطمئنة إلى ذكر رحمته تعالى وإنما لم يصرح بها إيذاناً بأنها أول
ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى • ذلك • أي الكتاب الذي شرح أحواله • هدى الله يهدي به من يشاء • أي
يهدي به من يشاء أن يهديه لصرف مقدوره إلى الاهتداء بتأمله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من
عند الله تعالى • ومن يضلل • أي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته إلى مباديها وإعراضه عما يرشده إلى الحق
بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده أصلاً أو ومن يخذله • فما له من هاد • يخلصه من ورطة
الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء أثر هداه الله تعالى يهدي بذلك الأثر من يشاء من عباده

ومن يضلل

ومن يضلل أي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه وإصراره على فجوره • فما له من هاد • من مؤثر فيه بشيء
بشيء قط • أفمن يتقي بوجهه • إلى آخره استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حال المهتدي والضال والكلام
في الهمزة والفاء وحذف الخبر كما مر في نظيره والتقدير أكل الناس سواء فمن شأنه أنه يتقي بنفسه بوجهه الذي هو أشرف
أعضائه • سوء العذاب • أي العذاب السيئ الشديد يوم القيامة لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف
مغلولة إلى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في أبي جهل
• وقيل للظالمين • عطف على يتقي أي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال أي
وقد قيل لهم وإيراد المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بعلة الأمر في قوله تعالى • ذوقوا ما كنتم تكسبون •
أي وبال ما كنتم تكسبون أي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي • كذب الذين من قبلهم • استئناف
مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي إثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الأخروي أي كذب
الذين من قبلهم من الأمم السالفة • فأتاهم العذاب • المعد لكل أمة منهم • من حيث لا يشعرون • من الجهة
التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم إتيان الشر منها • فأذاقهم الله الخزي • أي الذل والصغار • في الحياة الدنيا
كالمسخ والخسف والقتل والسبي والإجلاء ونحو ذلك من فنون النكال • ولعذاب الآخرة • المعد لهم • أكبر • لشدته وسرمديته
• لو كانوا يعلمون • أي لو كان من شأنهم أن يعلموا شيئاً لعلموا ذلك واعتبروا به • ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل • يحتاج إليه الناظر في أمور دينه • لعلهم يتذكرون • كي يتذكروا به ويتعظوا • قرآناً عربياً • حال مؤكدة من هذا
على أن مدار التأكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلاً صالحاً أو مدح له • غير ذي عوج • لا اختلال فيه بوجه من
الوجوه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك • لعلهم يتقون • علة أخرى مترتبة على الأولى
• ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون • إيراد للمثل من الأمثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة في ضربها هو
التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلاً لها كما مر
في سورة يس ومثلاً مفعول ثان لضرب ورجلاً مفعوله الأول أخر عن الثاني للتشويق إليه وليتصل به ما هو من
تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس صلة لشركاء كما قيل بل خبر له وبيان أنه في الأصل كذلك مما لا حاجة إليه
والجملة في حيز النصب على أنه وصف لرجلاً والوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده
على الموصوف والمعنى جعل الله تعالى مثلاً للمشرك حسبما يقود إليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته
عبداً اشترك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحيره وتوزع قلبه • ورجلاً
أي وجعل للموحد مثلاً رجلاً • سلماً • أي خالصاً • لرجل • فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلاً وقرئ سلماً بفتح
السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا أي خلص نعت بها مبالغة أو حذف منها ذو
وقرئ سالماً وسالم أي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لأنه أفطن لما يجري عليه من الضر والنفع
• هل يستويان مثلاً • إنكار واستبعاد لاستوائهما ونفي له على أبلغ وجه وآكده وإيذان بأن ذلك من الجلاء
والظهور بحيث لا يقدر أحد أن يتفوه باستوائهما أو يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما في أعلى عليين
والآخر في أسفل سافلين وهو السر في إبهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلاً على التمييز أي هل يستوي

حالا مما وصفا بهما والاقتصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى أكثر أموالا وأولادا للإشعار
باختلاف النوع أو لأن المراد هل يستويان في الوصفين على التمييز للتمثيل لأن التقدير مثل رجل فيه إلى آخره وقوله تعالى
الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على أن ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى
وإنها نعمة جليلة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وعبادته أو على أن بيانه بحيث يعرف الكل أن لهم المثل الأعلى وللمشركين
مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى بل أكثرهم لا يعلمون إضراب وانتقال من
بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في
ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة وقرئ مائت
ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلعم موته أي إنكم جميعا بصدد الموت ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم أي مالك
أموركم تختصمون فتحتج أنت عليهم بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الأحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف
هذه الآيات واجتهدت في الدعوة إلى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام
العام الجاري في الدنيا بين الأنام والأول هو الأظهر الأنسب بقوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله فإنه إلى آخره مسوق
لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شأن الكفر والإيمان لا غير أي أظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه
وتعالى بأن أضاف إليه الشريك والولد وكذب بالصدق أي بالأمر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به
النبي صلعم إذ جاءه أي في أول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل أليس في جهنم مثوى للكافرين أي لهؤلاء
الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا إلى التكذيب بالصدق من أول الأمر والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد
في الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا والذي جاء بالصدق وصدق به
الموصول عبارة عن رسول الله صلعم ومن تبعه كما أن المراد في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو
عليه السلام وقومه وقيل عن الجنس ليتناول الرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله
والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق أولئك الموصوفون
بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى التي هي أجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف
أي صدق به الناس فأداه إليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به أي بسببه لأن ما جاء به من
القرآن معجزة دالة على صدقه صلعم وقرئ وصدق على البناء للمفعول لهم ما يشاؤون عند ربهم بيان لما لهم
في الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الأعمال أي لهم كل ما يشاؤونه من جلب المنافع
ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما أن بعض ما يشاؤونه من تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر و
سائر أهوال القيامة إنما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي ذكر من حصول كل ما يشاؤونه جزاء المحسنين أي الذين
أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الإحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا إلى آخره متعلق بقوله
تعالى لهم ما يشاؤون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤون
لهم في الآخرة تفضلا وهو بعض ما ثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فإنه حيث لم يكن للإخبار بما ثبت لهم فيما مضى
بل بما ثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى وعد الله فإنه مصدر مؤكد لما قبله من

تعالى لهم غرف من فوقها غرف فإنه في معنى وعدهم الله غرفا ما تقدم به وعد الله فإنه قيل وعدهم الله جميع ما
يشاؤونه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم
أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون إعطاء لمنافعهم وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز كمال الاعتناء
بمضمون الكلام وإضافة الأسوأ والأحسن إلى ما بعدهما ليست من قبيل إضافة المفضل إلى المفضل عليه بل من
إضافة الشيء إلى بعضه للقصد إلى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وإنما المعتبر فيهما مطلق الفضل
والزيادة لا على المضاف إليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والأشج أعدلا بني مروان خلا أن الزيادة المعتبرة
فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الأول بالنظر إلى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وإن قلت واستصغار
حسناتهم وإن جلت والثاني بالنظر إلى لطف أكرم الأكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات
الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وإن أمكن في الأول بناء على أن تخصيص الأسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق
الأولوية ضرورة استلزام تكفير الأسوأ لتكفير السيء لكن مما لا يمكن ذلك في الأحسن لأن الأحسن تعظيمها في
سلك أحد من الاعتبار وجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الأول للإيذان باستمرارهم
على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة أليس الله بكاف عبده إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه و
آكده كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم في الجواب بوجودها
والمراد بعبده إما رسول الله صلعم أو الجنس المنتظم له صلعم وكذا قراءة من قرأ عباده على الإضافة ويكافي
عباده على صيغة المبالغة إما من الكفاية لأن ذلك للمبالغة فيها وإما من المكافأة فإنه بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول
الله صلعم عما قالت له قريش إنا نخاف أن تخبلك آلهتنا ويصيبك معرتها لعيبك إياها وفي رواية قالوا لتكفن عن
شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون كما قال قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله
تعالى ويخوفونك بالذين من دونه أي الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف أو
حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته وعصمته له صلعم وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلا فما له من هاد
يهديه إلى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكه إذ لا راد لفعله
ولا معارض لإرادته كما ينطق به قوله تعالى أليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع
ذي انتقام ينتقم من أعدائه لأوليائه وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتحقيق مضمون الكلام
وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله لوضوح الدليل وسنوح السبيل
قل تبكيتا لهم أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أي بعد
ما تحققتم أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فأخبروني أن آلهتكم إن أرادني الله بضر هل يكشفن
عني ذلك الضر أو أرادني برحمة أي أو إن أرادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات
ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق إرادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد
في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الأوثان ولما فيه من الإيذان بإمحاض النصيحة قل حسبي الله أي في جميع
أموري من إصابة الخير ودفع الشر روي أنه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون

لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى • قل يا قوم اعملوا على مكانتكم • على حالتكم
التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث
للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم • اني عامل • اي على مكانتي فحذف للاختصار وللمبالغة
في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه
منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى • فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه • فان خزي اعدائه دليل
غلبته عم وقد عذبهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر • ويحل عليه عذاب مقيم • اي دائم وهو عذاب النار
• انا انزلنا عليك الكتاب للناس • لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد • بالحق •
حال من فاعل انزلنا او مفعوله • فمن اهتدى • بان عمل بما فيه • فلنفسه • اي انما نفع به نفسه • ومن
ضل • بان لم يعمل بموجبه • فانما يضل عليها • لما ان وبال ضلاله مقصور عليها • وما انت عليهم بوكيل
لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ • الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها • اي يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا
وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم • فيمسك التي قضى عليها الموت • ولا يردها
الى البدن وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع الموت • ويرسل الاخرى • اي النائمة الى بدنها عند التيقظ
الى اجل مسمى • هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك
مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس
وحدها عند النوم قريب مما ذكر • ان في ذلك • اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في
الاخر • لآيات • عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته • لقوم يتفكرون • في كيفية تعلقها بالابدان
وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة
والاخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها • ام اتخذوا • اي بل اتخذ قريش
من دون الله • من دون اذنه تعالى • شفعاء • تشفع لهم عنده تعالى • قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة
لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه اي قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء
ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى وهي الانكار الوقوع وتنبيه على ان المراد ببيان ان ما
فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمعتبر حينئذ عدم
قدرا ولا وعلى اي تقدير كانت فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها اي أيشفعون لو كانوا
يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا • قل • تبكيتا لهم وتجهيلا بما ذكر تحقيقا
للحق • لله الشفاعة جميعا • اي هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا
له وكلاهما مفقودان ههنا وقوله تعالى • له ملك السموات والارض • تقرير له وتأكيد اي له ملكهما وما فيهما من المخلوقات
لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون اذنه ورضاه • ثم اليه ترجعون • يوم القيامة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا

اشتراكا

ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد • واذا ذكر الله وحده • دون آلهتهم • اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة • اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا
• واذا ذكر الذين من دونه • فرادى او مع ذكر الله تعالى • اذا هم يستبشرون • لفرط افتتانهم ونسيانهم
حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ القلب سرورا
حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت
وفي الثانية ما هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار
قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة • اي التجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة
وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها •
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون • اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب
الدنيوي او الاخروي وقوله تعالى • ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا • الى آخره كلام مستأنف مسوق
لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي صلعم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال
والذخائر • ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة • اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب
الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص • وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون • اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا
غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين • وبدا لهم سيئات ما كسبوا •
سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم • وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون • اي احاط بهم جزاؤه
فاذا مس الانسان ضر دعانا • اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس
على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره • ثم اذا خولناه نعمة منا
اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء • قال انما اوتيته على علم • اي على علم مني
بوجوه كسبه او بأني سأعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت
موصولة والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد شيئا من النعمة • بل هي فتنة • اي محنة وابتلاء له أيشكر ام يكفر وهو
رد لما قاله وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الايتاء المنبئ عن الكرامة وانما هو امر
مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير • ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان
الامر كذلك وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس • قد قالها الذين من قبلهم • الهاء لقوله انما اوتيته
على علم عندي وهم راضون به • فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون • من متاع الدنيا ويجمعون منه • فاصابهم
سيئات ما كسبوا • جزاء سيئات اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها في مقابلة سيئاتهم وجزاء
سيئة سيئة مثلها • والذين ظلموا من هؤلاء • المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم والعتو
سيصيبهم سيئات ما كسبوا • من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتأكيد وقد اصابهم اي اصابة

حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر • وما هم بمعجزين • أي فائتين • أولم يعلموا • أي أقالوا
ذلك ولم يعلموا أو غفلوا ولم يعلموا • أن الله يبسط الرزق لمن يشاء • أي يبسط له ويقدر لمن يشاء أي
يقدره له من غير أن يكون لأحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعاً ثم بسط لهم سبعاً • إن في ذلك
الذي ذكر • لآيات • دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل • لقوم يؤمنون • إذ هم المستدلون
بها على مدلولاتها • قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم • أي أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي
وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم • لا تقنطوا من رحمة الله • لا تيأسوا من مغفرته
أولاً وتفضله ثانياً • إن الله يغفر الذنوب جميعاً • عفواً لمن يشاء ظاهر في الإطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل
عليه التعليل بقوله تعالى • إنه هو الغفور الرحيم • على المبالغة وإفادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما
يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الإسراف
بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة فضلاً عن المغفرة وإطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع
الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على أنه المستغني والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع وما روي من أسباب النزول
الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل أكرم
الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلامين ولا يخل ذلك الأمر بالتوبة والإخلاص في قوله تعالى
• وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون • إذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة
لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني الأمر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب • واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم
أي القرآن أو المأمور به دون المنهي عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو أنجى
وأسلم كالإنابة والمواظبة على الطاعة • من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون • بمجيئه فتتداركوا
وتتأهبوا • أن تقول نفس • أي كراهة أن تقول والتنكير للتكثير كقوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فإنه مسلك ربما
يسلك عند إرادة التكثير والتعميم وقد حققته في مطلع سورة الحجر • يا حسرتا • بالألف بدلاً من ياء الإضافة
وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفاً وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الأصل أي احضري
فهذا أوان حضورك • على ما فرطت • أي على تفريطي وتقصيري • في جنب الله • أي جانبه وفي حقه وطاعته
وعليه قول من قال أما تتقين الله في جنب وامق به كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل
في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله • وإن كنت لمن الساخرين
أي المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحل إن كنت النصب على الحال أي فرطت وأنا ساخر • أو تقول لو أن الله هداني بالإرشاد
إلى الحق • لكنت من المتقين • من الشرك والمعاصي • أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة • رجعة إلى الدنيا
فأكون من المحسنين • في العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو عن هذه الأقوال تحسراً وتحيراً وتعللاً بما لا طائل
تحته • بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين • رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو
أن الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لأن تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لأنه يتحسر بالتفريط
ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت

وتذكير

وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث • ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله • بأن وصفوه بما لا يليق
بشأنه كاتخاذ الولد • وجوههم مسودة • مما ينالهم من الشدة أو مما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير
عن الواو على أن الرؤية بصرية أو مفعول ثان إن كانت عرفانية • أليس في جهنم مثوى للمتكبرين • أي مقام للمتكبرين
عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك • وينجي الله الذين اتقوا • الشرك والمعاصي أي من جهنم وقرئ
ينجي من الإنجاء • بمفازتهم • مصدر ميمي إما من فاز بالمطلوب أي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة
لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب أي ينجيهم الله من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله
تعالى • لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون • إما حال أخرى من الموصول أو من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم أو فوزهم
بالجنة غير مسبوقة بمس العذاب والحزن وإما من فاز منه أي نجا منه والباء للملابسة وقوله لا يمسهم إلى آخره
لتفسير وبيان لمفازتهم أي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم أي بنفي السوء والحزن عنهم أو للسببية إما على حذف
المضاف أي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به إيراده في حيز الصلة وإما على إطلاق المفازة على سببها الذي
هو التقوى وليس المراد نفي دوام المس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مراراً • الله خالق كل شيء • من خير وشر وإيمان
وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لأسبابها • وهو على كل شيء وكيل • يتولى التصرف فيها كيف يشاء وهو عبارة عن

له مقاليد السموات والأرض لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف صح

قدرته تعالى وحفظه لها وذكرها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لأن الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من
بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته إذا ألزمته وقيل جمع إقليد معرب إكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان
رضي الله عنه أنه سأل النبي عن المقاليد فقال عم تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى
على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه • والذين كفروا بآيات
الله أولئك هم الخاسرون • متصل بما قبله والمعنى أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء ومتصرف فيها كيف يشاء بالإحياء و
الإماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس والتنزيلية
التي من جملتها تلك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسراناً لا خسران وراءه هذا وقيل هو متصل بقوله وينجي
الله وما بينهما اعتراض فتدبر • قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون • أي أبعد مشاهدة هذه الآيات غير الله
أعبد وغير منصوب بأعبد لأنه بمعنى تعبدونني وتقولون لي أعبد على أن أصله تأمرونني أن أعبد فحذف أن ورفع ما بعدها كما في قوله
ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمرونني
بإظهار النونين على الأصل وبحذف الثانية • ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك • أي من الرسل عليهم السلام
لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين • كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل وإقناط الكفرة والإيذان بغاية
شناعة الإشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وإفراد الخطاب باعتبار كل
واحد واللام الأولى موطئة للقسم والأخريان للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم لأن الإشراك
منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيداً بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت
أعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب • بل الله فاعبد • رد لما أمروه ولولا دلالة التقديم على القصر

لم يكن كذلك • وكن من الشاكرين • انعامه عليك وفيه اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه • وما قدروا
الله حق قدره • ما قدروا عظمته في انفسهم حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه
الجليلة وقرئ بالتشديد • والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه • تنبيه على غاية عظمته وكمال
قدرته وحقارة الافعال العظام التي تتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء
عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة
المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب
على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية و
الغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها • سبحانه وتعالى
عما يشركون • ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء • ونفخ في الصور
يعني النفخة الاولى • فصعق من في السموات ومن في الارض • اي خر امواتا او مغشيا عليهم • الا من شاء الله
قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش • ثم نفخ فيه اخرى • نفخة اخرى هي النفخة الثانية
واخرى يحتمل النصب والرفع • فاذا هم قيام • قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر
ينظرون • وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم • واشرقت الارض
بنور ربها • بما اقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث
الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض او بنور خلقه فيها بلا توسط اجسام مضيئة
ولذلك اضيف الى الاسم الجليل • ووضع الكتاب • الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه
او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف • وجيء بالنبيين و
الشهداء • للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون • وقضي بينهم • بين العباد • بالحق وهم لا يظلمون
بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد • ووفيت كل نفس ما عملت • اي جزاءه • وهو اعلم بما يفعلون
فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تع • وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا • الى اخره تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها
اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة
والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه • حتى اذا جاؤها فتحت
ابوابها • ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة وقرئ بالتشديد • وقال لهم خزنتها • تقريعا وتوبيخا • الم ياتكم
رسل منكم • من جنسكم وقرئ نذر منكم • يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا • اي وقتكم هذا وهو
وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب
قالوا بلى • قد اتونا وانذرونا • ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين • حيث قال لابليس لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين وقد لنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير
قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها • اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول • فبئس مثوى
المتكبرين • اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره انفا اي فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من

الاشعار بان كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما
حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة • وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين • زمرا • متفاوتين
حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة • حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها • وقرئ بالتشديد وجواب اذا محذوف
للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كانه قيل حتى اذا جاؤها وقد
فتحت ابوابها • وقال لهم خزنتها سلام عليكم • من جميع المكاره والالام • طبتم • طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفسا
بما اتيح لكم من النعيم • فادخلوها خالدين • كان كمال مما يقصر عنه البيان • وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
بالبعث والثواب • واورثنا الارض • يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها
مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه • نتبوأ من الجنة حيث نشاء • اي
يتبوأ كل واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها •
فنعم اجر العاملين • الجنة • وترى الملائكة حافين • محدقين • من حول العرش • اي حوله ومن مزيدة او للابتداء
الحفوف • يسبحون بحمد ربهم • اي ينزهونه تع عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين
له تعالى بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه عز وجل
وقضي بينهم بالحق • اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم
وقيل الحمد لله رب العالمين • اي على ما قضي بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون
ممن قضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلعم من قرأ سورة الزمر لم يقطع رجاءه
يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها انه كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل
والزمر

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون او ثنتان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم • بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف وباجرائها مجرى بين بين وفتح الميم لالتقاء الساكنين او نصبها
باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه
وفي قوله تعالى • تنزيل الكتاب • كالذي سلف في الم السجدة وقوله تع • من الله العزيز العليم • بما في مطلع سورة
الزمر والوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العلم والعزة ما ذكره ثمة • غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي
الطول • اما صفات اخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية
على انه لم يرد به زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن
الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة
الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر
هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل
هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها
لا اله الا هو • فيجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه • اليه المصير • فيحتاج الى عزه لا استقلالا ولا اشتراكا

فيجازي كلاً من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله أي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لإدحاض الحق كقوله
تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق إلا الذين كفروا بها وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة
منها فضلاً عن الطعن فيها وأما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية و
توضيح مناهج الحق في مضايق الأفهام ومزالق الأقدام وإبطال شبه أهل الزيغ والضلال فمن أعظم الطاعات و
لذلك قال عم إن جدالاً في القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد
لترتيب النهي أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند الله تعالى ولا أجلب لخسران
الدنيا والآخرة فإن من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها فإنهم مأخوذون عما قليل أخذ
من قبلهم من الأمم حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم أي الذين تحزبوا على الرسل
وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وأضرابهم وهمت كل أمة من تلك الأمم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه
ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الأخذ بمعنى الأسر وجادلوا بالباطل
الذي لا أصل ولا حقيقة له أصلاً ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فأخذتهم بسبب ذلك
أخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فإن آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء أيضاً
لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك أي كما وجب وثبت حكمه تعالى
وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لإدحاض الحق به وجبت أيضاً على
الذين كفروا أي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه إضافة اسم الرب إلى ضميره عليه السلام وتعذيب
أعدائه وذلك إنما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الأمم المهلكة وقوله تعالى أنهم أصحاب النار
في حيز النصب بحذف لام التعليل أي لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التي هي عذاب النار وملازموها
أبداً لكونهم كفاراً معاندين متحزبين على الرسول صلعم كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة فهم لسائر فنون
العقوبات أشد استحقاقاً وأحق استيجاباً وقيل هو في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى
مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أي كما وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب
الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعت لمصدر
محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم أعلى طبقات الملائكة عم وأولهم وجوداً وحملهم إياه
وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له أو كناية عن زلفاهم من ذي العرش جل جلاله ومكانتهم عنده
ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله
صلعم ببيان أن أشراف الملائكة عم مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم
في الدارين أي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى
ويؤمنون به إيماناً حقيقياً بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأساً لإظهار فضيلة الإيمان وإبراز شرف
أهله والإشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا
فإن المشاركة في الإيمان أقوى المناسبات وأتمها وأدعى الدواعي إلى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم

في سلك

في سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وإيمانهم إيذان بكمال اعتنائهم به وإشعار بوقوعه
عند الله تعالى في موقع القبول روي أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش
وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلعم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن
خلقاً من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى وقد مرق
رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث إن الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا
ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين
القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين
أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يسبح
بما لا يسبح الآخر ربنا على إرادة القول أي يقولون ربنا على أنه بيان لاستغفارهم أو حال وسعت
كل شيء رحمة وعلماً أي وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله للإغراق في وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة
في عمومهما وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا والفاء في قوله تعالى فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك أي للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من
سعة الرحمة والعلم وقهم عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد ربنا
وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار أي وعدتهم
إياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أي صلاحاً مصححاً لدخول الجنة في
الجملة وإن كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الأول أي وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم
ويتضاعف ابتهاجهم أو على الثاني لكن لا بناء على الوعد الكلي كما قيل إذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على
الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير
يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي أين ولدي أين زوجي فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمل لي ولهم
فيقال أدخلوا الجنة وسبق الوعد بالإدخال والإلحاق لا يستدعي حصول الموعود بلا توسط شفاعة
واستغفار وعليه مبني قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والأول هو الأولى لأن
الدعاء بالإدخال فيه صريح وفي الثاني ضمني وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالإفراد إنك أنت العزيز أي الغالب
الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم أي الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الأمور التي من جملتها إنجاز
الوعد فالجملة تعليل لما قبلها وقهم السيئات أي العقوبات لأن جزاء السيئة سيئة أو جزاء السيئات
على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالأتباع أو المعاصي في الدنيا فمعنى قوله تعالى ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعدما سألوا
المسبب وذلك إشارة إلى الرحمة المفهومة من رحمته أو إليها وإلى الوقاية وما فيه من معنى البعد
لما مر مراراً من الإشعار ببعد درجة المشار إليه هو الفوز العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع إن الذين

كفروا شروع في بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم اصحاب النار
ينادون اي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا
باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يبغضونها
اشد البغض وينكرونها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم
اي لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم في الدنيا اذ تدعون من جهة الانبياء الى الايمان
فتابون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها واقتداء باخلائكم المضلين
لها واستحبابا لآرائهم اكبر من مقتكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف لمقت الاول وان
توسط بينهما الخبر لما في الظرف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اي مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول
لاذكر والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين في الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف و السبب من علاقة اللزوم
والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه
بصورة كون المراد بانفسهم اهواءهم مما لا داعي اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اي امتنا اثنتين
صفتان لمصدري الفعلين المذكورين اي اماتتين واحيائين او موتتين وحياتين على انهما مصدران
لهما ايضا بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت
والحيوة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين اثنتين واحييتنا فحيينا حيوتين اثنتين على طريقة قول من قال
وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف اي لم يدع فلم يبق الا مسحت
الى آخره قيل ارادوا بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء آجالهم على
ان الاماتة جعل الشيء عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما في قولهم سبحان من صغر
البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحيائين الاحياء الاول واحياء البعث وقيل
ارادوا بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحيائين ما في القبر وما عند البعث
وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة الدنيا فمدفوع لكن
لانها قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بيان مقصودهم احد
الاعتراف فيتوسلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجوع الى الدنيا كما فصح جوابه حيث
قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي ارادوه بقولهم فهل الى خروج من سبيل من نوع
استبعاد له واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت قيل ولا ريب في ان الذي
كانوا ينكرونه ويفرعون عنه فنون الكفر والمعاصي ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا
ينكرونه فينتظموا في سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع انهم
معترفين بها في الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها ولذا حال الموتة في الدنيا فان مقصدهم الاصلي هو الاعتراف
بالاحيائين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اي من سبيل ما كما
وقوله تعالى ذلكم الى آخره جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي

ذلكم

ذلكم الى آخره جواب لهم باستحالة ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي ذلكم الذي
انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشأن اذا دعي الله
في الدنيا وحده اي منفردا كفرتم اي بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي
بالاشراك به وتسارعوا الى قبوله وفي ايراد اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في
الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا
بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة العلي الكبير الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته فلا نهاية لشقائكم
فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة [illegible]
بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل لكم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الانزال
لكم من السماء رزقا اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على
كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة
على تجدده والاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرارا وما يتذكر
بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف
مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل
من التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها المؤمنون مخلصين له الدين بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون
ذلك وغاظهم اخلاصكم رفيع الدرجات نحو بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى
فعيل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع درجات
ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو العرش اي مالكه [illegible] خبران آخران [illegible]
اخبر عنه بهما ايذانا بعلو شأنه وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد
بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت
ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون علو شأنه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما
بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره
فانه خبر آخر لما ذكر منبئ عن انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح
من الاجساد وقوله من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير او حال منه اي حال كونه ناشئا
ومبتدأ من امره او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الروح الكائن من امره او متعلق
بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي الوحي بسبب امره على من يشاء من
عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله تعالى او الملقى عليه او الروح
وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عم او الروح لانها قد تؤنث يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني
اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات و

والارض او هو لمفعول لكما ان ثانيا او صالة فانه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر
على البناء للمفعول ورفع اليوم • يوم هم بارزون • بدل من يوم التلاق اى خارجون من قبورهم او ظاهرون
لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون
كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرائرهم • لا يخفى
على الله منهم شيء • استيناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون فى الدنيا من الاستتار
توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اى لا يخفى عليه تعالى شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية
السابقة واللاحقة • لمن الملك اليوم لله الواحد القهار • حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول
معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستانفة او مستانف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور
احوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الى آخره اى ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد
القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روى انه يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد فى ارض بيضاء
كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقيل هى حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافعال بقبضة
القدرة الالهية • اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الى آخره اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص
الملك به تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اى تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير
او شر • لا ظلم اليوم • بنقص ثواب وزيادة عذاب • ان الله سريع الحساب • اى سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى
شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة فى اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى انه تعالى اذا اخذ فى حسابهم
لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله اليوم تجزى الى آخره فان كون ذلك اليوم بعينه
يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار • وانذرهم يوم الآزفة
اى القيامة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل وقت حضور الموت كما فى قوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله كلا اذا بلغت التراقى • اذ القلوب لدى الحناجر • بدل من يوم الآزفة فانها
ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت • كاظمين • على الغم حال من اصحاب
القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها فى الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء
كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اى انذرهم مقدرا كظمهم
او مشارفين الكظم • ما للظالمين من حميم • اى قريب مشفق • ولا شفيع يطاع • اى ولا شفيع مشفع على معنى
نفى الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو
الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به • يعلم خائنة الاعين • النظرة الخائنة
كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية • وما تخفى الصدور
من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقى الروح للدلالة على انه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء • والله يقضى بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشيء الا وهو حق وعدل • والذين يدعون • يعبدونهم من دونه تعالى • لا يقضون

بشيء

بشيء • تهكم بهم لان الجماد لا يقال فى حقه يقضى او لا يقضى وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل • ان الله
هو السميع البصير • تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض لحال ما يدعون
من دونه تعالى • اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم • اى مآل حال من قبلهم من الامم
المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم • كانوا هم اشد منهم قوة • قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير
الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من المعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرئ
اشد منكم بالكاف • وآثارا فى الارض • مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله
متقلدا سيفا ورمحا • فاخذهم الله بذنوبهم • اخذا وبيلا • وما كان لهم من الله من واق • اى من واق يقيهم عذاب
الله • ذلك • اى ما ذكر من الاخذ • بانهم • بسبب انهم • كانت تأتيهم رسلهم بالبينات • اى بالمعجزات او بالاحكام
الظاهرة • فكفروا فاخذهم الله انه قوى • متمكن مما يريد غاية التمكن • شديد العقاب • لا يؤبه عند عقابه بعقاب
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا • وهى معجزاته • وسلطان مبين • اى وحجة قاهرة وهى اما عين الآيات والعطف
لتغاير العنوانين واما بعض منها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانها ابهرها كافراد جبريل
وميكائيل مع دخولهما فى الملائكة عليهم السلام • الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب • اى فيما اظهره
من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين • فلما جاءهم بالحق من عندنا • وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة
• قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم • كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم اى اعيدوا
عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى واحس بانه قد وقع ما وقع اعاده
عليهم غيظا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على
يده • وما كيد الكافرين الا فى ضلال • اى فى ضياع وبطلان لا يغنى عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور
والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به فى تضاعيف ما حكى عنهم من الاباطيل لكن تسرع الى بيان بطلان ما اظهروه
من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة • وقال فرعون ذرونى اقتل موسى • كان ملأوه اذا هم بقتله كفوه
بقولهم ليس هذا بالذى تخافه فانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس
شبهة واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته
انه قد استيقن انه نبى وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك
وكان قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذى يكفه الا ما
فى نفسه من الفزع الهائل وقوله • وليدع ربه • تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف ما يخافه
• انى اخاف • ان لم اقتله • ان يبدل دينكم • اى يغير ما انتم عليه من الدين هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام
لتقربهم اليه • او ان يظهر فى الارض الفساد • ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل
دينكم بالكلية وقرئ بالواو الجامعة وبفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر
بمعنى تظاهر اى تتابع وتعاون • انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب • صدر عليه السلام كلامه بان تأكيدا له

واظهار انه لم يدع الاعتنا بغيره وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب لانه المقتضي للحفظ والتربية واضافه
اليه واليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به والتوكل عليه فان لتظاهر النفوس تاثيرا في استجلاب الاجابة
ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجراءة
على الله تعالى وقرئ عتّ بالادغام • وقال رجل مؤمن من آل فرعون • قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون
آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا موحدا • يكتم ايمانه • اي من فرعون وملائه • اتقتلون رجلا •
اتقصدون قتله • ان يقول • لان يقول او كراهة ان يقول • ربي الله • اي وحده من غير روية وتامل
في امره • وقد جاءكم بالبينات • والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الكثيرة التي شاهدتموها وعهدتموها •
من ربكم • اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج
من باب الاحتياط فقال • وان يك كاذبا فعليه كذبه • لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله • وان يك صادقا
يصبكم بعض الذي يعدكم • اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا
كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من
عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط بعض النفوس حمامها • مردود لان مراده بالبعض نفسه • ان
الله لا يهدي من هو مسرف كذاب • احتجاج اخر ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله
الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله ولعله
اراد به المعنى الثاني وهو على كنه على المعنى الاول لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهدي
الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة • يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين • غالبين عالين على بني اسرائيل • في الارض •
اي ارض مصر لا يقاومكم احد في هذا الوقت • فمن ينصرنا من باس الله • من اخذه وعذابه • ان جاءنا • اي فلا
تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك
والظهور في الارض اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء باس الله تعالى تطييبا لقلوبهم
وايذانا بانه مناصح لهم ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتاثروا بنصحه • قال
فرعون • بعد ما سمع نصحه • ما اريكم • اي ما اشير اليكم • الا ما ارى • واستصوبه من قتله • وما اهديكم • بهذا
الراي • الا سبيل الرشاد • اي الصواب او لا اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهر ولقد كذب حيث
كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان يتجلد ولولاه لما استشار احدا اصلا وقرئ بتشديد الشين على انه فعال
من رشد كعلام او من رشّد كعباد لا من ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد
كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل • وقال الذي آمن • مخاطبا لقومه • يا قوم اني اخاف عليكم • في تكذيبه
والتعرض له بالسوء • مثل يوم الاحزاب • مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير
اغنى عن جمع اليوم • مثل داب قوم نوح وعاد وثمود • اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل
• والذين من بعدهم • كقوم لوط • وما الله يريد ظلما للعباد • فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام

وهو ابلغ

وهو ابلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد لان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولى •
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد • خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيمة
لانه ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما
حكي في سورة الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه
وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا ياتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا
فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذ سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب • يوم تولون مدبرين • بدل من يوم
التناد اي منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها • ما لكم من الله من عاصم • يعصمكم
من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون • ومن يضلل الله فما له من هاد • يهديه الى طريق النجاة • ولقد
جاءكم يوسف • هو يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد
وقيل سبطه يوسف بن ابرهيم بن يوسف الصديق • من قبل • من قبل موسى • بالبينات • بالمعجزات الواضحة •
فما زلتم في شك مما جاءكم به • من الدين • حتى اذا هلك • بالموت • قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا •
ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ
الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث • كذلك • مثل ذلك الاضلال الفظيع • يضل الله
من هو مسرف • في عصيانه • مرتاب • في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في
التقليد • الذين يجادلون في ايات الله • بدل من الموصول الاول او بيان له او صفة باعتبار معناه كانه
قيل كل مسرف مرتاب او المسرفين المرتابين • بغير سلطان • متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها
في الجملة • اتاهم • صفة سلطان • كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا • فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر
ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون • كذلك • اي مثل ذلك الطبع •
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار • فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين
قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما • وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا • اي بناء مكشوفا عاليا من صرح
الشيء اذا ظهر • لعلي ابلغ الاسباب • اي الطرق • اسباب السموات • بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها
تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها • فاطلع الى اله موسى • بالنصب على جواب الترجي وقرئ بالرفع
عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب
سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد قول موسى
بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود
الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذلك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه • واني لاظنه
كاذبا • فيما يدعيه من الرسالة • وكذلك • اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط • زين لفرعون سوء عمله •
فانهمك فيه انهماكا لا يرعوي عنه بحال • وصد عن السبيل • اي سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة
هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى

بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وهلاك او على الله
من صده صدا وقرئ اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصد على انه عطف على سوء
عمله وصدوا اي هو وقومه وقال الذي آمن اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عم يا قوم اتبعوني
فيما دللتكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون وقومه
سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر فافتتح
بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنه تتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله تعالى ثم
ثنى بتعظيم الآخرة فقال وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى
في الآخرة الا مثلها عدلا من الله تعالى وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة
بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة للعمل بدونه
وان ثوابه اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة
واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار
لا دعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي اراك
حزينا اي ما لك تكون حزينا وقوله تع تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية
بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بشركته له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم
والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الى مستجمع
الصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة
على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تع انما تدعونني اليه
ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة اي حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة
او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى
ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد فعل من التبديد اي التفريق
والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل
بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اي بالموت عطف على ان ما تدعونني
داخل في حكمه وكذا قوله تع وان المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء
هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا
عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه
ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم و
ما هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى عم وحاق بآل فرعون اي بفرعون وقومه
وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه

لما انه فر

لما انه فر الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم
سوء العذاب الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة مسوقة لبيان
كيفية سوء العذاب او النار خبر مبتدأ محذوف فكان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون
استيناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط في الحال
ان يكون الذي يحيق ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم
بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئ بالنصب على
الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها من قولهم
عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك للارواحهم كما روى ابن مسعود رض ان ارواحهم في اجواف
طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى
اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا آل
فرعون اشد العذاب اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها
بعضها اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب
واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم
رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في خادم اي ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا
على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب
بمضمر يدل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا الى آخره او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين
نصيبا الى آخره او نصب على المصدرية كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه
موضع غنا فكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا
عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لان اسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن
في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا
لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه وقال الذين في النار
من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم اي للقوام بتعذيب اهل
النار ووضع جهنم لبعد دركاتها ان ردفها اعني الكفرة وطغاتهم او لكون الملائكة الموكلين بتعذيب
اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما
من الايام على انه ظرف لمعيار شيئا من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف
قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد
لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تاتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على
سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم

لتا ندعوكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة
• قالوا بلى • اى اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء
ان انتم الا فى ضلال كبير والفاء فى قوله تعالى • قالوا فادعوا • فصيحة كما فى قول من قال فقد جئنا خراسانا
اى اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن
الدعاء بعدم الاذن فيه عراقة عن بيان ان سببه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يوهم ان الامر
فى حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء اطماعهم فى الاجابة بل اقناطهم منها
واظهارا لخيبتهم حسبما صرحوا به فى قولهم • وما دعاء الكافرين الا فى ضلال • اى ضياع وبطلان وقوله
تعالى • انا لننصر رسلنا والذين آمنوا • الى آخره كلام مستانف مسوق من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب
الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو ان شأننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم
• فى الحياة الدنيا • بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبى وغير ذلك
من العقوبات ولا يقدح فى ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحانا اذ العبرة انما هى بالعواقب
وغالب الامر • ويوم يقوم الاشهاد • اى يوم القيامة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون
عند جمع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب • يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم • بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة وقرئ لا تنفع بالتاء
• ولهم اللعنة • اى البعد عن الرحمة • ولهم سوء الدار • اى جهنم • ولقد آتينا موسى الهدى • ما
يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع • واورثنا بنى اسرائيل الكتاب • وتركنا عليهم من بعده
التوراة • هدى وذكرى • هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا • لاولى الالباب • لذوى العقول السليمة العاملين
بما فى تضاعيفه • فاصبر • على ما يعتريك من اذية المشركين • ان وعد الله • اى وعده الذى ينطق به قوله
تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك
• حق • لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون
• واستغفر لذنبك • تداركا لما فرط منك من ترك الاولى فى بعض الاحايين فانه تعالى كافيك فى نصرة دينك
واظهاره على الدين كله • وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار • اى ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل
لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشى والابكار
وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر • ان الذين يجادلون فى آيات الله ويجحدون بها بغير سلطان اتاهم
فى ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم فى امر الدين لا بد
من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة وقوله تعالى
• ان فى صدورهم الا كبر • خبر لان اى ما فى قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الا ارادة الرياسة
والتقدم على الاطلاق او الا ارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها موقع جدالهم

وان لهم شأنا

وان لهم شأنا يتوهم ان يصلح مدارا لما لهم فى الجملة وقوله تعالى • ما هم ببالغيه • صفة لكبر
قال مجاهد رحمه الله ما هم ببالغى مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة او النبوة وقيل
المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور فى التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون
الدجال يخرج فى آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك
فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم • فاستعذ بالله • اى فالتجئ اليه من كيد من يحسدك
ويبغى عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين • انه هو السميع البصير • لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى
• لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس • تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على
منهاج قوله تعالى اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • لقصورهم
فى النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم • وما يستوى الاعمى والبصير • اى الغافل والمستبصر
• والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء • اى والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين
الفريقين من التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسيء لتأكيد النفى لطول الكلام بالصلة ولان
المقصود نفى مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى
والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل • قليلا ما تتذكرون • على الخطاب بطريق
الالتفات اى تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس او الكفار • ان الساعة لآتية لا
ريب فيها • اى فى مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها • ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون • لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظواهر ما يحسون به • وقال ربكم ادعونى • اى اعبدونى
• استجب لكم • اى اثبكم لقوله تعالى • ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين • اى صاغرين
اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة او المراد بالعبادة
الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبنى للمفعول من الادخال • الله الذى جعل
لكم الليل لتسكنوا فيه • بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات وهدو الحواس لتستريحوا فيه وتقديم
الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا • والنهار مبصرا • اى مبصرا فيه او به • ان الله لذو فضل عظيم
لا يوازيه ولا يدانيه فضل • على الناس • ولكن اكثر الناس لا يشكرون • لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع
النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم • ذلكم • المتميز بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية
• الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو • اخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق
بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة • فانى تؤفكون •
فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره • كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله
يجحدون • اى مثل ذلك الافك العجيب الذى لا وجه له ولا مصحح اصلا يؤفك من جحد بآياته تعالى اى آية كانت
لا افك آخر له وجه ومصحح فى الجملة • الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء • بيان لفضله تعالى
المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى • وصوركم فاحسن صوركم • بيان لفضله المتعلق

بأنفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية فإن الإحسان عين التصوير أي صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الأعضاء والتخطيطات متهيئاً لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ● ورزقكم من الطيبات ● أي اللذائذ ● ذلكم ● الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة ● الله ربكم ● خبران لذلكم فتبارك الله ● أي تعالى بذاته ● رب العالمين ● أي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر إليه في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعاً بحيث لو انقطع فيضه عنه آناً لانعدم بالكلية ● هو الحي ● المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية ● لا إله إلا هو ● إذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله ● فادعوه ● فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى ● مخلصين له الدين ● أي الطاعة من الشرك الجلي والخفي ● الحمد لله رب العالمين ● أي قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ● قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي ● من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فإن الآيات التنزيلية مفسرات الكونية الآفاقية والأنفسية ● وأمرت أن أسلم لرب العالمين ● أي بأن أنقاد له وأخلص له ديني ● هو الذي خلقكم من تراب ● أي في ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما تحقيقه مراراً ● ثم من نطفة ● أي ثم خلقكم خلقاً تفصيلياً من نطفة أي مني ● ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ● أي أطفالاً والإفراد لإرادة الجنس أو لإرادة كل واحد من أفراده ● ثم لتبلغوا أشدكم ● علة ليخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلاً لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ● ثم لتكونوا شيوخاً ● ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخاً كقوله تعالى طفلاً ● ومنكم من يتوفى من قبل ● أي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله أيضاً ● ولتبلغوا ● متعلق بفعل مقدر بعده أي ولتبلغوا أجلاً مسمى ● هو وقت الموت أو يوم القيامة يفعل ذلك ● ولعلكم تعقلون ● ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر ● هو الذي يحيي ● الأموات ● ويميت ● الأحياء أو الذي يفعل الإحياء والإماتة ● فإذا قضى أمراً ● أي أراد أمراً من الأمور ● فإنما يقول له كن فيكون ● من غير توقف على شيء من الأشياء أصلاً وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك آمر ومأمور والفاء الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الإحياء والإماتة به سبحانه ● ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون ● تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى إن الذين يجادلون في آيات الله إلى آخره بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الأمنية الفارغة فلا تكرير فيه أي انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي إلى الإقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى ● الذين كذبوا بالكتاب ● أي بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فإن تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على أنه بدل من الموصول الأول أو في محل النصب أو الرفع على الذم وإنما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض

الواو

الواو لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها ● وبما أرسلنا به رسلنا ● من سائر الكتب أو مطلق الوحي والشرائع ● فسوف يعلمون ● كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته ● إذ الأغلال في أعناقهم ● ظرف ليعلمون إذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ الماضي لتيقنه ● والسلاسل ● عطف على الأغلال والجار في نية الخبر وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الأول وقيل خبره ● يسحبون ● بحذف العائد أي يسحبون بها وهو على الأولين حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون ● في الحميم ● وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملاً على المعنى لأن قوله تعالى الأغلال في أعناقهم في معنى أعناقهم في الأغلال أو إضمار الباء ويدل عليه القراءة به ● ثم في النار يسجرون ● أي يحرقون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أي ملئ والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب إلى باب ● ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا ● أي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن تقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم ● بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً ● أي بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئاً يعتد به كقولك حسبته شيئاً فلم يكن ● كذلك ● أي مثل ذلك الضلال الفظيع ● يضل الله الكافرين ● حيث لا يهتدون إلى شيء ينفعهم في الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ● ذلكم ● الإضلال ● بما كنتم تفرحون في الأرض ● أي تبطرون وتتكبرون ● بغير الحق ● وهو الشرك والطغيان ● وبما كنتم تمرحون ● تتوسعون في البطر والأشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ● ادخلوا أبواب جهنم ● أي أبوابها السبعة المقسومة لكم ● خالدين فيها ● مقدراً خلودكم فيها ● فبئس مثوى المتكبرين ● أي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود ● فاصبر ● إلى أن يلاقوا ما أعد لهم من العذاب ● إن وعد الله ● بتعذيبهم ● حق ● كائن لا محالة ● فإما نرينك ● أي فإن نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع إن وحدها ● بعض الذي نعدهم ● وهو القتل والأسر ● أو نتوفينك ● قبل ذلك ● فإلينا يرجعون ● يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جواباً لهما بمعنى إن نعذبهم في حياتك أو لم نعذبهم فإنا نعذبهم في الآخرة أشد العذاب وأفظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ● ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ● إذ قيل عدد الأنبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفاً والمذكور قصصهم أفراد معدودة وقيل أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس ● وما كان لرسول ● أي ما صح وما استقام لرسول منهم ● أن يأتي بآية إلا بإذن الله ● فإن المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في إيثار بعضها والاستبداد بإتيان المقترح بها ● فإذا جاء أمر الله ● بالعذاب في الدنيا والآخرة ● قضي بالحق ● بإنجاء المحق وإثابته وإهلاك المبطل وتعذيبه ● وخسر

هنالك أي وقت مجيء أمر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون أي المتمسكون بالباطل على الإطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولاً أولياً الله الذي جعل لكم الأنعام قيل هي الإبل خاصة أي خلقها لأجلكم ومصلحتكم لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل لما دل عليه اللام إجمالاً ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والأكل منها أي تعلقهما بها وقيل للتبعيض أي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على أن كلاً من الركوب والأكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الإشعار بأصالة الركوب ولكم فيها منافع أخر غير الركوب والأكل كألبانها وأوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل أثقالكم من بلد إلى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون ولعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حيث سميت سفائن البر وقيل هي الأزواج الثمانية فمعنى الركوب والأكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على أن كلاً منها يجوز تعلقه بكل منهما ولا على أن كلاً منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعلق به الأكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالإبل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فأي آيات الله أي فأي آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فإن كلاً منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على إنكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لأي وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل إنكارها وتذكير أي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لإبهامه أفلم يسيروا أي أقعدوا فلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم المهلكة وقوله تعالى كانوا أكثر منهم وأشد قوة إلى آخره استئناف مسوق لبيان مبادي أحوالهم وعواقبها وآثاراً في الأرض باقية بعدهم من الأبنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار أقدامهم في الأرض لعظم أجرامهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة أي لم يغن عنهم أو أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات أو بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم أي أظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علماً للتهكم بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الأنبياء الذي أظهره رسلهم على أن المعنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح أيضاً للرسل فإنهم لما رأوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الأصنام فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا أي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الأولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون [illegible] زعماً منهم أن ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه إلا عدم الإغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وإن كان عكس الغرض

ونقيض

ونقيض المطلوب في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما أبهم واحتمل من عدم الإغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على أن التفسير بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعاً عقيبه لأن مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم إلى آخره هو أنهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الإيمان الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده أي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون أي وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف عن رسول الله صلعم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له

سورة فصلت مكية وهي أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم إن جعلته اسماً للسورة فهو إما خبر لمبتدأ محذوف وهو الأظهر لما مر مراراً أو مبتدأ خبره تنزيل وهو على الأول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف إن جعلت مسروداً على نمط التعديد وقوله من الرحمن الرحيم متعلق مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الأول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل إلى الرحمن الرحيم للإيذان بأنه مدار المصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب المعنى

والنظم وصح

وجعلت تفاصيل في أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الأساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولاً قرآناً عربياً نصب على المدح أو الحال من كتاب لتخصصه بالصفة أو من آياته لقوم يعلمون أي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقرآناً أي كائناً لقوم إلى آخره أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم ليست بصلة بشيراً ونذيراً صفتان أخريان لقرآناً أي بشيراً لأهل الطاعة ونذيراً لأهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف فأعرض أكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا أي لرسول الله صلعم عند دعوته إياهم إلى الإيمان والعمل بما في القرآن قلوبنا في أكنة أي أغطية مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر أي صمم وأصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلاً وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن إدراك الحق وقبوله ومج أسماعهم له كأن بها صمماً وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلعم فاعمل أي على دينك وقيل في إبطال أمرنا إننا عاملون أي على ديننا وقيل في إبطال أمرك والأول هو الأظهر فإن قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد تلقين للجواب عنه أي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الأعمال والأديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل إننا عاملون

عاملون بل إنما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعاً بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فإن الخطاب في
إلهكم محكي منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكاً ولا جنياً لا يمكنكم التلقي
منه ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه العقول والأسماع وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة في العمل وقد
يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى إني لست ملكاً وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحي إلي دونكم
فصحت بالوحي إلي وأنا بشر نبوتي وإذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي والفاء في قوله تعالى فاستقيموا
إليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من إيحاء الوحدانية فإن ذلك موجب لاستقامتهم إليه تعالى بالتوحيد والإخلاص
في الأعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين
ترهيب وتنفير لهم عن الشرك إثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة لزيادة
التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم
كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم إيتائها
متجدد والكفر مستمر ونقل عن ابن عباس فإنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا إله إلا الله فإنها
زكاة الأنفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها
وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون أي لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع
من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا
يعملون قل أئنكم لتكفرون تشنيع لكفرهم وإن واللام إما لتأكيد الإنكار وتقديم الهمزة لاقتضائها
الصدارة لا لإنكار التأكيد وإما للإشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد
وأيا ما كان علق كفرهم بالموصول حيث قيل بالذي خلق الأرض في يومين لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به أي بالعظيم
الذي قدر وجودها أي حكم بأنها ستوجد في مقدار يومين أو في نوبتين على أن ما يوجد في كل نوبة يوجد
بأسرع ما يكون ولعل المراد باليوم الحقيقي إنما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وإبداع نيراتها وترتيب حركاتها
وتجعلون له أنداداً والحال أنه لا يمكن أن يكون له ند واحد ذلك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته في العظمة وإفراد الكاف لما مر مراراً
من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده والمعنى ذلك العظيم الشأن الذي فعل ما ذكر رب العالمين
أي خالق جميع الموجودات ومربيها دون الأرض خاصة فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته نداً له وقوله تعالى
وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجعل إبداعي وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين
خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهي بمنزلة الإعادة له والثانية اعتراضية
مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فلا تفصل بهما كلا فصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف عليه
كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف إذا انضم إليه المعطوفات وقيل هو عطف
على مقدر أي خلقها وجعل إلى آخره وقيل هو كلام وأياً ما كان فالمراد بتقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من

فوقها

فوقها متعلق بجعل أو بمضمر هو صفة لرواسي أي كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها
معرضة لأهلها وتظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الأفكار وبارك فيها أي قدر أن
يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوان التي من جملتها الإنسان وأصناف النبات التي منها مطاعمهم
وقدر فيها أقواتها أي حكم بالفعل بأن يوجد فيما سيأتي لأهلها من الأنواع المختلفة أقواتها المناسبة
لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرئ وقسم فيها أقواتها في أربعة أيام متعلق بحصول الأمور المذكورة
لا بتقديرها أي قدر حصولها في يومين وإنما قيل في أربعة أيام أي في تتمة أربعة أيام سواء أي استوت سواء أي استواء كما ينبئ
عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في أقواتها أو في فيها وقرئ بالرفع أي هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف
تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر أي قدر فيها أقواتها لأجل السائلين
أي الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى إلى السماء شروع في بيان كيفية
التكوين إثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى
بأمر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الإيمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان أي
ثم قصد نحوها قصداً سوياً لا يلوي على غيرها وهي دخان أي أمر ظلماني عبر عنه بها عن مادتها أو عن الأجزاء المتصغرة
التي ركبت هي منها أو دخان مرتفع من الماء لما سيأتي وإنما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب
المرتب عليه متوجه إليهما معاً حسبما ينطق به قوله تعالى فقال لها وللأرض اكتفاء بذكر تقديرها
فيها كأنه قيل فقال لها وللأرض التي قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا أي كونا واحدثا على
وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقاً فعلياً بطريق
التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك آمر ومأمور كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى طوعاً أو كرهاً
تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات الطوع والكره لهما و
هما مصدران وقعا موقع الحال أي طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى قالتا أتينا طائعين أي
منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا وتصوير لكون وجودهما
كما هما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة فإن الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وإنما قيل طائعين
باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى فقضاهن سبع سماوات
تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه فعل مرتب على تكوينهما أي خلقهن خلقاً إبداعياً
وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير إما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سماوات حال على الأول وتمييز
على الثاني في يومين في وقت مقدار يومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما
فكان خلق الكل في ستة أيام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل وأوحى في كل سماء أمرها عطف
على قضاهن أي خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي
فالوحي عبارة عن التكوين كالأمر مقيداً بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى إلى أهل كل منها أوامره وكلفهم
ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأياً ما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب

بين ايجاد الارض وايجاد السماء، واما الترتيب بين التقدير والايجاد دال على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال
المذكورة على معانيها الظاهرة فهي وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير
وقد روي ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه سبحانه احدث في الماء اضطرابا فازبد
فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين و
اما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه سبحانه خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها
وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عم في آخر
ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات
لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله سبحانه والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رح من انه
تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية وليس المراد بنظمهما مع
السماء في سلك الامر بالاتيان انشاؤها واحداثها قبل بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من
من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا
لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة آتيا و
آتينا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتاتى
ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن وجودها قطعا فالظاهر ان يسلك مسلك الاولين ويحمل الامر
بالاتيان على تكونهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته ان يكون وجودهما مترتبا على ذلك التكوين
واما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصول
ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان تجعل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك
دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويحمل ذلك اشارة الى ذكرها وذكر من بناء السماء و
رفع سمكها وتسويتها وغير ذلك الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر على الاوائل الدالة على القدرة الباهرة
كما قيل واما على انه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر
واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روي عن الحسن رض نصا في تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط
الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو ولا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي
عن مقاتل رح ان خلق السماء متقدم على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الامر بايتائهما حينئذ ايضا على ما ذكر
من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض
على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون
فلا دلالة في الاية الكريمة على الترتيب على الوجه الاول وعليه بنى ابن السلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا الاية واما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه هنا لتوفيه مقام الامتنان حقه و

ابنا

وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلألئة عليها كانها فيها والالتفات
الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا اي وحفظناها من
الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك الذي
ذكر تفاصيله تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله تعالى قل ائنكم
الى آخره اي فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا
البيان فقل انذرتكم اي انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر صاعقة اي عذابا
هائلا شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق
او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من
صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاد الكائنة اذ
جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا
بهم في كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من
عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم
الى الحق منزلة مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين ايديهم اي
قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكأن الرسل قد جاؤهم وخاطبوهم بقوله الا تعبدوا الا الله اي
بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اي لا تعبدوا على انها مفسرة قالوا لو شاء ربنا اي ارسال الرسل لانزل ملائكة
كما قيل فانه عار عن افادة ما ارادوه من نفي رسالة البشر وقد مر تحقيقه لانزل ملائكة اي لارسلهم لكن لما كان
ارسالهم بطريق الانزال قيل لانزل فانا بما ارسلتم به اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون لما انتم بشر
مثلنا من غير فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا
عالما بالشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت
خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا
وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني
ورسول الله صلعم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود
فامسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى
عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته
فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف
وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض شروع
في حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اي
فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق للتعظم والولاية
وقالوا مدلين بشدتهم وقوتهم من اشد منا قوة حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من

قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده • أولم يروا • اي أغفلوا أولم ينظروا ولم يعلموا
علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان • ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة • اي قدرة فانه تعالى قادر بالذات
مقتدر على ما لا يتناهى قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوي وقادر وانما اورد في حيز الصلة خلقهم
دون خلق السموات والارض لادعائهم الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم • وكانوا بآياتنا • المنزلة على الرسل
عليهم • يجحدون • اي ينكرونها وهم يعرفون حقيقتها وهو عطف على فاستكبروا وكذا قوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض لرد
على كلمتهم الشنعاء • فارسلنا عليهم ريحا صرصرا • اي باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر
اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير • في ايام نحسات • جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا
وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء
وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء • لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا • وقرئ لتذيقهم على اسناد الاذاقة الى
الريح او الى الايام واضيف العذاب الى الخزي الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه
• ولعذاب الآخرة اخزى • وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة • وهم لا ينصرون • بدفع
العذاب عنهم بوجه من الوجوه • واما ثمود فهديناهم • فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل
وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ
ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء • فاستحبوا العمى على الهدى • اي اختاروا
الضلالة على الهداية • فاخذتهم صاعقة العذاب الهون • داهية العذاب وقارعة العذاب والهون
الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه • بما كانوا يكسبون • من اختيار الضلالة • ونجينا الذين
آمنوا وكانوا يتقون • من تلك الصاعقة • ويوم يحشر اعداء الله • شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان
عقوباتهم العاجلة • والتعبير عنهم باعداء الله لذمهم والايذان بعلة ما يحيق بهم من ألوان العذاب وقيل المراد بهم
الكفار من الاولين والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ
نحشر على بناء الفاعل بنصب اعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها • الى النار • اي الى موقف
الحساب اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار
اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم منصوب
باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف
لما يدل عليه قوله تعالى • فهم يوزعون • اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون
ويدفعون الى النار وقوله تعالى • حتى اذا ما جاؤوها • اي حضروها غاية ليحشروا او ليوزعون اي حتى اذا حضروها
وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور • شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون •
في الدنيا من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضه
ان المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى • وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا • فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما تشهد به السمع والابصار

من الجنايات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح اي سألوها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا لها
فعنكن كنا نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء • اي انطقنا الله الذي انطق كل ناطق
واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل
انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطرار في الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب
فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي • وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون • فان من
قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع
مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحيوة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من
العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى
• وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم • حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته
تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم
بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا • ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون • من القبائح المخفية فلا يظهرها
في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى لا بانها كانت عالمة بما
شهدت به عند صدوره عنهم عن ابن مسعود رضه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلثة نفر ثقفيان وقرشي
او قرشيان وثقفي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت
ذلك للنبي صلعم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة
ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب
ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر • وذلكم • اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه من
معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى • ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم • خبران له
ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا • فاصبحتم • بسبب ذلك الظن السوء الذي اهلككم • من الخاسرين • اذ
صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين • فان يصبروا فالنار مثوى لهم • اي محل ثواء واقامة
ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم
لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم في غيابة دركات النار • وان يستعتبوا • اي يسألوا
العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه • فما هم من المعتبين • المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم
فاعلون لفوات المكنة • وقيضنا لهم • اي قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا • قرناء • جمع قرين اي اخدانا
من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل
ومنه المقايضة للمعاوضة • فزينوا لهم ما بين ايديهم • من امور الدنيا واتباع الشهوات • وما خلفهم
• من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط • وحق عليهم القول • اي ثبت وتقرر
عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لأملأن جهنم منك وممن

يتبعك منهم أجمعين وقوله تعالى إذ هم بلسان يتبعك منهم أجمعين كما مر مرارا • في أمم • حال من الضمير المجرور أي كائنين في جملة أمم
وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في أن المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين
والآخرين كما قيل • قد خلت • صفة لأمم أي مضت • من قبلهم من الجن والإنس • على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء
• إنهم كانوا خاسرين • تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأولين والآخرين • وقال الذين كفروا • من رؤساء المشركين
لأعقابهم أو قال بعضهم لبعض • لا تسمعوا لهذا القرآن • أي لا تنصتوا له • والغوا فيه • وعارضوه بالخرافات من الرجز
والشعر والتصدية والمكاء أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى كلغي يلقى
ولغا يلغو إذا هذى • لعلكم تغلبون • أي تغلبونه على قراءته • فلنذيقن الذين كفروا • أي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين
واللاغين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أوليا • عذابا شديدا • لا يقادر قدره • ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا
يعملون • أي جزاء سيئات أعمالهم التي هي في أنفسها أسوأ وقيل إنه لا يجازيهم بمحاسن أعمالهم كإغاثة الملهوفين
وصلة الأرحام وقرى الأضياف لأنها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضي الله عنه عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذي
كانوا يعملون في الآخرة • ذلك • مبتدأ وقوله تعالى • جزاء أعداء الله • خبره أي ذلك المذكور من الجزاء جزاء معد لأعدائه
وقوله تعالى • النار • عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف أي النار وذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن
الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى • لهم فيها دار الخلد • جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ وهي خبره
أي هي بعينها دار إقامتهم على أن في للتجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال في البيضة
عشرون منا حديد وقيل هي على معناها والمراد أن لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون
• جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون • منصوب بفعل مقدر أي يجزون جزاء وما بعده للسابق فإن المصدر ينتصب بما نصبه
كما في قوله تعالى فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الأولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه مراعاة
للفواصل أي بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو • وقال الذين كفروا •
وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب • ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس • يعنون فريقي شياطين النوعين
المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر
والقتل بغير حق وقرئ أرنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وقرئ باختلاس كسر الراء • نجعلهما تحت أقدامنا •
أي ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الأسفل • ليكونا من الأسفلين • أي ذلا ومهانة أو مكانا •
• إن الذين قالوا ربنا الله • شروع في بيان حسن أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال
الكفرة فيهما أي قالوه اعترافا بربوبيته تعالى وإقرارا بوحدانيته • ثم استقاموا • أي ثبتوا على الإقرار
ومقتضياته على أن ثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة فإن الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء
الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها • تتنزل
عليهم الملائكة • من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم
الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل
عند الموت بالبشرى وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث

والأظهر

والأظهر هو العموم والإطلاق كما ستعرفه • أن لا تخافوا • ما تقدمون عليه فإن الخوف غم يلحق لتوقع المكروه
• ولا تحزنوا • على ما خلفتم فإنه غم يلحق لوقوع من فوات نافع أو حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم
على الإطلاق والمعنى أن الله تعالى كتب لكم الأمن من كل غم يلحق فلن تذوقوه أبدا وأن إما مفسرة أو مخففة
والأصل بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرئ لا تخافوا أي يقولون لا تخافوا على أنه حال من الملائكة
أو استئناف • وأبشروا • أي سروا • بالجنة التي كنتم توعدون • في الدنيا على ألسنة الرسل وهذا من بشاراتهم
في أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى • نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة • من بشاراتهم في الدنيا أي أعوانكم في
أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين
على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام وفي الآخرة
نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام
• ولكم فيها • أي في الآخرة • ما تشتهي أنفسكم • من فنون الطيبات • ولكم فيها ما تدعون • ما تتمنون افتعال من
الدعاء بمعنى الطلب أي تدعون لأنفسكم وهو أعم من الأول والظرف في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره
في الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي للإشباع في البشارة والإيذان باستقلال كل
منها • نزلا من غفور رحيم • حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة إلى ما يعطون من عظائم الأجور
كالنزل للضيف • ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله • أي إلى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس رضي الله
عنهما هو رسول الله صلعم وقيل نزلت في المؤذنين والحق أن حكمها عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة
وإن نزلت فيمن ذكر • وعمل صالحا • فيما بينه وبين ربه • وقال إنني من المسلمين • ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا
للإسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان أي مذهبه لا أنه تكلم بذلك وقرئ إني بنون واحدة • ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة • جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العباد إثر بيان محاسن
الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلعم في الصبر على أذية المشركين ومقابلة
إساءتهم بالإحسان أي لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الآثار والأحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي
وقوله تعالى • ادفع بالتي هي أحسن • إلى آخره استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أي ادفع السيئة حيث اعترضتك
من بعض أعاديك بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالإحسان إلى من أساء فإنه أحسن من العفو
وإخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى
• فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم • بيان لنتيجة الدفع المأمور به أي فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق
مثل الولي الشفيق • وما يلقاها • أي ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان • إلا الذين
صبروا • أي شأنهم الصبر • وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم • من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل
نزلت في أبي سفيان بن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلعم فصار وليا مصافيا • وإما ينزغنك من الشيطان
نزغ • النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبهت به وسوسة الشيطان لأنها تبعث على الشر وجعل نازغا
على طريقة جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أي وإن صرف الشيطان عما وصيت به من الدفع

النزغ

بالتي هي احسن • فاستعذ بالله • من شره ولا تطعه • انه هو السميع • لاستعاذتك • العليم • بنيتك او
بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من اثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه • ومن اياته • الدالة على
شؤونه العظيمة • الليل والنهار والشمس والقمر • كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره • لا تسجدوا للشمس ولا
للقمر • لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لاوامره مثلكم • واسجدوا لله الذي خلقهن • الضمير للاربعة لان حكم جماعة
ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال
سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في
سلك اياته تعالى • ان كنتم اياه تعبدون • فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه سبحانه وهو موضع السجود
عند الشافعي وعندنا اخر الاية الاخرى لانه تمام المعنى • فان استكبروا • عن الامتثال • فالذين عند ربك • من
الملائكة • يسبحون له بالليل والنهار • اي دائما • وهم لا يسامون • لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسامون بكسر الياء
• ومن اياته انك ترى الارض خاشعة • يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل • فاذا انزلنا عليها الماء
اي المطر • اهتزت وربت • اي تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت به الارض
وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرئ ربأت اي ارتفعت • ان الذي احياها
لمحيي الموتى • بالبعث • انه على كل شيء • من الاشياء التي من جملتها الاحياء • قدير
مبالغ في القدرة • ان الذين يلحدون • يميلون عن الاستقامة وقرئ يلحدون • في اياتنا • بالطعن فيها وتحريفها بحملها
على المحامل • لا يخفون علينا • فنجازيهم بالحادهم • وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من ياتي امنا يوم القيمة
تنبيه على كيفية الجزاء • اعملوا ما شئتم • من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان امنا
وفيه تهديد شديد • انه بما تعملون بصير • فيجازيكم بحسب اعمالكم • وقوله تعالى • ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الى اخره وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستانف وخبرها محذوف مثل
الكائن بشدة مسده الخبر السابق والذكر القران • وقوله تعالى • وانه لكتاب عزيز • اي كثير المنافع
عديم النظير او منيع لا تتاتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به • وقوله تعالى • لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه • اي لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى
• تنزيل من حكيم حميد • خبر لمبتدا محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين
السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى • لا ياتيه الى اخره • اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح
من الصفات على الصريح كل ذلك لتاكيد بطلان الكفر بالقران • وقوله تعالى • ما يقال لك • الى اخره تسلية لرسول
الله صلعم عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شانك وشان ما انزل اليك من القران من جهة كفار قومك •
الا ما قد قيل للرسل من قبلك • اي الا مثل ما قيل في حقهم مما لا خير فيه • ان ربك لذو مغفرة • لانبيائه
وذو عقاب اليم • لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك
وباعدائك ايضا • ولو جعلناه قرانا اعجميا • جواب لقولهم هلا انزل القران بلغة العجم والضمير للذكر • لقالوا لولا
فصلت اياته • اي بينت بلسان نفقهه • ءاعجمي وعربي • انكار مقرر للتخصيص والاعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم

والمتكلم به سواء والياء للمبالغة في الوصف كاحمري والمعنى ءكلام اعجمي ورسول او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع
كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون
المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي اكلام اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها اعجميا
لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان ان ايات الله تعالى على اي وجه
جاءتهم وجدوا فيها متمسكا يتعللون به • قل هو للذين امنوا هدى • يهديهم الى الحق • وشفاء
لما في الصدور من شك وشبهة • والذين لا يؤمنون • مبتدا خبره • في اذانهم وقر • على ان التقدير
هو اي القران في اذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر او اذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من
وقر او هو وقر لتعديه سبحانه وتعالى • وهو عليهم عمى • وقيل خبر الموصول في اذانهم ووقر
فاعل الظرف وقيل وقر مبتدا والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون
في اذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الاول اي هو
للاولين هدى وشفاء وللاخرين وقر في اذانهم • اولئك • اشارة الى الموصول الثاني باعتبار
اتصافه بما في حيز صلته وملاحظة ما ثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد للايذان
ببعد منزلته في الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر
من التصامم عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الايات الظاهرة التي يشاهدونها •
ينادون من مكان بعيد • تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد
يسمع من مثلها الاصوات • ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه • كلام مستانف مسوق
لبيان ان الاختلاف في شان الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك • اي وبالله لقد اتينا موسى التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها
ومكذب وهكذا حال قومك في شان ما اتيناك من القران فمن مؤمن به وكافر • ولولا كلمة سبقت
من ربك • في حق امتك المكذبة وهي العدة بتاخير عذابهم والفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة
الى يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى • لقضي
بينهم • باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة • وانهم • اي كفار قومك • لفي شك
منه مريب • اي من القران وجعل الضمير الاول لليهود والثاني للتورية مما لا وجه له • من عمل صالحا •
بان امن بالكتب وعمل بموجبها • فلنفسه • اي فلنفسه يعمله او فنفعه لنفسه لا لغيره • ومن اساء فعليها •
ضرره لا على غيره • وما ربك بظلام للعبيد • اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة
المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او بغير اساءته منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه
سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة ال عمران وسورة الانفال • اليه
يرد علم الساعة • اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله • وما تخرج من ثمرات
من اكمامها • اي من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس

والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال
ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد • وما تحمل من انثى ولا تضع • اي حملها ووضعها
الا بعلمه • استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع
واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط • ويوم يناديهم اين شركائي • اي بزعمكم كما نص عليه
في قوله تعالى اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد
ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل • قالوا آذناك • اي اخبرناك • ما منا
من شهيد • من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا من احد
يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين و
قولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من
قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه
او لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك • وضل عنهم ما كانوا يدعون • اي يعبدون
من قبل • اي غابوا او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم • وظنوا • اي ايقنوا • ما لهم من محيص • مهرب
والظن معلق عنه بحرف النفي • لا يسأم الانسان • اي لا يمل ولا يفتر • من دعاء الخير • من طلب السعة في النعمة
واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير • وان مسه الشر • اي العسر والضيقة • فيؤوس قنوط • فيه مبالغة
من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر
اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان اليأس
من رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به • ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته • بتفريجها عنه
ليقولن هذا لي • اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي دائما لا يزول عني ابدا • وما اظن الساعة
قائمة • اي تقوم فيما سيأتي • ولئن رجعت الى ربي • على تقدير قيامها • ان لي عنده للحسنى • اي للحالة الحسنى
من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه وان نعم الآخرة كذلك • فلننبئن
الذين كفروا بما عملوا • اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر في سورة الاعراف
عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس عم • ولنذيقنهم
من عذاب غليظ • لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه • واذا انعمنا على الانسان اعرض • اي عن الشكر
ونأى بجانبه • اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب
الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه •
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض • اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ
من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض
الذي حكي عنه اليأس والقنوط او شأن الكل في بعض الاوقات • قل أرأيتم • اي اخبروني • ان كان
اي القرآن • من عند الله ثم كفرتم به • مع تعاضد موجبات الايمان به • من اضل ممن هو في شقاق بعيد

اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم • سنريهم آياتنا • الدالة على حقيته
وكونه من عند الله • في الآفاق • هو ما اخبرهم النبي صلعم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر
الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة
• وفي انفسهم • هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في الآفاق اي منازل الامم الخالية وآثارهم
وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عم والمسلمين وفي انفسهم
فتح مكة وقيل في الآفاق اي في اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار
والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع
الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى
وفي انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع ان اراءة تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها
يوما فيوما • حتى يتبين لهم • بذلك • انه الحق • اي القرآن او الاسلام والتوحيد • اولم يكف بربك • استئناف
وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى
والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد
تزاد الا مع كفى وقوله تعالى • انه على كل شيء شهيد • بدل منه اي الم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة
لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه
ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك
ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم
ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل
واما ما قيل من ان المعنى او لم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق
سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقق الموعود
يرده قوله تعالى • الا انهم في مرية من لقاء ربهم • اي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان
عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها • الا انه بكل شيء محيط • عالم بجميع الاشياء
جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله
صلعم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وهي ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق • اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين
وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف و
قيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله سبحانه وتعالى • كذلك يوحي اليك والى الذين
من قبلك الله العزيز الحكيم • كلام مستأنف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف
سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل ايحائها
بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول

وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته اي اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه السورة
من المعاني اوحي اليك في سائر السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم على ان مناط المماثلة ما اشتمل عليه من
الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في المعاش والمعاد او مثل ايحائها اوحي اليك
عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغاير له كما في قوله انا اوحينا اليك
كما اوحينا الى نوح الاية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان
باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به من تفخيمهما ما لا يخفى وكذا
في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى
على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند
الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم صفتان له او مبتدأ
كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له او العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى • له ما في السموات
وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه الاول استئناف مقرر لعزته وحكمته • تكاد
السموات • وقرئ بالياء • يتفطرن • يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما في سورة
مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطّر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث
وهو نادر • من فوقهن • اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم
الايات وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى
لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى و
قيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين • والملائكة يسبحون بحمد ربهم • ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين
بحمده • ويستغفرون لمن في الارض • بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب
الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تاخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا
يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان وحيث خص بالمؤمنين كما
في قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا فالمراد به الشفاعة • الا ان الله هو الغفور الرحيم • اذ ما من مخلوق
الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه
وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز
الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة • والذين اتخذوا من دونه
اولياء • شركاء وانداد • الله حفيظ عليهم • رقيب على احوالهم واعمالهم فمجازيهم بها • وما انت
عليهم بوكيل • بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار • وكذلك اوحينا اليك قرآنا
عربيا • مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا مفعول لاوحينا
لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الاية المتقدمة من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما

انت

انت نذير فحسب فالكاف مفعول لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول اي اوحيناه اليك وهو قرآن عربي
بين • لتنذر ام القرى • اي اهلها وهي مكة • ومن حولها • من العرب • وتنذر يوم الجمع • اي يوم القيامة
لانه يجمع فيه الخلائق قال الله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال و
الانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني
للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر على ان فاعله ضمير القرآن • لا ريب فيه • اعتراض مقرر لما قبله •
فريق في الجنة وفريق في السعير • اي بعد جمعهم في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب و
التقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اي وتنذر يوم جمعهم
متفرقين اي مشارفين للتفرق او متفرقين في داري الثواب والعقاب • ولو شاء الله لجعلهم • اي في
الدنيا • امة واحدة • قيل مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله على دين واحد
فمعنى قوله تعالى • ولكن يدخل من يشاء في رحمته • انه تعالى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في
عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب في ان مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من
الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ
جعل الكل امة واحدة بل جعلهم فريقين واما قيل • والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير • للايذان بان الادخال
في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما في الادخال في الرحمة لا لما قيل من
المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها فالمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان
ولكنه تعالى شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن
يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين يابى تعقيبه بالاستدراك
بادخال بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تعقيبه باخراج بعضهم من
بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يراد الاتحاد في الكفر
كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الاية على احد الوجهين بان يراد بهم الذين
هم في فترة ادريس او في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة على الكفر بان
لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من انواع الاهوال فيبقوا على ما هم عليه
من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي شانه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتاثر
بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله تعالى للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته
ولا يتاثر به الاخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون
في الاخرة الى السعير من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب الاليم • ام اتخذوا من دونه
اولياء • جملة مستانفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة وما فيها من
بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع

والاستقباحة كما قيل أو المراد بإنكار ما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شيء لأن ذلك فرع كون الأصنام
أولياء وهو أظهر الممتنعات أي بل اتخذوا من دون الله أولياء من الأصنام وغيرها هيهات في قوله تعالى
فالله هو الولي جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد إبطال ولاية ما اتخذوه أولياء إن أرادوا وليا في الحقيقة فالله هو الولي
سواه • وهو يحيي الموتى • أي ومن شأنه ذلك • وهو على كل شيء قدير • فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخص بالاتخاذ
دون من لا يقدر على شيء • وما اختلفتم فيه من شيء • حكاية لقول رسول الله صلعم للمؤمنين أي ما خالفكم الكفار فيه
من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم • فحكمه • راجع إلى الله وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين • ذلكم • الحاكم العظيم الشأن
• الله ربي • مالكي • عليه توكلت • في مجامع أموري خاصة لا إلى غيره • وإليه أنيب • أرجع في كل ما يعن لي
من معضلات الأمور لا إلى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحدا مستمرا والإنابة متعددة متجددة حسب
تجدد موادها أوثر في الأول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من
شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلعم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه
من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلعم وقيل
وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح لا ما تسامح
تحمل هذا على الاجتهاد ولعدم جوازه بحضرة الرسول صلعم • فاطر السموات والأرض • خبر آخر لذلكم
أو خبر لمبتدأ محذوف ومبتدأ خبره • جعل لكم • وقرئ بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل في قوله تعالى
إلى الله اعتراض بين الصفة والموصوف • من أنفسكم • من جنسكم • أزواجا • نساء • وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح قد مر سره مرارا • ومن الأنعام • أي وجعل للأنعام من جنسها • أزواجا • أو خلق لكم
من الأنعام أصنافا أو ذكورا وإناثا • يذرؤكم • يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر
• فيه • أي فيما ذكر من التدبير فإن جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير • ليس
كمثله شيء • أي ليس مثله شيء من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل
كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن
من لا مثل له وقيل مثله صفته أي ليس كصفته صفة • وهو السميع البصير • المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر • له
مقاليد السموات والأرض • أي خزائنهما • يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • يوسع ويضيق حسبما تقتضيه
مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة • إنه بكل شيء عليم • مبالغ في الإحاطة به فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي أن
يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى • شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي
أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى • وإيراد بيان ما شرع لهم ههنا دعوى كمال العلم والحكمة كما أن بيان
نسبتها إلى المذكورين عليهم الصلوة والسلام تنبيه على كونه دينا قديما أجمع عليه الرسل والخطاب لأمته عم
أي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولي العزائم من مشاهير الأنبياء
عليهم الصلوة والسلام وأمرهم به أمرا مؤكدا على أن تخصيصهم بالذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة
إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى عليه الصلوة والسلام وتفرد النصارى في حق

عيسى

عيسى عم وإلا فما من نبي إلا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الإسلام وما لا يختلف
باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كما ينبئ عنه التوصية فإنها معربة عن تأكيد الأمر
والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحائه إليه عم إما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله تعالى
وكذلك أوحينا الآية وما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع
ملة إبراهيم حنيفا وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته
إليه عم بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وإيثار الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما
وقع في الآيات المذكورة ولما في الإيحاء من التصريح برسالته عم القامع لإنكار الكفرة والالتفات إلى نون
العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية
نوح عم للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب إليه عم بطريق التلوين للتشريف
والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عم • أن أقيموا الدين • أي دين الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى
وطاعته والإيمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد بإقامته تعديل أركانه
وحفظه من أن يقع فيه زيغ والمواظبة عليه والتشمر له ومحل أن أقيموا النصب على أنه البدل من مفعول شرع
والمعطوفين أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من إبهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو إقامة الدين
وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاء إلى النبي عم مستلزم لكون الخطاب
في قوله تعالى • ولا تتفرقوا فيه • للأنبياء المذكورين عليهم السلام وتوجيه النهي إلى أممهم تمحل ظاهر مع
أن الأظهر أنه متوجه إلى أمته عم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا أي لا تتفرقوا في الدين الذي هو عبارة
عما ذكر من الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الأعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى • كبر على المشركين • شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم من الدين القويم
أي عظم وشق عليهم • ما تدعوهم إليه • من التوحيد ورفض عبادة الأصنام واستبعدوه حيث
قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وقوله تعالى • الله يجتبي إليه من يشاء • استئناف
وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب إلى الدعوة أي الله يجتلب إلى ما تدعوهم إليه من يشاء أن
يجتبيه وهو من صرف اختياره إلى ما دعي إليه كما ينبئ عنه قوله تعالى • ويهدي إليه من ينيب • أي
يقبل إليه حيث يمده بالتوفيق والألطاف وقوله تعالى • وما تفرقوا • شروع في بيان أحوال أهل
الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال المشركين قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى
لقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة أي وما تفرقوا في الدين
الذي دعوا إليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم • إلا من بعد ما جاءهم العلم • بحقيته بما شاهدوا في
رسول الله صلعم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم أو العلم بمبعثه عم فهو استثناء
مفرغ من أعم الأحوال أو من أعم الأوقات أي وما تفرقوا في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات
إلا حال مجيء العلم أو وقت مجيء العلم • بغيا بينهم • وحمية وطلبا للرياسة لا لأن لهم في ذلك شبهة • ولولا كلمة سبقت من

ربك وهي العدة بتأخير العقوبة إلى أجل مسمى هو يوم القيامة لقضي بينهم لأوقع القضاء بينهم باستئصالهم
لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعاً وقوله تعالى وإن الذين أورثوا الكتاب إلى آخره بيان لكيفية كفر المشركين
بالقرآن إثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا أي وإن المشركين الذين أورثوا القرآن
من بعدهم أي من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم لفي شك منه من القرآن مريب موقع في القلق
أو في الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب أهل الكتاب هذا و
أما ما قيل من أن ضمير تفرقوا للأمم السالفة أي أمم الأنبياء عليهم السلام وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبيها مع علمهم بأن
ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة
سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين
بعد ما أهلك الله تعالى أهل الأرض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين
بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغي بينهم فإن مشاهير الأمم المذكورة
قد أصابهم عذاب الاستئصال من غير إنظار وإمهال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه
الأمة وإنما ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم السلام فلذلك أي فلأجل ما ذكر من التفرق والشك المريب
أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون فادع أي الناس
كافة إلى إقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فإن كلاً من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك
الدين لهم على لسان رسول الله صلعم سبب للدعوة إليه والأمر بها وليس المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر
بالإقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار إليه نفس الدين المشروع واللام
بمعنى إلى كما في قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أي فإلى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة إليه
كما أمرت وأوحي إليك ولا تتبع أهواءهم الباطلة وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب أي
كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق
الكتب في الأصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الإيمان بها في خاتمة
سورة البقرة وأمرت لأعدل بينكم في تبليغ الشرائع والأحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام
وقيل معناه لأسوي بيني وبينكم ولا آمركم بما لا أعمله ولا أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ولا أفرق بين أصاغركم
وأكابركم واللام على حقيقتها والمأمور به محذوف أي أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أي أمرت أن أعدل
والباء محذوفة الله ربنا وربكم أي خالقنا جميعاً ومتولي أمورنا لنا أعمالنا لا يتخطانا جزاؤها
ثواباً كان أو عقاباً ولكم أعمالكم لا يتجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا و
بينكم أي لا محاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة
الله يجمع بيننا يوم القيامة وإليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة في مواقف المقاولة
لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار إلى النسخ بآية القتال والذين يحاجون في الله أي في دينه من بعد ما
استجيب من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم إليه البتة

من

من بعد ما استجاب الله لرسوله عليه السلام وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقروا بنعوته
عليه السلام واستفتحوا به قبل مبعثه عليه السلام وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل
كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة زائغة باطلة بل لا حجة لهم أصلاً
وإنما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره
ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي أنزل الكتاب أي جنس الكتاب بالحق ملتبساً به في أحكامه
وأخباره أو بما يحق إنزاله من العقائد والأحكام والميزان والشرع الذي يوازن به الحقوق ويسوى
بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن وما يدريك أي أي شيء يجعلك عالماً
لعل الساعة التي يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب أي شيء قريب أو قريب مجيئها وقيل
القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الإتيان فاتبع الكتاب واعمل به و
واظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الأعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا
يؤمنون بها استعجال إنكار واستهزاء كانوا يقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذي
نحن عليه أم الذي عليه محمد وأصحابه والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها
لتوقع الثواب ويعلمون أنها الحق أي الكائن لا محالة ألا إن الذين يمارون في الساعة
يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلاً من المتجادلين
يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فإن البعث أشبه الغائبات
بالمحسوسات فمن لم يهتد إلى تجويزه فهو عن الاهتداء إلى ما وراءه أبعد وأبعد الله لطيف بعباده أي بر
بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون ألطافه ما لا يكاد يناله أيدي الأفكار والظنون يرزق من يشاء
أن يرزقه كيفما يشاء فيخص كلاً من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي
الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة الحرث
في الأصل إلقاء البذر في الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق
الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور أي من
كان يريد بأعماله ثواب الآخرة نزد له في حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة إلى سبعمائة فما فوقها
ومن كان يريد بأعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها أي شيئاً منها حسبما قسمنا له لا ما
يريده ويبتغيه وما له في الآخرة من نصيب إذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة
الإسراء أم لهم شركاء أي بل ألهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم
بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم
وإضافتها إليهم لأنهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى وإسناد الشرع إليها لأنها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله
تعالى إنهن أضللن كثيراً أو تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل أي القضاء السابق بتأخير
الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة لقضي بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم

وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اي ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين
في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل
احد ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات
وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين
آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات مستقرون في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم
اي ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل
ظرف ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار
اليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الذي يبشر الله عباده
اي يبشر به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي
يبشره الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسئلكم عليه
روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اي لا
اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة في القربى اي الا ان تودوني
لقرابتي منكم او تودوا اهل قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسئلكم اجرا قط ولكن اسئلكم المودة
وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة والقربى مصدر
كالزلفى بمعنى القرابة روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال
علي وفاطمة وابناهما وعن النبي صلعم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع
صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيمة وقيل القربى
التقرب الى الله اي الا ان تتوددوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في
القربى ومن يقترف حسنة اي يكتسب حسنة كانت فيتناول مودة ذوي القربى تناولا اوليا
وعن السدي انها المراد وقيل نزلت في الصديق رض ومودته فيهم نزد له فيها اي في الحسنة حسنا بمضاعفة
الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب
والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون افترى محمد على الله كذبا بدعوة النبوة وتلاوة القرآن على ان
الهمزة للانكار والتوبيخ كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله عم وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء
على الله الذي هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما
قالوا ببيان انه عم لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء عليه
تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي عم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعا
فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وان يشاء ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر
ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحي حينا فحينا
تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشاء يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا

من كان

الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عم وانه في البعد مثل الشرك بالله والدخول
في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة رض يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعني لو افترى
على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم وقيل يختم على قلبك
يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استئناف مقرر لنفي الافتراء
غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في بعض المصاحف لاتباع اللفظ
كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه وبقضائه
كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او لعدة لرسول الله
صلعم بانه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن او
بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجري عليها احكامها اللائقة بها من
المحو والاثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة الرجوع عن المعاصي بالندامة عليها و
العزم على ان لا يعاودها ابدا وروي جابر رضي الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلعم و
قال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي رضي الله عنه يا هذا ان
سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة
قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة
النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية
والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون كائنا
ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما تفعلون
بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا
كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه
قوله عم افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن ادهم انه
قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله
على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل
المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لعلا بعضهم على بعض
بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث
الكمية والكيفية ولكن ينزل بقدر اي بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه انه بعباده خبير بصير
محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر و
يغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا
وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا

انجعوا. وهو الذي ينزل الغيث اي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه
وقرئ ينزل من الانزال. من بعد ما قنطوا يئسوا منه وتقييده بذلك مع تحققه بدونه
ليذكر كمال النعمة وقرئ بكسر النون. وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من
السهل والجبل والنبات والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة ما ذكر انتظاما اوليا. وهو الولي
الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة. الحميد المستحق للحمد على ذلك. ومن آياته خلق السموات
والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شئونه العظيمة. وما بث
فيهما عطف على السموات او الخلق. من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على
الارض فان ما يختص باحد الشيئين يجوز نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج
من الملح وقد جوز ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله في السماء حيوانا
يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روي ان النبي عم قال
فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال بين
ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم. وهو على جمعهم اي حشرهم بعد
البعث للمحاسبة وقرئ يوم. اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى. قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا
عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع. وما اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت
فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط
وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى السببية. ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية
مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه للثواب بالصبر عليه. وما انتم بمعجزين في
الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب. وما لكم من دون الله من
ولي يحميكم منها. ولا نصير يدفعها عنكم. ومن آياته الجوار السفن الجارية. في البحر وقرئ الجواري
كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة. ان يشأ يسكن الريح التي
تجريها وقرئ الرياح. فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي غير جاريات لا غير متحركات
اصلا. ان في ذلك الذي ذكر من السفن اللاتي تجري تارة وتركد اخرى على حسب مشيئته تعالى
لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى. لكل صبار شكور لكل من
حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل
فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر. او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى ان يشأ
يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة
والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى. ويعف عن كثير لان المعنى او يرسلها فيوبق
ناسا وينج اخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف. ويعلم الذين يجادلون في آياتنا

عطف

عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم الى اخره كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى ولنعلمه
من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشأ
يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين. ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها
الفعل. فما اوتيتم من شيء مما ترغبون وتنافسون فيه. فمتاع الحيوة الدنيا اي فهو متاعها تتمتعون به
مدة حياتكم. وما عند الله من ثواب الآخرة. خير لخلوص نفعه. وابقى زمانا حيث لا يزول ولا يفنى
للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث
ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت جوابه الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله انه
تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت. والذين يجتنبون كبائر الاثم
اي الكبائر من هذا الجنس. والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون هم وما بعده عطف على الذين آمنوا او
مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبر له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها
وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس كبير الاثم الشرك. والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت
في الانصار دعاهم رسول الله صلعم الى الايمان فاستجابوا له. وامرهم شورى بينهم اي
ينفقون في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات.
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة
التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما
فضيلة محمودة في موقعه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود
وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال اذا انت اكرمت الكريم ملكته
وان انت اكرمت اللئيم تمردا فوضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى
وقوله تعالى. وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه
اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادي هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما
ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء
من نزلت به. فمن عفا عن المعتدي. واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله
تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم. فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود
وخروجه عن الحد المعهود. انه لا يحب الظالمين البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام. ولمن انتصر بعد
ظلمه اي بعد ما ظلم وقد قرئ به. فاولئك اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير الاول باعتبار
اللفظ. ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة. انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار و
يعتدون في الانتقام. ويبغون في الارض بغير الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا. اولئك الموصوفون
بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق. لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم. ولمن صبر على الاذى وغفر
لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى. ان ذلك الذي ذكر من الصبر والمغفرة. لمن عزم الامور اي ان

ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا تؤدي العفو إلى
الشرك لتشييد الله • ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده • من ناصر يتولاه من بعد خذلانه إياه • و
ترى الظالمين لما رأوا العذاب • أي حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق • يقولون هل إلى مرد
• أي رجعة إلى الدنيا • من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا • وتراهم يعرضون عليها • أي على النار المدلول عليها
بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من تتأتى منه الرؤية • خاشعين من الذل • متذللين متقاصرين مما يلحقهم
• ينظرون من طرف خفي • يبتدئ نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلى السيف • وقال
الذين آمنوا إن الخاسرين • أي المتصفين بحقيقة الخسران • الذين خسروا أنفسهم وأهليهم • بالتعريض للعذاب
المخلد يوم القيامة • ظرف لخسروا والقول في الدنيا أو لقال أي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة
الماضي للدلالة على تحققه • ألا إن الظالمين في عذاب مقيم • تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى
لهم • وما كان لهم من أولياء ينصرونهم • برفع العذاب عنهم • من دون الله • حسب ما كانوا يرجون ذلك في
الدنيا • ومن يضلل الله فما له من سبيل • يؤدي سلوكه إلى النجاة • استجيبوا لربكم • إذ دعاكم إلى الإيمان على
لسان نبيه • من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله • أي لا يرده الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد وقيل
أن يأتي من الله يوم لا يمكن رده • ما لكم من ملجأ يومئذ • أي مفر تلتجئون إليه • وما لكم من نكير • أي إنكار لما اقترفتموه
لأنه مدون في صحائف أعمالكم تشهد عليكم جوارحكم • فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا • تحرس أعمالكم
وصرف الكلام عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيهه إلى الرسول عم فإن لم يستجيبوا أعرضوا عما
تدعوهم إليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم • إن عليك إلا البلاغ • وقد فعلت • وإنا إذا أذقنا الإنسان
منا رحمة • أي نعمة من الصحة والغنى والأمن • فرح بها • أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى • وإن تصبهم سيئة
• أي بلاء من مرض وفقر وخوف • بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور • بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر
البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس
مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد وتصدير الشرطية الأولى بإذا وإسناد الإذاقة إلى
نون العظمة للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بإن و
إسناد الإصابة إلى السيئة وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل من الانتظام في سلك الإرادة
بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم • لله ملك السموات والأرض
• فمن قضيته أن يملك التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيف يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريده •
يخلق ما يشاء • مما يعلمه ومما لا تعلمونه • يهب لمن يشاء إناثا • من الأولاد • ويهب لمن يشاء الذكور • منهم
من غير أن يكون في ذلك مدخل لأحد • أو يزوجهم • أي يقرن بين الصنفين ويهبهما جميعا • ذكرانا وإناثا • قالوا
معنى يزوجهم أن تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما أو تلد ذكرا وأنثى توأمين • ويجعل من يشاء عقيما • والمعنى يجعل أحوال
العباد في حق الأولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض إما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى وإما صنفين
ويعقم آخرين ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما يتعلق به مشيئة
الله

تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الإنسان والإناث كذلك أو لأن الكلام في البلاء والعرب تعدهن أعظم البلايا أو لتطييب قلوب
آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف وجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لأنه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة
إليه في الرابع لإفصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عم حيث
وهب لشعيب ولوط إناثا ولإبراهيم ذكورا وللنبي صلعم ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين • إنه عليم قدير • مبالغ
في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة • وما كان لبشر • أي وما صح لفرد من البشر • أن يكلمه الله بوجه من
الوجوه • إلا وحيا • أي إلا بأن يوحي إليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم عليه السلام
في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد أوحى الله الزبور إلى داود عم في صدره أو بأن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض
الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى • أو من وراء حجاب • فإنه تمثيل لحال الملك المحتجب
الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم
أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى • أو يرسل رسولا • أي ملكا • فيوحي • ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذي
هو الرسول البشري • بإذنه • أي بأمره تعالى وتيسيره • ما يشاء • أن يوحيه إليه وهذا هو الذي يجري بينه تعالى وبين
الأنبياء عليهم السلام في عامة الأوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى أو يرسل مصدران
واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب مرسلا وقرئ أو يرسل بالرفع على إضمار مبتدأ وروي أن اليهود قالت
للنبي عم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عم
لم ينظر موسى إلى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت
أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية • إنه علي • متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى
وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة • حكيم • يجري أفعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها إما إلهاما
وإما خطابا • وكذلك • أي ومثل ذلك الإيحاء البديع • أوحينا إليك روحا من أمرنا • هو القرآن الذي هو للقلوب
بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة أبدية وقيل هو جبريل عم والمعنى أوحيناه إليه عم بإرساله إليه بالوحي
ما كنت تدري • قبل الوحي • ما الكتاب • أي أي شيء هو • ولا الإيمان • أي الإيمان بتفاصيل ما في تضاعيف
الكتاب من الأمور التي لا تهتدي إليها العقول لا الإيمان بما يستقل به العقل والنظر فإن درايته عم بما لا
ريب فيه قطعا • ولكن جعلناه • أي الروح الذي أوحيناه إليك • نورا نهدي به من نشاء • هدايته • من
عبادنا • وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به فوقه تعالى • وإنك لتهدي • تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها
ومفعول تهدي محذوف ثقة بغاية الظهور أي وإنك لتهدي بذلك النور من تشاء هدايته • إلى صراط مستقيم •
هو الإسلام وسائر الشرائع والأحكام وقرئ لتهدى أي ليهديك الله وقرئ لتدعو • صراط الله • بدل من
الأول وإضافته إلى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى • الذي له ما في السموات وما في الأرض • لتفخيم شأنه وتقرير
استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فإن كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب
ذلك أتم إيجاب • ألا إلى الله تصير الأمور • أي أمور ما فيهما قاطبة لا إلى غيره ففيه من الوعد للمهتدين إلى الصراط
المستقيم والوعيد للظالمين ما لا يخفى عن رسول الله صلعم من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون

ويستغفرون له ويسترحمون له **سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك وهي تسع وثمانون آية**

بسم الله الرحمن الرحيم

حم • الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن
لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم • والكتاب • بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم
على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون
الجملة القسمية • المبين • اي البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطرق الهدى من طرق الضلالة
الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة • انا جعلناه قرآنا عربيا • جواب للقسم لكن لا على ان مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل
بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى • لعلكم تعقلون • فانها التي يحتاج الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم
واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق
والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك و
تنقطع اعذاركم بالكلية • وانه في ام الكتاب • اي في اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب
بالكسر • لدينا • اي عندنا • لعلي • رفيع القدر بين الكتب شريف • حكيم • ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما
بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة عطف على
الجملة المقسم عليها داخلة في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من
علو الشأن بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة
على ذلك من حيث الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث الاعجاز ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر
اولى منه بالاقسام به واما ما قيل من انه نعته منزلة لعلو شأنه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في قوله
تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق ان انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به
ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل • افنضرب عنكم الذكر • اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز
من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم
والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم • صفحا • اي اعراضا عنكم على انه مفعول له
للمذكور او مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كأنه قيل افنصفح
عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية اي فننحيه عنكم جانبا • ان كنتم قوما مسرفين • اي لان كنتم منهمكين
في الاسراف مصرين عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا
في العذاب الخالد لكننا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين و
انزال الكتاب المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم وجزاؤها محذوف
ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى • وكم ارسلنا من نبي في الاولين • وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون •
تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء اليهم وتسلية لرسول الله عليه السلام عن استهزاء
قومه وقوله تعالى • فاهلكنا اشد منهم بطشا • اي من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عم ووعيد لهم بمثل ما جرى على
الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الاولوية • ومضى مثل الاولين • اي سلف في

القرآن

القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل • ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن
خلقهن العزيز العليم • اي ليسندن خلقها الى من هذا شأنه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك
هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر
بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاءوا او ابوا وقد جوز ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى • الذي جعل لكم الارض مهدا
استئناف من جهته تعالى اي بسطها لكم تستقرون فيها • وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها في اسفاركم
لعلكم تهتدون • اي لكي تهتدوا بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي
• والذي نزل من السماء ماء بقدر • بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح • فانشرنا به
اي احيينا بذلك الماء • بلدة ميتا • خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة
في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره •
كذلك • اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض • تخرجون • اي تبعثون من قبوركم احياء وفي
التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذي هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر
البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس • والذي خلق الازواج كلها • اي اصناف المخلوقات
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى
الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار • وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون • اي تركبونه
تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز الى مكانتها وكون حركتها
غير ارادية كما مر في سورة هود عليه السلام وقال اركبوا فيها • لتستووا على ظهوره • اي لتستعلوا على ظهور ما تركبونه
من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى • ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه • اي تذكروها بقلوبكم معترفين
بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم • وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا • متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي عليه السلام
انه اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى
قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا • وما كنا له مقرنين • اي مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينته
لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف
المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها • وانا الى ربنا لمنقلبون • اي راجعون وفيه ايذان
بان حق الراكب ان يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى فيبني اموره في
مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع
• وجعلوا له من عباده جزءا • متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم
واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات
وقرئ جزءا بضمتين • ان الانسان لكفور مبين • ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحانه وتعالى
الله عما يصفون • ام اتخذ مما يخلق بنات • ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى
ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والتوبيخ والتعجب من شأنهم وقوله

تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذوا داخل في حكم الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او
بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه
اخس الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه وتعالى
مع ظهور استحالته وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحيا حتى اجترأتم على التفوه
بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما و
تنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا الى آخره استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم
اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم ويحكى لغيرهم تعجيبا منها اي اذا اخبر
احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه وتعالى اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله [illegible] جملة وقعت
خبرا له ظل وجهه مسودا اي صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة و
الجملة حال وقرئ خبرا له اومن ينشأ في الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على اتخذ
فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتاكيده
والعطف للتغاير العنواني اي او اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام اي
الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان في العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان
عقله وضعف رأيه واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشّأ من الافعال
والمفاعلة بمعنى ونظيره اغلاه واعلاه وغالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم
المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله تعالى عز وعلا انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ
عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اي احضروا خلق
الله اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ
اأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه في ديوان اعمالهم
ويسألون عنها يوم القيامة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان لله جزءا وانه
بنات وانها الملائكة وقرئ يساءلون من المساءلة للمبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم
اي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته
تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى وانكاره ان ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا في اثباته
حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا والسخط في شيء من الطرفين
ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اي بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق
ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة من علم يستند الى سند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك
الى اصل الدعوى كأنه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب
عنه الى ابطال ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل ادعائهم

قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا
آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لم يأتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى
تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة
بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران او الظرف صلة
لمهتدون وكذلك اي والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من
قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استئناف
مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك
المقالة للايذان بان التنعم وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين
وبين اممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم اي قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اي اتقتدون بآبائكم
ولو جئتكم باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء
وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحي حينئذ الى كل نذير لا على انه
خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا اي كل امة
لنذيرها انا بما ارسلت به الى آخره وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فجعله
حكاية عنهم مع جعل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل الله من التوحيد
لاجماعهم عليه كما في نظائره قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده قوله تعالى فانتقمنا منهم
اي بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ
قال ابراهيم اي واذكر وقت قوله عليه السلام لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله انني
براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه
اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ بريء
وبراء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اي انني بريء من عبادتكم او معبودكم
الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاصنام
او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اي سيثبتني على
الهداية او سيهدين الى ما وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف و
صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اي جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة
باقية في عقبه في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال
فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها
باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت [illegible]
هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من اهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في
الشهوات واشتغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اي هؤلاء الحق اي القرآن ورسول اي رسول

اي رسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ
متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية الى آخره مبالغة في
تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان
فجعلوه سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة
ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به
حيث قالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلعم
وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين اي من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم اي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي
وقيل حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة
حسدا على نزوله الى الرسول صلعم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بنبوته بل استدلالا على عدمها بمعنى
انه لو كان قرآنا لنزل على احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق الا لمن له جلالة من
حيث المال والجاه ولم يدروا انها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين
بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية وانما المتزخرفون بالزخارف الدنية المتمتعون بالحظوظ
الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل
لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اي اسباب معيشتهم في الحيوة الدنيا
قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية
ورفعنا بعضهم فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد
حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا
ليسخر بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا و
يصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا
في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم
في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخيير لها وتقويم امرها
ورحمة ربك اي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية
وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله
عز وجل والمعنى ان حقارته بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم الدنيا في الكفر اذا رأوا اهله في سعة
وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اي متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى
من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة
وسقيفة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا

ومعارج

ومعارج اي وجعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد جمع معرج وقرئ ومعاريج جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون
السطوح والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر
يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من
فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اي وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شيء
يتمتع به في الحيوة الدنيا وفي معناه ما قرئ وما كل ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على ان ان هي المخففة و
اللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي للذي هو متاع الى آخره كما
في قوله تعالى تماما على الذي احسن والآخرة بما فيها من فنون النعيم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين
اي عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام عن ذكر
الرحمن وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح موصولة عن
متضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية
والشهوات نقيض له شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده
الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع يقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد
ممن يعشو ليصدونهم اي فريق هم فقد جمع الضميرين اعتبارا لمعنى من كما ان افراد الضمائر السابقة اعتبار للفظها
عن السبيل المستبين الذي يدعو اليه القرآن ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين
مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول
يصدون بتقدير المبتدأ او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اي وانهم يصدونهم عن الطريق الحق وهم
يحسبون انهم مهتدون وايثار صيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى
اذا جاءنا فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة في الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما مر
مرارا وافراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية حالة كل واحد واحد من العاشين لتعريته لتهويل الامر وتفظيع الحال
والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم مع
قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق والمغرب
اي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين اي انت وقوله تعالى ولن ينفعكم
الى آخره حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم اي يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم
اذ ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال
اذا انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة بل كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون
تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز
ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها
لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسيمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر
ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا

وآتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا او لقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ... لا تشتغلوا بذلك كان رسول الله
صلعم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه
من بينات القرآن فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمي وهو انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد
تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف
على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستغراق في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور
من قبل الهادي ففيه رمز الى انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اي فان قبضناك
قبل ان تبصر عذابهم وتشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة وما مزيدة
للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم اي او اردنا ان نريك العذاب
الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد اراه ذلك يوم بدر فاستمسك
بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ اوحي على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل انك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك او للامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك
وسوف تسألون يوم القيمة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسأل اممهم
وعلماء دينهم كقوله فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤول عنه عين ما
نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله اممهم وعلماؤهم من تلقاء انفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم
فكانه سأل الانبياء عليهم الصلوة والسلام اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون اي هل حكمنا بعبادة الا
الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع
ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ملتبسا بها الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين
اريد باقتصاصه تسلية رسول الله عم والاستشهاد بدعوة موسى عم فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون
اي فاجاؤا وقت ضحكهم منها اي استهزؤوا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية من الآيات الا هي اكبر
من اختها الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل ما يقاس بها من الآيات
والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير قصور في شيء منها او الا وهي مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها
واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر
وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر
لاستعظامهم علم السحر وقرئ ايه الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد
عندك بعهده عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عنا بدعوتك كعهده لهم ان
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجاؤا وقت نكث
عهدهم بالاهتداء وقد سبق تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم
بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها
اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي اي من تحت قصري او امري وقيل من تحت

كشف العذاب عمن اهتدى او
بما عهد عندك فوفيت به
من الايمان والطاعة اننا
لمهتدون اي لمؤمنون
على تقدير صح

سريري

سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على ملك مصر فتجري حال منها
او للحال فهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبر للمبتدأ افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه ام
انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين اي ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين
اي الكلام فكيف يصلح للرسالة وانما قاله افتراء عليه عم وتنقيصا له عم في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه عم من نوع رتة وقد
كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير كانه قال اثر ما عدد اسباب
فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه حالي من هذا الى آخره واما متصلة فالمعنى افلا
تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء
وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان ابصارهم لما ذكر
من اسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القي عليه اسورة من ذهب اي فهلا القي
اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لانهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة جمع سوار
وقرئ اساور جمع اسورة وقرئ اساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ كذلك
وقرئ القي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين
يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم
وطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين
فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق الغوي فلما آسفونا اي اغضبونا اشد الغضب من اسف
اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون
مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو في الاصل مصدر نعت به او جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم
السين واللام على انه جمع سليف اي فريق قد سلف كرغف او سالف كصبر او سلف كاسد وقرئ سلفا بابدال
ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين اي عظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال
لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلعم
في قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حين قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال عم هو لكم
ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيرا وبنو
مليح الملائكة فان كان هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت
اصواتهم وذلك قوله اذا قومك منه اي من هذا المثل يصدون اي يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا
وجدلا وقرئ يصدون اي من اجل ذلك المثل يصدون عن الحق اي يثبتون على ما كانوا عليه من
الاعراض اي يزدادون فيه وقيل هو لغة من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الانسب بمعنى
المعاجات وقالوا ءالهتنا خير ام هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيدا لما بنوا عليه من
الباطل المموه بما يغتر به السفهاء اي ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا فيها واعلم ان ما نقل عنهم من الفرح
ورفع الاصوات لم يكن لما قيل من انه عليه السلام سكت عند ذلك الى ان نزل قوله تعالى ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى الآية بل انما كان ما اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما نطق
وقوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا اي ما ضربوا لك هذا المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا
له عند ظهوره ببيانك بل هم قوم خصمون اي لداد شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا
قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن
نعبد الملائكة فنزلت فقولهم أآلهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عم لان المراد بهم الملائكة ومعنى ما ضربوه
الى آخره ما قالوا هذا القول الا للجدل وقيل لما نزلت ان مثل عيسى الآية قالوا انما يريد محمد بهذا ان نعبده وانه
يستأهل ان يعبد وان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون
والضمير في ام هو لمحمد عم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز ان يكون مرادهم التنصل
عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله ومن عبادتهم لهم كانهم قالوا ما قد بدعنا من القول ولا فعلنا منكرا فان
النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا
اليه الاناسي ومعنى ان هو الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي امرا عجيبا حقيقا
بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق لتنزيهه عم عن ان ينسب اليه ما نسبت
الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على
بطلان رأي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأي من يرى رأيهم في شأن الملائكة وعلى الثاني
والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد قصارى امره انه ممن انعمنا
عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه ابدع منه فاين
هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى ينتج عبث الملائكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا
بان حالهم اشف من حالهم واما على الوجه الثالث فهو لرد ما تفوهوا به وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلعم ببيان ان عيسى
في الحقيقة وفيما اوحي الى الرسول عم ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الصلوة بمعبوديته او كيف
يتوهم الرضى بمعبودية نفسه وقوله تعالى ولو نشاء الى آخره لتحقيق ان مثل عيسى عم ليس ببدع من قدرة الله تعالى
وانه تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا بحيث
لو نشاء لجعلنا اي لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة ملائكة كما خلقناهم
بطريق الابداع في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء يخلفون اي يخلفونكم مثل اولادكم
فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شأنهم التسبيح والتقديس في السماء
فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية او انتسابهم الى الله تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وانه وان عيسى لعلم للساعة اي انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه
بغير اب او باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة وقرئ
لعلم اي علامة وقرئ للذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفي الحديث ان عيسى عم ينزل على
ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس

في صلوة

في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عم ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر
الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة
فلا تمترن بها فلا تشكن في وقوعها واتبعون اي واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول
مأمورا من جهته تعالى هذا اي الذي ادعوكم اليه والقرآن على ان الضمير له صراط مستقيم موصل الى
الحق ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية
ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال لبني اسرائيل قد
جئتكم بالحكمة اي الانجيل او الشريعة ولابين لكم عطف على مقدر ينبئ عنه المجيء بالحكمة كانه قيل قد جئتكم لاعلمكم اياها
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من
وظائف الانبياء عم كما قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون
فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع
هذا اي التوحيد والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عم او استئناف
من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عم فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث اليهم من اليهود
والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيامة هل ينظرون اي ما ينتظر
الناس الا الساعة ان تأتيهم اي الا اتيان الساعة بغتة اي فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين
عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء اي المتحابون في الدنيا على
الاطلاق او في الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تأتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من
علائق الخلة والتي يتخذونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى
على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل
وعلى الثاني منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله
يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين
اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل اذا بعث الله الناس
فزع كل احد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس اهل الاديان
الباطلة رؤسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي
اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف
بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف جمع صحفة
قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز
لا عروة له وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهي وتلذ الاعين اي
تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون اتمام للنعمة فان كل نعيم له زوال بالآخرة
مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدأ وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم

تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة شبهت جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول
مع صلته خبر وقيل موصوفة الجنة كما لو جيء بالأول والجر بما كنتم تعملون فيتعلق بمحذوف لا بأورثتموها كما في الأول
لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الأنواع والأصناف لا بحسب الأفراد فقط منها تأكلون أي بعضها تأكلون في كل نوبة وأما الباقي فعلى الأشجار
على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار أبدا موقرة بها وعن النبي صلعم لا ينزع رجل في الجنة
من ثمرها إلا نبت مثلاها مكانها إن المجرمين أي الراسخين في الإجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه إيرادهم
في مقابلة المؤمنين بالآيات في عذاب جهنم خالدون خبر إن أو خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتر عنهم أي لا
يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى إذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه أي في العذاب وقرئ
فيها أي في النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم أنفسهم
للعذاب الخالد ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز إلى ضعفهم وعجزهم
عن تأدية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك أي ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه إذا أماته والمعنى سل ربك أن
يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من إبلاسهم لأنه جؤار وتمني للموت لفرط الشدة قال إنكم ماكثون أي في العذاب
أبدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله عنه أنه لا يجيبهم إلا بعد ألف سنة وقيل بعد مائة
وقيل بعد أربعين سنة لقد جئناكم بالحق في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع
من جهته تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن أكثركم للحق أي حق كان
كارهون لا تقبلونه وتنفرون منه وأما الحق المعهود الذي هو التوحيد أو القرآن فكلكم كارهون مشمئزون منه
أم أبرموا أمرا كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلعم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال
من توبيخ أهل النار إلى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للإنكار فإن أريد بالإبرام الإحكام حقيقة فهي لإنكار الوقوع
واستبعاده وإن أريد الإحكام صورة فهي لإنكار الواقع واستقباحه أي أبرم مشركو مكة أمرا
من كيدهم ومكرهم برسول الله صلعم فإنا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم أو فإنا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما أبرموا
كيدهم صورة كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتنادون فيتناجون في أنديتهم ويتشاورون
في أموره عم أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكان
خال ونجواهم أي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا أي
يكتبونهما أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة
إما عطف على ما يترجم عنه بلى أو حال أي نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبونه قل أي للكفرة تحقيقا للحق
وتنبيها لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة ليست لبغضك وعداوتك
لهم أو لمعبودهم بل إنما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا إليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى
إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي له وذلك لأنه عم أعلم الناس بشئونه تعالى وبما يجوز عليه
وبما لا يجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم الولد وفيه من الدلالة على انتفاء
كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلعم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد

ما لا يخفى

ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه إيراد إن مكان لو المنبئة
عن امتناع مقدم الشرطية وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل
فأنا أول الآنفين أي المستنكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه وقيل إن نافية
أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وقرئ وُلْد سبحان رب السموات والأرض رب العرش
عما يصفون أي يصفونه به من أن يكون له ولد وفي إضافة اسم الرب إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه
على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شيء منها جزءا
منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش فذرهم حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي
يخوضوا في أباطيلهم ويلعبوا في دنياهم فإن ما هم فيه من الأفعال والأقوال ليست إلا من باب الجهل
واللعب والفعل مجزوم لجواب الأمر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة فإنهم يومئذ يعلمون
ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ
عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كأنه قيل وهو
الذي مستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الأنعام وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله و
الراجع إلى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبرا مقدما وإله
مبتدأ مؤخرا للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول وإله خبرا لمبتدأ محذوف على أن
الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي للآلهة السماوية
والأرضية وتخصيص لاستحقاق الإلهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله و
تبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما إما على الدوام كالهواء أو في بعض الأوقات كالطير
وعنده علم الساعة أي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة وإليه ترجعون للجزاء والالتفات
للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ تحشرون بالتاء ولا يملك الذين يدعون أي يدعونه وقرئ بالتاء مخففا
ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون
به عن بصيرة وإيقان وإخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الإفراد أولا باعتبار لفظها والاستثناء
إما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام ولئن سألتهم
من خلقهم أي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الإنكار لغاية بطلانه فأنى يؤفكون
فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر على أنه عطف
على الساعة أي عنده علم الساعة وعلم قوله عم يا رب إلى آخره فإن القول والقيل والقال كلها مصادر
أو على أن الواو للقسم وقوله تعالى إن هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الإقسام به من رفع
شأنه عم وتفخيم دعائه والتجائه إليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب عطفا على سرهم أو على محل الساعة أو
بإضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة فاصفح
عنهم فأعرض عن دعوتهم واقنط عن إيمانهم وقل سلام أي أمري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون

القوم

حالهم البتة وأن تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلعم وقرئ تعلمون على أنه داخل في حيز
قل عن النبي صلعم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم
تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب سورة الدخان مكية إلا قوله تع إنا كاشفوا العذاب الآية بسم الله
الرحمن الرحيم وهي سبع أو تسع وخمسون آية حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في سورة
السابقة إنا أنزلناه أي الكتاب المبين الذي هو القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة
ابتدئ فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا من اللوح وأملاه جبريل عم على السفرة ثم كان ينزله
على النبي صلعم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لأن نزول القرآن مستتبع
للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسم النعم وفصل
الأقضية وفضيلة العبادة وإعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلعم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم
زيادة ظاهرة إنا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الإنزال كأنه قيل إنا أنزلناه لأن من شأننا
الإنذار والتحذير من العقاب وقيل جواب القسم وقوله إنا أنزلناه إلى آخره اعتراض وقيل جواب ثان
بغير عاطف فيها يفرق كل أمر حكيم استئناف كما قبله فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة
بالحكم الموافقة لها يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض
وهذا يدل على أنها ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع
أمورهم من هذه الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في
ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبرائيل وكذا
الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الأعمال إلى إسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم
ونسخة المصائب إلى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرّق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل
أي يفرق الله كل أمر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة أمرا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته
الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل أمر لتخصصه بالوصف أو من ضميره في حكيم
وقد جوز أن يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان في المعنى أو لفعله المضمر
لما أن الفرق به أو حالا من أحد ضميري أنزلناه أي آمرين أو مأمورا إنا كنا مرسلين بدل من إنا كنا
منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تع رحمة من ربك غاية للإرسال متأخرة عنه على أن
المراد بها الرحمة الواصلة إلى العباد أو باعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أي إنا أنزلناه القرآن لأن
من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل إفاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة
إرسالهم ووضع الرب موضع الضمير للإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وإضافته
إلى ضميره عم لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تع أمرا على أن قوله تعالى رحمة مفعول للإرسال
كما في قوله تع وما يمسك فلا مرسل له أي يفرق فيها كل أمر أو يصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا
إرسال رحمتنا ولا ريب في أن كلا من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة

فإن العاقبة لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمةٌ بالرفع أي تلك رحمة وقوله تعالى إنه هو السميع
العليم تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لا تحق إلا لمن هذه نعوته رب السموات والأرض وما بينهما بدل
من ربك أو بيان أو نعت وقرئ بالرفع على أنه خبر أو استئناف على إضمار مبتدأ إن كنتم موقنين
أي إن كنتم من أهل الإيقان في العلوم أو إن كنتم موقنين في إقراركم بأنه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما
إذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا إله إلا
هو جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستأنفة
كما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب آبائكم الأولين بإضمار مبتدأ أو بدل من رب السموات على قراءة الرفع
أو بيان أو نعت له وقيل فاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع إلى رب السموات وقرئ بالجر بدلا من رب
السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تع غير موقنين في إقرارهم يلعبون لا يقولون
ما يقولون عن جد وإذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب
أو الأمر به على ما قبلها فإن كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما أي فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان
مبين أي يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان إما لضعف
بصره أو لأن في عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمي الشر الغالب
دخانا وذلك أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلعم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على
مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف عم فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان
الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من
الدخان وذلك قوله تع يغشى الناس أي يحيط بهم هذا عذاب أليم أي قائلين ذلك فمشى إليه عليه
السلام أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه أن دعا لهم وكشف عنهم أن
يؤمنوا وذلك قوله تع ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود
رضي الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء
قبل يوم القيمة فيدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن
منه كهيئة الزكام ويكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلعم
أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر
قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة
أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره والأول
هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فإن قوله تع أنى لهم الذكرى إلى آخره رد لكلامهم و
استدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالإيمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية
أي كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم
وقد جاءهم رسول مبين أي والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم منه

في إيجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم مناهج الحق بإظهار آيات ظاهرة ومعجزات
قاهرة تخر لها صم الجبال • ثم تولوا عنه • عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه العظائم
الموجبة للإقبال إليه ولم يقتنعوا بالتولي • وقالوا • في حقه • معلم مجنون • أي قالوا تارة يعلمه غلام
أعجمي لبعض ثقيف وأخرى مجنون أو يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن
يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم إلا كمثل الكلب إذا جاع ضغا وإذا شبع طغى وقوله تعالى • إنا كاشفوا
العذاب قليلا إنكم عائدون • جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون بطريق
الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض أي إنا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا أو زمانا
قليلا إنكم تعودون إثر ذلك إلى ما كنتم عليه من العتو والإصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة
الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي عم فما لبثوا أن
عادوا إلى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الأشراط قال إذا جاء الدخان تضور المعذبون
به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين
يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون • يوم نبطش البطشة الكبرى • أي يوم القيامة وقيل يوم
بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى • إنا منتقمون • لا لمنتقمون لأن إن مانعة عن ذلك أي يوم نبطش ننتقم إنا
منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتي الخ وقرئ نبطش أي نحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى
وهو التناول بعنف وصولة أو نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة • ولقد فتنا قبلهم
قوم فرعون • أي امتحناهم بإرسال موسى عم أو أوقعناهم في الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ
بالتشديد للمبالغة أو لكثرة القوم • وجاءهم رسول كريم • على الله تعالى أو على المؤمنين أو في نفسه لأن الله تعالى
لم يبعث نبيا إلا من سراة قومه وكرامهم • أن أدوا إلي عباد الله • أي بأن أدوا إلي بني إسرائيل وأرسلوهم
معي أو بأن أدوا إلي عباد الله حقه من الإيمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن مجيء الرسول لا يكون إلا برسالة
ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أي جاءهم بأن الشأن أدوا إلي الخ وقوله تعالى • إني لكم رسول أمين •
تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أي رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة •
وأن لا تعلوا على الله • أي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وأن كالتي سلفت وقوله تعالى • إني آتيكم
أي من جهته تعالى • بسلطان مبين • تعليل للنهي أي آتيكم بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها وآتيكم على صيغة
الفاعل أو المضارع وفي إيراد الأداء مع الأمين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى • وإني عذت بربي وربكم •
أي التجأت إليه وتوكلت عليه • أن ترجمون • من أن ترجمون أي تؤذوني ضربا أو شتما أو أن تقتلوني
قيل لما قال وأن لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرئ بإدغام الذال في التاء • وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون • أي وإن
كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا إلي بشر وأذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم
إلى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن يأباه المقام • فدعا ربه • بعد ما
تمادوا على تكذيبه • أن هؤلاء • أي بأن هؤلاء • قوم مجرمون • وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه ولذلك سمي

دعاء وقرئ بكسر على إضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بإجرامهم وقيل هو قوله
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين • فأسر بعبادي ليلا • بإضمار القول إما بعد الدعاء أي فقال ربه أسر بعبادي و
إما قبلها كأنه قيل قال إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادي أي بني إسرائيل فقد دبر الله تعالى أن تتقدموا وقرئ بوصل
الهمزة من سرى • إنكم متبعون • أي يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما علموا بخروجكم • واترك البحر رهوا • مفتوحا ذا
فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره ليدخله القبط • إنهم جند مغرقون •
وقرئ أنهم بالفتح أي لأنهم • كم تركوا • أي كثيرا تركوا بمصر • من جنات وعيون وزروع ومقام كريم • محافل مزينة
ومنازل محسنة • ونعمة • أي تنعم • كانوا فيها فاكهين • متنعمين وقرئ فكهين • كذلك • الكاف في حيز النصب وذلك
إشارة إلى مصدر فعل يدل عليه تركوا أي مثل ذلك السلب سلبناهم إياها • وأورثناها قوما آخرين • وقيل مثل
ذلك الإخراج أخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على الخبرية أي الأمر كذلك فحينئذ يكون أورثناها معطوفا على تركوا وعلى الأولين
على الفعل المقدر • فما بكت عليهم السماء والأرض • ومنه روي أن المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد
عمله ومهابط رزقه وآثاره في الأرض وقيل بتقدير المضاف أي أهل السماء والأرض • وما كانوا • لما جاء وقت هلاكهم • منظرين •
ممهلين إلى وقت آخر أو إلى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا • ولقد نجينا بني إسرائيل • بأن فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا •
من العذاب المهين • من استعباد فرعون إياهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم • من فرعون •
بدل من العذاب إما على جعله نفس العذاب لإفراطه وإما على حذف المضاف أي عذاب فرعون أو حال من المهين
أي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وتفرعنه وفي إبهام أمره أولا وتبيينه
بقوله تعالى • إنه كان عاليا من المسرفين • ثانيا من الإفصاح عن كنه أمره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه
وقوله تعالى من المسرفين إما خبر ثان لكان أي كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير في عاليا أي كان رفيع الطبقة من بين المسرفين
فائقا لهم بليغا في الإسراف • ولقد اخترناهم • أي بني إسرائيل • على علم • أي عالمين بأنهم أحقاء بالاختيار أو عالمين بأنهم
يزيغون في بعض الأوقات ويكثر منهم الفرطات • على العالمين • جميعا لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمي زمانهم
• وآتيناهم من الآيات • كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي
لم يعهد مثلها في غيرهم • ما فيه بلاء مبين • نعمة جلية أو اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون • إن هؤلاء • يعني كفار قريش
لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم في الإصرار على الضلالة والتحذير عن حلول
مثل ما حل بهم • ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى • أي ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية
ولا قصد فيه إلى إثبات موتة أخرى كما في قولك حج زيد الحجة الأولى ومات وقيل لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها
حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا إن هي إلا موتتنا الأولى أي ما الموتة التي تعقبها حياة إلا الموتة الأولى وقيل
المعنى ليست الموتة إلا هذه الموتة التي تعقب حياة القبر كما تزعمون • وما نحن بمنشرين • بمبعوثين • فأتوا
بآبائنا • خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عم والمؤمنين • إن كنتم صادقين • فيما تعدونه من قيام
الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه
وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات • أهم خير • رد لقولهم وتهديد لهم أي أهم خير في القوة والمنعة اللتين

يدفع بها اسباب الهلاك • ام قوم تبع • هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها
وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك برا وبحرا
بحارا كثيرة وعن النبي صلعم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس
رضي الله عنه انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون • والذين من
قبلهم • عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي باس شديد والاستفهام لتقرير
ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى • اهلكناهم انهم كانوا مجرمين • تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم
مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاؤهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى
• وما خلقنا السموات والارض وما بينهما • اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن • لاعبين • لاهين من غير ان يكون في خلقهما
غرض صحيح وغاية حميدة • ما خلقناهما • وما بينهما • الا بالحق • استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما
ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة
والبعث والجزاء • ولكن اكثرهم لا يعلمون • ان الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء • ان يوم الفصل • اي فصل الحق عن الباطل
وتمييز المحق من المبطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبابه • ميقاتهم • وقت موعدهم • اجمعين • وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه
اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل • يوم لا يغني • بدل من يوم الفصل او
صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا للفصل • مولى عن مولى • اي مولى كان من قرابة او غيرها • شيئا من الاغناء
• ولا هم ينصرون • الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام • الا من رحم الله • بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع
على البدل من الواو او النصب على الاستثناء • انه هو العزيز • الذي لا ينتصر منه من اراد تعذيبه • الرحيم • لمن اراد ان
يرحمه • ان شجرة الزقوم • وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات • طعام الاثيم • اي الكثير
الاثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه • كالمهل • وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي
الزيت • يغلي في البطون • وقرئ بالتاء على اسناده الى الشجرة • كغلي الحميم • غليانا كغليه • خذوه •
على ارادة القول والخطاب للزبانية • فاعتلوه • اي جروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف
وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه • الى سواء الجحيم • اي وسطه • ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم • كان الاصل
يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم
للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع • ذق انك انت العزيز الكريم • اي قولوا له ذلك استهزاء
به وتقريعا على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلعم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت
ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك بالفتح اي لانك او عذاب انك • ان هذا • اي العذاب • ما كنتم به تمترون • تشكون
وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم • ان المتقين • اي عن الكفر والمعاصي • في مقام • في موضع قيام والمراد
المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة •
امين • يامن صاحبه الافات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة
كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره • في جنات وعيون • بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله

على طيبات الماكل والمشارب • يلبسون من سندس واستبرق • خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف و
السندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب • متقابلين • في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض • كذلك •
اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم • وزوجناهم بحور عين • على الوصف وقرئ بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع
الحوراء وهي البيضاء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرها • يدعون فيها
بكل فاكهة • اي يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان • امنين •
من كل ما يسوءهم • لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى • بل يستمرون على الحيوة ابدا والاستثناء منقطع او
متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها المعلق على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا
امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ • ووقاهم عذاب الجحيم • وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية • فضلا من ربك •
اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك فضل • ذلك هو الفوز العظيم • الذي لا فوز وراءه
اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله • فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون • فذلكة للسورة
الكريمة اي انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك فيتذكروا ويعملوا بموجبه اذ لم يفعلوا ذلك • فارتقب •
فانتظر ما يحل بهم • انهم مرتقبون • ما يحل بك • روي عن النبي صلعم من قرا سورة الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا
له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم • الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف
اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط
التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله • تنزيل الكتاب • على الاول خبر لمبتدا مضمر يلوح به ما قبله
اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر حم اي المسمى به تنزيل الى اخره وقد مر مرارا ان الذي
يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار
بها واما جعله خبرا له بعد تقدير مضاف وابقاء التنزيل على حاله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فبمعزل عن افادة فائدة
يعتد بها وعلى الثاني فقوله تعالى • من الله العزيز الحكيم • كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم
به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى • ان في السموات والارض لايات للمؤمنين • وهو على الوجوه
المتقدمة كلام مستانف مسوق للتنبيه على الايات التكوينية الافاقية والانفسية ومحل الايات اما نفس
السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الايات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى
ان في خلق السموات والارض وهو الاوفق لقوله تعالى • وفي خلقكم • اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار
مختلفة الى تمام الخلق • وما يبث من دابة • عطف على المضاف دون المضاف اليه وفيما ينشره ويفرقه من
دابة • ايات • بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان
وقيل ايات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرئ اية بالتوحيد وقرئ ايات بالنصب عطفا على ما قبلها من اسم
ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة ايات • لقوم يوقنون • اي من شانهم ان يوقنوا
بالاشياء على ما هي عليه • واختلاف الليل والنهار • بالجر على اضمار الجار المذكور في الايتين قبله وقد قرئ

بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما او تفاوتهما طولاً وقصراً • وما انزل الله من السما • عطف على اختلاف
من رزق • اي من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيهاً على كونه اية من جهتي القدرة والرحمة • فاحيى به
الارض • بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات • بعد موتها • وعرائها من اثار الحيوة وانتفاء
قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار • وتصريف الرياح • من جهة الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد
الريح وتاخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود اما للايذان بانه اية مستقلة حيث لو روعي الترتيب
الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر اية واحدة واما لان كون التصريف اية ليس لمجرد
كونه مبدا لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار • ايات لقوم يعقلون •
بالرفع على انه مبتدا خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها
اسم ان والمجرور المتقدم خبر بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت
الجر في اختلاف والنصب في ايات وتنكير ايات في المواقع الثلثة للتفخيم كماً وكيفاً واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب
الايات في الدقة والجلا • تلك ايات الله • مبتدا وخبر وقوله تعالى • نتلوها عليك • حال عاملها معنى الاشارة
وقيل هو الخبر وايات الله بدل او عطف بيان • بالحق • حال من فاعل نتلو او من مفعوله اي نتلوها محقين او
ملتبسة بالحق • فباي حديث • من الاحاديث • بعد الله واياته • اي بعد ايات الله وتقديم الاسم الجليل
لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القران حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل احسن
الحديث وهو المراد باياته ايضاً ومناط العطف التغاير العنواني • يؤمنون • بصيغة الغيبة وقرئ
بالتا • ويل لكل افاك • كذاب • اثيم • كثير الاثام • يسمع ايات الله • صفة اخرى لافاك وقيل استيناف
وقيل حال من الضمير في اثيم • تتلى عليه • حال من ايات الله ولا مساغ لجعله مفعولاً ثانياً ليسمع لان شرطه
ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيداً يقرا • ثم يصر • اي يقيم على كفره واصله من اصرار الحمار
على العانة • مستكبراً • عن الايمان بما سمعه من ايات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدرياً
لها معجباً بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل
بها الناس عن استماع القران لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير بسيرته ما هم فيه من
الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الايات التي حقها ان تذعن لها القلوب
وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها • كان لم يسمعها • اي كانه لم يسمعها فخفف
وحذف ضمير الشان والجملة حال من يصر اي يصر مشبهاً بغير السامع • فبشره بعذاب اليم • على اصراره و
استكباره • واذا علم من اياتنا شيئاً • اي اذا بلغه من اياتنا شيء وعلم انه من اياتنا لا انه علمه كما هو عليه
فانه بمعزل من العلم وقيل اذا علم منها شيئاً يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملاً فاسداً يتوسل به
الى الطعن والغميزة • اتخذها • اي الايات كلها • هزواً • بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث
لانه في معنى الاية • اولئك • اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبايح والجمع باعتبار الشمول
للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد • لهم • بسبب

جناياتهم

جناياتهم المذكورة • عذاب مهين • وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بايات الله
سبحانه وتعالى • من ورائهم جهنم • اي من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن
ذلك مقبلون على الدنيا فان الورا اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام • ولا يغني عنهم • ولا يدفع
ما كسبوا • من الاموال والاولاد • شيئاً • من عذاب الله تعالى او شيئاً من الاغنا • ولا ما اتخذوا من دون
الله اوليا • اي الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغنا الاصنام اظهر واجلى من عدم
اغنا الاموال والاولاد قطعاً مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم • ولهم فيما
ورائهم من جهنم • عذاب عظيم • لا يقادر قدره • هذا • اي القران • هدى • في غاية الكمال من الهداية كانه نفسها
والذين كفروا • اي بالقران وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى • بايات ربهم • لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم
لهم عذاب من رجز • اي من اشد العذاب • اليم • بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين
عذاب في المواقع الثلثة للتفخيم ورفعه اما على الابتدا واما على الفاعلية • الله الذي سخر لكم البحر • بان جعله املس
السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه • لتجري الفلك فيه بامره • وانتم راكبوها
ولتبتغوا من فضله • بالتجارة والغوص والصيد وغيرها • ولعلكم تشكرون • لكي تشكروا النعم المترتبة على
ذلك • وسخر لكم ما في السموات وما في الارض • من الموجودات بان جعلها مداراً لمنافعكم • جميعاً • اما حال
من ما في السموات والارض او تاكيد له • منه • متعلق بمحذوف هو صفة لجميعاً او حال من ما اي جميعاً كائناً
منه تعالى او لسخر لكم هذه الاشيا كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر لمحذوف اي هي جميعاً منه تعالى وقرئ منة على المفعول له
ومنه على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر مبتدا محذوف اي ذلك منه • ان في ذلك • اي فيما ذكر
من الامور العظام • لايات • عظيمة الشان كثيرة العدد • لقوم يتفكرون • في بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون
بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها • قل للذين امنوا • حذف المقول لدلالة • يغفروا • عليه
فانه جواب للامر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا يغفروا • للذين لا يرجون ايام الله • اي
يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات
التي وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر
رضه حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي غلامه يستقي فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك
قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك احداً يستقي حتى ملا قرب النبي صلعم وقرب ابي بكر رضه فقال ابن ابي ما مثلنا
ومثل هؤلا الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك عمر رضي الله فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى
ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون • تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثنا عليهم اي
امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوماً ايما قوم قوماً مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من
جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضا عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم
هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير

للتحقير وهو أن مطلق الجزاء لا يصلح تعليلاً للأمر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل
بأن لا يتحقق بعض منه في الدنيا أو بما يصيبهم عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وأن يراد كلا الفريقين وهو
أكثر تكلفاً وأشد تمحلاً وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوماً أي ليجزي الله قوماً وقرئ لنجزي قوماً بنون العظمة من عمل صالحاً فلنفسه
ومن أساء فعليها لا يكاد يسري عمل إلى غير عامله ثم إلى ربكم مالك أموركم ترجعون فيجازيكم على أعمالكم خيراً
كان أو شراً ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب أي التوراة والحكم أي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين
أو فصل الخصومات بين الناس إذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم
من الطيبات مما أحل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت
من عداهم من فلق البحر وإظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمي زمانهم وآتيناهم بينات من الأمر دلائل
ظاهرة في أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم بمبعث النبي صلعم وما بين لهم من أمره وأنه يهاجر
من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الأمر إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته
وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجباً لرسوخه بغياً بينهم أي عداوة وحسداً لا شكاً فيه إن ربك
يقضي بينهم يوم القيامة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من أمر الدين ثم جعلناك على شريعة
أي سنة وطريقة عظيمة الشأن من الأمر أي أمر الدين فاتبعها بإجراء أحكامها في نفسك وفي غيرك من غير
إخلال بشيء منها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون أي آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات
وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عم ارجع إلى دين آبائك إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً مما أراد بك إن
اتبعتهم وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض لا يواليهم ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالماً مثلهم والله
ولي المتقين الذين أنت قدوتهم فدم على ما أنت عليه من توليه خاصة والإعراض عما سواه بالكلية هذا
أي القرآن أو اتباع الشريعة بصائر للناس فإن ما فيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر
في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون من شأنهم الإيقان بالأمور
أم حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين إثر بيان تباين
حالي الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الأول والهمزة لإنكار الحسبان
لكن لا بطريق إنكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض
أم نجعل المتقين كالفجار بل بطريق إنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب أن نجعلهم
أي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي الأحوال كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم
فيما هم فيه من محاسن الأعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم
أي محيا الفريقين جميعاً ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معاً لاشتماله على ضميريهما على أن السواء
بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال
كون الكل مستوياً محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فإن هؤلاء في عز الإيمان والطاعة وشرفهما

في المحيا

في المحيا وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات وأولئك في ذل الكفر والمعاصي وهوانهما في المحيا وفي لعنة
الله والعذاب الخالد في الممات وشتان بينهما وقد قيل المراد إنكار أن يستووا في الممات كما استووا
في الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستوٍ محياهم في الرزق والصحة وإنما يفترقون في الممات وقرئ محياهم
ومماتهم بالنصب على أنهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله أي حال كونهم مستوين في محياهم ومماتهم
وقد ذكر في الآية الكريمة وجوه أخر من الإعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الأول فتدبر وقرئ سواء
بالرفع على أنه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وأياً ما كان فنسبة حسبان التساوي
إليهم في ضمن الإنكار التوبيخي مع أنهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الإنكار
والتشديد في التوبيخ فإن إنكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه إنكار لحسبان الرجحان بالفضل
وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده ساء ما يحكمون أي ساء حكمهم هذا أو بئس شيئاً حكموا به ذلك
وخلق الله السموات والأرض بالحق استئناف مقرر لما سبق من الحكم فإن خلق الله تعالى
لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار
المظلوم من الظالم وإذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتماً ولتجزى كل نفس بما كسبت
عطف على بالحق لأن فيه معنى التعليل إذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث
والباطل وحاصله خلقها لأجل ذلك ولتجزى إلى آخره أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل و
لتجزى وهم أي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب أو زيادة عقاب و
تسمية ذلك ظلماً مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحته تعالى
عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه تعجيب من حال
من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده أي أنظرت فرأيته فإن ذلك مما يقضي منه العجب وقرئ
آلهة هواه لأن أحدهم كان يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى
وأضله الله وخذله على علم أي عالماً بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها وختم
على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات والنذر وجعل على بصره غشاوة مانعة
عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله أي من
بعد إضلاله تعالى إياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي أفلا تذكرون أي ألا تلاحظون فلا تذكرون
وقرئ تتذكرون على الأصل وقالوا بيان لأحكام ضلالهم المحكي أي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي
أي ما الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا أي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك
حياة وقيل نكون نطفاً وما قبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا
ويحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان وقرئ نحيا وما يهلكنا إلا
الدهر إلا مرور الزمان وهو في الأصل مدة بقاء العالم من دهره إذا غلبه وقرئ إلا دهر يمر وكانوا

وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح
بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلعم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر
اي الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر • وما لهم بذلك • اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا واسناد
الحيوة والموت الى الدهر • من علم • مستند الى عقل او نقل • ان هم الا يظنون • ما هم الا قوم قصارى
امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في
انفسهم • واذا تتلى عليهم آياتنا • الناطقة بالحق الذي من جملته البعث • بينات • واضحات الدلالات
على ما نطقت به او مبينات • ما كان حجتهم • بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء
من الاشياء • الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين • في انا نبعث بعد الموت اي الا هذا القول
الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم
بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع • وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم
شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل • قل الله يحييكم • ابتداء • ثم يميتكم • عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون
من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر • ثم يجمعكم • بعد الموت • الى يوم القيمة • للجزاء • لا ريب فيه • اي في جمعكم فان من
قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم
حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه • ولكن اكثر الناس لا يعلمون • استدراك من قوله تعالى
لا ريب فيه وهو اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على ان ارتيابهم
لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب • ولله ملك السموات والارض • بيان لاختصاص
الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث
والجمع للمجازاة • ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون • والعامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه •
وترى كل امة • من الامم المجموعة • جاثية • باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع
والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضي الله عنه جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة
• كل امة تدعى الى كتابها • الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول
ثان • اليوم تجزون ما كنتم تعملون • اي يقال لهم ذلك وقوله تعالى • هذا كتابنا • الى آخره من تمام ما يقال حينئذ
وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ
وكتابنا خبره وقوله تعالى • ينطق عليكم • اي يشهد عليكم • بالحق • من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال و
بالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى • انا كنا نستنسخ • الى آخره تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشيء
منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة • ما كنتم تعملون • في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى
• فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته • اي في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما
خوطبوا به من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد • ذلك • الذي ذكر من الادخال في رحمته تعالى • هو الفوز المبين
الظاهر لكونه فوزا لا فوز وراءه • واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم • اي فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع

الم تكن

الم تكن تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه • فاستكبرتم
عن الايمان بها • وكنتم قوما مجرمين • اي قوما عادتهم الاجرام • واذا قيل ان وعد الله • اي ما وعده من الامور الآتية
او وعده بذلك • حق • اي واقع لا محالة او مطابق للواقع • والساعة • التي هي اشهر ما وعده •
لا ريب فيها • اي في وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل ان
واسمها • قلتم • لغاية عتوكم • ما ندري ما الساعة • اي اي شيء هي استغرابا لها • ان نظن الا ظنا
اي ما نفعل الا ظنا كما قدم تحقيقه في قوله تعالى ان نتبع الا ما يوحى الي وقيل ما نعتقد الا ظنا اي لا علما وقيل لحصر
الظن ظنا وقيل ان نظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى • وما نحن بمستيقنين • اي لامكانه فان مقابل
الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هي الا حياتنا الدنيا • وبدا لهم • اي
ظهر لهم حينئذ • سيئات ما عملوا • على ما هي عليه من الصور المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها
فان جزاء السيئة سيئة • وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن • من الجزاء والعقاب • وقيل اليوم ننساكم
نترككم في العذاب ترك المنسي • كما نسيتم • في الدنيا • لقاء يومكم هذا • اي كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة
اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه • ومأواكم النار وما لكم من ناصرين • اي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها
• ذلكم العذاب • بانكم • بسبب انكم • اتخذتم آيات الله هزوا • اي مهزوا بها ولم ترفعوا لها رأسا • وغرتكم
الحيوة الدنيا • فحسبتم ان لا حيوة سواها • فاليوم لا يخرجون منها • اي من النار وقرئ يخرجون من الخروج والالتفات
الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار
• ولا هم يستعتبون • اي لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه • فلله الحمد • خاصة • رب
السموات ورب الارض رب العالمين • فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بان ربوبيته
تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلث على المدح باضمار هو • وله الكبرياء في السموات والارض • لظهور
آثارها واحكامها فيهما واظهارهما في موقع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء • وهو العزيز • الذي لا يغلب • الحكيم • في كل ما
قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلعم من قرأ سورة الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته
يوم الحساب

سورة الاحقاف وهي اربع وقيل خمس وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم • الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة • ما خلقنا السموات
والارض • وما بينهما • من المخلوقات • الا بالحق
استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية
او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اي ما خلقناها في حال من الاحوال الا حال ملابستنا بالحق
وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة
ما لا يخفى • واجل مسمى • عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه امور الكل وهو يوم القيمة
• يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار • وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد
ويأباه قوله تعالى • والذين كفروا عما انذروا معرضون • فان ما انذروه يوم القيمة وما فيه من الطامة الكبرى التامة والا

والاهوال العامة لا لاخراء مارهم وقد جوز كون ما مصدرية والجملة حالية اي ما خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير
الاجل الذي يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم و
تبكيتا ارأيتم اخبروني وقرئ ارأيتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام اروني تاكيدا
لارأيتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك اي شركة مع الله تعالى في السموات اي في خلقها
او ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء من الاشياء
بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله
تعالى ايتوني بكتاب الهي من قبل هذا الكتاب اي القرآن الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم
او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين
في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي ان لم يكن صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها
برهان عقلي او سلطان نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين
بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي
عن غيركم واثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث
اي رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعو من دون الله
من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك التركيب لنفي الاضل منهم
من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير
الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة الى يوم القيامة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم غافلون
الضمير الاول لمفعول يدعو والثاني لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها
لكونهم جمادات وضمير العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفهم اياها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها
للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية واذا حشر الناس عند قيام القيامة كانوا
لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى انه يحيي الاصنام فتتبرأ من
عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويبنى ارجاع الضمائر
واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق
اي لاجله وفي شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان
بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اي في اول ما جاءهم
من غير تدبر وتأمل هذا سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية
شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجيب اي بل ايقولون
افترى القرآن قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا ريب في انه تعالى يعاجلني حينئذ
بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افتري عليه تعالى كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون

بن

فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله تعالى والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا
بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور
الرحيم وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من
الرسل البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم او جمع
مقدر بمضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون عليه السلام آيات عجيبة
ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا على ما لم
يقدروا عليه حتى اتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم السلام
ما كانوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من افعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضاياه وعن الحسن وما ادري
ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا وعن ابن عباس رضي ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول
ان ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة فان العلم
بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين هذا وقد روي عن الكلبي ان
اصحاب النبي صلعم قالوا له وقد ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اترك
بمكة ام اؤمر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وجوز ان تكون ما موصولة والاول
الاستفهامية اقضى لحق مقام التبرئ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي المنسحب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد
الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر افعاله عليه السلام على
اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي كما هو المتسارع الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على البناء للفاعل
وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا
عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب الله حسبما يوحى الي مبين بين الانذار
بالمعجزات الباهرة قل ارأيتم ان كان اي ما يوحى الي من القرآن من عند الله لا سحرا او مفترى كما تزعمون عليهم
بالكفر ويعطف على كان كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط
المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا
وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما عند الله ام لا وكذا في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين
فان الكل امور محققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما عند الله تعالى واستكبار عنه او لا والمعنى اخبروني
ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بني اسرائيل الواقفين على شؤون
الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التوراة على مثله اي مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في
القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين
وقوله تعالى وان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات اخر او على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى كذا

وقيل المثل صلة والضمير للقرآن وقوله تعالى • فآمن • للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقرآن لما علم انه من جنس الوحي
الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بقدوم رسول الله صلعم المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه
ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق انه هو النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة
وما اول طعام يأكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال عم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من
المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه واذا سبق ماء
المرأة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا فقام ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل
ان تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي عم اي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا
واعلمنا وابن اعلمنا قال ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن
ابي وقاص رحمه الله سمعت رسول الله عم يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام
وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عم وشهادته ما في التوراة من بعثة النبي عم وبه قال الشعبي وقال
مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة واجاب
الكلبي بان الآية مدنية وان كانت السورة مكية • واستكبرتم • عطف على شهد وجواب الشرط محذوف
والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فآمن به من بينهم واستكبرتم
عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل
ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى • ان الله لا يهدي القوم الظالمين • فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال
قطعا ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم • وقال الذين كفروا • حكاية لبعض آخر
من اقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة • للذين آمنوا • اي لاجلهم
• لو كان • اي ما جاء به عم من القرآن والدين • خيرا ما سبقونا اليه • فان معالي الامور لا ينالها ايدي
الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب
دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم انها منوطة بكمالات
نفسانية وملكات روحانية ومبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية
وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد
واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالت اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه
ويأباه ان السورة مكية فلابد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء ان الآية نزلت بالمدينة • واذ لم يهتدوا به • ظرف
لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا • فسيقولون •
غير مكتفين بنفي خيريته • هذا افك قديم • كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك
• ومن قبله • اي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى • كتاب موسى • وقيل والجملة حالية او مستأنفة
وايا ما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا •

• اماما ورحمة • حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من
الله لمن آمن به وعمل بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون • كتاب • عظيم الشأن • مصدق •
اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة او لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرئ كذلك • لسانا عربيا •
حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل
مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي • لينذر الذين ظلموا • متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب او الله تعالى
او الرسول عم ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب • وبشرى للمحسنين • في حيز النصب عطفا على محل لينذر
وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي وهو بشرى وقيل على انه عطف على مصدق • ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا • اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في امور الدين التي هي منتهى
العمل وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد • فلا خوف عليهم • من لحوق مكروه
• ولا هم يحزنون • من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا نفي
دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا • اولئك • الموصوفون بما ذكر من الوصفين
الجليلين • اصحاب الجنة خالدين فيها • حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى • جزاء • منصوب اما بعامل
مقدر اي يجزون جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم • بما كانوا يعملون •
من الحسنات العلمية والعملية • ووصينا الانسان • بان يحسن • بوالديه • احسانا • وقرئ حسنا اي بان يفعل
بهما حسنا اي فعلا ذا حسن او كأنه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما
اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصيناه ايصاء حسنا • حملته امه كرها ووضعته كرها • اي ذات كره
او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر
• وحمله وفصاله • اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم
والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما اراد بالامد المدة من قال كل حي مستكمل
مدة العمر ومود اذا انتهى امده • ثلاثون شهرا • تمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله
وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين
لمن اراد ان يتم الرضاعة وينبغي ان يحمل ذلك على الغالب لتعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما و
تحقق ارتباط النسب والرضاع بهما • حتى اذا بلغ اشده • اي اكتهل واستحكم قوته وعقله • وبلغ اربعين سنة •
حتى لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده • قال رب اوزعني • اي الهمني واصله
واولعني من اوزعته بكذا • ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي • اي نعمة الدين او ما يعمها وغيرها و
• ان اعمل صالحا ترضاه • التنكير للتفخيم والتكثير • واصلح لي في ذريتي • اي واجعل الصلاح ساريا في ذريتي
راسخا فيهم كما في قوله تعالى • يجرح في عراقيبها نصلي • قال ابن عباس رضي الله عنهما اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رضي الله
فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا
ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه

واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلعم وابنه عبد الرحمن ابن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم
ادركوا النبي صلعم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين • انى تبت اليك • عما لا ترضاه او عما
يشغلني عن ذكرك • وانى من المسلمين • الذين اخلصوا لك انفسهم • اولئك • اشارة الى الانسان والجمع لان
المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي اولئك المنعوتون
بما ذكر من النعوت الجليلة • الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا • من الطاعات فان المباح لا يثاب عليه • ونتجاوز
عن سيئاتهم • وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع احسن على انه قائم
مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور • في اصحاب الجنة • اي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم • وعد الصدق • مصدر
مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز • الذي كانوا يوعدون • على السنة
الرسل • والذي قال لوالديه • عند دعوتهما له الى الايمان • اف لكما • صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام
لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس
القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالجمع كما سبق وقيل هو الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة
هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روي من انها نزلت في عبد الرحمن ابن ابي بكر رضه قبل اسلامه
يرده ما سياتي من قوله تع اولئك الذين حق عليهم القول لانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت
الصديقة رضي الله عنها من قال ذلك • اتعدانني ان اخرج • ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج
• وقد خلت القرون من قبلي • ولم يبعث منهم احد • وهما يستغيثان الله • تعالى يسالانه ان يغيثه ويوفقه
للايمان • ويلك • اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان
لا حقيقة الهلاك • آمن ان وعد الله حق • اي البعث اضافه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطائه في اسناد
الوعد اليهما وقرئ ان وعد الله اي آمن بان وعد الله حق • فيقول • مكذبا لهما • ما هذا • الذي تسميانه وعد الله
• الا اساطير الاولين • اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة • اولئك • القائلون
هذه المقالات الباطلة • الذين حق عليهم القول • وهو قوله تع لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى • في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس • وقد مر تفصيله في سورة الم
السجدة • انهم كانوا خاسرين • قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباعهم
الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي • ولكل • من الفريقين المذكورين • درجات
مما عملوا • مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق
التغليب • وليوفيهم اعمالهم • اي اجزية اعمالهم مقررا لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم
فعل للثواب درجات وللعقاب دركات • ويوم يعرض الذين كفروا على النار • اي يعذبون بها من قولهم عرض
الاسارى على السيف اي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب • اذهبتم طيباتكم • اي يقال لهم ذلك و
[illegible] وقرئ أأذهبتم بهمزتين وبالف بينهما على الاستفهام التوبيخي اي اصبتم واخذتم ما كتب
لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها • في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها • فلم يبق لكم منها شيء • فاليوم تجزون عذاب

الهون

الهون • اي الهوان وقد قرئ كذلك • بما كنتم • في الدنيا • تستكبرون في الارض بغير الحق
بغير استحقاق لذلك • وبما كنتم تفسقون • اي تخرجون من طاعة الله عز وجل اي بسبب استكباركم
وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين • واذكر • اي لكفار مكة • اخا عاد • اي هودا
عم • اذ انذر قومه • بدل اشتمال منه اي وقت انذاره اياهم • بالاحقاف • جمع حقف وهو رمل مستطيل
مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال
مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة • وقد خلت النذر
اي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر • من بين يديه • من قبله • ومن خلفه • اي من بعده والجملة اعتراض
مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذر قومه وبين قوله • الا تعبدوا الا الله
مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم في العبارة المحكية والمعنى واذكر لقومك انذار
هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن تاخر عنه قومهم مثل ذلك
فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على معنى انه انذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله • اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم • وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم
منذرون نحو انذاره ففيه ما فيه من تكلف تقدير الاعلام في نسبة الخلو الى من بعده من الرسل
تنزيلا له منزلة الخالي • قالوا اجئتنا لتافكنا • لتصرفنا • عن آلهتنا • عن عبادتها • فاتنا بما تعدنا • من
العذاب العظيم • ان كنت من الصادقين • في وعدك بنزوله بنا • قال انما العلم • اي بوقت نزوله او العلم
بجميع الاشياء التي من جملتها ذلك • عند الله • وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله
وانما علمه عند الله تعالى فياتيكم به في وقته المقدر له • وابلغكم ما ارسلت به • من مواجب الرسالة التي من جملتها
بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ
• ولكني اريكم قوما تجهلون • حيث تقترحون على ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين
وقته والفاء في قوله تع فلما راوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تع • عارضا • اما تمييز او حال او راجع
الى ما استعجلوه بقولهم فاتنا بما تعدنا اي فاتاهم فلما راوه سحابا يعرض في افق السماء • مستقبل
اوديتهم • اي متوجه اوديتهم والاضافة فيه لفظية كما في قوله تع • قالوا هذا عارض ممطرنا • ولذلك
وقعا صفتين للنكرة • بل هو • اي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم اي ليس الامر كذلك بل
هو ما استعجلتم به • من العذاب • ريح • بدل من ما او خبر لمبتدا محذوف • فيها عذاب اليم • صفة لريح
وكذا قوله تعالى • تدمر • اي تهلك • كل شيء • من نفوسهم واموالهم • بامر ربها • وقرئ يدمر كل شيء
من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف او هو الهاء في ربها ويجوز ان
يكون استئنافا واردا لبيان ان لكل ممكن فناء مقتضيا منوطا بامر بارئه ويكون الهاء
لكل شيء وفي ذكر الامر والاضافة الى الرب من الدلالة على عظمة شانه عز وجل ما لا يخفى والفاء
في قوله تعالى • فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم • فصيحة اي فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لا يرى

الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ورفع مساكنهم خطابا لكل احد يتأتى منه الرؤية تنبيها على ان حالهم بحيث لو حضر كل احد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم • كذلك • مثل ذلك الجزاء الفظيع • نجزي القوم المجرمين • وقد مر تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روى ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة وترفعها في الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى ان اول ما عرفوا به انه عذاب ما رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضه اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة • ولقد مكناهم • اي قررنا عادا واقدرناهم وما في قوله • فيما ان مكناكم فيه • موصولة او موصوفة وان نافية اي في الذي او في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى ولم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان ههنا التفصي عن تكرار لفظة ما هو الداعي الى قلب الفها هاء في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام • وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة • يستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكرها • فما اغنى عنهم سمعهم • حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل • ولا ابصارهم • حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم • ولا افئدتهم • حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى • من شيء • اي شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى • اذ كانوا يجحدون بآيات الله • متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث • وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون • من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين • ولقد اهلكنا ما حولكم • يا اهل مكة • من القرى • كحجر ثمود وقرى قوم لوط • وصرفنا الآيات • كررناها • لعلهم يرجعون • كي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي • فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة • القربان ما يتقرب به الى الله تعالى واحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها الى الله تعالى حيث كانوا يقولون انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اي متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله تعالى في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء • بل ضلوا عنهم • اي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم اي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع

نصر الغائب عن المنصور • وذلك • اي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرتهم • افكهم • اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ اي الذي هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال اي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الآفك اي ذو الافك كما يقال قول كاذب • وما كانوا يفترون • عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله تعالى او اثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك • واذ صرفنا اليك نفرا من الجن • املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر في جمع الضمير في قوله • يستمعون القرآن • وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او صفة اخرى له اي استماع قراءته على القرآن او اثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا اليك نفرا من الجن مقدرا استماعهم القرآن • فلما حضروه • اي القرآن عند تلاوته او الرسول عند تلاوته له على الالتفات والاول هو الاظهر • قالوا • اي قال بعضهم لبعض • انصتوا • اي اسكتوا لنسمعه • فلما قضي • اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عم وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عم • ولوا الى قومهم منذرين • مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليه روى ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلعم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلعم على الجن ولا رآهم وانما كانوا يتلون في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال عم اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلعم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عم ثم انقطعوا كتقطع السحاب فقال لي رسول الله صلعم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك • قالوا • اي عند رجوعهم الى قومهم • يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى • قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضه ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عم • مصدقا لما بين يديه • اراد وا به التوراة • يهدي الى الحق • من العقائد الصحيحة • والى طريق مستقيم • موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة • يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به • ارادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى بعدما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم • يغفر لكم من ذنوبكم • اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص حق الله

لكان حقوق العباد لا تغفر بالايمان • ويجركم من عذاب اليم • معد للكفار واختلف في ان لهم اجرا غير هذا او لا والاظهر
انهم في حكم بني ادم ثوابا وعقابا وقوله تعالى • ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض • ايجاب للاجابة بطريق
الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين
مبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع
الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى • وليس له من دونه
اولياء • بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب
مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الاحاد الى الاحاد لكن الجمع في قوله تعالى • اولئك • بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون
بعدم اجابة داعي الله • في ضلال مبين • اي ظاهر لكونه ضلالا لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا
شانه • اولم يروا • الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم يتفكروا ولم
يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان • ان الله الذي خلق السموات والارض • ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون
ينتحيه • ولم يعي بخلقهن • اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا ولم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله
تعالى بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بقدر ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد
في صدر الاية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر • على ان يحيي الموتى • ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى
• بلى انه على كل شيء قدير • تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود • ويوم يعرض الذين كفروا على النار •
ظرف عامله قول مضمر مقوله • اليس هذا بالحق • على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير ان يخطر بالبال
لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر في سورة الاعراف وقيل هي
الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين • قالوا بلى وربنا •
اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم ذلك • قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون • بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى • فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل •
جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم
من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولي العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا
في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى و
عيسى وقيل هم الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر
على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر و
موسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع
لبنة على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين • ولا تستعجل لهم • اي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم
كانهم يوم يرون ما يوعدون • من العذاب • لم يلبثوا • في الدنيا • الا ساعة • يسيرة • من نهار • لما يشاهدون من
شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى • بلاغ • خبر مبتدا محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ
من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا • فهل يهلك الا القوم الفاسقون • اي الخارجون عن

عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ يهلك بفتح اليا وكسر اللام وبفتحها من هلك وهلك ونهلك بنون العظمة من الاهلاك
ونصب القوم وعن النبي صلعم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عم مدنية وقيل مكية وهي تسع وثلثون اية وقيل ثمان وثلثون اية وتسمى سورة القتال

بسم الله الرحمن الرحيم

• الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله • اي اعرضوا عن
الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل
هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب
الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد • اضل
اعمالهم • اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم تكن
كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملونها من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف
وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان وابطل ما عملوه من الكيد
لرسول الله صلعم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سياتي من
قوله تعالى • فتعسا لهم واضل اعمالهم • وقوله • فاذا لقيتم • الى اخره • والذين امنوا وعملوا الصالحات • قيل
هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل عام للكل • وامنوا بما نزل على محمد •
خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب
الايمان به وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله تعالى • وهو الحق من ربهم • بطريق حصر الحقية فيه
وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل وايا ما كان فقوله
تعالى • من ربهم • حال من ضمير الحق وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البناء ونزل بالتخفيف • كفر عنهم سيئاتهم •
اي سترها بالايمان والعمل الصالح • واصلح بالهم • اي حالهم في الدين والدنيا بالتاييد والتوفيق • ذلك • اشارة
الى ما مر من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدا خبره قوله تعالى • بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم • اي ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان
كما قاله مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما
له لكونه اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب ان الاخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما
فعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح
بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدا ومنشا لهما حتما فلا تدافع
بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب
الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها
وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لان الكفر والصد احسن منه فلا وجه للتصريح بسببية ما ذكر من
اضلال اعمالهم بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق
نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تعرضا

نعو تجانا بسببه المشعر بهما في الموقعين • كذلك • اي مثل ذلك الضرب البديع • يضرب الله • اي يبين للناس
امثالهم وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الاخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في
قوله تعالى • فاذا لقيتم الذين كفروا • لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح
احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما
ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة • فضرب الرقاب • اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب
منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير عن القتل بضرب الرقاب تصوير له باشنع صوره وتهويل لامره وارشاد للغزاة
الى ايسر ما يكون منه • حتى اذا اثخنتموهم • اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل
والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض • فشدوا الوثاق • فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا
الوثاق بالكسر وقد قرئ • فاما منا بعد واما فداء • اي فاما تمنون منا بعد ذلك او تفدون فداء والمعنى التخيير
بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهو ثابت عند الشافعي رح وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر
ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق
وقرئ فدى كعصا • حتى تضع الحرب اوزارها • اوزار الحرب اثقالها واتاقها التي لا تقوم الا بها من السلاح
والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي رح لاحد الامور الاربعة
او للمجموع والمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل
عيسى عم واما عند ابي حنيفة رح فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون
حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع
جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها اثامها حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم
بان اسلموا • ذلك • اي الامر ذلك او افعلوا ذلك • ولو يشاء الله لانتصر منهم • لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة
والاستئصال • ولكن • لم يشاء ذلك • ليبلو بعضكم ببعض • فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا
الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر • والذين
قتلوا في سبيل الله • اي استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقتلوا وقتلوا • فلن يضل اعمالهم • اي
فلن يضيعها وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم
احد • سيهديهم • في الدنيا الى ارشد الامور وفي الاخرة الى الثواب او سيثبت هدايتهم • ويصلح بالهم
ويدخلهم الجنة عرفها لهم • في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد
منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه
كل شيء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف الدار
فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد او بدونه • يا ايها الذين امنوا ان تنصروا
الله • اي دينه ورسوله • ينصركم • على اعدائكم ويفتح لكم • ويثبت اقدامكم • في مواطن الحرب ومواقفها او
على محجة الاسلام • والذين كفروا فتعسا لهم • التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط

ودخل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله تعالى • و
اضل اعمالهم • عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول • ذلك • اي ما ذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم
بسبب انهم • كرهوا ما انزل الله • من القران لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه و
اشتهته انفسهم الامارة بالسوء • فاحبط • لاجل ذلك • اعمالهم • التي لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها
• افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم • من الامم المكذبة فان اثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم
وقوله تعالى • دمر الله عليهم • استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استاصل
الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به • و
للكافرين • اي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم • امثالها • امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء
امثالها لاولئك واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم
اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد الما من الهلاك
بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كانه قيل دمر الله عليهم في الدنيا و
لهم في الاخرة امثالها • ذلك • اشارة الى ثبوت امثال عقوبة الامم السالفة لهؤلاء • بان الله
مولى الذين امنوا • اي ناصرهم على اعدائهم وقرئ ولي الذين • وان الكافرين لا مولى لهم • فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة
والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك • ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار • بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية
• والذين كفروا يتمتعون • اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها • وياكلون كما تاكل الانعام • غافلين عن عواقبهم
• والنار مثوى لهم • اي منزل ثواء واقامة والجملة اما حال مقدرة من واو ياكلون او استئناف وكاي
كلمة مركبة من الكاف واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى • من قرية • تمييز لها وقوله تعالى • هي
اشد قوة من قريتك • صفة لقرية كما ان قوله تعالى • التي اخرجتك • صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجري
احكامه عليهما كما ينفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى • التي اخرجتك • صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجري
احكامه عليهما كما ينفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى • اهلكناهم • اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك
الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية منها بالاهلاك
لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه الصلوة والسلام للايذان باولويتها به لقوة جنايتها وعلى
طريقته قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا • وايسر جرما منك ضرج بالدم • وقوله تعالى • فلا ناصر لهم
بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم
والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية • افمن كان على بينة من ربه • تقرير لتباين
حالي فريقي المؤمنين والكافرين وكون الاولين في اعلى عليين والاخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما
من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين
المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي صلعم او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة

بينهم وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير أليس الأمر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من
مالك أمره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية • كمن زين له سوء عمله • من الشرك و
سائر المعاصي مع كونه في نفسه أقبح القبائح • واتبعوا • بسبب ذلك التزيين • أهواءهم • الزائغة وانهمكوا في فنون
الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليها وجمع الضمير الأخيرين
باعتبار معنى من كما أن إفراد الأولين باعتبار لفظها • مثل الجنة التي وعد المتقون • استئناف مسوق لشرح محاسن
الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية أنهارها التي أشير إلى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين إيذانا بأن الإيمان
والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها
العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى • فيها أنهار
إلى آخره مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والأول هو الأنسب بصدر النظم الكريم وقيل
المثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال • إلى الحول ثم اسم السلام عليكما • والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار
إلى آخره • من ماء غير آسن • أي متغير الطعم والرائحة وقرئ غير أسن • وأنهار من خمر لذة للشاربين •
لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وإنما هي تلذذ محض ولذة إما تأنيث لذ بمعنى لذيذ أو
مصدر نعت به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على أنها صفة أنهار وبالنصب على العلة أي لأجل لذة الشاربين
• وأنهار من عسل مصفى • لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الأشربة في الجنة
بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ منها في الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها
ودوامها • ولهم فيها • مع ما ذكر من فنون الأنهار • من كل الثمرات • أي صنف من كل الثمرات و
مغفرة • أي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة
لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة من ربهم وقوله تعالى • كمن هو خالد في
النار • خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار
كما نطق به قوله تعالى وإن النار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن في الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة
تصوير المكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة الموصوفة
بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار • وسقوا ماء حميما • مكان تلك الأشربة • فقطع أمعاءهم
• ومنهم من يستمع إليك • هم المنافقون وإفراد الضمير باعتبار لفظة من كما أن جمعه فيما سيأتي باعتبار
معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلعم ويسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته
تهاونا منهم • حتى إذا خرجوا من عندك • قالوا للذين أوتوا العلم • من الصحابة رضي الله تعالى عنهم
• ماذا قال آنفا • أي ما الذي قال الساعة على طريقة الاستهزاء وإن كان بصورة الاستعلام وآنفا
من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنفه وهو ظرف
بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير في قال وقرئ أنفا • أولئك • الموصوفون بما ذكر • الذين طبع الله
على قلوبهم • لعدم توجهها نحو الخير أصلا • واتبعوا أهواءهم • الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا

قال ع

خير فيه

خير فيه • والذين اهتدوا • إلى طريق الحق • زادهم • أي الله تعالى • هدى • بالتوفيق والإلهام • وآتاهم
تقواهم • أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم ما يتقون • فهل ينظرون إلا الساعة
أي القيامة وقوله تعالى • أن تأتيهم بغتة • أي تباغتهم بغتة وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة
والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أحوال الأمم الخالية ولا بالإخبار بإتيان الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح
الغين وقوله تعالى • فقد جاء أشراطها • تعليل لمفاجأتها لا لإتيانها مطلقا على معنى أنه لم يبق من الأمور
الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة إذ قد جاء أشراطها فلم يرفعوا لها
رأسا ولم يعدوها من مبادي إتيانها فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والأشراط جمع شرط
بالتحريك وهي العلامة والمراد مبعثه صلعم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى • فأنى لهم إذا جاءتهم
ذكراهم • حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر إلى إتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله
تعالى يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى أي وكيف لهم ذكراهم إذا جاءتهم على أن أنى خبر مقدم وذكراهم
مبتدأ وإذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا إلى غاية سرعة مجيئها وإطلاق المجيء عن قيد البغتة لما
أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ إن تأتهم على أنه شرط
مستأنف جزاؤه فأنى لهم إلى آخره والمعنى إن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر أماراتها
فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم إذا جاءتهم • فاعلم أنه لا إله إلا الله • أي إذا علمت أن مدار السعادة
هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من
العلم بالوحدانية والعمل بموجبه • واستغفر لذنبك • وهو الذي ربما يصدر عنه عم من ترك الأولى
عبر عنه بالذنب نظرا إلى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الأبرار سيئات المقربين وإرشادا له عم إلى التواضع
وهضم النفس واستقصار العمل • وللمؤمنين والمؤمنات • أي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي
غفرانهم وفي إعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف وإقامة المضاف إليه
مقامه إشعار بعراقتهم في الذنوب وفرط افتقارهم إلى الاستغفار • والله يعلم متقلبكم • في الدنيا فإنها
مراحل لا بد من قطعها لا محالة • ومثواكم • في العقبى فإنها مواطن إقامتكم فلا يأمركم إلا بما هو خير لكم
فيهما فبادروا إلى الامتثال بما أمركم به فإنه المهم لكم في المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء
منها • ويقول الذين آمنوا • حرصا منهم على الجهاد • لولا نزلت سورة • أي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد
• فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال • بطريق الأمر به أي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها
بوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فإذا نزلت
سورة وقرئ وذكر على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى ونصب القتال • رأيت الذين في قلوبهم مرض • أي ضعف
في الدين وقيل نفاق وهو الأظهر الأوفق لسياق النظم الكريم • ينظرون إليك نظر المغشي عليه من
الموت • أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كدأب من أصابته غشية الموت • فأولى لهم • أي فويل لهم وهو
أفعل من الولي وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم وقيل هو مشتق

من الولي واصله اولى فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستأنف
اى امرهم طاعة الى آخره او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم ويؤيده قراءة ابى يقولون طاعة
وقول معروف اى امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند العزم وهو لاصحاب الامر وهو لا فصحا به مجازا كما فى
قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اى نافقوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا
وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرنى طعام فلو جئتنى لاطعمتك اى فلو صدقوه تعالى
فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجبه لكان اى الصدق خيرا لهم وفيه
دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قولهم لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوا فى الايمان وواطأت قلوبهم
فى ذلك ألسنتهم وايا ما كان فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم
الى آخره بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع اى فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس
وتأمرتم عليهم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان
من شاهد احوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن
احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مأمورون بتركه الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم
اذا اطلقت اعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام
ان ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة
بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع فى خبر الشرط فى مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذورا به
باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب فى ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر
وفساد فحقه ان يجعل عمدة فى التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ لا باعتبار ذاته بما دونه من المفاسد وقرئ وليتم
على البناء للمفعول اى جعلتم ولاة وقرئ توليتم اى تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم فى
الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على
نزع الجار اى فى ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم
فيقولون عسى ان يفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا
بان ذكر قبائحهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره
الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم و
اعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق افلا يتدبرون
القرآن اى الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فى ما وقعوا فيه
من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من
معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة
للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بابهام امرها فى القساوة والجهالة كأنه قيل
على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها فى القسوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون

واضافة

واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال
المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اى رجعوا الى
ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال
والاحوال فانهم قد كفروا به من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة
وقيل هم اليهود وقيل هم اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه السلام بعدما وجدوا نعته عليه السلام فى كتابهم وعرفوا
انه المنعوت بذلك وقوله عز وجل الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان
اى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤال لاستمرار
القلب بمعنى سول له امرا حينئذ اوقعه فى امنيته فان السؤل الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول
على حذف المضاف اى كيد الشيطان وأملى لهم ومد لهم فى الامانى والآمال وقيل امهلهم الله تعالى
ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرئ املى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو
للحال او للاستئناف وقرئ املى لهم على البناء للمفعول اى امهلوا ومد فى عمرهم ذلك اشارة الى ما
ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدى ولا الى التسويل كما قيل اذ ليس شيء منهما
مسببا من القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى بسبب انهم قالوا يعنى المنافقين
المذكورين لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعدما وجدوا نعته عليه السلام فى التوراة كما قيل فان كفرهم به عليه السلام ليس
بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين او المشركين على رأى القائل
بل من حيث بعثته عليه السلام للذين كرهوا ما نزل الله اى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلعم
مع علمهم بانه من عند الله تعالى حسدا وطمعا فى نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم فى بعض
الامر عبارة قطعا عما حكى عنهم بقوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من
اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير
الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذى اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم
واعلان امرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة
الضرورية الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم
ما يقولون سرا كما يعرب عنه قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم
اى جميع اسرارهم التى من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة
والفاء فى قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف
هو العامل فى الظرف كأنه قيل يفعلون فى حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة
وقيل مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى كيف حالهم وحيلتهم اذا توفتهم الى آخره وقرئ توفاهم على انه اما ماض او
مضارع قد حذف احدى تاءيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفتهم او من مفعوله وهو تصوير
لتوفيهم على اسوأ الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا بضرب الملائكة وجهه ودبره

ذلك • التوفي الهائل • بانهم • اي بسبب انهم • اتبعوا ما اسخط الله • من الكفر والمعاصي
وكرهوا رضوانه • اي ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة
بما صنعوا من المعاملة مع اليهود • فاحبط • لاجل ذلك • اعمالهم • التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد
ذلك من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها • ام حسب الذين في قلوبهم مرض • هم المنافقون
الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى • ان لن
يخرج الله اضغانهم • ام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها
خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اي بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين انه لن يخرج الله
احقادهم ولن يبرزها لرسوله عم وللمؤمنين فيبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت
الاحتمال • ولو نشاء • اراءتهم • لاريناكهم • لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات
الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة • فلعرفتهم بسيماهم • بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي
على رسول الله صلعم بعد هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها
تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق
واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الاراءة واما في قوله تعالى • ولتعرفنهم
في لحن القول • فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه واماليه الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطي لاحن
لعدله بالكلام عن سمت الصواب • والله يعلم اعمالكم • فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم
بخلاف حال المنافقين • ولنبلونكم • بالامر • بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة • حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين • على مشاق الجهاد علما عيانيا يتعلق به الجزاء • ونبلو اخباركم • ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها
وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو • ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا
الرسول • وعادوه • من بعد ما تبين لهم الهدى • بما شاهدوا نعته عم في التورية وبما ظهر على يديه من المعجزات
ونزل عليه من الايات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر • لن يضروا الله • بكفرهم وصدهم • شيئا • من الاشياء
او شيئا من الضرر او لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته • وسيحبط
• اعمالهم • اي مكائدهم التي نصبوها في ابطال دين الله تعالى ومشاقة رسوله عم فلا يصلون بها الى ما كانوا
يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم • يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول • ولا تبطلوا اعمالكم • بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى
ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر • ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم
كفار فلن يغفر الله لهم • حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب • فلا تهنوا • اي لا
تضعفوا • وتدعوا الى السلم • اي ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان
يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه
ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله

تعالى

تعالى ثم يتساءلون على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة دون قوله تعالى • وانتم
الاعلون • جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى • والله معكم • فان كونهم الاعلين
وكون الله عز وعلا ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور
الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى • ولن يتركم اعمالكم • اي ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا
من ولد او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد عبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال بالوتر
الذي هو اضاعة شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة
اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة اعظم
الحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم • انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو • لا ثبات لها ولا اعتداد بها • وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم • اي ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات
الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون • ولا يسألكم اموالكم • بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر
يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم • ان يسألكموها • اي اموالكم • فيحفكم • اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء
والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اي استاصله • تبخلوا • فلا تعطوا • ويخرج اضغانكم •
اي احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان • ها انتم هؤلاء • اي
انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى • تدعون لتنفقوا في سبيل الله • استئناف مقرر لذلك
او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اي ها انتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق في
سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما • فمنكم من يبخل • اي ناس يبخلون وهو في حيز الدليل على الشرطية
السابقة • ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه • فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن
وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدي • والله الغني • دون من عداه • وانتم الفقراء • فما يامركم به فهو لاحتياجكم
الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى • وان تتولوا • عطف على ان تؤمنوا اي وان
تعرضوا عن الايمان والتقوى • يستبدل قوما غيركم • يخلق مكانكم قوما اخرين • ثم لا يكونوا امثالكم • في التولي
عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روي انه عم
سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا
بالثريا لتناوله رجال فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلعم من قرا سورة محمد كان
حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك • فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحرب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق ماخوذ من
فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة
وهو المروي عن انس رضي الله عنه بشر به صلعم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضي على سنن سائر
الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تاكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من
الفخامة المنبئة عن عظمة شان المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له عم في تلك السنة

من فتح خيبر وهو المروي عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين القوم
بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب فروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روي انه عم بلغه
ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو اعظم الفتوح وقد رضي المشركون ان يدفعوكم
بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية واصاب فيها
صلعم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وبلغ الهدي محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وهي انه نزح
ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلعم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش
الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له من الاسلام
والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام
الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفاتحة للحكومة والمعنى
قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروي عن قتادة رضي الله عنه وانما حذف المفعول للقصد
الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح «فتحا
مبينا» بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى «ليغفر لك الله» غاية للفتح
من حيث انه مترتب على سعيه عم في اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الحتوف والالتفات
الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم في سلك الغاية من افعاله
تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الاخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى «ما تقدم من ذنبك وما تأخر»
اي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل «ويتم نعمته عليك» باعلاء الدين وضم
الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية «ويهديك صراطا مستقيما»
في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح
لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل «وينصرك الله» اظهار
الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله
تعالى «نصرا عزيزا» اي نصرا فيه عزة ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة
او عزيزا صاحبه «هو الذي انزل السكينة» بيان لما افاض عليهم من مبادي الفتح من الثبات والطمأنينة
اي انزلها «في قلوب المؤمنين» بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف
«ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم» اي يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عم من الشرائع ليزدادوا
ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول ما اتاهم به النبي عم التوحيد ثم
الصلوة ثم الزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ثم
ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم «ولله جنود السموات والارض» يدبر امرها كيفما يريد يسلط بعضها

على بعض

على بعض تارة ويوقع بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح «وكان الله عليما» مبالغا
في العلم بجميع الامور «حكيما» في تقديره وتدبيره وقوله تعالى «ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها» متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اي دبر ما دبر
من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله في ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة «ويكفر عنهم سيئاتهم» اي يغطيها ولا يظهرها
وتقديم الادخال في الذكر على التكفير مع ان الترتيب في الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى «و
كان ذلك» اي ما ذكر من الادخال والتكفير «عند الله فوزا عظيما» لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق هممهم
من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفته في الاصل فلما قدم عليه صار حالا اي كائنا عند الله
اي في علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله «ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات»
عطف على يدخل وفي تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب «الظانين بالله ظن
السوء» اي ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين «عليهم دائرة السوء» اي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين
فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب في
ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما المضموم فجار مجرى الشر «وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم» عطف
لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما
قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منها في الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها للبعض
«وساءت مصيرا» اي جهنم «ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما» اعادة لما سبق قالوا فائدتها
التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض للوصف
«انا ارسلناك شاهدا» اي على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا «ومبشرا» على الطاعة «ونذيرا»
على المعصية «لتؤمنوا بالله ورسوله» الخطاب للنبي عم ولامته «وتعزروه» وتقووه بتقوية دينه
ورسوله «وتوقروه» وتعظموه «وتسبحوه» وتنزهوه او تصلوا له من السبحة «بكرة واصيلا» غدوة وعشيا عن ابن
عباس رضي صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه
«ان الذين يبايعونك» اي على قتال قريش تحت الشجرة «انما يبايعون الله» خبر ان يعني ان مبايعتك
هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى «يد الله فوق ايديهم»
حال او استئناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت
بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اي لاجله ولوجهه «فمن نكث فانما ينكث على نفسه» فمن نقض
عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر الكاف «ومن اوفى بما عاهد عليه الله» بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف
الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اي ومن وفى بعهده «فسيؤتيه اجرا عظيما» هو الجنة
وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة «سيقول لك المخلفون من الاعراب» هم اعراب غفار و
مزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله عم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب
واهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه

عن البيت الحرام عليه السلام وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب
الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عم بانهم سيقولون
يقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقد قرئ
شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم بدل من سيقولون او استيناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار
قل ردا لهم عند اعتذارهم الكاذب باطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اي فمن يقدر لاجلكم من مشيته
الله وقضائه على شيء من المنع ان اراد بكم ضرا اي ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن
الخروج لحفظهما ودفع الضر عنهما وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اي ومن يقدر على شيء من الضر ان اراد بكم
ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاي حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تخصيص للحق ورد لهم بموجب
ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل او الهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى
بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوه وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه اي ليس الامر كما تقولون
بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم
فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء
التأنيث فاما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم فقبلتموه واشتغلتم بشأن
انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله تعالى او الى الشيطان وظننتم ظن السوء
المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة
التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عم فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا
اي هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم
لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته
اي ومن لم يؤمن بهما كهؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير
الكافرين ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا
للتهويل ولانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء يغفر
لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم
الفارغة في استغفاره عم لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء
الا لمن يقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعا
سيقول المخلفون اي المذكورون وهو سيقولون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده
اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة

ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنائم
التي خصها باهل الحديبية فانه عم رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها
واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره
الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة وايا ما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة
لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة
كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا
اي ليس ذلك حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين بل كانوا
لا يفقهون اي لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو
اعظم من الحسد وادخل منه في الجهل المفرط وسوء الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم
بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم اولي باس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم
ممن ارتدوا بعد رسول الله صلعم او المشركين لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا
او الاسلام لا غير كما ينفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على
امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة
فيختص داود وفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان
الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة
في الآخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم
ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة
فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع
لدائرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر
قدره لقد رضي الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شأن مبايعتهم بهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى
اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف
هو حال من مفعوله روي انه عم لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا بمنعه
الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عم لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته
فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلعم
واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت
الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت دونه وان لا يفروا
فقال لهم رسول الله صلعم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا و
اربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من انه بمعنى بايعوك

فأنزل

لا على رضى فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عم وقوله تعالى فأنزل
السكينة عليهم عطف على رضى اى فانزل عليهم الطمانينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح
واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة يأخذونها
اى مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ورفع لتشريفهم في مقام الامتنان وكان الله
عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفيئه على المؤمنين الى
يوم القيامة تأخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحدة منها فعجل لكم هذه اى غنائم خيبر وكف ايدى الناس
عنكم اى ايدى اهل خيبر وحلفائهم من بنى اسد وغطفان حيث جاءوا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا و
قيل ايدى اهل مكة بالصلح ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول عم في وعده اياهم عند رجوعه
من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اى ولتكون
آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما يتعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اى فعجل لكم هذه او كف ايدى
الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثانى عاطفة ويهديكم بتلك الاية صراطا
مستقيما هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تأتون وما تذرون واخرى عطف على هذه اى فعجل لكم
هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما
كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة
تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اى قد قدر الله عليها واستولى واظهركم عليها و
قيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اى وقضى الله اخرى
ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله تع اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله تع وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شئ قديرا لان قدرته تعالى
ذاتية لا تختص بشئ دون شئ ولو قاتلكم الذين كفروا اى اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر
لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل
اى سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اى تغييرا و
هو الذى كف ايديهم اى ايدى كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اى في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم
وذلك ان عكرمة بن ابى جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلعم خالد بن الوليد على
جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة
لا صلحا وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولا والكف عنهم ثانيا لتعظيم الحرام وقرئ بالياء بصيرا
فيجازيكم بذلك ويجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى بالنصب عطفا على
المسجد بحذف المضاف اى نحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى معكوفا حال من الهدى
اى محبوسا وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدى او منصوب بنزع الخافض اى محبوسا
من ان يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره وبه استدل ابو حنيفة رح على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا

بعض

بعض الحديبية من الحرم وروى ان خيامه عم كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه
عم والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤهم اى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال
منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم اى من جهتهم معرة اى مشقة ومكروه كوجوب الدية او الكفارة
بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا
عراه ودعاه ما يكرهه بغير علم متعلق بان تطؤهم اى غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة
الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين الكافرين غير عالمين فيصيبكم بذلك مكروه
لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كانه قيل عقيبه
لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهو
المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدى
الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة
مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان
يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين وياباه قوله تعالى لو تزيلوا الى آخره
فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل
حتما اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتليهم
وسبى ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية
او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم وايا ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم
بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى في قلوبهم الحمية اى الانفة والتكبر
متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف وهو مفعول ثان له اى جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم حمية
الجاهلية بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى فانزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول
عم والمؤمنين بتوفيق الله وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية
كانه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فانزل الى آخره وعلى التقديرين على المعنى تفسيره والسكينة الثبات
والوقار يروى ان رسول الله صلعم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو والقرشى وحويطب
بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلعم ان يرجع من عامه ذلك
على ان تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عم
لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم
ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلعم اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك
عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلعم اكتب ما يريدون

فهم المؤمنون ان يأتوا ذلك فيبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا • والزمهم
كلمة التقوى • اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء
بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها • وكانوا
احق بها متصفين بمزيد استحقاقها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار
واهلها • اي المستأهل لها • وكان الله بكل شيء عليما • فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه • لقد
صدق الله رسوله الرؤيا • رأى رسول الله صلعم قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة
آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها
في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا و
لا رأينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وحقيقته اراه الرؤيا
الصادقة وقوله تع • بالحق • اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض
الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة
بالحق ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض
الباطل وقوله تعالى • لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله • تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلونه
لموت او غيبة او غير ذلك وهي حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلعم او لما قاله عم لاصحابه • آمنين
حال من لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى • محلقين رؤسكم ومقصرين • اي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون
وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فيكونون متداخلة • لا تخافون • حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او من ضمير
محلقين او مقصرين او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك • فعلم ما لم تعلموا • عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى
العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من
الحكمة الداعية الى تقديمها بشهادة بالصدق علما فعليا • فجعل • لاجله • من دون ذلك • اي من دون تحقق
مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام آمنين الى آخره • فتحا قريبا • وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه
من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال وليكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى
ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء فان علمه تعالى
بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا • هو الذي ارسل رسوله بالهدى • اي ملتبسا به او بسببه او لاجله
• ودين الحق • وبدين الاسلام • ليظهره على الدين كله • ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي الاديان
المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط
المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من
الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على انه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون
اليه فتح مكة • وكفى بالله شهيدا • على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته بما اظهر المعجزات • محمد خبر مبتدأ
محذوف وقوله تعالى • رسول الله • بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول

الله

الله وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى • والذين معه مبتدأ خبره
• اشداء على الكفار رحماء بينهم • واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف
دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر
حينئذ قوله تع • تراهم ركعا سجدا • اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات
وهو على الاول خبر آخر او استئناف وقوله تعالى • يبتغون فضلا من الله ورضوانا • اي ثوابا ورضا اما
خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان
مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الى آخره •
سيماهم • اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وفيهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء
بالمد وهو مبتدأ خبره • في وجوههم • اي في جباههم وقوله تعالى • من اثر السجود • حال من المستكن
في الجار اي من التأثير الذي يؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي صلعم من قوله لا تعلبوا صوركم
اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق و
الكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين
العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي يقال لهما ذو الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما
في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد
ذي الثفنات • وقيل صفرة الوجه من خشية الله تع وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل
استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عم من كثرت صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار
وقرئ من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة • ذلك • اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وبعد منزلته في الفضل وهو
مبتدأ خبره قوله تع • مثلهم • اي وصفهم العجيب الشأن الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى
• في التورية • حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تع • ومثلهم في الانجيل • عطف على مثلهم
الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تع
• كزرع اخرج شطأه • الى آخره تمثيل مستأنف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على
انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تع ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تع مثلهم
في التورية وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاءه بفتح الطاء والمد وشطه بتخفيف الهمزة وشطاه بالمد وشطه
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا • فآزره • فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة
او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وأزّره بالتشديد اي شد ازره وقواه • فاستغلظ •
فصار غليظا بعد ما كان دقيقا • فاستوى على سوقه • فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ
سؤقه بالهمزة • يعجب الزراع • بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل

اصحابه صلعم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس
وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله
تعالى • ليغيظ بهم الكفار • علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او
لما بعده من قوله تعالى • وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما • فان
الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الاخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ و
منهم للبيان • عن النبي صلعم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد رسول صلعم فتح مكة • سورة

الحجرات مدنية وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• يا ايها الذين امنوا • تصدير
الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم
بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به
• لا تقدموا • اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر
من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور
على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب
لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم
ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التائين
من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم • وقوله تعالى • بين يدي الله ورسوله • مستعار مما بين الجهتين
المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين
يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل وقيل نزل فيما جرى بين ابي
بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي صلعم في تأمير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد • واتقوا الله •
في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه • ان الله سميع لاقوالكم
عليم • بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب • يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي •
شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول عند النبي صلعم بعد النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة
النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين با
ستدعاء الاعتناء بشأنه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عم بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم
على ان الباء زائدة • ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه • كجهر بعضكم لبعض • اي جهرا كائنا كالجهر
الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته عم وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من
الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة
مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال
ابن عباس رضي لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار
حتى القى الله وعن عمر رضي الله انه كان يكلمه عم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه

اذا قدم

اذا قدم على رسول الله صلعم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار
عند رسول الله صلعم وقوله تعالى • ان تحبط اعمالكم • اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط او كراهة
ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للمنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان
بصدد الاداء الى الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد
بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه
مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان
رفع الصوت فوق صوته عم لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع منهما في حرب او مجادلة معاند
او ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس رضي نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه
وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلعم فيتأذى بصوته وعن انس رضي انه لما نزلت
الاية فقد ثابت وتفقده عليه السلام فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك
هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال عم لست هناك انك تعيش بخير
وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن من انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا
يرفعون اصواتهم فوق صوته عم فمحمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص • وانتم لا
تشعرون • حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه
وقوله تعالى • ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله • الى اخره ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه
بعد الترهيب عن الاخلال به اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي • اولئك • اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد به لما مر مرارا من
تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره • الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى • اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها
كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او
ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى
من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي اذهب عنها الشهوات • لهم • في الاخرة •
مغفرة • عظيمة لذنوبهم • واجر عظيم • لا يقادر قدره والجملة اما خبر اخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة
او استيناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم • ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات • اي من خارجها من خلفها او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من
جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك
وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وكلتاهما جمع حجرة وهي القطعة من الارض
المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها
حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عليه عم من ورائها
او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عم فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل

الا بعاض الى الكل وقد جوز ان يكون قد ناداه من وراء الحجرة التي كان عم فيها ولكنها جمعت اجلالا له عم
وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلعم في سبعين رجلا من بني
تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك وامروا به
او لانه وجد فيما بينهم • اكثرهم لا يعقلون • اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب • ولو انهم
صبروا حتى تخرج اليهم • اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر
لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان
الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عم فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى
راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا
حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم • لكان • اي الصبر المذكور • خيرا لهم • من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب
وتعظيم الرسول عم الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤل اذ روي انهم وفدوا شافعين في
اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف • والله غفور رحيم • بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن
يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا • يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا • اي فتعرفوا
وتفحصوا روي انه عم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم
احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم
عليه السلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا
اليه الصدقات فرجع وفي ترتب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد
وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال • ان تصيبوا • قوما بجهالة • ملتبسين بجهالة بحالهم
فتصبحوا • اي فتصيروا • على ما فعلتم • في حقهم • نادمين • مغتمين غما لازما متمنين انه لم
يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلثة يدور مع الدوام • واعلموا ان فيكم رسول الله • ان بما في حيزها ساد
مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى • لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم • فانه حال من احد الضميرين
في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة الى آخره وهي انكم تريدون
ان يتبع عليه السلام رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان
بعضهم زينوا لرسول الله صلعم الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عم لم يطع رأيهم واما صيغة
المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع استمرار طاعته عم لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة
فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لا من طاعته في بعض ما يرونه نادرا
بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عم في ذلك فان المضارع
المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائره قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي
يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار
في نفس الفعل بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس

الفعل

الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار واخرى بالنسبة الى ما يتعلق من نفس
الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان
فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير
من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع
بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعضها يسيرا
منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر في وقت من
الاوقات وقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره
فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت
بل هو الاستمرار الزماني لامتناع تلك الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر
امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان الاحق بالاختيار و
الاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود
كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيد للثاني وما اختار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس
بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم
يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام
مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وجهه تعالى • ولكن الله حبب اليكم
الايمان • الى آخره تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن اوصاف
الاولين واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم • وزينه في قلوبكم • حتى رسخ حبه فيها
ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال • وكره اليكم الكفر • والفسوق والعصيان • ولذلك اجتنبتم
عما لا يليق بها مما لا خير فيه من آثارها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة واتصالهما اليهم
استعمل بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق
من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر
لقوله تعالى • اولئك هم الراشدون • اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى
الغيبة كالذي في قوله تعالى وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون • فضلا من الله و
نعمة • اي وانعاما تعليل لحبب وكره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون
فضلا • والله عليم • مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل • حكيم • يفعل كل ما يفعل بموجب
الحكمة • وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا • اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى • فاصلحوا بينهما • بالنصح والدعاء
الى حكم الله • فان بغت • اي تعدت • احداهما على الاخرى • ولم تتأثر بالنصيحة • فقاتلوا التي تبغي حتى
تفيء • اي ترجع • الى امر الله • الى حكمه او الى امره • فان فاءت • اليه واقلعت عن القتال حذارا من
قتالكم • فاصلحوا بينهما بالعدل • بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت

أخر وتقييد الإصلاح بالعدل لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد أكد ذلك حيث قيل وأقسطوا
أي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون إن الله يحب المقسطين فيجازيهم أحسن الجزاء والآية نزلت في قتال
حدث بين الأوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على أن الباغي لا يخرج بالبغي عن الإيمان
وأنه إذا أمسك عن الحرب ترك لأنه فيء إلى أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة
إنما المؤمنون إخوة استئناف مقرر لما قبله من الأمر بالإصلاح أي إنهم منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان
الموجب للحياة الأبدية والفاء في قوله تعالى فأصلحوا بين أخويكم للإيذان بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح
ووضع المظهر مقام المضمر مضافا إلى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه وتخصيص
الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد
بالأخوين الأوس والخزرج وقرئ بين إخوتكم وإخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من
الأمور التي من جملتها ما أمرتم به من الإصلاح لعلكم ترحمون راجين أن ترحموا على تقواكم يا أيها الذين
آمنوا لا يسخر قوم أي منكم من قوم آخرين أيضا منكم وقوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي
أو لموجبه أي عسى أن يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لأنهم القوامون على
النساء وهو في الأصل إما جمع قائم كصوم وزور جمع صائم وزائر أو مصدر نعت به فشاع في الجمع وأما تعميمه
للفريقين في مثل قوم عاد وقوم فرعون فإما للتغليب أو لأنهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع
والتنكير إما للتعميم أو للقصد إلى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء أي
ولا يسخر نساء من المؤمنات من نساء منهن عسى أن يكن أي المسخور منهن خيرا منهن أي من الساخرات فإن
مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التي عليها يدور أمر
السخرية غالبا بل إنما هو الأمور الكامنة في القلوب فلا يجترئ أحد على استحقار أحد فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية
عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا أن يكونوا وعسين أن
يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الأول فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا أنفسكم أي ولا يعب
بعضكم بعضا فإن المؤمنين كنفس واحدة ولا تفعلوا ما تلمزون به فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن
باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالألقاب أي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب سوء فإن النبز مختص بلقب السوء عرفا
بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الإيمان
أو اشتهارهم به فإن الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم أو باللؤم والمراد به إما
تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصا إذ روي أن الآية نزلت في صفية بنت حيي أتت رسول الله
فقالت إن النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت إن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم
السلام أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فأولئك هم
الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من
الظن أي كونوا على جانب منه وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أي قبيل

فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الإلهيات
والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الأمور المعاشية
إن بعض الظن إثم تعليل للأمر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة
عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها ولا تجسسوا أي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل
من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وأنا
لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم
وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم
بعضا أي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلعم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته
وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه
ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه
طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري وإسناد الفعل إلى أحد إيذانا
بأن أحدا من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان
وجعل المأكول أخا للآكل ميتا وإخراج تماثلهما مخرج أمر بين غني عن الإخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه
على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل
وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرّهتموه أي جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه
والندم على ما صدر عنكم من قبل إن الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب
كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم روي أن رجلين من الصحابة
بعثا سلمان إلى رسول الله صلعم يبغي لهما إداما وكان أسامة على طعامه عليه السلام فقال ما عندي شيء فأخبرهما
سلمان فقالا لو بعثنا سلمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلعم قال لهما ما لي أرى خضرة
اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام إنكما قد اغتبتما فنزلت يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأنثى من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز أن يكون
تأكيدا للنهي السابق بتقرير الأخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون
إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ والفخذ تجمع
الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل
الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الأنساب فلا يعتزي أحد
إلى غير آبائه لا لتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الأنساب وقرئ لتتعارفوا على
الأصل ولتعارفوا بالإدغام ولتعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالأنساب المستفاد من
الكلام بطريق الاستئناف التحقيقي كأنه قيل إن الأكرم عند الله تعالى هو الأتقى فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى
وقرئ بأن المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا تتفاخروا بالأنساب فقيل لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم

فإن مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عليه السلام
من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال يا أيها الناس إنما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم
على الله وفاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى إن الله عليم
بكم وبأعمالكم خبير ببواطن أحوالكم قالت الأعراب آمنا نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة
جدبة فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلعم أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك
بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه السلام بما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا إذ الإيمان
هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك وإلا لما مننتم علي بما ذكرتم كما ينبئ عنه
آخر السورة ولكن قولوا أسلمنا فإن الإسلام انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادة
وترك المحاربة مشعر به وإيثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا
ولكن أسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالإيمان والتصدي عن إخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به
مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم حال من ضمير قولوا أي ولكن قولوا أسلمنا حال عدم
مواطأة قلوبكم لألسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد وإن تطيعوا الله
ورسوله بالإخلاص وترك النفاق لا يلتكم من أعمالكم لا ينقصكم شيئا من أجورها من لات يليت
ليتا إذا نقص وقرئ لا يألتكم من الألت وهي لغة غطفان أو شيئا من النقص إن الله غفور لما فرط
من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم
يشكوا من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه في الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى أن فيهم ما يوجب نفي الإيمان عنهم وثم
للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الإيمان ليس في حال إنشائه فقط بل وفيما يستقبل فهي كما
في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من
العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد أولئك الموصوفون بما ذكر
من الأوصاف الجميلة هم الصادقون أي الذين صدقوا في دعوى الإيمان لا غيرهم روي أنه لما نزلت
الآية جاءوا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل أتعلمون الله بدينكم أي أتخبرونه
بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض حال
من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وتوبيخهم والله بكل شيء عليم تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع
الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك أن
أسلموا أي يعدون إسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن أنعم بها عليه من المن
بمعنى القطع لأن المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي إسلامكم أي لا
تعدوا إسلامكم منة علي أو لا تمنوا علي بإسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان
على ما زعمتم مع أن الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ إن هداكم وإذ هداكم إن كنتم صادقين في ادعائكم الإيمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله أي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فإنهم لما سموا ما صدر

عنهم

عنهم إيمانا ومنوا به فنفى كونه إيمانا وسماه إسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة إسلام وليس بجدير بأن يمن عليك بل لو
صح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة عليهم بالهداية إليه لا لهم إن الله يعلم غيب السموات والأرض أي ما غاب فيهما والله
بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرئ بالياء عن النبي صلعم من قرأ سورة الحجرات أعطي
من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ق والقرآن المجيد أي ذي المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أو لأن من علم معانيه وعمل بما فيه
مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم
أي لأن جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك أو من جلدتهم إضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف
كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الأعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به
بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للتكبير والتعجب مع كونهما أوجب الأشياء بتلقيه العقول وأقربها إلى التلقي بالقبول
وقيل التقدير والقرآن المجيد إنك لمنذر ثم قيل بعده إنهم شكوا فيه ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أي لم يكتفوا بالشك و
الرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقيل هو إضراب عما ينبئ عنه وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس
سبب امتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير لتعجبهم وبيان لكونه
مقارنا لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا إشارة إلى كونه عليه السلام منذرا بالقرآن وإضمارهم أولا للإشعار
بتعينهم بما أسند إليهم وإظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعث على أن هذا إشارة
إلى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الإنكارية ووضع المظهر موضع المضمر إما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم وإما للإيذان
بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو أشق
منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأعرق في كونه كفرا أإذا متنا وكنا ترابا تقرير
للتعجب وتأكيد للإنكار والعامل في إذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه أي أحين نموت
ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ إذا متنا على لفظ الخبر
أو على حذف أداة الإنكار ذلك إشارة إلى محل النزاع رجع بعيد أي عن الأوهام أو العادة أو الإمكان
وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما
تنقص الأرض منهم رد لاستبعادهم وإزاحة له فإن من عم علمه ولطف حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض
من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه إياهم أحياء كما كانوا عن النبي صلعم
كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وقيل ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن في الأرض منهم وعندنا
كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو محفوظ من التغيير والمراد إما تمثيل علمه تعالى بكليات الأشياء
وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا
بالحق إضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة إلى بيان ما هو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة
الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أي
وقت مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن أو الإخبار بالبعث فهم في أمر مريج أي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم

في اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر واخرى كاهن • افلم ينظروا • اي اغفلوا او اعموا
فلم ينظروا • الى السماء فوقهم • بحيث يشاهدونها كل وقت • كيف بنيناها • اي رفعناها بغير عمد • وزيناها • بما فيها
من الكواكب المرتبة على نظام بديع • وما لها من فروج • من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا
لمراعاة الفواصل • والارض مددناها • اي بسطناها • والقينا فيها رواسي • جبالاً ثوابت من رسا الشيء اي
ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها • وانبتنا فيها من كل زوج • من كل
صنف بهيج • حسن • تبصرة وذكرى • علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير او بفعل مقدر
بطريق الاستيناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيراً وتذكيراً • لكل عبد منيب • اي راجع الى ربه متفكر في بدائع صنائعه
وقوله تعالى • ونزلنا من السماء ماء مباركاً • اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما ذكر من كل زوج بهيج
وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده • فانبتنا به • اي بذلك الماء
جنات • كثيرة اي اشجاراً ذوات ثمار • وحب الحصيد • اي حب الزرع الذي شأنه ان يحصد من البر والشعير
وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات • والنخل • عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها
في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية
مع ما فيه من مراعاة الفواصل • باسقات • اي طوالاً او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون
من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف • لها طلع نضيد • اي منضود بعضه فوق بعض و
المراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضميرها في
باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى • رزقاً للعباد • اي
لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفي تعليله بذلك بعد تعليل انباته الاول بالتبصرة والتذكرة تنبيه على ان الواجب
على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل
رزقاً مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق • واحيينا به • بذلك الماء • بلدة ميتاً • ارضاً جدبة لا نماء فيها
اصلاً بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة
وتذكير ميتاً لان البلدة بمعنى البلد والمكان • كذلك الخروج • جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك
اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة
حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن
حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى
لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى • كذبت قبلهم قوم نوح • الى آخره استيناف
وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتكذيب منكريها • واصحاب
الرس • قيل هم ممن بعث اليهم شعيب وقيل وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل • وثمود وعاد
وفرعون • اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده • واخوان لوط • قيل كانوا من اصهاره عم
واصحاب الايكة • هم ممن بعث اليهم شعيب عم غير اهل مدين • وقوم تبع • سبق شرح حالهم في سورة
الدخان • كل كذب الرسل • اي فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث الذي اجمعوا عليه قاطبة

اي كل

اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار
بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو
الاظهر فمعنى تكذيبه قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجتمعين على التوحيد والبعث والى ذلك
كان يدعوهم تبع • فحق وعيد • اي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول عم
وتهديد لهم • افعيينا بالخلق الاول • استيناف مقرر لصحة البعث الذي حكيت احوال المنكرين
له من الامم المهلكة والعي من التعب والمباشرة كانه قيل افقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن
الاعادة • بل هم في لبس من خلق جديد • عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا
على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار
بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته • ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه • اي ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت
الخفي ومنه وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما في صوت بكذا او للانسان ان
جعلت مصدرية والباء للتعدية • ونحن اقرب اليه من حبل الوريد • اي اعلم بحاله والحبل العرق واضافته
بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس
اليه وقيل سمي وريداً لان الروح ترده • اذ يتلقى المتلقيان • منصوب بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى
انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شيء اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن
الحفيظان ما يتلفظ وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما لا يخفى عليهما وانما
ذلك لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه
باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبراً من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات
وعنه عم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من
الله ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بياناً للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله
لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به • عن اليمين وعن الشمال قعيد • اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي
مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظاً ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال رماني بامر
كنت منه ووالدي بريئاً ومن اجل الطوي رماني وقيل يطلق الفعيل على الواحد المتعدد كما في قوله تعالى
والملائكة بعد ذلك ظهير • ما يلفظ من قول • ما يرمي به من فيه من خير او شر وقرئ يلفظ على البناء للمفعول
الا لديه رقيب • ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيراً فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال
ووجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معاً على ما صدر عنه لما ان كلا منهما رقيب
لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى • عتيد • اي معد مهيأ لكتابة ما امر به من الخير او
الشر ومن لم يتنبه لهذا توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل
بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر

وصور الاطهر كما نهي عنه قوله صلعم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار
الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة
قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر ● وجاءت سكرة الموت
بالحق ● بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته تع وعلمه وبين
ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك بيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه
من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منهما بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها و
سكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت
سكرة الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة
الميت وشقاوته وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له و
اما للملابسة كالتي في قوله تع تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ
سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب
زهوق الروح او تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة
للتهويل وقرئ سكرات الموت ● ذلك ● اي الموت ● ما كنت منه تحيد ● اي تميل وتنفر عنه والخطاب
للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ● ونفخ في الصور ● هي النفخة الثانية
● ذلك ● اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف ● يوم الوعيد ● اي يوم انجاز الوعيد الواقع
في الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم
من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا
لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة ● وجاءت كل نفس ● من النفوس البرة والفاجرة ●
معها سائق وشهيد ● وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا
اي معها ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل
معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل
السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته
الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله
تعالى ● لقد كنت في غفلة من هذا ● محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او استئناف
مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة وخطاب الكل بذلك
لما انه ما من احد الا وله غفلة من الاخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على اعتبار
تانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة باعتبار الشخص كما في قول جبلة بن حريث
يا نفس انك باللذات مسرور ● فكشفنا عنك غطاءك ● الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد
وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها ● فبصرك اليوم حديد ● نافذ لزوال

المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة ● وقال قرينه ● اي الشيطان المقيض له مشيرا
اليه ● هذا ما لدي عتيد ● اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي
وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض وما
ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف
● القيا في جهنم كل كفار ● خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد
على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال فان تزجراني يا ابن عفان انزجر
وان تدعاني احم عرضا ممنعا او على ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة ● عنيد ● معاند للحق ● مناع للخير ● كثير المنع
للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما
منع بني اخيه ● معتد ● ظالم متخط للحق ● مريب ● شاك في الله وفي دينه ● الذي جعل مع الله الها
اخر ● مبتدأ متضمن معنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل كفار وقوله تعالى فالقياه
تكرير للتاكيد او منصوب بمضمر يفسره فالقياه ● قال قرينه ● اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت
استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تع ● ربنا
ما اطغيته ● فانه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه
واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما
في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ● ولكن كان ● هو بالذات ● في ضلال بعيد ● من
الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله تع وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ● قال ● استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال
الله تعالى فقيل قال تعالى ● لا تختصموا لدي ● اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك ● وقد
قدمت اليكم بالوعيد ● على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص
عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد
صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه
معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم و
قد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ● ما يبدل القول لدي ● الى اخره ويكون بالوعيد
متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به
او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه
ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى ● وما انا بظلام للعبيد ● وارد
لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من
جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه انفا

اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما
تقرر من قاعدة اهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً مفرطاً لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب
بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام
لعبيده على انها مبالغة كماً لا كيفاً • يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد • سؤال وجواب
جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها تطرح فيها
من الجنة والناس فوجاً بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد
محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد او
مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة
الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال • وازلفت الجنة للمتقين
شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال
الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون
على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى • غير بعيد • تأكيد
للازلاف اي مكاناً غير بعيد بحيث يشاهدونها او حال كونها غير بعيد اي شيئاً غير بعيد ويجوز ان يكون
التذكير لكونه على زنة المصدر الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان • هذا
ما توعدون • اشارة الى الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل
عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيثه فانهما من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون
ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض
بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولاً
لهم او مقولاً في حقها هذا ما توعدون • لكل اواب • اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار
• حفيظ • حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها و
قيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه • من خشي الرحمن بالغيب وجاء
بقلب منيب • بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به ولا
يوصف الا بالذي او مبتدأ خبره • ادخلوها • بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله بالغيب
متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشي او من مفعوله او صفة لمصدره اي خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشي عقابه وهو غائب عنه او هو غائب لا عين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار
بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم
عاملون بموجب قوله تعالى • نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب

بالانابة

بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله تعالى • بسلام • متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلام
وسلامة من العذاب وزوال النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته • ذلك • اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في
بعض منه ما ذكر من الامور • يوم الخلود • اذ لا انتهاء له ابداً • لهم ما يشاؤن • من فنون المطالب كائناً ما كان
• فيها • متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته • ولدينا مزيد •
هو ما لا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال تعالى ولدينا مزيد • وكم اهلكنا
قبلهم • اي قبل قومك • من قرن هم اشد منهم بطشاً • اي قوة كعاد واضرابهم • فنقبوا في البلاد • اي خرقوا فيها
ودوخوا او تصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب
التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقيل هي عاطفة في
المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرئ بالتخفيف • هل من محيص • اي هل لهم من مخلص من امر الله تعالى
والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي فنقبوا في البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه
من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستأنف وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا
في مسايرهم واسفارهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة
الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف
ابلهم • ان في ذلك • اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة • لذكرى • لتذكرة وعظة • لمن كان له قلب •
اي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو
الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير • او القى السمع • اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق
بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فان
القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى • وهو شهيد • اي حاضر بفطنته لان من لا
يحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عري قلبه عنها كمن لا قلب له
اصلاً • ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما • من اصناف المخلوقات • في ستة ايام وما مسنا
بذلك مع كونه مما لا يفي به القوى والقدر • من لغوب • من اعياء ما ولا تعب في الجملة وهذا رد على جهلة
اليهود في زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش
سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً • فاصبر على ما يقولون • اي ما يقوله المشركون في شأن البعث من
الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام
منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه • وسبح بحمد ربك • اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن
وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامداً له تعالى
على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها • قبل طلوع الشمس وقبل الغروب • هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما
مشهورة • ومن الليل فسبحه • وبعض الليل • وادبار السجود • واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر

من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالمراد بالتسبيح
الصلوة فالمراد بما قبل الطلوع صلوة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاءان والتهجد وما يعقب
بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به
يوم يناد المناد اى اسرافيل او جبرائيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم
المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادى بالحشر
من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم و
قيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البدء يوم يسمعون الصيحة
بدل من يوم ينادى الى اخره وهى النفخة بالحق متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف ما دل عليه ذلك يوم
الخروج اى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيى ونميت
فى الدنيا من غير ان يشاركنا فى ذلك احد والينا المصير للجزاء فى الاخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا
يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التائين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول
من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اى هين وتقديم الجار
والمجرور للتخصيص السهرية تسلية نحن اعلم بما يقولون من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا
خير فيه وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت مذكر فذكر بالقرآن
من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجب اقوالهم وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب
وفنون العذاب عن النبى صلعم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهى ستون آية

والذاريات اى الرياح التى تذرو التراب وغيره وقرئ
بادغام التاء فى الذال فالحاملات وقرا اى السحب الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر
فالجاريات يسرا اى السفن الجارية فى البحر او الرياح الجارية فى مهابها او السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح او
الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اى الملئكة
التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التى يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد يجوز ان يراد
بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه تنشر السحاب وتحمله
وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب فى الاقطار فان حملت الامور تقسم بها
على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة و
الا فهى لترتيب ما صدر عن الريح من الافاعيل فانها تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجرى
به باسطة له الى ما امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم
ووجه تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث
انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية
ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء وواقع لحاصل والسماء ذات الحبك قال

ابن عباس رضى وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هى المتقنة
البنيان وقال مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب او
المعقولة التى يسلكها النظار والنجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى
طرائق الوشى وهى اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن
السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل انكم لفى قول مختلف اى متخالف متناقض وهو
قولهم فى حقه عم تارة شاعر وتارة [illegible] واخرى ساحر وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء
كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة فى هذا القسم تشبيه
اقوالهم فى اختلافها وتنافى اغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك
عنه من افك اى يصرف عن القرآن او الرسول صلعم من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف
فى علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك الناس
وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان
ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى اللعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم
اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اى قتل الله الذين هم فى غمرة
من الجهل والغفلات ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اى متى وقوع يوم الجزاء
لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار
يفتنون جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يحرقون او يعذبون ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدا المحذوف
اى هو يوم هم الى اخره والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اى مقولا لهم
هذا القول وقوله هذا الذى كنتم به تستعجلون جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر اى هذا ما كنتم
تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم باعتبار العذاب والذى صفته ان المتقين
فى جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يدرك قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اى قابلين لما اعطاهم راضين به
على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك فى الدنيا محسنين اى لا
لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغى فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان ما اجمل ما اشار اليه
عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون اى طائفة قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة لمصدر وما مزيدة
فى الوجهين ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اى كانوا قليلا من الليل هجوعهم
او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت الراحة والهجوع
الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله
لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم
يداومون على الاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفى اموالهم حق اى

حق اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس • للسائل والمحروم • للمستجدي والمتعفف
الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة • وفي الارض آيات للموقنين • اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل
من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها
وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بانواع النبات وانواع
الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع
ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم • وفي انفسكم • اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس
له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال
البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة • افلا تبصرون • اي الا تنظرون فلا تبصرون
بعين البصيرة • وفي السماء رزقكم • اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر
فانه سبب الاقوات • وما توعدون • من الثواب لان الجنة في السماء السابعة اولان الاعمال وثوابها
مكتوبة ومقدرة في السماء وقيل انه مبتدأ خبره • فورب السماء والارض انه لحق • على ان الضمير لما و
اما على الاول فلما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة • مثل ما انكم تنطقون •
اي كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق
او على انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو
ما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع
• هل اتاك حديث ضيف ابراهيم • تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول الله صلعم بغير طريق
الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم و
كانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبرائيل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام
وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عم او لانهم كانوا في حسبانه كذلك
• المكرمين • اي المكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته • اذ دخلوا عليه • ظرف
للحديث او الضيف او المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم • فقالوا سلاما • اي نسلم
عليك سلاما • قال • اي ابراهيم • سلام • اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات والدوام
حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد • قوم منكرون •
انكرهم عليهم السلام للسلام الذي هو علم للاسلام اولانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان اوضاعهم
واشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عم انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه خاطبهم به جهرا
او سألهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عنده ولما تصدى عم لمقدمات الضيافة • فراغ
الى اهله • اي ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادره حذرا من ان
يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء في قوله تعالى • فجاء بعجل سمين • فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال
عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به
• فقربه اليهم • بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد • قال الا تأكلون • انكار لعدم تعرضهم للاكل • فاوجس منهم

اضمر

اضمر في نفسه • خيفة • لتوهم انهم جاءوا للشر وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاءوا للعذاب • قالوا لا تخف
قيل مسح جبريل عم العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم • وبشروه • وفي سورة الصافات وبشرناه
اي بواسطتهم • بغلام • هو اسحق عم • عليم • عند بلوغه واستوائه • فاقبلت امرأته • سارة لما سمعت بشارتهم
الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم • في صرة • في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعل
اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمني • فصكت وجهها • اي لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم
الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب • وقالت عجوز عقيم • اي انا عجوز عاقر فكيف الد
• قالوا كذلك • مثل ذلك القول الكريم • قال ربك • وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا انا نقوله من تلقاء
انفسنا • انه هو الحكيم العليم • فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبرئيل عم قال لها انظري الى
سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المقاولة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عم ايضا
حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر هنا و
في سورة هود • قال • اي ابراهيم عم لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر • فما خطبكم • اي شأنكم الخطير الذي لاجله
ارسلتم سوى البشارة • ايها المرسلون • قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين • يعنون قوم لوط • لنرسل عليهم • اي
بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها • حجارة من طين • اي طين متحجر هو السجيل • مسومة • مرسلة من سومت الماشية
سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله
في سورة هود • عند ربك • للمسرفين • المتمادين في الحد في الفجور وقوله تعالى • فاخرجنا • الى آخره حكاية من جهته تعالى لما جرى
على قوم لوط عم بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم عم من الكلام والفاء فصيحة مفصحة
عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في موضع آخر كأنه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الى آخره
• من كان فيها • اي في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها • من المؤمنين • ممن آمن بلوط • فما وجدنا فيها
غير بيت • اي غير اهل بيت • من المسلمين • قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة
عشر • وتركنا فيها • اي في القرية • آية • علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار
او صخر منضود فيها او ماء منتن • للذين يخافون العذاب الاليم • اي من شأنهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم
ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية •
وفي موسى • عطف على قوله تعالى وفي الارض او على قوله تعالى وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى
آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا • اذ ارسلناه • قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف اي كائنة
وقت ارسالنا وقيل بتركنا • الى فرعون بسلطان مبين • هو ما ظهر على يديه من المعجزات الباهرة • فتولى
بركنه • اي فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه
وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرئ بركنه بضم الكاف • وقال ساحر • اي هو ساحر
او مجنون • كأنه نسب ما ظهر على يديه عم من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في انه حصل باختياره وسعيه
او بغيرهما • فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم • وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية

ونهايته فمآله فرعون وقومه لا يخفى • وهو مليم • اي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان
والجملة حال من الضمير في فاخذناه • وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم • وصفت بالعقيم لانها اهلكتهم
وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي الدبور او الجنوب
او النكباء • ما تذر من شيء اتت عليه • اي جرت عليه • الا جعلته كالرميم • وهو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم او
نبات او غير ذلك • وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين • وهو قوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام قيل قال لهم
صالح عم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب • فعتوا عن
امر ربهم • اي فاستكبروا عن الامتثال به • فاخذتهم الصاعقة • قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح عم
من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما
كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا ايذانا بالانقطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من
الصعق • وهم ينظرون • اليها ويعاينونها • فما استطاعوا من قيام • كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين
• وما كانوا منتصرين • بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم • وقوم نوح • اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله
يدل عليه او واذكروا ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف
على مفعول فاخذناه • من قبل • اي من قبل هؤلاء المهلكين • انهم كانوا قوما فاسقين • خارجين
عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي • والسماء بنيناها بايد • اي بقوة • وانا لموسعون • السماء
او ما بينها وبين الارض او الرزق • والارض فرشناها • مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها • فنعم
الماهدون • اي نحن • ومن كل شيء • اي من الاجناس • خلقنا زوجين • اي نوعين ذكرا و
انثى وقيل متقابلين كالسماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر وذلك • لعلكم
تذكرون • اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه
قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه • ففروا الى الله • مقدر بقول خوطب به النبي صلعم بطريق
التلوين والفاء لترتيب الامر على ما حكي من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته
المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذي هذه شؤونه بالايمان
والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون
كانه قيل لهم فتذكروا ففروا الى الله تعالى الى آخره وقوله تعالى • اني لكم منه نذير مبين • تعليل للامر بالفرار اليه
او لوجوب الامتثال به فان كونه عم منذرا منه تعالى موجب عليه عم ان يأمرهم بالفرار اليه وعليهم ان
يمتثلوا به اي اني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به
وفي امره تعالى للرسول صلعم بان يأمرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه عم ينذرهم من جهته تعالى
لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب • وقوله تعالى • ولا تجعلوا مع الله الها
آخر • نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى اني لكم منه
اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمنه معنى الاقرار

يقال فرته اي هرب وافرته غيره كانه قيل ففروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او
قولا الها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل
بالنهي عن سببه وايجاب الفرار منه • كذلك • اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا
او مجنونا وقوله تعالى • ما اتى الذين من قبلهم • الى آخره تفسير له اي ما اتاهم • من رسول • من رسل الله
• الا قالوا • في حقه • ساحر او مجنون • ولا سبيل الى انتصاب الكاف بأتى لان ما بعد ما
النافية لا يعمل فيما قبلها • اتواصوا به • انكار وتعجب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد
تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه
وقوله تعالى • بل هم قوم طاغون • اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات
لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك
الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك
مقتضى طباعهم • فتول عنهم • فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء • فما انت
بملوم • على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود • وذكر • اي فعل
التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر • فان الذكرى تنفع
المؤمنين • اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين
• وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم
مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه السلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن
في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين
منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب
الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي
رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث
لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية
ينتهي اليها فعل الفاعل الحق فغير منفي من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور
وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقتضيه العقل ويتعارفه اهل اللغة هذا المقدار
وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور
العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي
وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك
لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا لآمرهم بالعبادة كما في قوله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم
كثيرا من الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومدار

قوله صلعم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف
ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريقة اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر
هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة • ما اريد منهم من رزق و
ما اريد ان يطعمون • بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعالياً عن ان يكون كشأن السادة مع عبيدهم
حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم اي ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي
ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من
عبادتي • ان الله هو الرزاق • الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ
اني انا الرزاق • ذو القوة المتين • بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر او خبر لمضمر وقرئ
بالجر على انه وصف للقوة على تأويل الاقتدار او الايد • فان للذين ظلموا • اي ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلعم او وضعوا مكان التصديق تكذيباً وهم اهل مكة
ذنوبا • اي نصيبا وافرا من العذاب • مثل ذنوب اصحابهم • مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية
وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء • فلا يستعجلون • اي لا يطلبوا
ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه
بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين • فويل للذين
كفروا • وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء
لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك • من
يومهم الذي يوعدون • للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيمة وهو الانسب لما في
صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي
عن النبي صلعم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت
في الدنيا

سورة الطور مكية سبع وثمان او اربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• والطور • بالسريانية الجبل
والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عم كلام الله عز وجل • وكتاب مسطور •
مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى
عم وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما تكتبه الحفظة • في رق منشور • الرق الجلد الذي يكتب
فيه استعير لما كتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم والاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس • و
البيت المعمور • اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه
كثرة غاشيته من الملائكة • والسقف المرفوع • اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور
والبحر المسجور • اي المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روي
ان الله تعالى يجعل البحار يوم القيمة نارا يسجر بها نار جهنم • ان عذاب ربك لواقع • اي لنازل حتما جواب
للقسم وقوله تعالى • ما له من دافع • اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف

او مرتفع على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ
عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة
بصدق اخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى • يوم تمور السماء مورا • ظرف لواقع
مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو
تحرك في تموج وقيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها •
وتسير الجبال سيرا • اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما
وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما • فويل يومئذ للمكذبين •
اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يومئذ لهم • الذين هم في خوض • اي اندفاع
عجيب في الاباطيل والاكاذيب • يلعبون • يلهون • يوم يدعون الى نار جهنم دعا • اي يدفعون اليها
دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعوا الى النار وقرئ يدعون
من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى
هذه النار التي كنتم بها تكذبون • اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى •
افسحر هذا • توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر
فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ • ام انتم لا تبصرون • اي ام انتم عمي عن المخبر عنه
كما كنتم عميا عن الخبر او ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما
سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون • اصلوها فاصبروا او لا تصبروا • اي ادخلوها وقاسوا شدائدها
فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه • سواء عليكم • اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب و
تخفيفه وقوله تعالى • انما تجزون ما كنتم تعملون • تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع
حتما كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع • ان المتقين في جنات ونعيم • اي في اية جنات واي نعيم
على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع • فاكهين • ناعمين متلذذين • بما
آتاهم ربهم • وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر او خبر آخر • ووقاهم ربهم عذاب
الجحيم • عطف على آتاهم على ان ما مصدرية او على خبر ان او حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر او في
الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موضع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف
والتعليل • كلوا واشربوا • اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا • هنيئا • او طعاما وشرابا هنيئا وهو
الذي لا تنغيص فيه • بما كنتم تعملون • بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما كنتم
تعملون اي جزاؤه • متكئين على سرر مصفوفة • مصطفة • وزوجناهم بحور عين • على اضافة الموصوف الى
صفته بالتأويل المشهور وقرئ بعيس عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل
والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم
وقوله تعالى • والذين آمنوا • الى آخره كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل

وهم الذين شركتهم ذريتهم في الايمان وهو مبتداء خبره الحقنا بهم وقوله تعالى • بايمان • متعلق بالاتباع
اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان ابائهم واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الا
الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة فذرياتهم بكسر الذال واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم
تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم • الحقنا بهم ذريتهم • في الدرجة كما روي انه عم قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن
في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الاية • وما التناهم • وما نقصنا الاباء بهذا الالحاق من
عملهم • من ثواب عملهم • من شيء • بان اعطينا بعض مثوبات ابائهم ابناءهم فيتنقص مثوبتهم وينحط درجتهم وانما رفعناهم
الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان والتناهم اللام من الت يالت والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت
وآلتناهم من آلت يولت ووتناهم من ولت يليت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل ان الموصول معطوف على حور
والمعنى قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة
الاخوان المؤمنين فقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم
رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم ليتم سرورهم
ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية كانه ليس بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقنا
بهم • كل امرئ بما كسب رهين • قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان
عمله فكه والا اهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرئ بما كسب راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام
يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان لا ينتقص من ثواب الاباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها • وامددناهم
بفاكهة ولحم مما يشتهون • وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان
الالاء • يتنازعون فيها • اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبي عنه التعبير عن ذلك
بالتنازع • كاسا • اي خمرا تسمية لها باسم محلها • لا لغو فيها • اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث
وسقط الكلام • ولا تاثيم • ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن
الندماء في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها
ولا تاثيم بالفتح • ويطوف عليهم • اي بالكاس • غلمان لهم • اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم
• كانهم لؤلؤ مكنون • مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة قيل
لقتادة رحمه الله هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك
لبيك • واقبل بعضهم على بعض يتساءلون • اي يسال كل بعض منهم بعضا اخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا
ومسئولا لا انه يسال بعض معين منهم بعضا اخر معينا • قالوا • اي المسئولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة • انا
كنا قبل • اي في الدنيا • في اهلنا مشفقين • ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين
من العاقبة • فمن الله علينا • بالرحمة او التوفيق للحق • ووقانا عذاب السموم • اي النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ
ووقانا بالتشديد • انا كنا من قبل • من قبل ذلك • ندعوه • اي نعبده او نساله الوقاية • انه هو البر • المحسن • الرحيم • الكثير الرحمة الذي اذا

عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى لانه • فذكر • فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل اليك من
الايات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الاباطيل • فما انت بنعمة ربك • بحمده وانعامه بصدق النبوة
ورجاحة العقل • بكاهن ولا مجنون • كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون • ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون •
وما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت • قل تربصوا فاني معكم من المتربصين • اتربص
هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة باهلاكهم • ام تامرهم احلامهم • اي عقولهم • بهذا • اي بهذا التناقض
في المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون
متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء في واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها اليه • ام هم قوم طاغون •
مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب
الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم • ام يقولون تقوله • اي اختلقه من تلقاء نفسه • بل لا يؤمنون •
فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلعم الا واحد من العرب
فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم • فلياتوا بحديث مثله • مثل القران في النعوت التي استقل بها
من حيث النظم ومن حيث المعنى • ان كانوا صادقين • فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله
بقضية مشاركتهم له عم في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب
النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي
الامر بذلك • ام خلقوا من غير شيء • اي ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا
من اجل لا شيء من عبادة وجزاء • ام هم الخالقون • لانفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه • ام خلقوا السموات
والارض • بل لا يوقنون • اي اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا
والا لما اعرضوا عن عبادته • ام عندهم خزائن ربك • اي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا
النبوة من شاؤوا او يمسكوها عمن شاؤوا او عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة
• ام هم المسيطرون • اي الغالبون على الامور يدبرونها كيف شاؤوا واحق يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور
على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الطاء • ام لهم سلم • منصوب الى السماء • يستمعون
فيه • صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الامور التي يتقولون
فيها رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم الفارغة • فليات مستمعهم بسلطان مبين • بحجة واضحة تصدق
استماعه • ام له البنات ولكم البنون • تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رايه لا يكاد
يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب
لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ • ام تسالهم اجرا • على تبليغ الرسالة • فهم • لاجل ذلك • من مغرم •
من التزام غرامة فادحة • مثقلون • محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك • ام عندهم الغيب • اي اللوح المحفوظ
المثبت فيه الغيوب • فهم يكتبون • ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات • ام يريدون كيدا • هو كيدهم
برسول الله صلعم في دار الندوة • فالذين كفروا • هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم

بما في خبر الصلة من الكفر وتعليل الحكم به او جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا اوليا ● هم المكيدون ● اي هم
الذين يحيق بهم كيدهم او يعود عليهم وباله لا من ارادوا ان يكيدوه وهو ما اصابهم يوم بدر او هم المغلوبون في
الكيد من كايدته فكدته ● ام لهم اله غير الله ● يعينهم ويحرسهم من عذابه ● سبحان الله عما يشركون ● اي عن اشراكهم
او عن شركة ما يشركونه ● وان يروا كسفا ● قطعة ● من السماء ساقطا ● لتعذيبهم ● يقولوا ● من فرط طغيانهم وعنادهم
● سحاب مركوم ● اي هم في الطغيان بحيث لو اسقطناه عليهم حسبما قالوا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا
لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب ● فذرهم حتى يلاقوا ● وقرئ
يلقوا ● يومهم الذي فيه يصعقون ● بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما
قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ وقرئ يصعقون ● يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ● اي شيئا من الاغناء
بدل من يومهم ولا يخفى ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس
ذلك الا ما دبروه في امره صلعم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليس مما يجري في مدافعته
الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع انه يأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ● ولا هم ينصرون ●
من جهة الغير في دفع العذاب عنهم ● وان للذين ظلموا ● اي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من
قبل اي وان لهؤلاء الظلمة ● عذابا اخر ● دون ذلك ● دون ما لاقوه من القتل اي قبله وهو القحط الذي
اصابهم سبع سنين او وراءه كما في قوله تريك القذى من دونها وهو دونها وهو عذاب القبر وما بعده
من فنون عذاب الاخرة وقرئ دون ذلك قريبا ● ولكن اكثرهم لا يعلمون ● ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى
ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا ● و
اصبر لحكم ربك ● بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم
● فانك باعيننا ● اي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء
بالحفظ ● وسبح ● اي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا ● بحمد ربك ● على نعمائه الفائتة للحصر ● حين تقوم ● من اي
مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء اي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس
رضي الله عنهما صل لله حين تقوم من مقامك وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك و
تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك وهو لا يتوقع ● ومن الليل فسبحه ● افرد بعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة فيه
اشق على النفس وابعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل ● وادبار النجوم ● اي وقت ادبارها من اخر
الليل اي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلوة العشائين وادبار النجوم صلوة الفجر وقرئ
ادبار النجوم بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت عن النبي صلعم من قرأ سورة والطور كان حقا على الله تعالى
ان يؤمنه من عذابه

سورة النجم وهي احدى وستون او اثنان وستون آية
بسم الله الرحمن الرحيم

● والنجم اذا هوى ● المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال
هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن دخول اذا علا وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله
والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر

البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عم عن شائبة الضلالة والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع غاية
وراءها اما على الاول فلان النجم شأنه ان يهتدي به الساري الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذي يهتدي به السالك
الى سواء السبيل ● ما ضل صاحبكم ● اي ما عدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الاخرة ● وما غوى ● اي وما اعتقد
باطلا قط اي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا واما على الثالث
فلانه تنويه بشأن القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه
عم ومدار ارشاده كانه قيل والقرآن الذي هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل عنها محمد
عليه السلام ● وما غوى ● والخطاب لقريش وايراده عم بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل احواله
الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عم مما نفي عنه بالكلية وباتصافه عم بغاية الهدى والرشاد فان طول
صحبتهم له عم ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوي على
الوجه الاخير ظاهر واما على الاول فلان النجم لا يهتدي به الساري عند كونه في وسط السماء ولا
يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدي به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال
المناسبة لما سيحكى من تدلي جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو
اللائق بشأن التنزيل الجليل واما حمل هويه على انتثاره يوم القيمة او على انقضاض النجم الذي يرجم به او
حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما لا يناسب المقام ● وما ينطق
عن الهوى ● اي وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا
نفي استمرار النطق عنه كما مر مرارا ● ان هو ● اي ما الذي ينطق به من القرآن ● الا وحي ● من الله تعالى ● يوحى ●
صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي ● علمه شديد القوى ● اي ملك شديد
قواه وهو جبرئيل عم فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم
لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا
جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف ● ذو مرة ● اي حصافة في عقله ورأيه
ومتانة في دينه ● فاستوى ● عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية
التعليم اي فاستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي
وذلك ان رسول الله صلعم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله صلعم بحراء فطلع له جبريل
عليه السلام من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله صلعم فنزل جبريل عم في صورة
الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير النبي عم
فانه رآه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر
وقوله تعالى ● وهو بالافق الاعلى ● اي افق الشمس حال من فاعل استوى ● ثم دنا ● اي اراد عم
الدنو من النبي صلعم ● فتدلى ● اي استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي يقال تدلت الثمرة ودلى
رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق ● فكان ● اي مقدار امتداد ما بينهما ● قاب قوسين ● اي

مقدارهما من القاب والقيب والقاد والقيد والقيس لمقدار وقيل مكان جبريل عم كما في قولك هو مني معقد
الازار او ادنى اي على تقديركم كما في قوله او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما يوحي اليه
بنفي البعد الملتبس فاوحى اي جبريل عم الى عبده عبد الله تع واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تع ما ترك على
ظهرها ما اوحى اي من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل عم ما اوحى ان الجنة
محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اي فؤاد محمد عم ما رأى اي ما رآه ببصره
من صورة جبريل عليهما السلام اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه
ببصره وقرئ ما كذب اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى اي اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة
او ابعدما ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة
فكان كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اي افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من
معنى الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اي جحده ولقد رآه نزلة اخرى
والله لقد رأى جبريل عم في صورته مرة اخرى من النزول نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من
الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى هي شجرة
نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي
ذكرها الله في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كانها في منتهى
الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي
اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك
اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة
الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اي سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى
اي الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة
المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تع اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية لما
قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان
يقال فلان يغشى زيدا كل حين اي يأتيه والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وما عبر
عن المفعول للتشويق الله اي ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به
البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار
الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى وقيل يزورونها متبركين بها كما
يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل
واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش وجراد من ذهب وهو قول ابن عباس رضي
الله عنه وابن مسعود والضحاك وروي عن النبي صلعم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت
على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عم يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اي ما مال بصر رسول الله

صلعم

صلعم عما رآه وما طغى وما تجاوزه مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة ما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا
او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى
اي والله لقد رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فأرى من عجائب الملك و
الملكوت ما لا يفي به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اي شيئا عظيما من
آيات ربه وان يكون من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت
لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها
وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق
بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون
الله تعالى وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهي سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله
صلعم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد
يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلعم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة
وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة
من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار
وقد جوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون
ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا افرأيتم اللات الى آخره
والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة و
هي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز و
جل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم
هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات الله تعالى وقيل المعنى افرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها
وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة
التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم و
قيل ظننتم انها تشفع لكم في الآخرة وقيل افرأيتم الى ان هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها
لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى [illegible] فانه
توبيخ مبني على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب انفسهم على جانبه تعالى بنسبتهم الى الله تعالى
الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى
يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه وظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة
عين ولا اثر واما ما قيل من ان جملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما
ان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها
الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل

عن أمثالها يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الخسيس على جانب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة
الولد إليه سبحانه . تلك إشارة إلى القسمة المفهومة من الجملة الاستفهامية . إذن قسمة ضيزى أي جائرة
حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض
فإن فعلى بالكسر لم يأت في الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضأزه إذا ظلمه على أنه مصدر نعت به وقرئ ضيزى
أما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى . إن هي الضمير للأصنام والمعنى جعلتها
أسماء لا حقيقة لها أسماء فإن التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فإذا قيست إلى الكل فمعناها جعله
اسماً للمسمى والتحقيق أن تلك الأقسام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة وليس لها مسميات لكنها لا تستحق
التسمية وقيل هي للأسماء الثلاث المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف
على عبادتها والإعزاز والتقرب إليها بالقرابين وأنت خبير بأنه لو سلم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت
تلك المعاني الخاصة للأصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل إنما هي في سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم
المشهور في حق جميع الأصنام على وجه برهاني فإن انتفاء الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الأولى
أي ما هي إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها . أنتم وآباؤكم بمقتضى أهوائكم الباطلة . ما أنزل الله بها
من سلطان . تتعلقون به . إن يتبعون . التفات إلى الغيبة للإيذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض
عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم أي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها . إلا الظن . إلا توهم أن
ما هم عليه حق توهماً باطلاً . وما تهوى الأنفس أي تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء . ولقد جاءهم
من ربهم الهدى . وقيل هي حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأيا ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن
وهوى النفس وزيادة تقبيح حالهم فإن اتباعهما من أي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بإرسال الرسول
عليه وإنزال الكتاب أقبح . أم للإنسان ما تمنى . أم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان أن
ما هم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدي نفعا أصلا والهمزة
للإنكار والنفي أي ليس للإنسان كل ما يتمناه ويشتهيه من الأمور التي من جملتها أطماعهم الفارغة
في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لا تكاد تدخل تحت الوجود . فلله الآخرة والأولى . تعليل لانتفاء
أن يكون للإنسان ما يتمناه حتما فإن اختصاص أمور الآخرة والأولى جميعاً به تعالى مقتض لانتفاء أن
يكون له أمر من الأمور إلا بأمره . وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا . إقناط لهم عما علقوا به
أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لإقناطهم عن شفاعة الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية
مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع إفراد الملك
باعتبار المعنى أي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الإغناء في وقت من الأوقات
إلا من بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء أن يشفعوا له ويرضى ويراه أهلا للشفاعة
من أهل التوحيد والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل وعن الشفاعة
بألف منزل فإذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام . إن الذين لا يؤمنون

بالآخرة

بالآخرة وبما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي . ليسمون الملائكة . المنزهين
عن سمات النقصان على الإطلاق أي يسمون كل واحد منهم . تسمية الأنثى . فإن قولهم الملائكة
بنات الله قول منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالأنثى وفي تعليقها بعدم الإيمان بالآخرة إشعار
بأنها في الشناعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها إلا من لا يؤمن بها
رأساً وقوله تعالى . وما لهم به من علم . حال من فاعل يسمون أي يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون
أصلا وقرئ بها أي بالملائكة أو بالتسمية . إن يتبعون . في ذلك . إلا الظن الفاسد . وإن الظن
أي جنس الظن كما يلوح به إظهاره في موقع الإضمار . لا يغني من الحق شيئا . من الإغناء فإن الحق الذي هو
عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك إلا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن الحقيقة وإنما يعتد به في العمليات وما يؤدي
إليها . فأعرض عمن تولى عن ذكرنا . أي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به إلى وصفهم بما في حيز صلته
من الأوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها أي فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم
الأولين والآخرين المذكر لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغي فإن ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الأمور
المرغوب فيها والمرهوب منها . ولم يرد إلا الحياة الدنيا . راضياً بها قاصراً نظره عليها والمراد النهي عن دعوته
والاعتناء بشأنه فإن من أعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده
الدعوة إلى خلافها إلا عنادا وإصرارا على الباطل . ذلك . أي ما أداهم إليه من التولي وقصر الإرادة
على الحياة الدنيا . مبلغهم من العلم . لا يكادون يجاوزونه إلى غيره حتى تجديهم الدعوة والإرشاد وجمع الضمير
في مبلغهم باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الإدراك المنتظم
للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الإرادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى
إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى . تعليل للأمر بالإعراض وتكرير قوله تعالى
هو أعلم لزيادة التقرير والإيذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع إلى الهدى
أصلا وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء في الجملة أي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال أبدا
وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك في دعوتهم فإنهم من القبيل الأول وفي تعليل الأمر بإعراضه
عم عن الإعراض بما مر فيه بأن قصارى العلم بأحوال النفوس علمه تعالى رمز إلى أنه تعالى يعاملهم بموجب
علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سيأتي صريحا . ولله ما في السموات
وما في الأرض . أي خلقا وملكا لا لغيره أصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ليجزي إلى آخره
متعلق بما دل عليه أعلم إلى آخره وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فإن كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم
أي العلم بمن ضل كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما . ليجزي الذين أساؤوا
بما عملوا . أي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالإساءة بيانا لحاله أو بسبب ما عملوا
ويجزي الذين أحسنوا . أي اهتدوا . بالحسنى . أي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى
وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض كأنه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل متعلق

بضل او اهتدى على ان اللام للعاقبة اى هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى
ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه
على تباين الجزاءين • الذين يجتنبون كبائر الاثم • بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلته
للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما
يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك
والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا • الا اللمم • اى الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر
قيل هى النظرة والغمزة والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا ولا عذابا
وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع • ان ربك واسع المغفرة • حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة ليس لخلوه
عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها
وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم
وجوب العقاب عليه تعالى • هو اعلم بكم • اى باحوالكم يعلمها • اذ انشأكم • فى ضمن انشاء ابيكم آدم عم من
الارض انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا • واذ انتم اجنة • واوقت كونكم اجنة • فى بطون امهاتكم •
على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة
الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استيناف مقرر لما قبلها والفاء فى قوله تعالى • فلا تزكوا انفسكم • لترتيب
النهى عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى
مع علمه بصدوره عنكم اى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصى بالكلية او بما يستلزمها
من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته • هو اعلم بمن اتقى • المعاصى جميعا وهو
استيناف مقرر للنهى ومشعر بان فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم
يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب او الرياء فاما من اعتقد ان
ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم
فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر • افرأيت الذى تولى • اى عن اتباع الحق والثبات عليه
واعطى قليلا • اى شيئا قليلا • واكدى • اى قطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اى الصلابة
كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلعم فعيره بعض المشركين
وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه
بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى كان ربما يوافق
النبى صلعم فى بعض الامور وقيل فى ابى جهل كان ربما يوافق الرسول صلعم فى بعض الامور وكان يقول والله
ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من
قوله تعالى • اعنده علم الغيب فهو يرى • الى آخره اى اعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه
يوم القيمة • ام لم ينبأ بما فى صحف موسى • وابراهيم الذى وفى • اى وفر واتم ما ابتلى به من الكلمات او

امر به

امر به او بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه
جبرئيل عم حين يلقى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشى
كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التى هى التورية
اكثر واشهر عندهم • الا تزر وازرة وزر اخرى • اى انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى على ان
ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها
بدل من ما فى صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما فى صحفهما فقيل هو الا تزر وازرة
الى آخره والمعنى انه لا يؤاخذ بذنب غيره ليتخلص الثانى عن عقابه ولا يقدح فى ذلك قوله عم من سن
سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذى هو وزره
وقوله تعالى • وان ليس للانسان الا ما سعى • بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث
جلب النفع اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء عم واستغفار
الملئكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور
النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذى هو الايمان
والصلاح ولم يكن لشئ منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان المخففة
كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى • وان سعيه سوف يرى • اى يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة
فى صحيفته وميزانه من اريته الشئ • ثم يجزاه • اى يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على
عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى • الجزاء الاوفى •
او يبدل هو عنه كما فى قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا • وان الى ربك المنتهى • اى انتهاء الخلق ورجوعهم
اليه تعالى لا الى غيره استقلالا واشتراكا وقرئ بكسر الهمزة على الابتداء • وانه هو اضحك وابكى • اى هو خلق قوتى
الضحك والبكاء • وانه هو امات واحيى • لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل نقض البنية وتفريق
الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة • وانه خلق الزوجين الذكر والانثى • من نطفة
اذا تمنى • تدفق فى الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر • وان عليه النشأة الاخرى • اى
الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ • وانه هو اغنى واقنى •
واعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له
قنية • وانه هو رب الشعرى • اى رب معبودهم وهى العبور وهى اشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة
تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش يقولون لرسول الله صلعم ابو كبشة تشبيها له
عم به لمخالفته اياهم فى دينهم • وانه اهلك عادا الاولى • هم قوم هود عم وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى
القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح عم وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعادا لولى
بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة اولى بحذف الهمزة ونقل حركتها الى لام التعريف • وثمود • عطف على
عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين • فما ابقى • اى احدا من الفريقين • وقوم نوح • عطف عليه

ابقى من قبل اي من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه
وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان تسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به
حراك وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم
اهوى اي اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عم الى السماء فغشاها ما غشى من فنون
العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول عم على
طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد فعل التماري الى الواحد باعتبار تعدده حسب
تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث
يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الاول فقط كما في تداعوهم اي دعوهم
وقد تجرد عنه ايضا بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما في ما نحن فيه فان المراد تعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور
المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات
وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اشارة الى القرآن والنذير مصدر او الى الرسول صلعم
والنذير بمعنى المنذر واياما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي
هذا القرآن الذي تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر
من جنس المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين
وفي تعقيبه بقوله تعالى ازفت الازفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيامة اي دنت الساعة الموصوفة بالدنو
في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا
الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتاخير الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها
الا الله كقوله تعالى لا يجليها الا هو او ليس لها من غير الله تعالى كشف على ان كاشفة مصدر كالعافية افمن هذا
الحديث اي القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شيء من ذلك ولا تبكون حزنا على ما
فرطتم في شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون اي لاهون او مستكبرون
من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او
خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال رمى الحدثان نسوة آل سعد بمقدار
سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون
خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفي والانكار وارد على نفي البكاء والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفي و
الانكار متوجه الى نفي البكاء ووجود السمود والاول اوفى بحق المقام فتدبر والفاء في قوله تعالى فاسجدوا
لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب
تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اي واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذي انزله واعبدوه عن النبي
صلعم من قرأ سورة النجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة شرفها الله تعالى

سورة القمر مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس وخمسون آية

اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار

سألوا رسول الله صلعم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضي انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود
رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله
تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد
قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد
والاستحكام وان يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التامل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر
مطرد دائم ياتي به محمد عم على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر وقوي مستحكم لا يمكن ازالته و
قيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو لا يناسب غلوهم في العناد والمكابرة دون
ما سيأتي لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا اي النبي صلعم وما عاينوه مما اظهره
الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق وهو تبع وكل امر مستقر استئناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به امانيهم الفارغة من عدم
استقرار امره عم حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اي وكل امر من الامور منته الى غاية
يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبي صلعم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شانه وابهام المستقر عليه
للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره عم مستقر اي سيثبت و
يستقر على حال خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف على انه مصدر او اسم
مكان او اسم زمان اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل
عطف على الساعة اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم اي في القرآن وقوله تعالى من الانباء اي
انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اي والله لقد جاءهم كائنا من الانباء ما فيه
مزدجر اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار على ان في تجريدية والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار وتاء
الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها
لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصولة او موصوفة تخصصت
بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغني النذر نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة
البالغة مع كونها مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر
واستمراره وما منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم
لعلمك بان الانذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عم
ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا الى شيء نكر اي
منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر خشعا ابصارهم حال
من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث اذلة ابصارهم من شدة
الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل و
قرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في

في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين مادّي اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول الكافرون استئناف
وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم
عسر اي صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة
كذبت قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الانباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم
بها تقرير لفحوى قوله تعالى فما تغني النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا
تفصيل لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه
كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا
عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى نون العظمة تفخيم له ورفع لمحله وزيادة
تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على
قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته
فدعا ربه اني اي باني وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر
اي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا
عليه فيقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الا
الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض
كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير لحق المقام فالتقى الماء اي ماء السماء وماء الارض
والافراد لتحقيق ان التقاء المائين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ
الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير
تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم
نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام على ذات الواح ودسر اي خشب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر
وهو الدفع وهي صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا
بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل
نبي نعمة من الله تعالى على امته ورحمة واي نعمة واي رحمة وقد جوز ان يكون على حذف الجار وايصال
الفعل الى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة
او الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا
حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر اي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الا
الاصل ومذكر بقلب التاء دالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب كما
على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القرآن الى آخره جملة قسمية و
وردت في اواخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر
حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم يقع و

واحدة

واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بان انزلناه على لغتهم وشحناه بانواع
المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر انكار ونفي
للمتعظ على ابلغ وجه وآكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه
بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد اي هودا عليه السلام ولم
يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة الى بيان ما فيه من الازدجار من العذاب وقوله
تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله
وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي و
انذاراتي لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا استئناف لبيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم
ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس شؤم مستمر اي شؤمه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم
او شاملا لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس
تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى كأنهم
اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع
رؤوسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤوس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها في قوله
تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب
من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق
بهم في الآخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها
من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع
فقالوا ابشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او
واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من
الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء
وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا لفي ضلال وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل
من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير
فعكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول أألقي الذكر اي الكتاب
والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس الامر كذلك بل هو كذاب
حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر حكاية لما قاله تعالى
لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد
وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله بطره واشره على
الترفع أصالح ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به

صالح وقرئ الأشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الأشر أي الأبلغ في الشرارة وهو أصل مرفوض
كالأخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة • إنا مرسلو الناقة • إلى آخره فإنه استئناف مسوق
لبيان مبادي الموعود حتما أي مخرجوها من الهضبة • بينهم • مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب
أي لتغليب العقلاء • كل شرب محتضر • يحضره صاحبه في نوبته • فنادوا صاحبهم • هو قدار بن سالف
أحيمر ثمود • فتعاطى فعقر • فاجترءوا على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة و
قيل فتعاطى الناقة فعقرها وتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف • فكيف
كان عذابي ونذر • الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد • إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة • هي
صيحة جبرئيل عم • فكانوا • أي فصاروا • كهشيم المحتظر • أي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة
لأجلها أو كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء أي كهشيم
الحظيرة أو الشجر المتخذ لها • ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر • إنا أرسلنا
عليهم حاصبا • أي ريحا تحصبهم أي ترميهم بالحصباء • إلا آل لوط نجيناهم بسحر • في سحر وهو آخر الليل وقيل
هو السدس الأخير منه أو ملتبسين بسحر • نعمة من عندنا • أي إنعاما منا وهو علة لنجينا • كذلك • أي مثل
ذلك الجزاء العجيب • نجزي من شكر • نعمتنا بالإيمان والطاعة • ولقد أنذرهم لوط • بطشتنا • أي أخذتنا
الشديدة بالعذاب • فتماروا • فكذبوا بالنذر • متشاكين • ولقد راودوه عن ضيفه • قصدوا الفجور
بهم • فطمسنا أعينهم • فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل
عم صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام • فذوقوا عذابي
ونذر • أي فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فإنه من جملة ما أنذروه
من العذاب • ولقد صبحهم بكرة • وقرئ بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار مخصوص • عذاب
مستقر • لا يفارقهم حتى يسلمهم إلى النار وفي وصفه بالاستقرار إيماء إلى أن ما قبله من عذاب الطمس
ينتهي به • فذوقوا عذابي ونذر • حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب • ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر • مر ما فيه من الكلام • ولقد جاء آل فرعون النذر • صدرت قصتهم
بالتوكيد القسمي لإبراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من
العذاب وقوة إيجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك أي وبالله
لقد جاءهم الإنذارات وقوله تعالى • كذبوا بآياتنا كلها • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء
النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا • وهي الآيات التسع • فأخذناهم أخذ
عزيز • لا يغالب • مقتدر • لا يعجزه شيء • أكفاركم • يا معشر العرب • خير • قوة وشدة وعدة أو مكانة • من
أولئكم • الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الأمور فهل تطمعون
أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسوأ حالا وقوله تعالى • أم لكم براءة في الزبر • إضراب وانتقال
من التبكيت بوجه آخر أي بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلهما في الكتب

السماوية

السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه وقوله تعالى • أم يقولون نحن جميع منتصر • إضراب من التبكيت
المذكور إلى وجه آخر من التبكيت والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وإسقاطهم
عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أي بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأي أمرنا
مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الأعداء لا نغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والإفراد باعتبار
لفظ الجميع وقوله تعالى • سيهزم الجمع • رد وإبطال لذلك والسين للتأكيد أي يهزم جمعهم البتة و
• يولون الدبر • أي الأدبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لإرادة الجنس أو إرادة أن كل واحد منهم يولي
دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول
لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول
الله صلعم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ ستهزم الجمع أي الله
عز وعلا • بل الساعة موعدهم • أي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد أصل عذابهم وهذا من
طلائعه • والساعة أدهى وأمر • أي في أقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الأمر الفظيع
الذي لا يهتدى إلى الخلاص عنه وإظهار الساعة في موقع إضمارها لتربية تهويلها • إن المجرمين
من الأولين والآخرين • في ضلال وسعر • أي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق
في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى • يوم يسحبون • إلخ منصوب إما بما يفهم من قوله تعالى في
ضلال • أي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون • في النار على وجوههم • وإما بقول مقدر بعده أي يوم
يسحبون يقال لهم • ذوقوا مس سقر • أي حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك لم
يصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته والقول المقدر على الوجه الأول حال من ضمير يسحبون
• إنا كل شيء • من الأشياء • خلقناه بقدر • أي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور
أمر التكوين أو مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده و
قرئ بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبره • وما أمرنا إلا واحدة • إلا كلمة واحدة سريعة التكوين
وهو قوله تعالى كن أو إلا فعلة واحدة هو الإيجاد بلا معالجة • كلمح بالبصر • في اليسر والسرعة و
قيل معناه قوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر • ولقد أهلكنا أشياعكم • أي أشباهكم في الكفر من
الأمم وقيل أتباعكم • فهل من مدكر • متعظ بذلك • وكل شيء فعلوه في الزبر • أي في ديوان الحفظة
• وكل صغير وكبير • من الأعمال • مستطر • مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان
سوء حال الكفرة بقوله تعالى إن المجرمين إلى آخره مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب
والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الإجمال فقيل • إن المتقين • أي من الكفر و
المعاصي • في جنات • عظيمة الشأن • ونهر • أي أنهار كذلك والإفراد للاكتفاء باسم الجنس
وإعادة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كأسد وأسد • في مقعد صدق • في مكان مرضي وقرئ في مقاعد
صدق • عند مليك مقتدر • أي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء إلا وهو تحت ملكوته

مكنونة سبحانه ما أعظم شأنه. عن رسول الله صلعم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله
يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما عدد في السورة السابقة من صروف نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لتذكر الناس
على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام
من فنون نعمه الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بموجب
شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل ﴿الرحمن علم القرآن﴾ لأنه أعظمها شأنا وأرفعها مكانا كيف
لا وهو مدار السعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو إليه
أحداق الأمم إلا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد إليه أعناق الهمم إلا وهو منهجه وطريقه
وإسناد تعليمه إلى اسم الرحمن للإيذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها
وقد اقتصر على ذكره تنبيها على أصالته وجلالة قدره ثم قيل ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾
تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الإنسان إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة
والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه
بل منه ومن فهم بيان غيره أيضا إذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث أخبار مترادفة
للرحمن وإخلاء الأخيرتين عن العاطف لورودهما على منهاج التعديد ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾
أي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف
الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب ﴿والنجم﴾ أي النبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض
ولا ساق له ﴿والشجر﴾ الذي له ساق ﴿يسجدان﴾ أي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد
من المكلفين طوعا والجملتان جاريتان مجرى أخرى أخبار للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال
قوة الارتباط المعنوي إذ لا يتوهم ذهاب الوهم إلى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا إلى
كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له وإخلاء
الجملة الأولى عن العاطف لما ذكر وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل
لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إن كلا من حال العلويين و
حال السفليين من باب الانقياد لأمر الله عز وجل ﴿والسماء رفعها﴾ أي خلقها مرفوعة محلا
ورتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه ومتنزل أوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء
شأنه وعظم ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ووضع الميزان﴾ أي شرع العدل
وأمر به بأن وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام
كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والأرض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين
بن الفضل كما في قوله تعالى وأنزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما تعرف به مقادير الأشياء
من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على

الأرض

على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في أخذهم
وإعطائهم ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾ أي لئلا تطغوا فيه على أن أن ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة
متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان أو أي لا تطغوا على أنها مفسرة لما في الشرع من معنى القول
ولا ناهية أي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الإنصاف وقرئ لا تطغوا على إرادة القول ﴿وأقيموا
الوزن بالقسط﴾ أي قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل
وقيل الإقامة باليد والقسط بالقلب ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي لا تنقصوه أمر أولا بالتسوية
ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر
لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للأمر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء
وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين أيضا على أن الأصل ولا تخسروا في الميزان
فحذف الجار وأوصل الفعل ﴿والأرض وضعها﴾ أي خفضها مدحوة ﴿للأنام﴾ أي الخلق
قيل المراد به كل ذي روح وقيل كل ما ظهر على الأرض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى ﴿فيها فاكهة﴾
الخ استئناف مسوق لتقرير ما أفادته الجملة السابقة من كون الأرض موضوعة لمنافع الأنام
وتفصيل لمنافع العائدة إلى البشر وقيل حال مقدرة من الأرض فالأحسن حينئذ أن يكون الحال
هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به ﴿والنخل ذات الأكمام﴾
هي أوعية الثمر جمع كم أو كل ما يكم أي يغطى من ليف وسعف وكفرى فإنه مما ينتفع به كالمكموم
من ثمره وجماره وجذوعه ﴿والحب ذو العصف﴾ هو ما يتغذى به كالحنطة والشعير والعصف ورق
الزرع وقيل التبن ﴿والريحان﴾ قيل هو الرزق أريد به اللب أي فيها ما يتلذذ به من الفواكه
والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو علف
الأنعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذو العصف والريحان أي خلق الحب والريحان
أو أخص ويجوز أن يراد ذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والريحان
إما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف
أو للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾
الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للأنام وسينطق به قوله أيها الثقلان و
الفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان
شكرا حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الإضافة
إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بالآلاء كفرهم بها إما بإنكار كونه نعمة
في نفسه كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية وإما بإنكار كونه من الله تعالى مع
الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم بإسناده إلى غيره تعالى استقلالا
أو اشتراكا صريحا أو دلالة فإن إشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة من دواعي إشراكهم لها به

تعالى فيهما بوجوههما والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر
شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أي فإذا كان الأمر كما فصل فبأي فرد من أفراد الآلاء
مالكهما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق • خلق الإنسان من
صلصال كالفخار • تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين و
الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم من تراب جعله
طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة بأحدها وبين ما نطق بأحد الآخرين
• وخلق الجان • أي الجن أو أبا الجن • من مارج • من دخان صاف • من نار • بيان لمارج فإنه في الأصل
للمضطرب من مرج إذا اضطرب • فبأي آلاء ربكما تكذبان • مما أفاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ
النعم • رب المشرقين ورب المغربين • بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف أي الذي فعل ما ذكر من الآلاء الجليلة
البديعة مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون ربا لما بينهما من الموجودات قاطبة
وقيل على الابتداء والخبر مرج وقرئ بالجر على أنه بدل من ربكما • فبأي آلاء ربكما تكذبان • مما في ذلك
من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته إلى غير ذلك
• مرج البحرين • أي أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب
يلتقيان • أي يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى العين وقيل أرسل بحري فارس و
الروم يلتقيان في المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه • بينهما برزخ • أي حاجز من قدرة الله
عز وجل أو من الأرض • لا يبغيان • أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية أو لا يتجاوزان
حديهما بإغراق ما بينهما • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وليس منهما شيء يقبل التكذيب • يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان • اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره ونسبة
خروجهما إلى البحرين مع أنهما إنما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل إنهما لا يخرجان إلا من ملتقى الملح و
العذب ولأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع أنهما
لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الأظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الإخراج
وبنائه للفاعل على نصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة • فبأي آلاء ربكما تكذبان • وله الجوار •
أي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء بحذف الياء كقول من قال لها ثنايا أربع حسان وأربع
فكلها ثمان • المنشآت • المرفوعات الشرع والمصنوعات وقرئ بكسر الشين أي الرافعات الشرع
أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهن • في البحر كالأعلام • كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل
الطويل • فبأي آلاء ربكما تكذبان • من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها
وإجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه • كل من عليها • أي على الأرض
من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين • فان • هالك لا محالة • ويبقى وجه
ربك • أي ذاته عز وجل • ذو الجلال والإكرام • أي ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي

عنده

عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلعم ألظوا
بيا ذا الجلال والإكرام وعنه عم أنه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والإكرام فقال قد استجيب
لك وقرئ ذي الجلال والإكرام على أنه صفة ربك وأيا ما كان ففي وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق و
بقائه تعالى إيذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى • فبأي آلاء ربكما تكذبان • فإن إحياءهم بالحياة الأبدية وإثابتهم بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء
• يسأله من في السموات والأرض • قاطبة لا يحتاجون في ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر
أحوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال وبلسان الحال فإنهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل
من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الإلهية من
العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر في
تفسير قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة إبراهيم عم • كل يوم • أي كل وقت من
الأوقات • هو في شأن • من الشؤون التي من جملتها إعطاء ما سألوا فإنه تعالى لا يزال ينشئ أشخاصا
ويفني آخرين ويأتي بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث
من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون
إن الله لا يقضي يوم السبت شيئا • فبأي آلاء ربكما تكذبان • مع مشاهدتكم لما ذكر من إحسانه • سنفرغ
لكم • أي سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار إليها بقوله
تعالى كل يوم هو في شأن فلا يبقى حينئذ إلا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل
وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك أي سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني والمراد
التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ سنفرغ
إليكم أي سنقصد إليكم • أيها الثقلان • هما الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة
آرائهما أو لأنهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان التي من جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم
القيامة ثقلهما على الأرض أو لرزانة آرائهما أو لأنهما مثقلان بالتكليف • فبأي آلاء ربكما تكذبان • التي من
جملتها التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي إلى سوء الحساب تكذبان بأقوالكما وأعمالكما
• يا معشر الجن والإنس • هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون
بالقدرة على الأفعال الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تفي بما كلفوه • إن استطعتم
أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض • أي إن تهربوا من قضائي وتخرجوا من
ملكوتي ومن أقطار سمواتي وأرضي فانفذوا وخلصوا أنفسكم من عقابي • لا تنفذون • لا تقدرون
على النفوذ • إلا بسلطان • أي بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمعزل بعيد روي أن الملائكة تنزل
فتحيط بجميع الخلائق فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة أحاطت به
• فبأي آلاء ربكما تكذبان • أي من التنبيه والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة • يرسل عليكما شواظ

قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار
وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق
بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل صفر مذاب
يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا
وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب فلا تنتصران اي لا تمتنعان فبأي آلاء
ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصي لطف واي لطف ونعمة واي نعمة فاذا انشقت
السماء اي انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة
اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال ولئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت
كريم كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اي كدهن الزيت وهو اما جمع دهن
او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاهوال
والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فبأي آلاء ربكما تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اي يوم اذ تنشق
السماء حسبما ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور
ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة
والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسأل عن ذنبه انسي
ولا جني فبأي آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعها فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما ما قيل
مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استيناف
يجري مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن
فيؤخذ بالنواصي والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ
ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم
في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام فبأي آلاء ربكما
تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول اي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ
على ان الجملة اما استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كانه قيل
فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال لهم او حال من اصحاب النواصي والاقدام لان اللام عوض عن
المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها اي بين النار يحرقون بها وبين حميم آن ماء حار بالغ من الحرارة
اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان و
قد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء
التي يفيضها عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنياوية واعلم ان ما عدد فيما
بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها آلاء جليلة واصلة اليهم في
الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل ما يؤدي

الى نيلها

الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شأن
من النعم الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها
من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها واما ما عدد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم
وبين هذه الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها
الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقام ربه
موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احواله من قام عليه اذا راقبه
او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل او هو مقحم للتعظيم جنتان
جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته و
اخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية
وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان صفة لجنتان وما بينهما
اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اي
ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اي ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر
لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان
صفة اخرى لجنتان اي في كل واحدة منهما عين تجري كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من
جبل من مسك وعن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن تجريان بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل
وقيل احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان
لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من
كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض
لما مر آنفا فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب
على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها
وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله
القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضي الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء
قاعدا وان شاء مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن
اي في الجنان المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف
حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية في قوله تعالى متكئين وقيل فيهما فيهما من الاماكن والقصور وقيل في هذه الآلاء
المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن
المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين فيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن
بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها كالتي قبلها اي مشبهات بالياقوت

في حمرة الوجه والمرجان اي صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره
قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء فبأي
آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استئناف مقرر لمضمون ما قبله اي ما جزاء الاحسان
في العمل الا الاحسان في الثواب فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدأ وخبر اي
ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين فبأي
آلاء ربكما تكذبان وقوله مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على ان تكذيب كل
من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار
بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار و
الفواكه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة
وهو الرش فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل على
الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة
من حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات
صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر وخيرات مخففة خيّرات لان خير
الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان اي حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة وقيل ما
تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض
رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقري
حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به
الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على خضر الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري
كمدائني نسبة الى عباقر اسم بلد فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيه تقرير لما ذكر في السورة
الكريمة من الآلاء الفائضة على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة
من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها جحود
نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم
بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وصف
الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبي صلعم من قرأ سورة الرحمن
ادى شكر ما انعم الله عليه

سورة الواقعة مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي سبع وتسعون آية

اذا وقعت الواقعة
اي اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة
كأنها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت

الحادثة

الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كأنه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال
ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة اي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب
على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على
الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعاقبة اي ليس لاجل وقعتها وفي حقها كذب
اصلا بل كل ما ورد في شأنها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ محذوف
اي هي خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك
او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة
الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب
وتقديم الخفض على الرفع لتشديد التهويل وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله
تعالى اذا رجت الارض رجا اي زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة
رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض اذ عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا
وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او
سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست
اي ارتجت وذهبت فكانت اي فصارت بسبب ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم اما خطابا
للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط ازواجا اي اصنافا ثلاثة فكل صنف يكون
مع صنف آخر في الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
ما اصحاب المشأمة تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله
تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وقوله ما اصحاب الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية مبتدأ ما بعده خبره و
الجملة خبر للاول والاصل ما هم اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم
الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر
موضع الضمير لكونه ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة و
المراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال
واصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال واختلف في تعيينهم فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب
المشأمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم
بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات
الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والا
شقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هو القسم الثالث من الازواج
الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن
احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلمهم

ويكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان
وقيل الذين سبقوا الى الايمان والطاعة في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين
كما قال الله تعالى والسابقون الاولون وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في الخيرات واياما كان فالجملة
مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت محاسنهم كقول ابي النجم وشعري
شعري وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل
السابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته او والسابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله
تعالى **اولئك** اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الفضل ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل **المقربون** اي الذين قربت الى العرش
العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه
الجمل واشهر والذي يقتضيه جزالة النظم ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب
المشأمة وقوله تعالى والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام
واما اوصافها واحوالها فحقها ان يبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والآخر اصحاب المشأمة
والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي
احوالهما في الخير والشر انباء اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتدأ
وما بعده خبره على ما رآه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة امر بديع
كما يفيده كونها خبرا لا بيان ان امرا بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال في ما اصحاب المشأمة
واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ
والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم واولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول وما بعده خبره او اولئك والجملة خبر للاول
وقوله تعالى **في جنات النعيم** متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان
لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ في جنة وقوله تعالى
ثلة من الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هم امة كثيرة من الاولين وهم الامم السالفة من لدن آدم الى
نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام **وقليل من الآخرين** اي من هذه الامة ولا
يخالفه قوله عليه السلام ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من سابقي هذه الامة
لا تمنع اكثرية تابعي هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين
لان كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا تنافي اكثرية احدهما من الآخر وسيأتي ان الثلتين من هذه
الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين هاهنا ايضا متقدمو هذه الامة ومتأخروهم و
اشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر **على سرر موضونة** حال اخرى من المقربين او من ضميرهم
في الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة
من الوضن وهو النسج **متكئين عليها متقابلين** حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي مستقرين

على سرر

على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من قفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب
الاخلاق والآداب **يطوف عليهم** حال اخرى او استئناف اي يدور حولهم للخدمة **ولدان
مخلدون** اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد
القرط قيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها
روي ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن رح وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة
باكواب وآنية لا عرى لها ولا خراطيم **واباريق** اي آنية ذات عرى **وكأس من معين**
اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكأس لانها لا تكون كأسا الا اذا كانت مملوءة **لا يصدعون عنها** اي
بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون اي لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى
يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا **ولا ينزفون** اي لا يسكرون من
انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه **وفاكهة مما يتخيرون** اي يختارونه ويأخذون خيره وافضله
ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم طير **وحور عين** بالرفع عطفا على ولدان
او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل هم في جنات
وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب
اي ويؤتون حورا **كأمثال اللؤلؤ المكنون** صفة لحور او حال **جزاء بما كانوا يعملون** مفعول
له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء **لا يسمعون فيها لغوا** اي
باطلا **ولا تأثيما** اي ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم ولا سماع كقوله تعالى ولا ترى
نفس مثلها لغو ولا تأثيم **الا قيلا** اي قولا **سلاما سلاما** بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها
لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى
انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الا السلام
الآخر بدءا او ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى **واصحاب اليمين** شروع في تفصيل ما
اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى ما اصحاب
~~اليمين شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين و~~
هو مبتدأ وقوله تعالى **ما اصحاب اليمين** جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت
كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على انها خبر للمبتدأ او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى **في سدر مخضود**
وهو على الاول خبر ثان للمبتدأ او خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب
اليمين من علو الشأن اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه
خضد شوكه اي قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب
وطلح منضود قد نضد حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان
وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن

علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرئ قوله تعالى لها طلع نضيد فقال أو نحولها قال
اي القرآن لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس رضي نحوه • وظل ممدود • منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت
كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس • وماء مسكوب • يسكب لهم اين شاؤوا وكيف ارادوا بلا تعب او مصبوب
سائل يجري على الارض في غير اخدود وكأنه مثل حال السابقين في التنعم باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال
اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين • وفاكهة كثيرة • بحسب
الانواع والاجناس • لا مقطوعة • في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا • ولا ممنوعة • عن متناوليها
بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الى آخره كقوله تعالى
وحور عين • وفرش مرفوعة • اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل
الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك متكئون ويدل عليه
قوله تعالى • انا انشأناهن انشاء • وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التي
هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأناهن ابتداء جديدا او بدعا من غير ولادة ابداء واعادة
وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على
ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى • فجعلناهن
ابكارا • عربا • جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء
• اترابا • مستويات في السن بنات ثلث وثلثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى • لا
صحاب اليمين • متعلقة بانشأنا او جعلنا او صلة لاترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساوله في السن و
قيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين او خبر مبتدأ محذوف اي هن لاصحاب
اليمين وقيل خبر لقوله تعالى • ثلة من الاولين وثلة من الآخرين • وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف وحقيقته
قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابي
العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة فقال من
الآخرين من هذه الامة الى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي في هذه الآية
قال رسول الله صلعم هما جميعا من امتي • واصحاب الشمال • شروع في تفصيل احوالهم التي
اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين وقد مر الكلام في
قوله تعالى • ما اصحاب الشمال • عين ما فصل في نظيره وكذا قوله تعالى • في سموم وحميم • والسموم حر
نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة • وظل من يحموم • من دخان اسود بهيم • لا
بارد • كسائر الظلال • ولا كريم • فيه خير ما في الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفا البرد والكرم
الذي عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم وقوله تعالى • انهم كانوا
قبل ذلك مترفين • تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في
الدنيا منعمين بانواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات

فلا جرم عذبوا بنقائضها • وكانوا يصرون على الحنث العظيم • اي الذنب العظيم الذي هو الشرك
ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب • وكانوا يقولون •
لغاية عتوهم وعنادهم • ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما • اي كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا
وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية واذا
متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى • ائنا لمبعوثون • لا نفسه لان ما بعد ان واللام و
الهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره
به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه
اليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى
يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على رأي
الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في
المبعوثية بالفعل في حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث
بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله
تعالى • اوآباؤنا الاولون • لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة
يعنون ان بعث آبائهم الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او آباؤنا • قل • ردا لانكارهم وتحقيقا للحق
• ان الاولين والآخرين • من الامم الذين من جملتهم انتم وآباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث
كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي • لمجموعون • بعد البعث
وقرئ لمجمعون • الى ميقات يوم معلوم • الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم
فضة • ثم انكم ايها الضالون • عطف على ان الاولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة
• المكذبون • اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم • لآكلون • بعد البعث والجمع ودخول جهنم
• من شجر من زقوم • من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره اي مبتدئون الاكل من شجر
هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف لشجر اي كائن من زقوم • فمالئون منها البطون •
اي بطونكم من شدة الجوع • فشاربون عليه • عقيب ذلك بلا ريث • من الحميم • اي الماء الحار في الغاية
وتأنيث ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل
للاكل وقوله تعالى • فشاربون شرب الهيم • كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اي لا يكون شربكم شربا
معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم
وهيماء وقيل الهيم الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب و
سحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم
الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة فسلط عليهم من العطش ما
يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وسواهما مصدر و

وقرئ بالكسر على انه اسم المشروب • هذا • الذي ذكر من الوان العذاب • نزلهم يوم الدين • اي يوم الجزاء فاذا
كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه
من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون
الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى • نحن خلقناكم فلولا تصدقون • تلوين للخطاب وتوجيه له الى
الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اي فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا يحققه
العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر
عليه قدر على الاعادة والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا • افرأيتم ما تمنون • اي تقذفونه في الارحام من
النطف وقرئ بفتح التاء من مني النطفة بمعنى امناها • أأنتم تخلقونه • اي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا • ام نحن
الخالقون • له من غير دخل شيء فيه وام قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل نحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير
وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية اصالة • نحن قدرنا بينكم الموت • اي قسمناه عليكم
ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا • وما نحن بمسبوقين على
اي انا قادرون على ان نبدل امثالكم • لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم اشباهكم من الخلق • وننشئكم فيما لا تعلمون •
من الخلق والاطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم
في الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته وعلى
وعلى ان نبدل الى آخره اما حال من فاعل قدرنا او علة لمسبوقين على معنى اللام وما بينهما اعتراض • ولقد علمتم النشأة
الاولى • هي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم من التراب • فلولا تذكرون • فهلا تذكرون
ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانه اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال
وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى
النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور • افرأيتم ما تحرثون • اي تبذرون
حبه وتعملون في ارضه • أأنتم تزرعونه • تنبتونه وتردونه نباتا • ام نحن الزارعون • اي المنبتون لا انتم
والكلام في ام كما مر آنفا • لو نشاء لجعلناه حطاما • هشيما متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم في
حيازة غلاله • فظلتم • بسبب ذلك • تفكهون • تتعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون
من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث و
قرئ تفكنون اي تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل • انا لمغرمون • اي لملزمون غرامة ما
انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين
مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قائلين او تقولون انا لمغرمون • بل نحن
محرومون • حرمنا رزقنا او محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون • افرأيتم الماء الذي تشربون •
عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم المقاصد المنوطة به • أأنتم انزلتموه من المزن •
اي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه اعذب • ام نحن المنزلون • له بقدرتنا • لو نشاء جعلناه

اجاجا • ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام هاهنا مع اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع والفرق
بين المطعوم والمشروب في الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان ان
عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى • فلولا
تشكرون • تحضيض على شكر الكل • افرأيتم النار التي تورون • اي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد • أأنتم
انشأتم شجرتها • التي منها الزناد وهي المرخ والعفار • ام نحن المنشئون • لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء
المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الاشجار التي
لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح بالانشاء في قوله تعالى
ثم انشأناه خلقا آخر لذلك وقوله تعالى • نحن جعلناها تذكرة • استئناف مبين لمنافعها اي جعلناها تذكيرا لنار
جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من
جهنم لما روي عن النبي صلعم ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في امر
البعث فانه ليس ابدع من اخراج النار من الشيء الرطب • ومتاعا • ومنفعة • للمقوين • للذين ينزلون
القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين
الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام وهو بعيد
لعدم انحصار حاجتهم وسبيل خللهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي
والفاء في قوله تعالى • فسبح باسم ربك العظيم • لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه
الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون لوحدانيته تعالى الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها
او تعجبا من امرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع قدرها وظهورها او شكرا على تلك النعم السابقة اي فاحدث
التسبيح بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق اسم الشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب • فلا اقسم • اي
فاقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويعضده
قراءة من قرأ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه وربما قيل ان المعنى فلا اقسم اذ الامر اوضح
من ان يحتاج الى قسم فاياما كان ففيه تفخيم لشأن المقسم به وتعظيم لشأن القسم • بمواقع النجوم • اي بمساقطها و
هي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير ولان ذلك
وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها ومجاريها
فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن و
مواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى • وانه لقسم لو تعلمون عظيم • اعتراض في اعتراض فقصد به
المبالغة في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله تعالى وانه لقسم بين القسم وجوابه
الذي هو قوله تعالى • انه لقرآن كريم • اي كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في صلاح المعاش
والمعاد او حسن مرضي او كريم عند الله تعالى وقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو
اما متروك اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه او لعملتم بموجبه • في كتاب مكنون • اي

أي مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح • لا يمسه إلا المطهرون
أو صفة أخرى للكتاب فالمطهرون الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الأوزار أو
للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفياً بمعنى النهي أي لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة
من الناس على طريقة قوله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه
إلى من يظلمه وقيل لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون من أطهره
بمعنى طهره والمطهرون أي أنفسهم أو غيرها بالاستغفار ونحوه • تنزيل من رب العالمين • صفة أخرى للقرآن
وهو مصدر نعت به وجرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلاً • أفبهذا الحديث • الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة
لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم • أنتم مدهنون • أي متهاونون به كمن يدهن في الأمر أي يلين
جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به • وتجعلون رزقكم • أي شكر رزقكم • أنكم تكذبون • أي تضعون التكذيب موضع
الشكر وقرئ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أي تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به و
قيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه
إلى الأنواء والأول هو الأوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله عز وجل • فلولا إذا بلغت
الحلقوم • إلى آخره تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم إلى آخره من الأمور
الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم
كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية أي فهلا إذا بلغت النفس أي الروح وقيل نفس
أحدكم الحلقوم وتداعت إلى الخروج • وأنتم حينئذ • أيها الحاضرون حول صاحبها • تنظرون
إلى ما هو فيه من الغمرات • ونحن أقرب إليه • علماً وقدرة وتصرفاً • منكم • حيث لا تعرفون من حاله إلا ما تشاهدونه
من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفياتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شيء منها ونحن
المستولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت • ولكن لا تبصرون • لا تدركون ذلك لجهلكم
بشؤوننا وقوله تعالى • فلولا إن كنتم غير مدينين • أي مربوبين من دان السلطان رعيته إذا ساسهم
واستعبدهم ناظر إلى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فإن التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه
حتماً وقوله تعالى • ترجعونها • أي النفس إلى مقرها هو العامل في إذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية
مكررة للتأكيد وهي مع ما في حيزها دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا
إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم • إن كنتم صادقين • في اعتقادكم فإن عدم تصديقكم
بخالقيته تعالى موجب لذلك وقوله تعالى • فأما إن كان من المقربين • إلى آخره شروع في بيان حال المتوفى
بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أي فأما إن كان الذي بين حاله من السابقين من الأزواج الثلاثة
عبر عنهم بأجل أوصافهم • فروح • أي فله استراحة وقرئ فروح بضم الراء وفسر بالرحمة لأنها سبب لحياة
المرحوم وبالحياة الدائمة • وريحان • ورزق • وجنة نعيم • أي ذات تنعم • وأما إن كان من أصحاب اليمين
عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكرهم فيما سبق بوصف ينبئ عن شأنهم سواه كما ذكر المقربين

الآخرين

الآخرين وقوله تعالى • فسلام لك من أصحاب اليمين • إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام
لا حكاية إنشاء سلام بعضهم على بعض والأنسب عليك والالتفات إلى الخطاب لكل واحد منهم للتشريف • وأما إن كان
من المكذبين الضالين • وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم إنكم أيها
الضالون المكذبون ذماً لهم بذلك وإشعاراً بسبب ما ابتلوا به من العذاب • فنزل • أي فله نزل كائن • من حميم
يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل • وتصلية جحيم • أي إدخال في النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها
وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها • إن هذا • أي الذي ذكر في السورة الكريمة • لهو حق اليقين •
أي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى • فسبح باسم ربك العظيم • لترتيب التسبيح أو الأمر
به على ما قبلها فإن حقيته ما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور
التي من جملتها الإشراك والتكذيب بآياته الناطقة بالحق عن النبي صلعم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه
فاقة أبداً • سورة الحديد مكية • بسم الله الرحمن الرحيم • تسع وعشرون آية • سبح لله ما في السموات والأرض •
التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الأرض والماء إذا ذهب وأبعد
فيهما وما في السموات والأرض كان مستقراً فيهما أو جزءاً منهما كما مر في آية الكرسي أريد به معنى عام مجازي شامل لما نطق بلسان المقال
كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فإن كل فرد من أفراد الموجودات يدل بإمكانه وحدوثه
على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وإن
من شيء إلا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وتسبحوه واللام إما مزيدة للتأكيد كما في نصحت له وشكرت
له أو للتعليل أي فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضياً وفي البعض مضارعاً
للإيذان بتحققه في جميع الأوقات وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسبيح الاختياري أن يسبحه تعالى
في جميع أوقاته كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون • وهو العزيز • القادر الغالب
الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء • الحكيم • الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر
لمضمون ما قبله مشعر بعلية الحكم وكذا قوله تعالى • له ملك السموات والأرض • أي التصرف الكلي فيهما وفيما
فيهما من الموجودات من حيث الإيجاد والإعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت
استئناف مبين لبعض أحكام الملك وجعله حالاً من ضمير له ليس كما ينبغي • وهو على كل شيء • من الأشياء التي من
جملتها ما ذكر من الإحياء والإماتة • قدير • مبالغ في القدرة • هو الأول • السابق على سائر الموجودات لما أنه
مبدئها ومبدعها • والآخر • الباقي بعد فنائها حقيقة أو نظراً إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فإن جميع الموجودات
الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهي فانية • والظاهر • وجوده لكثرة دلائله الواضحة • والباطن • حقيقته فلا
تحوم حولها العقول والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين
فهو متصف باستمرار الوجود في جميع الأوقات والظهور والخفاء • وهو بكل شيء عليم • لا يعزب عن
علمه شيء من الظاهر والخفي • هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش • بيان لبعض
أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مراراً • يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها •

والأرض

تمر بانه في سورة سبأ • وهو معكم اينما كنتم • تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا
وقوله تعالى • والله بما تعملون بصير • عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخير العلم عن الخلق لما ان المراد به ما يدور
عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه • وقوله تعالى • له ملك السموات والارض
تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى • والى الله ترجع الامور • اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا • يولج الليل في
النهار ويولج النهار في الليل • مر تفسيره مرارا وقوله تعالى • وهو عليم • اي مبالغ في العلم • بذات الصدور • اي
بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي يظهرونها
• آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه • اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة
عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله
عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء
ممن قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من
بعدكم فلا تبخلوا به • فالذين آمنوا منكم وانفقوا • حسبما امروا به • لهم بسبب ذلك • اجر كبير • وفيه
من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد
وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبر • وقوله عز وجل • وما لكم لا تؤمنون بالله • استئناف مسوق
لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما في الجملة على ان لا تؤمنون حال
من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار
والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني
فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في أأضرب
ابي كذلك ما الاستفهامية قد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فقط كما في ما نحن فيه وفي قوله
تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء
امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب كما في قوله تعالى
وما لي لا اعبد الى اخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض
حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى بنفسه ايضا وقوله تعالى • والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما
يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى • وقد اخذ
ميثاقكم • حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان • من قبل • وذلك بنصب
الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم • ان كنتم مؤمنين • لموجب ما
فان هذا موجب لا موجب وراءه • هو الذي ينزل على عبده • حسبما يعن لكم من المصالح • آيات بينات
واضحات • ليخرجكم • اي الله تعالى او العبد بها • من الظلمات الى النور • من ظلمات الكفر الى نور الايمان

وان الله

وان الله بكم لرؤف رحيم • حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد
نصب الحجج العقلية وقوله تعالى • وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله • توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به
بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ايضا من الاعذار وحذف المفعول لظهوره
الذي يبين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو
قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه في صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى • ولله
ميراث السموات والارض • حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير
سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما
في السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى في ايجاب
الانفاق عليهم من بيان انها لله عز وجل في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك
انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى • لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل • بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم
اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد
الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف
لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة شرفها الله • اولئك • اشارة
الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء
اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجميلين • اعظم درجة • وارفع منزلة • من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا • لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله
عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين
قال فيهم النبي صلعم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا
بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال • وكلا • اي كل
واحد من الفريقين • وعد الله الحسنى • اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع
على الابتداء اي وكل وعده الله الى اخره • والله بما تعملون خبير • بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه
وقيل نزلت الآية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله وخاصم
الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى • من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا • ندب
بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي
ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل
الجهات • فيضاعفه له • بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له

أي فيعطيه أجره أضعافاً • وله أجر كريم • أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه حقيق بأن
يتنافس فيه المتنافسون وإن لم يضاعف فكيف وقد ضوعف أضعافاً كثيرة وقرئ بالرفع عطفاً على يقرض أو حملا
على تقدير مبتدأ أي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب • يوم ترى المؤمنين والمؤمنات • ظرف
لقوله وله أجر كريم أو لقوله فيضاعفه أو منصوب بإضمار اذكر تعظيماً لذلك اليوم • يسعى
نورهم • حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى • بين أيديهم وبأيمانهم • وقيل هو هداهم وبأيمانهم
كتبهم أي يسعى إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفي أيمانهم كتب أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى
كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على إبهام رجله ينطفئ تارة ويلمع أخرى قال الحسن رضي الله عنه يستضيئون
به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلاً إلى الجنة • بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها •
ذلك • أي ما ذكر من النور والبشرى بالجنان المخلدة • هو الفوز العظيم • الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم
• يوم يقول المنافقون والمنافقات • بدل من يوم ترى • للذين آمنوا • انظرونا • أي انتظرونا فإنهم يسرع بهم
إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب ترف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا إلينا فإنهم
إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين أيديهم وقرئ أنظرونا من النظرة وهي الإمهال
جعل اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم • نقتبس من نوركم • أي نستضيء منه وأصله اتخاذ القبس • قيل
طرداً لهم وتهكماً بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة • ارجعوا وراءكم • أي إلى الموقف • فالتمسوا نوراً
فإنه من ثمة يقتبس أو إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الإيمان والأعمال الصالحة أو ارجعوا
خائبين فالتمسوا نوراً آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما قالوه تخييباً لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من
الظلمة الكثيفة تهكماً بهم • فضرب بينهم • بين المؤمنين والمنافقين • بسور • أي حائط والباء زائدة • له باب • باطنه •
أي باطن السور أو الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة • فيه الرحمة وظاهره • وهو الطرف الذي يلي النار • من قبله
• أي من جهته • العذاب • وقرئ فضرب على البناء للفاعل • ينادونهم • استئناف مبني على السؤال كأنه قيل
فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم • ألم نكن معكم • في الدنيا يريدون به
موافقتهم في الظاهر • قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم • محنتموها بالنفاق
وأهلكتموها • وتربصتم • بالمؤمنين الدوائر • وارتبتم • في أمر الدين • وغرتكم الأماني • الفارغة التي من جملتها
الطمع في انتكاس أمر الإسلام • حتى جاء أمر الله • أي الموت • وغركم بالله الغرور • أي غركم
الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم • فاليوم لا يؤخذ منكم فدية • فداء وقرئ تؤخذ
بالتاء • ولا من الذين كفروا • أي ظاهراً وباطناً • مأواكم النار • لا تبرحونها أبداً • هي مولاكم • أي أولى بكم وحقيقته
مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم أي مكان لقول القائل إنه لكريم أو مكانكم عن قرب
من الولي وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع أو متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها
• وبئس المصير • أي النار • ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله • استئناف نعي عليهم تثاقلهم
في أمور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا إليه بالترغيب والترهيب وروي أن

المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن
مسعود رضي الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن الله استبطأ
قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن أي ألم يحن وقت أن تخشع قلوبهم لذكره وتطمئن به
ويسارعوا إلى طاعته بالامتثال لأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أنى الأمر إذا
أتاه أي وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرئ ألما يأن وفيه دلالة على أن المنفي متوقع • وما نزل من الحق • أي
القرآن وهو عطف على ذكر الله فإن كان هو المراد به فالعطف لتغاير العنوانين فإنه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل
من السماء وإلا فالعطف كما في قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم
آياته زادتهم إيماناً ومعنى الخشوع له الانقياد التام لأوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام
التي من جملتها ما سبق وما لحق من الإنفاق في سبيل الله وقرئ نزل من التنزيل مبنياً للمفعول وفي المعلوم
وأنزل • ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل • عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء
بالتحذير وقيل هو نهي عما نالته أهل الكتاب من قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بني إسرائيل كان الحق يحول
بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم • فطال عليهم الأمد • أي الأجل وقرئ
الأمد بتشديد الدال أي الوقت الأطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من
الكتابين • فقست قلوبهم • فهي كالحجارة أو أشد قسوة • وكثير منهم فاسقون • أي خارجون عن حدود دينهم
رافضون لما في كتابهم بالكلية • اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها • تمثيل لإحياء القلوب القاسية بالذكر
والتلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة • قد بينا لكم
الآيات • التي من جملتها هذه الآيات • لعلكم تعقلون • كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بالسعادة الدارين
• إن المصدقين والمصدقات • أي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق
أي الذين صدقوا الله ورسوله • وأقرضوا الله قرضاً حسناً • قيل هو عطف على ما في المتصدقين من معنى الفعل
فإنه في حكم الذين تصدقوا على الوجهين وعقب بأن فيه فصلاً بين أجزاء الصلة بأجنبي وهو المتصدقات وأجيب
بأن المعنى أن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل إن
المصدقين على العموم تغليباً وخص المصدقات من بينهم كما تقول إن الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا
الصالحات لهم كذا لكن لا على أن مدار التخصيص مزيد استحقاقهن المضاعفة الأجر كما في المثال المذكور بل
زيادة احتياجهن إلى التصدق الداعية إلى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي أنه عليه السلام قال يا معشر النساء
تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين
أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة
• يضاعف لهم • على البناء للمفعول مسنداً إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل إلى مصدر ما في حيز الصلة على حذف
مضاف أي ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل أي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين
وفتحها • ولهم أجر كريم • مر ما فيه من الكلام • والذين آمنوا بالله ورسله • كافة وقد مر بيان كيفية الإيمان

بهم في خاتمة سورة البقرة أولئك اشارة الى الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع
قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ ثالث خبره خبر للاول وهم
ضمير الفصل وما بعده خبر اولئك والجملة خبر للموصول اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين
بعلو الرتبة وعلو المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله او هم المبالغون
في الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان
او على الامم يوم القيمة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة
من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول او الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على
الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة
المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون
والشهداء وليست المماثلة بين تمام ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للاخيرين بل بين تمام ما للاول
من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف واما على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى
لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره
وقيل الخبر لهم اجرهم الخ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك الموصوفون بتلك الصفة القبيحة اصحاب
الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
بعدما بين حال الفريقين في الآخرة شرح حال الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني واشير الى انها من محقرات
الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وانها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال
حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي يجف بعد خضرته
ونضارته فتراه مصفرا بعدما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه
وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير
في لعب لانه في معنى الوصف وقيل الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحيوة الدنيا كمثل الخ
وبعدما بين حقارة امر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة شأن الآخرة وعظم ما
فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب
فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من احوال الحيوة الدنيا
ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
اي لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان ألهتك
عن طلب الآخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اي
سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اي الى موجباتها
من الاعمال الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض اي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك
فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية أعدت

للذين

ورسله

للذين آمنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل وان الايمان وحده كاف في استحقاقها
ذلك الذي وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه تفضلا واحسانا من
يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتي من يشاء مثل ذلك
الفضل الذي لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة في الزروع والثمار
ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب اي الا مكتوبة مثبتة في علم الله تعالى او في اللوح من قبل
ان نبرأها اي نخلق الانفس او المصائب او الارض ان ذلك اي اثباتها في كتاب على الله يسير
لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اي اخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعم الدنيا
ولا تفرحوا بما آتاكم اي اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتي ما قدر
اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما أتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى
اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها
ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر و
الاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح بالحظوظ الدنيوية و
عظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح المذكور ايذان
بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال
بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان
الله هو الغني الحميد فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود
في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر
بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا اي الملائكة الى
الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اي الحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب
اي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان فدفعه الى نوح عم وقال مر قومك يزنوا به وقيل اريد به العدل
ليقام به السياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل آدم عم من الجنة ومعه خمسة
اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروي ومعه المر والمسحاة
وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تعالى وقضاياه
واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان آلات الحروب انما تتخذ منه ومنافع
للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى و
ليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل
ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر
الاسلحة في مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اي وليعلم الله من ينصره ورسله انزله
وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله

عائبٍ منهم و عائبٍ منه و قوله تعالى • ان الله قوي عزيز • اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحق
وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجة في اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما
لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته وعزته عنهم في كل شيء يريده • ولقد
ارسلنا نوحا وابراهيم • نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد
الاعتناء بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما • وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب • بان استنبأناهم و
اوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم • فمنهم • اي من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر
الارسال والمرسلين • مهتد الى الحق • وكثير منهم فاسقون • خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن
المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم • ثم قفينا بعيسى ابن مريم • اي ارسلنا رسولا بعد رسول
حتى انتهى الى عيسى ابن مريم والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان
الرسل المقفى بهم من الذرية • وآتيناه الانجيل • وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه مراعاة ابنية العرب • و
جعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة • وقرئ رآفة على فعالة • ورحمة • اي وفقناهم للتراحم والتعاطف
بينهم ونحوه في شأن اصحاب النبي عم رحماء بينهم • ورهبانية • منصوبة اما بفعل مضمر يفسره الظاهر
اي وابتدعوا رهبانية • ابتدعوها • واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة
ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة
في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من
رهب كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كركبان وسبب ابتداعهم
اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عم فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل
فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى
ما كتبناها عليهم جملة مستأنفة وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله
تعالى • الا ابتغاء رضوان الله • استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى • فما رعوها حق رعايتها • من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به
رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اي ما كتبناها عليهم
بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة
ذلك ان يراعوها حق رعايتها ويحافظوا عليها فما رعاها كلهم بل بعضهم • فآتينا الذين آمنوا منهم • ايمانا صحيحا
وهو الايمان برسول الله بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها
استتباع الاجر • اجرهم • اي ما يخصهم من الاجر • وكثير منهم فاسقون • خارجون عن حد الاتباع وحمل
الفريق على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد
وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلعم وكفرهم به مما لا يساعده المقام • يا ايها الذين آمنوا
اي بالرسل المتقدمة • اتقوا الله • فيما نهاكم عنه • وآمنوا برسوله • اي محمد صلعم وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد

في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره • يؤتكم كفلين • نصيبين • من رحمته • لايمانكم بالرسول وبمن قبله من
الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها كانت حقة قبل النسخ • ويجعل
لكم نورا تمشون به يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم • ويغفر لكم ما اسلفتم
من الكفر والمعاصي • والله غفور رحيم • اي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى • لئلا يعلم • اهل الكتاب • متعلق
بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين
لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء وان
في قوله تعالى • ان لا يقدرون على شيء من فضل الله • مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في
حيز النصب على انه مفعول يعلم اي ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله
حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى • وان الفضل بيد الله • عطف على ان لا يقدرون وقوله
• يؤتيه من يشاء • خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى • والله ذو الفضل العظيم • اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على
ايمانكم برسول الله صلعم يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم
ما وعد من آمن من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم
لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين
بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا يعلم بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرئ
بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا وهذا وقيل لا غير مزيدة و
ضمير لا يقدرون للنبي صلعم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي عم والمؤمنون به على شيء من فضل الله
الذي هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم
عليه فيكون قوله تعالى وان الفضل بيد الله الى آخره عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلعم من قرأ سورة الحديد كتب
من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل ما عدا العشر الاول وقيل ما عدا قوله تعالى آيه ٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله • باظهار الدال وقرئ بادغامها في السين • قول التي تجادلك في
زوجها • اي تراجعك الكلام في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك اي تسائلك
• وتشتكي الى الله • عطف على تجادلك وهي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية
ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق
عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلعم فقال حرمت عليه وفي رواية ما اراك الا قد حرمت عليه في المرار
كلها فقالت اشكو الى الله تعالى فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلعم وكلما قال عم حرمت عليه هتفت
وشكت الى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان الرسول عم والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم
الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه عم قال لها عندما استفتت انها ما عندي في امرك شيء وانها كانت
ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكو اليك فانزل على لسان نبيك وفي معنى سمعه تعالى لقولها اجابته

دعائها لا محالة وعلمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى «والله يسمع تحاوركما» اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة
على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة استئناف
جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسألة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه السلام اياها بجواب منبئ عن التوقف
وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حالية وهو بعيد وقوله عز وجل «ان الله سميع بصير» تعليل لما قبله
بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته ان يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي
من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف
الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى «الذين يظاهرون منكم من نسائهم» شروع في بيان شأن الظهار
في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق
من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم
فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويتظهرون وقوله
تعالى «ما هن امهاتهم» خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة
تميم «وبامهاتهم» «ان امهاتهم» اي ما هن «الا اللائي ولدنهم» فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع
بهن من المرضعات وازواج النبي صلعم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة
«وانهم ليقولون» بقولهم ذلك «منكرا من القول» على ان مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه
منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما «و
زورا» اي محرفا عن الحق «وان الله لعفو غفور» اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او
بالمتاب عنه وقوله تعالى «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا» تفصيل لحكم الظهار بعد بيان
كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون القول المنكر ثم يعودون
لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فا
هدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح «فتحرير رقبة» اي فتداركه
او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي يشترط الايمان والفاء للسببية
ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار
تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى
ثم يريدون العود للاستمتاع «فتحرير رقبة» «من قبل ان يتماسا» اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها
بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود
حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند ابي حنيفة ره «ذلكم» اشارة الى الحكم
المذكور وهو مبتدا خبره «توعظون به» اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر
عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم
لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه «والله بما»

تعملون

«تعملون» من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار «خبير» اي عالم بظواهرها وبواطنها
ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها «فمن لم يجد» اي الرقبة «فصيام شهرين» فعليه
صيام شهرين «متتابعين من قبل ان يتماسا» ليلا او نهارا عمدا او خطأ «فمن لم يستطع» اي الصيام بسبب
من الاسباب «فاطعام ستين مسكينا» لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس
لكن لا يستأنف ان مس في خلال الاطعام «ذلك» اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها
وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع او فعلنا
ذلك «لتؤمنوا بالله ورسوله» وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم
«وتلك» اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة «حدود الله» التي لا يجوز تعديها
«وللكافرين» اي الذين لا يعملون بها «عذاب اليم» عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان
الله غني عن العالمين «ان الذين يحادون الله ورسوله» اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعادين
كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة في
اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه «كبتوا» اي اخزوا وقيل
خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون
على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب «كما كبت الذين من قبلهم» من كفار الامم الماضية المعادين للرسل
عم «وقد انزلنا آيات بينات» حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات واضحات فيمن
حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به «وللكافرين»
اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا اوليا «عذاب مهين» يذهب
بعزهم وكبرهم «يوم يبعثهم الله» منصوب بما تعلق به اللام من معنى الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم
وتهويلا له «جميعا» اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة «فينبئهم بما عملوا» من
القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد
تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى «احصاه الله» استئناف وقع جوابا عما نشأ مما
قبله من السؤال عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض متقضية متلاشية
فقيل احصاه الله عددا لم يفته منه شيء وقوله تعالى «ونسوه» حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد
او بدونه على الخلاف المشهور او قيل لم ينبئهم بذلك فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه
من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير «والله على كل شيء شهيد»
لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى «الم تر ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض» استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله الم تر الى الذين حاج ابراهيم في ربه وقوله تعالى
الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان
ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى «ما يكون من نجوى ثلاثة» الى آخره استئناف مقرر لما قبله

من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وإن كان
غير حقيقي أي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر أي من مسارتهم على أن نجوى مصدر مضاف إلى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها
إما بتقدير مضاف أي من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم في أنفسهم نجوى مبالغة إلا هو أي الله عز وجل رابعهم
أي جاعلهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال ولا خمسة
ولا نجوى خمسة إلا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر إما لخصوص الواقعة فإن الآية نزلت في تناجي
المنافقين وإما لبناء الكلام على أغلبية عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا أدنى من ذلك
أي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا أكثر كالستة وما فوقها إلا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا أكثر بالرفع
عطفا على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن جعل لا لنفي الجنس أينما كانوا من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض
فإن علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم بالتخفيف
بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم وإظهارا لما يوجب عذابهم إن الله بكل شيء عليم لأن نسبة ذاته
المقتضية للعلم إلى الكل سواء ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في
اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلعم
ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول صلعم والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على
تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية
الرسول عطف عليه داخل في حكمه أي بما هو إثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول
صلعم لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ ينتجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول
وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك أو أنعم صباحا والله سبحانه يقول
وسلام على المرسلين ويقولون في أنفسهم أي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول أي هلا يعذبنا الله
بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير أي جهنم يا أيها الذين
آمنوا إذا تناجيتم في أنديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله
المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف إحدى التاءين وتناجوا بالبر والتقوى أي بما يتضمن خير المؤمنين
والاتقاء عن معصية الرسول صلعم واتقوا الله الذي إليه تحشرون وحده لا إلى غيره استقلالا أو اشتراكا
فيجازيكم بكل ما تأتون وما تذرون إنما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالإثم والعدوان من الشيطان
لا من غيره فإنه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر أي إنما هي ليحزن المؤمنين
بتوهمهم أنها في نكبة أصابتهم وليس بضارهم أي الشيطان أو التناجي بضار المؤمنين شيئا
من الأشياء أو شيئا من الضرر إلا بإذن الله أي بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم
فإنه تعالى يعصمهم من شره وضرره يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا أي توسعوا وليفسح بعضكم عن
بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني أي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل و
قرئ في المجلس على أن المراد به الجنس أو مجلس الرسول صلعم وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه وحرصا

على استماع

على استماع كلامه وقيل هو المجالس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح
الله لكم أي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها وإذا قيل انشزوا أي
انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو غيرهما من أعمال الخير فانشزوا فانهضوا ولا
تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والإيواء إلى غرف
الجنان في الآخرة والذين أوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من أثر العلم والعمل فإن العلم
مع علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وإن كان في غاية الصلاح
ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالأمر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول
في بعض شؤونكم المهمة الداعية إلى مناجاته عم فقدموا بين يدي نجواكم صدقة أي فتصدقوا قبلها مستعار ممن
له يدان وفي هذا الأمر تعظيم الرسول صلعم وانتفاع الفقراء والزجر عن الإفراط في السؤال والتمييز بين المخلص
والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وإن كان
متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه أن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار
فصرفته فكنت إذا ناجيته عم تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للأغنياء مناجاة
في مدة بقائه إذ روي أنه لم يبق إلا عشرا وقيل إلا ساعة ذلك أي التصدق خير لكم وأطهر
أي لأنفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم
منبئ عن الوجوب لأنه ترخيص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
أي أخفتم الفقر من تقديم الصدقات أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات
لجمع المخاطبين فإذ لم تفعلوا ما أمرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه
إشعار بأن إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم وإذ على بابها من المضي
وقيل بمعنى إذا كما في قوله تعالى إذ الأغلال في أعناقهم وقيل بمعنى إن فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أي فإذا
فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأطيعوا
الله ورسوله في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع في ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون
ظاهرا وباطنا ألم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون إليهم
أسرار المؤمنين أي ألم تنظر إلى الذين تولوا أي والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود الذين حكى عنهم قوله
تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة أو حال
من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب أي يقولون والله إنا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب
وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل
يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فإن الحلف على ما يعلم أنه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم
المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روي أنه عم كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار

وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله صلعم علام تشتمني انت
واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب
ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا فيما مضى من الزمان المتطاول
على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اي التي اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية دون دمائهم
واموالهم فان الاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاخرى فهي عبارة عن اعدادهم
لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك
متاخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها
ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال امنهم بتثبيط من لقوا
عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف اخر لعذابهم وقيل
الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى شيئا
من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واموالنا واولادنا اولئك الموصوفون
بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون لا يخرجون منها ابدا
يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اي لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون
كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الاخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شيء من جلب منفعة او دفع
مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم
هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب
وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى
عليهم من حذت الابل اذا استولت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اي
ملكهم فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه لا بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح
حزب الشيطان اي جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون بالخسران الذي
لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه و
التحقيق واظهار الشيطان في موقع الاضمار وتاكيد النسبة وتوسيط ضمير الفصل من فنون التاكيد ما لا
يخفى ان الذين يحادون الله ورسوله استيناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان
عبر عنهم بالموصول ليتبين ما في حيز الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلية الحكم
اولئك بما فعلوا من التولي والموادة في الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والاخرين
لان ذلة احد المتحادين على مقدار عزة الاخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من حاده
كذلك كتب الله استيناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى
ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي اي بالحجة والسيف وما يجري مجراهما او باحدهما
ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرى

ورسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر الخطاب للنبي صلعم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون من حاد
الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اي قوما جامعين
بين الايمان بالله واليوم الاخر وبين موادة اعداء الله تعالى ورسوله والمراد بنفي الوجدان نفي الموادة
على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه كل احد ولو كانوا اي من حاد
الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم آباء الموادين او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام في تقريره قد مر على التفصيل مرارا
اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة
درجتهم في الفضل وهو مبتدا خبره كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم
الايمان فان جزء الثابت في القلب ثابت فيه قطعا ولا شيء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اي قواهم
بروح منه اي من عند الله تعالى وهو نور القلب او القران او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب
به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الخ بيان لاثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه
الدنيوية اي ويدخلهم في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابد الابدين وقوله تعالى رضي
الله عنهم استيناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من اثار رحمته العاجلة والاجلة وقوله تعالى
ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا واجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم
ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة
النشاتين والكلام في تحلية الجملة بفنون التاكيد كما مر في مثلها عن النبي صلعم من قرا سورة المجادلة
كتب من حزب الله يوم القيمة

سورة الحشر مدنية وهي اربع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام في صدر سورة الحديد
وتكرير الموصول هنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي انه صلعم لما
قدم المدينة صالح بني النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بني
اسرائيل انتظارا لبعثة النبي صلعم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر
قالوا هو النبي المنعوت في التورية لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف
في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة فامر عليه السلام محمد بن مسلمة
الانصاري فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة
فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا عليه السلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من
الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي صلعم
احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على
ان يحمل كل ثلثة ابيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم ال

أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات إلى قوله تعالى
والله على كل شيء قدير وقوله تعالى • هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم • بيان لبعض
آثار عزته تعالى وأحكام حكمته إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الإطلاق والضمير راجع إليه
تعالى بذلك العنوان إما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع ما فيه من مزيد مناسبة للمقام أو على جعله مستعارا لاسم
الإشارة كما في قوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك وعليه
قول رؤبة بن العجاج كأنه في الجلد توليع البهق كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي
أخرج إلى آخره وفيه إشعار بأن في الإخراج حكمة باهرة وقوله تعالى • لأول الحشر • أي في أول حشرهم إلى الشام أو
هذا أول حشرهم ويوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام • ما ظننتم • أيها المسلمون • أن يخرجوا • من ديارهم بهذا الذل
والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم • وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله • أي ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم
من بأس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم
في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالي معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع في معازهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبرا
لأن وحصونهم مرتفعا على الفاعلية • فأتاهم الله • أي أمر الله تعالى وقدره المقدور لهم • من حيث لم يحتسبوا •
ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فإنه مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب
قلوبهم الأمن والطمأنينة وقيل الضمير في أتاهم • ولم يحتسبوا • للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله وقرئ
فآتاهم أي فآتاهم الله العذاب أو النصر • وقذف في قلوبهم الرعب • أي أثبت فيها الخوف الذي
يرعبها أي يملؤها • يخربون بيوتهم بأيديهم • ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الأزقة
ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل • وأيدي
المؤمنين • حيث كانوا يخربونها إزالة لمتحصنهم وتمكنا من قتالهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم وإسناد
هذا إليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم إياه وأمروهم به والجملة حال أو تفسير للرعب وقرئ يخربون
بالتشديد للتكثير وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم • فاعتبروا
يا أولي الأبصار • فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي إليه الأفكار
واتقوا مباشرة ما أداهم إليه من الكفر والمعاصي وانتقلوا من حال الفريقين إلى حال أنفسكم فلا
تعولوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موقعه
• ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء • أي الخروج عن أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع • لعذبهم في الدنيا • بالقتل
والسبي كما فعل ببني قريظة • ولهم في الآخرة عذاب النار • استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان أنهم
إن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة • ذلك • أي ما حاق بهم وما سيحيق
• بأنهم شاقوا الله ورسوله • وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح • ومن يشاق الله • وقرئ
يشاقق الله كما في الأنفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها مشاقته عليه السلام وليوافق قوله تعالى
• فإن الله شديد العقاب • وهو إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد أي من يشاقه أي شديد العقاب له

أو تعليل

أو تعليل للجزاء المحذوف أي يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأيا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير
لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل
بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد
فإذن لهم عقاب شديد • ما قطعتم من لينة • أي أي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها
مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على ألوان من اللين وتجمع على ليان وهي النخلة الكريمة • أو تركتموها •
الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها • قائمة على
أصولها • كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشيء ما وقرئ على أصلها اكتفاء بها عن الواو وبالضم
على أنه جمع كرهن وقرئ قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما • فبإذن الله • فذاك أي قطعها وتركها
بأمر الله تعالى • وليخزي الفاسقين • أي وليذل اليهود ويغيظهم أذن في قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين
يتحكمون في أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤوا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون
حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص
اللينة بالقطع إن كانت من الألوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وإن كانت هي
الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى • وما أفاء الله على رسوله • شروع في بيان حال ما أخذ من أموالهم
بعد بيان ما حل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أي ما أعاده
إليه من مالهم وفيه إشعار بأنه كان حقيقا بأن يكون له عليه السلام وإنما وقع في أيديهم بغير حق فرجعه الله
تعالى إلى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون
للمطيعين • منهم • أي من بني النضير • فما أوجفتم عليه • أي فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف
وهو سرعة السير • من خيل ولا ركاب • هي ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها لا غير وأما
راكب الفرس فإنما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحدة منها راحلة والمعنى فما قطعتم لها
شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة
فمشوا إليها مشيا وما كان فيهم راكب إلا النبي صلعم فافتتحها صلحا من غير أن تجري بينهم مسايفة كأنه قيل
وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين • ولكن الله يسلط رسله على من يشاء •
أي سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي صلعم
على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم
في أموالهم • والله على كل شيء قدير • فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها
وقوله تعالى • ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى • بيان لمصارف الفيء بعد بيان إفاءته عليه السلام من غير أن
يكون للمقاتلة فيه حق وإعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للإشعار
بشمول ما لعقاراتهم أيضا • فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل • اختلف في
قسمة الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله إلى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لأن ذكر الله للتعظيم

ويصرف الآن سهم الرسول عم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين
على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فانه صلى الله عليه وسلم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة
كما يشاء والآن على الخلاف المذكور • كيلا يكون • اى الفئ الذى حقه ان يكون للفقراء يعيشون به
دولة • بضم الدال وقرئ بفتحها وهى ما يدول للانسان اى يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة
بالضم من الملك بالضم وما يغنم من الملك بكسرها او بالضم فى المال وبالفتح فى النصرة اى كيلا يكون جدا • بين
الاغنياء منكم • يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون
بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة ما يتداول كما تتداوله الاسهم ما يتعرف فالمعنى كيلا يكون الفئ
شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون
ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة
اى كيلا يقع دولة على ما فصل من التعاقب • وما آتاكم الرسول • اى ما اعطاكم من الفئ او من الامر
فخذوه • فانه حلال لكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم • وما نهاكم عنه • عن اخذه او عن تعاطيه • فانتهوا
عنه • واتقوا الله • فى مخالفته • ان الله شديد العقاب • فيعاقب من يخالف امره ونهيه •
للفقراء المهاجرين • بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى
القربى خص الابدال بما بعدها واما تخصيص اعتبار الفقر بفئ بنى النضير فتكلف ظاهر • الذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم • حيث اضطرهم كفار مكة شرفها الله واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا
منها • يبتغون فضلا من الله ورضوانا • اى طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة
وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفئ من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم
شأنهم ويؤيده • وينصرون الله ورسوله • عطف على يبتغون فهى حال مقدرة اى ناوين لنصرة الله
تعالى ورسوله عم او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة واى نصرة
• اولئك • الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة • هم الصادقون • الراسخون فى الصدق حيث
ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا • والذين تبوؤا الدار والايمان • كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال
حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفئ بهم احسن رضا واكمله ومعنى تبوئهم الدار
انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن
التبوء معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا وقيل
المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام و
قيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه • من قبلهم • اى من قبل هجرة المهاجرين على المعنى
الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الآخرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه
على المعنى الاول ومن قبل تبوء المهاجرين عبارة عن اقامته كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره
واحكامه ولا ريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه

قلبا

قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك • يحبون من هاجر اليهم • خبر للموصول اى يحبونهم من حيث
مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان • ولا يجدون فى صدورهم • اى فى نفوسهم • حاجة • اى شيئا محتاجا اليه
يقال خذ منه حاجتك اى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ • مما اوتوا • اى
مما اوتى المهاجرون من الفئ وغيره • ويؤثرون • اى يقدمون المهاجرين • على انفسهم • فى كل شئ من اسباب
المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احديهما ويزوجها واحدا منهم • ولو كان بهم خصاصة
• اى حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة فى حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان
النبى صلعم قسم اموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن
خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم
وشاركتموهم فى هذه الغنيمة والا تشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح فى ان قوله تعالى والذين تبوؤا الى آخره
مستأنف غير معطوف على الفقراء او المهاجرين نعم يجوز عطفه على ذلك فان ذلك مما يستدعى شركة
الانصار للمهاجرين فى الصدقات دون الفئ فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا
لصدقهم او حالا من ضمير تبوؤا • ومن يوق شح نفسه • الشح بالضم والكسر وقد قرئ به ايضا اللؤم
واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل اى ومن يوق بتوفيق الله
تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق • فاولئك • اشارة الى من باعتبار معناها
العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا • هم المفلحون • الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه
والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد • والذين جاؤا من بعدهم •
هم الذين هاجروا • بعد ما قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك
قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين والموصول مبتدأ خبره • يقولون • الى آخره والجملة مسوقة
لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطف عليه من الجملة
السابقة لمدح الانصار اى يدعون لهم • ربنا اغفر لنا ولاخواننا • اى فى الدين الذى هو اعز واشرف عندهم
من النسب • الذين سبقونا بالايمان • وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم • ولا تجعل فى قلوبنا غلا • وقرئ غمرا
وهما الحقد • للذين آمنوا • على الاطلاق • ربنا انك رؤف رحيم • اى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بان
تجيب دعاءنا • الم تر الى الذين نافقوا • حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة
وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلعم او لكل
احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى • يقولون • الى آخره استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة
على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام فى قوله تعالى • لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب • للتبليغ و
المراد باخوتهم اما توافقهم فى الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام فى قوله • لئن اخرجتم • اى من دياركم قسرا
موطئة للقسم وقوله تعالى • لنخرجن معكم • جواب القسم اى والله لئن اخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن
فى صحبتكم اينما ذهبتم • ولا نطيع فيكم • اى فى شأنكم • احدا • يمنعنا من الخروج معكم • ابدا • وان طال الزمان وقيل

وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذاك لان تقرير القتال سرق بعده ولان وعدهم لهم ذلك المعتد بسبب مجرد
عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى • وان قوتلتم لننصرنكم • اى لنعاوننكم
على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلعم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم
فيها ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرهم واظهار كفرهم ولا ريب في انه بعقله عم عند ذلك قتلهم
لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم
لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة في الدين • والله يشهد انهم لكاذبون • في مواعيدهم المؤكدة بالايمان
الفاجرة وقوله تعالى • لئن اخرجوا لا يخرجون معهم • الى اخره تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل
بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى
بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القران • ولئن نصروهم • على الفرض
والتقدير • ليولن الادبار فرارا • ثم لا ينصرون • اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم
لظهور كفرهم ولينصرن من اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين • لانتم اشد رهبة • مرهوبية على انه مصدر
من المبني للمفعول • في صدورهم من الله • اى رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون
عندهم رهبة عظيمة من الله • ذلك • اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله • بانهم • بسبب انهم • قوم
لا يفقهون • اى شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته • لا يقاتلونكم • اى اليهود والمنافقون
يعني لا يقدرون على قتالكم • جميعا • اى مجتمعين متفقين في موطن من المواطن • الا في قرى محصنة • بالدروب والخنادق
او من وراء جدر • دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدار وبامالة فتحة الدال وجدر وجدر
وهما الجدار • باسهم بينهم شديد • استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم
فان باسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى في قلوبهم من الرعب
• تحسبهم جميعا • مجتمعين متفقين • وقلوبهم شتى • متفرقة لا الفة بينها • ذلك بانهم • اى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب
انهم • قوم لا يعقلون • اى لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا
عن قوس واحدة فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه • واما ما قيل
من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعجزهم عن السداد • فقوله تعالى • كمثل الذين من
قبلهم خبر مبتدا محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر او بني قينقاع
على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير • قريبا • في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الى اخره
• ذاقوا وبال امرهم • اى سوء عاقبة امرهم كفرهم في الدنيا • ولهم في الاخرة عذاب اليم • لا يقادر قدره والمعنى
ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا والاخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود
كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى • كمثل الشيطان • فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين
لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم اخرا وقد اجمل في النظم الكريم
حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان

السامع

بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في حلول العذاب بهم كمثل
الذين من قبلهم الى اخره ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان
• اذ قال للانسان اكفر • اى اغراه على الكفر اغراء الامر على المامور به • فلما كفر قال اني بريء
منك وقرئ انا بريء منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرء من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ
عنه قوله تعالى • اني اخاف الله رب العالمين • وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن
قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني
ارى ما لا ترون اني اخاف الله الاية • فكان عاقبتهما • بالنصب على انه خبر كان وقد اسمها • انهما في النار
وقرئ بالعكس وقد قرئ انه اوضح • خالدين فيها • وقرئ خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو • و
ذلك جزاء الظالمين • اى الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة •
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله • اى في كل ما تاتون وما تذرون • ولتنظر نفس ما قدمت لغد
اى اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة
غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس
النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك • واتقوا الله • تكرير للتاكيد
او الاول في اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد
بقوله تعالى • ان الله خبير بما تعملون • اى من المعاصي • ولا تكونوا كالذين نسوا الله • اى نسوا
حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها • فانساهم • بسبب
ذلك • انفسهم • اى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم
يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم • اولئك هم الفاسقون • الكاملون في الفسوق • لا يستوي
اصحاب النار • الذين • اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان
من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم
الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن
المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات
والنور الى غير ذلك من المواضع واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه
لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها والادلة في الاية الكريمة على ان المسلم لا
يقتص بالكافر وان الكافر لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية
كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى • اصحاب الجنة هم
الفائزون • استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اى هم الفائزون بكل مطلوب
الناجون عن كل مكروه • لو انزلنا هذا القران • العظيم الشان المنطوي على فنون القوارع
على جبل • من الجبال • لرايته • مع كونه علما في القسوة وعدم التاثر مما يصادمه • خاشعا متصدعا

من خشية الله اي متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القرآن وقوة
تاثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به
توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو
وحده عالم الغيب والشهادة اي ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر
له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به
او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز
الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهي لغة
فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب
الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من
الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اي
اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما
يشركون تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى او عن اشراكهم به عقب اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه
تعالى في شيء منها شيء ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد
لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها
كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعاني الحسنة يسبح له ما في السموات والارض ينطق بتنزهه
عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال
في القدرة والعلم عن النبي صلعم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة بسم الله الرحمن الرحيم وآيها ثلث عشر

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء
نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله صلعم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول
الله صلعم يريدكم فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبريل فاخبره فبعث رسول الله صلعم
عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت
فسل علي سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلعم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال
يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش ليس
فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله
وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم بالمودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي صلعم بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة حال من
فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم
دون الفعل او استئناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا

وقرئ

وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول
واياكم اي من مكة وهو حال من فاعل كفروا او استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على
الغائب والتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان
كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي
وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اي تسرون اليهم المودة او الا
الاخبار بسبب المودة وانا اعلم اي والحال اني اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون
فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء
على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد
ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اي ان يظفروا بكم
يكونوا لكم اعداء اي يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم
ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوؤكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم
وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا
اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيمة بجلب نفع او
دفع ضر يفصل بينكم استئناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي يفرق الله بينكم
بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من
اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله تعالى مراعاة لحق من هذا شانه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا
للمفعول ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير
فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها في قوله تعالى
في ابراهيم والذين معه اي من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان
او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا
ظرف لخبر كان لقومهم انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء
على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اي بدينكم او
بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي يبدو
دائما منكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ
ولاية والبغضاء محبة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله
تعالى اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين
انه من اصحاب الجحيم لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به
حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه

عن الاسوة اى بعيد عدم وجوب الاستدفاع الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما
لا يرتاب فيه عاقل واما جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا واما تعليل عدم كون استغفاره
عليه السلام لابيه الكافر مما ينبغى ان يتأسى به بانه كان قبل النهى او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد
بالكلية لابتنائه على تناول النهى لاستغفاره عليه السلام له وانبائه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه
وكلاهما بين البطلان اما انه مورد النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره
عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وان يؤتسى به ما لا استثناء به لا يجوز فعله فى الجملة ويجوز ان يكون
استغفاره عليه السلام له بعد النهى كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه فمما لا مساغ له
وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابى الاية لانها كانت
هى الحاملة له على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك
ربى لورودها على طريق التوكيد القسمى واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد
مر تحقيقه فى سورة التوبة وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير الى اخره من تمام ما نقل
عن ابراهيم عم ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على
الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله تعالى عز وجل فى جميع امورهم لا سيما فى مدافعة الكفرة
وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب
لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت العزيز الغالب الذى لا يذل من التجأ اليه
ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة فى
التضرع والجؤار هذا وان جعل الايتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وامرا لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه
ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين
الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اى فى ابراهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة
فى الحث على الايتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الاخر
بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الاخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من
مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد فانه مما يوعد
بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اى من اقاربكم المشركين مودة بان يوفقهم
فى الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما راى منهم من التصلب فى الدين والتشدد فى معاداة ابائهم وابنائهم
وسائر اقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اتاح لهم الفتح
فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ما تم والله قدير اى مبالغ فى القدرة فيقدر على
تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم
من المشركين ويرحم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم لا
ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء

فان قو

فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اى تفضوا اليهم بالقسط اى العدل ان الله
يحب المقسطين اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى
بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلعم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن
اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلعم على ان لا يقاتلوه ولم يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن
الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها
ان تولوهم بدل اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم
الولاية فى موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين امنوا بيان لحكم من يظهر
الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن
بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن فى الايمان يروى ان رسول الله صلعم كان يقول للتى يمتحنها بالله الذى
لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت عن رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا
لله ولرسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما فى قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما
يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد الجد والتى من الاستدلال بالعلامات والدلائل والاستشهاد بالامارات والمخايل
وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه تعالى جار مجرى العلم فى وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اى
الى ازواجهن الكفرة لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتاكيد الحرمة او
لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد واتوهم ما انفقوا اى واعطوا ازواجهن
مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت
الحارث الاسلمية مسلمة والنبى صلعم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال
يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان فى الرجال
دون النساء فاستحلفها رسول الله صلعم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضى الله عنه ولا جناح عليكم
ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا
بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهى ما يعتصم به من عقد وسبب اى لا يكن
بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها
من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم
بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا
واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم
الذى ذكر حكم الله وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله او جعل الحكم حاكما
على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روى انه لما نزلت الاية ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات
الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اى سبقكم وانفلت منكم شئ من ازواجكم الى الكفار اى احد من
ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شئ موقعه للتحقير والاشباع للتعميم او شئ من مهور ازواجكم فعاقبتم اى فجاءت عقبتكم

اي يوتبكم من اداء المهر شيء ما حكم على المسلمين والكافرين من اداء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء
اخرى بالرتبة فتنوب فيه كالتعاقب في الركوب وغيره ● فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ● من مهر المهاجرة التي تزوجوها
ولا تؤتوه زوجها الكافرة وقيل معناه فان فاتكم ما اصبتم من الكفار فعقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ
فاعقبتم وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرات ست نسوة
ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت
جرول ● واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون ● فان الايمان به تعالى يقتضي التقوى منه تعالى ● يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات
يبايعنك ● اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عم لما فرغ من بيعة الرجال شرع في بيعة
النساء ● على ان لا يشركن بالله شيئا ● اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ● ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ●
اريد به واد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد ● ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ● كانت المرأة تلتقط
المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها
ومخرجه بين رجليها ● ولا يعصينك في معروف ● اي فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع
ان الرسول عم لا يأمر الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن
لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن ● فبايعهن ● اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور صالحه
في المتابعة من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن على المسارعة
اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها ● واستغفر لهن الله ● زيادة على ما في ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان
الثواب من قبله عم بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ● ان الله غفور رحيم ● اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن
ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية مبايعته عم لهن يومئذ فروي انه عم لما فرغ من بيعة الرجال
جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل عم يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن روي انه كلف امرأة وقفت
على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن ايديهن وروي انه عم بايعهن وبين يده وايديهن
ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها وما مست كف رسول الله صلعم كف امرأة قط وكان
يقول اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلعم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات الى اخر الاية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن ● يا ايها
الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ● هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء
المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ● قد يئسوا من الاخرة ● لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم
فيها لعنادهم الرسول عم المنعوت في التورية المؤيد بالايات ● كما يئس الكفار من اصحاب القبور ● اي كما
يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بنقيضها
الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء
والاظهار في موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم عن النبي صلعم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات
شفعاء يوم القيمة

سورة الصف بسم الله الرحمن الرحيم هي اربع عشر آية

سبح لله ما في السموات وما في

الارض

وما في الارض وهو العزيز الحكيم ● السلام فيه كالذي مر في نظيره ● يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون ●
روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت
وما قيل من ان نزل قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بين الاختلال وروي انهم قالوا يا رسول
الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم
وانفسكم فولوا يوم احد وفيه انه لزم ان ترتيب الايات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب
شهداء بدر قالت الصحابة رضي الله عنهم لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها
نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل
قد اذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم
بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وتبكيت بذلك المستوفي ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت
الفها تخفيفا لكثرة استعمالها معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناه لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير
والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجه الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان
ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لا
لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود ● كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون ● بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته
وكبر من باب نعم وبئس وفيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند
الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر
دونه كل عظيم وقوله تعالى ● ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ● بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو
ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح او انتحله المنتحل او ادعاه المنافق
وان مناط التعيير والتوبيخ هو خلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر
وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى ● كانهم
بنيان مرصوص ● حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض
ورصف حتى صار شيئا واحدا ● واذ قال موسى لقومه ● كلام مستانف مقرر لما قبله من شناعة ترك
القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب النبي صلعم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال
وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب
الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى
ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك واذوه عم كل الاذية ● يا قوم لم تؤذونني ● اي بالمخالفة والعصيان
فيما امرتكم به ● وقد تعلمون اني رسول الله اليكم ● جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفي سببه وقد
لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي
من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا و

والآخرة فمن قضيته علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا اي اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاءبه
موسى عم واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي
والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته
اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل
اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية
او جنس الفاسقين وقوله تعالى فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق
السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عم بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه
وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له
بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها
يا بني اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه في قوله اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
فان تصديقه عم اياها من اقوى الدواعي الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي
معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عم من حيث ان البشارة به واقعة في التوراة والعامل فيهما ما في الرسول من
معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اي ارسلت اليكم
حال كوني مصدقا لما تقدمني من التوراة ومبشرا بمن يأتي من بعدي من رسول اسمه احمد اي محمد صلعم يريد ان ديني
التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اي المعجزات
الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او اليه عم وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا
ساحر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي اي الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام
الذي يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بتسميته لكلامه الذي هو دعاء
عباده الى الحق هذا سحر اي هو اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفي المساوي وقد مر بيانه غير مرة
وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشدهم الى ما فيه
فلاحهم لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله اي يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة
لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا ابا لك او يريدون الافتراء
ليطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه والله متم نوره اي مبلغه
الى غايته بنشره في الآفاق واعلائه وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره الكافرون اي ارغاما
لهم والجملة في حيز الحال على ما بين مرارا هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او بالمعجزة ودين الحق والملة
الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله تعالى وعده حيث جعله بحيث لم
يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذي ارسل
نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل

او ماذا نصنع

او ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر في معنى الامر جيء به للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبر
بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم
اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا خير لكم على الاطلاق او من اموالكم
وانفسكم ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا
لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون
يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا
وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك اي ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر
من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه واخرى ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة
تحبونها وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون
او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب
اي عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص او على المصدر اي تنصرون نصرا
ويفتح لكم فتحا او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اي يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا وبشر المؤمنين عطف على محذوف
مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم
يا ايها الرسول بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة
لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من
جندي متوجها الى نصرة الله كي يطابق قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة
احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اي كونوا
انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين
والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل اي
بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة اخرى به فايدنا الذين آمنوا
على عدوهم اي قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عم فاصبحوا ظاهرين عن النبي صلعم من قرأ
سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة

مدنية بسم الله الرحمن الرحيم اربع عشر آية يسبح لله ما في السموات وما في الارض تسبيحا مستمرا
الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب
لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون وقد حدثت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار
رسولا منهم اي كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم
ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلو اي يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي عبارة عن

تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة
للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى
الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب
والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث النبوية من
الاحكام والشرائع ● وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ● من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم
الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه صلعم من الغير وان هي المخففة واللام هي الفارقة ● وآخرين منهم ●
عطف على الاميين او على المنصوب في يعلمهم ويعلم آخرين منهم اي من الاميين وهم الذين جاءوا بعد الصحابة الى يوم الدين
فان دعوته عم وتعليمه يعم الجميع ● لما يلحقوا بهم ● صفة آخرين اي لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون ● وهو العزيز الحكيم ●
المبالغ في العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر
● ذلك ● الذي امتاز به من بين سائر الافراد ● فضل الله ● واحسانه ● يؤتيه من يشاء ● تفضلا وعطية ● والله
ذو الفضل العظيم ● الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة ● مثل الذين حملوا التورية ● اي علموها وكلفوا العمل بها
● ثم لم يحملوها ● اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلعم
● كمثل الحمار يحمل اسفارا ● اي كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة
للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني ● بئس مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله ● اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر مستتر ومثل
القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الى آخره على ان مثل القوم فاعل
بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم على ان الموصول صفة القوم والمخصوص
بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التورية من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلعم ● والله لا يهدي القوم الظالمين ●
الواضعين للتكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ● يا ايها الذين هادوا ● اي تهودوا
● ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس ● كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله
خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلعم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم ان زعمتم ذلك
● فتمنوا الموت ● اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ● ان كنتم صادقين ● جوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة
احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي دار الاكدار ● ولا يتمنونه ابدا ● اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى
● بما قدمت ايديهم ● متعلقة بما يدل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت
اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة ● والله عليم
بالظالمين ● اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الامور
التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم
والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم

احد كما يعرب عنه قوله تعالى ● قل ان الموت الذي تفرون منه ● فان ذلك مما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال
عليه السلام لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه
مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم ● فانه ملاقيكم ● البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم
معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ● ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة ●
الذي لا يخفى عليه خافية ● فينبئكم بما كنتم تعملون ● من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها ● يا ايها الذين آمنوا اذا نودي
للصلوة ● اي فعل النداء لها اي اذن لها ● من يوم الجمعة ● بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى اروني
ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوي
وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة ايام وللنصارى مثل
ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم
العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله آية الجمعة فهي اول
جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلعم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بني عمرو بن
عوف واقام بها يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة
فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة ● فاسعوا الى ذكر الله ● اي امشوا
واقصدوا الى الخطبة والصلوة ● وذروا البيع ● واتركوا المعاملة ● ذلكم ● اي السعي الى ذكر الله وترك البيع ● خير لكم
من مباشرته فان نفع الآخرة اجل وابقى ● ان كنتم تعلمون ● اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم اهل العلم ● فاذا
قضيت الصلوة ● اي اديت وفرغ منها ● فانتشروا في الارض ● لاقامة مصالحكم ● وابتغوا من فضل الله ●
اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى
وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع ● واذكروا الله
كثيرا ● ذكرا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة ● لعلكم تفلحون ● كي تفوزوا بخير الدارين ● واذا رأوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها ● روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام
والنبي صلعم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه صلعم الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر
وقيل اربعون فقال صلعم والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير
استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير اليها لانها المقصودة او لان الانفضاض
للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل
تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما ● وتركوك قائما ● اي على
المنبر ● قل ما عند الله ● من الثواب ● خير من اللهو ومن التجارة ● فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع
المتوهم ● والله خير الرازقين ● فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلعم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقون وهي احدى عشرة آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

● اذا جاءك المنافقون ● اي حضروا مجلسك ● قالوا نشهد انك لرسول الله ● مؤكدين كلامهم

بانّ الاسلام للابدان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم
وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم ونشط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين
لكاذبون تحقيقا وتمهيدا لما سبط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه وازاحة من اول الامر لما عسى يتوهم
من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد
وطمانينة قلب وفي الاظهار في موقع الاضمار ذم لهم واشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي
عنهم جنة اى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم
وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة
المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى
فصدوا عن سبيل الله اى فصدوا من ارادوا الدخول في الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق
في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اى
اى ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى
فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون
من النفاق وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول الناعي
عليهم انهم اسوأ الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم من النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الشر بانهم اى بسبب انهم
آمنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اى ظهر كفرهم بما تبين منهم من شواهد
الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا
على الكفر واطمأنوا به وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيته اصلا واذا رايتهم تعجبك
اجسامهم لضخامتها وبروق منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم و
حلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلعم في نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان
عليه السلام ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيد
قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب مسندة في حيز الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او كلام مستأنف
لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلعم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم
اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهي الخشبة
التي دعر جوفها اى فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون كل
صيحة عليهم اى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان
ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اى هم الكاملون في العداوة والراسخون
فيها فان اعدى الاعادي العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستأنفة و
جعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر

على كونهم

على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين
ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اى كيف يصرفون من الحق الى ما هم عليه من
الكفر والضلال واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة
رؤوسهم اى عطفوها استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف
الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل
الفا ام لم تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم
ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق
الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق اما هم باعيانهم والاظهار في موقع الاضمار لبيان
غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون اى للانصار
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم
او لعدم مغفرته تعالى وقرئ حتى ينفضوا مرادهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد
وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله ببيان ان خزائن
الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم
بالله تعالى وشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفرة ما يقولون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل روي ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضي الله عنه نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ
جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى
الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الى آخره والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز
نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله
تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اى ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين
لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله ابن ابي لما اراد
ان يدخل المدينة اعترض ابنه عبد الله بن ابي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لاضربن عنقك فلما رأى
منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلعم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين
خيرا يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها و
الاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود
والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية
ومن يفعل ذلك اى اللهو بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اى الكاملون في الخسران حيث
باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اى بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله
من جهتكم ادخارا للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت بان تشاهد دلائله وتعاين اماراته ومخايله

وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند
تيقنه الحلول رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على
جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق
واكن وقرئ واكون بالنصب عطفا على اللفظ وقرئ واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح ولن يؤخر
الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي اخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى
اخره والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو
آت وقرئ يعملون بالياء عن النبي صلعم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن

مختلف فيها بسم الله الرحمن الرحيم ثمان عشرة آية يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما
من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء و
هو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد
بان نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي
خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض
منكم مختار للكفر كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين
لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا و
تفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه
اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام والله بما تعملون بصير
فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان
خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن
صوركم حيث براكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات
البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج
جميع مخلوقاته في هذه النشاة واليه المصير في النشاة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا
سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية
والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه
من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما
وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اي هو
محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه و
اظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة وقيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات
على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفرة
فذوقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك

للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اي الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذوقوا من غير مهلة ما
يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب
الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الاخرة بانه بسبب انه كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اي قال كل قوم من
المذكورين في حق رسولهم الذي اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك
ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام
واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا فكفروا اي بالرسل وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم
واستغنى الله اي اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا
غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل
مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا
الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما في حيزها والمراد بالموصول كفار مكة
اي زعم اهل مكة ان الشان لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه
بلى اي تبعثون وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اي لتحاسبن وتجزون باعمالكم
جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتاكيد ما افادته كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق امر اخر متفرع
عليه منوط به ففيه تاكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اي ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة
التامة وقبول المادة والفاء في قوله تعالى فآمنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اي
اذا كان الامر كذلك فآمنوا بالله ورسوله محمد صلعم والنور الذي انزلنا وهو القران فانه باعجازه بين
بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال والله
بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه خبير فمجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب
للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم
ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعد كانه قيل والله مجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ
نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والاخرون اي لاجل ما فيه من الحساب والجزاء
ذلك يوم التغابن اي يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء
وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار
الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن في الحقيقة
هو الذي يقع فيه لا ما يقع في امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اي عملا صالحا يكفر اي الله
عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وقرئ ندخله بالنون ذلك اي ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه لا

لانطوائه على النجاة من عظيم الهلكات والظفر باجل الطلبات ● والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ● اى النار كان ما بين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية
التغابن ● ما اصاب من مصيبة ● من المصائب الدنيوية ● الا باذن الله ● اى بتقديره وارادته
كانها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ● ومن يؤمن بالله يهد قلبه ● عند اصابتها
للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه
وقيل يهد قلبه اى يلطف به ويشرح صدره لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع
قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ بالهمزة اى يسكن ● والله بكل شىء ● من الاشياء التى
من جملتها القلوب واحوالها ● عليم ● فيعلم ايمان المؤمن ويهدى قلبه الى ما ذكر ● واطيعوا الله واطيعوا
الرسول كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله تعالى
● فان توليتم ● اى عن طاعة الرسول وقوله تعالى ● فانما على رسولنا البلاغ المبين ● تعليل للجواب المحذوف
اى فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا
الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه السلام محض
البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه ● الله لا اله الا هو ● جملة من مبتدا وخبر اى هو المستحق للمعبودية
لا غيره وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف ● وعلى الله ● اى عليه تعالى
خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا ● فليتوكل المؤمنون ● واظهار الجلالة فى موقع
الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق
عما سواه بالمرة ● يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ● يشغلكم عن طاعة الله
او يخاصمونكم فى امور الدين والدنيا ● فاحذروهم ● الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم
عدو لى او للازواج والاولاد جميعا على الاول فالحذر عن الكل وعلى الثانى اما الحذر عن البعض لان منهم من
ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتماله على العدو ● وان تعفوا ● عن ذنوبهم القابلة للعفو
بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة ● وتصفحوا ● بترك التثريب والتعيير ● وتغفروا
باخفائها وتمهيد عذرها ● فان الله غفور رحيم ● يعاملكم بمثل عملكم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المسلمين
ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما
هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا فى الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم
فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا
لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا ومنعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر و
الصلة ● انما اموالكم واولادكم فتنة ● بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم من حيث لا تحتسبون ●
والله عنده اجر عظيم ● لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى فى تدبير مصالحهم ● فاتقوا
الله ما استطعتم ● اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم ● واسمعوا ● مواعظه ● واطيعوا ● اوامره ● وانفقوا ● مما رزقكم

فى الوجوه التى امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه ● خيرا لانفسكم ● اى ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها
وانفع وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة
لمصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للامر اى يكن خيرا لانفسكم ● ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون ● اى الفائزون بكل مرام ● ان تقرضوا الله ● بصرف اموالكم الى المصارف
التى عينها ● قرضا حسنا ● مقرونا بالاخلاص وطيب النفس ● يضاعفه لكم ● بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر
وقرئ يضعفه لكم ● ويغفر لكم ● ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب ● والله شكور ● يعطى الجزيل بمقابلة
النزر القليل ● حليم ● لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم ● عالم الغيب والشهادة ● لا يخفى عليه خافية ● العزيز
الحكيم ● المبالغ فى القدرة والحكمة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق بسم الله الرحمن الرحيم وهى احدى عشرة او اثنتا عشرة

● يا ايها النبى اذا طلقتم النساء ● تخصيص النداء به
صلى الله عليه وسلم مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه عليه السلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة وهو
النبى وهم والامة بطريق استتباعه اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم فان ذلك لا يعتبر لو كان
فى حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق بشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه
كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ● فطلقوهن ● اى مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر
كذا فان المراة اذا طلقت فى طهر يعقبه القرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن
فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن ● وهذا احسن الطلاق وادخله فى السنة ● واحصوا العدة
واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء كوامل ● واتقوا الله ربكم ● فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفى وصفه
بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء ● لا تخرجوهن من بيوتهن ● من مساكنهن عند الفراق
الى ان تنقضى عدتهن واضافتها اليهن مع انها لازواجهن لتاكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها
كانها املاكهن ● ولا يخرجن ● ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبداد
منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما ● الا ان يأتين بفاحشة مبينة ● استثناء
من الاول قيل هى الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن
ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثانى للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة
● وتلك ● اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فى اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها ● حدود الله ● التى عينها لعباده ● ومن يتعد حدود الله ● اى حدوده
المذكورة بان اخل بشىء منها على ان الاظهار فى حيز الاضمار لتهويل امر التعدى والاشعار بعلة الحكم فى قوله
تعالى ● فقد ظلم نفسه ● اى اضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى ● لا تدرى لعل الله يحدث
بعد ذلك امرا ● فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذى يحدثه الله تعالى
ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه
ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى ويخص التعليل بالدنيوى لكون احتراز الناس

منه أشد وأبلغ مهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر
عن التعدي للمنهي عنه كأنهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فإنك لا تدري أيها المتعدي عاقبة
الأمر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي أمرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالإعراض
عنها إقبالا ولا يتسنى تلافيه برجعة أو استئناف نكاح فإذا بلغن أجلهن شارفن آخر عدتهن فأمسكوهن
فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وإنفاق لائق أو فارقوهن بمعروف بإيفاء الحق واتقاء الضرار
بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة وأشهدوا ذوي عدل منكم عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا
أمر ندب كما في قوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم وروي عن الشافعي رحمه أنه للوجوب في الرجعة وأقيموا الشهادة
لله أيها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم إشارة إلى الحث على الإشهاد والإقامة أو على جميع ما في
الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر إذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله إلى
آخره جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى فقد ظلم نفسه مؤكدة لما وعد على تعديها فالمعنى
ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الإشهاد وغيره من الأمور يجعل له
مخرجا مما عسى يقع في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه
من حيث لا يحتسب أي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله
تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله إلى آخره فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي ويذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم
الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا أوليا وعن النبي صلعم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن
غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عم إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال
يقرؤها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنه سالما فأتى رسول الله صلعم فقال أسر ابني وشكى
إليه الفاقة فقال عم اتق الله وأكثر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته إذ قرع ابنه الباب
ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه أي كافيه في جميع أموره
إن الله بالغ أمره بالإضافة أي منفذ أمره وقرئ بتنوين بالغ ونصب أمره أي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا
يعجزه مطلوب وقرئ برفع أمره على أنه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر إن أو بالغ خبر إن وأمره مرتفع به على أنه فاعله
أي نافذ أمره وقرئ بالغا أمره على أنه حال وخبر إن قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا أي تقديرا أو توقيتا أو
مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون إلا بتقديره
تعالى وتوقيته لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن
وقدروه بستين سنة وبخمس وخمسين إن ارتبتم أي شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة أشهر
واللائي لم يحضن بعد كذلك أي فعدتهن أيضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه وأولات الأحمال أجلهن
أي منتهى عدتهن أن يضعن حملهن سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين
يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما اشتهر من
قول ابن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح أن

سبيعة

سبيعة بنت الحارث الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت لرسول الله صلعم فقال
لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شأن أحكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من أمره يسرا
أي يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ذلك إشارة إلى ما ذكر من الأحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد
بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته في الفضل وإفراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى
أمر الله أنزله إليكم لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى
ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على أحكامه يكفر عنه سيئاته
فإن الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له أجرا بالمضاعفة وقوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل
أسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم أي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم أي وسعكم أي مما تطيقونه
عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن أي في السكنى لتضيقوا عليهن وتلجئوهن إلى
الخروج وإن كن أي المطلقات أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة أما
المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لها فإن أرضعن لكم بعد ذلك فآتوهن أجورهن على الإرضاع وأتمروا
بينكم بمعروف أي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الإرضاع والأجر ولا يكن من الأب مماكسة ومن الأم
معاسرة وإن تعاسرتم أي تضايقتم فسترضع له أخرى أي فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى وفيه معاتبة للأم
على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وإن قل أي لينفق كل
واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها جل أو قل فإنه تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها
وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا أي
عاجلا أو آجلا وكأين من قرية أي كثير من أهل قرية عتت أي أعرضت عن أمر ربها ورسله بالعتو
والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها
عذابا نكرا أي منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما
كما في قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا لا خسر وراءه أعد الله
لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا أولي
الألباب ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصابهم عاجلا
وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كأين الذين آمنوا منصوب
بإضمار أعني بيانا للمنادى أو عطف بيان له أو نعت وفي إبداله منه ضعف لتعذر حلوله محله قد أنزل الله إليكم
ذكرا هو جبريل عم سمي به لكثرة ذكره أو لنزوله بالذكر الذي هو القرآن كما ينبئ عنه إبدال قوله تعالى رسولا منه
أو لأنه مذكور في السموات وفي الأمم أو أريد بالذكر الشرف كما في قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك كأنه في نفسه شرف
إما لأنه شرف للمنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش مكين أو هو النبي صلعم وعليه
الأكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن إرساله بالإنزال بطريق الترشيح

الاكثر عبّر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه او التذكير به وعبّر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح
او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه او ابدل منه رسولا للبيان كأنه هو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او
بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى • يتلو عليكم آيات الله مبينات • نعت
لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات
اي بيّنها الله تعالى لقوله تعالى قد بيّنا لكم الآيات واللام في قوله تعالى • ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات • متعلقة بيتلو
او بانزل وفاعل ليخرج على الاول ضمير الرسول عم او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله اي ليحصل لهم
الرسول او الله عز وجل ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدّر انه سيؤمن من الظلمات
الى النور • من الضلالة الى الهدى • ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا • حسبما بيّن في تضاعيف ما انزل من الآيات
المبينات • يدخله جنات تجري من تحتها الانهار • وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى • خالدين فيها ابدا •
حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاث باعتبار لفظها وقوله تعالى • قد احسن الله
له رزقا • حال اخرى منه او من الضمير في خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مرّ وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم
لما رزقه الله المؤمنين من الثواب • الله الذي خلق سبع سموات • مبتدا وخبر • ومن الارض مثلهن • اي وخلق
من الارض مثلهن في العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدا ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض
قالوا الجمهور على انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض و
في كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي
والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبي عم
لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن
ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها
وشر ما فيها ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او
جن قال الماوردي وعلى هذا دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن
من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون
السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى
خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضه انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء
• يتنزل الامر بينهن • اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه
وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر • لتعلموا ان الله على كل شيء
قدير • متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمر يعمهما اي فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء • وان الله
قد احاط بكل شيء علما • لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما
ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوضح لكم ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من
الوحي من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء ما اصلا وقرئ ليعلموا عن النبي صلعم من قرأ سورة

الطلاق

الطلاق مات على سنة رسول الله صلعم

سورة التحريم وهي اثنتا عشرة آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

• يا ايها النبي لم تحرم ما احل لك • روي ان النبي صلعم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت
بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدي امر امتي فاخبرت
به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه
فنزل جبريل عم فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي انه عم شرب عسلا في بيت
زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلعم يكره التفل فحرم
العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل • تبتغي مرضات ازواجك • اما تفسير لتحرم
او حال من فاعله او استيناف لبيان ما دعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك • والله غفور • مبالغ في الغفران
قد غفر لك هذه الزلة • رحيم • قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك • قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
اي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول هو المراد هنا • والله مولاكم
سيدكم ومتولي اموركم • وهو العليم • بما يصلحكم فيشرعه لكم • الحكيم • المتقن في افعاله واحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم الا
حسبما تقتضيه الحكمة • واذ اسر النبي الى بعض ازواجه • وهي حفصة • حديثا • اي تحريم مارية او العسل او امر الخلافة
فلما نبأت به • اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ انبأت به • واظهره الله عليه • اي اطلع
الله تعالى النبي صلعم على افشائها حفصة • عرف • اي النبي عم حفصة • بعضه • بعض الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة
روي انه عم قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى
بها اباها • واعرض عن بعض • تكرما قيل هو حديث مارية • فلما نبأها به • اي اخبر النبي عم حفصة بما عرفه من الحديث • قالت
من انبأك هذا • اي افشاءها الحديث • قال نبأني العليم الخبير • الذي لا يخفى عليه خافية • ان تتوبا الى الله • خطاب
لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في العتاب • فقد صغت قلوبكما • اشعارا بالتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة
حق اي فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلعم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه
وقرئ فقد زاغت • وان تظاهرا عليه • باسقاط احدى التاءين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اي وان تتعاونا
عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره • فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين • اي فلن يعدم من
يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رضه
اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر وقد روي ذلك مرفوعا الى النبي عم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه
بين جبريل والملائكة عليهم السلام يؤيده بالتاييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة
وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عم اشد تأثيرا في قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما
فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور • والملائكة • مع تكاثر عددهم
وامتلاء السموات من جموعهم • بعد ذلك • قيل اي بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين • ظهير •
اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله
تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على سائر وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح

المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكري من افضلية المقدم فكأنه
قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له ثم ابتدأنا بعلوية مظاهرتهم وبعد منزلتها و
جبر العصيانها عن مظاهرة جبريل عم عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اي يعطيه عم بدلكن ازواجا خيرا
منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عم لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق
طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات
مقرات مخلصات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من
الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول صلعم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه
يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطفة و اهليكم
بان تأخذوهم بما تأخذون انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على تغليب
المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر
المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير عنها عليها ملائكة اي
تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد
الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اي امره على انه بدل اشتمال من الله او
فيما امرهم به على نزع الخافض اي لا يمتنعون من قبول الامر والتزامه ويفعلون ما يؤمرون اي ويؤدون ما يؤمرون
به من غير تثاقل ولا توان وهو سعيه يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول القول عد حذف نعته بدلالة
الحال عليه اي يقال لهم ذلك عند دخول الملائكة بهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون
في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنها اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا
يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازي
وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا عن القبائح
موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا وعن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة
اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم و
ان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة
الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار
وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفوا خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم
عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في
صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا وقرئ نصوحا وهو مصدر نصح
فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ورد بصيغة الاطماع جريا على
سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء

وان بالغ

وان بالغ في اقامة وظائف العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه
عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه
عصمهم من مثل حالهم وقيل مبتدأ خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط وهو
على الاول استئناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون الى آخره وعلى الثاني خبر آخر للموصول اي يقولون
اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل يدعون تقربا الى الله مع
تمام نورهم وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون
مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين
فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة ومأواهم جهنم يرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اي جهنم
او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة
ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومثالا على ان مثلا مفعول
ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأت نوح وامرأت لوط اي حالهما مفعوله الاول اخره ليتصل
به ما هو شرح وتفصيل وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمين ان متمكنتين من تحصيل خير
الدنيا والاخرة وحيازة سعادتهما وقوله فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما
ينفيها من صحبة النبي صلعم اي خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة
في خيانتهم لرسول الله صلعم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا
الى آخره بيان لما ادى اليه خيانتهما اي فلم يغن النبيان عنهما بحق الازواج من الله اي من عذابه
تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين
اي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين آمنوا
امرأت فرعون اي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا
تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه
اي ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك
او في اعلى درجات المقربين روي انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع
روحها ونجني من فرعون وعمله اي من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين
من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأت فرعون تسلية للارامل
اي وضرب مثلا للذين آمنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء
العالمين مع كون قومها كفارا التي احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اي في مريم من روحنا
من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه

وكتبه الكتب المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل • وكانت
من القانتين • اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب وللاشعار بان طاعتها لم تقصر
من طاعة الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون اخي موسى عليهما السلام وعن النبي
صلعم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد
وفاطمة بنت محمد صلعم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي صلعم من قرأ سورة
التحريم آتاه الله تعالى توبة نصوحا

سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقي وتنجي وهي ثلثون آية قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك • البركة والنماء والزيادة حسية كانت او عقلية
وكثر الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما
سواه في ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصنع
كالتكبر ونحوه وانما ينسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون
الخيرات والصيغة حينئذ ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها
او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وانبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها
في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما
في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم بالذات
عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور • وهو على كل شيء من
الاشياء • قدير • مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة
معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها و
قوله تعالى الذي خلق الموت والحيوة • شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها
على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه
في حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحيوة واما ما روي عن ابن عباس رضي
من انه تعالى خلق الموت في صورة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته الا مات وخلق الحيوة في
صورة فرس بلقاء لا تمر ولا تجد رائحتها شيء الا حيي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل
هو عدم الحيوة فمعنى خلقه حينئذ تقديره او ازالة الحيوة وايا ما كان فالاقرب ان المراد به الموت
الطارئ وبالحيوة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى • ليبلوكم ايكم احسن عملا •
فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحيوة الدنيوية
وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اي خلق موتكم وحيوتكم على ان الالف
واللام عوض من المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب
متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم واعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلعم
بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب
عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تعالى الواجبة

على العباد

على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها النظر التفكري في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة
في الانفس والآفاق وقد روي عنه صلعم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع
له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب
ضرورة ان احدا لا يقدر على ان يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل
البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول
اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك
اجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل
مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط
للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق اصل
الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل
من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر
عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم و
مدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضهما ما لا يخفى • وهو العزيز • الغالب الذي لا يفوته من
اساء العمل • الغفور • لمن تاب منهم • الذي خلق سبع سموات • قيل هو نعت للعزيز الغفور
او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا
عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة
بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى • طباقا • صفة لسبع سموات
اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها به الطباق او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها
اي طوبقت طباقا وقوله تعالى • ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت • صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها
خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا
وبان في ابداعها نعما جليلة او استيناف والخطاب للرسول صلعم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن
لتأكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من
المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى • فارجع البصر
هل ترى من فطور • متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقهن
ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق
والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر • ثم ارجع البصر كرتين • اي رجعتين
اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك اي رجعة
بعد رجعة وان كثرت • ينقلب اليك البصر خاسئا • اي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب

والخلل كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقماءة وهو حسير أي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء إثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد زينا أقرب السموات إلى الأرض بمصابيح أي بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كأنها كلها مركوزة فيها مع أن بعضها في سائر السموات وما ذاك إلا لأن كلاً منها مخلوقة على نمط رائق تحار في فهمه الأفكار وطراز فائق تهيم في دركه الأنظار وجعلناها رجوماً للشياطين وجعلنا لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنوناً ورجوماً بالغيب لشياطين الإنس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به وأعتدنا لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الإحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على أنه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس المصير أي جهنم إذا ألقوا فيها سمعوا لها أي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً من قوله تعالى شهيقاً لأنه في الأصل صفة فلما قدمت صارت حالاً أي سمعوا كائناً لها شهيقاً أي صوتاً كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا والشهيق في الصدر والزفير في الحلوق وهي تفور أي والحال أنها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لأهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى تكاد تميز أي تتميز وتتفرق من الغيظ أي من شدة الغضب عليهم فإنه صريح في أنه من نار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها تغيظاً وزفيراً بين هو من شهيقهم أن الشيء من شدة ما يلقى سوته من العذاب الأليم والجملة إما حال من فاعل تفور أو خبر آخر وقوله تعالى كلما ألقي فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها أي كلما ألقي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذاباً فوق عذاب وحسرة على حسرة ألم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعضده جوابهم أيضاً قالوا اعترافاً بأنه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير وتحسراً على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيداً لبيان ما وقع منهم من التفريط تندماً واغتماماً على ذلك أي قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أي واحد حقيقة أو حكماً كأنبياء بني إسرائيل فإنهم في حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيراً من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات إفراطاً في التكذيب وتمادياً في النكير ما نزل الله على أحد من شيء من الأشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليكم إن أنتم أي ما أنتم في ادعاء أنه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها إلا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن

مخاطب

مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة في التكذيب وتمادياً في التضليل كما ينبئ عنه تعميمهم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فإنه ملوح بعمومه حتماً وإقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فأمر يقتضيه صعاب الباب للتهويل أي تكذيبهم من الجناية إذ لا مساغ لاعتبار من جهتهم ولا لإدراجه تحت عبارتهم كيف وهو منوط بملاحظة اجتماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والأحكام باختلاف العصور والأعوام وأين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا إذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الأفواج وأما إذا جعل حكاية عن الكل فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف عام أي أهل نذير أو منعوت به فيتفق كلاهما في الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه الثلاثة على التقدير الأول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الأخير فقد اشتبه عليه الشئون واختلطت عليه الظنون وقد جوز أن يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على إرادة القول على أن مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا أو هلاكهم أو عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين وقالوا أيضاً معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يتفكر لو كنا نسمع كلاماً أو نعقل شيئاً ما كنا في أصحاب السعير أي في عدادهم ومن أتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير كأن الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آياتكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم أي الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقاً بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد بالفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قوله تعالى أي فأسحقهم الله أي أبعدهم من رحمته سحقاً أي إسحاقاً أو لفعل مترتب على ذلك الفعل أي فأسحقهم الله فسحقوا أي بعدوا سحقاً أي بعداً كما في قول من قال وعضة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف أي لم يدع فلم يبق إلا مسحت إلى آخره وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وأنبتها نباتاً حسناً واللام في قوله تعالى لأصحاب السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب إن الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخافون عذابه غائباً عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وأجر كبير لا يقادر قدره وأسروا قولكم أو اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى إليه عليه السلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فإن الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للإيذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدم على مرتبة الجهر إذ ما من شيء يجهر به إلا وهو أو

مباديه مضمرة في القلب يتعلق به الإسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته
الثانية وقوله تعالى • إنه عليم بذات الصدور • تعليل للاستواء وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور
بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كأنه قيل إنه مبالغ في الإحاطة
بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فكيف
يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى أنه
عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى • ألا يعلم من خلق • إنكار ونفي لعدم
إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أي ألا يعلم السر والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الأشياء التي هما من
جملتها وقوله تعالى • وهو اللطيف الخبير • حال من فاعل يعلم مؤكدة للإنكار والنفي أي ألا يعلم ذلك والحال
أنه المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا والمعنى ألا يعلم الله من خلقه
والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لإخلاء العلم عن المفعول بإجرائه مجرى يعطي ويمنع على
معنى ألا يكون عالما من خلق لأن الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الكلام حينئذ عن الإفادة لأن نظم الكلام
حينئذ ألا يكون عالما وهو متوغل في العلم • هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا • لينة يسهل عليكم السلوك
فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن ما
حقه التقديم إذا أخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة
لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى • فامشوا في مناكبها • لترتيب الأمر
على الجعل المذكور أي فاسلكوا في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير أرق
أعضائه وأنباها عن أن يطأها الراكب بقدمه فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها
لم يبق منها شيء لم يتذلل • وكلوا من رزقه • والتمسوا من نعم الله تعالى • وإليه النشور • أي
المرجع بعد البعث لا إلى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه • أأمنتم من في السماء • أي الملائكة الموكلين بتدبير
هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب حيث كانوا
يزعمون أنه تعالى في السماء أي أأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان • أن يخسف
بكم الأرض • بعدما جعلها لكم ذلولا تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أي
يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار أي
من أن يخسف • فإذا هي تمور • أي تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان • أم
أمنتم من في السماء • إضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال إلى التهديد بوجه آخر أي بل أأمنتم من في
السماء • أن يرسل عليكم حاصبا • أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل
وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها قيل هي سحاب فيها حجارة •
فستعلمون • عن قريب البتة • كيف نذير • أي إنذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم
العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء • ولقد كذب الذين من قبلهم • من قبل كفار مكة من كفار الأمم السالفة

كقوم

كقوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات إلى الغيبة لإبراز كمال الإعراض • فكيف كان نكير •
أي إنكاري عليهم بإنزال العذاب أي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمي لا
تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله ﷺ وتشديد التهديد ما لا يخفى • أولم يروا • أغفلوا ولم
ينظروا • إلى الطير فوقهم صافات • باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها
صفا • ويقبضن • ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر
في إيثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات • ما يمسكهن • في الجو عند الصف و
القبض على خلاف مقتضى الطبع • إلا الرحمن • الواسع رحمته كل شيء بأن برأهن على أشكال وخصائص
وهيأهن للجري في الهواء والجملة مستأنفة أو حال من الضمير في يقبضن • إنه بكل شيء بصير • يعلم كيفية
إبداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى • أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن •
تبكيت لهم بنفي أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض بعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن
إلا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الأنسب بما سيأتي من قوله تعالى إن أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم
آلهة تمنعهم من دوننا والمعنيين معا خلا أن الاستفهام هناك متوجه إلى نفس المانع وتحققه وههنا إلى
تعيين الناصر لتبكيتهم بإظهار عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك
التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل إلى التبكيت بما ذكر والالتفات
للتشديد في ذلك ولا سبيل إلى تقدير الهمزة معها لأن ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول
مع صلته صفته كما في قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده وإيثار هذا للتحقير إليه وينصركم صفة لجند باعتبار
لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الأول إما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم
كما في قوله تعالى من ينصرني من الله والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن
أو ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم أن أم معادلة
لقوله تعالى أولم يروا أخرها مع القول بأن من استفهامية مما لا يعرف له أصلا وقوله تعالى • إن
الكافرون إلا في غرور • اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال أي ما هم في زعمهم أنهم
محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله إلا في غرور عظيم
وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء
حالهم للإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام
في قوله تعالى • أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك • أي الله عز وجل • رزقه • بإمساك المطر وسائر مباديه كالكلام
في تفصيله خلا أن قوله تعالى • بل لجوا في عتو ونفور • مبني على مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل إثر تمام
التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو أي عناد واستكبار وطغيان و
ونفور أي شراد عن الحق وقوله تعالى • أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى • إلى آخره مثل ضرب للمشرك والموحد
توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم في مهاوي الغرور و

وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسلك المحاجة الى جهة ينوءهم فيها رشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكبا الى آخره والمكب الساقط على وجهه يقال اكبّ خرّ على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كاقشع الغمام اي صار ذا قشع والمعنى افمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه ● ام من يمشي سويا ● اي قائما سالما من الخبط والعثار ● على صراط مستقيم ● مستوي الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة ● قل هو الذي انشأكم ● انشاء بديعا ● وجعل لكم السمع ● لتسمعوا آيات الله وتعقلوا ما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها ● والابصار ● لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة ● قليلا ما تشكرون ● اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا اما نعت مصدر محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة اي تشكرون شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم ● قل هو الذي ذرأكم في الارض ● اي خلقكم وكثركم فيها لا غيره ● واليه تحشرون ● للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا اموركم على ذلك ● ويقولون ● من فرط عتوهم وعنادهم ● متى هذا الوعد ● اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ● ان كنتم صادقين ● يخاطبون به النبي صلعم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عم في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته ● قل انما العلم ● اي العلم بوقته ● عند الله ● عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي ● وانما انا نذير مبين ● انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء في قوله تعالى ● فلما رأوه ● فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الى آخره كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده الآية المعنى فقد اتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه واقعا ما قبله بالفاء وهي امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى ● زلفة ● حال من مفعول رأوا اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اي رأوه في مكان ذي زلفة ● سيئت وجوه الذين كفروا ● بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل تعريضا لهم وتشديدا العذابهم ● هذا الذي كنتم به تدعون ● اي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اي الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد ● قل أرأيتم ● اي اخبروني ● ان اهلكني الله ● اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك كما كانوا يدعون عليه عليه السلام وعلى المؤمنين بالهلاك ● ومن معي ● من المؤمنين ● او رحمنا ● بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين ● فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ● اي لا ينجيكم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به ● قل هو الرحمن ● اي الذي ادعوكم الى عبادته مولى

النعم كلها ● آمنا به ● وحده لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه ● وعليه توكلنا ● لا على غيره اصلا لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر ● فستعلمون ● عن قريب البتة ● من هو في ضلال مبين ● منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية ● قل أرأيتم ● اي اخبروني ● ان اصبح ماؤكم غورا ● اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو مصدر وصف به ● فمن يأتيكم بماء معين ● جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلعم من قرأ سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر

سورة ن والقلم مكية اثنتان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

● ن ● بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن وبالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي باحدى الطريقتين المذكورتين في موقعه او اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى ● والقلم ● للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه واياما كان فان اريد قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاقه لما في ايدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون في الواو ● وما يسطرون ● الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كانه قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم بالاسناد المجازي الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ● ما انت بنعمة ربك بمجنون ● جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه عم والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلعم عما كانوا ينسبونه عم اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عم في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الرأي ● وان لك ● بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة ● لاجرا ● لثوابا عظيما لا يقادر قدره ● غير ممنون ● مع عظمه كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط ● وانك لعلى خلق عظيم ● لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم ● فستبصر ويبصرون ● قال ابن عباس رضي فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر ● بأيكم المفتون ● اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق

المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام و
الوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله
تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد أي هو أعلم بمن ضل عن
سبيله تعالى المؤدي إلى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبدية وهذا
هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو أعلم بالمهتدين إلى سبيله
الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب
والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من
اهتدائه عم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم أي دم على ما أنت
عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهي عن مداهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره عم استجلابا
لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فإنه تعليل للنهي أو للانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة
للمبالغة في الزجر والتنفير أي أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور فيدهنون أي فهم يدهنون حينئذ أو فهم
الآن يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك و
يأباه ما سيأتي من بدئهم بالادهان على أن ادهانهم أمر محقق لا يناسب إدخاله تحت التمني وأيا ما كان فالمعتبر في جانبهم
حقيقة الادهان الذي هو إظهار الملاينة فقط وأما إضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وإنما
اعتباره بالنسبة إليه عليه السلام وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني المفهوم من ودوا وأن ما بعده حكاية لودادتهم
وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر
يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا
أي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم
هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر مهين حقير الرأي والتدبير
هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن
النميم والنميمة السعاية مناع للخير أي بخيل أو مناع للناس من الخير الذي هو الإيمان والطاعة والإنفاق
معتد متجاوز في الظلم أثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما
عد من مثالبه زنيم دعي مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية في حلقها وفي قوله
تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فإنه كان دعيا في قريش وليس
من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة
أن كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع من هذه مثالبه لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين
وقوله تعالى إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين استئناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه
الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا
بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه يدل على أن مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل

فى ذلك

في ذلك وقرئ أأن كان على معنى ألأن كان ذا مال كذب بها أو أتطيعه لأن كان ذا مال وقرئ إن كان بالكسر والشرط
للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأن إطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم
بالكي على أكرم مواضعه لغاية إهانته وإذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه
سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة إنا بلوناهم أي أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله عم
كما بلونا أصحاب الجنة وهم قوم من أهل الصلوة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها
قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس
وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما
مات أبوهم قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين
ليقطعنها داخلين في الصباح ولا يستثنون أي لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من
حيث إن مؤداه مؤدى الاستثناء فإن قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله بمعنى واحد أو لا يستثنون
حصة المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها أي على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف
من ربك مبتدأ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فأصبحت كالصريم كالبستان الذي
صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل أي احترقت فاسودت كالنهار أي يبست و
ابيضت سميا بذلك لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا أي نادى بعضهم بعضا مصبحين
داخلين في الصباح أن اغدوا أي اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أي اخرجوا غدوة
على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الإقبال أو الاستيلاء إن كنتم صارمين قاصدين
للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون أي يتشاورون فيما بينهم طريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم
ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها أي الجنة اليوم عليكم مسكين أن مفسرة لما في التخافت من معنى القول
وقرئ بطرحها على إضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك
ههنا وغدوا على حرد قادرين أي على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الإبل إذا منعت
درها والمعنى أنهم أرادوا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلا
على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاورة جنتهم وذهاب
خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم
قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ بذلك أي لم يقدروا إلا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون
وقيل الحرد القصد والسرعة أي غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما رأوها
قالوا في بديهة رؤيتهم إنا لضالون أي طريق جنتنا وما هي بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تأملوا ووقفوا
على حقيقة الأمر مضربين عن قولهم الأول أي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا قال
أوسطهم أي رأيا أو سنا ألم أقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون إليه من خبث نيتكم
وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا إليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم

سترها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى • قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين • وقيل المراد
بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم او لانه تنزيه له تعالى عن ان يجري في ملكه ما لا يشاؤه • فاقبل بعضهم
على بعض يتلاومون • اي يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به
ومنهم من انكره • قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين • متجاوزين حدود الله • عسى ربنا ان يبدلنا • وقرئ بالتشديد اي
يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة • خيرا منها انا الى ربنا راغبون • راجعون العفو طالبون الخير
والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وروي انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله
خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله
تعالى امر جبرئيل ان يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها
مكانها وقال ابن مسعود ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال ابو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل
الاسود القائم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال لقد كلفتني تعبا و
عن الحسن رح قول اصحاب الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين
اذا اصابتهم الشدة فتوقف في امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري • كذلك العذاب • جملة
من مبتدا وخبر مقدم لافادة القصر والالف واللام للعهد اي مثل الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة
عذاب الدنيا • ولعذاب الاخرة اكبر • اعظم واشد • لو كانوا يعلمون • انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه • ان
للمتقين • اي من الكفر والمعاصي • عند ربهم • اي في الاخرة او جوار القدس • جنات النعيم • جنات ليس فيها
الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى
• افنجعل المسلمين كالمجرمين • تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة فانهم لما سمعوا بحديث
الاخرة وما وعد الله المسلمين فيها قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم
الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي انحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتاكيد الرد و
تشديده • ما لكم كيف تحكمون • تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه لا يصدر عن عاقل • ام لكم كتاب
نازل من السماء • فيه تدرسون • اي تقرؤون • ان لكم فيه لما تخيرون • ما تتخيرونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح
لانه مدروس فلما جئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الاخرين
سلام على نوح في العالمين • وتخير الشيء واختاره اخذ خيره • ام لكم ايمان علينا • اي عهود مؤكدة
بالايمان • بالغة • متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين
• الى يوم القيمة • متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم
ما تحكمون او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل منها يمين • ان لكم لما تحكمون •
جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم • سلهم • بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الرسول صلعم

باسقاطهم

باسقاطهم عن رتبة الخطاب اي سلهم مبكتا لهم • ايهم بذلك • الحكم الخارج عن المعقول • زعيم • اي قائم
يتصدى بتصحيحه • ام لهم شركاء • يشاركونهم في هذا القول ونحوه يحكمون مثل حكمهم • فليأتوا بشركائهم ان
كانوا صادقين • في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه في هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شيئ
يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يعلم من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل
المسلمين في الاخرة • يوم يكشف عن ساق • اي يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل
في ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان
شمرت عن ساقها الحرب شمرا • وقيل ساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان
اي يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها بحيث يصير عيانا وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ
تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة او للحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء
المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اي دخل في الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اي
اذكر يوم او مؤخر اي يوم يكشف عن ساق يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف
• ويدعون الى السجود • توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك • فلا يستطيعون •
لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رض تعقم اصلابهم
اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة
• خاشعة ابصارهم • حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع
الى الابصار لظهور اثره فيها • ترهقهم ذلة • تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة • وقد كانوا يدعون الى السجود
في الدنيا واعادة الظاهر في موقع الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلوة او ما فيها من السجود والدعوة
دعوة التكليف • وهم سالمون • متمكنون منه اقوى تمكن اي فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة
بظهوره • فذرني ومن يكذب بهذا الحديث • اي كله الي فاني اكفيكه امره اي حسبك في الايقاع به والانتقام
منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر
على ما قبلها من احوالهم المحكية اي واذا كان حالهم في الاخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقران وتوكل علي في الانتقام
منه وقوله تعالى • سنستدرجهم • استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق
اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يكذب باعتبار لفظها اي سنستنزلهم الى العذاب
درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة • من حيث لا يعلمون • انه استدراج وهو
الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم • واملي لهم • وامهلهم
ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان ذلك لارادة الخير بهم • ان كيدي متين • لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء
وتسميته ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد • ام تسألهم • على الابلاغ والارشاد • اجرا • دنيويا • فهم لاجل
ذلك • من مغرم • اي غرامة مالية • مثقلون • مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك • ام عندهم الغيب
اي اللوح والمغيبات • فهم يكتبون • منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك • فاصبر لحكم ربك • وهو

امهالهم وتأخير نصرتك عليهم • ولا تكن كصاحب الحوت • اي يونس عم • اذ نادى في بطن الحوت وهو
مكظوم • مملو غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر
المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك ما وجد منه
من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه • لولا ان تداركه نعمة من ربه • وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها
منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا
ان كان يقال فيه تتداركه • لنبذ بالعراء • بالارض الخالية من الاشجار • وهو مذموم • مليم مطرود من الرحمة
والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما في الحال
الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى
• فاجتباه ربه • عطف مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه ربه بان رد اليه الوحي وارسله الى مائة الف
او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة • فجعله من الصالحين • من الكاملين
في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد حين هم رسول الله صلعم
ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف • وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك
بابصارهم • وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى
انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي
نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في
بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلعم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل
القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية • لما سمعوا الذكر
اي وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه • و
يقولون • لغاية حيرتهم في امره صلى الله عليه وسلم ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم
المحجوبة عن العقول المنهمكة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه • انه لمجنون • وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما
سمعوه منه رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل • وما هو الا ذكر للعالمين • على انه حال
من فاعل يقولون لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جراءتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك
والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه
ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى
وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلعم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن رسول
الله صلعم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة • اي الساعة
او الحال الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي تحق فيها الامور الحقة من الحساب
والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته

جعل

جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم وايا ما كان فحذف
الموصوف للايذان بكمال ظهوره تفخيما بهذه الصفة واجرائها مجرى الاسم وارتفاعها على
الابتداء وخبرها • ما الحاقة • على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول
والاصل ما هي اي اي شيء هي في حالها وصفتها فانها قد يطلب بها الصفة والحال فوضع
الظاهر موضع المضمر تاكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق
في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط
الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كونها خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة
كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى • وما ادراك • اي واي شيء اعلمك • ما
الحاقة • تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها
ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من
ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس
وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان درى
يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت
في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ اعني الحاقة
مؤكدة لهولها كما مر • كذبت ثمود وعاد بالقارعة • اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال
والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار و
وضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف
مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه ما ادراه عليه السلام
بها احد كما في قوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية ونظائره خلا ان المبين هناك نفس
المسئول عنها وههنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير
من الف شهر فان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول
الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة
كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا • فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية • اي بالواقعة المجاوزة للحد
وهي الصيحة او الرجفة • واما عاد فاهلكوا بريح صرصر • اي شديدة الصوت لها صرصرة او
شديدة البرد تحرق ببردها • عاتية • شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا
من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها ودفعها • سخرها عليهم • الى آخرها استئناف جيء به بيانا
لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة • سبع ليال وثمانية ايام حسوما • اي
متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات
حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا

على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي
ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في
سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها
الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن • فترى
القوم • ان كنت حاضرا حينئذ • فيها • في مهابها او في تلك الليالي والايام • صرعى • موتى جمع صريع
كأنهم اعجاز نخل • اي اصول نخل • خاوية • متآكلة الاجواف • فهل ترى لهم من باقية • اي بقية
او نفس باقية او بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية • وجاء فرعون ومن قبله • اي ومن
تقدمه وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه • والمؤتفكات
اي قرى قوم لوط اي اهلها • بالخاطئة • بالخطإ او بالفعلة او الافعال ذات الخطإ التي من
جملتها تكذيب البعث والقيامة • فعصوا رسول ربهم • اي فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما
كانوا يتعاطونه من القبائح • فأخذهم • اي الله عز وجل • اخذة رابية • اي زائدة في الشدة كما
زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد • انا لما طغى الماء • بسبب اصرار قوم نوح على فنون
الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه عليه السلام فيما اوحي اليه من الاحكام التي من جملتها احوال القيامة
• حملناكم • اي في اصلاب آبائكم • في الجارية • في سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم
فوق الماء الى انقضاء ايام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة في فانها
ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله اي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم
في السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على ان انجاءهم محض عصمة الله تعالى انما السفينة سبب
صوري • لنجعلها • اي الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين • لكم تذكرة •
عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته • وتعيها • اي تحفظها
والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غير نفسك من وعاء وقرئ تعيها بسكون
العين تشبيها له بكتف • اذن واعية • اي اذن من شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره
واشاعته والتفكر فيه والتخشيع بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شانه
مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف • فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة • شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها
وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة
بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم • و
حملت الارض والجبال • اي قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او بتوسط الزلزلة
او الريح العاصفة • فدكتا دكة واحدة • اي فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة واحدة
فصارتا قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة

دكاء

ح تنشق وتنزعج كثيبا مهيلا وهبا منبثا وقيل فتنحلها سنقطة واحدة فصارتا قاعا

دكاء ومنه الدكان • فيومئذ • فحينئذ • وقعت الواقعة • اي قامت القيامة • وانشقت السماء •
لنزول الملائكة • فهي • اي السماء • يومئذ واهية • ضعيفة مسترخية بعدما كانت محكمة • والملك • اي
الخلق المعروف بالملك • على ارجائها • اي جوانبها جمع رجا بالقصر اي تنشق السماء التي هي مساكنهم
فيلجؤون الى اكنافها وحافاتها • ويحمل عرش ربك فوقهم • فوق الملائكة الذين هم على الارجاء
او فوق الثمانية • يومئذ ثمانية • من الملائكة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة
ايدهم الله باربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة والعرش
فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد
وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين اظلافها
الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك
بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم
عددهم الا الله ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى
بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونه اقصى ما يتصور
من العظمة والجلال والا فشؤونه سبحانه اجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة • يومئذ
تعرضون • اي تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف
احوالهم روي ان في يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة
ففيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية
لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة
الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل • لا تخفى منكم خافية • حال من مفعول تعرضون اي تعرضون
غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة في العدل او غير خاف يومئذ
على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء التحتانية • فاما من اوتي كتابه بيمينه •
تفصيل لاحكام العرض • فيقول • تبجحا وابتهاجا • هاؤم اقرؤوا كتابيه • ها اسم لخذ وفيه لغات
اجودهن هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة و
مفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤوا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤوه
اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف
وتسقط في الوصل واستحب اثباتها في الامام • اني ظننت اني ملاق حسابيه • اي علمت
ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك
عنها العلوم النظرية غالبا • فهو في عيشة راضية • ذات رضى على النسبة بالصيغة كلابن وتامر او
النسبة بالحرف وجعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة

مقرونه بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار •
قطوفها • جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر • دانية • يتناولها القاعد كلوا واشربوا
باضمار القول والجمع باعتبار المعنى • هنيئا • اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا • بما اسلفتم • بما قدمتم من الاعمال
الصالحة • في الايام الخالية • اي الماضية في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروي يقول الله تعالى يا اوليائي
طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم
وكلوا واشربوا الآية • واما من اوتي كتابه بشماله • لما يرى فيه من قبائح الاعمال • فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه
ولم ادر ما حسابيه • لما شاهد من سوء العاقبة • يا ليتها • يا ليت الموتة التي متها • كانت القاضية • اي
القاطعة لامري فلم ابعث بعدها ولم القى ما القى فضمير ليتها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اي يا
ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون
للحيوة الدنيا اي يا ليت الحيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا • ما اغنى عني ماليه • مالي من المال والاتباع على انما
نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اي اي شيء اغنى عني ما كان لي من اليسار • هلك عني سلطانيه
اي ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا او تسلطي على القوى والالات فعجزت عن استعمالها
في العبادات • خذوه • حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار • فغلوه • اي شدوه بالاغلال • ثم الجحيم صلوه
اي لا تصلوه الا الى الجحيم وهي النار العظيم ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس • ثم في
سلسلة ذرعها • اي طولها • سبعون ذراعا فاسلكوه • فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما
بينها مرهق لا يستطيع حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما
يعذب به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في السلسلة في الشدة • انه كان لا
يؤمن بالله العظيم • تعليل بطريق الاستيناف التحقيقي ووصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب
فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات • ولا يحض على طعام المسكين • ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه
فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على
ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل
البخل وقسوة القلب • فليس له اليوم هاهنا حميم • اي قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه
ويفرون منه • ولا طعام الا من غسلين • اي من غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل • لا ياكله
الا الخاطئون • اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن
عباس رضي الله عنه انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يكون بهم الذين يتخطون الحق
الى الباطل ويتعدون حدود الله • فلا اقسم • اي فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد واما حمله على معنى نفي الاقسام لظهور
الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى • بما تبصرون وما لا تبصرون • كما مر في سورة الواقعة
اي اقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والاخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق
والنعم الظاهرة والباطنة والاول المنتظم للكل • انه • اي القرآن • لقول رسول • يبلغه عن الله تعالى فان الرسول عن

نفسه • كريم • على الله تعالى وهو النبي او جبريل عليه السلام • وما هو بقول شاعر • كما تزعمون تارة • قليلا ما تؤمنون • ايمانا
قليلا تؤمنون • ولا بقول كاهن • كما تدعون ذلك تارة اخرى • قليلا ما تذكرون • اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا
تتذكرون على ان القلة بمعنى النفي اي لا تؤمنون ولا تتذكرون • وانما قيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع
نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها
يتوقف على تذكر احوال النبي صلعم ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا
مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما • تنزيل من رب العالمين • نزله على لسان جبريل عليه السلام • ولو تقول علينا بعض
الاقاويل • سمي الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول
كالاضاحيك • لاخذنا منه باليمين • اي باليمين • ثم لقطعنا منه الوتين • اي نياط قلبه بضرب عنقه وقيل اليمين
بمعنى القوة قال قائلهم اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين • فما منكم • ايها الناس • من احد عنه •
القتل او المقتول • حاجزين • دافعين وصف لاحد فانه عام • وانه • اي القرآن • لتذكرة للمتقين • لانهم
المنتفعون به • وانا لنعلم ان منكم مكذبين • فنجازيهم على تكذيبهم • وانه لحسرة على الكافرين • عند مشاهدتهم لثواب
المؤمنين به • وانه لحق اليقين • الذي لا يحوم حوله ريب ما • فسبح باسم ربك العظيم • اي فسبح بذكر اسمه العظيم
تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه شكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلعم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله تعالى حسابا
يسيرا

سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

• سأل سائل • اي دعا داع • بعذاب واقع • اي استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا
كسفا من السماء وقيل هو حرث بن النعمان الفهري وذلك انه بلغه قول رسول الله صلعم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه
فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى
بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلعم استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من
السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع
وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد تر حال الفهري
واما في الاخرة فهو عذاب النار • للكافرين • صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة لدفع او متعلق بسال
اي دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى • ليس له دافع • صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او
من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استيناف • من الله • متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع
من جهته تعالى • ذي المعارج • ذي المصاعد التي يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات
المرتبة بعضها فوق بعض • تعرج الملائكة والروح • اي جبريل عليه السلام افرده بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح
خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس • اليه • الى عرشه ومهبط امره
تعالى وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني به • في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة • مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى

انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه
تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان
في خمسين الف سنة لو فرض وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة
واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في
حق الكافر واما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدري رض انه قيل لرسول الله صلعم ما اطول هذا اليوم
فقال عم والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر
صبرا جميلا متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عم او كان عن تضجر
واستبطاء للنصر او بسأل سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم
يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه على طريق الاحالة
فلذلك يسالون به ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة
الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك
اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اي يوم تكون السماء كالمهل الى اخره يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يوصف به او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى سأل سائل
حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما
اذ المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر وابو جهل والزهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى
ليس له دافع الى اخره استيناف مسوق لبيان وقوع المسئول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا
مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له
دافع او بما يدل هو عليه اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا
بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأل قريب قريبا
من احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول اي لا يطلب من حميم حميمه
ولا يسأل منه حاله يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من السؤال الا تشاغلهم
بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع
الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى
لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية لودادتهم
ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا
ليود والمعنى يودون لو يفتدي ببنيه الى اخره والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث
يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء
للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذب وفصيلته اي
عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق

ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني
يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة
وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم ترجم عنه الخبر
الذي هو قوله لظى وهو علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص
او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان
او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره تدعوا اي تجذب وتحضر وقيل تدعو
او تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو الزبانية وقيل تدعو الكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب
وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر اي عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فأوعى
اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكوته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا و
تأميلا ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن
تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر اي الفقر او المرض ونحوهما جزوعا اي مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا
مسه الخير اي السعة والصحة منوعا مبالغا في المنع والامساك والاوصاف الثلثة احوال مقدرة او محققة لانها
طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين
بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لانباء نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحق و
الاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل خلاف
القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلوتهم دائمون
لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى
واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة للسائل الذي يسأله والمحروم
الذي لا يسأله فيظن انه غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في
الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما
لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان
عذاب ربهم غير مأمون اعتراض مؤذن بانه لا ينبغي لاحد ان يأمن من عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة والذين
هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنين
فمن ابتغى اي طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات فاولئك هم العادون المتعدون
لحدود الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقها والذين هم
بشهاداتهم قائمون اي مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الامانات
لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس والذين هم على صلوتهم يحافظون اي يراعون شرائطها
ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين

للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات
كما في قول من قال إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم إيذاناً بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة
نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة
للآخر • أولئك • إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليهم
للإيذان ببعد شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره • في جنات • أي مستقرون في جنات لا يقادر
قدرها ولا يدرك كنهها وقوله • مكرمون • خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل
أو بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات • فمال الذين كفروا قبلك • حولك • مهطعين • مسرعين نحوك
مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك • عن اليمين وعن الشمال عزين • أي فرقاً شتى جمع عزة وأصلها
عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله
صلعم حلقاً حلقاً وفرقاً فرقاً ويستهزئون بكلامه عم ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد لم
فلندخلنها قبلهم فنزلت • أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم • بلا إيمان • كلا • ردع لهم عن ذلك الطمع
الفارغ • إنا خلقناهم مما يعلمون • قيل هو تعليل الردع والمعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما عليه
كما في قول الأعشى • أأزمعت من آل ليلى ابتكارا • وشطت على ذي هوى أن تزارا • وهو تكميل النفس بالإيمان
والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يتبوأ متبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول
الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وإنكار البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين
يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل إنهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب
عالم القدس فمتى لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد دخولها و
لا يخفى ما في الكل من التمحل والأقرب أنه كلام مستأنف قد سيق تمهيداً لما بعده من بيان قدرته تعالى على
أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلعم وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم
دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوماً آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى
حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى • فلا أقسم برب المشارق والمغارب •
والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب • إنا لقادرون •
على أن نبدل خيراً منهم • أي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم
• وما نحن بمسبوقين • أي بمغلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكمة البالغة اقتضت تأخير
عقوباتهم • فذرهم • فخلهم وشأنهم • يخوضوا • في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم • ويلعبوا • في دنياهم
• حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون • وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الأولى كما يوهمه
فإن قوله تعالى • يوم يخرجون من الأجداث • بدل من يومهم وقرئ يخرجون أي مسرعين • كأنهم إلى نصب
وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد أيضاً
• يوفضون • يسرعون • خاشعة أبصارهم • وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور

آثاره

آثاره فيها • ترهقهم ذلة • تغشاهم ذلة شديدة • ذلك • الذي ذكر ما سيقع فيه من الأحوال الهائلة
• اليوم الذي كانوا يوعدون • في الدنيا عن النبي صلعم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب
الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها تسع أو ثمان وعشرون

• إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك • أي بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها
الفعل فإن حذفه مع أن وأن مطرد وجعلت صلتها أمراً كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها
بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول
الاسمي إنما هو للتوسل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث
استوى الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن
المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالإنذار
وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما في الإرسال من
معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي
كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على إرادة القول • من قبل أن يأتيهم عذاب أليم • عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم
عذراً ما أصلاً • قال • استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله عم بالوجه المذكور كأنه قيل فماذا فعل عليه
السلام فقيل قال لهم • يا قوم إني لكم نذير مبين • منذر موضح لحقيقة الأمر وقوله تعالى • أن اعبدوا الله
واتقوه وأطيعون • متعلق بنذير على الوجهين المذكورين • يغفر لكم من ذنوبكم • أي بعض ذنوبكم وهو ما سلف
في الجاهلية فإن الإسلام يجبه • ويؤخركم إلى أجل مسمى • هو الأمد الأقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط
الإيمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم
إليه بالإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى • إن
أجل الله • أي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر • إذا جاء • وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر • لا يؤخر • فبادروا
إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل
المسمى فتؤخروا إليه ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب
أليم فإنه أجل موقت له حتماً وحمله على الأجل الأطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر
بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير إلى الأجل المسمى فلا بد أن يكون المنفي عند مجيء الأجل هو التأخير الموعود
فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الأجل المسمى • لو كنتم تعلمون • أي لو كنتم تعلمون شيئاً لسارعتم إلى ما أمرتكم
به • قال • أي نوح عم مناجياً ربه وحاكياً له تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال
في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل و
عيت به العلل • رب إني دعوت قومي • إلى الإيمان والطاعة • ليلاً ونهاراً • أي دائماً من غير فتور ولا
توان • فلم يزدهم دعائي إلا فراراً • مما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسببيته لها
كما في قوله تعالى زادتهم إيماناً • وإني كلما دعوتهم • أي إلى الإيمان • لتغفر لهم • بسببه • جعلوا أصابعهم في آذانهم

اى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم اى بالغوا فى التغطى بها كأنهم طلبوا ان
تغشيهم ثيابهم او تغشيتهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه لئلا يعرفهم فيدعوهم واصروا اى اكبوا على الكفر و
المعاصى مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا من اتباعى وطاعتى
استكبارا شديدا ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اى دعوتهم تارة
بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة واساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار
والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعى
الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم او هو صفة لمصدر اى دعوتهم دعاء جهارا اى مجاهرا به او مصدر فى موضع الحال اى
مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصى انه كان غفارا للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا ان كنا على
الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما كان عكفنا عليه دهرا طويلا فامرهم بما يمحق ما
سلف منهم من المعاصى ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو اوقع فى قلوبهم واحب اليهم من العوائد العاجلة
وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين
سنة فوعدهم انهم ان آمنوا يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه يرسل
السماء عليكم مدرارا اى كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب ويمددكم باموال وبنين و
يجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها انهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا انكار لان
يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين
والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية
لا اليهما معا كما فى قوله تعالى وما لى لا اعبد الذى فطرنى ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة
له اى اى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له
وقد خلقكم اطوارا اى والحال انكم على حال منافية لما انتم عليه بالكلية وهى انكم تعلمون انه تعالى
خلقكم تارات عناصر ثم اغذية ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأكم خلقا آخر
فان التقصير فى توقير من هذه شئونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل
هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل اى ما لكم لا تأملون له تعالى توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه ولا تكونون
على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار و
الاول هو الذى يستدعيه الجزالة التنزيلية فان الاليق بحال الكفرة استبعاد ان لا يعتقدوا
وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها واحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم
لتعظيم الله تعالى اياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والانكار مع ان فى جعل الوقار بمعنى
التوقير من التعسف ما لا يخفى وفى قوله تعالى ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار بوجه كون الوقار
وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على احدكم بالعقوبة اى اى عذر لكم فى ترك الخوف
منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك

والضحاك ما لكم

ما لكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون
لم ارج اى لم ابال وقوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا اى متطابقة بعضها فوق بعض
وجعل القمر فيهن نورا اى منورا لوجه الارض فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه فى السماء الدنيا
لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل او لان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى
الكل كانها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما فى واحدة منها كانه فى الكل وجعل الشمس سراجا يزيل
ظلمة الليل ويبصر اهل الدنيا فى ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج
ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة والله انبتكم من الارض نباتا اى انشأكم
منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه ادل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر
مؤكد لانبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر او لما ترتب عليه من فعله اى انبتكم من الارض فنبتم
نباتا فحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء فى كل منهما بما ذكر فى الاخرى كما مر فى قوله
تعالى ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر اخراجا
محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم وتوسيط لكم
بين الجعل ومفعوله مع ان حقه التأخر لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم و
التشويق الى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى
مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق
الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ او بمضمر هو حال من سبلا
اى كائنة من الارض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح اعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته
لربه اى قال مناجيا له تعالى رب انهم عصونى اى تمادوا على عصيانى فيما امرتهم به مع ما بالغت فى ارشادهم
بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين
ابطرتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة ففيه ان رؤساؤهم
لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد
لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على انه لغة
كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى الضمائر الاول
باعتبار لفظها مكرا كبارا اى كبيرا فى الغاية وقرئ بالتخفيف والاول ابلغ منه من الكبير وذلك
احتيالهم فى الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على اذية نوح عم وقالوا لا تذرن آلهتكم
اى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق الى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا يغوث ويعوق و
نسرا اى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لانها كانت
اكبر اصنامهم واعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الاصنام عنهم الى العرب فكان ود لكلب و

ولا سواعا

سواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم
ونوح وقيل من اولاد آدم عم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان
ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس
ونسر على صورة نسر وقرئ وُدّا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية • وقد
اضلوا اي الرؤساء • كثيرا • خلقا كثيرا او الاصنام كقوله رب انهن اضللن كثيرا من الناس • ولا تزد
الظالمين الا ضلالا • عطف على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة
عنه اي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم
بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او القتل
والاهلاك كما في قوله ان المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سياتي من دعائه • مما خطيئاتهم • اي
من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم ومن لم يرى زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم
بدلا منها وقرئ مما خطاياهم اي بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم • اغرقوا • بالطوفان
لا بسبب آخر • فادخلوا نارا • المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا في الماء عن الضحاك
انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم
لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها او تهويلها او لانه تعالى اعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا
من النار • فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا • اي لم يجد احد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض
باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم • وقال نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا • عطف على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم الى آخره اعتراض وسط
بين دعائه عم للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم
التي عددها نوح واشارة الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لانها حكاية لنفس الاغراق والاحراق
على حكاية ما جرى بينه عم وبينهم من الاحوال والاقوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا • ديارا • من
الاسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار وديور كقيام وقيوم اي احد وهو فيعال من
الدور او من الدار اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا • انك
ان تذرهم عليها كلا او بعضا • يضلوا عبادك • عن طريق الحق • ولا يلدوا الا فاجرا كفارا • اي
الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال
مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم
بعد ما جربهم واستقراء احوالهم قريبا من الف سنة • رب اغفر لي ولوالدي • ابوه لمك بن متوشلخ
وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما • ولمن دخل
بيتي • اي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي • مؤمنا • بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان
ولكن لم يجزم عم بخروجه الا بعد ما قيل انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله في سورة هود • وللمؤمنين و

المؤمنات

وللمؤمنات • عممهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا • ولا تزد الظالمين الا تبارا
اي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وامهاتهم
باراءة اهلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من انفسهم قال عم يهلكون مهلكا واحدا
ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن رضي الله انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فاهلكهم بغير عذاب
وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل الطوفان باربعين او سبعين سنة
فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن النبي صلعم من قرا سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح
عم • سورة الجن مكية بسم الله الرحمن الرحيم ثمان وعشرون آية • قل اوحي الي • وقرئ احي واصله وحي
وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كاعد وازن في وعد ووزن • انه
بالفتح لانه فاعل اوحي والضمير للشان • استمع • اي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة ما
بعده عليه • نفر من الجن • والنفر ما بين الثلثة والعشرة والجن اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية
او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها وفيه
دلالة على انه عم لم يرهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض اوقات
قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الاحقاف • فقالوا • لقومهم
عند رجوعهم اليهم • انا سمعنا قرآنا • كتابا • عجبا • بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم
ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة • يهدي الى الرشد • الى الحق والصواب • فآمنا به • اي
بذلك القرآن • ولن نشرك بربنا احدا • حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد • وانه تعالى جد ربنا
بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بان في احد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور
في آمنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني اي
عظم تمكنه او سلطانه او معناه على انه مستعار من الجد الذي هو البخت والغنى وصفه بالاستغناء
عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد
القول وهو الاظهر لوضوح اندراجها كلها تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان
والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا • بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اي صدق
ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد
والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فا
ستعظموه ونزهوه تعالى عنه • وانه كان يقول سفيهنا • اي ابليس او مردة الجن • على الله شططا
اي قولا ذا شطط اي بعد عن القصد ومجاوزة الحد او هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو
نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم
كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان تقوله سفيهنا

في حقه تعالى كان شططا وانما تلقفناها بتقليده تعالى • وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا • فعذر ظاهر
وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم اي كنا نظن ان لن يكذب على الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله و
كذبا مصدر مؤكد لتقول لانه نوع من القول او وصف لمصدره المحذوف اي قولا كذبا اي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول
بحذف احدى التاءين فكذبا مصدر مؤكد له لان الكذب هو التقول • وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن • كان الرجل من العرب اذا امسى في واد قفر وخاف على نفسه يقول اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه
يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى • فزادوهم • اي زاد
الرجال العائذون الجن • رهقا • اي تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم
• وانهم ظنوا • اي الانس • كما ظننتم • ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض • ان لن يبعث الله احدا • وقيل المعنى
ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الى آخره فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب
انهما كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع اذ لا معنى لادراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله
تعالى • وانا لمسنا السماء • وما بعده من الجمل المصدرة بانا ينبغي ان تكون معطوفة على ذلك على ان الوحي غير
عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل اوحي الي كيت وكيت وهذه العبارات اي طلبنا بلوغ السماء او
خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه • فوجدناها ملئت حرسا • اي
حراسا اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل • شديدا • قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها • وشهبا • جمع شهاب
وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب • وانا كنا نقعد منها • قبل هذا • مقاعد للسمع • خالية عن الحرس والشهب
او صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اي لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اي مقاعد كائنة للسمع • فمن
يستمع الآن • في مقعد من المقاعد • يجد له شهابا رصدا • اي شهابا راصدا له ولاجله يصده عن الاستماع بالرجم او ذوي
شهاب راصدين له على انه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي عم والصحيح انه كان قبل البعث
ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا فقالوا
ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم • وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض • بحراسة السماء
• ام اراد بهم ربهم رشدا • اي خيرا ونسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية
كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره • وانا منا الصالحون • اي الموصوفون بصلاح الحال
في شأن انفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر و
الفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة • ومنا دون ذلك • اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف و
هم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل
استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى • كنا طرائق قددا • واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى
وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اي كنا قبل هذا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في
اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اي متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع
• وانا ظننا • اي علمنا الآن • ان لن نعجز الله • اي ان الشأن لن نعجز الله كائنين في الارض اينما كنا من اقطارها او

نعجزه هربا • هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا
• وانا لما سمعنا الهدى • اي القرآن الذي هو الهدى بعينه • آمنا به • من غير تلعثم وتردد • فمن يؤمن بربه
وبما انزله • فلا يخاف • فهو لا يخاف • بخسا • اي نقصا في الجزاء • ولا رهقا • ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس
ولا رهق اذ لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن
بالله تعالى ان يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقق نجاة المؤمنين واختصاصها به • وانا منا
المسلمون ومنا القاسطون • الجائرون عن طريق الحق الذي هو الايمان والطاعة • فمن اسلم فاولئك
اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى • تحروا • توخوا • رشدا • عظيما يبلغهم الى دار الثواب • واما الجائرون
عن سنن الاسلام • فكانوا لجهنم حطبا • توقد بهم كما توقد بكفرة الانس • وان لو استقاموا • ان مخففة
من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحي الي ان الشأن لو استقام الجن او الانس او
كلاهما على الطريقة • اي ملة الاسلام • لاسقيناهم ماء غدقا • اي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص
الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن
على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم
عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم • لنفتنهم فيه • لنختبرهم
كيف يشكرونه وقيل معناه انه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا
عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة • ومن يعرض عن ذكر ربه
عن عبادته او عن موعظته او وحيه • يسلكه • يدخله • عذابا صعدا • اي شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه
على انه مصدر وصف به مبالغة • وان المساجد لله • عطف على قوله تعالى انه استمع اي واوحي الي ان المساجد
مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله • فلا تدعوا • اي لا تعبدوا فيها • مع الله احدا • غيره وقيل
المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل
الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبي صلعم وقيل مواضع السجود على ان المراد نهي السجود لغير الله تعالى و
قيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمي • وانه • من جملة الموحى اي واوحي الي
ان الشأن • لما قام عبد الله • اي النبي صلعم وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته و
للتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه • يدعوه • حال من فاعل قام اي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر
بنخلة كما مر تفصيله في الاحقاف • كادوا • اي الجن • يكونون عليه لبدا • متراكمين من ازدحامهم عليه
تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم
يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين
كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد
وقرئ لبدا جمع لبدة وهي لغة في اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر و
عن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره على من ناواه • قل انما ادعوا

أي أعبد ربي ولا أشرك به في العبادة أحدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب التعجب أو الإطباق
على عداوتي وقرئ قال على أنه حكاية لقول عبد الله للمتراكبين عليه والأول هو الأظهر والأوفق لقوله تعالى
قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا أي لا أملك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا قرن من كلا المتقابلين
ما ذكر في الآخر قل إني لن يجيرني من الله أحد إن أرادني بسوء ولن أجد من دونه ملتحدا ملتجأ ومعدلا وهذا
بيان لعجزه عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره وقوله تعالى إلا بلاغا من الله استثناء من
قوله لا أملك فإن التبليغ إرشاد وإنفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة أو من ملتحدا أي
لن أجد من دونه منجى إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به وقيل إلا مركبة من إن الشرطية ولا النافية ومعناه إن
لا أبلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته
أي لا أملك لكم إلا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي أرسلني بها ومن يعص الله ورسوله في الأمر بالتوحيد
إذ الكلام فيه فإن له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه أن له نار جهنم خالدين فيها في
النار أو في جهنم والجمع باعتبار المعنى أبدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى إذا رأوا ما يوعدون غاية لمحذوف
يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه السلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه
حتى إذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا وحمل ما
يوعدون على ما رأوه يوم بدر يأباه قوله تعالى قل إن أدري أي ما أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي
أمدا فإنه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود إنكارا له واستهزاء به فقيل إنه كائن
لا محالة وأما وقته فما أدري متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل هو بدل من ربي أو بيان له ويأباه الفاء في قوله تعالى
فلا يظهر على غيبه أحدا إذ يكون النظم حينئذ أم يجعل له عالم الغيب أمدا فلا يظهر على غيبه أحدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى
فهو خبر مبتدأ محذوف أي هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الإظهار
على تفرده تعالى بعلم الغيب على الإطلاق أي فلا يطلع على غيبه إطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما
موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه إلا من ارتضى من رسول أي إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض
غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما إما لكونه من مبادي رسالته بأن يكون معجزة
دالة على صحتها وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي أمر بها المكلفون و
كيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من أحوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة
والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين
من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحدا أبدا على أن بيان وقته
مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف
فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب
لغيرهم أصلا ولا يدعي أحد لأحد من الأولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي
الصريح وقوله تعالى فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء

وبيان

وبيان لكيفيته أي فإنه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند إظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه
من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم
متعلق بيسلك غاية له من حيث إنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه إذ المراد العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة
من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي أريد إظهار
المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا إما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن
الشأن قد أبلغوا رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا
بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد وإيراد علمه تعالى لإبراز اعتنائه
تعالى بأمرهما والإشعار بترتب الجزاء والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما وأما لمن ارتضى والجمع
باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها والمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى إليهم رسالات
ربهم إلى أممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما أبلغها الرصد إليهم كذلك وقوله تعالى وأحاط بما لديهم
أي بما عند الرصد والرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جيء بها
لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالإبلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أي يسلكهم من بين يديه ومن خلفه ليترتب
عليه علمه تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الأحوال جميعا وأحصى كل شيء مما كان ومما سيكون
عددا أي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول كقوله تعالى وفجرنا الأرض عيونا والأصل أحصى عدد كل شيء وهو
حال أي معدودا محصورا أو مصدر بمعنى إحصاء وأيا ما كان ففائدته بيان أن علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلي إجمالي
بل على وجه جزئي تفصيلي فإن الإحصاء قد يراد به الإحاطة الإجمالية كما في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها
أي لا تقدروا على حصرها إجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لأن أصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقدا معينا من
عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا
وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم إلى آخره معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم
ذلك وأحاط بما لديهم إلى آخره فبمعزل من السداد عن النبي صلعم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق
محمدا أو كذب به عتق رقبة الحمد لله على التمام

سورة المزمل مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع عشرة آية أو عشرون

يا أيها المزمل أي المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها فأدغم التاء في الزاي وقد قرئ على الأصل وقرئ
المزمل من زمله مبنيا للمفعول أو مبنيا للفاعل قيل خوطب به النبي صلعم تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان
عليه السلام متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن فأمر بأن يترك التزمل
إلى التشمر للعبادة والهجود إلى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة وقد جئث فرقا أول ما أتاه
جبريل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني فحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل عليه السلام
فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه
حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا أبا تراب ملاطفة له وإشعارا
بأنه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا أيها الذي زمل أمرا عظيما هو أمر النبوة أي حمله والزمل الحمل وازدمله أي احتمله

فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام او للامر به فان تحمله عم لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في
العبادة قم الليل اي قم الى الصلوة وانتصب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلوة ومعنى قم صل وقرئ
بضم الميم وبفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى نصفه بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل اي
قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله
ولكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة
خلاف الظاهر او انقص منه اي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الاولى قليلا اي نقصا قليلا
او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه اي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى
تخييره عم بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تع نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان
الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقي الثاني المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما
ثانيا فلان نقص القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا
من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين
مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير
في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين
وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضمير للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم
انقص من ذلك الاقل او زد منه قليلا وقيل وقيل والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم عاهم كان به
الجليل ورتل القرآن في اثناء ما ذكر من القيام اي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن
السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك اي سنوحي اليك وايثار الالقاء
عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول
صلعم فانه عم مامور بتحملها وتحميلها للامة والجملة معترضة بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه من القيام و
قيل معنى كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر و
تجريده للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفرة والفجرة او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رض كان اذا نزل عليه
الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رض رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض من نشأ
من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل اي الحادث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها
الاول من نشأ اذا ابتدأ هي اشد وطأ اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام
وقرئ وطاء اي اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيه قلب القائم لسانه ان
اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا
واسد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا اي تقلبا وتصرفا
في مهماتك واشتغالا لا تستوعبك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي

الى قيام

الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف
وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره تع ليلا ونهارا على اي وجه كان من تسبيح
وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اي وانقطع اليه عن العلائق الصادة
عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه تبتيلا مكانا تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب المشرق
والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك وقيل
على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وموجبه على اختصاص
الالوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا
بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين
اي دعني واياهم وكل امرهم الي فان بي الكفاية اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا
زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا مضادة
لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما
ونوعا اخر من العذاب مولما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف
الارض والجبال اي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة
لعذابا اي عذابا واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب
الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم
يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا
الى فرعون رسولا هو موسى عم وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي
ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب
عنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج من التشبيه جيء به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك
لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلاء وبيل اي وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة
فكيف تتقون اي كيف تقون انفسكم ان كفرتم اي بقيتم على الكفر يوما اي عذاب يوم
يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة
او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع فيه الشيب وقد
جوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر اي منشق وقرئ متفطر اي
متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت حقيقتها
وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتاويل السماء بالسقف وهو من
باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا
الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى
الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه

بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل اي اقل منهما
استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب
عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك اي ويقوم معك طائفة من
اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتداء
وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اي ان الشان لن
تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر
ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرؤا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة
كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ بالصلوات
الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ
مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية علم ان سيكون منكم مرضى استئناف مبين لحكمة
اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون
من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله
واذا كان الامر كما ذكر وتعاضد الدواعي الى الترخيص فاقرؤا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق و
اقيموا الصلوة اي المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة
المفروضة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او
اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه
عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تأكيد
او فصل وان لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على
الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن
النبي صلعم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة الحمد لله على التمام

سورة المدثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم آيها ست وخمسون

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار
الذي يلي الجسد قيل هي اول سورة نزلت روي عن جابر عن النبي صلعم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت
يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء
والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبريل عم وقال
يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله صلعم وجعل
يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عم وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا
فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع
انذارهم وان اسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية
وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اي الذي دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفي حرف ابي المتدثر يا

ايها

يا ايها المتدثر على الاصل قم اي من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم فانذر اي فافعل الانذار واحدثه وقيل
انذر قومك كما في قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس كما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا
ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا وروي انه لما نزل قال رسول الله صلعم
الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان
اي اي شيء حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاولي من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من
الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر
فانه واجب في الصلوة واولى واحب في غيرها وذلك بغسلها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها و
بتقصيرها ايضا فان طولها يؤدي الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عم من رفض العادات
المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل و
الاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعائب ومدانس الاخلاق والرجز فاهجر اي واهجر العذاب بالثبات
على هجر ما يؤدي اليه من المآثم وقرئ بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا
اي رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من
الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول
الله صلعم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الآداب او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون
اعتبارا لحال الوقف وابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن الذي في قوله منا و
لا اذى لان من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقول من قال
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي وقد قرئ باثباتها ويجوز في قراءة الرفع
ان تحذف ان ويبطل عملها كما يروى احضر الوغى بالرفع ولربك اي لوجهه تعالى او لامره فاصبر فاستعمل
الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض فاذا نقر في الناقور اي نفخ في الصور وهو فاعول
من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين
ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في اذا ما دل عليه قوله تعالى فذلك
يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء
ويومئذ بدل منه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر اذ التقدير
فذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه و
قوله تعالى غير يسير تأكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف في ان المراد به يوم النفخة
الاولى او الثانية والحق انها النفخة الثانية اذ هي التي يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذي
هو الاصعاق يعم البر والفاجر على انها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء في الاخبار ان في الصور
ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى

الى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حيا باذن الله عز وجل • ذرني ومن خلقت وحيدا • حال اما من الياء
اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه في الانتقام منه او من التاء اي خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد
ومن العائد المحذوف اي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي
وكان ملقبا في قومه بالوحيد فسماه به تهكما به وبلقبه وصرفا له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه الى جهة
ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما كما مر او وحيدا في الشرارة •
وجعلت له مالا ممدودا • مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ونهر اخر قيل كان له الضرع والزرع
والتجارة عن ابن عباس رضي الله عنهما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف
بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف
دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري اربعة الاف دينار وقال الثوري ايضا
الف الف دينار • وبنين شهودا • حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف
في عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا في الاندية والمحافل لوجاهتهم و
اعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة
وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة • ومهدت له تمهيدا • و
بسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش • ثم يطمع ان ازيد • على ما اوتيته و
هو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتي سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه
من كفران النعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي • كلا • ردع وزجر له
عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى • انه كان لاياتنا عنيدا • تعليل لذلك على وجه الاستئناف
التحقيقي فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية
وانما اوتي ما اوتي استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله حتى هلك • سارهقه
صعودا • ساغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من
العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلعم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت
فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه صلعم الصعود جبل من نار
يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا • انه فكر وقدر • تعليل للوعيد او استحقاقه
او بيان لعناده لاياته تعالى اي فكر ماذا يقول في شان القران وقدر في نفسه ما يقوله • فقتل
كيف قدر • تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء
عليه بطريق الاستهزاء او حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم
بقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر
مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد
انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر

وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله ليصبان قريش
كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل
رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا
فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذي يقوله الا سحر
ياثره عن اهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين • ثم قتل كيف قدر • تكرير للمبالغة
وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخي الزماني • ثم نظر • اي في القران
مرة بعد مرة • ثم عبس • قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلعم ثم قطب في وجهه • وبسر • اتباع لعبس • ثم ادبر
عن الحق او عن رسول الله صلعم • واستكبر • عن اتباعه • فقال ان هذا الا سحر يؤثر • اي يروى ويتعلم والفاء
للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى • ان هذا الا قول البشر •
تاكيد لما قبله ولذلك اخلي عن العاطف • ساصليه سقر • بدل من سارهقه صعودا • وما ادراك ما سقر •
اي اي شيء اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدا وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته
من التهويل والتفظيع وسقر مبتدا اي اي شيء هي في وصفها فان ما قد يطلب بها الوصف وان
كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى • لا تبقي ولا تذر • بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمني
الذي يلوح به وما ادراك ما سقر • وقيل حال من سقر وليس بذاك اي لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا
هلك لم تذره هالكا حتى يعاد ولا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة • لواحة
للبشر • مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس
كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل • عليها تسعة عشر • اي
ملكا او صنفا او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون العين من عشر حذرا من
توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن • وما جعلنا اصحاب النار
اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها • الا ملائكة • ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم
ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل بالغضب له تعالى واشدهم باسا عن النبي صلعم لاحدهم مثل
قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل
عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشدين
اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم
رجالا من جنسكم • وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا • اي ما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب
لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم
ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله في القران ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق
افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر

وعليه يدور ما سبق من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان
اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع
دركات ستة منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها
وعلى كل نوع ملك او صنف او صف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه
ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فتبقى تسعة عشر قد تصرف
على ما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاه الزبانية • ليستيقن الذين اوتوا الكتاب • متعلق بالجعل على
المعنى المذكور اي ليكتسبوا اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما شاهدوا فيه موافقا لما في كتابهم • ويزداد
الذين آمنوا ايمانا • اي يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام
ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما انزل • ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون • تأكيد لما قبله من الاستيقان
وازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي
الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب
مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل
بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم
في ذلك • وليقول الذين في قلوبهم مرض • شك ونفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة •
والكافرون • المصرون على التكذيب • ماذا اراد الله بهذا مثلا • اي اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب
المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار
باستقلاله في الشناعة • كذلك يضل الله من يشاء • ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية
ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من يشاء ويهدي من
يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على
الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال ومثل الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره
الى جانب الضلال عند مشاهدته لتلك الآيات الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدته
تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية ادنى منهما • وما يعلم جنود ربك • اي جموع خلقه التي من جملتها
الملائكة المذكورون • الا هو • اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا
فضلا على الاطلاق على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة • وما هي • اي سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة
باحوالها • الا ذكرى للبشر • الا تذكرة لهم • كلا • ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان يكون لهم تذكر • والقمر والليل
اذ ادبر • وقرئ اذ دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار
اذا خلفه • والصبح اذا اسفر • اي اضاء وانكشف • انها لاحدى الكبر • جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم
معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيره
القواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكبر

والدواهي

والدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظيرة لها • نذيرا للبشر • تمييز اي لاحدى الكبر
انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان او لمبتدأ
محذوف • لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر • بدل من البشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى
او لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتأخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن
ومن شاء فليكفر • كل نفس بما كسبت رهينة • مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة
بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء • الا اصحاب اليمين • فانهم فكوا رقابهم
بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت
لهم من الله الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم • في
جنات • لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
مما قبله من استثناء اصحاب اليمين وقيل هم من ضميرهم في قوله تعالى • يتساءلون • وقيل ظرف للتساؤل وليس
المراد بتساؤلهم ان يسأل بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا
عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه
معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر لكنها
قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال
فمعنى يتساءلون • عن المجرمين • يسألونهم عن احوالهم وقد حذف المسؤول لكون المسؤول عنه في قوله تعالى • ما
سلككم في سقر • مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون اي يسألونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها
ودع عنك ما تكلف فيه المتكلفون • قالوا • اي المجرمون مجيبين للسائلين • لم نك من المصلين • للصلوات الواجبة
ولم نك نطعم المسكين • على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على
ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة • وكنا نخوض مع الخائضين • اي نشرع في الباطل مع الشارعين
فيه • وكنا نكذب بيوم الدين • اي بيوم الجزاء اضافه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه
ادهى الدواهي واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها
كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة
مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم • حتى اتانا اليقين • اي الموت ومقدماته • فما تنفعهم شفاعة الشافعين •
لو شفعوا لهم جميعا والفاء في قوله تعالى • فما لهم عن التذكرة معرضين • لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير
سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير
في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل
لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى
• كأنهم حمر مستنفرة • حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة • فرت من قسورة •
اي من اسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم

عن

القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين
حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى • بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة • عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون
بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلعم
لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك كما
قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون • كلا • ردع لهم عن تلك
الجراءة • بل لا يخافون الآخرة • فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف • كلا • ردع عن اعراضهم • انه • اي
القرآن • تذكرة • واي تذكرة • فمن شاء • ان يذكره • ذكره • وحاز بسببه سعادة الدارين • وما يذكرون • بمجرد
مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد وارادته في افعاله وقوله تعالى
• الا ان يشاء الله • استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال
الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله • هو اهل التقوى • اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع • واهل المغفرة •
حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه وهذا تصريح بان افعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على الخطاب
التفاتا وقرئ بهما مشددا عن النبي صلعم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به

سورة القيامة بسم الله الرحمن الرحيم تسع وثلثون آية

بمكة • لا اقسم بيوم القيامة • ادخال
لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب
وقيل هي للنفي لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه
باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر واما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت فيه
في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر
كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيامة كقولك لا والله ان البعث حق وايا ما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة
من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يونس وسورة الزخرف • ولا اقسم بالنفس اللوامة • اي بالنفس
المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى فهي طرف من الراحمة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال
تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي انه صلى الله عليه
وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت
ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس
المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عم فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت
به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى • ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه • وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس
والهمزة للانكار الوقوع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب
ان الشأن لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب
وبعدما نسفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق
وهما اللذان كان النبي صلعم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلعم يا محمد حدثني عن يوم القيمة

متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلعم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام • بلى • اي
نجمعها حال كوننا • قادرين على ان نسوي بنانه • اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها
فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه واخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون
• بل يريد الانسان ليفجر امامه • عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ
بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله
من الزمان لا يرعوي عنه • يسأل ايان يوم القيمة • اي متى يكون استبعادا او استهزاء • فاذا برق البصر •
اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع
من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج • وخسف القمر • اي ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول • وجمع
الشمس والقمر • بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران
في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف • يقول الانسان يومئذ • اي يوم اذ تقع هذه الامور • اين المفر •
اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع • كلا • ردع عن طلب المفر
وتمنيه • لا وزر • لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك • الى ربك يومئذ
المستقر • اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء
الجنة ومن يشاء النار • ينبؤا الانسان يومئذ • اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال • بما قدم
اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة • واخر • من حسنة
او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله واخره •
• بل الانسان على نفسه بصيرة • اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما
سيأتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا
مبصرة او عين بصيرة او ان التاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبأ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله
شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى • ولو القى معاذيره • اي ولو جاء بكل معذرة ممكنة ان يعتذر
بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبأ اي هو بصير على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها
ولو اعتذر بكل معذرة او ينبأ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو
جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلعم اذا لقن الوحي نازع جبريل عم القراءة
ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عم بان يستنصت له
ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحي ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل • لا تحرك به • اي بالقرآن
• لسانك • عند القاء الوحي • لتعجل به • لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك • ان علينا جمعه • في صدرك
بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه • وقرآنه • اي اثبات قراءته في لسانك • فاذا قرأناه • اي اتممنا قراءته
عليك بلسان جبريل عم واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني • فاتبع قرآنه • فكن مقفيا
له ولا تراسله • ثم ان علينا بيانه • اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه • كلا • ردع له صلعم عن عادة

السجدة وترغيب في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى ● بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ● على تعميم الخطاب للكل
اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل
كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين على صيغة الغيبة ● وجوه يومئذ ناضرة ● اي
وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم تقوم القيامة متهللة بهية يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه
مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى ● الى ربها ناظرة ● خبر ثان للمبتدأ او نعت
لناضرة صفة للوجوه والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة
لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع
وحينئذ ليس ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انه تراه تعالى مستغرقة في مطالعة جماله
بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة
انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى
● ووجوه يومئذ باسرة ● شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة ● تظن ● تتوقع اربابها ● ان يفعل بها فاقرة
داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ● كلا ● ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين
ايديكم من الموت الذي تنقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة ● اذا بلغت التراقي ● اي بلغت النفس اعالي
الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ● وقيل من راق ● قال من حضر صاحبها من يرقيه
وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام الملائكة اي ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة
او ملائكة العذاب من الرقي ● وظن انه الفراق ● وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها ● والتفت
الساق بالساق ● والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة
اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في الكفن ● الى ربك يومئذ المساق ● اي الى الله والى حكمه سياق
لا الى غيره ● فلا صدق ● ما يجب تصديقه من الرسول عم والقرآن الذي نزل عليه او فلا صدق ماله ولا
زكاه ● ولا صلى ● ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان
الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة كما مر ● ولكن كذب ● ما ذكر من الرسول والقرآن ● وتولى ● عن الطاعة
ثم ذهب الى اهله يتمطى ● يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا
وهو الظهر فانه يلويه ● اولى لك فاولى ● اي ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم
او ادنى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار
● ثم اولى لك فاولى ● اي يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ● ايحسب الانسان ان يترك سدى ● اي يخلى مهملا فلا يكلف و
لا يجزى وقيل ان يترك في قبره ولا يبعث وقوله ● الم يك نطفة من مني يمنى ● الى آخره استئناف وارد لابطال
الحسبان المذكور فانه مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ● ثم كان علقة ●
اي بقدرة الله تعالى لقوله ثم جعلنا النطفة علقة ● فخلق ● اي فقدر بان جعلها مضغة مخلقة ● فسوى ● فعدله وكمل نشأته
● فجعل منه ● من الانسان ● الزوجين ● الصنفين ● الذكر والانثى ● بدل من الزوجين ● اليس ذلك ● العظيم

الشان

الشأن الذي انشأ هذا الانشاء البديع ● بقادر على ان يحيي الموتى ● وهو مهول من البدأ في قياس
العقل روي ان النبي صلعم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عم انه كان مؤمنا بيوم القيامة

سورة الانسان مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي احدى وثلثون آية

● هل اتى ● استفهام تقرير وتقريب فلذلك فسر بقد واصله
اهل ● على الانسان ● قبل زمان قريب ● حين من الدهر ● اي طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد ● لم يكن
شيئا مذكورا ● بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال
من الانسان اي غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اي لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد
بالانسان الجنس لاظهار في قوله تعالى ● انا خلقنا الانسان من نطفة ● لزيادة التقرير او آدم عم وهو
المروي عن ابن عباس رض وقتادة والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس رض في رواية ابي صالح عنه مرت
اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام
اربعين سنة من حماء مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة و
عشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكي لما روي عن ابن عباس رض ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي
لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عم وهذا بيان لخلق بنيه ● امشاج ● اخلاط جمع مشج او مشيج
من مشجت الشيء اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة
والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد
يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبي
وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى
تمام الخلقة وقوله تعالى ● نبتليه ● حال من فاعل خلقناه اي مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما يأتي او ناقلين
له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روي عن ابن عباس رض نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة الخ ● فجعلناه
سميعا بصيرا ● ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك
عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى ● انا هديناه السبيل ● بانزال الآيات ونصب الدلائل ● اما
شاكرا واما كفورا ● حالان من مفعول هديناه اي مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حالتيه جميعا
او للتفصيل والتقسيم اي هديناه الى ما يوصل اليها في حالتيه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء
والاخذ فيه وبعضهم كفور على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما سبيلا شاكرا وكفورا على وصف
السبيل وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اي اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بجبرنا
من غير تخييرنا من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ
عليه الكفر المفرط ● انا اعتدنا للكافرين ● من افراد الانسان الذي هديناه السبيل ● سلاسل ● بها يقادون
واغلالا ● بها يقيدون ● وسعيرا ● بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم لان الجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام و
ختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكلام وقرئ سلاسلا للتناسب

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا • اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما
تستطيبه العرب وألذ ما تستلذ به • عينا • بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق
الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او نصب على الاختصاص
• فيها تسمى سلسبيلا • لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال و
سلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة
• ويطوف عليهم ولدان مخلدون • اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء • اذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا • لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس
اشعة بعضهم الى بعض • واذا رأيت ثم • ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان
بصرك اينما وقع في الجنة • رأيت نعيما وملكا كبيرا • اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه
مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم
الملائكة ويستأذنون عليهم • عاليهم ثياب سندس خضر • قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب مبتدأ
مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الى آخره وقيل حال من ضمير عليهم
او حسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب
الى آخره وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدأ خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر
بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس • واستبرق • بالرفع عطفا على ثياب وقرئ بجر الاول
وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق
جعل علما لهذا النوع من الثياب • وحلوا اساور من فضة • عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله
تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم
فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم
باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين • وسقاهم ربهم شرابا طهورا • هو
نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية
فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا
بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار • ان
هذا • على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات • كان لكم جزاء • بمقابلة اعمالكم
الحسنة • وكان سعيكم مشكورا • مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب • انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
• اي مفرقا منجما لحكمة مقتضية له لا غير كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان • فاصبر لحكم ربك • بتأخير
نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة • ولا تطع منهم آثما او كفورا • اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي
لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال
به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلابد ان يكون النهي عن

الطاعة

عن الطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم
متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو • و
اذكر اسم ربك بكرة واصيلا • وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر
فان الاصيل يشملهما • ومن الليل فاسجد له • وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء
وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص • وسبحه ليلا طويلا • وتهجد له قطعا من الليل طويلا
• ان هؤلاء يحبون العاجلة • وينهمكون في لذاتها الفانية • ويذرون وراءهم • اي امامهم
لا يستعدون له او ينبذون وراء ظهورهم • يوما ثقيلا • لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله
بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهي عنه • نحن خلقناهم
لا غيرنا • وشددنا اسرهم • اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب • واذا شئنا بدلنا امثالهم • بعد اهلاكهم
تبديلا • بدلا لا ريب فيه وهو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما
غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية • ان هذه تذكرة • اشارة الى السورة او الآيات
القريبة • فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا • اي فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة توصله
الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل الصالح تحضيضا وتعريضا • وما تشاؤون الا ان يشاء الله • تحقيق للحق
ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤون اتخاذ السبيل
ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما
التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤون بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى • ان الله كان عليما
حكيما • بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله
كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وحكمته • يدخل من يشاء في رحمته • ان يدخله فيها وهو الذي يصرف
مشيئته نحوه اذ السبيل الى ذلك حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة • و
الظالمين • وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر • اعد لهم عذابا اليما • اي متناهيا في الايلام
قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم
تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلعم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمسون آية

• والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا • اقسام من الله تعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن بأوامره
فعصفن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن
بالوحي او نشرن الشرائع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل
فالقين ذكرا الى الانبياء • عذرا • للمحقين • او نذرا • للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق
على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة
مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب

الوقوع لرجاء فهم ان مجموع الاغارة والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفا او بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء واسناد الالقاء اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسم بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلعم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى في مشارق الارض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عم والمؤمنين او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن انذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل • انما توعدون لواقع • جواب القسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة • فاذا النجوم طمست • محيت او ذهب بنورها • واذا السماء فرجت • صدعت وفتحت فكانت ابوابا • واذا الجبال نسفت • جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمّست وفرّجت ونسّفت مشددة • واذا الرسل اقتت • اي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذي ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما • لاي يوم اجلت • مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى • ليوم الفصل • بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق • وما ادراك ما يوم الفصل • ما مبتدأ وادراك خبره اي اي شيء جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يبلغ دراية احد كنهه كما يفيد خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل كما يفيد عكسه • ويل يومئذ للمكذبين • في ذلك اليوم الهائل وويل في الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته • الم نهلك الاولين • كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه • ثم نتبعهم الآخرين • من نظرائهم السالكين مسلكهم في الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عم • كذلك • مثل ذلك الفعل الفظيع • نفعل بالمجرمين • اي سنتنا جارية على ذلك • ويل يومئذ • اي يوم اذ اهلكناهم • للمكذبين • بآيات الله تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للعذاب الدنيا • الم نخلقكم • اي الم نقدركم • من ماء مهين • اي من نطفة قذرة مهينة • فجعلناه في قرار مكين • هو الرحم • الى قدر معلوم • الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله

تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر • فقدرنا • اي فقدرناه وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل • فنعم القادرون • اي نحن • ويل يومئذ للمكذبين • بقدرتنا على ذلك او على الاعادة • الم نجعل الارض كفاتا • الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اي الم نجعلها كفاتا تكفت • احياء • كثيرة على ظهرها • وامواتا • غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا • وجعلنا فيها رواسي • اي جبالا ثوابت • شامخات • طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كاجبال شامخات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف • واسقيناكم ماء فراتا • بان خلقنا فيها انهارا ومنابع • ويل يومئذ للمكذبين • بامثال هذه النعم العظيمة • انطلقوا • اي يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا • الى ما كنتم به تكذبون • في الدنيا من العذاب • انطلقوا • خصوصا • الى ظل • اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا او كرها • ذي ثلاث شعب • يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تتفرق ذوائبه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره • لا ظليل • تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل • ولا يغني من اللهب • اي غير مغن عنهم من حر اللهب شيئا • انها ترمي بشرر كالقصر • اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بمعنى اعناق الابل واعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة • كانه جمالة • قيل هو جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة • صفر • فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سود الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمال او جمالة وقرئ جمالات جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه • ويل يومئذ للمكذبين • هذا يوم لا ينطقون • اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يوم لا ينطقون • ولا يؤذن لهم فيعتذرون • عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كما لو نصب • ويل يومئذ للمكذبين •

هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل والمحق والمبطل جمعناكم خطاب لامة محمد صلعم والاولين من الامم وهذا
تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم وتعتقدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم
على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب
ان المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون اي مما يستغرقون في فنون الترفه
وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اي مقولا لهم كلوا و
اشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك الجزاء العظيم نجزي المحسنين اي
في عقائدهم واعمالهم لا جزاء ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداؤهم هذا الثواب الجزيل و
هم في العذاب المخلد الوابيل كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اي الويل ثابت
لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد
و علل ذلك باجرامهم ودلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون في الدنيا
بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا قيل لهم
اركعوا اي اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار
والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل اذا امروا بالصلوة
او بالركوع لا يفعلون اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فانها
مسبة علينا فقال عم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا
يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة
فباي حديث بعده اي بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين واخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس
على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلعم من قرأ
سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي اربعون او احدى واربعون آية

عم اصله عما فحذف منه الالف لما مر فرقا بين الاستفهامية وغيرها او قصدا
للخفة لكثرة استعمالها وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسئول عنه
وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اي عن اي شيء عظيم الشأن يتساءلون اي اهل مكة
وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته
ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق
الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد
فيقال عالم او طبيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اي يدعونهم
وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه
بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته
ويجاء بمفعوليته على دلالة الفعل كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد منهم الآخر وقد يجرد عن المعنى الثاني

فيراد بها

فيراد بها محض صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد
كما في المثال المذكور او واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما في ما نحن فيه فالمعنى عن اي
شيء يتساءل هؤلاء القوم الرسول صلعم والمؤمنين وربما جرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد
بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله فباي آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى عن
النبأ العظيم بيان لشأن المسئول عنه اثر تفخيمه بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة
المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه وانعدام
نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق حقيق بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كانه قيل عن اي شيء يتساءلون
هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال
هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ
عمه والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن النبأ
العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم
تأكيدا لخطره اثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية
للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته
يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين ومن شاك يقول ما ندري ما
الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد
الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره
لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي
والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية
واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى كلا سيعلمون فانه صريح في ان المراد
اختلاف الجاهلين المكذبين اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما
بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما لا ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله
هذا ما أدى اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يجعل اختلافهم
على مخالفتهم للنبي عم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان
الافتعال والتفاعل صيغتان متواخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى
غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق
الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق
من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عم فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين
وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستيناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ

عنه الكلام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى قوله تعالى ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فان ذلك عبارة عن
الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه
في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال
اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التاكيد والتشديد
وثم للدلالة على ان الوعيد الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة وقيل الاول للبعث والثاني
للجزاء وقرئ ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا
للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله
تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا الى آخره استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه
بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح ان
المتساءل عنه هو البعث لا القرآن او نبوة النبي صلعم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب
على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على
تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساها
بها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الخ
او على ما يقتضيه الانكار التقريري فانه في قوة ان يقال قد جعلنا الى آخره ازواجا اصنافا ذكرا
وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم
سباتا اي موتا فانه احد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله
تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها و
قيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق
بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذي يقع فيه النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم
اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق
المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله
تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت حيوة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة
عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من عدو او بياتا له او نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل
النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات
قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها
منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط
بل للتشويق اليه فان ما حقه التقدم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن

عندها

عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه
مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعي
ايضا كما في قوله ما جعل الله من بحيرة الى آخره وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واياما
كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه ونحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط
بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كلا من هذه
الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان
فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين وهو ثانيهما كما في
قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد
باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت النار
اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن
خلق السموات بالبناء وانزلنا من المعصرات هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها
الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او
الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات
بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبتدأ
للانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا
بالحاء قالوا مثجاج الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما
ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه
لان غالبه غذاء الانسان وجنات قيل الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على
النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى كان عيني في غربي مقتلة من النواضح
تسقي جنة سحقا وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول
هو المراد وقوله تعالى الفافا اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والا
الاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر و
خضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من
وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه و
لا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات
على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جليلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها
عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها
يوما فيوما وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الآفاقية

والاقيسة الدالة بعنوان الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا
وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى • ان يوم الفصل كان ميقاتا • شروع في بيان سر تاخير ما يتساءلون عنه
ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلقونه عند ذلك
من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وعلا بين الخلائق كان في علمه و
تقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاها
بالتقدم والتاخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في انهما
بمعزل من التقريب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عند النفخة الاولى وقوله تعالى • يوم ينفخ في الصور • اي
نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لتفخيمه وتهويله ولا ضير في تاخر الفصل ومباديه و
آثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عم عن ابي هريرة رض ان رسول الله صلعم قال لما فرغ
الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص
بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك
قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى
فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى • فتاتون • فصيحة تفصح عن جملة فاذا هم
قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان
كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فتبعثون من قبوركم فتاتون الى الموقف عقيب ذلك
من غير لبث اصلا • افواجا • اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا
وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي
الله انه سال رسول الله صلعم فقال عم يا معاذ سالت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر
عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم
فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على
صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون
على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم
واما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون
على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين يمضغون
السنتهم فالعلماء الذين خالفت اقوالهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم
واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين
يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر و
الخيلاء • وفتحت السماء • عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت بالتشديد وهو الانسب
بقوله تعالى • فكانت ابوابا • اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كانها ليست

الا ابوابا

الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى و
يوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله اي امره وبأسه
في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا
يسدها شيء • وسيرت الجبال • اي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى
وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر
مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين
حركتها وان كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج
والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما
ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن يبدل الله تعالى الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة
عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى • فكانت سرابا • اي
فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا
وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما
ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا
يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان
اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عم وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية • ان جهنم كانت
مرصادا • شروع في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار
غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان
الذي ينهج فيه اي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها
• للطاغين • متعلق بمضمر اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله تعالى • مآبا • بدل منه اي مرجعا يرجعون
اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس
مآبا على انها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا للطائفة كونهم معذبين
بها وقيل انها لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين
وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد كالمغيار انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على
تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين • لابثين • حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين
وقوله تعالى • احقابا • ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد
يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها قيل فليس فيها ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب
ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالى • لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا •
جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب
يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف وكلاهما

وكلاهما يسيل من صديدهم ﴿جزاءً﴾ أي جوزوا بذلك جزاءً ﴿وفاقاً﴾ ذا وفاق لأعمالهم أو نفس
الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقاً وقرئ وفّاقاً على أنه فعّال من وفقه كذا أي لاقه ﴿إنهم كانوا لا يرجون
حساباً﴾ تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أي كانوا لا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم ﴿وكذبوا بآياتنا﴾ الناطقة
بذلك ﴿كذاباً﴾ أي تكذيباً مفرطاً ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعّال من باب فعّل شائع فيما بين الفصحاء
وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه إما بفعله المدلول عليه
بكذبوا أي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذاباً وإما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فإن كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ
كُذّاباً وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذّاب بمعنى الواحد البليغ
في الكذب فيجعل صفة لمصدره أي تكذيباً كذاباً مفرطاً كذبه ﴿وكل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها أعمالهم
وانتصابه بمضمر يفسره ﴿أحصيناه﴾ أي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿كتاباً﴾ مصدر مؤكد لأحصيناه
لما أن الإحصاء والكتبة من واد واحد أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوباً في اللوح أو في صحف الحفظة والجملة اعتراض
وقوله تعالى ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ
عن التشديد في التهديد وإيراد لن الدالة على أن ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تناهي
الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلعم أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار ﴿إن للمتقين مفازاً﴾
شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء أحوال الكفرة أي إن للذين يتقون الكفر وسائر قبائح
أعمال الكفرة فوزاً وظفراً بمباغيهم أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى ﴿حدائق
وأعناباً﴾ أي بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة وكروماً بدل من مفازاً ﴿وكواعب﴾ أي نساء فلكت ثديهن
وهن النواهد ﴿أتراباً﴾ أي لدات ﴿وكأساً دهاقاً﴾ أي مترعة يقال أدهق الحوض أي ملأه ﴿لا يسمعون فيها﴾
أي في الجنة وقيل في الكأس ﴿لغواً ولا كذاباً﴾ أي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضاً وقرئ كذاباً بالتخفيف
أي لا يكذبه أو لا يكاذبه ﴿جزاءً من ربك﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى إن للمتقين مفازاً فإنه في قوة أن يقال جازى
المتقين بمفاز جزاءً كائناً من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال شيئاً فشيئاً مع الإضافة
إلى ضميره صلى الله عليه وسلم مزيد تشريف له عم ﴿عطاءً﴾ أي تفضلاً وإحساناً منه تعالى إذ لا يجب عليه شيء وهو بدل
من جزاءً ﴿حساباً﴾ صفة لعطاء بمعنى كافياً على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه من أحسبه الشيء إذا كفاه
حتى قال حسبي وقيل على حسب أعمالهم وقرئ حسّاباً بالتشديد على أنه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك ﴿رب السموات
والأرض وما بينهما﴾ بدل من ربك وقوله تعالى ﴿الرحمن﴾ صفة له وقيل صفة للأول وأياً ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى
للكل ورحمته الواسعة إشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى ﴿لا يملكون منه خطاباً﴾ استئناف
مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من
غير أن يكون لأحد قدرة ما عليه وقرئ برفعهما فقيل على أنهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت للأول وقيل
الأول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للأول وقيل لا يملكون حال لازمة
وقيل الأول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للأول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه

على رأي من

على رأي من يقول به والأوجه أن يكون كلاهما مرفوعاً على المدح أو يكون الثاني نعتاً للأول ولا يملكون استئنافاً
على حاله فعليه ما ذكر من الإشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما أن المرفوع أو المنصوب مدحاً
تابع لما قبله معنى وإن كان منقطعاً عنه إعراباً كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ
بجر الأول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والجر ما بعده أو على أنه خبر لمبتدأ مضمر وما بعده استئناف أو خبر ثان
أو حال وضمير لا يملكون لأهل السموات والأرض أي لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبئ عنه
لفظ الملك خطاباً ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب
من غير إذنه على أبلغ وجه وآكده وقيل ليس في أيديهم مما يخاطب الله به ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب
واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه ﴿يوم يقوم الروح والملائكة﴾
قيل الروح خلق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله
عز وجل بعد العرش خلقاً أعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفاً و
الملائكة كلهم صفاً وعن النبي صلعم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤوس وأيد و
أرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل
من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم أشراف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة
وقيل جبريل عم ﴿صفاً﴾ حال أي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف
وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملك صفاً صفاً وقيل يقوم الكل صفاً واحداً ويوم ظرف
لقوله ﴿لا يتكلمون﴾ وقوله تعالى ﴿إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ بدل من ضمير لا يتكلمون العائد إلى أهل
السموات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه و
كبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها
والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون إلخ ومؤكد له على معنى أن أهل السموات
والأرض إذا لم يقدروا حينئذ على أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم
وقال ذلك المأذون له قولاً صواباً أي حقاً فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام
وأعز منه مراماً لا على معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم
يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فإنه مؤسس
على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويز أن يكون يوم ظرفاً لا يملكون فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به
الظنون وقيل إلا من أذن إلخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون إلا في حق شخص
أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صواباً أي حقاً هو التوحيد وإظهار الرحمن في موقع الإضمار للإيذان
بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحداً يستحقه عليه سبحانه وتعالى ﴿ذلك﴾ إشارة إلى يوم قيامهم
على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة
ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده أي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين

هيبتهم وغيرهم على التكلم والجدال • ذلك اليوم الحق • اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا
عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى • فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا • فصيحة عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف
لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق
بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن
شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا
وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا • انا انذرناكم • اي
ذكر في السورة من الايات الناطقة بالبعث وما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن
• عذابا قريبا • هو عذاب الاخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا ونراه قريبا
ولقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين
وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى • يوم ينظر المرء ما قدمت يداه • فانه اما بدل من عذابا او ظرف
لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء • اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة
بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة
عن الكافر وما في قوله تعالى • ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا • ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى يا ليتني
كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى
الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده و
ثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلعم من قرأ
سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس او ست واربعون آية

• والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا
فالمدبرات امرا • اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على
الاطلاق كما قاله ابن عباس ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله علي وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق
وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح
الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون
امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات والعطف مع اتحاد الكل لتنزيل
التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم
للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا
لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه و
الفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآئب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع حيث ينزعها من اقاصي الاجساد
قال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين

ثم تغرقها

ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل ترى الكافر
نفسه في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول
للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون
في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا
على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة عليه • وهو لتبعثن • فان الاقسام بمن يتولى
نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى
وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط
في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك
فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت
العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى
بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون
بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا
تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق
الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه هذا والذي يليق
بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى • يوم ترجف الراجفة • منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة
الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة اي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض
والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله
تعالى • تتبعها الرادفة • اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية والجملة حال من الراجفة مصححة لوقوع
اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها قبل ذلك فانه
عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث
لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند
وقوع الاولى حي الا مات وعند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته
الى الاولى ظاهر ويوم ترجف منصوب باذكر فيكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كانه
قيل لرسول الله صلعم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل
عليه قوله تعالى • قلوب يومئذ واجفة • اي يوم ترجف وجفت القلوب وقلوب منكر مبتدأ ويومئذ
متعلق بواجفة وهي صفته والقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى • ابصارها • اي ابصار
اصحابها • خاشعة • جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا للقلوب وقد مر ان حق الصفة ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار
بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء

في الموقف والجملة كان جعل الاول عنوانا لموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني
خبرا له مقصود الافادة لما لا يخفى على ان التوصيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلوب وقلقها من
من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهول الشرين عمدة واشدهما فضلة
مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعر
بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان تنكير قلوب يقوم مقام الوصف
المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير
كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع
النفختان واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنهما خائفة وجلة وقال السدي زائلة
عن اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية
لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر
مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له
متعجبين منه ائنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته
اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيته وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة
راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة و
هي بمعنى المحفورة وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له
والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد
شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر
وناخر وهو البالي الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر اخر لهم متفرع على كفرهم السابق
ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق
المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء
مشيرين الى ما انكروه من الرد في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة خاسرة اي
ذات خسران او خاسر اصحابها اي ان صحت وتحققت اذن نحن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة
تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة فان مدار انكارهم كان استصعابهم
اياها فرد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية
عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الرادفة فقوله تعالى فاذا هم
بالساهرة حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجاة اي فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا
امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل
لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم جهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيامة

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها
حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هي اسم الارض السابعة يأتي بها الله
تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام
وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل اتاك حديث
موسى كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلعم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى
منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه من حديثه عليه السلام ترغيب له في استماع حديثه
كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص
اليس قد اتاك حديثه وقوله تعالى اذ ناداه ربه بالواد المقدس ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف
وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان
دون البقعة وقيل هو كثني مصدر لنادى او المقدس اي ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب
الى فرعون على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل
عليه قراءة عبد الله ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال به
فقل بعدما اتيته هل لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التائين من تتزكى اي تتطهر
من دنس الكفر والطغيان وقرئ تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه
فتخشى اذ الخشية لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية
غاية للهداية لانها ملاك الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر امر النبي صلعم
بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من
عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء في قوله تعالى فاراه الآية
الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخرى فانه عليه السلام ما اراه اياها عقيب هذا
الامر بل بعدما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت باية فأت بها
ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير والتعريف فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء
سحريتها انما كان ارادة منه لاظهار التجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى
نون العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالاية الكبرى العصا وقيل العصا واليد
هو قول مجاهد عن ابن عباس فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو قول
مجاهد فانهما كالاية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما
في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ
لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الايتين من الايات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعدما غلب السحرة
على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة
مترقب بعد فكذب بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعدما علم صحة الامر ووجوب الطاعة

اشد عصيانه واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته
عز وعلا وترك العظمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني اسرائيل
من الاسر والقسر فقط • ثم ادبر • اي تولى عن الطاعة او انصرف عن المجلس • يسعى • اي يجتهد في معارضة
الآية او اريد ثم اقبل اي انشأ يسعى فوضع موضعه ادبر لئلا يوصف بالاقبال وقيل ادبر مرعوبا من الثعبان
فانه روي انه عم لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون
الفا من قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول
يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا ويأباه ان ذلك كان قبل الاصرار
على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى • فحشر • اي فجمع السحرة لقوله فارسل في المدائن
حاشرين او قومه لقوله • فتولى فرعون فجمع كيده • اي ما يكاد به من السحرة والآلات وقيل جنوده ويجوز ان يراد جميع الناس
• فنادى • في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي • فقال انا ربكم الاعلى • قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة • فاخذه
الله نكال الآخرة والاولى • النكال بمعنى التنكيل وهو التعذيب الذي ينكل من رآه او سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي
اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى وهو الاغراق
في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذه الله اخذ نكال الآخرة وقيل مفعول له اي اخذه لاجل نكال الآخرة وقيل
نصب على نزع الخافض اي اخذه بنكال الآخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ
فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخروية
تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما تؤدي اليها لا محالة وقيل المراد بالآخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما
علمت لكم من اله غيري قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب • ان في ذلك •
اي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به • لعبرة • عظيمة • لمن يخشى • اي لمن من شأنه ان يخشى و
هو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى • أانتم اشد خلقا • خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في
زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى فانما هي
زجرة واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد اي اشق واصعب في تقديركم • ام السماء • اي ام خلق السماء
على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها كقوله تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
وقوله تعالى • بناها • الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله ام السماء وفي عدم ذكر
الفاعل فيه وفيما عطف عليه من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى • رفع سمكها •
بيان للبناء اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام
• فسواها • فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به من الكواكب
والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى امر فلان اذا اصلحه • واغطش ليلها • اي

جعله

جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى واذا اظلم عليهم
قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم • واخرج ضحاها • اي ابرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه اشرف
اوقاته واطيبها فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن احداثه
بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران
حدوثهما على حركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس كما ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى
لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها • والارض بعد ذلك دحاها • اي بسطها ومهدها لسكنى اهلها
وتقلبهم في اقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها • اخرج منها ماءها • بان فجر منها عيونا واجرى
انهارا • ومرعاها • اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة
عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة فان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد
من تسوية امر المعاش من المأكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه
عند الكوفيين والاخفش كما في قوله تعالى او جاءوكم حصرت صدورهم • والجبال • منصوب بمضمر يفسره • ارساها •
اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها
في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل
ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل
تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء
بامر المأكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على
تأخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في موضع بيت
المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط
منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء ومن في خلال الآية ان حمل ما فيه من خلق
وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض
وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش كان قبل خلق
السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي
على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق
منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم
الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عم في آخر ساعة
منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالاقرب ما قيل تأويل هذه الآية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر
ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية على البعدية في الذكر كما

المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من ان انشاء الارض متقدم وقد حذف على شريطة التفسير لما
ذكر بعده لقصد التفخيم وتقرير البعدية في الوجود وفائدة تأخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة
القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض
اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روي عن الحسن رضي الله عنه من تأخير
دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي
هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال
الثلثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد
السماء وكما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد
سلف تفصيل الكلام في السورة الكريمة المذكورة وقوله تعالى • متاعا لكم ولانعامكم • اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم
ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم
ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة المرعى لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل
مصدر مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع
بذلك وقوله تعالى • فاذا جاءت الطامة الكبرى • اي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات اي تعلوها
وتغلبها وهي القيامة او النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التي
يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى
متاعا لكم الى آخره والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها كما ينبئ عنه لفظ المتاع • يوم يتذكر الانسان
ما سعى • قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال
منها بالظرف لمحض ما يوهمه تفسيرها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل
على راي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه من فرط
الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان تكون ما مصدرية • وبرزت الجحيم • عطف على جاءت
اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد • لمن يرى • كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ
وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او على انه خطاب
لرسول الله صلعم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى • فاما من طغى • الى آخره جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما
يأتينكم مني هدى الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤن قسمين فاما من الخ والذي تستدعيه
فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر في
قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل اي فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان • وآثر الحياة الدنيا الفانية
التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة • فان الجحيم
التي ذكر شأنها • هي المأوى • اي هي مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي
كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي اما ضمير فصل او مبتدأ

وقيل

قيل نزلت الآية في النضر وابنه الحرث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان • واما من خاف مقام ربه •
اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى • ونهى النفس عن الهوى •
عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة
عاقبتها • فان الجنة هي المأوى • له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب
اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلعم حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه
قوله تعالى يوم يتذكر الانسان الخ اي فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت
نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم معطوفا عليه وصيغة الماضي
للدلالة على التحقق او حالا من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله
تعالى فاما من طغى الى آخره تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له حسب اعماله الى القسمين المذكورين •
يسألونك عن الساعة ايان مرساها • متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل
ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى • فيم انت من ذكراها •
انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها
كقوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك
وانى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد
نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم
هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة
علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى • الى
ربك منتهاها • على هذا الوجه الى الله تعالى يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد
غيرها وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك ببعثتك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك واما
على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلاي شيء يسألونك عنها وقوله
تعالى • انما انت منذر من يخشاها • على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان
لوظيفته عم في ذلك الشأن فان انكار كونه عم في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره ان ليس له عم ان يذكرها بوجه من
الوجوه فازيح ذلك ببيان ان المنفي عنه عم ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت
منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا
لا تعيين وقتها الذي لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله
تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله عم وهو خاتم الانبياء عم منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عم بعثت
انا والساعة كهاتين وان كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال
والاستقبال فاذا اريد الماضي تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله
تعالى • كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها • اما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما

على الوجه الذي اي كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاه فلما
ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته واياً ما كان فمجموع سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء
مستعجلين بها من كان على الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها
لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية او ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا او في القبور لا يقتضيه المقام وانما
يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول
فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كأن ولم يبعث كأن لم يلبثوا الا ساعة من نهار حال من هم المفعول في
يحشرهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا الا ساعة خلا ان التشبيه هناك في الاحوال الظاهرة من الزي
والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار
بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثاني مستأنفة لا محل لها من الاعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عز وجل في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

سورة عبس مكية بسم الله الرحمن الرحيم آيها اثنتان واربعون

عبس وتولى ان جاءه الاعمى روي ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله بن
شريح بن مالك بن ربيعة الفهري وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله صلعم وعنده صناديد قريش عتبة
وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم
الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم
تشاغله عنه بالقوم فكره رسول الله صلعم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلعم يكرمه ويقول اذا رآه
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة
وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف الرأيين اي لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره في الا
قدام على قطع كلامه عليه السلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كأنه
قيل تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله عز وجل وما يدريك لعله يزكى فان المشافهة ادخل في تشديد العتاب
اي واي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى لعله يزكى استئناف وارد لبيان ما يلوح به
فانه مع اشعاره بان له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بانه تعالى
يدري ذلك اي لعله يتطهر بما يتلقن منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن
الكبرياء او على اعتبار معنى الترجي بالنسبة اليه عليه السلام للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف
اذا كان مقطوعا بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى لتزكيتهم من
الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر اصلا او يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى
فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اي او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم
يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله للكافر فالمعنى انك طمعت في ان يتزكى او يذكر فتقربه الذكرى
الى الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اي عن الايمان وعما
عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فانت له تصدى اي تتصدى وتتعرض

بالاقبال

بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على
المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصّدى بادغام التاء في الصاد وقرئ تُصدى بضم التاء اي تعرض ومعناه
يدعوك الى التصدي له داع من حرص والتهالك على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس
في ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية
للانكار اي اي شيء عليك في ان لا يتزكى وأما من جاءك يسعى اي حال كونه مسرعا طالبا لما
عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اي الله تعالى وقيل يخشى اذية الكفار في اتيانك وقيل
يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما انه حال من فاعل جاءك
فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقيل فيه تعريض بان شأنه الصدارة وتقديم
ضميره على الفعلين للتنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى
للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض بالاهتمام بمضمونهما روي انه صلعم
ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني كلا ردع له عليه السلام عما عوتب عليه من التصدي
للمستغني مع ما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبها من العزائم مبالغا في الاهتمام بامره
حرصا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى انها تذكرة اي موعظة
يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى
عنه من تصدى له وتحقيق ان شأنه ان يكون موعظة حقيقية بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما
نطق به قوله تعالى فمن شاء ذكره اي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة الى الا
هتمام بامره فالضميران للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة او للآيات السابقة
والثاني للتذكرة والتذكير لانها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت
متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي
من النعي والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد اخطأ
واساء الادب وخبط خبطا يقضي منها العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى في
صحف متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها اي
كائنة في صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اي في السماء السابعة
او مرفوعة المقدار والذكر مطهرة منزهة عن مساس ايدي الشياطين بايدي سفرة اي كتبة
من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بايدي رسل من الملائكة
يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان
وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهي وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة
اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار او على اصحابه صلعم فان هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد
تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة

المطهرون او صيف المطهرة بها لطهارة من لمسها وقال القرطبي ان المراد بما في قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون
هؤلاء السفرة الكرام البررة • كرام • عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم
• بررة • اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اي يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه • قتل
الانسان • دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى • ما اكفره • تعجب من افراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه
للدعاء عليه والمراد اما من استغنى عن القرآن الكريم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به
واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء
عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى • من اي شيء خلقه • شروع في بيان افراطه في الكفران
بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى • من نطفة خلقه • تحقيره اي من اي شيء حقير مهين
خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا
الى ان تم خلقه وقوله تعالى • ثم السبيل يسره • منصوب بمضمر يفسره الظاهر اي ثم سهل مخرجه من البطن
بان فتح فم الرحم والهمه ان ينتكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام
دون الاضافة للاشعار بعمومه • ثم اماته فاقبره • اي جعله ذا قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على
وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد
الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم • ثم اذا شاء انشره • اي اذا شاء انشاره
انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين
بل هو تابع وقرئ نشره • كلا • ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى • لما يقض ما امره • بيان لسبب الردع
اي لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تعالى باسره اذ
لا يخلو احد من تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في ان مساق الآيات الكريمة
لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر
من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود لما
فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت ولو حمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على ان المحكوم
عليه هو المستغني او هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده
وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشعار في العموم لحكم المجانسة على طريقة قولهم
بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث هو الكل بطريق رفع الايجاب الكلي
دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما فصل
من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده
اي حقا لم يعمل بما امره وقوله تعالى • فلينظر الانسان الى طعامه • شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه
بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اي فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى • انا
صببنا الماء • الخ بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ
انا على الاستئناف وقرئ اني بالامالة اي كيف صببنا الى آخره اي صببناه • صبا • عجيبا • ثم شققنا الارض

اي بالنبات

اي بالنبات • شقا • على ما بالكراب وجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه وايا ما كانت
ثم والفاء في قوله تعالى • فانبتنا فيها حبا • فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا
بينه وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان
انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة
من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تاكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل
المنعم عليه في حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى • وعنبا • عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف
بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض • وقضبا • اي رطبة سميت بمصدر قضبه
اي قطعه مبالغة لانها تكرر قطعها وتكثر نفس القطع • وزيتونا ونخلا • الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب
• وحدائق غلبا • اي عظاما وصف به الحدائق لتكاثف اشجارها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار
من وصف الرقاب • وفاكهة وابا • اي مرعى من ابه اذا امه اي قصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا
اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال
اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال
كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان
لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه • متاعا لكم ولانعامكم • اما مفعول له
اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات
لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اي متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اي
متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اي تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة في معنى التمتيع
• فاذا جاءت الصاخة • شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على
ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر به لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة
هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق اي يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت
بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الاذان اي تصمها لشدة وقعها و
قيل هي ماخوذة من صخه بالحجر اي صكه وقوله تعالى • يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه • اما
منصوب باعني تفسيرا للصاخة او بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على راي الكوفيين وقيل بدل
من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الانسان الخ اي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسال عن حالهم كما في الدنيا
لاشتغاله بحال نفسه واما لعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او للحذر من مطالبتهم بالتبعات
فيما ما وقوله تعالى • لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه • استئناف وارد لبيان سبب الفرار اي
لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم
او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم من ابيه
ونوح من ابنه ولوط من امراته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه

لكلا امره على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اي يهمه من عناه الامر
اذا اهمه اي اوقعه في الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده ٠ قيل
وقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ بيان لمآل المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر
وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كان نكرة لكونه في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اي
مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلوته
بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك رح من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ﴿ضاحكة
مستبشرة﴾ بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ اي غبار وكدورة
﴿ترهقها﴾ اي تعلوها وتغشاها ﴿قترة﴾ اي سواد وظلمة ﴿اولئك﴾ اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرة ﴿هم الكفرة الفجرة﴾
الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلعم من قرأ سورة
عبس جاء يوم القيمة ضاحكا مستبشرا

سورة التكوير مكية بسم الله الرحمن الرحيم وآيها تسع وعشرون

﴿اذا الشمس كورت﴾ اي لفت كتكوير العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك رفعها وازالتها من مقرها فان
الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي السماء او لف ضوءها المنبسط في الآفاق
المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم
او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابي صالح رح
كورت نكست وعن ابن عباس رض تكويرها ادخالها في العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع
الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء ﴿واذا النجوم انكدرت﴾ اي انقضت
وقيل تناثرت وتساقطت روي عن ابن عباس رض انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط في الارض وعنه رض
ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في
السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح
في جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿واذا الجبال سيرت﴾ اي
عن اماكنها بالرجفة الى حصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية ﴿واذا العشار﴾ جمع عشراء وهي الناقة
التي اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها
عليهم ﴿عطلت﴾ تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها
بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف ﴿واذا الوحوش
حشرت﴾ اي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص
فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه و
قرئ حشرت بالتشديد ﴿واذا البحار سجرت﴾ اي احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا
من سجر التنور اذا ملاه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها

حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف ﴿واذا النفوس زوجت﴾ اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس
بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين ﴿واذا الموءودة﴾ اي
المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق ولحوق العار بهم من اجلهن وقيل كان الرجل اذا ولدت
له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها
فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا
رمت بها وان ولدت ابنا حبسته ﴿سئلت باي ذنب قتلت﴾ توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال
الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين وقرئ سالت اي خاصمت وسالت الله او قاتلها واما قيل قتلت على الحكاية عن
نفسها وقد قرئ كذلك وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس رض انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج
بهذه الاية ﴿واذا الصحف نشرت﴾ اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبي صلعم انه قال
يحشر الناس عراة حفاة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال
نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد وداعة اذا
كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في
يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال ﴿واذا السماء كشطت﴾ قلعت وازيلت
كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور
والقافور ﴿واذا الجحيم سعرت﴾ اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بني آدم
وقرئ سعرت بالتخفيف ﴿واذا الجنة ازلفت﴾ اي قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل
هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا اي فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله واذا البحار سجرت
على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة اي بعد النفخة الثانية
وقوله تعالى ﴿علمت نفس ما احضرت﴾ جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع الكل سياقها وسياق ما عطف
عليها من الخصال مبداه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم في كل جزء من
اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من
مباديها وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت
اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال
الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح
على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار و
على ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في
بطونهم نارا وكذا قوله عم في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك
الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن

عكس ... انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان
واما باحضارها لانفسها مع انها اعراض بامر الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل
نفس ما عملت من خير محضرا الاية لانها لما عملتها في الدنيا فكانها احضرتها في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ
انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهدها
عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت
تشاهدها عليه هنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او
لبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه
قطعا يعرفه كل احد ولو جيء بعبارة اخرى تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها
وتكثر اعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء الذي اشير اليه ببعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه واما
ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه وقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله وقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب
فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل كثير ما عنده
فضلا ان تزيد فمن لوائح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادي
فيه فانه في الاول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما اترك وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والتمادي
فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي في التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي
يعكس عنه كل نفس ما احضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه وربما الذي
فيه من المبالغة ما ذكرنا فتأمل ويجوز ان يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل
نفس اصلاح عملها مخافة ان تكون هي تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك
ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به
او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى منه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي
الوجود كثير الوقوع **فلا اقسم بالخنس** اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة
وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى **الجوار الكنس** لانها تجري مع الشمس والقمر
وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشي اذا دخل كناسه
وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل
اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها **والليل اذا عسعس** اي ادبر ظلامه او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع
قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها
وعسعسا وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه اوفق لقوله تعالى **والصبح اذا تنفس**
لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل
ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح **انه** اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة **لقول**

رسول

رسول كريم هو جبريل عم قاله من جهته الله عز وجل **ذي قوة** شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد
القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف **عند ذي العرش**
مكين اي ذي مكانة رفيعة عند الله عز وجل عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان **مطاع ثم** فيما بين الملائكة المقربين
يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه **ثم امين** على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف
الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف **وما صاحبكم** هو رسول الله صلعم **بمجنون** كما تبهته الكفرة
والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم بنزاهته عما نسبوه
اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عم للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد
قول الكفرة في حقه عم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما **ولقد رآه**
اي وبالله لقد رأى رسول الله صلعم جبريل عم **بالافق المبين** بمطلع الشمس الاعلى **وما هو** اي رسول الله
صلعم **على الغيب** على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب **بضنين** اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر
في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة **وما هو بقول شيطان رجيم** اي قول بعض
المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر **فاين تذهبون** استضلال لهم فيما يسلكونه في امر
القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما يقال لمن
ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب **ان هو** ما هو **الا ذكر للعالمين** موعظة
وتذكير لهم وقوله تعالى **لمن شاء منكم** بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى **ان يستقيم** مفعول شاء اي لمن شاء
منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير **وما تشاؤن**
اي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الاوقات **الا ان يشاء الله** اي الا وقت ان يشاء الله
تعالى تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها **رب العالمين**
مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلعم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته
والله اعلم

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت اي
انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقوله تعالى
وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس **واذا الكواكب
انتثرت** اي تساقطت متفرقة **واذا البحار فجرت** فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب
بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروي ان الارض تنشف الماء
بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رح وقيل ان البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت
تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول وفجرت مبنيا على الفاعل ايضا بمعنى بغت من الفجور نظرا
الى قوله تعالى لا يبغيان **واذا القبور بعثرت** اي قلب ترابها واخرج موتاها وقيل بعثر لغة وبحثر لفظا ومعنى
وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى **علمت نفس ما قدمت واخرت** جواب اذا
لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى

ومنتهاه المفضي بين الخلائق لا أزمنة متعددة حسب تعدد كلمة إذا وإنما كررت لتهويل ما في حيزها من
الدواهي والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى ما قدم وأخر ما أسلف من عمل خير أو شر وأخر من سنة
حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضا ما قدم من معصية
وأخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من أمواله لنفسه وما أخر لورثته وقيل ما تقدم من فرض
وأخر من فرض وقيل أول عمله وآخره ومعنى علمها بهما التفصيلي حسبما ذكر فيما مر ﴿يا أيها الإنسان ما غرك
بربك الكريم﴾ أي أي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والعواقب
الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة أعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للإيذان بأنه ليس مما يصلح
أن يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فإن ربك كريم قد تفضل عليك
في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فإنه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على
الإيمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية
إلى خلافه وقوله تعالى ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر
على ذلك بدءا قدر عليه إعادة والتسوية جعل الأعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها
ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد أي صيرك معتدلا
متناسب الخلق من غير تفاوت فيه ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ أي ركبك في أي صورة شاءها من الصور
المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة أي ركبك في أي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة
كقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك ﴿كلا﴾ ردع
عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة إلى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى ﴿بل تكذبون
بالدين﴾ إضراب عن جملة مقدرة ينساق إليها الكلام كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لا ترتدعون
عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا أو بدين الإسلام اللذين
هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كأنه قيل إنكم لا تستقيمون
على ما توجبه نعمي عليكم وإرشادي لكم بل تكذبون إلخ وقال القفال ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بعث ولا
نشور ثم قيل أنتم لا تتيقنون بهذا الذي تقولون بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ حال
من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق ما يكذبون به أي تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم من
قبلنا لحافظين لأعمالكم ﴿كراما﴾ لدينا ﴿كاتبين﴾ لها ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ من الأفعال قليلا وكثيرا ويضبطونه
نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وأنه عند الله عز وجل من
جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ استئناف
مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى
وقوله تعالى ﴿يصلونها﴾ إما صفة لجحيم أو استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها
فقيل يقاسون حرها ﴿يوم الدين﴾ يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ طرفة عين فإن

المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة كما مر مرارا من أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي
لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها
قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة
من حفر النيران وقوله تعالى ﴿وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ تفخيم لشأن يوم الدين
الذي يكذبون به إثر تفخيم وتهويل لأمره بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أي صورة تصوروه
فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أطم من ذلك وأعظم أي وأي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على أن ما الاستفهامية
خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأي سيبويه لما مر أن مدار الإفادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مناط
إفادة الهول والفخامة هاهنا هو ما لا يوم الدين أي أي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة
أن كلمة ما قد يطلب بها الوصف وإن كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب
كاتب أو طبيب وفي إظهار يوم الدين في موقع الإضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى ﴿يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله﴾ بيان إجمالي لشأن يوم الدين إثر إبهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق
بطريق إنجاز الوعد فإن نفي إدرائهم مشعر بالوعد الكريم بالإدراء قال ابن عباس رضي الله عنه كل ما في القرآن
من قوله تعالى ما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه ويوم مرفوع على أنه خبر
مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من
النفوس شيئا من الأشياء إلى آخره ومنصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه صلى الله عليه وسلم
إلى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس لنفس إلى آخره فإنه يدريك ما هو وقيل بإضمار يدانون وليس بذاك فإنه عار عن
إفادة ما يفيده ما قبله كما أن إبداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف
والله تعالى أعلم عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الانفطار كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة
وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ويل للمطففين﴾ قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الأليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن
يبلغ قعره وقيل وقيل وأيا ما كان فهو مبتدأ وإن كان نكرة لوقوعه موقع الدعاء والتطفيف
البخس في الكيل والوزن لأن ما يبخس شيء طفيف حقير روي أن رسول الله صلعم قدم المدينة وكان
أهلها من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بأبي جهينة
ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم
المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلعم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس
ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت
فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة
إلا حبس عنهم القطر وقوله تعالى ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ إلى آخره صفة كاشفة للمطففين
شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل أي إذا اكتالوا من الناس حقوقهم بحكم الشراء

ونحوه يأخذونه وافياً وافراً وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال
مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان
المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافياً من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي
وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان
ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على
الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشايع فيما بينهم يقتضي ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافياً
من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدار الذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على
معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيداً جداً مما لا يجدي نفعاً فان اعتبار كون المكيل لهم حالاً كان او مآلاً لا يستدعي كون
الاستيفاء بالمعنى المذكور حتماً وكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى يتعاقبان في هذا الموضع لانه حق
عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك وقد
جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة
فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان التقديم بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور
ايضاً حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق النفي له عن الافراد والتعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب
في ان الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار
والمجرور على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا في ما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى • واذا كالوهم
او وزنوهم • للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه • يخسرون • اي ينقصون يقال خسر الميزان
واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك وجعل البارز تأكيداً
للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال
في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن
وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء
لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى • الا يظن اولئك انهم مبعوثون • استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه
من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم
الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه واما الضمير فلا يتعرض لوصفه
وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار
اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن
اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون • ليوم عظيم • لا يقادر قدر عظمه
وعظم ما فيه وما سيؤاخذون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظناً ضعيفاً مشابهاً
للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى • يوم يقوم الناس
لرب العالمين • اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر المبتدأ المضمر او

او مجرور بدلاً من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعاً كما هو رأي الكوفيين و
يؤيده القراءة بالرفع والجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام
الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم
الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى • كلا • ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب
وقوله تعالى • ان كتاب الفجار لفي سجين • الى آخره تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم
لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من
وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما
قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذي
من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين
وقوله تعالى • وما ادراك ما سجين • تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى • كتاب مرقوم •
اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل
كتاب مرقوم وقوله تعالى • ويل يومئذ للمكذبين • متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما
اعتراض وقوله تعالى • الذين يكذبون بيوم الدين • اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع
او منصوب على الذم • وما يكذب به الا كل معتد • اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد
حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء • اثيم • اي منهمك في الشهوات
المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها • اذا تتلى
عليه آياتنا • الناطقة بذلك • قال • من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه • اساطير الاولين •
اي هي حكايات الاولين قال الكلبي رحمه الله المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث وقيل
عام لكل من يتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ أإذا تتلى على الاستفهام الانكاري
• كلا • ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى • بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون • بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في آياتنا ما يصح ان يقال في شأنها مثل هذه
المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ
في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلعم ان العبد كلما اذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء
حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه ريناً وغيناً
ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء • كلا • ردع وزجر عن الكسب الرائن
• انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون • فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم
باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة
محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته • ثم انهم لصالوا الجحيم • اي داخلوا النار وثم
لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة • ثم يقال • لهم توبيخاً وتقريعاً

من جهة الزبانية هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه • كلا • ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر
اثر زجر وقوله تعالى • إن كتاب الأبرار لفي عليين • استئناف مسوق لبيان محل كتاب الأبرار بعد
بيان سوء حال الفجار متصلاً ببيان سوء حال كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من
أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على
فعيل من العلو سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث
يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيماً والكلام في قوله تعالى • وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم • كما مر في نظيره
وقوله تعالى • يشهده المقربون • صفة أخرى لكتاب أي يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة •
إن الأبرار لفي نعيم • شروع في بيان محاسن أحوالهم إثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار • على
الأرائك • أي على الأسرة في الحجال ولا يكاد يطلق الأريكة على السرير عندهم إلا عند كونه في الحجلة • ينظرون •
إلى ما شاءت أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة وإلى أعدائهم
يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك • تعرف في وجوههم نضرة النعيم • أي بهجة التنعم و
ماءه ورونقه والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للإيذان بأن ما لهم من آثار النعمة وأحكام البهجة
بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء • يسقون من رحيق • شراب خالص لا غش فيه • مختوم ختامه
مسك • أي مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك أي مقطعه
رائحة مسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أي ما يختم به ويقطع • وفي ذلك • إشارة إلى الرحيق وهو الأنسب بما بعده أو
إلى ما ذكر من أحوالهم وما فيه من معنى البعد للإشارة إما لعلو رتبته وبعد منزلته أو لكونه في الجنة أي في ذلك
خاصة دون غيره • فليتنافس المتنافسون • أي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى وقيل
فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس وأصله من النفس لعزتها
قال الواحدي نفست الشيء أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به
وقال البغوي وأصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره
أي يبخل • ومزاجه من تسنيم • عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته
أي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على أن من بيانية أو تبعيضية أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسنيم علم
لعين بعينها سميت به إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق روي أنها تجري في الهواء متسنمة
فتنصب في أوانيهم • عيناً • نصب على الاختصاص وجوز أن يكون حالاً من تسنيم مع كونه جامداً لاتصافه بقوله تعالى
• يشرب بها المقربون • فإنهم يشربونها صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة والباء مزيدة أو بمعنى من وقوله تعالى • إن الذين
أجرموا • إلى آخره حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيداً لذكر بعض أحوال الأبرار في الجنة • كانوا • في
الدنيا • من الذين آمنوا يضحكون • أي يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين
وتقديم الجار والمجرور إما للقصر إشعاراً بغاية شناعة ما فعلوا أي كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم
لذلك على منهاج قوله تعالى أفي الله شك أو لمراعاة الفواصل • وإذا مروا • أي فقراء المؤمنين • بهم • بالمشركين وهم في

في أنديتهم وهو الأظهر وإن جاز العكس أيضاً • يتغامزون • أي يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم • وإذا انقلبوا •
من مجالسهم • إلى أهلهم انقلبوا فكهين • ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه إشارة إلى أنهم كانوا لا
يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين فقيل هما بمعنى وقيل فكهين أشرين
وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين • وإذا رأوهم • أينما كانوا • قالوا إن هؤلاء لضالون •
أي نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم إلى الضلال بطريق التأكيد • وما أرسلوا عليهم • على المسلمين • حافظين •
حال من واو قالوا أي قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على
أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم وإشعار بأن ما اجترؤوا عليه من القول من وظائف
من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا
حافظين إنكاراً لصدهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وإنما قيل عليهم نقلاً له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة
كما في قولك حلف لأفعلن • فاليوم الذين آمنوا • أي المعهودون من الفقراء • من الكفار • أي من المعهودين وهو
الأظهر وإن أمكن التعميم من الجانبين • يضحكون • حين يرونهم أذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز
والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقاً للمقابلة أي فاليوم هم من
الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى • على الأرائك ينظرون • حال من فاعل يضحكون
أي يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها
فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مراراً ويضحك المؤمنون منهم وبابه قوله تعالى • هل ثوب
الكفار ما كانوا يفعلون • فإنه صريح في أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة
والمشاكلة حتماً والتثويب والإثابة المجازاة وقرئ بإدغام اللام في الثاء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

• إذا السماء انشقت • أي بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام
وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة • وأذنت لربها • واستمعت أي انقادت وأذعنت لتأثير قدرته
تعالى حين تعلقت إرادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع والتعرض
لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى
أتينا طائعين في الإنباء عن كون ما نسب إلى السماء والأرض من الانشقاق والمد وغيرهما جارياً على مقتضى
الحكمة كما أشير إليه فيما سلف • وحقت • أي جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد أن لم تكن كذلك
بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهي حقيقة بذلك لكن لا على أن
المدار خصوصيتها ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى لها كل
مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور فحق الجملة أن تكون اعتراضاً مقرراً لما قبلها لا معطوفة عليه
• وإذا الأرض مدت • أي بسطت بإزالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت
قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً أو زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى أمده أي زاده • وألقت ما فيها

اي رمت ما في جوفها من الكنوز والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت غاية
الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها واذنت لربها في الالقاء والتخلي وحقت
اي وهي حقيقة بذلك اي انشائها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى
السماء والارض وقوعا في الوقت المعتد الذي هو مدلولها فذكر مرة بعد مرة يا ايها الانسان انك كادح
الى ربك كدحا اي جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التي مثلت باللقاء ومبالغ في ذلك فان الكدح
جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اي فملاق له عقيب ذلك لا محالة
من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الى اخره قيل جواب اذا
كما في قوله فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها الانسان الخ اعتراض
وقيل هو محذوف للتهويل والايذان الى قصور العبارة عن بيانه او للتعويل على دلالة ما مر في سورة التكوير والانفطار عليه
وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان الى اخره تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله
اعتراض وقيل هو يا ايها الانسان الى اخره باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة
رضي الله عنها هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اي عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين
مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور والغلمان واما من اوتي كتابه وراء ظهره
اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره وقيل تغل يداه الى عنقه وتجعل
شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا
اي يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فانه اوانك وانى له ذلك ويصلى سعيرا اي
يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصليه جهنم انه كان في اهله فيما
بين اهله وعشيرته في الدنيا مسرورا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم امور
الاخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله ومآله كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استيناف
لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره في الدنيا اي ظن ان لن يرجع الى الله تعالى
تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في حيزها مسد مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف
بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تع ان ربه كان به بصيرا تحقيق وتعليل له اي بلى ليحورن البتة ان ربه الذي خلقه
كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت
الايتان في ابي سلمة بن عبد الاشد واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب
بعد الغروب او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب والليل وما
وسق وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اي جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي
الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق
اي لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة
وهو لا يوافق الركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي

الموت

الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ
لا باعتبار الشمول لان افراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان
ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين
او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والعامل في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون لترتب ما بعدها من الانكار
والتعجب على ما قبلها من احوال يوم القيامة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اي اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فاي
شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين اي اي شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تع واذا قرئ عليهم القرآن
لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم
واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي صلعم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من
المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة رحمه على وجوب السجدة وعن
ابن عباس رضي الله عنه ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة رض انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان
رايت النبي صلعم يسجد فيها وعن انس رض صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله تع عنهم فسجدوا وعن الحسن
رحمه هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيامة واهوالها مع تحقق
موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في
صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من
انواع العذاب علما فعليا فبشرهم بعذاب اليم لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما
الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة و
متصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تع لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع او ممنون به عليهم استيناف
مقرر لما افاده الاستثناء من نفي العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم اثنان وعشرون آيات

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر
شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب
سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود
اي يوم القيامة وشاهد ومشهود اي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من
العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد
محمد صلعم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عم وامته لقوله تع وكنت عليهم شهيدا الى اخره وقيل امة محمد
وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام
والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت
شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم السلام قتل اصحاب
الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال حلفت لها بالله

حلفة فاجرة لما وافى ان من حديث الاصال وقيل تقديره لقد قتل وايّا ما كان فالجملة جوابيه والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود لما ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتّل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الحق والاخقوق روي عن النبي صلعم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقدّ بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده ومات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي فصبرت قيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا ○ النار ○ بدل الاشتمال من الاخدود ○ ذات الوقود ○ وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم ○ اذ هم عليها قعود ○ ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله وبات على النار الندى والمحلق ○ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ○ اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم

وينطق

وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق ○ وما نقموا منهم ○ اي ما انكروا منهم وما عابوا ○ الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ○ استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... تمام بنسيان الاحبة والوطن ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى ○ الذي له ملك السموات والارض ○ للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى ○ والله على كل شيء شهيد ○ وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ○ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ○ اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ○ ثم لم يتوبوا ○ اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى ○ فلهم عذاب جهنم ○ جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية والاحسن ان يرتفع على الابتداء والفاء لتضمنه معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان خلافا للاخفش والمعنى لهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ○ ولهم عذاب الحريق ○ وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ○ ان الذين امنوا وعملوا الصالحات ○ على الاطلاق من المفتونين وغيرهم ○ لهم ○ بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح ○ جنات تجري من تحتها الانهار ○ ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا ○ ذلك ○ اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي تتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه المذكورة لا للذات فقط كما هو شأن الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايّا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشان ○ الفوز الكبير ○ الذي يصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله ○ ان بطش ربك لشديد ○ استئناف خوطب به النبي صلعم ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد ○ انه هو يبدئ ويعيد ○ اي هو يبدئ الخلق ثم يعيده من غير دخل

لا احد في شيء منها فعنه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدي البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة
وهو الغفور لمن تاب وامن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش
الملك اي ذو السلطنة القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة ربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته
فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته
فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله
تعالى هل اتاك حديث الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه
فعالا لما يريد متضمن لتسلية رسول الله صلعم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود
بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال
وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون
الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب
عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد منهم في الكفر والطغيان كانه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم اشد منهم في
استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم او ليست جنايتهم
مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك
لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات
الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى
بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اي ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي
الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ اي
من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ في لوح وهو الهواء اي
ما فوق السماء السابعة التي فيه اللوح عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله تعالى
بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة والطارق مكية وهي سبع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء
ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق
الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية
بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد هنا الكوكب البادي بالليل
اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادراك
ما الطارق تنويه بشأنه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك
الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك خبره والثانية خبر والطارق
مبتدأ حسبما بين في نظائره اي واي شيء اعلمك ما الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدأ محذوف
والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ عما قبله كأنه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كأنه يثقب

العلام

الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة
واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدي وقيل النجم الثاقب نجم في السماء السابعة
لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء
السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك
بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا تبلغه
افكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تعظيم شأنه واجلال محله ما لا يخفى وقوله
ان كل نفس لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع
لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن
رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي
ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله
تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة من الثقيلة واسمها
الذي هو ضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشأن كل نفس لعليها حافظ والفاء
في قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان ما بين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها ما
يصدر عنها من قول وفعل يستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من
قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل
ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء
دافق استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق و
هو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج
من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو ان النطفة تتولد من
فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء و
مقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك
يشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة
نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني ولذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين
وفيه لغة رابعة هي صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء
مما ذكر على رجعه اي اعادته بعد موته لقادر بين القدرة يوم تبلى السرائر اي يتعرف ويتصفح
ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث
وهو ظرف لرجعه فما له اي للانسان من قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء
ذات الرجع اي المطر سمي به كما قالوا العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم
يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض

ذات الصدع ● هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبني للمفعول وشقها
بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق
بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر
بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحاكي للنشور حسبما ذكر في مواضع من التنزيل لا في تشققها
بالعيون ● انه ● اى القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان
ومعاده ● لقول فصل ● اى فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل ● وما هو بالهزل
ليس في شيء منه شائبة هزل بل كل ذلك جد محض لا هوادة فيه ومن حقه ان يهتدي به الغواة ويخضع
له رقاب العتاة ● انهم ● اى اهل مكة ● يكيدون ● في ابطال امره واطفاء نوره ● كيدا ● حسبما تبلغ به
قدرتهم ● واكيد كيدا ● اى اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون ●
فمهل الكافرين ● اى لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك او لا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم
قطعا وقوله تعالى ● امهلهم ● بدل من مهل وقوله تعالى ● رويدا ● اما مصدر مؤكد لمعنى العامل او نعت
لمصدره المحذوف اى امهلهم امهالا رويدا اى قريبا كما قال ابن عباس رض او قليلا كما قاله قتادة رح
قال ابو عبيدة رح هو في الاصل تصغير رود وانشد كأنها ثمل تمشي على رود اى على مهل وقيل تصغير
ارواد مصدر ارود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه
حالا نحو سار القوم رويدا اى متمهلين وفي ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على احد
الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلعم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه عم من قرأ سورة
الطارق اعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الاعلى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسع عشرة آية ● سبح اسم ربك الاعلى ● اى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات
الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال
والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح
باسم ربك العظيم قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في
سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت ● الذي خلق
فسوى ● اى صفة اخرى للرب على الوجه الاول او منصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف
والصفة بصفة غيره اى خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه
● والذي قدر ● اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول ومعطوف عليه وكذا ما بعده اى قدر
اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها ● فهدى ● اى فوجه
كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا او اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات و
نصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرأيت في كل منها ما يحار فيه العقول

اولى

890

روي ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى ان مسح عينيها بورق الرازيانج الغض
يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم
في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل
ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله تعالى طائرا قدر
غذاؤه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله له من فوق منقاره
ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا واما فنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية
الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير ● والذي
اخرج المرعى ● اى انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف ● فجعله ● بعد ذلك ● غثاء احوى ● اى دريا
اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك وقوله
تعالى ● سنقرئك فلا تنسى ● بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلعم اثر بيان هدايته العامة لكافة
مخلوقاته وهي هدايته عم لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه عم لهداية الناس
اجمعين والسين اما للتأكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد
كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اى سنقرئك ما نوحي اليك الآن وما بعد على لسان جبريل عم
او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب
وما القراءة ليكون ذلك آية اخرى لك مع في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز
ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا
السبيلا وقوله تعالى ● الا ما شاء الله ● استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى لا تنسى مما تقرؤه شيئا
من الاشياء الا ما شاء الله ان ينساه ابدا بان نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل
لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات
وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط آية
في قراءته في الصلوة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها وقيل نفي النسيان رأسا
فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بنسيانه حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفي رأسا لا ما قد ينسى
ثم يذكر ● انه يعلم الجهر وما يخفى ● تعليل لما قبله اى يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي
اليك فينسى ما يشاء انساءه ويبقى محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منها من مصالح دينكم ● ونيسرك لليسرى
عطف على نقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق
التيسير به عليه السلام مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي امري
للايذان بقوة تمكينه عم من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام
اعملوا فكل ميسر لما خلق له اى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما
واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس

الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عم وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى • فذكر ان نفعت الذكرى •
فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما
كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما ان رسول الله صلعم طالما كان يذكرهم
ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم الا كفرا وعنادا
فامر عم بان يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في
تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله
تعالى واعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتاثير الذكر فيهم وتسجيل
عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب
بقوله تعالى • سيذكر من يخشى • اي سيتذكر بتذكيرك من من شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من
يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ الى
قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم وقيل هي بمعنى قد اي فذكر قد نفعت الذكرى وان لم تنفع
كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي • ويتجنبها • اي الذكرى • الاشقى •
الذي يصلى النار الكبرى • اي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عم
ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم • ثم لا يموت فيها • حتى يستريح • ولا يحيى • حيوة تنفعه وثم للتراخي
في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحيوة افظع من الصلى • قد افلح • اي تخلص من المكروه وظفر بما يحبه
من تزكى • اي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى او تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو
النماء وقيل تطهر للصلوة وقيل تزكى تفعل من الزكوة وكلمة قد لما ان الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى
في الاخرة يتوقع السامع منه الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره • وذكر اسم ربه • بقلبه ولسانه • فصلى •
اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى اقم الصلوة لذكري اي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى اي صلوته • بل تؤثرون الحيوة •
اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون
اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب للكفرة فالمراد بايثار الحيوة الدنيا هو الرضاء
والاطمئنان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة
الدنيا واطمانوا بها الاية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب
الدنيا على الاخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة
ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى • والاخرة خير وابقى • حال من فاعل
تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اي تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه
في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا
بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره • ان هذا • اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في
السورة جميعا • لفي الصحف الاولى • اي ثابت فيها معناه • صحف ابراهيم وموسى • بدل من الصحف الاولى و

في ابهامها

وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روي ان جميع ما انزل الله عز
وجل من كتاب مائة واربعة كتب انزل على ادم عم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين
صحيفة وعلى ابراهيم عم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان عن النبي صلعم من قرا سورة الاعلى
اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام

سورة الغاشية مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي ست وعشرون اية

• هل اتاك حديث الغاشية • قيل هل بمعنى قد كما في
قوله تعالى هل اتى على الانسان الاية قال قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام
اريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها
الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها
وتكتنفهم باهوالها وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الى اخره وقيل هي النار من قوله تعالى
وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار
واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى • وجوه يومئذ خاشعة • الى قوله مبثوثة استيناف
وقع جوابا عن سؤال نشا من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته عم ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه
يومئذ اي يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رض لم يكن اتاه عم حديثها فاخبره عنها فقال وجوه يومئذ
الى اخره فوجوه مبتدا ولا باس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى • عاملة ناصبة • خبران
اخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار
خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت
بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في الاخرة وقوله تعالى • تصلى • اي
تدخل • نارا حامية • اي متناهية في الحر خبر اخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت ان
الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي
النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب امور متساوية في الانتساب الى الوجوه معرفة وجها او جعل بعضها عنوانا
للموضوع مبتدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما بعده
من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها • تسقى من عين انية • اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى
وبين حميم ان • ليس لهم طعام الا من ضريع • بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو
شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال
ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك وهذا
طعام بعض اهل النار والزقوم والغسلين للاخرين • لا يسمن ولا يغني من جوع • اي ليس من شانه الاسمان
والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من ان يكون له دفع ضرورتهم لكن لا على ان لهم
استعدادا للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم
ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشاة من حالة عارضة

لان الشيء عند استدعاء الطبيعة بدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جعلهم عبارة عن اضطرارهم عند اصطلائهم النار حين احتياجهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب او الى شيء مطعوم ما او التلذذ به عند الاكل او استغنائه عن الغير او استفادة قوة من جهات وكذا المعنى عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد ويطفؤه من غير ان يكون لهم انتفاع به في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني من جوع ما وتاخير نفي الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لعدم استلزام نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتاكيد النفي وقوله تعالى **وجوه يومئذ ناعمة** شروع في رواية اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار بعد حكاية سوء حال اهل النار ... على حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها واي لم تعطف عليها ... اي ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة **لسعيها راضية** اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته **في جنة عالية** مرتفعة المحل او علية المقدار **لا تسمع** اي انت او الوجوه **فيها لاغية** لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية **فيها عين جارية** اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس **فيها سرر مرفوعة** رفيعة السمك او المقدار **واكواب** جمع كوب وهو اناء لا عروة له **موضوعة** اي بين ايديهم **ونمارق** وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم **مصفوفة** بعضها الى بعض **وزرابي** اي بسط فاخرة جمع زربية **مبثوثة** اي مبسوطة **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت** استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله ... خبر اجر على انها بدل اشتمال من الابل اي اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ... قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئاتها اللائقة بتأتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير **والى السماء** التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار **كيف رفعت** رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا امساك بحيث لا يناله

الفهم

الفهم والادراك **والى الجبال** التي ينزلون في اقطارها وينتفعون بمياهها واشجارها **كيف نصبت** نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد **والى الارض** التي يضربون فيها ويتقلبون عليها **كيف سطحت** سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت بالتشديد وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى **فذكر** لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى **انما انت مذكر** تعليل للامر وقوله تعالى **لست عليهم بمصيطر** تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هي لغة بني تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى **الا من تولى وكفر** استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم وكفر فان لله تعالى الولاية والقهر فهو **يعذبه الله العذاب الاكبر** الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ الا على التنبيه وقوله تعالى **ان الينا ايابهم** تعليل لتعذيبه بالعذاب الاكبر اي ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال من اوب قيل يكون اوابا كديوان في دوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية **ثم ان علينا حسابهم** في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتيب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن التشديد في الوعيد والعذاب ما لا يخفى عن النبي صلعم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع وعشرون او ثلاثون آية

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته **وليال عشر** هي عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام **والشفع والوتر** اي الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي ان النبي صلعم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الرجل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء **والليل اذا يسر** اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا عسعس والتقييد بذلك لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من

لكونهم صلى المقام او صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها في الوقف
خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهذا التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق
هل في ذلك قسم الى آخره تقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام
والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به حقيق بان يؤكد به الاخبار على طريقة
قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه
او الى الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف
والفضل اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما و
المراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي
بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه
اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط
قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله
عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد الى آخره فانه استشهاد بعلمه بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم
المشاركين لقومه عليه السلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الآية وقوله
تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب هؤلاء
ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
عليه السلام قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخرة
قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا ما في سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم
عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم
التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة واياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرئ ارم
باسكان الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم ذات العماد صفة لارم اي ذات القد والطول على تشبيه
قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين
اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ بارم ذات العماد باضافة
ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات
العماد اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وهي حينئذ جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة
وروي انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا و
دانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وهي مدينة
عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار و
الانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى
عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ

جزه

وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل
من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت الى ابن
قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم
في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على
الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى
وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم
بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام
كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون
من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وقد بنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة
وفرعون ذي الاوتاد وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد
الذين طغوا في البلاد اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في
بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم اي انزل
انزالا شديدا على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد ربك
سوط عذاب اي عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت
في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند
السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع
او جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس
من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل
السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدة ايضا
لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما في المعنى
الاول فان كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل
لما قبله وايذان بان كفار قومه صلى الله عليه وسلم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد
مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى
فاما الانسان الى آخره متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا
وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح نظره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها اذا ما ابتلاه ربه
اي عامله معاملة من يبتليه بالغناء واليسار والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم
عين الابتلاء فيقول ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر
بباله انه فضل تفضل عليه ليبلوه أيشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط

والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فيقول ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام
والإكرام لتقديمه للإيذان من أول الأمر بأن الإكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي
وأما إذا ما ابتلاه أي وأما هو إذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم البالغة فيقول ربي أهانن ولا يخطر بباله أن ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس
من الإهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي إلى خسرانهما وقرئ فقدر
بالتشديد وقرئ أكرمني وأهانني بإثبات الياء وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف كلا ردع
للإنسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيهما في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم أبتله بالغنى لكرامته
علي ولم أبتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب إلى قوله الأخير بعيد
وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله والالتفات إلى الخطاب
للإيذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى
الإنسان إذ المراد هو الجنس أي بل لكم أحوال أشد شرا مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى ب
بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون بحذف إحدى
التاءين من تتحاضون أي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين أي على إطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة
وقرئ يحضون بالياء والتاء وتأكلون التراث أي الميراث وأصله وراث أكلا لما أي ذا لم أي جمع بين
الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث
من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ يحبون بالياء كلا
ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى إذا دكت الأرض دكا دكا إلى آخره استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا
للردع أي إذا دكت الأرض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية و
قصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى إذا سويت
تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وأيا ما كان فهو عبارة عما
عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر
عند حضور السلطان من أحكام هيبته وسياسته وقيل جاء أمر ربك وقضاؤه على حذف المضاف
للتهويل والملك صفا صفا أي مصطفين أو ذوي صفوف فإنه ينزل يومئذ ملائكة كل
سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والإنس وجيء يومئذ
بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام
معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم
في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا يومئذ بدل من إذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر
الإنسان أي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال
تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة

أو يتعظ

ويتعظ وقوله تعالى وأنى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق أنه يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى
بعدم وقوعه في أوانه وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أي ومن أين
يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أي وأنى له منفعة الذكرى و
الاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على أن تذكره ليس من
التوبة في شيء فإنه عالم بأنها إنما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت
لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه
قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لأجل حياتي هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالا
صالحة أنتفع بها اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وإنما
الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الأعمال الصالحة وأما أن ذلك بمحض قدرته أو
بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة إليه فكلا وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى أن كان ممكنا منه
فربما يوهم أن من صرف قدرته إلى طرفي الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل
أحد جازم بأنه لو صرف قدرته إلى أي طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك
التكليف وإلزام الحجة فيومئذ أي يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال لا يعذب
عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد الهاء لله تعالى أي لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه أحد سواه إذ الأمر
كله له أو للإنسان أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول
والضمير للإنسان أيضا وقيل المراد به أبي بن خلف أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل
والأغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله تعالى ولا تزر
وازرة وزر أخرى وقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة حكاية لأحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل
وطاعته إثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لأنها تترقى في معارج الأسباب
والمسببات إلى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني به في وجودها وسائر شؤونها
عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة إلى الحق الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يخالجها
شك وقيل هي الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده أنه قرئ يا أيتها النفس الآمنة
المطمئنة أي يقول الله تعالى بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو بلسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الأظهر
وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي إلى ربك إلى موعده أو إلى أمره راضية بما أوتيت
من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلي في عبادي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي
وادخلي جنتي معهم وانتظمي في سلك المقربين واستضيئي بأنوارهم فإن الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة
وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي
وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة
ابن عبد المطلب وقيل في خبيب بن عدي رضي الله عنه والظاهر العموم عن النبي صلعم من قرأ سورة الفجر

في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي عشرون آية

لا أقسم بهذا البلد • أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما عطف عليه
على أن الإنسان خلق مغمورا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله
تعالى • وأنت حل بهذا البلد • إما لتشريفه صلعم بجعل حلوله عم مناطا لإعظامه بالإقسام به أو للتنبيه
من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه
عم مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن
شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك أو لتسليته عم بالوعد
بفتحه على معنى وأنت حل به في المستقبل كما في قوله تع إنك ميت وإنهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل
والأسر وقد كان كذلك حيث أحل له عم مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل
عليه السلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن صبابة و
غيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم
الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها
ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا
فقال عم إلا الإذخر • ووالد • عطف على هذا البلد والمراد به إبراهيم عم وبه يتبع • وما ولد • إسمعيل والنبي
صلوات الله عليهم حسبما ينبئ عنه أنه حرم إبراهيم ومنشأ إسمعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم السلام
والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وإيراده بعنوان الولاد لترشيح مضمون الجواب وإيماء إلى أنه المتحقق
في حالتي الوالدية والولدية وقيل آدم عم ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل إلا أن التفخيم المستفاد
من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولد • لقد خلقنا الإنسان في كبد • أي تعب ومشقة
فإنه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا إذا وجعت
كبده وأصله كبده إذا أصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته
بمعنى أهلكه وهو تسلية لرسول الله مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تع • أيحسب • لبعضهم الذي
كان عليه السلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الأشد بن كلدة الجمحي وكان
شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة
فيتقطع قطعا ولا تزل قدماه أي أيظن هذا القوي المارد المتضعف للمؤمنين • أن لن يقدر عليه أحد •
أن مخففة من أن واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف أي أيحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد • يقول أهلكت
مالا لبدا • يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر • أيحسب أن لم يره أحد •
حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه • ألم نجعل له عينين • يبصر بهما • ولسانا • يترجم به عن ضمائره
• وشفتين • يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب وغيرها • وهديناه النجدين • أي طريقي الخير
والشر والنجدين أصل النجد المكان المرتفع • فلا اقتحم العقبة • أي فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر

عنها بالعقبة

عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى • وما أدراك ما العقبة • أي أي شيء أعلمك
ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة • فك رقبة • أي هو إعتاق رقبة • أو إطعام في يوم
ذي مسغبة • أي مجاعة • يتيما ذا مقربة • أي قرابة • أو مسكينا ذا متربة • أي افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة
هذه الأمور حسن دخول لا على الماضي فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا و
المسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب وترب إذا افتقر وقرئ فك رقبة
أو أطعم على الإبدال من اقتحم • ثم كان من الذين آمنوا • عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الإيمان
ورفعة محله لاشتراط جميع الأعمال الصالحة به • وتواصوا بالصبر • عطف على آمنوا أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على
طاعة الله • وتواصوا بالمرحمة • بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمته تعالى من الخيرات • أولئك • إشارة إلى الموصوفين
باعتبار ما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار إليه للإيذان ببعد رتبتهم في الشرف والفضل أي أولئك
الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة • أصحاب الميمنة • أي اليمين أو اليمن • والذين كفروا بآياتنا • بما نصبناه
دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن • هم أصحاب المشأمة • أي الشمال أو الشؤم • عليهم نار مؤصدة •
مطبقة من آصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته وقرئ موصدة بغير همز عن النبي صلعم من
قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية بسم الله الرحمن الرحيم وهي خمس عشرة آية

• والشمس وضحاها • أي ضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع
النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف • والقمر إذا تلاها • بأن طلع بعد
غروبها وقيل إذا تلا طلوعه طلوعها وقيل إذا تلاها في الاستدارة وكمال النور • والنهار إذا جلاها • أي جلى
الشمس فإنها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التي تبسطه أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن
لم يجر لها ذكر للعلم بها • والليل إذا يغشاها • أي الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الأرض وحيث
كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا
في قولك أقسم بالله حق أن يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا • والسماء
وما بناها • أي ومن بناها وإيثار ما على من لإرادة الوصفية تفخيما كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها وجعلها
مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تع • والأرض وما طحاها • أي بسطها من كل جانب • ونفس وما سواها •
أي أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عم أو للتكثير وهو الأنسب للجواب
• فألهمها فجورها وتقواها • أي فأفهمها إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من
اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل • قد أفلح من زكاها • أي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من
أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تع • وقد خاب من دساها •
لإبراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيذان بتعلق القسم به أيضا أصالة أي خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى
دسس كتقضى وتقضض وقيل هو جواب لقوله فألهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وأما الجواب فمحذوف تعويلا
على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كأنه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلعم كما دمدم

على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى
بالفتح الطغيان والباء للسببية اي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى او صلة للتكذيب
اي كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو ايضا
مصدر كالرجعى • اذ انبعث اشقاها • منصوب بكذبت او بالطغوى اي حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف
او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث
وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به • فقال لهم • اي لثمود • رسول الله • اي
صالح عم عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة
الناقة اليه تعالى في قوله تعالى • ناقة الله • اي ذروا ناقة الله • وسقياها • ولا تذودوها عنها في نوبتها • فكذبوه •
اي في وعيده بقوله تعالى ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وقد جوز ان يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها
• فعقروها • اي الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله قال قتادة رح بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم
وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس • فدمدم عليهم ربهم •
فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم • بذنبهم • بسبب ذنبهم المحكي والتصريح
بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب • فسواها • اي الدمدمة بينهم لم يفلت
منهم احد من صغير وكبير او فسوى ثمود بالارض او سواها في الاهلاك • ولا يخاف عقباها • اي عاقبتها و
تبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه
لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو للحال او للاستئناف وقرئ فلا يخاف وقرئ ولم يخف
عن رسول الله صلعم من قرا سورة والشمس فكانما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية آيها احدى وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم

• والليل اذا يغشى • اي حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما
يواريه بظلامه • والنهار اذا تجلى • ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس • وما خلق الذكر
والانثى • اي والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل ما له توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ
والذكر والانثى وقرئ والذي خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية • ان سعيكم لشتى • جواب القسم وشتى جمع
شتيت اي ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى • فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى • الى آخره تفصيل لتلك
المساعي المتشتتة وتبيين لاحكامها اي فاما من اعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي
الايمان او بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة • فسنيسره
لليسرى • فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها
• واما من بخل • اي بماله فلم يبذله في سبل الخير • واستغنى • اي زهد فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات
الدنيا عن نعيم الآخرة • وكذب بالحسنى • اي بما ذكر من المعاني المتلازمة • فسنيسره للعسرى • اي للخصلة المؤدية الى العسر
والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدهما
في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بان كلا منهما اصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب

والاستغناء

والاستغناء وتعقيب الاول باعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما امر به مع كونه خلاف الظاهر باباه قوله تعالى
• وما يغني عنه ماله • اي ولا يغني او اي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به • اذا تردى • اي هلك تفعل من الردى
الذي هو الهلاك او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم • ان علينا للهدى • استئناف مقرر لما قبله
اي ان علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق الهدى
وما يؤدي اليه من طريق الضلال وما يؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال
من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هي الدلالة على ما يوصل الى البغية
لا الدلالة الموصلة اليها قطعا • وان لنا للآخرة والاولى • اي التصرف الكلي فيهما كيفما نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من
الافعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا تركهم
الاهتداء بهدانا • فانذرتكم نارا تلظى • بحذف احدى التاءين من تتلظى اي تتلهب وقرئ على الاصل • لا
يصلاها • صليا لازما • الا الاشقى • الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله
تعالى • الذي كذب وتولى • اي كذب بالحق واعرض عن الطاعة • وسيجنبها • اي سيبعد عنها • الاتقى •
المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدي واما من دونه ممن يتقي الكفر
دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق • الذي
يؤتي ماله • اي يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى • يتزكى • اما بدل من يؤتي داخل في
حكم الصلة لا محل له او في حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتي اي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد
به رياء ولا سمعة • وما لاحد عنده من نعمة تجزى • استئناف مقرر لكون ايتائه للتزكي خالصا لوجه الله تعالى
اي ليس لاحد عنده نعمة من شانها ان تجزى وتكافا فيقصد بايتاء ما يؤتي مجازاتها وقوله تعالى • الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى • استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة وقرئ بالرفع فانه الرفع اما على
الفاعلية او على الابتداء ومن مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه
لا لمكافاة نعمة والآيات نزلت في حق ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة كان يؤذيهم
المشركون فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس
رض انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي عم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال لابي بكر رض ان
بلالا يعذب في الله فعرف مراده عم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف
فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله
تعالى • ولسوف يرضى • جواب قسم مضمر اي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اكمل الوجوه
واجملها اذ به يتحقق الرضى وقرئ يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلعم من قرا سورة والليل اعطاه
الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية بسم الله الرحمن الرحيم احدى عشرة آية

• والضحى • هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لانها الساعة التي كلم فيها موسى عم
والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس ضحى وقيل اريد به النهار كما في قوله تعالى ان ياتيهم باسنا

ضحى في مقابلة بياتا ﴿والليل﴾ اي حسن الليل ﴿اذا سجى﴾ اي سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا
اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل رح وجعفر الصادق رض ان المراد بالضحى الذي كلم الله تعالى
فيه موسى عم وبالليل ليلة المعراج وقوله تع ﴿ما ودعك ربك﴾ جواب القسم اي ما قطعك قطع المودع
وقرئ بالتخفيف اي ما تركك ﴿وما قلى﴾ اي وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل او
للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عن رسول الله صلعم اياما
لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا عليهم وتبشيرا له عم بالكرامة الحاصلة والمرتبة كما يشعر به ايراده اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عم وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه تعالى مواصله بالوحي والكرامة
في الدنيا بشره عم بان ما سيؤتيه في الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل ﴿وللآخرة خير لك من الاولى﴾ لما انها باقية
صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتي عم من شرف النبوة وان كان مما لا
يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع انه عندما
اعد له عم في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين
وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية
التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة امره عم اي لنهاية
امرك خير من بدايته لا تزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ عدة
كريمة شاملة لما اعطاه الله تع في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين
بالفتوح الواقعة في عصره عم وفي ايام خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين وغيرهم من الملوك الاسلامية
وفشو الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها الا
الله عز وجل وقد انبأ ابن عباس رض عن شمة منها حيث قال له عم في الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض
ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك
الى آخره لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع نون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان الاعطاء
كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة
منها صورتين احداهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسأعطيك
والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تع لالى الله تحشرون وقد قال ابو علي الفارسي ليست هذه اللام
هي التي في قولك ان زيدا لقائم بل هي التي في قولك لاقومن ونابت سوف عن احدى نوني التأكيد فكأنه قيل
وليعطينك وكذا اللام في قوله تع وللآخرة الى آخره وقوله تعالى ﴿الم يجدك يتيما فآوى﴾ تعديد لما افاض
عليه عم من اول امره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود
فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الى آخره والوجود
بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روي ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه

ستة اشهر

ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثماني سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته
وذلك ايواؤه وقرئ فاوى وهو اما من اواه بمعنى آواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تع ﴿ووجدك
ضالا﴾ عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما اشير اليه او على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كانه قيل اما
وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي اليها العقول كما في قوله تع ما كنت تدري ما الكتاب
وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه
فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تع فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان
لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلعم
قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به
لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في
ليلة ظلماء فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عم فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة
﴿فهدى﴾ فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما اوحي اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال
ضلالك عن جدك وعمك ﴿ووجدك عائلا﴾ اي فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما ﴿فاغنى﴾ فاغناك بمال خديجة
او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم قال عم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك
واغنى قلبك ﴿فاما اليتيم فلا تقهر﴾ فلا تغلبه على ماله قال مجاهد رح لا تحتقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه
﴿واما السائل فلا تنهر﴾ فلا تزجره ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال
يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريد الآخرة يجيء الى باب احدكم فيقول ابعثون الى
اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسأل عن الدين ﴿واما بنعمة ربك فحدث﴾ بشكرها
واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله عليه صلعم من فنون النعم التي من جملتها النعم
المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك واغناك
فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تع عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تع واحسن كما احسن الله
اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها
وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عم للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما
هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلعم من قرأ سورة والضحى جعله الله تع فيمن يرضى
لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل سائل ويتيم

سورة الم نشرح لك مكية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم نشرح لك صدرك﴾ لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا
لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها
بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسح صدرك حتى حوى عالمي الغيب والشهادة
وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار
الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق وقيل اريد به ما روي ان

جبريل عم اتى رسول الله صلعم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا
وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني لما سيظهر له عم من الكمال الروحاني والتعبير عنه
عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر
احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من
اول الامر بان الشرح من منافعه عم ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عم وتشويقا له الى ما يعقبه
ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن • ووضعنا عنك وزرك • عطف على ما اشير اليه من مدلول
الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح
مع ان حقه التأخر عنه لما مر انفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول
فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبأك الثقيل • الذي انقض
ظهرك • اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الا
الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عم مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم
احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه و
وضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ حططنا وحللنا مكان وضعنا
وقرئ حللنا عنك وقرك • ورفعنا لك ذكرك • بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه
باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو
وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وسماه رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك
كالذي سلف وقوله تعالى • فان مع العسر يسرا • تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عم وللمؤمنين كانه
قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا
بان العسر مشفوع بيسر اخر كثواب الاخرة كقولك ان للصائم فرحة ان للصائم فرحة اي فرحة عند الافطار
وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلعم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين
الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول • فاذا
فرغت • اي من التبليغ وقيل من الغزو • فانصب • فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما عددنا عليك
من النعم السالفة ووعدناك من الالاء الانفة وقيل فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء و
قيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك • والى ربك • وحده • فارغب • بالسؤال ولا تسأل
غيره فانه القادر على اسعافه لا غيره وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلعم
من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني والله اعلم

سورة التين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم ثمان ايات

• والتين والزيتون • هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين
الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع
الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويسمن البدن

ويفتح

ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر انه اهدي للنبي صلعم من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا
فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير
وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من
الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاص دهنه بكثير
المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في
التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلعم
يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو
سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا
طور زيتا لانهما منبت التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام
لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتاده رضه التين الجبل الذي عليه دمشق و
الزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت
المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين
المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول وقال ابن عباس رضه هو تينكم الذي تاكلون
وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابرهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل
والكلبي • وطور سينين • هو الجبل الذي ناجى عليه موسى عم ربه وسينين وسيناء علمان
للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون كيبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على
الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية • وهذا البلد الامين • اي الامن من امن الرجل امانة
فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها انها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز
ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا بمعنى ذي امن
ووجه الاقسام بهذه البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين • لقد خلقنا
الانسان • اي جنس الانسان • في احسن تقويم • اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة
ومعنى حيث برأه تعالى مستوي القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والتكلم
والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذجات من الصفات السبحانية واثار لها وقد عبر بعض العلماء
عن ذلك بقوله خلق ادم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد
عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف
مستعملة كيفما تشاءت فاذا ارادت فعلا من الافعال الجسمانية تعلقت اولا في القلب من الروح
الحيواني الذي اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القائمة روحانيا
وهو تلقيها في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان
فعند ذلك يتحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فتقصد عند ذلك بهذه الطريقة من

عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه
ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة
ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني
الذي نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى ● ثم رددناه اسفل سافلين ● اى جعلناه من اهل
النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات
التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف
بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق واياما كان فاسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل
السافلين وقوله تعالى ● الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ● على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه
فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى ● فلهم اجر غير ممنون ● غير
منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة
على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج
المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والحال على الثاني وقوله تعالى ● فما يكذبك بعد بالدين ● خطاب للرسول صلعم
اى فاى شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل
الخطاب للانسان على طريقة الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت اى فما يجعلك كاذبا بسبب التكذيب
بالجزاء بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال
كمالا ونقصا من اوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا
الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان ● اليس الله باحكم الحاكمين ● اى اليس الذي
فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء فالجملة مقررة لما قبلها وقيل الحكم بمعنى
القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب عن النبي صلعم انه كان اذا قرأها يقول بلى وانا
على ذلك من الشاهدين وعنه صلعم من قرأ سورة والتين اعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين
ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة **سورة العلق مكية** بسم الله الرحمن
الرحيم وهي تسع عشرة آية وقيل هي اول اول سورة نزلت والاكثرون على ان الفاتحة اول ما نزل القرآن
● اقرأ ● اى ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر
حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه عم كما ينطق به حديث
الزهري المشهور ● باسم ربك ● متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اى اقرأ ملتبسا باسمه تعالى اى مبتدئا
به لتحقيق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال
اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عم للاشعار بتبليغه الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية
بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله ● الذي خلق ● لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى
والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحيوة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من

مادة لم

من مادة واحدة لم تشم رائحة الحيوة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اى
الذي انشأ الخلق او استأثر به او كل شيء وقوله تعالى ● خلق الانسان ● على الاول تخصيص خلق
الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان
من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة
ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته
وقوله تعالى ● من علق ● اى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين
البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر
من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد
منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل
الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به
على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى ● اقرأ ● اى افعل ما امرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه
من قوله تعالى ● وربك الاكرم ● الى آخره فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عم من العذر بقوله عم
ما انا بقارئ يريد ان القراءة شأن من يكتب ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة مبتدئا باسمه
هو الاكرم ● الذي علم بالقلم ● اى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم
يعلمك بدونها وقوله تعالى ● علم الانسان ما لم يعلم ● بدل اشتمال من علم بالقلم اى علمه به وبدونه من الامور
الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية
ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى
● كلا ● ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره لمبالغة في الزجر وقوله تعالى ● ان الانسان
ليطغى ● اى ليتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل في ابي
جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ● ان رآه استغنى ● مفعول له اى يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان
استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوزه
بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلعم وما
لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه بزعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلعم اتزعم ان من
استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عم
فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلعم عن الدعاء اى
ابقاء عليهم وقوله تعالى ● ان الى ربك الرجعى ● تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد
في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اى ان الى مالكك رجوع
الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى ● ارأيت الذي
ينهى عبدا اذا صلى ● تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتأتى

من الرؤية وبعض منها التعجب روي ان اباجهل قال في ملاء من طغاة قريش لئن رايت محمدا يصلي لأطأن عنقه
فرآه عم في الصلوة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة
فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلعم واستعظام النهي وتاكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية واما ما في قوله تعالى
ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى وما في قوله تعالى • ارايت ان كذب وتولى • فقلبية معناه اخبرني فان
الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب
لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار
انفس الافعال المذكورة ومن حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها
التي هي كونها امرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به والمفعول
الاول لارايت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة
الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لارايت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى اخبرني ذلك
الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او آمرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او مكذبا
للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن • الم يعلم بان الله يرى • اي يطلع على احواله فيجازيه بها حتى اجترا على ما فعل
وانما افرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستانف ولم ينظمهما في سلك الشرط
الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به
الجواب واما القسم الاول فمستحيل فذكره في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى
عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل ارايت الاولى بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول
ومفعوله الثاني الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارايت في الموضعين
تكرير للتاكيد ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله تعالى عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى
من عبادة الله تعالى او كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان
على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله
فيجازيه على حسب ذلك وهذا كما ترى وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب
متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر
اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلوته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف
كان ينهى سلمان عن الصلوة • كلا • ردع للناهي اللعين وخسئوة واللام في قوله تعالى • لئن لم ينته • موطئة
للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر • لنسفعا بالناصية • لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار
والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن وكتبته
في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور • ناصية
كاذبة خاطئة • بدل من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب
وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما

ليس في

ليس في قولك ناصيته كاذب خاطئ • فليدع ناديه • اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم اي
يجتمعون روي ان اباجهل مر برسول الله صلعم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلعم فقال اتهددني
وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت • سندع الزبانية • ليجروه الى النار والزبانية الشرط اي الاعوان واحدها زبنية
كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني على النسب وكانه نسب الى الزبن ثم غير كامسي واصلها زباني فقيل زبانية
بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلعم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا • كلا •
ردع بعد ردع وزجر اثر زجر • لا تطعه • اي دم على ما انت عليه من معاصاته • واسجد • وواظب على سجودك
وصلوتك غير مكترث به • واقترب • وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله
صلعم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله والحمد لله على التمام

سورة القدر مختلف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم خمس آيات • انا انزلناه في ليلة القدر • تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن
بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كانه حاضر في جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية
به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى • وما ادريك ما ليلة القدر • لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة
دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى • ليلة القدر خير من الف شهر • فانه بيان
اجمالي لشانها اثر تشويقه عم الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيانه في سورة الحاقة وفي
اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها اما انزال كله الى السماء الدنيا كما روي
انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبريل عم على السفرة ثم كان
ينزله على النبي صلعم نجوما في ثلث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انزلناه
في شان ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي لانا احقر في نفسي
من ان ينزل في قرآن فانه لا يناسب الا بجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم
على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر الاقوال انها السابعة منها ولعل السر في اخفائها
تعريض من يريدها للثواب الكثير باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك لما لتقدير الامور وقضائها
فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي
انه صلعم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم
اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى
الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل اري النبي صلعم اعمار الامم
كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله تعالى ليلة القدر
وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى
العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى • تنزل الملائكة والروح فيها • استئناف مبين
لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شان الروح على التفصيل وقيل هم
خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة اي تتنزل الملائكة والروح في تلك الليلة في كل سماء الى الارض

او الى سماء الدنيا • باذن ربهم • متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اى ملتبسين باذن ربهم اى بامره
• من كل امر • اى من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ
اى من اجل كل انسان وقيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه • سلام هى • اى ما هى الا سلامة
اى لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما غيرها فيقضى فى غيرها وقيل اى ما هى الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها
على المؤمنين • حتى مطلع الفجر • اى وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة
بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اى لمكثهم فى محل تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل
بين المعمول والعامل بالمبتدا مغتفر فى الجار عن النبى صلعم من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة البينة مدنية بسم الله الرحمن الرحيم ثمانى آيات

• لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب • اى اليهود
والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له فى كتابهم
وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم • والمشركين • اى عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول
• منفكين • اى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه
وهذا الوعد من اهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث
فى آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم واما
من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم
كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلعم هل هو المذكور فى كتبهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عز وجل والانفكاك
الشئ من الشئ ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اى لم يكونوا
مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه • حتى تأتيهم البينة • التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا
لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع
باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اى تلت وقوله تعالى • رسول •
بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى • من الله •
متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى رسول واى
رسول كائن منه تعالى ودولة • يتلو • صفة اخرى له او حال من الضمير فى متعلق الجار • صحفا مطهرة • اى منزهة من
الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوته
ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى • فيها كتب قيمة • صفة لصحفا او حال من ضميرها فى مطهرة وتجوز ان تكون الصفة
او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى
• وما تفرق الذين اوتوا الكتاب • الى آخره كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان
ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما فى الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار
بالكلية وهو السر فى وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما فى تضاعيفه من الاحكام
والاخبار التى من جملتها نعوت النبى صلعم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى الاسم الجنس للطائفتين ولما كان

هؤلاء

هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأى المذكور فى حكم فريق واحد منهم عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار
بوقوعه بالانفكاك وحيث بيان كيفيته ووقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقى اهل الكتاب وايذانا بان
انفكاكهم عن الرأى المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأى آخر بل بطريق الاختلاف والقدم وقوله تعالى • الا من بعد ما
جاءتهم البينة • استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى الا بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلعم
هو الموعود فى كتبهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم
العلم وقوله تعالى • وما امروا الا ليعبدوا الله • جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اى والحال انهم ما امروا بما
امروا به فى كتبهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اى الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا
الله • مخلصين له الدين • اى جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى فى الدين • حنفاء • مائلين
عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام • ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة • ان اريد بهما ما فى شريعتهم من
الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما فى شريعتنا فمعنى امرهم بهما فى الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع
احكامها التى هما من جملتها • وذلك • اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص واقامة الصلوة وايتاء
الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته • دين القيمة • اى دين الملة القيمة وقرئ
الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل فى قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه
قبل مبعثه عليه السلام من انهم لا ينفكون من دينهم الى مبعثه ويعدون ان ينفكوا منه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى
وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى آخره بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم من دينهم
الباطل حسبما عدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم منه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه
لا انفك مما انا فيه حتى يغنينى الله تعالى فيغنيه الله تعالى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما
عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتى على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم
عن الحق بان يجعل التفرق عن الحق مستلزما للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم
البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر ومنهم من عرف وعاند كما هو الانسب للتقابل
فلا • ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم • بيان لحال الفريقين فى الآخرة بعد بيان
حالهم فى الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد
النبوة فى الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق
مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه
من الكفر والمعاصى عين النار الا انها ظهرت فى هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها فى النشأة الآخرة
وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر فى قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفى سورة الاعراف • خالدين فيها •
حال من المستكن فى الخبر واشتراك الفريقين فى دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافى تفاوت عذابهم
فى الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان • اولئك • اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح ... وما فيه من معنى البعد للاشعار

بجناية بعد منزلتهم في الشر أي أولئك البعداء المذكورون ﴿هم شر البرية﴾ أي شر الخليقة أي عملا وسوء المواقف في مآلهم
في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار أو شرهم مكانا ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرئ
بالبرية على الأصل ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ بيان لمحاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء
حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب ﴿أولئك﴾ المنعوتون بما هو في الغاية القاصية
من الشرف والفضيلة من الإيمان والطاعة ﴿هم خير البرية﴾ وقرئ خيار البرية وهو جمع خير كجيد وجياد ﴿جزاؤهم﴾
بمقابلة ما لهم من الإيمان والطاعات ﴿عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار﴾ إن أريد بالجنات الأشجار الملتفة
الأغصان كما هو الظاهر فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر
فالمراد جريانها بغير أخدود ﴿خالدين فيها أبدا﴾ متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية
البرية وذكر الجزاء المؤذن بكونه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالإضافة وما يردفها من النعوت وتأكيد الخلود
بالأبود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى ﴿رضي الله عنهم﴾ استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر
من أجزية أعمالهم ﴿ورضوا عنه﴾ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأتيح لهم ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من الجزاء والرضوان ﴿لمن خشي ربه﴾ فإن الخشية التي
هي من خصائص العلماء بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية
والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للإشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية
عن النبي صلعم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا الحمد لله على الإتمام

سورة الزلزلة مختلف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم وهي تسع آيات

﴿إذا زلزلت الأرض﴾ أي حركت تحريكا عنيفا متكررا
متداركا ﴿زلزالها﴾ أي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الإلهية المبنية على الحكم البالغة وهو
الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه أو زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره أو زلزالها الداخل في حيز الإمكان
وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الأبنية فعلال بالفتح إلا في المضاعف وأما ما قد جاء من خزعال فنادر وقد
قيل الزلزال بالفتح أيضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية وقوله تعالى
﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ أي ما في جوفها من الأموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت وإظهار
الأرض في موقع الإضمار لزيادة التقرير أو للإيماء إلى تبدل الأرض غير الأرض أو لأن إخراج الأثقال حال بعض
أجزائها ﴿وقال الإنسان﴾ أي كل فرد من أفراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة
﴿ما لها﴾ زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت ما فيها من الأثقال استعظاما لما شاهدوه
من الأمر الهائل وسيرت الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو الكافر إذ لم يكن مؤمنا بالبعث والأظهر
هو الأول على أن المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب ﴿يومئذ﴾ بدل من إذا
وقوله تعالى ﴿تحدث أخبارها﴾ عامل فيهما ويجوز أن يكون إذا منتصبا بمضمر أي يوم إذ زلزلت الأرض

تحدث الخلق أخبارها إما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها وإما بلسان المقال
حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي صلعم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها
وقرئ تنبئ أخبارها وقرئ تنبئ من الإنباء ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أي تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها
وأمره إياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل تحدث بأخبارها بأن
ربك أوحى لها لأن التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى إليها ﴿يومئذ﴾ أي يوم إذ يقع
ما ذكر ﴿يصدر الناس﴾ من قبورهم إلى موقف الحساب ﴿أشتاتا﴾ متفرقين بحسب طبقاتهم بيض
الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل يصدرون عن الموقف
أشتاتا ذات اليمين إلى الجنة وذات الشمال إلى النار ﴿ليروا أعمالهم﴾ أي أجزية أعمالهم خيرا كان أو
شرا وقيل ليروا صحائف أعمالهم وقوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾
تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء وأيا ما
كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر إما مشاهدة جزائه فمن الأولى مختصة بالسعداء والثانية
بالأشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر
معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا وإما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض
كل منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته
وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن
ولا كافر عمل خيرا أو شرا إلا أراه الله تعالى إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
وأما الكافر فترد حسناته تحسيرا ويعاقب بسيئاته عن النبي صلعم من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات
كان كمن قرأ القرآن كله الحمد لله على الإتمام

سورة العاديات مختلف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم وهي إحدى عشرة آية

﴿والعاديات﴾ أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى ﴿ضبحا﴾ مصدر منصوب
إما بفعله المحذوف الواقع حالا منها أي تضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عند عدوها أو بالعاديات فإن
العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي ضابحات
﴿فالموريات قدحا﴾ الإيراء إخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أي فالتي توري
النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة ﴿فالمغيرات﴾ إسناد الإغارة
التي هي مباغتة العدو للنهب أو القتل أو الأسر إليها وهي حال أهلها إيذانا بأنها العمدة في إغارتهم
﴿صبحا﴾ أي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم
صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى ﴿فأثرن به﴾ عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل
إذ المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن به فهيجن بذلك الوقت ﴿نقعا﴾ أي غبارا وتخصيص
إثارته بالصبح لأنه لا يثور أو لا يظهر ثوراته بالليل وبهذا ظهر أن الإيراء الذي لا يظهر في النهار واقع

في السير ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فأثّرن بالتشديد بمعنى فأظهرن
به غبارا لأن التأثير فيه معنى الإظهار • فوسطن • أي توسطن بذلك الوقت أو توسطن ملتبسا
بالنقع • جمعا • من جموع الأعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة
المترتبة على الإيراء المترتب على العدو وقوله تعالى • إن الإنسان لربه لكنود • أي لكفور من كند النعمة
كنودا جواب القسم والمراد بالإنسان بعض أفراده روي أن رسول الله صلعم بعث إلى أناس من بني كنانة
سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري وكان أحد النقباء فأبطأ عليه خبرها شهرا
فقال المنافقون إنهم قتلوا فنزلت السورة إخبارا للنبي صلعم بسلامتها وبشارة له بإغارتها على القوم
ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراعة
ما لا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد رجف هؤلاء في حق أربابها ما أرجفوا
إنهم مبالغون في الكفران • وإنه على ذلك • أي وإن الإنسان على كنوده • لشهيد • يشهد على نفسه
بالكنود لظهور أثره عليه • وإنه لحب الخير • أي المال كما في قوله تعالى إن ترك خيرا • لشديد • أي قوي
مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقا له ضابطا
وقيل الشديد البخيل أي إنه لأجل حب المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف
القبيح بعد وصفه بالكنود للإيماء إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم
بما يظهرون من الإيمان يعصمون أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى • أفلا يعلم إذا
بعثر ما في القبور • إلخ تهديد ووعيد والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي
أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم حاله إذا بعث من في القبور من الموتى وإيراد ما
لكونهم إذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل • وحصل
أي جمع محصلا أو ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا • ما في الصدور • من الأسرار
الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الأعمال الجلية • إن ربهم • أي المبعوثين كني
عنهم بعد الإحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره
بعد الإحياء الأول حيث التفت إلى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار إلخ بعد قوله تعالى
ثم سواه ونفخ فيه من روحه إيذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما أشير إليه هناك
• بهم • بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها • يومئذ • يوم إذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور
وتحصيل ما في الصدور • لخبير • أي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ
عنه تقييده بذلك اليوم وإلا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ
متعلقان بخبير قدما عليه مراعاة للفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السمال أن ربهم بهم
يومئذ خبير عن رسول الله صلعم من قرأ سورة والعاديات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة

وشهدها

وشهدها جمعا

سورة القارعة بسم الله الرحمن الرحيم احدى عشرة آيات

• القارعة • القرع هو
الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل
القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع
والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار
والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والأرض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره
قوله تعالى • ما القارعة • على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن
محط الإفادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ما القارعة
أي أي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى
• وما أدراك ما القارعة • تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن
عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدريك وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك
هو الخبر ولا سبيل إلى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدرى يتعدى إلى
المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موضع
المفعول الثاني وهذه الجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الأول أي وأي شيء
أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى • يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث • على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل
وإن كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار
والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار أو منصوب
بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه السلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس إلخ فإنه
يدريك ما هي هذا وقد قيل هي ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أي تقرع يوم يكون إلخ وقيل تقديره ستأتيكم
القارعة يوم يكون إلخ • وتكون الجبال كالعهن المنفوش • أي كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف في
تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض
ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت
وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى
ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ
يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
فإن اتباع الداعي الذي هو إسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد النفخة الثانية
قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل في قوله تعالى • فأما من ثقلت موازينه • إلى آخره بيان إجمالي
لتحزب الناس إلى حزبين وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال الشاملة

لثقل او موازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى قاله الفراء او جمع ميزان قال
ابن عباس رض انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحايف الاعمال فينظر
الله الخلائق اليها اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل
وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة
مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في
هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح
وقد روي عن ابن عباس رض انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع
في الميزان اي فمن ترجحت مقادير حسناته • فهو في عيشة راضية • اي ذات رضى او مرضية • واما من خفت موازينه
بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته • فامه • اي فمأواه • هاوية • هي من اسماء النار سميت بها
لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان اهل النار يهوي فيها سبعين خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن
المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوي الولد الى امه وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه
هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تع • وما ادراك ما هيه • نار حامية • فانه
تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء
للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف
وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلعم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مكية وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم التكاثر • اي شغلكم التغالب
في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادّوا وتكاثروا بالسادة والاشراف
في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا فكثر بنو عبد مناف فقال
بنو سهم ان البغي افنانا في الجاهلية فعادّونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى الهاكم التكاثر
بالاحياء • حتى زرتم المقابر • حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر
الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون
بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين
عما يهمكم من السعي لآخرتكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ االهاكم على الاستفهام التقريري •
كلا • ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة •
سوف تعلمون • تكرير للتاكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني
عند النشور • كلا لو تعلمون علم اليقين • اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم
ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله • لترون الجحيم • جواب قسم محذوف اكد به الوعيد
وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه تفخيما • ثم لترونها • تكرير للتاكيد او الاولى اذا رأتهم من
مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة • عين اليقين • اي

الرؤية

الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اقصى مراتب اليقين • ثم لتسألن يومئذ عن النعيم • اي عن
النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات
ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما
فاما من تمتع بنعمة الله تع وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية
مخصوصة بالكفار عن النبي صلعم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في دار الدنيا

سورة العصر بسم الله الرحمن الرحيم ثلث آيات

والعصر • اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر
او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على ساير الاعصار او بالدهر
لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة • ان الانسان لفي خسر • اي خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف
اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم • الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات • فانهم في تجارة
لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات
الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تع • وتواصوا بالحق • الى آخره بيان
لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن
آثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل • وتواصوا بالصبر • اي عن
المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها او على ما يبلو الله
عز وجل عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان
الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى الله به تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما
فعل الله تع فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتوق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى
بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلعم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى
بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية بسم الله الرحمن الرحيم تسع آيات

ويل • مبتدأ خبره • لكل همزة لمزة •
وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة او بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز
شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على ان ذلك منه عادة مستمرة قد
ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك
فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية
بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي
خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب مثل ذنوبهم • الذي جمع مالا • بدل من
كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتحقير والتكثير الموافق لقوله تعالى • وعدده •
وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده او عدده الذين ينصرونه من قولك فلان

ذو عدد وعُدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار والأعوان وقيل هو فعل ماض فُكّ الإدغام ● يحسب أن
ماله أخلده ● أي يعمل عمل من يظن أن ماله يبقيه حيًّا والإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير وقيل طول
آماله ومنّاه الأماني البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدًا في الدنيا لا يموت
وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وأنه هو الذي أخلد صاحبه في الحياة الأبدية والنعيم المقيم فأما المال
فليس بمخلد ولا بمخلد روي أن الأخنس كان له أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة
أو حال من فاعل جمع ● كلا ● ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى ● لينبذن ● جواب قسم مقدر والجملة
استئناف مبين لعلة الردع أي والله ليطرحن بسبب تعاطيه للأفعال المذكورة وقوله تعالى ● في الحطمة ●
أي في النار التي شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس وجمع وقوله تعالى ● وما
أدراك ما الحطمة ● لتهويل أمرها ببيان أنها ليست من الأمور التي تنالها عقول الخلق وقوله تعالى ● نار الله ● خبر مبتدأ
محذوف والجملة بيان لشأن المسئول عنها أي هي نار الله ● الموقدة ● بأمر الله وسلطانه وفي إضافتها إليه سبحانه
ووصفها بالإيقاد من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه ● التي تطلع على الأفئدة ● أي تعلو أوساط القلوب و
تغشاها وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما في الجسد وأشده تألمًا بأدنى أذى يمسه أو لأنه محل العقائد
الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة ● إنها عليهم مؤصدة ● أي مطبقة من أوصدت
الباب وآصدته أي أطبقته ● في عمد ممددة ● إما حال من الضمير المجرور في عليهم أي كائنين في عمد ممددة
أي موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص أو خبر مبتدأ مضمر أي هم في عمد أو صفة لمؤصدة قاله
أبو البقاء أي كائنة في عمد ممددة بأن توصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمد استيثاقًا في استيثاق
اللهم أجرنا منها يا خير مستجار وعن النبي صلعم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر
حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلعم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين

سورة الفيل مكية بسم الله الرحمن الرحيم خمس آيات

● ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ● الخطاب لرسول الله صلعم والهمزة لتقرير رؤيته
عم بإنكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية أي ألم تعلم علمًا رصينًا متاخمًا
للمشاهدة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله
عز وجل لا بنفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة
عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله فإن ذلك من الإرهاصات
لما روي أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلعم وتفصيلها أن أبرهة ابن الصباح الأشرم
ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة
فقعد فيها ليلًا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارًا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج
بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويًا عظيمًا واثنا عشر فيلًا غيره وقيل ثمانية وقيل معه ألف فيل وكان معه

وحده

وحده فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل
فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح فإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله تعالى طيرًا سودًا
وقيل خضرًا وقيل بيضًا مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر
يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي
أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم و
طائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتًا بين يديه وقيل إن أبرهة
أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه في شأنها فلما رآه أبرهة عظم في عينه وكان رجلًا وسيمًا جسيمًا وقيل هذا سيد
قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال فنزل أبرهة عن سريره
وجلس على بساطه وقيل أجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال
سقطت من عيني حيث جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم
الدهر لا تكلمني فيه ألهاك عنه ذود أخذ لك فقال عبد المطلب أنا رب الإبل وإن للبيت ربًّا سيحميه ثم
رجع وأتى باب الكعبة فأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فإذا هو
بطير من نحو اليمن فقال والله إنها لطير غريبة ما هي بنجدية ولا تهامية فأرسل حلقة الباب ثم انطلق مع
أصحابه ينتظرون ماذا يفعل أبرهة فأرسل الله تعالى عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي
كان في زمن النبي صلعم وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان
وقرئ ألم تر بسكون الراء للجد في إظهار أثر الجازم وقوله تعالى ● ألم يجعل كيدهم في تضليل ● إلى آخره بيان
إجمالي لما فعل الله بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كأنه قيل قد
جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وإبطال بأن دمرهم أشنع تدمير ● وأرسل عليهم طيرًا أبابيل ●
أي خراقيق وجماعات جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل أبابيد و
شماطيط لا واحد لها ● ترميهم بحجارة ● صفة لطير وقرئ يرميهم بالتذكير لأن الطير اسم جمع مؤنث
باعتبار المعنى ● من سجيل ● من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كأنه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار
كما أن سجينًا علم لديوان الذي كتب أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه
من الإسجال وهو الإرسال ● فجعلهم كعصف مأكول ● كورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن تأكله الدود أو أكل حبه فبقي
صفرًا منه أو كتبن أكلته الدواب وراثته أشير بأول حاله عن النبي صلعم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى
أيام حيوته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية بسم الله الرحمن الرحيم أربع آيات

● لإيلاف قريش ● متعلق بقوله تعالى
فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله تعالى غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه
النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف
مأكول ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك
فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم ولا يجترئ عليهم أحد وكانت لهم رحلتان يرحلون

في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله
وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك آلفت المكان
ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش
وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا
بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد
وقوله تعالى • ايلافهم رحلة الشتاء والصيف • بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها
مع ان المراد رحلتي الشتاء والصيف لامن الالتباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول اولا و
ابداله عنه ثانيا تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وهي
الجهة التي يرحل اليها • فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم • بسبب تينك الرحلتين تمكنوا منهما
بواسطة كونهم من جيرانه • من جوع • شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف و
العظام • وآمنهم من خوف • عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم
وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي صلعم من قرأ سورة قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد
من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الدين مكية بسم الله الرحمن الرحيم سبع آيات

• ارايت الذي يكذب
بالدين • استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه والخطاب
لرسول الله صلعم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله
تعالى • فذلك الذي يدع اليتيم • جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب
بالجزاء او بالاسلام فان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذي يدع اليتيم اي يدفعه دفعا عنيفا ويزجره زجرا
قبيحا ووضع اسم الاشارة للتعريض بوصف انه اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه
من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد وقيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال
نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن
المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع
اليتيم اي يتركه ويجفوه • ولا يحض • اي اهله وغيرهم من الموسرين • على طعام المسكين • واذا كان حال من ترك
حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى • فويل • الى آخرها لربطها
بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات
الذم والتوبيخ فويل • للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون • غافلون غير مبالين بها • الذين هم يراءون
اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها • ويمنعون الماعون • اي الزكوة او ما يتعاور في العادة فان عدم المبالاة
باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر و
منع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك واما ترتب الدعاء عليهم بالويل على ذكر
من تعقب لهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان انهم فتايح اخر غير ما ذكر عن رسول الله صلعم من قرأ سورة

الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية بسم الله الرحمن الرحيم ثلث آيات

• انا اعطيناك • وقرئ انطيناك • الكوثر • اي الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيري الدارين و
والرياسة العامة وسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن النبي صلعم انه
قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد
بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة عدد نجوم السماء
وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤوس الذين
لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره
وعن ابن عباس رض انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو
من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن الحاوي لخير
الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى • فصل لربك وانحر • لترتب ما بعدها على قبلها فان اعطاءه تعالى
اياه عم ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطها احدا من العالمين مستوجبة للمأمور به اي استيجاب اي
فدم على الصلوة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعم خالصا لوجهه خلاف الساهين
عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن التي هي خيار اموال
العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى
وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير
الى نحره هو المروي عن النبي صلى الله عليه وعن ابن عباس رض استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص
• ان شانئك • اي مبغضك كائنا من كان • هو الابتر • الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت
فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في
العاص بن وائل وايا ما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلعم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر
في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

سورة الكافرون مكية بسم الله الرحمن الرحيم ست آيات

• قل يا ايها الكافرون • هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة قريش
قالوا لرسول الله صلعم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره
فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم
فقرأ عليهم فايسوا • لا اعبد ما تعبدون • اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما
لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم • ولا انتم عابدون ما
اعبد • اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي • ولا انا عابد ما عبدتم • اي وما كنت قط عابدا فيما
سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام • ولا انتم عابدون ما اعبد
اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا

وانا لم نتعلق ما عبدت لتوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عم لم يكن
حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما لم يقل ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم
الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل
الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون
وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا ذكره تاكيدا • لكم دينكم • تقرير لقوله تعالى ولا انتم
عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي كما تطمعون
فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول
لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادة الهتكم واستلام اربابها والان ما
وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين
في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقرير قوله تعالى
ولا انا عابد ما عبدتم اي • ولي ديني • لا دينكم كما قرر في قوله ولكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم
لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فاما عن النبي
صلعم من قرا سورة الكافرين فكانما قرا ربع القران وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية بسم الله الرحمن الرحيم ثلث آيات

اذا جاء نصر الله • اي اعانته تعالى
واظهاره اياك على عدوك • والفتح • اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان
لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به
امره عم بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجيء للايذان بانهما متوجهان نحوه عم وانهما على جناح الوصول
اليه عم عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا
حينئذ باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤية دخول الناس الى آخره غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين
من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلعم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب
واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن
اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله عم وقد كان الله امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له
فيئا فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن • ورايت الناس • اي
ابصرتهم او علمتهم • يدخلون في دين الله • اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة
على الاول حال وعلى الثاني مفعول ثان لرايت وقوله تعالى • افواجا • حال من فاعل يدخلون
اي يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا
قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه عليه السلام لما فتح مكة اقبلت العرب بعضها

على بعض

على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فليس يقاومه احد وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل
وعن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ يدخلون على
البناء للمفعول • فسبح بحمد ربك • فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب
احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على الرواية الاولى واما ان تنسب فلعله امر بان
يداوم على ذلك استعظاما بالنعمة لا باحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا
حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما
فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن
على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام • واستغفره • هضما لنفسك واستقصارا لعملك و
استعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى وعن عائشة رضي الله عنها انه كان عم
يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه عم اني لاستغفر في اليوم والليلة
مائة وروي انها لما قراها النبي عم على اصحابه رض استبشروا وبكى العباس فقال عم ما يبكيك يا عم قال نعيت
اليك قال انها لكما تقول فلم ير عم بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عم
لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها نزلت خطب رسول الله عم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار
لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رض فقال فديناك بانفسنا واموالنا وآبائنا واولادنا وعنه عم انه دعا فاطمة رض فقال
يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود رض ان
هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار للامة • انه كان توابا • منذ خلق المكلفين اي
في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفر متوقعا للقبول عن النبي صلعم من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن
شهد مع محمد صلعم يوم فتح مكة

سورة تبت بسم الله الرحمن الرحيم خمس آيات

تبت • اي هلكت • يدا ابي لهب • هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الاهلاك واسناده
الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلعم الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو
لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عليه السلام به • وتب • اي وهلك كله وقيل المراد بالاول
هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال
جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاديات وقد فعل ويؤيده قراءة وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك
عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك و
قيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا وللاشتهار بها ولكراهة ذكر اسمه
القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وقرئ ابو لهب بسكون الهاء • ما اغنى عنه ماله وما كسب •
اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية
في معنى الانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما كسب به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع

او ماله الموروث من ابيه والذي كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلعم
او عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن
ابن عباس رضي الله عنه ما كسب ولده وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي
منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة
اسد في طريق بين العير المكتنفة به وقد كان صلى الله عليه وسلم دعا عليه وقال اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بوقعة بدر بسبع ليال فاجتنبه مخافة العدوى وكانت قريش
يتقونها كالطاعون فبقي ثلثا حتى انتن ثم استاجروا بعض السودان فحملوه ودفنوه
فكان الامر كما اخبر به القران ○ سيصلى ○ بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد
والسين لتاكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الاخرة
نارا ذات لهب ○ اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن
ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقران ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع
بين النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله
النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء
به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلف الايمان
بعدم ايمانه المستمر ○ وامرأته ○ عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل
بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل
في طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشي
بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمايم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة
حمالة الحطب ○ بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد
انها تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة رضي الله عنه انها مع كثرة
مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع
على انه خبر وامرأته مبتدا وقرئ حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ مرية بالتصغير للتحقير
في جيدها ○ حبل من مسد ○ جملة من خبر مقدم ومبتدا مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع
به على الفاعلية وقيل حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال
فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل
واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما
يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك
ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وقال مرة بن الهمداني كانت ام جميل تاتي كل يوم باباله من
حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك

من

من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه و
بين ابي لهب في دار واحد

سورة الاخلاص بسم الله الرحمن الرحيم اربع ايات

قل هو الله احد ○ الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من الشهرة و
النباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله
القصد اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشان
الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة
تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما
يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد لا كهمزة ما يلازم
النفي ويراد به العموم كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله عم ما اجلت الغنم يوم لا احد
الروس غيركم فانها اصلية وقال مكي اصل احد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة تشبه
الالف فحذف احديهما تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان ولا يقال
رجل احد كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو لما سئل
عنه اي الذي سالتم عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعو اليه فنسبه
فنزلت فالضمير مبتدا والله خبره واحد بدل منه او خبر ثان محذوف وقرئ هو الله احد بغير قل هو وقرئ
قل هو الواحد وقوله تعالى ○ الله الصمد ○ مبتدا وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده اي هو
السيد المصمود اليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي
لم يزل ولا يزال وقيل الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد [illegible] لعلمهم صمديته بخلاف احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار
بان من لم يتصف به فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين اولا
الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم احديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه
من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي وجودها وبقائها
وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت
الاحكام السابقة فقيل ○ لم يلد ○ تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد
النفي على صيغة الماضي اي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد
كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولا يفتقر الى ما يعينه او يخلفه لاستحالة
الحاجة والفناء عليه سبحانه ○ ولم يولد ○ اي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او
لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد
يولد وما لا فلا ومن قضيته الاعتراف بانه لم يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستاخرون في تحقيقه
○ ولم يكن له كفوا احد ○ اي لم يكافئه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة كفوا

قدمت عليه مع ان حقها التأخر عنه لاهتمام بها لان المقصود نفي المكافاة فاما عن ذاته تعالى
وقد جوز ان يكون خبر الاصلة ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط ذلك واما اجر اسم كان فلمراعاة الفواصل
ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولاشتمال السورة الكريمة مع
تقارب قطرها على اثبات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث
القرآن فان مقاصده منحصرة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات
روي النبي صلعم انه قال اسست السموات والارضون السبع على قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد
الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عم سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما
وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم سورة الفلق مدنية ست آيات

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل
ويفلق فعل بمعنى مفعول جار في كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق عن عموده وقيل
هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى
عما يخرج منها وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة
والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه والجائه منه وتقوية
لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى واما الاشعار
بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب
للعائذ في قدرته على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها من شر ما خلق اي من شر ما خلقه من الثقلين
وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة
ههنا من المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا
لاضافة الى عالم الخلق وقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق
المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما
عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله تعالى ومن شر غاسق تخصيص لبعض
الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه وادعى الى الاعاذة
اي ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسوق الامتلاء يقال غسقت
العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسوق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان
دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له لحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل
اجزائه وتقييده بقوله تعالى اذا وقب اي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه
اصعب ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في
الخسوف واسوداده لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله عم بيدي فاشار الى القمر

فقال

فقال تعوذي بالله تعالى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان
جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا
ولذلك لا تستعمل السحرة السحر المورث للتمريض الا في ذلك الوقت وقيل هو المناسب لسبب
النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين
وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر
النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون
ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر
لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روي ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما انه كان
غلام من اليهود يخدم النبي صلعم وكان عنده اسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه عم
فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر فمرض
النبي عم فنزل جبريل عم بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره فارسل عليه السلام
عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي
الصخرة التي توضع في اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة
عقدة مغرزة بالابر فجاءوا بها النبي عم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت
عقدة ووجد عم خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عم كانما نشط من
عقال فقالوا يا رسول الله افلا نقتل الخبيث فقال عم اما انا فقد عافاني الله عز وجل واكره ان
اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي عم غضبا ينتقم لنفسه الا ان يكون شيئا هو
لله تعالى فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين
العقدة بنفث الريق وتسهيل حلها ومن شر حاسد اذا حسد اي اذا اظهر ما في نفسه
من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات ومبادي الاضرار بالمحسود قولا وفعلا والتقييد بذلك لما
ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلعم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب
التي انزلها الله تعالى

سورة الناس خمس آيات

قل اعوذ برب الناس وقرئ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اي مالك
امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس عطف بيان جيء به
لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق
الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى
ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم
كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة
على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك

ربوبيته تعالى بالربوبية والمملوكية والمعبودية في ضمن جنس هو فرد من افراده من دواعي مزيد
الرحمة والرأفة وامره تعالى بذلك من دلايل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر
الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تع وملكوته رمز الى انجائهم
من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تع ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار
تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه
واما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف و
التقرير والتشريف بالاضافة من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة وهي الصوت الخفي
كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة
الخناس الذي عادته ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور
الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم ومحل الموصول الجر على الوصف واما الرفع والنصب على الذم
من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على انه ضربان جني وانسي كما قال عز وجل
شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة
الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال
عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط اليا كسقوطها
كما في قوله تع يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين مبتلى بنسيان
حق الله تع الا من تداركه بشوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تع من الغفلة عن ذكره و
وفقنا لاداء حقوق شكره العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم يا ولي العصمة
والارشاد وهادي العباد الى سنن الرشاد باري البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك
متاب انت الملتجأ لكل خائف ملهوف والمجير من كل هائل مخوف الوذ بحرمك المأمون من غوايل
ريب المنون والتجئ الى حرزك الحريز واوي الى ركنك العزيز واسئلك من خزائن المخزون في مكامن سر
المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الغش والشر ولا سيما
الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاغنني بحمايتك
واغنني بعنايتك وافض علي من شوارق الانوار الربانية وبوارق الاثار السبحانية وهذب
نفسي الآبية من دنس الطبايع والاخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق ليستعد للعثور
على اسرار الانس ويتهيأ للحضور في حظاير القدس ويسر علي مناهج الحق والهدى وارشدني الى مسالك
البر والتقى واجعل عزمي في ابتغاء رضاك واشرف ايامي يوم لقاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فرحا
فرحا واحشرني مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
كتب المؤلف عفا الله تعالى عنه في اخر نسخة الاصل اتفق الفراغ من تسويد هاتيك الاوراق بتوفيق الله
عز سلطانه ليلة الجمعة الاولى من شهر الله الحرام رجب الفرد لعام ثلثة وسبعين وتسعين حامدا لله رب العالمين

ومصليا

ومصليا على سيدنا محمد صلى الله تع عليه وعلى ساير الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين اجمعين
وسلم تسليما كثيرا آمين يا مجيب السائلين بمعاذير غير مساحقة
ما اختلف الملوان والحمد لله رب العالمين تم هذه النسخة اللطيفة
على نسخة من الفه الله ... في ساعة العصر من شهر الله تعالى
رجب المرجب
سنة
٩٩٥